

جوامع التبيان

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفاتحة مكية وآيها سبع وقيل مدنية ومكية لانها نزلت بمكة
مرة وبالمدينة اخرى بسم الله اى متبركا ملتبسا باسم مسمى هو الموضوع
لذات جامع لجميع صفات الكمال اقرأ واقحام لفظ الاسم هنا ليس
بسديد لان التبرك والتلبس بالذات غير مستقيم بخلاف سبح اسم
ربك العظيم وربك الاعلى فان الاسم فيهما مقحم وقد قال صلى الله
عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم وسجودكم وجعل فيهما سبحان ربى
العظيم وسبحان ربى الاعلى بدون لفظ الاسم الرحمن الموصوف
بصفة ارادة الخير بالخلائق الرحيم بالمؤمنين ولا يطلق الرحمن الا على الله
وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم يكرر ويقول ويل على من لم يرحمه
الرحمن الرحيم الحمد هو ثناء على شئ يعد حسنا اختياريا نفعه او اثره
تعظيما لمن قام به لله اى حقيقة الحمد مختصة به فانه هو النافع الوهاب
رب العالمين مالك كل ومربيهم او العالمين الانس والجن اوهما
والملك صفة تستوجب الحمد وتستجذبه الرحمن الرحيم ان كانت البسملة
من السورة فالصفتان لتاكيد انه بالحمد حقيق والابيان ذلك
مالك بالالف من الملك وبدونها من الملك يوم الدين يوم
الجزاء وقد ظهر على الجميع تفرده بالحكم والاختيار والمجازاة اياك نعبد
واياك نستعين نخصك باقصى غاية التذلل وطلب المعونة

فانك انت موصوف بتربية الكل وبارادة الخير وكمال الرحمة لهم وبيدك
المجازاة فالعابد لغيرك والمستعين منه ظالم جهول وتلك السورة
من الله بلسان عباده شفقة ورحمة لعجزهم وقصورهم عن الثناء اللائق
فعلم الانسان ما لم يعلم فالوكيل على كل شئ انبأ ما يجب عليهم مما لم يبلغ
اليه عقولهم فاعترف سيدهم واعلمهم صلى الله وسلم وبارك عليه بالعجز
وقال لا احصى ثناء عليك واين نحن من ثنائك لو لا تعليمك
فانت تثنى ثناء مثل ثنائك على نفسك ولما اثنى عليه بما علمه فكانه
بين يديه حضر فخاطبه وادرج عبادته فى عبادة العباد لعلها تقبل ببركتها
او المراد الحاضرون لا سيما ان كان فى جماعة او النون للتعظيم فان
جاهه لتلبسه بعبادة رب العالمين لعريض اهدنا الصراط المستقيم
ثبتنا على الحق الموصل الى الله ان ربى على صراط مستقيم او المراد منه شرايع
الاسلام فيتجدد والاهتداء يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى
اهدكم صراط الذين انعمت عليهم برحمتك وهم ما عبدوا وما استعانوا
غيرك وهو بدل الكل واما بدل البعض فما هو جزء لا جزئى منه غير المغضوب
عليهم صراط غير من اردت العقوبة عليهم وفى الترمذى المراد منه اليهود
ومن الثانى النصارى وقيل المراد منه من راغم وتعمد المخالفة ومن الثانى
عكسه ولا الضالين الذين عدلوا عن الطريق الحق الذى هو طريق الانبياء
والملائكة والصالحين وحسن اولئك رفيقا وقيل الاول الفساق
والثانى الكفار يستحب لمن قرأها ان يقول بعدها بسكتة آمين اى استجب

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون بسم الله الرحمن
الرحيم الم او امثال مثل هذه السورة سر بين الله ورسوله صلى الله
عليه وسلم وقيل اسماء السور او اقسام اقسم بها وقيل كل حرف
اشارة الى معنى فالالف الى انا واللام الى الله والميم الى اعلم بطريق
الرمز ذلك الكتاب اى هذا القران وقع ذلك الذى للتبعيد
موقع هذا الذى للتقريب للتعظيم والكتاب مصدر بمعنى المفعول ولم يجز
ان يكون المشار اليه والمشار به متحدا اما اذا كان فى ضمن الاشياء
ملحوظا فجائز وذلك فى ذلك الكتاب كذلك فانه اشارة الى القرآن

وذلك جزؤه لاريب فيه في هذا الكتاب ما لو تأمله عاقل لا يشك لاريب
انه من عند الله وقيل بمعنى النهي اي لا ترتابوا ولا يبعد ان يكون لا
فيه لمجرد التأكيد والمبالغة كالبتة ويقينا هدى بيان ونور للمتقين
الصائرين الى ترك الكفر كما ورد من قتل قتيلا فله سلبه او مزيد
هداية لهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى الذين صفة مبينة للمتقين
يؤمنون يصدقون بالغيب كالملائكة وامور الآخرة او محمد صلى الله
عليه وسلم من غير رؤيته ويقيمون الصلوة يعدلون اركانها او يواظبون
عليها ومما رزقناهم ينفقون مما اعطيناهم يصرفون في الخير او المراد الزكوة
والذين يؤمنون بما انزل اليك موقعه مؤمنوا اهل الكتاب او عام
كالاول وما انزل من قبلك سائر الكتب وبالآخرة الدار الآخرة
هم يوقنون لا يشكون اصلا اولئك من هذه صفته على هدى
مستقر ومستعلى على نور من ربهم واولئك هم المفلحون الفائزون
بمطالبهم ان الذين كفروا ستروا الحق وهجروا التوحيد سواء عليهم
مصدر وصف به كرجل عدل أأنذرتهم ام لم تنذرهم تخويفك وعدمه
الهمزة وام مجردتان عن معنى الطلب لمعنى الاستواء في علم المستفهم
كانه سأل ربه أأنذرهم ام لا فاجاب المستويان في علمك مستويان
في عدم النفع فليس الكلام بمنزلة المستويان سواء عليهم والواقع موقع
المبتدأ المجموع همزة الاستفهام مع عديلها والفعل لا يؤمنون جملة مفسرة
مؤكدة لقوله سواء عليهم ختم الله اي طبع واستوثق بضرب الخاتم
على قلوبهم وعلى سمعهم اي مواضعه بحذف المضاف او اطلق مجازا
على العضو ووحد السمع لانه مصدر والمسموع ليس الا الصوت بخلاف
المعقولات والمبصرات فانها انواع من الجواهر والاعراض وعلى
ابصارهم غشاوة غطاء والحاصل انه احدث فيهم شيئا يمرنهم
على حب الكفر لا يفقهون الحق ولا يسمعون ولا يبصرون والاصل في الاسناد
الحقيقة ما لم يصرف عنها صارف ولا صارف من عقل وسمع ان يكون
هنا ختم وغشاوة ولهم عذاب عظيم في الآخرة ومن الناس مبتدأ
بمعنى بعض الناس من يقول خبره يفيد واما ان المراد استعظام

ان لبعض الناس هذه الصفات التي كانها تنافي الانسانية فضعيف
لان هذا التركيب شايع في مواقع لا يتأتى فيها هذا الاعتبار ومنهم اي من
الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
عذاب النار آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين حقيقة لان قلوبهم
لا تطابق السنتهم نزلت في المنافقين يخادعون الله والذين آمنوا
يظهرون الايمان ويبطنون الكفر ويعتقدون ان الخداع ينفعهم عند الله
كنفعهم عند بعض المؤمنين او يعملون عمل المخادع او المراد من مخادعة الله
مخادعة رسوله فالمجاز حقيقة في الهيئة التركيبية والنسبة الايقاعية
للاطباق على ان لفظ الله لا يطلق على غيره لا حقيقة ولا مجازا والخدع
ان توهم خلاف ما تريد من المكروه فلا يمكن مع الله الذي لا يخفى عليه
خافية وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون وان اثر الخداع راجعة اليهم
وهم في الدنيا ايضا مفتضحون ولا يحسون لغفلتهم في قلوبهم مرض
ناشئ منه الشك والنفاق فزادهم الله مرضا فلهذا كلما نزلت اية جددوا
الكفر بها ولهم عذاب اليم اي ذو الم وصف به العذاب للمبالغة
وبمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع ليس بثابت بما كانوا يكذبون بسبب
كذبهم ومن قرأ يكذبون بالتشديد فمعناه تكذيبهم آيات الله والرسل
واذا قيل لهم للمنافقين لا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي واظهار
اسرار المؤمنين الى الكفار قالوا انما نحن مصلحون على الهدى نداري
المؤمنين والكافرين ونريد الاصلاح بينهم وبين اهل الكتاب فان النفاق
ما ظهر الا في المدينة وكفارها اهل الكتاب الا انهم هم المفسدون ولكن
لا يشعرون ردهم ابلغ رد لتعريضهم على المؤمنين في انما نحن مصلحون
لا لاجل الحصر فانهم ادعوا ان لا فساد لهم بوجه وطرقهم منافية لحال
المؤمنين فلزم منه باذعانهم ان في المؤمنين فسادا واذا قيل لهم آمنوا
كما آمن الناس من الصحابة او مؤمنوا اهل الكتاب قالوا انؤمن كما آمن
السفهاء ما مصدرية في محل النصب صفة لمصدر والهمزة للانكار واللام
في السفهاء للناس والسفه خفة الرأي وهذا قول سرهم فافضحهم الله الا انهم
هم السفهاء لا الصحابة ولكن لا يعلمون واذا لقوا صادفوا الذين آمنوا

صحيحا قالوا آمنا كايمانكم واذا خلوا الى شياطينهم ساداتهم او اصحابهم من
خلوت بفلان والى فلان اذا انفردت معه قالوا انا معكم في الدين
انما نحن مستهزءون نلعب بالمؤمنين الله يستهزئ بهم الاستهزاء
لا يليق بالله فمعناه يعاملهم معاملة المستهزئ وعن ابن عباس وغيره
يفتح لهم باب من الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار ويجازيهم
جزاء الاستهزاء نحو جزاء سيئة سيئة او يرجع وبال استهزائهم اليهم
ويمدهم اذا كان من الاملاء والامهال فمن باب الحذف والايصال فانه
لا يستعمل الا مع اللام واذا كان من القوة والزيادة فهو متعد بنفسه في طغيانهم
تجاوزهم عن الحد يعمهون يتحيرون والعمه في البصيرة والعمى في البصر اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى اخذوا الضلالة وتركوا الهدى فما ربحت
تجارتهم التجارة سبب الربح والخسران فهي لمشابهة الفاعل اسند
اليها اي ما ربحوا فيها وما كانوا مهتدين الى طرق التجارة مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا اي حالهم وصفتهم كحال من استوقد بين الجمع نارا فان
مزاول العمل بعضهم عادة غالبا كانه قال مثلهم كمثل جمع استوقد منهم
نارا لهم ولهذا قال ذهب الله بنورهم وتركهم فلما اضاءت النار ما حوله
اي ما حول المستوقد وفرحوا به ذهب الله بنورهم المراد من ايقادها سبب
من الاسباب فزادهم غما ووحشة وتركهم في ظلمات ظلمة شديدة
كانها ظلمات فان مفاجاة الظلمة بعيد النور اشد لا يبصرون ترك
المفعول كان الفعل غير متعد فيؤيد معنى جمع له الظلمات ومن طرأ له
النفاق باظهار ايمانهم الكاذب امنوا في الدنيا ففرحوا واذا ماتوا زادهم
وحشة ودهشة ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار والمراد
من آمن ثم كفر فاذهاب نورهم في الدنيا قال تعالى ذلك بانهم آمنوا
ثم كفروا الاية وهذا هو المنقول عن علماء السلف صم اي هم عن قبول الحق صم
بكم عن قول الحق عمي عن رؤيته مع ان في كل شيء له آية وهذا فذلكة التمثيل
والضمير المقدر للمنافقين فهم لا يرجعون الى الهدى الذي باعوه او عن الهدى
اشتروا الضلالة او الضمير للمستوقد يعني ادهشتهم ظلمة كظلمات
فلا سمع ولا نطق ولا بصر واقفين في اماكنهم كحمار في طين او كصيب

كاصحاب مطر او سحاب وهذا مثل آخر واو للتساوي كجالس
الحسن او ابن سيرين اي انت مخير في التمثيل بايهما شئت او هذا
مثل لقوم آخر فالاول للخالص من المنافقين مظهرين للايمان مبطنين
للكفر والثاني لمذبذب شاك يقدم رجلا ويؤخر اخرى يعني انهم لا يخلون
عن احد المثلين من السماء اي من بحر تحت العرش قال ابن عباس المطر
نوعان احدهما ان السحاب يجذب الماء من بحر الارض فربما ينتفع
وربما لا ينتفع والاخر يجذب الماء من بحر تحت العرش فكل قطرة منه في البحر
درّ وفي البر برّ واذا كان المراد من الصيب السحاب فمن السماء ايذان بالغيم
المطبق في جميع الآفاق
فيه ظلمات ظلمة تكاثف المطر والغيم والليل واعتبار التجوز الشايع
في كلمة في اغنانا عن التكلف في بيان الظرفية ورعد ملك موكل بالسحاب
فينطلق على صوته وقيل صوت اصطكاك اجرام السحاب وبرق
نار طارت من فيه او لمعان صوته وقيل نار تخرج من هذا الاصطكاك
يجعلون اصابعهم المراد انا ملهم وهذا من اتساعات اللغة نحو فاقطعوا
ايديهما واتى بضمير الجمع لما ذكرنا ان المراد من الصيب اصحابه في اذانهم من
الصواعق اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم فيها حذر الموت
مخافة الهلاك بان تخرق شدة الصوت اذانهم فقصدوهم فيموتوا
كما مات بمثله امثالهم من سوالف الامم والله محيط بالكافرين لا ينجيهم
الحذر من القدر يعني لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط ولا ينجيهم
الخداع جملة معترضة بين المثل يكاد البرق يخطف ابصارهم يأخذها بسرعة
كلما اضاء لهم جاز ان يكون متعديا اي اضاء لهم ممشى مشوا فيه اي في وقت
ضائه وقفوا فرصة من امكان المشي اغتنموها فانهم حراص على الخلاص واذا اظلم
عليهم قاموا وقفوا من قام الماء جمد وهم في توقفهم محبوسون ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير اي لو شاء الله ان يذهب
بهما لذهب ولا يكاد يبرز المفعول في شاء واراد الا اذا كان مستغربا
نحو فلو شئت ان ابكي دما لبكيته انه على كل ممكن قادر فليتوكلوا والاولى
الامثل ان نجعل التمثيلين من المركبة دون المفرقة فلا نتكلف لكل
واحد شيء يقدر شبهه به فنقول في الاول شبهت حيرة المنافقين

وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل
وفي الثاني شبه حالهم بحال من اخذته السماء بانتساج المطر الهاطل
مع تكاثف ظلمة الليل والسحاب الاسود وتواتر الرعد القاصف
والبرق الخاطف وهم الصواعق الخارقة المحرقة وهم في اثناء ذلك قلق
واضطراب من خوف الهلاك متشبثين بما لا يدفع عنهم الموت
كالغريق ولو قلت لا يطمئن قلبي الا بان تتكلف وتتكفل لواحد واحد شيئا
يقدر شبهه به كما فعلت في اول المثلين فاستمع يمكن شبه القران
ودين الاسلام بالصيب فانه يحيي القلوب كالمطر يحيي الارض بعد موتها وما فيه
من شبه المبطلين بالظلمات والوعيد والاهوال وذكر النار والصراط
والحساب بالرعد وما فيه من الوعد والايات الباهرة بالبرق وتصامهم
عن الوعيد بحال من يهوله الرعد واهتزازهم لما ظهر لهم من غنيمة باردة وراحة
يطمح اليه ابصارهم بمشيهم في ضوء البرق وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين
عروض شبهة او بلاء ومحنة بتوقفهم اذا اظلم ثم نبه المؤمنين بقوله ولو شاء
الله لذهب الخ على ان القادر المطلق هو الله سبحانه فتوكلوا عليه لا على
عقولكم فربما تكون العقول عقالا يا ايها الناس عام لكل مؤمن وكافر ومنافق
اعبدوا ربكم لا شك ان زيادة العبادة والتثبت فيها والتوحيد والاخلاص
عبادة فلا يلزم اعمال المشترك في كلا معنييه ولا الجمع بين الحقيقة والمجاز
الذي خلقكم اوجدكم على تقدير واستواء والذين من قبلكم عطف على مفعول
خلق لعلكم تتقون اي راجيا منكم التقوى الذي هو قصارى امر العابد وعلب
المخاطبين على الغائبين ولم يقل لعلكم واياهم والظاهر المتبادر انه حال
من فاعل خلق لان الحال في المعنى صفة والذي في مقدمه ومؤخره صفة
الرب فناسب ان يكون الحال بينهما كذلك وحقيقة الترجي من الله
محال فحاصله انه خلقكم لكي تتقوا الا ان لعل بمعنى كي بل لانه تعالى لما
خلق العباد وخلق فيهم علما وقدرة وارادة وطلب منهم اختيار جانب
الخير كان حالهم كحال من يرجى منه التقوى فاستعير كلمة لعل الموضوعة
لحقيقة الترجي لتلك الحالة التي حاصلها طلب الخير والتقوى مع صورة
تفويض الاختيار اليهم نحو ليبلوهم ايهم احسن عملا وقد ورد لعل في القران

للايقاع في الطمع لان وعد الكريم لا فرق فيه بين تجويز الوفاء وجزمه مع ان
داب العظماء في المواعيد المقطوعة بانجازها الاقتصار بلعل وعسى ولان
فيه الايماء الى ان لا يتكل العباد فيتركوا الاجتهاد الذي جعل لكم الارض
فراشا بساطا غير حزنة غليظة والسماء بناء قبة مضروبة عليكم فيها النجوم
والشمس والقمر وانزل من السماء ماء اي من جانب الفوق او من بحر
في السماء ينزل منه الى السحاب فاخرج به من الثمرات بيان تقدم رزقا
مرزوقا لكم صفة رزقا او من للتبعيض ورزقا مفعول له ولكم مفعول للمصدر
فلا تجعلوا لله اندادا امثالا تعبدونها كعبادة ربكم وانتم تعلمون ان الانداد
لا تماثله بوجه او الحال انكم ذوو علم وحاصل الكلام انه خلقكم عالمين قادرين
وجعل مستقركم بمنزلة عرصة المسكن يمكن فيها تقلبكم والسماء خلق كالخيمة
عليها وجعل بينهما شبه عقد النكاح فانزل منها اليها ماء اخرج بسببه
من بطنها كالنسل الوان الثمار رزقا لكم لتعلموا ان موجد هذه ليس الا الله
الواحد فتتركوا عبادة الانداد وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا محمد
عليه الصلوة والسلام وفيه الامر بعبادتنا والتوحيد وفوائد الارض والسماء
فاتوا بسورة طائفة منه معبر عنها بسورة كذا والمقصود مقدار سورة
من مثله اي بسورة كائنة من مثل ما نزلنا في كمال البلاغة فانها خاصية
شاملة والاخبار عن الغيب فالضمير لما نزلنا لا لعبدنا لما قال تعالى فاتوا بسورة
من مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله
وادعوا شهداءكم اي استعينوا باعوانكم في اختراع سورة والمراد من الشهداء
الحاضرون من دون الله يعني متجاوزين الله اي غير الله او استعينوا
بالهتكم غير الله وقيل الشهداء القائمون بالشهادة وحينئذ فالمعنى ادعوا
غير الله شهداء يشهدون ان ما اخترعتم مثله فانه لظهور بطلانه لا يشهد
احد لكم ولا تقتصروا على قولكم الله يشهد ان ما ندعيه حق فان ذلك شان
العاجز عن البينة ان كنتم صادقين انه من كلام البشر فان لم تفعلوا لم تعارضوا
ولن تفعلوا هذا من اخبار الغيب بانهم غير متمكنين عن المعارضة فاتقوا
النار التي وقودها ما يوقد به النار الناس اي فاحذروا واتركوا الريب فيما نزلنا
لظهور الدليل انه من الله النار التي وقودها الكفار والحجارة حجارة الكبريت

فتكون اشد وانتن واظلم وهو قول جم غفير من السلف او الحجارة اصنامهم
ينظر والهتهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اعدت النار
صلة بعد صلة كما في الصفة والخبر قاله التفتازاني للكافرين وبشر البشارة
كل خبر يغير البشرة من خير او شر لكن اكثر استعماله في الخير قد صرح بذلك
سيبويه وفي الصحاح البشارة المطلقة في الخير وانما تطلق على الشر
بالتقييد وهو من عطف الجملة على الجملة والصحيح جواز عطف ذلك وان كانت
احديهما خبرية والاخرى انشائية والاولى ان يكون المبشر كل احد
لا معينا حتى يكون مؤذنا بان الامر حقيق بان يبشر به من قدر على البشارة
الذين امنوا وعملوا الصالحات اي عملا بلا رياء او ما حسنه الشرع
ان لهم اي بان لهم جنات دار الثواب وهي سبعة اعلاها الفردوس
تجري من تحتها تحت غرفها واشجارها الانهار والمنقول ان مياه الجنة
ليست في اخدود بل هي بنفسها انهار كلما رزقوا منها من للابتداء
من ثمرة بدل اشتمال من منها فمن للابتداء رزقا مرزوقا قالوا هذا الذي
رزقنا من قبل اي مثل الذي رزقنا في الدنيا واتوا به بالمرزوق الاخروي
متشابها في اللون والهيئة دون الطعم والقدر او المراد من قبل في الجنة
يشبه بعض فواكهها بعضا في الطعم كلها في غاية اللذاذة هذا ولكن لفظة كلما
دالة على ان الجميع له قبل فنفي الرزق الاول يشكل الا ان يقال كلما عرفي اكثري
ومتشابها حال لازم من ضميره به ولهم فيها ازواج نساء وجوار لتمام
الانس مطهرة مما يستقذر ويذم وهم فيها خالدون ليس لهم خوف فوات
نعمة وهذا من اتم النعم ثم انه تعالى لما دفع عنهم بالدليل ريبهم المبهم في القران
كله واردف كما هو عادة كلام الله حال المتقين بحال الشاك اخذ
يفحمهم بان لا مطعن فيه لبعض اياته الذي هو الامثال وهو ريبهم المعين
فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ترك من يستحيي فان الحياء
انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وسلب الحياء عن شيء مخصوص
لا بد له من توجيه كما تقول لم يلد ذكرا ولم يولد ان يضرب مثلا ما ان يبين
شبها اي شبه كان بعوضة صغار البق مثلا مفعول يضرب كما قال
ضرب مثل وما صفة تزيد النكرة شيوعا وبعوضة بدل من مثلا

اما عطف البيان فلا يجوزه في النكرات الا الفارسي فما فوقها في
الصغر والحقارة كجناحها وهذا كما تقول فلان شحيح جاهل فيقول السامع
نعم وفوق ذلك او في الكبر كالذباب والعنكبوت قالت الجهلة الله
اجل من ان يضرب الامثال بالصيب والمستوقد والذباب وبيت
العنكبوت فنزلت وبين ان لا دخل لحقارة المثل في الممثل وذلك
من ديدن الادباء من العرب العرباء فاما الذين امنوا النور رصدوهم
فيعلمون انه الحق المثل الثابت من ربهم لا تسري حقارته في الممثل واما الذين
كفروا العمههم فيقولون ماذا اراد الله اي شيء اراد بهذا مثلا تمييزا او حال
يضل به كثيرا اي بالمثل كثيرا من الكفرة ويهدي به كثيرا من المؤمنين وضع
يضل موضع المصدر فانه جواب ماذا اراد الله يعني اراد الله بهذا اضلال
كثير وهداية كثير وما يضل به الا الفاسقين الخارجين عن حد الاعتدال فانهم
عكسوا شان الامثال والله سبحانه نقص شان الكفار باثبات صفة الفسق
لهم الذين ينقضون لما شاع في الكلام تشبيه العهد بالحبل ناسب في تركه
النقض الذي هو فك التركيب عهد الله الثابت قبل خروجهم من بطون
امهاتهم كما بينه سبحانه بقوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذريتهم الاية من بعد ميثاقه توكيد العهد باشهادهم على انفسهم واشهاد الملائكة
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل الظاهر انه عام مثل قطع الارحام وموالات
المؤمنين والتفرقة بين الايات في التصديق ويفسدون في الارض
بانواع المعاصي اولئك هم الخاسرون في تجاراتهم فلهم شقاوة ازلية
تظهر اثارها فيما لا يزال او المراد من عهد الله عدم كتمان ما نزل من عند الله
وتوكيد العهد تجديده بالرسل والانبياء والايات المذكرات كيف تكفرون
بالله معناه التعجب يعني اخبروني على اي وجه تكفرون وكنتم اي وقد كنتم
امواتا من حين جعل تراب ادم صلصالا من حما مسنون ومن حين
استقراركم نطفا في الارحام الى تمام الاطوار فاحياكم في بطون امهاتكم
ثم يميتكم في الدنيا ثم يحييكم عند نفخ الصور ثم اليه ترجعون يومئذ يصدر
الناس اشتاتا ليروا اعمالهم او احيوتهم في القبور فليست مستقرة كالحيوتين
هو الذي خلق لكم لاجل انتفاعكم الدنيوي والديني ما في الارض جميعا حال

وصف الجماد بالموت مجاز الا ان وصف التراب
في حالة الصلصالية والنطفة في الارحام قريب
فانه موجود مستعد للحيوة منه

من ما بمعنى العموم لا بمعنى الاجتماع في الزمان ثم استوى قصد الى السماء
فسويهن عدل خلقهن وقومهن وضمير الجمع لان السماء في معنى الجمع سبع
سموات بدل او مفعول ثان لتضمين معنى الجعل في سوى وهذه الاية
كالصريح في ان خلق السماء بعد دحو الارض وفي حم السجدة ايضا ما يدل
عليه وفي النازعات ما يدل على خلاف ذلك ونبين ان شاء الله
تفصيل ذلك في سورة والنازعات وهو بكل شيء عليم فان بالعلم
يصح الخلق وبه احكام الفعل واذ قال تعداد نعمة عامة ثالثة وهو معمول اذكر
او ظرف لقوله قالوا اتجعل كما تقول واذ قلت لي كذا قلت لك كذا قاله
ابن حيان في تفسيره المسمى بالبحر وقال هو اعراب واضح لم يوفق اليه الاكثرون
ومن قال انه مفعول به لاذكر فقد اخرجها من بابها وقد اجمعوا انها لا تتصرف
فيها بغير الظرفية اقول توجيه وجيه لكنه يتمشى في جميع موارد اذ الا ان
يقدر مثل حالهم او قصتهم نحو ولو ترى اذ وقفوا على النار اي حالهم فيكون
اذ ظرفا للحال ربك للملئكة جميعا او ملائكة الارضين اني جاعل في الارض
خليفة اي آدم خليفة الله ينفذ فيها احكامه او الخليفة البدل اي من الملك
والجن فانهم كانوا سكان الارض او المراد منها قوم يخلف بعضهم بعضا
نحو وهو الذي جعلكم خلائف الارض قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء كما فعله الجن قاسوا حال الانس على حال الجن وعن كثير من السلف
انه تعالى قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة له ذرية يفسدون و
يتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا وقيل استدلوا بجعل الخليفة على صدور
الافساد اذ الخليفة للتعديل والتقويم وقولهم هذا تعجب واستكشاف
لا اعتراض على الله ونحن نسبح نقدسك عن كل نقص بحمدك ملتبسين
ونقدس لك نطهر نفوسنا عن المعاصي لاجلك امتثالا لامرك
او نقدسك عما اضاف اليك الجهلة التسبيح والتقديس يعدى بنفسه
وباللام قال اني اعلم ما لا تعلمون من المصالح وعن بعض كان ابليس مندرجا
فيهم فورد منهم الجواب مجملا فلما انفصل ابليس باباء واستكبار انفصل
الجواب الى نوعين اعتراض عنه وطاعة وتقديس عن سائرهم فهذا شبيه
بقوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وعلم آدم الاسماء جعل

فؤاده عالما باسم مسميات الاشياء كلها حتى القصعة والقصيعة ثم عرضهم
اي المسميات والتذكير لتغليب العقلاء على الملئكة فقال انبؤني اخبروني
باسماء هؤلاء تبكيت وتنبيه لهم على قصورهم ان كنتم صادقين انكم احقاء بالخلافة
فانكم اذا كنتم لا تعلمون اسماء ما عرضت عليكم وانتم تشاهدونه فمن اين لكم علم
بانكم احقاء بالخلافة كذا قاله ابن عباس او انكم اعلم الخلق فان الملائكة قالوا
ذلك بينهم قالوا اقرارا بالعجز سبحانك استعذار عن الجراءة في الاستفسار
والجهل بحقيقة الحال ولا يبعد ان سبحانك مثل حاشاك في كلام الادباء
يصدر بمثله في كلام مشعر بتنقيص كما يقال حاشاك فلان ليس الا جاهلا بحاشاك
هذا بهتان عظيم لا علم لنا الا ما علمتنا قيل فيه نوع تعريض بانك علمته وما علمتنا
وكان تغيير وعلم آدم الاسماء بما مر وهو المستدعي الكبير دفع لذلك انك انت وكنت مثله لو علمتنا صح
العليم لا يخفى عليك شيء الحكيم العادل او من في افعاله حكم وفي الاية دليل
على شرف العلم وجلالة محله وانافته على سائر الكمالات وان لم يكن علما
متعلقا بذات الله وصفاته ما لا يخفى قال لما ظهر عجزهم يا آدم انبئهم اعلمهم
باسمائهم قال انت جبريل وانت ميكال حتى وصل الغراب فلما انباهم باسمائهم
وظهر فضل آدم قال الم اقل لكم استفهام توبيخ لان الادب توقفهم لان شانهم
اني اعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما عن الخلق واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون اي ما تظهرونه بالسنتكم نحو اتجعل فيها من يفسد فيها وما تخفونه
في انفسكم نحو لن يخلق الله خلقا اكرم عليه منا كذا فسره السلف وما اسر ابليس
في نفسه من الكبر واذ قلنا عطف على واذ قال قال ابن حيان هو ظرف لابى
او لمحذوف دل عليه فسجدوا اي اطاعوا فسجدوا والا انه لا يمكن ان يكون ظرفا
لقالوا اتجعل لاختلاف الزمانين وعندي ان هذا عنده من عطف الجملة على الجملة
لا انه عطف على واذ قال لانه وجب في عطف معمول على معمول ان يكون
عاملهما متحدا للملئكة اسجدوا لآدم اي السجود المعروف طاعة لله وتعظيما لآدم
وقد امروا بذلك او السجود لله وآدم قبلة كانه قال الى آدم فسجدوا لآدم الا
ابليس وهو من نوع من الملك يسمون بالجن هذا هو الذي صح عن ابن عباس
والا فلا يكون ابليس مأمورا بالسجود وصح عن الحسن انه ليس من الملك
ولكن مندرج فيهم وما في سورة الكهف من قوله كان من الجن ففسق دل

على ذلك ابى امتنع عن السجود واستكبر وكان فى علم الله او صار من
من الكافرين قيل كان كافرا من الجن فاسلم وعمل عمل الملك ثم كفر والاباء
ناشئ عن استكباره لكن لما ظهر الاباء عنه اولا قدمه وكفره لاعتراضه على
الله واستكباره فى طاعته ومواجهته بعدم قبول امره وقلنا بعد سجودهم له
عطف على اذ قلنا عطف جملة على جملة لا على قلنا لاختلاف الزمانين يا ادم
اسكن انت وزوجك الجنة التى هى على الكرسى وقيل بستان فى الارض
وكلا منها اكلا رغدا واسعا حيث شئتما من اكنة الجنة ولا تقربا هذه الشجرة
المعينة للاكل وليس فى السنة الصحيحة ما دل على تعيينها وعند كثير من السلف
انها الكرم وعند اليهود انها الحنطة فتكونا من الظالمين الذين وضعوا الاشياء
غير موضعها عطف على تقربا او جواب النهى فازلهما الشيطان عنها
اى عن الشجرة يعنى اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها او عن الجنة
اى ابعدهما عن الجنة فاخرجهما مما كانا فيه من العافية وقلنا اهبطوا انزلوا الى
الارض خطاب لهما ولاولادهما ولهما وللشيطان بعضكم لبعض عدو اى
متعادين والعداوة بين ذريتهما بدليل اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو
فاما يأتينكم منى هدى الاية جملة حالية من غير ضعف لان الضمير فى الجزء الاول
منها ولكم فى الارض مستقر موضع قرار وفى الارض معمول للعامل لكم
لا المستقر على الاصح ومتاع وتمتع الى حين اى الموت وقيل القيمة
فتلقى آدم من ربه كلمات يعنى جاءت من ربه كلمات اليه فتلقى الكلمات
اخذها وقبولها وقراءة نصب آدم ورفع كلمات معناها بلغته وفى الكلمات
خلاف وعند كثير من السلف هى ربنا ظلمنا انفسنا الاية فتاب عليه رجع بالرحمة
اليه انه هو التواب يقبل التوبة ويكثر الاعانة عليها الرحيم المبالغ فى الرحمة
قلنا اهبطوا منها جميعا كرره تاكيدا او ليترتب عليه قوله فاما يأتينكم يا بنى آدم
منى هدى انبياء والبيان فمن تبع هداى اقبل على الهدى وقبل فلا خوف
عليهم حين اشتد الخوف يوم القيمة لا يحزنهم الفزع الاكبر ولا هم يحزنون
على ما فات منهم من الدنيا ومن شرطية او موصولة وهو مع جوابه جواب
لقوله فاما يأتينكم والذين كفروا وكذبوا باياتنا قسيم لمن تبع اى كفروا بها
جنانا وكذبوا لسانا وعلى هذا باياتنا صلة لكفروا وكذبوا او معناه كفروا

بالله وكذبوا بالايات فصلة كفروا محذوف اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون ملازموها من غير انفكاك عنها لما بين ان لا خوف ولا حزن
على تابع الهدى وغضب الله الدائم على الكافر المكذب باياته نادى اهل الكتاب
الباقين المعاندين وعدّ عليهم نعمه ووعدهم بالاتباع واوعدهم بالمخالفة
وهم اولى الخلق باتباع الهدى فقال يا بنى اسرائيل اى اولاد يعقوب
هيجهم باسم ابيهم العلم بالصلاح اذكروا احفظوا ولا تنسوا او اشكروا نعمتى
التى انعمت عليكم كفلق البحر وانجائهم من فرعون وجعل الانبياء فيهم ولا شك
ان نعمة الاباء نعمة الابناء فهذا الخطاب يفيد ليهود زمان نزول القران
واوفوا بعهدى فى امتثال امرى وقد اخذ فى التورية عهدا انهم يتبعون نبيا
سيبعث فى بنى اسمعيل ومن اتبعه منكم غفر له ذنبه وله اجران اوف بعهدكم
بالرضا والعفو والثواب واياى فارهبون خصوصا فى نقض العهد فلا انزل
عليكم ما انزل على ابائكم من البلاء والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد
والاضافة فى بعهدى وبعهدكم الى المفعول وفى قوله واياى فارهبون
وجوه من التاكيد ذكر الضميرين وتقديم المفعول لافادة التخصيص وجعله
من باب شريطة التفسير واتيان الفاء فى الفعل اى ان كنتم راهبين
فاياى ارهبونى وامنوا بما انزلت على محمد مصدقا لما معكم من التورية
والانجيل فان فيهما ذكر محمد ولا تكونوا اول كافر به من اهل الكتاب واول
افعل التفضيل وهو اذا اضيف الى نكرة يجب المطابقة بين الموصوف
والمضاف اليه فلا بد ان يقال هو افضل رجل وهما افضل رجلين وهم
افضل رجال وههنا الموصوف جمع والمضاف اليه مفرد فوجب التاويل
اما فى المضاف اليه بحيث يصير جمعا فى المعنى كاول فوج ورهط او فى
الموصوف بحيث يكون مفردا اى لا يكن كل واحد منكم اول كافر به
ولا تشتروا ولا تستبدلوا باياتى بالايمان بها ثمنا قليلا الدنيا بحذافيرها
او ما يصيب منهم الى علمائهم فانهم خشوا للعلماء شيئا او رياستهم
اذ تفوت رياستهم ان اسلموا فالخطاب لعلمائهم وعظمائهم فى ضمن
خطاب المجموع واياى فاتقون فيه من المبالغات ما فى واياى فارهبون
ولا تلبسوا الحق بالباطل فلا تكتبوا فى التورية ما ليس فيها فيختلط الحق

المنزل بالباطل المخترع فلا يميز بينهما وعلماؤهم يزيدون في التورية ما يشتهون
وتكتموا الحق عطف على المنهي وجاز ان يكون الواو للجمع اي لا تجمعوا بين
اللبس والكتمان فانه اقبح وعلى هذا فمنصوب باضمار ان وانتم تعلمون
انكم تلبسون وتكتمون والقبيح في حال العلم اقبح فربما عذر راكب القبيح في
حال الجهل واقيموا الصلوة اي صلوة المسلمين وآتوا الزكوة اي زكوتهم
واركعوا مع الراكعين اي مع المسلمين فصلوة اليهود لا ركوع فيها او صلوا
بالجماعة غير منفردين كما تصلون ولا يدل على وجوب الجماعة لانه للمنع عما كانوا
عليه اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم بان تتركوها البر كمن نسي
نصح احد وهم يامرون الناس باتباع احكام التورية وهم لا يتبعونها وانتم تتلون
الكتاب اي وانتم احق بالمتابعة او انتم تقرؤن فيه الوعيد على العناد
ومخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم او لستم عقلاء واستعينوا
فيما يشق عليكم بالصبر واصبر لحكم ربك فانك باعيننا والصلوة كان
صلى الله عليه وسلم اذا حزنه امر فزع والتجأ الى الصلوة واذا ضاق
صدره الانور يقول ارحني يا بلال اي بالنداء الى الصلوة والصلوة شكر
بانواعه من اللسان والجنان والاركان وبالشكر يستجلب المزيد فاصبروا
واشكروا لتكونوا في مزيد او المراد بالصبر الصوم ويقال لرمضان شهر
الصبر امرهم بعد ما امرهم بالايمان بالزكوة والصوم والصلوة ويمكن ان
الحج ما وجب حينئذ وانها اي الصلوة او الاستعانة بهما لكبيرة ثقيلة قيل تقديره
انه لكبير وانها لكبيرة فحذف اختصارا اشارة الى ان كل واحد لكبير الا على
الخاشعين فقد طاحت عنهم كلف التكاليف الشرعية لما علموا يقينا انها من
مرضاة ربهم الذين يظنون الظن قد يستعمل بمعنى اليقين وبمعنى التوقع
وهنا جاز الوجهان انهم ملاقوا ربهم بحضورهم بين يديه وانهم اليه راجعون
فيجزيهم بالعدل والفضل فلا يثقل عليهم ما ثقل على غيرهم وظن حسن
العاقبة يزيل الثقل او يهون والظاهر ان الاية في بني اسرائيل والمؤمنون
يقبلون نصح غيرهم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره تاكيدا
لان لا ينسوا واني فضلتكم بالكتاب وجعل الانبياء فيكم والملك على العالمين
الذين انعم عليهم ما انعم على من قبلهم وشرف الآباء يسري بالابناء واتقوا

فاللام للعهد الى المعلوم المعين وللجنس فيكون فيه
الاشارة على ان لا صلوة الا صلوتهم منه

يوما احذروا من فضايح يوم وعقابه لا تجزي لا تقضي نفس عن نفس شيئا
فيه من الحقوق وعلى هذا شيئا مفعول به او من الجزاء فنصبه على المصدر
وجملة لا تجزي بحذف العائد كما قدرنا صفة يوما ولا يقبل منها اي من النفس العاصية
شفاعة بنفسها او بشافع ولا يؤخذ منها عدل اي فداء او بدل ولا هم
ينصرون من عذابه وضمير منها عدل ولا هم الى النفس العاصية في غاية
الظهور ورجعهما الى النفس الاولى تكلف وضمير هم الى النفس تاويل
الاشخاص ثم ان نفي قبول الشفاعة عام قد خص بالاتفاق في زيادة الدرجات
وعند اهل الحق قد خص في الذنوب التي بينه وبين الله للاحاديث الصحيحة
وقيل مواقف القيمة كثيرة وفي زمانها سعة فانها خمسون الف سنة وكل
الف سنة يوم وليس في الاية ما يدل على نفي الشفاعة في عموم اياما وايضا
الخطاب مع الكفار والاية فيهم واليهود قالوا اباؤنا الانبياء شفعاؤنا وايضا
قال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فيمكن ان نفي الشفاعة قبل الاذن
ففي الحديث ان شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد الاذن كما ورد ارفع
راسك واشفع تشفع واذ نجيناكم عطف على نعمتي تفصيل لها عند
من يجوز اخراج اذ عن الظرفية كما ذكره العلامة انه مذهب بعض ومن
لم يجوز فعنده عطف جملة على جملة والتقدير واذكر الحادث او الواقعة
فاذ ظرف الحادث من ال فرعون اتباعه يسومونكم يبغونكم والجملة حالية
سوء العذاب اشده مفعول ثان يذبحون يقتلون والجملة مبينة للجملة
ابناءكم ويستحيون يتركون احياء للخدمة نساءكم اسراء في ايديهم وفي ذلكم
اي صنيعهم بلاء اي محنة من ربكم عظيم او ذلكم اشارة الى مصدر انجيناه
فالبلاء بمعنى النعمة وهو قول كثير من السلف واذ فرقنا فصلنا بكم البحر بين
بعضه وبعض كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما فالباء للاستعانة
ويمكن ان يكون الباء للسببية الباعثة بمنزلة اللام او للمصاحبة وحينئذ
ظرف مستقر في موضع الحال فانجيناكم واغرقنا آل فرعون ذكر الال لانه
ذكر ان آله يسومونهم وانتم تنظرون غرق اعدائكم واذ واعدنا اي وعدنا
او الله وعد الوحي وموسى المجيء الى الطور موسى اربعين ليلة يعني انظر
الى نعمتي عليهم ثم الى كفرانهم ثم الى عفوي عنهم وما استاصلناهم ولما

يقال فلان شفع نفسه لنفسه مثل ان
يقول لك اعرتك خصصني منه

ولما كانت غرر الشهور بالليالي لم يقل يوما وهذا اسلوب العرب وقوله
اربعين في موضع المفعول به باعتبار ما يتعلق بها من الاحوال التعليق
الوعد به ثم اتخذتم العجل الها من بعده بعد مضي موسى فعلى هذا اتخذ متعد
الى مفعولين ويمكن ان يكون متعديا الى واحد اي صنعتم العجل ومن
اختصارات القران حذف جملة وعبدتموه نحو واتخذ قوم موسى
من بعده من حليهم عجلا الاية وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك
الذنب العظيم لعلكم تشكرون عفوي وقد تقدم معنى مثل لعلكم تشكرون
بما لا مزيد عليه فلا تنسوا واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان اي الجامع
بين كونه كتابا من عند الله وفرقانا يفرق بين الحق والباطل ويجوز ان
يحمل على التغاير بحسب الذات اي الفارق بين الصادق والكاذب
كالعصا واليد وقيل الفرقان انفراق البحر لعلكم تهتدون كي تهتدوا واذ قال
موسى لقومه العابدين للعجل يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل معبودا
فتوبوا الى بارئكم خالقكم من غير سبق مثال فاقتلوا انفسكم يعني اعزموا
على التوبة فاقتلوا فالقتل كل منكم من لقي عين توبة او معناه توبوا فاتبعوا
التوبة القتل فالقتل من تتمتها او ليقتل البريء المجرم وعلى الوجهين القتل
توبة القاتل والمقتول جعل غير الرجل نفسه اذا كان بينهما اتصال ديني
او نسبي او بلدي وفي الحديث المؤمنون في توادهم وتراحمهم وتواصلهم
كجسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر
ذلكم القتل خير لكم عند بارئكم فانه وصلة الى الحيوة الابدية وخير ان كان
افعل التفضيل فمعناه خير من العصيان نحو العسل احلى من الخل فتاب
عليكم اي فعلتم ما امركم موسى فقبل الله توبتكم انه هو التواب يكثر قبول
التوبة الرحيم المبالغ في الرحمة قالوا القتلى سبعون الفا وعلى ما قررنا
فتاب من كلام الله على سبيل الالتفات من الغيبة حيث عبر عنهم
بطريق الغيبة بلفظ قومه الى الخطاب واما ان تقديره ان فعلتم فقد تاب
بحذف فعل الشرط واداته فغير جائز لم يثبت من لسان العرب كذا في
البحر واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لن نقر لك بالايمان والصدق ح
حتى نرى الله جهرة عيانا وانتصابها على المصدر فانها نوع من الرؤية

فاخذتكم الصاعقة صيحة من السماء وانتم تنظرون ما اصابكم من اسباب
القهر ثم بعثناكم من بعد موتكم احييناكم بعد موتكم بالصاعقة لعلكم تشكرون
نعمة البعث اختار موسى سبعين من علمائهم لميقات اخذ التورية للاعتذار
من عبادة العجل فان عبادة العجل بعده كما في سورة طه وما رايت تغيرا
الا وقد وقع في هذا التناقض الان يقال اختيار السبعين مرتان وما رايت
احدا قاله ذلك فلما سمعوا كلام الله طلبوا الرؤية فلما هلكوا بكى موسى وتضرع
قائلا ماذا اقول لهم اذا اهلكت خيارهم فاحياهم الله وظللنا عليكم الغمام السحاب
يظلكم من الشمس في التيه وسحابهم نوع آخر الطف وانور وانزلنا عليكم المن
الترنجبين او عسل الذين عسلنا او خبز الرقاق والسلوى طير هو السماني
او يشبهه كلوا اي قلنا لهم كلوا من طيبات من حلالات او مستلذات ما رزقناكم
وما ظلمونا اي فظلموا بكفرهم هذه النعم العظام وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
بالكفران قيل ينزل بالليل عمود من نار يضيئهم وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى واذ قلنا
ادخلوا امروا به بعد التيه هذه القرية اريحا بفتح الهمزة وكسر الياء قرية في قرب بيت المقدس
او بيت المقدس قيل هم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى بل كانوا
مع يوشع بن نون عليه السلام وفتح الله عليهم عشية جمعة بعدما حبست الشمس
يومئذ حتى تمكنوا من الفتح في هذا اليوم ولما فتحوها امروا بالدخول سجدا شكرا
لخلاصهم من التيه ورد بلدهم اليهم فان بيت المقدس ميراثهم عن ابيهم اسرائيل
فكلوا منها حيث شئتم رغدا الكلا واسعا وادخلوا الباب باب القرية سجدا
منحنين كالركع او ساجدين لله تواضعا وشكرا وقولوا حطة يعني مسئلتنا
حطة اي حط عنا خطايانا امروا بالاستغفار يعني هذه مغفرة استغفروا بها
وقد صح هذا عن ابن عباس وقيل اقروا بالذنب وعن عكرمة قولوا لا اله
الا الله نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وهو جواب الامر وسنزيد المحسنين
يعني من كان مسيئا فالكلمة توبة له ومن كان محسنا فهي سبب في زيادة
ثوابه فبدل الذين ظلموا على انفسهم وهم البعض قولا غير الذي قيل لهم فقالوا
حنطة او حبة في شعرة يعني استهزاء او دخلوا يزحفون على استاههم كالصبيان
رافعي رؤسهم عنادا او مخالفة لما امروا فانزلنا على الذين ظلموا اي عليهم لظلمهم
لا على المجموع رجزا عذابا من السماء بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن طاعة الله

كما في سورة الاعراف فبدل الذين ظلموا منهم قولا
منه

قيل عذابهم برد وقيل طاعون ماتوا به في ساعة عشرين او سبعين الفا
واذ استسقى موسى لقومه ذكرهم نعمة اجابة دعوة نبيهم في شانهم حين عطشوا
في التيه مع انهم مذنبون والسقي والتظليل في التيه ودخول القرية بعده ولم يراع
الترتيب في ذكرها قصدا الى بيان تكثير النعم فقلنا اضرب بعصاك الحجر حجر
خفيف مربع كانوا يحملونه معهم او لم يكن حجرا معينا بل يضرب اي حجر كان
فينشق فانفجرت تقديره فضرب فانشقت منه اثنتا عشرة عينا قد علم اناس
كل سبط مشربهم عينهم الذي يشربون خاصة بهم وضمير الجمع لمعنى كل اناس
كلوا واشربوا اي قلنا لهم ذلك من رزق الله الرزق بمعنى المرزوق وهو المن
والسلوى والماء وفيه التفات من التكلم الى الغيبة ولا تعثوا في الارض مفسدين
النهي للمبالغة يعني انتم مفسدون لكن لا تزيدوا فيه من عثا افسد ومفسدين
حال واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يأكلون المن بالسلوى فهو
واحد والوحدة باعتبار انه غير متغير في الايام رزقهم الله طعاما طيبا نافعا فطلبوا
الاطعمة الدنية الضارة بدلها فادع لنا ربك سله لنا بدعائك يخرج لنا
يظهر مجزوم بجواب الامر مما تنبت الارض من بقلها من الخضراوات ما لا ساق
لها ومن بيان لما الموصولة اي تنبته وقثائها وفومها هو الحنطة او الثوم والعرب
تقلب الفاء ثاء والثاء فاء كاثافي واثاثي وعاثور وعافور ومعاثير ومعافير
او اسم لكل حب يؤكل وعدسها وبصلها قال موسى اتستبدلون الذي
هو ادنى في الطعم والنفع بالذي هو خير مخلوق لكم من غير سعي اهبطوا مصرا
من الامصار فهذه الاشياء كثيرة فيها لا حاجة الى الدعاء او مصر فرعون
وجاز صرفه لسكون وسطه وفي قراءة ابن مسعود غير منون فان لكم فيها
ما سألتم وقوله اهبطوا ان كان الامر موسى فبيان رخصة من الله لهم في نزولهم
الى بلدة وخلاصهم من التيه وان كان الامر هو الله تعالى فتقديره قلنا اهبطوا
جملة مستانفة يعني دعا موسى فاجبناه وضربت عليهم كضرب القبة المحيطة
بهم الذلة الهوان والمسكنة لم يزل عليهم اثر البؤس وان كانوا ذوي مال
ليس لهم حشمة او الضرب بمعنى الالزام والالصاق كضرب الطين على الجدار
وباؤوا بغضب من الله اي احتملوه من باء بحقي وبذنبه اي اقره واحتمله
وصاروا احقاء به قال الاخفش استحقوا العذاب بسبب غضب الله

ذلك من ضرب الذلة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله
الكتب السابقة وتغيير ايات التورية ويقتلون النبيين كشعياء وزكريا ويحيى
بغير الحق اي بغير الحق الذي عند هم وتدينوا به ذلك الكفر والقتل بما عصوا وكانوا
يعتدون يعني جرهم العصيان والتمادي في تجاوز امر الله الى الكفر وقتل الانبياء
فان صغار الذنوب يؤدي الى كبارها او مرجع ذلك مرجع ذلك الاول
فدل على ان ضرب الهوان والبوء بالغضب بسببين سبب الكفر والقتل
وسبب المعاصي واعتداء حدود الله وعند ابن عباس وكثير من السلف
ان ضمير عليهم في ضربت عليهم الذلة لمطلق اليهود ولذلك فسروا الذلة بضرب
الجزية وفسروا ايات الله بانكار الانجيل والقرآن وآية الرجم والتي فيهما نعت
محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين آمنوا بالسنتهم كالمنافقين او من آمن
من الامم الماضية او من آمن من اهل ديننا والذين هادوا والنصارى والصابئين
قوم بين اليهود والنصارى ليس لهم دين او فرقة من اهل الكتاب اي عباد الملك
او قوم يوحدون الله من غير اتباع النبي من آمن بالله قلبا ولسانا واليوم
الاخر وعمل صالحا العاملون ثلثة من عمل صالحا ومن عمل سيئا ومن عمل
صالحا وآخر سيئا فلهم اجرهم عند ربهم بموجب وعده ولا خوف عليهم عند
الفزع الاكبر ولا هم يحزنون على تفويت الثواب ومن مبتدأ او فلهم اجرهم خبره
والجملة خبر ان وافراد الضمير في امن وجمعه في لهم نظرا الى اللفظ والمعنى او من
بدل بعض من اسم ان وخبر ان فلهم اجرهم والفاء لتضمن من معنى الشرط سواء
جعل خبرا او بدلا وكون من مبتدأ خبره فلهم باعتبار ان من موصولة او الشرطية
خبرها الشرط مع الجزاء او الجزاء وحده وذكر هذه الاية بعد ذكر ضرب الذلة والبوء
عليهم لبيان امتنان النعمة عليهم فانها في اثناء تعديد النعم كانه قال انظروا الى
ما ارتكبوا من كبائر الذنوب التي استوجب عليهم العقوبات المؤبدات
ومع هذا ان آمنوا وندموا ورجعوا وتابوا فلهم في الدنيا والاخرة ما للمؤمنين
الذين لم يعملوا السوء قط وما ذلك الا للعنايات واذ اخذنا ميثاقكم باتباع
احكام التورية ورفعنا فوقكم الطور لما نزل التورية وابوا قبولها للتكاليف
التي فيها امر جبريل بقلع جبل الطور من الاس وظلله فوقهم حتى قبلوا قبول
اختيار غير اكراه او كان يكفي في دينهم مثل هذا الايمان خذوا اي قلنا لهم خذوا

كما صرح به النحاة وبينه العلامة
التفتازاني في شرحه للكشاف
منه

ما آتيناكم من الكتاب فاعملوا به بقوة بجد واذكروا ما فيه لا تنسوه او تفكروا فيه
لعلكم تتقون راجين ان تتقوا عن المعصية ثم توليتم اعرضتم عن الوفاء من بعد
ذلك اخذ الميثاق فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين المغبونين

اشار الى ان لعل متعلق بخذوا واذكروا فالترجي على حقيقته من العباد وان جعلت متعلقا بقلنا فمعناه كي تتقوا كما مر منه

الهالكين من غير تراخ ومهلة ولقد علمتم حال الذين اعتدوا منكم في السبت
ذكر ان الله امر موسى بصوم الجمعة كما امر سائر الانبياء به فذكر ذلك لقومه
وامرهم بالتشرع به فتعدوا الى يوم السبت فاوحى اليه ان دعهم وما اختاروا
فامرهم بترك العمل للعبادة فيه وحرم عليهم صيد البحر فيه فكانت تاتي الحيتان
يوم السبت لا غير وتخرج خراطيمها من الماء فائتمروا بامر الله زمانا ثم احتال احد
منهم بحيلة تبقي الحيتان في سيف البحر يوم السبت ويأتي يوم الاحد ويأخذه
فتعلم القوم منه فهذا اعتداؤهم فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي تكونوا
بذلك او معناه كونوا بتكويننا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد
فالقول مجاز والمسخ صوري فجعلناها المسخة نكالا عبرة لما بين يديها المعاصرين لهم
وما خلفها ما بعدهم اقام ما سيقع من تحقير لشانهم في مقام الكبرياء او للقرى
التي بحضرتهم وما تباعد عنهم او لمن بقي على الانسانية في قريتهم وما حولها او
لاجل ما تقدم من ذنوبهم الماضية البعيدة ولما تاخر اي الحالية القريبة
او لذنوبهم التي عملوها وما في نياتهم عازمين عليها ولم يعملوا وعلى لام التعليل
نكالا بمعنى عقوبة وموعظة للمتقين عن غضب الله وانتقامه وقوله ولقد علمتم

اي على تقدير ان يكون اللام في لما بين لام التعليل نكالا بمعنى عقوبة لا غير كما مر منه

الذين اعتدوا الى آخره مذكر لهم حال جمع مذنبين غضب الله عليهم لتحقق لهم
الانعام والعناية لانهم استحقوا ايضا واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة وذلك انه وجد قتيل منهم وكانوا يطالبون بدمه فامرهم
الله بذبح بقرة وان يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيى ويخبر بقاتله قالوا اتتخذنا
هزوا اي مهزوا بنا او المصدر للمبالغة فان الفعل متعد الى مفعولين والمصدر
وقع خبرا عن الجماعة فلا بد من تاويل قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
فان الهزء في مثل ذلك جهل بل كفر وفيه تعريض يعني ان اكون مثلكم قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما هي سؤال عن صفتها سالوا عن صفة تلك البقرة
العجيبة التي لم يعهد مثلها وقد ورد والذي نفس محمد بيده لو ذبحوا اي بقرة لاجزأت
لكن شددوا فشدد الله عليهم وجزم يبين لجواب الامر قال انه يقول الله انها

بقرة لا فارض لا هرمة كبيرة ولا بكر صغيرة لم يلحقها الفحل عوان متوسط بين ذلك
اي الفارض والبكر فافعلوا ما تؤمرون الظاهر انه من كلام موسى وما موصولة
اي تؤمرونه واما مصدرية ما بمعنى اسم المفعول فشاذ نادر نعم قد كثر في صيغة المصدر
بمعنى المفعول قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة
صفراء فاقع لونها الفقوع خالص الصفرة اشد ما يكون منها او صافية اللون
تكاد تبيض وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء فضل تاكيد لان لونها
الواقع صفرة ولو اريد من لونها مطلق اللون لكان من قبيل جد جده ولونها
فاعل لا مبتدأ والا فالاولى ان يقال فاقعة تسر الناظرين تعجبهم قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي اي حقيقتها الشخصية وانها سائمة ام عاملة ان البقر تشابه علينا
لكثرة البقرة الموصوفة بالوصف المذكور وانا ان شاء الله لمهتدون اليها قال انه
يقول انها بقرة لا ذلول مذللة للعمل صفة بقرة ولا اسم بمعنى غير كما صرح به بعضهم
او حرف كما يجعل الا بمعنى غير تثير الارض تقلبها للزراعة صفة ذلول ولا تسقي
الحرث لا تكون من نواضح ولزم تكرار لا فانه وصف منفي بلا ولا يجوز بغير تكرار
الا في ضرورة الشعر نحو لا بارد ولا كريم مسلمة عن العمل او عن العيب لا شية فيها لونها
واحد من وشي ثوبه زينه بخطوط مختلفة الالوان قالوا الان جئت بالحق بحقيقة
وصفها فذبحوها اي حصلوها فذبحوها وما كادوا يفعلون يعني انعم الله عليهم بان
وفقهم على الذبح بعد ما انتفى مقاربته لكثرة مراجعتهم او لخوف الفضيحة في ظهور
القاتل وقيل لغلاء ثمنها واذ قتلتم نفسا هذا اول القصة وانما قدم بعضها لاستقلال
ببعض آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال
وترك مسارعة الامتثال ثم انعام الله عليهم مع هذا بتوفيقهم على ما امروا قال
ابو حيان صاحب البحر الظاهر ان ترتيب وجودهما ونزولهما على حسب تلاوتهما
فان الله امرهم اولا بذبح البقرة وهم لا يعلمون سره ثم وقع القتيل بعده فاظهر ما خفي
عنهم بقوله فاضربوه ببعضها ولا شيء يضطرنا الى اعتقاد تقدم وتاخر والقصص
التي في بعض التواريخ لا اعتداد بها فادارأتم اختلفتم فيها في النفس اي في قاتلها
والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر ما تخفونه واعمال مخرج مع انه للمضي بانه حكاية ما كان
مستقبلا في وقت التدارؤ فقلنا اضربوه اي القتيل او لان النفس في نفس الامر
رجل عطف على فادارأتم وجملة والله مخرج معترضة ببعضها اي البقرة جاء

بالضمير للاشعار بانها قصة واحدة وفيه خلاف في انه بعض معين وان كان
معينا فاي عضو منها قيل ذنبها فضربوه ببعض فقام وعين قاتله ومات من
غير مهلة كذلك يحيي الله الموتى دال على محذوف هو ضربوه فحيي ويريكم اياته
دلائل قدرته لعلكم تعقلون ان القادر على احياء نفس في وقت قادر على
احياء الانفس اي وقت كانت والظاهر ان كذلك الى اخره من كلام
الله لمن حضر احياء القتيل وقيل خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قست
قلوبكم غلظت فلم تعتبر بالايات من بعد ذلك جميع ما تقدم من الايات وعند
من يقول الخطاب في ويريكم للمسلمين فخطاب قست قلوبكم لهم والمراد من بعد ذكر الايات
وربما يستدل بقوله افتطمعون وجاز ان يكون خطاب قست قلوبكم لاهل الكتاب
والجملة معترضة وفيه تفكيك الضمير فهي كالحجارة في صلابتها او اشد قسوة
منها كالحديد واو للتخيير اي من عرف حالها صدر عنه التشبيه بالحجارة او القول
بانها اشد فاشد عطف على كالحجارة من غير حذف والكاف اسمية وضمير اشد
للقلوب اي قلوبهم اشد قسوة من الحجارة او على حذف مضاف هو مثل
اي مثل شيء اشد وعلى هذا ضمير اشد لموصوف محذوف يعني من عرف
حالها شبهها باحد شيئين او او بمعنى بل او قلب بعضهم كالحجارة وقلب
بعضهم اشد فلا يخرج عن احد المثلين وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان
تعليل لاشديته وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان كان قليلا وليس بانهار
وان منها لما يهبط من راس الجبل من خشية الله ومن خشية الله متعلق بالافعال
الثلاثة لا بالهبوط وحده وليس من شان المؤمن ان ينكر قدرة الله في
خلق مثل الخشية والتسبيح في الجمادات فلا نحتاج الى تاويل وعدول عن الظاهر
قال بعض السلف الاول كثرة البكاء والثاني قلته والثالث بكاء القلب وانزعاج
البدن وما الله بغافل عما تعملون وعيد على قاسي القلب ولا يكون الا بالتاويل
افتطمعون ايها المؤمنون ان يؤمنوا لكم ان تحدث اليهود الايمان لاجل دعوتكم
واللام ليس بصلة للفعل مثل وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا لان مثله لا يوجد في الافعال
وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم وهم سبعون الذين اختارهم موسى
من بين الامة يسمعون كلام الله ثم يحرفونه بعد ما رجعوا قيل المراد علماؤهم الذين
قرؤا التورية لانهم سمعوا من الله يحرفون التورية من بعد ما عقلوه اي بعد تعقلهم

كلام الله وهم يعلمون انهم مفترون او ما في التحريف من العقاب واذا كان هذا
حال علمائهم المختارين فما طمعكم بجهالهم قال القفال كيف يؤمن هؤلاء وهم انما
ياخذون ويتعلمون دينهم من قوم يحرفون عنادا ويعلمونهم ما حرفوه وغيروه عن
وجهه والمقلدون يقبلون ذلك منهم ولا يلتفتون الى الحق واذا لقوا اي منافقوهم
قيل هي جملة حالية عطف على قد كان فريق اي كيف تطمعون ايمانهم وقد وقع
من اسلافهم كيت وكيت وهم في انفسهم منافقون الذين امنوا قالوا امنا بانكم على
الحق ورسولكم مبشر في التورية واذا خلا بعضهم الى بعض اي مائلا الى بعض وقيل
الى بمعنى مع قالوا يعني عاتب من لم ينافق من اليهود على المنافقين بقوله اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم في التورية من صفة نبيهم ليحاجوكم به عند ربكم لتكون للمؤمنين حجة
عليكم عند الله فيقولوا اكفرتم بما اقررتم عندنا افلا تعقلون اي ليس لكم عقل وهذا من
تتمة كلامهم او من كلام الله مع المؤمنين اي لا تعقلون ان لا مطمع في ايمانهم
نقل مجاهد انه عليه الصلوة والسلام قال ليهود قريظة يا اخوان القردة والخنازير فقالوا
من اخبر محمدا بهذا ما خرج هذا الا منا اتحدثونهم بما انزل الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة
لانفسهم عليكم عند الله والاول هو قول اكثر السلف ويمكن ان يكون اعتقادهم
انهم مؤاخذون بما اقروا لا بما اعتقدوا واسروا او يكون تخويف لجهلتهم من رؤسائهم
ليردعوا عن اظهار ما في التورية مع المؤمنين لانه من صميم قلبهم اولا يعلمون ان الله
يعلم ما يسرون وما يعلنون فالحجة عليهم قائمة اقروا به عند احد او لم يقروا وهذا
مناسب للتوجيه الاول او ما يسرون من الكفر وما يظهرون من الايمان ومنهم من
اليهود بيان حال فرقة اخرى منهم اميون من لا يكتب ولا يقرأ عطف على وقد كان
فريق يعني بعضهم عالمون معاندون وبعضهم جاهلون مقلدون لا يعلمون
الكتاب الا اماني لكن يعلمون الاكاذيب التي سمعوها او غير عارفين من الكتاب
الا انهم يقرؤن من حفظهم قراءة من غير فهم وهذا كقول الشاعر تمنى كتاب الله
اول ليله تمنى داود الزبور على رسل او يتمنون على الله مثل لن تمسنا النار
الا اياما معدودات ولن يدخل الجنة الا من كان هودا قال تعالى تلك امانيهم
وعلى هذا الاستثناء كالوجه الاول منقطع وان هم الا يظنون لا علم لهم
يعتقدون اشياء من غير برهان فويل اي هلاك وخيبة وروى الترمذي
ان الويل واد من جهنم للذين يكتبون الكتاب بايديهم فان احبارهم زادوا

في وصف عثمان رضي الله عنه
[illegible]

ونقصوا فى كتاب الله ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ليستبدلوا
به رياستهم فى ايام قلائل وما يصل اليهم من جهالهم فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم
مما يكسبون اى من كتبة ايديهم وكسبهم او من الكذب والمعاصى فعلى هذا ما موصولة
وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة بين انهم من اهل الظنون والايام القليلة سبعة
بكل الف سنة من الدنيا يوما فعندهم ان الدنيا سبعة الاف او اربعون يوما مدة
عبادتهم العجل قل يا محمد اتخذتم همزة الاستفهام دخلت على الف الوصل عند الله
عهدا بذلك فلن يخلف الله عهده اى ان اتخذتم ميثاقا فهو لا يخلف الميثاق ام تقولون
على الله تخترعون وتكذبون ما لا تعلمون قيل ام منقطعة لا معادلة لهمزة الاستفهام
بلى اثبات لما نفوه من خلود النار من كسب سيئة كبيرة او شركا واحاطت به
خطيئته فلا يبقى لحسنته له سبيل فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين
امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اتبع حال الـ
المؤمنين بحال هؤلاء كما هو عادة كلامه تعالى واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل ذكرهم
بما امرهم فى كتابهم لا تعبدون نفى بمعنى النهى مقدر بالقول اى قائلين للالصاق
والارتباط باذ اخذنا ويؤيده عطف قولوا عليه او تقديره ان لا تعبدوا فيكون بدلا
من الميثاق او تقديره بان لا تخوا الا ايتهد اللامى احضر الوعى الا الله فيه التفات وبالوالدين
احسانا اى اعملوا بهما احسانا نحو اعملوا ال داود شكرا وقد صرح سيبويه ان حذف
عامل المصدر المؤكد غير جائز ولهذا ما قدرنا احسنوا وذى القربى عطف على الوالدين
واليتامى والمساكين من لا يجد ما ينفق على نفسه واهله وقولوا للناس حسنا قولا حسنا
وللمبالغة سماه حسنا والحسن من القول امر بالمعروف ونهى عن المنكر وما فيه الحلم والعفو
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة بنوع فرض عليكم فى التورية ثم توليتم اعرضتم عن الميثاق
وفيه التفات لقوله بنى اسرائيل سواء كان خطابا مع الموجودين ومن قبلهم على التغليب او لا
الا قليلا منكم وهم من ثبت على دينهم قبل النسخ وانتم معرضون عما هو خير لكم واذ اخذنا
ميثاقكم فى التورية لا تسفكون دماءكم بان لا يقتل بعضكم بعضا وقيل لا تقتلوا انفسكم
لشدة تصيبكم او لا ترتكبوا ما يوجب القتل ولا تخرجون انفسكم من دياركم اجلاء بعضكم
بعضا وقيل لا تسيئوا جوار من جاوركم فيضطر الى الخروج من دياركم او لا تفسدوا
فتكونوا سببا لاخراجكم انفسكم ثم اقررتم اعترفتم بلزوم الميثاق وانتم تشهدون على
انفسكم بذلك كما تقول هو مقر بذلك شاهد على نفسه ثم انتم الخطاب للحاضرين هؤلاء

اى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون وقيل يا هؤلاء تقتلون بيان الجملة انتم هؤلاء
او حال وبتقدير يا خبر انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم
تتعاونون والجملة حالية بالاثم والعدوان بالمعصية والظلم والتفاعل للمبالغة لمجرد
الفعل وان ياتوكم اسارى طالبين الفداء تفادوهم انقذتم وفديتموهم كانت قريظة
من اليهود حلفاء الاوس من المشركين والنضير من اليهود حلفاء الخزرج من المشركين
فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه فى القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر
احد من الفريقين اجمع له مجموع الفريقين وفدوه وهو ضمير الشان او مبهم يفسره
محرم عليكم اخراجهم وجاز ان هو راجع الى مصدر تخرجون واخراجهم فاعل محرم
ولا حاجة الى الضمير لاتحاد هو واخراجهم وهذا متصل بقوله وتخرجون فريقا وما بينهما
اعتراض افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض اخذ عليهم عهدا بترك
القتال والاخراج والمظاهرة وبفداء اسرائهم فاعرضوا الا عن الفداء فما جزاء
من يفعل ذلك منكم الا خزى هوان وعذاب فى الحيوة الدنيا خزى قريظة القتل
والسبى وبنى النضير الجلاء وضرب الجزية على غيرهم ويوم القيمة يردون الى اشد
العذاب فلهم عذاب الدارين وعذاب الاخرة اشد انواعه وما الله بغافل
عما تعملون فكل عمل عنده محفوظ تاكيد للوعيد اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة اقبلوا الى الدنيا واعرضوا عن الاخرة فلا يخفف لا ينقص عنهم العذاب ولا هم
ينصرون لا يمنعون من عذاب الله وتقديم هم للتقوى لا للحصر ولقد اتينا موسى
الكتاب وقفينا من بعده بالرسل ارسلنا من بعد موسى كثيرا من الرسل كداود
وسليمان وعزير ويونس وزكريا ويحيى واتينا عيسى بن مريم البينات ختم انبياء
بنى اسرائيل بعيسى وبعض احكامه مخالف للتورية ومعجزاته كاحياء الموتى وابراء
الاسقام وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيكون طيرا وايدناه قويناه بروح القدس
جبريل قرينه فى سفره وحضره وقيل كتابه يعنى الانجيل او الروح الذى نفخ فيه او الاسم
الذى به يحيى الموتى افكلما جاءكم الفاء عطف على ولقد اتينا والهمزة متوسطة بين
المعطوف والمعطوف عليه توبيخا لهم على تعقيبهم اتيان الكتاب والرسل بالاستكبار
والتكذيب والقتل رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا ترضونه استكبرتم عن اتباعه
ففريقا كذبتم كعيسى ومحمد عليهما السلام وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وجاء بلفظ
المضارع لحكاية صنيعهم الماضية واستحضارها او اراد تقتلونهم بعد فانهم ارادوا

قتل عيسى ومحمد لكن عصمها الله فانهم سحروه وسموه بالشاة فقال صلى الله عليه
وسلم عند موته لا زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري ولرعاية
الفاصلة وقالوا قلوبنا غلف اوعية للعلم لا نحتاج الى علم آخر وقراءة ضم اللام
تؤيد هذا المعنى او على قلوبنا غشاوة ما نفقه ما تقول كما في قوله وقالوا قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه بل لعنهم الله بكفرهم ليس الامر كما زعموا انهم غير محتاجين الى
علم آخر بل قلوبهم ملعونة بسبب كفرهم او قلوبهم لم تأب قبول الحق لخلل بل لان الله
طبع عليها بالكفر فقليلا ما يؤمنون فيؤمن القليل منهم وقليلا حال او ايمانا قليلا
وهو ايمانهم ببعض الكتاب وما مزيدة لتاكيد القلة لا نافية لان ما في حيزها لا يتقدم عليها
ولانها يوهم سماع التقديم ان كثيرهم يؤمنون ولا مصدرية لانه حينئذ وجب
رفع قليل بانه خبر ولما جاءهم كتاب من عند الله صفة لكتاب لا ظرف لجاء
فان مصدق صفة لكتاب ولا يجوز الفاصلة بينهما بما لا يكون معمولا لاحدهما مصدق لما معهم
فان القران مصدق للتورية وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية
او لما الثانية تكرار للاول فان ما عرفوا والكتاب واحد والفاء في فلما للاشعار
بان مجيئه كان عقيب استفتاحهم به فيكون الجواب كفروا به وكانوا اى اليهود
الواو للحال او عطف على جاءهم من قبل قبل نزول الكتاب يستفتحون على الذين
كفروا اى يستنصرون على المشركين قائلين اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت
في التورية فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا فلعنة الله على الكافرين
مطلقا فهم دخلوا فيه دخولا اوليا بئسما اشتروا به انفسهم اى بئس ما باعوا
فانهم باعوا اثوابها بالكفر ما نكرة مميزة لفاعل بئس المستتر فيه والفعل صفته ان
ان يكفروا هو المخصوص بالذم بما انزل الله بغيا اى يكفروا حسدا فبغيا علة
ان يكفروا لا لاشتروا لان ان يكفروا المخصوص بالذم وهو اجنبي الى اشتروا
فلا يكون علة له للفصل بالاجنبي ان ينزل الله اى لان ينزل من فضله
بعض فضله ورحمته على من يشاء من عباده فانهم حسدوا على ان النبوة
في غيرهم فباءوا رجعوا بغضب على غضب لكفرهم بمحمد بعد كفرهم بعيسى عليهما السلام
وتضييعهم التورية والانجيل قوله بغضب ظرف لباءوا بمعنى رجعوا او صاروا
احقاء كما يقال رجع براس ماله وعلى غضب صفة بغضب وللكافرين عذاب
مهين لكن عذاب العاصي للتطهير لا للاهانة واذا قيل لهم لليهود امنوا بما انزل

في الصحاح باء به رجع به منه
قال العلامة بغضب حال اى متلبسين
بغضب منه

الله اى القران قالوا نؤمن بما انزل علينا التورية ويكفرون بما وراءه بما بعده
او بما سواه وهو الحق مصدقا لما معهم فان القرآن مصدق للتورية قل يا محمد
ان كنتم صادقين في دعوى الايمان بالتورية فلم تقتلون انبياء الله من قبل
ان كنتم مؤمنين وفعل الاباء فعلهم ان رضوا به واعتقدوا انهم على الاستقامة
ثم يعد عليهم قبائح آبائهم بقوله ولقد جاءكم موسى بالبينات المعجزات الظاهرات
ثم اتخذتم العجل الها من بعده اى من بعد ذهاب موسى لسماع كلام الله او بعد
مجيئه رسولا وانتم ظالمون في عبادة غير الله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور قائلين خذوا ما آتيناكم ما امرناكم به في التورية بقوة بجد وعزيمة واسمعوا
اطيعوا قالوا سمعنا وعصينا اى سمعنا قولك وعصينا امرك يعني اعترفوا
بقبوله لكن لم يفعلوا او سمعنا باذاننا وعصينا بالقلوب يعني اذاننا سمعت
ولم يعترفوا بالقبول والظاهر انهم لما تلقوا بالمعصية نسب اليهم ان هذا قولهم
اتساعا واشربوا في قلوبهم العجل اى حب العجل حتى خلص ذلك الى قلوبهم وفي
كلام السلف ان موسى لما احرق العجل برده بالمبرد وهو على شاطئ نهر فنسف
في الماء فمن شرب منه وهو عابد العجل اصفر لونه وعلى هذا في قلوبهم بيان لمكان
الاشراب نحو يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب الكفر المبطون قل بئسما يأمركم
به ايمانكم هذا الامر وهو المخصوص بالذم المحذوف ان كنتم مؤمنين بالتورية كما زعمتم
واضافة الامر الى ايمانهم تهكم وكذا اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين
قدح في صحة دعواهم فان الايمان انما يأمر بعبادة الله وحده لا بشركة العبادة
لما هو في غاية البلادة فهو غاية الاستهزاء واما اضافة الايمان فدلت على ان مثل
هذا لا يليق ان يسمى ايمانا الا بالاضافة اليكم وحاصل الكلام ان كنتم انتم واباؤكم
الاقدمون مؤمنين لما عبدتم العجل وما كذبتم القران قل يا محمد لالزامهم في عقوبة
اخرى صدرت عنهم ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله في علمه وحكمه خالصة
خاصة بكم كما تقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصب خالصة على الحال
او على خبر كان ولكم ظرف كان من دون الناس الباقين فتمنوا الموت ان
كنتم صادقين اى ادعوا بالموت على الكاذب من الفريقين فالمراد المباهلة
كما صرح بذلك السلف وقالوا لو تمنوا لما بقي منهم احد وقيل معناه سلوا الموت
فان من ايقن ان الجنة من غير شركة لاحد له حن اليها واما المؤمنون فلا يدعون

انهم احباء الله وانهم من الفائزين يقينا بل يرجون من فضل الله وكذا العشرة المبشرة
فحال خوفهم تحول بينهم وبين البشارة لاحتمال ان البشارة مقيدة بقيد ويخافون
من سوء العاقبة كما يدل على ذلك تتبع احوالهم ولن يتمنوه ابدا فيه تاكيد على تاكيد
بما قدمت ايديهم بسبب علمهم بالذنوب السالفة والاضافة للايدي لان اكثر
المزاولات بالايادي والله عليم بالظالمين تهديد ووعيد ولتجدنهم احرص الناس
على حيوة اي نوع منها وهو اطولها ومن الذين اشركوا عطف على الناس فان
معناه احرص من الناس وهو من عطف الخاص على العام وخصهم لان اللائق
بهم ان يكونوا احرص فانهم لا يعلمون الا الحيوة الدنيا ويظنون ان لا حيوة بعد الموت
واليهود مع اعتقادهم بالحيوة بعد الموت احرص لعلمهم انهم مستحقون للعقاب
قيل ومن الذين اشركوا خبر محذوف هو ناس اي ومنهم ناس يود فيود صفة
المحذوف وبعض اليهود الذين قالوا عزير ابن الله مشركون يود احدهم جملة مستانفة
لو يعمر الف سنة لو للتمني وعند بعض النحاة ان لو مصدرية بمعنى ان الا انه لا تنصب
والمعنى على وجه التمني يود احدهم اطول الاعمار قائلا لو يعمر اي ليتني اعمر فذكرت
الحكاية بلفظ الغيبة نظرا الى لفظ احدهم كما تقول حلف ليفعلن مقام لافعلن وما هو
بمزحزحه بمبعده من العذاب ان يعمر ضمير هو لمصدر يعمر وان يعمر بدل او ضمير
هو لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي لا احد بمبعده تعميره من العذاب وهذا اولى
الوجهين والله بصير بما يعملون اي يعلمونه او بعملهم قل من كان عدوا لجبريل
لما قيل لليهود وآمنوا بما انزل الله اعتذروا بوجوه احدها انا آمنا بكتابنا ويكفينا والثاني
ان جبريل ولي لمحمد وهو الذي ينزل عليه وهو عدو لهم ولولا ذلك لآمنوا اجاب عن
الاول بما مر وهذا جواب عن الوجه الثاني فانه نزله اي القران على قلبك باذن الله
بامره وعدل من قلبي الى قلبك على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قال قل الذي
تكلمت به من كان عدوا له فانه نزله على قلبك وجواب الشرط محذوف مسبب
عن المذكور مثل فلا انصاف له بوجه او لا وجه لمعاداته فانه نزله الى مصدقا لما بين
يديه من الكتب وهدى وبشرى للمؤمنين فلو آمنتم لكان هو صديقا لكم فان
اليهود قالوا انه ينزل بالحرب والشدة لا بالبشارة من كان عدوا لله وملئكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين فيه تنبيه على ان معاداة
الواحد والكل سواء فمن عادى احدهم فقد عادى الجميع فان اليهود على عداوة

جبريل فقط وتخصيص جبريل وميكال من بين الملك لشرفهما ولم يقل عدو لهم
تسجيلا على كفرهم او الكافرين على العموم والربط حاصل فانهم منهم كانه قال عدو لهم
ولغيرهم من الكفار ولقد انزلنا اليك ايات بينات جواب لثالث اعذارهم
من الايمان فانهم قالوا ما انزل عليك يا محمد من اية بينة فنتبعك وما يكفر بها
الا الفاسقون المتجاوزون عن الحد ففسقهم هو الباعث على الكفر بالايات اوكلما
عاهدوا عهدا عطف جملة على جملة وتقديم الهمزة لان لها صدر الكلام نزلت حين ذكر
لهم ما اخذ عليهم من الميثاق في شانه صلى الله عليه وسلم قالوا والله ما اخذ ميثاق
في شانك نبذه فريق منهم نقضه بعضهم بل اكثرهم لا يؤمنون رد على توهم ان
الفريق هم الاقل فان المؤمنين اقل والباقي بين ناقض عهد جاهل وجاحد معاند
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا
الكتاب كتاب الله فانهم جحدوا ما في التورية من صفة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل كتاب الله القران اي لم يلتفتوا اليه وراء ظهورهم كشيء غير ملتفت اليه
يرمى وراء الظهر كانهم لا يعلمون انه حق حقيق بان يتوجه اليه غاية التوجه
مع انهم عالمون بذلك واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على جملة ولما جاءهم
فان اتباعهم السحر قبل مجيء الرسول بخلاف نبذ الكتاب وما تتلوا فحكاية حال ماضية
اي اتبعوا كتب السحر التي تقرا الشياطين وتحدثها على عهد ملك سليمان اي
في زمانه وتعديته بعلى لتضمين الكذب فانهم كتبوا السحر ودفنوه تحت كرسي
سليمان ثم لما مات او نزع منه ملكه استخرجوه وقالوا تسلط لهذا السحر لا النبوة
فتعلموه فبراه الله مما قالوا وقال وما كفر سليمان عند من لم يقل السحر كفر عبر عنه
تغليظا او لان كل نبي اذا سحر فقد كفر ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
اللام للعهد اشارة الى ما دفنوا تحت سريره وما انزل على الملكين عطف على
على السحر اي ويعلمونهم ما الهما ببابل ظرف او حال من الملكين وهو اسم موضع
من الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومن السلف من قال
ان ما نافية اي ما كفر سليمان ولا انزل على الملكين جبريل وميكال فان سحرة
اليهود تزعمون ان السحر انزل على لسانهما على سليمان فردهم الله وعلى هذا
ببابل متعلق بيعلمون وهاروت وماروت رجلان صالحان ابتلاهما الله
بالسحر وقعا بدل بعض من الشياطين وقيل وقعا ترجمتين عن الناس

ولولا ان هذا المعنى منقول من العظمآء لما ذكرته وما يعلمان اى هاروت وماروت
من احد من مزيدة للاستغراق حتى يقولا انما نحن فتنة ابتلآء واختبار فلا تكفر بتعلمه
عند الشافعى ان لم يكن فى السحر ما يوجب الكفر ولم يعتقد جوازه فعمله وتعلمه من الكبائر
وعند سائر الائمة استعماله كفر فيتعلمون منهما ضمير الجمع لما دل عليه من احد يعنى بعد
ما نصحا ولم ينفع نصحهما فيتعلمون ما يفرقون به بسببه بين المرء وزوجه خصه
بالذكر من بين المضار لانه اكثر مضاره او من اقبحها وقيل اول استعمالهم فيه وما هم
السحرة بضارين به اى بالسحر من احد من للتعميم الا باذن الله ارادته ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم اى نفعا يوازى ضره ومجمل القصة كما فى حديث من مسند الامام
احمد وصحيح ابن حبان وجم غفير من السلف ان الملائكة طعنوا فى بنى آدم فى فسادهم
فقال الله لو فطرتكم على طبعهم لكنتم مثلهم فقالوا حاشا لله ان نعصى الهنا فاختار
من بينهم ملكين من اعبدهم وركب فيهما الشهوة فعصيا واختارا عذاب
الدنيا حين خيرا عذاب احد الدارين فالآن هما معذبان الى القيمة والله ممتحن عباده
بهما ولقد علموا اليهود واللام للقسم لمن اشتراه استبدل السحر بكتاب الله ولام
الابتدآء علقت علموا عن العمل ما له فى الاخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا
باعوا عطف على ولقد به انفسهم لو كانوا يعلمون حقيقة ما فعلوا وعلى ما فسرنا
لا منافات بين ولقد علموا وبين لو كانوا يعلمون ولو انهم امنوا بالقرآن واتقوا
نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير جواب لو
محذوف لاطباق النحاة على انه لا يكون الا فعلية ماضوية وهو مثل لاثبوا
ولمثوبة مستانفة اى شى من الثواب خير لهم لو كانوا يعلمون ليسوا من الجاهلين
يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا نهى الله المومنين ان يقولوا لنبيهم صلى الله
عليه وسلم راعنا اى ارعنا سمعك بمعنى اسمع منا وفى لمية المنع خلاف
المشهور ان لهذا اللفظ معنى قبيحا بلسان اليهود وهم اخذوا من المسلمين ويقولون
ويضحكون فيما بينهم فهذه الاية من بيان مساوى اليهود وقولوا انظرنا اى
الينا واسمعوا النصح فى ترك تلك الكلمة سماع قبول لا كاليهود وهذا الكلام السلف
باجمعهم وقيل اذا تكلم صلوات الله وسلامه عليه معهم قالوا راعنا اى راقبنا
وتان بنا حتى نفهم واليهود افترصوا هذا قائلين له لان هذا سب فى لغتهم فنهى
الله المومنين من هذا وامروا بما فى معناه وهو انظرنا من نظره اذا انتظره و

واحسنوا سماع ما تكلم به نبيكم حتى لا تفتقروا الى طلب المراعات وللكافرين الذين
سبوا رسولنا عذاب اليم ومعنى الاليم مامر فلا تنس ما يود الذين كفروا من اهل
الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم مفعول يود من خير من للاستغراق
من ربكم من للابتدآء بين سبحانه شدة عداوة اهل الكتاب بانهم والمشركين متحدون
فى عداوتكم فلا تغتروا بنفاقهم والله يختص برحمته من يشآء يقال اختص زيد بكذا
واختصصته به والظاهر انه متعد والله ذو الفضل العظيم فحرمان بعض لحكم ومصالح
ما ننسخ من اية نبطل حكمها او نرفعها من القرآن او ننسها نمحها عن القلوب ومن
قرا ننساها اى نوخرها فى السمآء او المراد من النسخ اثبات حكمها وتبديل قرآتها نحو الشيخ
والشيخة اذا زنيا فارجموهما ومن الانسآء اثبات قرآتها وتبديل حكمها نحو وعلى
الذين يطيقونه فدية على الاصح ومثله فى القرآن كثير نات بخير منها انفع للعباد
فى الدارين او مثلها فى المنفعة والحكمة تقتضى التبديل نزلت فى طعن اليهود على القرآن
انه لو كان كلام الله ما كان يامر بشى ثم بخلافه الم تعلم ان الله على كل شى قدير
فتشمل قدرته النسخ والتبديل وهذا ليس من قبيل البدا على الله الم تعلم المراد من الخطاب
محمد صلى الله عليه وسلم وامته داخل فيه بدليل قوله وما لكم ان الله له ملك السموات
والارض يفعل ما يشآء مع رعاية مصلحته والاية فى الحقيقة رد لجحود اليهود وما لكم
من دون الله من ولى يلى امركم ولا نصير ينصركم ام تريدون ان تسالوا رسولكم
محمدا وهو الرسول الى الناس كافة وام متصلة معادلة لقوله الم تعلم اى الم تعلموا
انه يامر وينهى كما يشآء ام تعلمون وتقترحون فى السوال وجاز ان تكون منقطعة
بمعنى الم تعلموا ان له القدرة الشاملة والتصرف كيف اراد ثم قال بل الكم علم لكن
تقترحون فى السوال كما اقترحت اسلافكم ومعنى بل والهمزة المبالغة فى النهى حتى كانهم
كانوا بصدد الارادة فنهوا عنها فضلا عن السوال يعنى من شان العاقل ان
ان لا يتصدى لارادته كما سئل موسى من قبل ذكر بصيغة المجهول ايمآء الى ان من سال
مثل هذا السوال حقيق بان يصان عن ذكره المقال نزلت حين قالت اليهود
ائتنا بكتاب نقرأه وفجر لنا الانهار نصدقك او حين سال قريش ان يجعل لهم
الصفا ذهبا فاجاب بنعم ولكن كالمائدة فمن يكفر بعد منكم فان الله يعذبه عذابا
لا يعذبه احدا من العالمين فابوا حبا لكفرهم ورجعوا ومن يتبدل الكفر بالايمان
بترك الايمان واخذ الكفر فقد ضل سوآء السبيل وسطها اى خرج عن الطريق

ذ هو بيان انتهآء مدة الحكم الذى ظاهره التابيد
و الله الظهور اى غير الرأى الاول بمنزلة الندم

المستقيم ودّ كثير من اهل الكتاب من احبارهم من جاهد في ردّ الصحابة عن
الاسلام لو يردّونكم لو بمعنى ان كما ذهب اليه بعض او توجيهه كما مرّ من بعد ايمانكم
كفارا مفعول ثان لتضمين معنى التصيير وقيل حال اي يردّونكم من حبّ الايمان
كافرين حسدا علة ودّ من عند انفسهم اي حسدا انبعاثا من عند انفسهم
او تمنوا من عند انفسهم لا من قبل التديّن من بعد ما تبين لهم الحقّ حقيته الاسلام
في التورية فاعفوا عن مجازاتهم واصفحوا اعرضوا عنهم حتى يأتي الله بامره
يحكم فيهم بما اراد ان الله على كل شي قدير ما اراد مفعول واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة يعني اعرضوا عنهم واشتغلوا بعبادة الله وهو يكفيكم شرّ اعدائكم
وما تقدّموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه مدّخرا ان الله
بما تعملون بصير فلا يضيع عمل عامل وقالوا اي اهل الكتاب لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى من باب اللفّ بين قوليهما ثقة بفهم السامع تلك
امانيهم التي تمنوا على الله باطلا اي بالاماني بصيغة الجمع مع افراد المبتدأ لان
لكل واحد من جماعتهم امنية قائمة به لكنها واحدة من حيث النوع كما تقول اطعمتهم
العسل قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بالجنة ان كنتم صادقين في دعواكم
بلى اثبات لما نفوا من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله دينه وعمله بلا رياء
وهو الذي وجه وجه قلبه الى الله وهو محسن متبع لامره تعالى فله اجره عند ربه
ثابت من غير نقص ولا خوف عليهم عند الفزع الاكبر ولا هم يحزنون على ما مضى
وقالت اليهود ليست النصارى على شي يعتدّ به بل دينهم باطل لا اصل له وقالت
النصارى ليست اليهود على شي اي هو باطل من اصله ولا بدّ من مثل هذا التفسير
والا فالكلام كل صدق فقول الله وهم يتلون الكتاب لا يكون ردّا عليهم ولا يكون
لو او الحال موقع حسن يعني وفي كتاب كل منهما تصديق من كفروا به كذلك
قال الذين لا يعلمون كآبائهم او عوام النصارى او مشركوا العرب كذلك قالوا
في نبيهم مثل قولهم وبخهم الله على التشبه بالجهال ومثل قولهم مفعول مطلق وكذلك
مفعول به يعني قالوا كذلك قولا مثل قولهم وجاز ان كذلك خبر محذوف
اي الامر كذلك ثم ابتدأ بقال الذين فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون بما استحقوا وعن الحسن هو تكذيبهم وادخالهم النار نزلت حين قدم
وفد نجران من النصارى فنازعوا مع اليهود ومن اظلم ممن منع مساجد الله

ما التوجيه بان تلك اشارة الى الاماني في غير تلك الاية من ان لا يدخل الجنة غيرهم وغير ذلك فتكلف بعيد وكذا بحذف المضاف فتقدير امثال تلك والله اعلم منه

وجاز ان يكون كذلك

ان يذكر فيها اسمه اي من ان يذكر او بدل اشتمال من مساجد الله ولا تناقض
بين هذا وبين فمن اظلم ممن افترى على الله وبين فمن اظلم ممن ذكر بايات ربه
فاعرض عنها لان معناه هولاء اظلم كل منهم مساو في الاظلمية وسعى في
خرابها عام لكل من خرب مسجدا وان كان سبب نزوله منع المشركين المؤمنين
عن دخول مكة والعمرة عام الحديبية واي خراب اعظم من ان جعلوا الكعبة بيت الله
الحرام مستقر الاصنام وقيل نزلت في اهل الروم خربوا بيت المقدس واثبات
الاظلمية لهم لتخريب بيت الله ومن خرب مسجدا فقد منع فيه ذكر الله لا لاخراج
اليهود منه فان صلوتهم يومئذ غير مقبول وهم ملعونون بلسان داود
وعيسى بن مريم اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
خبر معناه النهي يعني لا تمكنوهم من دخولها الا تحت هدنة او هذا بشارة
للمسلمين اي ما كان لهم في علم الله وقضائه ان يدخلوها الا خائفين وقد
انجز وعده فان بعد الفتح نودي ان لا يحج بعد العام مشرك ومن كان له اجل
فاجله الى مدته او معناه ما كان ينبغي ان يدخلوها الا خاشعين فضلا عن ان
يخربوا او الا خائفين عن المسلمين فضلا عن ان يمنعوهم منها لهم في الدنيا
خزي قتل وسبي او جزية وهوان ولهم في الاخرة عذاب عظيم ولله المشرق
والمغرب له الارض ان منعتم دخول مسجد فاينما تولوا في اي مكان توليتم
القبلة فثم وجه الله جهته التي امر بها لا يختص بمكان ومسجد معين او ثم جلال
الله وعظمته كما يقال فلان وجه القوم ان الله واسع عليم محيط بالاشياء رحمة
لا يضيق على عباده نزلت في صحابة عميت عليهم القبلة فاجتهدوا وصلوا
الى انحاء مختلفة رواه الترمذي وابن ماجه وابن ابي حاتم وقال الترمذي
حديث حسن ليس اسناده بذلك وروى الدارقطني برواية اخرى
وضعفها او نزلت في صلوة التطوع حين المسير وروى الترمذي والنسائي
وابن ابي حاتم حديثا في ذلك او في تحويل القبلة حين عيّرت اليهود بان لا قبلة
لهم وهو المنقول عن ابن عباس وكثير من السلف واذا كان سبب النزول
هذه الوجوه فتفسير الاية ظاهر لا على وجه فسرناها والله اعلم وليس ببعيد
عندي انه لما سئل عنه صلى الله عليه وسلم عن حال صلوات من عميت
قبلته او عن صلوة السنة حال المسير اجاب مستدلا بهذه الاية وقرأها

فطعن الراوی انها نزلت فیهما وعلی هذا لا یلزم الحکم بوضع حدیث وارد فی
اسباب النزول وقالوا ای الیهود فی عزیر والنصاری فی المسیح والمشرکون
فی الملائکة اتخذ الله ولدا ای صنع واختار ولهذا استعد الی واحد سبحانه نزّه
نفسه عن ذلک بل له ما فی السموات والارض ملکه ومخلوقه فلا مناسبة کلّ له
قانتون منقادون لا یتمکنون عن الامتناع من مشیته غلّب غیر اولی العلم
اوّلا فقال ما فی السموات لانّ ما قد یستعمل للابهام فی مقام الوصف کما
یدلّ علی التعظیم فی بعض المواضع یدلّ علی التحقیر فی بعض فههنا اتباع اولی
العلم غیرهم تحقیر شأنهم والمقام یقتضیه واما عند من قال ما عامّ فلا تعظیم
ولا تحقیر واما قانتون فعلی تغلیب ذوی العقول وهو الاصل بدیع السموات والارض
سمواته مبدعة فالله مبدعهما وخالقهما لانّ البدیع بمعنی المبدع فانه غیر ثابت و
ومن قال انه صفة مشبهة مضاف الی الفاعل فلیس بشیء لان المقرر انه لا یصح
الاضافة الا اذا صحّ الاتصاف مثل حسن الوجه بخلاف حسن الجاریة فلا یصح بدیع
السموات واذا قضی امرا فانما یقول له کن فیکون ای یکوّنه فیکون وکان تامة
ولا واجب ان یکون هناک قول حقیقی وقرأ ابن عامر فیکون بالنصب جواب
الامر ای ان قلنا له کن فیکون وقال الذین لا یعلمون مشرکوا العرب او شرذمة
من اهل الکتاب لولا یکلمنا الله هلّا یکلمنا مواجهة او تأتینا آیة حتی تفجر لنا من الارض
الایة کذلک قال الذین من قبلهم الکفار الماضیة مثل قولهم قد مرّ اعراب مثله
ولا تدلّ المثلیة علی التماثل فی نفس هذا القول بل یحتمل انّ من قبلهم اقترحوا
غیر ذلک مما لا یلیق اقتراحه ولهذا جوّزوا ان یکون کذلک حالا تشابهت قلوبهم
فی العناد قد بیّنا الایات لقوم یوقنون یتیقنوا انه ایات من الله واذعنوا انا ارسلناک
بالحق ملتبسا به بشیرا بالعفو والفضل ونذیرا من القهر والعدل ولا تُسئل عن
اصحاب الجحیم لست بمسئول عنهم لم لم یؤمنوا ومن قرأ لا تسأل بصیغة المعروف
والنهی معناه لا تسأل عن حالهم واشتغل بالبشارة والانذار فی لهم فظیع و
ومن قال قال صلی الله علیه وسلم ذات یوم لیت شعری علی م انتهی امر والدی
فنزل بعید جدّا فانه متوسط بین فضایح اهل الکتاب والمشرکین ولا بدّ ان تقع
هذا قبل ان تعلم امرهما ولن ترضی عنک الیهود ولا النصاری حتی تتبع ملتهم
کانوا یرجون اتباع دینهم بعد ما اتبعوا قبلتهم فلما صرفت القبلة ایسوا قل یا محمد

ونعم ما یقال ان له ما فی السموات والارض اشارة
الی مقام الالوهیة والعقلاء فیه بمنزلة الجمادات
وکلّ له قانتون الی مقام العبودیة والجمادات فیه
بمنزلة العقلاء

وکان ایضا فی الصفة ضمیر
حیث یصح اتصاف یعود الی الموصوف
الرجل بالحسن بکونه
وجهه حسنا بخلاف حسن الجاریة وانما یصح زید
کثیر الاخوان لاتصافه بانه متقوّ بهم

الذین کفروا عنادا وان یقال ذلک علی سبیل
انقطاع الکلام ویجوز ان یکون الخطاب لمحمد

ان هدی الله الذی بعثنی به هو الهدی لا هدایة بعدها ولئن اتبعت اهواءهم الباطلة
التی من عند انفسهم بعد الذی جاءک من العلم الیقین ما لک من الله من ولیّ ولا
نصیر یدفع عنک العقاب وهذا تهدید شدید للامة قیل الولیّ قد یضعف عن الحمایة
والنصیر قد یکون اجنبیا الذین اتیناهم الکتاب جنسه السماوی یتلونه حق تلاوته غیر محرفین
کاتمین محللین حلاله محرمین حرامه وحقّ تلاوته اصله تلاوة حقا ثم قدم الوصف واضیف
الی المصدر کضربته شدید الضرب وقیل حال اولئک یؤمنون به ای بکتابهم او
بالقران فانّ صفته وصفة المنزل علیه مسطور فی کتبهم او معناه الذین اتیناهم
القران حال کونهم یقرأونه حقّ التلاوة هم المؤمنون بالقران ومن یکفر به فاولئک
هم الخاسرون حیث اشتروا الکفر بالایمان یا بنی اسرائیل اذکروا نعمتی التی انعمت
علیکم من متنوعاتها وانّی فضّلتکم علی العالمین فی عصرکم افضل من فی زمانکم
وهذا من جلائل النعم واجلّها واتقوا یوما لا تجزی نفس عن نفس شیئا ولا یقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ضمیر تنفعها للنفس الثانیة البتة ولا هم ینصرون
کرّر وختم به الکلام مبالغة فی النصح کانه الفذلکة والمقصود بالذات من جمیع
الایات لما بین حکایة آدم وهو ابو الجمیع وفصّل حکایة مخالفات بعض اولاده
وعدولهم عن الاستقامة اخذ بیّن حکایة ابی العرب ابراهیم الذی وفّی تحریضا
علی متابعته وتحذیرا عن ان یکونوا مثل بعض اولاده فقال واذ ابتلی اختبر
یعنی عامل معه معاملة المختبر ابراهیم ربّه قدم المفعول لرجع ضمیر الفاعل بکلمات
فیهما اختلافات ای شرایع من الاوامر والنواهی ومناسک الحج او ثلثین خصلة
عشر فی سورة البراءة التائبون العابدون الایة وعشر فی اول سورة قد افلح
وعشر فی سورة الاحزاب انّ المسلمین والمسلمات الایة او عشر خصال فی الرأس
خمس قصّ الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواک وفرق الرأس
وفی سائر الجسد خمس تقلیم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء
بالماء او انه کان یقول کلما اصبح وامسی فسبحان الله حین تمسون الایة
او الایات التی بعدها انّی جاعلک للناس اماما او فراق قومه ومحاجة نمرود
مع خطرها وصبره علی قذفه فی النار وذبح ابنه وابتلاؤه بالکواکب فاتمّهن
اداهنّ تامات وقام بهنّ حقّ القیام والکلمات ان کانت افعالا فاطلاقها
علیهما مجاز فان التکالیف الفعلیة صدرت عن الاوامر کما سمیت الذات کلمة لبروزها

عن كلمة كن وقيل عطف على ابتلى فالاظهر ان فاعل اتم ضمير ربه اي اكملهن
وقواه على اتمامهن ويسر له العمل بهن قال استيناف كانه جواب لمن قال ماذا
قال ربه حين اتمهن وبيان لقوله ابتلى عند من يقول هي الكلمات اني جاعلك
للناس اماما يقتدى بك واماماك مؤبدة قال ومن ذريتي اي واجعل من ذريتي
اماما ولابد في عطفه على الكاف من تمحلات بان من في معنى بعض وبان الاضافة
لما كانت لفظية في حكم الانفصال وهذا من عطف التلقين يريد تلقينه ذلك
قال الله لا ينال عهدي الظالمين لا رجح ان هذا اجابة لملتمسه واشارة الى ان في
ذريته من لا يصلح الامامة والنبوة واذ جعلنا البيت الكعبة مثابة للناس مرجعا يأتون
فيرجعون او موضع ثواب والتاء لان البيت هو الكعبة وعند الاخفش انها للمبالغة
لكثرة من يثوب اليه وامنا من سطوة العرب جعلناه حرما آمنا ويتخطف الناس
من حولهم او من اخذ الجاني الملتجي اليها كما هو مذهب بعض او من عذاب الآخرة
وامنا مصدر جعل البيت اياه للمبالغة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى مقام
ابراهيم الحجر المعروف وفي البخاري ان عمر قال يا رسول الله هذا مقام ابينا ابراهيم
قال نعم قال عمر افلا نتخذه مصلى فانزل الله واتخذوا الآية والاجماع على انه غير واجب
بل يتبرك به لفضيلة المكان ومن تبعيضية وقيل بمعنى في وهو عطف على عامل
اذ اعني واذكر او مقدر بقلنا فيكون عطفا على جعلنا البيت وقيل المراد من مقام
ابراهيم المسجد الحرام او الحرم او مشاعر الحج وعلى هذا معنى مصلى مدعى فان ابراهيم
قام في عرفة ومشعر الحرام ومنى ودعا وعهدنا اي امرنا الى ابراهيم عدي بالى لمعنى
الوحي في العهد واسمعيل ان طهرا اي بان طهراه من الاصنام ومما لا يليق به قال
ابن جرير وغيره انه كان يعبد عند البيت في زمن نوح الاوثان وقيل معناه ابنيا
على اسمه وحده للطائفين لمن يطوف حوله او الغرباء والعاكفين ولمن يجلس فيه
او المقيمين والركع السجود ولمن يصلي فيه والركع والسجود جمع راكع وساجد واذ قال
ابرهيم رب اجعل هذا المكان بلدا آمنا ذا امن كعامر ولابن او آمنا فيه كليل نائم
والظاهر انه سأل ان يجعله بلدا او آمنا وارزق اهله من الثمرات ليكونوا في رفاهية
وسكون بال عن الاشتغال او ثمرات الارض فدخل فيها الحبوب ايضا من آمن
بدل بعض من اهله منهم بالله واليوم الآخر قال الله ومن كفر نبه على ان الرزق
عام للبر والفاجر لا كالامامة عطف على محذوف اي ارزق من آمن ومن كفر

بلفظ الخبر او عطف على من آمن عطف تلقين او مبتدأ تضمن معنى الشرط وقوله
فامتعه اي انا امتعه خبره ولذلك جاء بالفاء قليلا نصبه بالمصدر ثم اضطره
الى عذاب النار الجئه اليه وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اي العذاب
واذ يرفع حكاية حال ماضية كانه قال اذ كان يرفع ابرهيم القواعد الاساس من
البيت ورفعها البناء عليها ومن البيت حال او ظرف ليرفع واسمعيل كان
يناوله الحجارة وابرهيم يبني ويشبه ان يكون تقديم القواعد على عطف اسمعيل
اشارة الى هذا ربنا تقبل منا يقولان ربنا تقبل منا بناءنا بالاثابة انك انت
السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك منقادين مخلصين
ومن ذريتنا بعض اولادنا امة مسلمة لك جماعة خاضعة مخلصة والاصح انها
تعم العرب وغيره قال تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون
وارنا ابصرنا وقد فسر بذلك لان لا يطلب الا مفعولين مناسكنا معالم حجنا
او مذابحنا وتب علينا عما فرطنا انك انت التواب الرحيم للتائب فانه المبالغ
في الرحمة للتائب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا كائنا منهم وفي الحديث
انا دعوة ابي ابرهيم يتلو يقرأ عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة السنة
او الفهم في الدين او العلم والعمل به ويزكيهم عن الفسوق انك انت العزيز الغالب
الحكيم واضع الاشياء في محالها ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد وعن
ذلك اي لا يرغب احد الا من سفه نفسه خسرها او جهل نفسه فلم يلاحظ
انها مخلوقة لله يجب عبادة خالقه او ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره وعن المبرد سفه
بكسر الفاء متعد وفي الحديث الكبر ان سفه الحق وعند الكوفيين جاز التمييز في المعرفة
فنفسه تمييز والمستثنى بدل من ضمير يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه
في الدنيا اخترناه بالخلة والرسالة وانه في الآخرة لمن الصالحين ومجموع ولقد
اصطفيناه الى حجة وبيان لقوله ومن يرغب وفي متعلق بالصالحين وهذا
جائز اذا كان المعمول ظرفا او يقال ان اللام غير موصولة او متعلق بمحذوف
دل عليه لمن الصالحين اذ قال ظرف لاصطفيناه او تقديره اذكر ذلك
الوقت لتعلم انه المصطفى له ربه اسلم ان كان الامر عند استدلاله بالكواكب
فهو على ظاهره والا فالمراد الاستقامة او الاخلاص او تفويض الامور
الى الله وعن ابن عباس حقق ذلك حيث لم يستعن بغير الله حين القي

كأنه سبحانه قال قل وارزق من كفر
أيضا فإنه مجاب معه

في النار وسأل عنه جبريل ألك حاجة فأجاب أما إليك فلا قال أسلمت
لرب العالمين فوضت أمري إليه ووصى بها بالملة أو بكلمة الإخلاص ابرهيم
بنيه ويعقوب أي وصى هو أيضا بنيه يا بني على إضمار القول أو متعلق
بوصى لأنه نوع من القول إن الله اصطفى لكم الدين دين الإسلام فلا تموتن
إلا وأنتم مسلمون أي داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا عليه
أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت أم متصلة عطف على محذوف يعني
ألم تكونوا حضار وصيته حين احتضاره أم كنتم من الحضار إن لم تكونوا فقد بين
خبر الله أولى وأعلى وإن كنتم من الحضار فلا محالة قد سمعتم وصيته فاذكروا
ولا تخطئوا إذ قال وقيل منقطعة والهمزة للإنكار وتم الكلام عند قوله إذ حضر
يعقوب الموت ثم ابتدأ بقوله إذ قال وهو متعلق بقالوا نعبد أو باذكر أي اذكر
هذا الوقت حتى لا تدعي عليه اليهودية ويكون ردا على اليهود فإنهم قالوا ألست
تعلم يا محمد أن يعقوب عند موته وصى بنيه اليهودية إذ قال لبنيه ما تعبدون
من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابرهيم واسمعيل هو عمه فهو من
التغليب فإن العم صنو أبيه واسحق إلها واحدا منصوب على البدل
من إله آبائك تحقيقا للوحدانية ودفعا لما عسى يتوهم من قولهم إلهك
وإله آبائك من التعدد ونحن له مسلمون عطف على نعبد والجواب بشيئين
أحدهما بصيغة التجدد لأنه عبادة والآخر بما دل على الثبوت لأن الانقياد
لا ينفك ومنه تكون العبادة فيكون من الجواب المرتب على السؤال
أو حال من معمول نعبد الفاعل والمفعول وأما اليهود فهم غير منقادين
لعنادهم وترفعهم عن قبول كثير من الأحكام سيما نبوة خاتم النبيين صلى
الله عليه وسلم تلك ابرهيم ويعقوب وبنوهما أمة قد خلت مضت
لها ما كسبت جملة استئنافية ولكم يا معشر اليهود ما كسبتم لا تنتفعون
إلا بأعمالكم وانتسابكم لا يفيدكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا
أي قالت اليهود للمؤمنين كونوا على ديننا فهو الحق وقالت النصارى لهم مثله
قل بل ملة ابرهيم أي نكون أهل ملة حنيفا مائلا عن الباطل حال عن ابرهيم
وقد صرح ابن مالك بجواز الحال من المضاف إليه إذا كان معمولا للمضاف

أو المضاف جزءا من المضاف إليه أو كجزء منه بحيث يصح قيامه مقامه
مثل اتبعوا ابرهيم إذا اتبعوا ملته والصحيح أن عامل مثل هذا الحال عامل المضاف
لما بينهما من الاتحاد بالوجه المذكور وما نحن فيه من الأخير وقيل الأولى أن يكون
حالا من ملة وتذكيره لأنها بمعنى الدين قال الشاعر حنيفا دينا عن كل
دين قال الله تعالى دينا قيما ملة ابرهيم وما كان من المشركين تعريض على
المخاطبين عطف على حنيفا قولوا أيها المؤمنون آمنا بالله وما أنزل إلينا
يعني القرآن وما أنزل إلى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والأسباط
أولاد يعقوب وفيهم الأنبياء إن أراد الوحي أعم من أن يكون كتابا أو غيره
فالأمر ظاهر في الجميع وإن أراد الكتاب فالكتاب ليس إلا إلى ابراهيم كما صرح
به السلف لكن الباقي لما جاؤوا أثره ويجب الحكم بما فيه فكأنه منزل عليهم أيضا و
وما أوتي موسى وعيسى أفردهما بالحكم أبلغ وهو الإيتاء وهو أبلغ من الإنزال لأن
النزاع فيهما وما أوتي النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم لا نفرق بين
أحد منهم في نبوتهم نؤمن بجميعهم لا كأهل الكتاب وأحد بحسب وضع اللغة مما
يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ويشترط أن يكون استعماله
مع كلمة كل أو في كلام غير موجب نص عليه أئمة العربية ونحن له مسلمون
أي لله مخلصون منقادون فإن آمنوا أي أهل الكتاب بمثل ما آمنتم به جاء
بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير والباء بمثل زائدة أي مثل إيمانكم
بالمذكور أو المثل صلة وهو من باب التعجيز يعني حصلوا دينا آخر مثل دينكم
مساويا له في الصحة والسداد نحو فأتوا بسورة من مثله فقد اهتدوا وإن
تولوا أعرضوا عن الإيمان فإنما هم في شقاق لا في طلب حق فسيكفيكهم الله
تسكين ووعد بالحفظ والنصرة للمؤمنين ومعنى السين أن ذلك كائن
لا محالة وإن تأخر وهو السميع العليم من تمام الوعد والوعيد صبغة الله
من تتمة المقول أي قولوا الزمنا دين الله وعن سيبويه أن صبغة الله
مصدر مؤكد لقوله آمنا بالله فإن الإيمان تطهير النفوس كأنه قال طهرنا الله
تطهيره قال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله
الذي أتقن كل شيء وسمي دين الله صبغة لظهور أثره على صاحبه وبقائه
ظهور الصبغ بالمصبوغ وتداخله في جوفه والعرب تسمي ديانة شخص لشيء

فاتصافه به صبغة قال الشاعر وكل اناس لهم صبغة وصبغة همدان خير
الصبغ نقل ان النصارى يغمسون اولادهم في ماء اصفر ويقولون هو تطهير لهم
وبه يحق نصرانيتهم فجاز ان يكون للمشاكلة ونقل ان بني اسرائيل قالوا لموسى
هل يصبغ ربك فناداه ربه ان قل نعم انا اصبغ الالوان فانزل الله على
نبيه صبغة الله وهي فعلة كالجلسة وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ
ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون م
مطيعون لا نشرك به كشرككم عطف على آمنا قل يا محمد لاهل الكتاب
اتحاجوننا في الله في امره اتجادلوننا في شان الله واصطفائه النبي من
العرب وهو ربنا وربكم لا اختصاص له في الربية بقوم دون قوم ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم لكل جزاء عمله فليس ببعيد ان يكرمنا ربنا ونحن له مخلصون اي انا بهذا
المزية انا موحدون لا نجعل احبارنا ورهباننا اربابا من دون الله ام يقولون
ام منقطعة والهمزة للانكار ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
كانوا هودا او نصارى يعني يقول اليهود كانوا هودا والنصارى يقولون
كانوا نصارى قل أانتم اعلم ام الله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن
كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله كلا الظرفين صفة شهادة
وفي التورية ان الدين الاسلام وان هؤلاء الانبياء براء من اليهودية والنصرانية
فشهد الله بذلك وكتموا قاله كثير من السلف وقيل كتموا نعت محمد في التورية
ومحمد شهد بان هؤلاء الانبياء عليهم صلوات الله وسلامه ليسوا يهوديا ولا نصرانيا
فلزم ان الله شهد بعدم يهوديتهم ونصرانيتهم وما الله بغافل عما تعملون وعيد
لهم تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا
يعملون كرر مبالغة في الزجر عما في الطباع من الاتكال بالاباء والمشايخ قيل
الخطاب فيما سبق لاهل الكتاب وفي هذه الاية لنا وقيل الامة في الاول
الانبياء وفي الثاني اسلاف اهل الكتاب سيقول السفهاء الجهال من الناس
اليهود ومشركو مكة قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع والله ليرجعن الى دينهم ما وليهم
اي شيء صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها اي الصخرة قل لله المشرق والمغرب
ملكا لا يختص به مكان دون مكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
تقتضيه الحكمة من الصخرة والكعبة ثم ان قوله سيقول ظاهر في الاستقبال

وهو خبر من الله قبل استقبالهم الكعبة فهو من المعجزات وذهب قوم الى انه
نزل اولا قد نرى تقلب وجهك في السماء ثم نزل سيقول السفهاء نص
على ذلك ابن عباس وغيره وحديث البخاري دال عليه انه عليه الصلوة والسلام
صلى في المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يحب
التوجه نحو الكعبة فنزل قد نرى تقلب وجهك الاية فقال السفهاء من الناس
وهم اليهود ما وليهم عن قبلتهم الاية فقال الله قل لله المشرق والمغرب فعلى هذا
السين دل على انهم كما صدر عنهم هذا في الماضي يصدر عنهم في الآتي فهم
على ضلالهم في الاول والآخر وكذلك اي كما هديناكم صراطا مستقيما او مثل
ذلك الجعل العجيب جعلناكم فذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده
لا الى جعل آخر بقصد التشبيه بينهما والكاف مقحم اقحاما كاللازم لا يكاد يترك
في لغة العرب وغيرها جعلناكم امة وسطا خيارا والوسط صفة بالاسم الذي
هو وسط الشيء يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وبفتح السين
اسم لعين ما بين الجوانب كالمركز للدائرة وبالسكون ما بين الطرفين من
الاماكن المبهمة ويقال للخيار وسط لانه محمية عن ان يتسارع اليه خلل كخلاف
الاطراف لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم على صدقكم
شهيدا وذلك في القيامة حين تجحد الامم تبليغ انبيائهم والانبياء يأتون
بامة محمد ويشهدون بتبليغهم فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون اخبرنا نبينا
في كتابه ثم يزكيهم محمد عليه وعليهم الصلوة والسلام ولما ضمن شهيدا معنى الرقيب
عداه بعلى نحو كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد والمزكي لا بد
ان يكون خبير الحال من يزكيه فمراقبه في الخلوات فجاء بصلة الرقيب
للدلالة على تلك النكتة مدحا فيه زيادة مدحهم وقدم على في الثاني للتخصيص
كانه قال شهيدا بالتعديل عليكم لا على غيركم من الامم وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها اي ما جعلنا التي كنت عليها قبل وهي الكعبة القبلة لك ولامتك
فقوله التي كنت عليها هو المفعول الاول لجعلنا والقبلة مفعوله الثاني
ولما كان التصيير الانتقال فالمتلبس بالحالة الاولى هو المفعول الاول كجعلت
الطين خزفا فلهذا قلنا التي كنت مفعوله الاول ويمكن ان يكون معناه
وما جعلنا قبلتك التي كنت عليها اي خاطرك مائل اليها فان الاصح ان القبلة

قبيل الهجرة الصخرة لكن خاطره الاشرف مائل الى ان تكون القبلة كعبة وقد صرح
بعض على ان الكعبة قبلته فى مكة اولا ثم صارت صخرة ثم تحول فى المدينة
الى الكعبة الا لنعلم علما حاليا يتعلق به الجزاء من يتبع الرسول عند تحويلها
ممن ينقلب على عقبيه فيرتد اى لنميز الممن فهو حال من فاعل يتبع والعلم
بمعنى الادراك فلا يطلب الا مفعولا واحدا وقد نقل انه قد ارتد كثير من
المسلمين عند التحويل لظنهم ان هذا حيرة منه صلى الله عليه وسلم وان كانت
اى انه كانت التولية الى الكعبة لكبيرة ثقيلة الا على الذين هدى الله اى
هداهم الله وما كان الله ليضيع ايمانكم بالقبلة الاولى وتصديقكم واتباعكم
نبيكم فى القبلة الثانية او المراد من ايمانكم صلوتهم الى الصخرة ففى الصحيح ان
الصحابة سألوا كيف حال اخواننا الذين ماتوا على القبلة الاولى فنزلت
الاية ان الله بالناس لرءوف رحيم فلا يضيع اجورهم والرءوف ابلغ من
الرحيم وقيل رءوف بالمومنين فى الدارين رحيم على الفاسقين قد نرى تقلب
وجهك فى السماء اى تردد وجهك فى جهة السماء انتظارا لجبريل والوحى بتغيير
القبلة الى الكعبة فلنولينك فلنمكننك استقبال قبلة من وليته كذا اى صيرته
واليا قبلة ترضاها تحبها فول اصرف وجهك شطر المسجد الحرام اى نحوه
يقال بيتى شطر بيتك اى مقابله والاتفاق على ان من فى المسجد الحرام قبلته
الكعبة وعدم المسامتة يبطل الصلوة وحيث ما كنتم من بر وبحر وسفر وحضر
وهو بمعنى الشرط اى اينما كنتم فولوا فالفاء للجزاء لا ان قوله حيث ظرف
لقوله فولوا لانه يلزم اجتماع حرفى العطف وجوهكم شطره حين الصلوة قد مر
ان هذه الاية مقدم نزولها وان الذين اوتوا الكتاب اليهود ليعلمون انه
اى امر تحويل القبلة الى الكعبة الحق من ربهم ليقينهم بحقية محمد صلى الله عليه وسلم
وبان الكعبة قبلة جده ابراهيم وقيل فى بشارة انبيائهم بمحمد صلوته الى القبلتين
وما الله بغافل عما يعملون تهديد لهم ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية
دالة على ان الكعبة قبلة من الله ما تبعوا قبلتك لانهم حسادا جاحدون
وهو جواب قسم دال عليه اللام الموطئة فى ولئن ساد مسد جواب الشرط
وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماع اليهود الرجوع الى الصخرة ثانيا عطف
على مجموع الكلام السابق لا على ما وقع فى جواب القسم والشرط ولم يقل

قبلتيهم لانهما بمنزلة قبلة واحدة فى البطلان كما يقال الكفر ملة واحدة وما بعضهم
بتابع قبلة بعض قبلة اليهود الصخرة والنصارى مطلع الشمس فمحال ان تراعى
خاطر كلهم ان اردت مثلا لاختلافهم ولئن اتبعت اهواءهم مثلا من بعد
ما جاءك من العلم ظهر وبان لك الحق بالوحى انك اذا لمن الظالمين داخل
فى زمرتهم وفى الحقيقة هذا تهديد للامة الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه محمدا
بنعته وصفته وانه ذلك النبى الموعود فى كتبهم فان علماءهم عارفون بذلك
كما يعرفون ابناءهم كمعرفتهم ابناءهم بلا التباس بين ابنائهم وابناء غيرهم وان
فريقا منهم ليكتمون الحق فلا يقولون انه هو الموعود فى كتبنا والعوام منهم لا يعرفونه
والمومنون منهم يعرفون ويعترفون وهم يعلمون لانهم يقرءون فى كتبهم
الحق من ربك مبتدا او خبر واللام للاشارة الى ما يكتمونه او الى جميع ما عليه محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل تقديره هو الحق حال كونه من ربك او من ربك
خبر بعد خبر واللام للجنس يعنى ان ما جاءك من العلم او ما يكتمونه هو الحق لا
ما يدعونه فلا تكونن من الممترين الشاكين فيما اخبرتك وهذا فى الحقيقة مبالغة
فى شان الامة ولكل من اهل الاديان وجهة قبلة هو موليها وجهه فحذف احد
المفعولين وضمير هو الى كل ووجهة الله حيث توجه المومنون وقيل ضمير هو
لله اى الله مولى الامم الى قبلتهم فاستبقوا الخيرات بادروا الى كل خير
منه امر القبلة اينما تكونوا انتم واهل الكتاب يات بكم الله جميعا يحشركم و
يجازيكم ان الله على كل شىء قدير من الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث
خرجت فول اى من اى مكان خرجت افعل ما امرت به فول فالفاء
للعطف على محذوف ولا تنس ما اخترناه فى قوله وحيث ما كنتم صرح بذلك
العلامة التفتازانى وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وعند مالك قبلة
اهل المسجد الكعبة وقبلة اهل البلد المسجد وانه يعنى المامور به للحق من ربك وما الله
بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم من سفر وحضر فولوا وجوهكم شطره لما كان النسخ من مظان الشبهة والفتنة
كرر واكد وبالغ مرارا مع ان فى الاول تكريم النبى صلى الله عليه وسلم باجابة ملتمسه
واعطاء متمناه ثم امر الكل باتباعه واظهر عناد اعدائه وخيبة رجائهم فيما كانوا
يتمنون من اتباع اهوائهم وفى الثانى عدم تفاوت الحال فى السفر والحضر والغرض

والبعد والتصريح بجقية المأمور والوعيد على من تركه وفي الثالث تشريف
امته بافراد الخطاب وتعليل الحكم بما رتب عليه من الحكم والمصالح لئلا يكون
للناس لاحد عليكم حجة علة لقولوا فان اليهود قالوا النبي المنعوت في التورية
من قبلته الكعبة والمشركين قالوا هو يزعم انه على ملة ابراهيم ويخالف قبلته
فحولنا قبلته من الصخرة الى الكعبة لان لا يبقى لهم تمسك صحيح وقوله عليكم
ظرف لمتعلق للناس وهو خبر يكون او حال من حجة والاصل انه صفة لحجة
فلما تقدم صار حالا الا الذين ظلموا منهم بدل من الناس فيكون مجرورا لانه المختار
في كلام غير موجب والمراد من الحجة المتمسك حقا كان او باطلا ومعناه متمسك
الظالمين الذي هو باطل انه قال اليهود ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه
وحبا لبلده والمشركون قالوا سيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا لكن حجتهم
داحضة وعلى ما فسرنا لا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فلا تخشوهم اي الظالمين
من اليهود والمشركين واخشوني فانا القادر على كل شئ فلا تخالفوا امري خصوصا
في امر القبلة ولاتم نعمتي عليكم بتكميل الشريعة كما قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي عطف على قوله لئلا يكون او عطف على محذوف ومعناه اخشوني
لان احفظكم عن شر الاعدآء ولاتم ولعلكم تهتدون ولكي تهتدوا الى الصواب
كما ارسلنا فيكم اي ولاتم نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يعني اتم عليكم
ساير النعم مثل ما انعمت عليكم بهذه النعمة الجليلة التي صرتم بها محسودين رسولا
منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به مطهرين عن رذائل
الاخلاق ويعلمكم الكتاب والحكمة القران والسنة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون باذكاركم فاذكروني بالطاعة وفي الرخاء اذكركم بالعنايات وفي
الشدة واشكروا لي نعمي ولا تكفرون بمخالفتي ومن اطاع الله فقد شكر
ومن عصاه فقد كفر يا ايها الذين آمنوا استعينوا على مشاق الدنيا وطلب
الدين كمطاعن الاعدآء بالصبر عن المخالفة والصلوة التي هي ام العبادات
والفارق بين الكفر والايمان والصبر امر قلبي والصلوة ثمرته وهي من اشق ال
التكاليف لتكررها في كل يوم وليلة ان الله مع الصابرين بالتيسير والنصرة
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله هم اموات فتقعدوا عن مقاتلة اعدآء
الدين واعدائكم وتخشوهم بل هم احيآء ففي صحيح مسلم ارواح الشهدآء

في اجواف طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تاوي الى قناديل معلقة
تحت العرش وليس هذا من التناسخ في شئ وقوله بل احيآء ليس من باب
عطف المفرد على المفرد ولا من عطف الجملة اي هم احيآء على الجملة اي هم
اموات لانها ليست في حيز القول بل هو اضراب عن نهيهم الى الاخبار
بهذه الجملة ولكن لا تشعرون لانكم بالدنيا عن الدين مشغولون نزلت في شهدآء
بدر وهم اربعة عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبركم بشئ قليل من
الخوف خوف العدو والجوع القحط ونقص من الاموال خسران الاموال
عطف على شئ او الخوف والانفس الموت او هو والمرض والشيب
والثمرات ثمرات الارض من الزروع والثمار وعن الشافعي خوف الله
وجوع رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات والانفس
الامراض والثمرات موت الاولاد وبشر يا محمد عطف على ولنبلونكم
عطف المضمون على المضمون الصابرين منهم الذين اذا اصابتهم
مصيبة من المصائب قليلة او كثيرة قالوا انا لله عبدا وخلقا وانا اليه راجعون
في القيمة فلا يضيع عمل عامل وجملة اولئك مستانفة دالة على المبشر به
اولئك عليهم صلوات ثنآء بعد ثنآء من ربهم وما كان من الله فهو على
قدر كرمه وجوده ورحمة لطف واحسان واولئك هم المهتدون الى
الصواب لا من لم يصبر على حكم ربه ويطعن في دينه وعن عمر بن الخطاب
نعم العدلان الصلوات والرحمة ونعمت العلاوة هم المهتدون وهي ما توضع
بين العدلين وفي مسند الامام احمد وسنن ابن ماجه ما من مسلم ولا مسلمة
يصاب بمصيبة فيذكرها وان طال عهدها فيسترجع الا جدد الله عنده ذلك
فاعطاه مثل اجرها يوم اصيب ولما كان الحج اخا الجهاد وسماه النبي صلى الله
عليه وسلم احد الجهادين وفيه نقص الاموال والصبر على هجران الاصحاب
وترك الوطن وفيه مشاهدة القبلة التي هي متمنى الرسول صلوات
الله وسلامه عليه قال ان الصفا والمروة هما جبلان معروفان من شعائر
الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر
هما عبادتان معروفتان فلا جناح عليه ان يطوف بهما يطوف بالجبلين
بنوع معلوم كان فيهما صنمان اسمهما اساف ونائلة للمشركين يمسحونهما

عند السعي فلما ذهب الشرك ظن المؤمنون كراهة الطواف بين صنمي المشركين فاعلمهم ان لا اثم على الساعي وعند من يرى وجوب السعي دليله صحاح الاحاديث ويؤيده من شعائر الله والاية لما ذكرنا لا تنافيه ومن تطوع خيرا من صلوة وزكوة وطواف وغير ذلك ومذهب ابن عباس وانس وابن زبير ان السعي سنة ودليلهم فلا جناح مع قوله ومن تطوع وفي قراءة ابن مسعود وهي من الشواذ فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ونصب خيرا بانه صفة مصدر محذوف او بتضمين اتى او بالحذف والايصال فان الله شاكر مجاز بعمل الخير عليم لا يخفى عليه شيء ان الذين يكتمون ما انزلنا كصفة محمد وقبلته ورفعة منزلة بيته من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب قوله من بعد ان تعلق بيكتمون فالكتاب القران كما في تفسير الكواشي وغيره وان تعلق بانزلنا فالكتاب التورية ومعناه احبارهم يكتمون ما انزلنا في التورية من الايات الشاهدة على صدقه والهداية بوصفه الى الايمان به من بعد ما لخصناه في التورية بحيث ما بقي فيه اشتباه لاحد وهم كتموه ولبسوا اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي يطردهم ويبعدهم عن رحمته وكل من يتاتى منه اللعن يدعو عليهم بذلك روى ابن ابي حاتم ان الكافر يضرب ضربة بين عينيه تسمعها كل دابة غير الثقلين فيلعنه كل من سمعها فذلك قول الله اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا رجعوا عن الكتمان واصلحوا ما افسدوا وبينوا للناس ما كتموا فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب المبالغ في قبول التوبة الرحيم كثير الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار كمن لم يتب عن الكتمان ولم يصلح ما افسد اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وهذا في الاخرة يوقف الكافر فيلعنه الجميع حتى انه يلعن نفسه خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة وهذه الاية مكذبة لمن يدعي ان الكفار بعد مدة في النار لا يجدون الم الحرقة وهم غير معذبين والهكم اله واحد فرد في الالهية كما اذا قلت سيدكم سيد واحد ففيه من تقرير سيادته ما ليس في قولك سيدكم واحد لا اله الا هو نفي كل اله سواه والاستثناء اثبات لالوهيته لان الاستثناء

من النفي اثبات سيما اذا كان بدلا فانه يكون هو المقصود بالنسبة وانما وقعت بعد النقض بالا ونقض النفي اثبات ولما كان اله الكل الها واحدا فالواجب اتفاق عباده في قبول كلامه والايمان بمن ارسل لا الشرك ولا الكتمان الرحمن الرحيم فهو جدير بالعبودية لا غير ان في خلق السموات والارض اي ايجادهما او خلقتهما وشكلهما كما يقال خلق فلان احسن واختلاف الليل والنهار تعاقبهما او اختلافهما بالاوصاف من نور وظلمة وطول وقصر ومساواة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ينفعهم في تجاراتهم واسفارهم والباء للسبب وما مصدرية وضمير ينفع للبحر او للجري او للفلك وامر التذكير والتانيث سهل او بالذي ينفع اي مصحوبة بالاعيان النافعة من المتاجر والبضايع فالباء للحال وما انزل الله من السماء اي من جانبه او من السحاب من ماء متعلق بانزل ومن للتبعيض او بيان لما فاحيا به الارض بالنبات عطف على انزل بفاء التعقيب بعد موتها جدوبتها وبث فيها فرق في الارض من كل دابة عطف على احيى ومن تبعيضية مفعول بث فالمجموع يعني انزال المطر فاحياء الارض به بالعشب والكلاء وبث الدواب فيها بسبب المطر اية واحدة او عطف على ما انزل بتقدير الموصول اي وما بثه فيها من بياية وعلى هذا الاية الدواب المختلفة الاشكال والهيات من دواب البر والبحر وتصريف الرياح في مهابها كالشمال والجنوب واحوالها كالعاصفة واللينة والسحاب المسخر بين السماء والارض اي المذلل لامر الله بينهما لا ينزل ولا ينفرق لايات دلالات على عظيم قدرته وباهر حكمته لقوم يعقلون عقولهم سليمة يستعملونها فيما خلق له ومن الناس من يتخذ لا تنس ما مر في قوله ومن الناس من يقول في اول السورة والمراد من الناس المشرك واهل الكتاب فانهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا بالقوله بعد ذلك اذ تبرا الذين اه من دون الله اندادا امثالا كما قال ولا تجعلوا لله اندادا يحبونهم كحب الله يعظمونهم كتعظيمه فيسوون بينه وبينهم في العبادة والذين امنوا اشد حبا من متخذي الانداد لله لانهم يفردونه في الالوهية ولا يلجاون الى غيره

او معناه المؤمنون اشد حبا لله من متخذی الانداد لاندادهم فانهم اذا
رأوا صنما احسن ترکوا الاول وفی حین البلآء یعرضون عن اندادهم کما
قال تعالی واذا رکبوا فی الفلک الآیة ولو یری الذین ظلموا اشارة الی متخذی
الانداد وضعاً للظاهر موضع المضمر للدلالة علی ان مایرون من فظیع العذاب
انما هو لفاحش ظلمهم ویری بمعنی یعلم اذ یرون العذاب عاینوه فی القیمة
ان القوة لله جمیعا لا قوة لغیره وان الله شدید العذاب ساد مسد مفعولی
یری وجواب لو محذوف ای لو یعلمون فی الدنیا ان القدرة لله جمیعا وهو
شدید العذاب فی القیمة لندموا اشد الندامة ومن قرأ ولو تری بالتاء معناه
لو ابصرتهم واذ یرون ظرف تری وان القوة الخ بدل اشتمال من العذاب
وجواب لو محذوف مثل رأیت امراً فظیعا فقیل معناه لو ترىهم حین رؤیتهم
العذاب لعلمت ان القوة لله لا لاندادهم وانه شدید العذاب وقیل معناه
لو یری الظالمون ایام حیوتهم زمان رؤیتهم العذاب فی الاخرة لعلموا ان
الله هو القوی وانه شدید العذاب اذ تبرأ الذین اتبعوا من الذین اتبعوا
ای المتبوعون من التابعین وهو بدل من اذ یرون فیکون ظرفا لقوله ان
القوة الخ ورأوا العذاب الواو للحال وقد مضمرة لا عاطفة لتأدیه الی بدلیة
رأوا العذاب من اذ یرون ولیس فیه کثیر فائدة وتقطعت بهم الاسباب
من المودة والقرابة او الحیل واسباب الخلاص من العذاب یعنی ما بقیت
لهم الاسباب کما تقول لابن السبیل انقطع به السفر وقال الذین اتبعوا
التابعون لو ان لنا کرة لو ثبت لنا رجعة الی الدنیا فان لنا کرة فی موضع الرفع
فاعلا لمحذوف هو ثبت فنتبرأ منهم من المتبوعین کما تبرأوا منا فی الاخرة
بان ندعهم ولا نتبعهم ولا نعظمهم ولا نتخذهم اربابا حین رجوعنا الی الدنیا
کذلک مثل ذلک الاراءة الفظیع فذلک اشارة الی مصدر هذا الفعل
کما مر تحقیقه فی کذلک جعلناکم امة وسطا یریهم الله اعمالهم حسرات علیهم ای
ندامات وحسرات ثالث مفاعیل یریهم او حال علی انه من رؤیة البصر
یعنی لایرون الا حسرات مکان الاعمال وما هم بخارجین من النار البتة فتقدیم
المسند الیه لمجرد التقوی وهذا حال التابع والمتبوع ولما بین حال من اتبع
غیر الانبیاء وهددهم بان غیرهم فی مآلهم ووبال علیهم والتابع ایضا شر علی

علی المتبوع تلطف بالندآء للکل فقال یا ایها الناس کلوا مما فی الارض
ای بعض ما خلقت لکم حلالا حال کونه حلالا ما منعکم نبیکم من اکله طیبا
مستطابا فی نفسه غیر ضار فالاکل علی الشبع غیر طیب ولا تتبعوا خطوات
الشیطان لا تسلکوا سبله یقال اتبع خطوات فلان ووطئ علی قدمه
اذا استن بسنته انه لکم عدو مبین ظاهر العداوة عند من له بصیرة والعدو
مضل فلا تتبعوه انما یأمرکم بالسوء لا یأمرکم الا بما یضرکم والفحشاء ما فیه مضرة
شدیدة مهلکة لا یکتفی بقلیل من الاضرار ولهذا قیل الاول معصیة لا حد فیها
والثانی ما فیه حد وان تقولوا علی الله ما لا تعلمون ان تفتروا علیه شیئا لا تعلمون
انه باذنه ولا یجب ان یکون ذلک بقولهم والافتراء علی الله من اشد الفحشاء
فکانه قال ان الشیطان فی نهایة من عداوتکم فانه یأمرکم بالا یتناهی شره کاتخاذ
الانداد والآیة نزلت فیمن حرم علی نفسه السوائب والوصائل والبحائر وا
واذا قیل لهم اتبعوا ما انزل الله فهو الذی یهدیکم بما ینفعکم لا الشیطان الذی
هو عدوکم ویغویکم قالوا بل نتبع ای لا نتبع ما انزل الله بل نتبع قیل عطف علی
محذوف ما الفینا وجدنا علیه آباءنا اولو کان آباؤهم لا یعقلون شیئا
ولا یهتدون الواو للعطف علی محذوف والهمزة للتوبیخ والتعجیب ای یتبعون
الآباء لو کان الآباء یعقلون ولو کانوا لا یعقلون ولا یهتدون واتباع الجهال
الذین فی نهایة الجهل الضالین نهایة الوقاحة والقباحة وجواب لو محذوف
ومثل الذین کفروا فیما هم فیه من الجهل والضلال کمثل الذی ینعق بما لا یسمع الا
دعآء ونداء ای کمثل الدواب السارحة التی لا تفقه ما یقول لها راعیها
حین دعاها الی ما یرشدها بل لا تسمع الا الصوت فعلی هذا الذی کنایة عن
البهائم وضمیر ینعق بقرینة المقام الی الراعی والباء متعلق بینعق وما لا یسمع
والذی کنایتان عن شیء واحد فلا یحتاج الی ضمیر کانه قال کمثل بهیمة ینعق الراعی
بها او تقدیره مثل داعی الکافرین کمثل الذی ینعق بشیء لا یسمع الا الصوت
کالبهائم وهذا هو الاظهر لکن الاول کلام السلف وحاصله انهم فی انهماکهم
فی جهلهم کالبهائم تسمع صوتا من غیر فهم معناه صم ای هم عن سماع
الحق صم لا ینفعهم نصح ناصح بکم عن قول الحق عمی عن رؤیة مسلک الحق
فهم لا یعقلون بعد ما مثل احوالهم کحال البهائم شبههم بالمجانین یا ایها

الذين امنوا خطاب خاص للمطيعين كلوا من طيبات مستلذات
ما رزقناكم والحلية قد علمت من الاية المتقدمة التي هي من الخطاب العام وهذه
الاية للامتنان والنصح واشكروا لله على المستلذ ان كنتم اياه تعبدون
ان صح دعواكم في قبول نصح الله ان لا تعبدوا الا اياه وعبادتكم لا تتم
الا بالشكر ولما ذكر حرمة السوائب وغيرها مما حرموا من عند انفسهم
باتباع خطوات الشيطان بين لهم ما حرم عليهم فقال انما حرم عليكم الميتة
ما مات من غير ذكوة الجراد والسمك مستثنى بالحديث والدم مسفوحا والكبد
والطحال مستثنى بالحديث ايضا ولحم الخنزير خصص اللحم بالذكر لانه معظم ما يوكل منه
وما اهل به لغير الله ما ذكر عند ذبحه اسم غير اسم الله والمراد من الاية قصر الحرمة
على ما ذكر لا تتجاوز الى ما حرموه من السوائب وغيرها فلا تدل على انها المحرمات
لا غير فمن اضطر الى اكل شيء من المذكورات غير باغ على السلطان او بالاستيثار
على مضطر مثله فاخذه منه ظلما او بان تجاوز عن سد رمقه ولا عاد عاص
بسفره او بانه يجد عن الحرام مندوحة كعلف ولحى شجرة يمكن اكله قدر ما يسد رمقه
فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور رحيم حيث رخص ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
نزلت في اليهود يكتمون من التورية بعض اياته ويشترون به ثمنا قليلا
ياخذون ثمنا قليلا ويكتمون ما انزل الله كما مر اولئك ما ياكلون في بطونهم
الا النار اي لا ياكلون ملا بطونهم الا النار يقال اكل في بطنه واكل في
بعض بطنه يعني الرشا تصير في اجوافهم نارا لكن لا يحسون بها قبل الموت
او لانه اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكلها ويقال اكل الدم
اذا اكل الدية التي هي بدل منه ولا يكلمهم الله يوم القيمة كلاما يسرهم وكناية
عن غضب الرب ولا يزكيهم لا يثني عليهم او لا يطهرهم عن الذنوب ولهم
عذاب اليم قد مر ان الاليم في صفة العذاب مجاز لان الاليم ما ثبت بمعنى
المولم بكسر اللام فكانه قال عذاب ذو الم لانه واقع على هولاء اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى جعلوا الهداية ثمن الضلالة في الدنيا والعذاب
بالمغفرة في الاخرة فما اصبرهم على النار ما نكرة تامة والفعل بعدها في موضع
الخبر وعند الفراء استفهامية فيها معنى التعجب وما بعدها خبرها وافعل

بعد ما التعجبية فعل عند البصريين فالمنصوب بعده مفعول به واسم عند
الكوفيين فما بعده مشبه بالمفعول به ومعنى التعجب في هذا ان من رآهم
يقول ما اصبرهم على النار وهذا كما تقول لمن تعرض لغضب السلطان وهو
يعلم ان لازم غضبه سجن وضرب ما اصبرك على السجن والعذاب ذلك اي العذاب
بان الله نزل الكتاب جنس الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب
الحق بان آمنوا ببعضه دون بعض وكتموا وكذبوا وقالوا سحر وشعر لفي شقاق
خلاف بعيد عن الصواب والحق ولما كثر جدال اليهود مع المسلمين في امر
القبلة وتحويلها وهم في مدد ايامهم يقومون بجدالهم كان ليس لهم شغل الا هذا
وكانه هو عبادة خلق الجن والانس لها قال ليس البر منحصرا في ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب في صلوتكم فان امر الصلوة بعد صحة الايمان وسداده وبعد
سداده لا بد ان يكون مع الصلوة عبادات اخر ولكن البر بر من آمن بالله فلا يعول
على الله ولا يحرم ولا يحلل الا ما حرمه وحلله قيل التقدير ليس ذا البر ان تولوا او لا تقدير
في لكن البر من آمن شيئا فيكون كمن قال في وصف ناقة انما هي اقبال وادبار وفيه
تعريض الى ان هولاء صاروا نفس التولية من كثرة مقاولتهم فيها واليوم الاخر
والملئكة فلا يكون عدوا لاحدهم والكتاب بجنسه فلا يكذبه ولا يدخله التحريف
ولا يكتم منه والنبيين فلا يفرق بين احد منهم وآتى المال على حبه على حب المال
ففي الحديث الذي صححه الحاكم في مستدركه وآتى المال على حبه ان تعطيه وانت
صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وايضا قال الله تعالى ويطعمون الطعام على حبه
مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله وقيل على حب الايتاء مستبشرا به
لا كاره النفس ذوي القربى قرابته هو المفعول الاول والمال هو الثاني وقدمه
لان المقصود الاعظم ايتاء المال على حبه حتى ينسلخ عنه البخل الذي لا يجتمع مع الايمان
واليتامى والمساكين من لا يجد ما يكفيه وابن السبيل مسافرا انقطع عنه ما يوصله
الى وطنه او ضيفا صرح بهذا كثير من السلف والسائلين من الجأته الحاجة الى
السوال وفي الرقاب في تخليصها كمعاونة المكاتب او في فك الاسارى
والمديونين من الفقراء واقام الصلوة عطف على آتى وآتى الزكوة المفروضة
اي الصدقة الواجبة بوجه اجمع المسلمون على انه اذا نزل بمسلم حاجة وجب
بعد اداء الزكوة صرف المال اليها فلا تكرار في الاية والموفون بعهدهم اذا عاهدوا

الله والناس قيل ونعم ما قيل الاحسن في اعراب الصفات الكثيرة ان
يخالف في اعرابها لان الموضع موضع الاطناب فاذا خولف بالاعراب
كان المقصود الكمل لانه انواع من الكلام وضروب من البيان فالموفون
مرفوع بالمدح اي هم الموفون والصابرين نصب على المدح اي اخصهم
من بينهم في البأسآء حال الفقر والضرآء حال المرض والمصائب وحين
البأس شدة القتال مع الكفار اولئك الذين صدقوا في دعوى الايمان
واولئك هم المتقون لا من اشتغل بالجدال في امر القبلة وترك الاعمال
الموصوفة المهمة ولما امر المؤمنين باتباع ما في كتاب الله وترك اتباع الآباء
والاختلاف في كتاب الله وعلم ان احكام الكتاب عامة غير مختصة قال يا
يا ايها الذين امنوا كتب فرض عليكم اي على الجميع القصاص في القتلى
كان بين حيين بني النضير وبني قريظة دمآء وقد تقرر بينهم قبل اسلامهم
ان بني النضير لقوتهم وشوكتهم يأخذون الدية كاملة وقريظة نصفها وقصاص
حرين بحر وحر بعبد وذكر بانثى فلما جآء الاسلام نزلت الاية حين تحاكموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحر بالحر اي تقتص الحر بالحر لا بحرين والعبد
بالعبد والانثى بالانثى لا يقتل بالمقتول الا قاتله فالاية غير دالة على ان لا يقتل
الحر بالعبد والذكر بالانثى كما انها غير دالة على عكسه فمن قال بعدم قتل الحر بالعبد
فدليله الحديث ولم يقل احد بعدم القصاص بين الذكر والانثى فمن عفي له من اخيه
شيء يعني القاتل اذا عفي له من جانب اخيه ولي الدم شيء من العفو وهو القصاص
ورضي بالدية فاتباع بالمعروف على العافي اتباع بالمعروف فلا يعنف في
طلب الدية ويمهله واداء اليه باحسان وعلى المعفو عنه اداء فلا يمطل
الدية وهل جزاء الاحسان الا الاحسان فعلى هذا المفعول المطلق اقيم مقام الفاعل
لان عفا لازم تتعدى بعن الى الجاني كعفوت عنك والى الجناية كعفوت عن
الذنب ومن اراد ذكرهما يذكر الجاني باللام كعفوت له عن ذنبه ومن اقتصر باللام
علم انه لم يقصد التعدية الى الجاني بل الى الجناية لكن لم يذكرها استغنآء عنها بدلالة
الكلام واذا اقتصر بعن علم انه لم يقصد التعدية الى الجناية وذكر ولي الدم بعنوان
اخيه ليبعثه على العطوفة والتحنن ذلك تجويز اخذ الدية تخفيف من ربكم و
ورحمة وقد تعين في اليهود الدية وفي النصارى القصاص فمن اعتدى

الظاهر وقد تعين في اليهود القصاص
وفي النصارى الدية كما في الكشاف
والبيضاوي والبغوي ولعله سهو من قلم الناسخ
5

بالقتل بعد ذلك العفو فله عذاب اليم في الاخرة وكان من عادة الجاهلية
العفو عن القصاص ليصير القاتل آمنا فيظفر فيقتله ولكم في القصاص حيوة
في الحكم بالقصاص نوع حيوة عظيمة لكم لانه رادع عن القتل مخافة القصاص
ودافع عن الفتنة لانها ربما تنجر الى القتل يا اولي الالباب العقول السليمة
لعلكم تتقون التقوى اسم جامع لفعل الطاعات وترك المنكرات لما ذكر
فرضية القصاص على سائر المؤمنين وانه يستلزم للحيوة ذكر فرضية
الوصية حال قرب الموت وهو حال بين الموت والحيوة قال كتب فرض عليكم
اذا حضر ظرف لكتب بمعنى ان توجه الايجاب حين حضور اسباب الموت
احدكم الموت اي اسبابه ان ترك خيرا مالا قليلا او كثيرا او مالا كثيرا
وعن علي رضي الله عنه لا بد ان يزيد على اربعمائة دينار الوصية للوالدين
والاقربين كان وجوبه في بدأ الاسلام فنسخ صرح به جماعة كثيرة من علماء
السلف واما ان اية الميراث ناسخة فمحل بحث بل لا يبعد ان يقال انها
يؤيده فنسخه لحديث صحيح عندهم بالمعروف بالعدل فلا يتجاوز الثلث
ولا يخصص من بين الاقربين الاغنيآء وجزآء ان محذوف دل عليه الكلام
حقا مفعول مطلق لكتب لانه بمعنى وجب وحق نحو قعدت جلوسا
وليس بمصدر مؤكد لان على المتقين متعلق به او صفة له وعلى كلا الوجهين
يخرجه عن التاكيد لان المصدر المؤكد لا يعمل ولا يوصف على المتقين عن المعاصي
فمن بدله بعد ما سمعه من الميت الضمير ان للوصية بمعنى الايصاء فانما اثمه
اثم التبديل على الذين يبدلونه ووقع اجر الميت على الله ان الله سميع عليم
بوصية الميت وتبديل المبدل فمن خاف علم واستعمال الخوف بمعنى العلم
والظن الغالب شايع من موص جنفا خطأ في وصية مثل وصيته باكثر
من ثلث ماله او وصيته للاغنيآء وترك الفقرا او اثما يعني انه اخطأ او تعمد
فانه بالتعمد آثم فاصلح بينهم بين الورثة والموصى لهم فلا اثم عليه على المبدل
لتبديله لانه تبديل باطل الى حق ان الله غفور رحيم فلا تقنطوا من رحمته وان
زلت لكم القدم ولما حذرهم عن مخالفة كتب الله اخذ يبين ما اوجب في القرآن
مخالفا لما في التورية بكل وجه او بعض الوجوه فقال يا ايها الذين امنوا كتب
اوجب عليكم الصيام اما صيام رمضان كما ورد فيه حديث اخرجه ابو داود

في سننه والحاكم في مستدركه او صيام ثلثة ايام من كل شهر وعاشورا
كما صرح به اكثر السلف وفي ذلك حديث اخرجه الامام احمد ثم نسخ بصوم رمضان
كما كتب على الذين من قبلكم من اهل الكتاب او قبله وقد قيل ان صوم رمضان
بالكيفية التي علينا مكتوب على الجميع لكن غيروه والظاهران ما مصدرية اي
كتب كتابة مثل كتابته على من قبلكم لعلكم تتقون فان الصوم تضييق لمسالك
الشيطان اياما معدودات اي صوموا واغتنموه اياما قلائل فلا يشق عليكم
ولا يبعد ان يكون ظرفا لتتقون يعني حصل لكم التقوى الذي هو ملاك الاسلام
في ايام قلائل فاغتنموه واستبقوا الخيرات فمن كان منكم في تلك الايام
مريضا او على سفر لم يقل او مسافرا للتفنن وفيه اشعار بانه مختار في المسافرة
بخلاف المريض فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من
ايام اخر والقضاء لايكون الا بفوت الاول فالمراد ان افطروا وعلى الذين
يطيقونه فلا يكون مريضا ولا مسافرا فدية ان افطروا طعام مسكين كان في
بدء الاسلام الخيار بين الصوم والاطعام عن كل يوم مسكينا فنسخ ومن هذه
العبارة فهم ان قوله فعدة من ايام اخر لا يدل على وجوب الافطار ولا على
اولويته في المرض والسفر فمن تطوع خيرا باعطاء الفدية اكثر من مسكين واحد
ونصب خيرا بنزع الخافض اي بخير او تقديره تطوعا خيرا فهو خير له من اطعام
واحد وان تصوموا خير لكم اي الصوم خير لكم من الافطار وزيادة فدية واحدة
ان كنتم تعلمون فضائل الصوم او ذوي علم وجواب ان محذوف دل عليه
ما قبله اي لتعلمون خيرية الصوم وعند كثير من السلف ان الاية غير منسوخة
وحينئذ معنى يطيقونه يصومونه جهدهم وطاقتهم بعسر وكلفة وهم المشايخ
والعجائز فان الشيخ الهم الفاني الذي لا يستطيع الصوم فله الافطار وعليه
الفدية على الاصح ولي فيه شبهة فان هذا الشيخ الموصوف كيف يكون الصوم
خيرا له وهو لا يستطيع والمسافر ان وجد ضررا من صومه فالاولى له الافطار
كما هو مصرح الفقه شهر رمضان مبتدا الذي انزل فيه القران خبره او تقديره
ذلكم شهر رمضان الموصوف بانه الذي انزل فيه القران جملة ليلة القدر الى السماء
الدنيا ثم ابتدأ انزاله ايضا منجما الى الارض في رمضان وعن ابن عباس ان
جميع الكتب الالهية قد نزل في شهر رمضان هدى للناس هاديا لهم لاعجازه

وبينات ايات واضحات وهدى حال من القران من الهدى والفرقان
اي القران موصوف بان اياته بينات من جملة ما هو الهدى والفارق بين
الحق والباطل وان جميع الكتب الالهية موصوف بهذين الصفتين فمن
شهد منكم الشهر حضر ولم يكن مسافرا في الشهر فليصمه اي فيه ومن كان مريضا
مرضا يشق او يضر عليه الصيام او على سفر وافطر فعدة من ايام اخر والاية الاولى
تخيير للثلاثة وهذه لهما دون المقيم بل علم منه نسخ الاولى لان من شهد عام خص
عنه المريض والمسافر فالصحيح لا يجوز عليه الافطار بحال وهو خلاف الاول على
الوجه الاول فلا تكرار يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ومن هذا اباح الفطر
للسفر والمرض وقوله ولا يريد بكم العسر للتاكيد والمبالغة فان ما لم يشأ لم يكن ولتكملوا
العدة عطف على اليسر نحو يريدون ليطفؤا او التقدير ويسر نا امور الصوم
بانه في ايام قلائل ورخصنا الفطر في السفر وفي بعض احوالكم في الحضر لتكملوا العدة
ولتكبروا الله لتعظموه على ما هديكم من وجوب الصوم ورخصة الفطر بالعذر
ولعلكم تشكرون الله في نعمه من الرخصة وقلة ايام الصوم وسهولة كيفيته
ولما كان الدعاء في شهر رمضان اقرب الى الاجابة سيما في بعض لياليه
ففي مسند الامام احمد وسنن الترمذي وابن ماجه ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام
العادل والصائم حين او حتى يفطر ودعوة المظلوم تخللت هذه الاية بين
احكام الصوم ارشادا الى الاجتهاد في الدعاء فقال واذا سالك عبادي عني
فاني قريب يعني قل من لساني اني قريب فاني اسمعكم اجيب دعوة الداع
اذا دعان وان كانت بالهمس ان راعى شرائط الدعاء فليستجيبوا لي فليجيبوا لي
اذا دعوتهم للطاعة كما اجيبهم لمهماتهم وليؤمنوا بي ليثبتوا في الايمان بي لعلهم
يرشدون الى ما هو صلاح دينهم ودنياهم اما سبب نزول الاية فقيل قال
اعرابي اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل لما نزل ادعوني استجب
لكم قيل لو نعلم اي ساعة ندعو وقيل قالت اليهود كيف يسمع الله وانت تزعم
ان بيننا وبين السماء كذا كذا سنة وقيل سأل بعض الصحابة اين ربنا فنزلت
احل لكم ليلة الصيام هي التي تصبح منها صائما الرفث كناية عن الجماع
الى نسائكم عدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وليلة ظرف للرفث عند من يجوز
تقديم معمول المصدر المعرف اذا كان ظرفا ومن لم يجوز فعنده من باب نحو

شرطية التفسير ويمكن ان يكون ظرفا لاحل بمعنى توجه الاحلال فيها نحو
كتب عليكم اذا حضر وقد مر وكان فى بدء الاسلام حكم بعد عشاء ليلة الصوم
حكم نهاره فجاء عمر رضى الله عنه واعتذر عما وقع عليه من الرفث بعد العشاء
ثم قام رجال بعد اعترافه واعترفوا واعتذروا فانزل الله فحسن موقع انكم كنتم
تختانون هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب
الاحلال وهو قلة الصبر عنهن لكثرة المخالطة بينهم كان كلا منهما لباس للاخر
والله لا يريد بكم العسر وعن ابن عباس هن فراش وانتم لحاف علم الله
انكم كنتم تختانون من الخيانة ولم يقل تخونون للمبالغة كالاكتساب فى الكسب
انفسكم تظلمونها فتاب عليكم قبل الله توبتكم عطف بالفاء على مقدر وهو
وتبتم وعفا عنكم الخيانة بحيث لا يبقى درنها عليكم فالآن باشروهن المباشرة
كناية عن الجماع يعنى رخصت لكم المباشرة من اول ليلة الصيام الى الصبح
وابتغوا ما كتب الله لكم اى اطلبوا واسألوا ما قدره لكم من الاولاد وفيه اشارة
الى ان المقصود الاصلى من المباشرة تحصيل الولد فيل معناه اطلبوا
المحل الذى احل لكم لا الدبر وكلوا واشربوا جميع الليل حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود اى يتبين بياض الصبح من سواد الليل من الفجر
من بيانية بيان للخيط الابيض وعلى الحقيقة بيان للخيط الابيض والخيط
الاسود كما اختاره صاحب المفتاح او تبعيضية يعنى حال كون الخيط الابيض
بعض الفجر فانه اول ما يبدو منه ولا يجوز ان يكون من الفجر متعلقا بيتبين بمعنى
لاجل الفجر ثم اتموا الصيام باركانه وشرائطه الى الليل ولا تباشروهن وانتم
عاكفون فى المساجد فيه اشارة الى ان الاعتكاف فى المساجد من سنن
رمضان ولا يجوز فى لياليه مع الاعتكاف المباشرة تلك اى الاحكام المذكورات
من باشروا وابتغوا وكلوا واشربوا كلها للاباحة واتموا للايجاب ولا تباشروا
للتحريم حدود الله اى ذوات حدوده فلا تقربوها كيلا تؤدى الى تجاوزها والى
والوقوع الى حيز الباطل ومجاوزة حيز الحق واما الاستدلال بالاية فى جواز النية
فى صوم رمضان بعد ظهور الصبح فليس ببعيد مع مجال البحث لكنه خلاف
الاجماع عملا بالسنة كذلك مثل هذا التبيين يبين الله اياته للناس لعلهم
يتقون مخالفة امره لظهور المقصود من الايات ولما امر بالصوم وهو الامساك

عن المفطرات فى اكثر اوقات شهر الصوم ثم احل لهم فى بعض اوقاته الاكل
والشرب امرهم بوجوب حلية الماكل سيما فى هذا الشهر المعظم وخص بالمنع
هذا القسم من الحرام الذى فيه شبهة الحلية عند بعض لحكم حاكم بها ليدل على
ان الباقى بطريق الاولى فقال ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اى لا ياكل
بعضكم مال بعض بوجه غير مباح وبينكم وبالباطل متعلق بتاكلوا وفائدة
بينكم تقبيح لما هم يتعاطونه لان المنكر الفاشى اقبح مما يطلع وتدلوا بها
الى الحكام الادلاء الالقاء اى وان تلقوا بحكومة الاموال الى متعلق الحكام وضمير
بها الى الاموال بحذف المضاف لتاكلوا فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم
بما يوجب الاثم كاليمين الكاذبة وشهادة الزور او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون
انكم على الباطل وارتكاب الباطل مع العلم اقبح ولما بين احكام شهر رمضان
ولا يعلم الشهور الا بالهلال والشمس والقمر ايتان من ايات الله والله يبين
اياته للناس تحرك العزم بالسؤال عن هذه الاية فناسب قوله يسألونك
عن الاهلة سأل بعض الصحابة ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد ثم ينقص
قل هى مواقيت للناس والحج سألوا عن حكمة اختلافه فاجاب بان حكمته
الظاهرة انه معالم الناس يوقتون بها امورهم سيما الحج وهو عطف الخاص
على العام واما ان الجواب من باب اسلوب الحكيم بان السائل سأل عن سببه
واجاب بحكمته فليس بظاهر ولما كان قاعدة بعض من الانصار انه ان احرم
من كان من اهل المدر نقب نقبا من ظهر بيته يدخل ويخرج منه او يتخذ سلما
ومن كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء وسألوا عن حكمة اختلاف احوال
القمر واجاب عن حكمته الظاهرة ناسب ان يسألوا عن حكمة فعلتهم الردية فى
فى الحج التى يسمونها برا لكن ردها ليعلم ان لا حكمة فيها فقال وليس البر ان تأتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر بر من اتقى المحارم واتوا البيوت من ابوابها
اتركوا سنة الجاهلية وتقدير الكلام قل هى مواقيت وقل ليس البر وقل ايتوا
البيوت واتقوا الله ان تدخلوا فى الطاعات ما هو من الاثام لعلكم تفلحون
تظفرون بالفلاح والنجاة وقاتلوا فى سبيل الله فانها هى البر الذين يقاتلونكم
الذين يناصبون الحرب ولهم قوة ذلك يعنى كما ان همتهم قتالكم فلتكن همتكم كذلك
فهو من باب التشجيع والتحريض ولا تعتدوا كما ظهر الاعتداء عنكم فى بعض امورهم

فلا تقتلوا النساء والصبيان ولا تقطعوا اشجارهم وحيوانهم من غير
مصلحة ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم
وجدتموهم من حل وحرم واخرجوهم من حيث اخرجوكم مكة ويوم الفتح قد اخرج
من لم يسلم والفتنة اشد من القتل صدهم اياكم من وطنكم اشد من قتلكم
اياهم في الحرم فانهم لشركهم واعتدائهم يستحقون وجزاء سيئة سيئة
مثلها ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حرمة للحرم حتى يقاتلوكم فيه ولهذا وصى
رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد يوم الفتح بان لا يقاتل الا مع
من يقاتله فان قاتلوكم ابتدأوا بالقتال في الحرم فاقتلوهم مكافاة كذلك
جزاء الكافرين يفعل بهم ما فعلوا والاصح الذي عليه الاكثرون ان قوله واقتلوهم
حيث ثقفتموهم اية محكمة لا يجوز في الحرم ابتداء القتال وفي الصحيحين انه صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح قال هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض
فهو حرام بحرمة الله تعالى الى القيمة ولم يحل لي الا ساعة من نهار فان احد
ترخص بقتال رسول الله فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم ياذن لكم فان انتهوا
عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة شرك في الحرم فانه سبب الفتنة ويكون الدين لله فلا يعبد شيء غيره فا
فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين يعني لا تعتدوا على الم
المنتهين اذ لا يظلم الا من ظلم وسمي جزاء الظلم ظلما كجزاء سيئة سيئة فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه والفاء للتعقيب وقيل معناه ان انتهوا فلا
فلا تتعرضوا لهم فان تعرضتم لهم صرتم ظالمين وانعكس الامر والفاء للجزاء
الشهر الحرام بالشهر الحرام عام الحديبية الذي صد المشركون المسلمين عن العمرة
كانت في ذي القعدة وليس فيه قتال وخرج المسلمون عاما آخر في ذي القعدة
لعمرة القضاء خائفين القتال لحرمة شهر الحرام فقال تعالى هذا بذاك هم هتكوا
حرمة الشهر بصدكم فلا تبالوا ان وقع قتال والحرمات قصاص كل حرمة وهو
ما يجب عليه المحافظة يجري فيه القصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم يعني اعتدى المشركون عليكم بصدكم عن مكة فا
فادخلوها عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم واتقوا الله عما لم يرخص لكم واعلموا
ان الله مع المتقين بالحماية والنصر والرعاية وانفقوا في سبيل الله

كالجهاد والحج ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بعدم الانفاق في سبيل الله سيما
في الجهاد فان ترك القتال والامساك عن القتال القاء النفس
في التهلكة في الدارين لان ذلك تجرئة اعداء الله وكسر الاسلام وورد
في هذا المعنى حديث رواه الترمذي والنسائي وصححه الحاكم او معناه
انفقوا ولا تلقوا انفسكم بالاسراف في الانفاق بحيث لا يبقى لكم ما تعيشتم به
او المراد انفقوا في الخيرات ولا تبخلوا فان البخل هلاك والمراد من الايدي
الانفس فالباء مزيدة او لا تلقوا بايديكم انفسكم فالمفعول محذوف
وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء وهو متعد بعلى القوة على وجه ابى
واحسنوا اعمالكم او الظن بالله ان الله يحب المحسنين الى نفسه والى
غيره واتموا الحج والعمرة لله بمناسكهما وحدودهما وسننهما لله لا لغرض من
تجارة وغيرها ومن اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وحين خرجت
من دارك نيتك خالصة فان احصرتم منعكم العدو عن اتمامهما
وفي حكمه المرض المانع من الاتمام فما استيسر اي فعليكم ما تيسر من
الهدي يعني المحصورون ان ارادوا التحلل فتحلله بذبح هدي من بدنة او بقرة او
او شاة على الصحيح ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله يعني لا يجوز
خروجكم من الاحرام قبل وصول هديكم محلا يحل ذبحه فيه وهو مكان الحبس
فان رسول الله واصحابه ذبحوا هديهم وحلقوا رؤسهم في الحديبية وهي
ليست من الحرم على الاصح ولا يبعد حينئذ ان يكون معناه حتى تذبحوا
هديكم او معناه حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ الحرم وذبح فيه
فمن كان منكم مريضا مرضا يحتاج الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة
وقمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام ثلثة ايام او صدقة
ثلثة آصع على ستة مساكين او نسك ذبح شاة وهو مخير بين الثلثة
فاذا امنتم ما احصرتم وتمكنتم من التوجه الى مكة فمن تمتع بالعمرة الى الحج استمتع
بالتقرب الى الله بالعمرة في اشهر الحج الى ان وصل الحج فحج يعني من اعتمر
في اشهر الحج واحل ثم حج في تلك السنة فما استيسر اي فعليه ما استيسر
من الهدي كما مر فمن لم يجد الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج فعليه صوم
ثلثة في ايام الاشتغال بالحج بعد الاحرام وقبل التحلل او في اشهر الحج بين

بين الاحرامين وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم بعد الوصول او المراد بعد
الفراغ من الحج تلك عشرة كاملة فائدتها التاكيد والاهتمام بتمام الصوم
وان يعلم ان الواو لا بمعنى او والمراد من السبعة العدد المعين فان السبع
قد يجئ للكثرة كالسبعين ذلك الحكم المذكور او ذلك اشارة الى التمتع
فعند بعض لا تمتع ولا قران لحاضري مسجد الحرام لمن لم يكن اهله حاضري
المسجد الحرام من اهل الحرم او من اهل مكة او من كان وطنه من مكة دون مسافة
القصر او دون الميقات واتقوا الله في مخالفته واعلموا ان الله شديد
العقاب للمخالفين الحج اي وقته اشهر معلومات معروفات شوال وذو القعدة
وعشر من ذي الحجة وعلى هذا فيه مجاز من اطلاق الكل وارادة البعض
او تمام ذي الحجة وفائدة الخلاف كراهة العمرة في بعضه او في تمامه فان العمرة
في اشهر الحج مكروهة والاكثرون من السلف على عدم جواز الاحرام بالحج
في غير اشهر الحج وعند بعض جائز لكن خلاف الاولى فمن فرض فيهن الحج
اوجب على نفسه في اشهره الحج بالاحرام فلا رفث لا جماع ومقدماته
كالتقبيل او التكلم به في حضورهن في حكمه ولا فسوق فان المعاصي سيما
الكبائر في الاحرام اقبح او المراد من الفسوق محظورات الاحرام فقط ولا جدال
المخاصمة والمراء كان المشركون يقفون في الحج ويتفاخرون ويتجادلون
في تجارهم قيل ونعم ما قيل لا رفث ليس نفيا لوجوده بل لمشروعيته فيرجع الى
نفي وجوده مشروعا لا محسوسا كلا يمسه الا المطهرون والمطلقات يتربصن
وهذه الدقيقة اذا تذكرتها لا تحتاج الى ان تقول ان الخبر بمعنى النهي في الحج
في ايامه وشانه وما تفعلوا من خير يعلمه الله من غير اعلام فهو حث على
الخير بعد النهي عن الشر وتزودوا التقوى فانه زاد الى سفر القيمة فان خير
الزاد الى القيمة التقوى ولما حذف مفعول تزودوا اتى بخبر ان ظاهرا
ولولا الحذف لاتى به مضمرا ومن التقوى الكف عن السؤال والابرام وقد نقل
انه نزل في اهل اليمن يحجون بلا زاد ويسالون الناس واتقون يا اولي
الالباب فان التقوى ملاك الامر ليس عليكم جناح مؤاخذة ان تبتغوا
في بغيتكم فضلا من ربكم عطاء ورزقا بالتجارة او بالكسب حين احرامكم
قيل سبب نزوله سؤال الجمالين هل لنا حج فاذا افضتم من عرفات انصرفتم

عنها فاذكروا الله عند المشعر الحرام بالدعاء والتلبية عند ظرف لاذكروا واولى
ان ناخذ زمان الافاضة ممتدا الى منى فالذكر عند المشعر واقع في بعض
اجزائه فلا تدل هذه العبارة على ان جواب اذا غير عامل في اذا لان زمان
ذكر الله عند المشعر غير زمان انشاء الافاضة واذكروه بالتوحيد والتعظيم
كما هديكم كما علمكم او كما ذكركم بالهداية فهداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين
قبل الهدى لمن الجاهلين بالطاعات ان مخففة واللام هي الفارقة ومن
ومن قبله معمول لمن الضالين عند من يجوز تقديم المجرور على العامل الواقع
صلة الالف واللام ومن لم يجوز فبطريق شريطة التفسير ثم افيضوا من حيث
افاض الناس اي من عرفة فان قريشا يقولون نحن اهل الله لا نخرج
في الحج من حرم الله بخلاف الناس وحينئذ ثم للتراخي في الاخبار او من
مزدلفة الى منى وعلى هذا قوله من حيث افاض الناس اشارة الى انه
عادة وطاعة معتادة قديمة واستغفروا الله من جاهليتكم وعما فرطتم
ان الله غفور للزلات رحيم على عباده فاذا قضيتم مناسككم فرغتم من
عبادات الحج فاذكروا الله كذكركم اباءكم كان قبل الاسلام بعد الفراغ من
الحج يقفون زمانا ويفتخرون باباءهم فامرهم الله بعد الاسلام بالوقوف
في ذكر الله كذكرهم مفاخر اباءهم او اشد ذكرا من ذكركم اباءكم والاولى من
وجوه اعرابه ان ذكرا مصدر لفاذكروا والان كذكركم صفة لمصدر محذوف
وقوله او اشد عطف على كاف كذكركم وكذكركم في الحقيقة صفة لذكرا والصفة
اذا قدم على الموصوف صار حالا وتاخير ذكرا لان لا يجتمع الالفاظ ولا نكر
فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا ليست لهم مطالب الا الدنية الدنيوية
وهذا التقسيم للمامورين بالذكر بعد الفراغ وفيه التفات فان الظاهر فمنكم
ومنكم وما له في الاخرة من خلاق نصيب قيل من طلب خلاق وعلى هذا
توكيد للاول وعلى الوجهين في الاخرة متعلق بخلاق والوجه هو الاول
ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة هي العافية وفي الاخرة حسنة
هي النظر الى وجه الله او عافية الدين او المراد من الحسنة في الموضعين الجنس
وقنا عذاب النار تخصيص بعد تعميم وفي مسند الامام احمد ان هذا اكثر دعاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك لهم نصيب مما كسبوا يعني الجماعة

الثانية لهم نصيب مما دعوا به تعطيهم قدر ما زيده والدعآء كسب او مما عملوا
من الطاعات والله سريع الحساب مع الفريق الثاني لان يتخلصوا من هوله
او سريع الحساب مع كثرة الخلق وكثرة اعمالهم قيل اولئك يعني الفريقين
لهم نصيب من اعمالهم فنصيب فريق الاول حظهم في الدنيا ان اراد الله وفي
الاخرة عذاب النار ونصيب فريق الثاني حظ الدنيا وحظ الاخرة والخلاص
من النار ومن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز واذكروا الله في ايام
معدودات يوم النحر وثلثة ايام بعده سيما بعد الصلوات وعلى الاضاحي
وعند الجمرات فمن تعجل في النفر وتعجل يجي لازما ومتعديا والمناسب هنا
اللزوم لمقابلة ومن تاخر في يومين اي في ثاني يومين بحذف مضاف
او يكون من قبيل يخرج منهما اللؤلؤ ونفر بعد رمي اليوم الثاني فلا اثم عليه الى العام
الاتي كذا قاله علي وابن عباس وابن مسعود وغيرهم ومن تاخر في النفر
الى اليوم الثالث فلا اثم عليه كالاول لمن اتقى في حجه وهو خبر محذوف
يعني ذلك وهو اشارة الى التخيير او الى الاحكام المذكورة فانه الحاج حقيقة
او عدم الاثم لمن اتقى في حجه او معناه لا اثم عليه في تقدمه ولا في تاخره فان بعض
الجاهلية كانوا يؤثمون المتقدم وبعضهم يؤثمون المتاخر واتقوا الله واعلموا
انكم جميعا اليه لا الى غيره تحشرون فلا تخالفوا امره ونهيه فانه يعلم السر والعلانية
ولما ذكر ان النافع هو التقوى ولا بد لكل من الحشر الى عالم الخفيات اخذ يبين
حال من يرضى رسول الله بلسانه بان هذا النوع من الارضاء لا ينفع عند الله
في المحشر فقال ومن الناس من يعجبك قوله يعني يروقك ويرضيك
في الحيوة الدنيا متعلق بقوله اي قوله في امور الدنيا يعجبك او يعجبك
اي في الدنيا يعجبك لا في الاخرة او يعجبك ما دام في الحيوة اي دائما فانه
لا يصدر منه الا قول رائق ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ان قلبه موافق
لسانه قائلا ان الله شاهد على ما في قلبي وهو الد الخصام شديد الخصومة والجدال
للمسلمين وهذا في شخص معين حلو الكلام منافق يسمى باخنس بن شريق
او عام للمنافقين والخصام مصدر كما قاله الخليل والحمل للمبالغة فان الالد هو
الشخص المخاصم او جمع خصم كما قاله الزجاج اي اشد الخصوم خصومة فان
الالد شدة الخصومة وكل شديد فهو بالنسبة الى دونه اشد الالد دمما يبني منه

افعل الصفة لا افعل التفضيل بدليل لد في جمعه ولدآء في مؤنثه واذا تولى
انصرف عنك او اذا صار واليا غالبا سعى في الارض يسرع وفائدة
في الارض العموم ليفسد فيها بكل ما يتمكن منه ويهلك الحرث والنسل ح
خصوصا والاخنس حين كان يرجع الى مكة احرق زرع المسلمين وعقر
حمرهم وقيل بالفساد والظلم يمنع القطر ويهلك الحرث والنسل
والله لا يحب لا يرتضي الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم
حملته حمية الجاهلية وعظمته وكبره على الاثم المنهي عنه لجاجا قيل على هذا
الباء للتعدية اي الزمته العزة الاثم والتعدية بالباء في الفعل اللازم وقل
في المتعدي لكنه ثابتة فقيل معناه اخذته الحمية بسبب ارتكابه الاثام
فحسبه جهنم كفته جزآء ولبئس المهاد والله لبئس المقر جهنم ولما كان المهاد
ما يستريح فيه فاطلاق المهاد على الهزء ومن الناس من يشري يبيع نفسه
بالبذل في الطاعات سيما الجهاد ابتغآء طلب مرضات الله كصهيب بن
سنان الرومي عذبه المشركون ليرتد فاعطى جميع امواله واتى المدينة والله
رؤف بالعباد لارشادهم الى الهدى وجعل حسناتهم مضاعفة وعدم
مضاعفة سيئاتهم ولما ذكر القسمين من الناس المنافق والموافق خاطبهم
بالنصح التام فقال يا ايها الذين امنوا بنبي من الانبيآء ادخلوا في السلم
كافة في الاسلام او في الطاعة جميعا لا يشذ احد عن الاخر ولكن جميعكم في
ذلك شرعا واحدا ولا تقسموا فيكون بعضكم كمن يشري وبعضكم كالالد الخصام
وكافة حال من الفاعل لا من السلم قال في المغني قول الزمخشري حال
من السلم وهم وكذا في قوله وما ارسلناك الا كافة اي رسالة كافة لان
كافة مختص بمن يعقل وقيل معناه ادخلوا بكليتكم بالقلب واللسان وجميع
الجوارح فيه قيل نزلت في مؤمني اهل الكتاب الذين اسلموا ولكن في قلوبهم
تعظيم السبت وتحريم الابل ومحبة قرآءة التورية ولا تتبعوا خطوات
الشيطان اثاره المزينة لكم فنهاية اقدامه وخطواته جهنم انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة فان زللتم عدلتم عن الحق من بعد ما جآءتكم البينات
على حقية الاسلام من المعجزات وايات التورية فاعلموا ان الله عزيز
لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم بظلم هل ينظرون هل ينتظر من زل من بعد

ما جاءته البينات واتبع خطوات عدو الله استفهام بمعنى النفي ولذلك
جاز الاستثناء وصيغة الغيبة ايماء على انهم في غاية البعد عن موطن الرأفة
الا ان يأتيهم الله في ظلل جمع ظلة والجمع باعتبار انه في غاية الخفاء من الغمام
السحاب الابيض كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم حين قالوا اين كان
ربنا قبل خلق العرش في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ومذهب السلف
الصالح الايمان بمثل ذلك ووكول العلم الى الله سبحانه والملئكة اتيانهم
على حقيقته فان المذهب الصحيح ان الملئكة اجسام لطاف وقضى الامر
فرغ من حسابهم ووقعوا في عقابهم والى الله ترجع الامور فيجازيهم
بما يليق بهم وقيل معناه يأتيهم بأس الله في ظلل والعذاب اذا جاء
من مكان يجيء منه الرحمة يكون اصعب سل يا محمد او خطاب لمن يتأتى
منه السؤال بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة هم معترفون
بها نحو ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وكم استفهامية
علقت سل عن جملة كم آتينا فان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله الا
الجار ولما كان السؤال سبب العلم اجري مجرى افعال القلوب
فان التعليق لا يكون الا في افعال القلوب فكم اتيناهم واقع موقع
المفعول الثاني نحو سلهم ايهم بذلك زعيم والسؤال للتقريع لا لقصد
ان يجيبوا وكلمة كم مفعول ثان لآتيناهم ومن آية تمييز على زيادة من
فقد حسن زيادتها اذا فصل بين كم ومميزها ومن يبدل نعمة الله التي
هي سبب الهداية والايمان كفرا من بعد ما جاءته يعني من بعد ما عرفها
وتمكن من ذلك فان التبديل لا يمكن الا بعد المجيء فان الله شديد العقاب
والاولى ان جواب من محذوف وهو فيعاقبه وقوله فان الله الخ
دال عليه ومثل ذلك كثير في القران وحاصل المعنى سلهم عن الآيات
التي هم معترفون بها ثم بدلوا وكفروا فعاقبهم الله لكي يعتبر سائرهم و
يتعظوا فيكون الناس امة واحدة وقوله ومن يبدل الى اخره
دال على تبديلهم وكفرهم وعقابهم زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
حسنت في اعينهم فاعرضوا عن غيرها ويسخرون من الذين امنوا امر
من فقراء المؤمنين كبلال وعمار والذين اتقوا اي وهم لتقويهم فوقهم

قدرنا كفرا مفعول ثان لتبديل على طريق قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا منه

يوم القيمة صورة ومعنى فانهم في الجنة وهم في النار والله يرزق
من يشاء بغير حساب وكثرة الرزق غير دال على العزة عند الله بل
ربما تكون استدراجا لهلاكهم كان الناس اي جميعهم امة واحدة
متفقين على الحق ليس فيهم كفر قال ابن عباس وغيره بين نوح
وآدم عشر قرون لا كفر فيهم فبعث الله اي فاختلفوا في الحق فبعث
الله ودل على ذلك قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه قال الله
في سورة يونس وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل
متفقين على الكفر زمن نوح النبيين مبشرين لمن اطاع ومنذرين
لمن عصى وانزل معهم الكتاب لا يلزم ان الكتاب مع كل واحد منهم
بالحق ملتبسا به ليحكم الكتاب او الله او كل من الانبياء بين الناس
المختلفين فيما اختلفوا فيه فيرجع كلهم الى الحق ويكون الدين كله لله
وما اختلف فيه في الكتاب المنزل لازالة الاختلاف الا الذين اوتوه
الكتاب لرفع الاختلاف من بعد ما جاءتهم البينات اي اختلفوا
من بعد الحجج الواضحات بغيا بينهم اي حسدا وظلما فقوله من بعد وقوله
بغيا متعلق بمضمر هو اختلفوا يعني انزل الكتاب ليتفقوا لكما كانوا
فازدادوا الاختلاف وعكسوا الامر واختلافهم كفر بعضهم بكتاب
بعض وتحريفهم فهدى الله الذين امنوا منهم لما اختلفوا لمعرفة ما اختلفوا
فيه من الحق من بيان لما باذنه اي امنوا واختلفوا بارادته كاختلافهم
في القبلة وفي دين ابراهيم وفي نبوة عيسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا من جمع له اسباب
الهداية ولما كانت حكاية الاتفاق ومزيد الاختلاف بعد انزال
النبيين والكتاب لتشجيع المومنين وتثبيتهم على الدين خاطبهم بقوله
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة والهمزة للانكار يعني ما كان
ينبغي ان تحسبوا ولم تحسبوا ولما يأتكم اي لم يأتكم وزيد عليه ما وفيها
معنى التوقع يعني الفعل الذي هو الاتيان منتظر مثل الذين خلوا
من قبلكم اي مثل صفة من مات من قبلكم من الامم مستهم
الباساء والضراء جملة مستانفة كانه سال ما صفتهم قال

مستهم الفقر والمصائب وزلزلوا بعداوة الاعداء حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه يعني مستهم المصائب سيما من الاعداء الى غاية قال الرسول
ومن آمن معه بان لقنهم الايمان او اجتمع ايمانه وايمانهم في زمان واحد
وقيل معه حال من الذين متى نصر الله يعني بلغ بهم الشدة فلم يبق لهم صبر
واستبطؤا النصر الا ان نصر الله قريب قيل لهم ذلك وعدا من الله
اجابة لطلبتهم قيل قوله متى نصر الله قول الذين آمنوا والا ان نصر الله
قريب قول الرسول فالمجموع قولهما وحاصله انه لابد لكم ان يصيبكم مثل
ما اصابهم فاصبروا وانتم كما صبروا فيأتيكم نصر الله ولما بين انه يصيبكم مثل
ما اصابوا ومنه الصبر في الفقر وعلم من اول السورة الى هذا الموقع فضل
الانفاق ناسب السؤال عن الانفاق فقال يسئلونك ماذا ينفقون
سال شيخ كبير كثير المال عما يتصدق وعلى من ينفق قل ما انفقتم من خير
اي خير كان فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل اجاب
ان الاهتمام في شان المصرف فان الخير كلا خير الا بعد وقوعه موقعه
ان كثر او قل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بقدره فالجواب
مطابق لسؤاليه ولما كان افضل الانفاق ما هو في سبيل الله وافضل
السبل الجهاد اخذ بين حال الجهاد ومكانه فقال كتب عليكم القتال اي فرض
وهو كره لكم شاق مكروه ففيه مبالغة كزيد ضرب وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم وعسى للاشفاق وهو تامة لا تحتاج الى خبر وعسى هو للترجي ان
تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم الخير والشر وانتم لا تعلمون او معناه الله
هو العالم وانتم الجاهلون يسألونك عن الشهر الحرام ارسل سرية وقاتلت
المشركين اول رجب نظن انه من الجمادى فعيرهم المشركون قائلين استحللتم
ما عظمتم شهر الله الاصم والسائل المؤمنون كباقي الاسولة الخمسة او المشركون
لقوله ولا يزالون يقاتلونكم وعلى هذا لم يعطف على الاول ولم يعطف الثالث
عليه لاختلاف السائل قتال فيه بدل اشتمال من الشهر وقد وصف قتال
بقوله فيه وعندهم ان النكرة تعم بعموم الوصف ومن ههنا جاز ابداله من
المعرفة قل قتال فيه كبير ذنب عظيم والاصح انها غير منسوخ والاستدلال بعموم
بعض الايات في جواز القتال غير تام فان العام لا يكون ناسخا للخاص فيه

صفة لقتال او متعلق به والنكرة الصرفة اذا افادت فائدة جاز ان تكون مبتدا
نحو كوكب انقضت الساعة وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام
عطف على سبيل الله اي منعهم عن المسجد الحرام والفاصلة بين المصدر
وهو صد وصلته وهو المسجد جائز لما بين الصد عن سبيل الله وكفر به اتحاد
معنوي كانه لا فاصلة واما عطف المسجد على الضمير وان جوزه المحققون
بلا اعادة الجار نحو تساءلون به والارحام فليس لكفر بالمسجد الحرام معنى الا بتكلف
واخراج اهله منه اهل المسجد من المسجد كنبي الله والمهاجرين اكبر عند الله وزرا
مما فعلته السرية خطأ والفتنة اكبر من القتل اقبح واشد لانها تفضي الى القتل
وفضائح أخر ولا يزالون اي المشركون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم
حتى معناه التعليل اي هم يقيمون على فعلتهم القبيحة غير ناكصين عنها
لي يردوكم ان استطاعوا هذا استبعاد عن الاستطاعة كقول الواثق
بنفسه ان استطعت فاضربني ومن يرتدد منكم عن دينه يرجع عن
دينه الى دينهم فيمت وهو كافر يثبت في دينهم الى الموت فاولئك حبطت
اعمالهم بطلت ومحقت اعمالهم النافعة في الدنيا والاخرة لا يترتب على
اعمالهم الفوائد الدنيوية ولا الاخروية واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
عطف على فاولئك يعني من ارتد ومات على الكفر فقد ترتب عليه حبوط
الاعمال والخلود في النار ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في
سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله ما اراد به تخصيص وجود الرجا
فان غيرهم قد يرجون لكن خصص بهم استحقاق الرجا يعني اولئك
يستحقون ان يرجوا رحمة الله نزلت في تلك السرية ظنوا انهم ان سلموا
من الاثم ليس لهم اجر والله غفور رحيم وان افرطوا وفرطوا ولما كان
الخمر مذهبا للعقل لكن تعاطيه مفرج للكروب المجتمعة في القلوب من مصائب
الدنيا ومزيح للبخل ومشجع سألوا عن تعاطيه فقال يسألونك عن الخمر
والميسر عن شرب الخمر ولعب القمار قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير حيث
يؤدي الى مخاصمة وفحش وزور وليس المراد من الاثم الاثم الاخروي بل يعني
المضرات الكثيرات فلا يدل صريحا على حرمتهما ومنافع للناس من قوة
البدن والطرب والتجارة فيه وكسب المال واثمهما اكبر من نفعهما فان

مفاسدهما التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما ويسألونك
ماذا ينفقون سئل عن مقدار ما ينفق قل العفو اي ما فضل عن العيال
من المال او افضل مالك واطيبه وماذا كلها استفهامية في موضع نصب
ينفقون وحينئذ العفو بالنصب مناسب للسؤال اي ينفقون العفو لذ
كذلك مثل ما فصل وبين هذه الاحكام يبين الله لكم الايات سائر الايات
في احكامه ووعده ووعيده لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة امورهما فتعلموا
زوال الدنيا واقبال الاخرة وبقاءها ويسألونك عن اليتامى لما نزل ان
الذين يأكلون اموال اليتامى الآية اعتزلوا عن كثير من مخالطة اليتامى فشق ذلك
وسألوا فنزل قل اصلاح لهم خير يعني مداخلتهم لاصلاحهم خير من مجانبتهم
وان تخالطوهم فاخوانكم فهم اخوانكم ولا بأس من خلطتهم فهذا احث على
المخالطة قيل معناه اصلاحهم وضبط اموالهم من غير تخليط مالكم الى مالهم
خير وان تخالطوهم فلا حرج لانهم اخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح
فلا تفسدوا عند المخالطة واصلحوهم ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء مشقتكم
لشق عليكم بان امركم بالمجانبة مع المحافظة وكلفكم ما يشق عليكم ان الله عزيز
غالب حكيم لا يفعل الا ما في تحته حكم ومصالح ولما رخص في مخالطة اليتامى
لاصلاحهم نهى عن نوع من مخالطة المشركات فقال ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن فانهن اعداء ولا يصلح لكم تلك المخالطة التامة معهن والمشركات
عبدة الاوثان ولامة مؤمنة خير من حرة مشركة فان الرقية مع الايمان اعلى
واغلى من الحرية مع الشرك ولو اعجبتكم المشركة لجمالها ومالها الواو للعطف
على مقدر اي ان لا اعجبتكم وان اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين المؤمنات حتى
يؤمنوا الا تزوجوا المؤمنات من المشركين حتى يؤمنوا فثاني مفعولي انكحوا
محذوف ولعبد مؤمن مع نقص الرقية خير من مشرك حر مع وصف الحرية
ولو اعجبكم الحر المشرك فان الشرك ذم يزيل جميع مدحه قيل فيه دليل لمن
يعتبر الولي في نكاحها اولئك المشركون والمشركات يدعون فيه نوع
من التغليب الى النار الى اعمال موجبة للنار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة
الى العمل الموجب لهما باذنه بتيسيره ومفعول يدعون ويدعو محذوف
اقتصارا فان الغرض الدعاء الى الجنة والى النار من غير ملاحظة مفعول

خاص وقيل المراد اولياء الله يدعوا الى الجنة يعني المؤمنون والمؤمنات
لمقابلة اولئك يدعون ولقوله باذنه لان معنى باذنه في كل موقع وقع في
القران بارادته وامره ولا معنى لقوله والله يدعو بارادته ويبين اياته
للناس لعلهم يتذكرون حسن ما دعاهم اليه وقبح ما نهاهم عنه ولما بين
احكام النكاح بين المسلمين والمشركين وفي النكاح شائبة للوقاع ناسب
سؤال زمان الغشيان ومكانه فقال ويسألونك عن المحيض اي الحيض
والمحيض مصدر قل هو اذى مستقذر فاعتزلوا النساء في المحيض اعتزلوا
مجامعتهن في الحيض ولا تقربوهن بالجماع حتى يطهرن بان يغتسلن
فلا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن وقيل معنى يطهرن تطهر موضع الدم
بالماء حتى يرتفع عنه كونه نجسا يحل الوطئ قاله الاوزاعي ومحمد بن حزم
فاذا تطهرن بما يتطهر به من الماء والتراب فأتوهن بالوقاع من حيث
امركم الله من المأتي الذي حلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين
الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة ويحب المتطهرين من الاقذار الظاهرة
والباطنة واذا لم يجز غشيانهن في الحيض لانه اذى فحرمة غشيانهن في الدبر اظهر
واوضح وافضح نساؤكم حرث لكم اي موضع حرث فأتوا حرثكم انى
شئتم اي جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان لا تتركوا موضع الحرث
لا كما قالت اليهود مجامعة المرأة من جانب الدبر في قبلها سخط عند الله
ويجعل الولد احول وقدموا لانفسكم امتثال ما امر واجتناب ما نهى عنه
قال الله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله واتقوا الله في معاصيه
واعلموا انكم ملاقوه يوم القيمة فاحذروا عن الفضيحة وبشر المؤمنين عطف
على قل هو اذى اي بين الامر الالهي لهم وبشر من استقبله بالقبول و
ولا تجعلوا الله يعني امتثلوا ما امرتم بلسان نبينا ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس يعني لا تجعلوا الله مانعا وحاجزا
لما حلفتم عليه من الخيرات كالبر والاتقاء والاصلاح ان لا تفعلوها بل افعلوا
الخير ودعوا اليمين ولا تقولوا كيف نفعله واسم الله يعني الحلف حاجز بيننا
وبينه فعلى هذا العرضة اسم لما تعرضه دون الشيء نحو فلان عرضة دون الخير
والايمان مجاز عما يتعلق به ويتلبس من الامور المحلوف عليها بالترك قال

عليه الصلوة والسلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر
عن يمينه وليفعل الذي هو خير اخرجه في الصحيحين وقوله ان تبروا بدل
من ايمانكم وقوله لايمانكم متعلق بعرضة تعلق المفعولية اي لا تجعلوه
شيئا عرض المحلوف عليه الذي هو البر فصار حاجزا دونه او متعلق
بالفعل المنهي وقيل اللام للتعليل اي لا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به حال
كونكم مريدين البر عرضة اي للبر وعلى هذا الايمان على حقيقتها وان تبروا
حال من فاعل تجعلوا الا انه بتقدير اللام متعلق بعرضة لانه يلزم منه الفاصلة
بين عرضة ومعمولها باجنبي هو لايمانكم الذي هو متعلق بالجعل وقيل العرضة
بمعنى المعرض للامر يقال هو عرضة للبلاء واصل العرضة القوة يقال
للجمل القوي هذا عرضة للسفر اي قوي عليه وعلى هذا ايضا الايمان على حقيقتها
واللام المقدرة في ان تبروا للتعليل وحاصله لا تكثروا الحلف كي تكونوا بارين
متقين مصلحين فان الحلاف مذموم عند الله مجترئ غير متق او ان تبروا
نصبه بنزع الخافض والعامل فيه لايمانكم فنهوا عن استذلال اسم الله وجعله
معرضا لاقسامهم على البر والتقوى والاصلاح اللاتي هن اوصاف
جميلة لما يخاف في ذلك من الحنث فكيف اذا كان اقساما على ما ينافي
البر والتقوى والاصلاح والله سميع لايمانكم عليم بمقاصدكم لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم هو ما يجري على اللسان عادة كلا والله وبلى والله
او حلف نظن صدقه ولا يكون كذلك او الحلف في حال الغضب او ان
تحرم ما احل الله لك او ان تحلف على شيء ثم تنساه ولكن يؤاخذكم بما
كسبت قلوبكم تحلف وتعلم انك كاذب والله غفور حليم فيعفو عنكم
ولا يعجلكم بالعقوبة للذين يؤلون من نسائهم يحلفون على ان لا يجامعوهن
والايلاء الحلف وعداه بمن لمعنى البعد في هذا المقام تربص اربعة اشهر
اي للحالف حق التوقف تلك المدة فلا يطالب من جانب المراة
فيها الطلاق او الوطي فان فاؤا رجعوا بالحنث وجامعوهن فان الله
غفور رحيم لما صدر عن المولي من اثم الحنث واضرار المراة والاصح وجوب
الكفارة وان عزموا الطلاق وطلقوا فان الله سميع بما يقولونه عليم بما
يفعلونه وفي الاية دلالة على انه يوقف فيطالب اما بهذا او بهذا وعليه

من التعريض للبيع ونحوه يقال عرضته للحرب فتعرض لها كانك قدمته فيه
منه

كثير من السلف وعند جماعة اخرى من السلف انه يقع تطليقه بمجرد مضي
اربعة اشهر اما باينة او رجعية من غير ايقاع للطلاق لكن على هذا كيف يترتب
بمجرد العزم قوله فان الله سميع والعزم مما يعلم لا مما يسمع والمطلقات
اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء يتربصن بانفسهن اي يحملنها على
الانتظار ويجبرنها على التربص خبر بمعناه الامر للتاكيد ثلثة قروء اي اطهار
وهذا قول كثير من الصحابة او حيض وهو قول الاكثرين ومنهم الخلفاء الاربعة
ثم يجوز لهن ان يتزوجن ونصب ثلثة على الظرفية اي مدتها او على المفعولية
اي مضيها والامة اذا طلقت تعتد بقرئين فهي من العموم مخرجة بدليل الحديث
ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من نطفة اذا ارادت فراق
الزوج سريعا ربما كتمت وقيل المراد مما خلق الله الحيض ان كن يؤمن بالله
واليوم الاخر هذا تغليظ وتاكيد لا تقييد وبعولتهن جمع بعل والتاء لتانيث
الجمع احق بردهن اي ازواجهن احق بردهن الى النكاح والرجعة من ان
يدعوهن ويتركوهن في ذلك في زمن التربص وهو ايام العدة قيل المراد
احق بردهن ان كان الطلاق رجعيا فالضمير اخص من المرجوع اليه كما قاله
بعض الاصوليين وليس كما قيل لان الرجل كان يرجع الى امراته وان طلقها
مائة الى ان نزل الطلاق مرتان فصار قسمين باينة ورجعية ان ارادوا اصلاحا
بالرجعة لا اضرارا وهو تقييد للاحقية وعلى هذا معناه وازواجهن احق بهن
من غير ازواجهن في مدة العدة وقيل احق بمعنى حقيق اي بعولتهن حقيقون
بردهن وقيل بعولتهن احق بالرجعة منهن بالاباء لان لهن حقا في الرجعة
ولهن مثل الذي عليهن اي لهن على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن
بالمعروف بوجه لا ينكره الشرع والمراد مماثلة الواجب الواجب في الحسنة
لا المماثلة في جنس الفعل وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه وشرف
في الدارين والله عزيز حكيم يامر كما اراد بمقتضى حكمته الطلاق مرتان كان
الطلاق غير محصور فقال رجل لامراته لا اطلقك ولا اوويك ابدا اذا دنا
اجل طلاقك راجعتك هكذا فشكت الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت
وعن كثير من السلف انها ناسخة لقوله وبعولتهن احق بردهن من ان
الرجل كان اذا طلق ثلثا فهو كان احق برجعتها يعني عدد الطلاق الرجعي

مرتان فالالف واللام للعهد فامساک بمعروف یعنی بعد الطلقتین للزوج
امساکها ومعاشرتها بطریق مشروع فامساک مبتدأ وخبره وهو للزوج
محذوف او تسریح باحسان تطلیق بوجه حسن یعطیها مالها ویزید علیها
ولا یحل لکم ایها الولاة وقیل الخطاب لجمیع المسلمین ان تأخذوا مما اتیتموهن
ای اعطیتموهن من الصداق شیئا الا ان یخافا ای الزوجان الا یقیما حدود
حدود الله من مواجب الزوجیة وشیئا مفعول به ومما حال مقدم او مفعول
مطلق ای شیئا من الاخذ ومما مفعول به قیل تقدیره لئن یخافا فاوحذف
حرف الجر من اَنْ واَنّ شایع ومعناه لا یجوز الاخذ بسبب الا بسبب خوف
عدم اقامة حدود الله فهو استثنآء من المفعول له لا من الحال لیکون التقدیر
لا یحل الاخذ فی حال الا فی حال الخوف لان اَنْ والفعل فی موقع المصدر
والمصدر لا یکون حالا وکذا ما یقوم مقامه کما نصّ علیه النحاة فان خفتم
ایها الحکام ان لا یقیما حدود الله فی حال المزاوجة فلا جناح علیهما فیما
افتدت به لا جناح علی المرأة فیما اعطَتْ ولا علی الرجل فیما اخذ والحاصل
انه لا یجوز اَنْ تُضَیّقوا علیهن لیفتدین منکم بما اعطیتموهن من الصداق
نعم اذا تراضیا وطبن لکم عن شیء فکلوه هنیئا مریئا ولهذا اکثر من السلف
والخلف علی ان الخلع حرام الا ان یکون الشقاق من المرأة لکن ذهب
الشافعی الی انه اذا جاز فی حال شقاقها فبطریق الاولی عند الاتفاق
اما فی غیر هاتین الصورتین فحرام تلک اشارة الی الایات من قوله ولا تنکحوا
حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة ومن یتعدّ حدود الله فاولئک هم الظالمون
عقّب النهی بالوعید مبالغة فی التهدید فان طلقها بعد اثنتین مرتبط بقوله
الطلاق مرتان نوع تفسیر لقوله او تسریح باحسان وذکر بینهما الخلع
دلالةً علی ان الطلاق یکون مجّانا تارةً وبعوضٍ اُخری قیل توسط الخلع
حِکمتُه اَنْ یُعلم ان الخلع لا یصلح الا قبل الثالثة کالرجعة فلا تحل له من بعد
من بعد ذلک الطلاق حتی تنکح زوجا غیره ای حتی یطأها زوج آخر فی نکاح
صحیح او المراد من النکاح العقد والاصابة قد علم من الاحادیث الصحاح فا
فان طلقها الزوج الثانی فلا جناح علیهما ان یتراجعا ای علیها وعلی
زوجها الاول ان یتراجعا بنکاح جدید فالتراجع لغوی لا شرعی عرفی

ان ظنا ان یقیما حدود الله من حقوق الزوجیة وقیل معناه فلا جناح
علی الزوجة والزوج الثانی التراجع ان لم یطلقها ثلثا فالرجعة شرعیة ویکون
هذا دفعا لما اشتهر من السنة العوام انه اذا طلقت حلّت للاول فلا یجوز
للثانی الردّ والرجعة وتلک حدود الله یبینها لقوم یعلمون تلک اشارة
الی الاحکام المشار الیها فی الاولی والاخری لقوم لهم الفهم والعلم وقد صحّ
لعن الله المحلّل والمحلّل له وکلام السلف صریح فی ان الناکح بنیّة التحلیل محلّل
ملعون وفی الحدیث ما یدلّ صریحا علی ما علیه السلف واذا طلقتم النسآء
فبلغن اجلهن آخر عدّتهن والاجل یُطلق للمدّة ولمنتهاها ویقال للدنوّ علی
الاتساع وهو المراد هنا بقرینة قوله فامسکوهن بمعروف راجعوهنّ من غیر
ضرارٍ او سرّحوهن بمعروف خلّوهنّ لتنقضی عدّتهنّ من غیر تطویل وهذا
اعادة لبعض ما سبق للاهتمام به ولا تمسکوهن ضرارًا لا تراجعوهنّ ارادة
ضرارهنّ کما سبق فنصب ضرارًا بانه مفعول له لتعتدوا لتظلموهنّ بالتطویل
او الالجآء الی الافتدآء وهو قید الضرار ومن یفعل ذلک فقد ظلم نفسه
بتعریضها لعقاب الله ولا تتخذوا ایات الله هزوا کان الرجل یُطلّق
او یعتق او ینکح فیقول کنتُ لاعبًا فنزلت وفی الترمذی وابی داود وابن ماجة
قال علیه الصلوة والسلام ثلث جدّهنّ جدّ وهزلهنّ جدّ الطلاق والنکاح
والعتق واذکروا نعمة الله علیکم بان تشکروها وما انزل علیکم من الکتاب
القران والحکمة السنّة وقیل مواعظ القران افردهما بالذکر بعد انهما
داخلان فی نعمة الله لشرفهما یعظکم به بما انزل واتقوا الله واعلموا
ان الله بکل شیء علیم تاکید وتهدید واذا طلقتم النسآء فبلغن اجلهنّ
انقضَتْ عدّتهنّ فلا تعضلوهنّ لا تمنعوهن ان ینکحن ازواجهن
ای من ان ینکحن الذین کانوا ازواجا لهن نزلت فی اخت معقِل طلّقها
زوجها فلما انقضت عدّتها جآء زوجها یخطبها ومَعقل منعها رواه البخاری
البخاری والترمذی وابن ماجه وثبت عن ابن عباس وکثیر من السلف
فلا یجوز ان یکون خطاب فلا تعضلوهن للازواج للمورِد ولنُبوّ قوله ازواجهن
ومعناه حینئذ لا تمنعوهنّ ایها الازواج ان یتزوّجن من شئْنَ من الازواج
فاطلاق الازواج باعتبار ما یمکن ان یؤل الیه والاولی ان یکون الخطاب

للناس كضمير اذا طلقتم يعني لا يوجد فيما بينكم هذا الظلم فيتناول عضل الا
الازواج والاولياء جميعا مع السلامة من انتشار ضميري الخطاب اذا
تراضوا الخطاب والنساء بينهم بالمعروف بما يعرفه الشرع واذا ظرف
ان ينكحن وبالمعروف متعلق بتراضوا او بمحذوف اي رضيت بالعدد با ذلك خطاب
لكل سامع او للنبي صلى الله عليه وسلم اي ما انزل اليك يوعظ به من كان
منكم خطاب للمنهيين عن العضل متعلق بكان او حال من ضمير قوله
يؤمن بالله واليوم الاخر فانه المتعظ به ذلكم اي ترك العضل ازكى لكم
انفع واطهر من دنس الاثم والله يعلم ما هو الازكى والاطهر وانتم لا تعلمون
لقصور علمكم او معناه والله هو المتصف بصفة العلم لا انتم ولما كان النكاح
قد يكون سبب ولادة فيكون عنهما رضاع وقد تكون المرضعة زوجة او
او اجنبية والزوجة متصلة او منفصلة والفراق بالطلاق اكثر منه بالموت
وسطه بين عدتي الطلاق والوفاة اهتماما بشان الولد فقال والوالدات
شاملة للزوجات والمطلقات يرضعن خبر اي في حكم الله الذي هو شرعه
او خبر صورة ومعناه امر ندب اولادهن حولين كاملين تحديدا لا تقريبا
لمن اي ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة فاقصى مدة الرضاعة سنتان
ويجوز ان ينقص عنهما ولا يعتبر الرضاعة بعدهما وعليه السلف وفي الدارقطني
قال عليه الصلوة والسلام لا يحرم من الرضاع الا ما كان في حولين
وعلى المولود له يعني اب الولد عبر عن الاب بهذه العبارة اشارة
الى جهة وجوب المؤن عليه وله في محل الرفع فاعل للمولود رزقهن وكسوتهن
اي على والد الطفل نفقة ام المطلقة مدة الارضاع بالمعروف حسب ما يراه
حاكم الشرع وهو بقدر لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لقوله بالمعروف
والجاب لهذه المؤن لا تضار مبني للفاعل والدة بولدها بان تدفعه
عن نفسها بل عليها ارضاعه ولا مولود له اي الاب بولده بان ينزع
عن امه اضرارا لها اضاف الولد الى الام اولا ثم الى الاب ثانيا استعطافا
لهما عليه وتنبيها على انه حقيق بان يتفقا على الاشفاق عليه فقوله لا تضار
تفصيل لما قبله اي لا يكلف كل منهما الاخر ولا تضاره بسبب الولد
وعلى الوارث عطف على وعلى المولود له وما بينهما تعليل معترض اي وارث

الاب اذا مات الاب وهو الولد نفسه فمؤن مرضعته من ماله ان كان له
مال والا يجبر الام على ارضاعه مجانا فالالف واللام للعهد كانه قيل وعلى وارث
ذلك المولود له او المراد وارث الطفل المحرم منه بحيث لا يجوز النكاح بينهما
ان كان احدهما ذكرا والاخر انثى مثل ذلك مثل ما على والده من الانفاق
فان ارادا الابوان فصالا فطاما عن تراض منهما اي صادرا عن تراض
وتشاور بينهما قبل الحولين فلا جناح عليهما في ذلك ولا يجوز لواحد منهما ان
يستبد في الفطام وان اردتم ان تسترضعوا المراضع اولادكم فلا جناح
عليكم اذا سلمتم ايها الاباء الى المراضع ما اتيتم بالمعروف اجور المراضع اذن
ايتاء المراضع الاجرة معجلا هنيئا توطين لنفسهن واستعطاف منهن على الاولاد
فنفي الجناح مقيد بالتسليم لا لانه شرط جواز الاسترضاع بل ارشاد الى الاولوية
واتقوا الله في محافظة حدوده واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد
والذين يتوفون منكم ويذرون ويتركون ازواجا يتربصن بانفسهن يحملنها
على التربص والصبر عن التزوج خبر في معنى الامر مبالغة اربعة اشهر و
وعشرا تقديره يتربصن بعدهم فانه لا بد من الضمير في الخبر اذا كان جملة و
وخص عنه الحامل لقوله واولات الاحمال الاية والجمهور على ان عدة الاية يضيفها
قال صاحب البحر اذا كان المعدود مذكرا وحذف فالاصل ان يبقى العدد على
ما كان عليه لو لم يحذف المعدود فتقول صمت خمسة اي خمسة ايام وهو
الفصيح ويجوز ان يحذف منه التاء وتقول خمسا ومنه ما في الحديث ثم اتبعه
ستا من شوال والتذكير هو الجائز فجاء عشرا على احد الجائزين وحسنه هنا
انه مقطع الكلام فهو شبيه بالفواصل نحو ان لبثتم الا عشرا وعلى ما قال الاخفش
لان تقدير عشر ليال وفي الحديث ست ليال بان الايام داخل فيه فاذا بلغن
اجلهن انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها المسلمون فيما فعلن في انفسهن
من التعرض للخطاب والتزين بالمعروف بوجه غير منكر والله بما تعملون
خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به التعريض ان اللفظ مستعمل
فيما وضع له مع اشارته الى ما لم يوضع له من السياق كجئتك لاسلم عليك
فيه اشارة الى الطمع من خطبة النساء بكسر الخاء طلب المراة والمراد من النساء
المعتدات للوفات كقولك انك لجميلة ومن حاجتي والنكاح الجميلة وحرم التصريح

بخطبتهن واما الرجعية فحرام على غيره وجها التصريح والتعريض او اكننتم في انفسكم عطف على عرضتم اضمرتم في النفس من غير تصريح ولا تعريض علم الله انكم ستذكرونهن في انفسكم فرفع عنكم الحرج في ذلك ولكن لا تواعدوهن سرا بان تاخذوا الميثاق عنهن في عدم تزوج غيره استدراك من الجملة التي قبله وهو ستذكرونهن والذكر يقع على انحاء شتى فاستدرك فيه نهى عن ذكر مخصوص ولا حاجة الى تقدير قدره الزمخشري قاله صاحب البحر وسرا مفعول تواعدوهن او معناه سارين ومفعول تواعدوهن محذوف اي النكاح الا ان تقولوا قولا معروفا اي لا تواعدوهن بطريق الا بطريق التعريض فالمستثنى في موقع المفعول به وقال صاحب البحر جاز ان يكون الاستثناء منقطعا لانه نوعان احدهما ان يتسلط العامل على ما بعد الا نحو ما رايت احدا الا حمارا والثاني انه لا يمكن تسلط العامل على ما بعد الا وحكمه النصب عند العرب قاطبة نحو ما نفع الا ما ضر اي لكن الضر حصل والاية من الثاني اي لكن التعريض سايغ وكان الزمخشري ما علم هذا القسم ولا تعزموا عقدة اي عقد عقدة النكاح عقدة النكاح ما يتوقف عليه صحة النكاح اي لا تقصدوا قصدا جازما نهي عن العزم ليكون النهي في الفعل ابلغ وقدرنا المضاف اي عقد لان العزم انما يكون على الفعل لا على العقدة وفيه تضمين تنووا فان عزم متعد بعلى حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة والاجماع على عدم صحة العقد في العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه عما لم يرض به الله واعلموا ان الله غفور حليم ولذا لم يؤيسهم من عفوه وحلمه لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن مضارع مسست وهو كناية عن الجماع او تفرضوا لهن فريضة اي صداقا وتفرضوا عطف على تمسوهن فهو داخل تحت النفي والمعنى ما لم يكن المسيس ولا فرض المهر لما تقرر من ان او في سياق النفي يفيد العموم وما مصدرية ظرفية اي زمان عدم المسيس فان بعد المس يجب مهر المثل ان لم تفرضوا لها فريضة وان طلقتموهن قبل المس وقد فرضتم لها فريضة فيجب نصف الصداق ونصب فريضة بمعنى مفروضة على المفعول به ومتعوهن يعني ملكوهن

عند الزمخشري انه اذا كان منقطعا وقع موقع المفعول به بلا واسطة مثل سرا فالمعنى لا تواعدوهن الا التعريض وليس بمستقيم اذ التعريض طريق المواعدة لا الموعود به

ما يتمتعن به وظاهر الامر الوجوب وضميرهن راجع الى المطلقات قبل المسيس من غير فرض صداق وجاز عطف الانشاء على الاخبار في مثل هذا على الموسع اي الغني قدره ما يقدره ويليق به وعلى المقتر الفقير قدره ولفظ على دال على الوجوب متاعا بالمعروف تمتيعا بالوجه الشرعي وبطريق المروة فمتاعا مفعول مطلق لمتعوهن وبالمعروف صفة لمتاعا حقا على المحسنين تاكيد للوجوب صفة متاعا او حق ذلك حقا واجبا على من هو متصف بالاحسان وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم اي فالواجب نصفه او فعليكم نصفه او فلهن نصفه ومنه يؤخذ انه لا متعة حينئذ وان الجناح المنفي تبعة المهر الا ان يعفون على وزن يفعلن يتركن حقهن او يعفو الذي بيده عقدة النكاح يعني الزوج وفيه حديث معتبر وعليه جماهير علماء السلف والمراد ان يعطيها جميع ما فرض والاستثناء متصل اي فعليكم نصف المهر في جميع الاحوال الا في حال عفوها فان في هذا الحال لا شيء عليكم وفي حال اعطاء الزوج النصف الاخر يلزم الكل واما تسميته الثاني عفوا فقيل للمشاكلة وقيل لان عادة العرب سوق المهر كملا حين الزواج فمن طلق قبل المسيس فله ان يسترد النصف فاذا لم يسترد فقد عفا ومن لم يسترد فقد وهب ومن وهب فلهن الجميع بعد الوهب وقيل هذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم في حديث وهل يجب على غيرهن اي غير الصلوات الخمس فقال لا الا ان تطوع وان تعفوا الظاهر انه خطاب للازواج اذ هم المخاطبون في صدر الاية اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم لا تنسوا ايها الرجال والنساء ان يتفضل بعضكم على بعض وقد قال الله الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع تفضلكم واحسانكم ولما ذكر وفصل وبين امر الطلاق والرضاع والصداق والنفقة والانفاق والتربص والتخلص والخمر والزمر ثم رجع بعده الى شيء من احوال الزوج والزوجات وسط بينها وصية حفظ الصلوات اشارة الى ما قال لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله فعلى اي حال وشغل شغلكم لا تتركوا الصلوات فقال حافظوا داوموا على الصلوات

اى الخمس وعدّى بعلى لما ضمن معنى المواظبة والصلوة الوسطى هى صلوة
العصر وفيه حديث صحيح مسلم وعليه الاكثرون فان هذه الصلوة الوسطى
خاصة للانه الوسط والوسطى بمعنى الفضلى تانيث الاوسط قال صاحب البحر
افعل التفضيل لا يبنى الا مما يقبل الزيادة والنقص وكذا افعل التعجب وكون
الشئ وسطا بين شيئين لا يقبل الزيادة والنقص فلا يجوز ان يبنى منه
افعل التفضيل فتعين ان الوسطى بمعنى الفضلى وقيل صلوة الصبح قال
على رضى الله عنه كنا نراها الصبح حتى قال رسول الله صلوة الوسطى صلوة
العصر فعرفنا انها صلوة العصر وقيل المغرب وقيل غير ذلك وهو من باب
عطف الخاص على العام وقوموا لله قانتين خاشعين ذليلين ولله
متعلق باحد الفعلين فان خفتم من مثل عدو ان تصلوا كما امرتم فرجالا
او ركبانا اى فحافظوا عليها راجلين او راكبين مستقبلين القبلة وغيره
وفيه دلالة على جوازها حال المشى والمضاربة ان لم يمكن الوقوف والراكب
يومى بالسجود فاذا امنتم زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون
قال تعالى بعد صلوة الخوف فاذا اطمانتم فاقيموا الصلوة وما فى كما موصولة
اى فصلوا الصلوة كالصلوة التى علمكم عبّر بالذكر عن الصلوة وما لم تكونوا
بدل من الضمير المحذوف فى علمكم العائد الى ما اذ التقدير علمكموه يعنى علمكم
بلسان نبيه ما لم تكونوا تعلمون من طريق صلوة الامن او معناه اذا امنتم
فاذكروه بالشكر والعبادة ذكرا يعادل نعمة ما علمكم والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية اى يوصون وصيةً خبر بمعنى الامر فيكون يوصون
المقدر خبر والذين وقراءة رفع وصية تقديره عليهم وصية لازواجهم متاعا
ناصبه يوصون وفى قراءة الرفع ناصبه وصية بحذف الجار اى بمتيع الى الحول
غير اخراج قيل حال من الازواج اى حق المتوفين ان يوصوا قبل موتهم بان
تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا فينفق عليهن من تركتهم غير مخرجات من المساكن
التى كن فيها حين حيوة ازواجهن وقيل مصدر موكد كقولك هذا القول غير
ما تقول والاصح ان هذا فى اول الاسلام ثم نسخت بالارث وبلبث اربعة اشهر
وعشر وقيل غير منسوخة ومعناها ان لهن السكنى سنة كاملة فى بيت
ازواجهن لا يمنعن من ذلك واذا انقضت عدتهن بمضى اربعة اشهر وعشر

عن منزل الازواج صح

او بوضع الحمل واخترن الخروج من بيت الزوج فلهن الاختيار فان خرجن
فلا جناح عليكم على اولياء الميت فيما فعلن فى انفسهن من التطيب وترك
الحداد من معروف بيان لما والمعروف المشروع المعتاد وفيه دلالة على
انها كانت مخيرة بين ملازمة المسكن واخذ النفقة وبين الخروج وترك النفقة
والله عزيز حكيم غالب يراعى المصالح وللمطلقات متاع بالمعروف حقا
على المتقين لما نزل فى المتعة حقا على المحسنين قال رجل ان شئت احسنت
وان شئت لم افعل فنزلت وكثير من العلماء استدلوا بهذه الاية على ان المتعة
لكل مطلقة وخص المتقون بالذكر تشريفا لهم او لانهم اسرع الخلق بامتثال حكم
الله كذلك مثل هذه الاحكام يبين الله لكم اياته فى احلاله وتحريمه لعلكم
تعقلون تفهمون وتدبرون او يزول عنكم الجهل الم تر الى الذين خرجوا من
ديارهم خطاب عام وترين الروية القلبية كانه قال الم ينته علمك اليهم
او بمعنى نظر فعدى تعديته نظر وهمزة الاستفهام دخلت على النفى فصار
الكلام تقريرا ومعناه التنبيه والتعجب من حال هؤلاء وهم قوم امروا بالجهاد
فخرجوا من ديارهم خوفا من القتل فى الجهاد فاماتهم الله ليعرفوا انه لا ينجيهم
من الموت شئ وهم الوف جملة حالية اى الوف معينة او معناها الكثرة
نحو جئتك الف مرة حذر الموت مفعول له لخرجوا فقال لهم الله فى اثناء
طريقهم موتوا عبّر عن اماتهم الله بهذه العبارة دلالة على ان موتهم شبيه
بامتثال امر آمر مطاع لا يمكن التوقف فى امتثاله فيكون دفعةً خارجا عن
العادة فى موت الجماعة ثم احياهم بدعاء نبى من انبياء بنى اسرائيل بعد مدة
مديدة وفيها دليل قاطع على المعاد الجسمانى ان الله لذو فضل على الناس
لتشجيع المومنين وحثهم على الجهاد واعلام ان لا مفر من القضاء وتنبيههم
على النشاة الاخرة ولكن اكثر الناس لا يشكرون لانهم مشغولون عما خلقوا
له وقاتلوا فى سبيل الله كان سوق هذه الاية والحكاية للبعث على الجهاد
فلذلك امر امة الاجابة بقوله وقاتلوا واعلموا ان الله سميع لكلام المتخلف
عليم بما يضمره من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا هذا على التمثيل والتقريب
والله الغنى شبه عطاء المومن فى الدنيا بما يرجو ثوابه فى الاخرة بالقرض
كما شبه بذل النفس والمال فى اخذ الجنة بالبيع والشرى من مبتدا وذا اسم الاشارة

خبره والذي صفته وقرضا مفعول به بمعنى مقروضا وحسنه باعتبار كثرته
وجودته وطيب اصله او مصدر اي اقراضا وحسنه بطيب النية فيه وكونه بلا من
ولا اذى فيضاعفه له اضعافا كثيرة اي فيضاعف القرض واضعافا حال
من الضمير المنصوب او مفعول ثان لتضمن معنى يصيره ومن قرا بفتح الفآ
فعلى جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه في معنى ايقرض الله احد
ومن قرا بضم الفآ فبالعطف على يقرض والله يقبض يمسك الرزق
ويبسط يوسعه على من يشآ فلا تبخلوا في الاقراض واليه ترجعون فيجازيكم
بقبضه وبسطه بحسب نية المقرض واخلاصه الم تر الى الملا الم ينته علمك
الى الجماعة الاشراف من بني اسرائيل من بعد وفاة موسى اذ قالوا من
الاولى للتبعيض حال والثانية للابتدآ متعلقة بما تعلق به من بني اسرائيل
اي كائنين وتعديته بحرفي جر من لفظ واحد لاختلاف المعنى والعامل في
اذ محذوف وهو ما جرى لهم او قصتهم لنبي لهم يوشع او شمعون او اشمويل
ابعث لنا ملكا انهض اميرا لنا للقتال نقاتل مجزوم على انه جواب ابعث
في سبيل الله قال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال انهم لا تقاتلوا
ان لا تقاتلوا خبر عسيتم والشرط فاصل بينهما وجزآؤه محذوف ودخول
هل على عسى دليل على ان عسى فعل خبري لا انشائي ولما ذكروا القتال
استثبتهم ليعلم ما انطوت عليه بواطنهم فاستفهم عن مقاربتهم ترك
القتال ان فرض عليهم القتال فانكروا ان يكون لهم داع الى ترك
القتال فحينئذ قالوا وما لنا اي داع لنا والواو للربط بما قبله والاستفهام
انكاري الا نقاتل في سبيل الله اي الى ان نترك القتال وقد اخرجنا
حال عاملة لا نقاتل او لنا من ديارنا وابنآئنا اخذ منا البلاد وسبيت
الاولاد فلما كتب فرض عليهم القتال تولوا عن المقاتلة الا قليلا منهم
قد ورد في حديث صحيح ان عدد المقاتلين من المسلمين يوم بدر على
عدة قوم طالوت ثلثمائة وثلثة عشر والله عليم بالظالمين فيجازيهم على
ظلمهم وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا اميرا سالتموه
للقتال ونصب ملكا على انه مفعول بعث لان فيه معنى التصيير قالوا
انى يكون له الملك من اين يستاهل الامارة وهذا الكلام من تعنت في حكم

الله ككلام ابليس بعينه وانى بمعنى كيف وكان اما ناقصة وله خبره او تامة علينا
متعلق بالملك على معنى الاستعلآ ونحن احق بالملك منه الواو للحال
من ضمير له لان لنا النسب من سبط يهودا والملك في سبطه وليس هو منهم
ولم يؤت سعة من المال اي مع انه غير نسيب فقير لا مال له يقيم به الملك عطف
على نحن احق فهو ايضا حال قال لهم نبيهم ان الله اصطفاه عليكم اجاب
عن اعتراضهم اولا بان المعين للملك هو الله وامر الله واجب الاتباع
وثانيا بقوله وزاده بسطة في العلم والجسم ووفور العلم وقوة البدن عماد الملك
فانه سبب لحسن السياسة وقوة المقاومة وثالثا بقوله والله يؤتي ملكه من
يشآ فانه مالك الملك فله ان يؤتيه من يشآ من غير اعتراض ورابعا بقوله
والله واسع يوسع على الفقير فيغنيه عليم بمن يليق بالامر نسيبا او غير نسيب
وقيل ان قوله والله يؤتي الى اخره من اخبار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
معترض بين القصة وقال لهم نبيهم لما طلبوا دليلا على ان الله اصطفاه
ان اية ملكه ان يأتيكم التابوت صندوق اخذته العمالقة منهم ولا يعرف
له اشتقاق فيه سكينة من ربكم اي اطمينان لكم ولما كانت السكينة تحصل
باتيانه جعلت فيه مجازا وقيل هو صندوق التورية كان موسى اذا قدمه في
القتال سكنت قلوب قومه فلا يفرون وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون
لم يعين الله سبحانه ما البقية وفيها اختلاف كثير وآلهما الانبيآ كانوا
يتوارثون وقيل المراد انفسهما والآل مقحم لتعظيمهما تحمله الملئكة عن ابن عباس
جآءت الملئكة بالتابوت تحمله بين السمآ والارض حتى وضعته بين يدي
طالوت وهم ينظرون اليه ان في ذلك اية ان التابوت بهذا الطريق
لاية لكم علامة لصدق اصطفائه ان كنتم مؤمنين مصدقين وقوله ان في
ذلك الى اخره من تتمة كلام ذلك النبي وقيل ابتدآ خطاب من الله سبحانه
فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن البلد لقتال العمالقة قيل
جنوده سبعون الفا وهنا جمل محذوفة من اختصارات القران وهي جاءهم
التابوت فاقروا له بالملك وتاهبوا للخروج قال لهم طالوت ان الله
مبتليكم بنهر فانهم لما خرجوا شكوا قلة المآ وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة
فاجرى الله لهم نهرا بين الاردن وفلسطين عاملهم معاملة المختبر فمن شرب منه

شرب بغرفة من النهر فليس مني من أشياعي فلا يصحبني ومن لم يطعمه فإنه مني
من طعم الشيء إذا ذاقه مأكولا أو مشروبا إلا من اغترف غرفة بيده استثناء
منقطع من قوله فمن شرب ولا يجوز تعميم فمن شرب منه ليكون الاستثناء
متصلا لأن قوله فشربوا منه إلا قليلا مشعر بعدم التعميم ولا يجوز أن يكون مستثنى
من قوله من لم يطعمه لف والمعنى وفائدة تقديم ومن لم يطعمه الإيذان بأنه
من تتمة الأولى وأن الغرض منهما تأكيد الأولى نهيا عن الكروع من كل وجه
وإفادة أن المغترف ليس بذائق حكما وإن كان ذائقا حسا فيؤكد ترخيص
الاغتراف ولو أخرت لاختل النظم لدلالة الاستثناء إذ ذاك على أن المغترف
من أشياعه ودلالة الجملة الثانية بمفهومها على أنه من غير أشياعه فشربوا منه
إلا قليلا منهم أي وقع أكثرهم في النهر وكرعوا إلا قليلا فكان من اغترف روي
وزال عنه العطش ومن شرب من النهر زاد عطشه قال ابن عباس إن تحت
القليل قسمين أحدهما من لم يطعمه بوجه وهم أحسن حالا والثاني من أخذ الغرفة
وظاهر غرفة الاقتصار على واحدة وقال ابن عباس كانت الغرفة يشرب
منها هو ودوابه وخدمه ويملأ منها قربه وكان هذا معجزة لنبيهم فلما جاوزه
أي النهر هو والذين آمنوا معه أي القليل الذين لم يخالفوه قالوا بعضهم لبعض
من المؤمنين أو المراد قال المخالفون لا طاقة لنا لن نجترئ البتة اليوم بجالوت
وجنوده لكثرتهم وقلتنا قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله يمكن أن يكون
الظن بمعناه المتبادر ومعنى ملاقاة الله شهادتهم في الحرب أو ملاقاة
ثواب الله بسبب الطاعة وفي كليهما ظن لا يقين ومن قال ضمير قالوا
للمخالفين يقول المراد من الذين يظنون هم القليل بجملتهم فهم والكثيرون
تقاولوا بذلك والنهر بينهما كم من فئة فرقة قليلة وكم خبرية مبتدأ وخبره قوله
غلبت فئة كثيرة بإذن الله بحكمه وإرادته وما أراد الله مفعول والله مع الصابرين
بالعناية والحماية وهذا من تتمة كلامهم أو استئناف من الله ولما برزوا أو برزوا
وظهروا لجالوت وجنوده قيل كانوا تسعين ألف فارس وقيل أكثر قالوا ربنا
أفرغ أصبب وأنزل علينا صبرا وثبت أقدامنا بتقوية قلوبنا وانصرنا
على القوم الكافرين فهزموهم كسروهم بإذن الله بإرادته فإن الناصر من
نصره الله وقتل داود جالوت وهو في عسكر طالوت وقد وعد طالوت

داود أنه إن قتل جالوت يزوجه ابنته ويشركه في نعمته فوفى بعهده ثم آل
الأمر إلى داود وآتاه أي داود الله الملك الذي في يد طالوت والحكمة
النبوة وعلمه مما يشاء من منطق الطير وصنعة الدروع ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض كما دفع العمالقة بجنود طالوت وبعضهم بدل
لبعض من الناس وببعض متعلق بدفع لتعديته إلى مفعول ثان
لفسدت الأرض بغلبة الكفار أو بأن الله أهلك أهل الأرض بالقحط
وغيره بشؤم الكفار ولكن الله ذو فضل على العالمين فإنه ربهم فيدفع
عنهم بعضهم ببعض تلك حكاية طالوت وجالوت وداود آيات الله
نتلوها عليك يا محمد بالحق المطابق للواقع وإنك لمن المرسلين إلى العالمين
ومن حكاية تلك الآيات يعلم رسالتك حيث تخبر عن المغيبات من غير
قراءة أو تعلم إنك منهم فاصبر كما صبروا فإن الله مع الصابرين تلك
الرسل التي مرت قصتهم أو التي ثبت علمهم عندك فضلنا بعضهم على بعض
بأن خصصناه بمنقبة سوى الرسالة تلك الرسل مبتدأ أو خبر أو الرسل صفة
لتلك وفضلنا خبر تلك وعلى الأول فضلنا جملة حالية منهم من كلم الله
موسى في الطور ونبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ورفع بعضهم د
رجات كمحمد وإبراهيم أو أولي العزم وآتينا عيسى بن مريم البينات الحجج
القواطع من المعجزات خصه بالذكر لإفراط بعض فيه وتفريط بعض
وأيدناه بروح القدس بجبريل يسير معه حيث سار وروح القدس
مفسر من قبل بتفاسير مختلفة ولو شاء الله اتفاق الكل ما اقتتل الذين
من بعدهم الرسل فكان الدين كله لله من بعد ما جاءتهم البينات الواضحات
ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ثبت على إيمانه بتوفيقه ومنهم من كفر كالنصارى
صاروا فرقا وتحاربوا ولو شاء الله أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا وتفقت
كلمتهم كرره ليعلم يقينا أن الأمر من عند الله ولكن الله يفعل ما يريد
فيوفق بعضهم فضلا وحكمة ويخذل بعضهم عدلا ولما ذكر دفع الله الناس
بعضهم ببعض والدفع لا بد له من إنفاق حرّض المؤمنين عليه فقال
يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم عامة في كل صدقة واجبة أو تطوع
واختار قوله مما رزقناكم ترغيبا على امتثال أمر من رزقكم فإن عدم امتثاله

مظنة لسلب ما اعطاه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه لتحصلوا ما تنفقونه
لفداء انفسكم من العذاب ورفعت بيع وخلة وشفاعة مع قصد التعميم
لانها في تقدير جواب هل فيه بيع وخلة وشفاعة ولا خلة حتى تعينكم الاخلاء
فان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة هذا في يوم
واحد من ايام القيامة وبعد ذلك يؤذن لمن اراد كما قال من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه والكافرون هم الظالمون فانهم يضعون الاشياء
غير مواضعها فلا تكونوا ايها المؤمنون مثلهم فتضعوا اموالكم غير موضعها
ولا تنفقوا ولما ذكر اختلاف العباد في الانقياد والعناد واعتماد بعضهم
مع الاباء على شفاعة الآباء بين لهم انه المتفرد بالالوهية وهو المدبر القائم على
كل شيء لا حراك لاحد الا بارادته وهو العالم بذرات العالم من الجواهر و
الاعراض والمقاصد والاغراض فقال الله لا اله الا هو لا شريك له في
الوهيته وجميع ما سواه مخلوقه وعبيده مبتدأ وخبر الحي بنفسه لا سبيل
للموت اليه القيوم دائم القيام بتدبير الخلائق بدلا من هو او خبر الى
المحذوف اي هو لا تأخذه سنة فتور يتقدم النوم ولا نوم العاهات
المذهلة عن حفظ الكائنات وفي تقديم السنة مراعات ترتيب الوجود
وهو كالمبين للحي القيوم فان من جاز عليه النوم جاز عليه الموت
فلا يكون حيا ولا قيوما له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
تقرير لالوهيته وقيوميته من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه لا احد
يتمالك ان يتكلم في القيمة لكبرياء الله وعظمته الا باذنه يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ضمير الجمع راجع الى ما في السموات تغليبا للعقلاء قال
ابن عباس ما بين ايديهم امور الاخرة وما خلفهم امور الدنيا ولا يبعد انه كناية
عن احاطة علمه بامر خلقه من جميع الجهات فان الجهتين تختلفان
باعتبار اختلاف توجه الاشخاص او لان ما بين يدي المرء يحيط به
حسه وما في خلفه لا يناله الحس فالمراد ما يعلمون وما لا يعلمون
ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلمهم من المعلومات
وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وفي الحديث والذي نفسي
بيده ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض

هذان الوجهان اولى من ان تجعلهما صفتين لانه
يلزم الفاصلة بين الصفة والموصوف بالخبر
منه

فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة وعن ابن عباس
وغيره الكرسي العلم كما يقال لصحيفة العلم كراسة ولا يؤوده لا يثقله حفظهما
اي السموات والارض والاضافة الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد
العظيم الذي كل شيء دونه ذليل حقير ولما اوضح الدلائل للعالم والجاهل صار
الدين الى حد لا يحتاج فيه منصف الى اكراه فيه فقال لا اكراه في الدين ومن
دخل في طاعة منشرحا صدره بها فهو طاعة حقيقة وعلى هذا قوله لا اكراه جملة
خبرية صورة ومعنى ويدل عليها قوله قد تبين الرشد من الغي الايمان من
الكفر وهذه الجملة كالعلة لانتفاء الاكراه فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان مذهب
سيبويه ان الطاغوت اسم مفرد يقع للواحد بدليل قول الله يريدون ان
يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به وللجمع بدليل يخرجونهم في هذه الآية
ويؤمن بالله قدم الكفر بالطاغوت لان التحلية بعد التخلية فقد استمسك بالعروة
الوثقى من الحبل الوثيق المحكم ابرز جواب الشرط في صورة الماضي المقرون بقد
الدال في الماضي على تحققه وان كان مستقبلا في المعنى اشعارا بانه مما وقع
استمساكه وثبت وذلك للمبالغة شبه التدين بالدين الحق والثبات على
الهدى بالتمسك بالعروة الوثقى والحبل المحكم المأمون عن الانقطاع ثم ذكر
المشبه به واراد المشبه وجعل ما تمسك به عروة وهي في الاجرام موضع
الامساك لا انفصام لها لا انقطاع جملة مستأنفة او حالية والله سميع
عليم بالاقوال والنيات الله ولي الذين آمنوا متولي امورهم يخرجهم من الظلمات
الى النور من الجهل وهو انواع فلهذا جمعها والنور الهدى وهو واحد والجملة خبر
بعد خبر او تفسير للولاية والاخراج هنا ان كان على حقيقته فاختص بمن كان
كافرا وان كان مجازا فهو منع الله اياهم من دخولهم في الظلمات والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت الشياطين يخرجونهم من النور الى الظلمات
فعلم ان ولي جميع المؤمنين واحد وهو الله الذي لا اله الا هو وولي الكافرين
متعدد وهو الشياطين وقيل الاصنام الذين لا ينفعون ولا يضرون اولئك
اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون الاولى مستأنفة والثانية كذلك
او حالية ولما بين ان الدين واضح بحيث لا احتياج فيه الى اكراه وان
متولي امور المؤمنين هو الله ومتولي امور الكافرين الطاغوت عقبه بالحكايتين

والاتيين للتعجب عن حماقة نمرود الذى تولاه الطاغوت وابراهيم الذى
وليه ربه رب السموات والارض ولتوضيح البعث والنشور فقال الم تر
الى الذى حاج جادل تعجيب من حماقته ابرهيم فى ربه ان اتاه الله الملك
اى لان اتاه الله الملك اى بطر الملك حمله على الكبر فانه مكث فى ملكه
اربعمائة سنة قال مجاهد ملك الدنيا مؤمنان سليمان وذو القرنين
وكافران نمرود وبخت نصر او المراد حاج لاجله شكرا لما انعم عليه على طريقة
العكس كقولك تقتلنى لانى ربيتك اذ قال ابرهيم ظرف لحاج ربى الذى
يحيى ويميت اى حين طلب من ابرهيم دليلا على وجود ربه يعنى الدليل
حدوث الاشياء بعد عدمها وعدمها بعد وجودها فانه دال على وجود فاعل
مختار قال الذى حاج انا احيى واميت بالعفو عن القتل وبالقتل او قاله
عنادا او تمادى انه المحيى والمميت قال ابرهيم اذا كنت كما ادعيت ان لك
التصرف فى الاشياء بمثل الاماتة والاحيا فان الله ياتى بالشمس من
المشرق فات بها من المغرب كما ياتى بها ربى عند القيمة وعلى ما قررناه جواب
ابراهيم رد لدعواه لا انه انتقال من دليل الى اوضح منه فبهت الذى كفر
اخرس فى هذا المقام وصار مبهوتا لغلبة خصمه والله لا يهدى القوم
الظالمين لا يهدى قوما ثابتين راسخين على ظلمهم الى الصواب او كالذى
عطف على الذى بحسب المعنى فان الاول فى قوة ارايت مثل الذى حاج
لان الم تر يتعلق بالمتعجب منه لا بمثله وارايت يتعلق بكل منهما فلهذا لم يظهر
عطف كالذى على الذى واحتاج الى التاويل ولهذا قيل الكاف زائدة
مر على قرية ولما كان المقصود العلم بتلك القصة العجيبة ما تعرض للمار
ولا لتعيين القرية قيل المار عزير والقرية بيت المقدس حين خربها بخت نصر
وهى خاوية على عروشها اى خالية من اهلها ثابتة على سقوفها فالبيوت قائمة
وقوله وهى خاوية حال من فاعل مر او من قرية وان كانت نكرة تاخرت
الحال عنها فقد اجازه سيبويه فى مواضع من كتابه او معناه ساقطة
جدرانها على سقوفها بان سقطت سقوفها اولا قال انى بمعنى متى ففى
موضع نصب على الظرف او بمعنى كيف فهو حال يحيى هذه الله بعد موتها
استعظاما لاحيائها وتعجيبا لا انكارا لاحيائها نحو انى يكون لى ولد يعنى

وليس لمجرد امتناع دخول كلمة لى على الكاف
اسمية كانت او حرفية عند من له معرفة
باساليب الكلام كذا حققه العلامة منه

لما راى جثث اهلها تفتتت وتمزقت تعجب من قدرة الله على احيائها
وهذا هو الظاهر المتبادر او تعجب من تعمير تلك القرية التى خربت فاماته
الله مائة عام يعنى اماته الله فالبثه ميتا مائة عام فان الاماتة فى لحظة اراه
اية فى نفسه ثم بعثه بالاحياء وقد عمر البلد بعد سبعين سنة من موته
قيل اول شى احياه الله من بدنه عيناه لينظر الى احياء سائر بدنه وعلى هذا
فانظر الى العظام المراد منها عظام نفسه وهذا بعيد جدا الا انه لما راى تفتت
اجزائه كيف قال يوما او بعض يوم قال الله له بواسطة او بغيرها كم لبثت
قال لبثت فى حال الموت يوما تاما او بعض يوم كقول الشاك قيل مات
اول النهار وبعث فى آخر آخر فلما راى الشمس باقية ظن انها شمس
ذلك اليوم الذى مات فيه فقال او بعض يوم فاو بمعنى بل قال بل لبثت
عطف على محذوف تقديره ما لبثت هذه المدة بل لبثت مائة عام فانظر
الى طعامك وشرابك لم يتسنه اى لم يتغير قيل كان معه عنب وتين
وعصير فالطعام الاولان والشراب الاخير افرد الضمير ولم يقل لم يتسنيا و
ولا يتسنهما لانهما لجنس واحد والهاء اما اصلية او للسكت وعلى الوجهين
اشتقاقه من السنة لانها سنهة كما تقول شجرة سنهاء او سنوة كما تقول
فى جمعها سنوات وانظر الى حمارك كيف تفتتت عظامه حتى تعلم مكثك
مائة سنة ولنجعلك اية للناس اى وفعلنا ذلك لنجعلك او عطف
على مقدر اى ليزداد بصيرتك ولنجعلك فعلنا ذلك قيل كان هو اسود
الشعر وبنو بنيه شيبا وانظر الى العظام عظام الحمار كيف ننشزها نحييها
او نرفعها فنركب بعضها على بعض وجملة كيف ننشزها بدل من
العظام اى انظر الى حال العظام ننشزها كيف فكيف وحده حال
فان الجملة الاستفهامية لا تقع حالا ثم نكسوها نلبس العظام لحما فلما تبين له
صار العلم الغيبى عيانا له قال اعلم ان الله على كل شى قدير تبين فعل
لازم وفاعله ضمير الاحياء المستغرب عنده ومن قدر ما اشكل فهو تفسير
لضمير تبين ومن قرا اعلم بصيغة الامر فالخطاب من الله او الملك
او منه لنفسه على طريق التجريد ولما قال ابرهيم عليه الصلوة والسلام
لنمرود ربى الذى يحيى ويميت احب ان يترقى من علم اليقين الى عين

اليقين فسأل ربه كما قال ربه واذ قال ابرهيم رب ارنى كيف تحيي الموتى
السؤال عن الكيفية يقتضي تيقن اصل ما سال عنه لكنه قد يوهم بعض
الاذهان عدم الايمان بنفس الاحياء وقوله كيف تحيي الموتى جملة فى موضع
المفعول الثانى لارنى قال الله وهو العامل فى اذ اولم تؤمن استفهام
معناه التقرير وهذا السؤال منه وقد علم انه اعلم الخلق بالحشر مع انه سال عن الكيفية
ليجيب بما اجاب به فائدة للسامعين والواو للعطف على محذوف
اى أتنكر ولم تؤمن قال بلى امنت قد تقرر فى النحو ان جواب التقرير
المثبت ان كان بصورة النفى تجريه العرب مجرى جواب النفى المحض
ولا تلتفت الى معنى الاثبات ملاحظة للفظ دون المعنى ولكن ليطمئن
قلبى تقديره ما سألت عن غير ايمان ولكن سألت ليطمئن قلبى بانضمام علم
الضرورة الى الاستدلال قال فخذ اربعة من الطير لم يعين من اى جنس
هى قال ابن عباس طاوس ونسر وديك وحمامة فصرهن اليك
بضم الصاد وكسرها لغتان اى املهن واضممهن اليك لئلا تلتبس عليك
بعد الاحياء او قطعهن متضمنات اليك من صرت الشئ قطعته وعلى هذا الاحد
وعلى الاول تقديره فصرهن وجزئهن ثم اجعل على كل جبل من الجبال
التى بحضرتك وتعاينها وكانت اربعة او سبعة منهن جزءا ثم ادعهن
قل تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات فى مشيهن اتفق اهل
القصص والمفسرون ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام قطعهن قطعا صغارا
وجمعها مع الدم والريش وجعل من ذلك على كل جبل جزءا ووقف من
حيث يرى الاجزاء وامسك رؤس الطير فى يده فقال تعالين باذن
الله فطايرت تلك الاجزاء والتأم الدم الى الدم والريش الى الريش
وبقيت بلا رؤس ثم كرر النداء فجاءته سعيا حتى انضمت الى رؤسها وطارت
باذن الله واما شيها سعيا لانه ابلغ من المعهود لهن وهو الطيران
وقيل مسرعات فى طيرانهن واعلم ان الله عزيز غالب حكيم فى تدبيره
ولما ذكر قصتين هما ادل دليل على البعث اخذ يبين ما ينتفع به يوم
البعث وفيه ايضا ما يدل على البعث فقال مثل الذين ينفقون اموالهم
فى سبيل الله كالجهاد والحج كمثل حبة اى كمثل باذر حبة او تقدير مثل نفقة

الذين وهذا التقدير لملايمة المثل المثل انبتت سبع سنابل نسبة الانبات
الى الحبة نسبة الى السبب فى كل سنبلة مائة حبة اى يخرج منها ساق له
سبع شعب لكل من الشعب سنبلة فى كل سنبلة مائة حبة وهذا العدد
يوجد فى الذرة ولا يجب وجوده لانه تمثيل وقوله فى كل صفة لسبع او للسنابل
والله يضاعف هذه المضاعفة التى هى سبعمائة لمن يشاء لا لكل
منفق لتفاوت احوال المنفقين او معناه يضاعف على هذه المضاعفة
الى الف والفين واكثر لمن يشاء والله واسع لا يضيق عليه الانفاق
عليم بقدر الانفاق ونياتهم ولما بين مضاعفة الانفاق لمن يشاء وابهم
بين نوع تبيين لمن يشاء فقال الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم
لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى الاذى شامل للمن خصصه اولا لانه كثير
الوقوع والمن من الكبائر ففى مسلم ان المنان من احد الثلثة الذين لا ينظر
الله اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم لهم اجرهم خبر الذين عند ربهم معد
محفوظ ولا خوف عليهم عند الفزع الاكبر ولا هم يحزنون على ما فات منهم ومن
الاذى ان يقول ما اشد الحاحك وخلصنا الله منك وهذه الجملة كالمفسرة
للجملة التى قبلها فان الاولى كناية عن الاجر الكثير وهذه الجملة كذلك ولهذا
ما جاء بحرف العطف ولم يقل والذين وما جاء بالفاء فى لهم لانها اخرجت
مخرج الشئ الثابت المحقق الذى لا يكاد خبره يحتاج الى تعليق وربط
لوقوع ما قبلها فلم يضمن الذين معنى الشرط قول معروف للسائل ولغيره
ومغفرة عفو عمن ظلمك وتجاوز عن الحاح السائل خير من صدقة يتبعها
اذى كمن اعطى فقيرا ثم اخرجه من بيته او آذاه بلسانه والله غنى عن
انفاق المنفقين حليم لا يعجل فى العقوبة فلا يعاقب المان والمؤذى
فى حال المن والاذى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا ثواب صدقاتكم
بالمن والاذى نصح المؤمنين عناية واحسانا بانواع من العبارات
الرادعة عن تلك الخصلة الردية والفعلة القبيحة كالذى ينفق اى
كابطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس لاجل مدحتهم مظهرا
انه يريد وجه الله فعلى هذا كالذى مفعول مطلق على حذف المضاف
ونصب رئاء على المفعول له ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يمكن

ان تكون صدقة لوجه الله للوجهين والجملة حالية فمثله اي الذي ينفق
رياء الناس كمثل صفوان حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر
كبير القطر فتركه صلدا املس نقيا عن التراب فاعماله الظاهرة كالتراب
على الصفوان يرى ارضا طيبة للزرع والغرس ويوم القيمة كالوابل
فالصدقة المقرونة بالنية الفاسدة مشبهة بالتراب الواقع على الصفوان
لايقدرون على شئ مما كسبوا ضمير الجمع راجع الى الذي ينفق باعتبار
المعنى اي لاينتفعون بما عملوا والظاهر ان الجملة مستانفة ليست من تتمة
المثل بل بيان حال المنافق والله لايهدي القوم الكافرين فيه ايماء
الى ان الرياء من اعمال المنافقين والكافرين ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضات الله لاللرياء ونصب ابتغاء بانه مفعول له و
وتثبيتا من انفسهم تصديقا ويقينا من اصل انفسهم ان الله سيجزيهم
على ذلك فيتصدقون بطيب النفس وفسحة القلب كمثل اي مثلهم
في زكاء المنفق به كمثل جنة بستان بربوة بموضع مرتفع فان الشجر فيها
احسن اصابها وابل مطر شديد وصفها بما تعلمه العرب من انتفاع
الثمر بالوابل اذ يقل الماء الجاري في بلادهم فاتت اكلها اعطت الجنة
صاحبها ثمرتها فالمفعول الاول محذوف ضعفين المراد من التثنية
التكثير مثل لبيك وعلى هذا التشبيه ابلغ وقيل ضعفين بالنسبة الى غيرها
من البساتين او مثلي ماكانت تثمر لابسبب الوابل وضعفين حال فان
لم يصبها وابل فطل فمصيبها مطر صغير القطر فطل خبر مبتدأ محذوف فعلى
اي حال بستانهم ينفع كثر ماؤه او قل فلايخلو عن فائدة كثيرة او قليلة
فالانفاق الذي لوجه الله يفيد ولايضيع بل يتضاعف اما مضاعفة
كثيرة او قليلة بحسب تفاوت الاشخاص من المعطي والمعطى له والله
بما تعملون بصير بعلم حال الاشخاص والتفاوت بينهم ايود الهمزة للانكار
احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار حصر
الشجرتين بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت فيها اشجار اخر تغليبا لهما
لانهما انفع الاشجار ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ليدل على التغليب فقال
له فيها من كل الثمرات اي له فيها رزق من كل الثمرات فالمبتدأ محذوف

نحو ما منا الا له مقام معلوم اي ما احد منا والجملة صفة ثالثة لجنة واصابه
الكبر اي كبر السن فان الفقر فيه اصعب والواو للحال بتقدير قد وله ذرية
ضعفاء اطفال ونسوان الواو ايضا للحال اي اصابه سن الكبر في هذا
الحال فاصابها اي الجنة اعصار ريح تستدير في الارض فتسطع الجو
كالعمود فيه في الاعصار وهو مذكر دون باقي اسماء الرياح نار فاحترقت
فصار احوج ماكان اليها لدى شيخوخته مع كثرة اطفاله وهذا مثل للمرائي
يجد اعماله حين غاية احتياجه اليها محبطة فيتحسر تحسر صاحب ذلك البستان
وقال ابن عباس مثل لمن كان له اعتناء بالحسنات ثم نكص على عقبيه
فعمل اخر عمره بالمعاصي كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون فيها
فتعتبرون يا ايها الذين امنوا انفقوا تصدقوا من طيبات ماكسبتم
بعض حلاله او خياره ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات
الحبوب والثمار ولم يقل وما اخرجنا بدون من ليكون عطفا على ماكسبتم
ويكون صريحا في ان الامر لانفاق الطيبات منه لان في اعادة من
اشعارا باستقلال كل من الانفاقين كما قالوا في ختم الله على قلوبهم و
وعلى سمعهم وقوله ولاتيمموا الخبيث اي لاتقصدوا الردئ دال على انه
لابد ان يكون انفاقه من الطيبات منه تنفقون حال من فاعل تيمموا
وضميره منه للمال الدال عليه الكلام ذكر الترمذي وصححه والحاكم في مستدركه
ان الانصار كانوا يعلقون اقناء البسر للفقراء في مسجد المدينة على حبل
فيعمد احدهم الى الحشف فيدخله في المعلق فانزل الله ذلك ولستم باخذيه
اي الخبيث الا ان تغمضوا فيه يعني والحال انكم لاتاخذونه في حقوقكم بوجه
من الوجوه الا باغماض بصر وتسامح فلاتجوزوا في حق الله مالا تجوزون
في حقوقكم او لاتاخذونه بوجه الا ان تغوروا فيه وتفتشوا عن حاله نحو مسئلة
غامضة اي تطلب الغور والتامل وعن ابن عباس معناه لوكان لكم
على احد حق فجاء بحق دون حقكم لم تاخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه في الله
الصحاح اغمض لي فيما بعتني اي حط عن ثمنه شيئا واعلموا ان الله غني
عن انفاقكم حميد بالقبول والاثابة الشيطان يعدكم الفقر يخوفكم الفقر
بالانفاق قائلا ان عاقبة الانفاق الفقر قال الفراء يقال وعد خيرا وشرا

على هذا معنى الا ان تغمضوا الا ان
تحطوا من ثمنه ملهم

واذا اسقط الخير والشر يقال في الخير الوعد وفي الشر الايعاد والوعيد ويأمركم
يغريكم بالفحشآء بالمعاصي التي منها البخل اغرآء الآمر والله يعدكم مغفرة اي يعدكم
في الانفاق مغفرة ذنوبكم منه من عنده وكل شئ من الله جليل وفضلا
بدلا افضل مما انفقتم في الدنيا والاخرة والله واسع فضله عليم باعمالكم ونياتكم
ولما حث على الانفاق من الطيب والاجتناب عن الخبيث وعدم الخشية عن
الفقر وعلى الرجآء بالمغفرة والفضل وعدم اتباع المن والاذى حرض عبيده
على قبول ما حث عليه بمدح العلم والعمل فقال يؤتي الله الحكمة العلم والعمل به
من يشآء مفعول اول اخره للاهتمام بالثاني ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا في البخاري ومسلم لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على
هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها وما يذكر ما يتعظ بالايات
الا اولوا الالباب ذووا العقول وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة في سبيل
الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة او معصية فان الله
يعلمه وعد ووعيد ولما كان العطف باو افرد الضمير وما للظالمين اي ظالم
كان من انصار اعوان في الشدة فدخل فيهم من يمنع الصدقات وينفق
المال في المعاصي والذي لم يف بالنذر والذي نذر بالمعصية ان تبدوا
الصدقات فنعما هي ان تظهروها فنعم شيئا ابدآؤها فضمير هي هو المخصوص
بالمدح لكن على حذف المضاف لتحقيق ارتباط الجزآء ويدل عليه تذكير الضمير
في فهو خير لكم فانه يرجع الى الاخفآء وان تخفوها وتؤتوها الفقرآء تعطوها مع
الاخفآء فهو اي اخفاؤها خير لكم والاية عامة في كل صدقة فرض او سنة
لكن صرح ابن عباس وغيره ان السر في التطوع افضل من العلانية بسبعين ضعفا وان صدقة الفريضة علانيتها افضل بخمسة وعشرين ضعفا
ويكفر عنكم اي يكفر الله يدل على ذلك قرآءة ابن كثير وابي عمرو وعاصم
بالنون والرفع دال على ان التكفير مترتب من جهة المعنى على بذل
الصدقات ابديت او اخفيت لكن قرآءة جزم الرآء يخص التكفير
بالاخفآء لانه حينئذ معطوف على جواب الشرط الثاني من سيئاتكم
اي بعضها والله بما تعملون خبير ترغيب في الاخفآء لان الصدقات
لوجه الله وهو الخبير اي العالم بباطن الاشيآء فهو مناسب لاخفآء

الصدقات ولما رغب في لزوم الهدى ووجوه الخير واكثرهم معرضون
لان ما دعا اليه هادم لما جبلوا عليه من حب المال صار صلى الله عليه
وسلم شديد الوجد دائم الحزن شفقة عليهم فخفف عليه الوجد فقال ليس
عليك لا يجب عليك هديهم جعل الناس مهديين ما عليك الا البلاغ
ولكن الله يهدي من يشآء فانه هو القادر وحده وما تنفقوا من خير
فلانفسكم لا يعود الى غيركم نفعه فلمن ظلم وما تنفقون الا ابتغآء وجه الله
والحال انه ليس انفاقكم الا لرضاه فما بالكم تمنون به وما تنفقوا من خير
على بر او فاجر يوف اليكم ثوابه وانتم لا تظلمون بنقص ثواب صدقتكم
عن ابن عباس بعد ما نزلت امر صلى الله عليه وسلم بالصدقة على كل
سائل من اي دين كان والاجماع على ان هذا في التطوع اما الواجب
فلا يجوز صرفه الى الكافر للفقرآء استئنافية كانه قيل لمن الصدقة فالمحثوث
على فعلها فاجيب هي للفقرآء الذين احصروا في سبيل الله حبسوا انفسهم
في الجهاد او في طاعة الله يعني هم الاولى والاحق وان جاز صرفها
الى غيرهم لا يستطيعون ضربا ذهابا في الارض للتجارة والكسب لاجل
فقرهم ليس لهم رأس مال ولاجل اشتغالهم بالطاعة ليس لهم فراغ
والجملة حالية يعني عاجزين او استئنافية يحسبهم الجاهل بحالهم اغنيآء
من التعفف يحسبهم من اجل التعفف عن السؤال اغنيآء تعرفهم بسيماهم
من التخشع والصفآء واثر الجهد لا يسألون الناس الحافا اي ان سألوا
عن ضرورة وقد قل هذا منهم لم يلحوا في السؤال ونصب الحافا على المصدر
فان الالحاف نوع من السؤال او الحال اي ملحفين وجاز ان يكون
النفي لنفس الحكم فينتفي القيد بنفي السؤال لانه منصب على القيد فقط
وهذا فهم ابن عباس فقال لا يسألون الحافا ولا غير الحاف والاول اكثر
في لسان العرب وهذه الجمل تحتمل الاستيناف والحالية وما تنفقوا من
خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق سيما على فقير لا يعرف فقره الا
من سيماه الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي
يعمون الاحوال بالخير وقدم الليل والسر لفضل صدقة السر ونصب سرا
على المصدر لانه نوع من الانفاق او مسرين ومعلنين عن ابن عباس

وغيره ان عليا رضي الله عنه كان له اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا
ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية فنزلت فلهم اجرهم عند ربهم الفاء
لتضمن الموصول معنى اسم الشرط لعمومه ولا خوف عليهم عند الفزع الاكبر
ولا هم يحزنون على ما فاتهم ولما ذكر الابرار النافعين المنفقين اتبعهم حال
الاشرار الضارين الاكلين اموال الناس بالظلم فقال الذين ياكلون
الربوا عبر عن الاخذ بالاكل لانه اعظم المنافع ولان الربوا شايع في المطعومات
والجملة استيناف كانه اجاب هل الانفاق المحثوث عليه من كل مال لا يقومون
من قبورهم وفي القيمة الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي الا قياما كقيام
المصروع فما مصدرية من المس من مس الشيطان اياه والممسوس المجنون
فمن متعلق بيقوم او يتخبط على سبيل التاكيد ودفع المجاز لا يقومون قبل
يقومون فيسقطون كالمصروع لا يستطيعون القيام والمشي لكبر بطونهم وذكر
الامام احمد والبيهقي وابن ماجة انه مر عليه صلوات الله وسلامه ليلة الاسرآء على
قوم بطونهم كالبيوت فاخبر انهم اكلة الربوا ذلك العقاب بانهم بسبب انهم
قالوا انما البيع مثل الربوا اعترضوا على حكم الله بان الربوا كالبيع والبيع حلال
او البيع كالربوا والربوا حرام فلا بد ان يكون البيع كذلك ولا شك من احد
ان البيع حلال فكذا الربوا والظاهر ان مرادهم ان هذا ليس من الله بل من محمد
عليه الصلوة والسلام فانه لو كان من الله لكان الربوا حلالا او البيع حراما
واحل الله البيع وحرم الربوا هذا من كلام الله ردا عليهم والواو للحال وقد
مقدرة يعني اعترضوا والحال انه قد فرق بينهما وهو العليم الحكيم فمن جاءه
موعظة من ربه فانتهى فاتعظ وترك ما نهاه ربه فله ما سلف قبل التحريم وا
وامره الى الله الى الرجاء والاحسان منه وليس من امره اليكم شيء ومن عاد
الى الاعتراض فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا بالاعتراض
كما اعترض ابليس وكفر هكذا فسره المفسرون من اهل السنة والانصاف ان
الاصوب تفسير الزمخشري عفا الله عنه وحاصله من عاد الى الاكل والارتكاب
فان الجزاء مترتب على مطلق المرتكب لا على الكافر المرتكب فان فله ما سلف
وامره الى الله له بنو عن جعل هذا اجزاء الاستحلال وان المراد ومن جاءه موعظة
فانتهى عن اكل الربوا واذا كان خلود النار للاستحلال فجزاء مرتكب الفعل

بوجوه الاول ان ما بعد الا لا يتعلق بما قبلها الا اذا كان
في حيز الاستثناء وهم منعوا تعلق البينات والزبر
بقوله وما ارسلنا من قبلك وايضا اذا تعلق بلا يقومون
يكون معناه لا يقومون في الاخرة من جنونهم ولا
جنون لهم في الاخرة وايضا يلزم ان يكون المشبه
والمشبه به واحدا فان المس هو الجنون والتخبط
الشيطان ايضا هو الجنون

غير مذكور في الكلام مع انه المقصود والاتم الاهم واذا جعل الخلود جزاء الفعل
علم ان جزاء الاعتقاد الذي هو كفر فوقه بخلاف العكس فالاولى ان يجعل هذه الاية
طباق اية ومن يقتل مؤمنا متعمدا الخ ولا بد لنا من تاويلها ومن احسن التاويلات
ان ارتكاب بعض الكبائر من غير توبة يجر الى سوء العاقبة منه القتل واكل الربوا
يمحق الله الربوا يذهب بركته فلا ينتفع به في الدنيا والاخرة ويربي الصدقات
يكثرها وينميها وقد ورد ما احد اكثر من الربوا الا كان عاقبة امره الى قلة وقد ورد
عن ابن ماجة والامام احمد ان الله يربي لاحدكم التمرة واللقمة كما يربي احدكم
فلوه او فصيله حتى يكون مثل احد يعني الداعي الى الربوا تحصيل المزيد والصارف
عن الصدقة الاحتراز عن النقصان فبين ان الربوا وان كان زيادة في الحال
الا انه نقصان في الحقيقة والمال والصدقة وان كانت نقصانا في الصورة
الا انها زيادة في الحقيقة والله لا يحب كل كفار اثيم صفتا مبالغة لتغليظ امر الربوا
ولما ذكر حال اكل الربوا ووصفه بانه كفار اثيم ذكر ضده من المطيعين الممتثلين
شرايع الاسلام فقال ان الذين امنوا بما جاء من عند الله وعملوا الصالحات
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على الاعم لشرفهما على ان ايتاء الزكوة في مقابلة
الربوا لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون على ما فات
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين اتركوا
الزيادة على رأس المال بعد الانذار ان صح ايمانكم بامر الله ونهيه فان لم تفعلوا
لم تذروا ما بقي من الربوا فاذنوا فاعلموا ومن قرأ فآذنوا معناه فاخبروا غيركم
ولا بد من علمهم به اولا بحرب من الله ورسوله يقال في القيمة لاكل الربوا خذ سلاحك
للحرب مع الله كذا قاله ابن عباس وغيره وفيه تهويل عظيم كان بين ثقيف
وبني مخزوم ربوا قبل حرمته وطلبت ثقيف بعد النهي عنه فنزلت وقالت ثقيف
لا يدي لنا بحرب من الله ورسوله وتنكير حرب للتهويل ومن لابتداء الغاية
وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بوضع رؤس
الاموال وان كان ذو عسرة وقع غريم ذو عسرة فكان تامة وصح وقوع فاعله
جثة باعتبار ما تضمنه من معنى الحدث يعني ان وقع اعسار غريم فنظرة فعليكم
تاخير مبتدأ خبره محذوف مقدم الى ميسرة الى يساره لا كطلب الربا بالقضاء
واما بالربوا كفعل الجاهلية وفي الطبراني وغيره من سره ان يظله الله يوم لا ظل الا ظله

فلييسر عليه معسرا او ليضع عنه وان تصدقوا بابراء راس المال كله او بعضه
خير لكم في الدين من الانظار ان كنتم تعلمون فضل التصدق واتقوا يوما
هو يوم القيمة ترجعون فيه في ذلك اليوم الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت
اي جزاء ما عملت وهم لا يظلمون بنقص ثوابه نزلت قبل موته عليه الصلوة
والسلام بزمان يسير وقال صلوات الله وسلامه عليه اجعلوها بين آية الربوا
وآية الدين ولما امر بالصدقة وبترك الربوا وحصل منهما تنقيص المال نبه
على طريق حلال فيه تنمية المال واكد في كيفية حفظه وامر فيه بعدة اوامر فقال
يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين ذكر بدين وان كان مفهوما من تداينتم
ليعود ضمير فاكتبوه الى منطوق به اهتماما الى اجل مسمى موقت معلوم
فاكتبوه وهذا امر ارشاد لا ايجاب لقوله هو اقسط عند الله ولقوله فان امن
بعضكم بعضا وفي الدليلين بحث وليكتب بينكم كاتب بالعدل اي كاتب
موصوف بالعدل فلا يزيد ولا ينقص وهذا اولى من ان يتعلق بيكتب لان
المناسب بيان حال الكاتب ولان فاعل الفعل بلفظ اسم فاعله من غير
وصف له قليل النفع جدا ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله اي لا يأب
ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمه نحو احسن كما احسن الله اليك
او مثل ما علمه من كتبة الوثايق لا يبدل ولا يغير قيل الاول والثاني فرض كفاية
فليكتب امر بها بعد النهي عن الاباء تاكيدا قيل كما علمه الله متعلق بقوله فليكتب
نحو ربك فكبر فالنهي مطلق والامر مقيد وليملل الذي عليه الحق الاملاء والاملال
لغتان بمعنى اي وليملل الذي وجب عليه الحق لان قوله واقراره معتبر فيكون
الكاتب شاهدا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا لا ينقص مما في ذمته
ولا يزيد في اجله المسمى وهذا اعلم من امره بالتقوى فان كان الذي عليه الحق
سفيها جاهلا بالامور او ضعيفا يعجز عن الاقرار لضعفه او لانه في سن الضعف
يعني صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو لخرس او جهل باللغة جملة
معطوفة على مفرد وهو خبر وهو تاكيد للضمير المستكن فليملل وليه الذي يلي امره
من وكيل او قيم او مترجم بالعدل بالصدق واستشهدوا شهيدين اطلبوا
ان يشهدا على الدين من رجالكم من رجال المسلمين فان لم يكونا اي الشهيدان
رجلين فرجل اي فالمستشهد رجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء

الظاهر تعلقه بقوله فرجل وامراتان وجاز تعلقه بقوله واستشهدوا وال
خطاب للمؤمنين اي من اهل الدين والعدالة ان تضل احديهما فتذكر احديهما
الاخرى والمعنى لان تذكر احدى المراتين الاخرى ان ضلت الاخرى الشهادة
لنسيان او غفلة فهو علة اعتبار العدد في المراة والعلة في الحقيقة التذكير
ولما كان الضلال سببا له نزل منزلته نحو اعددت الخشبة ان يميل الحائط
والنكتة في ايثار هذه العبارة الاهتمام بشان الاذكار بحيث صار ما هو مكروه
في نفسه وهو النسيان مطلوبا لاجله ومن حيث كونه مفضيا له ولم يرد
باحديهما معينة يعني ان ضلت ايتهما منهما ذكرتها الاخرى ولا يأب الشهداء
اذا ما دعوا لاداء الشهادة وقيل اذا ما دعوا لتحمل الشهادة وعلى هذا تسميتهم
شهداء باعتبار المشارفة وقيل عام في الاداء والتحمل لكن في الاداء واجب
وفي التحمل ندب وما زائدة ولا تسأموا ان تكتبوه نهي عن الضجر اي لا تمنعكم
الكسالة والملالة من ان تكتبوا الدين كل ذلك ضبط لاموال الناس
وتحريض على ان لا يقع بينهم نزاع وسام جاء لازما ومتعديا في تخريج
ان تكتبوه على الوجهين صغيرا او كبيرا نصب على الحال اي قليلا كان الدين
او كثيرا وقدم الصغير انتقالا من الادنى الى الاعلى الى اجله اي تكتبوا الصغير
والكبير منضما منتهيا الى وقت حلوله يعني كما يكتب اصل الدين يكتب الاجل
ايضا ذلكم الاشهاد والكتابة اقسط عند الله اعدل واقوم للشهادة واثبت
لها قال صاحب البحر قسط من الاضداد وفي الصحاح القسط بفتح القاف الجور
وبكسرها العدل فعلى هذا بناء افعل من الثلاثي الذي هو القسط فلا يكون
شاذا وكذا اقوم من قام بمعنى اعتدل وادنى ان لا ترتابوا اي اقرب لانتفاء
الريبة فانكم ان رجعتم بعد الشك في كتابتكم تزول شكوككم او نظرتم اليها قبل
الشك لا يحصل لكم شك والمفضل عليه محذوف الا ان تكون التجارة
تجارة حاضرة تديرونها بينكم لا يكون فيها اجل من مبيع وثمن وادارتها
بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد فليس عليكم جناح مضرة عند من يرى الكتابة
مستحبة واثم عند من يراها واجبة الا تكتبوها والاستثناء منقطع لان ما بعد
الا لم يدخل تحت الديون الموجلة وقراءة رفع تجارة على ان كان تامة
واشهدوا اذا تبايعتم موجلا او معجلا وظاهر كلام الله ان هذا امر وجوب

لا نسخ فيه لكن الاكثرين على ندبيته والاحاديث يؤيدها ولا يضار كاتب
ولا شهيد نهي يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمراد نهيهما عن زيادة ونقصان
وتحريف وتغيير ويحتمل ان يكون مبنيا للمفعول والضرار بهما ان يكلفا ترك
مهماتهما ولا يعطى الكاتب مقدار جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وعلى
الوجهين النهي للتحريم وقراءة ولا يضار بفك الادغام وفتح الراء الاولى
يقوى الاخير مع ان الخطاب من اول الايات انما هو للمكتوب له وللمشهود له
ولو كان خطابا للكاتب والشهيد لناسب ان يقال وان تفعلا فانه فسوق بكما
وان تفعلوا المضارة فانه فسوق لاحق بكم واتقوا الله في مخالفته ويعلمكم الله
احكامه وشرايعه والله بكل شيء عليم تكرار لفظ الله في الجمل الثلث للاشعار
باستقلال كل مع انه ادخل في التعظيم وان كنتم على سفر مسافرين ولم تجدوا
كاتبا يكتب لكم الواو للعطف على فعل الشرط او للحال فرهان مقبوضة
فلتوخذ رهان مقبوضة بدل الكتابة او فعليكم رهان مقبوضة في يد صاحب
الحق فان امن بعضكم بعضا بعض الداينين بعض المديونين فليؤد
الذي اؤتمن امانته سمى الدين امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان منه
قيل معناه ان وثق رب الدين بامانة الغريم فليدفع اليه ماله بغير كتاب
ولا اشهاد ولا رهن وعلى هذا الرخصة في عدم واحد من الثلثة مشروط
بالوثوق بامانته وليتق الله ربه سيما في الخيانة ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود
ومن يكتمها فانه اثم قلبه الكتم من معاصي القلب وعنه يترجم اللسان وقلبه فاعل
اثم والاسناد الى القلب نحو هذا مما عرفه قلبي للمبالغة قال ابن عباس والله
بما تعملون عليم تهديد ووعيد ولما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف
كثيرة سرية وجهرية بدنية وقلبية اعتقادية وعملية ناسب ختمها بهذه فقال
لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم باللسان
او بالعمل به او تخفوه فلم تظهروه يحاسبكم به الله يؤاخذكم مؤاخذة يترتب
عليها عذاب الاخرة او الدنيا او العفو فمعنى المحاسبة عدم اهماله فيغفر لمن
يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه والله على كل شيء من الممكنات
قدير اعلم ان في صحيح مسلم وغيره انه لما نزلت هذه الاية غمت الصحابة وقالوا
هلكنا فقلوبنا ليست بايدينا فقال صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا واطعنا

روي ما بن ابي حاتم عن ابي سعيد الخدري ... نسخت ما قبلها ... منه

تكتمانها من اكبر الكبائر ... صح

٥١

فقالوها فنزلت آمن الرسول الى عليها ما اكتسبت فنسختها وتجاوز عن حديث
النفس وفي الترمذي وغيره عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم قال حين سالت
عن هذه الاية وعن قوله تعالى ومن يعمل سوءا يجز به هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه
من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى ان
المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير وفي الترمذي ايضا انه قال
صلى الله عليه وسلم لا يصيب عبدا نكبة فما فوقها او دونها الا بذنب وما يعفو
الله عنه اكثر وقرا وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ثم اعلم
ان بين ظواهر هذه الاحاديث تدافعا فان الاول دال على ان المحاسبة
بخطرات النفس قد كانت ثم ارتفعت ونسخت والثاني دال على ان المحاسبة
ثابتة كما كانت لكنها اعم من الدنيوي والاخروي والثالث دال على ان العفو
اكثري فلا يحاسب على الجميع لا في الدنيا ولا في الاخرة فاقول لما فهم الصحابة من
المحاسبة المحاسبة الاخروية المترتب عليها العقاب او العفو شق ذلك
عليهم فانزل الله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ففرحوا لما علموا ان لا محاسبة
اخروية على الخطرات واما عايشة لما سالت عن الاية خوفا وشفقا على نفسها
قال صلى الله عليه وسلم طيبي نفسك فليس المراد ما فهمته من المحاسبة
انها اخروية بل المراد ان كل خطرة وعمل معدود ومحسوب عليكم يترتب عليها
اما المعاقبة الدنيوية من الحمى والمصائب او الاخروية واما العفو فعلى هذا المراد
من النسخ نسخ المعنى المفهوم المتبادر من الاية لا النسخ المصطلح يعني علمنا من قوله
لا يكلف الله الاية ان المتبادر من الاية المتقدمة منسوخ وكيف لا وقوله
وان تبدوا ما في انفسكم الى اخره خبر عن محاسبة تقع في الاخرة ولا نسخ
في الخبر وقوله وينسخ الله ما يلقي الشيطان ايضا ليس نسخا مصطلحا والمراد
من العفو الدال عليه الحديث الثالث عفو المعاقبة المترتبة على الخطرة
المعدودة المحسوبة بان لا يعاقب عليها لا في الدنيا ولا في الاخرة فلا تنافي بين
الاحاديث بوجه فلو قلت التحقيق ان لا مؤاخذة على خطرات النفس الا ان
تصير عزيمة قلنا ان جميعها محسوب معدود من جملة الاعمال لانه متروك
كالمباح عند من لم يكن للمباح ثبت من كرام الكاتبين فيترتب على الجميع المعاقبة
الدنيوية او الاخروية او العفو اما بمجرد الخطرة لا يترتب الا المعاقبة الدنيوية او العفو

وفي القاموس الخاطر الهاجس ... خواطر ... فعلى هذا الصحيح بخواطر النفس ... بخطرات النفس

لا المعاتبة الاخروية هكذا يليق ان تفهم هذا المقام آمن الرسول بما انزل اليه
من ربه والمؤمنون وجه نزول الاية قد ذكرناه وهو ان الصحابة قالوا سمعنا و
واطعنا لا كما قال اهل الكتاب سمعنا وعصينا كل من الرسول والمؤمنين آمن
بالله وملئكته وكتبه ورسله افرد الضمير في آمن ويجوز الجمع ايضا نحو كل في فلك
يسبحون اما الاول فلان المراد كل واحد واما الثاني فباعتبار الكثرة التي فيه
يقولون لا نفرق بين احد من رسله في الايمان بهم وقد مر بيان احد انه
مختص بالنفي ولذا دخلت من عليه نحو فما منكم من احد عنه حاجزين يعني من
آحادهم وقالوا سمعنا قول الله واطعنا امره غفرانك ربنا في التقصير في حقك
تقديره نسأل غفرانك او اغفر غفرانك فهو اما مفعول به او مفعول
مطلق واليك المصير المرجع بعد الموت ولما اخبر سبحانه عن عقائدهم
وتضرعهم في المسئلة بحيث يبان منه رضاه استانف بخبر منه سبحانه
لا يكلف عباده من افعال القلوب وافعال الجوارح الا بما هو في وسع المكلف
فقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها ما يسعه قدرتها لا ما لا يملك دفعه كالوسوسة
من النفس وحديثها فعلم ان التكليف بالمحال العادي ايضا غير واقع والاستثناء
مفرغ من المفعول الثاني المقدر لها ما كسبت من الخير وعليها ما اكتسبت
من الشر ولما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي اجد واعمل فيه جعلت
لذلك مكتسبة فيه بخلاف الخير فوصفت بما ليس فيه الاعتمال والمبالغة فهما
كسبت والخواطر ليست من كسب الانسان ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا
او اخطأنا سألوا النجاة عنهما فاجاب ففي صحيح مسلم وغيره انه تعالى
قال عند دعائهم قد فعلت وفي الحديث الصحيح وضع عن امتي الخطأ والنسيان
فدعاؤنا حينئذ بعد الوضع عنا كالدعاء بانه لا يخرجنا من امة محمد صلى الله
عليه وسلم وبان لا يؤاخذنا بتفريط او اغفال يفضي الى خطأ او نسيان
او الغرض من الدعاء تذكر الفضل بالعفو عنهما والتذلل بين يديه ربنا
ولا تحمل علينا اصرا تكاليف شاقة شرعية تأصر صاحبها اي تحبسه في مكانه
وان اطقناها كما حملته على الذين من قبلنا اي مثل الذي حملته اياهم
كقتلهم انفسهم وقطع موضع النجاسة وكما حملته صفة اصرا ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به من المصائب والتشديد للتعدية الى مفعول ثان واعف

عنا امح عنا ذنوبنا واغفر لنا بالستر عن فضيحتنا وارحمنا بان لا توقعنا
في ذنب آخر انت مولانا ولينا وناصرنا فانصرنا على القوم الكافرين
في مسلم وغيره قال تعالى في آخر كل دعوة من هذه الدعوات فعلت
ونعم وفي حديث رواه ابن مردويه وغيره فضلنا على الناس بثلث
اوتيت هؤلاء الايات من آخر سورة البقرة من بيت تحت العرش
لم يعطها احد قبلي ولن يعطها احد بعدي وفي مسلم اعطي الصلوات
الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك من امته شيئا وروى
ابن مردويه عن علي رضي الله عنه لا ارى احدا يعقل بلغه الاسلام ينام
حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة فانها من كنز تحت العرش

سورة آل عمران آياته مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم الم قد مر تفسيرها فلا نعيده الله لا اله الا هو منفرد
في الالوهية لا شريك له الحي حيوته من نفسه القيوم من يقوم به الكائنات
نزل عليك الكتاب القرآن بالحق بالصدق وهو حال او الباء للسبب
مصدقا لما بين يديه من الكتب انها من الله وقيل الكتب السماوية اخبرت
بمجيء القرآن ووقوع المخبر به يجعل المخبر صادقا وانزل التورية والانجيل
من قبل من قبل ان نزل القرآن هدى للناس من قبل حال اي هاديا
او مفعول له وجملة نزل مستانفة ونص النحاة ان التورية والانجيل
لفظان عبرانيان لا يدخلهما اشتقاق عربي وانزل الفرقان الفارق
بين الحق والباطل والمراد جنس الكتب الالهية عمم بعد ما خص ذكر الثلثة او المراد
القرآن كرره بما فيه من الوصف تعظيما لشأنه قيل قال نزل يعني منجما من
السماء الى الارض ثم قال انزل اي جملة الى السماء الدنيا فلا تكرار لكن الحق ان التنزيل
والانزال واحد ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد لما ذكر الكتب
الالهية اوعد من لم يؤمن بها والله عزيز غالب غير مغلوب ذو انتقام ممن
خالف رسله لما وصف ذاته الاقدس بالحيوة والقيومية وانزال الكتب واعداد
العذاب للكافر والعزة والانتقام المتفرع على الالوهية من غير شركة وصفه ايضا
بالعلم فقال ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء عبر عن العالم
بهما لما انهما العالم كله في النظر الظاهر وقوله في الارض صفة شيء ولما ذكر

والفرق اصطلاح بعض

صفة العلم اتبعه صفة القدرة والتدبير فقال هو الذي يصوركم في الارحام
كيف يشاء من الذكورة والانوثة واختلاف الصور وفي الارحام ظرف
ليصور ومفعول يشاء محذوف اي يشاء ان يصوركم لما ذكر من الصفات
الحسنى ما دل على انه هو المنفرد بالالهية وهو الغالب الحكيم ذكر نتيجته فقال لا اله
الا هو العزيز الحكيم هو الذي انزل عليك يا محمد الكتاب القران منه آيات
محكمات واضحات الدلالة ومن للتبعيض خبر آيات والجملة حال او استيناف
هن ام الكتاب اصل الكتاب الذي يرد اليه غيره فان لم يكن مخالفه
قبلناه والا فحكم ببطلان ما فهمنا منه وهن نواسخ القران وحلاله وحرامه
وما لا يحتمل الا وجها واحدا والايات كلها كاية واحدة في تكاملها ولهذا لم يقل
امهات الكتاب واخر متشابهات اي وآيات اخر وكل ما لم يكن محكما
فهو متشابه وللمفسرين في تعيين المحكم والمتشابه اختلافات كثيرة
فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق فيتبعون ما تشابه منه ينزلونه
على مقاصدهم الفاسدة وتركوا المحكم لانه لا نصيب لهم فيه ابتغاء الفتنة
بين المسلمين وابتغاء تاويله حقيقته وما يؤول امره اليه او المراد ابتغاء تاويله
على ما يشتهونه والاول اظهر لقوله وما يعلم تاويله الا الله يعني لاهل الزيغ
غرضان كل منهما مهتم به عندهم ولهذا كرر ابتغاء ولا يبعد ان لبعضهم
ابتغاء الفتنة ولبعض آخر ابتغاء التاويل وعند اكثر السلف ان تاويل
بعض الايات لا يعلمه احد الا الله وبعض الاحاديث يؤيده وفي قراءة
ابن مسعود ان تاويله الا عند الله وكذا في قراءة ابي بن كعب وهو المتبادر
الى الفهم من سوق كلام الله والراسخون في العلم يقولون امنا به بالمتشابه
او بالكتاب من القراء من يقف على قوله والراسخون في العلم وهو خلاف
المتبادر وروى عن ابن عباس انا من الراسخين الذين يعلمون تاويله
وعلى التوجيه الاول المتبادر يقولون خبر الراسخون وعلى الثاني استيناف
قال بعض التاويل يطلق على معنيين احدهما حقيقة الشيء وما يؤول اليه امره
كما قال الله عن لسان يوسف هذا تاويل رؤياي وقال الله يوم ياتي تاويله
الثاني التفسير والبيان فان اريد به الاول فالوقف على الله متعين وان
اريد الثاني فالوقف على والراسخون في العلم كل من المحكم والمتشابه من عند

ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب وما يتعظ بالقران الا ذووا العقول السليمة في
الحديث الصحيح قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي انزل الى قوله
اولوا الالباب فقال اذا رايتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم
وفي حديث صححه ابن ابي حاتم حين سئل عن الراسخين قال صلى الله عليه
وسلم من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه
فذلك من الراسخين في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا اي يا ربنا من مقال الراسخين
او بتقدير قولوا اي لا تملها عن الحق بعد اذ هديتنا الى الايمان بكل ما جاء من
عندك يعني بعد وقت هدايتك فاضاف بعد الى اذ واذ الى الجملة بعدها
وهب لنا من لدنك رحمة تثبتنا بها قلوبنا انك انت الوهاب جاء
بصيغة المبالغة دلالة على كثرة هباته وناسب فاصلة اولي الالباب ربنا
انك جامع الناس في القبور لما سالوا ان لا يزيغ قلوبهم وثمرة انتفاء
الزيغ ووهب الهداية انما تظهر في القيمة اخبروا انهم موقنون بها ليوم
اي لجزاء يوم لا ريب فيه اي في وقوع ذلك اليوم ان الله لا يخلف الميعاد
تتمة قولهم والالتفات الى الغيبة لما في لفظ الله من التعظيم والهيبة ولا يبعد
ان يكون من كلام الله لا من كلام الراسخين والجملة مستانفة مصدقة لهم
ولما استعاذوا من الزيغ لخوف الجزاء في القيمة بين تعالى حال بعض
الزائغين ومآلهم تثبيتا لمن دعى فقال ان الذين كفروا عاما لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم فانهم يفتخرون بهما من الله من عذابه شيئا من الاغناء
فنصبه على المصدر وقيل هو مفعول به لان معنى اغنى عنه كفاه فهو ثاني
مفعوليه نحو كفى الله المؤمنين القتال وقيل من الله بمعنى بدل رحمة
الله نحو لا ينفع ذا الجد منك الجد ونحو ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة واولئك
عطف على خبر ان وهو لن تغني او عطف على الجملة الكبرى هم وقود النار
حطب نار جهنم كداب ال فرعون اي دابهم وحالهم كحال ال فرعون
والذين من قبلهم كامة شعيب وصالح وهود ونوح كذبوا باياتنا تفسير
لدابهم يعني كما كذب قريش واليهود فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد
العقاب تهويل وتشديد للمؤاخذة قل يا محمد للذين كفروا انك بعد ما علموا
حال الكفار انه ستغلبون في الدنيا وتحشرون الى جهنم كما غلبوا

وحشروا اليها وبئس المهاد جهنم وهذا من تمام ما يقال لهم او استئنافة
من الله وعن ابن عباس وغيره لما رجع المسلمون من بدر حذروا
اليهود عما نزل بقريش فاجابوا بان لا يغرنكم ما وقع لقريش فانهم اغمار
لا يعرفون الحرب ولو قاتلتمونا لعرفتم الناس فنزلت الى قوله لعبرة لاولي
الابصار وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب
الجزية على الباقي قد كان لكم ايها الكافرون وهو من تتمة المقول آية
علامة دالة على انكم مغلوبون والمؤمنين غالبون بنصر الله في فئتين
التقتا يوم بدر فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله واخرى عطف على فئة
كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت حذف من الجملة الاولى ما اثبت مقابله
في الجملة الثانية ومن الثانية ما اثبت مقابله في الاولى قال تعالى الذين امنوا
يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
يرونهم مثليهم كان المسلمون ثلثمائة وبضعة عشر والكافرون ما بين تسعمائة
الى الف يعني يرى الكافرون المؤمنين مثلي عدد انفسهم او مثلي عدد المؤمنين
ليحصل لهم الرعب او معناه يرى المؤمنون الكافرين مثلي عدد انفسهم مع انهم
اكثر ليثقوا بوعد وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين او مثلي عدد المشركين
ليتوكلوا ويستعينوا بالله وكل هذا في اول الامر اما في حال القتال كل واحدة
منهما قللوا الاخرى كما قال الله واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم الاية وقد نقل ان
عبد الله بن مسعود سال من يليه هل تريهم سبعين قال اريهم مائة رأي
العين رؤية ظاهرة معاينة فهو منصوب على المصدر ومثليهم حال لكن
الاولى ان نقول يرون بمعنى يعلمون علما مستندا الى المعاينة ورؤية البصر
وعلى هذا مثليهم مفعول ثان كما هو المتبادر والله يؤيد بنصره من يشاء نصره
ان في ذلك التكثير والتقليل وغلبة القليل لعبرة لاولي الابصار عظة لذوي البصائر
ولما ذكر انه لا يغني اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فصل الاموال والاولاد
وغيرهما مما يلهيهم عن ذكر الله فقال زين للناس الذكور والنساء تبع حب
الشهوات اراد المشتهيات وفي التعبير بالشهوات مبالغة كانهم احبوا
شهواتها ولان الشهوة مسترذلة عند العقلاء يذم متبعها من النساء لا شئ اعظم
منهن في الشهوة وقد ورد ما ايس الشيطان من بني آدم الا اتاهم من قبل

النساء يعني هن ذخيرته والبنين المتولدين منهن والقناطير التي بها تم
امر المشتهي وفي عدد القنطار وهو المال الكثير اختلاف والظاهر
المبالغة فيما يملكه الانسان من العينين وفي الحديث لو كان لابن آدم
واديان من ذهب لابتغى ثالثا المقنطرة العرب تشتق من لفظ
الشئ الذي تريد المبالغة فيه ما تتبعه به تاكيدا وتنبيها على تناهيه كظل
ظليل وداهية دهياء وليل اليل من الذهب والفضة قدم الذهب
لانه اعز والخيل التي تورث لراكبها الخيلاء المسومة الراعية او السمينة او
او الحسان والانعام الابل والبقر والغنم لانها اكثر مراكبهم ومنها ماكولهم
ومشروبهم والحرث فانه يعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ذلك
اي المذكور متاع الحيوة الدنيا يتمتع به ثم يزول عن قريب والله عنده
حسن المآب المرجع وهو الجنة التي اعدت للمتقين وفيه تزهيد في الدنيا
الفانية قل يا محمد اؤنبئكم بخير من ذلكم اخبركم بخير مما زين للناس للذين اتقوا
مخالفة ربهم عند ربهم جنات تجري من تحتها تحت غرفها واشجارها
الانهار والاولى ان يكون للذين خبر جنات والجملة مستانفة خالدين
فيها وازواج مطهرة من كل دنس ورضوان من الله وهو اعلى
والله بصير بالعباد باعمالهم وقلوبهم ونياتهم فيعطيهم ما يستحقونه الذين
يقولون بيان حال المتقين وهو مرفوع على المدح اي هم الذين مستانفة
ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا بسبب ايماننا بان تتقبل الايمان منا وقنا
عذاب النار بان توفقنا لان لا نخالف امرك الصابرين منصوب
على المدح اي اعني واختلاف الاعراب في الوصف ابلغ اي الصابرين
على التكاليف الشرعية والمصائب والصادقين فان الكذب والبخل
لا يجتمعان في مؤمن والقانتين الخاضعين والمنفقين من اموالهم
في جهات الخير والمستغفرين بالاسحار السحر من ثلث الليل الاخر الى الفجر
وهو وقت اجابة الدعا ولما بين ان المتقين هم القائلون بوحدانيته
اتبعه ما يدل على صدق مقالهم وانهم مندرجون في زمرة الشهداء الذين
هم الملائكة والانبياء والاولياء فقال شهد الله اعلم انه لا اله الا هو بان نصب
ادلة التوحيد وبان بين ذلك في كتبه والملائكة واولوا العلم من الانبياء

هو الف اوقية او الف دينار او الف ومائتا دينار وقيل غيرها منه

والانقياد بان اقروا واعترفوا وبينوا ادلة التوحيد وكفى العالمين بهذه المرتبة
الجليلة قائما بالقسط بالعدل في احكامه لايحوم حول افعاله ظلم ونصب قائما
على انه حال من فاعل شهد وهذا جائز لانه لالبس نحو رايت السلطان وعبيده
راكبا والباء بالقسط للتعدية اي مقيما به او من قام بالامر اذا ثبت ملتبسا به
مباشرا له على طريق الاستعارة من القيام بمعنى الانتصاب لا اله الا هو
ذكر ذلك نتيجة لشهادتهم بل لقيامه بالقسط ولذا اخره وليبنى عليه قوله العزيز
الغالب بدل من هو او خبر محذوف الحكيم الذي لا يصدر عنه شيء الا على وفق
الاستقامة ان الدين عند الله الاسلام جملة مؤكدة لشهد الله وعند
ظرف للدين لاحال منه فان ان كما قال ابو البقا لا يعمل في الحال والمراد منه
اتباع خاتم الانبيا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين وقد قال بعض
المحققين الاسلام انقياد الرسل واتباعهم في كل حين حتى ختم بسيد الرسل
الذي سد جميع الطرق الى الله الا من جهته فمعنى قوله وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان اختلاف الامم
ما كان الا بعد ما قامت عليهم الحجج بارسال الرسل وانزال الكتب عليهم لبغض
بعضهم بعضا فلا اختلاف الا للحسد ومن يكفر بايات الله فان الله سريع
الحساب الضمير العائد الى الشرط محذوف اي سريع الحساب له فيجازيه الجزاء
الاوفى فان حاجوك جادلوك في الدين المبين فيه التوحيد فقل اسلمت
وجهي لله اخلصت نفسي ولما كان الوجه اشرف الاعضا عبر به عن الجميع
ومن اتبعن كذلك فمن مبتدا محذوف الخبر نحو قضى زيد نحبه وعمرو اي وتقديره
واسلم من اتبعن وجهه وهو عطف على فاعل اسلم وجاز للفصل والمراد ان
ديني دين التوحيد الذي ثبت عندكم ايضا وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني
ولا يبعد ان يكون المراد كفاني اسلامي واسلام اصحابي فان اسلمتم فلكم
وان كفرتم فعليكم وما علي الا البلاغ ولهذا قال وقل للذين اوتوا الكتاب
والاميين عطف على الذين وهم مشركو العرب ااسلمتم لما وضحت
الحجة ام بقيتم بعد على العناد وفيه تعيير لهم بمعاندتهم وعدم انصافهم وهذا
مثل ما تقول لمن اوضحت له مسئلة هل فهمت توبيخا على البلادة وقيل
الاستفهام بمعنى الامر فان اسلموا فقد اهتدوا اعبر بصيغة الماضي المصحوب

بقد مبالغة في الاخبار بوقوع الهدى وحصوله لهم وهذا من الله لا من تتمة
المقول وان تولوا اعرضوا فلا عليك من اعراضهم شيء فانما عليك البلاغ
وقد بلغت والله بصير بالعباد وفيه وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات
الله هم اباؤهم الاقدمون الملاعين ويقتلون النبيين المظهرين لايات الله
قتل بنو اسرائيل اربعين نبيا في ساعة واحدة بغير حق التنكير هنا مناسب
ليدل على التعميم وهو حال من فاعل يقتل اي مبطلين وقيل تقديره قتلا
بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط بالعدل من الناس غير الانبيا
قام مائة وسبعون من علمائهم لمنعهم عن الانبيا فقتلوا وهذه اوصاف
اسلافهم الذين يفتخر اسباطهم بهم فنعى على الاسباط الراضين بقبائح اسلافهم
الدائرين حول قتل سيد الانبيا فكان الاسباط هم الاسلاف فالبشارة
بالعذاب للاسباط ولهذا اورد قبائح اجدادهم بصيغة المضارع لانها
بمنزلة فعل اسباطهم وليتذكروها كانها وقعت لهم مشاهدة فبشرهم بعذاب
اليم عند من يقول ليست البشارة الا فيما فيه سرور يكون هذا من باب التهكم
والاستهزاء والصحيح جواز دخول الفاء في خبر ان اذا كان اسمها متضمنا معنى
الشرط نحو ان الذين قالوا ربنا الله الاية ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
الاية ان الذين كفروا وصدوا الاية وعند من لم يجوز فالفاء زائدة على غير
القياس اولئك الذين حبطت اعمالهم اي بطلت في الدنيا لم تحقن دماؤهم
واموالهم والاخرة وما لهم من ناصرين اذ لم تنفعهم نصرة الجمع فنصرة الواحد
اولى بان لاتنفع الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي حظا من التورية
ومن للتبعيض يدعون الى كتاب الله التورية ليحكم بينهم اي ليحكم الكتاب
سالوا احد المحصن فحكم صلى الله عليه وسلم بالرجم فما صدقوه فطلب التورية
فستروا اية الرجم باكفهم وابن سلام رضي الله عنه رفع اكفهم وقراها عليهم
فغضبوا وانصرفوا فنزلت او قالوا كان ابراهيم يهوديا فقيل لهم هلموا التورية
فابوا وعن ابن عباس وغيره انهم دعوا الى القران فاعرضوا وعلى هذا المراد
من كتاب الله القران ثم يتولى يعرض فريق منهم مع علمهم وهم معرضون
جملة حالية مؤكدة او التولي بالابدان والاعراض بالقلوب يعني قوم عادتهم
الاعراض عن الحق ذلك المذكور من التولي والاعراض بانهم قالوا لن

الجملة هنا اخرجت مخرج الشرط وهو عام فناسب المنفي
من التنكير حتى يكون عاما وفي سورة البقرة جاء في صورة
الاخبار عن ناس معهودين وذلك قوله ذلك بانهم كانوا
يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق فناسب
التعريف لان الحق الذي يستباح به قتل الانفس عندهم
كان معروفا معهودا بخلافه في هذه السورة منه

لن تمسنا النار الا اياما معدودات قلائل كما مر يعني اعراضهم عن الحق
مع علمهم بانه حق لتسهيلهم عذاب الله في انفسهم وطمعهم في الخروج من النار
بعد ايام قلائل وغرهم في دينهم في امر آخرتهم ما كانوا يفترون من الكذب
كقولهم هذا او قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وغير ذلك فكيف اذا جمعناهم
فكيف في موضع النصب اي فكيف يصنعون او في موضع الرفع خبر للمبتدأ
اي فكيف حالهم واذا معمول للمحذوف والاستفهام للاستعظام والتهويل
ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه في وقوعه ولا تنس تفسير قوله ذلك الكتاب
لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاءه وهم يعلمون كفرهم وتكذيب
رسلهم وقتلهم وافتراءهم وتحريفهم كتاب الله وهم لا يظلمون بتنقيص
الحسنات وتضعيف السيئات وهذا من باب كل في فلك يسبحون
وقد مر في قوله كل آمن بالله ولما بين ضلال اهل الكتاب وحال مآلهم
بعد الموت اشار الى مآلهم في الدنيا بان لهم الذل وانتزاع ديارهم وملكهم
منهم وعز المسلمين وانتقال ملك اهل الضلال اليهم فقال قل اللهم
يا الله مالك الملك لك الملك كله تتصرف فيه كيف تشاء وعند سيبويه
ان اللهم لا يوصف لانه بالاختصاص والتعويض خرج عن كونه متصرفا كجهيل
اذ الميم بمنزلة الصوت مضموم الى اسم مع بقائهما على معنييهما بخلاف
مثل سيبويه فقد صار الصوت فيه جزء الكلمة وعلى هذا مالك نداء
ثان تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء حرف التعريف في الملك
للجنس لكن القرينة دلت على انه في الثاني والثالث لحصة من الجنس وتعز من تشاء
وتذل من تشاء مفعول تشاء في المواضع الاربعة محذوف بيدك الخير
كل شيء اي من الله فهو خير فيه حكم ومصالح او اكتفى بالخير لانه المرغب فيه والتعليم
مراعاة الادب وتقديم الخبر للحصر انك على كل شيء من الممكنات قدير قيل
نزلت لما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق فتح فارس والروم
فقالت المنافقون من اليهود هيهات ولما ذكر انه على كل شيء قدير بين ذلك
بقوله تولج تدخل بالزيادة والنقص الليل في النهار وتولج النهار في الليل
وتخرج الحي كالحيوان من الميت كالنطف والبيض وتخرج الميت كالمني والبيض
من الحي كالحيوان او كالمؤمن من الكافر وعكسه وترزق من تشاء وفور رزقه

بغير حساب اي رزقا كثيرا من غير ضيق ولما بين ان الخير كله بيده وهو
القادر على كل شيء وهو الرازق فعلى عبيده ان يتوكلوا في جميع امورهم عليه
ولا يتجاوزوا بوجه من الوجوه وحال من الاحوال عن طاعة مولاهم ولا يركنوا الى
اعداء الله حذر من الركون اليهم فقال لا يتخذ المؤمنون الذين هم اولياء الله
الكافرين الذين هم اعداء الله اولياء احباء لا محبة ظاهرة ولا باطنة لصداقة
سابقة او قرابة قريبة او غيرهما من دون المؤمنين من لابتداء متعلق
بالفعل المنهي او صفة او حال من اولياء وفيه اشارة الى انهم الحقيقون بالمحبة
ومن يفعل ذلك اتخاذهم اولياء من صميم القلب فليس من الله في شيء اي فمن له
محبة اعداء الله فليس في شيء من محبة الله فانه لا يجتمع محبتا متعاديين في قلب
فقوله من الله في الحقيقة صفة لشيء لكن لما قدم صار حالا الا ان تتقوا منهم من
الكافرين تقية يعني لا تتخذوهم اولياء لجهة من الجهات الا لجهة المخافة منهم فحينئذ
في المحبة الظاهرة رخصة فمن للابتداء متعلق بتتقوا وتقية مفعول مطلق من
باب انبته نباتا وفي تتقوا تضمين معنى تخافوا وتحذروا والا ان الاتقاء متعد بنفسه
لا بمن وتتقوا من باب الالتفات من الغيبة الى الخطاب وهذا الالتفات في غاية
الحسن لانه حين نهيهم عما لا يجوز جعلهم غائبين ولما حصل الاذن في بعض
ذلك واجههم بذلك ايذانا بلطف الله بهم وتشريفا بخطابه اياهم ويحذركم
الله نفسه اي من عقاب صادر عن نفسه وهذا غاية في التحذير كما يقال احذر
غضب السلطان نفسه والى الله المصير فاحذروا كل الحذر قل ان تخفوا
ما في صدوركم من مثل المحبة الباطنة لاعداء الله ولا تظهروه او تبدوه تظهروه
يعلمه الله فاحذروا اعمالا لا يجوز اخفاؤه او اظهاره ويعلم ما في السموات وما
في الارض فكيف لا يعلم سركم وجهركم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبة
من يخالفه كانه قال يحذركم نفسه فانه متصف بعلم محيط بكل شيء وقدرة تعم
المقدورات يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا اي اذكر يوم تجد كل نفس ما عملت من خير حال
كونه محضرا وما عملت من سوء وقوله تود جملة استينافية كان قائلا يقول ما حال
نفس وجدت خيرها الذي عملت وشرها فاجاب تتمنى لو ان بينها وبين
ما عملت من سوء مسافة بعيدة ففيه ايماء الى غلبة شرها وعلى هذا يوم تجد

منصوب بمقدر ومثل هذا طريقة قرانية وتجد متعد الى مفعول واحد على معناه
الاصلي ولو للتمني والجملة كالبيان لتود ومحضرا حال وعندي ان هذا احسن
المعاني واعاريب الاية وجاز ان يكون عامل يوم تود اي تتمنى النفس لو
ان بينها وبين ذلك اليوم مسافة بعيدة يوم تجد الخير والشر حاضرين عندها لتسلم
من مجازاة الشر وقيل وما عملت من سوء مبتدأ لا عطف على ما عملت وتود خبره
وضمير بينه لما ووجدان الخير والشر مجاز عن وجدان صحايفهما او حضورهما
في ذهنه بعد ان نسيهما ويحذركم الله نفسه قيل ان ذكره اولا للمنع عن موالاة
الكفار ولذلك عقبه بقوله والى الله المصير وثانيا للحث على عمل الخير والتجنب عن السوء
ولهذا عقبه بقوله والله رؤف بالعباد ومن رأفته انه حذرهم قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني نزلت فيمن قال من النصارى نعبد المسيح حبا لله او في من قال
من اليهود نحن احباء الله او في من قال من المشركين نحن نعبد الاصنام حبا
لله لان يشفعوا لنا يحببكم الله يرض عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يحصل لكم فوق
ما طلبتم فانهم طلبوا رتبة المحبية فيحصل لهم رتبة المحبوبية واما جزم الفعلين فلجواب
الامر وذكر لكم للابهام اولا والتوضيح ثانيا كما قيل في الم نشرح لك صدرك ووضعنا
عنك وزرك والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فيه اشارة بعد قوله
قل ان كنتم الى اخره الى ان طاعة الرسول طاعة الله فان تولوا عن الطاعة ويحتمل
ان يكون فعلا مضارعا اي تتولوا فان الله لا يحب الكافرين يعني يبغض من
لا يطيع وفيه دلالة على ان التولي كفر وايماء الى ان مرتكب السيئات يحوم حول وادي
الكفر ولما ذكر بغض من لم يطع بعد ذكر محبوبية المطيعين خص رأس المطيعين و
رئيسهم بالذكر فقال ان الله اصطفى آدم يعني ابا البشر ونوحا وهو بمنزلة الاب
للجميع وال ابراهيم الانبياء الذين من ذريته خاتمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وعليهم
وسلم وال عمران والد مريم او والد موسى وهرون والاول اولى لتكرره في قوله
اذ قالت امراة عمران على العالمين على من دونهم ذرية بعضها من بعض حال
او بدل من نوح والالين اي ذرية متشعبة بعضها من بعض فترجع الى اصل واحد
والله سميع عليم فيصطفي مستقيم القول والعمل اذ قالت مقدر باذكر ولم يات
بالواو لانه كالبيان لما تقدم وكان هذا اولى مما قيل ظرف لسميع عليم على التنازع
والعمل للثاني لان السمع والعلم يصيران مقيدين امراة عمران ام مريم اسمها حنة

نقل البغوي والواحدي وغيرهما انها نزلت عن ابن عباس منه

كما قيل ليس الشان ان تحب انما الشان ان تحب منه

رب اني نذرت لك ما في بطني اوجبت على نفسي ان يكون ما في بطني لك
لا استخدمه محررا معتقا مخلصا للعبادة وتلك طلبت من الله تعالى بهذه العبارة
ذكرا ونذرت تحريره ويمكن انه كان في دينهم عتق الاولاد فتقبل مني ما نذرت
انك انت السميع العليم بقولي ونيتي فلما وضعتها مرجع الضمير ما في بطني لكن
لما كان مؤنثا انثه قالت رب اني وضعتها انثى تحسرا وعذرا مما نذرت فانها
كانت ترجو ذكرا ولذلك حررته كانها قالت وضعت ما في بطني حال كونه
انثى وتانيث الضمير هنا ليس لما مر بل لان كل ضمير وقع بين مذكر ومؤنث
هما عبارتان عن مدلول واحد جاز فيه التذكير والتانيث والحال بمنزلة الخبر
فانث الضمير الراجع الى ما نظرا الى الحال اي انثى من غير ان يعتبر فيه معنى
الانوثة ليلزم ان يكون بمنزلة قولك وضعت الانثى انثى والله اعلم
بما وضعت هذا قول الله تعظيما لموضوع كان آية للعالمين واما في قراءة
وضعت فمن كلامها تسلية لنفسها بانه يمكن ان يكون فيها سر وفي نفس الامر
اجتمع قول الله وقولها وفي احدى القراءتين بيان وذكر لاحد القولين ولا يبعد
ان يقال انها لما قالت ما قالت استدركت وقالت والله اعلم بما وضعت
لان صورة قولها رب اني صورة قول من يكون مخاطبه جاهلا بالحال فتادبت
واعتذرت وفي قراءة التانيث ايضا يمكن ان يكون استدراكا من الله
تعليما للادب وليس الذكر كالانثى اي ليس الذكر الذي طلبت لخدمتك
كالانثى التي وهبت لما فيها من حيض ونفاس ومزيد حياء وستر وقيل هو
قول الله اي ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واني سميتها مريم
عطف على اني وضعتها وجملة والله اعلم بما وضعت في قراءة سكون التاء
معترضة نحو فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم ومريم
في لغتهم العابدة فاشارت بقولها واني سميتها الى ان تفاءلت باسمها حتى
يكون فعلها مطابقا لاسمها واني اعيذها بك اجيرها بحمايتك وذريتها
من الشيطان الرجيم المطرود وفي مسلم ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان
حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها فتقبلها ربها رضي بها
مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر فالقبول اسم
لما يقبل به الشيء كالسعوط وانبتها نباتا حسنا بشكل مليح ومعرفة بالله

بل الذي وهبت اجل واعلى منه

لفظ هذا ان يقال قبولا حسنا فاحتيج لتصحيح معنى الكلام الى حمل القبول على الاختصاص الذي ذكرنا اي ما يقبل به الشيء بجعله بمعنى المفعول بالواسطة اعني ما يقبل به وهو قريب من الالة منه

وطاعة وكانت تنبت فى يوم واحد ما ينبت المولود فى عام وهذا مصدر على غير
الصدر حيث لم يقل انباتا وقيل تقديره فنبتت نباتا حسنا وكفلها زكريا وكان
زوج خالتها او زوج اختها وكانت تقتبس منه العلم والعمل وفى قراءة تشديد
الفاء ونصب زكريا فالفاعل هو الله وزكريا مفعول ثان كلما دخل عليها زكريا
المحراب الغرفة التى بنيت لها فى المسجد وجد عندها رزقا فاكهة الصيف
فى الشتاء والشتاء فى الصيف قال يا مريم انى لك هذا من اين لك فى غير
اوانه والباب مغلق قالت هو من عند الله لم يات به آدمى والظاهران
ذلك بعد كبرها ان الله يرزق من يشاء بغير حساب لكثرته فلا تستبعد
والظاهران هذا من كلام مريم هنالك فى ذلك المكان الذى راى الاشياء
فى غير اوانها ومن غير الاسباب المعهودة دعا زكريا ربه طمع فى ولد من عاقر قال
رب هب لى من لدنك من غير اسباب ظاهرة فان زوجه ايشاع كانت
عجوزا عاقرا وقد كانت اختها حنة ام مريم كذلك ذرية طيبة كما وهبتها لام مريم العجوز
العاقر انك سميع الدعا مجيبه فنادته الملئكة اى جنس الملئكة فان المنادى
جبريل وحده وهو قائم فى الصلوة الجملة حالية يصلى فى المحراب خبر بعد خبر
او صفة لقائم او حال ان الله اى بان الله وقراءة كسران على ارادة
القول اولان النداء نوع من القول يبشرك بيحيى ولدا من صلبك
مصدقا مؤمنا بكلمة من الله يعنى بعيسى فانه اوجده بكلمة كن دون اب
كانا ابنى خالة وكانت ام يحيى تقول لمريم انى اجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك
وسيدا فائقا فى الخلق وحصورا لا ياتى النساء مع القدرة عليه زهادة وقيل
كان حصورا فى حبس النفس عن الشهوات وفى حديث رواه ابن ابى حاتم
بروايات متنوعات وابن المنذر كل ابن آدم يلقى الله بذنب الا يحيى بن زكريا
فانه كان سيدا وحصورا ثم اهوى صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض
فاخذها وقال كان ذكره مثل هذه القذاة ونبيا ناشيا من الصالحين
فمن للابتداء فانه كان من اصلاب الانبياء او معناه نبيا كائنا من الصالحين
فمن للتبعيض قيل ونعم ما قيل هذا مدح للصلاح وعظم شانه حيث جعل
الصلاح مدحا للانبياء قال رب انى يكون لى غلام استعظام واستبعاد
من حيث العادة او استفهام عن كيفية حدوثه ايكون من امراته العجوز او من غيرها

او يصير شابا وتصير مثله كما قال زكريا انى لك هذا والاستبعاد بعد سوال
الولد بقوله رب هب لى من لدنك ذرية طيبة بعيد لكن الجواب بقوله
كذلك الله الى آخره مشعر به وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر قيل كان عمره مائة
وعشرين وعمرها ثمانية وتسعين قال اى الملك كذلك الله يفعل ما يشاء
اى يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو ايجاد الولد من
الشيخ الفانى والعجوز العاقر فقوله كذلك متعلق بيفعل او كذلك خبر الله
على تقدير مضاف اى صنع الله ويفعل ما يشاء جملة مفسرة قال رب
اجعل لى آية علامة استدل بها على حملها فازيد شكرا على شكر قيل وسوس
اليه الشيطان بان من يبشرك بالولد ما كان الا شيطانا من اتباعى ولهذا
التمس علامة وهذا بعيد جدا والله اعلم قال الله آيتك الا تكلم الناس الا تقدر
على التكلم مع سلامتك وتقدر على الحمد والتسبيح ثلثة ايام يعنى بلياليها الا رمزا
اشارة بيد او راس او حاجب والاستثناء منقطع على الاصح لئلا يلزم الجمع
بين الحقيقة والمجاز واذكر ربك كثيرا اى ذكرا كثيرا والظاهران المراد فى ايام
الحبسة وباللسان وسبح اى سبحه بالعشى قال الجوهرى العشى من المغرب
الى العتمة وزعم قوم انه من زوال الشمس الى غروبها والابكار المراد به اول
النهار وبالعشى اخره واذ قالت الملئكة اى جنس الملئكة وهو جبريل
عطف على الجمل المتقدمة بتقدير اذكر ولما فرغ من قصة زكريا وكان قد استطرد
من قصة مريم اليها رجع الى قصة مريم والمقصود براءتها مما رمتها به اليهود
يا مريم ان الله اصطفاك اختارك حين تقبلك من امك بقبول
حسن وطهرك من الاكدار يعنى خلقك طاهرة واصطفاك على نساء
العالمين اصطفاك اولا وربّاك واختصك بالكرامات السنية واصطفاك
آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى والقى عليك من روحه
يا مريم ناداها الملك ثانيا لاجل الاهتمام بعبادتها اقنتى لربك اطيعى
بطول الصلوة واسجدى قدم السجود لانه افضل وقيل السجود فى دينهم
مقدم على الركوع واركعى مع الراكعين المراد صلوة الجماعة وجماعة الرجال
افضل وقيل المراد الموافقة فى مجرد الفعل لانها كانت فى عبادتها منفردة
من اهلها وركدت فى محرابها راكعة وساجدة وقائمة حتى نزل فى قدميها

الماء الاصفر ذلك ابتداء كلام الله مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم اى ذلك
المذكور من القصص من انباء الغيب نوحيه اى نوحى الغيب اى من شاننا
ان نوحى بالمغيبات اليك فهو مخبر عن الوحى الدال على نبوته التى انكرها المنكرون
وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ليعلموا ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون
فى كفالتها روى ان مريم حين ولدت لفتها امها فى خرقة ووضعتها عند الاحبار
ابناء هرون وهم كالسدنة للكعبة فى بيت المقدس وقالت لهم هذه النذيرة فتنافسوا
فيها لانها بنت سيدهم وامامهم فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها فاختصموا
واقترعوا عليها وانطلقوا الى نهر الاردن وهو الاصح والقوا فيها اقلامهم فارتفع قلم
زكريا ورسبت اقلامهم فكفلها ونفى المشاهدة مع ان انتفاءها معلوم بقينا وترك
نفى الاستماع والقراءة الموهومين لانهم معترفون بانه عليه الصلوة والسلام ليس
من اهل القراءة من كتاب ولا احد يخبره وهم منكرون لنبوته والوحى اليه فانحصر
ان اخباره من جهة المشاهدة المعلوم انتفاؤها فنفيت تهكما واستهزاء بهم وايهم
يكفل مبتدأ وخبر والجملة فى موضع نصب بمحذوف كما قدرنا اذ قالت الملئكة مقدر
باذكر ولم يات بالواو لانه كالتتمة والمبين لما سبق وقيل بدل من اذ قالت الاولى او من
اذ يختصمون والثانى مع انه اقرب ابعد لان بين الوقتين بعدا بعيدا يا مريم ان الله
يبشرك بكلمة منه اى بولد وجوده بكلمة من الله لا على طريق سائر الاولاد ومن اب
ومادة اسمه ذكر ضمير الكلمة باعتبار المسمى المسيح معرب مشيحا عنى المبارك وقيل
سمى بالمسيح لانه مسح وجه الارض لكثرة مسافرته او لانه ما مسح ذا عاهة الا برا عيسى
ابن مريم المراد من الاسم العلامة المميزة وقدم اللقب لما فيه من التعظيم وذكر اللقب
والعلم والصفة ولا بعد ان المسيح وعيسى علمان كمحمد واحمد لنبينا صلى الله عليهما وسلم
والمجموع علامة مميزة ويكون على منوال هذا حلو حامض وجيها عظيم قدره فى الدنيا
والاخرة ومن المقربين نصب وجيها ومن المقربين على الحال من كلمة فانها نكرة
موصوفة بقوله منه ويكلم الناس عطف على وجيها نحو صافات ويقبضن
فى المهد اى طفلا وكهلا فقوله فى المهد حال لا ظرف لغو وفى ذكر كهلا بشارة لمريم ببقائه
فان من ولد لثمانية اشهر لم يبق وقد ولدته لثمانية وايضا من تكلم فى المهد يموت
وقيل اشارة الى انه لا يصل سن الشيخوخة ثم انه رفع شابا فالمراد كهلا بعد نزوله
او اشارة الى ان كلامه فى الحالين سواء لا ككلام الاطفال فانه نزل من السماء

ابن ثلث وثلثين قائلا انى عبد الله اتانى الكتاب كما قاله فى المهد ومن الصالحين
عطف على وجيها او على فى المهد قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر
استبعاد عادى لانها كانت محررة والمحررة لا تتزوج ابدا قال الملك كذلك
الله يخلق ما يشاء خلقه اى يخلق خلقا مثل ذلك ذكر فى قصة زكريا يفعل ما يشاء
وهنا يخلق ما يشاء لان هذا اغرب فانه مخترع من غير مادة اذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون القول اما على حقيقته او المراد تمثيل حصول ما تعلقت
به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف ويعلمه الكتاب الاولى ان يكون
عطفا على الجملة المقولة وهى كذلك الله يخلق وقراءة نعلمه بالنون يؤيده
والكتاب جنس الكتب وقيل الكتابة اى الخط والحكمة اى العلم مع العمل والتورية
والانجيل كان عيسى يحفظها ورسولا اى ويجعله رسولا الى بنى اسرائيل مخبرا انى
اى بانى قد جئتكم باية من ربكم واما التوجيهات الاخر فكلها تمحلات لا تخفى على متامل
انى اخلق لكم اى اصور والجملة مفسرة والتقدير هى انى من الطين كهيئة الطير
مثل صورته فانفخ فيه الضمير لما هو معلوم وهو مثل الهيئة واما ان الضمير عائد الى
الكاف الاسمية ففى المغنى انه غير واقع فى كلام العرب فيكون طيرا حيا طيارا
باذن الله بامره وابرئ الاكمه من ولد اعمى والابرص ذا الداء المعروف
وقيل المراد الجذام وهو اشد والبرص من مقدماته واحيى الموتى باذن الله
ذكر مكررا لدفع وهم الالوهية خصوصا فى الاحياء وانبئكم بما تاكلون الان وما تد
وما تدخرون فى بيوتكم لغد اى الغداء ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ان
كان خطابا للمؤمن بعد فمعناه اية هادية لكم ان امنتم وان كان للمؤمن بالفعل
فهو كما تقول لابنك اطعنى ان كنت ابنى ومصدقا اى وجئتكم مصدقا لما بين
يدى لكتاب انزل من قبلى من التورية وقيل عطف على باية ويكون باية حالا
لان الباء للتعدية وليس بعطف على رسولا لانه يجب حينئذ ان يقول لما بين
يديه وكذا ان كان عطفا على مخبرا المقدر قبل انى قد جئتكم ولاحل لكم اى وجئتكم
لاحل قيل عطف على محذوف اى وجئتكم مصدقا لاهديكم ولاحل وقيل عطف
على معنى مصدقا نحو جئتك معتذرا ولاطيب خاطرك بعض الذى حرم عليكم
فى شرع موسى وفيه دلالة على ان شرعه كان ناسخا لبعض شرع موسى وهو
الصحيح من القولين وقيل معناه لابين لكم ما تنازعتم فى حله وحرمته واخطأتم

١ اى على يبشرك ولا على وجيها
٢ هذا اذا كان للملك حاكيا عن الله
منه

فيكون عطفا على قد جئتكم منه

وجئتكم باية من ربكم الظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها
الى الحكم ولذلك رتب عليه قوله فاتقوا الله واطيعون فيما آمركم وانهاكم ولما اظهر
المعجزات شرع في الدعوة فقال ان الله ربي وربكم فاعبدوه اما قرآءة فتح ان
فتقديره فاعبدوه لان الله ربي وربكم وقيل معناه وجئتكم باية على ان الله ربي
وربكم هذا صراط مستقيم اي طريق مشهود له بالاستقامة فلما احس عيسى منهم الكفر
تحقق عنده كفرهم تحقق المحسوسات لانكارهم نبوته بل ارادة قتله قال من
انصاري الى الله اي ذاهبا الى نصرة الله يعني نصرة دينه قال الحواريون
حواري الرجل خالصته وعن ابن عباس هم اثنا عشر كانوا يسيحون معه فيخرج
لهم من الارض ما احتاجوا اليه نحن انصار الله انصار نبيه ودينه آمنا بالله واشهد
يا عيسى بانا مسلمون منقادون لامر الله ونهيه ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا
الرسول عيسى فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبياء فانهم شهداء لاتباعهم او مع امة
محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء الله على الناس او مع الشاهدين بوحدانيتك
ومكروا اي الذين احس عيسى منهم الكفر في قتله ومكر الله جازاهم على مكرهم حين
رفع عيسى الى السماء كما سيجي تفصيله في اخر سورة النساء والمكر الاحتيال والخديعة
وهو سبحانه منزه عن ذلك سئل جنيد كيف رضي ربنا سبحانه لنفسه المكر
وقد عاب به غيره فقال لا ادري ما تقول فانشد ويقبح من سواك الفعل عندي
فتفعله فيحسن منك ذاكا ثم قال قد اجبتك ان كنت ذا لب والله خير الماكرين
اقويهم واقدرهم اذ قال الله ظرف لمكر الله يا عيسى اني متوفيك المراد من
الوفاة هنا النوم وعليه الاكثرون وهو الذي يتوفيكم بالليل او المراد قابضك
من الارض ووافيا لم ينالوا منك شيئا من توفيت مالي وعند النصارى
ان الله اماته سبع ساعات وبعد رفعه الى السماء احياه والاجماع على انه
حي في السماء ينزل ويقتل الدجال ويؤيد الدين ورافعك الي الى محل كرامتي
والرفع النقل من سفل الى علو ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم
ومكرهم وجاعل الذين اتبعوك الذين هم على دينك فوق الذين كفروا
بك الى يوم القيمة بالغلبة والعزة واليهود شردهم الله اي تشريدا ليس لهم مدينة
يختصون بها متفرقون اقطار الارض تحت قهر المسلمين والنصارى ومعنى
الجعل التصيير وعلى هذا قوله فوق ثاني مفعوليه ثم الي مرجعكم اي مرجع التابعين

والكافرين في القيمة الي حكمي وهذا من باب الالتفات فاحكم بينكم فيما كنتم فيه
تختلفون من امر عيسى ودينه وقوله فيه ظرف تختلفون اتى بالحكم مبهما ثم
فصل المحكوم بينهم الى كافر ومؤمن وذكر جزاء كل منهم فقال فاما الذين كفروا
بدأ في تفصيل حال الفريقين لا تفصيل الحكم الاخروي لان قوله في الدنيا فيه
بالكفار لان اول الكلام في شان من كفر به فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا
متعلق ببدأ
بالسبي والقتل والجلاء والاخرة وما لهم من ناصرين لا في الدنيا ولا في الاخرة واما
واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات قرنه بالعمل الصالح لان كمال النجاة ورفعة
الدرجات ليس الا للعاملين والكفر يكفي في المقت فيوفيهم اجورهم من غير نقص
والله لا يحب الظالمين فكيف ينقص من اجورهم شيئا وفي الاول قال فاعذبهم
بهمزة المتكلم وحده ليطابق قوله فاحكم بينكم وفي المؤمنين قال فيوفيهم بالغيبة
للتنوع في الفصاحة وفي قرآءة نوفيهم بنون التعظيم لان المؤمن العامل عظيم
عند الله فناسب الاخبار عن المجازي بنون العظمة ذلك اشارة الى القصص
المذكورة نتلوه عليك نسرده ونذكره شيئا فشيئا ونتلوه بمعنى تلوناه او
ظاهره لان قصة عيسى لم يفرغ منها وهذا في البين من الايات اي القرآنية
او المراد المعجزات والذكر الحكيم القرآن المحكم الممنوع عن الباطل او الذكر المشتمل
على الحكم وهذا دال على نبوتك وقوله ذلك مبتدأ ونتلوه خبره ومن الايات
حال من المفعول او خبر بعد خبر او هو الخبر ونتلوه حال عامله معنى الاشارة
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم شانه الغريب كشانه في الغرابة خلقه اي خلق
قالبه من تراب الجملة مفسرة ثم قال له كن بشرا فيكون حكاية حال ماضية وهذه
كناية عن سرعة الايجاد وشبه الغريب وهو ما لا اب له بالاغرب وهو ما لا ام
ولا اب له ليكون احسم لمادة شبهة الخصم الحق من ربك اي هو الحق ومن
ربك حال او خبر بعد خبر او الحق مبتدأ ومن ربك خبره اي الحق المذكور من
الله فلا تكن من الممترين الغرض من هذا الخطاب نهي غير النبي صلى الله عليه
وسلم عن الشك فمن حاجك جادلك فيه في عيسى من بعد ما جاءك
من العلم بانه عبد الله ورسوله ومن في فمن موصولة او شرطية وما موصولة
ومن بيانية او تبعيضية فقل تعالوا هلموا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم اي ندعو نحن ابناءنا وانتم ادعوا ابناءكم والمراد من الانفس

اجيب عن ذلك بوجوه كلها
تمحلات وما ذكرنا هو الاولى
منه

هو عينه وابن عمه والعرب تسمي ابن عم الرجل نفسه وقدم الابناء والنساء لان
الرجل يقدمهم على نفسه ويفديهم بنفسه ولما نزلت الاية طلب صلى الله عليه
وسلم علي بن ابي طالب والحسن والحسين وفاطمة الى المباهلة وقال هؤلاء
اهلي ومن هذا علم ان المراد اعزة لا ان شرط المباهلة ثلاثة من كل من الابناء
والنساء ثم نبتهل نتضرع في الدعاء او نتلاعن من البهلة بالفتح والضم اللعنة
وهي اصل الابتهال ثم استعمل في دعاء يجتهد فيه فنجعل لعنة الله على الكاذبين
فنقول كل منا لعن الله الكاذب منا في امر عيسى اما سبب المباهلة و
نزول الايات المتقدمة فمناظرة وفد نجران وهم ستون راكب فيهم اربعة
عشر من الاشراف والعلماء بعضهم زاعمون انه هو الله وبعضهم على انه
ولد الله وبعضهم على انه ثالث ثلاثة فانزل الله صدر هذه السورة الى بضع
وثمانين آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وفاطمة وحسن
وحسين ودعا الوفد الى المباهلة فقالوا دعنا ننظر فقال كبيرهم ما لاعن قوم
نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم واني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل
جبلا لازال فقالوا يا ابا القاسم قد راينا ان لا نلاعنك ونتركك على دينك
ونرجع ونبذل لك الخراج روى البخاري ومسلم والترمذي بعض ما قلنا ورواه
البيهقي والنسائي وابن مردويه بتمامه وغيرهم ذكروه باطول من ذلك ان هذا
من قصص عيسى ومريم لهو القصص الحق دون ما ذكروه وما من اله الا الله
رد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم فمن لم يتصف بالقدرة
الناشئة عن الغلبة بحيث لا يمتنع عليه شئ والعلم المعبر عنه بالحكمة فيما صنع
والاتقان فيما اخترع بحيث لا يخفى عنه شئ لا يليق بان يكون الها مدبرا للعالم
وهاتان منتفيتان عن عيسى صلوات الله وسلامه عليه فان تولوا عما اوحينا
اليك فان الله عليم بالمفسدين فيه دلالة على ان الاعراض عن التوحيد
والحجج انحراف للدين ولما اتم الحجة امره بندائهم الى اذعان النتيجة فقال قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء مصدر وصف به اي مستوية بيننا وبينكم لا يختلف
فيها كتاب ولا من له فهم ان لا نعبد الا الله هذا تفسير للكلمة او بدل من كلمة
ولا نشرك به شيئا جملة مبينة وشيئا مفعول به او مصدر ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله فنعتقد فيهم الالهية كما اتخذت النصارى عيسى

واليهود عزيرا او لا يطيع بعضنا بعضا في معصية الله كما قال تعالى اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم فان تولوا عن اجابة التوحيد
فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اعلموا انا مباينون لكم وقد لزمتكم الحجة فوجب
عليكم الاعتراف باسلامنا وهذا كما يقول الغالب للمغلوب اعترف باني
انا الغالب يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم ادعت اليهود ان ابرهيم
كان يهوديا وادعت النصارى انه نصراني ولم اصله لما حذفت الالف
وما استفهامية وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده انكر عليهم سبحانه ودين
ان اليهودية انما هي منتسبة لمن انزل عليهم التورية والنصرانية لمن انزل
عليهم الانجيل وهما انما انزلا بعد ابرهيم بمدة مديدة فكيف يكون ابرهيم على هذا
او على ذاك افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم
ها حرف تنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وجملة حاججتم الى اخره مبينة للاولى اي
انتم هؤلاء الحمقى وحماقتكم انكم جادلتم عنادا فيما علمتموه من كتابكم كقصة عيسى وغيره
فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم لا من نقل ولا من عقل فربما يجادل الرجل فيما له به
علم لعناده لكن فيما لا علم له لا يبحث عنه الا فهما وطلبا للحق والله يعلم شانه وانتم
لا تعلمون فعليكم استفساره عن رسوله ما كان ابرهيم يهوديا قدم انتفاء
اليهودية عنه لان شرعها اقدم ولا نصرانيا صرح بنتيجة الحجة فقال ولكن كان حنيفا
مائلا عن كل دين باطل وله دين مستقل مسلما منقادا لله وما كان من المشركين
تعريض لاهل الكتاب لاعتقادهم في عزير وعيسى ولقريش فزعمهم انهم على دين
ابرهيم ان اولى الناس بابرهيم كان اليهود تقول والله يا محمد لقد علمت انا
اولى بدينه منك ومن غيرك وباعثك الحسد في عدم اعترافك يعني اقربهم
واخصهم من الولي وهو القرب والمفضل عليه محذوف وهو منكم للذين اتبعوه
كانوا على دينه وهذا النبي والذين امنوا اي هذا النبي الذي ترونه موصوفا بكل
خصلة حميدة والذين آمنوا معه من المهاجرين والانصار وفي الترمذي وغيره
لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم ابي وخليل ربي ثم قرأ هذه الاية قال
الرازي الاصول واحد في الجميع واما الفروع فالمخالفة فيها بين دين محمد ودين
ابرهيم قليلة جدا والله ولي المؤمنين ناصرهم لايمانهم بالرسل ودت طائفة
من اهل الكتاب دعا بعض اليهود عمارا ومعاذا وحذيفة الى اليهودية لو

لو يضلونكم لو بمعنى ان عند الكوفيين وجمهور البصريين ينكرون ذلك فعلى مذهبهم
مفعول ودو جواب لو محذوف اى ودوا اضلالكم لو يضلونكم لسروا بذلك
وعلى هذا جملة لو يضلونكم مفسرة وما يضلون الا انفسهم ما حصل لهم من الاضلال
الاضلال انفسهم لاكتسابهم الاثم وما يشعرون اختصاص ضرره بهم يا اهل
الكتاب لم تكفرون بايات الله التى فى التورية والانجيل فتغيرونها وتحرفونها
وتكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون صدقها يا اهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل تخلطون الحق بما تخترعونه فلا يميز بينهما وتكتمون الحق
من آية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تعلمون حقيته ما تلبسونه
وتكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين امنوا
يعنى القران المنزل عليهم على زعمهم وجه النهار اوله وسمى وجها لانه اول ما يواجه
الناظر منصوب على الظرف الزمانى لامنوا واكفروا اخره لعلهم المؤمنين يرجعون
عن الاسلام تواطأ اثنا عشر حبرا من اليهود على ذلك الخداع لان يشك المؤمنون
فى دينهم ويقولوا هم اعلم منا وما رجعوا عن دين الاسلام بعد ان دخلوا فيه
الا لظهور بطلانه عندهم لدى مراجعتهم الى كتاب التورية وصفة محمد صلى الله
عليه وسلم فاطلع الله نبيه على تلك المكيدة ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
اى ولا تؤمنوا مقرين بحقية الاسلام الا لمن تبع دينكم واستقر على اليهودية
لا للمسلمين ولا للمشركين قل ان الهدى هدى الله فمن هداه الله لا ينجع فيه مكركم
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم اى ان الهدى ان يؤتى احد
من العلم والدين الحق مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم فيبطلوا ويدحضوا حجتكم وعلى هذا
ان يؤتى هو خبر ان وهدى الله بدل من اسمه واو بمعنى الى ان او معناه ولا
ولا تؤمنوا مقرين بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الدين الحق ولا بان يغلبوكم
بالحجة عند الله فى القيمة الا لاشياعكم ومخلصيكم وعلى هذا قوله قل ان الهدى
هدى الله جملة مستقلة معترضة نحو ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعى
الى ترجمان وقوله او يحاجوكم عطف على ان يؤتى واثار او على الواو لافادة
العموم نحو ولا تطع منهم اثما او كفورا او معناه لا تؤمنوا هذا الايمان الذى هو المكر
الا لاجل رجوع من كان على دينكم ثم اسلم فان رجوعهم الى دينكم ارجى عندكم
واشجى لحلوق المسلمين ثم قال الله لنبيه قل ان الهدى هو هدى الله فعلم ما فعلم

من الكيد مخافة ان يؤتى الى اخره يعنى ليس لكم داع الى الكيد سوى الحسد وعلى
هذا ان يؤتى علة لمحذوف هو من المقول واو للتنويع قل ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء هو تاكيد لمعنى قل ان الهدى هدى الله وفيه تكذيب لما ادعت
اليهود من ان شريعة موسى مؤبدة ولن يؤتى الله احدا مثل ما اتى بنى اسرائيل
من النبوة فان الفضل بيده متصرف فيه كالشئ باليد والله واسع فضله
عليم بكل شئ يختص برحمته من يشاء لحكمته البالغة والله ذو الفضل العظيم ومن
اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار الباء للالصاق او بمعنى فى اى فى حفظه
او بمعنى على نحو لا تامنا على يوسف ونحو هل امنكم عليه يؤده اليك كعبد الله
ابن سلام اودع عنده الف ومائتا اوقية من ذهب فاداه ومنهم من ان
تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء اودع دينارا فجحده والقنطار
والدينار مثلان للكثير والقليل الا ما دمت عليه قائما اى الا مدة دوامك
قائما على راسه مبالغا بالتقاضى وما مصدرية ظرفية ذلك اى ترك الاداء
بانهم بسبب انهم والظاهر ان ضمير هم عائد الى من فى من ان تامنه بدينار
والجمع نظرا الى المعنى قالوا ليس علينا فى الاميين فى شان العرب سبيل ذم
وعتاب لان اموالهم احل الله لنا ويقولون على الله الكذب اى اخترعوا
ان فى التورية اخذ مالهم لنا حلال وهم يعلمون ان هذا على الله افتراء كان
بنو اسرائيل يعتقدون استحلال اموال العرب لكونهم اهل اوثان فلما جاء
الاسلام واسلم من اسلم منهم بقى اليهود فيهم على ذلك المعتقد بلى اى بلى عليهم
فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى ضميره بعهده راجع الى من اى وفى باى عهد
عهد ومن عهدهم الايمان بكل ما جاء من عند الله او الضمير راجع الى الله
وقوله ان الذين يشترون بعهد الله يؤيد ذلك فان الله يحب المتقين
فان الله يحبه لتقواه عن الكفر والمعاصى وجملة من اوفى استينافية ان الذين
يشترون بعهد الله يستبدلون بما عاهدوا الله من الايمان برسله فاضافة
بعهد الله اضافة الى المفعول وجاز ان يكون مضافا الى الفاعل وايمانهم
نحو والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا كرشوة فى تحريف التورية وتبديل
نعت محمد عليه صلوات الله وسلامه اولئك لا خلاق لهم لا نصيب لهم فى الاخرة
من رحمة الله ولا يكلمهم الله بما يسرهم ولا ينظر اليهم نظر عناية يوم القيمة ولا يزكيهم

لا يثني عليهم او لا يطهرهم من دنس معاصيهم يستحقوا سكون دار كرامته ولهم
عذاب اليم روى الامام احمد في مسنده ان الآية نزلت في تنازع بين صحابي
ويهودي في ارض فتوجه الحلف على اليهودي وروى البخاري عن عبد الله بن
ابي اوفى انها نزلت في رجل اقام سلعة في سوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه
ليوقع فيها احدا من المسلمين وان منهم من اهل الكتاب لفريقا يلوون
السنتهم بالكتاب يميلونها عن المنزل الى المحرف وعن الحق الى الباطل
فالباء للظرفية والمضاف محذوف اي بقراءة الكتاب لتحسبوه ايها المؤمنون
وضمير المفعول لما حصل باللي وهو المحرف من الكتاب التورية وما هو من الكتاب
ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله فيه تشنيع وتفضيح ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ما كان لبشر ما ينبغي لاحد من الآحاد
ان يؤتيه الله الكتاب والحكم الحكمة او امضاء الحكم من الله والنبوة ثم يقول
بالنصب عطف على يؤتيه واما على قراءة الرفع فللقطع اي ثم هو يقول واتى بثم
تعظيما لهذا القول اي ان هذا الايتاء العظيم لا يجامع هذا القول وان كان بعد
مهلة من هذا الانعام الجسيم للناس كونوا عبادا لي من دون الله عن ابن عباس
ان هذا رد على اليهود حيث قالوا اتريد يا محمد ان نعبدك كما تعبد النصارى
عيسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ما بذلك بعثني فنزلت
وقال محيي السنة نزلت ردا على النصارى حيث قالوا ان عيسى امرهم ان
يتخذوه ربا ولكن يقول كونوا ربانيين منسوب الى الرب بزيادة الالف
والنون كلحياني لعظيم اللحية اعني شديد التمسك بالدين والطاعة لان الشيء
انما ينسب الى ما اشتهر به بما كنتم متعلق بكونوا تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
اي بسبب كونكم معلمين الناس كتاب الله ودارسين قارئين والمفعول الاول
لتعلمون محذوف ولا يأمركم بالنصب عطف على يقول اي ما استقام لاحد
ان يؤتيه الكتاب ثم يترتب عليه ان يقول للناس كونوا عبادا لي ولا ان يأمرهم
باتخاذ الملئكة والنبيين اربابا وبالرفع استيناف ان تتخذوا الملئكة والنبيين
اربابا كما فعلت النصارى ايأمركم استفهام تعجب وضمير الفاعل لبشر في قوله
وما كان لبشر بالكفر بعد اذ انتم مسلمون منقادون لامر الله وبعد منصوب
بالكفر او بيأمركم واذ مضافة الى الجملة الاسمية واضيف اليها بعد ولا يضاف

اليها الا الظرف زمان واذ اخذ الله مقدر باذكر اي اذكر يا محمد لتذكيرهم
بما في كتبهم وجاز ان يكون ظرفا لقوله اأقررتم ميثاق النبيين اي كل نبي
بعث من لدن آدم واذا كان هذا حكم النبيين فالامم به اولى وقيل
المراد هم والامم لكن استغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل ميثاق النبيين
الاضافة الى الفاعل اي اخذ الله الميثاق الذي وثقته الانبياء
على اممهم لما آتيتكم من كتاب اللام لتوطئة القسم وما شرطية ان اريد
بالايتاء الانزال فيكون من خطاب الكل بخطاب اشرف انواعه فليس
انزل على الكل وتعميم الانبياء مجاز وان اريد بالايتاء كونه يهتدي به ويدعو
الى العمل به صح في جميع الانبياء والتعميم حقيقي وحكمة ثم جاءكم رسول اي
رسول كان مصدق لما معكم من الكتاب والحكمة وهذا من باب اقامة
المظهر موقع المضمر لتؤمنن به ولتنصرنه هذا جواب القسم وجواب الشرط
محذوف دال عليه جواب القسم وهذا مرادهم حيث يقولون هذا جواب
القسم والشرط فان الشرط يقتضي جوابا يعمل فيه بالجزم والقسم يطلب جوابا
على جهة التعلق المعنوي به من غير عمل فلا موضع له من الاعراب ومحال
ان يكون الشيء الواحد له من الاعراب موضع ولا موضع له من الاعراب
كذا قاله المحققون واما قراءة لما بكسر اللام فما مصدرية واللام متعلق بالقسم
الدال عليه لام لتؤمنن لا ان اللام متعلق باخذ او بلتؤمنن صرح بذلك
الزمخشري في قوله فبما اغويتني لاقعدن او المراد من النبيين انبياء
بني اسرائيل والمراد من رسول محمد صلى الله عليه وسلم او المراد من النبيين
عام كما تقدم ولكن المراد من رسول محمد فعن علي وابن عباس ما بعث
الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه
وامره ان يأخذ الميثاق على امته قال اأقررتم بالايمان والنصر واخذتم
على ذلكم اصري اي عهدي قالوا اقررنا اي واخذنا على ذلك الاصر
فحذف لدلالة ما تقدم عليه قال الله فاشهدوا اي ليشهد بعضكم على بعض
بالاقرار وهو عطف على محذوف تقديره قال اأقررتم فاشهدوا او قال الله
للملئكة اشهدوا وانا اي الله سبحانه معكم من الشاهدين على اقراركم
وتشاهدكم فمن تولى اعرض وما عمل بموجب الميثاق بعد ذلك الميثاق

قال في البحر هذا احسن لا تكلف فيه

الغليظ فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن الايمان افغير دين الله
تبغون الهمزة للانكار وقدم المفعول لانه المقصود بالانكار والتنبيه على الخطأ
في التولي والاعراض اولا تساع وشبه تبغون بالفاصلة اذ في الحقيقة
الذي انكر هو الابتغاء وله اسلم انقاد من في السموات والارض طوعا
كالملئكة والمسلمين وكرها كالكافرين باجمعهم حين البأس وقيل المراد يوم
الميثاق حين قال لهم الست بربكم فمن قال بلى طوعا اسلم بعد الوجود ومن
قال كرها كفر والاظهر ان المراد بمن في السموات والارض العموم وانتصب
طوعا وكرها على المصدر او الحال اي طايعين وكارهين واليه ترجعون وقرئ
ووعد عطف على له اسلم واو وله للحال والمناسب الخطاب لان الراجعين
جميع الخلق والباغين هم المعرضون قل آمنا بالله وما انزل علينا وما
انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب من الصحف والوحي والاسباط
هم بطون بني اسرائيل المتشعبة من اولاد اسرائيل وما اوتي موسى وعيسى
والنبيون اي وسائر النبيين من ربهم متعلق بما اوتي فانه اقرب ومن اتى
محذوف للقرينة امر رسوله ان يخبر عن نفسه ومتابعيه ولذلك وحد الضمير
في قل وجمع في آمنا او ان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك تعظيما لا نفرق
بين احد منهم بالتصديق ونحن له مسلمون منقادون مخلصون و
ومن يبتغ غير الاسلام اي غير الانقياد والتوحيد دينا وغير الاسلام المفعول
ودينا تمييزا او دينا مفعول وغير الاسلام حال لانه صفة قدم فلن يقبل منه وهو
في الاخرة عطف على جواب الشرط او عطف جملة على جملة من الخاسرين
بابطال فطرة السليمة وقوله في الاخرة متعلق بمحذوف دل عليه الخاسرين
او بالخاسرين على ان اللام غير موصول او على ان في الظرف توسعة لا
كيف يهدي الله استفهام انكار قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا عطف
على ايمانهم لما فيه من معنى الفعل لان معناه بعد ان امنوا وقيل حال
بتقدير قد ان الرسول حق وجاءهم البينات البراهين على صدق ما جاء
به محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب المعجز والمعجزات الخارقة واليهود
قد كانوا مؤمنين او لانهم ان الحسد اوقعهم في الكفر والجحود والله لا يهدي
القوم الظالمين الذين ظلموا وضعوا الكفر موضع الايمان اولئك جزاؤهم

فان الانكار لا يتوجه الا الى الافعال لا الى الذوات فاشبه تبغون بالفاصلة منه

ان عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين كل كافر يلعن جميع الكفار يوم
القيمة حتى نفسه وقيل كل كافر في الدنيا يلعن مخالف الحق فهو يلعن نفسه
من حيث لا يدري خالدين فيها في اللعنة او النار مقدرة لا يخفف عنهم العذاب
جملة مستانفة ولا هم ينظرون يمهلون او ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر
عناية الا الذين تابوا من بعد ذلك الارتداد واصلحوا ودخلوا في الصلاح نحو اصبح
فان الله غفور لذنبه رحيم بقبول توبته والاية كما قال النسائي وابن حبان والحاكم
في رجل من الانصار لا في اليهود آمن ثم ارتد ثم ندم وارسل الى قومه ان سلوا
هل لي من توبة ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هو تمييز اي ازدادوا
كفرهم لن تقبل توبتهم فان توبتهم حين الاحتضار واولئك هم الضالون
نزلت في من آمن بكتابه ثم كفر بالانجيل ثم ازداد كفره بالقران وعن ابن عباس
كما رواه البزار وقال ابن كثير اسناده جيد نزلت في قوم اسلموا ثم ارتدوا ثم
اسلموا ثم ارتدوا ثم ندموا وارسلوا الى قومهم يسالون هل لنا من توبة وعلى هذا
الحكم بعدم قبول التوبة خاص بتلك الجماعة لا عام ولهذا ما دخل الفاء في لن تقبل
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي في حال موتهم فلن يقبل ودخل الفاء لان
المراد من الذين كفروا العموم تشبيها للموصول باسم الشرط من احدهم ملء
الارض ذهبا نصب على التمييز وعند الكسائي بنزع الخافض اي من ذهب
نحوا وعدل ذلك صياما ولو افتدى به اي لا يقبل منه ذلك بوجه من الوجوه
من مثل التصدق ولو كان بوجه الافتداء الذي ليس فيه منة نحو اعطوا السائل
ولو جاء على فرس وردوا السائل ولو بظليف محرق كان هذه الاشياء مما
كان لا ينبغي ان يؤتى به لان السائل اذا كان على فرس يشعر بغناه فلا ينبغي
ان يعطى فقوله لو على سبيل الفرض لانه لا يمكنه ان ياتي بملء الارض
ذهبا وهذا احسن التوجيهات بل هو المتعين اولئك لهم عذاب اليم وما لهم
من ناصرين في رفع العذاب فكيف بناصر واحد ولما اخبر انه لا يقبل ممن
مات على الكفر ملء الارض ذهبا على سبيل الفرض حض المؤمنين على
الصدقة النافعة فقال لن تنالوا البر اي القرب من الله حتى تنفقوا مما
تحبون من للتبعيض وحين نزلت تصدق كثير من الصحابة باحب اراضيهم
وباساتينهم وجوارهم وخيلهم ومحبة المال ليست الا في حال صحة وسلامته

جاز ان يكون من اصبح متعد حذف مفعوله اي اصلحوا ما افسدوا منه

قال في الصحيح الكشاف منه

اقرب من توجيهات الزمخشري والبيضاوي [illegible] لان الظاهر [illegible] عدم قبول ملء الارض ذهبا [illegible] اولم يقبله وليس الغرض ذلك منه

قال تعالى وآتى المال على حبه وما تنفقوا من شئ اى شئ كان من طيب
تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم فيجازى بحسبه ولما بين ان نيل
البر بانفاق المحبوب من المال ذكر ان اسرائيل حرم على نفسه للتقرب
الى الله احب الطعام اليه فقال كل الطعام اى الذى كان مباحا لابرهيم
عليه الصلوة والسلام فان الميتة والخنزير ما كانا مباحين لاحد كما قاله
القفال كان حلا اى حلالا مصدر يستوى فيه الجمع والمفرد لبنى اسرائيل
الا ما حرم وهو لحمان الابل والبانها اسرائيل هو يعقوب على نفسه لنذر
نذره فى مرض ان عافاه الله لا ياكل احب الطعام والشراب اليه وهما
وعلى ذلك حديث رواه الامام احمد والترمذى وقال حديث حسن من قبل
ان تنزل التورية متعلق بحلا وعند الكسائى وابى الحسن ما قبل الا يعمل فيما
بعده اذا كان ظرفا او مجرورا او حالا واما على غير مذهبهما فيقدر له عامل من
جنس ما قبله واما تعلقه بحرم فهو خلاف الاولى فان بين اسرائيل ونزول
التورية مددا مديدة فيكون من توضيح الواضحات قل يا محمد فاتوا بالتورية
فاتلوها تقديره هذا هو الحق لا ما زعمتم معشر اليهود فاتوا بالتورية فان فيه مصداق
لما قلت من ان التحريم حادث ان كنتم صادقين ان لحمان الابل والبانها
كانا محرمين على ابرهيم طعن اليهود انكم تزعمون ان ملتكم ملة ابرهيم وقد كان
حرم عليه اشيآء من لحم الابل ولبنه وانتم تحللونه فنزلت ان حرمة بعض الاشيآء
بشؤم ذنوبكم بعد نزول التورية فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم فمن افترى على الله الكذب يحتمل اندراجه تحت القول ويحتمل
انه اخبار من الله من بعد ذلك العلم بان التحريم حادث فاولئك هم
الظالمون قل صدق الله فى جميع ما اخبر وكذبتم انتم فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا
مائلا عن الباطل فان ملتنا ملته وقد مر جواز ان حنيفا حال من ملة فى قوله تعالى
بل ملة ابرهيم حنيفا فلا تمس وما كان من المشركين تعريض باليهود ولما امر
باتباع ملة ابرهيم ومن ملته حج بيت الله تعالى اخذ فى ابتدآء امره الى منتهاه
فقال ان اول بيت وضع صفة بيت للناس ظهر على وجه المآء عند خلق
الارض والسمآء خلقه الله تعالى قبل خلق الارض بالفى عام وكانت زبدة
بيضآء على المآء ودحيت الارض من تحتها كذا قاله ابن عباس وغيره او
بانيه ملائكة هم سكان الارض قبل آدم او بانيه آدم او اول بيت وضع لعبادة الله
وكانت البيوت قبله وهو قول على بن ابى طالب وقد صححوا الرواية عنه فمن قال انه من
وضع ابرهيم المراد تجديده للذى خبر ان ببكة لغة فى مكة والعرب قد تعاقب بين الميم والبآء
نحو ضربة لازب ولازم وسمد وسبد راسه وحمى سغمطة وسغبطة والبآء ظرفية مباركا
كثير الخير لما فيه من تضعيف الحسنات حال من ضمير الظرف لا من ضمير وضع للفصل
باجنبى وهدى عطف على مباركا وفيه من المبالغة ما لا يخفى للعالمين فانه قبلتهم ومتعبدهم
فيه ايات بينات نحو ان كل جبار قصده قهره الله كاصحاب الفيل مقام ابرهيم اى منها
مقام ابرهيم فهو مبتدا محذوف الخبر او بدل كل من ايات فهو وحده لظهور شانه بمنزلة
ايات او لان فيه اثر قدميه وهو صخرة صمآء وغوصه فيها الى القدمين وابقاؤه دون سائر
المعجزات وحفظه مع كثرة الاعدآء ايات ولا يجوز ان يكون بدل بعض لانه لا بد فيه من
ضمير واما عطف البيان فلم يجز ايضا لا عند بصرى ولا عند كوفى لان آيات نكرة ومقام
ابرهيم معرفة ومن دخله اى بلد مكة كان آمنا من القتل والغارة ما دام فيه لكن لا يطعم
ولا يسقى حتى يخرج فيؤخذ بذنبه او من دخله معظما له امن من عذاب الله والضمير دخله
للبيت وفى الحديث للبيهقى ان من دخل البيت خرج مغفورا له ودخل فى حسنة وخرج
من سيئة ولله على الناس حج البيت اى قصده على وجه مخصوص وقوله على الناس
متعلق بما تعلق به لله من استطاع اليه سبيلا كل ما ياتى الى شئ فهو سبيله وهو بدل
الكل ان كان الالف واللام للجنس اما اذا كان للاستغراق فبدل بعض ولا يصح
الا بتقدير ضمير اى استطاع منه اليه والاستطاعة عدم العجز عن الركوب من غير
مشقة شديدة وقدرة على الزاد والراحلة فى رواحه ورجوعه فاضلا عن نفقة
من تلزمه نفقته وكسوته ومن كفر جحد وجوبه فان الله غنى عن العالمين واليهود
لما امروا بالحج قالوا ما وجب علينا كذا قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم ومن
شرطية وجوابه فان الله كانه قال غنى عنه وعن الباقى وهو ليس بغنى عن الله فضل
جوده سبحانه وعن عمر وعلى وغيرهما من الصحابة كما روى الترمذى وغيره ان من
وجد ما يحج به ولم يحج حتى مات فهو كفر به وقيل وضع كفر موضع لم يحج تغليظا ولما فرغ
من بيان البيت والحج واهل الكتاب لا يحجون اعرض عن خطابهم ايذانا بشدة الغضب
عليهم فقال مخاطبا لرسوله قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله النقلية والعقلية
الدالة على صدق القران ومن انزل عليه والله الواو للحال شهيد على ما تعملون

و انا ظهر ان مثل هذا منه رضى الله عنه
مرفوع او من كتب سماوى
منه

فلا ينفعكم التحريف وكتمانه قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله عن دينه
فانهم يحتالون لصد الناس عن الاسلام من آمن مفعول تصدون يقال صد
عنه وصد غيره عنه جاء لازما ومتعديا تبغونها السبيل يؤنث ويذكر عوجا اي طالبين
لسبيله اعوجاجا بتلبيسكم وتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريشكم
بين المؤمنين ولا عوج فيه وهو متعد الى مفعوليه بلا واسطة وانتم شهداء على ان
الصد وطلب الاعوجاج فيما لا عوج له ضلال وما الله بغافل عما تعملون لما كان
انكارهم للقران مجاهرة قال والله شهيد والصد والتحريف من اسرارهم قال
وما الله بغافل ولما انكر تعالى على اهل الكتاب صدهم اقبل على المؤمنين وحذرهم
من اضلالهم وناداهم بوصف الايمان تنبيها على تباين ما بينهم فقال يا ايها الذين
امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين يردون
اي يصيرون فكافرين ثاني مفعوليه يبدلون اسوا صفاتكم باحسنه نقلت
الثقاة ان الاية الى قوله لعلكم تهتدون في الاوس والخزرج حين ذكرهم اليهود
الحروب وعداوات الجاهلية ليفتتنوا ويعودوا لمثل ما كان فيهم في الجاهلية
وكيف تكفرون اي من اين يتطرق اليكم الكفر فهو سؤال استبعاد وانتم تتلى
عليكم ايات الله القران وغيره وفيكم رسوله الزاهر الباهر السراج الطاهر و
الواو ان للحال قد ثبت انه قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اي المؤمنين
اعجب اليكم ايمانا قالوا الملائكة قال وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم قالوا فالانبياء
قال فكيف لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم قالوا فنحن قال وكيف لا تؤمنون
وانا بين اظهركم قالوا فمن قال قوم يجيئون من بعدكم يجدون صحفا يؤمنون
بما فيها ومن يعتصم بالله يستمسك بدينه ويلتجي اليه فقد هدي الى صراط مستقيم
طريق واضح لا عوج له ولما حذرهم من اضلال اعدائهم امرهم بجامع الطاعات
التي بالحقيقة هي الترهيب اذ التقوى اشارة الى التخويف من عذاب الله
ثم اردف الرهبة بالرغبة وهي قوله واذكروا نعمة الله واعقب الامر بالتقوى
بنهي هو من تمام الاعتصام فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته
اصله وقاة قلبت الواو تاء كتؤدة وتخمة وحقها ان يطاع فلا يعصى ويشكر
فلا يكفر ويذكر فلا ينسى هكذا رواه الحاكم وابن ابي حاتم عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن ابن عباس ان هذا ليس بمنسوخ بقوله واتقوا الله

ما استطعتم كما قاله كثير من السلف ولكن حق التقاة ان يجاهدوا في سبيل الله
ولا ياخذهم لومة لائم ويقوموا بالقسط ولو على انفسهم واباءهم وابناءهم ولا
تموتن الا وانتم مسلمون يعني لا تزولوا عن الايمان في حال حتى لو ادرككم الموت
لكنتم على الاسلام قوله وانتم جملة حالية واعتصموا استمسكوا بحبل الله بالقران
فانه الحبل المتين من تمسك به عصم من التردي في ابار الغواية عند الخروج عنها
جميعا مجتمعين ولا تفرقوا كما افترق اهل الكتاب واذكروا نعمة الله عليكم
التي من جملتها الاسلام والتالف اذ كنتم اعداء كما وقع الحروب بين الاوس
والخزرج فالف بين قلوبكم بسبب الاسلام فاصبحتم اي صرتم قد يستعمل بمعنى
صار فلا يلاحظ فيه الوقت بنعمته بسبب نعمة الله اخوانا متحابين وكنتم في جا
جاهليتكم على شفا حفرة من النار مشفين مشرفين على الوقوع في جهنم لو ادرككم
الموت في تلك الحالة لوقعتم فيها البتة وشفا بمعنى الطرف فانقذكم انجاكم
بالاسلام منها من شفا وشفا اكتسب التانيث من المضاف اليه فان طرف
الحفرة منها وعوده الى شفا هو الظاهر لفظا ومعنى لانه هو المحدث عنه ومن
وقيل الضمير للحفرة او للنار منه
خلص عنه خلص عن الحفرة والنار ولا ينعكس كذلك مثل ذلك التبيين
يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون لكي تدوموا على الهداية ولتكن منكم ايها
المؤمنون ومن للتبعيض امة جماعة يدعون الناس الى الخير اتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من عطف الخاص
على العام كما في حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فان الدعاء الى الخير يعم ما فيه
صلاح ديني او دنيوي والامر بالمعروف من فروض الكفايات فالخطاب عام
والمطلوب التصدي من بعض له قابلية فلو ترك الكل اثموا وقيل من للتبيين
وفي صحيح مسلم من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان
لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وعدم الاستطاعة لتقصيره في
حق التقوى فصدق انه اضعف الايمان واولئك هم المفلحون المخصوصون
بكمال الفلاح والفوز والنجاة ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم
البينات كالحجج المبينة للحق فان الامم السالفة اختلفوا في اصول الدين وفروعه
بعد ما علموا احكامه واولئك لهم عذاب عظيم وعيد شديد للمتشبهين بهم يوم
اي عذاب عظيم حاصل لمن تفرق واختلف في يوم تبيض وجوه اي وجوه

اهل السنة والجماعة كذا فسره ابن عباس وتسود وجوه اي وجوه اهل البدعة
او المراد المؤمن والكافر او المخلص والمنافق والسواد والبياض حقيقيان
وقيل كنايتان عن بهجة السرور وكآبة الحزن فاما الذين اسودت وجوههم
فيقال لهم زجرا وتعنيفا فلما حذف لحقه حذف الفاء وان كان حذفها في غير
هذا لا يجوز الا في ضرورة الشعر اكفرتم بعد ايمانكم الهمزة للتوبيخ وفي الترمذي و
وابن ماجه ومسند احمد ان ابا امامة رای رؤسا من الخوارج منصوبة على درج
دمشق فقال هم كلاب النار شر قتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الاية ثم قال لو لم اسمعه من رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا مرة او مرتين او اربعا حتى عد سبعا ما حدثتكموه وعلى هذا المراد
من اهل البدعة الخوارج المرتدون وقيل المراد من ايمانهم فطرتهم المتهيئة
لقبول الايمان او الايمان يوم الست بربكم قالوا بلى فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم وهذه الاية مع كثير من الايات مشعرة بان العذاب الروحاني اشد
وافضح واما الذين ابيضت وجوههم وهم المؤمنون الخلص ففي رحمة الله جنته
التي لا ينال من ينال الا برحمته هم فيها خالدون اخر في التفصيل ذكر من قدم في
الاجمال ليكون اول الكلام واخره صفة المؤمنين تلك ايات الله حججه نتلوها
عليك يا محمد خبر بعد خبر او حال بالحق ملتبسة به وما الله يريد ظلما للعالمين اي
لا يريد شيئا من الظلم لان التنكير بقرينة المقام للتقليل لاحد من العالمين لان
الجمع المحلى باللام في سياق النفي لعموم النفي بقرينة المقام ايضا وارادته تعالى
شيئا يستلزم وجوده وهو سبحانه حكم حكيم عدل لا يضع شيئا الا في موضعه
لا يجري في ملكه الا ما يشاء ولهذا قال ولله ما في السموات وما في الارض
والى الله ترجع الامور يعني والى هذا العظيم القادر مرجع كل امر فيجازي بما وعد
واوعد وهو لا يخلف في وعيده ووعده ولا يظلم بفضله لانه حكيم وقد اثبتنا في
رسالة مفردة انه سبحانه لا يخلف في وعيده كما لا يخلف في وعده وانه قادر
على الظلم لكن لا يظلم فضلا وعناية كنتم خير امة المراد ان الامم اذا فصلوا امة امة
كانت هذه الامة خيرها اخرجت اي اظهرت للناس صفة لامة وللناس متعلق
باخرجت وقيل متعلق بخير وخير افعل التفضيل مضافة الى النكرة فيجب افرادها
وتذكيرها وان كانت جارية على جمع تامرون بالمعروف استيناف يبين

خيريتهم وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله اخر الايمان اشعارا بان الامر
والنهي للايمان ولو آمن اهل الكتاب بمحمد لكان الايمان خيرا لهم لانه لو آمنوا
لكان لهم مع الرياسة وحظوظ الدنيا التي آثروها النجاة ورفعة الدرجات ولم يضرب
عليهم الذلة ولهم اجران منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واخيه وثعلبة وغيرهم
واكثرهم الفاسقون المتمردون وقد كفى الفاسقين سبا تسمية الكافرين بالفاسقين
لدى شتمهم ولما اعلم ان ايمانهم خير لهم في الدنيا لبقاء رياستهم وعزهم الذي
تركوا الايمان به فانعكس الامر دفع وهم واهم يظن انهم ضر على المسلمين فكيف
انعكس الامر فقال لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كالطعن او تهديدا او وعيدا
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ثم لا ينصرون ثم للاستبعاد والتراخي
وهو جملة معطوفة على الشرط والجزاء كانه قال اخبركم بهذا ثم بانهم لا يكون لهم
النصر ابدا ولو كان مجزوما عطفا على يولوكم لكان نفي النصر مقيدا بالمقاتلة
ولما رفع كان النفي وعدا مطلقا ضربت عليهم الذلة الزمهم المذلة والصغار
اينما ثقفوا وجدوا وكانوا الا بحبل من الله وحبل من الناس يعني بضرب
عليهم الذلة بالقتل والسبي والغارة والشتم والضرب في كل حال الا حال
كونهم معتصمين بذمة الله وامان من المسلمين وعهدهم وهو عقد الذمة وضرب
الجزية والمعاهدة والمهادنة يعني لا عز لهم في حال الا في هذا الحال كذا قاله ابن عباس
وغيره فيكون الحبلان واحدا وهو من باب والله ورسوله احق ان يرضوه
وباؤا بغضب من الله اي استوجبوه وقد مر تحقيقه في قوله وباؤا بغضب
على غضب وضربت عليهم المسكنة الصغار والذلة كضرب القبة محيطة
بهم ذلك ضرب المسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات
الله ويقتلون الانبياء بغير حق تقدم تفسير نظيرها وذكر هنا الانبياء جمع تكسير
وهناك جمع سلامة وهنا حق نكرة وهناك الحق معرفة وذلك من تفنن
الكلام ذلك الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم
في حدود الله فان الاصرار على الذنوب ينجر الى الكفر ويفضي الى المقت
وقيل المشار اليه بذلك الثاني والاول واحد اشارة الى ان لهذا سببين
ولما ذكر منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون بين انهم ليسوا سواء فقالت اليهود
ما آمن بمحمد الا شرارنا يعني ليس اهل الكتاب على حد سواء من اهل الكتاب

امة قائمة استئناف يبين عدم الاستواء اي قائمة على الحق من اقمت العود
فاستقام او قائمة في صلواتهم يتلون ايات الله يقرؤن القران اناء الليل
ساعاته وهم يسجدون يصلون العشاء او التهجد وفي مسند احمد انه صلى الله
عليه وسلم اخر العشاء ثم خرج ورأى الناس منتظرين فقال اما انه ليس من
اهل هذه الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم ثم قرأ ليسوا سواء الى اخره وقوله
يتلون صفة لامة يؤمنون بالله وهذه الجملة صفة اخرى لامة نحو زيد عالم عامل
واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فهم من خير امة اخرجت
للناس ويسارعون في الخيرات وصفهم بما ليس في اليهود الا نقيضه كالحادهم
في صفات الله ووصفهم اليوم الاخر بخلاف صفته الواقعة وهم يداهنون في الحسبة
متباطئون عن الخير واولئك من الصالحين ممن صلحت احوالهم واعمالهم فاستحقوا
رضاه مخالفين لمن عداهم فانهم افسدوا احوالهم واعمالهم فاستحقوا غضب الله
ومقته قيل تقديره من اهل الكتاب امة قائمة وامة قاعدة عن الخيرات وحذف
القسم الثاني لدلالة الاول عليه والمقصود بالذات هو الاول وما تفعلوا من
خير فلن تكفروه لما وصف الامة باوصاف جليلة وخصال جميلة اقبل عليهم
تأنيسا لهم واستعطافا عليهم على سبيل الالتفات فخاطبهم بان ما تفعلوه
من الخير فلا تمنعون ثوابه وقراءة الياء فيهما دالة على ما ذكرنا وكفر لا يتعدى
الا الى مفعول واحد واصله لن يكفر لكموه فصار ضمير المخاطبين قائما مقام
الفاعل ولولا تضمين الحرمان لوجب ان يقال لن يكفر لكم نعمته والله عليم
بالمتقين لم يقل عليم بهم ليعلم انهم موصوفون بالتقوى ايضا ان الذين
كفروا لن تغني لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله من عذابه شيئا
مفعول تغني واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون جملة
مستانفة ولما جاز ان يقال ما حال ما يبذلونه في المكارم ويواسون به
في المغارم ضرب لذلك مثلا فقال مثل ما ينفقون اي هؤلاء الكفرة والظاهر
ان ما موصولة والضمير محذوف اي الذي ينفقونه في هذه الحيوة الدنيا كمثل
ريح فيها صر وهو البرد الشديد المحرق وقد شاع اطلاقه على الريح الباردة
كالصرصر اصابت حرث زرع قوم ظلموا انفسهم بانواع المعاصي قوله ظلموا
انفسهم للاشعار بان ما اصاب من مصيبة فبسبب شرورهم فاهلكته اي

قال ابن كيسان في اختاره الزجاج انه
صوت لهيب النار من الصرير
منه

اي اهلكت الصر الزرع فلم ينتفعوا بما كابدوا في الزرع لدى احتياجهم فلم يحصدوا
منه شيئا وكذا اعمالهم وتقديره مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح
او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح ليطابق المثلان وما ظلمهم الله فلم يفعل
بهم ما ليسوا اهلا له ولكن انفسهم يظلمون لا يتعدى ظلمهم عن انفسهم كما قال تعالى
وما ظلمونا او نقول تقديم المفعول لمجرد رعاية الفاصلة ولما كان المال سيما
مع الانفاق والارفاق من اعظم اسباب الموالاة كرر تحذير المؤمنين عنها
فانهم الاعداء المكارون فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل
خاصته واهله الذي يطلعه على اسراره شبه ببطانة الثوب من دونكم من دون
المسلمين متعلق بلا تتخذوا او صفة بطانة يعني لا تتخذوا اولياء اصفياء من غير
اهل ملتكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون في الفساد والاحسن تخريجه على التضمين
اي لا يمنعونكم فسادا والجملة مستانفة على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم
بطانة وكذا الجملتان بعده اي ودوا وقد بدت وليست لصفة ولا حال لانها
مشعرة بجواز الاتخاذ عند انتفاء تلك الصفة والحال ودوا ما عنتم ما مصدرية
اي تمنوا شدة ضرركم قد بدت البغضاء من افواههم قد ظهرت العداوة من فلتات
كلامهم فانهم مع ضبط انفسهم عن ظهور العداوة لا يتمالكونها فيخرج من افواههم
في مجاري كلامهم ما يدل على شدة بغضائهم وما تخفي صدورهم من العداوة
اكبر واكثر مما ظهر قد بينا لكم الايات الدالة على صلاح حالكم ومالكم ان كنتم تعقلون
ما بين لكم نزلت في منع مواصلة المؤمنين اليهود مطلقا او مصافات المؤمنين
المنافقين من اليهود ها انتم اولاء اي انتم اولاء الحمقى الخاطئون في موالاتهم
تحبونهم ولا يحبونكم جملة تبين حمقهم وخطاءهم وتؤمنون بالكتاب كله اي بجنس
الكتب والواو للعطف على تحبونهم او للحال بتقدير وانتم تؤمنون بالكتاب كله
لان المضارع المثبت بالضمير وحده وهم لا يؤمنون بشيء من الكتب فانهم
يحرفون ويغيرون كتابهم فانتم تؤمنون بكتابهم وهم لا يؤمنون بكتابكم فانتم
احق بالبغضاء لهم منهم لكم واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا ونسب فعل البعض
الى الكل واذا خلوا خلا بعضهم مع بعض عضوا عليكم الانامل من الغيظ اي
من اجل الغيظ تأسفا حيث لم يجدوا سبيلا الى الغلبة عليكم وجاز ان يكون
عض الانامل على حقيقته او مجازا عن شدة عداوتهم قل يا محمد موتوا بغيظكم

دعآء عليهم بدوام غيظهم وزيادته بتضاعف المسلمين في قوتهم وعزهم حتى يموتوا
وقيل هذا امر معناه التوبيخ نحو اعملوا ما شئتم ولو كان امرا حقيقيا ما نجا احد منهم
ان الله عليم بذات الصدور اي بالمضمرات ذوات الصدور اي من
ملازميها الذين لا ينفكون عنها وجملة ان الله يحتمل ان يكون من جملة المقول
ان تمسسكم حسنة خير ومنفعة تسؤهم تحزنهم وان تصبكم سيئة ضر ومصيبة
دنيوية يفرحوا بها فهم في نهاية الغواية في عداوتكم والمس ينبئ عن ادنى مراتب
الاصابة فيدل على ان ادنى اصابة الخير يسوءهم واما الشر فانما يسرهم الاصابة
منه والوصول التام فليس بعد عداوتهم عداوة وان تصبروا وتتقوا لا يضركم
كيدهم شيئا ببركة الصبر والتقوى يدفع الله عنكم المصائب ولا يضركم فعل
مضارع وقع جزآء الشرط وجزآء الشرط في غير المضاعف مجزوم وفي مشدد
المضاعف القياس الفتح فلا بد ان يقال ضمة الرآء لاتباع ضمة الضاد كضمة
مد واما قرآءة لا يَضِرْكم بكسر الضاد وسكون الرآء فمن ضاره بمعنى ضره ان الله
بما يعملون محيط علمه فيجازيهم بما هم اهله ولا يبعد ان يراد انه تعالى بعملهم محيط
فلا يفلت من جانب بلا ارادته شرهم وكيدهم ليصل اليكم ولما كان ما تضمنته
الاية من الوعد منطوقا ومفهوما محتاجا الى الاجتلآء في صورة الجزئيات
المشاهدة ذكرهم بالوقايع التي شوهدت فيها احوالهم من النصر عند العمل بمنطوق
الوعد من الصبر والتقوى وعدمه عند العمل بالمفهوم وشوهدت فيها احوال
عدوهم من المسآءة عند السرور والسرور عند المسآءة فقال واذ غدوت
اي واذكر اذ خرجت من اهلك من عند اهلك منزل عائشة تبوئ المؤمنين
تسوي وتهيئ لهم مقاعد للقتال مواقف واماكن وعبر بالقعود لانه دال على الثبوت
مفعول ثان لتبوئ وللقتال متعلق بتبوئ او صفة لمقاعد والله سميع عليم
لاقوالكم وضمائركم هذه وقعة احد نص على ذلك الجمهور اذ همت طائفتان منكم
بدل من اذ غدوت او متعلق بسميع عليم ويكون من باب التنازع وقيل
معمول تبوئ والطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة ان تفشلا اي بان فان هم
متعد بالبآء تجبنا وتضعفا فانهم هموا بالانصراف لكن عصمهم الله والله وليهما
ناصرهما فعصمهم عن اتباع الخطرة لما فيه من المضرات وعلى الله فليتوكل المؤمنون
لا على العدد والعدد ثم ذكرهم بقصة افادتهم التوكل فقال ولقد نصركم الله ببدر

موضع معروف بين مكة والمدينة وتفسير بدر بمحمد صلى الله عليه وسلم تفسير
يشبه كلام الشعرآء وانتم اذلة بقلة العدد والسلاح والمركوب فما معهم الا فرس واحد
ومع عدوهم مائة فرس فاتقوا الله في التوكل والثبات لعلكم تشكرون عاقبة لمزيد
الانعام وقيل معناه فاتقوني فانه شكر نعمتي اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم
وهو في بدر عند الجمهور الن يكفيكم ان يمدكم هو فاعل يكفيكم ربكم بثلثة الاف من الملئكة
منزلين للنصر بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعدهم الزيادة بشرط
الصبر والتقوى فقال ان تصبروا على حرب العدو وتتقوا المخالفة ويأتوكم من
من فورهم هذا يقال افعل هذا على الفور لا على التراخي ويقال خرج من فوره من
ساعته حيث لا بطء اي ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بخمسة الاف من
الملئكة يعني الامداد بخمسة الاف لا يتأخر عن اتيانهم مسومين من السومة وهي
العلامة وفي تعيينها خلاف الله اعلم بالصحيح من ذلك قيل بالصوف الابيض او
بالعمائم البيض او السود او بسيمآء القتال واعلم انه قد صرح قتادة وغيره ان الله
امد يوم بدر اولا بالف مثل عدد الكفار كما قال الله فاستجاب لكم ربكم اني ممدكم
بالف ثم انزل الفين اخرين ثم الفين فلا تنافي وقوله ههنا مردفين مشعر بذلك
اذ معناه يردفهم غيرهم ويتبعهم آخرين وقيل معناه ان يأتوكم من غضبهم هذا فانهم
رجعوا الى حرب احد لغيظ يوم بدر الذي قتل فيه صناديد قريش وعليه ابتني الاسلام
وقيل دليل هذا القول ان يوم احد كل الكفار ثلثة الاف فوعدوا بثلثة الاف وقال
ويأتوكم من فورهم اي الاعدآء ويوم بدر ذهب المسلمون اليهم فعلى هذا يكون وعدا
من الله ان يمدهم بخمسة الاف بعد موقع بدر بشرط صبرهم وتقويهم يعني ان
صبرتم واتقيتم في موقع هم راجعون اليكم من غضبهم لاجل قصة بدر يمددكم لكن خالفوا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صبروا وقد قال مجاهد نزلت الملئكة في احد
ولم يقاتلوا وما جعله الله اي الامداد الا بشرى بشارة لكم بالنصر فبشرى مفعول له
ولتطمئن قلوبكم به عطف على موضع بشرى وليس فيه شرط النصب لان فاعل
جعل هو الله وفاعل تطمئن هو القلوب فلم يتحدا وما النصر الا من عند الله لا من عدة
وعدد العزيز الذي لا يغالب في قضائه الحكيم في افعاله ليقطع متعلق بقوله
وما النصر اي لا يكون نصرا اي نصر للمسلمين الا من الله لاحد الامور او بمحذوف
دل عليه ما قبله اي نصركم ببدر ليقطع طرفا جانبا من الذين كفروا بالقتل والسبي

والفرار او يكبتهم يخزيهم واو للتنويع فينقلبوا يرجعوا خائبين منقطعي الامال ليس لك
من الامر شئ بل الامر كله لله نزلت كما رواه البخاري واحمد عن انس يوم احد حين
شج في رأسه الاشرف وقال كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم او نزلت كما روى البخاري
والنسائي عن غير واحد من الصحابة حين قنت صلى الله عليه وسلم يلعن فيه قوما قتلوا
سبعين رجلا من قرآء الصحابة بعثوا ليعلموا الناس او يتوب عليهم او يعذبهم
عطف على او يكبتهم يعني نصرتكم لاهلاك بعض واذلال بعض بالهزيمة وتوبة
بعض بالايمان وتعذيب بعض بالاسر والفدآء فعلى هذا ليس لك من الامر شئ
جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وعبارة بعض روايات البخاري
في سبب النزول انه عليه الصلوة والسلام كان يقول في صلوة الفجر اللهم العن فلانا
وفلانا حتى انزل الله ليس لك من الامر شئ الاية ولا تدل هذه الرواية على انه سبب نزوله
وباقي الروايات محمول عليه وان كان على بعد فلا منافرة بين المعنى وما نقل فيه
وقيل عطف على الامر باضمار ان اي ليس لك من امرهم شئ او من التوبة عليهم
او تعذيبهم او عطف على شئ قال العلامة على هذين الوجهين من عطف الخاص
على العام لكن في مثل هذا العطف بكلمة او نظر فانهم ظالمون استحقوا ما فعل بهم
ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فليس الامر الا له يغفر لمن يشآء غفرانه
ويعذب من يشآء تعذيبه بمقتضى حكمته البالغة والله غفور رحيم فليس لك الا البشارة
والانذار ولما نهى عن اتخاذ بطانة من دون المؤمنين واستطرد لما بينا ذكر بعض
المحاربات والمؤمنون في اول الاسلام ذووا اعسار والكفار من اليهود وغيرهم
ذووا يسار واكثر مخالطتهم للديون ومعاملتهم بالربوا نهى عن الربوا لتنعدم المخالطة
والمجاملة والمساهلة للمعاملة وبين ان ما في السمآء والارض ملك له لا يجوز
التصرف في شئ من ذلك الا باذنه وآكل الربوا متصرف في ماله بغير اذنه
نهى عنه فقال يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة اي لا تزيدوا
زيادات مكررة فان المسلمين ايضا اذا بلغ الدين محله زادوا في الاجل واستغرقوا
بالشئ الحقير مال المديون فقوله اضعافا مضاعفة لزيادة التوبيخ والتنبيه على
انهم على هذه الطريقة الردية يستقبحها من له ادنى مروة وليس لتقييد النهي وقوله
اضعافا حال ومضاعفة صفة لها واتقوا الله لعلكم تفلحون لكي يحصل لكم
الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين فلا يدخلها الا من تشبه بهم لكن

لتطهيرهم من رذائل الكسب او من التشبه واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
وبيان فائدة مثل لعلكم كذا استوفيناها في سورة البقرة وسارعوا بادروا الى مغفرة
من ربكم الى اعمال توجب المغفرة كالتوبة واداء الفرائض وجنة عرضها السموات
والارض اي عرضها كعرضهما كما قال في سورة الحديد قال الزجاج لا يراد عرضها
ولا طول تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة او فيه اشارة الى ان طولها كعرضها
لان الكرة كذلك وقيل هو من عرضت المتاع للبيع نحو وعرضنا جهنم للكافرين
عرضا فكما عرض جهنم للكافرين عرض الجنة للمؤمنين اي اظهارها لاهلها بسمواتها
وارضها كما عرض الدنيا بسمواتها وارضها على اهل الدنيا وكل هذه التمحلات لما
اشكل عليهم ان جنة عرضها السموات والارض كيف تسعها السمآء ولا اشكال
فان الجنة في الكرسي والسموات في جنبه كحلقة في فلاة اعدت للمتقين كما يقال
القصر معد للسلطان وفيه غير السلطان بالتبع كذلك الجنة فاندفع دليل المعتزلة
على ان النار لا يدخلها الا المخلدون والجنة لا يدخلها الا المتقون ولا يبعد ان المتقين
في مقابلة الكافرين فالمراد التقوى من الشرك الذين ينفقون صفة مادحة
في السرآء والضرآء في اليسر والعسر او المراد في جميع الاحوال والكاظمين الغيظ
الكافين عن امضآء الغيظ مع القدرة على الامضآء والغيظ اصل الغضب
وهو فعل نفساني لا يظهر على الجوارح والغضب فعل لها مع ظهور في الجوارح
والعافين عن الناس التاركين عقوبة المستحقين والله يحب المحسنين
اشارة الى ان هؤلآء في مقام الاحسان والذين اذا فعلوا فاحشة قبيحة
بالغة في القبح او ظلموا انفسهم بما دون الفاحشة كالصغائر ذكروا الله اي وعيده
ونقمته او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم اي تابوا اليه ومن يغفر الذنوب
الا الله اي لا يغفر ذنبا بحيث لا يترتب عليه معاقبة دينية ولا دنيوية الا الله سبحانه
وهي جملة معترضة بين المعطوف وهو فاستغفروا والمعطوف عليه وهو
ولم يصروا على ما فعلوا في الحديث الذي رواه الترمذي وابو داود وغيرهما ما
اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون الواو للحال
والقيد في الكلام المنفي اما لتقييد النفي او لنفي المقيد بمعنى انتفآء كل من الفعل
والقيد او الفعل فقط او القيد فقط والمناسب في الاية انتفآء الفعل من غير
اعتبار لنفي القيد او اثباته اي لم يصروا عالمين انها معصية او ان الاصرار

ضار بمعنى ان عدم الاصرار محقق اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجري من تحتها تحت غرفها واشجارها الانهار خالدين فيها قوله والذين
اذا فعلوا اما مبتدأ وجملة اولئك جزاؤهم خبره واما عطف على الذين ينفقون
او على المتقين وهذه الجملة مستانفة ونعم اجر العاملين ذلك فصل اية
القبيلة الاولى بالمحبة والاحسان واية التائبين بالعمل والاجر وقد استطرد لما بين
اية الربوا الذي هو حرب مع الله كما قال الله تعالى فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب
من الله ورسوله في سورة البقرة ثم رجع الى حكاية الحروب فقال قد خلت مضت
من قبلكم سنن وقايع سنها الله في الامم الماضية فسيروا في الارض
باقدامكم وبافكاركم فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف في موضع نصب
لخبر كان يعني فلا تحزنوا واعتبروا بواقعة يوم احد فاني اخذهم اشد الاخذ عاقبة
الامر كما احذت المكذبين هذا بيان للناس اي القران بيان الامور للناس عامة
وهدى وموعظة للمتقين اي زيادة بصيرة وزاجر للمتقين فان من قسا قلبه
وعمي بصيرته لا يهتدي ولا ينزجر ولا تهنوا لا تضعفوا عن الحرب بسبب غلبة الكفار
يوم احد ولا تحزنوا على مغلوبيتكم وانتم الاعلون والحال انكم الاعلون والغالبون
والعاقبة لكم ففيه بشارة للمؤمنين او انتم الاعلون شانا فان قتلاكم في الجنة
وقتلاهم في النار وقيل انتم الاعلون يوم بدر لان ما اصبتم منهم اكثر مما اصابوا
منكم يوم احد فانظر الى خطاب هذه الامة بمثل ما خاطب موسى عليه السلام
اذ قال له لا تخف انك انت الاعلى بل في هذا مزيد اعتناء حيث قال لا تحزنوا
ان كنتم مؤمنين اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فان الايمان يورث قوة القلب
او معناه انتم الاعلون بالنصرة ان تحقق ايمانكم ان يمسسكم قرح جراح
وكسر في احد فقد مس القوم المشركين قرح مثله يوم بدر وهم لا يجبنون فانتم
احق ان لا تهنوا وجواب الشرط محذوف هو مثل لا تاسوا لان قوله فقد مس مع
الماضي من حيث المعنى ايضا والماضي معنى يمتنع ان يكون جوابا للشرط
وقيل معناه ان يمسسكم قرح في اخر وقعة احد بعد مخالفة امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقد مس القوم قرح في اول وقعة احد وتلك الايام ايام الدنيا
او ايام الغلبة نداولها بين الناس نديل لهؤلاء مرة ومرة لهؤلاء فيوم لنا ويوم
علينا وهو خبر لتلك والايام صفتها وليعلم الله الذين امنوا اي نداولها

يترتب

يترتب عليه ما الله يعلمه من المصالح وليعلم اي ليتميز الثابتون على الايمان
من غيرهم او علم رؤية ومشاهدة او علما يترتب عليه الجزاء ويتخذ منكم شهداء
فيكونوا عند الله بمنزلة رفيعة والله لا يحب الظالمين فيه اشارة الى ان غلبتهم
لا لمحبتهم بل لمحبة المؤمنين وبغض الكافرين وليمحص الله الذين امنوا عطف
على ليعلم الله وجملة والله لا يحب الظالمين معترضة ومعناه ليطهرهم من المعاصي
والتمحيص اهلاك الذنوب ويمحق الكافرين يهلكهم فانهم اذا ظفروا بغوا فهو
سبب هلاكهم والمحق نقص الشئ قليلا قليلا او مغلوبية المؤمنين لان يترتب
احسن الجزاء وتخذ الشهداء ويطهرهم ومغلوبية الكفار لمحقهم ام حسبتم
بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي لا تحصل الجنة
لكم حتى يرى الله منكم الجهاد والم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا
وهم لا يفتنون او معناه لا تدخلون الجنة والحال انكم لما تجاهدوا فان علم الله
بالشئ من لوازم تحققه فعدم علمه كناية عن عدمه ولما بمعنى لما يعلم الله لم يجاهد
فلما بمعنى لم وفيه عتب شديد لمن وقعت منه الهفوات يوم احد والاستفهام
على سبيل الانكار ان يظن احد انه يدخل الجنة وهو مخل بما افترض عليه من الجهاد
والصبر عليه ويعلم الصابرين ويرى الصابرين على القتال ونصبه باضمار
ان والواو بمعنى الجمع ولقد كنتم تمنون الموت الشهادة او الحرب فانه من
اسباب الموت من قبل ان تلقوه تشاهدوا وتعرفوا شدته فقد رايتموه
وانتم تنظرون رايتموه معاينين له حين قتل من قتل من اخوانكم فانتم تمنيتم
غلبة الكفار فانكم تمنيتم الشهادة فتكون الاية توبيخا لهم واذا فسر الموت بالحرب
فمعناه اذا طلبتم لقاء العدو فاصبروا وذلك ان طائفة منهم لم يحضروا غزوة
بدر وفاز في بدر من في الحرب بما فاز به من كرامة الدنيا والاخرة فتمنوا لقاء
العدو وليكون لهم يوم كيوم بدر وهم الذين حرضوا على الخروج لاحد فلما كان
حرب احد وشاع ان محمدا قد قتل انكفؤا فارين فدعاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم الي عباد الله فرجعوا واستعذروا وابان جاء ناخبر قتلك فرعبت
قلوبنا فنزلت الاية تلومهم على ما صدر عنهم مع ما قرروا في انفسهم من تمني الموت
وما محمد الا رسول قد خلت مضت من قبله الرسل له نظراء من قبل فلا يبعد ان يصيبه
ما اصابهم افان مات او قتل كما ماتوا او قتلوا انقلبتم على اعقابكم رجعتم قهقرى

اي لم يكن العلم بالمجاهدين العلم بالصابرين
فرجعه الى عطف مصدره الى مصدر الفعل
السابق
منه

علومهم

قد طلب
ذهب

قهقرى

الى دين ابائكم الفآء تفيد تعليق مضمون الجزآء باعتبار التقييد بالشرط بالجملة
التي قبلها وتوسيط الهمزة لانكار ذلك اى لا ينبغي ان تجعلوا فوته سببا
لانقلابكم بل اجعلوا اسبابا لتمسككم بدينه فان ما حصل له حصل لسائر الانبيآء
ولم ينقلب اممهم وقد افترقوا حين سمعوا موت نبيهم ثلث فرق قالت فرقة
ما نصنع بالحيوة بعد محمد فقاتلوا حتى قتلوا منهم انس بن النضر وقالت فرقة هم قوما
وبنو عمنا فنلقي انفسنا اليهم وفرقة اظهرت النفاق وقالوا ارجعوا الى دينكم
لو كان محمد نبيا لما قتل ومن ينقلب على عقبيه ويرجع من حيث جآء فلن يضر الله
شيئا لا قليلا ولا كثيرا فانه هو الضار النافع غني عن العالمين وسيجزي الله
الشاكرين على ما انعم عليهم وما كان لنفس ان تموت اسم كان ولنفس خبره
الا باذن الله فلا الجبن يزيد في عمر ولا الشجاعة تنقص منه كتابا موجلا اى كتب
الموت كتابا موقتا لا التاخير عن القتال يزيد ولا الاقدام عليه ينقص فهو مصدر
موكد لمضمون الجملة السابقة ومن يرد ثواب الدنيا من عمله نوته منها ان اردنا
قيل هذا تعريض بمن ترك المركز يوم احد للغنائم ومن يرد ثواب الاخرة نوته
منها كمن ثبت وحارب وسنجزي الشاكرين الذين لم تشغلهم زينة الدنيا
وكاين مركب من كاف التشبيه وايّ وابتت النون في الخط وهي تنوين
وفي البحر الذي يظهر انه اسم مبني بسيط غير مركب ياتي للتكثير مثل كم من نبي
قتل معه ربيون كثير جموع كثيرة منسوب الى الربة وهي الجماعة او علمآء من
ربانيون والكسر والحذف من تغييرات النسب وهو فاعل قتل ويفهم منه
ان النبي قتل ايضا لكن قال مجاهد لم يقتل نبي في حرب قط وقيل ضمير قتل للنبي
وقوله معه ربيون جملة حالية فما وهنوا فما فتروا لما اصابهم في سبيل الله من
قتل نبي الله او من قتل بعضهم لقوة يقينهم ودينهم وما ضعفوا عن العدو
وما استكانوا ما ذلوا عند عدوهم واصله من السكون فان الخاضع يسكن
لصاحبه ليفعل به ما يريد والالف من اشباع الفتحة او من الكون لانه
يطلب من نفسه ان تكون لمن يخضع له والله يحب الصابرين فينصرهم
في الدارين وعاقبة الصبر محمودة وما كان قولهم مع انهم ثابتون مصابون
الا ان قالوا اسم كان ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا
بحولك وقوتك وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا

وقرئ قاتل وقتل وقتّل بالتشديد لكن قاتل

قال قتادة والربيع ومحمد بن اسحق والسدي ما اصابهم من قتل نبيهم

النصر والعاقبة لا الغنيمة ففي الحديث الصحيح ان الغنيمة لا تحل الا لهذه الامة
ولم تحل لاحد قبلي وحسن ثواب الاخرة طلبوا الثوابين ثواب الدنيا بثبات
القدم والنصر وثواب الاخرة غفران الذنوب والاسراف زاد في ثواب
الاخرة حسنه فما احسنه والله يحب المحسنين يجازيهم احسن الجزآء يا ايها
الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا من اليهود والمنافقين حين قالوا يوم
احد ارجعوا الى دين ابائكم يردوكم على اعقابكم يرجعوكم الى الشرك فتنقلبوا
خاسرين مغبونين في الدارين بل الله مولاكم ناصركم وبل لاضراب عن الكلام
الاول من غير ابطال لاخذ في كلام آخر اهم من الاول وهو خير الناصرين
فلا تستنصروا غير الله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب لما ارتحل
المشركون عن احد عزموا في اثناء الطريق الرجوع لاستيصال المسلمين
فالقى الله الرعب في قلوبهم والظاهر ان نزول الاية بعد وقعة احد فالسين
لمجرد التاكيد بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم ما لم ينزل به سلطانا اشركوا
شيئا لم ينزل الله باشراكه حجة ودليلا فما موصوفة مفعول لاشركوا وضمير به
راجع الى ما بتقدير مضاف كما قدرنا وماويهم النار وبئس مثوى الظالمين
النار وهؤلآء من الظالمين ولقد صدقكم الله وعده بالنصر والظفر بشرط
الصبر والتقوى يقال صدقت زيدا الحديث وفي الحديث اذ تحسونهم تقتلون
المشركين اول الامر في احد فانهم قتلوا اولا من المشركين اثنين وعشرين يقال
احسه اذا ابطل حسه باذنه بارادته حتى اذا فشلتم جبنتم وتنازعتم في الامر
اى اختلاف الرماة حين انهزام المشركين قال بعضهم ندع مراصدنا للغنيمة
وقال بعضهم كيف نخالف امر نبي الله صلى الله عليه وسلم وعصيتم الرسول
بترك المركز من بعد ما اريكم الله ما تحبون ما تحبونه من الغنيمة واذا بعد حتى
في موضع جر بحتى مزالا عنها معنى الشرط عند الاخفش ومن تبعه والاصح
عند غيره ان حتى تدخل على اذا الشرطية وجوابها محذوف هو مثل منعكم نصره
قال صاحب البحر الاولى ان يقدر الجواب انقسمتم قسمين يدل عليه ما بعده
وهو نظير فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد التقدير انقسموا قسمين فمنهم مقتصد
وهذه الافعال لم تصدر الا من بعضهم وذلك على طريقة العرب في نسبة
ما يقع من بعضهم للجميع تجوزا منكم من يريد الدنيا كمن ترك المركز للغنيمة

ومنكم من يريد الاخرة كمن ثبت على المركز وقاتل حتى قتل فان خالد بن الوليد
وكان من الكفار يومئذ لما راى قلة الرماة في راس الوادي حمل عليهم وقاتلهم
فقتل الرماة وحمل على المسلمين بعد ما صاح على خيلهم واصيب من المسلمين
سبعون وكان المشركون ثلثة الاف ومعهم مائتا فرس والمسلمون سبعمائة
ثم صرفكم عنهم ردكم بالهزيمة وكفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن ثباتكم في الدين ولقد عفا
عنكم مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتندمكم او عفا عنكم بان لم يرد
الله استيصالكم فانه صلى الله عليه وسلم وصى الرماة الذين رتبهم على
فم الوادي بان اثبتوا مكانكم وان رايتمونا هزمنا فانا لا نزال غالبين ما ثبتم
مكانكم ووعدهم النصر ان ثبتوا والله ذو فضل على المؤمنين اذ عفا عنكم
اذ تصعدون تبعدون في الهزيمة وقرئ تصعدون اي جبل احد من صعد
اذا ارتقى متعلق بعفا او بصرفكم او بيبتليكم ولا تلوون على احد لا تقفون
ولا يلتفت بعضكم الى بعض في الهزيمة من لوى عليه كر وعطف والرسول
يدعوكم في اخراكم في جماعتكم المتاخرة يقول الي عباد الله فانا رسول الله من
يكر فله الجنة فاثابكم جازاكم الله كني به عن المعاقبة على فرارهم كما قيل تحية بينهم
ضرب وجيع غما بغم غما متصلا بغم غم نبيكم في ظن قتله والخوف وظفر الاعداء
وغم الذنب او معناه غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بمخالفته وقوله فاثابكم
الاولى عطفه على تصعدون لانه في معنى الماضي لان اذ ظرف لما مضى فالمعنى
اذ صعدتم وما لويتم فاثابكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا ما اصابكم
من القتل والجرح لاشتغالكم بالغموم المنسية للدنيا والابدان وقيل معناه
لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق
والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وقصدكم ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة
نعاسا نعاسا بدل اشتمال من المفعول وهو امنة لان كلا منهما قد يتصور
اشتماله على الاخر ونعاسهم حين ارتحل ابو سفين وتركوا ركوب الخيل وركبوا
الابل تاركين القتال قال الزبير لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين اشتد الخوف علينا فارسل الله علينا النوم فما منا من رجل
الا ذقنه في صدره والله ما اسمع قول معتب بن قشير الا كالحلم لو كان لنا
من الامر شيء ما قتلنا ههنا رواه الطبري قال ابن عباس النعاس في القتال

واما عطف البيان فغير جائز على راي جمهور البصريين لانه عندهم لا يكون الا في المعارف منه

من الله

من الله وفي الصلوة من الشيطان يغشى النعاس جملة مستانفة وفي قراءة
التاء المنقطة من فوق ايضا لان النحاة صرحوا بوجوب تقديم الصفة على البدل
واذا اجتمعتا طائفة منكم هم المؤمنون حقا وطائفة ما غشيهم النعاس قد اهمتهم
انفسهم ما بهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها وهم المنافقون الواو للحال
وقد اهمتهم صفة وقوله يظنون بالله خبر طائفة او اهمتهم خبر وجاز الابتداء بالنكرة
الصرفة لانه موضع تفصيل والباء للظرفية بمعنى في وقوله اهمتهم من اهمني الشيء
اي كان من همي وقصدي او من اهمني الامر اقلقني واوقعني في الهم فمعناه
نفوسهم المريضة وظنونهم السيئة قد جرت اليهم الهم غير الحق ظن الجاهلية اي يظنون
غير الظن الحق فنصبه على المصدر على انه للنوع دون التاكيد وظن الجاهلية بدله
اي الظن المختص بالملة الجاهلية وهذا كما تقول ظننت بزيد المعنى جعلت مكان ظني
زيدا فهو من الظن الذي لم يتعد الى مفعولين وقد نص النحويون على هذا وقيل
غير الحق المفعول الاول وبالله الثاني يقولون هل لنا من الامر من شيء اي هل لنا
من النصر والغلبة شيء نصيب قط فشيء مبتدا ومن زائدة للاستغراق ولنا خبره
او شيء فاعل الظرف لاعتماده على الاستفهام ومن الامر حال من ضمير لنا او من
شيء قل يا محمد ان الامر كله لله النصر والظفر والغلبة بقضائه وبيده يخفون
في انفسهم من النفاق استيناف ما لا يبدون لك لانهم منافقون يقولون
بدل من يخفون او استيناف اي اذا خلا بعضهم الى بعض يقولون لو كان لنا
من الامر شيء لو كنا على الحق ولنا نصيب من عناية الله ما قتلنا ههنا ما قتل
من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى
مضاجعهم لخرج من قدر عليه القتل الى مصارعه ارادوا ولم يردوا وليبتلي الله ما في
صدوركم ليمتحن ويظهر سرائركم من الاخلاص وعدمه عطف على محذوف اي
لنفاذ القضا وليبتلي او علة محذوف اي وفعلنا ذلك وليمحص ما في قلوبكم
يكشفه ويميزه او يطهره من الوساوس والله عليم بذات الصدور بضمائرها
وقد علم من هذه الايات ان جميع المنافقين ما رجعوا مع ابن ابي بن سلول
راس المنافقين ومعتب بن قشير منهم وهو من حضار غزوة احد كما ذكرنا فيما
نقلناه عن الطبري ان الذين تولوا منكم فروا يوم التقى الجمعان المؤمنون والكافرون
في احد قراها عمر رضي الله عنه على المنبر فقال فررت حتى صعدت الجبل فلقد رايتني

انه كانى اروى وانى من يقولون قتل محمد قلت لا اجد احدا يقول قتل محمد
الا قتلته حتى اجتمعنا على الجبل فنزلت الاية كلها انما استزلهم الشيطان ببعض ما
كسبوا اى طلب منهم ودعاهم اليه بان وسوس اليهم وخوفهم وحصل ما طلب
منهم وهو الفرار بسبب بعض ما كسبوا من الذنوب فانه تعالى يعفو عن كثير
فلا يكون المعاقبة الدنيوية الا على بعض لم يعف عنه واذا قلت استزله بكذا جاز
ان يكون الزلل المحرض عليه هو ما دخل الباء وجاز ان يكون غيره والمعنى الذى
قلنا من القسم الثانى ولقد عفا الله عنهم القسمين من الذنوب ان الله غفور
حليم لا يعاجل بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا اى لا يكن معتقدكم
مثل معتقد المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجل اصحابهم وفيهم اذا ضربوا فى الارض
سافروا المهامهم وماتوا فى ذلك السفر ثم اعلم ان اذا ضربوا لانه مستقبل لا يصح
ان يكون ظرفا لقالوا بل هو ظرف لاحوال العارضة للاخوان فى زمان سفرهم
اى قالوا لاجل الاحوال العارضة للاخوان حين كانوا يضربون او كانوا غزى
فقتلوا جمع غاز لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا الشرطية مقول قالوا ليجعل الله
ذلك حسرة فى قلوبهم خاصة اى لا تكونوا مثلهم فى الاعتقاد ليجعل ذلك الاعتقاد
حسرة فى قلوبهم لا يتجاوز عنها فهو علة للنهى باعتبار لازمه الذى هو الامتثال
او معناه قالوا ذلك واعتقدوا ليجعل وعلى هذا اللام لام العاقبة نحو لدوا للموت
وابنوا للخراب قيل ذلك اشارة الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله
عدم كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فان مخالفتهم مما يغمهم ويحزنهم او انهم ما قالوا
ذلك الا لتثبيط المومنين عن الغزو وعن محاربة اعداء الدين فلم يترتب
عليه ما ارادوا ويكون ذلك القول حسرة فى الدنيا لقلوبهم لانهم ما وصلوا الى مقصدهم
والله يحيى ويميت اى المؤثر هو الله فيهما لا الاقامة والسفر والله بما تعملون بصير
فلا تعتقدوا مثل اعتقاد الكافرين ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم فى سبيله
لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون اى لمغفرة قليلة او كثيرة خير مما يجمعون
من حطام الدنيا الفانية جواب الشرط محذوف وجواب القسم وهو لمغفرة
دال عليه ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون لا الى غيره فلا رجاء ولا خوف
الا من الله قدم القتل فى الاول لانه اوفق بالمقام واحق بالمغفرة والرحمة
وقدم الموت فى الاخبار بالحشر لان المحشور الميت اكثر فبما رحمة من الله لنت لهم

ما مزيدة

ما مزيدة للتاكيد يعنى برحمته واحسانه عليك وعليهم سهلت اخلاقك لهم
ولو كنت فظا الفظاظة الجفوة فعلا وقولا غليظ القلب قاسى القلب لانفضوا
لتفرقوا من حولك فاعف عنهم فى سوء ادبهم معك واستغفر لهم فيما فرطوا
فى جنب الله وشاورهم فى الامر فى كل امر تصح المشاورة فيه فاذا عزمت
صمم رايك على شئ فتوكل على الله فيه ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم بمثل غلبة العدو فمن ذا الذى ينصركم
من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله وعلى الله لا على غيره فليتوكل المومنون
لانهم العالمون بان لا ضار ولا نافع الا هو الله وحده صرح فى جواب ان ينصركم
بالنفى العام وفى جواب ان يخذلكم بمتضمن النفى وهو الاستفهام لتنويع الكلام
الذى هو ادخل فى الفصاحة وللتلطف بالمومنين حتى لا يصرح لهم بانه لا ناصر
لهم فانه فرق بين الصريح والمضمن وقد بين صريحا فى شان الكفار ان لا ناصر لهم ولما امر
نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو فى سوء ادبهم والاستغفار فى ذنوبهم بين
من افراد اساءة الادب والذنب فقال وما كان لنبى ان يغل اى لنبى من الانبياء
سيما لسيدهم ان يخون فى الغنيمة نقل الترمذى وابو داود وابن ابى حاتم
وابن جرير انه فقد قطيفة حمراء يوم بدر فقيل لعل رسول الله اخذها فنزلت
وعن ابن عباس وغيره ان ظن بعض الرماة انه صلى الله عليه وسلم لا يعطيهم
الغنيمة ولهذا تركوا المركز فى احد فنزلت واما قراءة يُغَل بالمجهول فمعناه ان ينسب
الى الغلول اى اخذ المال من الغنيمة فى خفاء فهو من الاغلال او ما كان لنبى ان
يُغَلَّ منه فهو من غَلَّ فقيل نزلت يوم بدر وقد غَلَّ بعض اصحابه ومن يغلل
يات بما غل يوم القيمة حاملا له على عنقه وفى الكتب الستة احاديث تدل على ذلك
وفى حديث رواه ابن مردويه ان الحجر ليرمى فى جهنم فيهوى سبعين خريفا ما يبلغ
قعرها ويؤتى بالغلول فيقذف معه ثم يقال لمن غل ائت به فذلك قوله ومن
يغلل الى اخره وعلى هذا معناه ومن يغلل يات بما غل من قعر جهنم الى محضر
القيمة ثم يؤتى فاجزاه بعد سعدله والاصح الاظهر التوجيه الاول ثم توفى كل نفس
ما كسبت اى جزاءه واذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فمن غل لعظم ذنبه بذلك
اولى ولذلك لم يقل ثم توفى ما كسب وهم لا يظلمون بازدياد العقاب افمن
اتبع رضوان الله ما يؤول الى رضاه كالايمان والاعمال الصالحة كمن باء

رجع بسخط من الله ونكص عن اتباعه باتباع النفس والشيطان ومأويه
اى ماوى من باء جهنم وبئس المصير جهنم هم درجات عند الله ضمير الجمع لمعنى من
اتبع فانه هو المحدث عنه اى هم ذوو درجات وفى تلك العبارة مبالغة لا تخفى
واما قول من قال ضمير الجمع لمن اتبع ومن باء والمعنى هم كدرجات فى التفاوت فبعيد
لا يقال ان للكافر درجة عند الله فان الدرجة ما يتوصل به الى مكان علو وما سمعنا
يستعمل الا فيمن له شرف ومكان عال حسن والله بصير بما يعملون فيجازيهم بحسب
اعمالهم ولما بين فضل المؤمنين وانهم الواصلون الى رضوانه ولهم الدرجات
العلى من فضل الله ومنته من عليهم ببعث اشرف خلق الله منهم فيهم فقال لقد من
الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من جنسهم لا من ملك وغيره ليتمكنوا
من مجالسته والانتفاع به وسموا المؤمنين باعتبار ما آل امرهم اليه من الايمان
او بالنسبة الى علم الله فانهم لم يكونوا حالة البعث مؤمنين قيل المراد من المؤمنين
العرب ومن انفسهم عربيا اميا مثلهم معروف النسب فيهم قال الله تعالى هو الذى
بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته والقران من ايات الرسول ويزكيهم
من دنس الشرك والجهل بالاستغفار لهم ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة
وان كانوا اى ان الشان كانوا من قبل قبل نبوته لفى ضلال مبين ظاهر عند
كل عاقل ومن متعلق بكان وفى ضلال خبر كان وهو مع معموليه خبر ان المخففة
وان مع معموليه فى موقع الحال ولما من على المؤمنين ببعثة رسول عالم مطهر
فربما يذهب وهم واهم الى ان خذلان المؤمنين فى بعض الاحايين لماذا فقال
اولما اصابتكم مصيبة كمصيبة يوم احد قتل بيد اعداء الله من اوليائه سبعون
قد اصبتم مثليها يوم بدر قتل من المشركين سبعون واسر منهم سبعون ولما
حرف وجوب لوجوب عند الجمهور غير ابى على لا ظرف زمان بمعنى حين
واصل الكلام والما لكن قدمت الهمزة على واو العطف لصدارة الاستفهام
والجملة الاستفهامية معطوفة على ما قبلها من الجمل واما عطفه على قوله ولقد
صدقكم الله الى اخره فقال صاحب البحر ففيه بعد لم يقع مثله فى فصيح الكلام وقوله
قد اصبتم صفة لمصيبة قلتم انى هذا كيف اصابنا هذا الكسر والقتل ونحن نقاتل
اعداء الله وفينا رسوله وقد وعد النصر فانى سؤال عن الحال على سبيل التعجب
والجواب انى مراعيا للمعنى ولا يناسب ان يكون انى بمعنى اين ومتى فى هذه

الاية لان الاستفهام لم يقع هنا من المكان والزمان قل هو من عند انفسكم
بارتكاب المعاصى فسؤالهم بانى عن تعيين كيفية حصول هذا الامر والجواب
يتضمن تعيين الكيفية لانه بتعيين السبب يتعين الكيفية من حيث المعنى ان الله
على كل شىء قدير من النصر والكسر وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين
والمشركين فى احد فباذن الله بقضائه وقدره وهذا من قبيل ما بكم من نعمة
فمن الله فانه سبب للاخبار بكونه من الله وهنا سبب للاخبار بكونه باذن
الله فان الاصابة ليست سبب القضاء بل بالعكس وليعلم المؤمنين عطف
على باذن الله اى هو كائن باذنه وليعلم نحو ضرب زيد فى الدار ويوم الجمعة
وليعلم الذين نافقوا اى ليتميز عند الله المؤمنون من المنافقين فيظهر ايمان
المؤمنين وكفر المنافقين وقيل لهم كلام مبتدأ عطف جملة على جملة وقيل عطف
على نافقوا تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا كان ابن ابى رأس النفاق
انصرف مع اصحابه فى اثناء طريق احد فوعظهم احد من الصحابة وقال تعالوا
قاتلوا فى سبيل دين الله وان لم تقاتلوا ادفعوا عنا المشركين بتكثيركم سوادنا
وقيل معناه قاتلوا لدين الله او للدفع عن الانفس والاموال قالوا لو نعلم
قتالا لاتبعناكم لكن ليس فى اليوم قتال ونافقوا فى هذا القول ايضا لانهم ظنوا
القتال ورجعوا وقيل لو نعلم ان ما ترتكبونه قتال لاتبعناكم لكن هو القاء الانفس
تحت سيوف القوم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان الظروف كلها متعلقة
باقرب لما فيها من الاتساع وحاصله قربهم من الكفر يزيد على قربهم من الايمان
واللام بمعنى الى فان القرب صلته من والى قال فى البحر يقال زيد اقرب من عمرو
لكذا والى كذا ومن كذا فمن الثانية واللام والى ليست التى يتعدى بها افعل التفضيل
مطلقا قيل معناه هم لنصرة اهل الكفر اقرب لنصرة منهم لاهل الايمان لان انخزالهم
تقوية للمشركين وتخذيل للمؤمنين يقولون بافواههم تاكيد نحو رايت بعينى لان
اطلاق القول على النفس اى مجاز ما ليس فى قلوبهم من كلمة الايمان وقولهم
لو نعلم قتالا على التوجيه الاول وغير ذلك والله اعلم بما يكتمون فى قلوبهم الذين
رفع او نصب على الذم قالوا لاخوانهم اى لاجل اخوانهم المقتولين فى احد وقعدوا
والحال انهم قد قعدوا عن الرواح الى احد لو اطاعونا اطاع اخواننا المقتولين
وانصرفوا كما انصرفنا ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرأوا ادفعوا عن انفسكم الله

الموت ان كنتم صادقين ادعوا بهذا الكلام انا دفعنا عن انفسنا القتل وهولآ
لو اطاعونا لما اصابهم القتل فاجابهم الله بان القتل مكتوب عليهم كما ان الموت
في الزمان المعين مكتوب عليكم فان كنتم صادقين في قدرتكم دفع المكتوبات
فادفعوا عن انفسكم الموت المكتوب ولا تحسبن خطاب لرسول الله او لمن يكن
خطابه الذين قتلوا في سبيل الله يشمل كل مقتول في سبيل الله من اهل احد وبدر
ومن قتل في نجده وهم سبعون ارسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعليم دينهم
امواتا كاموالكم بل هم احياء عند ربهم وعند ربهم خبر بعد خبر يرزقون من عند الله
في دار كرامته فان ارواحهم في اجواف طير خضر يطيرون في الجنة حيث شاؤا فرحين
بما اتاهم الله من فضله بسبب الشهادة حال من ضمير يرزقون ويستبشرون
عطف على فرحين نحو صافات ويقبضن اي فرحين مستبشرين بالذين لم يلحقوا
بهم من خلفهم بمعناه فرحوا لانفسهم ولمن يلحق بهم من الشهدآء الذين ياتونهم من
خلفهم من اخوانهم المومنين الذين تركوهم يجاهدون لاعلآء كلمة الله اذ يصيرون
الى ما صاروا اليه من كرامة الله وفضله ان لا خوف عليهم ان هي المخففة من المثقلة
واسمه ضمير الشان والخبر الجملة المنفية بلا وجملة ان لا خوف بدل اشتمال من الذين
اي مستبشرين بان لا خوف على اخوانهم وعلى الحقيقة هو المستبشر به او مفعول له
اي لان لا خوف عليهم فهو علة الاستبشار فالمستبشر به غيره ولا هم يحزنون
قال السدى يوتى الشهيد بكتاب فيه يقدم عليك فلان يوم كذا وفلان يوم كذا
فيسر بذلك كما تسرون بقدوم الغائب يستبشرون بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم
وفضل زيادة عليها الاولى ان هذا استيناف لا تاكيد للاول لان متعلق الاول
عدم الخوف على الذين لم يلحقوا ومتعلق الثاني النعمة والفضل فقد اختلف متعلق
الفعلين وان الله لا يضيع اجر المومنين عطف على نعمة اي يستبشرون لما عاينوا
وفآء الموعود الذين هو صفة للمومنين او نصب على المدح استجابوا لله والرسول
من بعد ما اصابهم القرح الجرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم له وجهان
من الاعراب الاول ان الذين استجابوا ابتدا لا صفة ولا نصب وقوله للذين
احسنوا الى اخره خبره ويكون اجر عظيم اما مبتدا وللذين خبره مقدم عليه واما
اجر عظيم فاعل الظرف اعني للذين الثاني ان يكون للذين احسنوا الى آخره
جملة استينافية من مبتدا هو اجر عظيم وخبر هو للذين والذين كما قلنا صفة او نصب

على المدح ويكون للذين احسنوا منهم كقول الله وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما في ان من للتبيين فان المحسن والمتقي كلهم
لا بعضهم الذين بدل من الذين قال لهم الناس رسول المشركين ان الناس
المشركين قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم هذا القول ايمانا يقينا وقالوا حسبنا
الله محسبنا وكافينا يدل على انه بمعنى المحسب ما يقال هذا رجل حسبك فلولا انه
بمعنى اسم الفاعل لم يجز لتعريفه وتنكير موصوفه ونعم الوكيل هو اي الموكول اليه
فانقلبوا بنعمة من الله مثل سلامة البدن والاجر وبنعمة حال اي متنعمين والبا
للمصاحبة وفضل ربح دنيوي لم يمسسهم سوء من قتل وجرح وهو في موضع الحال
اي سالمين واتبعوا رضوان الله لانهم اطاعوا رسوله والله ذو فضل عظيم
على المطيعين نزلت اية الذين استجابوا الى اخر تلك الايات فيمن بقي من
غزوة احد فانهم اطاعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج عقيب المشركين
مع جراحاتهم فان المشركين بعد ما قفلوا عن احد ندموا في اثنآء الطريق وقالوا
نرجع ونستاصلهم فخرج رسول الله مع من كان معه في احد ولم ياذن في
الخروج معه احد غيرهم فلما سمع المشركون بخروج المومنين القى الله الرعب
في قلوبهم فارسلوا احدا يخوف المسلمين منهم والمسلمون عند تخويف رسولهم
يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل فرجع المشركون خائفين ورجع المسلمون
في عافية وربح فان عيرا مرت فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وربح فيها مالا وقسم بين اصحابه هذا هو المنقول الثابت وهو قول جميع قدمآء
المفسرين والمورخين فالاية جميعها في غزوة حمرآء الاسد المتصلة بغزوة احد
لا ان بعض الاية وهو الذين استجابوا الى قوله اجر عظيم في تلك الغزوة
وباقيها وهو الذين قال لهم الناس الى اخر الاية في غزوة بدر الصغرى التي
نذكرها فلا تعتمد على الزمخشري والرازي ومن تبعهما او نزلت فيمن خرج في
العام القابل من غزوة احد حين خرج المشركون من مكة والقى الله الرعب فيهم
فندموا من الخروج ورجعوا وارسلوا من يخوف المسلمين في المدينة وهم متاهبون
للقتال قائلين حسبنا الله ونعم الوكيل وخرجوا للقتال فلما سمعوا في الطريق
بمراجعة المشركين رجعوا بسلامة وربح في تجارة من سوق بدر وتسمى هذه غزوة
بدر الصغرى قال الشيخ الشيخ الحافظ ابو الفدآء عماد الدين ابن كثير في تفسيره الصحيح ان الاية

وهي من المدينة على ثمانية اميال

لانهم لم يقاتلوا في هذه المرة

فی غزوة حمرآء الاسد لا فی غزوة بدر الصغری انما ذلکم الشیطان ای قائل ان الناس
قد جمعوا لکم شیطان یصدکم عن الله مبتدا او خبر یخوف اولیاءه ای یخوفکم باولیائه
کما قال تعالی یخوف الله به عباده یعنی بایهامکم ان المشرکین ذووا قوة وباس
وامثال ذلک فجملة یخوف مستانفة بیان للشیطنة او حال نحو تلک بیوتهم خاویة
وقرا ابن مسعود یخوفکم اولیاءه وابی بن کعب یخوفکم باولیائه فلا تخافوهم وخافون
ان کنتم مومنین فان المومنین هم العالمون بان لا یقع شی الا باذن الله وارادته
ولا یحزنک الذین یسارعون فی الکفر لا تهتم ولا تبال بمن یبادر الی کسر الاسلام
والعناد انهم لن یضروا الله شیئا ای دین الله شیئا من الضرر ومن هذا علم
ان حزن رسول الله لله یرید الله ان لا یجعل لهم حظا فی الاخرة نصیبا من نعیمها لانه
خلقهم اشقیاء ملعونین فکیف لا یسارعون فی الکفر ولهم عذاب عظیم مع حرمان نعیمها
وجملة یرید مستانفة ولهم عطف علی ان لا یجعل او الواو للحال ان الذین اشتروا
الکفر بالایمان ترکوا الایمان واخذوا الکفر ای استبدلوا هذا بهذا لن یضروا الله
شیئا لکن یضرون انفسهم ولهم عذاب الیم تعمیم بعد التخصیص فان الذین یسارعون
فی الکفر المحزنین لرسول الله صلی الله علیه وسلم جمع خاص من الکفار ولا یحسبن
الذین کفروا انما نملی لهم خیر لانفسهم الاولی ان ما مصدریة وان مع ما فی حیزه سدت
مسد مفعولی یحسبن واما قراءة تحسبن بالتاء المنقطة من فوق فمعناه لا تحسبن
یا محمد حال الذین کفروا ان املاءهم خیر لهم بحذف مضاف لانه وجب ان یکون
مفعوله الاول صادقا علی الثانی وجاز ان یکون انما نملی بدلا من المفعول الاول
ولا نحتاج الی تقدیر والمبدل منه وان لم یصلح لاتمام الکلام لکنه فی حکم المنحی والمقصود
البدل وهو کاف لان ان مع الاسم والخبر صالح للوقوع موقع المفعولین باعتبار
حصول المقصود ولا نحتاج الی تقدیر مفعول انما نملی لهم نمهلهم ونطول اعمارهم
وما کافة والجملة مستانفة بما هو علة الحکم قبلها لیزدادوا اثما ولهم عذاب مهین
ولا اشکال فی الایة الا علی مذهب الاعتزال وهذا البعض الکفار الذین علم الله موتهم
علی الکفر ما کان الله لیذر المومنین علی ما انتم علیه حتی یمیز الخبیث من الطیب
ای لیس من شان الله ان یذر المومنین علی ما انتم یا معشر المومنین والکافرین
علیه من الاشتباه فلا یعرف المومن مومنا والکافر کافرا حتی یمیز الخبیث الکافر
النجس من الطیب المومن الطاهر بامتثال تکالیفه تعالی فیمتثله الطیب ویجتنبه

الخبیث وهو العلیم بالاحوال وما ینتهی الیه کل واحد منهما ولذلک قال وما کان
الله لیطلعکم علی الغیب فتعرفوا المخلص والمنافق من قلوبهم ولکن الله یجتبی من
رسله من یشاء فیخبره ببعض المغیبات قال المنافقون محمد یزعم عرفان المومن
من الکافر ونحن معه ولا یعرفنا فامنوا بالله ورسله مخلصین وان تومنوا
حق الایمان وتتقوا المعاصی فلکم اجر عظیم یتعسر علمکم بتفصیله ولما ذکر ان
طول عمر بعض الکافرین لمزید شقاوتهم وتماديهم فی الشر عین وبین ان
البخلاء منهم وهذا من جملة تمییز الخبیث من الطیب فقال ولا تحسبن بالتاء
والیاء الذین یبخلون بما اتیهم الله من فضله هو خیرا لهم یعنی لا تحسبن یا محمد
بخل الذین او لا یحسبن محمد فضمیر یحسبن راجع الی مخاطب لا تحسبن وعلی
الوجهین المضاف اعنی بخلهم محذوف وجاز ان یکون الذین فاعل یحسبن
ای لا یحسبن البخلاء بخلهم خیرا او جاز حذف احد مفعولی باب علمت عند ظهور
القرینة لانه فی حکم المذکور وهو ضمیر الفصل فی الصحیحین انه علیه صلوات الله
وسلامه قرا بعد ما اوعد مانعی الزکوة بل هو ای البخل شر لهم لما نفی خیریة
البخل بقی احتمال التساوی فنفی الاحتمال بهذا وبین شریته بقوله سیطوقون
ما بخلوا به یوم القیمة فی الصحیحین من لم یود زکوة ماله یمثل ماله شجاعا اقرع
یطوقه یوم القیمة فیاخذ بلهزمتیه یعنی بشدقیه یقول انا مالک انا کنزک ثم تلا
صلی الله علیه وسلم هذه الایة ولله میراث السموات والارض یفنی
الملاک فیبطل ملکیتهم وتبقی الاملاک بلا مالک فرجع الی الله کالمیراث فلا تبخلوا
لان المال ما اتاکم الا من فضله ثم یرجع الیه بموت کل مالک والله بما تعملون
من مثل المنع والاعطاء خبیر فیجازیهم لقد سمع الله قول الذین قالوا ان
الله فقیر ونحن اغنیاء قالت الیهود والله یطلب منا القرض فهو فقیر ونحن
اغنیاء ولولا ذلک لما استقرض منا کما یزعم صاحبکم سنکتب ما قالوا فی
صحایف اعمالهم ونحفظه ولا نهمله وقتلهم الانبیاء بغیر حق بجده وجعل
قرن قتل الانبیاء بتلک الکلمة اشارة الی انهما جنس واحد فی العظم وانهم
اصلاء فی الکفر ورثوا کابرا عن کابر وقولهم هذا اما عن اعتقاد واما عن استهزاء
بقول الله وعلی الوجهین من اشد الکفر ونقول ذوقوا عذاب الحریق
المحرق یعنی لشدته کانه یحرق نفسه فهو کالیم بمعنی المولم لما کان ذنبهم

[illegible] صحاح
واللهزمتان عظمان ناتئان فی اللحیین تحت الاذنین صحاح

قوليا وفعليا ناسب ان يكون الجزاء كذلك ذلك العذاب الشديد بما قدمت
ايديكم بسبب ذنوب صدرت عنكم فانتم الذين حصلتموه لانفسكم ونسب
ما قدموه من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية الى الايدي على سبيل
التغليب فان الايدي تزاول اكثر الاعمال فكان كل عمل بها وهذه الجملة داخلة
في المقول وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما اي العذاب الشديد بجرائمكم
العظيمة وعدل الله سبحانه قيل جاء بلفظ ظلام الذي هو للتكثير بسبب المتعلق
وفيه اشارة ظاهرة بانه لو عفا عن تلك الجرائم العظائم التي هي الكفر واشد
الظلم على افضل الخلائق لكان الله تعالى كثير الظلم والعجب كل العجب ان في الايات
القرآنية اكثر من عشرة وعشرين ان تنقيص الحسنات وتضعيف السيئات
وتعذيب المحسن والاحسان مع المسيء في القيمة من الله ظلم وهو تعالى بفضله
واحسانه لا يظلم مثقال ذرة وحرم على نفسه الظلم وصرح بذلك عظماء السلف
وعلماء الخلف وليس في كتب اللغة التي عندنا تفسير الظلم الا بوضع الشيء في غير
موضعه اللائق به ومع هذا كله فضلاؤنا المتاخرون فسروا الظلم بالتصرف
في ملك الغير بغير اذنه وقالوا الظلم على الله محال وما فطنوا بالف وارد الواردة
الواردة على ذلك وقد بينا ذلك في رسالة مفردة الذين قالوا مرفوع او منصوب
على الذم ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار
اي وصى الينا بان لا وجاز نصب ان لا نؤمن بتضمين عهد معنى الزم اي حتى
ياتي بتلك المعجزة الخاصة وهي ان من تصدق بصدقة من امته فتقبلت منه
تنزل نار من السماء فتاكلها كما كانت لانبياء بني اسرائيل قل يا محمد تكذيبا لهم
والزاما قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات المعجزات الظاهرات وبالذي قلتم
اي مؤدي تلك المعجزة الخاصة التي طلبتم مني فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين انكم
تتبعون من جاء بتلك المعجزة وهذه الاية والتي قبلها دالة على ان ذلك من
فعل اسلافهم الا ترى الى قوله وقتلهم الانبياء وقوله قد جاءكم رسل وقوله
لم قتلتموهم ونحو الفعل اسلافهم لفخرهم بابائهم وهم مادحون راضون عنهم
فان كذبوك يا محمد فليس ببدع منهم فقد كذب رسل من قبلك دليل للجواب
الذي قدرنا لان الماضي حقيقة لا يكون جوابا للشرط المستقبل جاؤا بالبينات
المعجزات الظاهرات والزبر الكتب المقصورة على المواعظ والزواجر من زبرته

فان الذي قلتم هو الفاظهم وعباراتهم
ولا معنى لمجي الرسل بها منهم

اذا زجرته او من زبره اذا كتبه والكتاب المنير الواضح المضي للاحكام والشرايع
كل نفس ذائقة الموت وعد للمصدق ووعيد للمكذب وانما توفون اجوركم
يوم القيمة تعطون جزاء اعمالكم تاما من غير نقص فمن زحزح جنب وبعد عن النار
وادخل الجنة فقد فاز ظفر ببغيته واما كل اذا اضيف الى نكرة فالتذكير والتانيث
والجمع والمفرد باعتبار تلك النكرة المضاف اليه ولا يبعد ان يقال قوله وادخل
الجنة بعد قوله فمن زحزح عن النار اشارة الى انه يمكن ان لا يكون شخص في النار
ولا في الجنة كما قيل في اهل الاعراف وما الحيوة الدنيا اي زخارفها الا متاع الغرور
كمتاع يدلس به على المستام فيغر ويشتريه فمن اغتر بها وآثرها ولم يجعلها وسائل
لمتاع الاخرة فهو مغرور والغرور يحتمل المصدر والجمع لتبلون والله لتختبرن
في اموالكم باهلاكها والامر بانفاقها وانفسكم بالامراض والامر بالجهاد واداء
الفرائض كالحج والصلوات ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من الهجاء والطعن وسب النساء امرهم الله
قبل الوقوع بالصبر ليوطنوا انفسهم على ذلك وان تصبروا على الاذى
وتتقوا الله فان ذلك اي الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها التي
يجب العزم عليها مصدر بمعنى المفعول والفاعل هو العبد اي يجب عليه ان
يعزم على ذلك او الفاعل هو الله بمعنى اراد وامر وفرض ان يحصل ذلك
قال المرزوقي حقيقة العزم توطين النفس وعقد القلب فلذلك لا يجري على الله
وما احسن ذكر هذه الاية اثر قصة احد التي وقع كسر المسلمين فيه بسبب اقبالهم
على المال ولما امر المسلمين بالصبر على اذى الكافرين بين حال اعلمهم
وهم اهل الكتاب حتى يعلم خيانتهم وجفاءهم مع ربهم فلا يطمع في وفائهم
فقال واذ اي واذكر اذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب بلسان
انبيائهم لتبيننه للناس اي والله لتبينوا الكتاب بجملته للناس وهذا على
قراءة التاء المنقطة من فوق يكون حكاية لمخاطبتهم ولا تكتمونه الواو للعطف
ولما كان منفيا بلا لم يؤكد فلا يدخله النون فنبذوه الميثاق وراء ظهورهم
هو مثل في ترك الاعتداد والاعتبار كما يقال في نقيضه القاه بين عينيه و
واشتروا به ثمنا قليلا اخذوا بدله قليلا من حطام الدنيا فبئس ما يشترون
يختارونه لانه مع فنائه اورثهم العار والنار ولما اخبرهم الله انهم مالوا الى المال

مع انهم على الدين الصحيح وهم اهل العلم فهم اهل الاقتداء اخبر عن مالهم تحذيرا عن
مثل حالهم فقال لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما
لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة بنجاة من العذاب ولهم عذاب اليم لكفرهم وكتمانهم
ايات الله اي لا تحسبن يا محمد انفسهم ناجين من العذاب وقوله فلا تحسبنهم
تاكيد للاول وفي الفاء اشعار بان افعالهم المذكورة علة لمنع الحسبان والنهي عنه
قال الزجاج العرب تعيد اذا اطالت القصة في حسبت مثله اعلاما بان الذي
جرى متصل بالاول نحو لا تظنن زيدا اذا جاءك وكلمك كذا وكذا فلا تظننه
صادقا واما قراءة الياء الغائبة في الاول والثاني مع ضم الباء فقوله الذين
فاعل يحسبن ومفعولاه محذوفان لدلالة مفعولي يحسبنهم عليهما اي لا يحسبن
الذين يفرحون انفسهم ناجين وقوله بمفازة اي فائزين هو المفعول الثاني
وفي البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ان مروان قال لابن عباس لئن كان
كل امرء منا فرح بما اتوا واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعين فقال
ابن عباس ما لكم وهذه انما نزلت في اهل الكتاب سالهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن شيء واخبروه بغير الواقع فظنوا ان قد استحمدوا الى رسول الله
وفرحوا بكتمانهم ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير فلا يعجز
عن انتقام المتمردين عن الدين ان في خلق السموات والارض هذه في
ارتفاعها واتساعها مع ما فيها من الكواكب والبروج المختلفة وهذه في انخفاضها
وكثافتها وما فيها من البحار والانهار والمعادن والجبال والاشجار والزروع
والثمار واختلاف الليل والنهار تعاقبهما وتعارضهما في الطول والقصر
فتارة يطول احدهما ويقصر الاخر ثم يعتدلان ثم يطول الذي كان قصيرا
ويقصر الذي كان طويلا وكل ذلك تقدير العزيز العليم ومن الاختلاف ان النهار
في غاية النور وقتا كيوم الصحو دون يوم كيوم الغيم والاخر في غاية الظلام وقتا
كاول الشهر واخره دون وقت كنصف الشهر حين الصحو لايات لاولي الالباب
دلالات على الوجود والوحدة والعلم والقدرة لذوي العقول الخالصة ونقل
ابن مردويه وابن حبان في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله وصف لاولي الالباب
قياما وقعودا وعلى جنوبهم يصلون قائمين فان لم يقدروا فقاعدين فان لم يقدروا

فعلى جنب او معناه الذين يذكرون في جميع الاحوال فان الثلثة اكثر احوال
الشخص وقياما مصدر بمعنى الفاعل اي قائمين وقعودا يحتمل ان يكون جمع
قاعد وعلى جنوبهم بمعنى مضطجعين عطف على قياما ويتفكرون في خلق السموات
والارض وما ابدع فيهما استدلالا ربنا اي قائلين ربنا ما خلقت هذا باطلا
خلقا عبثا بل خلقته لحكم ومصالح وهذا اشارة الى الخلق في خلق السموات
والارض على ان المراد منه المخلوق او اشارة الى السموات والارض لانها
في معنى المخلوق وباطلا صفة مصدر محذوف سبحانك انزهك تنزيها من
خلق العبث فقنا عذاب النار لما علمنا انك منزه عن خلق العبث بل
لتجزي الذين اساءوا بما عملوا وتجزي الذين احسنوا بالحسنى قنا عذاب
النار بجودك ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اهنته غاية الاهانة
واشقيته واما دخول المومنين بعض الاوقات فليس الا للتطهير وفيه اشعار
بان العذاب الروحاني افظع لان العذاب الروحاني الذي هو الاخزاء جعله
مرتبا على ادخالهم النار وهو العذاب البدني وما للظالمين من انصار
ومن ادخلته النار من ظالم فليس له من انصار واذا كان الجماعة لا يفيد
فالواحد بطريق الاولى وهذا دليل على ان المراد بالدخول ههنا الخلود فان
للداخلين من المومنين شفعاء ينصرونهم من الخلود والمتبادر في هذا المقام
انهم مخلدون لا احد ينجيهم من شفيع او ناصر ربنا اننا سمعنا مناديا محمدا
او القران ينادي للايمان النداء يعدى بالى واللام لتضمنه معنى الانتهاء
والاختصاص فان في الدعاء الى الشيء والنداء له والهداية اليه اختصاصا
للفعل وانتهاء اليه فسواء عبرت باللام التي للاختصاص او بالى التي لا
لانتهاء الغاية حصل المقصود ان امنوا اي بان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر
لنا ذنوبنا كبائرنا الفاء مشعر بان الغفران مترتب على الايمان وكفر عنا
سيئاتنا صغائرنا قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
وتوفنا مع الابرار معدودين في زمرة الصالحين جمع بر او بار ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك اي على السنتهم او على تصديق رسلك من الثواب
فعلى الحقيقة الدعاء استعاذة من سوء الخاتمة مخافة ان لا يكونوا من الموعودين
ويمكن ان يكون المقصود بالدعاء عرض الخشوع واظهار العبودية وفيه ايماء

اى انه لا يجب عليه شىء فتضرعوا فى انجاز الوعد ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تفضحنا على
رؤس الاشهاد ولا تدخلنا النار اهانة انك لا تخلف الميعاد البعث بعد الموت
والاثابة للمطيع فاستجاب لهم ربهم تكررهم ربنا خمس مرات حتى استجاب لهم
بقوله ربهم يعدى بنفسه وباللام انى اى بانى لا اضيع عمل عامل منكم اى شخص عامل
منكم صفة عامل من ذكر او انثى بيان عامل قيل بدل بعض من منكم بعضكم
من بعض فى الدين او الكل من آدم او لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر
روى الحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط البخارى ان ام سلمة قالت يا رسول
الله لا نسمع الله تعالى ذكر النساء فى الهجرة بشىء فانزل الله قوله فاستجاب الآية
وقوله بعضكم من بعض جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد
الله عباده العاملين فالذين هاجروا تفصيل للاعمال مبتدأ خبره جملة القسم
المحذوفة التى جوابها لاكفرن واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى وقاتلوا
الكفار وقتلوا فى الجهاد لاكفرن امحون عنهم سيئاتهم ذنوبهم ولادخلنهم جنات
تجرى من تحتها تحت اشجارها وغرفها الانهار والظاهر انه اخبار عمن جمع له
هذه الاوصاف قيل هذا من باب عطف الصلات والمعنى اختلاف الموصول
فكأنه قال فالذين هاجروا والذين اخرجوا والذين اوذوا والذين قاتلوا
والذين قتلوا ويكون الخبر عن كل واحد من هؤلاء ثوابا من عند الله اثيبنهم
ثوابا من عند الله العظيم فثوابا مصدر مؤكد لان لاكفرن عنهم ولادخلنهم فى
معنى لاثيبنهم لا انا نقدر عامله ومن عند الله من باب الالتفات والله عنده
حسن الثواب على الطاعات لا يغرنك الخطاب للسامع تقلب الذين
كفروا فى البلاد وسعيهم فيها لكسب الاموال والجاه والرتب متاع قليل اى ذلك
متاع قليل لقلة مدته وفى جنب ما اعد الله للمؤمنين ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد
جهنم اى ما مهدوا لانفسهم او المهاد والمنزل لكن الذين اتقوا ربهم اى عصاة
لهم جنات تجرى من تحتها تحت اشجارها وغرفها الانهار خالدين فيها
ولا يخرجون نزلا من عند الله النزل ما يعد للنازل من الضيافة حال من جنات
فانها فاعل الظرف لاعتماده على المبتدأ الذى هو الذين وما عند الله خير
للابرار مما يتقلب فيه الفجار فى الدنيا وللابرار متعلق بخير لا بمتعلق عند الله
فقد اجمع النحاة انه لا يخبر عن الموصول الا بعد استيفاء صلته ومتعلقاتها

وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله دخلت اللام على اسم ان للفصل بالظرف
ولولاه لم يجز لكراهة توالى حرفى تاكيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى
على النجاشى وقال المنافقون يصلى على علج نصرانى مات بارض الحبشة
فنزل فى ذلك وما انزل اليكم القران وما انزل اليهم كتبهم خاشعين لله
حال من فاعل يؤمن لانه فى المعنى جمع لا يشترون حال اخرى بايات الله ثمنا
قليلا لا يأخذونه بدلها كما يفعله المحرفون اولئك لهم اجرهم عند ربهم
مبتدأ بالاستيناف وعند ربهم حال من اجرهم او ضمير لهم ان الله سريع
الحساب فلا اجر الموعود سريع الوصول اليهم يا ايها الذين امنوا اصبروا
على دينكم وصابروا على عدوكم ورابطوا انفسكم فى مكان العبادة اى
داوموا وابدانكم وخيولكم فى الثغور وفى مسلم والنسائى الا اخبركم بما يمحو الله
الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد
وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط و
واتقوا الله فيما بين الله وبينكم لعلكم تفلحون لكى تجدوا الفلاح فى الدنيا والدين

سورة النساء مدنية مائة وخمس وسبعون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة
هى آدم وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعها فلا فخر لاحد على احد
والقادر على اشخاص مختلفين من شخص واحد قادر على احيائهم بعد الموت
قيل وخلق عطف على محذوف هو خلقها يعنى خلق النفس الواحدة وخلق
منها زوجها وبث نشر منهما رجالا كثيرا ونساء كثيرة واتقوا الله الذى
تساءلون به اى تتساءلون فيما بينكم حوائجكم به كما تقولون اسالك
بالله وادغمت التاء الثانية فى السين والارحام اى اتقوا الله ان تعصوه
واتقوا الارحام ان تقطعوه وفيه عظيم مبالغة فى اجتناب قطع الرحم قيل
عطف على محله وقراءة جر والارحام دال عليه وعند الكوفيين جائز
بلا اعادة الجار وهو واقع فى فصيح الكلام من النثر والنظم وعلى هذا معناه الذى
تساءلون بالله وبالارحام وفى لسان العرب اسالك بالله وبالرحم لكن التوجيه
الاول اولى لان ليس فى تسائل الارحام ترغيب فى تقوى الله ولا فائدة
فى ذكر الارحام اكثر من الاخبار بان الارحام يتسائل بها ان الله كان

هكذا فسره ابن عباس وجمع لا يحصى من السلف منه

عليكم رقيبا لا ينقطع حفظه واطلاعه فاتقوه لما امرهم بالتقوى عن مخالفة
امر الله الذي هو رقيب على جميع احوالهم نهاهم عن اقبح شيء فيهم فقال وآتوا
اليتامى اموالهم اي آتوا اليتامى اذا بلغوا وفيه اشارة وحث على ان تدفع
اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان تعلم ازالة اسم اليتم عنهم ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب بان تتركوا الحلال وتأخذوا الحرام من اموالهم ومعنى تبدلت هذا
بذلك اخذت هذا وتركت ذلك وعلى هذا فيما نقل انهم يأخذون الجيد
من اموال اليتامى ويجعلون مكانه الردي فنزلت فيه اشكال لان هذا هو التبدل
لا التبدل الا ان يقال سمي الجيد خبيثا لانه حرام فيجتنب عنه وسمي الردي طيبا
لانه حلال ليرغب فيه او الخبيث والطيب باعتبار حال الصبي فان وليه الذي
بمنزلة نفسه اذا جعل المهزول من ماله مكان السمين من مال الصبي فاخذ
للصبي الخبيث الردي وترك الطيب الجيد فيكون تبدلا وانما يكون تبديلا
بالنظر الى حال الولي نفسه ولا تأكلوا اموالهم منضمة الى اموالكم يعني لا
لا تنفقوهما معا قوله الى اموالكم الاولى ان لا يكون قيدا احترازيا بل حكى لتقبيح
فعلهم نهيا عما صدر عنهم كما في اضعافا مضاعفة في الربوا انه الضمير للاكل
كان حوبا اثما كبيرا وان خفتم يا اولياء اليتامى الا تقسطوا في اليتامى الا تعدلوا
فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب ما طاب لكم من النساء والامر
للاباحة فانه ربما يجتمع تحت ولايته اعداد ويرغب في مالهن وجمالهن فيمنع من
تزوجهن اذا خيف عدم العدل لان الجور فيهن اشد والظلم ولانهن تحت
ولايته فخوف الجور فيهن اكثر ولما كان النساء ناقصات العقل والدين عبر
عنهن بما الذي لغير ذوي العقول او غالبة في غير ذوي العقول مثنى وثلث
ورباع حال من ما طاب والمعنى تقييد نكاح ما طاب بكونها معدودات هذا
العدد نحو اقسم الدراهم بينهم درهمين درهمين وثلثة ثلثة اي لا بد ان تقع القسمة
على هذا التفصيل دون غيره فلا يجوز ان يعطي احد اربعة ولا يجوز دخول ومكان
الواو لانه يصير المعنى انهم لا ينكحون كلهم الا على احد انواع العدد فلا يجوز ان يتزوج
بعضهم اثنين وبعضهم ثلثة فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا
فواحدة فاختاروها او ما ملكت ايمانكم سوى بين واحدة والسراري من غير
تعيين عدد فانه لا قسم بين السراري وترك القسم من الكبائر فقد ورد في الحديث

قيل ما موضوعة لغير ذوي العقول
وقيل بل اعم لكن استعمالها في غير ذوي
العقول اكثر منه

اللعن على تاركه ذلك اختيار الواحدة والتسري ادنى الا تعولوا اي اقرب
ان لا تميلوا ولا تجوروا والجور في الواحدة وفي السراري ممكن ايضا ومعناه
اقرب ان لا يكثر عيالكم ونقل ابن الاعرابي انه يقال عال الرجل واعال اذا كثر
عياله فان عال يكون لازما ومتعديا واللازم بمعنى مال وجار وكثر عياله كذا
في البحر وآتوا النساء صدقاتهن الظاهر ان الخطاب للازواج نحلة اي عطية
مهورهن عن طيب قلب اي ايتاء نحلة او ناحلين فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
اي وهبن لكم من الصداق شيئا ونفسا تمييز وحسن تذكير الضمير لان
معنى الكلام فان طابت كل واحدة من صداقها وهو نظير اعتدت لهن متكئا
بافراد متكئا اي لكل واحدة وعدي بعن لتضمين معنى التجافي فكلوه هنيئا
مريئا هنأ الطعام ومرأ اذا ساغ من غير غصص وقد صرح سيبويه وغيره
من جمهور اهل النحو بان هنيئا منصوب باضمار فعل لا يجوز اظهاره ولا يكون
متعلقا بما تقدم من الكلام من حيث الاعراب كما قال الشاعر هنيئا مريئا
غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت وقوله مريئا اما صفة لهنيئا او منصوب
بعامل هنيئا ولا تؤتوا السفهاء اموالكم قال ابن عباس وكثير من السلف معناه
لا تعط امرأتك ولا اولادك مالا جعله الله لك معيشة فتنظر الى ما في ايديهم
لكن امسكه واصلحه وكن انت منفقا عليهم وعلى هذا السفهاء باعتبار بعض
منهم وهو النساء والصغار وغير الرشيد من الاولاد او المراد لا تعطوا
ولا تدفعوا ايها الاولياء اليتامى مال غير الرشيد اليهم وصح اضافة المال الى المخاطب
لانه في تصرفه فيكون مجازا او فيه اشارة الى ان لا تجوزوا في اموالهم ما لا تجوزون
في اموالكم وهذا التوجيه الصق بالمقام ولاطلاق السفهاء التي جعل اي
جعلها الله لكم قياما تقومون وتتعيشون بها ومعناه على التوجيه الثاني
التي من جنس ما جعله الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم اجعلوا لهم
فيها رزقا وكسوة بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها وقولوا لهم قولا
معروفا قولا لينا يطيب به انفسهم قال صلى الله عليه وسلم ابتغوا في
اموال اليتامى التجارة لا تأكلها الزكاة وهذا ايضا اكثر ملايمة للوجه
الثاني وابتلوا اختبروا اليتامى قبل البلوغ في عقلهم حتى اذا بلغوا النكاح
اي بلغوا وقته واجله كناية عن البلوغ فانه عند البلوغ يصلح للنكاح

فعلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه
ووهبه له عن طيبة من نفسه منه

لا كما قاله الزمخشري منه

المعلم بالاحمر مقدم على قوله تعالى
وقولوا وقوله وهذا ايضا متصل
بقوله انفسهم

فان آنستم بعد البلوغ استعير الابصار للتبيين اذ الرشد مما لا يبصر
منهم رشدا من حفظ دينهم واموالهم فادفعوا اليهم اموالهم فدفع المال
اليهم بشرط الرشد ودل ذلك على انه لا يعطى ماله الا بالشيئين فلو بلغ
غير رشيد دام عليه الحجر او آنس منه الرشد قبل البلوغ فكذلك وقوله فان
آنستم الى آخره جملة شرطية وقعت جوابا للشرط الاول وهو قوله اذا بلغوا
النكاح وفي حتى الابتدائية معنى الغاية واذا الشرطية هي الظرفية التي بمعنى
الوقت والفاء في قوله فان آنستم للاشعار بانه لا يجوز تاخير الدفع من
البلوغ بشرط موانسة الرشد ولا تاكلوها اي اموالهم اسرافا وبدارا
ان يكبروا عبر عن افناء مالهم بالاكل لان الاكل اكثر منافع المال واسرافا
وبدارا نصب على الحال اي مسرفين ومبادرين كبرهم حتى لا يبقى شيء من
مالهم عند كبرهم فينتزع من ايديكم ومن كان غنيا من الاوصيا فليستعفف
من اكل شيء منها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف اجرة مثل الحفظ
فظاهر القران ان الوصي الغني لا يجوز له اكل شيء من ماله بوجه من الوجوه
وان الوصي الفقير جاز اكله قدر اجرة الحفظ ولا تبعة عليه في الدنيا ولا في الدين
فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعد البلوغ والرشد فاشهدوا عليهم بالاقباض
لدفع الخصومة المفضية الى الضرر وظاهر القران وجوب الاشهاد ولكن
الاكثرون على انه امر ارشاد وكفى بالله حسيبا بالله فاعل كفى والباء
زائدة وحسيبا تمييز او معناه محاسبا كالجليس بمعنى مجالس وفيه تحذير
عن طمع الاولياء في مال اليتامى وعن دعوى الايتام على الاولياء عند
الكبر بالكذب ولما ذكر حال مال اليتامى كان سائلا يسال من اين للايتام
مال فقال للرجال نصيب مما ترك الوالدان المراد من الرجال الذكور
كما في قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وابهم هنا النصيب والاقربون
المتوارثون بالقرابة وللنساء اي الاناث نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون كانت العرب لا يعطون البنات وقوم من يونان لا يعطون
الا للبنات فرد على الفريقين مما قل منه او كثر بدل مما ترك نصيبا مفروضا
مصدر موكدا اي حقا مقطوعا به واذا حضر القسمة قسمة الميراث اولو القربى
ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه من المال المقسوم

وهو امر ندب للبلغ بالتصدق وقد صح عن ابن عباس وغيره انه امر وجوب
للكبير والصغير لكنه منسوخ وقيل اذا طابت به الانفس فهو الواجب وعليه
كثير من السلف وقولوا لهم مع الاعطاء قولا معروفا بتلطيف العبارة معهم
والدعاء لهم والاستعذار منهم ان قل العطاء وليخش الذين لو تركوا من
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امر للاوصيا
بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم
الضعاف بعد وفاتهم وان يقولوا لليتامى التي تحت ايديهم بالشفقة
وحسن الادب ولو بما في حيزه صلة الذين او امر لمن حضر المريض بان
يخشوا على اولاده خشيتهم على اولادهم الضعاف فلا يتركوا المريض ان
يضر باولاده فيصرف المال عنهم ويسددوه للصواب ان الذين ياكلون
اموال اليتامى سواء كانوا اوصياء او غيرهم ظلما مصدر في موضع
الحال اي ظالمين او مفعول له نحو قعدت جبنا انما ياكلون في بطونهم
اي ملأها وخبر ان الذين جملة انما ياكلون وفيه دليل على جواز وقوع الجملة
المصدرة بان خبر ان وفيه خلاف وحسن ذلك هنا تباعدهما بكون
اسم ان موصولا فطال الكلام بذكر صلته والاولى ان في متعلق بياكلون
لا انه حال من نارا وفيه تنبيه واشارة بشرههم وتهافتهم في نيل الحرام
بسبب البطن نارا حقيقية فقال صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء
رايت قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم
ثم يجعل في افواههم صخرا من نار يخرج من اسافلهم فقلت يا جبريل
من هولاء قال هم الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما او المراد ما يجر الى
النار وسيصلون سعيرا يدخلون نارا على الوجه الاول من النار وقوله
سيصلون تاسيس وعلى الثاني نوع تاكيد وتبيين لما ابهم في قوله
نصيب مما ترك الوالدان في المقدار وابهم الاقربين بين الكل فقال
يوصيكم الله يعهد اليكم في اولادكم في شان ميراثهم للذكر منهم حظ مثل
حظ الانثيين يعني حالة اجتماع الذكر والانثيين فله سهمان كما ان لهما
سهمين واذا كان نصيبها مع الذكر الثلث فلان يكون نصيبها مع الانثى
اولى بان يكون ثلثا لان الذكر اقوى فان كن اي المولودات اناث

مع انه راجع الى الاولاد لتأويل المولودات او باعتبار الخبر نساء خلصا ليس
معهن ذكر فوق اثنتين صفة نساء بالغات ما بلغن من العدد وهذه الصفة دلت
على هذا فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم وان كانت المولودة واحدة
فلها النصف وللبنتين حكم ما فوقهما لانهما امس رحما من الاختين وقد جعل
لهما الثلثان بقوله فلهما الثلثان مما ترك وفيه دليل على ان الابن الواحد
له جميع المال لان للذكر مثل حظ الانثيين وللواحدة النصف ولابويه
لابوي الميت لما ذكر الفروع ومقدار ما يرثون اخذ في ذكر الاصول و
مقدار ما يرثون لكل واحد منهما بدل البعض ولذلك اتى بالضمير وهو
الخبر لقوله السدس وهذا كما تقول ابواه كل واحد منهما يصنع كذا ولا يجوز
يصنعان وكذا ان زيدا عينه حسنة بالتاء واستغنى عن الاخبار عن اسم
ان وهو المبدل منه بالاخبار عن البدل وهذا التركيب ابلغ واكد من
قولك لكل واحد من ابويه السدس اذ تكرر ذكرهما مرتين مما ترك ان
كان له للميت ولد ذكرا او انثى واحدا او كثيرا والابوان الاب والام نحو
القمران فغلب القمر لتذكيره على الشمس والمراد ان هذا نصيبه بطريق الفرضية
لكن الاب يأخذ سوى السدس ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة
وتعلقت الروافض بظاهر اللفظ ان السدس لكل منهما والباقي للبنت
او الابن فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث يعني وللاب
الباقي وهو الثلثان فان كان له اخوة اعم من ان يكون من اب وام
او من احدهما واعم من ان يكون ذكورا او اناثا فيهما ول الجمعين على سبيل
التغليب على الاصح كالابوين وحكم الاخوين كحكم الاخوة خلافا لابن عباس
فان الاخوين عنده كواحد والجمهور على خلافه فلامه السدس وحطها الاخوة
من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب خلافا لابن عباس
فعنده انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان الباقي
وهو خمسة اسداس للاب من بعد وصية يوصي بها او دين اي يستحقون
ذلك الذي ذكرنا من بعد وصية وليس تعلق الوصية والدين بالتركة سواء
اذ لو هلك من التركة شيء قبل القسمة ذهب من التركة والموصى له ولا يسقط
من الدين شيء بهلاك شيء من التركة واو هنا كاو في جالس الحسن او ابن سيرين

منشأ الخلاف على ان اقل الجمع اثنان او ثلاثة منه

اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا يعني لا تعرفون من انفع
لكم من اصولكم وفروعكم فاتبعوا ما فرضت لكم من الحصص فاني اعلم بالنفع
والمصلحة وايهم مبتدأ واقرب خبره علق عنه تدرون لانه من افعال
القلوب والجملة في موضع النصب فريضة من الله مصدر مؤكد
لمضمون الجملة السابقة في قسمة المواريث فوقع فريضة موقع فرضا
او حال مؤكدة لمضمون الجملة السابقة ان الله كان عليما بالمصالح
حكيما فيما قضى وحكم ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد
فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن لما ذكر ميراث الفروع من
الاصول وميراث الاصول من الفروع اخذ في ذكر ميراث المتصلين
بالسبب وهو الزوجية وحكم اولاد البنين وان سفلوا حكم اولاد الصلب
من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن اي الزوجات الربع مما
تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية
توصون بها او دين وسواء في الربع والثمن الواحدة والاكثر وان
كان رجل اي الميت يورث منه كلالة هي الميت الخالي من الولد والوالد
ويطلق على من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير
جهة الولد والوالد فيورث صفة رجل من ورث لا من المزيد اذ المراد به
الميت والميت موروث لا مورث اسم مفعول وكل من الميت
والمال موروث كما قال تعالى وورثه ابواه والميت مورث اسم فاعل
وكل من الوارث والمال مورث اسم مفعول وكلالة خبر كان ويورث
خبره وكلالة حال من ضمير يورث واذا اطلق على الوارث فتقديره
ذا كلالة وان كان معناها القرابة فهي المفعول له او امرأة عطف
على رجل اي الميت امرأة وحذف منه كلالة لدلالة ما قبلها عليه
وله اي للرجل ومنه يعلم حكم المرأة فلم يذكره اخ او اخت اجمعوا على ان
المراد الاخوة من الام وقراءة ابي وسعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت
من الام واختلاف الحكمين هنا وفي آخر السورة دال على اختلاف
المحكوم له اذ علم من آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة كل المال
ومن هذه الاية ان للاثنين الثلث وكذلك الاكثر فعلم ان المراد بهم

الاخوة لام فلكل واحد منهما السدس فان كانوا الضمير لمن يرث
وجمعه محمول على المعنى اكثر من ذلك اى من واحد فهم شركآء فى الثلث
ذكرا كانوا او انثى من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار للورثة
بحرمان بعضهم او زيادة او تنقيص مما هو مقرر فى الشرع ولا يكون غرضه
سوى القربة ونصب غير على انه حال وفى البحر لا يجوز من فاعل يوصى
لوقوع اجنبى هو او دين بينهما واما فى قرآءة يوصى بالمجهول فله مانع آخر
وهو ان فاعل المجهول متروك لا يجوز الحال عنه فقد صرحوا فى قوله ترسل
الرياح مبشرا بكسر الشين واردت مبشرا بها بانه لم يجز فكذلك هنا
فهو حال من محذوف بمثل يمضى وصيته غير مضار وهذا قيد غير مخصوص
بالاخيرة بل هو معتبر فى جميع ما مضى وحذف لدلالة ما بعده عليه وصية
من الله مصدر موكد اى يوصيكم الله بذلك وصية نحو فريضة من الله
او حال والوصية جاءت مطلقة وهى فى الشرع مقيدة بالثلث فما دونه
والله عليم بالاعمال والنيات حليم لا يعاجل بالانتقام تلك ما تقدمت
من الاحكام فى اليتامى والزوجات والوصايا والمواريث حدود الله
شرايعه التى لا يجوز مجاوزتها كالحدود ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها من مفرد اللفظ فجمع خالدين باعتبار
المعنى وذلك الخلود فيها الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد
يتجاوز حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين افرد هنا خالدا وجمع
فيما قبله لقلة العصاة بحسب القدر والاعتبار كما قالوا فى قم الليل الا قليلا
نصفه وخالدين حال وكذا خالدا وفى الحديث الذى ذكره الامام احمد
وابو داود فى سننه ان الرجل ليعمل بعمل اهل الخير سبعين سنة فاذا اوصى
حاف فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل الشر
سبعين سنة فيعدل فى وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة ثم يقول ابو هريرة
اقرأوا ان شئتم تلك حدود الله الى قوله عذاب مهين فدل الحديث
على ان الحيف فى الوصية يورث سوء العاقبة فلا اشكال ولما ذكر العصيان
وتعدى الحدود ذكر عقبه الفرد الافحش مع ان الارث لا يكون الا فيما هو
من نسب النكاح لا من السفاح فقال واللاتى جمع التى يأتين يفعلن الفاحشة

الحيف الجور والظلم وقد حاف عليه
من باب باع مختار

هى الزنا باطباق المفسرين سوى مجاهد فانها عنده المساحقة وفى اللذان
يأتيانها عنده اللواط من نسائكم المومنات فاستشهدوا عليهن اربعة
منكم من رجال المسلمين فان شهدوا فامسكوهن احبسوهن فى البيوت
حتى يتوفاهن الموت اى ملكة الموت او المعنى يأخذهن الموت ويتوفى
ارواحهن تشبيه للموت بشخص مستوف للارواح وكان ذلك عقوبتهن
فى بدء الاسلام كما هو الثابت فى الاحاديث الصحاح فنسخ بالحد او يجعل الله
لهن سبيلا السبيل الذى جعل الله لهن هو الناسخ لذلك كما ثبت فى صحيح
مسلم وغيره فعلى هذا السبيل الحد الشرعى المبين فى الفقه واللذان تثنية
الذى اى الرجل والمرأة ففيه تغليب يأتيانها اى الزنا منكم فآذوهما بالشتم
والتعيير والضرب بالنعال وكان الحكم كذلك حتى نسخه الحد المبين المعين
وعن السدى انها نزلت فى الفتيان قبل التزوج وظاهر القران يناسب
قول مجاهد ان اللاتى فى السحاقات واللذان فى اللواط فان تابا من
الفاحشة واصلحا العمل فاعرضوا عنهما اتركوا اذاهما ولا تعنفوهما بكلام
قبيح ان الله كان توابا رحيما يقبل التوبة ويرحم انما التوبة على الله للذين
يعملون السوء اى ليس قبول التوبة واجبا عليه بمقتضى وعده لاحد
الا للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بجهالة قد اجمع الصحابة على ان
من عصى الله عمدا او خطأ فهو بجهالة فان من اذنب وهو جاهل بكونه
ذنبا فربما لا يحتاج الى التوبة ثم يتوبون من قريب زمان قريب من زمان
المعصية قبل معاينة الموت لان الاجل آت وكل ما هو آت قريب
او قبل ان يحيط السوء الحسنات فيحبطها قال تعالى ولم يصروا على ما فعلوا
ذكر فى الاحياء معناه عن قرب العهد بالخطيئة بان تندم عليها ويمحو
اثرها بحسنة يردفها قبل ان يتراكم الذنب على القلب فلا يقبل المحو ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها ومن للتبعيض اى يتوبون
بعض زمان قريب فاولئك يتوب الله عليهم يقبل توبتهم ويغفر
ذنبهم وهذا اخبار من الله بالوفاء بوعده وكان الله عليما بكل شئ
حكيما فيما يفعل وليست التوبة اى منفية قبولها للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان كتوبة فرعون هذا اشعر

بل دال على ان المراد من قريب يكون قبل حضور الموت فان هذا
قسيمه ولا الذين يموتون وهم كفار اى لا توبة لهولاء الفريقين فانه
كما لا تقبل توبة الاخرة لا تقبل توبة الدنيا حين الاحتضار اولئك
اعتدنا لهم عذابا اليما اى الذين يموتون وهم كفار ومن سوف توبته الى
حضور الموت وفيه الكافر من مات على الكفر لسوء العاقبة هيانا لهم
عذابا اليما والعفو عن فاسق مصر على الفسق غير تائب غير واقع او نزر نادر
فلا اعتداد به ولما امر بالميراث الشرعى نهى عن ميراث الجاهلية فقال
يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء اى ذوات النساء كرها
فى الجاهلية اذا مات زوج امراة ورث امراته من يرث ماله اذا القى
عليها ثوبا فان شاء تزوجها بغير صداق وان شاء زوجها واخذ صداقها
وان شاء منعها من الازواج ليموت فيرث وان انفلتت قبل القاء
الثوب عليها نجت وكرها بمعنى كارهات حال والمعنى نهى الورثة مطلقا
فخرج القيد مخرج الغالب لا ان حال الطوع هن ميراث لهم ولا تعضلوهن
عطف نهى على نفى لمناسبة ان الخبرية تضمنت معنى النهى لتذهبوا
ببعض ما اتيتموهن الظاهر ان الخطاب للازواج اى لا تحبسوهن
وتضيقوا عليهن كان للرجل امراة كاره هو صحبتها فيضر بها ويحبسها
لتحل مهرها الذى قرره وعين وربما اعطاها فيضر بها لياخذ منها بعض
ما اعطاها الا ان ياتين بفاحشة مبينة قال ابن عباس وابن مسعود
وجم غفير من اكابر السلف اذا زنت فله استرجاع الصداق وضجرها
لتركه ومعناه لا تضجروهن للافتداء فى وقت الا وقت ان ياتين
بفاحشة فانه جاز ضجرها لتخلعه او المراد من الفاحشة النشوز او اعم
والاستثناء متصل كما بينا وعاشروهن بالمعروف بحسن المعاشرة
والاجمال بالقول وبالفعل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى
هنا تامة فلا يحتاج الى اسمه وخبره ان تكرهوا شيئا من الاشياء
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا كولد كامل وضمير فيه لشيئا وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج لما اذن فى مضارتهن ان اتين بفاحشة
ليذهب ببعض ما اعطاه بين تحريم ذلك فى غير الفاحشة والمراد اردتم

الاستبدال واستبدلتم او المراد من الارادة الفعل والمراد من ارادة الجمع
ارادة كل واحد او المراد من الزوج الازواج يعنى طلاق زوجة وتزوج
اخرى واتيتم الواو للحال اى وقد اعطيتم احديهن قنطارا الضمير للزوج
الذى اردتم طلاقها لان المراد منها الجنس والقنطار المال الكثير فلا تاخذوا
منه من القنطار شيئا يعنى اذا كان الفراق من اختياركم فلا تاخذوا من
صداقها شيئا واستدل بهذا على جواز المغالاة فى الصداق اتاخذونه
بهتانا واثما مبينا استفهام انكار اى اتفعلون هذا مع ظهور قبحه وسمى بهتانا
لانهم اذا ارادوا تطليق امراة رموها بفاحشة حتى تخاف وتفتدى بمهرها فجاءت
الاية على الامر الغالب والبهتان كذب يتحير منه وهو حال اى باهتين اثمين
او مفعول له كقعدت جبنا او حال من المفعول اى ظلما واثما ظاهرا وفيه مبالغة
لا تخفى وكيف تاخذونه اى شيئا من الصداق انكرا ولا الاخذ وانكر ثانيا حالة
الاخذ وقد افضى بعضكم الى بعض اى كيف تفعلون الفعلة القبيحة وقد كنتم
على الخلطة التامة لا مزيد عليها وهى الجماع واخذن منكم ميثاقا غليظا هو العقد
وما اخذ الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان فى صحيح مسلم انه قال
فى خطبة حجة الوداع صلوات الله وسلامه عليه استوصوا بالنساء خيرا فانكم
اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله يعنى التشهد فى خطبة النكاح
ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم كان قوم من العرب يتزوجون نساء ابائهم اذا ماتوا
والمراد من الاباء اصولكم القريبة والبعيدة وما واقعة على النوع يعنى التفرقة
بين ما ومن عند ارادة الذات اما اذا اريد الوصف نحو ما زيد اى افاضل
او كريم ونحو اكرم ما شئت من الرجال اى ثيب او غير ثيب فيؤتى بما
اى لا تنكحوا اى نوع نكح اباؤكم من ثيب او بكر من النساء بيان ما الا ما قد
سلف منقطع اى لكن ما وقع فى الجاهلية قبل ورود النهى فلا باس وقيل
الاستثناء من لازم النهى اى تستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم الا
ما قد سلف قال جماعة المراد به العقد الصحيح لا الزنا فالمراد من ما قد سلف
من تعاطى الزنا فانه جائز لكم زواجهن فى الاسلام وقيل الغرض المبالغة
فى التحريم وسد الطرق الى اباحته كما يعلق بالمحال فى التابيد نحو حتى يلج
الجمل فى سم الخياط فالمراد من ما قد سلف زوجاتهم اللاتى سلفت وماتت

اصل البهتان الكذب الذى يواجه الانسان
صاحبه للمكابرة فيبهت المكذوب عليه اى يتحير
ثم سمى كل باطل يتحير من بطلانه بهتانا منه

انه نكاحهن كان فاحشة اقبح المعاصي ومقتا بغضا شديدا من الله وساء
سبيلا ساء بمعنى بئس وفيه ضمير يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف
اي سبيل ذلك النكاح وعن البراء بن عازب لقيت خالي ومعه راية فقلت
اين تريد قال ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة
ابيه من بعده ان اضرب عنقه رواه ابن ماجة وغيره ونقل ابن خيثمة عن يحيى
بن معين انه حديث صحيح وهذا محمول على انه مرتد لاستحلاله ذلك حرمت عليكم
امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت اي حرمت
عليكم نكاحهن وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات
نسائكم وان لم تكونوا دخلتم بهن وربائبكم هي بنت الزوجة اللاتي في حجوركم
في تربيتكم وبيتكم وهذا قيد خرج مخرج الغالب لا انه تقييد لحرمته وقد صح عن علي
رضي الله عنه انه جعله شرطا واليه ذهب داود الظاهري وابن حزم ونقل عن
المالك روى ابن ابي حاتم عن مالك بن اوس انه كانت عندي امراة فماتت
فلقيت علي بن ابي طالب فاخبرته فقال اليس لها ابنة فقلت نعم وهي بالطائف
قال كانت في حجرك قلت لا هي بالطائف قال فانكحها قلت فاين قوله وربائبكم
اللاتي في حجوركم قال انها لم تكن في حجرك قال الشيخ عماد الدين ابن كثير اسناده
قوي ثابت على شرط مسلم وهو قول غريب من نسائكم اللاتي صفة
نسائكم المجرورة بمن ولا يجوز غير ذلك من انها متعلقة بها وبنسائكم التي في
امهات نسائكم معا دخلتم بهن اي دخلتم معهن في ستر كناية عن الجماع
ومن ابتدائية متعلقة بالربائب فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم
في نكاحهن وهذا التصريح بالمقصود مشعر بان قوله اللاتي في حجوركم ليس شرطا
حيث لم يقل فان لم تكن في حجوركم ولم تكونوا دخلتم بهن وحلائل ابنائكم الذين
من اصلابكم لا من تبنيتموه واما امراة ابنه من الرضاعة فيعلم حكمه من حديث
مسلم والبخاري يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب وعند كثير من العلماء
ان جارية لمسها الرجل او قبلها حرمت على ابيه وعلى ابنه وجه
واختلف ايضا في مجرد النظر بشهوة وان تجمعوا بين الاختين في النكاح
وكذا في جماعهما بملك اليمين على الصحيح وان تجمعوا مرفوع المحل عطف على
المحرمات الا ما قد سلف استثناء منقطع وقيل متصل كما بينا ان الله كان

وهي متعلقة بربائبكم صح

لانه لا يجوز ان يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان واذا تعلق من نسائكم بنسائكم في امهات نسائكم تكون من بيانية واذا تعلق بربائب تكون لابتداء منه

غفورا رحيما يغفر ويرحم والمحصنات ذوات الازواج من النساء الا ما ملكت
ايمانكم بالسبي فانها تحل بعد الاستبراء مع ان لهن ازواجا كافرين وعند
كثير من السلف بيع الامة طلاق لها من زوجها فتحل لسيدها كتاب الله
عليكم كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا واحل لكم ما وراء ذلكم عطف على حرمت
اي احل ما سوى المذكورات وما في معناها الذي بينها السنة كالجمع بين
المراة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم بدل اشتمال من ما وراء ذلكم
اي احل لكم الابتغاء باموالكم من النكاح والشرى ومفعول تبتغوا ضمير
محذوف راجع الى ما وراء محصنين غير مسافحين الاحصان تحصين
النفس عن الحرام يعني احل لكم ابتغاء ما سوى المذكورات من المحرمات
باموالكم حالة الاحصان لا حالة السفاح فقوله غير مسافحين حال موكدة
لان الاحصان لا يجامع السفاح فما استمتعتم به منهن ما شرطية مبتدا
والخبر الفعل الذي يليه والمستمتع به من الزوجات الوطي ولو مرة فاتوهن
اجورهن اي مهورهن يعني بسبب الاستمتاع ولاجله فريضة مصدر
موكد او حال بمعنى مفروضة وكثير من السلف ان الاية في نكاح المتعة
حتى ان ابن عباس وغيره يقرؤن فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى
فاتوهن وقد صح في الصحيحين عن علي بن ابي طالب ان نكاح المتعة قد
نسخت يوم خيبر ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة لا حرج ولا اثم
في النقص عن المهر او التاخير بشرط رضاء الزوجين من بعد ان فرض الله
عليكم المهر كما قال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ومن
حمل الاية على المتعة فمعناه لا حرج بعد اداء فريضة نفس العقد فيما تراضيتم
به من مزيد مال مع وصال مدة اخرى او فراق من غير شيء ان الله كان
عليما حكيما فما حكم الا بعلم وحكمة ومن لم يستطع منكم طولا هو سعة المال
ان ينكح المحصنات الحرائر المؤمنات وظاهر القران على ان غير المؤمنات
لا يجوز نكاحهن وطولا مفعول يستطع وان ينكح بتقدير الى اي لم يستطع
زيادة الى ان ينكح وقيل من طال على الامر اذا غلبه وتمكن منه فتقديره
على ان ينكح فمما ملكت ايمانكم فلينكح مما ملكت من فتياتكم المؤمنات اللاتي
لغيركم فلا يجوز نكاح الامة الكتابية ومن قال غير ذلك فقوله محل في القران

كابن مسعود وابن عباس منه

والله اعلم بايمانكم لما جوز نكاح عادم طول الحرة المؤمنة للامة المؤمنة نبه على
ان الايمان امر باطني مطلع عليه الله فلا يشترط في ايمان الفتيات سوى
الاظهار للايمان بعضكم من بعض انتم وارقاكم في النسب والدين
متناسبون فلا تستنكفوا عن نكاحهن عند الحاجة جملة مستانفة فانكحوهن
باذن اهلهن اي اربابهن واتوهن اجورهن مهورهن بالمعروف بغير
نقص ومطل استهانة بهن محصنات حال كونهن عفائف غير مسافحات
غير معلنات بالزنا ولا متخذات اخدان المتسترات بالزنا الخل واحد و
الخدن الصديق والسفاح مذموم عند الكفار ايضا الا اتخاذ الخدن و
اختصاص واحد في السر فانه غير مذموم في الجاهلية فاذا احصن اي تزوجن
فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات الحرائر الابكار
من العذاب الحد المعين وحدهن قبل الزواج وبعده خمسون جلدة لئلا
لاحد ان يتوهم انهن كالحرائر تتفاوت حدهن قبل الزواج وبعده فدفع
الوهم بالاية ذلك اي نكاح الامة لمن خشي العنت منكم اي المشقة من
كثرة الشهوة اي له خوف الزنا فلنكاح الامة شرطان عدم الطول وخوف
الوقوع في الزنا وان تصبروا بان تحفظوا انفسكم خير لكم من ان توقعوا
انفسكم في عذاب الزنا وفيما قد تكون سببا لرقية ولدكم وفي سنن ابن ماجة
قال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر
والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص يريد الله ليبين لكم ما خفي من شرايع
الاسلام واللام زائدة وهي بنفسها ناصبة عند الكوفيين اي يريد الله التبيين
وعند البصريين مفعول يريد محذوف اي يريد الله هذا اي تشريع ما تقدم
ويهديكم سنن الذين من قبلكم اي طرق الانبياء والصالحين وعند صاحب
البحر ان سنن الذين متعلق بيبين ويهدي على التنازع ويتوب عليكم
ويقبل توبتكم من المآثم والله عليم بالمصالح حكيم فيما قرر وقدر والله يريد
ان يتوب عليكم ان صدر عنكم تقصير كرره لكمال العناية والعطوفة ويريد
الذين يتبعون الشهوات في التكاليف الشرعية قمع النفس وردها عن
مشتهياتها واتباع شهواتها سبب لكل مذمة وكل كافر وفاسق يتبع لها
ان تميلوا عن الحق ميلا عظيما فتقعوا في كمال اتباعها يريد الله ان يخفف

عنكم في شرايعه وقبول توبتكم والجملة مستانفة نحو يريد الله بكم اليسر وخلق
الانسان ضعيفا فيناسبه التخفيف ونصب ضعيفا على الحال ولما ذكر
اجور المحصنات واثمان السراري ومنع الزنا سرا وعلانية وان الانسان
ضعيف لا طاقة له على المشاق اراد ان يوطن على انفسهم بعض صرف
المال ويحذرهم عن بعضه فقال يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اي ليكن
ايمانكم مانعا من اكل اموالكم التي جعل الله لكم قياما بينكم بالباطل
بالحرام كالصرف في الزنا وكل ما لم يبحه الشرع فهو باطل قيل اموالكم تشمل
مال نفسه ومال غيره نحو ندع انفسنا الا ان تكون تجارة عن تراض
منكم الاستثناء منقطع اي لكن تجارة صادرة عن التراضي غير منهي وفي
قراءة رفع تجارة كان تامة وفي نصبها التقدير ان تكون التجارة تجارة
قيل فيه اشارة الى ان تصرفات الدنيا كلها باطلة فزجرهم عن الاشتغال
منها الا على قدر الحاجة قال وهكذا كل استثناء منقطع في القران من
تامله حق التامل وجده ولا تقتلوا انفسكم بالقائكم في التهلكة او بارتكاب
محارم الله ان الله كان بكم رحيما فنهيكم عن المضار ولم يكلفكم بالمشاق
ومن يفعل ذلك من القتل او من المحرمات التي سبقت عدوانا وظلما
تجاوزا عن الحد ووضعا للشيء في غير موضعه نصبهما بالمفعول له او بمعنى
معتدين ظالمين فسوف نصليه نارا لا يدخل تحت الوعيد مرتكبه جهلا
او نسيانا او سفها وهذا النوع من الدخول للكفار كما بينه ان شاء الله في
سورة والليل وكان ذلك اي ادخال النار على الله يسيرا لا عسر ولا
صارف ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كل ذنب ورد فيه لعن او نار
او وعيد شديد فهو من الكبائر على الاصح نكفر عنكم سيئاتكم نمح عنكم
باجتنابكم عن الكبائر صغائركم وندخلكم مدخلا كريما اي الجنة فمحو الصغائر
لمجتنب الكبائر وعد مقطوع به واما محوها لمن تعاطيها فليس كذلك بل
بيد ارادته وهو تعالى لما ذكر الوعيد لمرتكب بعض الكبائر ذكر الوعد
لمجتنب جميعها ومدخلا بفتح الميم وضمها يحتمل المصدر والمكان ومعناه
على تقدير المصدر الثلاثي تدخلكم فتدخلون مدخلا وحذف لدلالة المطاوع
عليه ولما نزلت للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال نرجوا ان نكون

في الحسنات كذلك وقالت النساء نرجوا ان نكون في الوزر كذلك فقال
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فانه تعالى حكيم فارضوا بما قسم
الله للرجال نصيب مما اكتسبوا من اعمالهم وللنساء نصيب مما اكتسبن
اكتسابهم الجهاد والانفاق في المعيشة وغير ذلك واكتسابهن الصبر
على مشقة التبعل والسكون في البيت وغيرهما واسئلوا الله من فضله
لا تتمنوا الامور المحتومة فانها تضر لكن سلوني من فضلي مما ترجونه من امور
الدين والدنيا فاعطيكم ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم من يستحق
فيعطيه ما يستحق ولما ذكر ما حصل للرجال من اكتسابهم وللنساء من
اكتسابهن اخذ في ما حصل لهم من غير اكتسابهم وتعبهم فقال ولكل
جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي لكل مال مما ترك
الوالدان والاقربون جعلنا وراثا يلونه ويحوزونه وهذا ناسخ للميراث
بالاخوة والمعاهدة كما سياتي واعترض بان مما ترك على هذا صفة
لكل والفصل بينهما بمثل العامل هل هو جائز او غير فصيح وهذا نحو كل
مالي اعطيته عمروا من تجارة وزراعة او معناه لكل ميت جعلنا وراثا
مما ترك اي مما تركه الميت فمن يتعلق بموالي لانه بمعنى الوارث وقوله
الوالدان والاقربون بيان للموالي بتقديرهم ولم يذكر الاولاد لانه غير محـ
محتاج الى الذكر واما من لا وارث له فبيت المال كمولاه وهذا الكلام
ناسخ لميراث الاخوة والذين عقدت ايمانكم اي المعاهد فاتوهم
نصيبهم من نصرتهم ونصيحتهم لا من الميراث لقوله ولكل جعلنا كما ذكرنا
ولقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقد نقل
البخاري عن ابن عباس ان المهاجري يرث الانصاري بالاخوة
دون ذوي رحمه فلما نزل ولكل جعلنا موالي نسخ ثم قال والذين
عقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم من الوفاء والنصر وقد ذهب الميراث
وقال صاحب البحر الذي افهمه من الاية ان لكل انسان يعني من الوارث
جعلنا موالي يلي امر ميراثه بان يقسمه بين الورثة لاجل ما ترك والداه
الانسان واقاربه والازواج الذين لهم عقد النكاح وقوله فاتوهم
نصيبهم الضمير المرفوع لمتولي القسمة والضمير المنصوب لكل انسان

فانه جمع بحسب المعنى ومن في مما للسبب هذا معنى الكلام لكنه مخالف لكلام
السلف ولو فسر الذين عقدت ايمانكم بالمعاهدة المعهودة والاخوة حتى
تكون الاية باعتبار هذا الجزء منسوخة فليس لكلامه كثير مخالفة فانهم قالوا كان
الرجل يعاقد الرجل يأخذ يده ويقول دمي دمك وهدمي هدمك وحربي
حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وثاري ثارك وتطلب بي
واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من
ميراث الحليف وهذا هو المراد من الذين عقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم
اعني السدس وهذا في اول الاسلام ثم نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض قاله ابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء والحسن
وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك وغيرهم والذي نقل البخاري عن ابن عباس
ان قوله والذين عقدت الى اخره غير منسوخ لكن المراد من النصيب النصرة
والمحبة وجميع ما عقدت ايديكم سوى السدس من الميراث فانه قد نسخ اما
اعراب والذين عقدت على غير ما فهمه صاحب البحر فان الذين مبتدأ
وقوله فاتوهم خبره والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وقيل الاولى نصب
الذين على شريطة التفسير لان لا يقع الانشاء خبر للمبتدأ وقرأة عاقدت
معناه عاقدتهم ايديكم ان الله كان على كل شيء شهيدا فلا تتجاوزوا امر
الله لما ذكر امر الرجال والنساء في اكتساب النصيب وامر ان لا يتمنوا
ما فضل الله بعضهم على بعض اخذ في جهات فضائل الرجال فقال
الرجال قوامون على النساء قيام الولاة على الرعايا بما فضل الله بعضهم
على بعض فضلهم عليهن بالعقل والدين والقوة وايضا بين الرجال
تفاوت في قوة الكسب وكثرة الرزق وبما انفقوا من اموالهم كالمهر والنفقة
والكسوة وما فيما فضل الاولى ان تكون مصدرية لعدم الضمير وحذف
المجرور مع جاره ضعيف ولكن فيما انفقوا يحتمل الموصولية الاية في امرأة
لطمها زوجها واشتكت فامر صلى الله عليه وسلم بالقصاص فنزلت
ثم قال صلى الله عليه وسلم اردت امرا واراد الله غيره فرجعت من غير
قصاص رواه ابن مردويه عن علي وابن جرير عن الحسن البصري
فالصالحات قانتات اي للخيرات عابدات مطيعات للزوج حافظات

للغيب لما غاب عن زوجه من مال في يدها وسر عندها بما حفظ الله به
بحفظ الله اياهن لذلك واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن على الزوج
فيما عليهن من الاطاعة فعظوهن يعني تخافون نشوزهن ونشزن فعظوهن
اولا وهذا نحو اضرب بعصاك الحجر فانفجرت يعني فضرب وانفجرت
واهجروهن في المضاجع ثانيا ان لم ينفع الوعظ باخراجها من مضجعه او بان
يوليها ظهره ولا يكلمها واضربوهن ثالثا ان لم يفد الوعظ ولا الهجران ضربا
غير مبرح مما لا يحدث شيئا ولا يوذن بالاحتقار فان اطعنكم وتركت
النشوز فلا تبغوا عليهن سبيلا بالايذاء والتقريع فيما مضى ان الله كان
عليا كبيرا فهو اقدر عليكم منكم على ازواجكم ويتجاوز عنكم ليلا ونهارا وفي هذا
وعظ عظيم للازواج وانذار ان قدرة الله فوق قدرة الكل وان خفتم
شقاق بينهما الخوف هنا بمعنى التيقن اذ كالاول يتمادى نشوزها بلا نفع
وعظ ولا هجر ولا ضرب ويصير هي في شق وهو في شق آخر واضيف الى
الظرف وهو بينهما لاتساع في الظرف كانه مفعول به كيا سارق الليلة
فابعثوا ايا ولاة الامور حكما من اهله وحكما من اهلها يحكمان بينهما بما يرى
الصلاح من الجمع والتفريق والاقارب اعرف ببواطن احوالهما فهم الاولى
ان يريدا الحكمان بعد ما سمعا كلام الزوجين ونظرا في حالهما اصلاحا
بين الزوجين يوفق الله بينهما بين الزوجين بحسن سعي الحكمين او يوفق الله
بين الحكمين فيما ارسلا اليه فيتفقان على كلمة واحدة وفي كتب الفقه
على اختلاف الفقهاء تفاريع تلك المسئلة ينظر فيها ان الله كان عليما
خبيرا بالظاهر والباطن فليحذر الزوجان والحكمان ولما كان اول
السورة الى هنا مبنيا على الرفق والصلة والنصح اردف بحث الارث
والاصلاح بين الزوجين بمثل ما تقدم فقال واعبدوا الله فانه خلقكم
للعبادة ولا تشركوا به شيئا من مخلوقاته فان العبادة مع الشرك مردودة
وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما احسانا تاما وبذي القربى الاقارب
واليتامى قرائب اولم تكن والمساكين من لا يجد ما يكفيه وعياله والجار
ذي القربى صاحب الدار القريبة من دارك او من جمع بين القرابة
النسبية والجوار والجار الجنب الذي هو جار لكن ليس داره بغاية القرب

من دارك او المراد الجار الاجنبي الذي ليس بينهما قرابة والصاحب
بالجنب مثل الزوجة والرفيق والضيف وابن السبيل المسافر وما ملكت
ايمانكم كل مملوك في يدكم من عبيد واماء وحيوانات انسية فان الله امر
الاحسان بالجميع ان الله لا يحب من كان مختالا تياها جهولا يتكبر فخورا
يتفاخر بحسب او نسب فلا ينظر الى الاقارب والاصحاب والمماليك
الا بنظر شزر الذين يبخلون فلا ينفقون في سبيل الله ولا في بر الوالدين
والاقربين بدل من من او صفة لمن او رفع او نصب على الذم ويأمرون
الناس بالبخل يخوفون الناس عن الفقر ويكتمون ما آتاهم الله من
فضله من نعمة دنيوية انعم الله عليهم فان البخيل يستر ويجحدها وفي الحديث
ان الله اذا انعم على عبد نعمة احب ان يظهر اثرها عليه واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا اي لمن كفر بنعمة الله وبخل ووعظ المسلمين باخس الرذائل
وفي الحديث لم يجمع البخل والايمان في قلب واكثر البخلاء موتهم في حال
سلب الايمان وقد دخل في ذلك بالدخول الاولي اليهود فانهم مجبولون
على البخل اكثرهم دنس الثياب كريه الرائحة والذين عطف على الذين
ينفقون اموالهم رئاء الناس ذكر الممسكين ثم عطف عليهم المنفقين
لغير وجه الله ونصب رئاء بانه مفعول له ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
الاخر الظاهر ان المراد منهم المشركون ومن يكن الشيطان له قرينا
فساء قرينا من شرطية وساء بمعنى بئس فلهذا دخلت الفاء على الجواب
والمخصوص بالذم وهو هو محذوف وقرينا تمييز وهو بمعنى مقارن وهو
مقارنهم في الدنيا لا يفارقهم وماذا عليهم في الايمان بالله واليوم الاخر
والانفاق في سبيله لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا في سبيل الله
مما رزقهم الله لحصلت لهم السيادة والسعادة وماذا استفهام انكار
توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله
يؤدي الى الصواب وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان
يجيب فكيف اذا تضمن المنافع ويحتمل ان يكون جملة واحدة على مذهب
من يقول لو مصدرية بمعنى ان يعني لا تبعة تلحقهم ان امنوا وكان
الله بهم عليما وعيد لهم ولما امر بعبادته وبالاحسان والانفاق وذم

البخل ووبخ اخبر سبحانه بعدله فلا يظلم على الجزاء على هذه الامور ثم قرر
احسانه فقال ان الله لا يظلم احدا مثقال ذرة زنة نملة صغيرة او جزء
من اجزاء الهباء ومثقال صفة مصدر محذوف اي ظلما وزن ذرة
وان تك مثقال ذرة انث لان مثقال اكتسى التأنيث من المضاف
اليه او لان معنى مثقال زنة او باعتبار الخبر وهو حسنة وحذف النون
من تكن لكثرة الاستعمال يضاعفها اي يضاعف ثوابها ويؤت ويعطي
صاحبها من لدنه من فضله اجرا عظيما في جنب الدنيا فكيف حال هؤلاء
الفجرة اذا جئنا من كل امة اي امة الدعوة بشهيد هو نبيهم يشهد بصلاحهم
وفسادهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء جميع الامم او امتك شهيدا نصب
على الحال من بك يومئذ اي يوم اذ جئنا والتنوين للعوض يود الذين
كفروا وعصوا الرسول كل من كفر رسوله وعصى لو تسوى لو بمعنى ان
كما مر غير مرة مفعول يود بهم الارض يعني تبتلعهم الارض فتسوى او يكونون
ترابا فهم والارض سواء كما قالوا يا ليتني كنت ترابا والباء للملابسة وهو
حال واما من لم يجوز في لو الشرطية فمعناه لو تسوى بهم الارض لسروا
وحذف لدلالة يود عليه ومفعول يود محذوف وهو تسوية الارض دل
عليه الشرط ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود والواو للحال اي وهم
لا يكتمون حديثا لشهادة ايديهم وارجلهم عليهم كما قاله ابن عباس وقيل
في القيمة مواطن في بعضها الكتمان وفي احوال امر لما راوا ان لا ينفعهم
الكذب امسكوا عن الكذب مرة ولما ذكر الوقوف بين يدي الله تعالى
في الاخرة وحذرهم عن التلوث بالخبائث عقبه بامر الوقوف بين يديه
في الدنيا وامره بتطهير ظاهره وباطنه فقال يا ايها الذين امنوا لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى بالغ في اجتناب الصلوة حالة السكر حتى منع عن
قربه من الصلوة في تلك الحالة نزلت قبل تحريم الخمر فيمن شرب الخمر وحانت
الصلوة فتقدم للامامة وقرأ قل يا ايها الكافرون وخلط روى الترمذي
وقال حسن صحيح وروى النسائي وابن ابي حاتم وليس في تلك الروايات
ان الامام علي بن ابي طالب الا في رواية ابن جرير حتى تعلموا ما تقولون
فلا تقعون في تخليط كلام الله وعلم منه ان النهي مستمر الى هذا الوقت ولما

ولا جنبا

9

ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى فانه جملة حالية ودخول لا دال
على مراعات كل قيد منها بانفراده الا عابري سبيل حتى تغتسلوا اي لا
تقربوا الصلوة جنبا في حال الا في حال سفركم مع عدم وجدان الماء او معنى
الاية لا تقربوا مواطن الصلوة وهي المساجد في السكر وفي الجنابة على
حال الا حال العبور فيها والنهي مستمر الى ان تغتسلوا وان كنتم مرضى
اي مرض كان او على سفر طويل او قصير او جاء احد منكم من الغائط
كناية عن الحدث الاصغر والغائط المكان المطمئن او لمستم النساء
جامعتموهن وعليه الجمهور او ماسستم بشرتهن ببشرتكم قاله ابن مسعود
وابن عمر فلم تجدوا ماء الظاهر انه قيد للكل وهذا من باب التغليب لان احد
في او جاء احد غائب وما احسن جعله غائبا لانه لما كنى عن الحاجة كره اسناد
ذلك الى المخاطبين فنزع به الى لفظ الغائب والظاهر انتفاء الوجدان
سبق تطلبه وعدم الوصول اليه فاما في حق المريض فجعل الموجود حسا
اذ كان لا يستطيع استعماله كالمفقود ويمكن فقدان الماء قيد الاخرين — ان يكون حـ
ولهذا غير اسلوب الكلام ولم يقل او جئتم فان المريض حين خوفه لاستعمال
الماء او لم يقدر لقوة ضعفه والمسافر اذا احتاج هو او رفيقه او حيوان
محترم معه حالا او مالا فلهما التيمم بخلاف فاقد الطهورين من غير مرض ولا سفر
فانه لا يجوز تيممهم الا عند فقدان الماء فتيمموا صعيدا طيبا اي اقصدوا ترابا
طاهرا كما ورد في حديث صحيح جعلت لنا الارض مسجدا وجعل ترابها طهورا
فامسحوا بوجوهكم وايديكم لا خلاف في استيعاب الوجه واما في اليد فخلاف
وفي صحيح مسلم التيمم مسح الوجه ومسح الكفين واما الفرق بين مسحت
راسه وبراسه فان الباء لا يزاد الا ان يكون بيده شيء كالدهن
او الماء او التراب كما فهم من كلام المهرة من اهل اللغة وصرح بذلك بعض
العظماء من العلماء ان الله كان عفوا غفورا فيسهل ويرخص ولما بين
حال الكفار في القيمة وتمناهم انهم كانوا ترابا ولا يتمشى لهم كتمان وان كذبوا
شهدت عليهم ايديهم وارجلهم يذكر من قبائح بعض من الكفرة وهم
اليهود المرجو منهم ان يكونوا هادين مهديين اشياء تزيد الحيرة والتعجب
فقال الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الم تنظر الى من له حظ

من كتاب الله اعني الاحبار ذكرا و توا بصيغة المجهول لتحقير امرهم وكذا
نصيبا يشترون الضلالة يختارونها على الهدى ويريدون ان تضلوا
السبيل يريدون في شانكم ايها المؤمنون ان تضلوا طريق الحق وتضلوا
كما ضلوا والله اعلم باعدائكم منكم وقد اعلمكم فاحذروهم وكفى بالله وليا
يلي امر دينكم ودنياكم وكفى بالله نصيرا ينصركم على الكافرين فاكتفوا به واستنصروا
منه وبالله فاعل والباء للتاكيد زائدة من الذين هادوا قوم يحرفون صفة
مبتدا محذوف هو قوم الكلم الكلم يفرق بينه وبين الواحد بالتاء
وغلب اطلاق الكلم على الكثير بحيث لا يطلق على الواحد لكن ليس بجمع لما
يقال الكلم الطيب ورجوع ضمائر المفرد اليه عن مواضعه التي اثبته الله
ويثبتون غيره فيها او يفسرون بمقتضى هواهم ويكتبون بجنبه ويقولون
سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع الظاهر ان هذا ليس
بكلام سرهم فانه كلام ذو وجهين المدح والذم يعني غير مسمع مكروها يقال
اسمع فلان فلانا اذا سبه ويقال اسمع لا سمعت فهو دعاء بالموت
او الصمم فاوهموا المدح وارادوا الذم كراهتنا فغير مسمع حال اي اسمع
حال كونك لا تسمع وقيل صفة مصدر محذوف اي اسمع سمعا غير مسمع
وراعنا اي ارعنا سمعك وانما يريدون الرعونة او السب في لغتهم ليا
فتلا وتحريفا بالسنتهم وطعنا في الدين انكار نبوته وتحقير شانه ونصبهما
بالمفعول له او قائلين طاعنين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا بدل سمعنا
وعصينا واسمع بدل اسمع غير مسمع وانظرنا بدل راعنا لكان قولهم ذلك
خيرا لهم في الدين واقوم لعدم احتمال الذم فلا يستحقون تجديد اللعن
ولكن لعنهم الله بكفرهم ولا يهتدون الى خيرهم فلا يؤمنون الا قليلا
استثناء من مفعول لعنهم اي الا قليلا لم يلعنهم فيؤمنون لا من فاعل
يؤمنون فانهم الملعونون نعم جاز ان يكون معناه الا ايمانا قليلا وهو
ايمانهم ببعض الكتاب يا ايها الذين اوتوا الكتاب لما علم ان بعضهم
غير ملعونين خاطب الجميع ليأتمر من لم يتطوق على اعناقه اللعن امنوا بما
نزلنا وهو القرآن العظيم مصدقا لما معكم بانه من عند الله من قبل
ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها الظاهر المتبادر الى الفهم ان نجعل الوجوه

ولو جاز ان يكون استثناء من فاعل لا يؤمنون فالمختار فيه الرفع منه

كلوح ملساء ثم نقلب مشرفا على الظهر والقفاء مشرفا على الصدر او نجعل
ما طمسنا على الادبار فلهم عينان والفم والانف من القفا قاله ابن عباس
وذكر فيه معان اخر او نلعنهم الضمير للذين على الالتفات كما لعنا اصحاب
السبت اخزيناهم بالمسخ فجعلناهم قردة وخنازير ولما سمع عبد الله بن
سلام هذه الاية جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه
فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي
في قفاي وهذان الوعيدان دنياويان وقد ثبت عن السلف ان الطمس
والمسخ يقعان فيهم عند نزول عيسى عليه الصلوة والسلام وكان امر الله
مفعولا لا راد لما تعلق امره به وبعد ما لعن اللعن المطلق واللعن المقيد
حكم بالحكم البت المحكم فقال ان الله لا يغفر ان يشرك به من لقيه في القيامة
مشركا ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اي يغفر لمن لقيه عاصيا ما دون
الشرك من صغيرة او كبيرة لمن يشاء ان يغفر له ذلك ومن يشرك بالله
فقد افترى اثما عظيما يحتقر دونه الذنوب الم تر تنظر الى الذين يزكون
انفسهم بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه في الصحيحين انه عليه الصلوة والسلام
سمع رجلا يثني على رجل فقال ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال ان
كان احدكم مادحا صاحبه لا محالة فليقل احسبه ولا ازكي على الله
احدا بل الله يزكي من يشاء المرجع في ذلك الى الله فانه العالم
بالحقائق ولا يظلمون فتيلا بنقص ثوابهم مقدار ما يكون في شق
النواة او ما فتلت بين اصابعك من الوسخ وضمير يظلمون الى
من باعتبار المعنى ونصب فتيلا بانه صفة مفعول مطلق انظر يا محمد
كيف يفترون على الله الكذب في تزكية انفسهم وكيف منصوب بيفترون
وكفى به بالافتراء اثما مبينا ظاهرا عليهم ايضا لانهم يتعمدون الكذب
ونصب اثما على التمييز الم تر الى الذين اوتوا نصيبا حظا قليلا
من الكتاب التورية يؤمنون بالجبت والطاغوت جماعة من اليهود
خرجوا الى مكة وحالفوا قريشا في محاربة المؤمنين فقالت قريش لا نعتمد
اليكم ولا نامن مكركم الا بعد ان سجدتم الهتنا فسجدوا لصنميهم الجبت
والطاغوت وقالت قريش نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري

الضيف وفك العانى ومدحوا انفسهم فقالت اليهود انتم اهدى سبيلا
من المؤمنين او المراد من الجبت السحر ويقولون للذين كفروا مشركى
قريش تطييبا لقلوب الكفرة هولآء اهدى من الذين امنوا سبيلا
نصب سبيلا على التمييز اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله
فلن تجد له نصيرا يمنعه من الخذلان والعقاب ام لهم نصيب من
الملك ام منقطعة اى بل الهم نصيب انتقل من كلام الى كلام والاستفهام
على الانكار بان لهم ملكا كما يزعمون ان الملك سيصير لهم ومعناه
الاضراب عن تزكيتهم انفسهم الى ذمهم بالبخل والحسد اللذين هما اشد
واقبح فاذن لا يؤتون الناس نقيرا اذن حرف جزآء وجواب
والفآء للسببية الجزائية لشرط محذوف يعنى ان كان لهم ملك
فاذن لا يسمحون بشئ وان كان نقرة فى ظهر النواة لكمال بخلهم
فى حال ملكهم وغنائهم فما ظنك بحال فقرهم وذلهم ومن حق من اوتى الملك
الايثار والعطآء ام يحسدون الناس اضرب من البخل الى ما هو اشر
وهو الحسد فانه بخل بما فى يد الغير مع شبه اعتراض على الله فان الحسد
تمنى زوال ما اعطى الله من الخير وايتائه له على ما اتيهم الله من فضله النبوة
والقران والنصرة فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة مثل داود
وسليمان لهم كتاب ونبوة واتيناهم ملكا عظيما ما كان فيهم من الانبيآء
الذين لهم ملك عظيم نحو سليمان فمنهم من آمن به اى فمن آل ابرهيم
من آمن بابرهيم او بكتابه وصحفه وهم اغلب العرب ومنهم من صد عنه
اعرض وسعى فى صد الناس عنه كبنى اسرائيل وبعض العرب فهم فى
الحسد مع من من جنسهم ومن غير جنسهم مجبولون وهذا عادتهم القديمة
ورثوا من ابآئهم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة لتعذيبهم ان الذين
كفروا باياتنا كاليهود وغيرهم سوف نصليهم ندخلهم اهانة واذلالا نارا
وقودها الناس والحجارة كلما نضجت كنضج اللحم للاكل جلودهم فلم يحسوا عذابا
حريقها بدلناهم جلودا غيرها غير الجلود المحترقة واعدناها الى ما كانت عليه
قبل تسليط النار عليها ليذوقوا العذاب وقد ورد انه فى الساعة
الواحدة مائة وعشرون مرة ان الله كان عزيزا غالبا لا يغلب حكيما

رواه ابن اسحق عن عمر بن الخطاب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
منه

فتحت تعذيبه حكمة والذين آمنوا عطف على الذين كفروا وعملوا الصالحات
تعقيب العمل الصالح مع الايمان فى مقابلة الكفر وحده اشارة الى ان
الكفر كالعلة التامة فى خلود تعذيبهم لا يحتاج الى عمل فى الكفر سندخلهم
جنات تجرى من تحتها غرفها واشجارها الانهار خالدين مقدرين الخلود
فيها ابدا من غير خوف انقطاع واخراج لهم فيها ازواج مطهرة من كل
دنس جملة مستانفة وندخلهم ظلا ظليلا ظلا عن كل ما يؤذيهم ونعت
الشئ بما اشتق من لفظه للمبالغة كليل اليل وداهية دهيآء لما امر
بالسخآء والسماحة والقآء الراحة للقلوب وترك البخل الذى هو من
اخس الرذائل والذنوب ودفع الحسد الذى هو بخل فى يد الغير وهو
عند نهاية الغور جور اتبعه برد الامانات والعدل فقال ان الله يامركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها عامة لكل بر وفاجر ودخل فيها حقوق
الله وحقوق الناس وان نزلت فى رد مفتاح الكعبة على عثمان بن طلحة
ابن عم شيبة الذى كانت الحجابة فى نسله الى الآن لا عثمان بن ابى طلحة
فانه قتل فى احد كافرا ومعه لوآء المشركين واذا حكمتم بين الناس ان
تحكموا بالعدل عطف ان تحكموا على ان تؤدوا واذا ظرف تحكموا المقدم
عليه هذا مذهب الفرآء وعند الجمهور اذا ظرف لمقدر يفسره ان تحكموا
ان الله نعما يعظكم به نعم شيئا يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم او مرفوعة
موصولة به والمخصوص بالمدح على الوجهين محذوف سوآء كانت ما
منصوبة بالتمييز من الضمير المبهم فى نعم او مرفوعة بفاعلية نعم والشئ
الذى وعظ به ادآء الامانات والعدل ان الله كان سميعا بصيرا
بالاقوال والاحكام يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولى الامر منكم هم الحكام والسلاطين اذا امروا بمعصية فلا سمع
ولا طاعة وان امروا بمباح ان كان فيه مصلحة عامة وجب القبول
بينه وبين الله او بينه وبين الخلق فيه خلاف او المراد من اولى الامر
اهل الفتوى والمتصدى لامور المسلمين فان تنازعتم انتم واولوا الامر
فى شئ فردوه فارجعوا فيه الى الله كتابه والرسول فى زمانه وسنته
بعده ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك الرد خير لكم واحسن

كما نقله محمد بن اسحق وابن جرير وغيرهما
منه

قد اشتبه هذا على كثير من المفسرين
منه

اما ما قيل من ان ما تمييز بمعنى شيئا او فاعل بمعنى
الشئ ويعظكم صفة موصوف محذوف هو المخصوص
بالمدح فبعيد بل غير مستقيم عند من يجعل
المخصوص خبر مبتدا محذوف لبقاء الجملة
الواقعة خبرا خالية عن العائد على ان جعل
ما بمعنى الشئ المعرف من غير صلة ليس بشئ
منه

تأويلا مآلا وعاقبة وقيل الله ورسوله احسن تأويلا من تأويلكم ونصب
تأويلا على التمييز الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك
وما انزل من قبلك من الكتب السماوية يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
الطاغوت ههنا ما سوى كتاب الله وسنة رسوله نزلت في يهودي
ومنافق اختصما فقال اليهودي بيني وبينك محمد والمنافق يقول
بيننا كعب بن الاشرف وعلى هذا الانكار على المنافق او نزلت في جماعة
من اليهود ارادوا ان يتحاكموا الى احكام الجاهلية لا الى التورية وقد امروا
ان يكفروا به بالطاغوت حال متداخلة لان يريدون حال ويريد
الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا لا يمكن لهم الرجوع الى الحق وهذا من
باب انبتهم نباتا وله توجيهان واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول رأيت المنافقين حال كونهم يصدون يعرضون عنك
صدودا اعراضا بالكلية لا يخطر ببالهم التوجه اليك لسوء ما لهم فكيف تراهم
او كيف صنيعهم اذا اصابتهم مصيبة احتاجوا اليك في رفعها بما قدمت
ايديهم بسبب شوم ذنوبهم السالفة ثم جاؤك حين يصابون للعذر
عطف على اصابتهم يحلفون جملة حالية بالله ان اردنا ما اردنا من
تحاكمنا الى غيرك الا احسانا وتوفيقا مداراة ومصانعة او احسانا
الى خصومنا وتوفيقا بين الخصمين لا مخالفتك وقيل تم الكلام عند قوله
بما قدمت ايديهم وقوله ثم جاؤك عطف على يصدون وما بينهما اعتراض
اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فاعرض عنهم لا تعنفهم
او لا تهتم بشانهم وعظهم بنصح لين هين وقل لهم في انفسهم قولا بليغا
سرا ليس معهم غيرهم فان نصح السر انجح وقيل قل لهم قولا بليغا في انفسهم
مؤثرا في قلوبهم ومعمول الصفة اذا كان ظرفا جاز تقديمه من غير ضعف
عند جميع الكوفيين وكثير من البصريين وما ارسلنا من رسول الا ليطاع
فيما حكم لا ليطلب الحكم من غيره اي لشيء من الاشياء الا ليطاع باذن
الله بسبب اذن الله في طاعته فالاذن بمعنى الامر والرضاء او بمعنى
التوفيق ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بمعصية مثل التحاكم الى غيرك جاؤك
خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالاخلاص واستغفر لهم الرسول

الاول انه جعل ضلالا مكان اضلالا
الثاني ان يكون مصدرا لمطاوع
يضلهم اي فيضلون ضلالا بعيدا
منه

فهو استثناء مفرغ من المفعول له
منه

عدل من الخطاب الى الغيبة تعظيما لشانه لوجدوا الله صادفوه حال
كونه توابا رحيما يقبل التوبة ويعفو عن السيئات برحمته فلا وربك لا مزيدة
لتأكيد معنى النفي او القسم لا يؤمنون جواب القسم حتى يحكموك فيما شجر
التبس واختلف بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا وشكا مما قضيت
ويسلموا ينقادوا لحكمك تسليما خاصم الزبير رجلا فقضى عليه صلوات
الله وسلامه للزبير فقال الرجل قضى له لانه ابن عمته رواه البخاري
عن عروة او قضى صلوات الله وسلامه عليه لشخصين فقال الذي قضي
عليه ردنا الى عمر بن الخطاب فلما اتيا اليه قالا قضى لنا رسول الله ثم جئنا
اليك قال مكانكما فخرج بالسيف وقتل من لم يرض بقضائه فقال
صلى الله عليه وسلم ما كنت اظن ان يجترئ عمر على قتل مؤمن فانزل
الله تلك الاية فبرئ عمر عن قتله ظلما رواه ابن ابي حاتم وابن مردويه
وغيرهما ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم كما كتبنا على بني اسرائيل
وان مصدرية او بمعنى اي لان في كتبنا معنى القول او اخرجوا
من دياركم ما فعلوه اي المكتوب الا قليل منهم هم المخلصون قال
يهودي نحن اطوع منكم كتب الله علينا القتل فاطعنا فقال صحابي
لو كتب علينا اطعنا قاله السدي ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من
متابعة النبي وطاعته لكان خيرا لهم واشد تثبيتا لايمانهم ودينهم
ويقينهم واذن لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما كأنه قيل ما يكون لهم بعد
التثبيت قال واذا والله لآتيناهم فان اذن جواب وجزاء ولهديناهم
صراطا مستقيما بسلوكه يصلون الى فلاحهم ومن يطع الله في الفرائض
والرسول في السنن فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين قد ثبت في الصحاح والمسانيد
وغيرهما من طرق متواترات عن جماعة من الصحابة انه سئل عليه الصلوة
والسلام عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال المرء مع من احب
قال انس فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث ونزول الاية كما رواه
ابن جرير وابن مردويه والحافظ المقدسي فيمن قال نحن لا نطيق فراقك
يا محمد وانا وان دخلنا الجنة نكون في منزلة دون منزلتك وحسن

فعلى هذا الاية مدح لهذا الصحابي
انه من القليل
منه

يعني نقدر سؤالا يكون اذا لآتيناهم جوابا له
ويتضمن لا محالة فعلا يكون هذا جزاء عليه وهو
الثبات على الايمان وليس المعنى انه يكون ابدا
جزاء الشرط والقسم الذي قدرنا اولى من الذي
قدره الزمخشري فانه قال واذا لو ثبتوا لآتيناهم
لانه بعد السؤال بماذا يكون بعد التثبت كان تكرار
المستغنى عنه كما قاله المرزوقي في قوله اذن لقام
بنا معشر خشن
منه

اولئك رفيقا الرفيق كالصديق من الاوصاف الجارية مجرى الاسماء
المستوى فيها الواحد والجمع او هو مفرد قصد به بيان الجنس من غير نظر
الى تعدد الانواع فيكون تمييزا من اولئك باعتبار الجنس ولا يجب المطابقة
لكونه ملحقا بالاسماء كالعسل والماء وهو كلام فى معنى التعجب ذلك المرافقة
الفضل من الله الفضل خبر ذلك ومن الله حال او الفضل صفة ذلك
ومن الله خبره والجملة مستانفة وكفى بالله عليما بمن اطاع فلا يضيع اجره
ولما ذكر انه لو كتب عليهم قتل انفسهم واطاعوا لهم الاجر العظيم وان اطاعة
الله سبب للرفاقة مع هؤلاء السعداء امرهم بالجهاد الذى قد يجر الى القتل
وحذرهم عن الغفلة فقال يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم من عدوكم
واحذروا منهم واستعدوا للحرب يقال اخذ حذره اذا تيقظ وحذر
من المخوف شبه الحذر بالسلاح والقرينة خذوا فانفروا توجهوا الى الجهاد
ثبات جماعة بعد جماعة متفرقين او انفروا جميعا مجتمعين والغرض
المبادرة وعدم التوانى كيف ما امكن وان منكم لمن ليبطئن تثاقلن عن
الجهاد او ليثبطن المجاهدين عن الجهاد والاول من بطأ بمعنى ابطأ لازم و
البعض المنافقون وهم من المؤمنين فى ظاهر الايمان واللام الاولى للابتداء
والثانية جواب قسم فان اصابتكم مصيبة من مثل هزيمة قال المبطئ قد انعم
الله على اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا معهم وشهيدا يحتمل ان كلا منهما خبر
ولئن اصابكم فضل من الله الظفر والغنيمة ليقولن اكده بلام القسم تنبيها
على فرط تحسرهم كان مخففة من الثقيلة لم يكن بينكم وبينه مودة قوله كان لم
الى اخره معترض بين القول ومقوله وهو يا ليتنى كنت معهم فافوز منصوب
بجواب التمنى فوزا عظيما نصيبا وافرا من الغنيمة يعنى ان قولهم ليقولن
قول من لا مواصلة بينكم وبينه وليس منكم ومن اشياعكم فان الحظ
من المال غاية امالهم لا الاعانة والاجر قال بعض المفسرين هذا الذى وقع
اعتراضا بين الجملة الاخيرة من حيث المعنى متاخر عن الجملتين لكنه وسط لاجل
رعاية الفواصل من الاى او معناه متعلق بالجملتين فان من حب
احدا فرح عن فرحه واغتم عن حزنه وامرهم بالعكس فكانه لم يكن بينه وبينكم
الا العداوة فليقاتل من غير تثبط فى سبيل الله الذين يشرون يبيعون

الحيوة الدنيا بالاخرة وهم المؤمنون حقا لما عرفوا من زوال الدنيا وفناءها
وايقنوا نعيم الاخرة وبقاءها والفاء جواب شرط مقدر اى ان بطأ هؤلاء
فليقاتل ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا
عظيما فعلى اى حال على العاقل ان لا يكون له تثبط عن القتال ومالكم
مبتدأ وخبر لا تقاتلون فى سبيل الله جملة حالية فيها تعقيب وتحريض
والمستضعفين اى فى سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن ايدى
اعاديهم او تقديره فى تخليصهم بحذف مضاف من الرجال والنساء
والولدان جمع وليد او ولد وقيل المراد العبيد فقد يطلق على العبيد ولية
وهم اسراء مكة تحت ايادى المشركين الذين يقولون ربنا اخرجنا
من هذه القرية الظالم اهلها فى القران نسبة الظلم الى القرية كثيرة
لكنه نسب ههنا الى اهلها تعظيما لام القرى وتعليما واجعل لنا من لدنك
وليا يلى امرنا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب ربهم بيسر لبعضهم
الهجرة الى المدينة والباقى عند فتح مكة ومعلوم ان مقصودهم من الدعاء
النجاة عما هم عليه دفيه وقد حصل الذين امنوا يقاتلون فى سبيل الله
للاخراج عن مكة شرفها الله تعالى منه
فغايتها الوصول الى كرامته ولقائه والذين كفروا يقاتلون فى سبيل
الطاغوت فبلوغهم الى الشيطان وهو مع حزبه فى النار فقاتلوا ايها
المؤمنون اولياء الشيطان ان غلبتم فاوصلتموهم الى شقاوتهم
وان غلبتم فانتم الفائزون للوصول الى سعادتكم ان كيد الشيطان
كان ضعيفا مكره للمؤمنين بالنسبة الى مكر الله للكافرين ضعيف
فلا تخافوهم الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن قتال المشركين حين التمسوا
قتالهم فى مكة وهم ضعفاء قليلون فانهم يلقون من المشركين اذى كثيرا
فيستأذنون القتال ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نؤمر
بالقتال امرنا بالعفو فكفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة اى
واشتغلوا بما امرتم فلما كتب عليهم القتال فى المدينة وهم اقوياء كثيرون
اذا فريق منهم اذا للمفاجاة جواب لما فان لما حرف وجوب لوجوب
على الاصح ومنهم صفة فريق يخشون الناس عدوهم خبر فريق كخشية الله
اى خشية مثل خشيتهم الله او اشد خشية منصوب على انه حال

من خشية المتأخرة لأنه صفة نكرة تقدمت عليها فهي حال أي يخشون
الناس خشية كخشية الله أو خشية أشد من خشية الله والمفضل عليه
محذوف وأو للشك في حق المخاطب أو للتخيير أو للتنويع أي منهم من يخشى
كخشية الله ومنهم من يخشاهم خشية تزيد وقالوا ربنا لم كتبت علينا ال
القتال لولا أي هلا أخرتنا إلى أجل قريب أي الموت المقدر يعني هلا تركتنا
نموت بآجالنا والظاهر أن القائلين مؤمنون قالوه خوفا وحرصا على
الحيوة ثم تابوا قل يا محمد متاع الدنيا قليل بالنسبة إلى متاع الآخرة في
الكم والكيف والمدة والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ظلما مثل فتيل
النواة فإيجابنا القتال لا ظلم منا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في
بروج مشيدة حصون محكمة منيعة رفيعة والمشيدة المبنية بالشيد وهو
الجص أين ظرف مكان وإذا كان شرطا يزاد بعدها ما ويدرككم مجزوم
بجوابه وجواب لو محذوف أي لأدرككم الموت وإن تصبهم أي المنافقين
حسنة كخصب ورزق واسع وأولاد ذكور يقولوا هذه من عند الله غير
ناظرين إلى السبب وإن تصبهم سيئة كجدب وإقتار رزق وبنات
يقولوا هذه من عندك بشومك ولولا أنت فينا لما وصل إلينا مكروه
كما حكى الله عن اليهود وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه قل كل
من الحسنة والسيئة من عند الله بإرادته وقضائه فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا لا يعلمون طريق التكلم ويتحدثون معقولا
أو ليس بمعقول فإنهم إن لو نظرهم إلى السبب ففي الكل مع أنه ليس لهم
علم بالأسباب وقيل المراد من حديثا القرآن ما أصابك يا إنسان
من حسنة نعمة فمن الله تفضلا وإنعاما بمحض جوده وما أصابك
من سيئة بلية مكروهة فمن نفسك بشوم ذنوبك يعني إن نظرت إلى
المبدأ الفاعلي فالكل منه وإن نظرت إلى الواسطة والسبب فما هي
إلا شوم أنفسهم لا النبي بل هو الواسطة لدفع المصائب ما كان الله
ليعذبهم وأنت فيهم ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وأما قوله قل
كل من عند الله فلدفع وهم ينشأ من قوله وما أصابك من سيئة
فمن نفسك وأرسلناك يا محمد للناس رسولا أي رسولا لجميع الناس

وكفى بالله شهيدا على رسالتك من يطع الرسول فقد أطاع الله فإنه معصوم
من الله الحفيظ نزل حين قالت اليهود يريد منا محمد أن نتخذه ربا كما اتخذ
النصارى عيسى ومن تولى أعرض عن طاعته فما أرسلناك عليهم حفيظا
عن المعاصي ما عليك إلا البلاغ وعلينا الحساب حال من مفعول أرسلنا
ويقولون طاعة أي يقول المنافقون أمرنا وحالنا طاعة وأصلها النصب
أي أطعنا طاعة والرفع للثبات كسلام عليك فإذا برزوا من عندك
خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول لك الطائفة من قولهم طاعة
يعني هم في تبييتهم وسرهم يتأملون لك الغوائل لا الانقياد وضمير الموصول
محذوف والله يكتب يثبت في صحائفهم ما يبيتون ما يقررون ويقدرون
في لياليهم فأعرض عنهم خلهم وحالهم وتوكل على الله سيما في شأنهم فإنه
المنتقم منهم وكفى بالله وكيلا يكفيك شرهم أفلا يتدبرون القرآن لا يتفكرون
في أمره ليعلموا أنه من عند الله ولو كان من عند غير الله كما زعم الجاهلون
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا تفاوتا في البلاغة لا يكون الكل في طبقتها و
وفي أخبار مغيباته بأن يكون بعضها خلاف الواقع وإذا جاءهم أمر
من الأمن أو الخوف مما يوجب أحد الحالين أذاعوا به أفشوه إذا أرسل
سرية وسمعوا فتحهم أو هزيمتهم يفشونها ولم يصبروا حتى يكون هو صلى
الله عليه وسلم المحدث عنه وفيه مضار كثيرة قيل هذا حال ضعفة المو
المؤمنين والمنافقين وأذاع جاء متعديا بنفسه وبالباء ولو ردوه
أي ذلك الخبر إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ذوي الرأي من
أصحاب الرسول لعلمه الذين يستنبطونه منهم أي لعلم ذلك الخبر على
أي وجه يذكر من يستخرج الخبر ويكشف من معادنه ومعاونه الرسول
وأولو الأمر فعلى هذا الرد إلقاؤه إليهم وإخبارهم به من غير إذاعة والعلم
معرفة تدبيره والمصلحة فيه ومن تبعيضية أو بيانية تجريدية والظرف
في موقع الحال وقد صح أن عمر بن الخطاب سمع يقال طلق رسول الله
نساءه فجاء إليه صلى الله عليه وسلم وسأل فقال لا فنادى عمر بأعلى صوته
لم يطلق أنا الذي استنبطت ذلك الأمر ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بإرسال الرسول يردكم عن سلوك طرق الضلال لاتبعتم الشيطان

قيل تقديره ومن تولى فلا تغتم
لأنه ما أرسلناك عليهم حفيظا
منه

الا قليلا وهم الذين تفضل الله عليهم بالعقل الصائب واهتدوا به كورقة
بن نوفل فانه ما اتبع الشيطان وما ذلك الا بفضل الله لكن لا بد لك الفضل
الذي هو ارسال الرسل فقاتل في سبيل الله ولو كنت وحدك لا تكلف
الا نفسك الا فعل نفسك فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد وانه
ناصرك لما اراد صلى الله عليه وسلم الخروج الى البدر الصغرى كره
بعضهم الخروج فنزلت وحرض المؤمنين اى على القتال فما عليك
الا التحريض عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا شدتهم وجراتهم
وقد فعل بان القى الرعب فى قلوبهم ورجعوا بعدما خرجوا للحرب فى البدر
الثانى والله اشد باسا صولة اشد واشد تنكيلا عقوبة ونصبها
بالتمييز ولما كان بين المؤمنين والمشركين من قريش القرابة الموجبة
للتواد والتعاطف والاشفاق عليهم بمثل الشفاعة فى مصائبهم بين سبحانه
شفقة على المؤمنين ان الشفقة على اى غاية جائزة فقال من تعالى
من يشفع شفاعة حسنة جائزة فى الشرع قبلت او لا يكن له نصيب
منها وهو ثواب شفاعته ومن يشفع شفاعة سيئة غير جائزة فى الدين
يكن له كفل منها نصيب من وزرها والكفل اكثر ما يستعمل فى الشر
وكان الله على كل شئ مقيتا يقوت كل شئ بحسب قابليته ويحفظه عن
التلف ولما قسم الشفاعة قسمين وما هى الا من لوازم التواد والتعاطف
ذهب وهم واهم الى ان التحية والسلام كالشفاعة فدفعه وقال واذا
حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها اذا اسلم عليكم فاجيبوا باحسن مما
ابتدأ به فاذا قال السلام عليك فالسنة ان يزيد ورحمة الله او ردوا
التحية مثل تحية واصل ردوها واجب ان الله كان على كل شئ حسيبا يحاسبكم
ويجازيكم ولما ذكر فرضية القتال وامر بالتحريض عليه والشفاعة الحسنة والسيئة
وتعليم السلام وانه حسيب على كل شئ اخبر بانه يجمعهم للمجازات فقال
الله لا اله الا هو الظاهر انه مبتدأ وخبر وقيل لا اله الا هو جملة معترضة وخبر
المبتدأ قوله ليجمعنكم فى القبور الى يوم القيمة الجملة قسمية يعنى والله ليجمعنكم
لا ريب فيه فى يوم القيمة او فى الجمع ومن اصدق استفهام انكار من الله
حديثا نصب على التمييز فما لكم فى المنافقين فى شانهم وكفرهم وايمانهم

فئتين وقد اخبركم الله بانهم كفرة اشقياء ولا احد اصدق من الله وما لكم مبتدأ
وخبر وفئتين حال من لكم وفى متعلق به اى تفرقتم فرقتين فرقة تقول انهم
فانهم كفرة وفرقة تقول لا فانهم مسلمون والله اركسهم بما كسبوا ردهم
الى الكفر بسبب ما فعلوا واهلكهم اتريدون ايها المؤمنون ان تهدوا
تجعلوا هادياً من اضل الله من اضله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
الى الهدى خرج من خطابهم الى خطاب الرسول على التوكيد فى حق المتخلفين
ودوا تمنوا هؤلاء لو تكفرون انتم لو بمعنى ان كما مر او للتمنى بيان لودادتهم
كما كفروا فتكونون انتم وهم سواء مستوين فى الضلال يعنى انتم ترجون ايمانهم
وهم يرجون ضلالكم فقد تباعدتم فى المذاهب وتباينتم فى المقاصد قوله
فتكونون عطف على تكفرون فلا تتخذوا منهم اولياء فانهم كلهم اعداؤكم
وهم اشقياء وانتم سعداء حتى يهاجروا فى سبيل الله وتحقق ايمانهم بهجرتهم
من الكفر الى دار الايمان فبعد ظهور ايمانهم انتم مرخصون بالاتخاذ منهم
اولياء وقوله حتى الى اخره قرينة صريحة على ان هؤلاء كانوا عند الكفرة
ولم يكونوا فى المدينة وقد روى احمد وابن ابى حاتم عن ابن عباس ان
الاية يعنى قوله فما لكم الاية فى قوم جاؤا المدينة واسلموا ثم لحقوا المشركين
وكتبوا الى المسلمين انا على دينكم فافترق المسلمون فيهم فرقتين او فيمن
كان بمكة تكلموا بالاسلام وهم يظاهرون المشركين وقعدوا عن الهجرة
قيل يعنى قوله حتى يهاجروا حتى يجاهدوا او يقاتلوا فان تولوا عن الهجرة
الدالة على تحقق ايمانهم فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا
منهم وليا ولا نصيرا فانهم اعداؤكم للدين الا الذين يصلون الى قوم
بينكم وبينهم ميثاق اى اقتلوا جميعهم الا من يلجأ وينتهى الى قوم عاهدوكم
فانهم بعد ما وصلوا اليهم اخذوا حكم معاهديكم او جاؤكم عطف على يصلون
حصرت قد ضاقت صدورهم عن ان يقاتلوكم وجملة حصرت حالية
او يقاتلوا قومهم المراد من جاء المصاف وصدورهم كارهة عن القتال
لا معكم ولا معهم كمن خرج يوم بدر من بنى هاشم مع المشركين وكرهوا
القتال كعباس وغيره ولو شاء الله تسليطهم لسلطهم عليكم فلقاتلوكم
هذا تقرير لنعمته على المؤمنين اى لو شاء لقواهم وازال عن صدورهم

ضيق القتال فلقاتلوكم وقوله لسلطهم جواب لو وقوله فلقاتلوكم عطف على
الجواب فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم الصلح والانقياد فما
جعل الله لكم عليهم سبيلا لا في اخذهم ولا في قتلهم ستجدون آخرين يريدون ان
يأمنوكم ويأمنوا قومهم اي يأمنوا قتلكم اياهم واخذكم اموالهم ويأمنوا
اذى قومهم كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الشرك او الى قتال المسلمين اركسوا
فيها رجعوا اليها اقبح رجوع واشنعه فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم
ولم يقاتلوكم ويكفوا او لم يكفوا ايديهم عن قتالكم يعني لا يكفي كف الايدي عن
القتال في نفي التعرض بل لا بد منه مع الصلح ونبذ العهد فخذوهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم وجدتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة
لقتالهم لظهور عداوتهم وعدم وفائهم وما كان لمؤمن ما صح له وليس من
شأنه ان يقتل مؤمنا في حال من الاحوال الا خطأ الا في حال خطأ او الا قتلا
خطأ قيل الاستثناء منقطع وهذا ابناء على ان المتصل دال على جواز القتل
خطأ ولا يدل لان حاصله انه من شأن المؤمن الا يقتل الا خطأ ومن قتل
مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة اي فعليه ذلك ودية مسلمة الى اهله مؤداة
الى ورثته الا ان يصدقوا اي فعليه التحرير والدية في كل حين الا حين ان
يتصدق اهله بالدية فحينئذ تسقط الدية يعني فعليه الامران الا في هذا الحال
فانه عليه امر واحد والوقت او الحين مقدر للقرينة لا انه مثل اتيك ان تصيح
الديك اي وقت صياحه فانهم صرحوا بعدم جواز ان يكون ان وما بعدها
ظرفا فانه مما انفردت به ما المصدرية قيل تقديره الا بان يصدقوا وحذف
حرف الجر عن ان شايع فان كان المقتول من قوم عدو لكم كفار وهو مؤمن
ولم يعلم القاتل ايمانه فتحرير رقبة مؤمنة دون الدية لانه لا وراثة بين مسلم
وكافر وحكمه حكم الميراث يقسم بينهم كانقسام الميراث وان كان من
قوم بينكم وبينهم ميثاق كالكفار معاهدين او اهل الذمة فدية مسلمة الى
اهله وتحرير رقبة مؤمنة هذا اذا كان المقتول مؤمنا وعند كثير من العلماء
وكذا ان كان كافرا ايضا والقرآن لا يدل عليه فمن لم يجد رقبة ولا ثمنها فصيام

(في الهامش: اي فعليه صيام صح)

شهرين متتابعين توبة من الله يعني شرع واوجب له ذلك قبولا للتوبة وعلى
ما بينا ظهر ان توبة فعل لفاعل المعلل فيصح حذف اللام وكان الله عليما

حكيما لا يحكم الا بما فيه المصلحة ومن يقتل مؤمنا متعمدا حال من ضمير يقتل
فجزاؤه جهنم خالدا فيها فلو جازاه بالخلود لم يكن ظلما وغضب الله عليه غير
الاسلوب حيث لم يقل وغضب الله ليكون عطفا على جهنم ليدل على
ان الغضب امر مقرر لا ينفك عن قتل المؤمن متعمدا ولعنه واعد له عذابا
عظيما عشرة من عظماء السلف بالنقل الصحيح منهم على ان لا تقبل توبة

(في الهامش: نقل البخاري ومسلم عن ابن عباس)

قاتل المؤمن عمدا ويدل عليه بعض الاحاديث نحو كل ذنب عسى الله
ان يغفر له الا الرجل يموت كافرا والرجل يقتل مؤمنا متعمدا رواه
الامام احمد والنسائي والبزار والجمهور على ان له توبة وعلى ذلك الايات
والاحاديث فقال ابو هريرة مرفوعا هذا جزاؤه ان جوزي عليه لكن
قد يكون للجزاء معارض من عمل يكون سببا للعفو قال الشيخ ابن كثير
الاصح انه موقوف على ابي هريرة وقيل انه تعالى يسيء عاقبته ولا يوفقه
للتوبة النصوح لشؤم هذا الذنب وقد ثبت في الصحيحين خبر الاسرائيلي الذي
قتل مائة نفس ثم تاب الله عليه واذا كان في بني اسرائيل فلان يكون
في هذه الامة المرحومة توبتهم بطريق الاولى قيل المراد من يستحله فانه نزل
فيمن قتل وارتد يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله ذهبتم
للغزو وسافرتم فتبينوا اطلبوا بيان الامر ولا تعجلوا ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقراءة السلم معناه الانقياد لست
مؤمنا وانما اظهرت علامة الاسلام متعوذا عن القتل او النهب فتقتلوه
تبتغون عرض الحيوة الدنيا اي لا تقولوا له كذا حال كونكم طالبين لحطام
الدنيوية فعند الله مغانم كثيرة فاطلبوا من فضله يغنيكم عن قتل من اظهر
الاسلام كذلك كنتم من قبل لا يعلم منكم الاسلام الا بعلامة فمن الله
عليكم بالاشتهار فتبينوا لا تبادروا الى قتل من كان مثلكم معللين بانه يظهر
الاسلام اتقاء وخوفا تاكيد وبيان للنتيجة ان الله كان بما تعملون خبيرا
عالما بالاغراض فاحتاطوا نزل كما رواه البخاري والترمذي عن ابن
عباس فيمن له غنيمة فلحقه المسلمون وسلم فقالوا ما سلم الا للتعوذ منا
فاخذوا غنيمته بعد ان قتلوه او نزل كما رواه الحافظ البزار وفي البخاري
بعض مما نذكر فيمن له مال كثير وهو في الكفار يخفي ايمانه فلحقهم سرية وتفرق

سائر الكفار وبقي هو قائلا اشهد ان لا اله الا الله فقتله احد من السرية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت مؤمنا يخفي ايمانه وكذلك
كنت في مكة تخفي ايمانك لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين
غير اولي الضرر صفة القاعدون لانه لم يرد معينا او بدل وفي قرآءة
النصب حال او استثنآء لما نزلت الى في سبيل الله وليس فيها غير
اولي الضرر جآء ابن ام مكتوم وهو اعمى وقال كيف بمن لا يستطيع فغشي على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه ثم سري عنه فقرأ بزيادة غير
اولي الضرر رواه البخاري ومسلم والترمذي والمجاهدون في سبيل
الله باموالهم وانفسهم يعني لا مساواة بين المجاهد وبين القاعد من
غير عذر فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين غير اولي
الضرر صرح بذلك ابن عباس والحديث الصحيح دال عليه درجة اي بدرجة
عظيمة تتدرج فيها الدرجات فنصب درجة بنزع الخافض او المصدر فانها
في موقع مرة من التفضيل وقال بعض المفسرين المراد تفضيلهم بالدرجة
الواحدة في الدنيا وهي الغنيمة واما في الاخرة فبيانه ما يأتي وكلا من القاعدين
من غير عذر والمجاهدين منصوب بانه مفعول اول لوعد وعد الله الحسنى
الغاية والجنة والعاقبة الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين من غير
عذر اجرا عظيما مفعول مطلق او مفعول ثان لان في فضل معنى اعطى
وفي البخاري ان بالمدينة اقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا وهم
معكم فيه قالوا كيف وهم بالمدينة قال صلى الله عليه وسلم حبسهم العذر
درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد بدل من اجرا كرر تفضيل المجاهدين
اجمالا وتفصيلا قيل الدرجة ارتفاع منزلتهم والدرجات ارتفاع منازلهم
او المراد كما ذكرنا ان المراد بالدرجة ما لهم في الدنيا والاجر العظيم والدرجات
ما لهم في الاخرة قيل المراد من القاعدين في الاول من له ضرر وعذر والتفاوت
بدرجة واحدة لان لهم نية بلا عمل والمراد من القاعدين في الثاني من
لم يكن له عذر وضرر فان بينهم درجات كثيرة وكان الله غفورا لما فرط منهم
رحيما بالتفضيل وبان جعل النية كالعمل ان الذين توفيهم يحتمل ان يكون
فعلا ماضيا او مضارعا الملائكة ملك الموت واعوانه وهؤلآء لو كانوا

من حضار

بدر

من حضار بدر فالمراد ان الذين قتلتهم الملائكة فان الملائكة حاربوا يوم
وقتلوا ظالمي انفسهم بترك الهجرة مع الخروج بين المشركين لتكثير سوادهم
قالوا الملائكة تقريعا وتوبيخا فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم حيث
ما هاجرتم وما اظهرتم ايمانكم قالوا كنا مستضعفين في الارض عاجزين
عن الخروج من مكة الى المدينة قالوا تبكيتا لهم الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها الى ارض وجانب يمكن لكم التمسك بالشرايع واقامة
الدين قوله فتهاجروا منصوب على جواب الم تكن او مجزوم بالعطف
على تكن فاولئك ماويهم جهنم لمساعدتهم الكفار والجملة خبر ان وجملة
قالوا فيم كنتم حالية باضمار قد او هي خبر بتقدير عائد اي قالوا لهم وقوله
فاولئك عطف على ما قبله مستنتجة منها وساءت مصيرا جهنم عن
ابن عباس نزلت فيمن تكلم بالاسلام وخرج مع المشركين الى بدر
فقتلوا والظاهر انهم ماتوا كافرين وقد صرح الضحاك بانهم كانوا
منافقين الا المستضعفين استثنآء منقطع وقيل متصل لان حاصل
معنى الاية من مات على ترك الهجرة مع قدرته عليها واقامته بين
المشركين غير متمسك بالشرايع فهو في جهنم الا المستضعفين من الرجال
والنسآء والولدان الصبيان او المماليك في الصحاح الولد الصبي
والعبد والجمع ولدان والمراد من الولدان المراهقين والا فذكرهم
للمبالغة في امر الهجرة حتى كانها واجبة على الاطفال وليكون مشعرا
بان العجز ينبغي ان يكون كعجز الصبيان لا يستطيعون حيلة اسباب
السفر من قوة ومال جملة مبينة مفسرة لان الاستضعاف بوجوه
ولا يهتدون سبيلا لا يعرفون طريقا الى بلد الاسلام فاولئك
عسى الله ان يعفو عنهم اطمعهم في العفو لانهم ربما تمكنوا من الهجرة
وقتا ما بنوع ما ولم يدروا وليعلم ان ترك الهجرة خطير من شانه ان
لا يأمن المعذور فكيف بغيره ولما نزلت ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى مسلمي مكة فقال احد منهم احملوني فاني لا اهتدي الى
الطريق والله لا ابيت بمكة ليلة فحملوه على سرير الى المدينة فمات
بالتنعيم وهو شيخ كبير وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل

الله يجد في الارض مراغما كثيرا اي مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه
وتمتعا يراغم به اعدائه وسعة في الرزق كما ورد سافروا تغنموا اخرجه الطبراني
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت في الطريق
فقد وقع اجره على الله ثبت اجره عند الله ونزوله فيمن مات بالتنعيم
كما ذكرنا وكان الله غفورا رحيما فبرحمته يكمل ان قصر ولما اوجب السفر
بالهجرة والجهاد وفي السفر مشقات ولهذا قيل السفر قطعة من السقر
خفف في صلوة السفر فقال واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح
حرج ان تقصروا من الصلوة ظاهر القران دال على جواز القصر لكن اكثر
السلف على وجوبه وعند كثير منهم ان الاية في صلوة الخوف فمعناه ان
تقصروا من جميع الصلوات كما سنذكره في بعض الوجوه او تقصروا
من كيفيتها كما نبينه بعد سئل ابن عمر انا نجد في كتاب الله قصر صلوة الخوف
ولا نجد قصر السفر فقال انا وجدنا نبينا يعمل فعملنا به وقد عقد البخاري
كتاب صلوة الخوف وصدره بتلك الاية ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا ان كان المراد من الاية صلوة الخوف فهذا شرطه لا يجوز قصر الخوف
بدون هذا وان كان المراد قصر السفر فهذا بيان واقع غالب اسفارهم
ونظير ذلك وربائبكم اللاتي في حجوركم كما بينا وفي مسلم سئل عمر ان شرط
قصر الصلوة في القران الخوف وقد امن الناس فقال عمر سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك كما سالتم عني فقال صدقة تصدق
الله بها عليكم فاقبلوا صدقته والاجماع على جواز قصر السفر من غير خوف
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا عداوتهم قديمة ظاهرة واذا كنت فيهم
ايها الرسول علمه طريق صلوة الخوف ليقتدي به من بعده فلا يدل
على عدم جوازه اذا لم يكن هو صلى الله عليه وسلم فيهم وعند من يقول
قوله واذا ضربتم الاية في صلوة السفر فقد تم وقوله واذا كنت فيهم شروع
في بيان صلوة الخوف فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك مقتدين
بصلوتك يعني وطائفة اخرى واقفين غير مقتدين وليأخذوا اسلحتهم
الضمير لمن لا يصلي وظاهر القران ان الضمير للمصلين المقتدين فانهم
مظنة طرح السلاح للصلوة فاذا سجدوا اي تموا صلوتهم كما قال صلى

الله عليه

الله عليه وسلم اذا جاء احدكم المسجد فليسجد سجدتين اي فليصل
ركعتين فليكونوا اي المصلين من ورائكم حارسين ولتأت طائفة
اخرى لم يصلوا صفة اخرى لطائفة فليصلوا معك وليأخذوا
حذرهم اي التحرز والتيقظ كانه آلة تستعملها الغازي واسلحتهم فليس صلوتهم
مانعة من التحرز واخذ السلاح روي في طريق صلوة الخوف وجوه وانا
اذكر بعضها احديها انه قام صلى الله عليه وسلم فقام صف قبله وصف
خلفه فصلى بمن خلفه ركعة وسجدتين ثم تقدم هولاء حتى قاموا مقام
اصحابهم وجاء اولئك حتى قاموا خلفه مقام هولاء فصلى بهم ركعة
وسجدتين ثم سلم وسلموا فكانت له صلى الله عليه وسلم ركعتان و
للمؤمنين ركعة ركعة وهذا ثابت في مسلم والنسائي قال الشيخ ابن كثير
روى جماعة كثيرة عن جابر في الصحيح والسنن والمسانيد وروى غيرهم
عن غير جابر والثانية ان تجعلهم صفين وتصلي بهما الى ان يرفعا راسهما
من الركوع سجد الصف الاول مع الامام والصف الاخر قيام حارسون
فلما قام الصف الاول الى الركعة الثانية سجد الصف الثاني ثم تقدم هولاء
الى مصاف هولاء وهولاء الى مصاف هولاء ثم ركع الامام وركعوا
جميعا ورفعوا من الركوع ثم سجد الامام وسجد الصف الذي يليه والاخر
قيام حارسون فلما جلسوا سجد الصف الثاني وتشهد الكل وسلموا
وهذه صلوتهم بعسفان رواه احمد وابو داود والنسائي وفي البخاري
بعبارة مختصرة والثالث ان تصلي بطائفة ركعة وتنتظر قائما حتى يتموا
صلوتهم منفردين ويذهبوا الى المصاف ويأتي الاخرى فتتم بهم الركعة
الثانية وتنتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم وتسلم بهم والرابعة ان تصلي
بكل طائفة ركعتين فللامام اربع ركعات وللمؤمنين ركعتان ود
الذين كفروا لو تغفلون هذا التركيب قد مر وذكرنا ان لو بمعنى ان عند
بعض عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم بالقتال ميلة واحدة
مجتمعين ولا جناح لا وزر عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى
ان تضعوا اسلحتكم ظاهر القران دال على ان اخذ السلاح واجب
على غير المريض الا في المطر فان المؤمنين والكافرين سواء في التثاقل

والظاهر ايضا ان سلاحهم كان قوسا
ونشابا وان فالسيف والرمح
لا اذى بها في المطر صح

عند المطر وخذوا حذركم اما التيقظ وعدم الغفلة فامر لا يجوز تركه بحال ان
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا غلبوا وغلبوا فاذا قضيتم الصلوة
فرغتم من صلوة الخوف فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم في سائر
حالاتكم وكثرة الذكر عقب صلوة الخوف الكد جبر لما فيها من التخفيفات
وربما ينجر الى الحركات وغيرها وقد قيل في معنى فاذا قضيتم الاية معنى غير
ما ذكرنا خلاف الظاهر تركناه فاذا اطمأننتم سكن باطنكم من الخوف فاقيموا
الصلوة عدلوا اركانها واحفظوا شرائطها ان الصلوة كانت على
المؤمنين كتابا موقوتا مفروضا محدودا او واجبة في اوقات مفروضة
ولا تهنوا لا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب قتال الكفار ان تكونوا تألمون
من ضرب وجرح فانهم يألمون كما تألمون فضرر القتال غير مختص بكم
وترجون من الله ما لا يرجون ولكم هذا المزيد اعني رجاء المثوبة والنصر و
والتأييد فينبغي ان تكونوا اصبر وارغب على الحرب وكان الله عليما
بضمائركم حكيما فيما حكم لما امر ونهى ووعد واوعد ونصح ووعظ في امور
الدنيا والدين عقب تلك الاية المحكمة تعليما وتقوية لعضد نبيه صلى الله
عليه وسلم فقال انا انزلنا اليك الكتاب القران ملتبسا بالحق بما له
يطابق الواقع لتحكم بين الناس بما اريك الله عرفك واوحى به اليك
فارى لا يطلب الا مفعولين ولا تكن للخائنين اي لاجلهم خصيما له
لمن برئ واستغفر الله من موافقة الخائن او من قصد موافقته ا
ان الله كان غفورا رحيما لمن استغفر روى الترمذي وغيره ان طعمة
ابن ابيرق سرق درعا لجار صاحبها وقال يا رسول الله ان طعمة سرق
درعي فلما ظن السارق فضيحته القى الدرع في بيت وعلم نفرا من عشيرته
ان انطلق سرا الى رسول الله وقل سارق الدرع فلان يعني صاحب
البيت فاعذر صاحبنا على رؤس الاشهاد وجادل عنه فانه ان لم تعصمه
الله بك يهلك فعذره او هم بذلك صلى الله عليه وسلم فنزلت
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم لا تجادل عمن خان نفسه بالمعصية
ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة اثيما منهمكا في الاثم
فلا تك ظهيرا لمن لا يحبه يستخفون معاصيهم من الناس ولا يستخفون

ليس هذه الروية بمعنى العلم المستدعي ثلث مفاعيل

من الله وهو احق ان يستحيى وهو معهم فطريق الاستتار عنه عدم
فعله اذ يبيتون ظرف لمتعلق معهم والتبييت تدبير وقع في الليل ثم
استعمل اعم من ان يكون في ليل او نهار ما لا يرضى الله من
القول كرمي البرئ وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا
فيعلم السر والعلن والجزاء مرتب ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء
خبره والجملة في اي موضع كان فيها نوع تقريع وتحقير ومراعاة واختلاف
النحاة فيه جادلتم عنهم عن طعمة وعشيرته في الحيوة الدنيا جملة مبينة و
فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة اذا اخذهم وهو يعلم حقائق الامور
ام من يكون عليهم وكيلا فيروج دعويهم وام في مثل تلك المواقع
اعني اذا وقع بعدها اسم استفهام يكون بمعنى بل لا منقطعة بمعنى
بل والهمزة ولا متصلة قاله العلامة التفتازاني ومن يعمل سوءا يسوء به
غيره او يظلم نفسه بشئ لا يتعداها كالحلف الكاذب ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما الظاهر تعليق الغفران والرحمة للعاصي على مجرد
الاستغفار الا ان يقال المراد من الاستغفار التوبة وفي لفظ يجد
الله مبالغة في الغفران كانه معد لطالبه مهيأ له متى طلبه وجده وفيه
لطف عظيم ووعد كريم للعصاة وعن ابن مسعود انها من ارجى ايات
لكن ما استغفر طعمة وارتد هكذا نقل ومن يكسب اثما فانما يكسبه
مستعليا على نفسه لا يتعدى ضرره الا الى نفسه وكان الله عليما
حكيما فمن علمه وحكمته ان لا يأخذ احدا بذنب غيره ومن يكسب خطيئة
صغيرة او ما بينه وبين الله او ما كان من غير عمد او اثما كبيرة او ما بينه
وبين الناس او ما كان من عمد ثم يرم به باحدهما بريئا منه كما رمى
طعمة فقد احتمل في الافتعال معنى التسبب فهو ابلغ من حمل بهتانا
واثما مبينا يعني الرمي بالخطيئة يعظم الخطيئة ويجعلها في حكم الاثام الجسيمة
ولما كان مفهوم البهتان والاثم مختلفين ذكرهما مبالغة ولولا فضل
الله عليك ورحمته باعلام ما في نفس الامر لهمت همت مؤثرا طائفة
منهم من قوم طعمة ان يضلوك اي باضلالك عن القضاء بالحق و
وحاصل الكلام لولا الفضل والرحمة لاضلوك اذ قد هموا وانت غير مطلع

من الله

على حقيقة الحال وما يضلون الا انفسهم فانهم ارتكبوا الاثام وانت
معصوم من الله وما يضرونك من شئ اى شيئا من الضرر لا قليلا
ولا كثيرا والله يعصمك من الناس وانزل الله لا يبعد ان تكون الجملة
حالية اى وقد انزل الله عليك الكتاب والحكمة القران والسنة وعلمك
مالم تكن تعلم مالا يمكن العلم به الا بالتعليم وكان فضل الله عليك عظيما لا فضل
اعلى من النبوة سيما نبوته صلى الله عليه وسلم لا خير فى كثير من نجويهم
النجوى سر بين اثنين الا نجوى من امر بصدقة فريضة او مستحبة فاذا
كان الامر كذلك فالفاعل بطريق الاولى قيل النجوى بمعنى المتناجى
نحو اذ هم نجوى فلا حاجة الى تقدير مضاف لصحة الاستثناء المتصل و
قيل منقطع اى لكن من امر بصدقة ففى نجواه الخير او معروف كل ما يستحسنه
الشرع او اصلاح بين الناس خصه لشرفه ومن يفعل ذلك اى الامر
باحدى الثلث ابتغاء مرضات الله لطلب رضاه فسوف نؤتيه
اجرا عظيما وفى فعل المتكلم التفات قيل ذلك اشارة الى نفس احدى
الثلث لا الى الامر بها والاول حكم الدال على الخير والثانى حكم فاعله و
ومن يشاقق الرسول يخالفه ويجادله من بعد ما تبين له الهدى ظهر له
الحق بالمعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير طريقهم وطريقهم اتباع
نبيهم وهذا امر لازم لمشاقته مذكور على سبيل المبالغة وتفظيع الامر
وتشنيعه والاية بعد هذا فى وعيد الكفار نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى
من الضلال ونخليه وما اختار ونصله جهنم ندخله اهانة لا تطهيرا فيها
وساءت مصيرا جهنم ذكر محيى السنة والواحدى انه لما حكم بقطع يد طعمة
هرب الى مكة وارتد ان الله لا يغفر ان يشرك به لمن لقى مشركا فى القيمة
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء غفرانه واما المظالم فان اراد الله غفرانه
القى فى قلب مظلومه عفوه والله سبحانه يغفره كما ورد فى الاحاديث
ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن منهج الصواب ان يدعون
من دونه ما يعبدون من دون الله ومن عبد شيئا دعاه عند حوائجه
اى ما يدعون احدا الا اناثا لانهم يزينون اصنامهم بالحلى ويسمونها انثى
بنى فلان قال الراغب لما كانت الاصنام اشياء منفعلة غير فاعلة

بكتهم

بكتهم الله انهم مع كونهم فاعلين من وجه يعبدون ما ليس الا منفعلا
من كل وجه وان يدعون الا شيطانا مريدا فان الشيطان الخارج عن
طاعة الله بالكلية امرهم بعبادة غير الله فعلى الحقيقة هؤلاء الجهلة عباد
الشيطان المريد لعنه الله طرده من رحمته فهم عباد مريد ملعون فصار دا
مثل معبودهم صفة ثانية وغير اسلوبه للتاكيد تحقق اللعنة وقال عطف
على لعن لاتخذن من عبادك بان اغويهم نصيبا تاما كاملا مفروضا
معينا فهؤلاء عبدوا من هو اعدا عدوهم قال مقاتل بن حيان من
كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون نصيبه وهم الى النار وواحد فى الجنة و
ولاضلنهم عن الصواب ولامنينهم بانواع من الغرور والافتراء بما يناسب
حال كل شخص ولامرنهم بالبتك فليبتكن اذان الانعام يشقونها ويجعلون
ركوبها حراما ويسمونها بحائر كما سيجى فى سورة المائدة وهذا اشارة الى
تحريم كل حلال ولامرنهم بتغيير خلق الله فليغيرن خلق الله كالخصاء والوشم
وغيرهما والخصاء من الشيطان فى كل شئ من آدمى وغيره صرح به
علماء السلف ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فيطيعه
ولا يطيع ربه فقد خسر خسرانا مبينا ضيع بالكلية راس ماله يعدهم ولا يفى
بوعده ويمنيهم ما لا يجدونه فى الدنيا والدين وما يعدهم الشيطان الا
غرورا الغرور ايهام النفع فيما ليس فيه الا الضر اولئك مأويهم مرجعهم
جهنم ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا وهو اسم مكان او مصدر
من حاص اذا عدل وعلى الوجهين لا يعمل فيما قبله فلو كان عنها متاخرا
كان صفة فلما قدم صار حالا والذين امنوا وعملوا الصالحات لا
كالكفار سندخلهم اشار الى انهم وان كانوا مؤمنين صالحين لا يكون
شانهم الا رجاء الرحمة والجنة فان العاقبة مبهمة جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين مقدرين الخلود فيها ابدا وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد
لنفسه لان مضمون سندخلهم الوعد لا غير والثانى لغيره من حيث
انه يحتمل غير الحق ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة مقابلة لمواعيد
الشيطان ونصب قيلا على التمييز والقيل القول ولما بين ان الشيطان
يعدهم ويمنيهم ومن امنية المشركين ان لا عذاب ولا حساب ومن امنية

اهل الكتاب انهم احباء الله ايسهم عن كواذب تمنيهم فقال ليس بامانيكم
ليس الدين بالتمني والمقدر بامانى العرب ولا امانى اهل الكتاب من
يعمل سوء جملة مستانفة يجز به لما نزلت قال الصديق ما اشد هذه الا
جاءت قاصمة الظهر فقال صلى الله عليه وسلم انما هي المصيبات في
الدنيا رواه الترمذي واحمد وابن حبان ولا يجد له لنفسه من دون
الله وليا ولا نصيرا يواليه وينصره من ان لا يصل اليه جزاء عمله و
ومن يعمل من الصالحات اى بعض الاعمال الصالحة من ذكر او انثى
من للبيان تفصيل للعامل وهو مؤمن جملة حالية شرط لوجود ما يترتب
فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا مقدار النقرة التي في ظهر
نواة التمر وضمير لا يظلمون ان كان لاقرب مذكور وهو المؤمنون فيعلم
عدم ظلمه للكافرين بطريق الاولى لان ثواب المطيع في الاخرة ليس الا
تفضل موعود وجعل نقصان فضله بكمال رحمته ظلما فكيف يجوز ان
يزيد عقاب العاصي من قدر الجزاء ولما كشف زورهم وبين فجورهم
اخذ في كذب زعمهم فقال ومن احسن دينا نصب بالتمييز ممن اسلم
وجهه لله انقاد لامره واخلص العمل له وهو محسن تابع للشرع جملة
حالية مؤكدة واتبع ملة ابرهيم في اصول الدين حنيفا مائلا الى الحق
حال من ملة لان الملة بمعنى الدين او من فاعل اتبع وقد زعمت
العرب انهم على دينه وملته واتخذ الله ابرهيم خليلا صفيا خالص محبته
عن الخلل واتخذ متعد الى مفعولين والجملة معطوفة على الجملة الاستفهامية
التي معناها الخبر يعني لا احد احسن دينا ممن اسلم لا معطوفة على واتبع
لان واتبع عطف على صلة من يعني اسلم وهذه لا يصلح والخليل اما من
الخلال اى محبته تخلل النفس وتخالطها او من الخلل فان كلا من الخليلين
يسد خلل الاخر او من الخلة اى يتوافقان في الخصال ولله ما في ال
السموات وما في الارض الكل ملكه وليس للمملوك الا طاعة مالكه وكان
الله بكل شيء محيطا بالعلم والقدرة فلا يفوت منه شيء ويجازيهم ولما ذكر
انهم يعبدون اناثا ويجعلون لما يعبدون نصيبا من اموالهم اذعانا
لامر الشيطان المريد الملعون الذي هو في غاية عداوتهم ويقولون

ميراثنا ليس الا للذكور الذين هم حاموا بيضتنا لا للاناث الضعفاء
فينكر من بعض الصحابة سؤال ميراث الاناث اللاتي هن احق
بالاعانة والشفقة والمال ليس الا لمن له ما في السموات والارض وقد فرض
لهن فريضة بينها وشرحها مع طريق معاشرتهن ثم اعاد لتكرر سؤالهم
فقال ويستفتونك في النساء الافتاء اظهار المشكل على السائل اى
يطلبون منك بيان ميراث الضعفاء وطريق المعاشرة معهن قل
الله يفتيكم فيهن وهو الحاكم العالم الحكيم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف
على الله اسند الفتوى الى الله والى ما انزله في كتابه من ايات تعذيب
في اوائل تلك السورة من قوله يوصيكم الله في اولادكم الى اخرها ومن
قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الى اخرها في يتامى النساء حال
من ضمير يتلى لا ظرف له لانه لا يتعلق حرفا جر بمعنى واحد بفعل الا على
سبيل العطف والمفتي هو الله لا غير وهذا الخوانجي زيد وكره ومن
قال الواو بمعنى مع فالمعنى واحد واما العطف على ضمير فيهن فلا يجوز
عند البصريين لعدم اعادة الجار وايضا الفتوى لم يقع في بيان المتلو
بل في حال من يتعلق به المتلو اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن من ميراثهن
او من صداقهن وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن لمالهن و
وجمالهن ولا تعطون صداقهن وتاكلون مالهن او عن ان تنكحوهن
لدمامتهن فنهاهم الله عن عضلهن طمعا في ميراثهن كما ذكرنا كلا الوجهين
والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب كانت
لا يورث الا من يحمي الحوزة ويقاتل عن الحريم وان تقوموا لليتامى
بالقسط بالعدل مجرور عطف على يتامى او منصوب بفعل مقدر
اى ويامركم او مرفوع والتقدير وعليكم ان تقوموا وما تفعلوا ما شرطية اى اي شيء
تفعلوه من خير فان الله كان به عليما والحاصل انهم استفتوا في النساء
اى في احوال يتاماهن من التوريث او التزويج فاجيبوا بان الله يفتيكم
فيهن وفي غيرهن وفيما يتعلق باحوالهم واحوالهن مما يحتاج الى البيان
وان امراة مرفوع بفعل يفسره قوله خافت من بعلها علمت من زوجها
نشوزا تجافيا عنها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها والحديث

معهما فلا جناح عليهما على الزوجين ان يصلحا بينهما صلحا بان تحط له بعض
المهر او القسم او النفقة رضاء للزوج وبينهما مفعول به وصلحا مصدر
والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة واحضرت الانفس الشح يعني ان النفس
مطبوعة على البخل كانه شيء معد في مكان سيقت اليه النفس فلا تكاد
المراة تسمح بحط شيء من المهر والقسم ولا الزوج يسمح باقامة حقوقها ان
لم يكن يحبها وهذا مع قوله والصلح خير اعتراض الاول للترغيب في المصالحة
والثاني لتمهيد العذر في المماكسة وان تحسنوا فيما يجوز فيه الاحسان
مثل عشرة النساء وتتقوا في جميع اموركم ولا تكسروا بالنشوز والاعراض
قلوب ضعفائكم فان الله كان بما تعملون خبيرا فيثيبكم ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء بنه تعالى على انتفاء استطاعة العدل
بحيث لا يقع ميل وزيادة ونقصان اي بالغ من الصعوبة حدا
يكون كالمحال ولو حرصتم على العدل فلا تميلوا كل الميل الى واحدة
فتذروها اي الواحدة الاخرى كالمعلقة كالتي ليست مطلقة ولا ذات
بعل وان تصلحوا بالصبر عليهن وتتقوا الجور فان الله كان غفورا
رحيما يغفر لكم ميلكم في اموركم ويرحمكم بان لا يضيق عليكم وان يتفرقا
بالطلاق يغن الله كلا كل واحد من الزوجين من سعته فضله الواسع
قال الحسن بن علي رايت الله علق الغنى بامرين فقال وانكحوا الايامى
الاية وقال ان يتفرقا يغني الله كلا من سعته وكان الله واسعا في الفضل
وفي الرزق حكيما فيوسع على مقتضى حكمته فاسئلوا الله من فضله
ولله ما في السموات وما في الارض فله السعة وكمال القدرة ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم من
قبلكم متعلق باحد الفعلين واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله
اي بالتقوى وجاز ان يكون ان مفسرة يعني ان الوصية بالتقوى
سنة الله مع الامم وان تكفروا الشرطية متعلقة بمحذوف معطوف
على وصينا اي وقلنا لهم ولكم وان تكفروا فان لله ما في السموات
وما في الارض مالك كل شيء لا يضره كفركم كما لا ينفعه شكركم فما الوصية
الا لصلاحكم وحاجتكم وكان الله غنيا عن الخلق كله حميدا استحق للحمد

وان كفرتموه ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا
فتوكلوا عليه كرر قوله ولله ما في السموات وما في الارض ليترتب عليه
الفوائد الثلث اعني فاقبلوا وصيته فاسالوا الله الغني وفاتخذوه وكيلا
فكل شيء تريدونه فهو عنده فلا تهينوا وجوهكم بالسوال الى من هو مثلكم
ان يشا اذهابكم يذهبكم يفنكم ايها الناس بعمومكم ويات باخرين
اي بناس غيركم وكان الله على ذلك قديرا اي الاعدام والايجاد
بليغ القدرة والجملة تقرير لغناه وتهديد للعاصين قال صاحب النحو
لو قلت اشتريت ثوبا وآخر معناه ثوبا آخر وان عني به غير ثوب
لم يجز ولو قلت اشتريت ثوبا وغيره يقع على المغاير مطلقا وقل من
يعرف هذا الفرق فقول الزمخشري او خلقا آخرين غير الانس ليس
بصحيح من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة
الجزاء محذوف لدلالة المعنى عليه والتقدير فلا يقتصر عليه وليطلب
الثوابين فعند الله ثواب الدنيا والاخرة ولا بد في الجملة الواقعة جوابا
لاسم الشرط من ضمير عائد عليه للربط وكان الله سميعا بصيرا فلا يخفى
عليه قول ولا فعل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط
مواظبين على العدل غير عادلين عنه يمينا وشمالا شهداء لله
اي كونوا شهداء ابتغاء وجه الله فلا تكتموها ونصب شهداء بانه خبر بعد
خبر ولو على انفسكم اي وان كنتم شهداء على انفسكم فكونوا شهداء
لله والمراد الاقرار بالحق والاقامة بالقسط فلو بمعنى ان وعلى متعلق
بمحذوف وحذف كان بعد لو شايع او الوالدين ابتدا بنفسه
لانه لا شيء اعز على الانسان من نفسه ثم ذكر الوالدين لانهما اقرب
اليه وسبب نشاته والاقربين فانهم مظنة التعصب واذا كان
الامر فيهم القسط فالاجنبي احرى بذلك ان يكن المشهود عليه
غنيا او فقيرا فليشهد عليه ولا تراع الغني والفقر ولا ترهب ولا ترحم
فالله اولى بهما فهذا علة الجواب اقيمت مقامه فما شرع الله عليهما
هو الاولى والاصلح لهما والظاهر ان يقال اولى به لان المرجع مذكور
بأو ولكن ثني قصدا الى الجنسين فالضمير للمدلول دون المذكور وقراءة

اولى بهم شاهدا على ما قلنا • فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اي لان تعدلوا
عن الحق ٢ او معناه اتركوا الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل
اي لاجله وان تلووا السنتكم من شهادة الحق فتغيروها من اللي
او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فاحذروا ولما
امر المؤمنين بالقيام بالقسط والشهادة امرهم بالرسوخ في
الايمان فانه لا يأتمر بالامر الا الراسخ فقال يا ايها الذين امنوا امنوا
اثبتوا على ايمانكم ولا تزلزلوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على
رسوله اي القرآن والكتاب الذي انزل من قبل يعني جنس الكتاب
لا بكتاب دون كتاب كطريق اهل الكتاب ومن يكفر بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد لا يكاد
يعود الى سواء السبيل ثم ان الحكم المتعلق بالامور العاطفة
بالواو قد يرجع الى المجموع والتعويل على القرائن وهنا قد دلت
على رجوعه الى المجموع فان الايمان بالكل واجب والكل ينتفي بانتفاء
البعض ومثل هذا ليس من جعل الواو بمعنى او ان الذين امنوا
ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا
ليهديهم سبيلا الظاهر انه في شأن المنافقين فانهم في اوائل
البعث والنبوة كانوا مذبذبين ثم اتفقوا على الباطل ورسخوا في
كفرهم ويدل على ما قلنا قوله في عقبه • بشر المنافقين والمراد من
قوله ولا ليهديهم سبيلا لا يوفقهم على سلوك سبيل الحق لرسوخ قدمهم
في الباطل فلا يتوبون بشر المنافقين عند من لا تكون البشارة الا
في السرور فقوله بشر من باب التهكم بان لهم عذابا اليما الذين صفة
للمنافقين او نصب او رفع للذم يتخذون الكافرين اولياء من
دون المؤمنين لان قلبهم معهم ايبتغون عندهم العزة الغلبة
على المؤمنين او يتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا فاين
وجدتها فهو الذي القاها ولا يعز الا من اعزه والفاء لما في الكلام
من معنى الشرط اي ان يبتغوا العزة من هؤلاء فان العزة لله و
ونصب جميعا على الحال وقد نزل عليكم ايها المؤمنون في الكتاب

٢ ومن اتبع الهوى ضل وعدل عن الحق

في القرآن ان اي انه اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها
يكفر حال من آيات الله فلا تقعدوا معهم جواب اذا اي مع من
يكفر ويستهزئ فضمير الجمع راجع الى ما دل عليه يكفر ويستهزئ حتى
يخوضوا في حديث غيره اي حديث غير حديثهم الذي هو كفرهم واستهزاؤهم
فالضمير راجع الى ما دل عليه المعنى او راجع الى الاستهزاء فانه هو
الكفر او الضمير اجري مجرى اسم الاشارة وهذا انكار ما نزل في مكة
واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية انكم اذا مثلهم في الاثم
وانتم قادرون على الاعراض ٧ والمعنى ان عصيانكم مثل عصيانهم
ولهذا لم يقل امثالهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في
جهنم جميعا كما اجتمعوا في المحبة في الدنيا الذين يتربصون بكم
ينتظرون وقوع امر بكم بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين
او مبتدأ خبره قوله فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم
مظاهرين فاسهموا لنا من الغنيمة وان كان للكافرين نصيب
من الظفر فان الحرب سجال سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشأنهم
وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم لانه مقصور على امور دنيوية
والعاقبة للمتقين قالوا للكافرين الم نستحوذ عليكم الاستحواذ الاستيلاء
اي الم نتمكن من قتلكم واسركم وابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين
تقول فلان يمنع الجار اي يحميه ان يضام ولو قال نمنع المؤمنين
منكم لكان خلاف المقصود وحمايتهم بان ثبطناهم عنكم وتخيلنا لهم
ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فالله يحكم بينكم غلب
فيه الخطاب يوم القيمة على ما في بواطنكم ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا في الآخرة او استيلاء في الدنيا على كسر بيضة
الاسلام ان المنافقين يخادعون الله بزعمهم الباطل فيحلفون
يوم القيمة انهم على الاستقامة وهو خادعهم مجازيهم على خداعهم
في الدنيا بامهالهم واستدراجهم في طغيانهم وفي الآخرة بان يعطوا
نورا فاذا مضوا قليلا يطفأ قال تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات
للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم الآية واذا قاموا الى الصلوة

اذا صح ان الرضا بالكفر ... مع عدم الكفر ... حكمه ... (هامش غير واضح)

٧ واو توسطت بين اسم ان وخبرها ولمعناها معنى الشرط تقديره انكم ان قعدتم معهم مثلهم صح

قال صلى الله عليه وسلم لادرس وخرج ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم فقالوا والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا ونحن اهل الحلقة اي الدروع والحصون والحرب مصححه

قاموا كسالى متثاقلين كالمكره يراؤن الناس ليحسبوهم مخلصين
ولا اخلاص صفة كسالى او مستانفة والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل
كنعم وناعم او لان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانهم ولا يذكرون
الله في صلوتهم الا قليلا اي الا ذكرا قليلا قال ابن عباس لو ارادوا
بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا قيل المراد من الذكر الصلوة او معناه
لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا على ندرة مذبذبين بين ذلك
مترددين متحيرين بين الكفر والايمان وقوله لا يذكرون وقوله مذبذبين
حالان عن فاعل يراؤن او واو ولا يذكرون للعطف ونصب
مذبذبين على الذم لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبون الى المؤمنين
ولا الى الكافرين الجملة مستانفة او حالية ومن يضلل الله فلن تجد
له سبيلا الى الهداية يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء
من دون المؤمنين فان مصاحبتهم ومصادقتهم واسرار المودة
اليهم صنيع المنافقين فلا تكونوا مثلهم ومن احب قوما فهو منهم قال
القفال المراد من الكفار المنافقون يعني قد بينت لكم اخلاق هؤلاء
المنافقين فلا تتخذوا منهم اولياء اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا حجة ظاهرة في عقابكم بموالاة الكفار ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار الطبقة التي في قعر جهنم ولن تجد لهم
نصيرا يخرجهم من تلك الطبقة الى الطبقة الاعلى الا الذين تابوا
عن النفاق واصلحوا العمل واعتصموا بالله ووثقوا به والتجأوا اليه
واخلصوا دينهم لله من شوائب الريا فلا يكون عملهم الا لله ولما كان
المنافق متصفا بنقايض هذه الاوصاف من الكفر وفساد العمل
والموالات للكافرين والاعتزاز بهم والمرايات للمؤمنين بشرط
في توبتهم ما يناقض تلك الاوصاف فاولئك مع المؤمنين محشورون
معهم في زمرتهم وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم
في اجرهم حكم بانهم مع المؤمنين لا انهم منهم تنفيرا لما كانوا عليه و
تفظيعا بحال من كان ملتبسا به واخلص الاجر للمؤمنين فيرشح
اجرهم اليهم لرفاقتهم ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم اي

اي شيء يفعل بعذابكم يعني ما يعذبكم ان شكرتم وامنتم لان عذابكم
لا يدفع ضرا ولا يستجلب به نفعا فمن اخرج نفسه عن خساستها المنجلبة
الى المذلة بان شكر وآمن فلا تهان ولا تخذل وقدم الشكر لان
الناظر بادي نظره في النعم يعرف ان لها منعما فيشكر وان لم يعرفه
زيادة معرفة ثم يفضي به الى زيادة نظر في معرفته والتصديق بقدر
ما يجب على العبد ثم يترتب عليه تفاصيل الواجبات العقلية والشرعية
فالشكر المبهم اصل التكليف وكان الله شاكرا يقبل الشكر ويجازيه
عليها بالظاهر والباطن ولما امر عباده بالشكر على اللطف وجه
وقد ثبت ان من لا يشكر الناس لا يشكر الله اخذ يبين موضع
جواز الشكاية عن خلقه فقال لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
الا من ظلم اي الا جهر من ظلم بالدعاء على ظالمه وعند سيبويه يجوز
اعمال المصدر المعرف بالالف واللام وعلى هذا عامل من هو
الجهر من غير حذف اي لا يحب ان يجهر بالسوء من القول الا المظلوم
فانه لا يكره جهره بالسوء وهذا شامل لمن يشتمك فتشتمه بمثله والبادي
اظلم والاصح انها نزلت فيمن ضاف احدا فلم يؤد اليه حق ضيافته
فلما خرج اخبر الناس فرخص الله شكايته رواه عبد الرزاق ومحمد
ابن اسحق وغيرهما عن مجاهد وكان الله سميعا لدعاء المظلوم عليما
بفعل الظالم ان تبدوا خيرا عمل برا او تخفوه او تعفوا عن سوء
يأتيكم من اخيكم فان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على الانتقام وهذا
اشارة الى حث المظلوم على العفو عن ظالمه وان جاز له الشكاية
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض
من الرسل ونكفر ببعض آخر ويريدون ان يتخذوا بين ذلك بين
الكفر والايمان سبيلا وسطا ولا واسطة بين الكفر والايمان اولئك
هم الكافرون الكاملون في الكفر ما نقص ذلك الايمان من كفرهم
شيئا حقا مصدر مؤكد لغيره اي ثابتا يقينا من غير شك واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين

احد منهم في الايمان به لا في التفضيل فقد قال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض وقد مر ان احد يستوي فيه المفرد والجمع
ولذلك جاز دخول بين عليه اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وكان
الله غفورا لذنوبهم رحيما عليهم ومن رحمته ان كل سيئة يجزي
بمثلها وكل حسنة بعشرها الى اضعاف مضاعفة يسألك اهل
الكتاب سؤال تعنت وعناد ان تنزل عليهم كتابا من السماء
اي كتابا جملة كالتورية او صحفا بخط سماوي فقد سألوا موسى اكبر
من ذلك يعني ان استعظمت ما سألوك فقد سألوا موسى اعظم من
ذلك فان التماسهم منك شيء معهود وقع مثله وما سألوا موسى
امر منكر وهذا وان وقع من ابائهم لكن هم تابعون لهديهم فكانه قال
هم ورثوا التعنت من آبائهم وهم عريق في ذلك فقالوا ارنا الله جهرة
اي ارناه عيانا فجهرة مصدر من غير لفظه قيل معناه قالوا ذلك
جهرة لا سرا وخفية كان هذا القول ان صدر عن احد فجدير ان يستحيي
من جهره فاخذتهم الصاعقة نار من السماء بظلمهم بسبب ظلمهم وجرائتهم
وتعنتهم فانهم طلبوا منصبا يستحيل بحالهم ثم اتخذوا العجل الها من بعد
ما جاءتهم البينات المعجزات على ان الله وحده لا شريك له فعفونا
عن ذلك فقبلنا توبتهم ولم نستأصلهم وآتينا موسى سلطانا مبينا
يعني هم بالغوا في العناد معه لكن نصرناه وايدناه بالحجج القواطع وفيه
اشارة الى بشارة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورفعنا فوقهم
الطور عند امتناعهم عن قبول احكام التورية بميثاقهم اي بسبب
ميثاقهم ليقبلوه قيل تقديره بنقض ميثاقهم وقلنا بلسان نبيهم
لهم ادخلوا الباب سجدا متواضعين منحنين وقلنا لهم لا تعدوا
في السبت لا تظلموا في اصطياد السمك فيه واخذنا منهم ميثاقا
غليظا على ذلك فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة للتاكيد والباء متعلق
بمحذوف هو لعناهم وقد جاء مصرحا في قوله فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية او المحذوف فعلنا بهم ما فعلنا
والميثاق المنقوض تركهم العمل بما في كتابهم وكفرهم بايات الله

المعجزات الباهرات وقتلهم الانبياء بغير حق بمجرد عناد وقولهم
قلوبنا غلف في غطاء لا نسمع ما تقول او اوعية للعلم لا تحتاج الى
علم آخر بل طبع الله عليها بكفرهم يعني نعم صدقوا فيما ادعوا من
عدم سماع كلامه لكن لختم الله على قلوبهم بسبب رسوخ كفرهم
او عكس عليهم ما ادعوه من ان قلوبهم اوعية للعلم فلا يؤمنون
الا قليلا منهم والقليل من لا ختم على قلبه او الا ايمانا قليلا غير نافع
كايمانهم ببعض الايات وبكفرهم بعيسى عطف على قوله فبما نقضهم
وقولهم على مريم بهتانا عظيما نسبتها الى الزناء وقولهم انا قتلنا
المسيح عيسى ابن مريم ادعوا قتل نبي اظهر المعجزات الباهرات
وتبجحوا بافتح القبايح رسول الله جاز ان يكون هذا قول الله وضع
الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنه او سموه رسولا استهزاء
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روى النسائي وابن ابي حاتم
عن ابن عباس ان رهطا من اليهود اجتمعوا على قتله فاخبره الله
بانه يرفعه الى السماء فقال لانصاره ايكم يرضى ان يلقى اليه شبهي
فيقتل ويكون معي في الجنة فقال شاب منهم انا فالقى الله عليه
شبهه فقتل وصلب وعلى هذا معناه لكن وقع لهم التشبيه بين
عيسى والمقتول فلهم فاعل شبه وفي رواية ان المقتول منافق
دل اليهود على عيسى فالقى الله شبه عيسى على المنافق بعد ما رفع
عيسى فقتلوه اي شبه لهم من قتلوه فشبه مسند ضمير المقتول
الدال عليه انا قتلنا وان الذين اختلفوا فيه في عيسى قال بعضهم
قتلنا عيسى وقال بعضهم ليس بعيسى وجهه وجهه لكن بدنه غير
بدنه وقال بعضهم ساحر كذاب فقتلنا وقال بعضهم ابن الله
رفع اليه لفي شك منه تردد من قتله ما لهم به من علم الا اتباع
الظن استثناء منقطع يعني لكنهم يتبعون الظن والشك
لما فسرناه بمطلق التردد يشمل الظن ولا ينافيه وما قتلوه يقينا
يقينا بمعنى المصدر تاكيد النفي لا للمنفي وجاز ان يكون بمعنى المتيقن
اسم مفعول اي قتلا متيقنا قيل مصدر في موضع الحال من فاعل

فقتلوه اي متيقنين انه عيسى بل رفعه الله اليه فان السماء محل
ظهور سلطانه وكان الله عزيزا حكيما مدبرا لا يغلب وان من اهل
الكتاب اي ما احد منهم فان نافية والمخبر عنه محذوف قامت صفته
وهي من اهل الكتاب المعاصرين في زمان نزوله عند قيام الساعة
الا ليؤمنن بانه عبد الله ورسوله فيصير الملل واحدة وهي الملة الاسلامية
الحنيفية وقوله ليؤمنن جواب قسم محذوف والقسم وجوابه في موضع
خبر المبتدا الذي هو احد وهذا رد على اليهود ممن قتله وصلبه فاعلم انه
باق حي وسينزل ويؤمن به كل بر وفاجر وقيل ضمير موته للكتابي والمراد
حين الياس لكنه زمان لا ينفعه ايمانه ويوم القيمة يكون عليهم
شهيدا انه بلغ الرسالة مقرا على نفسه بالعبودية فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم اي حرمنا عليهم بسبب ظلم
عظيم صدرت عنهم طيبات موصوفات بانها كانت حلالات
عليهم والمراد انه تعالى علم منهم الظلم فحرم عليهم قبل ما صدر عنهم بعض
ظلمهم فكانه جازاهم على خباثت طبايعهم قال تعالى وحرمنا عليهم كل
ذي ظفر الاية وبصدهم عن سبيل الله كثيرا صدا كثيرا المفعول مطلق
او ناسا كثيرا المفعول به واخذهم الربوا فانه كما قيل حرام في جميع
الاديان وقد نهوا عنه جملة حالية واكلهم اموال الناس بالباطل
بغير جهة شرعية كالرشا واعتدنا للكافرين منهم دون من امن
وتاب عذابا اليما مولم لكن الراسخون في العلم منهم المتقنون
المستبصرون كعبد الله بن سلام واضرابه وقوله لكن في غاية
الحسن لانها داخلة بين نقيضين وجوابهما وهما الكافرون والعذاب
الاليم والمومنون والاجر العظيم والمومنون الظاهر انه اراد
مطلق المومنين منهم ومن غيرهم يؤمنون خبر قوله الراسخون
بما انزل اليك القران وما انزل من قبلك جميع الكتب السماوية
والمقيمين الصلوة نصب على المدح ومثله شايع في فصيح الكلام
والموتون الزكوة رفع على اضمارهم على سبيل القطع الى الرفع
ولا يجوز ان يعطف على المرفوع قبله لان النعت اذا قطع في شيء

مقامه الا ليؤمنن به قبل موته ليؤمنن
بعيسى قبل موت عيسى بعد نزوله من
السماء والمراد ما احد من اهل الكتاب
صح

كلام الزمخشري لا يخلو عن مخالفة الظاهر
منه

منهم لم بعد

منه لم يعد ما بعده الى اعراب المنعوت وهذا القطع لبيان فضل
الصلوة والزكوة والمومنون بالله واليوم الاخر قدم ايمانهم بالقران
والكتب لان المقصود من الاية وصفهم بانهم امنوا بك وبمن قبلك
فان سائر اهل الكتاب امنوا بالله واليوم الاخر لكن لا يؤمنون
بجميع الانبياء اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما انا اوحينا اليك كما
اوحينا الى نوح والنبيين من بعده يعني شانك في الوحي كشان
الانبياء قبلك فالهم والغا دعك واوحينا الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط اولاد يعقوب وعيسى وايوب
ويونس وهرون وسليمان قدم عيسى تحقيقا لنبوته ودفعا لاعتقاد
اليهود وتعظيما له واتينا داود زبورا ختم بذكره لتشريفه بذكر كتابه
ورسلا نصب على مقدر يفسره قوله قد قصصناهم عليك من
قبل في السورة المكية ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى
تكليما اخبر بانه شرف موسى بكلامه واكده بالمصدر دلالة على
وقوع الفعل على حقيقته لا على المجاز رسلا بدل وجملة وكلم الله
اعتراض بين البدل والمبدل منه لتشريف موسى اذ هو مندرج
في قوله ورسلا قد قصصناهم او نصبه على الحال مبشرين بالثواب
للمطيعين ومنذرين بالعقاب للعاصين لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل قوله لئلا متعلق بمقدر اي ارسلناهم
بالبشارة والنذارة او متعلق بمبشرين ومنذرين على طريقة
التنازع وبعد ظرف لحجة واحد المجرورين خبر كان والاخر حال
لا انه متعلق بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وحجتهم ان يقولوا
ما ارسلت الينا من يعلمنا ديننا وكان الله عزيزا حكيما فيما اراد
ودبر لكن الله يشهد استدراك عما فهم من تعنتهم وما روي في سبب
النزول انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا بما انزل
اليك من القران الدال على نبوتك انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه
الذي اراد ان يطلع عباده عليه من صفاته واوامره ونواهيه
او انزله عالما بانه اهل لان ينزل عليه فهو حال اما من الفاعل

او من المفعول والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وكفى بالله
شهيدا وقد اقام الحجج الظاهرة الباهرة على نبوتك ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا فانهم قد جمعوا
بين الضلال والاضلال فقد ضلوا عن طريق الصواب ضلالا لا
لايكاد يرجع الضال الى الطريق المستقيم ان الذين كفروا
وظلموا انفسهم بكتمان ما امروا باظهاره لم يكن الله ليغفر لهم في
هذه العبارة مبالغة في عدم غفرانهم كان غفرانهم منافية لعظمته
ولا ليهديهم طريقا من الطرق الا طريق جهنم فالاستثناء متصل

من قال الهداية الدلالة الموصلة الى البغية فعنده الاستثناء منقطع او متصل على النسخة منه

والمعنى لا يدلهم الى طريق الا الى طريق جهنم خالدين فيها حال مقدرة
ابدا وكان ذلك عدم الغفران والهداء طريق جهنم والخلود فيها
على الله يسيرا فيه تحقير لامرهم وانه سبحانه لا يبالي بهم ولما قرر امر
النبوة واوعد المنكر خاطب الناس بالدعوة فقال يا ايها الناس
قد جاءكم الرسول خاتم الانبياء بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم ايمانا
خيرا لكم او يكن الايمان خيرا لكم او وائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وان تكفروا
فان لله ما في السموات والارض فهو غني عنكم وكان الله عليما
باحوالكم حكيما فيما اراد لكم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم النصارى
تجاوزوا الحد في عيسى بل وفي الاحبار حيث اتخذوا احبارهم اربابا
ولا تقولوا على الله لا تفتروا الا الحق لكن قولوا الحق نزهوه عن
شريك وولد والاستثناء منقطع لان القول اذا استعمل بعلى
فمعناه الافتراء والحق هو القول له وفيه انما المسيح عيسى بن مريم
رسول الله وكلمته اوجده بكلمة كن القاها الى مريم يعني خلقه
بالكلمة التي ارسل بها جبريل الى مريم فنفخ في جيب درعها فنزلت
حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الاب الام صرح بذلك ابن عباس
وغيره والجملة حالية وروح منه صدر منه بغير مادة والاضافة للتشريف
فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة الهتنا ثلثة الله والمسيح ومريم
انتهوا عن التثليث خيرا لكم في نصب خيرا ثلثة اوجه مذهب الخليل
وسيبويه نصب على مقدر او ائتوا خيرا ومذهب الكسائي وابي عبيده

يكن محذوف اي يكن هو خيرا اي الانتهاء ومذهب الفراء انه صفة
لمحذوف اي انتهوا انتهاء خيرا لكم انما الله اله واحد لا تعدد فيه اصلا
سبحانه اسبح سبحانه من ان يكون له ولد له ما في السموات
وما في الارض ملكا وخلقا فلا يماثله شيء حتى يكون له ولد وكفى
بالله وكيلا فلا يحتاج الى ولد فان الولد وكيل والده والله وكيل
لكل شيء لن يستنكف المسيح لن يانف من نكفت الدمع اذا نحيته
عن خدك باصبعك كي لا يرى اثره عليك ان يكون اي من
ان يكون عبد الله فان عبوديته شرف وكونه وجد من غير اب
وبيده احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص يزيد في تخشعه وحاشا
ان عبوديته عار كما قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لم تعيب عيسى بكونه عبد الله ولا الملائكة المقربون اي هو مع

الاية على ما قررنا وهو الظاهر من غير تمحل لا تدل على افضلية الملك نعم دلت على كثرة قوتهم ووصفهم بالمقربين لانهم يزاولون عظائم الامور منه

ماله من الصفات لا يستنكف ولا من ارفع حالا في مثل تلك
الصفات كالمقربين من الملائكة فانهم وجدوا من غير اب وام ولهم
قوة لا تفي بها طاقة البشر والمقربون هم الذين يباشرون عظائم
الامور ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الاستنكاف تكبر مع
انفة والاستكبار يكون بدونها فسيحشرهم اليه جميعا اي مجتمعين
وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فاما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله مما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا
واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله
وليا ولا نصيرا وقد علم ان الله ليس وليهم ولا ناصرهم وقوله
فاما واما تفصيل للمجمل والمجمل مشتمل على ذكر الفريق المستنكفين
وحده لكن ذكر الفريق الاخر مطوي فكانه قال من يستنكف

فالتفصيل يطابق الاجمال بحسب المعنى فافهم منه

ومن يؤمن ويعترف بعبوديته فسيحشرهم اليه جميعا فالتفصيل
تفصيل للمجازات العامة الدال عليها فحوى الكلام يا ايها
الناس قد جاءكم برهان من ربكم حجة قاطعة من الله الذي
رباكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وانزلنا اليكم نورا مبينا

القران الذي هو النور المميز بين الحق والباطل فاما الذين امنوا
بالله واعتصموا به جمع بين مقامي العبادة والتوكل على الله او ضمير
به للنور فسيدخلهم في رحمة منه وفضل يعني رحمة تقتضي النجاة وفضل
يوصلهم الى الدرجات ويهديهم اليه الى الله الى وصله ورؤيته
صراطا مستقيما مفعول يهديهم واليه حال مقدم اي متوجهين
اليه وفي الدعاء المأثور ان ربي على صراط مستقيم فمن سلكه فهو
واصل اليه او صراطا بدل اشتمال من اليه ولما قال واعتصموا
بالقران ومن جملة الاعتصام السؤال عما اشكل عليهم وهذه السورة
مبينة للمواريث وقد استفتوا في الكلالة اختتم السورة في بيانها فقال
يستفتونك اي في الكلالة قل الله يفتيكم في الكلالة لا انه من قياس
واجتهاد وفي الصحيحين انه سأل جابر بن عبد الله رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني مريض ولي كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت
ان امرؤ مرفوع بفعل يفسره ما بعده هلك مات ليس له ولد لا ابن
ولا بنت ولا والد ايضا فان الاخت لا ترث مع الاب وان الكلالة
من لا والد له ولا ولد اعم من ان يكون ابنا او بنتا لان الحكم بتعيين
النصف بطريق الفرضية وهو غير ثابت عند وجود البنت لان الاخت
حينئذ عصبة لا نصيب لها على سبيل الفرضية نعم نصيبها النصف
مع بنت واحدة لكن بطريق العصوبة فليس للتخصيص وجه وقوله ليس له
ولد صفة لا حال فان هلك مفسر غير مقصود بل لا يبعد ان يقال
ليس فيه ضمير لانه مفسر للفعل فقط ولا يجوز ان يكون حالا من امرؤ
لان النحاة مصرحون بان ما يحتمل ان يكون صفة او حالا فقد تعين
انه صفة لا حال كذا قاله المحققون ولان امرؤ نكرة صرفة وتخصيصه
بالحكم المتقدم عليه كما قيل وهم ليس بشيء لانه يلزم الحكم على الشيء قبل
معرفته ولا يكون الحكم الا بعد المعرفة كما حققه صاحب الرضي وله اخت
من الابوين او الاب فان ذكر ولد الام مضى وبين حكمه في اول
السورة فلها نصف ما ترك وهو اي المرء يرثها اي الاخت
ان لم يكن لها ولد اي اذا ماتت الاخت فجميع ميراثها له ان لم يكن

لها ولد اصلا ولا والد حتى تكون كلالة لانها مذكورة في جواب
فتوى الكلالة فان كانتا اي الوارثتان اثنتين من الاخوات
فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك الاخ وان كانوا اخوة ضمير
كانتا وكانوا الى من يرث وتثنيته وجمعه لمكان تثنية الخبر وجمعه
واصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب الذكر رجالا ونساء
فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم الحق كراهة ان تضلوا
والله بكل شيء عليم فيعلم ويأمر بمصالح العباد في المعاش والمعاد والحمد لله

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود العقد العهد
الموثق والوفاء والايفاء هو القيام بمقتضى العهد وهو ما حد في القران
احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود والاضافة بيانية وهي
الابل والبقر والغنم والحق بها الظباء والبقر الوحش الا ما يتلى عليكم
تحريمه وهو مستثنى من بهيمة الانعام وليس ما يتلى من جنسها فلا بد
من تقدير يصير مثل المستثنى منه وهو المضاف اما الى فاعل يتلى
او الى ما يتلى غير محلي الصيد حال من ضمير لكم او من ضمير اوفوا وانتم
حرم حال من ضمير محلي اراد احلت لكم جميع الانعام انسيها ووحشيها
واحلالها على عمومها مختص بحال كونكم غير محلين للصيد في الاحرام
اذ سعة تحريم البعض وهو الوحشي واما ان غير حال من الفاعل
المتروك لاحلت فهو فاسد فقد نص النحاة انه صار نسيا منسيا
فلا يجوز وقوع الحال منه وعند الكوفيين ومن تبعهم من البصريين
ان صيغة المجهول صيغة وضعت اصلا كما وضعت صيغته مبنيا
للفاعل ان الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم حسب ما تقتضيه
حكمته يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله هي ما حرم الله
مطلقا سواء كان في الاحرام او غيره ولا الشهر الحرام الظاهر
عموم الاشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب والمعنى
لا تحلوا بقتال ولا نهب ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة بان تتعرضوا
له ولا القلائد ولا تتعرضوا ذوات القلائد من الهدي خصوصا وهي

ما كانوا يتقلدون به من شجر الحرم ليأمنوا فقيل معناه نهي المؤمنين
عن فعل الجاهلية وعن اخذ القلائد من شجر الحرم ولا آمين البيت الحرام
لا تحلوا منع من قصد البيت الحرام لحج او عمرة وهذه الاربعة مندرجة في
عموم لا تحلوا شعائر الله فيكون تخصيصا بعد تعميم يبتغون فضلا من
ربهم جملة حالية من فاعل آمين وابتغاء الفضل بمثل تجارة ورضوانا
رضى ربهم واذا حللتم من الاحرام فاصطادوا اذن في الاصطياد
بعد الاحرام بعد ذكر تحريم الصيد للمحرم بقوله غير محلي الصيد وانتم حرم
ولا يجرمنكم لا يحملنكم شنآن قوم بغضهم ان صدوكم اي لان منعوكم
عن المسجد الحرام عن دخوله ان تعتدوا اي على الاعتداء والانتقام
ومن فسر لا يجرمنكم بمعنى لا يكسبنكم فهو يتعدى الى اثنين احدهما ضمير
الخطاب والآخر ان تعتدوا اي لا يكسبنكم البغض الاعتداء عليهم
وقراءة ان صدوكم يكون الشرط معترضا بين العامل ومعموله وقوله
لا يجرمنكم اغنى الشرط عن الجواب نزلت حين اراد الصحابة صد
بعض المشركين عن العمرة انتقاما من اصحابهم لما صدوهم عن البيت
بالحديبية وتعاونوا عطف على لا يجرمنكم على البر المامورات والتقوى
عن المنهيات كذا فسره ابن عباس ولا تعاونوا على الاثم المعاصي و
العدوان على الظلم واتقوا الله ان الله شديد العقاب فاتقوا
موجباته مما احل وحرم حرمت عليكم هذا هو الموعود في قوله الا ما يتلى
عليكم الميتة والدم اي المسفوح كما مر في سورة البقرة ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به المشركون يرفعون اصواتهم عند ذبائحهم بقولهم
باسم اللات والعزى والمنخنقة ما ماتت بالخنق والموقوذة من الجاهلية
اماتة ذبائحهم بشيء ثقيل غير محدد والمتردية ما طاح من موضع فمات
والنطيحة مثل شاتين تناطحتا فماتت بالنطح فعيلة بمعنى مفعولة صفة جرت
مجرى الاسماء فالتاء للنقل وما اكل السبع منه الا ما ذكيتم استثناء راجع
للانواع الخمسة فما وجد منها به رمق حيوة مستقرة وذبح فهو حلال
والاستثناء متصل اذا اريد المشرف على الموت باحد من الاسباب
الخمسة واذا اريد موتها بتلك الاسباب كما شرحناه فالاستثناء منقطع

110

وجاز ان يكون الاستثناء راجعا الى النوع الاخير فعلى هذا الاستثناء
متصل وانما ذكر هذه الانواع مع انها داخلة في الميتة لان عرب
الجاهلية اعتقدوا ان هذه الحوادث على المأكول كالذكاة وما ذبح
على النصب جمع نصاب هي حجارة منصوبة حول الكعبة تذبح
اهل الجاهلية عليها وتلطخ بالدماء ويوضع عليها اللحم قطعا ليأكل منه
الناس تقربا الى آلهتهم وان تستقسموا بالازلام اي وحرم الاستقسام
بالازلام جمع زلم وهي السهام قداح مكتوب في بعضها امر ربي و
في بعض نهى ربي وبعضها غفل لا شيء عليه وكانوا اذا ارادوا
سفرا او امرا من معاظم امورهم ضربوا بالقداح ان خرج الناهي امسكوا
وان خرج الآمر مضوا لطلبته وان خرج الغفل اعادوا الضرب
وذكر مع المطاعم لانهم كانوا يوقعون الاستقسام عند البيت نحو الذبح
على النصب ذلكم فسق اي تعاطي ما حرم فسق او الاستقسام فسق
لان فيه استخراج شيء من المغيبات بنوع غير مأذون من الشرع
اليوم المراد الزمان الحاضر يئس الذين كفروا من دينكم من بطلانه
ورجوعكم الى دينهم فلا تخشوهم بعدما اظهرت دينكم واخشوني اخلصوا
الخشية لي والحصر مستفاد عن سبق النهي عن خشيتهم اليوم كان
نزوله يوم عرفة في حجة الوداع فالالف واللام للعهد اكملت لكم دينكم
فلا زيادة بعده واتفقوا على انه لم ينزل بعده حكم من حلال وحرام
واتممت عليكم نعمتي بالهداية واكمال الدين ورضيت اخترت لكم الاسلام
دينا من بين الاديان فلا اسخط ابدا وقوله دينا تمييز او حال فمن
ادعى عملا محدثا ليس عليه الكتاب والسنة فما هو الا شيطان مريد
يريد اغواء عباد الله ويكذب كتاب الله ويستحق عقابه فمن اضطر
الى تناول شيء من المحرمات وهو متصل بذكر المحرمات وما بينهما من
قوله اليوم يئس الى قوله دينا اعتراض في مخمصة في مجاعة تخمص فيها
البطون اي تضمر غير متجانف لاثم غير مائل الى معصية فلا يأكل
متجاوزا حد الرخصة للشبع والتلذذ فان الله غفور رحيم حيث رخص
غفور ان فرط سهوا يسألونك سألوا ان الله قد حرم الميتة فماذا

يحل لنا ماذا احل لهم ماذا مبتدأ وكلمة استفهام واحل لهم خبره والجملة
فى موضع نصب بيسألون على اسقاط حرف الجر ولما كان فاعل
يسألون ضمير غائب قال احل لهم بضمير الغائب ولو قال لنا لكان حكاية
عما قالوا كما يقال اقسم زيد ليضربن ولاضربن فان لاضربن يقتضى
حكاية الجملة المقسم عليها وهذا من باب التعليق نحو سلهم ايهم بذلك زعيم
وقد نص النحاة على ان فعل السؤال يعلق وان لم يكن من افعال
القلوب لانه سبب للعلم فكما يعلق العلم فكذلك سببه قل احل لكم
الطيبات اى الذبايح الحلال او ما تستطيبه العرب من غير ورود
نص بحرمته والجملة لما كانت فعلية والسؤال اسمية فهى جواب عنها
بحسب المعنى لا على اللفظ وما علمتم من الجوارح الجوارح الكواسر من طير
كصقر او من سباع ككلب عطف على الطيبات بتقدير اى احل لكم
اكل صيد ما علمتم من الجوارح او ما شرطية والجواب قوله فكلوا ولا اضمار
فيه مكلبين حال كونكم معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح
والتأديب اكثر ما يكون فى الكلب فاشتقت من لفظه والغالب من صيدهم
ان يكون بالكلاب وذكر مكلبين بعد قوله وما علمتم للمبالغة فى التعليم
تعلمونهن استيناف مما علمكم الله من طرق التأديب وثانى
مفعولى علمتم وتعلمونهن محذوف تقديره وما علمتموه طلب الصيد لكم
تعلمونهن ذلك والظاهر ان صيد ما لم يعلم حرام اكله ان قتله فكلوا
مما امسكن عليكم وان اكل منه شيئا كما قاله على وابن عباس وقال
كثير من السلف علامة الامساك عليكم ان لا تاكل منه فان اكل منه
شيئا ولم يدركه صاحبه حيا فيذبحه فهو حرام واذكروا اسم الله عليه
على ما علمتم عند ارساله الى الصيد وفى الحديث اذا ارسلت كلبك
وذكرت اسم الله فكل وهذه التسمية على الندب عند الاكثرين وعند
الامام احمد شرط لحليته قيل الظاهر عود الضمير الى المصدر المفهوم من
قوله فكلوا اى على الاكل واتقوا الله لما تقدم ذكر ما حرم واحل
من المطاعم امر بالتقوى فان التقوى يمسك عن الحرام وعلل الامر
بالتقوى بقوله ان الله سريع الحساب وعيد لمن خالف التقوى يوم القيمة

فانه سريع

فانه سريع اتيانه والحساب وان كثر ففى ساعة والجزاء مرتب اليوم
احل لكم الطيبات تاكيد للجملة التى قبلها ولما يعطف عليها من قوله
وطعام الذين اوتوا الكتاب يعنى ذبايح اهل الكتاب حل لكم
والمراد المتصلون من اهل الكتاب لا من تهود وتنصر من العرب
وغيرهم وطعامكم حل لهم بمعنى يحل لكم ان تطعموهم فالخطاب
مع المسلمين حقيقة لان اهل الكتاب كفار فى زماننا لا يامرون
بحلال وحرام والمحصنات اى واحل لكم نكاح المحصنات الحرائر
العفائف من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم عند اكثر السلف لا يجوز تزوج الذمية الزانية وعن ابن
عباس لما نزلت لا تنكحوا المشركات حتى تؤمن اجتنب الناس عنهن
الى ان نزلت والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب فنكح الناس
نساء اهل الكتاب اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن واستنبط
العلماء من هذا انه لا ينبغى دخول زوج بزوجته الا بعد بذل مهرها
ومن جوز دون بذلها راى حكم الالتزام حكم البذل محصنين
اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذى اخدان
يعنى ولا مسرين بالزنا والخدن الصديق ولا عيب فى الجاهلية اتخاذ
الخدن وسياق الكلام سنتوفيه ان شاء الله فى قوله تعالى الزانى
لا ينكح الا زانية او مشركة ومن يكفر بالايمان اى بشرايع الايمان او
بالله الذى يجب الايمان به فقد حبط عمله ان مات على الكفر فعمله
ضايع وهو فى الاخرة من الخاسرين بتضييع راس ماله افتتح
بالامر بايفاء العقود وذكر تحليلا وتحريما فى المطعم والمنكح اللذين هما
راس المستلذات الجسمية استطرد منها الى المعاملات الاخروية و
ابتدا بالطهارة فقال يا ايها الذين امنوا اذا قمتم اردتم القيام
الى الصلوة محدثين والدال على هذا مقابلته بقوله وان كنتم جنبا
كانه قال ان كنتم محدثين الحدث الاصغر فاغسلوا هذه الاعضاء و
وان كنتم محدثين الحدث الاكبر فاغسلوا جميع الجسد قيل الامر
شامل للمحدثين على الايجاب وللمتطهرين على وجه الندب فاغسلوا

وجوهكم الفاء دال على ان اول واجب في الوضوء غسل الوجه
وايديكم الى المرافق اذا لم يقترن بما بعد الى قرينة دخول او خروج
فاكثر المحققين الى انه غير داخل فاذا اشتريت المكان الى الشجرة فلا
فلا يكون الشجرة من المشتري الا بنوع مجاز لكن الجمهور على وجوب دخول
المرفقين في المغسول لقرينة او ليقين الخروج من عهدة الامر وامسحوا
برؤسكم المسح وان كان متعديا بنفسه لكن دخل الباء لتضمين معنى
الالصاق وقال بعض المحققين لا يقال مسحت برأسه الا ان يكون
بين اليد والراس شي مثل دهن او ماء واما الراس فهو اسم لتمام
هذا العضو لكن اذا قلت مثلا كسرت رأسه لم يتبادر منه كسر جميع رأسه
بل المتبادر ان المسمى بالراس وقع عليه كسر فكذلك مسحت وارجلكم
الى الكعبين من قرأ وارجلكم بالجر فعطف على رؤسكم ومن قرأ بالفتح
فالظاهر انه عطف على محل برؤسكم لا على وجوهكم لان فيه الفصل
بين المتعاطفين بجملة انشائية وقراءة الجر تاباه واما حكاية جر الجوار
فبعيد مع ان جر الجوار ان وقع في فصيح فهو بدون الواو فظاهر القرآن
المسح ونعم ما حققه الزمخشري ان الرجل من الاعضاء المغسولة
مظنة اسراف الماء فعطف على الممسوح تنبيها على وجوب الاقتصاد
في صب الماء فان المسح والغسل متقاربان فسهل عطف احدهما
على الاخر نحو متقلدا سيفا ورمحا فعدل الى هذا المجاز للايجاز وقرينة
المجاز انه جي بالغاية الى الكعبين فان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة
والمراد فاغسلوا ارجلكم غسلا خفيفا واختصر بعطفه على الممسوح وفي
باب التيمم فامسحوا بوجوهكم وجوب استيعاب جميع الوجه بالتراب
فالمسح بالماء في الارجل كذلك والاحاديث الصحاح التي قاربت التواتر
على وجوب الغسل والوعيد على تركه فالقول ما قالت حذام وان
كنتم جنبا فاطهروا لما ذكر الطهارة الصغرى عقب بالطهارة الكبرى
والظاهر ان الجنب مامور بالاغتسال ولهذا قال ابن مسعود
لا يتيمم الجنب البتة بل يدع الصلوة حتى يجد الماء والجمهور على انه يتيمم
ونقل انه رجع الى ما عليه الجمهور للحديث وان كنتم مرضى او على سفر

او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه قد مر تفسير الاية في سورة
النساء الا ان في هذه الاية زيادة منه وهي دال على ان يمسح بعضه
فلا تيمم بصخر لا تراب عليه ولعل فائدة التكرار بيان انواع الطهارة
هنا ايضا ما يريد الله ليجعل عليكم بما فرض من الغسل والوضوء والتيمم
من حرج ضيق ولكن يريد ليطهركم من الاحداث والذنوب وليتم
نعمته عليكم ببيان ما هو مطهر للابدان والقلوب لعلكم تشكرون
نعمتي فازيدها عليكم قد كثر في لسان العرب تعدي لفظ الارادة
باللام كهذه الاية ونحو امرت لاسلم وقول الشاعر اريد لانسى
ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل طريق فهذه اللام يجوز ان يؤتى بعدها
ان وان يكتفى بها دون ان وان يؤتى بان وحدها نحو وامرت
ان اسلم هذا هو التحقيق واذكروا نعمة الله عليكم قديما وحديثا دينية
ودنيوية وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا ما اخذه النبي
صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة وبيعة الرضوان حين
بايعوه على السمع والطاعة في منشطهم ومكرههم واتقوا الله سيما في
نقض عهده ان الله عليم بذات الصدور بخفياتها فضلا عن
جلياتها يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله قائمين بالحق لله
لا للرياء شهداء بالقسط بالعدل لا بالجور وهذا الكلام ولو على انفسكم
او الوالدين ولا يجرمنكم يحملنكم يقال جرمني كذا على بغضك
اي حملني شنآن قوم اي عداوتهم على ان لا تعدلوا بل الزموا
العدل مع العدو والصديق اعدلوا نهاهم اولا ان تحملهم الضغائن
على ترك العدل ثم امرهم ثانيا به تاكيدا ثم استانف فذكر وجه
الامر بالعدل فقال هو اقرب للتقوى ضمير هو للمصدر اعدلوا اي
العدل اقرب للتقوى فان التقوى كمال الطاعات ونهايتها
والعدل انسب الطاعات اليها واقربها من جهة الكمال او كان
اقرب اجزاء الوسيلة اليها بمنزلة الجزء الاخير من العلة واستعمال
افعل التفضيل في محل ليس في الجانب الاخر منه شي غير عزيز

في كلام الفصحاء قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا
واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون لما كان الشنآن محله القلب وهو
الحامل على ترك العدل امر بالتقوى واتى بصيغة خبير الذي هو مختص
بما لطف ادراكه لمناسبته بالصفة القلبية وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات الجنة لهم مغفرة واجر عظيم هذه الجملة مفسرة لثاني
مفعولي وعد تفسير السبب للمسبب فان الجنة مرتبة على الغفران وحصول
الاجر او ثاني مفعوليه متروك كانه قال قدم لهم وعدا ثم كان قائلا يقول
اي شيء وعده لهم فقال لهم مغفرة واجر عظيم او الجملة مفعول وعد باعتبار
الحكاية على طريقة وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم لا ينفكون عنها لما ذكر
مالمن آمن ذكر مالمن كفر يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم
اذ متعلق بنعمة الله قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل فكف ايديهم عنكم
رد مضرتها واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون عن ابن عباس
اراد قريش حين اشتغال المؤمنين بصلوة العصر ان يكبوا عليهم فاخبرهم
جبرئيل وجاء بصلوة الخوف او اليهود صنعوا طعاما فيه سم فاوحى الله
بشانهم وقيل في هذا امور اخر ولما امر الله المؤمنين بالوفاء بعهده وامرهم
بالحق والعدل وذكرهم نعمه شرع يبين لهم كيفية اخذ العهود على من كان
قبلهم وطردهم ولعنهم لما نقضوها ليتعظ المؤمنون فقال ولقد اخذ الله
ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا لما هلك فرعون واستقر
المصر لبني اسرائيل امرهم بالمسير الى ارض الشام وللجهاد مع سكانها وهم
الجبابرة وامر موسى بان يأخذ من كل سبط نقيبا كفيلا على قومه بالوفاء
على ما امروا فاختار موسى اثني عشر نقيبا واخذ الميثاق على بني اسرائيل
وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنوا ارض الشام بعث النقباء لتجسس
حال الجبابرة فرأوا اجراما عظيمة واجساما جسيمة وشوكة فرجعوا ونهى اكثرهم
قومهم عن الجهاد وخوفوهم مع ان موسى نهاهم عن ان يحدثوهم باخبار
الجبابرة وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اي والله لئن اقمتم الصلوة
وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي بجميعهم وعزرتموهم عظمتموهم واقرضتم الله قرضا

روى ابن ابي حاتم عن ابن عباس
منه

حسنا

حسنا بان تنفقوا في الخيرات ونصب قرضا بالمصدر كانبتها نباتا
او بالمفعول الثاني لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من
تحتها الانهار لاكفرن جواب للقسم وجواب الشرط محذوف قيل لاكفرن
جواب لقوله ولقد اخذ الله ويكون قوله وبعثنا وقوله وقال الله في
موضع الحال او جملتي اعتراض وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب
القسم عليه فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل صراط
الحق والضلال بعد الميثاق اعظم واقبح كالذنب بعد التوبة فبما نقضهم
زيدت ما للتأكيد ميثاقهم لعناهم ابعدناهم عن رحمتنا وجعلنا قلوبهم
قاسية يابسة غليظة لا تؤثر فيها المواعظ وقراءة قسية بمعنى مغشوشة
نحو درهم قسي من القسوة فان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين
والمغشوش فيهما يبس وصلابة يحرفون الكلم كلام الله جملة مستأنفة
عن مواضعه يبدلون نعت محمد صلى الله عليه وسلم او يأولون آيات
التورية بسوء تأويل ويكتبون سوء تأويلهم تحت الآيات ونسوا حظا
مما ذكروا به تركوا نصيبهم من التورية فلم يعملوا بها ولا تزال يا محمد تطلع
على خائنة منهم خيانة وعذر مصدر كالعافية او صفة لنفس يعني هذا
دأبهم وعادة آبائهم من خيانة الرسل وقتلهم الانبياء فهم لا يزالون يخـ
يخونونك ويظاهرون عليك اعداءك الا قليلا منهم استثناء
من ضمير منهم كعبد الله بن سلام فاعف عنهم واصفح اعرض عنهم بعد
اخذ الجزية ان الله يحب المحسنين ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قتلتم فاحسنوا القتلة يعني لا تدعوا الاحسان في شيء حتى في القتل
ومن الذين قالوا انا نصارى سموا نصارى لانهم من قرية بالشام
تسمى ناصرة وظاهر سوق العبارة مشعر بان هذا الاسم من عند انفسهم
وزعمهم انهم انصار الله واما من قال نحن انصار الله فهم الحواريون
وهم مؤمنون حقا وليس منهم الاختلاف وجاء الاختلاف ممن يدعي
تبعيتهم اخذنا ميثاقهم كما اخذنا من اليهود ومن متعلق باخذنا والجملة عطف
على ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وضمير ميثاقهم عائد على الموصول
فنسوا حظا نصيبا وافيا مما ذكروا به من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم

فاغرينا الصقنا واوقعنا بينهم الظاهران يكون بين النصارى وهم
فرق بينهم العداوة الدائمة العداوة والبغضاء البغضاء كمال العداوة
الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بصنيع شنيعهم
وهذا تهديد ووعيد شديد يا اهل الكتاب الخطاب لليهود والنصارى
قد جاءكم رسولنا محمد صلوات الله وسلامه عليه يبين جملة حالية لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب كاية الرجم وبشارة عيسى باحمد ويعفوا
عن كثير لا يتعرض لكثير مما اخفيتموه ولمعايبكم وخياناتكم قد جاءكم من الله
نور هو القران او من انزل اليه القران وكتاب مبين يهدى به بالنور
والكتاب المبين فانهما واحد الله من اتبع رضوانه من اتبع رضاه من
سبل السلام يهديه طرق السلامة والنجاة ويخرجهم من الظلمات
الكفر الذى هو ظلمة فوق ظلمة الى النور اى الايمان فانه نور لا ظلمة فيه
باذنه بارادة الله وتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم عليه الرب
سبحانه كما ورد ان ربى على صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح بن مريم اليعقوبية من النصارى قالوا المسيح هو الله قل فمن
يملك الفاء عطف على محذوف نحو كذبوا من الله شيئا من يستطيع
رد شئ من ارادته يقال لا املك راس البعير اذا لم تستطعه ان اراد
ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا ومن عطف على
المسيح عطف العام على الخاص فكل من المسيح وامه مذكور مرتين مرة
بالتصريح ومرة بالعموم ومن فى فمن يملك استفهامية بمعنى النفى قيل
فائدة عطف هذا العام الدلالة على انهما من جنس من فى الارض
لا تفاوت بينهما وبينهم فى ان الكل مقهور تحت حكمه وقدرته قابل
للفناء ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء من غير
اصل ومادة ولا اب ولا ام والله على كل شئ ممكن قدير وقالت
اليهود والنصارى نحن ابناء الله فيه لف وايجاز اى قالت
اليهود نحن ابناء الله عن نفسها خاصة وقالت النصارى عن
نفسها كذلك يعنى هو الله سبحانه لنا كالاب فى العطوفة
وقيل عند اليهود عزير ابن الله وعند النصارى عيسى ابن الله

قيل معناه ويعفو عن كثير منكم
فلا يواخذهم بالجريمة منه

اذا كان المراد بالنور القران والا فهما
فى حكم شئ واحد منه

فجمع

فجمع الابن للابن واشياعه كقول اقارب الملك نحن الملوك واحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم فى الدنيا والاخرة والحبيب لا يعذب محبوبه سيما
اقبح تعذيب كمسخ وخسف والوالد لا يعذب ولده بل يؤدبه من غير اهانة
بل انتم بشر ممن خلق كساير المخلوقات والبشرية والحدوث يمنعان
البنوة فان القديم لا يلد بشرا والاب لا يخلق ابنه يغفر لمن يشاء غفرانه لمن
آمن بالرسل ويعذب من يشاء تعذيبه لمن مات على الكفر فلا مزية لكم
على ساير خلقه ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير فيجزى
المحسن والمسيء يا اهل الكتاب عام لكل كتابى قد جاءكم رسولنا محمد صلى
الله عليه وسلم يبين لكم مفعوله محذوف اى ما تخفونه كما فى الاية التى مر
او من باب الاكتفاء من غير ان يقصد تعلقه بمفعول اى يكون منه
التبيين ويبين جملة حالية على فترة من الرسل اى جاء على حين فتور
من الوحى فعلى فترة متعلق بجاء تعلق الظرفية نحو واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان ان تقولوا اى كراهة ان تقولوا ما جاءنا من بشير
ولا نذير من بشير زيادة من للاستغراق فاعل جاء فقد جاءكم يعنى لا تعتذروا
فقد جاءكم بشير ونذير من هو موصوف بالصفتين اللتين هما لكل نبى
والله على كل شئ قدير فقادر على ارسال الرسل تترى وعلى الارسال على
فترة واما الفترة بين احمد وعيسى صلوات الله عليهما وسلامه خمسمائة و
ستون وقيل سبعمائة وقيل غير ذلك وذكر ابن سعد فى الطبقات
عن ابن عباس والزمخشرى عن الكلبى ان الفترة بين موسى وعيسى الف
وسبعمائة سنة ولما ذكر تمردهم وكذبهم بذكر تمرد اسلافهم على موسى مع
تذكيره اياهم نعم الله حتى لا يطمع محمد عليه الصلوة والسلام فى اخلاصهم فقال
واذ قال اى واذكر اذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
اذ جعل ظرف نعمة الله فيكم انبياء كلما هلك نبى قام فيكم نبى من لدن
ابرهيم وجعلكم ملوكا اى جعل منهم ملوكا فالامتنان بان منهم سادة الدين
وقادة الدنيا قيل ملكوا انفسهم بعد ما كانوا مملوكين فى يد القبط واتاكم ما
لم يؤت احدا من العالمين من الفضل والشرف يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة بيت المقدس او الشام فانه مقر الانبياء التى كتب الله لكم وعدكم بها

علی لسان ابیکم اسرائیل وانه وراثة من آمن منکم ولا ترتدوا علی ادبارکم
لا ترجعوا مدبرین خوفا من الجبابرة وجاهدوهم فانتم الاعلون فتنقلبوا
خاسرین ثواب الدارین قالوا یا موسی ان فیها قوما جبارین متغلبین
اقویاء وانا لن ندخلها حتی یخرجوا منها بسبب من الاسباب فان یخرجوا
منها فانا داخلون هذا القول علم من الاول لکن صرحوا لکی لا یطمع موسی
فی جهادهم بوجه قال رجلان عن ابن عباس وغیره انهما یوشع بن
اخت موسی وکالب ختن موسی علی اخته مریم بنت عمران وهما من
النقباء الکاتمین ما اطلعا علیه من حال الجبابرة من الذین یخافون
امر الله وعقابه قیل هما کانا من الجبابرة اسلما واتبعا موسی فمعناه
یخاف بنو اسرائیل منهم فضمیر الفاعل لبنی اسرائیل وضمیر الموصول محذوف
ای یخافونهم انعم الله علیهما بالثبات والعصمة صفة بعد صفة لرجلان
ادخلوا علیهم الباب ازحفوا الیهم من باب قریتهم فاذا دخلتموه
فانکم غالبون لما جربنا ضعف قلوبهم ولتیقن انجاز وعد الله فی
نصرة نبیه وعلی الله فتوکلوا ان کنتم مؤمنین الفاء جواب امر محذوف
تقدیره وتنبهوا فتوکلوا علی الله وعلی الله متعلق بتوکلوا وکثیرا یاتی
معمول ما بعد الفاء متقدما علیها لما رایا بنی اسرائیل قد عصوا فی
الاقدام علی الجهاد مع وعد الله فی قوله کتب الله لکم استرابا فی ایمانهم
فقالا ان کنتم مؤمنین قالوا یا موسی انا لن ندخلها ابدا التعلیق للنفی
المؤکد بابد الابدین ما داموا فیها ما مصدریة ظرفیة ای مدة دوامهم
فیها بدل بعض من ابدا فاذهب انت وربک فقاتلا الجبارین انا
ههنا قاعدون التقیید بههنا مشعر بان مرادهم حقیقة القعود لا
القعود عن الحرب فالظاهر انهم قصدوا ذهابه مع الله لمقابلة ذهابهما
بقعودهم وما ذلک الا لجهلهم وسفههم فانهم مجسمة روی البخاری فی
المغازی والامام احمد والنسائی قال الصحابة یوم بدر لا نقول کما
قالت بنو اسرائیل بل نقول اذهب انت وربک انا معکم مقاتلون
قال رب انی لا املک الا نفسی واخی لما رای موسی تمردهم وسوء
ادبهم وکفرهم مع الله ولم یبق معه من یثق به الا هرون بث الحزن

الی الله والشکوی الیه وقوله واخی عطف علی نفسی یعنی املک
امر نفسی وامر اخی والباقی متمردون عنی وکانه علیه السلام ما اعتد
بالرجلین المؤمنین کما روی عن علی کرم الله وجهه انه خطب فی الکوفة
مستنجدا علی قتال الشام فلم یجبه الا رجلان فقال این تقعان مما اریده
فافرق بیننا وبین القوم الفاسقین اقض بیننا وبینهم بما نستحق
او خلصنا من صحبتهم فالفرق علی الاول حکمی وعلی الثانی مکانی و
ومبنی الوجهین علی ان موسی هل کان معهم فی التیه ام لا کما ان
مبنی تعلق اربعین سنة بمحرمة او بیتیهون علی ان التحریم کان موقتا
حتی دخلوها بعد الاربعین او مؤبدا حتی لم یدخلها الا النواشی من ذریاتهم
قال الله فانها الارض المقدسة محرمة علیهم دخولها اربعین سنة
ظرف لمحرمة فالتحریم موقت یتیهون یسیرون متحیرین فی الارض
قیل اربعین سنة ظرف لیتیهون قدم علیه فعلی هذا التحریم ارض المقدسة
علیهم ابدی وعن کثیر من السلف ان موسی وهرون ماتا فی التیه
والتیه رحمة وروح لهما ونکال وعذاب للجمیع الا یوشع وکالب وکل
من دخل التیه من بنی اسرائیل مات فیه ویوشع سار باولادهم و
وفتح الشام والتیه خرق عادة لقالوا عرضه وطوله ثلثون فرسخا
وکانوا اذا ساروا جمیع اللیل اصبحوا فی المکان الذی رحلوا منه دل
فلا تاس لا تحزن علی القوم الفاسقین ای علی عذابهم فانهم مستحقون
لما عاملناهم فهذا التسلیة لموسی ولما کان من آخر کلامهم لموسی اذهب
انت وربک وهذا من جبنهم وعدم وثوقهم بقول الله وفی قصة
ابنی آدم جسارة عظیمة فقابیل اول عاص بتلک المعصیة التی
لم تعهد وبنو اسرائیل اول من خاطب رسولهم بهذا القول الشنیع
عقب قصتهما بقصتهم فقال واتل یا محمد علیهم علی معاصریک
من بنی اسرائیل نبا ابنی آدم هابیل وقابیل بالحق تلاوة ملتبسة
بالصدق او حالا من نبا اذ قربا قربانا اذ ظرف نبا فنبه معنی الفعل
وفی الاصل مصدر وان کان هو الخبر المتلو المسموع واما انه بدل
من نبا بحذف مضاف ای نبا اذ لیصح کونه متلوا والا فنجرد الظرفیة

كاف في الابدال لحصول الملابسة فقيل غير جائز لان بنا ليس بزمان
ولا يضاف الى اذ الا الزمان وقربانا في الاصل مصدر ولذلك لم يثن
او المراد قرب كل واحد منهما قربانا وهو اسم لكل ما يتقرب به الى الله من
ذبيحة وغيرها فتقبل من احدهما هو هابيل ولم يتقبل من الاخر قابيل كانت
علامة قبول الصدقة نارا تاكلها ولم يكن في زمنهما مسكين ياخذها فقرب
هابيل خير غنمه فاكلته النار وقرب قابيل ابغض زرعه فلم تاكله النار فحسد
قابيل اخاه قال قابيل والله لاقتلنك قال هابيل انما يتقبل الله من المتقين
ومن لم يرض بفعل الله لم يكن متقيا له وما اتيت الا من قبل نفسك بترك
التقوى لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك
لا اقابلك على صنيعك الفاسد بمثله ولام لئن موطئة للقسم وجوابه
قوله ما انا بباسط وليس جوابا للشرط لانه وجب الفاء في جواب الشرط اذا كان
منفيا بما الا اذا كانت الاداة ليست من الجوازم نحو واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
ما كان حجتهم الا ان قالوا والقاعدة النحوية انه اذا اجتمع قسم وشرط فالجواب
للسابق منهما اذا لم يتقدمهما ذو خبر اني اخاف الله رب العالمين قيل
كان هابيل اشد واقوى لكن منعه الورع اني اريد ان تبوء باثمي اي باثم
قتلي واثمك الذي عملته من قبل فلم يتقبل من اجله قربانك او معناه
ان ترجع بذنوبي الصادرة عني ففي الخبر الصحيح ان يؤتى الظالم والمظلوم
فيؤخذ من حسنات الظالم فيزاد في حسنات المظلوم حتى ينتصف فان
لم تكن له حسنات اخذ من سيئات المظلوم فتطرح على الظالم وهذا معنى
السيف محاء للذنوب فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين
قال ابن عباس خوفه بالنار فلم ينته ولم ينزجر فهذا من هابيل موعظة لاخيه
وقيل هو يعلم ان اخاه ظالم وهو قاتله بعد حلفه في قوله لاقتلنك وارادة
جزاء الظالم حسن قيل لعله قصد بهذا ان ذلك ان كان لا محالة
واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمقصود بالذات ان لا يكون له
لا ان يكون لاخيه فطوعت له نفسه قتل اخيه فعل من الطوع وهو
الانقياد واصله طاع له قتل اخيه ثم عدي بالتضعيف والمعنى ان القتل
في نفسه مستصعب عظيم على النفوس فردته نفسه اللجوج الامارة بالسوء

طائعا وانقادت له فقتله فاصبح فصار من الخاسرين ثبت في الحديث ما قتلت نفس
ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل منها وذلك لانه سن القتل
فبعث الله غرابا يبحث في الارض لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع
فبعث الله غرابا الى غراب ميت فحفر له بمنقاره ورجليه والقاه فيها
والبحث في الارض نبش التراب واثارته والغراب مما يتشاءم به العرب
ليريه اي بعث ليريه الغراب او الله كيف يواري سوءة اخيه السوءة
العورة واراد بها الجسد فانه يستقبح ان يرى ونصب كيف بيواري
والجملة الاستفهامية في موضع ثاني مفعولي يريه بمعنى ليعلمه والمواراة
الستر قال يا ويلتى هذا اوانك فاحضري فهي كلمة جزع والالف بدل
من ياء المتكلم والويل الهلاك اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب
الاستفهام للانكار والنفي اي لا اعجز عن ان اكون مثله وفيه هضم لنفسه
واستصغار لها فاواري سوءة اخي عطف على اكون فاصبح من
النادمين على قتله قيل اسود جسده وتبرأ منه ابواه وقبله جملة محذوفة
اي فوارى سوءة اخيه فاصبح واما حكاية ان المقرر انه يولد لآدم في
كل بطن ذكرا وانثى وحكم الله ان يزوج انثى هذا البطن لذكر البطن
الاخر وكانت اخت هابيل دميمة واخت قابيل جميلة فاراد ان يستاثر
بها على اخيه فابى آدم ذلك وامرهما بالقربان فمن تقبل منه فهي له
فتقبل من هابيل فحسده فحكاية اسرائيلية وعبارة ابن عباس دال
على ان قربانهما لا عن سبب فلهذا اتعرضنا بظاهر ما في القران من
اجل ذلك من ابتدائية متعلقة بقوله كتبنا اي ابتداء الكتب ونشأ بسبب
قتله على بني اسرائيل اي قضينا وحكمنا عليهم فانهم اول امة نزل فيهم
الوعيد للقتل وغلظ عليهم الامر بسبب طغيانهم وسفكهم الدماء وهم مع
ذلك لا يرتدعون حتى قتلوا الانبياء وهموا بقتل النبي المصطفى صلوات
الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين قيل من اجل متعلق بالنادمين اي
صاروا نادمين بسبب القتل وقوله كتبنا مستانفة انه من قتل نفسا بغير
نفس اي بغير قتل نفس يوجب القصاص او فساد في الارض
عطف على مضاف محذوف في قوله بغير نفس اي بغير قتل نفس او بغير

فسادا كقطع الطريق وقطع الاشجار وقتل الدواب وحرق الزرع
لا للضرورة فكانما قتل الناس جميعا فان من استحل دم مسلم فكانما استحل
دماء الناس او لانه يقتل قصاصا او جزاؤه جهنم كما لو قتل الجميع وفي
الاثم والوزر فيكون تعظيم القتل وضمير انه للشان ومن شرطية وجزاؤه
فكانما والجملة في موضع خبر انه ومن احياها حرم قتلها وكف عنها او انجاها
عن هلكة فكانما احيى الناس جميعا فكانما حرم قتل جميع الناس وفي
الاجر والثواب والمقصود تعظيم القتل والاحياء في القلوب
ولقد جاءتهم بني اسرائيل رسلنا بالبينات المعجزات الظاهرات
على صدقهم ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك بعد مجي الرسل بالبينات لمسرفون
مجاوزون الحد في المعاصي وعدم اتباع الرسل ومنهم في موضع
الصفة لكثيرا وبعد ظرف لمسرفون ولما ذكر تغليظ الاثم في القتل
والفساد في الارض اتبعه ببيان الفساد في الارض الذي يوجب
القتل فان بعض الفساد لا يوجبه فقال انما جزاء الذين يحاربون
الله ورسوله بمعنى يحاربون اولياءهما من قاطع طريق وغيره
وفيه مبالغة شديدة ويسعون في الارض الظاهر العموم سواء
كان في الامصار او الطرق فسادا مفعول له ليسعون او حال
بمعنى مفسدين اي يريدون في الفساد او مصدر فان يسعون
في الارض معناه يفسدون وهو كابنته نباتا حيث لم يقل افسادا
والافساد نوع من الفساد ان يقتلوا من غير صلب او يصلبوا
عند ابي حنيفة ومالك يصلب حيا ويطعن حتى يموت ان قتل
واخذ المال وقال غيرهما يقتل ثم يصلب لعبرة الغير وعليه الشافعي
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف الايدي اليمنى والارجل اليسرى
ان اخذوا المال من غير قتل او ينفوا من الارض ان اقتصروا على
الاخافة والنفي ان يطلبهم الامام ليقام عليهم الحد او يهربوا وظاهر ان
ان الامام مخير بين ايقاع ما شاء منها بالمحارب في اي رتبة كان المحارب
وكان تفسير النفي بما قدمنا على هذا الظاهر وهذا قول كثير من السلف
او المراد من النفي السجن الدائم او ينفى من بلد الى بلد وهكذا او قال جماعة

فرعا من دار الاسلام صح

منهم ابن عباس

ابن عباس لكل رتبة من الحرابة رتبة من العقاب فيكون او للتفصيل
لا للتخيير فمن قتل يقتل ومن اخذ المال من غير قتل يقطع من خلاف
ومن اخاف فقط فالنفي ومن جمعها قتل وصلب والقائلون بهذا
الترتيب اختلفوا واختلافهم مسطور في فقههم وفي سبب نزول الاية
اختلاف فقال ابو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه انها نزلت
في جماعة مرضوا في المدينة فداواهم رسول الله من البان الابل وابوالها
فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله واستاقوا الابل فلما اخذوا قطع ايديهم
وارجلهم وسمر اعينهم ثم القوا في الرمضاء حتى ماتوا وفي صحيح مسلم انهم سمروا
اعين الرعاء فكان ما فعل بهم قصاصا ذلك لهم خزي فضيحة في الدنيا
ولهم في الاخرة عذاب عظيم ظاهره الجمع للمحارب بين عقاب الدنيا
وعذاب الاخرة تغليظ للمحاربة والجمهور على ان من اذنب ذنبا عوقب
في الدنيا فهو كفارة له وليس له عقاب الاخرة وقيل الاية في المشركين وعليه
اشكال فان من اخذ قبل الايمان ثم تاب اي آمن قبل اجراء حكم الله
عليه فليس عليه شيء الا ان يقال المراد من قوله من قبل ان تقدروا
عليهم قبل اجراء حكم الله عليهم فيكون معناه كل مشرك قاطع الطريق
جزاؤه كذا وكذا الا من آمن قبل الجزاء الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم المحارب المسلم اذا تاب قبل القدرة
عليه سقط عنه حد الله لا حقوق بني آدم كقطع اليد ولهذا قيل المراد
قاطع طريق مسلم عليه حق الله وحده وعمل كثير من السلف كعلي رضي
الله عنه دال على انه يسقط منه حقوق بني آدم ايضا الا اذا اخذ مالا
معينا فيجب الضمان ولما ذكر جزاء المحارب امر المؤمنين بالتقوى
وابتغاء القربات الى الله فان ذلك هو المنجي من المحاربة والعذاب
المعد للمحارب فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة
القربة بما فيه رضاه من الطاعة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه
لا بقطع السبيل لعلكم تفلحون بعناية الله وحمايته ان الذين كفروا
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به اي ليجعلوه فداء
لانفسهم وخبر ان هو لو وجوابها ومثله عطف على ما في الارض

ولا يجوز ان يكون مفعولا معه لان العامل معنوي فاذا جاز العطف
تعين ولان التركيب يصير ركيكا للفظة معه وافراد ضميره لتلازمهما
كانهما واحد كما قالت العرب رب يوم وليلة مر بي او لاجراء الضمير مجرى
اسم الاشارة من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم جواب لو وجاء ترك
اللام على ما النافية على الفصيح ولهم عذاب اليم مولم بفتح اللام كما مر في اول
سورة البقرة يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم
عذاب مقيم لا ينفك عنهم ابدا ولما ذكر المحاربين الذين هم ساعون
للفساد عقبه بذكر السراق الذين هم ايضا ساعون للفساد الا ان الاول
على سبيل الشوكة والظهور والسرقة على سبيل الاختفاء والستر فقال والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما اي ايمانهما وفي قراءة ابن مسعود فاقطعوا
ايمانهم وقراءته ايضا دال على ان المقطوع يد واحد لان اليمين لا يكون
الا واحدا فالجمع باعتبار كثرة افراد النوعين ومثل هذا التركيب عند سيبويه
جملتان تقديره حكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم ودليله في كتب
النحو وعند جماعة من البصريين جملة واحدة وجملة الامر خبر المبتدا والمعنى على
العموم اي الذي سرق والتي سرقت فالفاء دخل على جملة صالحة لاداة
الشرط واما نصاب السرقة ففيه خلاف كثير وعند الاكثرين ربع دينار للحديث
الثابت في الصحيحين ومذهب الجمهور ان القطع من الرسغ لفعل الشارع
جزاء بما كسبا نكالا عقوبة من الله وهما منصوبان على المفعول له وترك
العطف بينهما للاشعار على ان القطع للجزاء على قصد النكال والمنع عن
المعاودة والعبرة والله عزيز في الانتقام حكيم فيما حكم فمن تاب من بعد
ظلمه اي السرقة فانه ظلم على نفسه وعلى الغير واصلح العمل فان الله
يتوب عليه يقبل توبته ان الله غفور رحيم فلا يعذبه في القيمة واما القطع
فلا يسقط عنه بالتوبة على الاصح الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
يعذب من يشاء تعذيبه ويغفر لمن يشاء غفرانه والله على كل شيء قدير
وهو يحكم بمقتضى حكمته والخطاب في الم تعلم لكل من له علم كانه قال انك
عاجز عن الخروج من ملكي فلم اجترات على ما منعتك منه اعترض نصراني
على الدين الحنيفي بان في اليد المقطوع ظلما خمسين من الابل وانتم حكمتم

بقطعه

بقطعه في ربع دينار وما ذلك الا جهل فاسكته بعض عظماء العلماء
بقوله كانت ثمينة ما دامت امينة فلما خانت هانت ولما بين انه مالك
العلويات والسفليات بيده التعذيب والغفران وله القدرة التامة
العامة فعلى مذعنه تفويض الامر اليه كما قال الله ما اصاب من مصيبة
في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها الى ان قال
لكيلا تاسوا على ما فاتكم فقال يا ايها الرسول خاطبه به اشارة الى ان
الرسالة شغلك لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي لا تحزن بمسارعتهم
في الكفر يعني باظهار ما يلوح لهم من آثار الكفر فانهم ليسوا بخارجين من
ملكي من الذين قالوا آمنا بك بافواههم متعلق بقالوا ولم تؤمن قلوبهم
واللسان ترجمان القلب فهم المنافقون والواو يحتمل العطف والحال
ومن الذين هادوا المخلص من الكافرين ومن في المعطوف والمعطوف
عليه بيانية سماعون جملة مستانفة للكذب اي يقبلون ما يفتري
احبارهم الذين ياتون مجلسك سماعون لقوم آخرين لم ياتوك
يقبلون من جمع من اليهود لا ياتون مجلسك فاللام كلام سمع الله لمن
حمده في انه راجع الى معنى من قبيل معناه سماعون كلامك لاجل ان
يكذبوا عليك سماعون لاجلهم في صلة سيمعون كلامك لشيئين للافتراء
والنقل لا لان ينتفعوا به قيل سماعون في الثاني للتاكيد والقوم متعلق
بالكذب اي سماعون ليكذبوا لمن لا ياتي مجلسك تكبرا وجاز ان يكون
ومن الذين هادوا خبر سماعون لا عطف على ومن الذين قالوا يحرفون
الكلم من بعد مواضعه اي من بعد ان وضعه الله مواضعه بتغييره
او بحمله على غير مراد الله والجملة صفة قوم او مستانفة يقولون ان اوتيتم
هذا فخذوه يعني ان اوتيتم المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه يعني
يفتيكم بخلافه فاحذروا قبوله نزلت في رجل وامراة زنيا وهم بدلوا الرجم
في التورية بمائة جلدة وتسويد الوجه فاستفتوا من رسول الله وقالوا ان حكم
بمثل ما قلنا اعملوا ويكون لنا عذر عند الله بان حكم نبي من الانبياء وان
حكم بالرجم فلا تقبلوا فامر صلى الله عليه وسلم بالرجم والزمهم انه حكم التورية
فرجما والحكاية في الصحيحين ومنها يعلم ان كفرهم عناد بالتورية وبالقران

ومن يرد الله فتنته اى ضلالته فلن تملك له من الله شيئا فى دفع الفتنة
عنه اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من خبث الشرك والمعاصى
لهم فى الدنيا خزى فضيحة وهتك ستر للمنافق وجزية وخذلان لليهود
ولهم فى الاخرة عذاب عظيم شديد دائم سماعون للكذب مع علمهم بانه
كذب وصفهم ثانيا بتلك الفضيحة مزيدا لفضيحتهم اكالون للسحت
للحرام الذى هو مسحوت البركة كالرشى ولما كان معظم النفع من المال
الاكل وصفهم باكل الحرام الذى يصير جزء البدن وفى الحديث كل لحم نبت
من الحرام فالنار اولى به فان جاؤك للحكم بينهم فاحكم بينهم او اعرض
عنهم فانت مخير بين الحكم والاعراض وان تعرض عنهم فلن يضروك
شيئا فان الله يعصمك من الناس والمراد ان جاؤك للحكم بمقتضى
دينك فانت مخير فى ذلك وقوله وان احكم بينهم بما انزل الله يعنى
ان حكمت فلا يكون هذا منسوخا بذاك وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
بالعدل وان كانوا ظلمة مستحقين للجور ان الله يحب المقسطين يرضى
عن من لا يتركه وكيف حال من فاعل يحكمونك وهو استفهام يراد
به التعجب يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله وعندهم التورية جملة
حالية وفيها حكم الله ايضا حال من ضمير مستتر فى عندهم راجع الى
التورية وهذا تعجيب من تحكيمهم اياه مع انهم لا يؤمنون به ولا بكتابه وفى
كتابهم الذى يدعون الايمان به حكم الله بنص جلى فليسوا قاصدين حكم
الله حقيقة ثم يتولون من بعد ذلك التحكيم المطابق لما فى كتابهم جملة
مستانفة او عطف على يحكمونك وما اولئك بالمؤمنين لا بك ولا
بكتابهم انا انزلنا التورية فيها هدى هداية الى الحق ونور ينكشف به المبهمات
يحكم بها النبيون انبياء بنى اسرائيل الذين اسلموا لا كاليهود فانهم
بمعزل عن دين الانبياء للذين هادوا متعلق بيحكم واللام للاختصاص
فيشمل من يحكم له ومن يحكم عليه والربانيون الزهاد والاحبار العلماء
عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله باء السبب متعلق
بيحكم وضمير الجمع للنبيين والربانيين والاحبار وضمير ما محذوف
ومن للتبيين اى بسبب امر الله اياهم بحفظ كتابه واظهاره

بخلاف القران فانه بنفسه الاقدس تكفل حفظه كما قال انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون وكانوا عليه شهداء وكانوا على كتابه رقباء لئلا
يبدل فلا تخشوا الناس واخشون الظاهر انه خطاب لعلماء اليهود على
سبيل الحكاية من الماضين والمعاصرين وفيه التفات من الغيبة الى
الخطاب وفيه نهى للحكام عن المداهنة خشية الناس ولا تشتروا ولا تستبدلوا
باياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
من تركه عمدا واجاز فهو من الكافرين فيشمل هذه الاية وغيرهم وقال
كثير من السلف هذا فى اهل الكتاب وصرح الحسن البصرى بان من
لم يحكم منا فهو فاسق ومن لم يحكم به من اهل الكتاب فهو كافر لانهم تركوا
الحكم للتحريف والعناد وكتبنا فرضنا او الكتابة حقيقة فان التورية
نزلت مكتوبة فى الالواح عليهم على اليهود فيها فى التورية ان النفس
مقتولة بالنفس الباء للمقابلة والعين مفقوءة بالعين والانف
مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن
والجروح قصاص ذات قصاص فيما يمكن الاقتصاص منه واما ما
لا يمكن ككسر عظم وجرح لحم مما لا يمكن الوقوف على نهايته فلا قصاص فيه
واما قولنا مقتولة ومفقوءة ونحو ذلك فماخوذ من خصوص المادة
والباء متعلق بما هو اقرب بمعنى الكائن والمستقر فالاولى ماخوذ
اى النفس ماخوذة بها والعين ماخوذة ومن قرأ والعين بالرفع
وكذلك الباقى فتقديره وكذلك العين بالعين او كتبنا عليهم فيها
العين بالعين كما تقول كتبت الحمد لله فعطف على ان وما فى حيزه
واما العطف على المحل فانما يكون فى ان المكسورة دون المفتوحة
فمن تصدق به بالقصاص بان عفا عنه فهو اى التصدق كفارة له
للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وفى حديث رواه ابن مردويه انه قال
صلى الله عليه وسلم فان كان ربع الدية فربع خطاياه وان كان
الثلث فثلث خطاياه وان كان تمام الدية حطت عنه جميع خطاياه
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون فانهم لم ينصفوا
المظلوم من الظالم بالعدل قيل نزلت لما اصطلح اليهود ان لا يقتل

شريف بوضيع ولا رجل بامراة وقفينا على اثارهم اثار النبيين بعيسى
بن مريم اى جئنا على اثارهم بعيسى قافيا لهم وليس التضعيف للتعدية
فان قفا متعد بنفسه الى واحد نحو ولا تقف ما ليس لك به علم
فلو كان التضعيف للتعدية فتعدى الى منصوبين فيقال قفينا اثارهم عيسى
وعيسى مفعوله الاول واما تعدية المتعدى بالباء لمفعول ثان ففى
غاية القلة حتى قيل لا يوجد مصدقا لما بين يديه من التورية حال كما فيها
واتيناه الانجيل فيه هدى ونور كما فى التورية ومصدقا لما بين يديه
اى الانجيل يعنى عيسى وكتابه مصدقان للتورية من التورية لا يخالف
التورية الا فى قليل قوله فيه هدى اى كائنا فيه هدى وهدى فاعل الظرف
للاعتماد ومصدقا عطف على كائنا فهو من عطف المفرد على المفرد وهدى
وموعظة للمتقين يعنى للمتقين هاديا ولهم زاجرا عن ارتكاب المحارم
فقوله فيه هدى مبهم وهدى للمتقين تبيينه او الاول ذكر ان فيه الهداية
والنور والثانى جعل نفس الانجيل هاديا وواعظا للمتقين كل اية
منه هاديهم وواعظهم وليحكم اهل الانجيل قبل نسخه بما انزل الله فيه عطف
عطف على آتيناه اى آتيناه وقلنا لهم ليحكم واما قراءة كسر اللام وفتح
الميم فتقديره واتيناه ليحكم او تقديره لينتهى اهل التورية عما نسخ منها
وليحكم اهل الانجيل ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون
الخارجون عن طاعة ربهم وانزلنا اليك يا محمد الكتاب اى القران
فالالف واللام للعهد بالحق ملتبسا به مصدقا لما بين يديه من الكتاب
الالف واللام للجنس ومهيمنا رقيبا عليه على سائر الكتب فكل خبر
يوافق القران حق وما يخالفه باطل محرف فاحكم بينهم بين المتحاكمين
يهود واو غيره بما انزل الله اليك ولا تتبع اهواءهم فى تتبع تضمين
معنى تنحرف اى لا تنحرف متبعا اهواءهم عن ما جاءك من الحق فيكون
متعلقا لتتبع لكل اى لكل امة هو المفعول الثانى لجعلنا جعلنا اى صيرنا
منكم متعلق بمحذوف هو اعنى وليس صفة لكل للفصل باجنبى شرعة
ومنهاجا الشريعة فى الاصل الطريقة الظاهرة الى الماء والمنهاج
الطريق الواضح فالعطف للجمع بين الوصفين والمراد الاحكام العملية

واما اصول الدين فلا اختلاف بوجه ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
لجعلكم امة واحدة جماعة متفقين على طريقة واحدة فى جميع الاعصار و
ولكن لم يشأ ليبلوكم ليختبركم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة فى الكتب فيتميز المطيع
المطيع عن العاصى فاستبقوا الخيرات ابتدروا وسارعوا الى الاعمال
الصالحة الى الله مرجعكم ايها الناس جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
اى فيخبركم باعمالكم وهو اشارة الى المجازاة وبناها هنا على وضعها الاصلى
ولا يضمنها معنى اعلم وان احكم بينهم بين اهل الكتاب بما انزل الله
تقديره وامرنا حكمك بما انزل الله ولا تردهم الى احكامهم ولا تتبع
اهواءهم هذا خاص فى اهل الكتاب والاول كما ذكرنا عام واحذرهم
ان يفتنوك اى من ان يضلوك عن بعض ما انزل الله اليك
وجاز نصب ان يفتنوك بانه بدل من هم اى واحذر فتنتهم اياك
عن ابن عباس نزلت حين قال رؤساء اليهود ننطلق الى محمد لعلنا
نفتنه فقالوا قد تعلم انا ان اتبعناك اتبعك الناس ولنا خصومة
فاقض لنا فنؤمن بك فابى محمد عليه الصلوة والسلام فان تولوا عما حكمت
فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم ان يعذبهم ببعض
آثامهم يعنى لهم ذنوب سالفة اقتضت نكالهم وبسبب شؤم
ذنوبهم اعرضوا عن حكمك او معناه انهم ذووا ذنوب كثيرة وهذا
الذنب مع عظمه بعضها وان كثيرا من الناس لفاسقون خارجون
عن طاعة ربهم افحكم الجاهلية يبغون استفهام انكار على اليهود
حيث هم اهل كتاب ومع ذلك يعرضون عن حكم الله ونصب
فحكم بانه مفعول يبغون بمعنى يريدون ومن احسن من الله
حكما نصب على التمييز فانه قال وان احكم بينهم بما انزل الله
لقوم يوقنون اللام للبيان كلام هيت لك يعنى هذا الخطاب
والاستفهام لمن له اليقين بانه اعدل العادلين ولما بين
كمال عداوتهم مع المؤمنين وقلة عقلهم خاطب المؤمنين بالنهى
عن موالاة اعدائهم فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء لا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء

بعض جملة مستانفة اى بعض اليهود اوليآء بعض منهم وبعض النصارى
اوليآء بعض منهم لكل جنسٍ يميلُ الى جنسه وفيه لف واجمال للعلم بان اليهود
اعدآء النصارى والنصارى اعدآء اليهود ومن يتولهم منكم بحبهم فى
الدنيا فانه منهم فى الاخرة وفيه تشديد عظيم ومن هذا ورد من احب قوما
فهو منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين فاحذروا عن موالاة الظالم
فانهم الضالون والمراد من سبق فى علم الله انه يموت ظالما فترى
الذين فى قلوبهم مرض الخطاب للرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد من المرض مثل الشك والنفاق كابن ابى بن سلول راس
المنافقين يسارعون فيهم فى محبتهم مع ادعائهم انهم مؤمنون
مفعول ثان ان جعلت ترى من رؤية البصيرة والا فجملة حالية
يقولون حال من فاعل يسارع نخشى ان تصيبنا دائرة عن ابن
عباس معناه لا يتم امر محمد فيدور علينا يعنى تنقلب الامر وتكون
الدولة للكفار فعسى الله ان يأتى بالفتح للمسلمين اشارة الى بشارتهم
او امر من عنده كاجلآء بعضهم واخذ اموالهم وان الله طرح فى قلوب
بنى النضير الرعب فاعطوا بايديهم من غير ايجاف خيل ولا ركاب عليهم
فيصبحوا هولآء الذين فى قلوبهم مرض على ما اسروا فى انفسهم نادمين
نادمين خبر يصبحوا وهو عطف على ان يأتى والفآء الذى فيه معنى
التسبيب مجوز للعطف لان المعطوف على الخبر خبر ولا ضمير فى المعطوف
فهو من باب الذى يطير فيغضب زيد الذباب ويقول بالنصب
عطف على يصبحوا من غير ان يقدر ضمير فيجوز بلا تكلف واما على
قرآءة الرفع فكلام مبتدأ كقرآءة من قرأ بغير واو بالاستيناف الذين
امنوا اهولآء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يعنى يقول
المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حالهم اهولآء الذين اقسموا باغلظ
الايمان انهم اولياؤكم ومعاونوكم على الكفار فلما حل على اليهود ما حل
ظهر منهم محبتهم لليهود وقوله اهولآء استفهام تحقير ونصب جهد بانه مصدر
اما مصدر لمحذوف او من لفظ اقسموا لانه بمعناه حبطت اعمالهم استيناف
اخبار من الله بحبوط اعمالهم فانهم يصلون ويصومون للنفاق

فاصبحوا

فاصبحوا خاسرين فى الدنيا والاخرة وقيل انه من تتمة قول المؤمنين
ولما ذكر اقواما كافرين ظالمين نادمين خاسرين عقب اقواما احسن
منهم وانجح فقال يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه قد ارتد عن
الاسلام قبائل من العرب ثلث فرق وتنبأ رؤساؤها فسوف يأتى الله
بقوم يحبهم ويحبونه هم قوم ابى موسى الاشعرى على الاصح كما فى المستدرك
لابى عبد الله الحاكم يحبهم بان يوفقهم ويعظمهم ويثنى عليهم ويحبونه ولما كانت
المحبة ميل القلب ولم يجز اطلاقه على الله فسرناها بما ذكرنا واما محبة العباد فعندى
انها على حقيقتها وصفهم بجملة فعلية دلالة على التجدد اذلة على المؤمنين
جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل وفيه معنى الحنو والعطف ولهذا اعدى
بعلى يعنى عاطفين عليهم خافضين اجنحتهم عندهم مع علو كعبهم لتواضعهم
اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم وجاءت هذه الصفة بالاسم
الذى فيه المبالغة لانها كالعزيزة ثابتة لا تتجدد يجاهدون فى سبيل
الله فى نصرة دينه والجملة صفة اخرى لقوم ولا يخافون لومة لائم
لا يبالون بمن لام فيه فهم صلاب فى الدين ولومة للمرة الواحدة
وهى نكرة فى سياق النفى فتعم والواو للعطف ذلك اى الاوصاف
فضل الله يؤتيه من يشآء يؤتيه اما استيناف او خبر بعد خبر
يعنى هذا على سبيل الاحسان منه لمن اراد الاحسان اليه والله
واسع الفضل عليم بمن يصنع ذلك فيه ولما نهاهم عن اتخاذ اليهود
والنصارى اوليآء بين لهم من وليهم فقال انما وليكم الله ورسوله
لم يقل اولياؤكم اشارة الى ان المجموع فى حكم واحد والى التنبيه على ان
الولاية على الاصالة لله وللباقين تبع اولان ولى بزنة فعيل فيستوى
فيه التثنية والجمع والواحد كما صرح بمثل ذلك الزمخشرى فى قوله وما قوم
لوط منكم ببعيد والذين امنوا لا اليهود الذين يقيمون الصلوة الاولى
ان تجعله بدلا او رفعا او نصبا على المدح لا صفة لاشتراك الموصوفين
فى كونهما وصفين والوصف لا يوصف الا اذا جرى مجرى الاسم
كالمؤمن مثلا بخلاف الذين امنوا فانه فى معنى الحدث ويؤتون الزكوة
الزكوة وهم راكعون حال من فاعل يؤتون فان عليا رضى الله عنه

قد نابه لهم ليصح على قول من قال الجزاء
هو خبر المبتدأ والا فضمير يرتد ودينه
راجع الى من وهو كاف
منه

قد نص النحاة على ان المضارع مثبتا ولا
كالمثبت فى انه لا يجوز ان يباشره واو الحال
منه

ما قبل الاية وما بعدها ينادى على ان
ليس المراد من الولاية التولى بالامور المستحق
للتصرف كما قالت الشيعة فانصف
منه

اعطى السائل خاتمه فى ركوعه فنزلت كما رواه ابن جرير وابن ابى
حاتم وابن مردويه بروايات مختلفات وذكره بلفظ الجمع تحريضا
على المبادرة الى الصدقة فيدخل فيه كل من يبادر ومن يتولى الله
ورسوله والذين امنوا يعنى من يتخذهم اوليآء فان حزب الله
هم الغالبون من وضع المظهر موضع المضمر كانه قال فهم حزب
الله وحزب الله هم الغالبون وهم ضمير الفصل او هم مبتدا والجملة
خبران يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اوليآء هم المنافقون
يظهرون الاسلام عند المسلمين وفى قومهم يضحكون ويستهزءون
ومن للتبعيض وقرآءة جر الكفار للعطف على الذين فى من الذين والمراد
المشركون فان اهل الكتاب كفار وقرآءة نصبه للعطف على الذين اتخذوا
واتقوا الله سيما فى اتخاذهم اوليآء ان كنتم مومنين بشرع ودين اتخذوه
لعبا ولما ذكر اتخاذهم دينكم هزوا بين قبيح صنعهم فقال واذا ناديتم الى الصلوة
اتخذوها اى المناداة او الصلوة هزوا ولعبا يحكونها ويستهزءون بها لعلها
فليست المناداة عندهم ولا ركوع فى صلواتهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون
فان العقل رادع عن الاستهزآء بالمعقول المشروع قل يا اهل الكتاب
هل تنقمون منا اى هل تصيبون منا ما تكره الا ان آمنا اى الا لان امنا
بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل ومنه دينكم وان اكثركم ولان اكثركم
فى اعتقادنا فاسقون قيل واو وان للحال من فاعل تنقمون والاستفهام
انكارى والاستثنآء مفرغ قيل نزلت فى يهود سالوا رسول الله
عن من يؤمن به فقال صلى الله عليه وسلم اومن بالله وما انزل
الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل الى قوله ونحن له مسلمون فلما سمعوا
ذكر عيسى قالوا والله لا نعلم دينا شرا من دينكم رواه محيى السنة والواحدى
وغيرهما قل هل انبئكم بشر من ذلك اى المنقوم وهو الايمان ولهذا اختار
المناسبة مع ما ذكرنا من سبب النزول فانهم قالوا لا نعلم دينا شرا من
دينكم مثوبة عند الله نصب على التمييز اى جزآء ثابتا عنده والمتبادر من
المثوبة الخير فهو تهكم من باب تحية بينهم ضرب وجيع من لعنه الله اى هو

نقم منتعد بعلى وتعديته بمن لتضمين
معنى الاصابة بالمكروه منه

يعنى هل انبئكم بشر من الايمان
على زعمكم هو دين من لعنه الله
منه

دين من لعنه الله

دين من لعنه الله والمراد دينهم المحرف المبدل وغضب عليه وجعل منهم
باعتبار معنى من قال منهم القردة والخنازير مسخ شبانهم قردة
وشيوخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على لعنه والطاغوت
العجل اولئك شر مكانا نصبه بالتمييز وهو كما تقول فى التعظيم
سلام على مجلسه ففيه مبالغة فان كان ذلك فى الاخرة يراد بالمكان
حقيقته لان جهنم مكانهم وان كان ذلك فى الدنيا فالمراد المكانة
والحالة واضل عن سوآء السبيل عن قصد الطريق المتوسط والمراد
من التفضيل الزيادة مطلقا واذا جاؤكم اى من لعنه الله من
معاصريكم قالوا امنا بدينكم ونحن منكم فى الدين وقد دخلوا حال من
ضمير قالوا بالكفر حال من فاعل دخلوا وهم قد خرجوا به ملتبسين بالكفر
وضميرهم لتقوية الحكم لان خروجهم بالكفر هو الامر البعيد اى دخلوا
وخرجوا كافرين وذلك امر عجيب فان رؤيته صلى الله عليه وسلم
كافية فى الايمان الا ترى الى قول من قال علمت ان وجهه ليس
بوجه كذاب مع ما منه يظهر من المعجزات الباهرات بل اللايق بحال
العاقل ان فرضنا انه دخل ملتبسا بالكفر لا يخرج الا مؤمنا والله اعلم
بما كانوا يكتمون من كفرهم العنادى فانهم عالمون بحقية دينه وترى
كثيرا منهم من اليهود يسارعون فى الاثم صفة ان كان ترى بصرية
ومفعول ثان ان كان علمية والعدوان الظلم واكلهم السحت الحرام
خص بالذكر لخبثه لبئس ما كانوا يعملون شيئا عملوه لولا ينهيهم الربانيون
زهادهم والاحبار علماؤهم عن قولهم الاثم كذبهم وافترائهم واكلهم
السحت لبئس والله لبئس ما كانوا يصنعون لولا تحضيض فيه توبيخ
العلمآء والزهاد على السكوت عن النهى عن المعاصى قال السلف ما تم
اية اشد توبيخا للعلمآء منها والعمل لا يسمى صناعة الا اذا تمكن صاحبها فيها
وينسب اليها ففيه اشارة الى ان ترك نهى المنكر عادة خواصهم وقالت
اليهود وعليهم لعاين الله تترى يد الله مغلولة كف الله عنهم نعم الدنيا لا
لانكارهم الاسلام بعد ما كانوا فى رخآء فقالوا ذلك مجازا عن البخل
وان اراد والجارحة فليس ببعيد فانهم مجسمة زعموا ان الله ابيض الراس

واللحية قاعد على كرسي واستلقى على ظهره حين فرغ عن الخلق واضعا احدى
يديه على الاخرى للاستراحة فردهم الله بقوله ولم يعي بخلقهن وبقوله ما مسنا
من لغوب غلت ايديهم خبر او دعاء واقع بهم في جهنم او خبر عنهم في الدنيا
جعلهم الله البخل قوم او دعاء عليهم بالاهانة والذل وهم في كل بلد مع كل
انه مغلوبون مقهورون ولعنوا بما قالوا العنا على لعن بل يداه مبسوطتان
له كمال الجود سخاء الليل والنهار ينفق كيف يشاء يوسع ويقتر بحسب مشيته
وحكمته اي كيف يشاء ان ينفق ينفق فجواب كيف ومفعول يشاء
محذوف ان يدل عليه ينفق المتقدم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل ما انزل
فاعل ليزيدن اليك من ربك طغيانا وكفرا كلما نزلت آية من ربهم
ازدادوا كفرا وقال كثيرا منهم فان قليلا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه
ازدادوا ايمانا وايقانا والقينا بينهم بين طوائف اليهود العداوة والبغضاء
كمال العداوة الى يوم القيمة لا يتفق قط كلمتهم قيل ضمير بينهم لليهود والنصارى
فقد مر لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ولشمول قوله يا اهل الكتاب
الفريقين كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله بان اوقع بينهم منازعة
كف بها شرهم عن المومنين ولم يقم لهم نصر ابدا على احد ويسعون في
الارض فسادا للفساد او مفسدين او مفعول مطلق من يسعون
والله لا يحب المفسدين لا يرضى عنهم ولا يغفرهم لا في الدنيا ولا في الدين
ولو ان اهل الكتاب مع تلك الجرائم آمنوا بالقران واتقوا في ايمانهم
عن المعاصي لكفرنا عنهم سيئاتهم الماضية ولادخلناهم جنات النعيم
قال بعض العلماء من آمن ولم يراع التقوى لم يكفر جميع ما مضى
من سيئاته في الصحيحين عن ابن مسعود انواخذ بما عملنا في الجاهلية
فقال صلى الله عليه وسلم من احسن منكم في الاسلام فلا يواخذ بها
ومن اساء اخذ بعمله في الجاهلية والاسلام واما قول من قال المراد من
قوله من احسن في الاسلام عدم النفاق والمراد من الاساءة النفاق
فقول محل يخالف ظاهر الاية ولو انهم اقاموا التورية والانجيل بالتصديق
وعدم التحريف والعمل بالاحكام وما انزل اليهم من ربهم في كتب الانبياء
لاكلوا عبر عن الاخذ بالاكل لانه اجل منافع الاخذ من فوقهم ومن تحت

ارجلهم

ارجلهم لانزل عليهم المطر واخرج لهم نبات الارض قال تعالى لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض قيل المراد الثمار والزروع وقيل كناية عن التوسعة
نحو فلان في الخير من قرنه الى قدمه منهم امة مقتصدة جماعة غير غالية
ولا مقصرة كمومني اهل الكتاب جملة مستانفة وكثير منهم ساء ما يعملون
اي ساء عملا يعملونه يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
اي جميع ما انزل اليك غير خائف من احد وان لم تفعل ولم تبلغ
جميعه وكتمت آية فما بلغت رسالته ما اديت شيئا منها كمن اضاع
ركن صلاة فما لشمول النفي والله يعصمك من الناس اي من شرهم
فلا تخف كان صلى الله عليه وسلم يحرس فلما نزلت ترك الحراسة
ويجاهد اعداء الدين بعيب دينهم وسب آلهتهم رواه الترمذي وقال
الحاكم صحيح الاسناد والمراد حفظ روحه فلا يشكل بشج راسه الاشرف
او الشج قبل نزول المائدة ان الله لا يهدي القوم الكافرين يعني بلغ
انت والله الهادي قيل لا يهديهم الى مقاصدهم ومراداتهم قل يا اهل
الكتاب لستم على شيء اي دين يصح ان يسمى شيئا حتى تقيموا التورية
والانجيل وما انزل اليكم من ربكم اي حتى تومنوا بجميع الكتب السماوية من
غير تغيير وتبديل وتحريف وكتمان وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا ما انزل فاعل يزيد وهو متعد هنا الى مفعولين
وكرر هذه الجملة ليتعقب عليه قوله فلا تاس لا تحزن على القوم الكافرين
لزيادة طغيانهم وكفرهم فانهم الاشقياء لا يستحقون الهداية والعناية
ان الذين آمنوا المومنين باجمعهم والذين هادوا اي اليهود والصابئون
مذهب سيبويه والخليل ونحاة البصرة انه مرفوع بالابتداء منوي به
التاخير وخبره مقدر اي والصابئون كذلك والمذكور وهو من آمن
الى آخره خبر ان ومذهب الكسائي والفراء انه معطوف على محل
اسم ان لانه كان قبل دخول ان مبتدأ وهم من عبدة الملائكة او قوم
ليس لهم شريعة وسط بين اهل الكتاب اشعارا بانهم مع كمال ضلالهم
يقبل توبتهم ويثاب عليهم والنصارى من آمن بالله ثبت على ايمانه
لان المومن لا يمكن ان يومن لانه تحصيل الحاصل ولهذا قيل المراد

نسخ

قيل المائدة آخر ما نزل من القرآن
منه

باجمعهم

من الذين آمنوا المنافقون واليوم الاخر وعمل صالحا فلا يحرفون
الكلم عن مواضعه فلا خوف عليهم في الاخرة عند الفزع الاكبر ولاهم
يحزنون على ما فات عنهم من الدنيا فمن مبتدا خبره فلا خوف والجملة
خبران والضمير الراجع الى اسم ان مقدر اي من آمن منهم او من بدل
من الذين وخبر ان فلا خوف ولا حاجة الى تقدير ضمير لقد اخذنا
ميثاق بني اسرائيل بالايمان بالله وبجميع ما جاء من عنده بلسان
موسى وارسلنا اليهم رسلا ليذكروا ميثاقهم كلما جاءهم رسول بما
لا تهوى انفسهم اي بشيء لا تشتهيه فريقا من الانبياء كذبوا وفريقا
منهم يقتلون العامل في كلما محذوف هو استكبروا قال تعالى
افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا الخ وليس
كلما ظرف لكذبوا لانه يلزم ان الجائي في كل مرة فريقان وهذا
مناف لقوله رسول لان المتبادر رسول واحد وقوله فريقا كذبوا
مستانفة كانه قيل ما فعلوا برسلهم وجملة كلما صفة رسلا اي رسول
منهم وقيل المراد من قوله رسول الجنس نحو لا اصحبك ما طلع نجم فعلى
هذا كلما ظرف لكذبوا وجاء بالمضارع على الحكاية استحضارا للتلك
الشنيعة للتعجب منها وظرفيتها كما قالوا لاضافتها الى ما المصدرية
الظرفية وحسبوا بما صنعوا من التكذيب والقتل ان لا يكون فتنة
لا تكون فتنة يعني حسبوا ما صنعوا هينا وهو عند الله عظيم ومن قرا
ان لا يكون بضم النون فان مخففة اي انه والمراد من حسبانهم
الظن المؤكد الملحق بالعلم ولهذا دخل على ان التي للتحقيق فعموا عن
الدين والدلائل وصموا عن استماع الحق حين عبدوا العجل ثم تاب
الله عليهم اي ثم تابوا فقبل توبتهم وفي ثم دلالة على انهم تمادوا في
ضلالهم زمانا الى ان تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى كثير
منهم بدل من ضمير الجمع والله بصير بما يعملون فلا يغفلون عن المجازاة
وكيف يغفلت من يقتل نبيا وانه شر خلق الله لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم اي اني مثلكم مخلوق فاعبدوا خالق الكل يعني يعبدون

من يعترف

من يعترف انه ليس بمعبود انه من يشرك بالله في عبادته فقد حرم
الله عليه الجنة وماويه النار وما للظالمين من انصار الظاهر انه تتمة
كلام عيسى يعني اذا لم يكن نصرهم مع الكثرة فلا ينصر مع الوحدة
قيل جمع الانصار لجمع الظالمين ويحتمل ان قوله وما للظالمين من
باب وضع الظاهر موضع المضمر لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلثة اي انه احد ثلثة من الالهة هو والمسيح وامه قال تعالى أأنت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقد حكي عنهم انه جوهر واحد ثلثة
اقانيم اب وابن وروح قدس والثلثة اله واحد كالشمس تتناول
القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة
وبالروح الحيوة اختلطت الكلمة بجسد عيسى كالماء في الخمر وكل من الثلثة
اله ولا يجوز في العربية في ثالث ثلثة الا الاضافة فلا يقال ثلث الثلاثة
وما من اله الا اله واحد اي ليس الاله الا واحد فالا اله خبر اله وان
لم ينتهوا اي ولئن لم ينتهوا عما يقولون ما يحتمل مصدرية وموصولة
ليمسن جواب قسم محذوف نحو لئن لم ينته المنافقون والذين في
قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم الذين كفروا منهم
عذاب اليم وضع الظاهر موضع المضمر ليعلم ان ترتب العذاب
الاليم لكفرهم ومن للبيان وقيل للتبعيض فليس كلهم باقين على
الكفر بل تاب كثير منهم عن النصرانية افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
هذا من لطف الله بهم استدعاء الى التنصل من تلك المقالة
الشنعاء بعد ان كرر عليهم الشهادة بكفرهم والفاء للعطف والهمزة
للصدارة قدمت عليه كانه قال فالا والله غفور رحيم ولهذا حثهم
على التوبة من هذا الذنب الذي لا اعظم منه ما المسيح بن مريم الا
رسول قد خلت من قبله الرسل اي الا رسول مضت من قبله
رسل مثله وامه صديقة صدقت بكلمات ربها وكتبه كانا ياكلان
الطعام يحتاجان اليه فليسا بالهين انظر يا محمد كيف نبين لهم
الايات على بطلان ما اعتقدوه ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون
عن الحق المبين وخلت ثم لتراخي ما بين العجبين فان الثاني اعجب

من الاول فان الاعراض عن الايات اعجب من التوضيح قل
اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ضر المصائب
فيدفع عنكم ولا ان يوصل اليكم نفع صحة وسعة وما عند سيبويه تقع
على العقلاء وغيرها او المراد النوع الذي لا يملك نحو فانكحوا ما طاب
لكم والله هو السميع العليم فيسمع الاقوال ويعلم العقائد ولما سبق القول
في اباطيل اليهود وثنى بترهات النصارى جمع الفريقين في النهي
فقال قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم لا تتجاوزوا عن الحد فيه
غير الحق اي غلوا غير الحق والمراد من الدين الدين الاصيل الذي
انزله الله وغلو غير الحق في النصارى زيادة تعظيم عيسى وفي اليهود
زيادة تحقيره قيل المراد من الدين دينهم المحرف وغير الحق حال من
دينكم فيكون من قبيل لا تعثوا في الارض مفسدين يعني ان كنتم
تصرون على باطلكم لكن لا تغلوا فيه ولا تتبعوا اي لا تضلوا من عند
انفسكم ولا تتبعوا في الضلال غيركم اهواء قوم قد ضلوا من قبل
اي قبل دين الاسلام واضلوا خلقا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل
بين اولا انهم ضلوا واضلوا ثم عين ما ضلوا عنه وهو السبيل السوي
المتوسط الموصل الى وصل الرب سبحانه او ضلوا عن مقتضى
العقل ثم عن مقتضى الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
على لسان داود لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم
واجعلهم آية فمسخوا قردة وعيسى بن مريم اصحاب المائدة لما لم يؤمنوا
قال عيسى اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخوا خنازير قاله مجاهد والسدي
وغيرهما وعن ابن عباس ملعونون في الزبور والانجيل على لسانهما
وهذا دال على عموم يا اهل الكتاب ولا جهة لتخصيص ذلك اي اللعن
بما عصوا وكانوا يعتدون ما مصدرية وكانوا جاز ان يكون عطفا
على عصوا اي بعصيانهم وكونهم والاولى ان يكون اخبارا من الله
ان شانهم وعادتهم الاعتداء كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه يعني جمعوا بين
فعل المنكر والتجاهر به وعدم النهي عنه قيل من تناهى عن الامر

نا الفعل للمجهول لتحتمل ان يكون الله
هو اللاعن لهم على لسانهما وتحتمل ان
يكونا هما اللاعنان وهذه العبارة اشبع
منه

لا بد من تقدير المعاودة والمثل
منه

اذا امتنع

اذا امتنع يعني يصرون على الكبائر لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب
مؤكد بالقسم ترى ان كان المراد من اهل الكتاب الذين هم في عهد
المسلمين فترى بصرية كثيرا منهم يتولون يوالون الذين كفروا
كالمنافقين يوالون عبدة الاوثان لبئس ما قدمت لهم انفسهم
ان سخط الله عليهم مذهب سيبويه ان ما بمعنى الشيء والجملة بعده
صفة للمخصوص المحذوف وتقديره لبئس الشيء شيء قدمت لهم
انفسهم وعلى هذا ان سخط بدل من المخصوص المحذوف او تقديره
هو ان سخط وفي العذاب هم خالدون غير منفكين عن عذاب
الله ولو كانوا يؤمنون بالله ايمانا حقيقيا والنبي محمد صلى الله
عليه وسلم وما انزل اليه القران ما اتخذوهم اي ما اتخذ كثير
منهم الذين كفروا اولياء لان من احب قوما فهو منهم ولكن كثيرا
منهم فاسقون خارجون عن طاعة ربهم وهذا من باب وضع
الظاهر بلفظه موضع المضمر واصل الكلام ولكنهم فاسقون و
لما طال الكلام اعيد كثيرا منهم باللفظ المذكور فلا يلزم ان معناه
ولكن كثيرا من ذلك الكثير فاسقون لتجدن اشد الناس
عداوة للذين امنوا اليهود جواب قسم محذوف والمفعول الاول
اشد والثاني اليهود وما عطف عليه وعداوة تمييز وللذين
متعلق بعداوة والذين اشركوا فانهما متفقان في الحسد وفي
تقديم اليهود اشارة الى انهم اصول في العداوة ولتجدن اقربهم
مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى الظاهر ان ضمير
اقربهم للناس وهم امة لهم الوفاء بخلاف اليهود فانهم في نهاية
من عداوة المؤمنين وفي الحديث ما خلا يهودي بمسلم الا هم بقتله
والنصارى اذا استشعروا من المسلمين دينا وامانة يعظمونهم وقوله
الذين قالوا اشارة الى ان التمسك بالنصرانية قولهم وزعمهم
ولم يصفهم بمودة المؤمنين بل انما جعلهم اقرب من اليهود والمشركين
ذلك اشارة الى قرب مودتهم بان منهم قسيسين علماء القس
بفتح القاف وكسرها تتبع الشيء سمي به رئيس النصارى ورهبانا

زهادا وانهم لا يستكبرون تكبر اليهود والمشركين وفي هذا التعليل
دليل على جلالة العلم والزهد عن الدنيا والتواضع واذا سمعوا
عطف على الجمل المتقدمة او على لا يستكبرون بيان لرقة افئدتهم
وقد بعث النجاشي وفدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ
عليهم يس فاسلموا وبكوا وايضا جماعة منهم اسلموا على يد جعفر
بن ابي طالب في الحبشة وايضا تلا جعفر على النجاشي سورة مريم
الى قوله ذلك عيسى بن مريم وسورة طه الى اهل اتاك حديث
موسى فبكى ما انزل الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ترى من
روية العين اعينهم تفيض من الدمع جعلت اعينهم من كثرة البكاء
تسيل فالمجاز في اسناد الفيض الى العين مما عرفوا من للسبب
بمعنى الباء متعلقة بتفيض ابتدائية من الحق من تبيينية فما موصولة
والعائد محذوف يقولون جملة استينافية ربنا آمنا فاكتبنا مع
الشاهدين في زمرة امة محمد فانهم شهداء روى الحاكم في مستدركه
وابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال تعالى ليكونوا
شهداء على الناس وما لنا لا نؤمن روى الطبراني عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو فد النجاشي لعلكم اذا
رجعتم الى ارضكم انتقلتم الى دينكم فاجابوا اي اي شي حصل لنا
ولا نؤمن حال من لنا فيه انكار واستبعاد لانتفاء الايمان منهم
مع قيام موجبه وهو عرفان الحق بالله بتوحيده وما جاءنا وبما جاءنا
من الحق القرآن المجيد ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
عطف على نؤمن اي وما لنا لا نؤمن ولا نطمع في الانخراط معهم
مع القدرة على تحصيل الشيئين او عطف على لا نؤمن اي ما لنا
لا نؤمن ونطمع يعني لا يمكن ولا يكون ان يدخل في زمرة الصالحين
من غير ايمان فاثابهم الله بما قالوا من قولهم ربنا امنا الى اخر كلامهم
جنات تجري من تحتها تحت اشجارها وغرفها الانهار خالدين فيها
وذلك جزاء المحسنين من احسن قوله وعمله وهولاء منهم والذين
كفروا وكذبوا باياتنا كاليهود والنصارى اولئك اصحاب الجحيم

ومن للاولى متعلقة بمحذوف تقديره مملوة من الدمع منه

ملازموها ولما مدح النصارى بان منهم قسيسين ورهبانا وشيمتهم
الزهد عن الطيبات اوهم ذلك رغبة المسلمين في مثل تقشفهم و
وتبتلهم فبين ان الاسلام لا رهبانية فيه فقال يا ايها الذين امنوا
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه ولا تعتدوا ولا
لا تظلموا انفسكم في تحريم المباح عليها او بالتجاوز حدود ما احل الى ما
حرم او في تناول الحلال كما قال كلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا
يحب المعتدين نزلت في جمع من الصحابة منهم علي بن ابي طالب
تبتلوا فاعتزلوا النساء وطيبات الطعام واللباس وهموا بالاختصاء
وحلفوا على ذلك وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا تقدم تفسير مثلها و
ومن ابتدائية او تبعيضية وعلى الابتدائية حلالا مفعول كلوا وعلى التبعيضية
هو المفعول وحلالا حال من الموصول واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون
في امتثال ما امر به واجتناب ما نهى عنه ولما نزلت الاية في منعهم عن
التبتل قالوا كيف نفعل بالحلف فنزل قوله لا يواخذكم الله باللغو في
ايمانكم كقول من قال لا والله وبلى والله من غير قصد او في المعصية وعلى
غلبة الظن او في النسيان او الغضب ولكن يواخذكم بما عقدتم
الايمان وثقتم بالقصد والنية وهذا يؤيد بل هو صريح في الوجه الاول
من تفسير اللغو والمراد اذا حنثتم والاولى ان تكون ما مصدرية لمقابلته
باللغو وهو مصدر وقراءة عاقدتم بمعنى عقدتم فكفارته اي كفارة نكثه
التي تذهب اثمه اطعام عشرة مساكين هو من لم يجد ما يكفيه من اوسط
صفة اطعام او مفعول ثان فان اطعم يتعدى الى مفعولين اي
اطعامه طعاما من اوسط ما تطعمون اي تطعمونه اهليكم الذين تختصون
بكم وقيل من اوسط ما تطعمون ايها الناس اهليكم في قريتكم فان المراعى
عنده عيش البلد والظاهر ان المراد قدر الشبع وفيه خلاف كثير وعند
الاكثرين نصف صاع من بر او تمر او غيرهما او كسوتهم عطف على اطعام
والظاهر ما يسمى كسوة او تحرير رقبة مومنة عند الاكثرين فالحانث مخير
بين هذه الثلثة والعتق افضل ثم الكسوة وبدأ بالايسر فمن لم يجد واحدا
منها بان لم يفضل ما يطعم عشرة مساكين من قوته وقوت عياله

رواه ابن جريج عن عكرمة وروى
ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس
لكن ليس في روايتهما اسم احد من الصحابة
منه

في يومه وليلته فصيام ثلثة ايام اي فكفارته صيام وفي قرآءة ابي و
وابن مسعود متتابعات والشافعي في موضع من الام على التتابع
ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم يعني وحنثتم وترك ذكر الحنث
للعلم بان الكفارة لا تجب بنفس الحلف واحفظوا ايمانكم عن الحنث
او بان لا تحلفوا والافضل الحنث والكفارة في ترك مندوب وفعل
مكروه وما وقع على الصحابة كما ذكرنا في سبب النزول من احد هذين
القسمين فتعين الحنث والكفارة كذلك مثل ذلك البيان يبين الله
لكم اياته لعلكم تشكرون نعمه فيزيدكم ولما نهى عما حرم على انفسهم
بين ما هو الحرام وهم يتعاطونه يعني الخمر والباقي ذكر تبعا له ليعلم ان الخمر
من جنسه فقال يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر القمار بجميع انواعه
والانصاب حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها والازلام قداح
يستقسمون بها وقد مر بيانها رجس في الصحاح الرجس القذر
والعقاب والغضب وهذا كما قال انما المشركون نجس فلا حاجة الى تقدير
مضاف فانه ابلغ من عمل الشيطان مسبب من تسويله فاجتنبوه
اي الرجس لعلكم تفلحون بسبب الاجتناب عن الرجس انما يريد
الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء هي شدة العداوة
كانه قال الشيطان لا يرضى منكم بالعداوة حتى يوقعكم في البغضاء
في الخمر والميسر فان العداوة انما تكون فيهما وايضا خاطب المؤمنين
وهم قد تركوا الانصاب والازلام لكن ذكرهما مع الخمر والميسر اشارة
الى قبحهما تبعيدا عن تعاطيهما ويصدكم يمنعكم عن ذكر الله وعن الصلوة
خصوصا لكمال الولع والحرص على تعاطيهما فهل انتم منتهون من ابلغ
عبارة في النهي كانه قال قد تلوت عليكم ما فيهما من المفاسد الدنيوية
والدينية التي توجب الانتهاء فهل انتم منتهون ام انتم على ما كنتم
عليه ولم ينفعكم علمكم واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا المخالفة
فان توليتم عن الطاعة فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وقد بلغ
وفي هذا من الوعيد ما لا يخفى اذ تضمن ان عقابكم انما يتولاه المرسل لا
الرسول ولما نزل تحريم الخمر قالوا كيف بمن كان يشرب بها قبل التحريم و

اي تعاطي الخمر والميسر
منه

انما خصهما بالذكر ص

رواه الامام احمد عن ابن عباس
منه

وبعض

وبعض من قتل في احد والخمر في بطونهم فانزل الله ليس على الذين
امنوا وعملوا الصالحات جناح اي اثم فيما طعموا اذا ما اتقوا الحرام
يعني الذم والجناح انما يتعلق بمرتكب المعاصي ومن ارتكب قبل التحريم
ليس بعاص واللفظ عام وان كان سبب النزول خاصا وامنوا
وعملوا الصالحات ثبتوا وداموا على الحالة المذكورة ثم اتقوا ما حرم
عليهم بعد وامنوا بتحريمه ثم اتقوا استمروا على اتقاء المعاصي واحسنوا
العمل بالترقي الى النوافل في الصلاة والصلات او معناه اتقوا
الشرك وامنوا ثم داموا على ذلك ثم اتقوا المعاصي واحسنوا اعمالهم
والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم والعفو من شيمه معهم ولما امر ان
لا يحرموا الطيبات واخرج منها الخمر والميسر بالحرمة الدائمة اخرج
بعده منها ما حرم في حال دون حال مع ان العرب مولع بالصيد
لحرصهم بالخمر ولهم فيه كما في الخمر اشعار واوصاف حسان فقال يا ايها
الذين امنوا ليبلونكم الله والله ليختبرنكم بشيء من الصيد قوله بشيء
اشارة الى ان ما يقع به الابتلاء بعض من كل بالاضافة الى مقدور
الله وهو قادر على ابتلائكم باعظم واهول ليبعثهم على الصبر ولهذا
سبق الوعد به قبل حلوله ليتوطن النفس عليه كما قال في الامور
العظام ليبلونكم بشيء من الخوف والجوع ووقع هذا في عمرة الحديبية
بغتهم الصيد من الوحش والطير في رحالهم وهم محرمون تناله ايديكم
تتمكنون من اخذه باليد ورماحكم تحتاجون الى مزاولة السلاح
يعني بعضه كذا وبعضه كذا وتناله صفة لشيء او حال وهذا بعينه ما
وقع على اليهود في سبتهم كما قال تاتيهم شرعا الاية وعلم فيهم انهم
لا يخافون بالغيب واعتدوا فوقع عليهم ما وقع ليعلم الله علم رؤية
وتمييز من يخافه بالغيب من يخاف الله ولم يره او من يخاف عقاب
الله وعقابه غير مشاهد بل علم باخبار الله وهو دال على ايمانهم
وبالغيب حال من الفاعل او من المفعول فمن اعتدى بعد ذلك
اي النهي الدال عليه الابتلاء او بعد الانذار فله عذاب اليم ولله الحمد
على ان لا يقعوا في مثل ما وقع فيه اليهود ولما علم من ضمن الكلام حرمة

الصيد فی الاحرام امرهم صریحا فقال یا ایها الذین امنوا لا تقتلوا الصید
وانتم حرم محرمون جمع حرام قیل وانتم فی الحرم جملة حالیة فان الاحرام
تذکرة للموت والمیت لا یؤذی بوجه والحرم موطن الرفق ایضا ومن
قتله منکم متعمدا ذاکرا لاحرامه قاصدا للقتل فجزآء ای فعلیه جزآء مثل
ما قتل صفة جزآء ای یماثل ما قتل من النعم بیان للمثل ومن قرأ بالاضافة
فمن اضافة المصدر الی المفعول وفی بعض القرآآت جزآء بالتنوین مع
نصب مثل والمثل غیر زائد لانه بصدد بیان ان الجزآء ما هو لا بیان ان
علیه جزآء ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهیئة علی الاصح المنقول
من السلف وعند الشافعی للمحرم قتل ما لا یوکل فان الصید لا یطلق
علیه عرفا غالبا والجمهور علی تحریمه الا ما یؤمر بقتله وظاهر القران دال
علی ان فی غیر المتعمد لا جزآء وبه قال ابن عباس فی احد قولیه وابن
جبیر وطاوس وعطآء وسالم وبه قال ابو داود والطبری واحد قولی
الحسن البصری ومجاهد واحمد واما عند مالک وابی حنیفة والشافعی فلا
اثم لکن وجب الجزآء ویاباه قوله متعمدا وقوله ومن عاد یحکم به بالجزآء
ذوا عدل منکم رجلان صالحان من المسلمین فما حکم الصحابة بالمثلیة
فهو متبع والا فلا بد من عدلین علی الاصح هدیا حال من ضمیر به بالغ
الکعبة صفة هدیا والاضافة لفظیة فجاز ان یکون صفة لنکرة ومعناه
واصلا الیها ویتصدق به او کفارة عطف علی جزآء طعام مساکین
هی طعام مساکین او بدل من کفارة وعند جمهور البصریین ان عطف
البیان لا یجوز فی النکرات او عدل ذلک صیاما الظاهر ان الاشارة
الی اقرب مذکور وهو الطعام ای ما ساواه من الصوم فیصوم عن
اطعام کل مسکین یوما وصیاما تمییز للعدل قد اجمل قدر الطعام
وعدد المساکین والظاهر ما یسمی طعاما وما ینطلق علیه الجمع لکن عند
جمع من السلف یقوم الصید دراهم ثم یشتری بها الطعام فیطعم
کل مسکین نصف صاع وعند بعض اخر یقوم الهدی ثم یشتری بقیمته
طعام والایة کالصریح فی التخییر بین الثلثة کالحلف وعلیه الاکثرون
وهو اصح قولی الشافعی لیذوق وبال امره ای اوجبنا علیه ذلک

لیذوق

لیذوق ثقل امره وسوء عاقبة ما فعل فاللام متعلق بمحذوف واما
تعلقه بجزآء فی قرآءة تنوین جزآء ورفع مثل فغیر جائز لتصریح النحاة
بان المصدر اذا وصف لا یعمل فیما بعد صفته عفا الله عما سلف
قبل التحریم ومن عاد الی مثل ذلک فینتقم الله منه ای فهو ینتقم
والجزآء اذا کان مضارعا لا یصح دخول الفآء ما لم یقدر المبتدأ والله
عزیز غالب ذو انتقام علی المصر بالمعاصی احل لکم صید البحر مما لا یعیش
الا فی المآء حین الاحرام ایضا وهو الاصح المنصوص عن اکثر السلف
وطعامه عطف علی صید وهو ما یتزود منه یابسا وما لفظه میتا والضمیر
الی البحر متاعا لکم وللسیارة منفعة للمقیم وللمسافر ونصب متاعا
بانه مفعول له باعتبار صید البحر وطعامه وحرم علیکم صید البر ما دمتم
حرما والظاهر ان الصید فی الموضعین فعله وفی الصحیحین ان جماعة
من الصحابة سالوا رسول الله صلی الله علیه وسلم عن اکل صید المحرم
فقال هل کان فیکم احد اشار الی الصید واعان فی القتل قالوا
لا فکلوا واکل منها واتقوا الله الذی الیه تحشرون ذکر الحشر اذ فیه یظهر
جزآء من اطاع ومن عصی ولما ذکر تعظیم الاحرام بالنهی عن قتل الوحش
فیه وذکر تعظیم الکعبة بقوله هدیا بالغ الکعبة بین بعده ان الکعبة جعل
قیاما للناس فقال جعل الله الکعبة البیت الحرام ای صیر ولما کان
الکعبة یطلق علی غیر البیت الحرام کالکعبة الیمانیة ذکر البیت الحرام فعین
وهو عطف بیان للکعبة قیاما للناس فی امر دینهم ودنیاهم به الحج وبه
یلوذ الخائف ونصب قیاما ثانی مفعولی جعل والشهر الحرام عطف
علی الکعبة والتعریف للعهد فالمراد ذو الحجة او للجنس وینصرف الی الکل
جعل الاشهر الحرم قیاما للناس فیه الحج والامن من القتال والهدی ما
اهدی الی الکعبة والقلائد ذوات القلائد من الهدی ما قلد به من نعل
اولحآء شجر یعنی علامة یعلم بها انه هدی وکانوا یامنون بتقلیده فبه
یحصل القیام ذلک ای الجعل قیل اشارة الی ما فی السورة من اخبار
الغیب لتعلموا ان الله یعلم ما فی السموات وما فی الارض فان شرع
الاحکام لدفع المضار قبل الوقوع وجلب المنافع دلیل کمال علمه او

لا بجزآء کما قاله الزمخشری
منه

نحو اعجبنی ضرب زید الشدید عمرا لم یجز
فالاحسن ما اخترناه من تقدیر متعلقه
منه

او لتعلموا انا نعلم مصالح دينكم و دنياكم فتستدلوا بهذا العلم الخاص على
انه عالم بما فيهما وان الله بكل شئ عليم تعميم بعد تخصيص اعلموا ان الله
شديد العقاب لمن اصر على انتهاك محارمه وان الله غفور رحيم
لمن حافظ عليها او اناب ما على الرسول الا البلاغ فاذا بلغ فليس
عذر لكم في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق و
وتكذيب ولما حذر عن المعصية ورغب في الطاعة وكرر ذلك اتبعه
بنوع آخر من الترغيب والترهيب فقال قل لا يستوي الخبيث والطيب
الحرام والحلال يمكن اطلاقهما على المؤمن والكافر والمطيع والعاصي والجيد
والردي والمعرفة والجهل والطاعة والمعصية والاولى حملهما على العموم
ولو اعجبك ايها السامع كثرة الخبيث وقد ورد ما قل وكفى خير مما كثر والهى
فاتقوا الله في الخبيث يا اولي الالباب ارباب العقول السليمة فان
فائدة العقل اجتناب صاحبه عن المضار لعلكم تفلحون والفلاح اقصى
غاية مراد المرء العاقل ولما ذكر عدم استواء الخبيث والطيب واشار
الى ان العقل الخالص هو المميز وبعض الاسولة من قسم الخبيث امر
باجتنابه فقال يا ايها الذين امنوا لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اشياء ان تبد تظهر لكم تسؤكم تغمكم وتضركم روي في الصحيحين ان احدا
قال من ابي يا رسول الله قال فلان والرجل مطعون في نسبه فنزلت
وروى الترمذي وابن ماجة والامام احمد لما وجب الحج قالوا في كل عام
فقال صلى الله عليه وسلم ولو قلت نعم لوجب فاتركوني ما تركتكم فنزلت
وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن في زمان الوحي تبد لكم الشرطيتان
صفة اشياء عفا الله عنها اي لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها
ولم يكلفكم بها فالجملة صفة اخرى او معناه عفا الله عما سألتم فلا تعودوا
لمثلها فالجملة مستأنفة والله غفور حليم لا يعاجل بالعقوبة وان
حل محلها قد سألها اي عن امثالها ففيه الحذف والايصال والمضاف
محذوف قوم من قبلكم من متعلق بسأل او صفة لقوم ومن قال
ان ظرف الزمان لا يكون صفة ولا حالا ولا خبرا عن الجثة مراده ظرف
زمان مجرد من الوصف ولهذا قال الله والذين من قبلكم ثم اصبحوا بها

باشياء او بالمسألة كافرين لانهم هجروها وفي الصحيح اتركوني ما تركتكم
فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم
لما نهى عن بعض الاسولة وامر بالاكتفاء بما امرهم علم منه بطريق
الاولى عدم جواز اختراع شرع من عند انفسهم فقال ما جعل الله
اي ما صير من بحيرة من زائدة وبحيرة مفعوله الاول هي ناقة
ولدت خمسة ابطن بحروا اي شقوا اذنها وحرموا الحمل والركوب
عليها ولا سائبة ناقة سائبة لنذر صاحبها ان حصل ما اراد من شفاء
مثلا فهي لا تركب ولا وصيلة الشاة اذا انتجت سبعة ابطن نظر
ان كان السابع ميتا فهو للرجال وان كان حيا ذكرا فهو مذبوح
للرجال وان كان انثى تركوها لالهتهم وان كان ذكرا وانثى خلوا
الذكر ايضا من اجل انثى وقالوا وصلت اخاها ولبنها للرجال
ولا حام هو الفحل اذا انتج من صلبه عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا
يحمل عليه وقد قيل في تفسير كل واحد غير ما نقلنا واما المفعول
الثاني لجعل فمقدر اي ما جعل وصير بحيرة ولا كذا ولا كذا مشروعة
بل تلك من مخترعاتهم قال النحاة ان جعل يجئ بمعنى خلق والقى
وصير وبمعنى اخذ في الفعل وبمعنى سمى واما جعل بمعنى شرع وسن
فلم يسمع والحمل بما سمع اولى واحرى ولكن الذين كفروا يفترون على
الله الكذب في تحريم تلك الانعام واكثرهم لا يعقلون كالانعام
يعني وفيهم عقلاء في الجملة لكن كفرهم عنادي واذا قيل لهم تعالوا الى ما
انزل الله والى الرسول اي تعالوا اليهما واتبعوهما كما قال في سورة
البقرة اتبعوا ما انزل الله قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا من سننهم
او لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون اي احسبهم اتباع
ابائهم على كل حال ولو في الحالة التي ينتفي عن ابائهم العلم والاهتداء
فانها حالة لا ينبغي ان يتبع فيها فعلى ما قررنا لو شرطية وجاءت
لاستقصاء ما قبلها وهذا نحو ما في الحديث اعطوا السائل ولو جاء
على فرس اي اعطوها على كل حال ولو بالحالة التي تشعر بالغنى
واتقوا النار ولو بشق تمرة فالواو للعطف على حال مقدر والهمزة للانكار

ولما رغب ورهب ونصح ولم يفد لهم بل بقوا مصرين على ضلالهم
وحسبوا ان ترك ما هم عليه عار خاطب المؤمنين فقال يا ايها الذين
امنوا عليكم اسم فعل بمعنى الزموا انفسكم اى صلاحها لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم قال صلى الله عليه وسلم حين سال عن تلك
الاية ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا رايت دنيا موثرة
وشحا مطاعا واعجاب كل ذى راى برايه فعليك بخويصة نفسك
والمراد انكم اذا جربتم عدم نفع الامر والنهى فرخصة فى ترك الحسبة
وجملة لا يضركم استينافية الى الله مرجعكم جميعا حال من كم فينبئكم بما
كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين ولما قال عليكم انفسكم علم منه تنفير
واستبعاد عن ان ينتفع المؤمنون من الضلال بوجه من شهادة
وغيرها اخبرهم بما ينافى علمهم فى صورة مخصوصة فقال يا ايها الذين
امنوا شهادة بينكم الاضافة الى الظرف على الاتساع اذا حضر
ظرف لشهادة احدكم الموت اى امارات الموت حين الوصية بدل
من الظرف جعل زمان حضور امارات الموت زمان الوصية وذلك
اذا كانت الوصية من لوازم ذلك الوقت ويكون ذلك مقررا
فى الاذهان ففيه دليل على ان الوصية مما لا ينبغى التساهل فيها اثنان
خبر شهادة بتقدير مضاف اى شهادة اثنين ذوا عدل صفة اثنان
منكم من المسلمين صفة اخرى او اخران عطف على اثنان من غيركم
من غير المسلمين وسبب النزول الثابت صريح فى ان المراد من
غيركم غير المؤمنين فان الاخرين نصرانيان ان انتم ضربتم فى
الارض اى شهادة غير المسلم مشروطة بانكم فى سفر لم تجدوا مسلما وفيه
ايضا مبالغة فى الوصية وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب واستغنى
عن جواب ان لما تقدم من قوله او اخران من غيركم فاصابتكم
مصيبة الموت عطف على ضربتم تحبسونهما استيناف كان قائلا
قال كيف ان ارتبنا فيهما وضمير المثنى الى آخران من بعد الصلوة
الظاهر ان التعريف للجنس اى اى صلوة كانت واما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم استحلف النصرانيين بعد صلوة العصر فلا يدل

على ان المراد من التعريف العهد لكن ليس ببعيد فان اهل الكتاب
ايضا يعظمون صلوة العصر وهو المنقول عن كثير من السلف
فيقسمان بالله ان ارتبتم الحلف مقيد بوجود الارتياب من احد
الوارثين لا نشترى به بالقسم جواب القسم ثمنا اى لا نستبدل
عرضا من الدنيا وما كذبنا فيكون الشرط اعتراضا بين القسم والمقسم عليه
ولو كان من نقسم له ذا قربى من اقاربنا لا نحلف له كاذبا يعنى نحن
رجال عادتنا الصدق لنا او علينا يدل على ذلك التاكيد بقوله
ولو كان فانه اذا لم يحلف له فلغيره بطريق الاولى ولا خفاء فى ان هذا
فى تحليف الشاهدين لا الوصيين وبعض من السلف على ان المراد
من الشهادة الوصاية وكون الوصى اثنين للتاكيد وقولهم خلاف الظاهر
المتبادر ولا نكتم شهادة الله اى الشهادة التى امر الله باقامتها
معطوفة على قوله لا نشترى فيكون من جملة المقسم عليه انا اذا
لمن الاثمين اذا تودى معنى الشرط يعنى انا ان اشترينا وكتمنا لمن
الاثمين فان عثر ان اطلع بعد حلفهما على انهما اى اخرين استحقا
اثما استوجبا ذنبا بيمينهما الكاذبة فاخران فشاهدان اخران يقومان
مقامهما خبر فاخران من الذين استحق عليهم من الذين جنى عليهم
وهم الورثة فضميره استحق للاثم اى ارتكب الذنب بالجناية عليهم الاوليان
اى الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما استيناف كانه قيل
من هما قال هما الاوليان فالاوليان خبر محذوف وفى قراءة
الاولين صفة او بدل من الذين وفى قراءة استحق مبنيا للفاعل
فالاوليان فاعله اى من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان
بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة فمفعول يستحق محذوف
حينئذ وهو ان يجردوهما للحلف والاوليان هما الاخران الذان
يقومان مقام اخرين من الغير على وضع الظاهر موضع المضمر
لانه لا يمكن ان يكون فاعل استحق ضمير يرجع الى فاخران للافراد
فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا احق والله لشهادتنا
احق بالاعتبار من شهادتهما وما اعتدينا ما تجاوزنا عن الحق فى

لانه ليس فى الشرع تحليف الشاهد
ولا يلزم منه فان هذا حكم خاص فى
فى محل خاص ثبت التحليف بمقتضى النص
منه

فى الشهادة انا اذا ان اعتدينا لمن الظالمين ذلك اى الحكم على هذا
الوجه الذى حكمنا وبينا ادنى اقرب ان ياتوا اى الى ان ياتوا
اى تاتى الشهداء بالشهادة على وجهها كما هو فى نفس الامر من غير
تغيير او يخافوا ان ترد ايمان على المدعين وهم اولياء الميت
بعد ايمانهم اى اقرب الى احد الامرين اداء الشهادة على الصدق
او الامتناع عن ادائها بالكذب وايهما وقع كان فيه الصلاح يعنى
اذا ظهر للاولياء امارات كذب الشاهدين فيفتضحوا وجمع الضمير
فى ياتوا وما بعده مع ان السابق مثنى فعائد الى الشاهدين
باعتبار الصنف والنوع واتقوا الله واسمعوا بسمع اجابة والله
لا يهدى القوم الفاسقين اى ان لم تسمعوا كنتم فاسقين والله
لا يهديهم ومحصل الاية ان المحتضر حين يوصى يشهد على وصيته
اثنين من المسلمين فان لم يجدهما بان كان فى سفر فاخرين من غير
المسلمين ثم ان وقع ارتياب فى صدقهما اقسما بالتغليظ فى الوقت
ايضا على صدق ما يقولان فان اطلع بعد الحلف لامارة ومظنة
على كذبهما اقسم اخران من اولياء الميت هكذا قرر هذا الحكم غير واحد
من ائمة السلف والتابعين وهو مذهب الامام احمد والقاضى
شريح فى خاصة مثل تلك الواقعة وقال بعضهم شهادة الكافر كانت
فى بدء الاسلام ثم نسخت فحكم الاية منسوخ واما سبب نزول الاية
كما رواه الترمذى وابو داود ان رجلا من المسلمين سافر ومعه رجلان
نصرانيان ومات بارض ليس بها مسلم فلما قدموا بتركته فقدوا
جاما من فضة مموها بالذهب فترافعوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت فاحلفهما بعد العصر فحلفا على انهما ما اطلعا على
الجام ثم وجد الجام عند من اشترى منهما فقام رجلان من اولياء
الميت فحلفا ان الاناء لنا واخذا هذا والظاهر من سبب النزول
انهما وصيان لا شاهدان ولما اخبر بشاهدى الوصية بعد ما بين
امر الضالين ذكر بهذا اليوم المخوف محرف الشهادة ومن لم يتق
الله فقال يوم يجمع الله الرسل المختار ان يكون ظرفا لقوله قالوا

لا علم لنا اى قال الرسل وقت جمعهم وقول الله لهم ماذا اجبتم او تقديره
اذكر فيقول لهم ماذا اجبتم اى اجابة اجبتم اجابة اقرار او انكار فانتصاب
ماذا باجبتم انتصاب مصدره قالوا لا علم لنا قالوا ذلك من هول ذلك
اليوم او علمنا بالنسبة الى علمك ليس بعلم او بما احدثوا بعدنا انما
انك انت علام الغيوب فتعلم ما لا نعلم والسؤال لتوبيخ الامم اذ قال
الله بدل من يوم يجمع فكلمة اذ ولفظ الماضى من قبيل ونادى اصحاب
الاعراف يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك المراد
من النعمة الجنس ويدل على ذلك ما عدده من النعم ونعمته على امه
ما هى مذكورة فى مواضع من براءتها مما نسب اليها وغير ذلك
اذ ايدتك قويتك مشتقا من الايد ظرف لنعمتى بروح القدس جبريل
والاضافة كرجل صدق وقيل بالكلام ونفس يحيى به الدين والموتى
تكلم الناس جملة مستأنفة فى المهد وكهلا قد مر اعرابه ومعناه واذ
علمتك الكتاب الخط والحكمة العلم مع العمل والتورية والانجيل
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير تشكله وتصوره على هيئة طائر باذنى
لك فى ذلك فتنفخ فيها فى تلك الصورة فتكون طيرا طيرا باذنى
بامرى وارادتى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى لم يقل واذ تبرئ كما قال
فى نظائره لان ابراءهما ليس من جنس نظائره لانه يحصل من الاطباء
وان اختلف الطور واذ تخرج الموتى باذنى اى تحيى الموتى فعبر بالاخراج
عن الاحياء نحو وكذلك الخروج بعد ما قال واحيينا به بلدة ميتا او معناه
اذ تخرج الموتى من قبورهم احياء واذ كففت بنى اسرائيل عنك عن قتلك
اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت يعنى مجيئك بالبينات سبب للايمان
وهؤلاء ارادوا قتلك فقال الذين كفروا منهم ان هذا اى ما هذا الذى
جاء به الا سحر مبين واذ اوحيت الى الحواريين الحواريون ليسوا بانبياء
يوحى اليهم فالمراد من الوحى الالهام او المراد اوحيت اليهم بلسانك
ان امنوا بى وبرسولى قالوا امنا ان بمعنى اى او مصدرية اى بان امنوا
واشهد يا رسول الله باننا مسلمون منقادون مخلصون اذ قال
منصوب باذكر الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك

في هذه العبارة سوء ادب اولا مع رسول الله حيث نادوه باسمه
وثانيا مع الله ولكن اطباق العلماء على انهم مؤمنون خلاف ما قاله
الزمخشري والظاهر انهم شكوا في قدرة الله ولهذا اجابهم عيسى بقوله
اتقوا الله والشك في القدرة هل هو كفر ام لا في اول من اسلم
محل بحث قيل هذا كما تقول هل تستطيع ان تجيء معي عالما باستطاعتكم
اي هل تفعل وقراءة تستطيع ربك بالنصب فمعناه تستطيع
سؤال ربك ان ينزل علينا مائدة هي الخوان الذي عليه الطعام
من السماء قال عيسى اتقوا الله في سؤالها لاقتراح اية من الله مع
بشاعة اللفظ ان كنتم مؤمنين يعني لا يليق اقتراح الايات بعد الايمان
قالوا نريد ان نأكل منها اجابوا بان الطلب لا لاقتراح اية وتطمئن
قلوبنا بزيادة علمنا ونعلم علم مشاهدة بعد ما علمناه من صدقك بالمعجزات
ان قد صدقتنا فيما وعدتنا من عنايات ربنا علينا وان مخففة من المثقلة
ونكون عليها من الشاهدين اي من الشاهدين على تلك المائدة
الدالة على نبوتك او من الشاهدين عليها عند من لم يحضرها من بني
اسرائيل والعامل في عليها محذوف يفسره من الشاهدين لان تقديم
ما في حيز حرف الجر والصلة غير جائز اللهم الا ان يقال في الظرف توسعة
قال عيسى بن مريم اللهم ربنا ربنا نداء ثان فان اللهم لا يوصف ولا يبدل
منه انزل علينا مائدة من السماء متعلق بانزل تكون صفة لنا عيدا
سرورا وفي الاسناد مجاز لكونها سبب السرور لا ولنا بدل من لنا
واخرنا لمتقدمينا ومتأخرينا والبدل اذا كان يفيد الاحاطة جاز ان
يبدل من ضمير المتكلم والمخاطب كمررت بكم صغيركم وكبيركم واية منك
عطف على عيدا اي اية على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا وانت
خير الرازقين اي خير من يرى انه رازق قال الله مجيبا له اني منزلها
عليكم فمن يكفر بعد بعد نزولها جملة شرطية منكم فاني اعذبه عذابا جواب
الشرط وهذا كالبنية بناء على ان العذاب اسم للتعذيب كالسلام والمتاع
للتسليم والتمتيع لا اعذبه من باب الحذف والايصال اي لا اعذب به
فالضمير لعذابا او الضمير للمصدر فيكون في موقع المفعول المطلق نحو ظننت

زيدا قائما ويقوم مقام العائد الى الموصوف احدا من العالمين عالمي
زمانهم والاصح ان المائدة نزلت وكفروا بها فمسخوا قردة وخنازير
كاصحاب السبت لكن روى ابن جرير وابن ابي حاتم باسانيد صحيحة
عن الحسن ومجاهد انهما خالفا الجمهور وقالا لم ينزل فانه لما شرط عليهم
الشرط اشفقوا وقالوا لا نريد واما كفرهم بالمائدة فعلى ما اخرجه الترمذي
انه قال صلى الله عليه وسلم انزلت المائدة خبزا ولحما وامروا ان لا
يدخروا لغد ولا يخونوا فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير واذ قال
الله يوم القيمة تقريعا وتوبيخا للنصارى على رؤس الاشهاد وهو
من جملة نعمة الله على عيسى وقد طوى بيان نعمته على والدته اذ كل
نعمة على ولدها نعمة عليها فصل بين النعم باية المائدة تنبيها للمؤمنين
على ان يحترزوا عن سؤال الاقتراح كما فعله بنو اسرائيل وعذبوا قال
السدي وغيره هذا القول من الله حين رفع عيسى اليه يا عيسى
بن مريم اانت قلت للناس وهذا كما سال من الموؤدة باي ذنب
قتلت والمراد ان هذا امر وقع والاستفهام عن النسبة ان هذا الفعل
الواقع صادر عن المخاطب او عن غيره كما اذا قلت اانت ضربت زيدا
اتخذوني وامي الهين من دون الله من متعلق باتخذ او صفة الهين
ذكر ان عيسى لما سمع هذا الخطاب ارتعدت مفاصله وانفجر من
اصل كل شعرة منه عين من دم فعند ذلك قال سبحانك انزهك
تنزيها عن ان يكون لك شريك او عن ان يقال هذا في شانك
قيل لما قالوا ولدت مريم الها لزمهم من حيث البعضية القول بالهيته
من ولدته فصاروا بمثابة من قاله والا فلم يقل احد بالهية مريم ما يكون
لي جملة استينافية يبين انكار هذا القول ثانيا ان اقول ما ليس
لي بحق ما ينبغي وليس من شاني ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله
ومتعلق لي بحق المقدر قبله فان تقديم صلة الجار على المجرور غير جائز
ان كنت قلته فقد علمته علق مستحيلا على مستحيل وهو نفيه علم الله
بذلك القول فانتفى القول وهذا ثالث وجه انكار هذا القول تعلم
ما في نفسي اي ما اخفيه ولا اعلم ما في نفسك اي ما تخفيه وهذا رابع

وجه الانكار انك انت علام الغيوب ما غاب عن خلقه قوله ما في
نفسك من باب المقابلة فليس لله نفس لكن قد جاء في غير المقابلة
ويحذركم الله نفسه ومثل ذلك في الحديث ما قلت لهم الا ما امرتني به
صرح خامسا بنفي المستفهم عنه ان اعبدوا الله ربي وربكم بدل من
ضمير به والمبدل ليس في حكم التنحية بالكلية فلا يرد ما قيل انه يبقى الموصول
بغير راجع اليه من صلته لانه لا يلزم في كل بدل ان يحل محل المبدل منه
فقد صرحوا بجواز زيد مررت به ابي عبد الله وصرح في المفصل بصحة
مثل ذلك او ان مفسرة لما امرتني ولا يرد ان الله تعالى يقول
اعبدوا الله ربي وربكم لان ربي وربكم من كلام عيسى اي اعني
ربي وربكم وهذا طور عبارته وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا
الله ربي وربكم وقال ان الله ربي وربكم فاعبدوه وكنت عليهم
شهيدا مشاهدا لاحوالهم ما دمت فيهم ما ظرفية ودام تامة فلما تو
فيتني بالرفع الى السماء فان التوفي اخذ الشيء وافيا كنت انت
الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم وانت على كل شيء شهيد مطلع
على كل شيء ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم مع كفرهم
فانك انت العزيز الغالب الذي لا تصير قط مغلوبا الحكيم لا يصدر
عنك فعل الا وفيه حكم ومقصود عيسى عليه السلام تفويض جميع
الامور الى الله تعالى وترك الاعتراض بالكلية والمسئلة ان عفو
الشرك محال بحسب وعيده لكن جائز عقلا عندنا وعند جمهور البصريين
من المعتزلة قال الله مجيبا لرسوله فيما انهاه اليه من التبري من
النصارى هذا يوم ينفع الصادقين المستمرين على الصدق صدقهم
من دنياهم الى اخرتهم وليس المراد صدقهم في الدنيا لانه ورد في صدق
عيسى عليه السلام حين صدق في جواب الله وما هو الا في القيمة
والقيمة ليست بدار عمل فكيف ينفع عمل القيمة واما على ما فسرناه
اعني الاستمرار فهو الامر الكلي ولا يلزم ان يكون للصدق الاخروي
الذي هو الاتصاف بالصدق مدخل في الجزاء وقراءة يوم بالنصب على انه
ظرف قال والمشار اليه قوله يا عيسى بن مريم انت الاية وعند

وعند الكوفيين يوم مبني خبر لهذا والبناء للاضافة الى الجملة الفعلية
فعلى قولهم تتحد القراءتان في المعنى واما البصريون فيشترطون في
بنائه ان يكون الفعل المضاف اليه مبنيا لهم جنات تجري من تحتها الا
الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه هذا نفعهم وقوله
لهم جنات مستانفة ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات
والارض وما فيهن والاصح ان ما لا يختص بغير ذوي العقول بل
يتناول الاجناس كلها من العقلاء وغيرهم وهو على كل شيء قدير
فلا يكون الا هو وحده الها لان التعدد يستلزم قدرة كل واحد على كل شيء وهو محال

سورة الانعام مكية الا ست ايات او ثلث من قوله قل تعالوا وايها مائة وخمس وستون

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض جمع السموات
لان تعددها ظاهر بالعقل والنقل بخلاف الارض فان كيفية تعددها
مع ثبوت النقل لدى العقل متعسر وجعل الظلمات والنور اي احدثهما
وانشاهما جمع الظلمات لكثرة اسبابها فان لكل جرم ظلمة وليس
النور الا في بعض الاجرام قيل المراد من الظلمة الضلال وهو انواع
والمراد من النور الهدى والطريق المستقيم واحد قال يخرجهم من
الظلمات الى النور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون بربهم متعلق
بكفروا وفيه اشارة الى ان لا ينبغي ان يكفروا بما لكهم ويعدلوا عن
طاعته ويعدلون من العدول وصلة العدول محذوفة وهي عنه
او الباء بمعنى عن متعلق بيعدلون اي يعدلون عنه الى غيره مما
لا يخلق ولا يقدر او من عدل الشيء بالشيء التسوية به ومعناه يسوون
بربهم غيره باتخاذ الغير الذي لا خلق ولا ايجاد له الها وثم للتراخي
فانها لم توضع للاستبعاد لكن الاستبعاد مفهوم من سياق الكلام
وهو عطف على الحمد لله لا على خلق هو الذي خلقكم ابتدأ خلقكم من
طين فان آدم منه قيل النطفة ايضا من طين لانها من الغذاء
والغذاء من الطين ثم قضى اجلا اي الموت وقضى ان كان
بمعنى قدر فثم للترتيب في الذكر وان كان بمعنى اظهر واوجد فللترتيب
الزماني على اصل وضعها واجل مسمى اي قيام القيمة عنده لا يعلمه

الا الله ان الله عنده علم الساعة فلا تمترن بها والواو للعطف
على هو الذي او للحال والظاهر من تنكير الاجلين ابهام امرهما قيل الاول
اجل الدنيا من وقت الخلق الى الموت والثاني اجل الاخرة فان الحيوة
فيها لا انقضاء لها ولا يعلم كيفية الحال الا الله واجل مبتدا لتخصصه
بالصفة ولانه موضع تفصيل وعنده خبره ثم انتم تمترون تشكون في
امر القيمة ومن سوق الكلام يفهم الاستبعاد كما مر والخطاب في انتم
للكل والمراد بعضهم او الخطاب في خلقكم لمن كفر على سبيل الالتفات من الغياب
وقوله ثم انتم على ظاهره وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم
في ظرف متعلق بالله لاجل تضمنه المعنى الوصفي وهو ما تقرر عند الكل من تقوله
هذا الاسم عليه خاصة وموصوفيته بجميع صفات الكمال ولولا هذا لم يجز ان يقال
هو الله ولا تعلق الظرف به او متعلق بيعلم نحو رميت الصيد في الحرم اذا كان
الصيد في الحرم وانت خارجه فكفى ان السر والجهر فيهما ويعلم خبر ثان او حال
وقيل هو ضمير الشان والله مبتدا خبره يعلم وفي متعلق به ويعلم ما تكسبون
من الخير والشر وما تاتيهم من اية من زائدة للاستغراق من ايات ربهم الدالة
على وحدانيته وصدق رسله ومن في من ايات للتبعيض لان الاية الواحدة
وان استغرقت في حكم النفي فهي بعض من الايات الا كانوا عنها اي عن
التفكر فيها معرضين لغفلتهم وعمى بصيرتهم فقد كذبوا بالحق القران لما جاءهم
الفاء للتعقيب اشارة الى ان اعراضهم اعقب التكذيب بما هو اعظم اية واكبرها
ولا حاجة الى تقدير شرط اذ الكلام بدونه منتظم فهذه رتب ثلث صدرت
منهم الاعراض اولا ثم اعقب الاعراض التكذيب الذي هو اشد ثم اعقب
التكذيب الاستهزاء الذي هو ابشع واشنع فسوف ياتيهم انبؤا ما كانوا
به يستهزؤن اي اخبار القران واحواله بانهم باي شي استهزؤا وهذا وعيد
شديد وهذا دليل على ان في الكلام حذفا تقديره فاستهزؤا به فسوف
ياتيهم وعلق التهديد بالاستهزاء دون الاعراض والتكذيب لتضمنه
اياهما اذ الاستهزاء هو الغاية القصوى في انكار الحق وما موصولة الم يروا
كم اهلكنا من قبلهم من قرن كم خبرية مميزها من قرن بزيادة من والقرن
الامة المقترنة في مدة ومدة القرن مائة عند الاكثرين ويدل عليه انه صلى الله

عليه وسلم قال في شان احد من الصحابة انه يعيش قرنا فعاش مائة
سنة ويروا من روية العلم معلقة والجملة في موضع مفعوليها ومن
الاولى للابتداء وقيل الثانية للتبعيض والمفرد بعدها واقع موقع الجمع
كانه قال من القرون مكناهم مستانفة او صفة قرن في الارض بمزيد
العمر والمال ما لم نمكن لكم ما نكرة موصوفة بالجملة المنفية والضمير مقدر
اي شيئا لم نمكنه ولا يبعد ان ما لم نمكن مفعول مطلق ومكن متعد بنفسه
وبحرف الجر وكلاهما لغتان فصيحتان نحو نصحته ونصحت له وارسلنا
السماء السحاب وفيه مبالغة بكثرة المطر عليهم مدرارا كثير الدر اي
الصب منصوب على الحال من السماء وهو مفعال يستوي فيه
المذكر والمونث وجعلنا الانهار تجري من تحتهم تحت اشجارهم وغرفهم
فاهلكناهم بذنوبهم بالعذاب المختلف وانشانا من بعدهم قرنا اخرين
بدلا منهم لم ينفعهم زيادة عمرهم وكثرة اموالهم ولا العنايات الصورية
فليتق هؤلاء ان نفعل بهم مثل ما فعلنا بهؤلاء وليفتحوا عيون العبرة
قبل ان ياتيهم العذاب وقرنا مفرد وصف بالجمع مراعاة لمعناه
لان تحته افرادا كثيرين لاجل الفواصل ولو نزلنا عليك كتابا مكتوبا
في قرطاس ورق فلمسوه بايديهم واللمس ابلغ في ايقاع العلم
من المعاينة فان الغالب ان اللمس بعد المعاينة واكثر السحر والشعبدة
في المرئي كما قالوا انما سكرت ابصارنا لقال الذين كفروا عنادا لا الذين
امنوا ان هذا اي ما هذا الا سحر مبين نزلت حين قالوا لن نؤمن حتى
تاتينا بكتاب من السماء ومعه اربعة من الملك يشهدون انه من
الله فكذبهم الله وقالوا لولا هلا انزل عليه على محمد ملك يخبرنا بنبوته
ولو انزلنا ملكا كما اقترحوا لقضي الامر تقديره ولو انزلنا ملكا فكذبوه
لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت على ان من اقترح اية ولم يؤمن
بها بعد نزولها استوصلوا بالعذاب ولن تجد لسنة الله تبديلا
او معناه لو انزلنا ملكا على صورة ملكية لماتوا من هوله فان روية
الملك في صورته من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه راى
جبريل في صورته مرتين وقوله ولو جعلناه ملكا يؤيد هذا المعنى ثم لا ينظرون

لايمهلون وقوله وقالوا يحتمل ان يكون معطوفا على جواب لو اي لعجل
الذين كفروا ولقالوا وقوله ثم لا ينظرون مشعر بان عدم الانظار اشد
من قضاء الامر فان مفاجاة الشدة اشد من نفس الشدة
ولو جعلناه الرسول المنزل على محمد ملكا يشهد على صدقه لجعلناه
رجلا صيرناه في صورة رجل كما ذكرنا او معناه لو جعلنا الرسول
الى الخلق ملكا فانهم قالوا لو شاء ربنا لانزل ملئكة وللبسنا عليهم
ما يلبسون ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم اذا
راوا ملكا في صورة انسان يقولون هذا انسان ليس بملك فان
استدل بدليل على انه ملك كذبوه ولقد استهزئ برسل من
قبلك هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحاق اي احاط
بالذين سخروا منهم من الرسل ولفظ سخر يستعمل بمن قال تعالى
ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ما كانوا اي وبال ما كانوا
به يستهزءون قل لهم يا محمد سيروا في الارض لما ذكر ما حل بالمستهزئين
والمخاطبون امة امية لم تدرس الكتب ولم تجالس العلماء فلهما
ان يكابر في هلاكهم امروا بالسير في الارض ثم انظروا كيف كان
عاقبة المكذبين فتعتبروا وعاقبة الشئ منتهاه وما ال اليه والظاهر
ان المراد من السير والنظر السفر والنظر بالعين والارض ما قرب
من بلادهم كارض عاد ومداين قوم لوط وثمود وقيل سيروا فانظروا
فهم منه التسبيب فالسير لاجل النظر ولم يفهم من ثم انظروا التسبيب فالذي
فهم من هنا الامر بالسير وان كان لمرامهم كالتجارة لكن لا بد فيه من النظر
ولما ذكر تصريفهم بذنوبهم التي هي الشرك بالله امر نبيه ان يسالهم
سؤال تبكيت يلجاهم الى الاقرار بوحدانيته فقال قل لمن ما في السموات
والارض خلقا وملكا قل لله بادر في الجواب فان الكفرة لا ينكرونه
ويكونون انت البادي كتب التزم بفضله على نفسه الرحمة على كل
محسن ومسي في الدنيا فمن اقبل اليه مع عظم ذنبه قبله ليجمعنكم الى يوم
القيمة ليحشرنكم منتهين الى يوم القيمة فيجازيكم لا ريب فيه في ذلك
اليوم فانه امر ممكن دل عليه الادلة جملة مستانفة الذين خسروا

انفسهم بتضييع فطرتهم فهم لا يؤمنون فان استعمال العقل باعث
على الايمان والظاهر انه مبتدا وقوله فهم خبره والفاء لتضمنه معنى
الشرط كانه قال من يخسر نفسه فهو لا يؤمن وله ما سكن يحتمل
عطفه على لله فيكون مندرجا تحت المقول ذكر ان له ما حوى
المكان فصرح بان له ما حواه الزمان في الليل والنهار اي ما
استقر فيهما فهو من السكنى وان كان من السكون فاكتفى به لان
كل متحرك ساكن ولم ينعكس واكتفى باحد الضدين عن الاخر
وقدم الليل لانه الاول وهو السميع العليم لكل مسموع ومعلوم فلا
فلا يخفى عليه شئ قل اغير الله اتخذ وليا انكار لهم في اتخاذهم اصنامهم
التي لا تضر ولا تنفع معبودهم وربهم بعدما اثبت ان الله مالك
لما حواه المكان والزمان واوجب على نفسه الرحمة وهو المجازي
لاعمال المحسن والمسي ونصب غير على انه مفعول اول لاتخذ
وتقديمه لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فا
فاطر السموات والارض مبدعهما بدل من الله والفصل بين
البدل والمبدل اسهل من بين الصفة والموصوف فان البدل
بتكرير العامل وهو يطعم ولا يطعم يعني جميع المنافع منه وخص
الاطعام لمزيد مس الحاجة اليه فلا احد الا وهو محتاج اليه وهو غير
محتاج الى احد قل اني امرت ان اكون اول من اسلم هذا على
سبيل التحريض على الاسلام كملك يامر رعاياه بامر ثم يتبعه
بقوله انا اول من يفعل ذلك ليحملهم على فعله ولا تكونن من
المشركين عطف على قل والمقصود من خطابه امته
نحو لئن اشركت ليحبطن عملك قل اني اخاف ان عصيت ربي
عذاب يوم عظيم الشرط معترض بين اخاف ومفعوله يعني
عذاب واخاف دال على جواب الشرط وهو تعريض لطيف بانهم
مستوجبون للعذاب من يصرف اي العذاب عنه يومئذ
فقد رحمه وقرا يصرف مبني الفاعل فضمير يصرف لله ومفعوله
مقدر اي العذاب وقيل معناه هول يومئذ فيومئذ مفعوله

بتقدير مضاف وهو شرط وجزاء وذلك اى الصرف او الرحم
الفوز المبين بل هو الفوز لا غير وان يمسسك الله بضر كمرض ونحوه
اى يصيبك وينلك فلا كاشف له فلا مزيل عنه من كشف البلاء
ازاله الا هو وان يمسسك بخير كصحة ونحوها فهو على كل شئ قدير
فهو القادر على حفظه وادامته ولا راد لفضله قيل الباء فى بضر وبخير
للتعدية الى ثانى مفعوله وان كانت التعدية بالباء فى الفعل
المتعدى فى غاية القلة يعنى يجعلك ماس الضر والمس تلاقى
جسمين واذا مسك الضر فقد مسك وقدم مس الضر لاتصاله
بما قبله وهو الترهيب قيل تقديره وان يمسسك بخير فلا موصل له
اليك الا هو فانه على كل شئ من الضر والخير لقدير والحذف لدلالة الاول
عليه وهو القاهر فوق عباده القهر الغلبة وتحميل الشئ بكرهه لما ذكر
انفراد تصرفه بما يريد ذكر قهره وان العالم مقهورون ممنوعون
من بلوغ مرادهم وهو فوقهم كما يقال السلطان فوق رعاياه و
وفوق كل ذى علم عليم وفوق خبر بعد خبر او حال من ضمير قاهر
او معمول للقاهر اى المستعلى بقهره فوق عباده وهو الحكيم فى
امره وفعله الخبير بخفايا العالم قل اى شئ اكبر شهادة روى محيى
السنة والواحدى والكلبى ان رؤساء قريش قالوا يا محمد ما احد
يصدقك فى الرسالة سألنا اليهود والنصارى فكذبوك
ارنا من يشهد لك ونصب شهادة على التمييز والشئ يطلق على
الله قل الله اكبر شهادة فان اكبرية شهادته امر لا ينكر وهذا مثل
قوله قل لمن ما فى السموات والارض قل لله وعلى هذا قوله شهيد
بينى وبينكم تقديره هو شهيد وجاز ان يكون شهيد خبر الله
المذكور وعلى هذا الجواب نوع من الاسلوب الحكيم كانه قيل معلوم ان
الله اكبر شهادة فالكلام الانسب بالمقام الاخبار بان الله
شهيد بينى وبينكم لينتج جواب السؤال مع زيادة مهمة واوحى
الى هذا القران الذى تردونه موصوفا بالحجج والبينات لانذركم به
يا اهل مكة لكى لا تدعوا الشرك ومن بلغ وسائر من بلغه القران

من العرب والعجم فمن منصوب عطف على كم ائنكم لتشهدون
ان مع الله الهة اخرى معنى الاستفهام التقريع والانكار
واخرى صفة الهة وصف الجمع بمفرد وهو لفظة اخرى لان الهتهم
حجارة ففيه تحقير قل لا اشهد امر اولا بان يخبرهم بانه لا يوافقهم فى
الشهادة ولا يلزم من عدم موافقتهم اثبات افراد الله بالالوهية
فامر ثانيا بقوله قل انما هو اله واحد ليجتمع مع انتفاء موافقتهم اثبات
الوحدانية لله ثم امر ثالثا بقوله واننى برئ مما تشركون وهو التأكيد
لما قبله مع التقبيح وما يحتمل ان يكون موصولة بحذف العائد ومصدرية
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه بنعته المذكورة فى كتبهم رد
لما قال قريش سألناك عن اليهود والنصارى فكذبوك كما ذكرنا
فى سبب النزول كما يعرفون ابناءهم اى عرفانا مثل عرفانهم
ابناءهم يعنى يميزونهم عن غيرهم فعدم شهادتهم برسالته عناد
والحاد الذين خسروا انفسهم وهجروا ما انزل الله عليهم فهم لا
لا يومنون بكتابهم ومن اظلم ممن افترى اختلق على الله كذبا
كتكذيب اهل الكتاب والمشركين او كذب باياته كالقران
والمعجزات يعنى كل من الكاذب والمكذب فى اعلى درجات
الظلم فمن جمع بينهما يكون فى آخر درجاته انه اى ان الشان
لا يفلح الظالمون فضلا عمن هو اظلم والفلاح الظفر بالمطلوب
ويوم نحشرهم مقدر باذكر فيوم مفعول به او تقديره ويوم نحشرهم
كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذى هو ادخل فى
التخويف وعلى هذا يوم ظرف جميعا عابدهم ومعبودهم ثم نقول
للذين اشركوا ضمير هم للناس جميعا خص المشركين بالتوبيخ
اين شركاؤكم الهتكم التى زعمتم انهم شركاء لله الذين كنتم تزعمون
اى تزعمونهم شركاء فمفعولاه محذوفان قيل تزعمون انهم
شفعاء عند الله والاستفهام للتوبيخ والتقريع فانهم يشاهدون
الهتهم فى هوان ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين اى ما كانت غاية فتنتهم فى الدنيا من المقاتلة والكفر

ومحبة الاصنام الا التبري في الاخرة ومن قرا بنصب فتنتهم فتانيث
الفعل لان ان قالوا مونث باعتبار المقالة واما ان التانيث
باعتبار الخبر فمحل بحث فان من كانت امك محمول على معنى من
للمراعات الخبر نحو ومنهم من يستمعون حلفوا كاذبين لحيرتهم نحو
ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود انظر
كيف كذبوا على انفسهم في الاخرة بنفي شركهم في الدنيا وضل عنهم
ما كانوا يفترون غاب وفات عنهم ما كانوا يفترون الهيته وشفاعته
والنظر قلبي وكيف منصوب بكذبوا والجملة في موضع نصب بانظر
وهذا حكاية عن القيمة وقوله وضل يحتمل عطفه على كذبوا فيدخل في
حيز انظر وما موصولة والعائد محذوف ومنهم من يستمع اليك
اذا قرات القران وعدى بالى لتضمن معنى الاصغاء والا فهو متعد
بنفسه نحو يستمعون القران وجعلنا على قلوبهم ضمير يستمع
للفظ من وضمير قلوبهم لمعناه اكنة جمع كنان اي غطاء والاظهر
ان الواو للحال اي ومنهم من ينصت الى سماعك وقد جعلنا
على قلوبهم غطاء وجعل بمعنى القى فعلى متعلق به ان يفقهوه اي
كراهة تعقلهم القران الدال عليه اصغاءهم اليه وفي اذانهم وقرا
اي ثقلا وصمما يشل نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبول القران واعتقاد
صحته بالاكنة والوقر وما هذا الجعل الا من شقاوتهم الازلية التي لا تزول وهم
وان يروا باعينهم كل اية كانشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه
لا يومنوا بها لان الله قد جعل على اعينهم غشاوة وهذا انتقال من
عدم نفع حاسة الى حاسة هي ابلغ حتى اذا جاوك اي امتد
استماعهم من غير قبول الى ان يقولوا في القران ما هذا الا اباطيل
يجادلونك جملة حالية يقول الذين كفروا جواب اذا وحتى لا عمل
لها والجملة الشرطية خبر مبتدا محذوف اي هم اذا جاوك والذين
كفروا في موضع المضمر واذا جاوك في محل الجر بمعنى حتى وقت
مجيئهم ويجادلونك جواب اذا ويقول تفسير له وهذا توجيه حسن
مبني على ان اذا ليس بلازم الظرفية بل يجري عليه حكم الاسماء

ان هذا

ان هذا الا اساطير الاولين ترهات الاقدمين واحاديثهم المسطورة
في كتبهم عن ابن عباس ان جماعة من قريش كانوا يستمعون القران
فقالوا للشخص منهم هو فصيح شاعر سمع اقاصيص رستم واسفنديار
وامثالهم ما تقول انت فيما يقرا فاجاب ما هو الا اساطير الاولين
مثل ما احدثكم عن القرون الماضية وهم ينهون اي الكفار ينهون
الناس عنه عن استماع القران او عن الرسول وقد تقدم ذكره
في يجادلونك فهو التفات وينأون عنه يتباعدون عنه بانفسهم
وعن ابن عباس وغيره ان هذا في ابي طالب وبعض اخوانه
وعلى هذا المعنى ينهون الناس عن التعرض للرسول بالاضرار
لكن يتباعدون عن الايمان به وان يهلكون بذلك التباعد
الا انفسهم وما يشعرون ليس لهم شعور كالبهائم بل البهائم احسن
ولما بين غاية جهلهم وختم بالتهديد الشديد استشرفت النفوس
الى معرفة حالهم في مالهم فقال ولو ترى حالهم اذ وقفوا من الوقف
الذي هو متعد على النار وعاينوا اهوالها وجواب لو محذوف
يعني لرايت امرا فظيعا هائلا وترى بمعنى رايت ومفعوله مقدر
كما قدرناه فقالوا يا ليتنا نرد الى الدنيا ولا نكذب حين كنا في
الدنيا عطف على نرد فيكون المعنى على تمني مجموع الامرين بايات
ربنا ونكون من المومنين واما على قراءة النصب في الفعلين
باضمار ان بعد الواو لا على جهة الجواب والواو عطف على مصدر
متوهم مقدر من السبق وتقديره يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء
تكذيب وكون من المومنين واما على قراءة رفع الثاني ونصب نكون
فهو باضمار ان عطف على المصدر المتوهم اي يكون لنا رد وكون
من المومنين بل بدا لهم بل اضراب وانتقال من شيء الى شيء هو
ارادة الايمان والرد الى الدنيا من غير ابطال لما سبق ما كانوا
يخفون من قبل اهل الكتاب يخفون حقية الاسلام فان كفرهم
عنادي وكثير من المشركين كذلك والمنافقون يخفون كفرهم
يعني ظهر لهم قبايح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا محبة للايمان ولو ردوا

الى الدنيا كما تمنوا لعادوا لما نهوا عنه من الكفر لشقوتهم الازلية وانهم
لكاذبون فيما وعدوا وقيل معناه قوم عادتهم الكذب وهذا فرد منه
وقالوا الاولى انه عطف جملة على جملة لا عطف على لعادوا او نهوا
ان هي اي ما الحيوة الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين صرحوا بالنفي
المحض واكدوا بالباء على سبيل المبالغة في الانكار وهذا دليل على
ان الاية ليست في اهل الكتاب ولو ترى جوابه محذوف مثل ما مر
اذ وقفوا على ربهم كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاقبه قال
الله استيناف كان قائلا قال ماذا قال ربهم حينئذ اليس هذا
البعث بالحق قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين حين لا ينفعهم لما قال
وقفوا على ربهم فالتاكيد بربنا مناسب قال الله فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون اي بسبب ما كنتم تكفرونه من البعث وغيره قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله البعث وما يتبعه استعاضوا الكفر عن
الايمان فخسروا في تلك المعاوضة حتى اذا جاءتهم الساعة حتى
غاية لكذبوا ومن مات فقد قامت قيامته ويطلق القيمة على
علاماتها القريبة الظاهرة بغتة فجاة وهي نوع من المجي فجاز
نصبها بانها مفعول مطلق او حال بمعنى باغتة قالوا يا حسرتنا
تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحيوة الدنيا وما
مصدرية اي على تفريطنا وهم يحملون الواو للحال اوزارهم
اثامهم على ظهورهم روى ابو داود وغيره انه قال صلى الله عليه وسلم
تمثل ذنوبهم باقبح صورة منتنة فتركب عليهم وتسوقهم الى النار
الا ساء ما يزرون الا تنبيه اي بئس شيئا يزرونه وزرهم او معناه
ساءهم الذي يزرونه اي يحملونه ولما قالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا
بين قصارها ومنتهى امرها فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو
فانها تنقضي عن قريب ولا تعقب منفعة كاللعب واللهو وقيل
اللعب عمل يشغل عما ينتفع به الى ما لا ينتفع به واللهو صرف النفس عن
الجد الى الهزل يقال لهيت عنه اي صرفت نفسي عنه وللدار الاخرة خير للذين
يتقون وواعله الدار الاخرة خير لهم لدوام ما فيها من الخيرات اشار

الى ان غير عمل التقوى لعب افلا تعقلون ان الامر كذلك ولما
كرر في هذه السورة امره بمقاولتهم واطال في البحث على مجادلتهم
وكان من المعلوم انهم لا يراعون الادب وجوابهم ليس الا السفه
كما هو داب المعاند المغلوب فلهذا انفي عنهم الشعور والعقل صار
الحال محتاجا الى التسلية فقال قد نعلم قال سيبويه قد في مثل
قد نعلم للتحقيق انه اي الشان ليحزنك الذي يقولون عبر
بالمضارع عن الماضي في نعلم لدفع وهم انه كان هذا ولم يكن الان
وجملة انه في موضع مفعول نعلم فانهم لا يكذبونك في نفس الامر
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اي لكنهم لظلمهم جحدوا اياتي
وهذا كما تقول تسلية لعبدك حين اهانه احد ما اهانوك بل اهانوني
وفيه وعد ضمني بالانتقام وروى الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين
ان ابا جهل قال لا نكذبك لكن نكذب بما جئت به فنزلت ولقد
كذبت رسل من قبلك هذا تسلية بعد تسلية كل منهما بطور اخر
فصبروا على ما كذبوا واوذوا ويحتمل عطف اوذوا على صبروا وما
مصدرية حتى اتاهم نصرنا بعونهم واهلاك اعدائهم وانت منهم
فاصبر كما صبروا الى زمان نصرتك ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده
ولا تستعجل فلكل شي وقت مقدر ولقد جاءك من نبا المرسلين
بعض اخبارهم كيف صبروا وكيف دمرنا معانديهم ومن تبعيضية
وجاز ان يكون فاعلا كما صرح العلماء في مثل ومن الناس من
يقول امنا ان مضمون الجار والمجرور مبتدا وقيل في جاء ضمير عائد
على ما تقدم من مضمون الجملة يعني تكذيبهم وصبرهم الى مدة ومن
نبا حال من ذلك المضمر وان كان كبر عظم وشق عليك اعراضهم
عنك في كان ضمير الشان وكبر خبر كان وجوز بعض النحاة
ان اعراضهم اسم كان وفي كبر ضمير اليه فان استطعت ان تبتغي
تطلب نفقا منفذا في الارض تنفذ فيه وفي الارض صفة لنفقا
او ظرف لتبتغي او سلما مصعدا في السماء تصعد به اليه فتاتيهم
من جوف الارض او من السماء باية تلجئهم على الايمان فاعل

فجواب الشرط الثاني محذوف وجملة الشرط والجزاء جواب الشرط
الاول يعني لا مغير لحكم الله فاصبر ولا تذهب نفسك عليهم حسرات
ولا شك ان نفس النفق والسلم ليست هي الاية ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى لو اراد جمعهم على الهدى لجمعهم وهداهم ولكن
لم يتعلق به مشيته لحكمة اقتضته فلا تكونن من الجاهلين بالحرص
على ما لم يرد والجزع على ما لم ينل فانه داب الجهلة اي بلفظ كان في
وان كان كبر ليبقى الشرط على المضي ولا ينقلب مستقبلا فان كان
لقوة دلالته على المضي لا تقلبه كلمة ان الى الاستقبال بخلاف
سائر الافعال لكن الجمع بين ان التي للاستقبال وكان الذي هو
يستعمل بمعنى المضي بتاويل انه بمعنى حدوث العلم يعني ان يعلم انه
كان كبر انما يستجيب اي يجيب دعوتك بالايمان فيؤمن الذين
يسمعون لا من ختم الله على سمعه والموتى يبعثهم الله الموتى مجاز
عن الكفرة فانهم لا يسمعون سماع قبول كالموتى يبعثهم الله فيعلمون
علم معاينة حين لا ينفعهم ثم اليه يرجعون للجزاء قيل الموتى على حقيقته
اخبر تعالى ان الموتى من يستجيب ومن لا يستجيب يبعثهم الله فيجازيهم
وفيه تهديد لمن لم يستجب ولما بين تكذيبهم للرسل ولجاجهم مع صبر الرسل
عليهم ذكر من لجاجهم مع نبينا صلى الله عليه وسلم فردا اخر للتعجب
فقال وقالوا لولا هلا نزل عليه اية من ربه كما قالوا حتى تفجر لنا من
الارض ينبوعا قل ان الله قادر على ان ينزل اية وفق مقترحهم
ولكن اكثرهم لا يعلمون كمال قدرته وقد انزل ما هو دال على هذا ولم
يؤثر في قلوبهم القاسية كانشقاق القمر وقيل معناه ان الله قادر
على ما طلبوا لكن اكثرهم لا يعلمون ان اجابة ما سألوا ليست بمصلحة
لهم ولما ذكر انه قادر اراهم من قدرته ما يكفي العاقل في المستدل فقال
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه اتيان الصفة لدابة
وطائر لفهم التعميم بحيث لا يبقى وهم خروج فرد منه لكون الوصفين
من اوصاف الجنس دون النوع فيدلك على ان القصد فيهما
الى الجنس الا امم امثالكم اضاف تعرف باسمائها خلقها واجالها

ورزقها منا وعلينا والا امم خبر من دابة فان من زائدة للعموم فهو دال
على معنى الاستغراق مع افراد لفظ دابة وطائر فحمل قوله الا امم عليهما
لمعنى العموم ما فرطنا ما قصرنا في الكتاب اللوح المحفوظ من شيء فانه مشتمل
على جميع ما يجري في العالم ومن زائدة اي ما فرطنا شيئا من التفريط
فشيئا مصدر فان فرط يستعمل بفي وجاز ان نجعله مفعولا به بتضمين
معنى اهملنا وتركنا ثم الى ربهم يحشرون كما قال واذا الوحوش حشرت
والاحاديث الصحاح دالة على ان الجميع محشور فينصف بعضها من
بعض ثم يجعل الكل ترابا وعنده يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا والذين
كذبوا باياتنا صم عن سماع اياته سماع نفع وبكم لا ينطقون بما ينفعهم
في الظلمات ظلمة الكفر والجهل والعناد كناية عن عمى البصيرة والاولى
ان يكون في حالا عن المستكن في الخبر او ظرفا له ولو كان خبرا ثالثا
فالمناسب العطف كالخبرين قيل قال الله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما ماويهم جهنم فالصم والبكم وفي الظلمات على الحقيقة
من يشا الله اضلاله يضلله فيميته على الكفر ومن يشا هدايته يجعله
على صراط مستقيم لا اعوجاج له وهو الايمان فيميته عليه ولما بين
عنادهم في التوحيد وانهم في تمادي لجاجهم لا يهديهم التامل في الافاق
اخذ يبين لهم ما لانفسهم في بعض احوالهم من ظهور الحق وصدوره
عنهم فقال قل يا محمد ارايتكم اي اخبروني نص على هذا سيبويه وغيره
وضع الاستفهام عن العلم موضع الاستخبار لانه لا يخبر عن الشيء الا
العالم به فهو من وضع السبب موضع المسبب والكاف لتاكيد الفاعل
لا محل له من الاعراب هذا هو الاصح ان اتيكم عذاب الله اي قبل الموت
او اتتكم الساعة القيمة واهوالها اغير الله تدعون في صرف العذاب
عنكم قال صاحب البحر جواب الشرط محذوف لدلالة ارايتكم عليه تقديره
ان اتيكم عذاب الله فاخبروني عنه اتدعون غير الله لكشفه كما تقول
اخبرني عن زيد ان جاءك ما تصنع به ثم قال هذا الذي قدرناه هو
الذي يقتضيه قواعد العربية ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة
فاعبدوا اصنامكم في هذا الحال فجواب ان كنتم ايضا محذوف

قال تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين بل اياه
تدعون لما كان الاستفهام انكاريا فكانه قال لا تدعون غيره فعطف
عليه بل اياه اي تخصون الله بالدعآء فيكشف ما تدعون الله اليه
الى كشفه وما موصولة ان شآء لكن لم يشا كشف عذاب الاخرة عنهم
فلا يلزم ان يكشف شدائد القيمة بالدعآء وتنسون ما تشركون فلا تذكروه
في ذلك الوقت عطف على بل اياه تدعون ولما اخبر انه تعالى
قد يكشف البلآء بالتضرع الى الله انبا هم ان تركه يوجب غضب الله
بنوع من الاستدراج للترهيب فقال ولقد ارسلنا الرسل الى امم
من قبلك فكذبوهم فاخذناهم بالباسا بالشدة كالقحط والضرآء
كالامراض لعلهم يتضرعون الله تائبين فلولا اذ جاءهم باسنا
تضرعوا اي فلم يتضرعوا ولولا للتخصيص يفيد انه لم يكن عذر من ترك
التضرع لهم فان لولا يفيد اللوم والتنديم وذلك لا يحسن الا في موقع
لم يكن في ترك الفعل عذر ولكن قست ما رقت قلوبهم فعدم التضرع
لقسوة قلوبهم فقلوبهم كالحجارة او اشد ولفظة لكن واقع بين الضدين
بحسب الحقيقة اعني اللين والقسوة وزين لهم الشيطان ما كانوا
يعملون يعني الحامل على ترك التضرع قسوة القلب والاعجاب
بالاعمال التي كان الشيطان سببها في تحسينها لهم فلما نسوا ما
ذكروا به من الباسا والضرآء فلم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء
اي انواع مشتهياتهم استدراجا ليكون الاخذ والهلاك اشد
حتى اذا فرحوا بما اوتوا من النعم وحسبوا انهم على شيء اخذناهم بغتة
فجاة وهي نوع من الاخذ فنصبها بالمصدر فاذا هم مبلسون آيسون
من كل خير ابتلاهم اولا فلم يتعظوا ثم نقلهم الى ما اوجب سرورهم
فلم يشكروا بالانابة بل فرحوا وغفلوا فاخذهم بنوع لم يتقدم لهم شعور
به ليوطنوا نفوسهم على لقائه فقطع دابر القوم الذين ظلموا دابر
القوم آخرهم وقال الاصمعي الدابر الاصل نبه على ان سبب استيصالهم
ظلمهم وكفرهم والحمد لله رب العالمين فيه تعليم لعباده بالحمد على
اهلاك الظلمة الذين من شومهم قطع القطر وحزن الطير في وكره

وفي تلك

وفي تلك الحكاية تسلية وتنبيه وترهيب لمن له بصيرة ولما هددهم
اولا بالعذاب المطلق الذي هو بنوع خاص من الاخذ هددهم
ثانيا بعذاب خاص فقال قل يا محمد ارايتم اخبروني ان اخذ الله
سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم او المراد اذهاب الحاسة السمعية
والبصرية وعلى هذا الاخذ على حقيقته ونكتة افراد السمع وجمع الابصار
قدمر في اوائل سورة البقرة وختم على قلوبكم فلا تفهمون ما ينفعكم
ولا تميزون بين الضار والنافع من اله غير الله يأتيكم به بما اخذ
وختم وافراد الضمير مع ان المرجع ثلث لاجرآء الضمير مجرى اسم
الاشارة انظر كيف نصرف الايات نوضحها ونكررها كل مرة بنوع
ثم هم يصدفون يعرضون عنها ولما قصد ان يعد عليهم ثلث تهديدات
الاول لاحد الامرين العذاب او الساعة والثاني بالاخذ والثالث
بالعذاب فقال قل يا محمد ارايتكم اخبروني ان اتيكم عذاب الله بغتة
من غير تقدم شعوركم به او جهرة معاينة علمتموه قبيل نزوله فعلى هذا باب
مقابلة البغتة بالجهرة قيل المراد من الاول ان نزوله في الليل ومن الثاني في
النهار هل يهلك الا القوم الظالمون كما فعل بالامم الماضية ما نزل
العذاب الا بعد تمييز المسلمين ومصيبة المومن تهذيبه لا تعذيبه لما
هددهم اولا بما هو اعظم وثانيا بما هو اخف وثالثا بمثل الاول اكد خطاب
الضمير بحرف الخطاب في الاول فقال ارايتكم واكتفى بمجرد خطاب الضمير
في الثاني فقال ارايتم وفي الثالث جمع بين اداتي الخطاب ولما طلبوا
من الرسل الايات التي ليست في قدرتهم بل هي في قدرة مرسلهم اشار
الى ظلم طلبهم فبين حقيقة الرسالة وقال وما نرسل المرسلين الا مبشرين
بالثواب ومنذرين بالعقاب وفي مبشرين ومنذرين مع انهما
حالان معنى العلية اي ارسلناهم للتبشير والانذار لا لان يقترح منهم
الايات بعد وضوح دينهم بالمعجزات فمن امن واصلح العمل فلا خوف
عليهم يوم الفزع الاكبر ولا هم يحزنون على ما فات من دنياهم و
والذين كذبوا باياتنا يمسهم يصيبهم العذاب بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم جعل العذاب ماسا كانه ذو شعور يفعل بهم ما شآء قل

لا اقول لكم عندى خزائن الله جواب لما قالوا ان كنت رسولا فسل
حتى يوسع علينا خيرات الدنيا ولا اعلم الغيب حتى اقول لكم من اخبار
المستقبل من المصالح والمضار لتستعد والتحصيل تلك ودفع هذه
ولا اقول لكم انى ملك حتى تقولوا مالهذا الرسول ياكل الطعام وقوله
ولا اعلم عطف على لا اقول وهو اولى لا على محل عندى خزائن الله
فهو امر بان يخبر عن نفسه بهذه الجمل الثلث ولم يقل انى اعلم الغيب
وغير الاسلوب لهذا فان الاول والثالث امر محقق غير مشتبه
بخلاف الثانى فانه صلى الله عليه وسلم قد يخبر عن المغيبات فنفى من
اصله وقال لا اعلم تنصيصا بان ما صدر عنه من المغيبات لا من نفسه
بل بالوحى الوارد عليه ان اتبع الا ما يوحى الى وهذا الكثير من البشر
فانا لا ادعى ما تستبعده العقول قل هل يستوى الاعمى والبصير
الجاهل والعالم اى متبع الوحى ومن ضل افلا تتفكرون فيه عرض
وتحضيض على الفكر نحو افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق
كمن هو اعمى ولما قال وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
امر بالانذار لانهم اجلاف فقال وانذر به بالقران الذين يخافون
ان يحشروا الى ربهم يخافون هول يوم المحشر لا من جزم على استحالته
فانه شقى لا نفع فى انذاره ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع اى ليس لهم
من دون اذن ربهم ولى يتولى امرهم ولا شفيع يشفع لهم ان اراد
الله عذابهم والجملة حال من ضمير يحشروا اى يخافون ان يحشروا
من غير ولى ولا شفيع والخائف هو المقصر فى العمل من المؤمنين
واهل الكتاب وكثير من المشركين بعد ما اخبروا بالحشر لعلهم يتقون
الكفر والمعاصى ولما امر بانذار غير المتقين نهاه عن اذلال المتقين
فقال ولا تطرد ولا تبعد عن مجلسك الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشى كناية عن النهار والليل وخص الوقتين بالذكر لان اكثر
الناس فيهما مشغولون بحوائجهم ومن كان فيهما مشغولا بذكر الله
يكون فى وقت الفراغ اولى بالاشتغال بذكره يريدون وجهه
اى يعبدون ربهم حال كونهم مخلصين فى العبادة والمراد من

الوجه

الوجه الذات ما عليك من حسابهم من شئ شئ مبتدأ زيادة من
للاستغراق وعليك خبره ومن حسابهم حال من ضمير عليك وما من
حسابك عليهم من شئ الجملتان بمنزلة جملة واحدة كانه قال لا يؤاخذ
كل واحد بحساب صاحبه نحو لا تزر وازرة وزر اخرى لا تكلف امرهم
ولا يكلفون امرك او المراد حسابهم على الله لا عليك كما قال نوح
فى جواب انؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمى بما كانوا
يعملون ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون وما انا بطارد المؤمنين
فتطردهم جواب النفى فتكون من الظالمين الظاهر عطفه على فتطردهم
فيكون اخبارا من الظلم المتسبب عن الطرد وجاز ان يكون جواب
النهى فى ولا تطرد وصار جواب كل منهما على ما يناسبه نزلت حين
قال رؤسا قريش نح هؤلاء الا عبد عن مجلسك حتى نجالسك ونسمع
كلامك رواه ابن حاتم وابن جرير وكذلك مثل ذلك الفتن قال
العلامة ليس القصد الى مشبه ومشبه به بل هذا كقولك ضربته كذلك
اى هذا الضرب المخصوص ومثله كثير فى تراكيب البلغا فتنا ابتلينا
بعضهم ببعض ليقولوا فى شان بعض فقرا المؤمنين اهؤلاء من
الله عليهم من بيننا انكارا لان يخصهم الله بهداية ونعمة فانهم لا يعقون
ولو من لمن علينا كما قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اليس الله باعلم
بالشاكرين جواب لهم من الله اى الله اعلم بمن يشكر فيتفضل عليه
غنيا كان او فقيرا والشاكرين وقع فى غاية من الحسن اذ تقدم معنى
الانعام فى قولهم من الله عليهم فناسب لفظ الشكر واذا جاءك الذين
يؤمنون باياتنا هم الفقرا الذين نهى الله طردهم فقل سلام عليكم
اكرمهم ببدء السلام عليهم كتب ربكم على نفسه الرحمة بشرهم بسعة رحمة
الله وانه لا يجوز على عباده المؤمنين ترك الرحمة عليهم تفضلا انه من
عمل منكم سوء انه بكسر الهمزة استيناف وبفتحها بدل من الرحمة بجهالة
حال اى جاهلا بما يورثه ذلك العمل او ملتبسا بفعل الجهلة فان مرتكب
ما يؤدى الى الضرر جاهل ثم تاب من بعده بعد عمل السوء واصلح
اعماله فانه غفور رحيم فانه بكسر الهمزة دليل جواب من اقيم مقام

الجواب تقديره فالله يغفره ويرحمه البتة فانه غفور رحيم وبفتح الهمزة
هو الجواب على تقدير مبتدأ اى فامره ان الله غفور رحيم وعلى الوجهين
دلت الاية على ان لزوم المغفرة لا ينفك عن التوبة واما المغفرة من
غير توبة فمحتملة وفى مشية الله وكذلك مثل ذلك التبيين الواضح نفصل
الايات المحتاجة اليها ولتستبين سبيل المجرمين من قرا بالياء ورفع
سبيل فالمعنى فصلناها ليظهر طريقهم ومن قرا بتاء الخطاب ونصب
سبيل فمعناه فصلناها لتعرف طريقهم فتعاملهم بمقتضى علمك ومن قرا
بالتاء ورفع سبيل فمعناه مثل ما قلنا فى الاول وعند تميم واهل نجد
السبيل مذكر وعند اهل الحجاز مؤنث واستبان قد يكون متعديا
وقد يكون لازما وهو اما عطف على مقدر اى فصلنا لتوضيح الحق ولتستبين
او تقديره ولتستبين فصلنا هذا التفصيل ولما اوضح الحق واستبان
طريقهم لتعاملهم بمقتضى العلم ومن مقتضاه ان لا تكون متبعا لهواهم وتجاهر
معهم بالعداوة فبين هذا بقوله قل انى نهيت عن ان اعبد الذين
تدعون تعبدونهم من دون الله قل لا اتبع اهواءكم فيه اشارة الى
علة النهى ومبدا ضلالهم فان سبيلهم اتباع الهوى لا الهدى قد ضللت
اذا اى ان فعلت ذلك فقد ضللت وما انا من المهتدين نفى تجدد
الضلال وثبوت الهداية من عطف الجملة الاسمية على الفعلية وفيه تعريض
بانهم غير مهتدين قل انى على بينة حجة واضحة من ربى كائنة منه صادرة
عنه وكذبتم به بالبينة والتذكير لانها فى معنى الدليل والقصد التفرقة
والتفصيل بينه وبينهم فانى صدقت بالبينة وانتم كذبتم بها او الضمير
لربى وحينئذ معناه بينة متصلة بمعرفة ربى دالة على معرفته وانتم
كذبتم به حيث اشركتم به ما عندى ما تستعجلون به كما قالوا ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية ان الحكم
على الاطلاق وهو الفصل بين الخصمين الا لله يقص الحق من قص
اثره يعنى يتبع الحق والحكمة وقراءة يقضى بمعنى يحكم القضاء الحق فالحق
صفة مصدر محذوف او معنى يقضى يصنع من قضى الدرع صنعه
فيكون مفعولا به وهو خير الفاصلين خير من يفصل الامور قل لو ان

عندى

عندى ما تستعجلون به من حلول العذاب لقضى الامر بينى وبينكم
لبادرت اليه فاتخلص منكم حين سالتم العذاب والله اعلم
بالظالمين بوقت العقوبة عليهم لانهم ظالمون فهو من باب
المظهر مقام المضمر وفيه وعيد شديد ولما قال الله اعلم بهم انتقل
من خاص الى عام فقال وعنده مفاتح الغيب جمع مفتح بكسر
الميم وهو المفتاح كان الغيب فى بيت مقفل مفتاحه لا يوجد الا عنده
فلا يعلم الغيب الا الله كما سياتى بيانه فى قوله ان الله عنده علم الساعة
ان شاء الله لا يعلمها تلك المفاتح الا هو ويعلم ما فى البر والبحر يعنى
يحيط علمه بكل شئ فما التى لما لا يعقل للتغليب وعند سيبويه انها
مبهمة لا تختص وما تسقط من ورقة الا يعلمها ورقة فاعل زيادة من
للعموم ويعلمها حال نحو ما جاء الا راكبا وكيف لا يعلم وهى لا تسقط الا
بعد ارادته سقوطها ولا حبة فى ظلمات الارض فى بطنها ولا رطب
ولا يابس المراد كل شئ فانه لا يخلو شئ من احد هذين الصفتين الا
فى كتاب مبين اللوح المحفوظ وهو حال او صفة للمذكورات كالا
يعلمها قوله ولا حبة وما عطف عليها عطف على ورقة والمراد من
السقوط الوقوع على مكان لا الوقوع من علو والا فلا وجه لعطف
الحبة والرطب واليابس على ورقة هى فاعل تسقط او من باب
علفتها تبنا وماء وقلدته سيفا ورمحا قيل الاستثناء الاول منسحب
على جنبه نحو ما جاءنى زيد الا اكرمته ولا امراة يعنى الا اكرمتها لكنه لما طال
الكلام اعاد الاستثناء على سبيل التوكيد وحسنه كونه فاصلة وهذه
الاية مثل قوله لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض
لهما دلالة صريحة صحيحة على علمه بجميع الجزئيات احاطة تامة عامة شاملة
كاملة ولما كان من مفاتح الغيب الموت والبعث ومن عظيم ادلة
البعث النوم والايقاظ وفيه مع ذلك تقرير لكمال القدرة اتبعه
بما يجئ فقال وهو الذى يتوفاكم بالليل يقبض النفس كما قال الله
يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها الاية وتشبيع
الكلام فى تلك الاية انشاء الله ويعلم ما جرحتم كسبتم بالنهار ظاهره

العموم في المكتسب خيرا كان او شرا والمراد اعمال الجوارح ويشعر بحسب
المقابلة ان لا كسب في الليل كما قال جعل الليل سكنا ثم يبعثكم يوقظكم
فيه في النهار ليقضى اجل مسمى اي ليستوفي مدة عمره المقدر في علم الله
ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء ان خيرا فخير
وان شرا فشر وهو القاهر الغالب فوق عباده فوقية تليق بجلاله
كما ورد وانت الظاهر فليس فوقك شيء ويرسل عليكم حفظة ملائكة
يحفظونه من امر الله كما قال له معقبات من بين يديه الاية والمراد
كرام الكاتبين يحفظون الاعمال والظاهر عطفه على الجملة الاسمية
وعليكم متعلق بيرسل نحو يرسل عليكم شواظ او بحفظة حتى اذا جاء
احدكم الموت حان وقت الموت توفته رسلنا وهذه الرسل
غير الحفظة ومن الحديث يعلم ان لملك الموت اعوانا يخرجون الروح
وهو يقبضه وهم لا يفرطون والمراد من ضمير الجمع جملة الملك من الحفظة
وملئكة الموت لا يفعلون الا ما يؤمرون او الجملة حالية والعامل
توفته ثم ردوا الظاهر ان الضمير للعباد والمفهوم من احدكم الى الله
الى حكمه والمراد منه البعث مولاهم الحق فيه اشعار باحسان لانهم
عبيد راجعون الى سيدهم ومتولي امورهم الذي لا ظلم له الا له
الحكم لا حكم بوجه لغيره في ذلك اليوم وهو اسرع الحاسبين لا يحتاج
في الحساب الى ضرب وقسمة وفكر وروية لا يشغله حساب عن حساب
ولما بين كمال القدرة ذكر نوعا من اثرها فقال قل من ينجيكم سؤال
توبيخ من ظلمات من شدائد البر والبحر قيل اراد من الظلمات ظلمة
الليل والسحاب والموج اي من مهالكها تدعونه جملة حالية اي تنادونه
تضرعا وخفية اي اعلانا واسرارا مصدر لتدعونه فانهما نوعان
من الدعاء او حال اي معلنين ومسرين لئن انجيتنا من هذه
قائلين لئن انجيتنا من الظلمات لنكونن من الشاكرين لا من
الكافرين وجواب ان مقدر لدلالة جواب القسم عليه قل الله ينجيكم منها
من الظلمات امره بالمسابقة الى الجواب لانه امر متفق عليه فيكون هو
صلى الله عليه وسلم السبق الى الخير والى الاعتراف بالوحدانية ومن كل

كرب ثم انتم تشركون ولا تشكرون قل هو القادر اي وحده على ان
يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعني كما ان المنجي من المهالك هو الله وحده
هو الموقع فيها وحده او من تحت ارجلكم كالريح ومطر الحجارة والخسف
والزلزلة او يلبسكم شيعا يخلطكم فرقا مختلفين ونصبه على الحال اي
متشايعين ويذيق بعضكم باس بعض يسلط بعضكم على بعض
بالجرح والقتل والباس الشدة وذكر الاذاقة التي للطعوم مبالغة في
ان الشدة تصل الى باطنهم روى الترمذي والنسائي وابن حبان
انه قال صلى الله عليه وسلم سألت ربي ثلثا فاعطاني الا واحدة
وهي ان لا يلبسنا شيعا فمنعنيها انظر كيف نصرف نوضح ونكرر
الايات لعلهم يفقهون يفهمونها ويتدبرون فيها وكذب به بالقرآن
الدال عليه ذكر الايات قومك وهو الحق الصدق الواقع لفظه ومعناه
قل لست عليكم بوكيل ما وكل الي امركم ما علي الا البلاغ وانا ابلغ
لكل نبإ مستقر لكل شيء ينبأ به وقت استقرار وحصول وسوف
تعلمون بعضه في الدنيا وبعضه في الاخرة وعيد اكيد وتهديد
شديد ولما اخبر تكذيب قومه امره بما يفعل حين تكذيبهم فقال
واذا رايت بعينك الذين يخوضون في اياتنا بالطعن والاستهزاء
فاعرض عنهم اترك مجالستهم حين الخوض كما قال فلا تقعد معهم
حتى يخوضوا في حديث غيره اي غير الخوض فيه واما ينسينك الشيطان
النهي عن مجالستهم بوسوسة فمفعوله الثاني محذوف فلا تقعد
بعد الذكرى بعد التذكر مصدر والفه للتانيث قيل لم يجئ مصدر
على فعلى غير الذكرى مع القوم الظالمين يعني معهم لانهم ظالمون
وانت على العدل وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء
ما على المتقين شيء مما يحاسبون عليه من الاثام ان قعدوا معهم
فمن شيء مبتدا بزيادة من الاستغراقية وعلى الذين خبره او من شيء
فاعل الظرف لاعتماده على النفي ومن حسابهم حال كما مر ولكن
ذكرى لكن على المتقين ان يذكروا الخائضين ويعظوهم فذكرى
مبتدا محذوف الخبر اي عليهم التذكير لعلهم يتقون فيجتنبون الخوض

قيل لما نزل النهي عن مجالستهم قال المسلمون فكيف نطوف ونقعد
في الحرم فانهم في الخوض وانما نزلت رخصة للمجالسة بشرط التذكير
وفيه اشكال لان قوله انكم اذا مثلهم في سورة النساء وهي مدنية
متاخرة والاولى ان يكون معناه ولكن عليكم التجنب وتذكر النهي
لعلهم يتقون حين يروا منكم الاعراض ففي بعض الروايات ان
نزوله حين قال المسلمون نخاف الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم وصح
عن سعيد بن جبير مثل ما ذكرنا وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
اي ذرهم ولا تبال باعمال من يتخذ دينه يعني طريقته الخمر والزمر والرقص
والتصفير او المراد بالدين الملة ولعبهم مثل تحريم البحائر وعبادة الاحجار
وغرتهم الحيوة الدنيا فاطمانوا بها ونسوا الموت والقبر والحشر وذكر به
بالقران ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم نفس الى الهلكة
بسوء عملها من ابسله اسلمه للهلاك ليس لها من دون الله
ولي ولا شفيع الجملة صفة نفس او حال من فاعل كسبت فلا يلزم
ان يكون ذو الحال نكرة ومن دون الله صفة ولي في المعنى فلما قدم
صارت حالا ونفس للعموم وان لم تكن في سياق النفي ومثله في القران
كثير فانه لا فرق بين نفس ونفس وان تعدل كل عدل وان
تفد النفس كل فداء متصور لا يوخذ منها ضمير يوخذ عائد على
المعدول به المفهوم من السياق او فاعله منها والاسناد الى الجار
والمجرور شايع او في يوخذ تضمين معنى يقبل فضميره الى العدل الذي
هو المصدر اولئك اشارة الى الذين اتخذوا او الى الجنس المدلول
عليه ان تبسل نفس الذين ابسلوا اسلموا للعذاب بما كسبوا
من الخطايا وقبايح الاعمال لهم شراب من حميم الماء المغلي الذي
يقطع المعاء وعذاب اليم بما كانوا يكفرون بكفرهم الاولى ان قوله
لهم شراب مستانفة وعلى اي حال من ان يكون مستانفة او حالا
قوله بما كانوا يكفرون تخصيص بعد التعميم اشارة الى ان كفرهم
اسوء ما كسبوا ولما اقام الحجة البالغة على ان المؤثر ليس الا الله عقبه
بسؤال مرتبط فقال قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا

فلا نطمع

فلا نطمع في احسانه ولا نخاف من سطوته ونرد على اعقابنا ارد
القهقرى الى موضع جئنا منه اي نرجع الى الشرك وهو عطف على
ندعو بعد اذ هدانا الله كالذي اي رد اكرد الذي استهوته الشياطين
في الارض من الهوى الذي هو المودة والميل اي كالذي امالته
الشياطين عن الطريق المستقيم الى المهمه القفر وقيل من الهوى
اي القته في هوة في الارض اي وهدة عميقة حيران حال كونه
متحيرا حال من مفعول استهوته له اصحاب رفقاء يدعونه الى
الهدى الى الطريق المستقيم ايتنا اي قائلين ايتنا وهو غير ملتفت
الى رفقائه ويسير مع الغول الى ان يلقيه في المهلك قل ان هدى
الله هو الهدى وما عداه ضلال ومهلكة وقوله له اصحاب استئنافية
او حالية وامرنا لنسلم لرب العالمين بان نخلص له العبادة قالت
العرب امرتك بان تفعل ولان تفعل وان تفعل او لام لنسلم
للتعليل اي امرنا بالتوحيد لننقاد لرب العالمين وعلى هذا المفعول
الثاني مقدر وامرنا عطف على ان هدى الله على الوجهين وان
اقيموا الصلوة عطف على لنسلم مويد للمعنى الاول الذي يكون
لنسلم هو المفعول وعلى الثاني معطوف على المفعول المقدر واتقوه
وهو الذي اليه تحشرون فيجازيكم وفيه تنبيه بان ثمرات هذه الافعال
وخسارات تركها يظهر يوم الحشر وهو الذي خلق السموات والارض
بالحق لا عبثا وباطلا ويوم يقول كن فيكون قوله فيكون خبر محذوف
اي فهو يكون وهو تمثيل لسرعة اخراج الشيء من العدم لا ان ثم شيئا
يومر به قوله الحق صفة قوله ويوم يقول خبره والمراد من القول
المعنى المصدري ليصح الاخبار عنه بظرف الزمان والمراد من الحق
الحكمة والصواب يعني ما ظهر من مكوناته شيء الا عن حكمة وصواب
وليس المراد من يوم يقول يوم القيمة قيل ويوم عطف على السموات
او على مفعول اتقوه او مقدر باذكر والمراد منه يوم القيمة فان الامور
فيه غير تدريجي وله الملك يوم ينفخ في الصور اي الملك كائن له
في هذا اليوم فان ظهور توحده في الملك في هذا اليوم الذي لا امر

لاحد سواه كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والصور
قرن بوضع السموات والارض ينفخ فيه اسرافيل عالم الغيب والشهادة
اي هو عالم بما غاب عنا وبما حضر وهو الحكيم الخبير صفتان مناسبتان
الاولى لخلق الخلق وسرعة ايجاده والثانية لعالم الغيب والشهادة
اذ الخبير يدل على علم ما لطف ادراكه من الاشياء ولما بين لهم بقوله
ما لا ينفعنا ولا يضرنا انهم في اتخاذ الاصنام بكمال الجهل اعقبه
حكاية ابرهيم في شان ابيه وقومه لانه انسب لرجوع العرب من
ضلالهم اذ هو جدهم معظم عندهم وانكار نبينا صلى الله عليه وسلم
على قومه انكار ابرهيم عليهم فقال واذ قال اي اذكر اذ قال ابرهيم
لابيه آزر عطف بيان لابيه والاصح عن ابن عباس وغيره انه
اسم ابيه وله اسمان آزر وتارخ كيعقوب واسرائيل اتتخذ اصناما
آلهة استفهام توبيخ ولهذا قدم اصناما وهما مفعولاه اني اريك
وقومك في ضلال مبين ظاهر من ابان اللازمة كان الضلال
صار ظرفا لهم وكذلك نري ابرهيم اي مثل هذا التبصير نبصر
وهو حكاية حال ماضية ملكوت السموات والارض اي ملكهما وزيدت
التاء للمبالغة كالرحموت والرغبوت وعن علي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال كشف الله له عن السموات والارض حتى العرش
واسفل الارضين فراى عجائب ما خطر ببال احد وليكون من
الموقنين عطف على محذوف اي ليستدل وليكون او متعلق
بمحذوف اي وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل ستره
بظلامه وهذا تفصيل لشيء من الاراءة راى كوكبا قيل هو الزهرة
وراى جواب لما قال هذا ربي وهذا قول من ينصف خصمه مع علمه
بانه على الباطل ثم عليه يكر فيبطله بالحجة وهذا ادعى الى القبول فانهم
عابدون لتمثال الكواكب وقوله وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم
على قومه وقوله قال يا قوم اني بريء مما تشركون صريح في ان
الكلام مع القوم سيما انه قد احتاج الى القسم حيث قال لئن
لم يهدني ربي لاكونن وقيل كان عليه السلام في سرداب سبع

سنين

سنين لخوف والديه من نمرود فانه يقتل الصبيان لما اخبر بمولود
ذهاب ملكه به وهو ما راى في ذلك السرداب سماء فلما خرج وراى
كوكبا حسبه ربا فيكون هذا منه في حال صباه على وجه الاستدلال
فلما افل اي غاب قال لا احب الافلين اي عبادة شيء يتغير عن
حال الى حال وذكر بصيغة الجمع ليعلم ان المعبود لا بد ان لا يشاركه
غيره في شيء وهذا دليل صريح في ان نزول الرب الى السماء الدنيا
ليس نزولا خلا منه موضعه الاول وملا منه الثاني فلما راى القمر
بازغا طالعا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن
من القوم الضالين فيه دليل على ان قوله للاحتجاج على قومه فانه
ما استدل بطلوعه على انه ليس برب مع انه ظهر منه التغير الظاهر
كالغروب لان في الطلوع نوع عظمة وظهور واشراق فلما راى
الشمس بازغة قال هذا ربي صان ما سماه ربا عن وصمة التانيث
فلم يقل هذه هذا اكبر جرما وضوءا فلما افلت قال يا قوم اني بريء
مما تشركون من الاجرام الصغار والكبار المفتقرة الى محدث
اني وجهت وجهي اي وجه ظاهري وباطني للذي فطر ابدع
من غير مثال سابق السموات والارض وهذا التوجه ينادي على
انه كان عالما بان هذه الكواكب ليست لها صلوح الالهية حنيفا
حال كوني مائلا عن الباطل وما انا من المشركين بالله اي لست منكم
ولا بد ان موضع الاستدلال الواقف هو فيه عليه الصلوة والسلام
يكون تحت جبل عال او جدار او دار فانه لا يمكن غروب كوكب
ويكون بعده طلوع القمر وبعد غروبه طلوع الشمس في ليلة واحدة
وحاجه قومه جادلوه والظاهر ان المجادلة في استدلاله على نفي
الشركة قال اتحاجوني في الله في وحدانيته وقد هدان الى التوحيد
ولا اخاف ما تشركون به ضمير به عائد الى ما اي الذي تشركون به
الله او الى الله اي الذي تشركونه بالله وهذا تنبيه على ان مثل
هذا حجتهم يعني التخويف من اضرار الاصنام كما قال قوم هود ان
اعتراك بعض آلهتنا بسوء الا ان يشاء ربي شيئا استثناء

منقطع اي لكن اخاف مشية الله وفي ايثار ربي اشعار بان كل
ماشآء هو فيه صلاح حالي وقيل متصل بمعنى لا اخاف في وقت الا
وقت مشية ربي شيئا مثل اقداره على اضراري وسع ربي كل
شيء علما منصوب على التمييز وهذا ابلغ من وسع علم ربي كل شيء
افلا تتذكرون فتتركوا عبادة الاصنام وتتنبهوا عن غفلتكم وفي
تكرار ربي استلذاذ وتعريض بان الله ربه ومولاه ولا مولى لهم
بل الله عدوهم وكيف اخاف ما اشركتم مع انه جماد عاجز ولا
ولا تخافون الواو للحال انكم اشركتم بالله اللطيف القادر العالم
ما لم ينزل به عليكم سلطنا اي شيئا لم ينزل الله عليكم باشراكه حجة
فليس للاشراك دليل سمعي ولا عقلي بل الحجة السمعية والعقلية قا
قائمتان على ان الشريك ممتنع فاي الفريقين من الموحد والمشرك
احق بالامن ان كنتم تعلمون ان كنتم عقلآء الستم مجانين فاخبروني
اي هذين الفريقين احق بالامن ولما خوفوه في مكان الامن
ولم يخافوا في مكان الخوف ابرز الاستفهام في صورة الاحتمال
وقد علم يقينا لانه اقرب من انصافه واذعانهم كانه صيرهم
حكما وطلب منهم الانصاف والصدق الذين امنوا جملة
مستانفة من ابرهيم او من الله تعالى بالجواب ولم يلبسوا لم
يخلطوا ايمانهم بظلم بشرك اولئك لهم الامن وهم مهتدون
تفسير الظلم بالشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صح في
البخاري ومسلم ومسند الامام احمد والترمذي والنسائي وغيرهم
وقد صح عن جم غفير من السلف فالانكار منكر من القول والمراد
من الخلط الايمان بالله مع اعتقاد فاسد في صفة من صفاته و
وكثير من الناس قد ابتلوا به وهم عن الايمان المنجي بمراحل والمشرك
خالط لانه يؤمن بالله والاظهر ان يكون الذين مبتدأ وجملة اولئك
لهم الامن خبره والاولى ان الواو في ولم للعطف على الصلة وجملة
وهم مهتدون عطف على جملة لهم الامن للتصريح والتاكيد وتلك
اشارة الى ما مر من قوله فلما جن الى وهم مهتدون حجتنا اتيناها

ابرهيم

ابرهيم الهمناها وعلمناها وقوله اتيناها خبر بعد خبر او حال على
قومه حال من مفعول اتينا ولا تكلف في ذلك نرفع درجات
من نشآء في قرآءة تنوين درجات مفعول نرفع من نشآء و
ودرجات مصدر اي نرفعه رفعات او تقديره الى درجات
والجملة مستانفة ان ربك فيه العطوفة حكيم في الرفع والخفض
وفي جميع افعاله عليم بقابلية كل من يرفعه ويخفضه وبكل شيء
ووهبنا له اي من جملة رفعة درجاته انا وهبنا له يحتمل عطفه على نرفع
وعلى تلك حجتنا اسحق ويعقوب كلا اي منهما هدينا اي هديناه
ونوحا هدينا من قبل من قبل ابرهيم وشرف الوالد شرف الولد
وبعثهما حال ظهور عبادة الاصنام ومن ذريته يعني هدينا من ذريته
والضمير لابرهيم داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون
وكذلك اي مثل ما جزينا ابرهيم نجزي المحسنين كل محسن في اعماله
وزكريا ويحيى وعيسى في ذكر عيسى من الذرية دليل على ان ولد البنت من الذرية
والياس وهو غير ادريس لان ادريس كما قالوا جد ابي نوح كل من الصالحين فيه تعظيم
الصلاح واسمعيل واليسع ويونس ولوطا لوط ابن اخي ابرهيم
ادخله تغليبا ولهذا قيل ضمير ومن ذريته لنوح ليكون هو من ذريته
حقيقة وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة ومن ابائهم عطف على
كلا يعني فضلناهم وبعض ابائهم وذرياتهم وفيهم سيد الكونين
عليه وعليهم الصلوة والسلام فالمراد من العالمين جميعهم الى يوم
القيمة واخوانهم واجتبيناهم اخترناهم عطف على فضلنا وهديناهم
الى صراط مستقيم وامانكتة خصوصية عد هولآء الكاملين بهذا
الترتيب فعلمها عند الله ذلك اشارة الى ما هم عليه هدى الله
يهدي به من يشآء من عباده ولو اشركوا يعني هولاء الانبيآء
مع علو درجتهم لو فرضنا اشراكهم فيه دلالة على ان الهدى السابق
هو التوحيد ورفض الشرك لحبط عنهم ما كانوا يعملون كاحاد الخلق
اولئك الذين اتيناهم الكتاب التعريف للجنس والحكم العلم والعمل
او الحكم بين الخصوم والنبوة فان يكفر بها بالنبوة او بهذه الثلثة

هولاء اهل مكة نقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين
وهم الصحابة ومن تبعهم الى يوم الدين والمراد وفقنا على الايمان بها
والقيام بحقوقها اولئك الانبياء المذكورون الذين هدى الله
اي هداهم الله فبهداهم اقتده في رفض الشرك والصفات الحسنى
والهاء للوقف قل لا اسالكم عليه على الدعاء الى القران اجرا جعلا كما
لم يسال الانبيا جعلا ان هو الا ذكرى ليس القران الا تذكرة وعظة
للعالمين ولما عد الانبياء ووصفهم بانهم صاحب كتاب وحكم
ونبوة واوعد فيمن كفر بهذه الثلثة عقبه بمن نفى الكتاب عن اسه
واصله فقال وما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته في اللطف
والرحمة على عباده وما عظموه تعظيما يليق بجلاله يقال قدر الشيء اذا حرزه
ونصب حق قدره بانه صفة لمفعول مطلق اذ قالوا ظرف لقدروا
ما انزل الله على بشر من شيء وارسال الرسل لصلاح المعاد والمعاش
من اعظم النعم والملعون نفى جميع الرسل وقوله من شيء مفعول انزل
بزيادة من الاستغراقية قل لهم من انزل الكتاب الذي جاء به موسى
نورا وهدى للناس الظاهر ان قائل هذا الكفر بعض من اليهود وهذا
قول بعض من السلف لكن قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ان
القائل قريش لهم صحبة ومحبة مع اليهود ويتعلمون منهم قائلين
لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم تجعلونه قراءة الياء المنقطة
من تحت عند من يقول قائل الكلام بعض اليهود فللالتفات من الخطاب
اهانة بهم واما عند من يقول القائل قريش فالمراد من تجعلونه تجعل
حملته فان قريشا ما جعلوا التورية قراطيس لكن بقراءة التاء فيه
اشكال اللهم الا ان يقال جعل المشركين واهل الكتاب كطائفة
واحدة فنسب القول اليهم بان بعضهم قالوا وبعضهم فعلوا
قراطيس تجزونها جزا اجزاء تبدونها تبدون بعضها وتخفون
كثيرا اي بعضا كثيرا وجعلوه ورقات متفرقة ليتمكنوا من ابداء
بعض واخفاء بعض وعلمتم بسبب القران زيادة على التورية
مالم تعلموا انتم ولا اباؤكم قال الله ان هذا القران يقص على بني

بني اسرا

بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون واذا كان الخطاب
مع قريش فالمراد من مالم تعلموا خبر ما سبق ونبأ ما ياتي قل الله
انزله اجيب عنهم ذلك فانه متعين الجواب ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون دعهم في اباطيلهم الذي يخوضون فيها يفعلون ما لا
ينفعونهم ولا عليك بعد الزام الحجة والاظهر عندي ان في خوضهم
ظرف لذرهم ويلعبون حال وغير هذا من الاعراب جائز
وهذا اي القران كتاب انزلناه مبارك كثير النفع مصدق
الذي بين يديه من الكتب السماوية ولتنذر عطف على مبارك
اي وكائن لتنذر وعطف الظرف على المفرد في باب الصفة
والخبر كثير ولا حاجة الى تاويل ام القرى اي اهل مكة ومن حولها
عطف على المضاف المقدر والمراد اهل الشرق والغرب والذين
يؤمنون بالاخرة يؤمنون به بالقران وهم على صلوتهم يحافظون
فان لازم الايمان بالاخرة الخوف والخوف يجره الى الايمان
بالقران والمداومة بالصلوة فانها عماد الدين والواو في
وهم حالية ولما كان لمن يدعي الرسالة لنفسه ولمن ينفيها مضادة
كما قال اليهود وكل منهما كافر بسبب هذا القول عقب احدهما الاخر
فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كمن ادعى الرسالة لنفسه
او قال عطف على افترى اوحي الي ولم يوح اليه شيء الواو للحال
نزلت في مسيلمة الكذاب ادعى النبوة والوحي الي باو التنويعية
مع ان القائل والمفتري واحد ليدل على ان كل واحد من
فعله وقوله يكفي في انه اظلم ومن قال سانزل مثل ما انزل الله
تسميته انزالا مجاز والمعنى سانظم كلاما يماثل ما ادعيتم ان الله
انزله كما قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
جواب لو محذوف يعني لو رأيت زمان سكراتهم لرأيت امرا
فظيعا لا يمكن التعبير عن حقيقته والاولى ان يجعل الظالمون
عاما دخل فيه المفتري والقائل في غمرات الموت شدائده
والملائكة باسطوا ايديهم قائلين اخرجوا انفسكم قد ورد كما

رواه ابن ابی حاتم وغیره ان ارواح الکفار تتفرق فی اجسادهم
وتابی الخروج فتضربهم الملئکة حتی تخرج وقول الملئکة للتعنیف
والتغلیظ والزجر اما ان للکفار اختیارا فی حبس الروح فی البدن
واطلاقه فالعلم عند الله وفیه دلیل علی عدم تجرد الروح الیوم
ای یوم الموت تجزون عذاب الهون عذاب الهوان والذل
بما کنتم تقولون علی الله غیر الحق ای قولا غیر الحق کادعاء البنوة
وکنتم عن ایاته تستکبرون فلا تومنون بها والهوان للاستکبار
ولما کان من المعلوم ان لیس استکبارهم الا لما لهم وحولهم وکان
استظهارهم بالشفعاء اللات والعزی عقبه بقوله ولقد جئتمونا
فرادی منفردین عن الشفعاء والاهل والمال ماض معناه
المضارع لانه امر محقق اقسم علیه کانه مضی کما خلقناکم اول
مرة مجیئا مثل خلقنا ایاکم اول زمان ابرزناکم فی الوجود
فکما صفة مصدر جئتمونا وترکتم ما خولناکم وراء ظهورکم ما تفضلنا
علیکم وراء ظهورکم غیر ملتفتین الیه لشدة ما انتم علیه فقوله وراء ظهورکم
لترکتم وما نری معکم شفعاءکم الذین زعمتم انهم فیکم شرکاء یعنی زعمتم
ان الاصنام شرکاء الله فی انها ایضا ارباب فقوله فیکم
ای فی ما بینکم شرکاء لله واما الشرک فی عبادتهم فواقع حقیقة
لا زعما ففیکم متعلق بشرکاء لقد تقطع بینکم فی قراءة رفع بینکم
رفعه بالفاعلیة علی سبیل الاتساع فی الظرف نحو ومن بیننا
وبینک حجاب وفی قراءة نصبه فاعله قیل ضمیر راجع الی الامر
ای تقطع الامر وقطع الامر امر مقرر فی النفوس وضل عنکم غاب
وضاع ما کنتم تزعمون ای تزعمونه شریکا والاولی کما قال بعض
المفسرین ان تقطع وضل تنازعا فی ما کنتم فاعمل الثانی واضمر
فی الاول ضمیرها ای لم یبق اتصال بینکم وبین ما کنتم تزعمونه شریکا
قال تعالی وتقطعت بهم الاسباب ولما تقدم ذکر البعث فی
قوله ولقد جئتمونا نبه علی امکانه فی جنب کمال قدرته بالمثبت به
للبعث فقال ان الله فالق الحب والنوی یشقهما فی الثری فیخرج

من الحب النبات ویخرج من النوی الشجر ففیه تنبیه علی البعث یخرج
الحی من المیت کاخراج النبات النامی الغاذی والحیوان من الحب
والنطف ومخرج المیت من الحی کالحب والنطف من النبات والحیوان
وهو معطوف علی فالق الحب لان قوله یخرج الحی من المیت کالمبین
لفالق الحب ولذلک ترک العطف واما مخرج المیت فلا یصلح لبیانه
وتغییر الاسلوب لهذه النکتة ولهذا تری فی ایة فسبحان الله حین
تمسون وحین تصبحون ما غیر الاسلوب ذلکم الله ای فاعل تلک الاشیاء
هو الله فانی تؤفکون فکیف تصرفون عمن له القدرة الباهرة لما ذکر
القدرة فی الارضیات توجه الی قدرته مثلها فی السماویات فقال
فالق الاصباح ای هو شاق عمود الصبح عن ظلمة اللیل والاصباح
مصدر سمی به الصبح وجاعل اللیل سکنا بمعنی مسکونا مفعول
ثان ای یسکن فیه خلقه ویستریح من تعب النهار قال تعالی لتسکنوا
فیه واعمال جاعل فی سکنا لانه بمعنی الدوام التجددی نحو الله یستهزئ
بهم فلا یکون ماضیا بخلاف مالک یوم الدین فانه بمعنی الثبوت
الدائمی لا التجددی وایضا مذهب الکسائی وهشام وعلیه السیرافی ان
اعمال اسم الفاعل الذی هو بمعنی الماضی جائز کما نقله صاحب البحر
والشمس والقمر حسبانا جمع حساب کشهاب وشهبان یعنی حسبانا
الاوقات یعرف بدورهما کذا قول السلف ونصبهما بفعل مقدر
هو جعل ولا یجوز عطفه علی محل اللیل فی قراءة جاعل علی مذهب سیبویه
ذلک تقدیر العزیز العلیم ای المذکور من الفلق والجعل تقدیر الغالب
العلیم بما قدر وهو الذی جعل خلق لکم النجوم من السیارات وغیرها والمراد
غیر القمرین لتهتدوا بها لکم بها فی ظلمات البر والبحر ای فی ظلمة
اللیل فیهما فالاضافة لملابستها لهما او الظلمات کنایة عن اللیل
فلا حاجة الی تقدیر قد فصلنا الایات بیناها مفصلا لا مجملا
لقوم یعلمون فان الجاهل لا ینتفع به ولما کان جمیع تلک الایات
المتوالیة للاستدلال علی الوحدانیة اذا تم دلیل رجع الی غیره
من افاقی وانفسی ومن هذا قال وهو الذی انشاکم من نفس

واحدة هي آدم عليه السلام مع اختلاف في الالوان والاشكال
فمستقر اي فلكم مستقر اي موضع استقرار في الارحام ومستودع في الاصلاب
والحاصل ان المستقر والمستودع حالان يعتوران على الانسان
من الظهر الى الرحم الى الدنيا الى القبر الى المحشر الى الجنة او النار ففي كل
رتبة استقرار بالاضافة الى ما قبلها استيداع بالاضافة الى ما
بعدها واستقر لازم فلا يبنى منه اسم مفعول قد فصلنا الايات
لقوم يفقهون لما كان الاهتداء بالنجوم واضحا ختمه بيعلمون وكون
الانسان من نفس واحدة وتصريفه في احوال كثيرة ادق ختمه
بيفقهون فان المفهوم من الفقه تدقيق النظر وهو الذي انزل من
السماء اي من جانبه ماء فاخرجنا به بسبب الماء فيه التفات نبات
كل شيء ينبت فاخرجنا منه من النبات خضرا زرعا وشجرا اخضر
والشجر اي الذي له ساق من النبات الذي لا ساق له في اول الامر
نخرج منه صفة خضرا حبا متراكبا بعضه على بعض كسنابل البر ومن
النخل من طلعها قنوان الطلع هو الاكمام اول ما يبدو والقنو هو العنقود
والجملة مبتدأ وخبر مقطوعة عما قبلها لما في تجريدها من عظم المنة اذ كانت
من اعظم قوت العرب ولهذا شبه بالحب وشبه بالعنب في التفكه
فناسب ان تكون اعتراضا بين الحب والعنب ومن طلعها بدل
من النخل دانية سهلة المجتنى لصغر النخل والمنة في ذلك اكثر وجنات
من اعناب عطف على نبات عطف الخاص على العام لشرفه والمراد
من الاعناب شجرها فان البستان لا يكون الا من الاشجار والزيتون
والرمان اي شجرهما بدليل انظروا الى ثمره مشتبها وغير متشابه
الافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا يقال اشتبه الشيئان وتشابها
واستويا وتساويا فهو حال من الزيتون لسبقه او من الرمان لقربه
وحذف مشتبها وغير متشابه من احدهما للقرينة وان بعض الرمان
حامض واحمر وكبير وبعضه حلو وابيض وصغير ففي الرمان في غاية الظهور
وقيل المراد ان الشجرين متشابه في ورقهما غير متشابه في ثمرهما انظروا
الى ثمره اي ثمر كل من المذكور اذا اثمر اخرج ثمره وينعه والى نضجه مصدر

ينع او المصدر بمعنى المنضوج والمراد من النظر نظر رؤية لتعديته بالى
كانه قال انظروا اليه واستدلوا على قدرته وحكمته وتفرده ان في
ذلكم لايات لقوم يؤمنون يصدقون بالله فان احداث تلك
الاشياء ونقلها من حال الى حال لا يكون الا من قادر حكيم ليس له
فيما يريد مزاحم ولهذا اعقبه بقوله وجعلوا لله شركاء الجن عبادة غير
الله عبادة الشيطان فان جميع المعاصي من اغوائه فهم جعلوا
الشيطان شريكا لله او لان الثنوية قالوا الشيطان خالق الشرور
والله خالق النور وقوله شركاء الجن مفعولا جعلوا ولله متعلق بشركاء
واما ان لله شركاء مفعولاه والجن بدل من شركاء فليس بشيء لانه
يكون التقدير وجعلوا لله الجن وخلقهم حال بتقدير قد والاولى
ان ضمير الجمع للجاعلين اذ هم المحدث عنهم يعني جعلوا مخلوقا شريكا
لخالقهم وما هو الا حماقة وخرقوا افتروا له بنين كما قال اهل الكتابين
في عزير والمسيح وبنات كما قال قريش الملائكة بنات الله بغير علم
حال من فاعل خرقوا اي ملتبسين بالجهل لا بفكر وروية سبحانه
وتعالى عطف على محذوف دل عليه سبحانه عما يصفون اي
يصفونه بديع السموات والارض اي بديع سمواته نحو فلان
كثير العبيد وقدم وهو خبر محذوف اي هو بديع ولما كان التوالد
من صفات الاجسام ومن مبدعاته تلك الاجسام ومخترع الاجسام
ليس بجسم فلا يكون له الولد اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
والولد انما يكون بين متجانسين ولا يناسبه شيء فلا يكون ولد
والولد للمحال وخلق كل شيء متصف بالوجود وهو بكل شيء عليم
لم يقل وهو به عليم لان شيء في الاول خاص وعلمه لا يختص بشيء
دون شيء يعني من كان موصوفا بالخالقية والعالمية غني عن
العالمين والولد انما يطلبه المحتاج اليه فنفي الولد بادلة ثلاثة ويمكن
ان يجعل اربع دلائل ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء
ذلكم مبتدأ وله اخبار اربعة مترادفة يعني الموصوف بالصفات
المتقدمة هو الله مالككم الناظر في مصالحكم ثم حصر الالهية فيه وانه

هو وحده متصفا بالخلق ثم امر بعبادته فقال فاعبدوه لانه هو الحقيق
بالعبادة وهو على كل شئ وكيل متولي امور كل شئ فكلوا الامر اليه
واتمروا بما امر لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار اي لا تدركه
حاسة النظر في الدنيا لان الارادة الازلية اقتضت انها لا ترى في
الدنيا الا ما يكون في جهة وفي مكان والله خالق الجهة والمكان واما امور
الاخرة فعلى خلاف ما في الدنيا تامل فيما ورد من امر الصراط واحوال الجنة
واهوال النار والاحاديث الصريحة في شان روية الله للمومنين في
الجنة واردة وهو يدرك جميع الحواس النظرية فهو خالقها وصاحب
الحاسة لا يرى حاسة نفسه وكلا الامرين صفة مدح والتغيير من جانب
الرائي لا من جانب الرب سبحانه ولا عليك ان تجعل تلك الصفة
دليلا آخر لنفي الولد والصاحبة فان التوالد لا بد له من خلطة وتماس
وهو اللطيف فلا تدركه الابصار الخبير فيدرك الابصار قد جاءكم
بصائر بمعنى قد جاءكم بالوحي الايات والحجج التي هي للقلوب كالبصائر
فان البصيرة للقلب كالبصر للعين من ربكم فمن ابصر اي تلك
الايات وآمن وتامل بها وفيها فلنفسه ابصر ونفعه لا يتعداها
ومن عمي فلا يومن ولا يتامل فعليها عمي ضره لا يتعداها وما انا عليكم
بحفيظ انما انا منذر والله الحفيظ فتقديم الضمير وايلاء حرف النفي
للحصر واما تقديم عليكم فليس الا للاهتمام ورعاية الفاصلة وقوله قد
جاءكم بصائر الى بحفيظ وارد على لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكذلك نصرف الايات مثل ذلك التبيين نبينها و
نكررها وليقولوا درست معللة محذوف اي ونصرفه ليقولوا
والدرس القراءة والتعلم اي ليقول المشركون تعلمت من اليهود
والاعاجم وقراءة دارست معناها دارست غيره من اهل الكتاب
وقارأتهم وقراءة درست معناه انه قد صنت وعفت كقولهم اساطير
الاولين والمراد فصلناها لشقاوتهم كما قال الله يضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا ولنبينه اي القران لقوم يعلمون لمن له العلم وحاصل الكلام
تصريف الايات لشقاوة بعض وسعادة اخرين وعلى هذا اللام

في الموصعين

في الموضعين للتعليل او لام العاقبة واما ان لام ليقولوا لام الامر
كما اختاره صاحب البحر وقال انه مجزوم لا منصوب فيا باه عطف
ولنبينه عليه لانه لا يمكن فيه ان يكون لام الامر ولما تم امر نفي الولد
والصاحبة امر باتباع الوحي والاعراض عن ترهاتهم فقال اتبع
ما اوحي اليك من ربك في امر العقائد والاعمال لا اله الا هو مستانفة
توكد وجوب الاتباع واعرض عن المشركين لا تجادلهم وتفرغ لعبادة
الله حتى ينصرك الله عليهم ولو شاء الله توحيدهم ما اشركوا ولله
حكمة في اضلالهم وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا تحفظ اعمالهم
للجزاء وهو عطف على جملة ولو شاء الله وما انت عليهم بوكيل
تقوم بامرهم والمعنى لست مامورا بان تكون حفيظا عليهم
وما انت من تلقاء نفسك وكيل عليهم فاعرض عنهم ولا تسبوا
الذين يدعون يعبدون من دون الله يعني اصنامهم وهذا من
جملة الاعراض عنهم وذكر الذين الذي للعقلاء في شان اصنامهم
في غاية ما يكون من الحسن في هذا الموقع وخاطب المومنين ولم
يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سابهم كما خاطبه بقوله
واعرض لما في خطابه وحده بالنهي من خلاف ما كان عليه من انه
لم يكن فحاشا ولا صخابا ولا سبابا فانه نزل حين قالوا لتنتهين
يا محمد عن سب الهتنا او لنهجون ربك فيسبوا الله عدوا ظلما
بغير علم حال كونهم ملتبسين بجهالة وكل طاعة موديه الى معصية
فهي منهية وهو جواب للنهي والنصب باضمار ان بعد الفا نحو
لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم ونصب عدوا بالحال او بالمصدر
كذلك مثل ذلك التزيين زينا لكل امة كافرة عملهم ولو اخذنا الاية
على عمومها جاز فان لجميع الامم اعمالا شيطانية ثم الى ربهم مرجعهم
فينبئهم بما كانوا يعملون حين الجزاء ولما بين عدم اكتراثهم بالله بين
ان لا اعتماد على حلفهم وان اكدوا فيه فقال واقسموا بالله جهد
ايمانهم اي اقسموا قسما غليظا وهم ان ارادوا قسما غليظا اقسموا
بالله لا بالاصنام والاباء فنصب جهد بالمصدر من غير لفظه

لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم كجعل الصفا ذهبا وهذا اخبار عنهم لا حكاية
لقولهم ولهذا لم يقل لئن جاءتنا ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله
لا عندي حتى آتيكم بها وما يشعركم استفهام انكار وضمير الفاعل لما وهو
ابتداء كلام ليس في حيز قل انها اذا جاءت الآية المقترحة فضمير جاءت
الى الآية لا الى الآيات ومتعلق يشعركم محذوف اى ما يشعركم انها
اذا جاءت ما يكون منهم لا يؤمنون اخبرهم الله على سبيل البت
انهم لا يؤمنون وقراءة انها بكسر الهمزة فتقديره ما يشعركم ما يكون
منهم ثم اخبرهم بطريق الاستيناف انها اذا جاءت لا يؤمنون
واما قراءة لا تؤمنون بتاء الخطاب فالمناسب ان يكون الخطاب
للكفار لا للمؤمنين وفيه خلاف وكان المؤمنون يطمعون ايمانهم و
يتمنون مجئ الآية ولهذا قال وما يشعركم ونقلب افئدتهم عن الحق و
الظاهر انه جملة على حيالها اخبر تعالى ان يفعل بهم ذلك وهو اشارة
الى الحيرة والتقليب صرف الشيء عن وجهه وابصارهم والمعنى نحولهم عن
الهدى ونتركهم في الضلالة كما لم يؤمنوا به بما انزل اليهم من الآيات
اول مرة اول وقت جاءهم هدى الله نحو فاما الذين كفروا فزادتهم رجسا
الى رجسهم ونذرهم في طغيانهم في ضلالهم يعمهون يتحيرون جاز ان
يكون في متعلقا بيعمهون وجاز ان يكون متعلقا بنذر ويعمهون حال
وهذا اخبار بفعله بهم في الدنيا ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة فرأوهم عيانا
وكلمهم الموتى فشهد والحقية القرآن وحشرنا عليهم كل شيء قبلا من السباع
والطيور والدواب ليشهد وا بالصدق وقبلا جمع قبيل جمع قبيلة اى
جماعات او بمعنى كفيل يعني كفلاء بصحة التبشير والانذار ما كانوا
ليؤمنوا اى ما كانوا اهلا لان يؤمنوا وهو جواب لو واصل المنفي ان
لا يدخل عليه اللام الا ان يشاء الله اى في حال من الاحوال الا في
حال مشية الله بتبديل طبعهم ورفع الختم الذي على قلوبهم يعني الاسباب
لا دخل لها في ايمانهم بخلاف بعض الكفرة فانه لا حاجة الى تبديل طباعهم
بل اذا جاءهم سبب وضم اليه مشية الله امنوا فان هذا العالم عالم
الاسباب ولكن اكثرهم يجهلون انهم لا يؤمنون فيقسمون بالله جهد

ايمانهم

ايمانهم او معناه اكثرهم جاهلون انك على الحق ولما علم مما سبق
ان له صلى الله عليه وسلم اعداء لا تزول عداوتهم اعقبه ما يسلي
فؤاده فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اى كما جعلنا لك عدوا
جعلنا لكل نبي فهذا سنة من قبلك لست منفردا بذلك شياطين
اى مردة الانس والجن بدل من عدوا والبدل جمع والمبدل
مفرد دل على ان المراد الجنس واتيانه بصورة المفرد للاشعار بانهم
كيد واحد على من سواهم او شياطين احد مفعولي جعلنا ولكل
نبي ظرف عدوا يوحي بعضهم الى بعض يوسوس ويلقي زخرف
القول الاباطيل المزينة غرورا اى للغرور منصوب بانه مفعول له
يعني مردة الجن يوحون الى مردة الانس يغرونهم بالاضلال هذا
قول جميع السلف ويدل عليه الحديث الصحيح والاضافة في شياطين
الانس بمعنى من ولو شاء ربك ما فعلوه الضمير المنصوب
جوزوا عوده الى العداوة المفهومة او الايحاء المفهوم او الى الزخرف
او الى القول او الى الغرور فذرهم وما يفترون من تكذيبك
ولا تغتم فان لربك صلاحا لك ولتصغى ولتميل اليه الى زخرف
القول افئدة الذين لا يؤمنون الآخرة والاعراب الظاهر ان
ولتصغى عطف على غرورا ونصب غرورا لاجتماع شروط النصب فيه
بخلاف لتصغى لاختلاف الفاعل فان فاعل يوحي بعضهم
وفاعل تصغى افئدة وليرضوه ليحبوه وليقترفوا ليكتسبوا ما هم
مقترفون من الآثام وهذا الترتيب في غاية من الفصاحة اولا
ذكر الخداع فالميل فالرضى فالاقتراف وكل مسبب عما قبله
ولما كان من عادة قريش في المخالفات التحاكم الى كهانهم وهم
شياطين الانس الذي قال الله تعالى فيهم يوحي بعضهم
الى بعض زخرف القول وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم التحاكم في امر نبوته نهى الله التحاكم الى غيره فقال افغير
الله ابتغي حكما اى قل اغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم فالهمزة
للانكار ولصدارتها تقدمت على فاء العطف كما تقدم على الواو

وثم وحكما حال عن المفعول المقدم وهو الذي انزل اليكم الكتاب
القران مفصلا مبينا وهو يشهد بحقية الدين ولولا عنادهم لما احتاج
الى حكم غيره والواو للحال والذين اتيناهم الكتاب من اليهود والنصارى
يعلمون انه منزل من ربك بالحق لان وصفه مذكور في كتبهم والمراد علماؤهم
وهذه الجملة تتضمن الاستشهاد منهم فلا تكونن من الممترين وهذا من باب
التهييج والتحريض كما ورد في الحديث انه قال حين نزل وان كنت
في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن الاية لا اشك
ولا اسال قيل المراد من هذا الخطاب الامة وتمت كلمة ربك
اي بلغت كلمته اي القران الغاية في الوعد والوعيد وتمييز الحق
من الباطل صدقا فيما وعد واخبر وعدلا فيما حكم ونصبهما على التمييز
او على الحال ولما كان من اول السورة الى هنا في بيان التوحيد
والنبوة والطعن على المخالف ومن هنا الى اخر السورة في بيان
الاحكام والقصص ناسب قوله وتمت كلمات ربك لا مبدل
لكلماته لا معقب لحكمه ولا خلف لوعده ووعيده وقيل هذا وعد من
الله بحفظ القران من التحريف والتبديل وهو السميع للاقوال
العليم بما في الصدور ولما قال تمت كلمة ربك علم منه ان المتمسك
وانه العروة الوثقى فالجدير ان لا تدعه في شيء وفي حال ولهذا
عطف عليه قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن
سبيل الله الذي هو الصراط المستقيم فان الاكثرين ضالون
فلا تطع الا من تمت كلماته ان يتبعون مستانفة مبينة لضلالهم
الا الظن لا في عقايدهم الى علم ولا فيما شرعوه الى حكم الله وان هم
الا يخرصون يحرزون ويقدرون من عند انفسهم ان ربك
هو اعلم من يضل عن سبيله نصب من نزع الخافض اي بمن
وهو اعلم بالمهتدين لما قال ان تطع اكثر من في الارض يضلوك
اخبر انه اعلم بالفريقين من الضال والمهتدي فلا تطع احدا الا
ربك وكلمته فكلوا مما ذكر اسم الله عليه لا مما ذكر اسم الاصنام
عليه عند الذبح يعني لما نهيناك عن اتباع الغير فلا تاكل مما ذكر

عند الذبح

عند الذبح اسم غير الله عليه ولا مما مات حتف انفه فان ذلك
من شرع المشركين ان كنتم باياته مومنين فان الايمان يقتضي
استباحة ما احله الله لا ما احله الظن فانهم اعترضوا على الدين
بان ما قتله الانسان والصقر والكلب يحكم بحله وما قتله الله لا يحله
وما لكم الا تاكلوا اي اي غرض لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله
عليه حاصله ما لكم ان لا تجتنبوا من اكل الميتة وما لم يذكر اسم الله
عند الذبح عليه ولا تجعلوا ماكولكم من اللحم منحصرا فيما ذكر اسم الله
عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم في قوله حرمت عليكم الميتة الاية
الا ما اضطررتم اليه استثناء من ضمير حرم وما موصولة وان
كثيرا ليضلون بالتحريم والتحليل باهوائهم بتشهيهم بغير علم
غير متعلقين بدليل والبا في الاول للسبب وبغير علم حال
ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين عن الحق الى الباطل
ولما عتب عليهم في التجاوز عما ذكر اسم الله عليه وهذا من امور
قد يظهر وقد لا يظهر عقبه بقوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه اي
معصية العلن والسر ان الذين يكسبون الاثم باطنا وظاهرا
فان كلا منهما كسبهم سيجزون بما كانوا يقترفون الاقتراف
الاكتساب وكان من عادة المشركين في الزنا انهم يدخلون
بيتا مظلما مغلقين ابوابه متسترين بمثل لحاف قائلين لا يرانا
رب السما ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الى قوله
وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله بالنص الصريح والضمير في انه
عائد الى مصدر تاكلوا اي الاكل وتضمنت الجملة معنى التعليل
كانه قيل لفسقه وليس الواو للحال فان قوله وان الشياطين
عطف عليه وهو ليس بحال والتاكيد بان واللام ينفي الحالية
فان الحال من الامر والنهي مبناه على التقدير وعند اكثر السلف
وهو المشهور عن مالك وعليه ابو حنيفة واحمد وقيل عليه الاجماع
ان ترك التسمية ناسيا غير مضر لكن لو ترك عمدا فالذبيحة حرام
وعند بعض ان الرجوع هنا الى الاية التي هي حرمت عليكم الميتة

كما مر فى قوله وقد فصل عليكم دال على ان الحرام ما اهل لغير الله لا ما لم
يذكر فيه اسم الله وقوله او فسقا اهل لغير الله مشعر به وان الشياطين
ليوحون يوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم علة للايحاء
وهذا كما نقلنا عنهم فى قوله ان كنتم باياته مومنين وان اطعتموهم
فى استحلال ما حرم انكم لمشركون لان طاعتهم طاعة الشياطين
وقوله انكم جواب قسم التقدير والله ان اطعتموهم انكم وقد حذف
جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه واللام موذنة بالقسم ولهذا
لم يقل فانكم او من كان ميتا بجهله وكفره فاحييناه بالعلم والايمان
وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس قوله فى الناس ظرف ليمشى وجاز
ان يكون ظرفا لجعلنا له يعنى هو ممتاز يعرفه الخلق كمن مثله اى صفته
يعنى ذاته فى الظلمات مستقر ثابت فيها ليس بخارج منها كانها
وطنها وبيتها لا يفارقها بحال حال من المستكن فى الظرف وفى
الظلمات خبر مثله على سبيل الحكاية والجملة خبر من وحاصله
انه كمن اذا وصف يقال له فى الظلمات ليس بخارج كذلك
كما زين للمومنين الايمان زين للكافرين ما كانوا يعملون والاولى
ان تكون ما مصدرية ولما مر ان لكل نبى عدوا وهم شياطين
الانس والجن وقد قرر فى الاذهان ان عدو عظيم القدر لا يكون
الا عظيما مثله ليحكى عنه مكره من فعله وقوله وعلم ان هذا ليس خاصا
بنبينا بل لكل نبى عدو واراد ان يبين ان كل قرية حالها كحال
قرية نبينا ام القرى فقال وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر
مجرميها ليمكروا فيها يعنى كما صيرنا اكابر فساق مكة اهل المكر
صيرنا جميع القرى كقرية مكة فقوله فى كل قرية ظرف لجعلنا واكابر
مجرميها بالاضافة مفعوله الاول وليمكروا مفعوله الثانى ولا يجوز
ان يكون اكابر مجرميها مفعوليه لان مقرر النحو ان افعل التفضيل
اذا ثنى او جمع طابق ما هو له ولزمه الالف واللام او الاضافة
الى المعرفة وما يمكرون الا بانفسهم فان وباله محيط بهم وما يشعرون
ذلك واذا جاءتهم اية دالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا

لن نومن

لن نومن حتى نوتى مثل ما اوتى رسل الله حتى ياتينا الملئكة كما ياتى
الى الرسل كما قال الله بل يريد كل امرء منهم ان يوتى صحفا منشرة
الله اعلم حيث يجعل رسالته استيناف يرد عليهم انهم ليسوا باهل
وحى يعنى اعلم بالمكان الذى وضعها فيه استشكل صاحب البحر
والعلامة التفتازانى اعرابه لان حيث من الظروف التى لا يتصرف
فيه ونصوا ان الظرف الذى يتوسع فيه لا بد ان يكون متصرفا
فلا يمكن ان يكون حيث مفعولا بوجه من الوجوه ولا يعمل افعل
التفضيل فى المفعول به فقال صاحب البحر الذى يظهر لى ان
يضمن فى اعلم شيئا يتعدى الى الظرف اى انفذ علما حيث
يجعل والمعنى هو نافذ العلم فى الموضع الذى يجعل فيه رسالته
والظرفية مجازية سيصيب الذين اجرموا من الاكابر والاصاغر
صغار ذل وحقارة عند الله قال الفراء معناه فى حكم الله
كما تقول هذا عندك فى كذا وهو ظرف ليصيب او صفة صغار
وعذاب شديد فى القيمة بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم ولما
ذكر انه لا يصطفى الا من يصلح للاصطفاء ولا يطرد الا من يليق
بالطرد بين وعين حال المصطفى والمطرود فقال فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره يوسع قلبه للاسلام للتوحيد كناية عن
جعله قابلا له متوسعا لقبول تكاليفه وفى الحديث رواه ابن جرير
وابن ابى حاتم انه قال صلى الله عليه وسلم لما سئل عن شرح
الصدر نور يقذف به فى القلب قالوا وهل لذلك من علامة
قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا هذا فى مقابلة شرح الصدر يعنى لا يسع شيئا فيه من الخير
سال عمر رضى الله عنه بدويا ما الحرجة فيكم قال الشجرة يكون بين
الاشجار التى لا تصل اليها راعية ولا وحشية فقال عمر كذلك
قلب المنافق لا يصل اليه شئ من الخير كانما يصعد فى السماء
يعنى مثله فى امتناع قبول الحق مثل صعود السماء ممتنع غير مستطيع له

قيل كانما يتصاعد الى السماء تباعدا وهربا من الحق كذلك اشارة
الى مصدر يجعل كما مر مرارا يجعل الله الرجس اي يلقي الله العذاب
على الذين لا يؤمنون اي عليهم لعدم ايمانهم وجاز ان معناه
يصيبه الله العذاب عليهم فعلى الذين ثاني مفعوليه وهذا اي
الذي انت يا محمد عليه صراط ربك الطريق الذي ارتضاه
مستقيما لا عوج فيه وعامل الحال المؤكدة معنى الاشارة قد فصلنا
الايات لقوم يذكرون يتدبرون لهم دار السلام اي الجنة والسلام
من اسماء الله نحو بيت الله للتشريف عند ربهم اي في نزله
وضيافته كما تقول كنت عند فلان والجملة استينافية وقيل
صفة لقوم وعند متعلق بمتعلق لهم وهو وليهم ناصرهم او متولي
امورهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم المرضية ويوم نحشرهم
جميعا يا معشر الجن يعني نقول يا معشر الجن يوم نحشر الجن
والانس ويوم ظرف لهذا المقدر وجاز ان يكون تقديره
اذكر يوم فقوله يا معشر مقدر بالقول حال قد استكثرتم من
الانس اي من اغوائهم ففيه حذف المضاف يعني اضللتم كثيرا
وقيل معناه جعلتموهم اتباعكم نحو استكثر الامير من الجنود و
والخطاب للتوبيخ وقال اولياؤهم من الانس اي مطيعوهم
ومحبوهم مجيبين لهم ربنا استمتع انتفع بعضنا ببعض انتفاع
الانس وصولهم بسببهم الى شتهيات انفسهم وانتفاع الجن
قبول اغوائهم قاله ابن عباس وغيره وبلغنا اجلنا الذي اه
اجلت لنا اي الموت المقدر او القيمة وهذا اعتراف من كفار
الانس بطاعة الجن قال الله النار مثواكم منزل المطيع والمطاع
خالدين فيها حال والعامل معنى الاضافة ان جعلت مثوى
اسم مكان لانه لا يعمل وقيل مصدر اي ذات ثوائكم واقامتكم
الا ما شاء الله قال ابن عباس ونعم ما قال الله اعلم بثنيه وسياتي
فيه كلام القوم في سورة هود وقيل خطاب النار مثواكم للفساق
ايضا والاستثناء لهم وعلى هذا يحتمل ان يكون ما بمعنى من

او بمعنى الوقت ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال عباده
وكذلك كما اشقينا باستمتاع الجن والانس نولي بعض الظالمين
بعضا نسلط بعضهم على بعض بالاهلاك والاضرار والانتقام
جزاء على ظلمهم ولهذا قيل دلت الاية على ان الرعية اذا كانت ظالمة
فالله يسلط عليهم ظالما مثلهم وقيل نولي من الموالاة اي نتبع
بعضهم بعضا في النار بما كانوا يكسبون بسبب افعالهم يا معشر
الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وبخ تعالى الكافرين من الثقلين
بسؤال للتقرير يوم القيمة والصحيح ان الرسل من الانس والجن
تبع قيل نظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل لرسل الانس رسل
الى الجن منهم لانذارهم فهذا هو المراد يقصون عليكم اياتي وسد
وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي القيمة قالوا جوابا عن السؤال شهدنا على
انفسنا باتيان الرسل وانذارهم ايانا هذا اليوم وهو نائب مناب
بلى كما هو مصرح في موضع اخر وغرتهم الحيوة الدنيا وهذا اخبار من الله
عن السبب الموجب لعدم اطاعتهم وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
في الدنيا كافرين الشهادة الاولى اخبارهم عن انفسهم والثانية اخبار
الله عنهم بانهم شهدوا على انفسهم فلم يتكرر الشهادة ذلك ارسال
الرسل ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون اي
الارسال لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم منهم قبل تحذيرهم
بارسال رسول اليهم قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
او بظلم حال من ربك لا من القرى وحاصله انه يهلكهم بدون التنبيه
فانه ظلم والله ليس بظلام للعبيد وليس في هذا اعتزال فان الظلم
لغة واصطلاحا وضع الشيء في غير موضعه وخبر ذلك ان لم يكن
وان مصدرية واللام او الباء محذوفة ولكل من مؤمني الفريقين
وكافريهم درجات مما عملوا مراتب ناشئات من اعمالهم وما ربك
بغافل عما يعملون فيه وعد ووعيد وربك الغني عن خلقه من جميع
الجهات وقوله ربك خطاب لطف ورفق ذو الرحمة لو يواخذهم بما
كسبوا لعجل لهم العذاب ان يشأ يذهبكم بان يستاصلكم ايها العصاة

اذا عصيتم ويستخلف من بعدكم ما يشاء نوعا اخر من الاقوام
مطيعين ولما كان المراد النوع فما على موقعها كما انشأكم من ذرية
قوم اخرين كما اذهب بالتدريج القرن الاول واتى بالثاني
انما توعدون لات كائن البتة وما انتم بمعجزين الله في قدرته وقوله
انما توعدون مشعر على ان الاية ليست لمجرد اظهار القدرة كما في آية
ان يشأ يذهبكم ايها الناس فانها لمجرد اظهارها وخطاب يذهبكم
للعصاة لا لجميع الخلق قل يا قوم اعملوا على مكانتكم مصدر مكن فالميم
اصلية او من الكون يعني على تمكنكم من الامر او على طريقتكم التي
كنتم عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم والامر للتهديد اني عامل
على ما انا عليه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار اي سوف
تعلمون اينا له العاقبة المحمودة في الاخرة او في الدنيا كما قال والارض
يرثها عبادي الصالحون والاولى ان من مع صلتها منصوب
بيعلمون قائم مقام مفعوليه او يعلمون بمعنى يعرفون فلا يطلب
الا واحدا انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون لا فلاح لمن مات
على الكفر ولما ذكر للمشركين عبادة الاصنام اثبت لهم نوعا آخر
من جهالاتهم ما تدل على قلة عقلهم مما تعجب منه من له ادنى تدبر
فقال وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث
والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم متعلق بقالوا او بمتعلق لله
وهذا لشركائنا هذا التقسيم دال على ان في الكلام حذفا اي ونصيبا
لشركائهم فما كان لشركائهم الاضافة للتخصيص وليست الاضافة الى
فاعل ولا الى مفعول فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل
الى شركائهم يجعلون من اموالهم نصيبا لله مصرفه الضيفان ونصيبا
لالهتهم مصرفه خدم اصنامهم فان سقط من ثمرهم او زرعهم شيء
من نصيب الوثن فيما سمي للصمد ردوه الى نصيب الوثن وقالوا
انه فقير وخدمه محتاجون وان هلك وانتقص من نصيب الوثن
شيء اخذوا بدله من نصيب الله وقالوا هو غني وان سقط شيء
من نصيب الله في نصيب الاوثان خلوه او مات شيء منه لم يبالوا به

وهذا معنى

وهذا معنى قوله فما كان لشركائهم الاية وفي قوله مما ذرأ المغني على
حمقهم وجهلهم فانهم اشركوا الخالق جمادا من خلقه ثم جعلوا له النصيب
الاوفر وقوله بزعمهم اشارة الى ان هذا مخترعهم ولا يصل الى الله ما جعلوه
نصيبه ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك اي مثل هذا التزيين القبيح
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم فان شياطينهم وهم
آلهتهم على الحقيقة كما مر زينوا لهم وأد البنات وقراءة زين بصيغة المجهول
ورفع قتل ونصب اولادهم وجر شركائهم لما كان من قراءة ابن عامر
الذي اخذ القران من عثمان رضي الله عنه دال على ان هذا الفصل
بين المضاف والمضاف اليه فصيح لا يطعن فيه الا مطعون ليردوهم
اي زين ليهلكوهم وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا فانهم كانوا على دين
اسمعيل عليه السلام ولو شاء الله ان لا يفعلوا القتل ما فعلوه
اي القتل فذرهم وما يفترون من الكذب على الله فسيعلمون ما عملوا
وقالوا هذه اشارة الى ما جعل للالهة انعام وحرث حجر الحجر الحرام بمعنى
مفعول كذبح يستوي فيه الواحد والكثير لا يطعمها الا من نشاء
ضمير يطعمها للانعام والحرث ومفعول نشاء محذوف اي من نشاء
طعمه اي لا ياكلها الا من نشاء من رجال خدم الاوثان بزعمهم لا بأمر
الله وانعام حرمت ظهورها كسائبة وبحيرة وحام وانعام لا يذكرون
اسم الله عليها عند ذبحها بل يذبحونها باسم آلهتهم قيل لا يحجون على ظهورها
افتراء عليه اي يفترون افتراء على الله او مفعول له جعلوا انعامهم
اجناسا بهواهم ونسبوا الى الله سيجزيهم بما كانوا يفترون بسبب
افترائهم وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعني اجنة البحائر والسوائب
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ان ولد حيا فهو مختص للذكر دون
الاناث وتانيث خالصة وتذكير محرم باعتبار معنى ما ولفظه قيل
هي مصدر كالعافية والعاقبة وان يكن ميتة فهم فيه شركاء اذا خرج
ميتا اشترك الرجال والنساء في اكله سيجزيهم الله وصفهم اي جزاء
وصفهم فانهم قالوا ما نفعل ذلك الا رضاء الله انه حكيم في فعله عليم
باعمال عباده قد خسر الذين قتلوا اولادهم بناتهم بالوأد فانهم قالوا

البنات تاكل رزقنا ولا تنفعنا فاثبات الخسران لهم في غاية الحسن فانه
ضد ما قصدوه سفها مفعول له او سفهاء بغير علم جاهلين وحرموا
ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله مصدر او حال قد ضلوا
وما كانوا مهتدين الى الحق والضال قد يهتدي ولما اخبر عنهم انهم
حرموا من حرثهم وانعامهم اخذ يمن عليهم بهذين اي الثمار والانعام
ويعيرهم بفعلهم ويبين لهم طريق التصرف فقال وهو الذي لا باس
ان جعلت الواو للحال انشأ ابدع جنات معروشات بساتين
مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات متروكات على وجه الارض
ومعلوم ان المراد منها الكرم والنخل والزرع عطف على جنات
وفيه ان العنب هو راس الفواكه ومن شجرة البساتين مختلفا
اكله اي ثمره الذي يوكل فان الرطب انواع مختلفة في الطعم واللون
والشكل وكذا الزرع وهو حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء
مختلفا والاولى ان ضمير اكله لاقرب وهو الزرع وقد حذفت حال
النخل والكرم لدلالة هذه الحال عليها كما في زيد وعمرو قائم والزيتون
والرمان متشابها في الشجر وغير متشابه في الثمر وقد مر غير ذلك
والزيتون فاكهة وادام والرمان فاكهة ودواء كلوا من ثمره من ثمر
كل واحد منها اذا اثمر قبل نضجه فلا يجب انتظار نضجه وآتوا حقه يوم
حصاده الظاهر ان المراد حق كل واحد والمراد من الحق شيء كان
واجبا قبل وجوب الزكوة وعن بعض السلف ان المراد منه الزكوة
وعلى هذا ظاهر القران ما عليه مالك رضي الله عنه ان في كل حب وثمر
زكوة واشترطا ان يكون خمسة اوسق وفيه رخصة الاكل قبل اداء
الزكوة والحصاد يوخذ اعم من الجداد والتقدير يوم حصاده وجداده
وحذف للعلم ولا تسرفوا في الاكل حتى لا يبقى منها شيء للزكوة وفي التصدق
حتى لا يبقى لدنياكم شيء انه لا يحب المسرفين ومن قال الاسراف
لا يكون الا في صرف المال في معصية ولو تصدق جميع ماله في طاعة
الله فليس بسرف فلا ينافيه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الاية
ولا جهة النزول وان صحت ومن الانعام عطف على جنات اي انشأ

من الانعام

من الانعام حمولة ما يحمل الاثقال وفرشا كصغار الانعام لدنوه من
الارض كانه فرش كلوا مما رزقكم الله من الزروع والثمار والانعام
ولا تتبعوا خطوات الشيطان كما اتبع المشركون انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة وطرايقه الى الهاوية ثمانية ازواج بدل من حمولة
وفرشا والزوج ما معه آخر من جنسه ما يزاوجه من الضان اثنين
الكبش والنعجة وهو تفسير لثمانية اي اعني من الضان زوجين اثنين
ومن المعز اثنين التيس والعنز قل يا محمد آلذكرين من الضان والمعز
حرم الله ام الانثيين منهما اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى وهم يحرمون ذكور الانعام
تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت زاعمين ان المحرم هو الله
والمقصود انكار الفعل لكنه اورد في صورة انكار المفعول ليطابق
ما ادعوا من التفصيل والترديد فيكون انكار الفعل بطريق برهاني لان
الفعل لا بد له من متعلق فاذا انتفى جميع متعلقاته على التفصيل
لزم انتفاء الفعل نبئوني بعلم بدليل على الحرمة ان كنتم صادقين في
الدعوى ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين
اذ وصيكم الله بهذا حين وصيكم بتحريم بعض وتحليل بعض يعني ترك
الاشياء المعقول والمحسوس ولا معقول لكم ولا محسوس فمن
اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ملتبسا بغير دليل
حال من الفاعل او من المفعول ان الله لا يهدي القوم الظالمين
قل يا محمد لا اجد فيما اوحي الي طعاما محرما على طاعم يطعمه يعني
ان التحليل والتحريم بالوحي لا بالهوى ولا يعلم من الوحي ان
شيئا من الطعام محرم في وقت الا وقت ان يكون الطعام
ميتة فاني اجد حينئذ محرما وان جعلت الاستثناء منقطعا فلا تكلف
لان الاستثناء كون والمحرم عين من الاعيان او دما مسفوحا
سائلا فخرج الكبد والطحال وقراءة رفع ميتة بان كان تامة وقوله
او دما عطف على ان تكون اي الا وجود ميتة او دما او لحم خنزير

فانه فان الخنزير رجس حرام والاولى بحسب المعنى عود الضمير الى
الخنزير لا الى اللحم لان يكون قوله فانه رجس من باب التاسيس لا التاكيد
ويفيد تحريم الشحم وسائر اجزائه او فسقا عطف على لحم وسماه فسقا
لتوغله فى باب الفسق اهل لغير الله به صفة موضحة فمن اضطر الى اكل
شئ من ذلك غير باغ ولا عاد قد مر فى سورة البقرة معناهما فان ربك
غفور رحيم والاية لا تدل على ان لا محرم غير المذكور فان المحرم بالوحى
الى زمان نزول الاية منحصر والمحرمات بعد هذا يوجد بوحى متاخر
عن هذا الزمان ولما ذكر ان التحريم ليس الا من الله وبين خطأ قريش
كان قائلا قال اليس تحريم بعض الاشياء من قبل اسرائيل كما قالت
اليهود كذبهم الله فقال وعلى الذين هادوا حرمنا لا حرم اسرائيل
كل ذى ظفر ما لم يكن مشقوق القدم كالابل والنعامة والبط ومن البقر
والغنم حرمنا عليهم شحومهما اى حرمنا منهما جميع شحومهما الا ما حملت
اى حملته ظهورهما الا ما علق بالظهر او الحوايا والا ما اشتمل على الامعاء
او ما اختلط بعظم ما اختلط من الشحوم بالعظام فان الثلثة حلال عليهم
فاوههنا كاو فى جالس الحسن او ابن سيرين فانه للاباحة وهو ابلغ
من الواو فانه يدل على التساوى فى الحكم كانه قال كل من الثلثة مستقل
بحكم الحلية وعند بعض ان قوله او الحوايا عطف على شحومهما لا على ما بعد
الا فاو للتفصيل فصل به ما حرم من البقر والغنم ذلك اى التحريم والتضييق
جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم امرنا وانا لصادقون فى ان
التحريم منا لا كما زعموا ان التحريم من اسرائيل لا من ذنب صدر منا
فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولولا رحمته لاستاصلكم
بالتكذيب ولا يرد باسه عذابه اذا نزل عن القوم المجرمين فلا تغتروا
بالامهال فبيت الظالم خراب ولو بعد حين والقوم المجرمون
عام ومنهم المكذب وجاز ان يكون من باب وقوع المظهر موقع
المضمر يعنى عنهم لانهم مجرمون وقوله لا يرد عطف جملة فعلية على ربكم
ذو رحمة واسعة وهى اسمية ابلغ فى الاخبار عن سعة رحمته فان باب
الرحمة اوسع ولما ابطل احتجاج المشركين فى تحريم ما زعموا حرمته وثبت

الرد

الرد عليهم عدلوا الى امر حق مغالطة والحاد وعلم الله ذلك قبل وقوعه
فاخبر به وردهم ذلك ايضا وقال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله
عدم الاشراك والتحريم ما اشركنا ولا اباؤنا ولاجل الفصل بلا جار العطف
بلا تاكيد ولا حرمنا من شئ ارادوا بذلك انهم على الحق لان ما لم يشأ
لم يكن وما شاء مرضى مامور به كذلك كذب الذين من قبلهم اى بهذه
الشبهة الداحضة كذب الامم السالفة انبياءهم وقالوا اجئتم تامروننا
باشياء مخالفة لمشية الله ورضاه حتى ذاقوا باسنا وعلموا انهم
على دين مبغوض غير مرضى اراد الله لهم لخزيهم قل هل عندكم من علم
دال على ان دينكم مرضى لله فتخرجوه تظهروه لنا ان تتبعون الا الظن
فى ذلك لا العلم وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله فانه منع
الشرك والمشركون مبغوضون مع انه لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء
لا يزاحمه احد فان المزاحمة عين الشرك وعدم جواز المزاحمة هو الدليل
على الوحدانية فالحاصل انهم اعتقدوا عدم التفرقة بين المامور المرضى
والمشية كما اعتقدت المعتزلة فاحتجوا به على حقية الاشراك وينادى
على ذلك قوله كذلك كذب فانه لو كان المراد ان ذلك ليس بمشية
الله لقال كذلك كذب بالتخفيف لا بالتشديد وهذه الاية عند من له
اذن واعية تصيح على المعتزلة بالويل والثبور لكن فى اذانهم وقر
ومن لم يهده الله فلا هادى له قل فلله الحجة البالغة التى بلغت غاية المتانة
فلو شاء لهديكم اجمعين لكن شاء هداية قوم وضلال اخرين وعلم انه
شاء ضلالهم مع انه غير راض عنهم والمعنى اذا قد ظهر ان حجة لكم فلله الحجة
بارسال الرسل وانزال الكتب لكن لا يهدى الكل اليها لعدم مشيته وله فى
ذلك حكم ومصالح خفية على الاكثرين قل هلم شهداءكم احضروهم اسم
فعل يكون متعديا ولازما الذين يشهدون ان الله حرم هذا وهم كبراءهم
وقدوتهم ليلزمهم الحجة فان شهدوا عنادا فلا تشهد معهم لا تصدقهم وبين
فيهم فلا تشهد مستعار من لا تسلم استعارة تبعية او مجاز من
باب ذكر اللازم وارادة الملزوم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا المراد
لا تتبعهم فانهم يكذبون باياتنا وان كانوا مؤمنين بالاخرة كاهل الكتاب

والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون
يجعلون له عديلا ويسوون بربهم الاوثان قل تعالوا اتل اقرأ ما حرم
ربكم عليكم متعلق بحرم او اتل الا تشركوا ان مفسرة ولا للنهي
وما هو الا تفسير بحسب المعنى به شيئا مفعول تشركوا وبالوالدين
اي احسنوا بهما احسانا هو عطف على تعالوا لا على لا تشركوا لانه
يلزم ان يكون مبينا لما حرم او نقول في الكلام حذف تقديره تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم وما امركم به فان معنى ما حرم ما نهى وحينئذ جاز
عطفه على لا تشركوا والمراد من الاوامر لوازمها الذي هو اضدادها
كانه قال لا تسيئوا ولا تبخسوا الكيل ولا تتركوا العدل ولا تنكثوا العهد
ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر انتم فيه نحن نرزقكم واياهم
وما في سورة الاسراء خشية املاق يمكن ان يكون المراد لا تقتلوهم وانتم
موسرون خشية فقر سيقع عليكم ولهذا قدم رزقهم وقال نحن نرزقهم
واياكم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن اي العلانية والسر
نحو ذروا ظاهر الاثم وباطنه وهو بدل من الفواحش والمشركون
لا يستقبحون الزنا سرا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي لا تقتلوها
بوجه من الوجوه الا بالحق كقود ورجم وزنا بعد احصان ذلكم اي المذكور
وصيكم به بحفظه لعلكم تعقلون عنه نهيه وامره ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتي هي احسن بطريقة هي احسن الطرق كحفظه وتثميره حتى
يبلغ اشده حتى يصير بالغا ذا قوة وهذا غاية من حيث المعنى اي
احفظوا ماله الى بلوغ اشده فادفعوا اليه جمع شدة وقيل جمع لا واحد
له من لفظه وقيل مفرد لا جمع له واوفوا الكيل والميزان بالقسط
بالعدل قد عرفت توجيه عطفه بثلثة اوجه لا نكلف نفسا الا وسعها
فان اخطأ بعد بذل جهده فلا حرج واذا قلتم تكلمتم في امر فاعدلوا
في القول ولو كان المقول له او عليه ذا قربى من قرابتكم عنى بالقول
من امر وحكم وشهادة وخبر ووساطة بين الناس وغير ذلك
قال تعالى ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وبعهد الله
اوفوا يحتمل في عهد الله ان يكون مضافا الى الفاعل اي بما عاهدكم

الله عليه

الله عليه او الى المفعول اي عاهدتم الله عليه ذلكم وصيكم به لعلكم
تذكرون لما كانت الخمسة المذكورة اولا من الامور الظاهرة ختمت
بقوله لعلكم تعقلون وهذه الاربعة خفية لا بد فيها من الاجتهاد والذكر
المكرر ختمت بقوله تذكرون وان هذا اشارة الى ما في الايتين صراطي
مستقيما ديني لا عوج له فاتبعوه وهذا على منوال وربك فكبر وان
المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا يعني وان هذا بتقدير لان علة
لفاتبعوه اي فاتبعوا الصراط لانه مستقيم ولا باس بالجمع بين حرفي
العطف عند تقديم المعمول فصلا بين الواو والفاء وعلى هذا فاتبعوه
معطوف اتل وبالوالدين احسانا ويدل على ما قررنا قراءة ان بكسر الهمزة
ولا تتبعوا السبل التي هي غير الطريق المستقيم فتفرق بكم الباء للتعدية
وانتصب تفرق بحذف ياء المضارع بجواب النهي عن سبيله الذي
هو الصراط المستقيم ذلكم اي الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال
وحصل لكم التقوى الذي هو المنجي من الضلال في مسند الدارمي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستقيما ثم خط خطوطا
عن يمينه وعن يساره ثم قال هذا سبيل على كل سبيل شيطان يدعو
اليها ثم قرأ هذه الاية ثم آتينا موسى الكتاب عطف على ذلكم
وصيكم وثم للتراخي في الاخبار لان الايتاء قبله بدهر طويل كانه قال
هذه وصية قديمة بلسان الانبياء جددناها تماما كاملا جامعا لكل
منافع ونصبه على الحال من المفعول على الذي احسن اي تماما
على المحسنين كما قال هدى للمتقين وفي قراءة ابي تماما للمحسنين
وفي قراءة ابن مسعود على الذين احسنوا فالمراد من الذي الجنس
وتفصيلا لكل شيء بيانا مفصلا لما يحتاجون اليه عطف على تماما
وهدى ورحمة لعلهم اي بني اسرائيل بلقاء ربهم اي بالبعث يؤمنون
وهذا اي القران كتاب انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا
مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة العمل به ان تقولوا علة لانزلنا
المقدر الدال عليه الملفوظ لا الملفوظ لان مبارك اما صفة او خبر
وعلى الوجهين اجنبي بين العامل والمعمول اي انزلناه كراهة ان تقولوا

انما انزل الكتاب على طائفتين اليهود والنصارى من قبلنا
وان كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين ما نفهم فانه ليس بلساننا
وهذا من اثبات الحجة على قريش فكانه قيل وهذا القران يا معشر
العرب انزلناه حجة عليكم لئلا تقولوا انما انزلت التورية والانجيل
بغير لساننا على غيرنا ونحن لم نعرف ذلك فهذا الكتاب بلسانكم
مع رجل منكم قوله ان فى وان كنا نافية واللام بمعنى الا على مذاهب
الكوفيين نحو ان كل نفس لما بتشديد الميم واما ان ان مخففة من
مثقلة وضمير الشان محذوف فقد قال صاحب البحر نص جمهور
النحاة على ان المخففة من المثقلة اذا لزمت اللام فى احد الجزئين بعدها
او فى احد معمولى الفعل الناسخ الذى يليها مهملة عن العمل لا تعمل فى
ظاهر ولا مضمر ولا مثبت ولا محذوف فقول الزمخشرى مخالف
للنصوص او تقولوا عطف على تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم ارشد واسرع اهتداء منهم الى كتابنا فانه بلساننا وقيل
معناه لكنا اهدى بكتابنا منهم بكتابهم فقد جاءكم بينة من ربكم دل الفاء
الفصيحة على حذف الشرط نحو فقد جئنا خراسانا اى ان صدقتم فى دعواكم
فقد جاءكم حجة واضحة فيها بيان الحرام والحلال وهدى ورحمة لمن عمل
بها فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ما تمكن من معرفتها وصدف
عنها صد الناس عنها او اعرض عنها سنجزى الذين يصدفون
عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون بسبب صدهم او اعراضهم
ولما كان سوء العذاب لعدم التوبة وتاخيرها قال هل ينظرون
اى ما ينتظرون الان ان تاتيهم الملئكة لقبض ارواحهم وهم وان كانوا
غير منتظرين لكن لما جاءتهم بغتة فقد حان اوان التوبة فمن تاخر
فكانه ينتظر شيئا وجاء موقع السؤال عن الشئ المنتظر او ياتى ربك
المراد القيمة لفصل القضاء بين خلقه واتيانه تعالى نؤمن به ولا نعرف
كيفه او ياتى بعض ايات ربك الدال على ظهور القيمة يوم ياتى
بعض ايات ربك كطلوع الشمس من المغرب الذى يضطرهم
الى الايمان لا ينفع نفسا ايمانها فى ذلك اليوم لانه قد اغلق

باب

باب التوبة فيبقى الكافر فى كفره والفاسق فى عصيانه ونصب يوم بلا
ينفع ووجب تقديم المفعول على الفاعل لاشتمال الفاعل على ضمير عائد
الى المفعول لم تكن امنت من قبل صفة نفسا او كسبت فى ايمانها
خيرا عطف على امنت يعنى لا ينفع الكافر ايمانه فى ذلك اليوم ولا الفاسق
الذى لا خير له سابقا توبته فى صله انه من باب اللف التقديرى اى
لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها فى هذا الايمان ان لم تكن امنت من قبل
او كسبت فى ذلك الايمان خيرا اى لا ينفع تلهفهم على ترك الايمان
بكتاب الله ولا على ترك العمل بما فيه وهذا الذى قررنا موافق للكتاب
والسنة وهو الملايم للمقصود الاية حيث وردت تحسرا لمن كذبوا بالكتاب
وصدفوا عنه ولولا هذا التقدير لكانت الاية دالة على ان مجرد الايمان
من غير كسب خير فيه لا ينفع كما قاله الزمخشرى ولا يمكن دفعه عند من له
قدم صدق فى علوم العربية ومن قال ان ملخصه انه قبل ذلك اليوم
ينفع الايمان وحده او ينفع مع كسب الخير فلا يخفى على احد انه حينئذ
القسم الثانى ضايع وذكره لغو قل انتظروا اتيان احد هذه الثلث
انا منتظرون وستعلمون لمن يكون له عاقبة الدار فيه وعيد شديد
ولما ذكر ان ايمان يوم ظهور بعض ايات القيمة من غير سبق الايمان
عليه غير نافع توجه القلب الى ان ايمان اهل الكتاب الذى كانوا
عليه هل هو نافع فقال ان الذين فرقوا دينهم فان اهل الكتاب
اخذوا البعض ما امروا وتركوا بعضه واهل الالحا ومن هذه الامة منهم
لمن ينكر المعاد الجسمانى وكانوا شيعا فرقا مختلفة لست منهم فى شئ
اخبار عن المباينة والمباعدة التامة انما امرهم الى الله ثم ينبئهم
بما كانوا يفعلون ظاهر هذا الكلام مشعر بانهم من اهل الضلال وعاقبتهم
العقاب بالعدل لا بالظلم من جاء بالحسنة اى من كان فله عشر
امثالها ولا نفرق بين احد منهم من فضلنا وهذا اقل الموعود لا نقص
منه يعنى عشر حسنات امثالها ولهذا لم يقل عشرة امثالها وقيل
لاضافة امثالها الى ضمير المؤنث فلا حذف ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها اى الا جزاء مثلها وهم لا يظلمون بنقص الثواب

ومزيد العقاب فعلم ان الله سبحانه يعامل بالاحسان في جانب
الحسنة واتماما ثم اعلم ان القيمة حاقة يعلم فيها حقايق الامور فكل احد يعلم
فيها قبل اجزاء الجزاء ان جزاء كل شئ من حسنة او سيئة ما هو من كمية وكيفية
فيعرف الفضل في جانب الحسنات والعدل في جانب السيئات
ولما بين امر الفرق وفصل حالهم واظهر مالهم ذكر فذلكة السورة ناظرا الى
ما مر من قوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فقال قل انني هداني ربي
بالوحي امره بالمبالغة في اعلان دينه ونبذ ما سواه الى صراط مستقيم
لا عوج فيه دينا اي اعني دينا قيما قائما ثابتا لا زوال له مصدر بمعنى القيام
وفيه مبالغة كرجل عدل ملة ابرهيم بدل من دينا حنيفا مائلا عن غير
الصواب حال من ابرهيم المضاف اليه فانه على الحقيقة يرجع الى حال
المضاف وقد مر في سورة البقرة فلا تنس وابرهيم عليه الصلوة والسلام
مهاب عند المشركين واهل الكتاب وما كان من المشركين فيه تعريض
لقريش فانهم يقولون نحن على ملة ابرهيم قل ان صلوتي ونسكي
اي الذبايح في الحج والعمرة ولا باس ان قصدت العموم فان ذبايح
قريش كانت باسم اصنامهم قال تعالى فصل لربك وانحر ومحياي
ومماتي حيوتي وموتي ولا يبعد ان يكون كناية عن جميع الاعمال لله
رب العالمين ملك له فانا خالص في العبادة لا شريك له وحده
احد فرد ليس لشئ سيما الاحجار قابلية شركته وبذلك القول والطريق
امرت وانا اول المسلمين عند الفترة والاسلام كل نبي سابق على اسلام
امته قل اغير الله ابغي ربا اي اطلب ربا سواه الهمزة للانكار وغيرا حال
من ربا وهو رب كل شئ حال في موقع العلة ولا تكسب كل نفس
الا عليها اثم الجاني لا يكون الا عليه قالت قريش ارجع الى دين
ابائك ونحن متكفلون لك ما تحتاج اليه وما تخاف منه ولا تزر
وازرة وزر اخرى لا تؤخذ نفس اثمة باثم نفس اخرى قالوا اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم عند قضائه في القيمة
بما كنتم فيه تختلفون فتعلموا المحق من المبطل ختم السورة بهذه الاية
الاية الدالة على ان هذه الامة ختم الامم ختامه مسك لا تقوم القيمة الا

الاعليهم

الا عليهم لا نبي بعده ففيها منة وبشارة واشارة الى قرب القيمة
ووقت الجزاء والعلم بالمحق والمبطل فقال وهو الذي جعلكم يا امة محمد
خلائف الارض فان نبيهم خاتم الانبياء فامته خلفت سائر الامم
ولا يجئ بعدها امة تخلفها اذ عليهم تقوم الساعة فان كان المراد
من مفعول جعلكم امة الاجابة فالخطاب خاص وان اراد امة الدعوة
فالخطاب عام ورفع بعضكم فوق بعض درجات بالغنى والرزق
والاخلاق ونصب درجات بالتمييز او بنزع الخافض اي بدرجات
ليبلوكم متعلق برفع اي ليختبركم فيما آتيكم يمتحن الغني في غناه ويساله
عن شكره والفقير في فقره ويساله عن صبره ان ربك سريع العقاب
لمن عصاه وعاداك سمي ازاد وقع وكل ما ات قريب وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون وانه لغفور رحيم والحمد لله على ختم هذه السورة بالغفران والرحمة

سورة الاعراف آيها مائتان وخمس كلها مكية الا ثمان من قوله فاسالهم الى قوله واذ نتقنا وقيل الى واعرض عن الجاهلين

بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب حروف وقعت في اوائل
السور بينا في اول سورة البقرة ان كان اسما للسورة فقوله كتاب
خبره والا فخبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب ومرجع هو ما علم
من حضور السورة والتذكير باعتبار الخبر انزل اليك صفة كتاب
فلا يكن في صدرك حرج منه اي ضيق قلب من تبليغه لما في هذه
السورة من سورة عذاب الامم السالفة وبيان عذاب من كذب
بافضح نوع اسند النهي الى الحرج وفي الحقيقة نهي المخاطب لانه ابلغ لما فيه
من ان الحرج لو كان مما ينهى لنهيناه فانته انت عنه وفيه تعظيم للمخاطب
ويكون من براعة الاستهلال وقيل معناه شك نحو فلا تكن من
الممترين لتنذر به متعلق بانزل اي لتنذر به الكافرين وذكرى موعظة
للمؤمنين عطف على المصدر المنسبك من ان والفعل المنصوب
باضمارها يعني لانذارك ولذكرى اتبعوا لما امر نبيه بالانذار والتذكير
امر امته بالاتباع ما انزل اليكم من ربكم وما انزل الى النبي انزله للتبليغ
فصدق انه انزل اليهم ولا تتبعوا من دونه دون ربكم اولياء من الجن

والانس فيضلوكم قليلا ما تذكرون اي تذكرون وتتعظون تذكرا
والتعاظا قليلا بل تتركون دين الله وتتبعون غيره وما ابهامية
زائدة لتاكيد ما يشعر به الكلام ثم بين ان هذا عادة قديمة انتم اخذتموها
وراثة فانظروا عاقبتها واتركوا اتباعها وكم من قرية اهلكناها كم خبرية
بمعنى كثير مبتدا خبره اهلكناها او منصوب على شريطة التفسير يعني
اهلكناهم بمتابعة اوليائهم من دون الله بمعنى اردنا اهلاكهم فجاءها
باسنا عذابنا بياتا بايتين ليلا او هم قائلون او في حال قيلولتهم
وكلا الوقتين وقت غفلة واستراحة فالعذاب فيهما اشد ولم يذكر
واو الحال للاستثقال مع العلم بان المعطوف على الحال حال
وترك الواو اذا كان الضمير في صدر الجملة نحو كلمته فوه الى في شايع
فصيح فما كان دعويهم دعاءهم وقولهم نحو اخر دعواهم ان الحمد لله رب
العالمين اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين اي الاقرار
بحقية العذاب تحسرا وقوله دعواهم اسم كان وقد صرح النحاة انه
اذا لم تكن قرينة وجب ان يكون المقدم فاعلا نحو ضرب موسى عيسى
فالظاهر انه لم يجز ان يكون دعواهم خبرا واذ معمول دعواهم وخبر كان
الا ان قالوا انا كنا مقول القول فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن
اجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين عن ابلاغ الرسالة وعما اجيبوا به
قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم
على الرسل والامم يعني نسردن اليهم اعمالهم قصة قصة من جليلها
وقليلها بعلم عالمين بجملتها وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا وهذا من
اعظم التوبيخ حيث اقروا على انفسهم وانبياؤهم شاهدون ويقص
الله عليهم اعمالهم ولما قال فلنقصن عليهم بعلم وهو موذن بجزاء
الاعمال السيئة بمثلها وزاد في الحسنة تسعة امثالها للفضل يخطر
في الخواطر كيف يعلم المثلية والزيادة فقال والوزن يومئذ الحق مذهب
الجمهور ان في القيمة ميزانا له كفتان ولسان ومثل ذلك ليس بثابت
بالنص ولا بالسنة والثقل والخفة من صفات الاجسام فقالوا
الموزون الصحف وتقليب الاعمال اجساما والكلام الحق ان الموازين

تختلف

تختلف كميزان الشعر وميزان العرض والطول وكيفية ميزان الاعمال
علمها عند الله لا نعلم الا بعد الروية والظاهر بحسب المعنى ان الحق صفة
الوزن ويومئذ خبره والمعنى الوزن العدل في ذلك اليوم لا في ايام
الدنيا والظرف فيه اتساع فيجاز به الفصل بين الصفة والموصوف
فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون في الحديث السيئة خفيفة
وان كثرت والحسنة الخالصة ثقيلة وان قلت والموازين جمع موزون
او ميزان والجمع على هذا باعتبار كثرة الموزون ومن خفت موازينه
فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع فطرتهم السليمة بما كانوا باياتنا
يظلمون بانكارها وتغييرها وفي قوله موازينه مع قوله فاولئك اعتبار
لفظ من ومعناها ولما تقدم الامر باتباع القران وهو العمدة ووقع
بعده ما هو في مورد الاعتبار والاتعاظ رجع الى ما هو وسيلة الى العمدة
في المعاد ومن نظام المعاش فقال مخاطبا ولقد مكناكم والمخاطب
المامورون بقوله اتبعوا ما انزل اليكم في الارض بالتمليك والتصرف
فيها والقدرة وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها قليلا ما
تشكرون اي شكرا قليلا وهذا كما قال في عقب ما هو العمدة قليلا ما
تذكرون ولقد خلقناكم يعني لكم قلة الشكر فلا تاتمرون بما امرناكم
من اتباع ما انزلنا لكم مع انه نحن اوجدنا من العدم اصلكم وهو ابوكم
ادم من طين غير مصور ثم صورناكم اي اصلكم او المعنى خلقنا
اصلكم ادم ثم صورناكم اي ذريته في ارحام امهاتكم وهذا المعنى
رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ثم قلنا للملئكة اسجدوا
لادم على المعنى الثاني ثم للتراخي في الاخبار لان سجود الملئكة قبل
التصوير في ارحام النساء فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين
وقد مر تحقيق الكلام في سورة البقرة فتذكر قال ما منعك ان لا تسجد
اذ امرتك لا زائدة مؤكدة معنى الفعل الداخلة هي عليه لما في سورة
ص بدون لا وقيل الاولى انها غير زائدة لان زيادتها في صدر
الكلام معهود نحو لا اقسم وفلا اقسم ولها مواقع خاص بل التضمين
معنى احرج واضطر فان الممنوع عن شيء مضطر الى تركه يعني

ما اوجك الى عدم السجدة اذ امرتك بالسجود قال انا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين . يعني فضلي عليه لشرف عنصري على
عنصره ولا يجوز تذلل الفاضل عند المفضول فكانه قال المانع انى
خير منه وما نظر الى الآمر بعد ان قال خلقتني فما اجهله مع ان الطين
منبع النمو والثبات والحلم والوقار والرزانة والصبر وفي النار الاهلاك
والبطش والسرعة والارتفاع ولهذا اشقاه قال الله فاهبط منها
فيه دلالة على النزول من العلو قيل من الجنة وقيل من السماء فما يكون
لك ان تتكبر فيها ليس من شانك التكبر في السماء او الجنة فانه شان
رب العالمين وكل ذميمة في الموقع الاشرف اخبث فاخرج انك
من الصاغرين من اهل الصغار والهوان قابل تكبره بالاهانة قال
انظرني امهلني ولا تمتني التمس شيئا خلق لذلك الى يوم يبعثون
اي يوم القيمة وضمير يبعثون عائد الى الخلق وان لم يجر له ذكر للعلم به
المستفاض قال انك من المنظرين من الطائفة التي تاخرت
اجالهم مثل الملئكة فانهم يموتون عند النفخة الثانية فلم يبق فيها احد
من ملك وغيره الا الله قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك
المستقيم اي اقسم بالله بسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم صراطك
المستقيم كما يقعد القطاع للسابلة فالباء متعلق باقسم المقدر فان
لام القسم مانع من تعلقها بلاقعدن والاولى ان نصب صراط
بالمفعول به لتضمن ما يتعدى بنفسه مثل لالزمن فان حذف
في من الظروف المحدودة شاذ واسقاط حرف الجر غير قياسي فلا يقال
قعدت الخشبة اي عليها وقيل الباء للقسم وجاز ان يقسم بفعل الله
ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
فان قطاع الطريق لا تاتي الا من احد الجوانب الاربعة غالبا والمراد
كمال اجتهاد الملعون في اضلال بني آدم قال الزمخشري الاستعمال
في الايمان والشمائل بعن والقدام والخلف بمن لغة توخذ ولا تقاس
ولا تجد اكثرهم شاكرين لله وانما قاله ظنا ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
قال الله اخرج منها مذءوما الذام اشد العيب مدحورا مطرودا عن

عن العناية امر اولا بالهبوط مطلقا وامر بالخروج ثانيا حال الصغار
وثالثا مقيدا بالذم والطرد ومدحورا حال ثانية كالخبر بعد الخبر لمن تبعك
منهم والاتباع المطلق محمول على اتباعه في جميع الامور او اكثرها
لاملأن جهنم منكم اجمعين لام لمن موطئة للقسم ومن شرطية مبتدأ
جوابها محذوف دال عليه جواب القسم او لام لمن ابتدائية ومن موصولة
ولاملأن جواب قسم بعد لمن تبعك منهم والقسم المحذوف وجوابه
خبر لمن الموصولة ويا ادم اي وقلنا يا ادم ان جعلته عطفا على قال
اخرج ففيه نكتة الالتفات والخطاب اسكن انت وزوجك الجنة
فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين تقدم
تفسيرها في سورة البقرة الا ان فيها وكلا منها رغدا ولم يذكر هنا اكتفاء
في الاول فوسوس لهما اي فعل الوسوسة لاجلهما الشيطان
ليبدي لهما اللام للعلة فان اللعين عارف بان الذنب في الجنة سبب
للفضيحة ما ووري عنهما ما هو مستور عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما
ربكما عن اكل هذه الشجرة لاجل شيء الا ان تكونا الا لاجل كراهة ان
تكونا ملكين ليس لكما احتياج الى الاكل واللباس وفيكما القوة التامة
والتصرف في الكونيات او تكونا من الخالدين في الجنة وقاسمهما اني
لكما لمن الناصحين لم يكتف بالوسوسة حتى حلف وقاسم بمعنى
اقسم نحو باعدت الشيء ولكما متعلق بالناصحين على التوسع في الظروف
فجاز تقدمه على عامله الذي عليه لام القسم او على حذف المفسر فدليهما
بغرور خدعهما بغروره ومكره وغرهما باظهار نصحه واطماعهما فيه
كانه علقهما بحبل ضعيف فلما ذاقا الشجرة اي ثمرتها بدت لهما
سوآتهما تطايرت عنهما ملابس الجنة قال وهب كان عليهما نور
يستر عورتيهما فانقشع بالاكل وطفقا اخذا يخصفان يلزقان
عليهما يعني على عورتيهما من ورق الجنة من ورق شجرتها وناديهما
ربهما قائلا الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين قال تعالى يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما
من الجنة فتشقى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن

من الخاسرين والاصح ان قولهما ربنا الاية كلمات تلقاها آدم من ربه
فتاب عليه ولنكونن جواب قسم محذوف وجوابه جواب للشرط قال
الله اهبطوا تقدم تفسيرها بعضكم لبعض عدو والجملة حالية ولكم في الارض
مستقر موضع قرار ومتاع الى حين وتمتع الى اجال معلومة وهذا
حال جميع الاباء والاولاد وقد مر وسياتي في سورة طه قال فيها
تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء اعادلفظ قال لان تيقنوا
ان هذا حكم بت قطعي من ربهم كما لا ريب في الاحياء والاماتة لا ريب
في الاخراج من الارض حيا ناطقا ولما ذكر بيان حال ابويهم من
تطاير اللباس عنهما وانهما يخصفان عليهما من ورق الجنة امتن على
اولادهما وناديهم فقال يا بني آدم قد انزلنا عليكم بقضاء سماوي
واسباب من السماء كالمطر والريح نحو وانزلنا الحديد انزل لكم من الانعام
لباسا يواري يستر سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها فاحتاج ابواكم
الى خصف الورق وقد اغناكم عنه وريشا اي مالا كذا قاله ابن عباس
ومنه تريش اذا تمول او ما تجمل به من الثياب فان الزينة غرض
صحيح وفي بعض الاوقات سنة مستحبة ولباس التقوى ذلك خير
فانه يستره عن فضايح الاخرة وفضايحها اشد وابقى من فضايح الدنيا
وقوله ذلك خير مبتدا وخبر والجملة خبر لباس التقوى والرابط اسم
الاشارة ذلك اي انزال اللباس والرياش من ايات الله الدالة
على الاحسان لعلهم يذكرون فيتعظون ويتورعون عن كشف العورة
في الدنيا ولما قص علينا حكاية اغواء الشيطان ابوينا وبين عداوة
القديمة اخذ يحذرنا عنه فقال يا بني آدم لا يفتننكم بالاضلال ال
الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة اي فتنة مثل فتنة اخراج ابويكم
ينزع عنهما لباسهما يعني اخرج ابويكم حال كونه نازعا عنهما اسند
الى السبب ليريهما سوآتهما فان كلا منهما ما راى قط عورة صاحبه
انه اي الشيطان يراكم هو وقبيله جنوده من حيث لا ترونهم علة للنهي
والتحذير فان عدوا يراك ولا تراه لشديد الدفع انا جعلنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون فانهم متابعوهم وتابع الشخص محب له

قل ان كنتم

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني او معناه ناصريهم ومعاضدهم
في الباطل والاول اولى ولما ذكر ان الكافرين محبون تابعون
للشيطان بين متابعتهم في شيء عجيب فقال واذا فعلوا فاحشة
ككشفهم عوراتهم نساؤهم ورجالهم في الطواف قالوا وجدنا عليها
اي على مثل تلك الفعلة المتناهية في القبح آباءنا والله امرنا بها
حسبوا لما سمعوا من ابائهم انهم على دين اسمعيل ان اعمالهم مستندة
الى امر وشرع من الله قل ان الله لا يامر بالفحشاء وامثال تلك
الافعال ظاهر على العقل المستقيم غاية قبحها اتقولون على الله
ما لا تعلمون انه امره بل يعلم الطبع السليم يقينا انه ليس منه
قل امر ربي بالقسط بالعدل لا الافراط ولا التفريط واقيموا وجوهكم
عطف على ما ينحل اليه المصدر الذي هو القسط اي امر ربي بان اقسطوا
واقيموا انحوا للبس عبادة وتفرعيني عند كل مسجد استقيموا في العبادة
في اي مسجد كنتم ولا تؤخروها الى مساجدكم كاليهود قاله ابن عباس
وادعوه مخلصين فان العبادة لا تقبل الا اذا كانت خالصة لله
له الدين الطاعة ولما امر بالطاعة الخالصة لله توجه النفس الى
فائدتها وظهور فائدتها يوم الدين استدل على هذا اليوم فقال
كما بداكم تعودون اي كما اوجدكم اولا واخترعكم كذلك يعيدكم
بعد الموت ومن قدر على الاول كيف لا يقدر على الثاني والشخص
على الحقيقة هو الروح المشخص على اي مركب ركب فريقا هدى
الى الاستدلال بوقوع الاخرة وفريقا حق عليهم الضلالة فنفوا
واستحيلوا الحشر كالمشركين والفلاسفة ونصب فريقا الثاني
بمقدر يفسره ما بعده تقديره واضل فريقا انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله فيتبعونهم ويحسبون انهم مهتدون و
ودلت الاية على ان المخطئ والمعاند سواء في الضلال فندعو بالويل
على الخوارج وعلى كل مبتدع ولما امر ربنا بالقسط وهو الوسط
بين الافراط والتفريط يامر وينهى بما هو الوسط وعما هو من احد
الشقين فقال يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد لصلوة

وطواف اهل الجاهلية يطوفون عريانا ولاياكلون الدسم ايام حجتهم و
ولايتناولون من الطعام سوى القوت فنزلت والزينة اسم مايتجمل
به من ثياب وغيرها والمراد منها هنا مايستر العورة ونادى منادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الالايحج بعد العام مشرك ولايطوف
بالبيت عريان رواه مسلم وكلوا واشربوا ماطاب ولاتسرفوا بتحريم
الحلال انه لايحب المسرفين فى البخارى عن ابن عباس كل ماشئت والبس
ماشئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة اى خيلاء قل من حرم
زينة الله التى حرمتموها على انفسكم الفعل لايتصور الاعن فاعل فانكار
الفاعل بالكلية انكار للفعل التى اخرج من النبات والحيوان والمعادن
كالقطن والحرير والدروع لعباده والطيبات من الرزق المستلذات
من الماكل والمشارب كما حرمتم انتم من عند انفسكم فى ايام الحج قل هى
الطيبات مخلوقة للذين امنوا فى الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة تشركهم
تبعا ففى ظرف لمتعلق للذين خالصة يوم القيمة لايشاركهم الكافرون
وقيل خالصة فى الاخرة من كل مكدر ونصب خالصة على الحال المقدرة
من المستكن فى للذين وقراءة رفعها فبانها خبر بعد خبر وقيل هى الخبر
وللذين متعلق بها مقدم عليها وفى الحيوة متعلق بامنوا كذلك مثل
ذلك التفصيل نفصل الايات لقوم يعلمون لقوم غير جاهلين قل
انما حرم ربى الفواحش ماتزايد قبحه كالكبائر ماظهر منها ومابطن جهرها
وسرها والاثم كل ذنب الصغائر والكبائر واما تفسيره بالخمر فليس بشيء
فان السورة مكية وتحريم الخمر كان فى المدينة والبغى الظلم بغير الحق زيادة
بيان للبغى وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا برهانا ومن المحال
انزال البرهان على الاشراك فيكون هذا من باب التهكم ولم ينزل
صفة ما بمعنى شيئا وان تقولوا على الله تفتروا عليه مالاتعلمون
انه منه لما ذكر ان بنى آدم فريقان وامر بخلاف قوله فريق حق عليهم
الضلالة بين حال تلك الجماعة الضالة ومالهم فقال ولكل امة اجل
اى لكل امة كذبت رسولها اجل معين لنزول العذاب والانتصار
فاذا جاء اجلهم لايستاخرون ساعة ولايستقدمون يعنى اذا جاءهم

وقت العذاب

وقت العذاب لايتاخر ولايتقدم اقصر وقت ويصل اليهم فى
ذلك الوقت المقدر فهو بمنزلة المثل يقصد من مجموع الكلام ان
لاتغيير ولاتبديل لحكم الله قيل قوله ولايستقدمون لايمكن عطفه على
لايستاخرون لان اذا الشرطية لايترتب عليها الا ماهو مستقبل
ولايترتب على مجئ الاجل فى الاستقبال الاستقبل والاستقدام
سابق على مجئ الاجل فى الاستقبال فالوجه ان يقال ان قوله
ولايستقدمون منقطع من الجواب على الاستيناف اى وهم لايستقدمون
الاجل اى لايسبقونه وتحقيق العلاقة على هذا المنوال يابنى آدم
هذا كانه خطاب ازلى او هو مراعى به وقت الانزال لكن بصورة
الاستقبال اما ياتينكم رسل منكم ان حرف شرط وما مزيدة لتاكيد
معنى الشرط يقصون عليكم اياتى التى فيها الامر والنهى فمن اتقى
الشرك واصلح العمل فلاخوف عليهم عند الفزع الاكبر ولاهم يحزنون
على مافات من دنياهم والذين كذبوا باياتنا منكم ولم يؤمنوا برسلنا
واستكبروا عنها فتركوا العمل بها اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون والاولى ان من فى فمن اتقى موصولة والذين عطف
عليه ومجموع المعطوف والمعطوف عليه جزاء لقوله اما فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا يقول عليه مالم يقله او كذب باياته والاستفهام
لما كانت انكارية لاحاجة لها الى جواب اولئك ينالهم نصيبهم
من الكتاب فى معناه اقوال مختلفة والاظهر ان معناه مما كتب
لهم من العمر والرزق والعمل حتى اذا جاءتهم رسلنا ملك الموت
واعوانه يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم حال من الرسل قالوا جواب
اذا اينما كنتم ما موصولة اى اين الالهة التى كنتم تدعون تستغيثونها
فى طلب حوائجكم من دون الله قالوا يعنى انهم ينالهم حظهم مما كتب
وقدر لهم الى ان ياتيهم رسل الموت يقبضون ارواحهم فيسالونهم
سؤال تقريع وتوبيخ فاجابوا بقولهم ضلوا عنا غابوا فلانراهم
ولايصل الينا منهم نفع واما قولهم والله ربنا ماكنا مشركين فبعد
الحشر واما ماورد من اقرارهم بالاشراك فى القيمة ايضا فلاختلاف

القائل او في كل موقع من القيمة قول وشهدوا على انفسهم انهم
كانوا كافرين قال الله لهم في القيمة ادخلوا في امم قد خلت من
قبلكم من الجن والانس في النار اي ادخلوا في النار كائنين في
زمرة امم تقدم زمانهم من كفار الجن والانس ففي امم حال موصوف
بقد خلت وجاز تعلق في امم بادخلوا وفي النار بخلت اي تقدم
دخولها في النار كلما دخلت امة في النار لعنت اختها في الدين التي
ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا يعني يدخلون فوجا
فوجا الى انتهاء تلاحقهم وتداركهم واجتماعهم في النار قالت اخريهم
دخولا في النار لاوليهم لاجل اوليهم دخولا والخطاب مع الله لا معهم
والمتبوع لشدة جرمه يدخل النار قبل التابع ربنا هؤلاء اضلونا سنوا
لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا مضاعفا صفة عذابا
من النار متعلق بآتهم اي اضعف عليهم العقوبة قال الله لكل
ضعف يعني عذاب مضاعف الى غير النهاية لا مزيد عليه او عذاب
ضعف ما يتصور احدكم في شان الاخر ولكن لا تعلمون ما لكل فريق
وقالت اولاهم القادة لاخريهم الاتباع والاخرى مؤنث آخر بكسر
الخاء واللام للتبليغ نحو قلت لك اصنع كذا فان الخطاب معهم فما كان
لكم علينا من فضل رتبوا هذا الكلام على قول الله يعني ان القادة لما سمعوا
لكل ضعف خاطبوا السفلة بان لا فضل لكم علينا فانكم حين جاءتكم
الرسل ما ازدجرتم ودمتم في كفركم وتركتم النظر والتدبر فاستوت حالنا
وحالكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون هذا من كلام القادة او من
كلام الله تحاكم بينهم ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها فلم يتقاودها
لا تفتح لهم لارواحهم ابواب السماء بل يهوي بها السجين كما ورد في
الحديث الذي رواه ابو داود والنسائي وابن ماجة ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط نفي مغيا بمستحيل فان سم الخياط يضرب به المثل
في الضيق والجمل يضرب به المثل في عظم الجثة وكذلك مثل ذلك الجزاء الفظيع
نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش لحاف جمع غاشية
وكذلك نجزي الظالمين سماهم مرة مجرما ومرة ظالما لتعدد قبايحهم وكفى

لكل ظالم

لكل ظالم ومجرم نقصا بان وصف الكفار بتلك الالقاب زجرا
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون قوله لا نكلف نفسا الا وسعها معترضة
بين المبتدأ والخبر للترغيب والاعلام بان تلك المرتبة الجليلة ممكنة الوصول
اليها بسهولة ونزعنا اخرجنا ما في صدورهم من غل حقد وحسد كان بينهم
في الدنيا ولم يبق بينهم الا التوادد حتى تصير الجنة دارا متمحض السرور قال علي رض
اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا
ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار الجملة مستانفة قالوا حين راوا
كرامة الله الحمد لله الذي هدانا لهذا اي الذي وفقنا لتحصيل هذا النعيم الذي
وجدناه بالايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللام
لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف يدل عليه ما قبل لولا لقد جاءت رسل
ربنا بالحق فحصل لنا هذه النعمة بارشادهم ونودوا من الله ان تلكم الجنة
بعد دخولها وقيل حين راوها من بعيد وان مخففة اي ان الشان وهي
عاملة ان لم تكن معها اللام وجاز ان يكون بمعنى اي لوجود شرطيها وهما
ان يكون قبلها جملة في معنى القول وبعدها جملة اورثتموها حال وقيل
خبر والجنة صفة بما كنتم تعملون اي صارت الجنة لكم بلا تعب كالميراث
او ميراثكم من اهل النار فقد رواه ابن ماجة والنسائي وغيرهما ما من احد
الا وله منزل في الجنة وفي النار والكافر يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن
الكافر من الجنة ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار تبجحا بحالهم وشماتة
بالكفرة ان قد وجدنا اي ان الشان ويحتمل ان ان تفسيرية ما وعدنا
ربنا حين كنا في الدنيا بلسان الرسل حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم اي ما وعدكم
ربكم من اهوال الكفر حقا قالوا نعم فاذن مؤذن نادى مناد بينهم معمول
اذن او صفة مؤذن ان لعنة الله على الظالمين ان كما مر مخففة او مفسرة
الذين يصدون عن سبيل الله صفة الظالمين اي يمنعون الناس عن
اتباع الشرع ويبغونها عوجا يطلبون للشرع والدين زيغا بزعمهم ويقولون
للناس في هذا الدين كذا من الزيغ والعيب ليرتدوا عنه وهم بالاخرة كافرون
يقولون لا بعث بعد الموت ولا جزاء ولا جنة ولا نار وبينهما بين الفريقين

حجاب فانهم المحدث عنهم قال تعالى فضرب بينهم بسور والمراد بين الجنة
والنار وتصور هذا السور بين الجنة التي في الكرسي والنار التي في اسفل سافلين
موقوف على المشاهدة وعلى الاعراف جمع عرف وهو المرتفع من الارض
والمراد ههنا هو السور المضروب بين الجنة والنار رجال يعرفون كلا من اهل الجنة
بسيماهم بعلاماتهم اعلمهم الله قبل دخول اهل الجنة الجنة والنار النار وبعده لارتفاع
محلهم واشرافهم فيعرف الكافر المخلد والفاسق الذي سيدخل الجنة وان كان
في النار مدة والاصح انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ونادوا عطف
على يعرفون اصحاب الجنة ان سلام عليكم ان كما مر اما مخففة او مفسرة لم يدخلوها
مستانفة وهم يطمعون كان سائلا سال عن حالهم فاجاب لم يدخلوا الجنة
وهم يطمعون دخولها وقيل حال اي نادوا غير داخلي الجنة وهم طامعون في
الجنة واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اشار الى ان نظرهم الى اصحاب
النار باكراه لا برغبة قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين في جهنم ونادى
اصحاب الاعراف رجالا من الكفرة يعرفونهم بسيماهم باشخاصهم يقولون
يا ابا جهل يا وليد بن المغيرة يا فلان يا فلان قالوا لهم ما اغنى عنكم جمعكم لم ينفعكم
خدمكم واموالكم وما كنتم تستكبرون ما في ما اغنى استفهامية توبيخية او نافية
وفي ما كنتم مصدرية اي كونكم مستكبرين عن قبول الحق اهؤلاء الذين اقسمتم
لا ينالهم الله برحمة الاشارة الى ضعفاء المسلمين الذين يحتقرهم الكفار في الدنيا
ويستنكفون عن مجالستهم ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه ادخلوا
الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون في معناه اختلاف والاحسن عندي
ان الخطاب لهؤلاء الضعفاء ومن تتمة قول اهل الاعراف يعني قالوا الرؤساء
اهل النار الذين يعرفونهم بسيماهم اهؤلاء الذين احتقرتموهم قيل لهم ادخلوا الجنة
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء ان كما مر
تفسيرية او مصدرية قيل طلبهم مع الياس كالغريق يتشبث بالزبد لكن
ما نقل عن ابن عباس مشعر بانهم طامعون في حصول ما التمسوا او مما رزقكم
الله من غير الماء من الاشربة المسكنة للعطش او عام لكل مسكن من فاكهة
وغيرها قالوا ان الله حرمهما اي ماء الجنة وسائر شرابها يعني حرم كلا منهما
والا فالواجب ان يقال حرمه لانه المذكور باو على الكافرين معنى التحريم ههنا

المنع الذين اتخذوا دينهم الشرع الحق الذي هو دين الخلائق اجمعين لهوا
ولعبا فاستهزؤا به او جعلوا اللهو واللعب دينهم وهو ما زين لهم الشيطان
كالتصدية قوله الذين صفة الكافرين من الله سبحانه لا من اهل الجنة
وغرتهم الحيوة الدنيا فتركوا الاخرة فاليوم ننساهم نعاملهم معاملة الناسين
فنخليهم في العذاب كما نسوا لقاء يومهم هذا فانكروه ولم يستعدوا له وما كانوا
باياتنا يجحدون ما في الموضعين مصدرية وما كانوا عطف على ما نسوا
اي لكونهم انكروا ان الايات من عند الله ولقد جئناهم بكتاب اي القران
فصلناه بيناه مواعظه واحكامه على علم منا بما فصلناه به حال من احد
احد معموليه هدى ورحمة قيل نصبهما بالمفعول له وقيل المراد بكتاب جنس
الكتب الالهية فان ضمير جئناهم عام لا خاص بمكذبي محمد صلى الله عليه وسلم
لقوم يؤمنون اي لقوم هم مؤمنون في علم الله هل ينظرون ينتظرون
الا تاويله ما آل اليه امره وعاقبته من صدق وعده ووعيده وكذبهما
يوم ياتي تاويله وهو في القيمة يقول الذين نسوه في الدنيا فلم يؤمنوا ولم يعملوا
من قبل اي من قبل اتيان تاويله قد جاءت رسل ربنا بالحق ونحن كذبناهم
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد اي هل نرد الى الدنيا عطف
على لنا من شفعاء فنعمل جواب هل نرد غير الذي كنا نعمل قد خسروا
انفسهم بصرف عمرهم في طاعة الشيطان وضل غاب وبطل
عنهم ما كانوا يفترون انه شريك لله يعني لم ينفعهم الهتهم ولما كان
مدار القران على اصول اربعة التوحيد والنبوة والمعاد والقدرة وبين
كلا من الاربعة واطال الكلام فيها رجع الى بيان كل منها مفصلا ومجملا
لاجل جدال الخصم وعناده فقال ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام مثل ايام الدنيا او ايام الاخرة كل يوم الف
سنة وقدرته الشاملة وسعت ان يخلقها في لمحة لكن حكمته الباهرة
اقتضت المدة وعلمها عند الله ثم استوى على العرش اجمع السلف
على ان الاستواء على العرش صفة له بلا كيف نؤمن به ونكل العلم
الى الله تعالى قيل معناه استوى الخلق على العرش يعني استتم فما خلق
فوق العرش شيئا قال تعالى فسويهن سبع سموات وقال اذا سويته

يغشى الليل النهار يغطيه به تقديره ويغشي الله النهار الليل وحذف
للعلم به والمنصوبان مفعولاه يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب
والجملة حال من الليل فانه هو المحدث عنه حثيثا اى طلبا سريعا او حال
من النهار اى محثوثا والشمس عطف على السموات والقمر والنجوم مسخرات
نصب على الحال من المجموع بامره بمشيته وتصريفه الا له الخلق والامر
لا خالق الا هو ولا يجري في ملكه الا ما يشاء تبارك الله تعالى وتعظم فعل
جامد لا يأتي منه مضارع ولا امر ولا اسم فاعل رب العالمين ادعوا
ربكم تضرعا وخفية اى ذوى تذلل واستكانة وخفية فالاصح ان الصياح
في الدعاء مكروه انه لا يحب المعتدين المتجاوزين حد الاعتدال في الاشياء
روى الامام احمد وابو داود ان صحابيا سمع من طلب الجنة ونعيمها وكذا
وكذا واستعاذ من النار وسلاسلها وكذا وكذا فقال له سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء ثم قرا تلك الاية وقال
بحسبك اسالك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول او عمل ولا تفسدوا في الارض بالمعاصي بعد
اصلاحها اى بعد ان اصلح الله خلقها على الوجه الملايم لمنافع الناس وادعوه
خوفا وطمعا خائفين من عقابه طامعين لثوابه ان رحمة الله قريب من
المحسنين المطيعين ولم يقل قريبة لان الرحمة بمعنى الثواب قال الفراء
اذا استعمل في النسب فلا بد من التاء تقول هذه قريبة فلان واذا استعمل
في المسافة فانت بالخيار وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
باشرات قدام المطر بالمطر وهو جمع بشير فقيل الصبا يثير السحاب والشمال
تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقراءة نشرا بالنون معناها باشرات
للسحاب حتى اذا اقلت اى حملت الرياح سحابا سحائب ثقالا بما فيها
من الماء جمع صفته دل على انه بمعنى الجمع سقناه ذكر الضمير نظرا الى لفظ
السحاب لبلد ميت لام التبليغ نحو قلت لك وصفه بالميت كانه من
حيث عدم الانتفاع به كجسد لا روح فيه فانزلنا به الماء اى فانزلنا في البلد
الماء فالباء ظرفية فاخرجنا به بسبب الماء من كل الثمرات انواعها كذلك مثل
اخراج الثمرات واحياء البلد نخرج الموتى من قبورهم بعد احيائهم بسبب مطر يشبه

بمنى الرجال لعلكم تذكرون ان من قدر على هذا قدر على ذلك والبلد
الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره سريعا
حسنا وهذا مفهوم من مقابلة قوله الا نكدا اخص ما هو حسن باذن ربه
للتشريف وتعليم الادب وان كان الكل باذنه والذي خبث ترابه لا يخرج
الا نكدا بطيئا عديم النفع وفيه حذف تقديره والبلد الذي خبث لا يخرج
نباته حذف المضاف والضمير المجرور وصار مرفوعا مستترا كذلك نصرف
الايات نبينها مكررا لقوم يشكرون فيتفكرون في هذه الاية والنعمة التي
لا يكاد يوازيها نعمة وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ولما قص في هذه
السورة مبدأ الخلق الانساني وقص من اخباره ما قص واستطرد من ذلك
الى المعاد ومصير اهل السعادة الى الجنة واهل الشقاوة الى النار اتبع
ذلك باحوال الرسل فبدأ بقصة نوح اذ هو الادم الثاني وامته اول من كذبه
واقل استجابة وغرقهم وهلاكهم بالمطر الذي هو الرحمة فقال لقد ارسلنا
جواب قسم محذوف نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله اى وحدوه
والاختصاص من المقام ما لكم من اله غيره غيره بالرفع صفة اله باعتبار
محله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة قال الملأ الاشراف
والسادة من قومه انا لنريك في ضلال مبين لانك تركت ملة ابائك
قال يا قوم ليس بي ضلالة لا قليلة ولا كثيرة ولكني رسول من رب
العالمين كانه قال ليس بي ضلالة لكني ثابت على الطريق السوي لا في
رسول رب العالمين فلفظ لكن متوسط بين كلامين متغايرين نفيا
واثباتا ابلغكم استيناف او صفة رسول من قبل انا الذي سمتني امي
حيدرة رسالات ربي وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له واعلم من الله
من جهة وحيه ما لا تعلمون من صفات لطفه وقهره اوعجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم موعظة منه على لسان رجل منكم من جنسكم لما استبعدوا ذلك
واستحالوا قوله وقالوا انا لنريك في ضلال مبين وبخهم وانكر عليهم ما استحالوه
وبين انه امر بين لا فيه ما ينكر وقول النحاة باسرهم ان الواو مقدم والهمزة
لصدارته قدمت صورة فلا حذف في الكلام لينذركم عاقبة العصيان
ولتتقوا بسبب الانذار من مخالفة ربكم ولعلكم ترحمون ان رجعتم من المخالفة

فكذبوه فانجيناه من الغرق والذين معه في الفلك اي استقروا معه في
الفلك ففي متعلق باستقروا او بانجيناه اي انجيناهم في الطوفان والاصح
انهم ثمانون واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اشار الى علة الاغراق وهي التكذيب
وفيه ان لنوح معجزات انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب عن فهم الايات
والى عاد اي الى قوم عاد اخاهم في النسب واحد منهم نحو يا اخا العرب عطف
على نوحا الى قومه هودا عطف بيان قال يا قوم استئناف كانه قيل ما قال
لهم هود قال قال اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون الله قال الملأ الاشراف
الذين كفروا من قومه صرح مجاهد وغيره ان من اشراف قومه من آمن ولهذا
قال الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل وانا
لنظنك من الكاذبين الظن بمعنى العلم وجاز ان يكون على ظاهره قال
يا قوم ليس بي سفاهة ولكني كامل العقل لاني رسول من رب العالمين ابلغكم
رسالات ربي وانا لكم ناصح امين على الرسالة او عجبتم ان جاءكم ذكر من
ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم اي واذكروا انعامه اذ فاذ ظرف
لمفعول محذوف فيصح على كل مذهب خلفاء من بعد قوم نوح في مساكنهم
واموالهم او في الارض بان اخذ منهم واعطاكم وزادكم في الخلق بسطة قامة
وقوة واموالا فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون بسبب
ذكر النعم وشكره قالوا اجئتنا يعني قصدتنا لنعبد الله وحده ونذر نترك
ما كان يعبد اباؤنا من الاصنام فاتنا بما تعدنا يمكن انه اوعدهم بعذاب
ويمكن انهم فهموا الوعيد من قوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين
في الوعد والوعيد مختص بالشر والوعد اعم قال قد وقع وجب وحق وجاز
انه جعل متحقق الوقوع في حكم الواقع عليكم من ربكم رجس عذاب وغضب
اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم اي في اشياء ما هي الا اسماء
خالية عن المعاني والمسميات ليس فيها معنى الالهية بالكلية واحدثتم
واختلقتم فيها الالهية ما نزل الله بها بهذه التسمية من سلطان حجة من
زائدة للتعميم فانتظروا امر الله فيكم اني معكم من المنتظرين والاولى
ان معكم حال ومن المنتظرين خبر فانجيناه والذين معه برحمة منا ولولا رحمتنا
لهلكوا فان نار العذاب اذا اوقدت تحرق الرطب واليابس وقطعنا

دابر الذين

دابر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم واهلكناهم عن آخرهم وفي هذا
توبيخ شديد لقريش فانهم ايضا كذبوا بايات الله فحق عليهم رجس
وغضب وما كانوا مؤمنين والفارق بين الناجي والهالك هو الايمان
وجاز ان يكون هذا اخبارا من الله انهم ممن علم الله انهم يموتون على الكفر
والى ثمود اي الى قبيلة اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره قد جاءتكم بينة معجزة من ربكم على صدقي هذه ناقة الله لكم آية اي كونها
مبينة للبينة واضافة الناقة الى الله للتشريف فانها خرجت من الصخرة
يوم عيدهم بمحضرهم حين سألوا تلك المعجزة وعهدوا الايمان ونصب
آية بانها حال والعامل معنى الاشارة فذروها تأكل في ارض الله لما اضافها
الى الله اضاف محل رعيها اليه سبحانه ولا تمسوها بسوء من ضرب وطرد
فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي وناصب الفعل ان المقدرة بعد الفاء
واذكروا النعمة اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد في مساكنهم وبوأكم اسكنكم
في الارض فيه دلالة على فسحة ديارهم وسعة تصرفهم تتخذون من
سهولها قصورا تبنون القصور من سهولة الارض بما يصنعون
من اللبن جملة حالية والعامل فيها بوأكم واتخذ متعد الى واحد وتنحتون
الجبال بيوتا يسكنون في الشتاء فيها للتنعم وبيوتا حال مقدرة لان
الجبل حال نحته ليس بيتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا العثي اشد
الفساد في الارض مفسدين اي لا تبالغوا في الفساد في حال فسادكم
اكتفاء بالفساد الاول قال الملأ الاشراف الذين استكبروا عن الايمان
من قومه للذين استضعفوا الرعايا لمن آمن منهم بدل البعض من الذين
فان ضمير منهم راجع الى الذين والمستضعفون كثيرون والمؤمنون
اربعة آلاف وجاز ان يكون ضمير منهم للقوم والبدل بدل الكل
اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه والجملة الاستفهامية للاستهزاء
والاستخفاف ومن ربه اختصاص بصالح ولم يقولوا من ربنا
قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا عن مثل نعم اشارة الى ان ارساله
امر محقق مسلم انما الكلام في الايمان به ونحن مؤمنون فقال الذين
استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون فاسلموا ارساله الذي ادعوا

ظهوره فعقروا الناقة نحروها متفقين برضاء الجميع وعتوا استكبروا ع
عن امر ربهم عن قبوله وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا بقولك ولا تمسوها
الى اخره ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة فعذابهم صيحة
من السماء وزلزلة من الارض تقطعت قلوبهم في صدورهم هكذا ذكره
ابن جرير واما ما وقع في موضع اخر فاخذتهم الصيحة فلا منافاة فان
في عذابهم رجفة وصيحة فاصبحوا في دارهم ارضهم وديارهم جاثمين
خامدين ميتين فتولى عنهم اعرض وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين خاطبهم بذلك بعد هلاكهم كما خاطب
نبينا صلى الله عليه وسلم قليب بدر بقوله هل وجدتم ما وعد ربكم حقا
قيل في الاية تقديم وتاخير ترتيبه ان كنت من المرسلين فتولى عنهم
الى قوله لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين
ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال ظرف لارسلنا لقومه اتاتون ال
الفاحشة الفعلة القبيحة تطرفه عن ان تسميه باسمه النجس ما سبقكم
بها استيناف او جملة حالية من احد المعمولين وحرف التعريف يحتمل
الجنس كانه لشدة قبحه جعله جميع الفواحش من احد زيدت من للاستغراق
من العالمين من للتبعيض والباء للتعدية الى المفعول الثاني قال السلف
ما راى ذكر على ذكر قبل قوم لوط ائنكم الهمزة للانكار لتاتون الرجال من
اتى المراة اذا غشيها شهوة حال اي مشتهين غير ملتفتين الى سماجتها
او مفعول له اي حاملكم الى تلك القبيحة مجرد الشهوة وقد تركتم العقل
من دون النساء المخلوقة لكم بل انتم بل هنا للخروج من قصة الى قصة قوم
مسرفون انباهم بانهم متجاوزو الحد في الاعتداء في جميع الامور فهو
الباعث لكم الى تلك القبيحة الفضيحة وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم اي قال بعضهم لبعض في مقابلة نصحه اخرجوا لوطا ومن آمن معه
انهم اناس يتطهرون من دبر الرجال والنساء كذا قاله السلف وقيل هذا
القول منهم سخرية فانجيناه واهله اي من امن به الا امراته فانها تسر
الكفر كانت من الغابرين من الباقين في الديار فهلكت ولم يقل من
الغابرات كانها من الرجال القوية في فعلها وامطرنا عليهم مطرا نوعا

من المطر

من المطر وهو حجارة فيه تضمين معنى ارسلنا ولهذا عداه بعلى فانظر
يا من لك النظر كيف كان عاقبة المجرمين فاحذر عن ان تقع في مثل
ما وقعوا والى مدين بلد مدين وقيل قبيلة اخاهم في النسب شعيبا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم وليس في القرآن
انها ما هي فاوفوا الكيل يعني ما يكال به كالعيش على المعاش والميزان وجاز
ان يكون المراد بالميزان المصدر كالميعاد وحينئذ المراد من الكيل المصدر فقط بقا
ولا تبخسوا الناس اشياءهم لا تنقصوهم حقوقهم امرهم اولا بشيء خاص ثم نهاهم
عن شيء عام فقال اشياءهم قيل هم كانوا مكاسين ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها تقدم تفسيره قريبا ذلكم الاشارة الى العمل بما امر ونهى خير لكم
ان كنتم مؤمنين واما الكافر فلا خير له في الاخرة ولا في الدنيا ولا تقعدوا
بكل صراط توعدون الباء ظرفية نحو هو بالبصرة قال ابن عباس هم يقعدون
الطرق يوعدون من اتى شعيبا قائلين هو كذاب وتصدون عن
سبيل الله معطوف على توعدون وتوعدون جملة حالية من آمن به
قوله توعدون وتصدون تنازعا في من آمن والعمل للثاني والا لوجب
ان يقال وتصدونهم وهذا هو الاعراب والمعنى الصحيح من غير تكلف فلا تبتغوا
عنه وتبغونها سبيل الله عوجا بالقاء الشبه ووصفها للناس
بالاعوجاج والجملة حالية واذكروا نعمه اذ كنتم قليلا في العدد والعدد فكثركم
بالبنين والاموال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين قبلكم فاعتبروا
منهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا
فاصبروا حتى يحكم الله بيننا هذا من احسن المحاورة اذ ابرز المتحقق
في صورة المشكوك ومتعلق لم يؤمنوا المحذوف اي به والخطاب
في منكم لقومه وفاصبروا خطاب للطائفتين وبيننا اي بين الجميع
وفيه وعد للمؤمنين بالنصر ووعيد للكافرين بالخسار وهو خير الحاكمين
لا حيف في حكمه ولا معقب له قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين آمنوا معك معك متعلق بامنوا فانهم آمنوا
مع ايمان شعيب او امنوا حال كونهم معه في الوجود كما قالت امنت
مع سليمان من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين

اما الاخراج او العود ويمكن ان يكون العود بمعنى الصيرورة فلا يستدعي
الرجوع الى حالة سابقة فان شعيبا لم يكن قط على ملتهم او من باب التغليب
باعتبار قومه قال شعيب اولو كنا كارهين اي ايقع منكم احد الامرين
على كل حال حتى في حال كراهتنا لذلك والواو للعطف على حال محذوفة
وقد تقدم بسطه قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجينا الله
منها جواب الشرط محذوف من حيث الصناعة وتقديره ان عدنا
في ملتكم فقد افترينا والمعنى قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص
منها وبهذا يندفع ان الافتراء الماضي لا يتعلق بالعود والمرتد مفتر في اثبات
الند وفي دعوى ظهور حقية دين الباطل عنده فهو اقبح من الكافر وما يكون
لا يمكن لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا ارتدادنا يعني لا يمكن الارتداد
ونحن على هذا الطبع المستقيم نعم لو اراد ارتدادنا فهو قادر على تغيير طبعنا
وتبديله كمرآة اكلها الصدا فانها لا تقبل الجلا نعم للحداد ان يذيبها ويجعلها
مرآة تقبل الجلاء وسع ربنا كل شيء علما احاط علمه بما كان ويكون وعلما
تمييز على الله توكلنا في تثبيتنا على الايمان وتخليصنا منكم ربنا افتح
اقض واحكم بيننا وبين قومنا بالحق فانزل على كل منا ما يستحقه وهذا
معنى والا فجميع حكم الله لا يكون الا بالحق وانت خير الفاتحين الحاكمين
وقال الملا الذين كفروا من قومه والله لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون
فانكم استبدلتم دينه الباطل بدين ابائكم الحق وجملة انكم جواب للقسم دال
على جواب الشرط فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم جاثمين
ميتين لهولاء انواع من العذاب سحابة فيها شرر من النار وصيحة من
السماء ورجفة من الارض الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها كان لم
يقيموا في الدار ولم يوجد واشبه حالهم بحال من لم يكن قط في الديار والذين
مبتدا وكان لم خبره يعني كانه اي كان الشان والجملة المنفية خبره الذين
كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين لا الذين اتبعوه وصدقوه كما زعموا وهم
ضمير الفصل افاد الاختصاص فتولى عنهم هذا مثل ما مر في قصة صالح
وقال تاسفا وتحسرا يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم وما قبلتم
فكيف آسى احزن على قوم كافرين مستحقين للعذاب وما ارسلنا

في قرية

في قرية من نبي فكذبه اهلها الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء الجوع
والامراض جملة اخذنا حالية اي الا اخذين اهلها استثناء مفرغ
من الاحوال لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتركوا الاستكبار ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة اعطينا السلامة والسعة مكان البلاء والشدة
استدراجا وابتلاء حتى عفوا كثروا عددا ومالا يقال عفى النبات
والشحم والوبر اذا كثرت وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء
فاصابنا مثل ما اصابهم وهذا عادة الدهر ولم يتنبهوا ولم ينتهوا
فاخذناهم بغتة فجاءة مفعول مطلق فان هذا نوع من الاخذ وهم
لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى التي ارسلنا فيها
رسلا امنوا واتقوا المعاصي لفتحنا عليهم بركات يسرنا الخير لهم
من السماء والارض اي من كل جانب او المراد القطر ونبات الارض
ولكن كذبوا رسلنا فاخذناهم بما كانوا يكسبون بسبب كفرهم وعصيانهم
لما حكى قصص الامم السالفة اخذ يحذر قريشا ومن نحا نحوهم ان يصيبهم
مثل ما اصابهم فقال افامن الهمزة للتوبيخ دخلت على امن والفاء
لعطف هذه الجملة على ما قبلها قال صاحب البحر ما قاله الزمخشري في هذه
الاية من ان الفاء بعد الهمزة عاطف ما بعدها على ما قبل الهمزة من
الجمل رجوع الى مذهب النحاة وتخريج لهذه الاية على خلاف ما قرر من
مذهبه في غير اية من انه يقدر محذوفا بين الهمزة وحرف العطف كما يصرح
بذلك اهل القرى ان ياتيهم باسنا عذابنا بياتا وقت بيتوته وهم
نائمون جملة حالية اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى اي في
ضحوة النهار وهم يلعبون وهذا وقت لعبهم واشتغالهم بدنياهم فقيد
كل ظرف بما يناسبه من الحال وجاء نائمون باسم الفاعل لانها حالة
ثبوت واستقرار وجاء يلعبون بالمضارع لانهم يشتغلون بافعال
متجددة شيئا فشيئا وكلا الحالين حال ترفه وطمانينة ففجاءة المصائب
فيهما اشد ونصب بياتا على الظرف بحذف المضاف ليناسب قوله
ضحى افامنوا مكر الله جاء العطف بالفاء واسناد الفعل الى الضمير
لان الجملة المعطوفة تكرير لقوله افامن وامن تاكيد فناسب اعادتها

بالفاء وهو استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه
وفي الحديث اللهم امني مكر الشيطان ولا تامني مكرك يا الله فلا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون فطرتهم اولم يهد للذين يرثون الارض
من بعد اهلها اي يرثون دياره من قبلهم ان انه لو نشاء اصبناهم
بالبلاء بذنوبهم بسببها كما عذبنا من قبلهم وجملة ان لو نشاء فاعل
يهد يعني اولم يبين للوارثين مالهم وعاقبتهم علمهم باصابتنا اياهم
بذنوبهم لو شئنا ذلك فخبر ان الشان الجملة المصدرة بلو ومفعول
نشاء محذوف دل عليه جواب لو وهو اصبناهم ونطبع نختم على
قلوبهم الجملة مستانفة اي نحن نطبع والمعنى ان من اوضح له سبيل
الهدى وذكر له امثال ممن اهلك بذنوبه وهو مع ذلك على غيه
يطبع الله على قلبه فينبو سمعه عن قبول الحق ولهذا غير الاسلوب
ولم يقل وطبعنا ولا يجوز عطفه على يرثون لانه عطف على الصلة
والمعطوف على الصلة صلة وقد فصل بين ابعاض الصلة باجنبي من
الصلة وهو ان لو نشاء وهو فاعل يهد لا تعلق له بشيء من صلة الذين
ولا يجوز عطفه على اصبناهم لاستلزام انتفاء الطبع مع بطلانه لقوله
فهم لا يسمعون فانه دال على اصرارهم على عدم قبول الحق لانه داخل
في حكم المشية ولقوله كذلك يطبع الله لانه ظاهر الدلالة على ان الوارثين
والموروثين من اهل الطبع ولقوله فما كانوا ليؤمنوا لانه دال على ان
الايمان لا يتاتى منهم وما ذلك الا الطبع والختم وايضا الاية للتهديد والتخويف
ولا يذهب عن احد انهم لا يخافون عن طبع قلوبهم بحيث لن يسمعوا الموعظة
التي هي باطلة عندهم فهم لا يسمعون الموعظة سماع قبول ابدا تلك
القرى التي مر ذكرها نقص عليك حال او خبر تلك ان جعلت
القرى صفة تلك لا خبرها من انبائها اي بعض اخبارها ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات المعجزات الظاهرات فما كانوا ليؤمنوا اعني لئن
يؤمنوا اي ما صلحوا للايمان بما كذبوا من قبل اي بما كذبوه قبل المعجزة
يعني استوت حالهم قبل ظهور المعجزة وبعده فالباء صلة يؤمنوا
وقيل الباء للسببية اي كفرهم السابق سبب كفرهم اللاحق كذلك

مثل ذلك

مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين الوارثين
الذين يرثون الارض والموروثين وما وجدنا لاكثرهم من عهد من اكثر الامم
الماضية من وفاء بالعهد الذي عهدوا يوم الميثاق او عهدهم مع انبيائهم
وان وجدنا اكثرهم لفاسقين خارجين عن طاعتنا ان نافية عند الكوفيين
واللام بمعنى الا وقال ابو البقاء ان المخففة عاملة واسمها محذوف هو ضمير
الشان خلاف ما قاله صاحب البحر ونسبه الى النحاة واما ان المفتوحة
اذا خففت فلا يعمل ولما قص اخبار الامم وما آل اليه امرهم اتبع بقصص
موسى وفرعون وبني اسرائيل فان معجزاته اعظم وامته اكثر الامم عنادا
وبين موسى وشعيب قرابة ونسبا فقال ثم بعثنا من بعدهم الرسل
الذين مر ذكرهم موسى باياتنا بالمعجزات الى فرعون وملائه واشراف
قومه فانهم ان اسلموا فالرعايا تبع فظلموا بها بالايات بان وضعوا
الكفر مقام الايمان فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المفسدين كيف
خبر كان وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق
اي حقيق بالرسالة على ان لا اقول على الله الا الحق اي ارسلت
على ان لا انسب الى الله شيئا الا الحق فعلى متعلق بارسلت المقدر
الدال عليه رسول لا برسول لانه وصف قبل ان ياخذ معموله فلا يعمل
عند البصريين ومن هذا اعلم ان قولهم قال عليه بمعنى افترى ليس على
اطلاقه او متعلق بحقيق وعلى بمعنى الباء نحو رميت على القوس او
لتضمين حقيق معنى الحريص او هو من باب القلب وقراءة نافع
على بتشديد الياء يرشدك الى هذا المعنى وقال المحققون القلب ان
افاد معنى بديعا فيقع في بليغ الكلام او جعل الحق بمنزلة شخص يجب عليه
شيء ثم جعل نفسه اي قائلية لقول الحق وقيامه به بمنزلة الواجب على
قول الحق فيكون استعارة مكنية او تخييلية اغرق موسى في وصف
نفسه بالصدق فقال انا حقيق على قول الحق اي واجب عليه ان
اكون انا قائله ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به وحقيق صفة رسول او خبر
بعد خبر وفي قراءة نافع قوله ان لا اقول فاعل لحقيق قد جئتكم ببينة هي
العصا من ربكم فارسل معي بني اسرائيل خلهم يرجع الى الارض المقدسة

قد استخدمهم فرعون في الاعمال الشاقة قال فرعون ان كنت جئت
باية من عند من ارسلك فات بها احضرها عندي ان كنت من
الصادقين في دعواك وجزاء ان الثانية محذوف دل عليه فات
بها فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين حية عظيمة ظاهرة ونزع
يده اخرجها من جيبه بعد ما ادخلها فيه فاذا هي بيضاء للناظرين قال
ابن عباس لها شعاع غلب نور الشمس لها لمعان كالبرق يعني بيضاء
للنظارة قال الملا من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم قال فرعون
للملا حوله ان هذا الساحر عليم في صنعته فوافقوه وقالوا المقالة
او الملا بلغوا من لسان فرعون الى القبط يريد ان يخرجكم يا معشر
القبط من ارضكم مصر فماذا تامرون من المؤامرة اي ماذا تشيرون
في امره وفي اعرابه وجهان احدهما ان ماذا مفعول ثان بحذف حرف
الجر والمفعول الاول محذوف اي باي شيء تامرونني والثاني ان ما مبتدا
وذا بمعنى الذي خبر عنه ومفعولي تامرون محذوف اي ما الذي تامرونيه
اي تامرونني به قالوا بعد اتفاقهم ارجه واخاه الارجاء التاخير اي
ارجه امره وامر اخيه او احبسهما واصله ارجئه وارسل في المدائن حاشرين
اي رجالا يحشرون اليك من مصر من السحرة ياتوك بكل ساحر عليم
جواب الامر وجاء السحرة فرعون يعني بعد ما بعث فاتوه قالوا ان
لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين على موسى وجواب الشرط محذوف
قال نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين عطف على محذوف سد مسده
نعم يعني لا اقتصر لكم في الجعل بل ازيدكم في الرفعة والمنزلة قالوا حين
حضروا محضر الامتحان يا موسى اما ان تلقي عصاك اولا واما ان
نكون نحن الملقين ما معنا من الات السحر وهذا منهم ليس من باب
الادب بل وثقوا بانهم هم الفائزون ورغبوا في ان ابتدأوا بالالقاء
لانهم ياتون بامر عظيم لا يقتدر على معارضته مقتدر ولهذا غيروا
نظم الكلام الى اكد وجه من تاكيد ضمير المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر
قال موسى كرما ووثوقا على الله وليس امرهم بالالقاء قبله من قبيل اباحة
السحر بل لابطاله القوا فلما القوا سحروا اعين الناس خيلوا الى اعينهم

ما لاحقيقة له

ما لا حقيقة له وفيه دلالة على ان سحرهم من باب التخييل لا تقلب عين واسترهبوهم
اي ارهبوهم وخوفوهم فاستفعل بمعنى افعل وجاؤا بسحر عظيم قيل كانوا
خمسة عشر الف ساحر ومع كل عصي وحبال غلاظ والقوا فاذا حيات
قد املات الوادي تركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق
عصاك وان اما ناصبة او مفسرة فالقاها فاذا هي تلقف تبتلع ما يافكون
ما يزورونه من الافك فوقع الحق ثبت وظهر وبطل ما كانوا يعملون من السحر
فلما اكلت حبالهم وعصيهم باسرها قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت
حبالنا وعصينا فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء او رجعوا
الى مدينتهم ذليلين مغلوبين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين
القاهم الله او انه تمثيل شبه حالهم في سرعة الخرور بحال من القي قالوا امنا
برب العالمين رب موسى وهرون جملة قالوا حالية من ضمير ساجدين
او من السحرة وقد سجدوا شكرا على المعرفة وظهور الحق وقد نفعهم علمهم وان
كان حراما وقالوا رب موسى بالبدل من رب العالمين لدفع وهم غير
الله لقول فرعون انا ربكم الاعلى قال فرعون آمنتم به قبل ان اذن لكم
من غير رخصتي في الايمان ولما خاف ان يصير ايمان السحرة حجة قومه
القى في الحال نوعين من الشبهة احدهما ان هذا مما تواطؤا بينهم لا ان هذا
غلبة حقيقية وان ذلك طلب منهم للملك فقال ان هذا لمكر مكرتموه في
المدينة حيلة صنعتموها انتم وموسى في مصر قبل الخروج الى هنا لتخرجوا
منها اهلها اي القبط فتبقى المصر لكم خاصة يخوف رعاياه كل مرة عن انه
يريد اخراجكم من بيوتكم ليجتنبوا عنه فسوف تعلمون عاقبة مكركم ثم فصل
ما اجمل وقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف لما ظهرت الحجة عاد الى
عادة ملوك السوء بالتهديد اذا غلبوا الحجة قوله من خلاف اي مختلفات
اليد اليمنى والرجل اليسرى وقد يجي بسطه ان شاء الله في سورة طه
ثم لاصلبنكم اجمعين وما اوعدهم لا يعلم من القران انه عمل به او لم يعمل
قالوا انا الى ربنا بعد الموت منقلبون فلا خوف لنا من وعيدك او مصيرنا
ومصيرك الى الله فيحكم بيننا او انا حققنا ان مصيرنا الى الله فنصبر على
عذابك لئن لا يعذبنا رب العالمين وما تنقم تنكر منا الا ان آمنا بايات

ربنا لما جاءتنا وما هو الا اصل المفاخر ثم اعرضوا عنه وتوجهوا الى الله فزعين
متيقنين بالموت فى عذابه فقالوا ربنا افرغ افض علينا صبرا الثلا نرجع من
الدين وتوفنا مسلمين قال ابن عباس وغيره كانوا اول النهار سحرة
واخره شهداء بررة وقال الملا من قوم فرعون لفرعون اتذر موسى
وقومه قالوا ذلك اغراء لفرعون بموسى وقومه وتحريضه بقتلهم للخوف
على الملك والجاه ليفسدوا فى الارض بدعوتهم الى عبادة الله ومخالفتك
ويذرك والهتك عطف على يفسدوا اى للافساد وتركك وترك
الهتك اراد ان خليتهم يصير ذلك مضرة عامة ومضرة خاصة ويجوز النصب
على جواب الاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء والمعنى انى يكون الجمع
بين تركك موسى وقومه للافساد وبين تركهم اياك وعبادة الهتك
ان هذا مما لا يمكن وقوعه قيل التورية دالة على ان له امراء ويسمون الامير
اله قبيلة فلان ولهذا قال انا ربكم الاعلى وقيل هم يعبدون الكواكب
ويحتوا لكل كوكب معبودا صنما يعبدونه قال فرعون سنقتل ابناءهم كما كنا
نفعل بهم ونستحيى نساءهم نتركهن احياء للخدمة وانا فوقهم قاهرون
يعنى هم اقل من ان نهتم بهم فانهم تحت ايدينا مقهورون قال موسى
لقومه حين شكوا اليه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده وعدهم النصر بالصبر وذكرهم ما وعد الله به
بنى اسرائيل من هلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم والعاقبة
للمتقين اى والعاقبة الحسنى لهم فثقوا بالله قالوا اى بنو اسرائيل اوذينا
بقتل الاولاد واخدام النساء من قبل ان تاتينا بالرسالة مخافة
ما كان يتوقع من هلاك ملكه على يد مولود منا ومن بعد ما جئتنا بالرسالة
باعادة ما كان يصيبنا قال موسى عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
فى الارض يعطيكم ارضهم وديارهم فينظر كيف تعملون اى فيرى بكم
كيف تعملون من الاصلاح والافساد والشكر والكفران ويبرزوا من
العلم الكامل الازلى الى المعاينة الاولية ولما وعد موسى قومه بهلاك
عدوهم من جانب وحى الله شرع سبحانه بيان مقدمات افنائهم
فقال ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين بالقحط وقلة الامطار لهلاك

مواشيهم

مواشيهم وعدم نماء زرعهم ونقص من الثمرات يعنى لم يبارك فى
طعامهم وفواكههم لعلهم يذكرون ما كانوا فيه من النعم ويتنبهوا فاذا
جاءتهم الحسنة السعة وشئ اطمئن به قلوبهم قالوا لنا هذه لم يروا
من فضل الله عليهم بل راوا انفسهم مستحقين بذلك ووجدوا
خلاف ذلك ظلما وان تصبهم سيئة بلاء وشئ يكرهونه يطيروا بموسى
ومن معه اعتقدوا ان ذلك من شؤم موسى وقومه الا انما طائرهم
عند الله اى شؤمهم من عند الله وقيله هم يتفالون بالطير بطيرانه
من جانب الى جانب وصوته فهذا اللفظ مستعار ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان ما اصابهم من الله سبحانه والحاصل انا اصبناهم
ليتضرعوا ويندرجوا تحت امرنا ونهينا فلم يتضرعوا ولم يسلموا بل تنفروا
عن رسولنا اليهم وشتموه وتطيروا به وقالوا لموسى مهما تاتنا اى اى
شئ تاتنا به فمحل مهما الرفع بالابتداء وجاز النصب بفعل يفسره تاتنا
على شريطة التفسير من اية بيان لمهما وسموها اية على زعم موسى
لتسحرنا بها وانث الضمير لمهما بعد ما اتى بالمذكر فى به للفظه ومعناه
وليس ضمير المونث لاية لان من اية فضلة جئ بها للتبيين فما نحن لك
بمؤمنين واجهوه بانه لو اتى بما اتى من الايات فانهم لا يؤمنون
بها فارسلنا عليهم الطوفان يعنى لما جزموا بانهم فى عنادهم دائم
لا يتركونه ارسلنا عليهم مصائب تلجئهم على ترك العناد فمنها الطوفان
من مطر دائم ثمانية ايام مع ظلمة شديدة حتى كادوا يهلكون فى
بيوتهم ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل قطرة ماء مع ان بيوتهم مشتبكة
مع بيوت القبط وزرعهم ينمو وزرع القبط يموت من الماء ثم فزعوا
الى موسى وعهدوا بالايمان بعد كشف العذاب فلما كشف نقضوا
والجراد فارسل الجراد بعد الطوفان فاكل زرعهم وثيابهم حتى مسامير
ابوابهم وبنو اسرائيل فى سلامة ثم عهدوا فلما كشف نقضوا والقمل
فارسل اليهم السوس الذى يخرج من الحنطة او القمل حتى مصت
دماءهم ثم عهدوا ونقضوا والضفادع فارسل اليهم الضفادع فيمتلى
منها قدورهم وظروفهم فلم يقدروا الطبخ والاكل فعهدوا فلما نقضوا

ارسل اليهم والدم صارت مياههم الدم وسالت النيل عليهم بالدم
وقيل المراد الرعاف آيات مفصلات مبينات لا يشتبه على احد
انها نقمة ونصبها على الحال فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين
جرتهم جرائمهم على اهلاكهم ولما وقع عليهم الرجز الآيات المتقدمة او المراد آية
سادسة هي الطاعون قالوا يا موسى ادع لنا ربك لم يقولوا ربنا لكفرهم
المبطن الموطن بما عهد عندك بما اختصك به ونباك او بما وصاك ان تدعوه
به فيجيبك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك لئن جواب قسم محذوف هو في
موضع الحال من قالوا اي قالوا ذلك مقسمين لئن كشفت واسند الكشف
الى موسى لانهم غير مقرين بالرب سبحانه ولنرسلن معك بني اسرائيل تروح
بهم الى الارض المقدس فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اي لما كشفنا
عنهم العذاب المقدر عليهم الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فاجئوا بالنكث
فالى اجل من تمام الرجز اي الرجز كائنا الى اجل فجواب لما بالحقيقة الفعل
المقدر الذي هو فاجئوا ولما واذا معمولان لفاجئوا الاول ظرفه والثاني
مفعوله فانتقمنا منهم اي اردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم البحر العميق
ولو جعلت فاء فاغرقنا لمجرد التفسير من غير ارادة تعقيب فيكون انتقمنا
على ظاهره ولا حاجة الى تاويل بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين
اي بسبب التكذيب وعدم التامل في اياتنا واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون بقتل ابنائهم واستخدام نسائهم مشارق الارض
مشارق ارض مصر والشام ومغاربها هو مفعول ثان لاورثنا والمفعول
الاول هو القوم بحذف مضاف اي ذرية القوم فانهم لم يعودوا الى ارض مصر
باعيانهم بل اقاموا الارض المقدسة وذريتهم كسليمان عليه السلام دخل مصر
التي باركنا فيها بالسعة والعنايات وتمت كلمة ربك الحسنى اي تمت
عدته اياهم بالنصر وهي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين والحسنى صفة كلمة على بني اسرائيل بما صبروا
بسبب صبرهم على شدائد القبط ودمرنا استاصلنا ما كان يصنع فرعون
وقومه من العمارات وما كانوا يعرشون يرفعون من القصور كصرح هامان
وباتينهم ولما ذكر انعامه على بني اسرائيل وانتقامه على القبط اخذ يبين

كفران

كفران بني اسرائيل نعمهم وصنيعهم في مقابلة ما انعم عليهم فقال وجاوزنا
ببني اسرائيل البحر عبرنا بهم واغرقنا اعداءهم فاتوا مروا على قوم يعكفون على
اصنام لهم اي يقيمون على عبادتها قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا
نعبده كما لهم آلهة ما كافة يعني رجعوا الى شقاقهم وكفرهم وعنادهم وكان
هذا قول بعضهم قال موسى انكم قوم تجهلون يعني قوم عادتكم تجدد طريق
الجهل فان العاقل لا يطلب معبودا مخلوقا لا يضر ولا ينفع ان هؤلاء الذين
يعبدون الاصنام متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني دينهم وطريقهم وقوله
ما هم فيه مفعول ما لم يسم فاعله لمتبر لاعتماده على المبتدا او مبتدا ومتبر خبره
وباطل ما كانوا يعملون اعرابه كاعراب متبر ما هم فيه في احتمال الوجهين
والاول اولى وهو مختار الاخفش قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على
العالمين اي اغير المستحق للعبادة والالوهية اطلب لكم معبودا وهو الذي
اختصكم بعظائم النعم وقوله غير مفعول ابغي والها تمييز عن غير او الها هو
المفعول وغير كان صفة له فلما تقدم صار حالا واذ انجيناكم من آل فرعون
اي اذكروا قصة لطفنا اذ انجيناكم يسومونكم اي يبغونكم مستانفة او حال
سوء العذاب شدته يقتلون ابناءكم ويستحيون للخدمة نساءكم قوله يقتلون
بدل من يسومون مبين له وفي ذلكم العذاب بلاء من ربكم عظيم او الاشارة
الى الانجاء فالبلاء بمعنى المنحة لا المحنة فانه من الاضداد وواعدنا موسى وعد
موسى قومه وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من الله فيه
بيان ما ياتون ويذرون فلما هلك فرعون سال ربه الكتاب فامره
بصوم ثلثين يوما وهو شهر ذي القعدة ثلثين ليلة مفعول ثان على
حذف مضاف اي اتيان ثلثين او تمام ثلثين واتممناها بعشر اي
واتممنا المواعدة بعشر ليال اخر نقل ان بعد صوم شهر استاك فزال
خلوفه فلذلك امر بصوم عشر ليكون لفمه خلوف كما ورد لخلوف فم
الصائم عند الله اطيب من ريح المسك فتم ميقات ربه اربعين
ليلة فنصب اربعين بالخبر من تم لان تم من الافعال الناقصة بمعنى
التصيير وان لم تجعله من الناقصة فنصبه على التمييز وكان اصله تم
اربعون ميقاته اي كملت ثم اسند التمام للميقات وانتصب اربعين

على التمييز وقال موسى لاخيه هرون اخلفني كن خليفتي في قومي واصلح
ارفق بهم واحملهم على الطاعة ولا تتبع سبيل المفسدين لا تطع من دعاك
الى الفساد وهو صلوات الله وسلامه عليه يعرف جبلة قومه ولما جاء موسى
لميقاتنا يعني لما جعل هرون خليفة في قومه وجاء لوقتنا الذي وقتنا له
وكلمه ربه عطف على جاء فلما سمع كلامه طمحت همته الى رتبة الرؤية قال
رب ارني نفسك بان تتجلى لي انظر اليك اراك قال لن تراني فان
الاعين الدنيوية لا تطيق النظر الى وجهه الكريم والاحاديث الصحاح
في رؤية الله في الاخرة لا ينكرها الا مخانيث الحكماء اي المعتزلة وحسبهم
من الخسران ان يعاملهم الله بعقيدتهم في الرؤية وفي الخلود في النار
من مات غير تائب من الكبيرة ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه عند
تجليه سبحانه نبه على ان الجبل مع شدته وصلابته اذا لم يستقر فالادمي
مع ضعف بنيته اولى بان لا يستقر وفيه تسكين لفؤاد موسى بان
المانع من الانكشاف اشفاقي عليك واما ان المانع محالية الرؤية لتجرد
الرب فليس في القران اشارة اليه وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
راى جبريل في صورته مرتين وهذا من خواصه وما طاق احد من الانبياء
غير نبينا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين رؤيته وهو على صورته
فسوف تراني اما عند من يقول طلب الرؤية لاجل طلب قومه وهو عليه السلام
عالم بمحالية الرؤية فيكون الطلب عبثا باطلا لانهم اما مؤمنون بموسى
فيكفيهم انه يذكر لهم عدم جوازه ومحاليته واما كافرون به فلا يكفيهم اخباره
لانهم لا يصدقونه فلما تجلى ربه للجبل في الحديث المرفوع عن ابن عباس
كما نقله الترمذي وغيره ما تجلى الا قدر الخنصر جعله دكا مدكوكا كالتراب
ومن قرأ دكاء فمعناه ارضا مستوية وفيه اشارة الى ان هذه الاجساد
لا يطيق رؤية الله لانها محال وخر موسى صعقا سقط مغشيا عليه
من تدكدك الجبل فلما افاق قال سبحانك انزهك عما لا يليق بك
او قال سبحانك من عظمة ما رأى تبت اليك مما هو خلاف الادب
كمسألة الرؤية بغير اذن وهو كالشفاعة من غير اذن فيها وانا اول
المؤمنين في اني لا اطيق الى القيمة رؤيتك قال يا موسى اني اصطفيتك

اخترتك

اخترتك على الناس على اهل زمانك برسالاتي بوحيي وبكلامي
من غير واسطة فخذ ما اتيتك ما اعطيتك باجتهاد وفي تبليغه وجد في
النفع به وكن من الشاكرين على ما اتيناك وفيه اشارة الى القناعة
والرضا بما اعطاه وان لا يطلب ما لا يطيقه وكتبنا له لموسى في الالواح
الواح التورية وقيل الالواح قبل التورية من كل شيء هم محتاجون اليه
في امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء تبيينا لكل امر ونهي وحلال وحرام
ونصبهما على المفعول له وقيل من كل شيء مفعول كتبنا وموعظة وتفص
وتفصيلا بدل منه لئلا يلزم ان يكون معناه كتبنا له من كل شيء لتفصيل
كل شيء وقد علمت من تغييرنا عدم لزوم ذلك فخذها اي فقلنا له خذ
الالواح بقوة بجد وعزيمة وامر قومك يأخذوا باحسنها يعني تكليفك
يا موسى اشد من تكليف قومك قيل في الالواح الاحسن كالصبر
بالاضافة الى الانتصار مثلا فامرهم على الندب ان يتبعوا الافضل وهو الصبر
والعفو مثلا اي باحسن الامرين في كل شيء قوله يأخذوا مجزوم بجواب الامر
اي وامر بأخذ الاحسن يأخذوا او مجزوم باضمار لام الامر ساريكم دار
الفاسقين اي سترون مصر مدمرة كما قال تعالى ودمرنا ما كان يصنع
فرعون وقومه ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض اي
امنعهم عن فهم الحجج والادلة الدالة على وحدانيتي وعظمتي وانزع عنهم
فهم كلامي بغير الحق التكبر مع المتكبر وتكبر المحق على المبطل تكبر حق وان
يروا كل اية معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم وان يروا سبيل الرشد
طريق الهدى لا يتخذوه سبيلا فلا يسلكونها وان يروا سبيل الغي
طريق الضلال يتخذوه سبيلا فيسلكونها ذلك اي مصيرهم الى هذا الحال
بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين لا يتدبرون فيها والذين كذبوا
باياتنا ولقاء الاخرة اي لقائهم دار الاخرة فالمصدر مضاف الى المفعول
حبطت اعمالهم بطلت فليس لها نفع هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء
اعمالهم الاستفهام بمعنى النفي ولذلك دخلت الا واتخذ قوم موسى
هذا نوع اخر من مساويهم يذكره ان اتخاذ السامري لهم باجماعهم
ورضاهم من بعده من بعد ذهاب موسى الى الجبل من حليهم التي استعاروا

من القبط وقد هلكوا بموتهم بشوم ما قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة
عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم بدل من عجلا له خوار له صوت البقر اما انه صنع
من حليهم بشكل ولد البقر مجسدا من ذهب لا روح فيه الا انه عمله مجوفا على طور
ان دخل فيه الهوآ خرج منه صوت كصوت البقر فليس بوجه سديد لقوله في
سورة طه ما لك يا سامري قال بصرت الاية واذا كان هو على صورة عجل
لا حيوة فيه فليس لقبض التراب من اثر جبريل دخل قوله من بعده ومن حليهم
متعلق باتخذ وجاز من غير عطف لاختلاف مدلولهما لان الاولى ابتدائية
والثانية تبعيضية وفيه حذف اى اتخذ عجلا الها الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلا اى الم يروا حين اتخذوه الها انه حيوان لا يقدر على كلام ولا على
ارشاد فكيف يكون خالق القوى والقدر اتخذوه الها وكانوا ظالمين
قوله اتخذوه تكرير لقوله واتخذ قوم موسى للذم لوضعهم الاشيآء في غير مواضعها
ولما سقط في ايديهم كناية عن الندامة فان النادم يعض يديه وراوا علموا
انهم قد ضلوا عن طريق الحق قالوا اعترافا لئن لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا
ويغفر لنا هذا الذنب الذي هو اعظم الذنوب لنكونن من الخاسرين الهالكين
ولما رجع موسى الى قومه غضبان عليهم اسفا شديد الغضب حزينا فانه
قد اعلمه الله بذلك وهو على الطور كما في سورة طه قال بئسما خلفتموني من
بعدي اى بئس فعلا فعلتموه بعد ذهابي فعلكم ففاعل بئس ضمير يفسره ما و
المخصوص بالذم محذوف اعجلتم امر ربكم استفهام انكار اى في حاله دام
فهو من الحذف والايصال او لتضمين عجل معنى سبق اى سبقتم امره او المراد
من الامر الميعاد الذي وعدنيه من الاربعين والقى الالواح طرحها غضبا من
قومه واخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه لظنه انه قد قصر في نهيهم وكان
هرون اكبر بثلث سنين قاله محيي السنة قال ابن ام هما اخوان من الاب
والام وذكر الام لاستعطاف وعادة العرب انه يتحنن بذكر الام
ان القوم استضعفوني وجدوني ضعيفا وكادوا يقتلونني يعني بذلت
وسعي في النهي حتى قهروني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعدآء لا تفعل بي
شيئا يكون سببا لشماتتهم والموت دون شماتة الاعدآء ولا تجعلني مع
القوم الظالمين معدودا في عداد عابدي العجل الظالمين في العقوبة

قال

قال لما علم برآءة ساحة اخيه رب اغفر لي ما صنعت باخي واسآءة ادبي
في الالواح ولاخي ان قصر وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام كل ساعة
وانت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل الها الظاهر ان هذا الكلام الله
اخبارا عما ينال عبادة العجل مخاطبا لموسى سينالهم غضب من ربهم
كما امرهم بقتل انفسهم للتوبة كما مر فهو حكاية عما اخبر تعالى به موسى حين
اخبره وذلة في الحيوة الدنيا استمرار انقطاع هولآء عن ديارهم فان
خروجهم عن الديار سابق على عبادة العجل قوله في الحيوة متعلق بينالهم
وقيل المراد سينالهم غضب في الاخرة وذلة في الحيوة بما سيقع لاولادهم
وانه ذلة الابآء وكذلك نجزي المفترين فليحذر عن الافترآء على الله والذين
عملوا السيئات كالاشراك ثم تابوا من بعدها بعد السيئات وامنوا
اخلصوا ايمانهم وداموا عليه ان ربك من بعدها بعد التوبة والاخلاص
في الايمان لغفور رحيم قوله والذين مبتدأ وقوله ان ربك الى اخره خبره
بتقدير عائد اى لغفور رحيم بهم ولما سكت سكن كانه جعل الغضب شخصا
امرا ناهيا يهيجه لما فعل ويامره بشتم قومه فسكت عن الاغرآء عن موسى
الغضب اخذ الالواح التي القاها هو جواب لما وفي نسختها فيما نقل وحول
منها هدى ورحمة هدى من الضلال ورحمة من العذاب للذين هم لربهم
يرهبون للذين يخافون عن عقوبة ربهم ودخول اللام في المفعول لتقوية وصول
الفعل الى المفعول المتقدم نحو ان كنتم للرؤيا تعبرون وقيل في يرهبون تضمين
معنى الخضوع وهو يستعمل باللام واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا
سبعين مفعول اول وقومه الثاني وقد يحذف حرف الجر من احد مفعوليه
ويتعدى اليه الفعل يقال اخترت زيدا من الرجال واخترت زيدا الرجال
قيل انهم قالوا لموسى ان ربك لا يكلمك فخذ منا من يشهد بان الله
يكلمك فاختار سبعين وقيل اختار سبعين للاستعذار عن عبادة
العجل في المناجاة وكان هذا اخطأ لان عبادة العجل بعده كما في سورة
طه وقد ذكرنا في سورة البقرة فلما اخذتهم الرجفة لانهم قالوا لموسى لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من
قبل واياي جواب لو شئت واياي عطف على الضمير المنصوب والمراد

من قبل الزمان المتقدم او لو للتمني تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما يرى
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من التجاسر في طلب الروية فان بعضا من
السبعين طلبوا الروية ان هي الا فتنتك اختبارك وامتحانك حين
اسمعتهم كلامك فطمعوا في الروية ان نافية وهي ضمير راجع الى ما يفهم
من سياق الكلام اي ما الفتنة الا فتنة انت اوقعتها تضل بها بالفتنة
من تشاء ضلاله وتهدي بها من تشاء هدايته انت ولينا القائم بامرنا
فاغفر لنا ذنوبنا السالفة وارحمنا بان لا توقعنا في الذنوب ما بقي من
اعمارنا وانت خير الغافرين لانك تغفر الذنوب جميعا بجودك من غير
غرض ولا عوض واكتب اثبت لنا في هذه الدنيا حسنة عافية وفي
الاخرة حسنة هي الجنة والنجاة من غضب الله انا هدنا رجعنا وتبنا اليك
قال الله مجيبا له في قوله ان هي الا فتنتك عذابي اصيب به من اشاء
تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء ولولا رحمته العامة التامة لكل شيء لاحترق
تحت سبحات جلاله كل ما دب ودرج فساكتبها فسا وجب رحمتي
كتبة خاصة للذين يتقون المعاصي ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا
يؤمنون بجميع الايات والكتب لا يكفرون بشيء هو من الله الذين يتبعون
اي هم الذين يقتدون الرسول النبي اعتقادا وقولا وفعلا جمع بين
الوصفين لان يمتاز عن الملك لان الملك ليس بنبي الامي الذي لا يكتب
ولا يقرا من كتاب وصف به لان يمتاز عن جملة الانبياء الذي يجدونه
يجدون وصفه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف
بامر النبي متبعيه بخلع الانداد ومكارم الاخلاق وينهيهم عن المنكر ويحل
لهم الطيبات المستلذات ويحرم عليهم الخبائث ما كانت الطباع
السليمة تستخبثه لا ما حرمته الانفس الخبيثة ويضع يخفف ويسقط
عنهم اصرهم ثقلهم الذي كان قد حمل عليهم والاغلال التي كانت عليهم
التكاليف الشاقة التي كالغل على اعناقهم فالذين امنوا به بذلك الرسول
وعزروه عظموه ونصروه على من لم يؤمن به واتبعوا النور الذي انزل
معه النور هو القران الذي انزل مع نبوته قيل معه حال مقدرة فانه
في حالة الانزال ليس معه لكن صار معه بعد وقيل اتبعوا النور مع اتباع

النبي

النبي اولئك هم المفلحون الفائزون في الدارين لا غيرهم ولما ذكر
لموسى صفة النبي الامي واخبر ان من ادركه وآمن به افلح امر نبيه صلى الله
عليه وسلم باشهار دعوته الى الناس كافة فقال قل يا محمد يا ايها
الناس يا من اطلق عليه ناس اني رسول الله اليكم جميعا بحيث لا يشذ
عنكم فرد الذي نصب او رفع بالمدح له ملك السموات والارض خلقا
وملكا لا اله الا هو مستانفة يحيي ويميت والجمل مبينة لما تقدم فان من
ملك العالم هو الاله وحده وهو مخصوص بالالوهية لانه لا يقدر على الاماتة
والاحياء الا هو فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته
جميع كتبه واتبعوه بما امر ونهى لعلكم تهتدون ولما ذكر ان الرحمة الخاصة
ثابتة لمتبعي نبينا الذي هو ثابت صفته في كتابين سماويين وهو مسقط
عن المسلمين الاصر والاغلال التي كانت عليهم اخذ يبين انه بقي من اهل
الكتاب من استمر على الطريقة الحسنى والدين القيم فقال ومن قوم
موسى امة جماعة يهدون بالحق يهدون الناس الى الحق او محقين
لا انهم كلهم ضلال وبه يعدلون وبالحق يعدلون في الحكم وفيه خلاف كثير
ان المراد بهذه الجماعة من هم والظاهر انهم قوم في الصوامع يتفرقون
في اطراف الارض ليس لهم همة الا اتباع الحق حيث كان وقطعناهم
بني اسرائيل وفرقناهم اثنتي عشرة مفعول ثان لقطعنا الذي فيه معنى
التصيير او حال وتانيثه للحمل على الامة اسباطا الاولى ان يكون بدلا
من المفعول الثاني كما ذهب الزجاج وابو البقا اليه لان تمييز ما عدى
العشرة مفرد اما نعت لاسباط او بدل بعد بدل والاسباط اولاد
الولد يعني اثني عشر قبيلة من اثني عشر ولدا من اولاد يعقوب ولما ذكر
انهم جماعة كثيرة بين نعمه عليهم في مشربهم ومآكلهم فقال واوحينا الى
موسى اذ استسقاه قومه في التيه الذي وقعوا فيه لذنبهم كما مر ان
اضرب بعصاك الحجر تقدم تفسيره في سورة البقرة فانبجست
اي ضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط
فانهم اثنتي عشرة سبطا مشربهم وظللنا عليهم الغمام لدفع حر الشمس
وانزلنا عليهم المن والسلوى شيء كالترنجبين وطير كالسماني كلوا اي قلنا

لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم يعني هم مع انهم مذنبون مقهورون
في التيه انعمنا عليهم بهذه النعم الجليلة فلم يشكروا وما ظلمونا في كفران نعمنا
في الاول والاخر ولكن كانوا انفسهم يظلمون وبال فعلهم لا يصل الا اليهم
واذ قيل لهم اي واذكر قصتهم اذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية بيت المقدس
وقد مر في سورة البقرة بتغييرات في الالفاظ من غير تناقض وكلوا منها
حيث شئتم وقولوا حطة مغفرة وادخلوا الباب باب البلد سجدا نغفر
لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين ثوابا وهو استيناف كان سائلا يسال
ماذا بعد الغفران لهم فقال سنزيد المحسنين ولو اتى بالواو لدل على ان
المزيد جزاء الدخول سجدا فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم
بدلوه بشيء مستهزء به كما مر فارسلنا عليهم رجزا عذابا مقدرا من السماء
بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم واسئلهم اي سل يا محمد من بحضرتك من
اليهود سوال تقريع وتوبيخ عن القرية المراد خبر اهل القرية التي كانت حاضرة
البحر قريبة من البحر وهي ايلة بين مدين والطور اذ يعدون في السبت
اي سلهم عن قصتهم اذ تجاوزوا حدود الله يوم السبت اذ تاتيهم ظرف
ليعدون حيتانهم يوم سبتهم شرعا ظاهرة على الماء حال من الحيتان
ويوم لا يسبتون لا يعظمون يومهم وهو غير يوم السبت اذ هم مامورون
بتعظيم السبت باستغراق العبادة فيه وترك الشغل والصيد خصوصا
لا تاتيهم الحيتان شرعا كذلك مثل ذلك الامتحان والابتلاء نبلوهم
نختبرهم بان نامر السمك باتيانهم في السبت الذي لا يجوز لهم الصيد
بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن طاعة الله واذ قالت عطف
على اذ يعدون ظرف للقصة امة جماعة منهم من اهل القرية وهم ثلث
فرق فرقة ارتكبوا الخطيئة وفرقة نهوا عنها وفرقة سكتوا فقالت الساكتة
للناهية لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فانهم
جربوا ان لا جدوى للموعظة فاستحقوا سخط الله قالوا اجابت الفرقة الناهية
معذرة الى ربكم اي موعظتنا اقامة عذر الى الله وقراءة نصب بتقدير وعظناهم
معذرة لان لا ننسب الى تفريط في نهي المنكر ولعلهم يتقون عن الاصطياد في
السبت فلا ياس ان يدركهم الرحمة فيسمعوا الموعظة فلما نسوا ما ذكروا به ترك

المعتدون

المعتدون ترك الناسي الذي ذكرهم به الناهون انجينا الذين
ينهون عن السوء لنهيهم عن المنكر واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس شديد
بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا تكبروا عما نهوا عنه عن قبول النصيحة
قلنا لهم عن بعض السلف سمعوا مناديا قال كونوا قردة خاسئين
ذليلين والاظهر ان المراد سرعة تكوينهم قردة وليس المراد حقيقة الامر والعذاب
البئيس هو المسخ فهذه مبين لقوله واخذنا الذين والاصح لدلالة بعض
الاحاديث واتفاق السلف ان المسخ صوري ومعنوي ثم هلكوا بعد ثلث
ولم يبق منهم نسل وهل الفرقة الساكتة الذين قالوا لم تعظون ناجية او هالكة
فيه خلاف وكان ابن عباس متوقفا ثم صرح بانهم من الناجين وفي العوا
اشارة الى انهم كانوا وعظوهم اولا ثم سكتوا حين علموا ان لا نفع للوعظ
ولما ذكر تعالى قبح افعالهم واستعصائهم اخبر انه حكم عليهم بالذل والصغار
الى يوم القيمة فقال واذ تاذن ربك اي اعلم من الايذان وهو الاعلام
واجري مجرى القسم فيلقى بما يلقى به القسم وهو قوله ليبعثن عليهم اي
على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم يعذبهم سوء العذاب اي وجب
على نفسه الاقدس ليسلطن عليهم من يعذبهم بمثل ضرب الجزية وسبي النساء
والاجلاء الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب على من اصر على المعصية
وانه لغفور رحيم لمن اناب وتاب وقطعناهم في الارض امما فرقناهم في
البلاد فرقا متباينين ونصب امما بالحال او بالمفعول الثاني لانه بمعنى
التصيير منهم الصالحون صفة امما ومنهم ناس دون ذلك منحطون
عن الصلاح فدون صفة لمحذوف هو مبتدأ ومنهم خبره وبلوناهم امتحناهم
بالحسنات كالصحة والسعة والسيئات كالمرض والقحط لعلهم يرجعون
الى ما خلقوا له من الطاعة فخلف من بعدهم من بعد ذلك الجيل الذي هم
الصالح والطالح خلف بسكون اللام هو البدل السوء ورثوا الكتاب التورية
من اسلافهم ياخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الدنيا الحقير الذي تراه
كالرشى في تبديل حكم الله والجملة حال من فاعل ورثوا ويقولون سيغفر لنا
الفعل مسند الى الجار والمجرور وان ياتهم عرض مثله ياخذوه اي يرجون
المغفرة وهم مصرون على الذنب والواو للحال او للعطف الم يؤخذ عليهم

ميثاق الكتاب ميثاق التورية ان لا يقولوا اى بان او رفع بانه بدل
من ميثاق على الله الا الحق الاستثناء منقطع لان معنى قال عليه افترى وقد
فى قوله حقيق على ان لا اقول على الله انه بمعنى النسبة المطلقة وعلى هذا فيجوز
ان يكون متصلا ودرسوا ما فيه فهم ذاكرون لهذا الميثاق ولهم معرفة تامة به
عطف على الم يوخذ اى اخذ عليهم الميثاق ودرسوا والهمزة للانكار فلا يلزم
عطف الاخبار على الانشاء الصرف والدار الاخرة خير للذين يتقون المعاصى
لا لمن خالف امر الله افلا يعقلون ذلك فيرتدعوا عما هم فيه والذين
يمسكون بالكتاب يعتصمون بكتابهم فآمنوا بالقرآن واقاموا الصلوة
افرد بالذكر لشرفها انا لا نضيع اجر المصلحين اى اجرهم لاصلاحهم
والرابط بين المبتدأ والخبر ان المصلحين عام او هو هو وقيل والذين عطف على للذين
يتقون وقوله انا لا نضيع جملة معترضة واذ نتقنا رفعنا الجبل فوقهم كانه
ظلة هى ما اظلك نحو رفعنا فوقهم الطور وقوله كانه جملة حالية من الجبل
وظنوا الظاهر انه باق على المعنى المتبادر انه واقع بهم ساقط عليهم خذوا
ما آتيناكم اى قلنا لهم خذوا بقوة بجد واجتهاد فى العمل بما فيه واذكروا ما فيه
فلا تنسوا لعلكم تتقون عن القبائح هم ابوا قبول احكام التورية فرفع الطور
فوقهم وقيل لهم ان قبلتم والا ليقعن عليكم فقبلوا وسجدوا ولما ذكر انه الزم
اهل الكتاب المواثيق بطواعية وباكراه اخذ يبين ان عموم بنى آدم قبلوا
الميثاق قبل من غير اباء لا احد من الآحاد فمن ابى بعد فهو ناقض فقال واذ اخذ
ربك من بنى آدم من ظهورهم بدل من بنى آدم ذريتهم اى اخرج ذرية آدم
بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الابناء من الآباء فى الترتيب واشهدهم
على انفسهم اشهد بعضهم على بعض الست بربكم همزة الاستفهام على النفى
معناه التقرير اى قائلا الست بربكم قالوا بلى انت ربنا شهدنا اى على انفسنا
ان تقولوا اى اشهدهم كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا اى عن
انك ربنا غافلين لم ننبه عليه او تقولوا عطف على تقولوا انما اشرك
آباؤنا من قبل قبل زماننا وكنا الواو للحال ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم
افتهلكنا تعذبنا بما فعل المبطلون الآباء المبطلون بتاسيس الشرك
وانت القائل لا تزر وازرة وزر اخرى وقوله ان تقولوا يمكن ان يكون

عاما للكل كافر من الآباء والابناء وقوله او تقولوا لا بد ان يكون مخصوصا
بذرية الكفار واعلم ان الاحاديث الصحاح التى فى الكتب المعتبرة دالة
على ان الله تعالى استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين اهل الجنة والنار
واما الاشهاد عليهم هنالك ففى حديثين موقوفين على الصحيح على ابن عباس
وابن عمرو وافقهما فى ذلك المعنى ما لا يحصى من السلف لكن المتاخرين كانهم
عدلوا عن تفسير الصحابة الدال عليه الاحاديث الثابتة وعن ظاهر القرآن
لشيئين الاول ان الاحاديث تدل على ان الاخراج من ظهر آدم
لا من ظهر بنيه كما وقع فى القرآن الثانى ان الله جعل علة اخذ العهد ان
لا يقولوا فى القيمة انا غافلون عن ربوبيتك وعلى هذا فالواجب ان
لا ينسيهم الله هذا العهد حتى لا يكون لهم عذر والا فهو كان لم يكن والجواب
عن الاول انه اخرج من نفس آدم اولاد صلبه ثم من اولاده اولادهم
وهكذا الى ان اخرج جميع بنى آدم ثم ردهم الى اصلاب آبائهم فصدق
انهم مخرجون من ظهر آدم جميعا فلا منافاة بين ظاهر القرآن والاحاديث
وهل لمؤمن ان يعتقد تضييقا فى قدرة ربه وفى الصحيحين انه يقال لرجل
من اهل النار ارايت لو كان لك جميع الدنيا اكنت مفتديا به فيقول
نعم فيقال اردت منك اهون من ذلك اخذت عليك فى ظهر
ابيك آدم ان لا تشرك بى شيئا فابيت الا ان تشرك بى والجواب
عن الثانى ان الله سبحانه نصب الادلة القطعية الظاهرة على ربوبيته
بحيث لا ينكرها احد من المليين والمشركين ثم ارسل الرسل المؤيدة بالمعجزات
الملجئة الى تصديقهم يذكرهم عهدهم اذ ذلك اقل من تذكرهم وقد قال
بعض من محققى الصوفية كل من صفى قلبه عن اكدار اكتسبها من توسط
البدن تذكر زمن العهد لنفسه ولاخوانه ويعاين كيفية الرد الى الاصلاب
فنسيانهم العهد لكدر اكتسبوه فافهم وعند اكثر المفسرين وبعض من
السلف كالحسن البصرى ان هذا تمثيل والمراد انه نصب ادلة التوحيد
بعد ان خلقهم على فطرة الاسلام ولظهور ذلك صار بمنزلة انه قيل لهم
الست بربكم قالوا بلى والمعنى ان الكفرة لو لم يؤخذ عليهم عهد باثبات
الادلة الظاهرة ولا جاء رسول مذكر مبين بما تضمنه العهد لكانت

لهم حجتان فلا يجوز لنا تعذيبهم فانا كنا ظالمين وعلى هذا قوله ذرياتهم
بدل من ضمير ظهورهم ومفعول الاخذ محذوف هو الميثاق وذكر الظهر
لان الميثاق لصعوبته وللارتباط به كانه شيء ثقيل محمول على الظهر ولا يذهب
عليك ان خبر الامة مع انه مؤيد بصحاح كلام النبي صلى الله عليه وسلم هو الاولى
بالاتباع وهو اعلم بحقيقة معاني كتاب الله مع ان التمثيل بمثل تلك العبارة والحكاية
لم يقع في كلام الله ولا في كلام البلغاء والله سبحانه اعلم وكذلك مثل ذلك
التبيين نفصل الايات لفوائد جمة ولعلهم يرجعون عن ما احدثوا من الشرك
الى ما عهدوا من التوحيد فقوله ولعلهم عطف على محذوف مثل ما قدرنا ولما ذكر
لاهل الكتاب الميثاق الخاص الذي في كتابهم واتبعه الميثاق العام لهم ولغيرهم
امر نبيه ان يتلو عليهم حال من انسلخ من الميثاقين كيف اسقطه من ديوان السعداء
بعد ان كان بعده في زمرة الابرار الاخيار فقال واتل عليهم على اهل الكتاب
وغيرهم نبأ الذي اتيناه اياتنا الاكثرون على انه بلعام رجل كنعاني تعلم كتب
السماء وعلم اسم الله الاعظم فانسلخ منها من الايات بالاعراض والكفر فاتبعه
الشيطان حتى لحقه وهذا يشبه قول القائل وكنت فتى من جند ابليس فارتمى
بي الحال حتى صار ابليس من جندي فكان من الغاوين صار من الضالين بعد ان
كان من الهادين المهديين هو اخذ الرشوة ودعا بتوسط الاسم الاعظم على قوم موسى
فقبل الله ثم دعا موسى عليه السلام فسلب عنه الاسم الاعظم والايمان وعند بعضهم
انه ما تيسر له الدعاء عليهم لكن علم اعداء موسى ان اخرجوا حسان نسائكم مزينات
متبخترات فعسى ان يزنوا فوقع رجل من بني اسرائيل في الزنا فنزل عليهم الطاعون
ومات في ساعة من النهار سبعون الفا ثم قتل الزاني فكشف عنهم الطاعون ولو شئنا
لرفعناه الى الدرجات العلى بها بسبب الايات ولكنه اخلد الى الارض فحططناه
يعني مال الى الدنيا وزخارفها فان جميع زخارف الدنيا من الارض واتبع هواه
في اخذ الرشى والاعراض عن الاخرة فمثله كمثل الكلب هو ان تحمل عليه اي تشد عليه
فطرد يلهث اللهث تنفس بسرعة وتحرك اطراف الفم مع امتداد اللسان او تتركه
غير متعرض له بالزجر يلهث قد نقل انه لما فعل ما فعل اندلع لسانه فوقع على صدره
يلهث كالكلب والجملة الشرطية حالية قيل المراد ان مثله في انه ان وعظته او تركته فهو
في الضلال او المراد ان قلب الكافر ضعيف كالكلب فان لهثه دائما من ضعف قلبه

ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فان المكذبين بالايات حيث اوتوها
وجاءتهم واضحات يقتضي التصديق بها فقابلوها بالتكذيب فاقصص
القصص المذكور عليهم لعلهم يتفكرون فيعلموا انه شابه قصتهم فيتعظوا
فانه تعالى اعطاهم من النعم ما لم يعط احدا ميزهم بالعلم وانزل عليهم الكتاب
وجعل فيهم الانبياء فيعرفون محمدا كما يعرفون ابناءهم فلو مالوا الى الارض لاحل
عليهم ذل الدنيا والاخرة ساء مثلا تمييز للضمير المستكن في ساء فاعلا القوم
اي مثل القوم بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه الذين كذبوا باياتنا
وجملة ساء تاكيد للجملة السابقة وانفسهم كانوا يظلمون تقديم المفعول
للتخصيص يعني ما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم من يهد الله من شرطية
اي من يهده الله فهو المهتدي اكتفى في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي
تنبيها على ان الاهتداء كمال جسيم حسب للرجل في نعته ان يوصف به
ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون الافراد في الاول والجمع في الثاني
اشارة الى ان طريق الهدى واحد فهم كرجل واحد وانواع الضلال
مختلفة متكثرة ولما علم من القصص ان اكثر الخلق هالك صرح بذلك
مقسما لانه لا يكاد يصدق ان الانسان اضل من البهائم فقال ولقد
ذرانا لجهنم كانه قال هؤلاء الذين قصصناهم ذرانا هم لجهنم نحو هؤلاء
للنار ولا ابالي وقول من قال ان لام العاقبة لا يكون الا في كلام من
لا يعرف عواقب الامور كلام حسن كثيرا من الجن والانس وعلامتهم
التي بها يمتازون عن غيرهم انه لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين
لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها يعني لا ينتفعون بشيء من
تلك الجوارح التي خلقها الله للاهتداء اولئك كالانعام في عدم التفقه
في العواقب والنظر للاعتبار والسماع في التفكر بل صرفوا مشاعرهم في
اسباب التعيش لا غير بل هم اضل بل للاضراب وليس للابطال بل للانتقال
من حكم الى حكم اخر فان الدواب تفعل ما خلقت له اما بالطبع او بالتسخير
وترتدع عن مضاره خائفا من عدوه هاربا عنه بخلاف الكافر فانه مخلوق
لعبادة الله وهو يعبد عدوه اولئك هم الغافلون اشد غفلة لا غفلة
بعد ولما ذكر حكاية بلعام وهو كان عالما بالاسم الاعظم ثم بين لنا علامة

من هو مخلوق لجهنم وختم بكمال غفلتهم نبهنا عن رقده الغافلين فقال
ولله الاسماء الحسنى احسن الاسماء داله على احسن المعانى هو غير منحصر
فى اسم ولا اسمين بل ولا فى تسعة وتسعين وفى اسالك بكل اسم هو لك سميت به
نفسك او انزلته فى كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرته
فى علم الغيب عندك فادعوه بها سموه بتلك الاسماء الدال على كثرة
الصفات مع اتحاد الذات وذروا الذين يلحدون فى اسمائه بان
يسمونه باسماء من عند انفسهم لا بتعليم من الله ورسوله نفيا او اثباتا
وقد دخل فى الالحاد اطلاق اسماء الله على الاصنام مع زيادة او نقصان
كالعزى من العزيز واللات من الله سيجزون ما كانوا يعملون
من الالحاد وعيد شديد ولما قال ولقد ذرانا لجهنم قال فى مقابله وممن
خلقنا فيه اشارة الى انهم قليلون ومن للتبعيض امة يهدون بالحق
وبه يعدلون يقولونه ويدعون اليه ويعملون به ويقضون وهذه
صفة من ذرا للجنة والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنقربهم الى
الهلاك قليلا قليلا من حيث لا يعلمون من غير علمهم كلما جددوا
معصية جددنا لهم نعمة وننسيهم الشكر واملى لهم امهلهم ليزدادوا
ضلالا بعد ضلال واشار بصيغة تكلم المفرد الى ان تاخير الاجل امر
يختص بنا ان كيدى متين مكرى شديد ولذلك لما قيل لحكيم فلان
عدوك قال اللهم اطل عمره وزد ماله ولما امر فى هذه السورة بالتوحيد
غير مرة وعندهم الامر بترك الطريقة القديمة مجنون سيما اذا قال
كثرة النعمة وطول العمر مصيبة امر بتفكرهم فى ان يعلموا انه ليس بمجنون
فقال اولم يتفكروا فى الاستفهام معنى التحريض مع شىء من التوبيخ
ما بصاحبهم من جنة اى ليعلموا ما بمحمد صلى الله عليه وسلم من جنون والتفكر
من افعال القلوب معلق عن الجملة المنفية المنصوبة بتفكروا بعد اسقاط
حرف الجر والمعنى اولم يتدبروا فى انتفاء هذا الوصف عنه وقد اشرنا الى
وجه آخر ولا حاصله اولم يعملوا الفكر ليعلموا ما بصاحبهم من جنة وعدم
اعمال الفكر فى الامور علامة الجنون سيما ان انضم اليه التكلم بقضية ظاهرة
نقيضها على كل عاقل ان هو الا نذير مبين انذاره اولم ينظروا نظر

استدلال

استدلال فى ملكوت السموات والارض الملكوت الملك العظيم
والتاء للمبالغة حتى يعلموا ان الامر بالتوحيد امر بما يدل عليه كل فرد من
الموجودات وما خلق الله من شىء وفيما يقع عليه اسم الشىء ففى كل شىء له اية
تدل على انه واحد تفسيرا الذى بمعنى شىء بشىء للاشارة الى المراد منه
عام اى شىء كان وان عسى اولم ينظروا فى ان الشان عسى ان يكون
الشان قد اقترب اجلهم فيسارعون الى ما ينجيهم من عذاب الله
وان فى ان عسى غير مصدرية لانها لا تدخل على الافعال الغير المتصرفة كعسى
فلهذا قلنا انها مخففة من المثقلة وجملة قد اقترب فى موضع نصب خبر
كان قيل ابدع الله الاوليات من العدم الصرف وكان يخلق بعد
ذلك الشىء من شىء سابق فى الوجود كادم من تراب والسماء من
دخان والملك من نور فقال اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض
فانها اوليات لم يخلق من شىء وما خلق الله من شىء فان ما سواها خلق
من شىء فعلى هذا من شىء متعلق بخلق ثم نبه على خطر فوات النظر بانقطاع
الاجل فقال وان عسى الى اخره فباى حديث بعده القران يؤمنون
ان لم يؤمنوا به من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون
من قرا بجزم يذرهم فعنده عطف على محل فلا هادى فانه فى موضع
جزم جوابا للشرط كانه قال من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقدم
مرارا مثل تركيب فى طغيانهم يعمهون ولما قال قد اقترب اجلهم
وما هذا الا تخويفهم من الساعة فقد سالوا منها فقال يسالونك عن الساعة
عن القيمة فان قيامها فجاة ايان مرسيها اى وقت اثباتها فان رسو
الشىء ثباته واستقراره فايان مرسيها مبتدا وخبر والجملة بدل عن
الساعة فان قريشا سالوا وقتها استبعادا عن وقوعها قل انما
علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو اى اخفاؤها مستمر الى وقت وقوعها
بامر ربى واللام للتاقيت نحو كتبت لثلاث من رجب ثقلت عظمت
وشقت فى السموات والارض على اهلهما وعليهما عند الوقوع حتى
انشقت وانهدت ولفظة فى منبهة على تمكن الثقل لا تاتيكم الا بغتة
فجاءة على غفلة مبين لقوله قل انما علمها عند ربى ونصب بغتة بالمصدر

فانها نوع من الاتيان يسألونك كانك حفي عنها اي عالم بها من حفي
عن الشي بالغ في السؤال عنه والمبالغة في السؤال مستلزم للعلم او
كانك بالغت في السؤال عنها حتى علمت وقوله كانك في موضع
الحال اي مشبها حالك بحال الحفي وقيل عنها متعلق بيسألونك
ومعنى كانك حفي شفيق بهم من الحفاوة فانهم قالوا يا محمد اسر علينا
متى الساعة لقرابة بيننا وبينك قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه
احد كرره تاكيدا وعند مجاز في الظرفية كما يقال النحو عند سيبويه اي
في علمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون اختصاص علمها بالله لما خص
علم الساعة بانه لا يعلمها الا هو ربما يظن ان باقي علم الغيب هو صلى
الله عليه وسلم عالم به دفع الظن فقال قل لا املك لنفسي نفعا ولا
ضرا اي جلب نفع ولا دفع ضر الا ما شاء الله لكن ما شاء يصل فالاستثناء
منقطع او الا نفعا وضرا يملكني الله فالاستثناء متصل ولو كنت اعلم
الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء اي لكانت حالي على
خلاف ما انا فيها فلم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى ورابحا وخاسرا
في التجارة ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون الانتفاع بالنذارة
والبشارة للمؤمنين فهم يتركون المعاصي ويزيدون طاعتهم
او تقديره الا نذير للكافرين فحذف للعلم به ولما ذكر من اول السورة
الى هذه الاية التي هي قريب من اخرها القصص والامثال والاحكام
في المهتدين والضالين وكل من القسمين اصناف مختلفة بعضهم في
ثبات ورسوخ من حالهم وبعضهم في تزلزل وتقلب اخذ يبين ان
هذا تقدير خالقكم من ابتداء خلقكم وذلك يكون الى الانتهاء فقال هو
الذي خلقكم من نفس واحدة اي آدم وجعل منها زوجها خلق من
ضلع آدم حوا ليسكن اليها ليطمئن من وحشة التفرد اليها فان
الله خلق الانسان مدني الطبع كما يستانس الوالد بالولد انث الضمائر
باعتبار النفس وذكر في ليسكن لان المراد من النفس الذكر والتذكير
احسن لان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى فلما تغشاها كناية عن
الجماع حملت حملا خفيفا لم تلق منه كربا ولا ثقلا فمرت به فمضت به الى وقت

ميلاده من غير ازلاق او قامت وقعدت كان لم يكن في بطنها
شي فلما اثقلت صارت ذات ثقل لكبر ولدها دعوا الله ربهما لئن
اتيتنا صالحا بشرا سويا لا بهيمة ردية لنكونن من الشاكرين لك
حلفا على ذلك ومتعلق الدعاء محذوف دل عليه جواب القسم
فلما اتاهما صالحا مثل الوالدين جعلا له اي لله شركا فيما اتاهما اذ
سمياه عبد الحارث وهذا اسم ابليس بين الملائكة وان هذا ابعد ما
اقسما ان يكونا من الشاكرين سماه شركا بالنسبة الى ما
عهدا من الشكر ولا يذهب عن احد ان هذا ليس بشرك حقيقي و
حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا كما يسمى الرياء شركا وكما
يطلق الظلم على الكفر وعلى كل معصية وان كانت صغيرة وقوله شركا
مصدر اي ذا شرك قد ذكر النسائي والترمذي والامام احمد والحاكم
في مستدركه وابن مردويه وابن ابي حاتم عن ابن عباس مرفوعا
ان ابليس جاء الى حوا وخوفها بان ما في بطنها بهيمة وان مخرجه اما عينها
او انفها وخوفها مرارا وقال ان لي منزلة عند الله ان دعوت الله
فيخرجه سويا بسلامتك فسميه عبد الحارث فلم يزل بها حتى غرها فسمته
باذن من آدم ولم تعرف حوا انه عدوهما ابليس وما قصد انه ربه
بل كما يسمى عبد النبي وعبد الحسين واما قراءة شركا من اطلاق الجمع
على الواحد فتعالى الله عما يشركون اي شركا كان لكما ورد في
الرياء انا اغنى الشركاء عن الشرك مع ان بعض العبادات التي
فيها بعض من الرياء صحيح لاقتضاء على صاحبه لكن قبوله عند الله
غير معلوم وفرق بين الصحة والقبول ايشركون ابتداء كلام والزام
للمشركين العابدين للاصنام فان الخطاب في صدر الاية اعني خلقكم
يشمل المشركين ولا يبعد ان قصة آدم وحوا قد تمت عند قوله فيما اتاهما
ويكون قوله فتعالى الله مستانفة في تنزيهه عما صدر من الكفار ولهذا
اورده بصيغة الجمع ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون الواو للحال وجمع ضمير
العقلاء بناء على اعتقادهم وتسميتهم الها وعلى هذا ضمير هم للاصنام
وقيل الضمير للمشركين يعني هم مع انهم مخلوقون يتركون عبادة خالقهم

ويعبدون شيئا ليس بخالق اصلا ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا
ولا انفسهم ينصرون لا يقدرون على دفع مكروه عنهم كمن اراد كسرهم
وان تدعوهم اي الاصنام الى الهدى الى ان يهديكم اي ان تطلبوا
منهم كما يطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم
او المراد وان تدعوا المشركين الى الاسلام لا يتبعوكم فالمراد من فاعل
تدعوا المؤمنون سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون اي سواء
احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمت عن دعائهم والجملة الاسمية
في مقابلة دعوتموهم ام انتم صامتون افاد كانه قال لم يفترق بين
احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم عند
الشدائد ان الذين تدعون تعبدونهم من دون الله عباد
امثالكم مملوكون مخلوقون مسخرون سماهم عبادا وان كانوا جمادا لان
عبادهم يعتقدون فيهم القدرة والسماع فادعوهم فليستجيبوا لكم
اي لا يقدرون على انجاح سؤال سائل ان كنتم صادقين انهم الهة
الهم ارجل يمشون بها هذا بيان لقصور المعبود عن العباد ام لهم ايد
يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها
فالهمزة للانكار والتعجب وتبيين انهم جماد لا حراك لها وهم فاقدون
لهذه الاعضاء ومنافعها التي خلقت لاجلها فالعباد افضل من المعبود
اذ لهم هذا التصرف وام متصلة وقيل منقطعة بمعنى بل والهمزة
للاضراب بمعنى الانتقال لا على معنى الابطال قل يا محمد ادعوا
شركاءكم التي جعلتموهم شركاء لله من دون الله في عداوتي ثم كيدون
اجتمعوا وبالغوا في مكروهي فلا تنظرون لا تمهلوني فاني لا ابالي من
الاجتماع في عداوتي ان وليي الله الذي نزل الكتاب القران من تتمة
ما امر بان يقول وهو يتولى الصالحين يلي امرهم ويغنيهم عن الغيب
والذين تدعون من دونه دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم
ينصرون فلا اخاف هذا العابد وهذا المعبود وان تدعوهم اي
الاصنام الى الهدى الى ما هو صلاحهم فالهدى بمنزلة الاسم كما يقال
فلان على هدى ورشد وخير وسداد الى ان يهديكم لا يسمعوا

وتراهم

وتراهم ينظرون اليك كانهم ينظرون اليك فانهم نحتوها مصورين بالعين
والاذن والانف وهم لا يبصرون ليس في اعينهم نور به يبصرون او المراد
وان تدعوا المشركين الى الهدى لا يسمعوا اسماع قبول وترى المشركين كما
قال تعالى صم بكم عمي فهم لا يبصرون خذ العفو من جملة الاخلاق لما نزل
قال صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال امرك ربك ان تعفو عمن ظلمك
وتعطي من حرمك وتصل من قطعك رواه ابن جرير وابن مردويه وابن
وابن ابي حاتم وأمر بالمعروف هو كل ما يعرفه الشرع واعرض عن الجاهلين
لا تقابل السفه بالسفه واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه
نخس كانه يطعن حين يغري الى المعاصي يعني اذا عرض لك منه ادنى و
وسوسة تصدك عن الاعراض عن الجهال فاستعذ بالله فانه الملجأ
والمنجي وقد ورد انه لما نزل واعرض عن الجاهلين قال صلى الله عليه وسلم
كيف والغضب فنزل واما ينزغنك انه سميع عليم ان الذين اتقوا
الكبائر اذا مسهم طائف لمة ووسوسة من طاف به الخيال يطيف
او من طاف يطوف ومن قرا طيف فهو مصدر من الشيطان
تذكروا وعيد الله ووعده فاذا هم مبصرون مواقع الخطأ ومكايد الشيطان
فرجعوا وانابوا فاجاءهم ابصار الحق والسداد فتامل حسن هذا البيان
حيث كان الكلام للرسول جاء الشرط بلفظ ان التي للشك وفي جانب
المتقين جاء باذا الموضوعة للتحقيق او للترجيح فالنزغ محتمل والمس واقع
او مرجح وقوعه واخوانهم واخوان الشيطان اتى بضمير الجمع لان
المراد من الشيطان الجنس يمدونهم في الغي يكون الشياطين مددا لهم في
الضلال قال تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ثم لا يقصرون
لا يمسك الشياطين عن اغوائهم او الكفرة لا يكفون عن الغي او المراد
لا الانس يقصرون عن السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم واذا لم تاتهم
باية اقترحوها قالوا لولا اجتبيتها اختلقتها فانهم يدعون انه ساحر يعمل
ما يعاين الشخص اشياء لا وجود لها الا في العين او لم لا تجهد نفسك
في طلبها من الله حتى نراها ونؤمن بك قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي
بل انا المتبع لوحي الله لست بمختلق ساحرا وان منعها لا اسالها الا باذنه

هذا بصائر من ربكم هذا الوحي الى الذي اتبعه حجج وبينات وبصائر
للقلوب بها تبصر الحق وهدى ورحمة لقوم يؤمنون فلو كان لكم بصيرة
لكفاكم القران اية لكن لا تعمى الابصار وتعمى القلوب التي في الصدور
ولما ذكر ان القران بصائر وهدى ورحمة امر باستماعه والانصات
مع الاصغاء اليه فقال واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم
الاصغاء اليه لعلكم ترحمون فيخلصونكم من تيه الضلال نزلت في ترك
التكلم في الصلوة ولا شك لاحد انه يستحب الاستماع والانصات
عند قراءة القران واذكر ربك في نفسك اسمع نفسك دون جهر
كما قال ابن عباس تضرعا متضرعا وخيفة وخائفا ودون الجهر من
القول من غير صياح بالغدو والاصال بهذين الوقتين لفضلهما وقيل
المراد الدوام واقتصر عليهما لانهما طرفان قيل اذكر ربك في نفسك
ان كنت تصلي السرية ولا ترفع صوتك في الجهرية التي في الغدو والاصال
وقوله ودون عطف على في نفسك والغدو جمع لغداة والاصال
العشايا جمع اصيل ولا تكن من الغافلين عن ذكر ربك ومن قال
المسبح في هذين الوقتين ليس من الغافلين اخذ من تلك الاية ان الذين
عند ربك كالملئكة المقربين لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه
ينزهونه عن كل نقيصة سيما الشرك وله لا لغيره يسجدون اي هم
مع كونهم آمنين من سوء العاقبة متوجهون الى الله دائما فانتم مع
عدم الامن كيف تتمادون في الغفلة عابدين غير الله وهذه اول سجدة في
القران للتالي والمستمع بالاجماع ذكر للملك عبادة قلبية هي التسبيح وجسمانية هي السجود

سورة الانفال مدنية ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال اي عن حكم الغنائم روى
الترمذي والحاكم وقال حسن صحيح وابو داود والنسائي انه نزلت حين
اختلف كلام الشبان والشيوخ في غنائم بدر والشبان ادعوا الاحقية
فانهم باشروا القتال قل الانفال لله والرسول يضعها الرسول حيث
يامره الله ولذلك قسمها صلى الله عليه وسلم بين الكل على السواء
فهذه لله من حيث انها امرها وخلقها وللرسول من حيث انها مبين

حكم الله

حكم الله فيها فقوله فاعلموا انما غنمتم من شيء ليس بناسخ وبعض الاحاديث
دال على ان شارفي علي اللذين حصلا له يوم بدر من الخمس فغنائم
بدر قسمت بتخميس فاتقوا الله من مخالفة حكم رسول الله واصلحوا
ذات بينكم الحال التي بينكم بترك النزاع وهذا كما تقول اسقني ذا
انائك اي ما في الاناء واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين فمقتضى
الايمان طاعة الله وجواب الشرط محذوف دل عليه ما تقدم على
الشرط في مذهب سيبويه والبصريين انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم يعني الكامل في الايمان من اذا سمع اسم الله امتلأ قلبه
عظمة وهيبة وخاف من قهره واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا
تصديقا وعلى ربهم يتوكلون لا يرجون غيره وعلموا انه هو المعطي و
والمانع الذين يقيمون الصلوة صفة خبر اي يديمونها ومما رزقناهم
ينفقون يؤدون الصدقة والظاهر العموم اولئك هم المؤمنون
حقا صدقا من غير شك اي احقه حقا وهم ضمير فصل بين المبتدأ والخبر
لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم لما تقدمت ثلث صفات
قلبية وبدنية ومالية رتب عليها ثلثة اشياء فقوبلت القلبية بالدرجات
والرفعة والبدنية بغفران الذنوب التي ارتكبتها الجوارح والمالية
بالرزق الكريم من مستلذات الجنة كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
اي جميع امورك كالانفال وغيرها ملتبس بالحكمة والصواب كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون الخروج
الواو للحال كان عير من قريش اقبلت من شام في مال كثير فخرج
عليه الصلوة والسلام لينهبهم فخرج ابو جهل مع عسكر كثير لتخليص العير
فاراد صلى الله عليه وسلم القتال ووعد بالظفر فقيل هلا ذكرت القتال
لنتاهب ثم واجهوا عدوهم وقاتلوا في بدر وظفر كما وعد يجادلونك
في الحق في امر الجهاد بعد ما تبين اي تبينه وهذا ابلغ في الانكار لجدالهم
بعد وضوح الحق انه من الله مع وعد الظفر والجملة مستانفة او حالية
من ضمير كارهون كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون
القتال كراهة من يجر الى القتل وهو ينظر الى اسبابه من غير شك لقلة

عددهم وعدتهم وقصته بدر مسطورة تفصيلها واذ يعدكم الله
واذكر هذه القصة اذ يعدكم احدى الطائفتين غير معينة العير التي
فيها التجارة او النفير التي خرجت من مكة انها لكم بدل اشتمال من احدى
وتودون واتحال ان غير ذات الشوكة التي فيها المال وليس فيها
العسكر الكثير والحرب تكون لكم ويريد الله ان يحق يثبت ويظهر الحق
بكلماته بامره اياكم بالقتال ويقطع دابر الكافرين يستاصلهم والدابر
الاخر يعني ارادتكم المال من غير مكروه وارادة الله اعلاء كلمته وفوز الدارين
لكم ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ذلك قوله يريد الله لبيان
الفرق بين الارادتين وقوله ليحق لبيان انه لم يفعل ما فعل الا لهذا الغرض
الصحيح والحكمة الباهرة كقولك اريد ان اكرمك لاكرامك انعمت عليك
بما انعمت فلا تكرار بوجه يعني فعلنا ما فعلنا ليحق او متعلق بيقطع اذ تستغيثون
بدل من اذ يعدكم وناخذ الزمان متسعا الوعد في جزء والاستغاثة في
جزء آخر او ظرف ليحق لما راوا شوكة الكفرة الحوا في الدعاء ربكم وقد يجي
استغاث متعديا بحرف الجر كما صرح به سيبويه فاستجاب لكم اني
باني ممدكم وقراءة اني بالكسر لان استجاب بمنزلة قال بالف من الملائكة
مردفين متتابعين بعضهم على اثر بعض صفة الف او مردفين بالف
آخر وقد انزل الله الفا ثم الى خمسة الاف والقاتل الالف والباقي
للشوكة كما بينا في سورة ال عمران وما جعله الله اي الامداد بالملك
الا بشرى بشارة ولتطمئن به قلوبكم فيزول منها الوجل وما النصر الا
من عند الله يكفي مجرد الارادة اما بسبب آخر غير الملك او بغير سبب
ان الله عزيز حكيم لا يغالب ولا يخلو فعله عن حكمة اذ يغشيكم النعاس
بدل ثان من اذ يعدكم عدد تعالى نعمه على المؤمنين يوم بدر امنة امنا
وهو مفعول له منه اي امنا حاصلا من الله وهذه السنة كانت في
البدر ايضا كما كانت في احد ففي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم مع الصديق
يدعوان في العريش اخذته سنة ثم استيقظ متبسما وقال ابشر يا ابا بكر
هذا جبريل على ثناياه النقع وروى ابو يعلى عن علي قال لقد رايتنا يوم بدر
وما فينا الا نائم الا رسول الله فانه يصلي ويبكي حتى اصبح وينزل عليكم

من السماء

من السماء ماء ليطهركم به من الجنابة والحدث ويذهب عنكم رجز الشيطان
اي وسوسته فانهم في بدر نزلوا على غير الماء فاحتلم اكثرهم وقد غلب
المشركون على الماء ووسوس اليهم الشيطان بانكم تزعمون انكم اولياء
الله وفيكم رسوله وحينئذ تصلون على جنابة فانزل الله المطر وسال
الوادي وليربط على قلوبكم بالصبر واليقين ويثبت به بسبب المطر
او الربط الاقدام على المحاربة يعني قوى قلوبهم واشجعهم فتثبيت الاقدام
مجاز او المطر لبد الرمل بحيث لا يغوص فيه ارجلهم فثبت اقدامهم فانهم
في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وعلى هذا تثبيت الاقدام حقيقة
بدا اولا بلام العلة في فعل جسماني هو التطهير وعطف عليه من غير لام
العلة ما هو من لازم التطهير ثم عطف باللام ما هو فعل محله القلب وعطف
عليه بغير اللام ما هو من لازمه فما افصح اداء الكلام اذ يوحي بدل ثالث
ربك الى الملائكة اني معكم بالعون والنصر وقوله اني مفعول يوحي
فثبتوا الذين امنوا ببشارة النصر والمحاربة وتكثير سواد المؤمنين سالقي
داخل في امر الملك بالتثبيت في قلوب الذين كفروا الرعب عن المؤمنين
فاضربوا الامر للملائكة فوق الاعناق اي فاضربوهم فوق الاعناق
قال ربيع بن انس كان الناس يعرفون قتيل الملك بضرب فوق
الاعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد احرق بها واضربوا منهم
كل بنان اي اصابع او كل مفصل ذلك اي الرعب والضرب بانهم
شاقوا الله ورسوله خالفوهما تركوا الشرع فساروا في شق ومن
يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب له ذلكم اي ذلكم
العقاب او الامر ذلكم والخطاب للكفرة فذوقوه وجاز نصب ذلكم
نحو زيدا فاضربه بذوقوا المقدر وان للكافرين عذاب النار ليكونوا
جامعين بين عذاب الدنيا والدين عطف على ذلكم على الوجهين
الاولين يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا قال الفراء
الزحف الدنو قليلا قليلا حال من احد المعمولين او منهما اي متزاحفين
فلا تولوهم الادبار بالانهزام ومن يولهم يومئذ اي يوم لقيتم الذين
كفروا دبره فانهزم الا متحرفا لقتال يفر مكيدة ليرى انه خاف فيتبعه

العدو فيكر عليه ويقتله او متحيزا الى فئة فر من موقع القتال الى فئة
اخرى من المسلمين يعاونونه ونصب متحرفا ومتحيزا على الحال او الاستثنا
من المولين يعني الا رجلا متحرفا فالا حينئذ عامل او مشارك للعامل او واسطة
في الاعمال بخلاف انه حال فان الالغو في حق الاعراب فقد باء ورجع وصحبوا
بغضب من الله وماويه جهنم وبئس المصير جهنم اكثر السلف وعظمائهم
على ان هذا مخصوص يوم البدر وفيه اشكال فان الاية نزولها ان كانت
قبل وقعة بدر لها فائدة لكن ما قبل الاية وما بعدها صريح في ان نزولها
بعد وقعته الا ان يقال مضمونها وحكمها قبل كما في فثبتوا الذين امنوا سالقي
لكن لفظها للامتنان بعد تامل فانك لا ترى مفسرا حام حول تحقيقها
واما في سائر الحروب فجاز الفرار اذا كان الكفار اكثر من مثليهم كما قال
تعالى وعلم الله ان فيكم ضعفا الاية وعن بعض الفرار مطلقا حرام
الا عن بين السبين وفي الصحيحين وغيرهما احاديث دالة على ذلك وعن
بعض هذا خاصة الصحابة واية قد علم الله في مواجهة العدو لا في الفرار
بعد المواجهة وهذه الاية دالة على ان تلك الكبيرة سبب لخلود جهنم
فان تلك العبارة لا تحمل الا بالخلود كما في صورة قتل المتعمد بغير حق
وصورة الحيف في الارث فلم تقتلوهم لما قال لا تولوهم الادبار وامر
ملئكته بضربهم وقتلهم نفى عن الصحابة القتل واثبته لله ولكن الله
قتلهم فان قتل الملك بيان من قتل الصحابة كما اعترف الصحابة بذلك
وما رميت التراب الى اعين الكفار اذ رميت التراب من يدك اليهم
ولكن الله رمى الى اعينهم واوصله اليها وان هذا ليس من جنس افعال
البشر هذا هو معنى القران انشاء الله وقد صح عن علي بن ابي طالب
وابن عباس وغيرهما ان الرمية كانت يوم بدر كما كانت يوم حنين
مثلا بمثل وليبلي تقديره ولكن الله قتلهم لفوائد وليبلي او وفعل
ما فعل ليبلي المومنين منه من الله او من هذا الفعل بلاء حسنا
نعمة عظيمة بالنصر ومث هذه الايات يقال ابلاه اذا انعم عليه
ان الله سميع بدعائهم عليم بضمائرهم ذلكم اي الامر ذلكم وان الله
عطف على ذلكم موهن كيد الكافرين مبطل حيلهم ان تستفتحوا فقد جاءكم

الفتح

الفتح في مسند احمد وفي النسائي وفي مستدرك الحاكم وصححه ان اباجهل
قال حين التقى الفئتان اللهم اينا كان اهجر واقطع للرحم فاحنه اي
اهلكه وهذا استفتاح منه وقال المشركون حين خرجوا من مكة
تعلقوا باستار الكعبة قائلين اللهم انصر اعلى الجندين واكرم الحزبين
واهدى الفئتين فقال تعالى خطابا للمشركين على سبيل التهكم
ان طلبتم الفتح للاكرمين ولواصل الرحم فقد استجاب الله دعائكم
وان تنتهوا عن الشرك ومعاداة المسلمين فهو خير لكم في الدارين
وان تعودوا الى الكفر والمعاداة نعد بمثل ما فعلنا ولن تغني تدفع
عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء فعلى هذا شيئا مفعول
مطلق او من المضار فهو مفعول به ولو كثرت فئتكم وان الله
مع المومنين بالنصر في الدارين وقراءة ان بالفتح فتقديره ولان
الله مع المومنين وقع ما وقع ولما من على المومنين باهلاك اعدائهم
وتداوي دائهم حثهم على الطاعة وعدم مشابهة الاعداء فقال يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه لا تتولوا عن الرسول فان
طاعته طاعة الله وانتم تسمعون القران او انتم من اهل السماع لا صم
كالكافرين والواو للحال ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اطعنا
وهم لا يسمعون لا يطيعون كالمنافقين او سمعنا باذاننا ولا يسمعون
فانهم صم كمطلق الكفرة ان شر الدواب شر ما يدب على وجه الارض
عند الله الصم عن الحق البكم عن التكلم به الذين لا يعقلون الحق
ولو علم الله فيهم خيرا انتفاعا بالايات لاسمعهم كما اسمع المومنين ولو اسمعهم
مع انه علم ان لا خير فيهم لتولوا عن القبول وهم معرضون قوم عادتهم
الاعراض وهذا كقوله ولو انزلنا عليهم كل اية لا يومنوا يعني هم على
طبع لا يمكن ان يتاتى منهم الايمان الا ان ازال الله منهم هذا الطبع
بالتبديل فالاسباب لا دخل في ايمانهم ومجرد الارادة من غير تبديل
لا يفيد ايضا يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم
لما كان دعوة الله يسمع من رسوله واستجابة رسول الله استجابة الله
لم يقل دعيا كم لما يحييكم من الايمان فانه مورث الحيوة الابدية او من الجهاد

فانه لولاه لغلب الكفار وقتلوكم واللام متعلق بدعا واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه ان اراد سعادة احد لايخليه ان يكفر وان اراد شقاوته
لايخليه ان يؤمن وقيل بينه وبين نيته بالامالة فاغتنموا الفرص في استجابة
رسوله اذا دعاكم وقيل هذا نحو ونحن اقرب اليه من حبل الوريد تمثيل لغاية
قربه من العبد وانه اليه تحشرون لجزاء الاعمال واتقوا فتنة لاتصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة في مسند الامام احمد انه صلى الله عليه وسلم
ان الله لايعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم
قادرون على ان ينكروه فلاينكرونه فاذا فعلوا ذلك عذب الله
الخاصة والعامة فالفتنة المداهنة في الحسبة اي لاتصيبن وبالها
ولا للنفي مجزوم بجواب الامر واما دخول النون فلما فيه من معنى النهي نحو
انزل لايطحنك الدابة وذلك على راي الكوفيين فانهم يقدرون
ماينا سب الكلام فتقديره ان لاتتقوا لاتصب الظالمين خاصة وتقديره
على مذهب البصريين ان تتقوا لاتصيبن الظالمين خاصة بل يعمكم ومعناه
فاسد او للنهي صفة فتنة اي فتنة مقولا في حقها لاتصيبن واما ان لا
نافية وتكون صفة فتنة ودخول النون لتشبيه النفي بالنهي فلايجيزه الجمهور
الا في الضرورة وهو شاذ وجوزه صاحب البحر وقال ذهب بعض النحويين
اليه وخاصة حال من فاعل لاتصيبن او من الذين ظلموا واعلموا ان
الله شديد العقاب لمن لايتقي واذكروا حالكم يا معشر المهاجرين اذ انتم
قليل في العدد مستضعفون في الارض ارض مكة قبل الهجرة تخافون
ان يتخطفكم الناس يذهب بكم الكفار بالعذاب والقتل فاواكم
الى المدينة وايدكم بنصره على الاعداء سيما يوم بدر ورزقكم من الطيبات
الغنائم وكانت لاتحل لاحد قبلكم لعلكم تشكرون مولى النعم وجاز
ان يكون الخطاب لجميع العرب فانهم كانوا اذل الناس اجوعه واعراه
واضله فلما جاء الاسلام مكنهم في البلاد وسلطهم على العباد وصيرهم
اغنياء مترفهين ولما من عليهم بما من بعد ان كانوا في قلة وذلة نصحهم
بان لايفتنوا بعدم ايثار المال والولد على محبة الله فانه ينافي الشكر
فقال يا ايها الذين امنوا لاتخونوا الله والرسول بعدم الطاعة وبان

تضمروا

وبان تضمروا اخلاف ماتظهرونه وتخونوا اماناتكم عطف على تخونوا
فهو داخل في النهي اي بان لاتحفظوا اماناتكم فيما بينكم قيل وتخونوا
نصب باضمار ان يعني لاتجمعوا بين القبيحين فانه اقبح نحو لاتلبسوا الحق
بالباطل وتكتموا الحق كما مر في سورة البقرة ومثله لاتعثوا في الارض
مفسدين وانتم تعلمون قبح الخيانة او علماء تميزون الحسن من القبيح
قال كثير من السلف نزلت في ابي لبابة حين حاصر رسول الله صلى
الله عليه وسلم قريظة وامرهم ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فاستشاروا
ابا لبابة في النزول على حكم سعد وكان اهل ابي لبابة وامواله فيهم فاشار
الى حلقه انه الذبح فتلك خيانته ثم ندم وربط نفسه في سارية المسجد
تسعة ايام لاياكل ولايشرب حتى نزل توبته وقصته مشهورة مسطورة
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار وامتحان فان ابا لبابة
خان بسبب الاولاد والاموال وان الله عنده اجر عظيم خير من
اولاد الدنيا واموالها فلاتوثروا الارذل على الافضل ولما حذر عن
فتنة الاموال والاولاد واطمعهم بما عنده مدخرا للاتقياء بين لهم فوائد
التقوى ومنافع ترك الهوى فقال يا ايها الذين امنوا ان تتقوا
الله يجعل لكم فرقانا مخرجا ونجاة في الدنيا والاخرة وحائلا بينكم وبين
ماتكرهونه ويكفر عنكم سيئاتكم يسترها لئلا تفضحوا على رؤس الاشهاد
ويغفر لكم لايؤاخذكم بها فان كل متق لابد من زلة يعرض له وقتا ما
والله ذو الفضل العظيم فبفضله وعدكم بالتقوى ما وعد ويزيد ويفي به
ولما من على المؤمنين بانهم ذو قلة وذلة فاعزهم وكثرهم من على خاصة
رسوله وحبيبه صلى الله عليه وسلم وهذا في الحقيقة منة جليلة على امته
اعظم المنن فقال واذ يمكر اي واذكر قصة خاصتك اذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك ليحبسوك او يقتلوك او يخرجوك من بلدك مكة
تشاور قريش فمن قائل قال نقيده حتى يموت ومن قائل قال نخرجه
ونستريح من اذاه ثم اتفقوا على راي ابي جهل بتصويب ابليس وهو فيهم
على صورة شيخ جليل وهو ان ناخذ من كل بطن سيافا ونضربه
ضربة رجل واحد فلايقوى بنو هاشم على قوده من جميع قريش ويرضوا بالدية

فامر الله نبيه بالهجرة ويمكرون ويمكر الله يعاملهم بمثل فعلهم والله خير
الماكرين اذ مكره هو النافذ ولما ذكر مكرهم بنبيه عقبه بمكرهم في شان
كتابه واياته فقال واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا هذا ولا نطيعه
او قد سمعنا مثله لو نشاء لقلنا مثل هذا وهذا من بهتهم وجملة
عنادهم فانهم يعرفون عجزهم عن اتيان اقصر سورة مثله ان هذا الا
اساطير الاولين الا ما سطره الاولون اقتبسها وتعلم منها كان فيهم
شخص سافر الى فارس وتعلم من اخبار ملوكهم فلما رجع يحدثهم مما تعلم
ثم يقول تالله اينا احسن قصصا انا او محمد وسائر حضاره يفضلونه
واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا قول ذلك الشقي المسمى بنضر
بن الحارث او قول ابي جهل وغرضه اظهار عدم الشك والمراد من
الحق المنزل من الله فانهم معترفون بان قصصه مطابقة للواقع وضمير
هو للفصل لاتفاق على نصب الحق وحكمة قوله من السماء مع ان المطر
لا يكون الا منها مقابلتهم مجي الامطار من الجهة التي ياتيه الوحي منها
يعني انت تذكر ان الوحي ياتيك من السماء فائتنا بالعذاب من
تلك الجهة قد ذكر ان معاوية قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين
انقادوا الامراة قال ليسوا اجهل من قومك حين دعاهم الى الحق
فقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق فامطر ولم يقولوا ان كان هذا هو
الحق فاهدنا له ولما دعوا على انفسهم وما استجاب الله مع استحقاقهم
بين سبب عدم الاستجابة فقال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
مقيم بمكة والله سبحانه لا يستاصل قوما وفيهم نبيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون اي وفيهم من يستغفر فان المؤمنين كانوا بمكة
وما استطاعوا الهجرة اكد الاول باللام قال ابن عباس كانوا يقولون
غفرانك ولبيك لا شريك لك ونحو هذا مما هو دعاء واستغفار
فجعله الله امنة منهم في الدنيا وفي الترمذي انه قال صلى الله عليه وسلم
انزل على امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم الاية فاذا مضيت
تركت فيكم الاستغفار وما لهم الا يعذبهم الله ما استفهامية معناها

التقرير اي كيف لا يعذبون وهم يصدون يمنعون المؤمنين
عن المسجد الحرام كعام الحديبية وما كانوا اولياءه وما كانوا مستحقين
ولاية امر المسجد الحرام كانوا يقولون نحن ولاة البيت نصد من نشاء
حال عن ضمير يصدون يعني العذاب واقع بهم لا محالة وان
تاخر مدة لحكمة اقتضت التاخير ان اولياؤه الا المتقون ولكن
اكثرهم لا يعلمون انهم غير مستحقين ومنهم من يعلم ويعاند قال ابن عباس
وغيره لما خرج المؤمنون الذين بقوا في مكة وما بقي فيها من يستغفر
نزل وما لهم الا يعذبهم الله والتعذيب القتل يوم بدر والقحط وفتح
مكة وعند بعضهم معنى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون طلب
الايمان والاستغفار من الكفار مثل لا ابغضك وانت تطيعني
اي اطعني لا ابغضك وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
سبب ثالث لاستحقاقهم العذاب او بيان انهم لم يستحقوا ولاية
بيت الله والمكاء والتصدية يقيمون مقام صلوتهم يدخلون
في الطواف اصابعهم في افواههم ويصفرون واذا صلى عليه الصلوة
والسلام في الحرم يصفرون ويصفقون عن يمينه ويساره ليخلطوا
عليه صلوته وكانوا يضعون خدودهم على الارض ويصفرون
بافواههم ويصفقون بايديهم فذوقوا العذاب في الاخرة وعند
النزع او في البدر بما كنتم تكفرون بسبب كفركم ان الذين كفروا
ينفقون اموالهم ليصدوا الناس عن سبيل الله لما رجع من بقي
من الكفرة عن البدر استعانوا من ابي سفيان وغيره واستقرضوا
وانفقوا في غزوة احد او نزلت في نفقة الخارجين الى بدر ينحرون
يوما عشرا من الابل وتسعا فسينفقونها في مدة عمرهم ثم تكون
عليهم حسرة في الاخرة او في الدنيا ايضا لذهاب المال وعدم نيل
المرام ثم يغلبون عاقبة الامر والذين كفروا الى جهنم يحشرون يعني
من مات منهم على الكفر ليميز الله الخبيث من الطيب الشقي من السعيد
لما اخبر بما آل اليه حالهم في الدنيا من حسرتهم وكونهم مغلوبين اخبر
بما يؤول اليه حالهم في الاخرة ولام ليميز متعلق بيحشرون هذا هو الظاهر

القران وباقي التوجيهات تمحل وتكلف ويجعل الخبيث اي الفريق
الاشقياء بعضه على بعض اي يجعل بعض الخبيث على بعض عبارة
عن الضم والجمع حتى تتراكبوا لفرط ازدحامهم فبعضه على بعض بدل
من الخبيث فيركمه جميعا اي يضمه فيجعله في جهنم اولئك الفريق الخبيث
هم الخاسرون والخبيث اسم جنس لوحظ اولا افراده في قوله بعضه وفي يركمه
ولوحظ ثانيا جمعه في اولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا اللام لام
التبليغ امران يقول لهم هذا المعنى ان ينتهوا عن الكفر ومعاداة الدين
يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وان يعودوا الى القتال ويستمروا
على العناد فقد مضت سنة الاولين انتقمنا منهم فانه سنة الاولين
يعني سنتنا فيهم فجواب الشرط محذوف وقوله فقد مضت دليل على
الجواب وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك من كان تامة اي لا يوجد
شرك ويكون الدين كله لله لا يعبد غير الله في جزيرة العرب فان
انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير يجازيهم مجازاة البصير
قيل معناه فان انتهوا عما هم فيه من الكفر والقتال فكفوا عنهم وان
كنتم لا تعلمون بواطنهم فان الله بما يعملون بصير وقرآءة تعملون بالخطاب
فمعناه بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام وتسببكم الى اخراجهم
من ظلمة الكفر بصير فيجازيكم وان تولوا عن الاسلام ولم يقبلوا دعوتكم
فاعلموا ان الله موليكم ناصركم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير
الله فمن هو ناصره لا يغلب ابدا والمخصوص بالمدح مقدر ولما قال
وقاتلوهم يخطر بالبال ان المال الذي يؤخذ منهم بعد نصر المؤمنين
كيف يفعل به فقال واعلموا انما غنمتم من شيء اخذتم من الكفار قهرا لا سلما
اي شيء كان وما موصولة وغنمتم صلتها بحذف العائد وفسر ما بقوله
من شيء ليدل على العموم فان لله خمسه اي فالحكم ان لله خمسه ودخول
الفاء لتضمن العموم معنى الشرط والاصح ان ذكر الله افتتاح كلام للتبرك
كما تقول لعبدك اعتقك الله واعتقتك وللرسول كان يصرف
فيما شاء والان لمصالح المسلمين او للخليفة او مردود الى الاصناف
الباقية ولذي القربى بنو هاشم وبنو المطلب او بنو هاشم وحدهم او قريش

كلهم

كلهم واليتامى يتامى المسلمين او يتامى ذوي القربى والمساكين
المحاويج الذين لا يجدون ما يسدون خلتهم او مساكين ذوي القربى
وابن السبيل المسافر او مريد سفر القصر وليس له نفقة سفره او ابن
السبيل من ذوي القربى فعلى هذا تقسم الغنيمة على خمسة اربعة
للمحاربين وخمس لهؤلاء ان كنتم امنتم بالله تقديره ان كنتم امنتم
بالله امتثلوا ما شرعت لكم في الغنيمة وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان
اي ان كنتم امنتم بالله وبما انزلنا ويوم الفرقان هو يوم بدر فرق
الله فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار
وهو يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان والله على كل شيء قدير
فقدر على نصر القليل على الكثير اذ انتم بدل من يوم الفرقان بالعدوة
الدنيا شط الوادي الاقرب من المدينة وهم بالعدوة القصوى
وكفار مكة من جانب الوادي الابعد من المدينة والركب اسفل
منكم الركب الذين جاؤا من الشام في مكان اسفل من مكانكم اي
ساحل البحر ونصب اسفل على الظرف واقع موقع خبر الركب ولو تواعدتم
انتم والكفار للقتال لاختلفتم انتم في الميعاد خوفا وهيبة لقلتكم وكثرتهم
فكان الالتقاء على غير ميعاد ولكن تلاقيتم على غير ميعاد ليقضي الله
امرا كان مفعولا في علمه وقيل معنى مفعولا حقيقا بان يفعل من
نصر اوليائه وكسر اعدائه ليهلك بدل من ليقضي من هلك عن
بينة ويحيى من حي عن بينة اي ليموت من يموت عن بينة عاينها
ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة
بدر من الايات الظاهرات وقيل المراد من الهلاك والحيوة الكفر والايمان
اي ليكفر من كفر بعد حجة لما راى من الايات فلا يبقى له عذر بوجه
ويؤمن من آمن عن حجة وبصيرة ويقين وان الله لسميع عليم باقوال
من كفر وآمن وبما في قلوبهم اذ يريكهم الله بدل ثان من يوم
الفرقان في منامك قليلا لتخبر اصحابك بقلتهم وذلتهم فيكون
تشجيعا لهم ونصب قليلا بانه مفعول ثالث ليرى ولو اريكهم كثيرا
لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر اختلفت كلمتكم في امر القتال مع الكفار

ولكن الله سلم انعم بالسلامة من التنازع انه عليم بذات الصدور فيعلم
الجبن والتنازع اعلم ان رؤيا الانبياء حق ووحي بمعنى ان رؤياهم
معبر لا اضغاث احلام كرؤيا نبينا صلى الله عليه وسلم في امر القردة
على منبره وغير ذلك فيجوز ان يراهم قليلا في العدد وحكى على اصحابه
من غير ان يعبر وتعبيره ضعفهم فان الضعف يترتب على القلة اكثريا
فلا خطأ في منامه والله اعلم واذ يريكموهم في اليقظة اذ التقيتم في اعينكم
لا في المنام قليلا حال لا مفعول ثالث لانه من رؤية العين هنا
وانما قللهم في اعين المسلمين تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى قال ابن مسعود لمن في جنبه اتراهم سبعين
قال اراهم مائة فاسر منهم رجل وسالنا منه كم كنتم فقال الفا ويقللكم في
اعينهم ليغتروا ولا يستعدوا للحرب حتى قال ابو جهل انهم اكلة جزور
ثم كثرهم حين القتال في اعينهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة
ليقضي الله امرا كان مفعولا يحتمل معنيين كما مر والى الله ترجع الامور
فلا امر الا هو خالقه او مصير الكل اليه فيجازيهم ولما بين ان النصر والغلبة
من الله لا تؤثر فيه القلة والكثرة امر المومنين بالتوكل وطلب النصر من
الله المؤثر فقال يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ومحاربة
المومنين لا تكون الا مع الكفار فاثبتوا لا تنهزموا واذكروا الله كثيرا
في حال القتال وهي حالة الذهول عن كل شيء فامروا بذكر الله الذي
يفزع اليه عند الشدائد لعلكم تفلحون لكي تظفروا بمرامكم واطيعوا الله
ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء فتفشلوا فتجبنوا هو جواب النهي
وتذهب ريحكم دولتكم ووقاركم او ريح نصرتكم وفي الحديث نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل
خافقة سكونا وتذهب عطف على تفشلوا واصبروا ان الله مع
الصابرين بالحماية والعناية ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا
فخرا وطغيانا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والرياسة قيل
لابي جهل ارجع فان العير التي خرجتم لها قد نجت فقال والله لا نرجع
حتى نرد ماء بدر نشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بمخرجنا

العرب فتمها بنا آخر الابد نعم وردوا فسقوا كؤوس المنايا وناحت عليهم
النوائح فنهى الله المومنين ان يكونوا امثالهم بطرين طربين مرائين
باعمالهم صادين عن سبيل الله ويصدون عن سبيل الله عطف
على بطرا سواء كان مفعولا له او حالا وفائدة العدول الى صريح الفعل
ظهور الحدوث بخلاف البطر والرياء فانهما دابهم وشيمتهم والله بما يعملون
محيط فلهذا جازاهم شر الجزاء واذ زين اي اذكر حالهم اذ زين لهم
الشيطان اعمالهم تمثل لعنه الله يوم البدر بصورة سراقة بن مالك
الكناني مع عسكر ورايته وقال لا غالب لكم اليوم من الناس لكم خبر لا
لا ظرف غالب والا لوجب ان يقال لا غالبا واني جار لكم مجيركم وممدكم
والواو يحتمل العطف والحال وكان بين بني كنانة وقريش حرب
وخافوا من بني كنانة فلهذا اجارهم فلما تراءت الفئتان التقى
الجمعان نكص على عقبيه رجع قهقرى وقال اني بريء منكم لم يكتف
بالفعل حتى اكد ذلك بالقول اني ارى ما لا ترون من جنود الله
ملئكته فانه لما كان بينهم يعرفهم اني اخاف الله معذرة كاذبة
بل علم ان لا قوة له مع الملئكة وخاف ان يصل اليه من الملك مكروه
وهذه شيمته الشومة كما قال الله كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر الآية
والله شديد العقاب يحتمل ان يكون معطوفا على مقول القول
ويحتمل ان يكون عطف جملة على جملة وهي كلام الله تهديدا لابليس
ومن تابعه من قريش وغيرهم اذ يقول اي اذكر حالهم اذ يقول
المنافقون هم قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وخرجوا مع الكفار يوم
بدر فلما راوا قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا والذين في قلوبهم مرض
العطف لاختلاف الصفات مع اتحاد الموصوف غر هولاء دينهم
ولولا الغرور ما تعرضوا مع قلتهم كثرتنا فقتلوا جميعا وقال تعالى
مجيبا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز لا غالب لامره ولا يضام
من التجا اليه حكيم في افعاله وجواب من محذوف مثل فهو المنصور
وقوله فان الله دليله ولو ترى لو عاينت ورايت يا محمد حالهم
فلو ترد المضارع الى معنى الماضي اذ يتوفى الذين كفروا الملئكة

الملئكة فاعل يتوفى وجواب لو محذوف يعني لرايت امرا هائلا فظيعا
لا يمكن بيانه بالقول يضربون وجوههم اذا اقبلوا وادبارهم اذا
ادبروا وجملة يضربون حالية قيل فاعل يتوفى ضمير راجع الى الله
والملئكة يضربون مبتدا وخبر وذوقوا ويقولون ذوقوا عطف على
يضربون وتقدير يقولون لاجل المعنى عذاب الحريق في جهنم فانهم
يذوقونه عن قريب وعن بعض من السلف مع الملئكة مقامع من
حديد كلما ضربوا بها التهبت النار منها ذلك العذاب بما قدمت
ايديكم بسبب ذنوبكم التي اكتسبتها ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد
عطف على ما قدمت اشارة الى ان من عفا عن هؤلاء الذين ظلموا
انفسهم وظلموا عباد الله المؤمنين ظالم كثير الظلم بمعنى انه وضع
الشيء في غير موضعه اللائق به وبهذا فسر اهل اللغة الظلم وما ورد في
كتاب الله الظلم الا بهذا المعنى والعفو في موضع لا تقتضيه الحكمة
ظلم لا شك فيه وليس هذا من الاعتزال في شيء قيل ان ذلك
على طريق النسب كتمار ولبان وقيل ذلك على طريق التوزيع فان
العبيد دال على الاستغراق فالظالم لهم كثير الظلم لاصابة كل منهم ظلما
فالمعنى ليس بظالم لهذا ولا لذاك مما لا يحصى فالمبالغة راجعة الى
الكمية وتامل قول القاضي البيضاوي في هنا وفي سورة ال عمران
كيف وقع فيما فر منه كداب ال فرعون اي دابهم وطريقتهم كدابهم
والذين من قبلهم والكفار الذين من قبل ال فرعون كفروا بايات الله
تفسير الداب فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي لا يغلبه
احد شديد العقاب للمردة الكفرة المعاندين للدين ذلك الاخذ
بالذنوب لا التعذيب بغير ذنب بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها
على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم بسبب ان عادة الله جارية بان لا يبدل
نعمة على قوم بنقمة الى ان يبدلوا حالهم الى اسوءها كقريش كذبوا بايات
الله واستهزؤا بها وسموا رسولنا ساحرا ومجنونا وصدوا عن سبيل الله
وان الله سميع عليم كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات
ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون قوله كداب الى آخره

تكرير للتاكيد

تكرير للتاكيد وكل كانوا ظالمين اي من الاولين والاخرين جمع الضمير
للفواصل ولم يجعل على لفظة كل يعمل على شاكلته وكلا اخذنا بذنبه
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا رسخوا في الكفر فهم لا يؤمنون لرسوخهم
فيه ومجرد الكفر لا يخبر عن المتصف به بانه لا يؤمن الذين بدل من الذين
عاهدت منهم اخذت العهد منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة
قد نقض يهود بني قريظة عهدهم واعانوا المشركين بالسلاح وقالوا
نسينا واخطانا فعاهدوا ثانيا ثم نقضوا يوم الخندق فهم شر سائر الكفرة
ايضا وهم لا يتقون عاقبة الغدر فاما تثقفنهم في الحرب تظفر بهم وتاسرهم
في الحرب فشرد بهم من خلفهم فافعل بهم عقوبة يفرق منك ويخافك
من وراءهم من الكفرة ليعتبروا فلا ينقضوا عهودهم بعد ذلك يعني غلظ
عقوبتهم ليكون عبرة لغيرهم لعلهم اي من خلفهم يذكرون يتعظون واما
تخافن بامارة تلوح لك من قوم معاهدين خيانة نقض عهد فانبذ اليهم
فاطرح اليهم عهدهم على سواء على طريق مستو متوسط بمثل ان تخبرهم قطع
العهد الذي بينك وبينهم حتى لا تكون منسوبا الى الخيانة فعلى سواء حال
من فاعل فانبذ ان الله لا يحب الخائنين تعليل لنبذ العهد من غير اعلام
ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا فاتونا فلا نقدر عليهم بل هم تحت
قهر قدرتنا فسبقوا مفعوله الثاني وعلى قراءة الياء الفاعل ضمير عائد
على الرسول او على السامع وسبقوا مفعوله الثاني انهم لا يعجزون
لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وعلى قراءة فتح ان تقديره لانهم قال
محيي السنة نزلت فيمن افلت يوم بدر من المشركين واعدوا لهم للحرب
الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وفي الحديث
الصحيح الا ان القوة هي الرمي قالها ثلاثا ومن رباط الخيل الرباط اسم
للمربوطات لكن لا يستعمل الا في الخيل فالاضافة باعتبار عموم المفهوم
للاصل ترهبون تخوفون به بما استطعتم عدو الله وعدوكم مشركي مكة
واخرين من دونهم لا تعلمونهم لا تعرفونهم ليس له الا مفعول واحد الله
يعلمهم باعيانهم وذواتهم وما تنفقوا من شيء قليل او كثير في سبيل الله
يوف اليكم جزاءه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل وان جنحوا للسلم

مالوا للصلح يقال مال له ومال اليه فاجنح لها مل اليها وتانيث السلم قيل لغة
وقيل على معنى المسالمة وقيل حملا على النقيض وهو الحرب وهذا كما فعل
يوم الحديبية والظاهر ان هذه الاية قبل صلح الحديبية وتوكل على الله
في الصلح ولا تخف خداعهم انه هو السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك
يريدون بالصلح خديعة فما عليك من نياتهم الفاسدة فان حسبك
الله محسبك وكافيك ومن كان حسبه لا يبالي من نوى سوءا وهو
حسبك صفة النكرة في قولك عندي رجل حسبك رجلا دليل على انه
بمعنى المحسب هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم
مع ما في قلوبهم من الضغينة ولو انفقت ما في الارض جميعا على تالف
قلوبهم واجتماعها على محبة بعضها بعضا ما الفت بين قلوبهم لتناهي
عداوتهم وكان بين الاوس والخزرج من العداوة والحرب غايتها والله
بمحض قدرته الف بينهم فاجتمعوا وانساهم تلك الشحناء فصاروا انصارا
ولكن الله الف بينهم فانه مقلب القلوب انه عزيز غالب لا يغلب
حكيم يضع كل شئ في موضعه يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن
اتبعك عطف على لفظ الله من المؤمنين قيل الواو بمعنى مع اي
محسبك مع المؤمنين الله نزلت في البيداء قبل قتال بدر يا ايها النبي
حرض المؤمنين على القتال اي بالغ في حثهم عليه ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة
والوعد بالغلبة ولذلك دخلها النسخ فان الشرط اذا كان فيه معنى
التكليف جاز فيه النسخ وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا
اثبت قيدا في الاول هو قوله صابرون وحذف نظيره في الثاني واثبت
في الثاني قيدا هو من الذين كفروا وحذف من الاول للعلم به وذكر المائة
والالف بعد عشرين ومائتين للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد
بانهم قوم لا يفقهون بسبب جهالتهم بالله ولا يقاتلون الا للدنيا فلا يثبت
اقدامهم اذا راوا شدة وظنوا الهلاك الان خفف الله عنكم هذا نسخ للحكم
الاول لما ثقلت على المسلمين مقاتلة الواحد مع العشرة وعلم ان فيكم
ضعفا في البدن عطف على خفف وعلم الله متعلق بالحوادث قبل

الوقوع بانها ستقع وحال الوقوع بانها واقعة فلا يلزم انتفاء علمه بما
بالحوادث قبل وقوعه فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان
يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله بامره وارادته والله مع
الصابرين بالنصر والغلبة ولما كان الصبر شديد المطلوبية اثبت
في اول جملتي التخفيف وحذف من الثانية ثم ختمت الاية بقوله والله
مع الصابرين مبالغة في ان الصبر هو الاصل والعمدة في الغلبة
ما كان لنبي ان يكون له اسرى اي ما صح وما استقام لنبي من الانبياء
ان ياخذ اسارى ولا يقتلهم حتى يثخن في الارض يكثر القتل فيذل
الكفر ويعز الاسلام من الثخنة المرض اثقله من الثخانة التي هي الغلظ
تريدون عرض الدنيا حطامها باخذ الفداء منهم قيل الجمع دليل على
ان المراد ما كان لاصحاب نبي والله يريد الاخرة اي يريد لكم ثوابها
والله عزيز حكيم يعلم ما يليق بالاحوال نزلت كما في صحيح مسلم لما استشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر في اسارى بدر فقال هم ائمة الكفر
اضرب اعناقهم والله اغناك عن الفداء ثم استشار ابا بكر فقال
هم قومك لعل الله يتوب عليهم خذ منهم فدية تقوى بها اصحابك
فقبل صلى الله عليه وسلم الفداء وعفا عنهم لولا كتاب من الله
سبق يعني في ام الكتاب انه لا يعذب من عصا الا بعد تصريح
نهي او ان لا يعذب مسلما شهد البدر او في ام الكتاب ان الفداء
سيحل لكم لمسكم فيما اخذتم من الفداء قبل الاذن عذاب عظيم فكلوا
انهم امسكوا عن الغنائم ايضا وخافوا اشد خوف فنزل يعني احلت
لكم الغنائم مما غنمتم والفدية من الغنائم حلالا حال او مفعول مطلق
اي اكلا حلالا طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور رحيم يغفر
ذنوبكم واباح لكم الفداء يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى
ان يعلم الله في قلوبكم خيرا بان يتعلق علم الله بحصول ارادة ايمان
واخلاص في قلوبكم يؤتكم ان اسلمتم خيرا مما اخذ منكم من الفداء ويغفر لكم
ما صدر قبل الاسلام عنكم والله غفور رحيم لما اخذ العباس طلب منه
فداءه وفداء اقاربه فقال ما عندي ذاك فقال صلى الله عليه وسلم

فاين المال الذي دفنت انت وام الفضل قال والله لانت رسول
الله ان هذا الشيء ما علمه احد غيري وغيرها قال فاحسب لي مالا اصبتم
عشرين اوقية من مال كان معي فقال صلى الله عليه وسلم لا ذاك
شيء اعطاناه الله قال فاعطى لي الله مكان عشرين اوقية عشرين
عبدا كلهم في يده مال يضرب به مع ما ارجو من مغفرة الله وان يريدوا
خيانتك اي الاسارى فيما اظهروا لك من الاسلام والاخلاص
فقد خانوا الله من قبل بخروجهم مع المشركين فامكن فامكنك منهم
يوم بدر حتى اخذتهم فان عادوا فانعد قال السدي عند الاكثرين ان الاية
عام لجميع الاسارى والله عليم بخيانة من خان حكيم بتدبيره ان الذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين
آووا اسكنوا المهاجرين في منازلهم من المدينة ونصروا ونصروهم
على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث دون اقاربهم
نقل البخاري عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
آخا بين المهاجر والانصار كل اثنين اخوان فكانوا يتوارثون بذلك
ارثا مقدما على القرابة حتى نسخ الله بالمواريث والذين امنوا ولم يهاجروا
ما لكم من ولايتهم من شيء ليسوا لكم اولياء في الميراث حتى يهاجروا وان
استنصروكم اي المؤمنون الذين لم يهاجروا في الدين فعليكم النصر
فواجب عليكم نصرتهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
اي عهد فلا تنقضوا عهدكم في نصرتهم عليهم والله بما تعملون بصير
فيجازيكم بالوفاء بالعهد والنقض والذين كفروا بعضهم اولياء بعض
في الميراث والنصرة ولم يكونوا اولياء المسلمين ان لا تفعلوه ان شرطية
ولا نافية اي ان لم تفعلوا ما امرتم من قطع العلقة حتى في الميراث بينكم
وبين الكفار تكن تحصل كان تامة فتنة في الارض وفساد كبير في الدين
لقوة الكفر وضعف الاسلام والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل
الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا صدقا من غير
ريب دون من آمن وسكن بمسكن الشرك وفي الحديث المتفق على
صحته بل المتواتر المرء مع من احب وفي رواية من احب قوما حشر معهم

ونصب

ونصب حقا على المصدر المؤكد او تقديره ايمانا حقا لهم مغفرة ورزق
في الجنة بدل ما صرف من مالهم في سبيل الله فالسابقة تضمنت
ولاية بعضهم بعضا وتقسيم المؤمنين الى الاقسام الثلثة وبيان
حكمهم في ولايتهم ونصرهم وهذه تضمنت الثناء والتشريف والاختصاص
وما آل اليه حالهم فلا تكرار والذين امنوا من بعد بعد ايمان السابقين
وهجرتهم وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم من جملتكم ايها المهاجرون
والانصار فان المهاجرين بعضهم هاجروا قبل الحديبية وبعضهم بعد
صلحها قبل فتح مكة وهي الهجرة الثانية واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في اللوح المحفوظ
وفي حكمه وهذه ناسخة للارث بالحلف والاخاء الذي كانوا يتوارثون
به اولا ان الله بكل شيء عليم فيعلم صلاح الاوقات والحمد لله وحده

سورة براءة والتوبة ولها اسماء آخر مدنية قيل الا الآيتين لقد جاءكم رسول الى آخرها وآيها مائة وثلثون وقيل مائة وتسع وعشرون

براءة من الله ورسوله اي هذه براءة واصلة من الله ورسوله يقال
برئت من فلان اذا انقطعت بيننا الوصلة والعصمة الى الذين عاهدتم
من المشركين اي الله ورسوله بريا من عهد عاهدتم المشركين وان كان
صادرا من الرسول باذن الله يعني وجب نبذه ولا عهد بعد ذلك
في البخاري عن البراء انها آخر سورة نزلت واولها نزلت حين رجع
عن غزوة تبوك وقصد الحج فكره مخالطة الكفار سيما وهم يطوفون
بالبيت عراة فسيحوا في الارض ايها المشركون وهو امر اباحة وفي ضمنه
تهديد وهو من باب الالتفات الى الخطاب اربعة اشهر والاصح
انه من يوم النحر الى عاشر ربيع الآخر والاكثرون على ان من كان له
عهد موقت ولم ينقض فاجله الى مدته مهما كان ومن له عهد غير موقت
او دون اربعة اشهر او اكثر لكن نقضه فيكمل له اربعة اشهر وفي رواية
عن ابن عباس ان من له عهد موقت او غير موقت فاجله اربعة
اشهر ومن ليس له عهد فاجله انسلاخ الاشهر الحرم ثم السيف حتى
يدخلوا في الاسلام واعلموا انكم غير معجزي الله اي لا تفوتونه

وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين مذلهم في الدنيا والاخرة واذان
اي اعلام عطف على برآءة من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر
افضل ايام المناسك وهو يوم العيد وجعل ما يفعل فيه حجا اكبر باعتبار انه
معظم اعمال الحج من الطواف والسعي والحلق والرمي والذبح او عرفة وجعل
الوقوف فيها حجا اكبر لانه اعظم واجباته التي ان فاتت فات الحج وقيل المراد
ايام الحج كلها والحج الاصغر عمرة فان عليا اذن بتلك الايات يوم عرفة ثم اذن
بها يوم النحر حين راى انه لم يقم الناس بالاسماع يوم عرفة وجملة برآءة
اخبار بثبوت البرآءة وجملة اذان اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت وعلقت
البرآءة بالمعاهدين لانها مختصة بهم ناكثين وغيرهم وعلق الاذان بالناس
لشموله مسلما او كافرا ان الله اي بان الله بري من المشركين ورسوله
عطف على المستكن في بري او تقديره ورسوله كذلك فان تبتم من
الشرك الموجب للتبري فهو اي الرجوع خير لكم في الدنيا والاخرة وان توليتم
عن التوبة فاعلموا انكم غير معجزي الله غير فائتين اخذه وانتقامه وبشر الذين
كفروا بعذاب اليم جعل الانذار بشارة على سبيل الاستهزآء بهم فان
البشارة في العرف مستعمل في النعمة الا الذين عاهدتم من المشركين الاولى
ان يكون الاستثنآء منقطعا اي لكن الذين عاهدتم ولم ينقضوا عهدهم
اتموا عهدهم وامهلوهم بعد اربعة اشهر الى انقضآء اجلهم واما على ما نقلنا
عن ابن عباس فمعنى اتموا عهدهم الى مدتهم الى مدة قدرناه وهي اربعة اشهر
ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم
احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم اي الى تمامها ان الله يحب
المتقين واتمام العهد من التقوى فاذا انسلخ الاشهر الحرم انقضى الاشهر
التي حرمنا قتالهم واجلناهم فيها فالاشهر الحرم ما مر في قوله فسيحوا في الارض
اربعة اشهر وهي اربعة اشهر لمن كان معاهدته اربعة اشهر او اقل
او اكثر ونقض ولمن ليس له معاهدة واما من كان معاهدته اكثر من اربعة
اشهر وما نقض فالاشهر الحرم بالنسبة اليه مدة زمان معاهدته فان
بني ضمرة وبني كنانة بقي من مدة عهدهم تسعة اشهر فاقتلوا المشركين
كافة ناكثا وغيره وعلى ما نقلنا عن ابن عباس معناه فاذا انقضى الاشهر

الحرم

الحرم التي قال الله فيها منها اربعة حرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة
ومحرم فاقتلوا من لا عهد له من المشركين ففي اول الصفر رخصة المقاتلة
مع من لا عهد له وهي خمسون ليلة من يوم النحر حيث وجدتموهم من
حل او حرم وخذوهم ايسروهم واحصروهم احبسوهم وضيقوا عليهم و
واقعدوا لهم كل مرصد يعني ارصدوهم في كل مرصد يرصد فيه وعلى هذا
كل مرصد ظرف جاز حذف في منه فمتى كان العامل في الظرف المختص
عاملا من لفظه او من معناه جاز ان يصل العامل اليه بغير واسطة في نحو جلست
او قعدت مجلسه فان تابوا عن الشرك واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
فانهما علامة التوبة فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء ان الله غفور
رحيم يغفر الزلات وينعم على من يستحق وان احد من المشركين الذين
امرتك بقتلهم استجارك طلب منك ان تكون مجيرا له ويكون في امان
بعد انسلاخ الاشهر فاجره فامنه ورفع احد باستجارك على شريطة
التفسير حتى يسمع كلام الله وما تضمنه من التوحيد ويقف على ما بعثت به
ثم ابلغه مامنه اي يكون هو مستمر الامان الى ان يرجع بلاده بالامان
وان لم يسلم ذلك الامر بالاجارة وابلاغ المامن بانهم قوم لا يعلمون
ما الاسلام فلا بد من اعطآئهم الامان حتى يسمعوا كلام الله لعلهم يعقلون
فيطيعون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام
معناه التعجب والاستنكار اي ايمكن ذلك وهم على الشرك والنكث
والغدر جاز ان يكون للمشركين خبرا وعند الله ظرف للعهد وجاز ان
يكون عند الله خبرا وكيف حال من العهد الا الذين عاهدتم عند
المسجد الحرام اي يوم الحديبية ولما كان الاستفهام معناه النفي
صلح مجيء الاستثنآء المتصل المنصوب فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم ما مصدرية ظرفية اي استقيموا لهم مدة استقامتهم ان الله يحب
المتقين والوفآء بالعهد من التقوى وهذه الاية تدل على صحة ما نقلنا
عن الاكثرين وهو ثابت عن علي رضي الله عنه كيف وان يظهروا عليكم
لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة اي كيف لهم عهد وحالهم انهم ان يغلبوا ويظفروا
عليكم لا يراعوا في شانكم قرابة ولا حلفا قيل الال الحلف والذمة العهد

ولا يرقبوا جواب الشرط يرضونكم بافواههم استيناف اى يظهرون خلاف
ما يضمرون ويقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم وتابى قلوبهم الوفآء
بما عهدوا واكثرهم فاسقون ومن فسقهم نقض عهدهم اشتروا بايات
الله استبدلوا بالقران ثمنا قليلا يعنى اشترى المشركون المامور
بقتلهم بالقران اتباع الشهوات والاهوآء ولما تركوا دين الله
وآثروا الكفر كان ذلك كالشرآء والبيع فصدوا عن سبيله اعرضوا
عن دينه او منعوا الناس عن الدخول فى دينه انهم سآء ما كانوا يعملون
عملهم هذا فالمخصوص بالذم محذوف لا يرقبون لا يحافظون فى مؤمن
الا ولا ذمة حلفا ولا عهدا فانهم يحبون الكفر واهله فسبب لمنافاة هو
الايمان واولئك المجامعون لتلك الاوصاف الذميمة هم المعتدون
المتجاوزون الحد فى الظلم ونقض العهد فان تابوا واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة فاخوانكم اى هم مع هذه الخصال الذميمة ان تابوا ورجعوا
عن الشرك وعملوا ما يدل على حقية توبتهم من الاعمال البدنية والمالية
فهم اخوانكم اقيموهم مقام الاخوان فى المحبة فى الدين ونفصل الايات
نكررها ظاهرة المعنى لقوم يعلمون يعنى لا يتامل تفصيلها الا من كان
من اهل العلم والفهم وان نكثوا ايمانهم نقضوا مواثيقهم وقوله ونفصل
الايات جملة اعتراضية بين الشرطين بعثا وتحريضا على تامل ما فصل
من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم عابوه واستنقصوه والطعن مجاز
واصله الاصابة بالرمح فقاتلوا ائمة الكفر حاصله قاتلوهم فانهم احقآء
وضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة
والتقدم فى الكفر قيل خص الائمة بالذكر لانهم هم الذين يحرضون الاتباع
على بقائهم فى الكفر انهم لا ايمان لهم لا عهود لهم لما لم يفوا بالعهد جعل عهدهم
كلا عهد وقرآءة لا ايمان بكسر الهمزة فمعناه لا اسلام لعلهم ينتهون اى
قاتلوهم لعلهم يرجعون ان لم يقتلوا ويرجع الباقون الا تقاتلون
تحريض على القتال قوما نكثوا ايمانهم اهل مكة نقضوا عهد الحديبية
وهموا باخراج الرسول كما مر فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا فاذن
الله فى الهجرة فخرج بنفسه وجاز ان يقال هم اخرجوه مجازا لانهم السبب

دهم

وهم بدؤكم بالقتال اول مرة يعنى يوم بدر فانهم خرجوا لنصرة عيرهم فلما نجت
استمروا على وجوههم طلبا للقتال بغيا وتكبرا او المراد بدؤا بالقتال مع
حلفائكم خزاعة وعلى هذا قوله وهم بدؤكم كالتفسير لقوله نكثوا ايمانهم اتخشونهم
اتتركون قتالهم خشية منهم فالله احق ان تخشوه فلا تتركون ضعفا لدينه
وتسعون فى اعلآء كلمته وحذف حرف الجر من ان اى احق من غيره بان
ان كنتم مؤمنين فان الايمان ينفى الخشية عن غير الله وهذه الاية كالتصريح
فى ان نزول تلك الايات قبل فتح مكة خلاف ما قاله محيى السنة اللهم الا ان
يقال من قوله وان نكثوا ايمانهم قبل الفتح والايات التى تقدمت بعده
ولما تقدم الحض على القتال امره به فقال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
ويخزهم وينصركم عليهم وعد بنصر المؤمنين وقتل الكافرين واذلالهم
ويشف صدور قوم مؤمنين يشمل المخاطبين وغيرهم والاصل فيه بنو خزاعة
اعانت قريش بنى بكر عليهم ويذهب غيظ قلوبهم كربها ويتوب الله على
من يشآء كابى سفيان وعكرمة بن ابى جهل وغيرهما والله عليم بما هو
كائن حكيم لا يامر الا بما هو المصلحة ام حسبتم ايها المؤمنون وام منقطعة
والهمزة للتوبيخ على الحسبان ان تتركوا ان نترككم مهملين ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولا يختبركم بامور يظهر المخلص من غيرهم نفى العلم واراد نفى
المعلوم للمبالغة نفيا للملزوم بنفى اللازم اى احسبتم ان تتركوا غير مجاهدين
فانه اذا لم يتعلق علم الله بشئ لا بد ان لا يكون ذلك الشئ لانه محال ان
يكون شئ ولم يتعلق به علم الله ولم يتخذوا عطف على جاهدوا او حال
اى جاهدوا غير متخذين وليجة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة بطانة واوليآء يفشون اليهم اسرارهم والله خبير بما تعملون
يعلم اغراضكم من اعمالكم وهذا كالمزيل لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم
الله ما كان ما استقام وما صح للمشركين ان يعمروا مساجد الله اى مسجد
كان او مسجد الحرام وجمعه لانه قبلة المساجد وعمارته مرمته عند الخراب
او الصلوة والطواف والاعتكاف فيه او اعم لما طفق على يعير العباس
حين اسر فقال تعدون مساوينا وتدعون محاسننا انا لنعمر المسجد
الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحاج ونفك العانى نزلت شاهدين على

انفسهم بالكفر يعني بالاستفهام الجمع بين عمارة بيت الله وعبادة غير الله
وشهادتهم على انفسهم هو قولهم في الطواف لبيك لا شريك لك
الا شريكا هو لك تملكه وما ملك واذا سئلوا عن دينهم قالوا نعبد اللات
والعزى حال من فاعل يعمروا اولئك حبطت اعمالهم لان الكفر يذهب
ثواب الاعمال وفي النار هم خالدون لا خلاص لهم عن عقوبات ما جنت
بها انفسهم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام
الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله في امر الدين فلا يترك الدين
خشية من زوال مال او جاه او تعيير او قتال يعني من كان متحليا بتلك
الصفات فهو اللائق بعمارة المساجد نقل الامام احمد انه قال صلى الله
عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان فعسى اولئك
ان يكونوا من المهتدين الاتيان بلفظ عسى يمكن ان يكون اشارة الى
ردع الكفار وتوبيخهم بالقطع في زعمهم انهم مهتدون فان هؤلاء مع هذه
الخصال الحميدة اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما ظنك بمن هو اضل
من البهائم الهائم واشارة ايضا الى منع المؤمنين بالاغترار والاتكال
على حسن الاعمال اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اي اهل السقاية
والعمارة قيل المصدر بمعنى اسم الفاعل اعني الساقي والعامر كمن امن
بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله وجاز ان يكون تقديره اجعلتم
السقاية والعمارة كايمان من امن بالله وجهاد من جاهد لا يستوون
عند الله بل المجاهد عند الله افضل ثم بين بقوله والله لا يهدي القوم
الظالمين ان من ليس له فضل ولا هداية من ظلم انفسه بعبادة حجر
منحوت وفي مسلم من حديث النعمان بن بشير قال كنت عند منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد
ان اسقي الحاج وقال اخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام
وقال اخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا
اصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة ولكني اذا صليت دخلت
فاستفتيت فنزلت هذه الاية الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله ممن لم يستجمع تلك

الصفات

الصفات واولئك هم الفائزون بالنجاة الكلية والظفر المطلق بالامنية
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم دائم غير
منقطع خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه جميع نعيم
الدنيا الفانية يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء اصدقاء
ان استحبوا الكفر اختاروه على الايمان لما امروا بالهجرة قال بعضهم ان
هاجرنا قطعنا آباءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا فنزلت
ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضع الموالاة مكان المعاداة
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقاربكم واموال
اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها تستطيبونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا اي انتظروا وهو
جواب الشرط حتى ياتي الله بامره هذا امر يتضمن التهديد والظاهر ان المراد
من الامر العقوبة عاجلة او اجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا
لا يرشد الخارجين عن الطاعة قيل المراد الحب الاختياري دون الطبيعي
الذي لا يدخل تحت التكليف في صحيح البخاري ان عمر قال والله لانت يا رسول
الله احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر فانت الان احب الي
من نفسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الان يا عمر لقد نصركم
الله في مواطن كثيرة المواطن مقامات الحرب كبدر وقريظة والنضير
وخيبر وفتح مكة وحنين ويوم حنين واد بين مكة والطائف وقع فيه
المقاتلة بعد فتح مكة ثم اعلم ان متعلقات الفعل لا يعطف بعضها على
بعض الا ما هو من جنسه فلا يقال صمت يوم الجمعة وفي بلدك فنقدر المضاف
وموطن يوم حنين حتى يكونا مكانين وجاز ان نقدر في الاول ونقول
في ايام مواطن حتى يكونا زمانين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين
ويوم حنين عطف على محل في مواطن لا على مواطن ولا يرد عليه شيء
فلا تخف من قعقعة سلاح الزمخشري وكان المؤمنون اثنا عشر الفا
والكفار اربعة الاف فلم تغن لم تدفع الكثرة عنكم شيئا من امر العدو
وضاقت عليكم الارض بما رحبت مع رحبتها وسعتها فما مصدرية والباء

للحال يعني لم تجد دا موضع قرار تطمئن به نفوسكم ثم وليتم فررتم مدبرين
منهزمين حتى بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه معه العباس
وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وابنه جعفر وعلي بن ابي طالب
وربيعة بن الحارث والفضل بن عباس واسامة بن زيد وايمن بن عبيد
وهو ابن ام ايمن وثبت معه ابو بكر وعمر فكانوا عشرة رجال قال
العباس نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من فر منهم واقشعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه بما مسه في الله لا يتوجع وثبتت ام سليم في جملة
من ثبت وفي يدها خنجر ثم انزل الله سكينته ما سكن واطمئن به من
رحمته على رسوله وعلى المؤمنين فنادى العباس بامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان صيتا يا عباد الله يا اصحاب الشجرة
يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا قائلين لبيك لبيك وانزل
جنودا من الملك لم تروها لكن قالوا سمعنا صلصلة بين السماء والارض
كامرار الحديد على الطست الجديد وعذب الذين كفروا بالقتل والسبي
ستة الاف اسير من صبي وصبية ونساء وذلك اشارة الى ما فعل
بهم جزاء الكافرين في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء
فان كثيرا من المقاتلين بعد الوقعة بقريب من عشرين يوما قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين فرد عليهم سبيهم برضى
المسلمين وقسم اموالهم بين الغانمين والله غفور رحيم لمن تاب فتجاوز
عنه وتفضل عليه يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس باطنهم و
دينهم فيه مبالغة ولهذا قال بعضهم هم كالكلاب والخنازير وعند
الحسن من مس مشركا فليتوضا فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
منعوا من دخول الحرم فنهي المشركين راجع الى نهي المسلمين عن
تمكينهم منه وكان سنة تسع ارسل عليا ونادى الا لا يحج بعد العام
مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وان خفتم عيلة فقرا بسبب منع
الكفار عن الحرم لانقطاع المتاجر كما اوعد بعض الكفرة اهل مكة ستلقون
من الشدة وانقطاع السبل وفقد الحمولات فسوف يغنيكم الله
من فضله ان شاء قيده بالمشية لينقطع الامال الى الله ان الله

عليم

عليم باحوالكم حكيم في المنع والاعطاء ولما بين وفصل امر المشركين من
قريش وغيره توجه الى امر اهل الكتاب فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر امر المسلمون بقتال اهل الكتاب فهم لا يؤمنون كما
ينبغي فايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله كالخمر والربوا
ولا يدينون دين الحق لا يعتقدون الدين الثابت الناسخ للاديان يقال
فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده من الذين اوتوا الكتاب
بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه وفي كمه
خلاف عن يد اي يعطونها بايديهم لا يرسلون بيد غيرهم اي مسلمين بايديهم
لذلهم او عن قهر وذل يقال لكل شي اعطي كرها اعطاه عن يد اي عاجزين
ذليلين وقيل عن غنى يقال لفلان ذات يد اي له ثروة ولذلك قيل
لا يؤخذ من الفقير وهم صاغرون ذليلون عن ابن عباس يؤخذ منه ويوجا
عنقه وقالت اليهود عزير ابن الله هذا كالدليل على جواز مقاتلتهم واليهود
لما قتلوا الانبياء بعد موسى رفع الله عنهم التورية ومحاها عن قلوبهم فخرج
عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل وعلمه التورية فاملاها عليهم
عن ظهر لسانه فلما وجدوا اشيا من التورية قابلوها فوجدوها صحيحا
فقالوا ما جمع التورية في صدره وهو غلام الا انه ابنه ومرادهم بنوة النسل
وقالت النصارى المسيح ابن الله وسبب ضلالهم ظاهر ذلك قولهم
بافواههم لا مستند لهم كالمهمل يتفوهون به ولا خفاء ان ظاهر هذا من
قبيل ابصرته بعيني وكتبته بيدي وهذا لا يناسب المقام فلذا احمل على ما
حملنا وقيل اراد بالقول المذهب كما تقول هذا قول الشافعي اي مذهبه
يعني هذا مذهبهم بافواههم لا بقلوبهم يضاهؤن اي يضاهي قولهم
قول الذين كفروا من قبل اي من قبلهم اي اسلاف المعاصرين
فالكفر فيهم قديم او المراد من الذين كفروا المشركون القائلون بان
الملائكة بنات الله قاتلهم الله دعاء عام عليهم بالاهلاك لانواع الشر
انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل على سبيل التعجب
اتخذوا احبارهم الاحبار علماء اليهود ورهبانهم عباد النصارى
الزاهدون عن الدنيا اي اتخذ اليهود احبارهم والنصارى رهبانهم

اربابا من دون الله يعني قبول طاعتهم وترك طاعة الله بمنزلة انهم جعلوهم
اربابا فان الرب هو الذي ترك طاعة غيره لاجل طاعته والمسيح بن مريم
عطف على رهبانهم فانهم قالوا هو الله او هو ابن الله وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا هو الله لا اله الا هو صفة ثانية او استينافية سبحانه عما يشركون
هو المنزه عن شريك وولد يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم مثل حالهم
في طلبهم ابطال دين الاسلام بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور منبث
في الافاق ليطفى وكنى بالافواه عن قلة حيلتهم وضعفها ولا عجب ان يكون
نفخهم سببا لمزيد الاضاءة ويابى الله ويمنع الا ان يتم نوره كانه قال لا يريد
الله شيئا الا اتمام نوره ولو كره الكافرون اتمامه والدال على جواب لو
ما قبله هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقران والمعجزة ودين الحق ليظهره
على الدين كله ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم به ليعليه على سائر الاديان
بنسخها وضمير المفعول لدين الحق او للرسول والمراد ليظهره على اهل الاديان
فيخذلهم وحينئذ الضمير للرسول ولو كره المشركون غلبته وجملة هو الذي
ارسل كالبيان للجملة الاولى التي هي يريدون ولما ذكر انهم اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا بين ما عليه كثير منهم من اشياء لا ينبغي تعظيمهم معها فضلا
عن مزيد التعظيم والتبجيل فقال يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
لياكلون اموال الناس بالباطل باخذ علماء اهل الكتاب الرشى ويبطلون
دين الله وحكمه فالاكل مستعار للاخذ لان الاكل غاية للاخذ والمقصود التحذير
منهم ويصدون عن سبيل الله يصرفون الناس عن اتباع الحق فهولاء شياطين
بسيرتهم على غير صورتهم والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يعني هولاء الاحبار والرهبان مندرجون
تحت هولاء جامعون بين الخصلتين الذميمتين اكل المال بالباطل والكنز وضمير
ينفقونها للمكنوزات الدال عليها الذهب والفضة وفي ضمن الموصول
الشرط ولهذا دخلت الفاء في خبره وقد صح عن علي بن ابي طالب وغيره
انهم قالوا اربعة الاف فما دونها نفقة فما اكثر من ذلك فهو كنز وهذا مذهب
كثير من السلف وعند بعض اخوان الكنز مال لم يود منه الزكوة فما ادى
زكوته فليس بكنز واما المدح في التقلل والذم في التكثر فاكثر من ان يحصى حتى نقل

عن عيسى

عن عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك لها ابر وابر يوم يحمى عليها
في نار جهنم يوم منصوب باليم او تقديره يعذبون يوم واصله تحمى النار
عليها فلما حذف المفعول الذي لم يسم فاعله واسند الفعل الى الجار
والمجرور لم يلحق التاء اي توقد ذات حمى وحر شديد على الكنوز ثم طوى
ذكر النار وحول الاسناد للمبالغة في شدة حر الكنوز فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم لا يوضع دينار على دينار بل يوسع جلده رواه الحافظ
ابو يعلى قيل صاحب الكنز اذا راى الفقير قبض جبهته وولى ظهره واعرض
عنه كشحه ولهذا اخص الجباه والجنوب والظهور هذا ما كنزتم لانفسكم اي يقال
لهم ذلك تقريعا يعني كنزتم لنفعكم فصار ضركم فذوقوا ما كنتم تكنزون
لما ذكر انهم ياكلون اموال الناس فقوله فذوقوا في غاية الملايمة والاكثرون
على ان الاية عامة لا خاصة باهل الكتاب وحلف على عمومه ابو ذر حين
يدعي معاوية بن ابي سفيان ان الاية في شان اهل الكتاب لا فينا
ولما عد انواعا من قبايح الكفار والنسي من قبايحهم عده في جنبها فقال
ان عدة الشهور مبلغ عددها عند الله متعلق بعدة فانها مصدر اثنا
عشر شهرا لا ازيد من ذلك كما يفعله المشركون ويجي بيانه في كتاب
الله في اللوح المحفوظ صفة لاثني عشر يوم خلق السموات والارض
اي ثابت في كتابه يوم خلق الاجرام فيوم متعلق بمتعلق في كتاب
الله منها اربعة حرم رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ذلك الدين
القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين الانبياء فلا تظلموا
فيهن انفسكم بهتك حرمتها فان الظلم فيها اعظم وزرا فيما سواها والطاعة
فيها اجل ثوابا واجرا قال صاحب البحر الشهور جمع كثرة واعاد الضمير اليها
كما عادته على الواحدة المونثة فقال منها والاربعة الحرم للقلة فعاد الضمير
عليها بالنون تقول العرب الجذوع انكسرت لانه جمع كثرة والاجذاع
انكسرن لانه جمع قلة اختلف العلماء في تحريم ابتداء القتال في الشهر
الحرام هل هو منسوخ او محكم على قولين اشهرهما انه منسوخ وعند من
يكون محكما جازت المقاتلة اذا كانت البداءة منهم واجابوا عن محاربة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الطائف بان ابتداءه في الشهر

الحلال واستمر الى الحرام وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
بمعنى جميعا نصب على الحال من الفاعل قيل فيه نسخ لاشهر الحرم وقيل
ليس فيه الا تهييج وتخصيص للمسلمين بالاتفاق في محاربة اهل الشرك
والنفاق واعلموا ان الله مع المتقين فيه بشارة بالنصرة بعد ما امرهم
بالمقاتلة انما النسئ هو تاخير تحريم شهر الى شهر آخر وذلك لانه اذا جاء
شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا بدله شهرا من اشهر الحل حتى
رفضوا خصوص الاشهر الحرم واعتبروا مجرد العدد زيادة في الكفر فان
تحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه كفر ضموه الى كفرهم قد كان جنادة بن
عوف الكناني يقوم على جمل في الموسم ينادي ان آلهتكم قد احلت لكم
المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه يضل به اي بالنسئ الذين كفروا اضلالا على ضلال يحلونه اي
النسئ من الاشهر الحرم عاما ويحرمون بدله شهرا آخر ويحرمونه عاما اذا قاتلوا
فيه احلوه واذا لم يقاتلوا فيه حرموه ليواطئوا متعلق بما دل عليه السياق
وهو يحرمون بدله كما قدرنا عدة ما حرم الله اي ليحفظوا في كل عام اربعة
اشهر في العدد وبمثابة افطار رمضان وصوم شهر من السنة بغير سفر
ومرض فيحلوا ما حرم الله فانهم لم يحرموا الشهر الحرام بل وافقوا في العدد
وحده وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر او اربعة عشر
ليتسع لهم الوقت ولذلك قال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر
شهرا زين لهم سوء اعمالهم فان الشيطان يغويهم والله لا يهدي القوم
الكافرين لا يهدي من هو كافر ثابت الكفر في علم الله وكانت العرب
لا عيش لاكثرهم الا من الغارات واعمال السلاح وهم يدعون انا
على دين ابرهيم وكانت اذا توالت عليهم الثلثة الحرم صعب عليهم
وكان فيهم من بين دينهم فهو الذي شرع لهم النسئ وبقي فيهم الى زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضل فيهم ذو الحجة واما ان سنة
حج فيها ابو بكر هي في ذي القعدة فليس بشئ وان قاله بعض المورخين
لانه نودي في حج ابي بكر بتحريم النسئ وغيره من امور الجاهلية وايضا
لما مضى من حجه عشرة اشهر وكان الحادي عشر في اواخره سار صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم الى الحج موافيا لهلال ذي الحجة فلما وقف بعرفة اخبر ان الزمان
قد استدار فعلم قطعا ان استدارته كانت في حجة ابي بكر ولما امرهم
وهيجهم وشجعهم على القتال كافة وهم لم يبادروا وتثاقلوا وقعوا موقع
العتاب فقال يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم الاستفهام انكاري
تقريعي واذا ظرف لمتعلق لكم والقائل هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يذكر اغلاظا ومخاشنة لهم وصونا عن ذكره اذ خولف
امره انفروا اخرجوا من بيوتكم في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ماض
بمعنى المضارع وهو في موضع الحال اي ما لكم تتثاقلون اذا قيل لكم انفروا
تميلون الى شهوات الارض او ملتم الى الاقامة بارضكم وكرهتم مشاق
السفر والتعدي بالى لتضمين معنى الميل نزلت لما امروا بغزوة تبوك
في شدة الحر وقد طابت الثمار وكان ذلك بعد الرجوع من فتح مكة
والطائف سنة تسع من الهجرة ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة
فيه الانكار والتعجب اي ارضيتم بنعيم الدنيا بدل نعيم الاخرة فمن مثل
لا ينفع ذا الجد منك الجد اي بدلك فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة
اي ما التمتع بها في جنبها الا قليل فان ما في الاخرة باق والا تنفروا
شرطية يعذبكم عذابا اليما في الدنيا والاخرة ويستبدل قوما غيركم
يات بدلكم قوما آخرين مطيعين بعد هلاككم ولا تضروه اي الله شيئا
بالتثاقل فانه هو الناصر لدينه او لا تضروا رسول الله وقوله الا تنصروه
مؤيد لهذا وشيئا مفعول مطلق والله على كل شئ قدير فيقدر على تبديلكم
ونصرته من غير اعانتكم الا تنصروه فقد نصره الله جواب الشرط محذوف
والمذكور بمنزلة العلة له لان المذكور ماض محض اي ان لا تنصروه
فسينصره الله كما نصره في وقت اصعب من ذلك اذ اخرجه الذين
كفروا حاصله انه سينصره كما نصره اذ تسببوا لخروجه ثاني اثنين
حال كونه احد اثنين هو وابو بكر اذ هما في الغار في جبل ثور وهو بدل
من اذ اخرجه والمراد زمان متسع وهذا بعضه اذ يقول لصاحبه
ابي بكر حين طلع الكفار فوق الغار يطلبونهما واذ بدل آخر لا تحزن ان
الله معنا بالعصمة والنصر قال ابو بكر يا رسول الله ان قتلت فانا رجل

واحد وان قتلت هلكت الامة وذهب دين الله فقال صلى الله عليه
وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما ومن تلك الاية قال العلماء من انكر
صحبة ابي بكر فقد كفر فانزل الله سكينته امنته عليه اي نجده وامنته على
رسوله وعن ابن عباس الضمير لابي بكر لانه صاحب رعب وايده اي ايد
رسوله وهذا يؤيد الوجه الاول في مرجع الضمير قيل اذا كان ضمير عليه لابي بكر
فقوله وايده عطف على نصره بجنود لم تروها من الملك لحراسته وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا كلمة الشرك السفلى مقهورة
مخفوضة وكلمة التوحيد لها اعلاء والله عزيز حكيم في امره وتدبيره لما
توعد من لا ينفر معه وضرب له من الامثال اتبعه بالامر الجازم فقال
انفروا الى جهاد تبوك خفافا وثقالا اي على الوصف الذي يخف عليكم
السفر والجهاد او على الوصف الذي يثقل مستعار لمن سهل عليه وصعب
وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم اي الجهاد بالاموال
والانفس خير لكم من التثاقل الى الارض ان كنتم تعلمون فمن لم يكن
من اهل العلم لا يصدق بالخيرية ويختار هوى النفس قيل لما نزلت
اشتد شانها على الناس فنسخها الله اي خصها بقوله ليس على الضعفاء
ولا على المرضى الاية لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه
نفعا وغنيمة دنيوية قريبة وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك وافقوك
ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة فانه صلوات الله
وسلامه عليه خرج بنية الروم وسيحلفون بالله اخبار عما سيقع فهو
المعجزة اي اذا رجعت من تبوك يحلفون عذرا للتخلف يقولون
لو استطعنا استطاعة بدن ومال لخرجنا معكم لاهل النحو في هذا المقام بحثان
احدهما ان قوله لخرجنا جواب القسم وجواب لو محذوف والثاني
انه جواب لو وجواب القسم هو لو مع جوابه يهلكون انفسهم اي يوقعونها
في الهلاك بالحلف الكاذب جملة مستانفة واخبار منه سبحانه وباقي
الاعرابات تمحلات والله يعلم انهم لكاذبون فانهم مستطيعون عفا
الله عنك في اذنهم للتخلف اي خطاك بدأ بالعفو قبل التعيير بالذنب
لنهاية العناية قيل الجملة دعائية وليس هذا ببعيد من فصاحة القران

لم اذنت لهم

لم اذنت لهم اللام الاولى للتعليل والثانية للتبليغ وجاز تعلقهما باذنت
لاختلاف معنييهما يعني لما اذنت لهم في القعود وهلا توقفت حتى
يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار فتاذن لهم وتعلم الكاذبين
فلا ترخصهم في التخلف لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم
الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين
الاستيذان في مرافقتك للجهاد فان المخلص الخلص اذا توجه سلطانه
وسيده الى سفر سيما الى حرب لا يخطر بباله التخلف بل يسرع الى التجهز
فلا يستاذن والله عليم بالمتقين فيجازيهم على حسب تقويهم ومن
تقويهم اسراعهم في القربات انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون فتارة يخطر لهم
صحة دين الاسلام ومرة يخطر لهم خلاف ذلك وما الاستيذان الا علامة
تحيرهم وارادة تخلفهم ولو ارادوا الخروج معك لاعدوا له للسفر
عدة من الزاد والركوب فانهم اهل ثروة ولكن كره الله انبعاثهم
فثبطهم يعني ما خرجوا ولكن تثبطوا لان الله ابغض مرافقتهم معك
فحبسهم ومنعهم عن الخروج فملخصه ان نفي ارادتهم الخروج يستلزم نفي
خروجهم وكراهة الله انبعاثهم تستلزم تثبطهم عن الخروج فيؤول حاصله
الى ما ذكرنا وهو في غاية الانتظام ولكن لا يقع الا بين نقيضين او ضدين
او خلافين وقيل اقعدوا في بيوتكم مع القاعدين الذين لهم عذر مع
النساء والصبيان وهذا تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوب
المنافقين ولا قول هناك وقيل هذا قول بعضهم لبعض فعلم ان
صلاح المؤمنين في تخلفهم وعتاب الله لمبادرة الاذن في التخلف
فيكون هذا من باب التاديب لحبيبه صلى الله عليه وسلم لو خرجوا
فيكم بين وجه كراهته ما زادوكم الا خبالا اي ما زادوكم شيئا الا الفساد
ولا يلزم من هذا ان يكون لهم فساد فزادوه وان جاز ذلك فان المنافقين
بعضهم مع المؤمنين في السفر ولا وضعوا خلالكم لاسرعوا ركائبهم في
وسطكم من وضع البعير اسرع فمفعول اوضعوا محذوف هو ركائبهم
يبغونكم الفتنة يريدون من الوضع في خلالكم ان يفتنوكم بايقاع الخلاف

فيكم فانهم نماموں حرفتهم النميمة وفيكم سماعون لهم مطيعون مستجيبون
لحديثهم قيل معناه سماعون لهم الاخبار لينقلوها اليهم والله عليم بالظالمين
فيجازيهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعني الف دعادتهم القديمة وشيمتهم
المستمرة فانهم حين قدمت المدينة شرعوا في تفريق اصحابك وتشتيت
امرك رموك عن قوس واحد وقلبوا لك الامور دبروا لك الحيل
ظهر البطن حتى جاء الحق التأييد الالهي وظهر امر الله علا كلمته وهم كارهون
كما قال الملعون ابن سلول رأس المنافقين حين سمع وقعة بدر هذا
امر قد توجه ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني اي ومن المنافقين
من يقول رخصني في القعود ولا تفتني لا توقعني في فتنة بنات الاصفر
فانه قال صلى الله عليه وسلم لهذا المنافق هل لك في جهاد بني الاصفر
يعني الروم فقال لنفاقه والله اني اخشى ان رايت نساءهم لا اصبر
عنهن فرخصني في القعود ولكني اعينك بمالي وقيل معناه لا توقعني
في الاثم بان لا تاذن لي فاني اتخلف الا في الفتنة سقطوا بسبب
تخلفهم عنك سقطوا في نار جهنم وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة
لهم يوم القيمة او الان لاحاطة اسبابها بهم لا مهرب ولا محيص
وقوله بالكافرين اما من باب وضع المظهر موضع المضمر او للشمول
ان تصبك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لانهم اعداء الدين وان تصبك
مصيبة مكروه كما اصابك يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل
ويتولوا وهم فرحون اي امرنا من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم في التخلف
عن الغزو ويتولوا عن مقام التحدث معرضين عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهم فرحون بما نالكم من المكروه وبحذرهم قل لن
يصيبنا الا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ هو مولانا سيدنا ومتولينا
ما قدر لنا فنحن راضون منقادون لرضاه وعلى الله فليتوكل المومنون
لا على كثرة وعدد وعدد قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
تنتظرون في شاننا اما النصرة في الحرب على اعداء الله او الشهادة
الدرجة العليا عند الله ونحن نتربص بكم احدى المصيبتين ان يصيبكم
الله بعذاب من عنده بلاء من السماء كما نزلت بعاد وثمود او بايدينا

او بعذاب

او بعذاب بايدينا كالاسر والقتل فتربصوا انتظروا احدى الحسنيين لنا
انا معكم متربصون احدى المصيبتين لكم وقوله معكم يحتمل المعية في الانتظار
والمعية في المكان قل انفقوا طوعا او كرها طائعين او مكرهين لن يتقبل
منكم امر في معنى الخبر يعني لن يتقبل الله منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها
كما قال ذلك المنافق لكني اعينك بمالي انكم كنتم قوما فاسقين تعليل
لعدم قبول نفقاتهم على سبيل الاستيناف وما منعهم ان تقبل منهم
نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله قوله الا انهم فاعل منع اي الا كفرهم
ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين والواو للحال والكسل في الصلوة
وعدم الاشتراط اليها من ثمرات الكفر ولا ينفقون الا وهم كارهون
لانهم لا يرجون ولا يأملون لها ثوابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
فانها لهم استدراج ووبال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
بالتعب في جمعها والوجل في حفظها والشدائد في فوتها فهي لهم في الدنيا
عذاب وللمومنين في انفاقها لنفسه وعياله وفي سبيل الله اجر مدخر
وثواب وتزهق انفسهم وهم كافرون اي يموتوا كافرين مشتغلين
بصعوبة فراق مستلذاتهم من اولادهم واموالهم مبغضين لمن يسلب
منهم ما لهم من قرة اعينهم ويحلفون بالله انهم لمنكم من اهل دينكم
وما هم منكم فانهم منافقون لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ولكنهم قوم يفرقون
يخافون من الفريقين المسلمين والكافرين او يخافون المسلمين لو يجدون
ملجا او مغارات او مدخلا حصنا يلجؤون اليه او غيرانا في الجبال او نفقا
ينجحرون فيه كنفق اليربوع لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون
اسراعا لا يردهم شيء يعني لو وجدوا مهربا منكم اي مهرب لفروا اليه لضيقهم
في ايديكم لانهم مع الكفرة في نفس الامر ولا بد لهم من رعاية جوانبكم لئلا تعلموا
انهم منهم لا منكم ولما جاء باو عاد الضمير في اليه مفردا على قاعدة العربية
وعوده الى المغارات بالتاويل لتذكير الضمير ومنهم من يلمزك في
الصدقات اي يعيبك في قسمتها فان اعطوا منها رضوا عن
العطاء لا عن المعطي وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون الترديد بين
الشرطين دال على دناءة طباعهم ونجاسة اخلاقهم ولمزهم لشرههم

في تحصيل الدنيا الدنية ورضاهم وسخطهم في الاعطاء والمنع وما احسن مجيء
هذين الشرطين وجوابهما فان الاول لا يلزم ان يقارن الرضا ولا ان يعقبه
واما جواب الثاني فجاء باذا الفجائية فلم يمكن تاخره لما جبلوا عليه من محبة المال
والفجائية هي الرابطة لجواب الجزاء بجملة الشرط قال صاحب البحر لا يحفظ
انه جاءت اذا جوابا للشرط الا وحرف الشرط ان على كثرة تتبعي لدواوين
العرب نزلت في منافق اسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة قد قتله
علي بن ابي طالب حين قاتل الخوارج قال اعدل في القسمة فقال صلى الله
عليه وسلم قد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل ولو انهم رضوا ما آتاهم
الله ورسوله من الغنيمة والصدقة ولما كان فعل الرسول بامر الله
اتى بلفظ الله وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا قدر ان حسبنا بمعنى
اسم الفاعل فلا يصير بالاضافة معرفة لانه يقع صفة للنكرة سيؤتينا
الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون في ان يوسع علينا من جوده
وكرمه وجواب لو محذوف مثل لكان في دينهم ودنياهم كذا مما لا يحيط به الكلام
ولما جاء ذكر الصدقات ومن يعيب الرسول فيها بين مصرفها فقال
انما الصدقات للفقراء الزكوة لهؤلاء لا لغيرهم والفقير المستضعف
الذي لا يسئل وعند الشافعي من لا مال ولا كسب له يقع موقعا من حاجته
والمساكين المستضعف الذي يسأل وعنده من له مال وكسب لكن لا يكفيه
والعاملين عليها الساعين في تحصيلها غنيا او فقيرا والمؤلفة قلوبهم
هم اقسام منهم من يعطى ليحسن اسلامه ويثبت قلبه ومنهم من يعطى رجاء
اسلامه عند علانية محبته للاسلام ومنهم من يعطى لاسلام نظرائهم واتباعهم
ومنهم من يعطى لياخذ الزكوة ممن يليه او ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر
من اطراف البلاد قال كثير من العلماء سهم المؤلفة مطلقا الآن حين
اعز الله الاسلام ساقط وقال بعض باق الى الابد وفي الرقاب اي للصرف
في فكها باعانة المكاتب على اداء نجومه او باشتراء الرقاب للعتق والعدول
عن اللام اشارة الى ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب والغارمين المديونين
ان صرفه في غير معصيته وتفصيله في كتب الفقه وفي سبيل الله الغزاة
الذين لا حق لهم في الديوان وان كانوا اغنياء قال بعضهم والحجاج ايضا

وابن السبيل

وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله وان كان له مال في بلده
فريضة من الله اي فرض لهم فريضة فنصبه على انه مصدر فعل محذوف
وجاز ان يكون مصدرا مؤكدا لنفسه فان قوله الصدقات للفقراء
دال على فرضيتها والله عليم حكيم يضع الامور في مواضعها قيل الاربعة
الاول ملاك لما يدفع اليهم والاربعة الاخر انما يصرف المال في
مصالح تتعلق بهم ولفظة في انسب والغارمين وابن السبيل مجردان
عن الحرف لكن لفظة في اقرب ثم اعلم ان اكثر السلف على عدم وجوب
استيعاب الاصناف الثمانية بل يجوز الدفع الى واحد منها ويكون
هذا من قبيل انما الخلافة للعلوية والعباسية وغيرهم من اصناف
قريش وفيه بحث لان الخليفة لا يتعدد ولما استطرد في اثناء مثالب
المنافقين ذكر الصدقات وبين مصرفها رجع الى ما هو في صدده
فقال ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يقال رجل
اذن اذا كان سماعا الكلام كل احد يستوي فيه الواحد والجمع نزلت حين
كانوا يقولون ما لا ينبغي في شانه فقيل لهم لا تقولوا ربما يبلغه قولكم
فقالوا لا نبالي ان محمدا اذن ان انكرنا وحلفنا يصدقنا قل اذن خير لكم
كانه قال نعم اذن لكن هو اذن خير يسمع الخير ويقبله لا اذن شر فلا طعن
ولا ذم بفطنته وشهامته صلى الله عليه وسلم ثم فسر ذلك بقوله يؤمن
بالله اي يصدق نحو ما انت بمؤمن لنا صفة لاذن خير ويؤمن للمؤمنين
يسلم لهم اقوالهم لكونهم صادقين نحو وما آمن لموسى ورحمة اي وهو رحمة
وقراءة جرها لعطفها على خير للذين آمنوا منكم وحجة على الكافرين او خص
المؤمنين وان كان رحمة للعالمين لان ما حصل لهم بسببه لم يحصل
لغيرهم والذين يؤذون رسول الله باي نوع من الاذية لهم عذاب
اليم لم يات بالضمير ليجمع له بين الرتبتين الجليلتين النبوة والرسالة
واضافته زيادة في تشريفه يحلفون بالله لكم على مدعاهم من غير تكليف
ليرضوكم بيمينهم قالوا ان كان قوله حقا فنحن شر من حمير ثم حلفوا ان المبلغ
كذاب والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين صدقا اي
يرضوه بالطاعة والوفاق فان رضاء الله بالقول الكاذب محال

وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين فجعلهما في حكم واحد نحو بها العينان تنهل
الم يعلموا انه ان الشان من يحادد الله ورسوله يشاقق ويخالف فان له
نار جهنم من شرطية مبتدأ ويحادد مجزوم خبر لمن والفاء داخلة في جواب
الشرط تقديره فجزاءه كينونة النار له ينسبك من ان وما بعدها مصدر
هو خبر لمبتدأ محذوف كما قدرنا واما ان ان تاكيد لانه فليس بشئ لانه لو كان
تكرارا وتاكيدا لا ينفرد بعمل وهنا منفرد بالعمل الذي هو نصب نار خالدا فيها
ذلك الخزي العظيم الذل والفضيحة العظيمة يحذر المنافقون ان تنزل عليهم
على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم اي تخبرهم بما فيها من الكفر والعداوة
وتهتك استارهم ان تنزل مفعول يحذر فانه متعد قالوا ان هذا الرجل
يرجو فتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات ويضحكون واما ان يحذر
بمعنى ليحذر فبعيد لقوله ان الله مخرج ما تحذرون قل استهزءوا امر للتهديد
ان الله مخرج مظهر مبرز ما تحذرون ظهوره ولئن سألتهم ليقولن انما كنا
نخوض ونلعب لما عتبهم رسول الله في قولهم هيهات هيهات حلفوا
ان لسنا في شئ من امرك لكنا نخوض فيما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا
على بعض طول السفر وليقطع الطريق بالحديث واللعب وقد اخبر الله
رسوله بما هم كانوا عليه قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون ضمنه
الوعيد ولم يعبأ باعتذارهم لكذبهم فجعلوا كانهم معترفون بالاستهزاء
وقد صدر منهم لكن افتروا في موقع السخرية فوبخهم وتقديم بالله وهو معمول
خبر كان عليها دال على جواز تقديمه عليها وفصاحتها لا تعتذروا
فقد اخبرني ربي بكذبه قد كفرتم اظهرتم الكفر بما قلتم وان كان فيما بينكم
بعد ايمانكم بعد ما اظهرتم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم
وانابتهم نعذب طائفة منكم بانهم كانوا مجرمين مصرين على نفاقهم
او نقول كما قالوا ان المنافقين صنفان صنف امر بجهادهم وهم رؤساوهم
وهم المعلنون بالاراجيف قال الله جاهد الكفار والمنافقين وهم
الذين اخرجوا من المسجد وصنف ضعفة وان ابطنوا الكفر لكن لم يوذوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفي عنهم وعلى هذا العذاب والعفو
في الدنيا المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض على دين وطريق

واحد

واحدا اي بعضهم مشابه ومتقارب من بعض كابعاض الشئ الواحد اراد
تكذيبهم في انهم يحلفون انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل
على اتحادهم ومضادة حالهم حال المؤمنين فقال يامرون بالمنكر
وينهون عن المعروف يامرون بالكفر ومعصية الرسول وينهون عن
الايمان وطاعة الله جاء بجمع المذكر اما تغليبا او لان الامر والنهي ليسا
الا للرجال ويقبضون ايديهم عن الانفاق في سبيل الله بان ينصح
بعضهم بعضا بترك الانفاق او كل يقبض يد نفسه يعني تركوا ذلك
كانهم قبضوا ايديهم نسوا الله اشتغلوا بدنياهم فنسيهم تركهم من لطفه
وانعامه ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد وعد الله
المنافقين والمنافقات لما ذكر ان رجالهم ونساءهم كبدن واحد
فالجزاء مترتب على البدن والكفار الخلص نار جهنم خالدين مقدرين
للخلود فيها هي اي النار حسبهم كافيهم جزاء على نفاقهم ولعنهم الله علاوة
تربو على الاوقار ولهم عذاب مقيم لا يعتادون بالنار فعذابهم دائم
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب كالذين اي
انتم مثل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا
بخلاقهم بدينهم وطريقهم ونصيبهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من
قبلكم بخلاقهم في لكم وفعلكم كفعلهم القبيح بين بقوله فاستمتعوا قباحة طريقهم
ثم شبههم بهم حذو النعل بالنعل كما تقول انت مثل فلان كان يقتل ويفسق
وانت تفعل مثل ما يفعل بعينه فلا تكرار ولا استغناء وخضتم في اباطيلكم
كالذي خاضوا كالخوض الذي او كالفوج الذي اولئك الذين هم اشد
قوة واكثر اموالا واولادا حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لم يستحقوا جزاء
لان اعمالهم غير مرضية لنا فانتم الذين مثلهم ايضا محبوط الاعمال في الدارين
واولئك هم الخاسرون دينهم ودنياهم الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم
استفهام انكار يعني جاء نبؤهم فلم يعتبروا احتى تشبهوا بهم قوم نوح
اهلكوا بالطوفان وعاد بالريح وثمود بالصيحة وقوم ابرهيم بسلب النعمة
وهلاك ملكهم نمرود ببعوض واصحاب مدين قوم شعيب بالنار يوم
الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم وانقلبت فصارت

عاليها سافلها اتتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الظاهرات فكذبوهم
فاخذوا بتعجيل النقمة وسلبوا عنهم التمتع والنعمة فما كان الله ليظلمهم بالمعاقبة
من غير جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بتكذيب رسلهم المظهرين للبينات
صدقهم فاستحقوا عذاب الله ولما ذكر المنافقين والمنافقات واحوالهم
في الدارين تعرض في مقابلتهم لحال اضدادهم فقال والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض يتناصرون ويتعاضدون ولا ولاية ولا شفاعة
للمنافقين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله عطف العام على الخاص اولئك
سيرحمهم الله السين في الاثبات مقابلة لن في النفي فقد يتمحض للتاكيد
من غير قصد الى معنى الاستقبال ان الله عزيز غالب حكيم واضع الاشياء
في مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات في مقابلة الوعيد للمنافقين
ومن هنا علم صدق من يقول الوعيد خاص والوعد عام جنات تجري
من تحتها تحت غرفها واشجارها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة من
انواع الجواهر في جنات عدن وقد ورد نقله ابن جرير وابن ابي حاتم
عنه صلى الله عليه وسلم ان العدن دار الله التي لم ترها عين ولم يخطر على
قلب بشر وقيل اعلى درجة فيها وقيل نهر فيها جناته على حافتيه ورضوان
من الله اكبر اي شيء من رضاه اعظم واعز من جميع ذلك او مما يوصف
فان رضى الله هو المبدأ لكل سعادة وهو المؤدي الى الحسنى والزيادة ومثل هذا
المبتدأ جاز تنكيره كالكوكب انقض الساعة مع انه خص بقوله من الله ذلك
اي جميع ما تقدم او الرضوان هو الفوز العظيم ولما كان في قوله سيرحمهم الله
اجمال فصله بقوله وعد الله ولما بين مخالب الكفار ومقابح المنافقين
خاطب رسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم بقوله يا ايها النبي جاهد
الكفار والمنافقين بالسيف والسنان ان ظهر نفاقهم قال ابن عباس
جاهد الكفار بالسنان والمنافقين باللسان واغلظ عليهم من غير مساهلة
ولا مسامحة ومأويهم جهنم الاول منك والثاني منا وبئس المصير جهنم ولما
امر نبيه بالجهاد والغلظة على الكافر والمنافق وان مرجعهم ومنزلهم جهنم
بعد بعض مساويهم ليعلم اسباب شقاوتهم فيحترز عنه وقال يحلفون

بالله

بالله ما قالوا في قولهم الذي حلفوا على عدم صدوره عنهم خلاف فقيل كان
رجل ازرق طلع حين كان صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة فعاتبه
رسول الله وقال علام تشتمني انت واصحابك فانطلق وجاء باصحابه
وحلفوا انهم ما قالوه وقد نقل غير ذلك ولقد قالوا كلمة الكفر سبه وتكذيبه
وكفروا بعد اسلامهم ظهر منهم الكفر بعد ان اظهروا الايمان وهموا بما لم ينالوا
من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة التي بطريق تبوك
او من ان يضعوا على رأس ابن سلول تاجا يباهي به رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما قال تعالى لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
وما نقموا ما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله حاصله
انهم جعلوا الشكاية موضع الشكر فانه ما للرسول عندهم ذنب الا ان الله
اغناهم ببركته بعد ما كانوا في ضنك من العيش وضيق فان يتوبوا
عن عداوة نبينا وعن ذكر ما ليس فيه من المساوي يك التوب خيرا لهم
فيه احسان جليل حين فتح لهم باب الانابة بعد ارتكاب الجرائم العظيمة
حتى لا يياس من روح الله ورحمته مذنب وان يتولوا عن التوبة
واصروا على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة وما لهم
في الارض من ولي ولا نصير ينجيهم من عذاب الدنيا وقوله في الارض للاحاطة
والتعميم فلم يكن لهم ولي ولا نصير بطريق الاولى في الاخرة ومنهم من عاهد
الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين جاء منهم
احد والتمس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء في كثرة المال
وعهد بالتصدق منه فلما رزق غنما تضيق بها المدينة وطلب منه الزكوة
قال ما هذا الا اخت الجزية فابى فلما نزلت الاية جاء بالمال فما قبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعل التراب يحثو على راسه حين سمع من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله منعني من ان اقبل منك فما قبل منه
ايضا ابو بكر ولا عمر وهلك في خلافة عثمان فلما اتاهم من فضله جمع الضمير
باعتبار معنى من فانه شخص له تبع بخلوا به وتولوا عن طاعة الله وهم
معرضون قوم عادتهم الاعراض فاعقبهم اورثهم الله وجعل عاقبة فعلهم
نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يوم يلقون الله بالموت فيه

بما اخلفوا الله ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون
فان خلف الوعد قبيح من وجهين الاخلاف والكذب او لهم كذبات اخر
الم يعلموا ان الله يعلم سرهم من ابطان النفاق والعزم على اخلاف
الوعد ونجويهم ما يتناجون به فيما بينهم من مطاعن الدين وتسمية الصدقة
جزية والهمزة للتوبيخ والتقريع والتقسيم في السر والنجوى للاحاطة وان
الله علام الغيوب فكيف بالشهود فلا يخفى عليه شيء الذين يلمزون
يعيبون رفع او نصب بالذم وقيل بدل من ضمير سرهم المطوعين
من المومنين في الصدقات المتطوعين لما حث رسول الله صلى
الله عليه وسلم المومنين على التصدق جاء بعضهم بثلث ماله وبعضهم
بنصفه والفقراء منهم ما جاؤا الا بقليل فعابهم المنافقون وقالوا
من اكثر فهو مراء ومن اقل فما هو الا لمن يعد في الاكابر ويذكر بنفسه
ليعطى من الصدقات والذين عطف على المطوعين لا يجدون الا جهدهم
طاقتهم يعني عابوا الاغنياء والفقراء فيسخرون منهم يستهزؤن بالفقراء
لقلة ما جاؤا به سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم بان اذلهم ولهم عذاب
اليم في الاخرة قوله فيسخرون عطف على يلمزون وقوله سخر الله منهم
خبر عن الذين يلمزون استغفر لهم او لا تستغفر لهم ساوى استغفاره
في شانهم وعدمه في عدم الافادة فالامر بمعنى الخبر نحو اجلس الحسن او ابن سيرين
ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم المراد من السبعين الكثرة
لا العدد المعين نقل ابن جرير وابن ابي حاتم وغيرهما انه صلى الله
عليه وسلم قال لما نزلت ان الله قد رخص لي فازيدن على السبعين
لعله يغفر لهم حرصا على غفرانهم فنزل سواء عليهم استغفرت لهم ام
لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وهو من باب حمل اللفظ على ما يحتمله
من المعنى مع العلم بانه غير مراده لقول القبعثرى مثل الامير يحمل على
الادهم والاشهب في جواب الحجاج لاحملنك على الادهم اي السلسلة
وحاصل الكلام ان الكرام لا يرضون الا بصدق مقالهم في كل حال
فحين خاطبه بقوله لاحملنك على الادهم وقصد السلسلة تجاهل
تجاهل العارف وقال مثل الامير الى اخره فان الادهم يطلق ايضا

على الفرس

على الفرس الادهم وزاد عليه الاشهب ليتعين مقصوده فاراد ان صدق
الكلام حاصل ان حملنا على الفرس ايضا فتفضل على بهذا وتجاوز عن القصد
الاولى كذلك سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله يعني صدقتها
اما بحمل السبعين على الكثرة الغير المحصورة التي هي المراد واما بحمله على العدد
المعين المحصور فتفضل على بان تجاوز عن الاول وتنزله على الثاني محتملا
منعما وهذا توجيه وجيه ما حام حوله احد من العلماء ذلك اي عدم قبول
الاستغفار بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين
المتمردين في الكفر لانهم مطبوعون عليه فعدم قبول دعائك لا لبخل منا
ولا لقصور فيك فرح المخلفون بمقعدهم بقعودهم عن الغزو فالمقعد
هنا مصدر خلاف رسول الله اي خلفه فنصبه على الظرف يقال اقام
خلاف الحي اي بعده ظعنوا ولم يظعن وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله وقالوا اي قال بعضهم لبعض او قالوا للمومنين
لا تنفروا الغزوة تبوك في الحر قل نار جهنم اشد حرا وقد اخترتموها بهذه المخالفة
لو كانوا يفقهون انها كيف هي ومصيرهم اليها فليضحكوا قليلا عن
ابن عباس المراد من القليل ايام الدنيا وليبكوا بكاء كثيرا اخرجه على لفظ الامر
والمراد يضحكون في الدنيا وسيبكون ابد الاباد في نار جهنم او المراد انهم احقاء
بقلة الضحك وكثرة البكاء لو يعلمون مصيرهم وما لهم جزاء بما كانوا يكسبون
وهذا على الوجه الاول الصق ونصب جزاء بانه مفعول له ليبكوا فان رجعك
الله الى طائفة منهم من المخلفين يعني ان وصلت الى المدينة وفيها طائفة
منهم وليس كل من تخلف عن تبوك منافقا فاستاذنوك للخروج الى
غزوة اخرى عطف على مقدر اي فاردت الخروج بعد الرجوع فقل لن
تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا عقوبة لهم واظهارا للدناءة منزلتهم
وسوء حالهم واكد نفي الخروج في المستقبل بقوله ابدا وهو ظرف مستقبل وانتقل
بالنفي من الشاق الى الاشق وهو قتال العدو فانه اعظم الجهاد وثمرته وموضع
بارقة السيوف التي تحتها الجنة وقوله فقل جواب الشرط انكم رضيتم بالقعود
جملة مستانفة كانهم قالوا لم لا نخرج معك فقال لانكم رضيتم بالقعود اول
مرة هو الخرجة الى تبوك فاقعدوا حينئذ اي اقيموا في دياركم مع الخالفين

مع الزمنى والمرضى والصبيان والنساء ولا تصل على احد منهم مات ابدا
لا تصل صلوة الجنازة ولا تستغفر والموت على الكفر موت ابدي فان
احياءه للتعذيب اسوء من الموت فكانه لم يحي ومنهم ومات كلاهما
صفتان لاحد ومات ماض بمعنى تقدم الموت عليه في ذلك الحال
ولا تقم على قبره لا تقف تستغفر قيل لا تتول دفنه انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي كان صلوات الله وسلامه عليه يصلي
على المنافقين ويقوم على قبورهم حتى مات ابي بن سلول وتقدم ليصلي
قام عمر بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والقبلة ثم جاءه جبرئيل وجبذه
بثوبه وتلا عليه قول الله ولا تصل على احد منهم الاية ولا تعجبك اموالهم
واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم
كافرون تقدم نظيرها بجروفها ثم ذكرها لان تجدد النزول له شان الابصار
طامحة على الاموال فناسب التحذير مرة بعد اخرى واذا انزلت سورة
ان آمنوا اي بان آمنوا وجاز ان يكون ان تفسيرية بمعنى اي بالله
بقلوبكم كما امنتم بلسانكم وجاهدوا مع رسوله استاذنك في التخلف
عن الغزو اولوا الطول منهم كبارهم واهل ثروتهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين
الذين قعدوا للعذر لحراس المدينة رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء
جمع خالفة يعني لا يحترزون عن ذلك العار وقد يقال الخالفة لمن لا خير له
وطبع على قلوبهم احدث فيها ما يمرنهم على استحباب الكفر واستقباح الايمان
فلا ينفذ فيها الحق كانها مختومة مطبوعة فهم لا يفقهون ما فيه صلاحهم وما فيه
ضرهم لكن الرسول والذين آمنوا معه بان قارن ايمانهم ايمان الرسول
جاهدوا باموالهم وانفسهم المعنى ان تخلف هؤلاء المنافقون فقد توجه
الى الجهاد من هو خير منهم واخلص نية كانه قيل رضوا بكذا ولم يجاهدوا
لكن الرسول واولئك لهم الخيرات عن ابن عباس لا يعلم الخيرات الا الله
واولئك هم المفلحون الفائزون بمرامهم اعد الله لهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم من زحزح عن النار
وادخل الجنة فقد فاز وجاء المعذرون من عذر اذا قصر ومن اعتذر
اذا مهد العذر من الاعراب ليؤذن لهم في القعود عن الحرب والظاهر

انهم مومنون

انهم مومنون غير منافقين وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان
يعني وقعد آخرون من المنافقين سيصيب الذين كفروا منهم فان منهم
من قعد للكسل لا للكفر عذاب اليم قال الحسن وقتادة الذين كذبوا هم المعذرون
في قوله وجاء المعذرون واتى بالظاهر بدل المضمر اشارة الى ان كذبهم
بعثهم على القعود فالمعنى على هذا قعد عن الحرب من كذب في المعذرة له
ليس على الضعفاء كالزمنى والمشايخ ولا على المرضى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون اي الفقراء حرج اثم في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله
اي نياتهم واقوالهم سرا وجهرا خالصة من الغش ساعية في ايصال الخير
للمومنين ما على المحسنين من سبيل الى عقوبتهم وهذا من باب وضع
المظهر موضع المضمر والله غفور رحيم للمسيء فكيف للمحسن كان ابن ام مكتوم
اعمى وخرج الى احد وطلب ان يعطى اللواء فاخذه فاصيبت يده التي
فيها اللواء فامسكه باليد الاخرى فضربت فامسكه بصدره وقرا
وما محمد الا رسول الاية رضي الله عنه ولا على الذين عطف على على الضعفاء
او على على المحسنين وعلى الوجهين من باب عطف الخاص على العام تشريفهم
اذا ما اتوك لتحملهم هم سبعة من الفقراء التمسوا مراكب للمرافقة والموافقة
قلت يا محمد والاحسن ان هذا جواب لاذا لا اجد ما احملكم عليه من المركب
تولوا استيناف كانه قيل كيف كان حالهم قيل تولوا واعينهم تفيض
من الدمع فيه مبالغة في شدة البكاء فقد جعلت العين من كثرة البكاء
كانها دمع فائض حزنا مفعول له والعامل فيه تفيض الا يجدوا اي لئلا يجدوا
متعلق بتفيض او حزنا ما ينفقون فيخرجون الى الغزو انما السبيل
جاء معرفا اذ عاد على النكرة في قوله من سبيل على الذين يستاذنونك
وهم اغنياء قادرون على التجهز اثبت في حق المنافقين ما نفاه في
حق المحسنين فدل من جهة المقابلة انهم مسيئون رضوا بان يكونوا
مع الخوالف وقبلوا ان يخرجوا انفسهم من حلية الرجال وطبع الله
على قلوبهم حتى لم يفهموا مواعظ الله فهم لا يعلمون كانهم مجانين يعتذرون
اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه الغزوة قل لا تعتذروا لن
نومن لكم لن نصدقكم قد نبانا الله بالوحي من اخباركم بعض ما في صدوركم

جملة مستانفة تبين علة عدم تصديقهم وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون
ام تستمرون على نفاقكم ففيه استتابة وامهال للتوبة وجاز ان يكون معناه
يمهلكم حتى تكتسبوا جزاء آخرى ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
الذى لا يفوت عن علمه شئ فينبئكم بما كنتم تعملون تردون جزاء اعمالكم
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم على ان لهم فى التخلف اعذارا لتعرضوا
عنهم فلا تعاتبوهم ولا تصيبوهم بشر فاعرضوا عنهم دعوهم ونفاقهم انهم رجس
نجس لا يقبلون التطهير من النفاق وماويهم جهنم فالاعراض عنهم لازم
لان المعاتبة لا تصلحهم ولان ماويهم جهنم فكفتهم النار عتابا وجاز ان يكون
قوله وماويهم جهنم من تتمة الاول كانه قال انهم رجس من اهل النار
فلا تضيعوا معاتبتكم جزاء مفعول له بما كانوا يكسبون من الآثام يحلفون
لكم لترضوا عنهم غرضهم فى الحلف رضى الرسول والمؤمنين لينفعهم فى دنياهم
وما هى الا ايمان كاذبة واعذار مختلقة فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين فان التلبيس على الله محال وهولاء من الفاسقين
والمقصود النهى عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم عن ابن عباس
كانوا ثمانين من المنافقين امرنا حين رجعنا من تبوك ان لا نكلمهم
ولا نجالسهم ولما ذكر من احوال المنافقين ما دل على جهلهم وطغيانهم
اخذ يبين تفاوت احوالهم وعقائدهم فقال الاعراب اشد كفرا ونفاقا
والمراد ان اهل البدو كفرهم ونفاقهم اشد من اهل الحضر بمعنى ان هولاء
فى كفرهم ونفاقهم اعمق واغرق لقساوتهم وبعدهم عن صحبة العلماء
واجدر اولى ان اى بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله
من الشرايع لانهم لا يسمعون كلام الله ولا يرون المعجزات والله عليم
بقلوب اهل الوبر والمدر حكيم فيما قسم روى ابن جرير وابن ابى حاتم
وغيرهما من سكن البادية جفا ومن الاعراب من يتخذ اى يعد ما ينفق
فى سبيل الله من الصدقات مغرما غرامة وخسارة لا يرجون به
ثوابا ويتربص ينتظر بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عنكم
عليهم دائرة السوء الامر منعكس فلا يرون فيكم الا ما يسوءهم والسوء مصدر
اضيف اليه للمبالغة كرجل صدق والدائرة اسم فاعل فى الاصل سمى بها

عقب

عقب الزمان جملة مستانفة والله سميع لاقوالهم عليم بضمائرهم ومن
الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر وهذا هو الاصل الذى يترتب عليه انفاق
المال فى القربات ويتخذ ما ينفق فى سبيل الله ويتصدق به قربات
عند الله جعله نفس القربات تجوزا ونصب قربات بالمفعول الثانى
وصلوات الرسول يعنى يعد ما ينفق سبب وصلة عند الله وادعية
الرسول فانه يستغفر ويدعو للمتصدقين كما قال تعالى وصل عليهم
الا انها قربة لهم الضمير عائد على ما ينفق بحسب المعنى يعنى نفقتهم اى
ما يرجون حاصل لهم سيدخلهم الله فى رحمته السين للتاكيد ان الله غفور
رحيم فيغفر الزلات ويدخلهم الجنة برحمته ولما ذكر فى مقابلة المنفق الذى
يعد ما ينفق مغرما الاعراب الذين لهم الايمان وعد انفقاتهم قربات
وبين ما لهم فى الاخرة وصف ومدح من هو اعلى كعبا واعظم درجة واقدم
مثوبة كانهم هم المؤمنون فقال والسابقون الاولون من المهاجرين
هم من صلى القبلتين او من ادرك بيعة الرضوان بالحديبية او من شهد
البدر والانصار الذين امنوا قبل الهجرة والذين اتبعوهم باحسان فى
الاعمال والاخلاق الحسنة كبقية المهاجر والانصار وجميع الصلحاء الى
قيام القيمة رضى الله عنهم ورضوا عنه الجملة خبر لقوله والسابقون واعد
لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها ابدا الجنة معدة لهم والباقى
من اهل الايمان ان حال بينهم وبين الجنة ذنوبهم اول الامر لكن يدخلونها
تبعا لهولاء العظماء ذلك الفوز العظيم اشارة الى رضوان الله والخلود
فى الجنة وممن حولكم من الاعراب اعراب حوالى المدينة منافقون ومن
اهل المدينة عطف على ممن اى ومن اهل المدينة منافقون مردوا على
النفاق تمهروا وتمرنوا اخبار عن الصنفين ومردوا مستانفة او صفة
لمنافقون وجاز ان يكون من اهل المدينة خبر مبتدا مقدر اى ومن اهل
المدينة قوم مردوا فيكون من عطف الجملة على الجملة والتمرد مخصوص بمنافق
المدينة لا تعلمهم يا محمد باعيانهم او لا تعلمهم منافقين نحن نعلمهم فانه لا يخفى
علينا شئ سنعذبهم مرتين الظاهر انه اراد شفع الواحد وقيل هو نحو
ثم ارجع البصر كرتين اى مرة بعد مرة وللعلماء اختلاف فى تعيين العذابين

وعلى كل حال احدهما عذاب القبر ثم يردون الى عذاب عظيم هو الخلود
فى جهنم واخرون من اهل المدينة لا من المنافقين اعترفوا بذنوبهم بان تخلفهم
لا من عذر خلطوا عملا صالحا كصلوتهم وصيامهم وآخر سيئا كتقاعدهم
عن هذا الغزو من غير عذر قيل الواو بمعنى البآء وقال سيبويه الواو للجمع والبا
للالصاق وهما من واد واحد فسلك به طريقة الاستعارة والاولى
ان الواو على اصله دال على ان كل واحد مخلوط بالاخر وفيه مبالغة فان
من قوله عملا صالحا يعلم بالالتزام ان السيئ مختلط بالصالح ثم علم صريحا من
قوله واخر سيئا ومنه علم التزاما علم صريحا من قوله عملا صالحا نحو خلطت المآء
واللبن كانك قلت خلطت المآء باللبن واللبن بالمآء عسى الله ان يتوب
عليهم يقبل توبتهم ان الله غفور رحيم نزلت فى جماعة من الصحابة مقدمهم
ابو لبابة تخلفوا عن تبوك ثم بعد رجوع المسلمين ربط ثلثة منهم انفسهم
بسوارى المسجد وحلفوا ان لا يحلهم الا رسول الله فلما نزلت حلهم بالعفو
خذ من اموالهم صدقة لما اطلقهم قالوا هذه اموالنا التى خلفتنا تصدق بها
وطهرنا فقال صلوات الله وسلامه عليه ما امرت بذلك فنزلت تطهرهم
عن دنس المعاصى وتزكيهم بها ترفعهم بتلك الصدقة الى منازل المخلصين
وقوله تطهرهم جملة حالية قيل من اموالهم حال لانه لو تاخر لكان صفة فلما
تقدم صار حالا وصل عليهم ادع لهم ان صلوتك سكن لهم طمانينة ورحمة
ووقار والله سميع لاقوالك حين الدعآء لهم ولاعترافهم عليم بمن هو اهل له
وبندامتهم عن التخلف الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده يتجاوز
عنهم ويأخذ الصدقات يقبلها وهذا تهييج للمذنبين الى التوبة والصدقة
وفى الحديث ان الصدقة تقع فى يد الله قبل ان تقع فى يد السائل
وان الله هو التواب الرحيم يقبل التوبة ويتفضل عليهم وقل اعملوا
يا معشر المخالفين فسيرى الله عملكم لا يخفى عليه البتة شئ ورسوله والمومنون
فان الله يطلعهم عليه فى الاخرة او فيهما وستردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازات فعلى هذه الاية وعيد ومعناها قل اعملوا
يا معشر المحسن والمسئ فلا يخفى على الله ولا على رسوله والمومنين فان اعمال
بعض يعلم بعض آخر فى القيمة ثم يجازيهم المحسن بالاحسان والمسئ

بالاساءة

بالاسآءة فعلى هذه الاية وعد ووعيد قيل معناها قل اعملوا يا معشر التوابين
بعد طهارتكم فلا يخفى على الله عملكم ولا على رسوله ولا على المومنين لانكم
انتم عندهم وهم ناظرون الى اعمالكم وعلى هذه الاية تحضيض على الاستقامة
فى التوبة واخرون من المتخلفين مرجون لامر الله موخرون لحكم الله
فى شانهم يعنى امرهم موقوف اما يعذبهم لانه لم يقبل توبتهم واما يتوب
عليهم يقبل توبتهم وهولآء هم الثلثة الذين خلفوا كسلا وميلا الى راحة
النفس لا نفاقا ولم يربطوا انفسهم بالسوارى كما فعل ابو لبابة ونزلت
توبتهم بعد خمسين ليلة حين ضاقت عليهم الارض بما رحبت فانه عليه
الصلوة والسلام امر اصحابه ان لا يجالسهم ولا يكلمهم كما سيجئ فى اخر هذه السورة
والله عليم بمن يستحق العقوبة حكيم فى فعله والذين اتخذوا مسجدا ابنوه مبتدأ
مقدر الخبر اى وفيمن وصفنا من المنافقين ضرارا مفعول له وكفرا اى تقوية
للكفر وتفريقا بين المومنين المومنون يجتمعون فى مسجد قبا فارادوا افتراقهم
وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله اى لوصول عامر الراهب
من قبل متعلق بحارب وليحلفن ان اردنا ما اردنا ببنائه الا الحسنى الا الخصلة
الحسنى كالصلوة فيه والتوسعة على المسلمين قال محيى السنة هذا الراهب
لم يزل يحارب الاسلام الى يوم حنين وعند الزمخشرى ان قوله من قبل
متعلق بقوله اتخذوا اى من قبل ان ينافق هولآء بالتخلف وقد نقل
انه بنى قبل غزوة تبوك والتمسوا ان يصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووعدهم ان يصلى فيه بعد العود من تبوك والله يشهد انهم لكاذبون
فى حلفهم كان هذا الراهب تنصر فى الجاهلية وما امن والتحق بقريش
بعد البدر يحثهم بالمحاربة وكان معهم فى احد ثم ذهب الى عظيم الروم
وكتب الى اعوانه فى المدينة من المنافقين يعدهم ويمنيهم انه سيقدم
بجيش لمحاربة الاسلام وامرهم ببنآء مسجد له فبنوا مسجد الضرار ارصادا
لرجوعه فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من
تبوك وقالوا انما مسجد للضعفآء واهل العلة والليلة المطيرة نلتمس
ان تصلى فيه وتدعو بالبركة فنزلت الاية فى تكذيبهم فامر صلى الله عليه وسلم
بهدمه فهدموه واحرقوه لا تقم فيه فى ذلك المسجد ابدا للعبادة لمسجد

اسس بني اصله على التقوى طاعة الله ورسوله من اول يوم من ايام
وجوده احق ان تقوم فيه للعبادة قيل احق بمعنى حقيق وليست افعل التفضيل
اذ لا اشتراك بين المسجدين في الحق جماعة من السلف على انه مسجد قباء وجمع
آخر على انه مسجد جوف المدينة ففي مسلم والترمذي والنسائي انه سئل عن المسجد
الذي اسس على التقوى فاخذ صلى الله عليه وسلم حصباء وضرب به الارض
وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة قال بعض الفضلاء لا يعبأ بقول غيره مع بيانه
عليه الصلوة والسلام واما ما رواه ابن ماجه عن انس وغيره ان هذه الاية
اعني فيه رجال الاية لما نزلت قال عليه صلوات الله وسلامه واقفا على باب
مسجد قباء ان الله قد اثنى عليكم يا معشر الانصار في الطهور فما طهوركم فلا يدل
على اختصاص اهل قباء ولا ينافي الحمل على اهل مسجده من الانصار قال بعضهم
لا منافاة لانه اذا كان مسجد قبا قد اسس على التقوى فمسجد نفس المدينة بطريق
الاولى والاحرى والحديث الذي في مسلم وغيره يبين للفرد الاكمل قلت هذا توجيه
وجيه ليته لم يأبه شيئان الاول ما في الترمذي والنسائي وغيرهما ان رجلين
اختلفا في ان المسجد المؤسس على التقوى هو مسجد المدينة او قبا فقال صلى الله
عليه وسلم حين سألا مسجدي هذا الثاني اتفاق المفسرين على ان آية فيه رجال
يحبون نزل في اهل قبا والله اعلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا من الاحداث
والنجاسات كان اهل قبا من عادتهم استعمال الماء في الاستنجاء عقيب الحجر
ولا ينامون على الجنابة والله يحب المطهرين يرضى عمن طهر ظاهره وباطنه
افمن اسس بنيانه بنيان مبنيه مصدر كالغفران على تقوى من الله على قاعدة
محكمة قوية هي التقوى من مخالفة الله ورضوان طلب مرضاته خير ام من اسس
بنيانه بنيان مبنيه على شفا جرف هار جانب واد من اودية جهنم يكاد يسقط
على جهنم والشفا الحرف وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه
السيول فيبقى واهيا والهار المنصدع الذي اشفى على السقوط قيل حاصله
انه على قاعدة ضعيفة رخوة تكاد تسقط فانهار به في نار جهنم طاح بانيه
واسقط فيها وقد صح عن جابر بن عبد الله وقتادة وغيرهما انهم رأوا الدخان
يخرج من هذه الارض حين حفر والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه
صلاحهم قيل حاصله افمن اسس بنيان دينه على قاعدة محكمة هي التقوى

ورضاه

ورضاه خير ام من اسس على قاعدة هي اضعف القواعد واقلها بقاء اعني
الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الاستمساك ولما جعل
الجرف الهار مجازا عن الباطل قال فانهار به على معنى فطاح به الباطل في نار
جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف لا يزال بنيانهم الذي
بنوا اي مبنيهم مصدر اريد به المفعول بقرينة وصفه بالذي بنوا وجاز ان
يكون الذي بنوا مفعول المصدر من غير تأويل ريبة في قلوبهم سبب شك
وزيادة نفاق فانهم بنوا للكفر والتفريق فلما هدموه ازدادوا غيظا وبغضا
الا ان تقطع قلوبهم بالموت والاستثناء من اعم الازمنة والله عليم بالاعمال
حكيم في المجازات ولما ذكر انهم مطروحون في جهنم اسفل سافلين بين ان
مقاتليهم في الجنة اعلى عليين فقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
التي هو خالقها واموالهم التي هو رازقها بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله الجنة
من بذل نفسه وماله في سبيل الله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون
ويقتلون استيناف يبين ما لاجله الشرى وعدا عليه حقا قوله وعدا مصدر
مؤكد لنفسه وحقا لغيره في التورية والانجيل والقرآن اي هذا الوعد
الذي وعده للمجاهدين ثابت فيهما كما هو ثابت في القرآن قيل كتب فيهما
انه اشترى من امة محمد انفسهم واموالهم بالجنة كما بين في القرآن وقيل
الامر بالجهاد في جميع الشرايع ومن اوفى بعهده من الله يعني لا احد اوفى بعهده
ومن اصدق من الله قيلا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به غاية الفرح
فانه موجب للسرور الابدي وذلك هو الفوز العظيم قال بعض الانصار
ليلة العقبة الكبرى اشترط يا رسول الله لربك ولنفسك فقال لربي
ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم
واموالكم قالوا فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وفي قوله
فاستبشروا التفات لتشريفهم واستفعل بمعنى افعل وقوله الذي بايعتم
به وصف على سبيل التوكيد التائبون اي هم التائبون مدحهم الله به
العابدون بالاخلاص الحامدون لله على كل حال السائحون اي الصائمون
وفي الحديث سياحة امتي الصوم شبهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم
عن شهواتهم قيل هم طلبة العلم يسيحون طالبين العلم من مظانه الراكعون

الساجدون المصلون الامرون بالمعروف بالطاعة والناهون عن
المنكر عن المعاصي جاء بحرف العطف بينهما اشارة الى انه مع ما عطف عليه
في حكم خصلة واحدة والحافظون لحدود الله القائمون بطاعته وهذا مجمل
الفضائل وما قبله مفصل قيل هذه الثلثة الاخيرة في حكم خصلة واحدة يعني يرشدون
الى الطاعة بامرهم المعروف ونهيهم المنكر مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه
وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه علما وعملا وعلى هذا وجه العطف اظهر
وبشر المومنين الموصوفين بتلك الفضائل وهو من باب وضع الظاهر
فان الايمان داع الى هذه الاوصاف وحذف المبشر به كانه شيء لا يمكن وصفه
وفي الاية الاولى امرهم بالاستبشار وفي هذه امر رسوله بان يبشرهم ومن اين
الى اين ولما بشر المومنين بالجنة وانهم هم الذين اشتروها علم ان ليس للكافرين
فيها نصيب فالاستغفار لهم ظلم ولا يجوز للمومنين الظلم فاراد منعهم وقال
ما كان للنبي والذين امنوا اي ما صح وما استقام لهم ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم للمومنين انهم اي المشركين اصحاب
الجحيم بان ماتوا على الكفر في صحيح مسلم ما يدل على ان المنع حين اراد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه وامه وما كان استغفار ابرهيم
لابيه الا عن موعدة وعدها اياه بقوله لاستغفرن لك كما قال تعالى قد
كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم الى قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن
لك فلما تبين له بالوحي او بموته على الكفر انه عدو لله تبرا منه فما دعا له بعد
ان ابرهيم لاواه متضرع كثير الدعا تاوه من الذنوب حليم صبور على الاذى
صفوح لما استاذن النبي في الاستغفار لامه فلم ياذن رحم عليها وبكى
فاوحي اليه بقوله وما كان استغفار ابرهيم الاية وقال له جبريل تبرا انت
من امك كما تبرا ابرهيم او لما سمع علي رضي الله عنه احدا يستغفر لابويه
المشركين فمنعه قال الم يستغفر ابرهيم لابيه فنزل وما كان الله ليضل
قوما ليحكم عليهم بالضلال ويواخذهم بعد اذ هديهم للاسلام حتى يبين لهم
ما يتقون اي ما يجب اتقاؤه والغافل غير مكلف فلا يواخذكم قبل ان
تعلموا ان الاستغفار للمشركين حظر حرام لكن لما علمتم اي حرمته ان عدتم
اليه يتحقق الضلال ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات

والارض

والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فتبرأوا
عن المشركين وتوجهوا الى الله بالكلية ولما استطرد بامر الاستغفار رجع
الى حكاية غزوة تبوك فقال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقت العسرة يعني غزوة
تبوك فانها في وقت شدة حر وقلة زاد وماء ومركوب من بعد ما كاد
تزيغ قلوب فريق منهم اي تميل عن الحق فان كثيرا منهم هموا بالتخلف
وعصمهم الله ولما نالوا شدائدها من الجوع وغاية العطش والحر كادوا
يشكون في دين الاسلام واسم ما كاد ضمير الشان ولا سبيل الى ان جعله
قلوب اسمه لان تقديم خبره على اسمه خلاف وضع العرب ولا الى
من باب التنازع واعمال الثاني لانه يجب حينئذ ان يقال كادت واما ذكر
النبي في قوله لقد تاب الله على النبي فلانه اذن لهم في التخلف قبل اذن الله
وقيل افتتح به الكلام لانه صلى الله عليه وسلم كان سبب توبتهم فذكره معهم
ثم تاب عليهم لما ذكر ذنبهم اعاد ذكر توبتهم انه بهم رؤف رحيم ولهذا قبل
توبتهم وعلى الثلثة عطف على على النبي الذين خلفوا اي خلف الله امرهم
عمن اعتذر بالاكاذيب وعمن ربط نفسه بالسواري وقيل خلفوا عن الغزو
والاول اولى لان حتى غاية خلفوا ولا يحتاج الى تكلف بخلاف المعنى الثاني
حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها فما مصدرية
وهو مثل لشدة الحيرة كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه فانهم كانوا
مهجورين بالكلية في المعاملة والمكالمة والمجالسة وضاقت عليهم انفسهم
من كثرة الهموم وظنوا علموا ان لا ملجا من الله من سخطه الا اليه بالتضرع
والاستغفار ثم تاب عليهم وفقهم للتوبة او رجع عليهم بالرحمة ليتوبوا
او قبل توبتهم ليتوبوا في المستقبل ان صدر عنهم خطيئة او قبل توبتهم
ليرجعوا الى حالهم ان الله هو التواب الرحيم يقبل توبة التائبين بمحض
رحمته وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العامري وهلال بن امية
الواقفي وهم من كبار الصحابة واثنان منهم من اهل البدر كما في الصحيحين
وليسوا بمنافقين ابدا يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الله
الصادقين في نياتهم واعمالهم فلا تعتذروا بالاكاذيب ولا تعملوا عملا

تحتاجون فيه الى العذر ولا تفارقوهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله فانه النبي الصديق وقدامنا
بقوله كونوا مع الصادقين ولا يرغبوا اي ولا ان يرغبوا بانفسهم عن
نفسه اي وما استقام لهم ان يجعلوا انفسهم راغبة عن نفسه متباعدة
مترفعة عنها وعلى الحقيقة هذا امر بضده وهو ان يصحبوه في البأسآء
والضرآء ذلك اي وجوب الموافقة والنهي عن التخلف بانهم بسبب انهم
لا يصيبهم ظمأ عطش ولا نصب تعب من عطف العام على الخاص ولا مخمصة
مجاعة من عطف الخاص في سبيل الله ولا يطؤن موطئا مكانا يغيظ
وطاؤه الكفار يغضبهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا
كقتل واسر وجرح او غنيمة وغلبة الا كتب لهم به بكل من الظمأ وغيره وحد
الضمير لئلا يتوهم ان الكتبة والاجر بالمجموع عمل صالح الا استوجبوا ثوابا
جزيلا واجرا جميلا والاستثنآء المفرغ في موقع الحال او الصفة للنكرة
قبله فيكون الامر بوجوب الموافقة رحمة وشفقة عليهم ان الله لا يضيع اجر
المحسنين على احسانهم وهو كالعلة لكتب ولا ينفقون نفقة في سبيل الله
صغيرة ولا كبيرة قليلا وكثيرا ولا يقطعون واديا ارضا في اثنآء السفر
الا كتب لهم الانفاق والقطع مثبتا في زمرة اعمالهم ليجزيهم الله احسن
ما كانوا يعملون اي اثبت لهم ليجزيهم جزآء احسن من اعمالهم قدمت
الجمل السابقة وتأخرت الجملتان لانها اشق على النفس وانكى على العدو
واعلى وانبل اجرا لان هاتين الموخرتين من خواص الاسفار لا اختصاص
لهما بالغزو فاثبت لهما جزآء احسن من العمل بخلاف الاول فانهم بها وصلوا
الى اعلى رتبة الايمان وهي الاحسان ولما اعلم بما في الغزو من الاجر
الجزيل وعلم ان الصحابة مولعون به صار مظنة ان لا يقف ولا يتوقف
عند النبي صلى الله عليه وسلم ان جهز المسلمين الى الغزو فقال وما كان
المؤمنون ليس من شانهم وصلاحهم لينفروا كافة اي جميعا للغزو فلولا
اي هلا نفر من كل فرقة منهم جماعة كثيرة طائفة جماعة قليلة ليتفقهوا
في الدين اي ليحصل القاعدون الفقه في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولينذروا قومهم وليعلموا النافرين ويخوفوهم بما نزل من الوحي وسمعوا

من الرسول

من الرسول اذا رجعوا من الغزو اليهم لعلهم يحذرون عما ينذروا عنه
قيل نزلت المدينة احيآء العرب فغلت اسعارها وفسدت طرقها وعلى
هذا معنى الاية ما صح لهم النفر الى صحبة رسول الله جميعا ومعنى الباقي ظاهر
او معناها لينفقه النافرون وليتبصروا بالغلبة على المشركين وينظروا
صنايع الله ثم اذا رجعوا ينذروا قومهم من الكفار ويخبرهم بنصرة الدين
لعلهم يحذرون وقد ذكر في سبب النزول ايضا غير ما ذكرنا ولما امرهم
بالغزو وعلمهم وظيفة النفر شرع يعلمهم كيفية نفرهم الى الاعدآء فقال يا ايها
الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب
فالاقرب ولهذا لما فرغوا عن جزيرة العرب شرعوا في الشام وليجدوا
فيكم غلظة شدة في القتال وغلظة في القول واعلموا ان الله مع
المتقين بالاعانة والحفظ والقتال مع عدو الله بالصبر من شعار
التقوى واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول بعضهم
لبعض استهزآء او تثبيتا على النفاق ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين
امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة المؤمن به او لزيادة العمل الصالح بها او لزيادة
اطمينانه وقوة يقينه في الايمان وهم يستبشرون بنزولها واما الذين في
قلوبهم مرض كفر ونفاق فزادتهم رجسا نجاسة الى رجسهم منضما الى
رجسهم الذي كان فيها وماتوا وهم كافرون وهذا استفادة لا شئ بعدها
او لا يرون اي المنافقون انهم يفتنون يختبرون بالقحط والغزو والمصائب
في كل عام مرة او مرتين لا يتنبهوا ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون لا يعتبرون
واذا ما انزلت سورة فيها معائب المنافقين نظر بعضهم الى بعض
تدبيرا للفرار قائلين هل يريكم من احد يعني من المسلمين ان قمتم من
الخطبة فان رسول الله يقرأ سور القران في خطبته فان لم يرهم احد
قاموا والا اقاموا ثم انصرفوا عن مجلس الاستماع صرف الله قلوبهم عن
الايمان نحو فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم بانهم اي بسبب انهم قوم
لا يفقهون عن الله دينهم ولما تم جميع ما اراد بيانه في تلك السورة
خاطب الكل بما هو فذلكة الكتاب واصله ومقصوده فقال لقد
جآءكم رسول من انفسكم تعرفون حسبه ونسبه عزيز شديد شاق

عليه ما عنتم عنتكم ومضاركم فما مصدرية حريص عليكم على صلاح دينكم
ودنياكم بالمؤمنين قوله بالمؤمنين من باب التنازع بالروف والرحيم
رؤف له شدة الرحمة على المطيعين رحيم على المذنبين دل تقديم بالمؤمنين
على ان رافته ورحمته مخصوصة بهم لا يتجاوز الى الكافرين فان تولوا اعرضوا
عن كلامك وثبتوا في العداوة فقل حسبي الله في حمايتي ونصرتي
لا اله الا هو عليه توكلت لا ارجو ولا اخشى غيره وهو رب العرش العظيم محيط له
التفوق وعن بعض السلف ان اخر ما نزل هاتان الايتان والحمد لله وحده

سورة يونس مكية الا ثلث من قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك وهي مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الر عن ابن عباس انا الله ارى تلك اشارة
الى ما تضمنته السورة من الاي ايات الكتاب الحكيم اي القران المحكم الذي
لم ينسخ او الحاكم بين الناس او ذي الحكم اكان للناس عجبا استفهام
لانكار تعجب الكفار من الايحاء وتعجيب السامعين من تعجبهم لكونه في غير
المحل وتقديم خبر كان لكون الانكار والتعجب راجعا اليه وقوله للناس قيل
هو حال من عجبا لانه لو تاخر لكان صفة وقيل متعلق بعجبا وهو بمعنى
معجبا وقيل هو للتبيين اي اعني للناس ان اوحينا اسم كان الى رجل منهم
قال قريش الله اعظم ان يكون رسوله بشرا مثل محمد ان انذر الناس
ان مفسرة وبشر الذين امنوا ان اي بان لهم قدم صدق عند ربهم
اي سابقة واثرة حسنة يعني اجرا حسنا بما قدموا او سبقت لهم السعادة
في الذكر الاول بسبب صدقهم قيل كل سابق في خير او شر فهو عند العرب
قدم يقال لفلان قدم في الاسلام ولما كان السعي والسبق بالقدم
سميت السابقة والسعي الجميل قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد
قال الكافرون ان هذا اي الكتاب لسحر مبين سموه سحرا لانه عندهم
مما لا حقيقة له ولا يمكن لهم ان ياتوا بمثله ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام من ايام الدنيا او كل يوم كالف
سنة ثم استوى على العرش قد مر تفسيره في سورة الاعراف يدبر
الامر يقدر امر الكائنات على مقتضى حكمته ولولا انه يفعل فعل من ينظر

في ادبار الامور فلا يفعل الا ما هو في غاية الاحكام لكان له ان يخلق السموات
والارض في لمحة ما من شفيع لاحد من الا من بعد اذنه فليست
الاصنام بشفعاء ذلكم الموصوف بتلك الصفات العظيمة الله ربكم
لا غيره فاعبدوه وحده افلا تذكرون تتعظون ايها المشركون اليه
لا الى غيره مرجعكم جميعا بالموت وعد الله مصدر موكد لنفسه حقا
مصدر موكد لغيره انه يبدا الخلق ثم يعيده وليس الابدا با هون ليجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط بعدله من غير نقص وفضل الله
يؤتيه من يشاء قيل المراد عدلهم اي ايمانهم فان الشرك لظلم عظيم فقيل
هذا الوجه لمقابلة قوله ولهم عذاب اليم بما كانوا يكفرون فانه لما علل جزاء
الكافرين بكفرهم ناسب ان يعلل جزاء المؤمنين بعدلهم والايمان ولان
الحسنات مضاعفة البتة بعشر فالمعاملة مع الكل بالفضل والذين
كفروا لهم شراب من حميم لو القيت قطرة منه في بحر لبغلي وعذاب اليم
بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم الظاهر ان قوله والذين كفروا مبتدا خبره
جملة لهم شراب وقيل والذين كفروا عطف على الذين امنوا فيكون العدل
للفريقين وقوله لهم شراب مستانفة وعلى الوجه الاول حاصله ليجزي
الذين كفروا بشراب لكن غير النظم للمبالغة في استحقاقهم العذاب وللاشارة
الى ان المقصود بالذات من الاعادة الاثابة واما عقاب الكفرة فنشئ
سائقه شوم اعمالهم وهذا ايضا عدل لكن خصص المؤمنين بالذكر لمزيد
عناية وبشارة هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء والقمر
نورا اي ذا نور والضياء اقوى بحكم الوضع والاستعمال قيل ما بالذات
ضوء وما بالعرض نور وقدره اي مسير القمر منازل او قدر القمر ذا منازل
فلا بد من تقدير والظاهر ان المراد به البروج اذ يقطعها عدد السنين
لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الشهور والايام فان المعتبر
في الشرع السنة القمرية والشهر القمري ما خلق الله ذلك المذكور الا
ملتبسا بالحق فيه الصنايع والحكم نفصل الايات لقوم يعلمون فانهم
المنتفعون بالتدبر ان في اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر
والظلمة والضياء وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم

يتقون العواقب فانه يحملهم على التدبر فلهم وصفان العقل والاتقآء
ان الذين لا يرجون لقآءنا لا يتوقعونه لانكارهم البعث ورضوا بالحيوة
الدنيا من الاخرة واطمانوا بها قصروا هممهم على زخارفها والذين هم
عن اياتنا الكونية والشرعية غافلون فلا يتفكرون فيها ولا يأتمرون
بها اولئك ماويهم النار لا ينصرفون عنها بما كانوا يكسبون من المعاصي
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم
الى الصراط حتى يصلوا الى الجنة والى الله بالسلامة ولا يلزم ان من لا
يكون مهتديا الى الجنة لا يدخلها قط والمنع مكابرة تجري من تحتهم تحت
غرفهم واشجارهم الانهار وجملة تجري خبر ثان او مستانفة في جنات
النعيم متعلق بتجري او حال من الانهار وقيل خبر ثالث دعويهم فيها
اي دعآؤهم سبحانك اللهم وتحيتهم تحية الملك لهم فيها سلام واخر
دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ان مخففة من المثقلة واسمها ضمير
الشان لازم الحذف والجملة بعدها خبرها وان وصلتها خبر قوله واخر
دعويهم وعن كثير من السلف ان اهل الجنة كلما اشتهوا شيئا قالوا سبحانك
اللهم فياتيهم الملك بما يشتهون فيسلم عليهم فيردون عليه وذلك
تحيتهم فاذا اكلوا احمدوا او ذلك قوله واخر دعويهم ومثل هذا الخبر عن
السلف لا يكون الا مرفوعا ولما ذكر انه تعالى بنى الامور على التدبير
لا على التعجيل فان التانى من الله والعجلة من الشيطان وهو على كل
حال متفضل على المومنين في دنياهم ودينهم بين ان عدم استجابة
دعائهم في بعض الاحايين من جملة التفضل والتدبير فقال ولو يعجل الله
للناس الشر استعجالهم بالخير حاصله لو يستجيب دعاءهم بالشر عند
الغضب وضيق القلب على اهلهم واولادهم واموالهم كما يستجيب دعاءهم
بالخير لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا لكن بفضله يستجيب في الخير كثيرا
لا في الشر فالاستعجال بمعنى التعجيل صفة مصدر محذوف اي تعجيلا مثل
تعجيلهم بالخير نحو ضربت ضرب الامير فنذر الذين لا يرجون لقآءنا
في طغيانهم يعمهون الطغيان الغلو في الظلم والعمه شدة الحيرة يعني
لكن نمهلهم لا نعجلهم ولا نقضي فنذر الذين لا يرجون لقاءنا ولا يخافون

البعث امهالا واستدراجا فالجملة عطف على النفي الدال عليه كلمة لو الا
ان ذاك في الناس على الاطلاق وهذا في جمع خاص وهم الذين لا يخافون
البعث قيل قوله ولو يعجل الله متصل بقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا دلالة
على استحقاقهم العذاب وان الله امهلهم استدراجا وجيء بالناس
بدل الضمير تفظيعا للامر ثم قيل فنذر الذين لا يرجون مصرحا باسمهم وبيان
حال المومنين بقوله ان الذين امنوا الاية وقع في البين تتميما ومقابلة
وعندي ان هذا قول قريب ولما اخبر ان الله لا يعجلهم بالضر وان عجلوا
فاللائق بحالهم الصبر في البلآء والشكر في النعمآء فذكر انهم على خلاف ذلك
فقال واذا مس الانسان الضر كمرض او مصيبة دعانا في ازالته لجنبه
ملقيا له اي مضطجعا فلجنبه حال او قاعدا او قائما اي في جميع حالاته لا يدع
الدعآء قيل المضرور من هو في حال اشد هو صاحب الفراش ومن هو
اخف وهو قادر على القعود ومن هو اشبه كالمستطيع للقيام وكلهم
لا يستغنون عن الدعآء فلما كشفنا عنه ضره واستجبنا دعاءه مر مضى
واستمر على طريقته قبل الضر ونسي كان لم يدعنا الى ضر مسه كان لم يطلب
منا كشف ضره وما احتاج الينا وجملة كان في موضع الحال وكان مخففة
من المثقلة وحذف ضمير الشان كذلك مثل ما ترى من التزيين زين
للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في اللذات والعادات والاعراض
عن العبادات والاسراف هنا الاكثار من المعاصي ولما كان الامهال
لا يستلزم الاهمال ايقظ المعاصرين المسرفين عن رقدة الغفلة بالتامل
في حال نظرائهم فقال ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا
انفسهم بتكذيب رسلهم وجآءتهم رسلهم بالبينات الحجج الظاهرة على صدقهم
عطف على ظلموا او قيل حال باضمار قد وما كانوا ليومنوا ليسوا في صدد
ان يومنوا لان الله طبع على قلوبهم جزآء على تمردهم كذلك مثل ذلك
الجزآء وهو الاهلاك بافضح وجه نجزي القوم المجرمين اي كل مجرم لا ينفك
ولا ينفك عن جرمه فاحذروا يا اهل مكة ثم جعلناكم خلائف استخلفناكم
في الارض من بعدهم من بعد القرون الماضية لننظر كيف تعملون فنعاملكم
على مقتضى اعمالكم وكيف حال من فاعل تعملون فانه لاجل معنى الاستفهام

الذي له صدارة الكلام لا يعمل فيه ما قبله فمعناه يعملون الامور كائنة على
حال الخير او على حال الشر والجملة منصوبة بننظر معلق عنها وان لم يكن من
افعال القلوب لانه وصلة الى فعل القلب واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
قال الذين لا يرجون لقاءنا لا يؤمنون باليوم الاخر ائت بقران غير هذا
اي جئ من عندك بكتاب آخر ليس فيه عيب آلهتنا وليس فيه اثبات
المحال كالحياة مما هو ممزق او بدله انت من عندك بان تزيل منه ما نعلم بطلانه
وتاتي بدله فيه ما لا يكون محالا قل ما يكون ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي
التلقاء مصدر كالتبيان ويستعمل ظرفا للمقابلة ان اتبع الا ما يوحى الي
يعني التبديل من قبل نفسي لا يمكنني ومن جهة الوحي موقوف على الوحي لا دخل
لي فيه انما على اتباعه اني اخاف ان عصيت ربي بمثل تبديل عذاب يوم
عظيم هو يوم القيمة قل لو شاء الله ان لا اتلو القران عليكم ما تلوته عليكم
هذه مبالغة في البراءة مما طلبوا منه فان تلاوته عليهم القران انما هو
بمشية الله تعالى واحداثه امر عجيب خارج عن العادة ولا ادريكم به
ولا اعلمكم الله به على لساني فقد لبثت فيكم عمرا اربعين سنة من قبله
القران تعلمون بحالي ليس عندي عالما اتعلم منه ولا كتابا اقرأ فيه وانا
امي افلا تعقلون انه ليس من قبلي مع انكم ما عاينتم مني قبيحا وما سمعتم
مني كذبا واما قراءة لا ادريكم بلام جواب لو فانه عطف على جوابها وليس بلام
الابتداء فانها لا يدخل على الماضي فمعناها لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به
على غير لساني لكنه خصني بمزيته وراني اهلا لتلك المزية دون غيري فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا بان يقول انه من عند الله وما هو من عنده وبان
يثبت له شريكا او كذب باياته برسوله وقرانه ومن تامل في امري ظهر
له صدقي فلا احد اظلم منكم انه لا يفلح المجرمون المستمرون على الجرم والمعاصي
ولما تكلموا بما يدل على جنونهم قال افلا يعقلون ثم اثبت لهم ما هو صريح
في جنونهم وما هو الا من نحو فعال المجانين فقال ويعبدون من دون
الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لان اصنامهم جماد ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله في امور دنيانا فانهم منكرون البعث قل اتنبئون الله
تخبرونه بما لا يعلم استفهام انكار وهو ان له شريكا وان هؤلاء شفعاء

عنده وما لا يعلمه العالم بكل شئ لم يكن له ثبوت بوجه في السموات ولا
في الارض حال من ضمير يرجع الى ما اي بما لا يعلمه وفيه تاكيد لنفيه لاعتقاد
العامة ان كل ما يوجد فهو في احدهما سبحانه وتعالى عما يشركون ما
مصدرية او موصولة والعائد مقدر ولما بين ان هؤلاء مستحقون
للبلاء اول مرة وقد امهلهم تعرض لسبب الامهال فقال وما كان
الناس الا امة واحدة بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام
متفقون فاختلفوا فبعضهم عبدوا الاصنام واكتسبوا الاثام ولولا
كلمة سبقت من ربك بانه لا يهلك الا بعد قيام الحجة وان لكل
امة اجلا معينا لقضي بينهم بسرعة من غير امهال فيما فيه يختلفون
فيهلك المبطل ويبقى المحق قيل معناه لولا انه في حكمه انه لا يقضي بينهم
الا في القيمة لقضي في الدنيا فيدخل المؤمن الجنة والكافر النار قبل القيمة
ويقولون مشركوا قريش لولا اي هلا انزل عليه على محمد اية من ربه اي اية
من ايات اقترحناها لا يعتدون بما انزل عليه من الايات العظام
التي لم تنزل على نبي قط وكفى بالقران وحده بديعة غريبة دقيقة المسلك
بين المعجزات جعلوا من عنادهم نزولها كلا نزول فقل انما الغيب لله
يعني ما تطلبونه غيب ليس في يدي والله هو القادر عليه فانتظروا
لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم يعني كلانا
في الانتظار لكن المنتظر مختلف ولما كان اجابة مقترحهم من مظنة ايمانهم
وهي هين عند الله فكان منتظرا ينتظر ما هو سبب ايمانهم من مقترحهم
بين انهم لانهماكهم في الغي كاسلافهم غير متوقع منهم الايمان فقال واذا اذقنا
الناس رحمة كالرخاء والصحة من بعد ضراء مستهم كالجدب والمرض
اذا لهم مكر في اياتنا يحتالون في طعن الايات وتكذيبها كانهم في اول
ذوقهم الرحمة قبل ان يداوم مكروا ونسيانهم اثر كشف الضر وافاد
باذا الفجائية الواقعة جوابا لاذا الشرطية انهم في وقت اذاقة الرحمة
فاجؤا بالمكر قل الله اسرع مكرا ولما كانت الجملة تتضمن سرعة المكر منهم
قال قل انه تعالى قبل ان تدبروا مكائدكم قضى بعقابكم والمكر من الله
الاستدراج او جزاء مكر ان رسلنا اي الحفظة من الملك يكتبون ما تمكرون

للبحر زاد قليس الامهال للاهمال ولما بين ان الناس اذا اصابهم الضر
لجئوا الى الله واذا اذاقهم الرحمة عادوا الى عاداتهم وكان المذكور ابرزه
فى صورة امر كلى اوضح ذلك بمثال جلى كاشف عن حقيقة ذلك الكلى
فقال هو الذى يسيركم فى البر والبحر اى يمكنكم من السير ويحفظكم حتى اذا كنتم
فى الفلك فى السفن وجرين الضمير للفلك والفلك جمع وقد يكون
مفردا كما قال الفلك المشحون بهم الباء للتعدية بريح طيبة الباء للسبب
وفرحوا بها للينها ولهبها من جانب مرادهم جاءتها جاءت السفن ريح
عاصف ذات عصف يعنى شديدة وقوله جاءتها جواب اذا وعاصف
صفة للريح بمعنى النسب ولهذا لم يقل عاصفة وقيل الريح يذكر ويونث وجاءهم
الموج من كل مكان من امكنة الموج وظنوا الظن هنا على بابه الاصلى
انهم احيط بهم للهلاك كما يحيط العدو بمن يريد اهلاكه فلا يمكن لهم النجاة
دعوا الله استيناف كانه قيل فما كان حالهم فى تلك الشدة قال
دعوا الله وما قيل هو جواب للشرط على طريقة واذا ركبوا فى الفلك دعوا
الله وجاءتها حال فليس بشئ لان قوله وجاءهم الموج وكذا قوله وظنوا
عطف على جاءتها وهما لا يصلحان للحالية مع ان ليس الفرح بالريح الطيبة
حال مجئ العاصف والحمل على الحال المقدرة يزيد الفساد ولان المعنى على
المجئ بالفعل لا على تقديره مخلصين له مخلصين له الدين مفعول مخلصين
مخلصين يعنى تركوا الشرك فلم يدعوا الا الله قائلين لئن انجيتنا اللام
موطئة للقسم فى موضع الحال من هذه الشدة لنكونن من الشاكرين
فلما انجاهم اذا هم يبغون فى الارض فاجئوا الفساد بغير الحق فالبغى
بمعنى الافساد   المنفعة قد يكون بحق كتخريب المسلمين ديار الكفر
واما البغى بمعنى الظلم فلا يكون قطعا حقا وجواب لما اذا الفجائية وما بعدها
وهى لما قال سيبويه حرف يترتب ما بعدها من الجواب على ما قبلها من
الفعل الذى بعد لما وانها تفيد الترتيب والتعليق فى المضى ومذهب
غير سيبويه انها ظرف يا ايها الناس الظاهر انه خطاب عام يندرج
الذين انجاهم الله فيهم انما بغيكم على انفسكم اى وباله لا يجنى ثمرته الا انتم
متاع منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها وهو خبر محذوف اى هو متاع

وقراءة

وقراءة نصب متاع على تقدير تتمتعون متاع ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما
كنتم تعملون بالجزاء عليه اما العدول من الخطاب فى قوله اذا كنتم الى الغيبة
فى قوله وجرين بهم فقيل للمبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم من تلك
الحال وقيل حكمة الالتفات ان خطاب هو الذى يسيركم امتنان واظهار
نعمة للمخاطبين الشاملين للمؤمن والكافر وحسن خطابهم ليستديم الصالح
الشكر ولعل الطالح يتذكر فيرجع فلما آل الحال الى ان المتلبس بالنعمة باغ
فى الارض عدل من الخطاب الى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون مخاطبين
بصدد الحالة التى آخرها البغى ولما قال البغى متاع الحيوة قال انما مثل
الحيوة الدنيا فى سرعة تقضيها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء
من جهته فاختلط به اى بسببه اشتبك نبات الارض حتى خالط
بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزرع والبقل والحشيش
حال من النبات اى كائنا منه وما موصولة اى ياكله حتى اذا اخذت
الارض زخرفها وازينت يعنى فدام الاختلاط حتى اذا جعلت الارض
آخذة ذهبها وحليها متزينة بها كالعروس اخذت الوان ثيابها وحليها
فتزينت بها واصل ازينت تزينت فادغم فظن اهلها اهل الارض
انهم قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها فالضمير
راجع الى الارض على حذف مضاف اتاها امرنا هو ضرب زرعها بشئ
من العاهات والافات وهو جواب اذا ليلا او نهارا لا يخرج الا بيان
من احد الزمانين فجعلناها اى زرعها حصيدا اى محصودا عبر به
عن التالف جعل ما هلك من الزرع بالآفة قبل اوانه حصيدا لشبهها
بما حصد وطرح على الارض كان لم تغن بالامس مبالغة فى التلف
كانه لم يوجد قبل يعنى كان لم يكن زرعها فى الزمن الماضى وضمير تغن
الى الارض ولكن بحذف مضاف والامس مثل فى الوقت الماضى
القريب يعنى المتسبب بالدنيا المغرور بها يأتيه عذابه اغفل ما يكون
ومضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد
ما التف وازين الارض حتى طمع فيها اهلها وظنوا انهم قد حصلوها
سالما عن الجوائح هو الممثل به فانه تشبيه مركب لا الماء وحده كذلك

مثل ذلك التبيين نفصل الايات لقوم يتفكرون فان صاحب الفكر
هو المنتفع بالامور ولما ذكر مثل الحيوة الدنيا وما يؤول اليه من الفناء
وما تضمنته من الافات بين انه سبحانه داع الى دار سلامته وامنه
فقال والله يدعوا الى دار السلام دار السلامة من جميع العيوب
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم لما كان الدعاء عاما لم يتقيد بالمشية
والهداية خاصة تقيدت بها فعلم انهم فريقان اهل التقوى والهداية
واهل الضلال والغواية فبين ما لهما وقال للذين احسنوا العمل في
الدنيا الحسنى الجنة وزيادة على الجنة هي النظر الى وجه الله الكريم فسره
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم وابن ماجة
والترمذي ومسند احمد وهو قول اكابر الصحابة لكن من يضلل الله من
العباد فما له من هاد ولا يرهق لا يغشى وجوههم قتر غبار بل منور بنور الله
ولا ذلة ولا هوان وكآبة بل لقاهم نضرة وسرورا اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون فيها ظرف خالدون والتقديم رعاية للفاصلة او فيها
خبر وخالدون خبر بعد خبر والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها
الذين مبتدأ وجزاء مبتدأ ثان وبمثلها خبره والجملة بتقدير العائد خبر للاول
اي جزاء سيئة منهم بمثلها او تقديره جزاء الذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم من سخطه وعذابه عاصم
يعصمهم ويحميهم فمن الله صلة عاصم وقيل حال لانه لو اخر لكان صفة
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لكمال سوادها ومظلما حال
من الليل وهو صفة لقطعا والعامل في الصفة والموصوف متحد فالعامل
في مظلما اغشيت نحو مررت بهند جالسة ومن قرأ قطعا بسكون الطاء
فالاولى ان يكون مظلما صفة قطعا لانه لا مانع حينئذ بخلاف فتح الطاء فلا يجوز
ان يكون صفة قطعا لانها جمع فوجب ان يقال مظلمة اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون ولما بين حال الفريقين قال ويوم نحشرهم اي ذكر
حال الفريقين يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اي لفريق الضلال
مكانكم اي اثبتوا مكانكم وهو اسم فعل لازم فالفعل المقدر له لا بد ان يكون
لازما انتم تاكيد للضمير في اثبتوا المنتقل الى مكانكم وشركاؤكم الاوثان التي

وجاز التقديم لان من في من عاصم مزيدة
للتعميم والمعمول ظرف وقيل متعلق بمتعلق
لهم اي ما ثبت من جهة الله لهم عاصم صح

جعلتموها شركاء الله في العبادة فزيلنا بينهم فرقنا وقطعنا ما كان بينهم
من التواصل وقال شركاؤهم بعد ما انطقهم الله الذي انطق كل شيء
ما كنتم ايانا تعبدون بل تتبرؤون منهم مكان شفاعتهم فكفى بالله شهيدا بيننا
وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين لما تنازعوا استشهد الشركاء بالله
وشهيدا تمييز وان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة بين ان النافية
والمثبتة يعني لانا كنا جمادا لا نشعر ولا نعلم فما امرناكم بالعبادة ولا رضينا بها
هنالك اي في ذلك المقام المقتضي للحيرة تبلو كل نفس ما اسلفت
تختبر كل نفس ما اسلفت من العمل انافع ام ضار فتعاين نفعه وضره وقرأ
تتلو من التلاوة اي تقرأ او من التلو اي تتبع عمله وردوا امرهم الى الله فيحكم
بينهم مولاهم الحق متولي امورهم بالحقيقة لا ما اتخذوه مولى بالباطل قوله مولاهم
بدل من لفظ الله والحق صفة مولاهم وضل عنهم ذهب وبطل ما كانوا يفترون
اي يفترونه فيعبدونه من دون الله ولما بين فضايح عبدة الاوثان نبهها
بذكر الدلائل الدالة على فساد معتقدهم بما لا يمكن الا الاعتراف به فقال قل
من يرزقكم من السماء بالمطر والارض بالنبات فمن ابتدائية متعلقة بيرزقكم
قيل تقديره من اهل السماء والارض فمن بيان من ام من يملك السمع والابصار
اي من يملك خلقهما وحفظهما ومن يخرج الحي الحيوان من الميت النطفة ويخرج
الميت النطفة من الحي الحيوان ومن يدبر الامر يلي تدبير العالم عطف الامر
العام على الاربعة الخاص فسيقولون الله اذ الامر اوضح من ان ينكر فقل
افلا تتقون عن الشرك مع هذا الاقرار فذلكم اشارة الى ان من اختص بتلك
الاوصاف الله ربكم الحق لا ما جعلتم معه شركاء اخبار مترادفة لان الله علم
لا يمكن ان يجعل صفة ذلكم فماذا بعد الحق الا الضلال ماذا استفهام معناه
النفي وهو مبتدأ والخبر بعد الحق فانى تصرفون اي كيف يقع صرفكم بعد وضوح
الحق عن عبادة من يستحق العبادة وكيف تشركون معه غيره وهؤلاء لا يشاركون
معه في شيء من تلك الاوصاف كذلك اي مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار
حقت كلمة ربك اي حكمه السابق على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم انهم
لا يؤمنون بدل من كلمة قيل تقديره حقت عليهم كلمة العذاب لانهم لا يؤمنون
قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ادخل الاعادة في الالزام وان

وتقديم مفعول تعبدون للفواصل او للاهتمام
صح

وان لم يكونوا قائلين بها لظهور برهان الاعادة قل الله يبدأ الخلق ثم
يعيده وانتم معترفون ان شركاءكم غير قادرين على مثل ذلك فانى تؤفكون
تصرفون عن سواء السبيل قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله
يهدى للحق والهداية يعدى بالى وباللام افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع
امره وحكمه امن لا يهدى اصله يهتدى فادغم وكسرت الهاء لالتقاء
الساكنين الا ان يهدى معناه ان للمشركين شركاء بعضهم جماد كالحجر
والنجوم وبعضهم عقلاء كالملك وعيسى وعزير وحال اشرف شركائهم
انهم لا يهتدون الا بان يهدى فكيف حال غير الاشرف او معناه لا يصح منه
الاهتداء الا ان يهديه الله بان يجعل الجماد حيوانا عالما او معناه من
يهدى الخلق الى مراشدهم احق بالاتباع ام عاجز لا ينتقل من مكان الا
بامداد من الخلق والهداية تجى بمعنى النقل نحو هديت العروس الى بيت زوجها
نقله محيى السنة عن بعض كبار السلف قيل وما احسن قوله ان قوله احق
من باب التهكم فان اصنامهم ليست مستحقة بوجه للعبادة فما لكم كيف
تحكمون بما يحكم العقل ببطلانه ولما اثبت لهم الحجج البينة على بطلان ما هم عليه
ولم ينفع وهم على الضلال القديم بين سبب ذلك فقال وما يتبع
اكثرهم الا ظنا مستندا الى خيال باطل او وهم زائل والمراد ان اكثرهم وهم
عقلاؤهم وروساؤهم كذلك لكن السفلة ليسوا من اهل اتباع الظن ايضا
لا علم ولا ظن لهم كالحمر قيل القول بالاكثر لان فيهم من تبصر في الاصنام ورفضها
ان الظن لا يغنى من الحق شيئا لا يقوم مقام العلم اصلا فالمراد من الحق
العلم وشيئا مفعول مطلق اى شيئا من الغناء او مفعول به ومن الحق
حال من شيئا قدم عليه قيل معناه الظن لا يدفع من عذاب الحق شيئا
ان الله عليم بما يفعلون تهديد ووعيد ولما اثبت انهم يتبعون الظن
شرع يبين ان القران هو العلم اليقيني الصدق الذي يوصل تابعه الى الفلاح
فقال وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله لا يستقيم ولا يصح
ان يكون هذا القران المعجز مفترى من الخلق كاذبا ولكن كان تصديق
الذي بين يديه من الكتب المتقدمة وتفصيل الكتاب تبيين ما كتب
وفرض من الشرايع لا ريب فيه انه صدق من رب العالمين منزل

من رب

من رب العالمين لتربيتهم وقوله لا ريب وقوله من رب العالمين داخل
في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منفيا عنه الريب
كائنا من رب العالمين قيل لا ريب حال من اسم كان المقدرة وكذلك
من رب العالمين ام يقولون بل ايقولون افتريه محمد فام منقطعة والهمزة
للانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة على وجه الافتراء وادعوا من استطعتم
اى وادعوا الى معاونتكم على المعارضة من استطعتم من الجن والانس
من دون الله سوى الله الذي هو القادر على كل شيء متعلق بادعوا
لا باستطعتم ان كنتم صادقين انه من عند نفسه فانه بشر مثلكم بل انتم
في النظم والنثر اكثر فانه امى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه يعنى لما راوا القران
مشتملا على امور ما عرفوا حقيقتها سارعوا لجهلهم الى التكذيب فان المرء
عدو لما جهل ولما ياتهم بعد تاويله فانهم ان صبروا ليظهر لهم بالاخرة تاويله
لكن فاجاوا الانكار قبل ان يقفوا على تاويله كذلك كذب الذين من
قبلهم اى مثل ذلك التكذيب كذب قدماءهم رسلهم فانظر كيف كان
عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل عقاب الامم السالفة وقوله كيف
في موضع نصب خبر لكان وانظر معلقة والجملة الاستفهامية مع ما بعدها
في موضع نصب ومنهم من المكذبين من يؤمن به بعد ذلك ومنهم
من لا يؤمن به يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين المصرين
وقيل معناه ومنهم من يصدقه باطنا لكن يعاند ومنهم من لا يعلم صدقه
لغباوته وانا اعلم بالمعاند وان كذبوك اصروا على تكذيبك فاصل
التكذيب حاصل مع ان التبرى منهم انما يلايم الاصرار واليأس من الاجابة
فقل لى عملى ولكم عملكم اى لى الايمان ولكم الشرك او لكل جزاء عمله والمعنى
تبرأ منهم فقد اعذرت انتم بريئون مما اعمل من طاعة الله وانا برى مما
تعملون من معصية الله او لا تؤخذون بعملى ولا اؤخذ بعملكم واما قول
من يقول الاية منسوخة باية السيف ففيه بحث لانها لا تدل على عدم
التعرض لهم ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القران لكن لا يسمعون
والجمع في قوله يستمعون نظرا الى معنى من افانت تسمع الصم اتطمع ان
تسمع الاطروش فانهم بمنزلته في عدم الوعي ولو كانوا لا يعقلون

ولو انضم الى صممهم عدم العقل فان الاصم العاقل ربما يتفرس ومنهم من ينظر
اليك ويعاينون ادلة صدقك وفيه ان رؤية كافية في تصديقه لمن كان
له بصر وبصيرة لكن لا يبصرون وافراد ينظر نظرا الى لفظ من افانت تهدي
العمي انطمع انك تقدر على هداية فاقد البصر بحيث يتوجه الى مقصده ولو
كانوا لا يبصرون وان انضم اليه عدم البصيرة فان العمي مع الحمق جهد البلاء
فالاية كالتعليل للامر بالتبري ان الله لا يظلم الناس شيئا من الظلم بان يفقهم
وهم مصلحون فشيئا مفعول مطلق ولكن الناس انفسهم يظلمون بارتكاب
اسباب الشقوة وتفويت منافع العقول او معناه ما يحيق بهم في القيمة
عدل لانهم ظلموا انفسهم باقتراف اسباب العذاب فعلى هذا الاية وعيد
ولما كان ما ذكر في هذه الايات من افانين جدالهم في اباطيلهم وضلالهم
دالا على انهم لا يرون حشرا ولا نعيما وراء نعيم هذه الدار فارغين عن نوازل
الحدثان مستطيلين للزمان امنين من الفناء حسن تعقيبه بما يستقصرون معه
مدة لبثهم في الدنيا فقال ويوم نحشرهم اي اذكر حالهم يوم نحشرهم كان اي كانهم
لم يلبثوا الا ساعة من النهار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا فازداد لهم حسرة
على حسرة لتقصيرهم في تلك المدة القصيرة اليسيرة وقوله كان لم يلبثوا
جملة حالية اي مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة يتعارفون بينهم يعرف
بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا والجملة اما حال ثانية او استيناف
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وضيعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر
شهادة من الله على خسرانهم وما كانوا مهتدين لرعاية مصالح هذه التجارة
ولما اوعد بخسرانهم وعدم اهتدائهم وهم في عافية في دنياهم صارت النفوس
كانها منتظرة في ان ما يترتب على الوعيد هو في الدنيا نراه عن قريب فقال
واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم اراد ان الانتقام
منهم متعين نستوفي منهم ان اريناك عقوبتهم او لم نركها فهم على كل حال راجعون
الينا الى استيفاء العذاب فهم لا يفلتون واشار الى ان ما يصل اليهم في الدنيا
من العقوبة هو بعض ما يترتب على الوعيد ان شرطية زيدت عليها ما ولاجلها
جاز دخول النون الثقيلة وقيل ظاهر كلام سيبويه جواز قولك ان تقومن اقم بغير
زيادة ما وعلى هذا قوله فالينا مرجعهم جواب للشرط وما عطف عليه من غير حذف

وتقدير

وتقدير وجعل الزمخشري الكلام شرطين لهما جوابان جواب نرينك
محذوف تقديره فذاك الذي تقر عينك وجواب نتوفينك فالينا
مرجعهم اي ان لم نرك في الدنيا فنريكه في الاخرة ثم الله شهيد على ما يفعلون
من اول تكليفهم على جميع اعمالهم فثم لترتيب الاخبار ولما ذكر حاله صلى الله
عليه وسلم مع قومه انه يرى عذابهم في الدنيا والاخرة او في الاخرة وحدها
يذكر ان حال جميع الامم مع الرسل كذلك فقال ولكل امة رسول يدعوهم
الى الحق فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط اي بالعدل وهو هلاك
من كذبه ونجاة من تبعه وهم لا يظلمون فلا ينقص ثوابهم ولا ناخذهم
بغير ذنب قيل معناه اذا جاء رسولهم الموقف في القيمة ليشهد عليهم بالايمان
والكفر قضي بينهم بالعدل فلا بد لكل رسول ان يرى ثواب امته وعقابهم
ولما سمعوا امر وعيدهم بانه متعين الوقوع استهزؤا فقال لنبيه ويقولون
اي المشركون استبعادا واستهزاء متى هذا الوعد الذي تعدونا من العذاب
ان كنتم يعني الرسول واتباعه صادقين استبطاء للعذاب فاستعجلوه
قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في عذابكم الا ما شاء
الله ان املكه فليس اتيان العذاب بيدي او الاستثناء منقطع اي لكن ما شاء الله
من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم اي اذا جاء
ذاك الوقت فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتاخرون ولا
يتقدمون بل يصل اليهم اجلهم في هذا الزمان المضروب يعني لولا هذا
لكان يصل اليهم العذاب حين استعجلوه ولم يتاخر وقد مر تفسير قوله
اذا جاء اجلهم في الاعراف فلا تنس قل ارايتم اي اخبروني عن عذاب الله
ان اتاكم عذابه بياتا وقت بيات او نهارا وقت اشتغالكم بطلب المعاش
ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء يستعجلون منه فليس شيء من العذاب
يستعجله عاقل اذ العذاب كله مر المذاق فالجملة الاستفهامية جاءت
على سبيل التلطف بهم والتنبيه لهم ان العذاب لا ينبغي ان يستعجل او جاءت
على سبيل التهويل والتعجب للعذاب اي اي شيء شديد يستعجلون منه يعني
ما اشد واهول ما يستعجلون من العذاب فارايتم بمعنى اخبروني وانها
تتعدى اذ ذاك الى مفعولين والمفعول الثاني اكثر ما يكون جملة استفهامية

تنعقد منها مع ما قبلها مبتدأ وخبر وعلى هذا المفعول الاول هنا محذوف
والمسئلة من باب التنازع تنازع ارأيتم واتاكم في عذابه واعمل الثاني كما هو
مذهب البصريين وهو الاكثر سماعا من كلام العرب وحذف من الاول
لان الاضمار مختص بالشعر او قليل اي اخبروني عذاب الله وجواب الشرط
محذوف يدل عليه الكلام وهو فاخبروني ماذا يستعجل نحو انت ظالم ان ضربت
وانتصاب بياتا وما عطف عليه على الظرف فالمعنى ان اتاكم عذابه وانتم
ساهون غافلون اما بنوم او باشتغال بالكسب والمعاش لان العذاب
اذا فاجأ من غير شعور به كان اشد واصعب بخلاف ان يكون قد تهيأ
لحلوله ويجوز في ماذا يستعجل ان ما مبتدأ وذا خبره بمعنى الذي والعائد مقدر
اي اي شئ الذي يستعجل من العذاب المجرمون ويجوز ان يكون ماذا كله
مفعولا مبتدأ وخبره الجملة بعده كانه قال اي شئ يستعجله من العذاب
المجرمون والمجرمون هم المخاطبون في ارأيتم ونبه على الوصف الموجب لترك
الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف هذا هو المعنى والاعراب
الذي لا غبار عليه اثم اذا ما وقع امنتم به ثم حرف عطف تقدمت همزة
الاستفهام عليها كما تقدمت على الواو والفاء وتقدم الكلام عليه مرارا
والاستفهام للتوبيخ يعني اذا وقع العذاب امنتم بالعذاب الان وقد كنتم
به تستعجلون مقدر بالقول يعني قيل لهم اذ امنوا بعد العذاب الان امنتم به
فناصب الان محذوف هو امنتم يدل عليه امنتم به لان الاستفهام قد اخذ
صدر الكلام فيمنع ما قبله ان يعمل فيما بعده وقوله وقد كنتم جملة حالية لان
استعجالهم بالعذاب تكذيب لوقوعه والجملة مستانفة ثم قيل عطف على
قيل المقدر للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
في طول اعماركم فلا ظلم منا ويستنبئونك يستخبرونك اصل الاستنباء
التعدية الى واحد بنفسها والى اخر بحرف الجر فالاول كاف الخطاب والثاني
الجملة من قوله احق هو على سبيل التعليق وهو كما قائم زيد جاز في اعرابه
وجهان والضمير راجع الى العذاب فقيل الهمزة للانكار والسخرية قل اي
وربي اي من حروف الجواب بمعنى نعم ولا يستعمل الا مع القسم انه لحق
كائن ثابت وما انتم بمعجزين الله من دفعه وقوله وما انتم يحتمل ان يكون

داخلة

داخلة في جواب القسم معطوفا على الجواب ويحتمل ان يكون اخبارا غير معطوف
على جواب القسم ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لو ثبت له جميع
ما في الارض من الخزائن وقوله ظلمت صفة لنفس والمراد من الظلم الشرك
لافتدت به لجعلته فداء لخلاص نفسه من عذاب الله وافتدى يأتي
مطاوع فدى فلا يتعدى تقول فديته فافتدى وبمعنى فدى فيتعدى وههنا
يحتمل الوجهين واسروا الندامة لما راوا العذاب واسر من الاضداد بمعنى
اظهر واخفى اي اظهروها او اخفوها حذرا من التعيير او لانهم غير قادرين على
اظهارها لشدة الامر وقضي بينهم بين المؤمنين والكافرين بالقسط بالعدل
وهم لا يظلمون فانهم مستحقون والظاهر ان جملة وقضي ليست معطوفة
على ما في حيز لما وضمير بينهم عائد على كل نفس ظلمت او بينهم وبين غير الظالمين
وهم المؤمنون الا ان لله ما في السموات والارض فيقدر على ما يشاء وقيل
المعنى لو ان له ما في السماء والارض لافتدت وليس له ذلك فانه لله
الا ان وعد الله حق لا خلف فيه بوجه ولكن اكثرهم لا يعلمون لغفلتهم وقصور
عقلهم هو يحيي ويميت واليه ترجعون ومن بيده الاحياء والاماتة تمكن
من النشر والبعث ولما ذكر وفصل واشبع الادلة على الالوهية والوحدانية
بين دليل صحة النبوة والطريق المؤدي اليها وهو القران فقال يا ايها
الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم اي زجر عن الفواحش ومن ربكم
ظرف لجاءت او صفة لموعظة وشفاء لما في الصدور من سوء الاعتقاد
والاخلاق الذميمة وهدى الى الصواب ورحمة للمؤمنين فبه حصل لهم
النجاة من الظلمات الى النور قل بفضل الله وبرحمته الذي هو القران
فانه وصفه بانه رحمة للمؤمنين فبذلك فليفرحوا جملتان حذف ما تعلق
به ابتداء اي قل بفضل الله وبرحمته ليفرحوا ثم عطفت الجملة الثانية على
الاولى على سبيل التوكيد وفيه ايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح
دون ما عداهما من فوائد الدنيا وحذف احد الفعلين لدلالة التابع عليه
لانه لا يمكن تعلق بفضل الله وبرحمته على الفعل المذكور لان قوله فبذلك
عينهما وهو متعلق به والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوا
الفضل والرحمة بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ولا بعد ان يكون

سبحانه قل يا محمد مستعينا بفضل الله ورحمته كونوا فرحين بهما هو خير
مما يجمعون من حطام الدنيا وهو عائد الى الفرح بهما او الضمير عائد
الى الفضل والرحمة باعتبار انهما واحد ولما من علينا بانزال القران
المشتمل على التحليل والتحريم بين فساد شرايعهم واحكامهم فقال قل
ارايتم اى اخبرونى ما انزل الله ما موصولة اى ما انزله الله هو المفعول
الاول لارايتم لكم من رزق مقدر من السماء محصل باسباب سماوية
فجعلتم منه حراما كالبحيرة والسوائب والوصائل وحلالا كالميتة وغيرها
قوله فجعلتم معطوف على انزل والمفعول الثانى مقدر تقديره آلله
اذن لكم جملة استفهامية دالة عليها قوله قل آلله اذن لكم بالتحليل
والتحريم ام على الله تفترون فى نسبة ذلك اليه فام متصلة والمعنى
اخبرونى آلله اذن لكم فى التحليل والتحريم فانتم باذنه تنسبون اليه
ام تكذبون على الله ولا يمكنهم ادعاء اذن الله فثبت الافتراء فقال
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة اى اى شئ ظنهم
يوم القيمة ان الله فاعل بهم ايحسبون ان لا يجازوا عليه وفى ابهام
الوعيد تهديد شديد ان الله لذو فضل على الناس حيث لا يستعجل
عقوبتهم او فيما اباح لهم ما ينفعهم ولم يحرم عليهم الا المضار ولكن اكثرهم
لا يشكرون هذه النعمة فيحللون ويحرمون بمقتضى هواهم ولما اظهر
جملة من احوال الكفار ومذاهبهم والرد عليهم ومحاولة الرسول لهم وفضله
على الخلق وعدم شكر اكثرهم ذكر اطلاعه على احوالهم للتنبيه والتاديب
والصبر فى مقاسات الاعداء كما قال فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا
فقال وما تكون فى شان لا تكون يا محمد انت فى امر من الامور وما تتلو
منه من قران ولا تتلو القران من اجل شان وامر او لا تتلو القران من الله
ولا تعملون من عمل اى انتم كلكم من الرسول وامته الا كنا عليكم شهودا
رقباء مطلعين عليها اذ تفيضون تخوضون فيه وما يعزب عن ربك
لا يبعد ولا يغيب عنه من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء
فالذرة يقال للنملة والهباء فى الارض ولا فى السماء اى فى الوجود فان
الاكثر لا يعرفون الا ما فيهما وقدم الارض هنا لانه محل المخاطبين وقال

عن ربك

عن ربك تشريفا وتعظيما لرسوله صلى الله عليه وسلم واذ تخلص
المضارع لمعنى الماضى كانه قال لنا عليكم شهودا اذ افضتم فيه
ولا اصغر من ذلك اى من مثقال ذرة وتقديم الاصغر على الاكبر لانه
فى صدد بيان احاطة علمه بادق الاشياء ولا اكبر لاحاطة علمه بالجميع
الا فى كتاب مبين قوله ولا اصغر جملة برأسها مقررة لما سبق واصغر
اسم لا والا فى كتاب خبرها لا انها عطف على مثقال ذرة وقراءة الفتح
لانه غير منصرف ومن جعله عطفا على مثقال فلا بد وان يكون الاستثناء
عنده منقطعا اى لكن هو فى كتاب مبين هو اللوح المحفوظ ولما بين
ان المخاطبين فريقان وعلم ان الفريق الذين هم الاكثرون غير شاكرين
توجه لخاطر الى العلم بحال القليل الذين هم الشاكرون فقال الا ان
اولياء الله الذين هم المومنون الشاكرون المتقون لا خوف عليهم
عند الفزع الاكبر ولا هم يحزنون على فوات مامول ولا يجتمع خوفان
ولا امنان فمن خاف فى الدنيا امن فى الاخرة ومن امن خاف الذين
امنوا يحتمل نصبه على الصفة او على البدل وكانوا يتقون عن المعاصى
لهم البشرى فى الحيوة الدنيا تظاهرت الروايات عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انها الرويا الصالحة يراها المومن او يرى له قيل هى بشرى الملئكة
عند احتضاره وقيل هى ما بشر الله المومنين فى كتابه من الجنة ولقائه
وفى الاخرة تلقى الملئكة اياهم مبشرين بالفوز والكرامة واعطاء الصحف
بايمانهم قيل الذين امنوا مبتدأ ولهم البشرى خبره والجملة كالمبين لجملة
الا ان اولياء الله لا تبديل لكلمات الله لا اخلاف لوعده ووعيده
ذلك اى كونهم مبشرين هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم تكذيبك
وتخويفك والاستهزاء فانه قول يراد به تبديل كلمات الله ان العزة لله
جميعا فهو يعزك بغلبتك ويذلهم وهو السميع لقولهم الذى هو المحزن
لفوادك العليم بنياتهم الا ان لله ملكا وخلقا من فى السموات ومن
فى الارض من الملك والثقلين الذين هم اشرف المخلوقات فكيف
لا تكون العزة لله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اى
ان الذين جعلوهم آلهة واشركوهم مع الله فى الربوبية ليسوا شركاء فى نفس الامر

فانهم اذلاء والعزة والربوبية لا يفترقان فما نافية وشركاء مفعول يتبع و
ومفعول يدعون مقدر اى الهة ان يتبعون الا الظن اى لا يتبعون الا
الخيال الباطل الذى ليس له مستند او ما استفهامية وعلى هذا شركاء
مفعول يدعون اى اى شى يتبعون على تحقير المتبع كانه قيل من يدعو
شريكا لله لا يتبع شيئا وقيل ما موصولة عطف على من فى السموات اى وله
شركاؤهم وانهم الا يخرصون ما هم الا انهم يكذبون او يحزرون حزرا باطلا
هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا من نصب النهار والنهار
مبصرا تبصرون فيه مكاسبكم فكيف جاز عبادة غيره الذى لا حراك له
ونسبة الابصار الى النهار مجاز ذكر علة خلق الليل وحذفها من النهار
وذكر وصف النهار وحذفه من الليل وكل من المحذوف دال على مقابله
كانه قال جعل الليل مظلما لتسكنوا والنهار مبصرا لتتحركوا فى جلب حوائجكم
ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون لا لصم عن الحق يعنى يسمعون سماع
تامل وفيه ايماء الى ان عابدى الشركاء اكمل حالا من معبودهم فان
شركاءهم لا تسمع ولا تبصر اصلا ولما ذكر انهم يتبعون الظن ويخرصون
قال قالوا اتخذ الله ولدا فانهم قالوا الملئكة بنات الله وهذا من ظنهم
الباطل فانه لا يكون الا من ليس محتاجا الى شى بوجه سبحانه تنزيه له
عن التبنى وتعجب عن حماقتهم هو الغنى علة تنزيهه عن الولد فان اتخاذ
الولد مسبب عن الحاجة له ما فى السموات وما فى الارض مقرر لغناه ان
عندكم من سلطان بهذا ليس عندكم دليل بهذا بل انتم تابعون لجهلكم
فبهذا متعلق بسلطان وقيل نعت له اتقولون على الله ما لا تعلمون
الهمزة للانكار والتوبيخ يعنى اتنسبون اليه ما لا تعلمون انه منسوب اليه
قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون فى الدنيا والدين
متاع فى الدنيا لهم متاع قليل فى الدنيا فهو مبتدا محذوف الخبر او الا قراء
متاع فى الدنيا يقيمون به فى الكفر رياستهم فهو خبر محذوف المبتدا ثم الينا
مرجعهم بالموت بان نحييهم بعده ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون
بسبب كفرهم ولما فصل الدلائل على وحدانيته وذكر ما جرى بين الرسول
صلى الله عليه وسلم وبين الكفار ذكر قصصا من قصص الانبيا وما جرى

لهم بين قومهم

لهم بين قومهم تسلية لقلب نبيه وعبرة لمن جحده فقال واتل عليهم نبا نوح
حاله مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم وشق مقامى بين
اظهركم وتذكيرى اياكم بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم من
اجمع الامر اذا قصده وعزم عليه وشركاءكم معطوف على امركم بحذف مضاف
اى وامر شركائكم او مفعول معه من الفاعل اى اعزموا انتم وشركاؤكم الذين تزعمون
ان لهم قدرة واثبتم الربوبية على كيدى واهلاكى فانى متوكل على ربى لا اخاف
ولا ابالى وجواب الشرط فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت معترضة بين الشرط
والجزاء وهو متوكل على الله دائما او فعلى الله توكلت جواب الشرط وقوله فاجمعوا
مرتب عليه مسبب عنه ومعناه ان عظم عليكم مقامى وتذكيرى فجددت
توكلى على ربى وعذت من شركم الى حمايته وهذا هو الاظهر ثم لا يكن امركم عليكم
غمة مبهما مستورا بل مكشوفا تجاهرونني به يعنى لتجاهدوا فى اهلاكى وعداوتى
كل غاية فى المكاشفة والمجاهرة قيل معناه لم يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتمونى
وتخلصتم عن ثقل مقامى وتذكيرى ثم اقضوا الى انفذوا واقضاكم نحوى فمفعول
اقضوا مقدر اى اقضوا الى ذلك الامر وادوا الى ما تريدون ولا تنظرون
ولا تمهلونى فان توليتم اعرضتم عن تذكيرى فما سالتكم من اجر حتى يفوت
ذلك الاجر حين ما وليتم بل ما كان النصح والتذكير الا لكم فما رزقتم الا ما هو نفعكم
ان اجرى الا على الله لا عليكم وامرت ان اكون من المسلمين المستسلمين
لامر الله فكذبوه اصروا على تكذيبه فنجيناه من الغرق ومن معه فى الفلك
اى ومن استقر معه فى الفلك وجعلناهم خلائف من الهالكين اعطيناهم
ملكهم وجمع الضمير باعتبار معنى من واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين المكذبين وكيف خبر كان وفى بيان تلك
الحكاية تسلية وتشجيع لقلب اشرف الخلق وتوعد لمن كفر به وضرب مثال لهم
ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات المعجزات
الظاهرات فما كانوا فما استقام لهم ليؤمنوا اجاء النفى مصحوبا بلام الجحود ليدل
على ان ايمانهم فى حيز الاستحالة بما كذبوا به من قبل اى فما كانوا ليؤمنوا
بالذى كذبوا به قبل بعثة الرسل اليهم او بسبب تعودهم تكذيب الحق من قبل
بعثة الرسل او المراد من كذبوا به تكذيب اباهم واسلافهم فهم واسلافهم

على منهاج واحد كذلك نطبع على قلوب المعتدين نختم على قلوب المتجاوزين
عن حدود الله فلا يدخلها سداد ولا رشاد ثم بعثنا من بعدهم بعد هولاء
الرسل مثل هود وصالح ولوط وابرهيم موسى وهرون الى فرعون وملائه
واشراف قومه والمراد جميع قومه لكن اشرافهم رؤساهم المعتدون الذين
اذا اصلحوا اتبعهم الباقي باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين معتادين
الاجرام فلما جاءهم الحق المعجزات المزيحة للشك من عندنا قالوا من فرط
التمرد ان هذا لسحر مبين واضح قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم محكي القول
محذوف لدلالة الكلام عليه وهو انه لسحر وقيل معناه اتعيبونه فالقول كناية
عن القالة والطعن يقال فلان يخاف القالة اي الطعن وعلى هذا لا يستدعي
مفعولا ثم قال موسى اسحر هذا استفهام انكار وتعجب ولا يجوز ان يكون هذا
محكي القول لانهم بتوا القول بانه سحر من غير شك ولا يفلح الساحرون
من تمام كلام موسى اي لو كان سحرا لاضمحل وذل وغلب فاعله فكيف اركبه
وانا اعلم انهم لا يفلحون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا عما وجدنا عليه اباءنا
من عبادة غير الله وتكون لكما الكبرياء العزة والعظمة وهي مصدر في الارض
يعني لستما مخلصين بل هذا غرضكما وما نحن لكما بمؤمنين مصدقين وقال
فرعون ائتوني بكل ساحر عليم حاذق في السحر يعارضه ويبطل سحره فلما جاء
السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون وهذا القول منه عليه السلام لاعتماده على
وعد الله وعدم المبالاة بهم ولانه علم ان مراد السحرة التقدم في الالقاء كما علم من
المواضع الاخر من القران وفي ابهام ما انتم ملقون تخسيس واعلام انه لا شيء
يلتفت اليه فلما القوا قال موسى ما جئتم به الذي جئتم به السحر هو السحر لا ما جئت به
فالسحر خبر محذوف والجملة خبر ما او السحر خبر ما وقراءة السحر بالاستفهام فما استفهامية
مبتدا او جئتم به خبرها والسحر بدل من ما او خبر مبتدا محذوف تقديره اهو سحر
فيكون الاستفهام ثانيا ان الله سيبطله سيمحقه ان الله لا يصلح لا يقوي
ولا يثبت عمل المفسدين ويحق الله الحق يثبته بكلماته باوامره وقضاياه او بوعده
ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى الفاء يدل على ان الايمان الصادر من
الذرية لم يتاخر عن قصة الالقاء الا ذرية من قومه الضمير لموسى فانه عليه السلام
هو المحدث عنه وهو اقرب مذكور والا فالمناسب ان يقول الا ذرية من قوم

فرعون على خوف منه من غير اظهار لفظ فرعون وكان هذا في اول مبعثه فانه
لما دعا الاباء لم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم اول الامر
مع الخوف من فرعون على خوف من فرعون وملائهم اي مع خوف من
فرعون واشراف قوم فرعون واتى بضمير الجمع مع ان المرجع مفرد لان المراد
من فرعون هو واله كما يقال ربيعة ومضر وقيل عظم فرعون لملكه كما في ضمير
العظماء ان يفتنهم اي يعذبهم بدل اشتمال من فرعون او متعلق بخوف
على وجه التعليل او على المفعول به اي لاجل فتنة او على خوف فتنة وان
فرعون لعال لغالب في الارض وانه لمن المسرفين في الكبر حتى ادعى الالوهية
وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين الاسلام
هو الانقياد للتكاليف الصادرة من الله مع اظهار الخضوع والايمان عرفان
الذات والصفات وان كل ما سواه تحت قهره فاذا حصل هذان اشترط ان
فوض العبد جميع اموره الى الله واعتمد وهذا كقولك ان دخلت الدار فانت
طالق ان كنت زوجتي وليس من باب تعليق الحكم بشرطين على نحو ان
دخلت الدار فانت طالق ان كلمت فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين اي موضع فتنة لهم يعذبونا فيفتنونا عن ديننا
او ربما لا يصبر احد في العذاب ويرجع فيشقى ونجنا خلصنا برحمتك
من القوم الكافرين سالوا الله اولا سلامة دينهم ثم سلامة انفسهم او معناه
لا تسلطهم علينا فيحسبوا انهم على الحق فيفتتنوا بذلك او معناه لا تعذبنا
بعذاب فيقولوا لو كانوا على الحق ما عذبوا واوحينا الى موسى واخيه ان
تبوا اي اتخذا مباءة يعني موضع اقامة لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا انتما
وقومكما بيوتكم اي في بيوتكم قبلة مساجد فانهم لا يصلون الا في كنائسهم
وكانوا خائفين من فرعون فامروا بان يجعلوا في بيوتهم مساجد يصلون
فيها سرا والمراد اجعلوا بيوتكم مصلى فرخصوا ان يصلوا في نفس البيوت
من غير اتخاذ المساجد فيها فبيوتكم وقبلة مفعولاه واقيموا الصلوة فيها
قيل معناه اجعلوا بيوتكم متقابلة لتكونوا مجتمعين واكثروا من الصلوة
كما قال تعالى استعينوا بالصبر والصلوة وبشر يا موسى المومنين
بالنصر والاجر وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة

كالالبسة الفاخرة والمراكب واموالا في الحيوة الدنيا متعلق بآتيت ربنا
تكرير وتاكيد للدعاء والاستعانة ليضلوا عن سبيلك لام العلة فالاضلال
لايكون الا بارادة الله وايتاء الاموال استدراج او لام الدعاء فهو دعاء بصيغة
الامر ربنا اطمس على اموالهم اهلكها قال ابن عباس صارت دراهمهم حجارة
منقوشة ولم يبق لهم معدن الا طمس الله عليه فلم ينتفع به احد بعد واشدد
على قلوبهم اقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح بالايمان فلا يؤمنوا منصوب
على انه جواب اشدد وتقديره ان تشدد لا يؤمنوا وقيل مجزوم ودعاء
بلفظ النهي وقيل عطف اي ليضلوا فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
وهذه الدعوة غضبا لله ولدينه وهو عليه السلام لكثرة فسادهم واجترائهم
وافترائهم على الله ابغضهم اشد بغض فما اراد الا مزيد نكالهم كما دعا نوح
عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا والرضى بالكفر من حيث
انه كفر كفر واما الرضى بكفر شخص معين لعقوبته فجائز قال بعض العلماء الرضى
بكفر نفسه كفر لا بكفر غيره وقيل انه من قبيل لعن الله ابليس لانهم قوم تبين له
انه لا خير فيهم قال الله قد اجيبت دعوتكما فقد دعا موسى وامن هرون
فاستقيما على ما امرتما به من الدعوة الى الله ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون طريقة الجهلة في عدم الوثوق بوعدي او المراد من الذين لا يعلمون
فرعون وقومه وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في ارض البحر فاتبعهم
فرعون وجنوده يقال تبعته حتى اتبعته اي لحقته ولم يقل فتبعهم لانه غير مشعر
باللحوق والوصول بغيا وعدوا الطلب الاستعلاء والظلم فهو مفعول له وقيل
حال اي باغين وظالمين حتى اذا ادركه الغرق وايس من الحيوة قال امنت انه
اي بانه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين المنقادين
الآن اي اتؤمن الآن حين يأست عن نفسك فان التوبة بعد معاينة
العذاب لا تنفع قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله
التي قد خلت في عباده وقد عصيت قبل مدة عمرك وكنت من المفسدين
المضلين وهذا قول جبرئيل او قول الله فاليوم ننجيك نبعدك عما وقع فيه
قومك من قعر البحر او نلقيك بنجوة بارض مرتفعة ببدنك حال كونك
ملتبسا بالبدن عاريا عن الروح او المراد من البدن الدرع اي مع درعك

وله درع

وله درع من ذهب ولؤلؤ وقيل عريانا من غير لباس لتكون لمن خلفك
لمن يأتي بعدك اية عبرة ونكالا وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون
فلا يتفكرون ولا يتعظون بها ولا يعرفون انها اية ولقد بوانا معناه
انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق مفعول ثان لبوانا نحو لنبوئنهم من الجنة غرفا
او مصدر والمراد من الصدق الفضل والكرامة ورزقناهم من الطيبات
المأكل اللذائذ فما اختلفوا في امر دينهم حتى جاءهم العلم اي التورية الذي
فيه العلم المزيح للشك فهذا ذم لهم فان سبب الاتفاق صار عندهم
سبب الشقاق والاختلاف ان ربك يقضي يحكم بالعدل بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيثيب المحق ويعاقب المبطل فان
كنت في شك مما انزلنا اليك ان الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء
ولا يستلزم وقوعه بل ولا امكانه كما قال تعالى قل ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين وهذا من ذلك القبيل فلذلك قال صلى الله عليه
وسلم لا اشك ولا اسال والمقصود التثبيت فاسال الذين يقرؤن
الكتاب من قبلك كعبد الله بن سلام واضرابه فان صفتك وصفة
دينك مكتوب في كتبهم السماوية لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن
من الممترين بالتزلزل عما انت فيه من اليقين قيل الخطاب في قوله فان
كنت لكل سامع والقران منزل الى جميع الامة بل الى الخلق كلهم ولا تكونن
من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين نصب تكون لانه
جواب النهي اي فان تكون وهذا من باب التهييج وقطع الاطماع ان
الذين حقت ثبتت عليهم كلمة ربك باللعن وقضى عليهم بالشقاوة
لا يؤمنون بالله وبصفاته وبرسوله ولو جاءتهم كل اية فانهم على طبع
وسجية لا يتاتى منهم الايمان حتى يروا العذاب الاليم فان ايمانهم حينئذ
للنجاة عن العذاب لا لصدق ويقين فلا ينفعهم فلولا اي هلا تحضيضية
وههنا للتوبيخ وبخهم على ترك الايمان النافع كانت قرية من القرى امنت
قبل معاينة العذاب فنفعها ايمانها لوقوعه في وقت الاختيار الا قوم
يونس اي لكن قومه لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
ومتعناهم الى حين اي الى زمان قدرنا موتهم وعلى هذا الاستثناء

منقطع واليه ذهب سيبويه والفراء والاخفش وقيل الجملة في معنى النفي
يعني ما كانت قرية امنت اهلها بتمامها فنفعها ايمانها الا قوم يونس
وهم اهل نينوى من ارض الموصل بعد ما عاينوا اسباب العذاب جاروا
الى الله ولبسوا المسوح وفرقوا بين كل حيوان وولده وعجوا الى الله فكشف
الله عنهم الدخان وقبل منهم الايمان وعلى هذا الاستثناء متصل ولا بد من
تاويله بالنفي والا لفسد المعنى لما يلزم ان لا يكون الايمان مطلوبا من
المستثنين وهم مائة الف او يزيدون ولو شاء ربك لامن من في الارض
كلهم جميعا اي مجتمعين على الايمان قيل نزوله في ابي طالب افانت تكره
الناس بما لم يشا الله منهم حتى يكونوا مومنين يعني ليس لك اكراههم بل
يمكن الاكراه من الله وهذا عند حرصه صلى الله عليه وسلم بايمان قومه كما قال
تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وما كان لنفس ان تومن الا
باذن الله الا بارادته فليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ويجعل
الرجس العذاب والضلال على الذين لا يعقلون حجج الله وادلته وهو العادل
الحكيم في الهداية والاضلال قل انظروا تفكروا ماذا في السموات والارض
انظروا معلق عن العمل لكن ان كانت بصرية فهو متعد بالى وان كانت
قلبية تعدت بفي والسبيل الى معرفة الله بالتفكر في العلويات في حركات
الافلاك ومقاديرها واوضاعها وكواكبها وما يختص بذلك من المنافع
وفي السفليات في العناصر والمعادن والنبات والحيوان وخصوصا
حال الانسان وما تغني الايات والنذر اما مصدر اي الانذارات او بمعنى
منذر فالمراد الرسل عن قوم لا يومنون في حكم الله قيل ما استفهامية انكارية
اي اي شيء تغني وتدفع الايات عنهم فيكون ما مفعول تغني وفي الاية توبيخ
لمشركي زمان نزول القران فهل ينتظرون اي اهل مكة الا مثل ايام الذين
خلوا اي مضوا من قبلهم اي مثل وقائع الامم السالفة والعرب
تسمي عذاب قوم اياما دهم وان كانوا لا ينتظرونه لكن لما استحقوا العذاب
وما امنوا بكل اية موجبة للايمان ناسب ان يشك في انهم ينتظرون قيل
معناه فهل ينتظرون لك يا محمد مثل تلك الوقائع لمن سلف قل فانتظروا
اني معكم من المنتظرين مثل ما انتظرتم ثم ننجي رسلنا عطف على محذوف

دل عليه

دل عليه قوله مثل ايام الذين خلوا كانه قال اهلكناهم ثم ننجي والفعل المضارع
على حكاية الاحوال الماضية والذين امنوا معهم كذلك اي مثل ذلك الانجاء
ننجي المومنين حين نهلك المشركين حقا علينا ننجي المومنين قوله حقا علينا معترضة
اي حق ذلك علينا حقا بحسب وعدنا قل يا ايها الناس ان كنتم في شك
من ديني من صحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله
الذي يتوفيكم بقبض ارواحكم يعني هذا خلاصة ديني فاعرضوا على عقولكم
لتعلموا حقية ديني وبطلان دينكم بدءا اولا بالانتفاء من عبادة ما يعبدون
تسفيها لرايهم واثبت ثانيا من الذي يعبده وهو الله الذي يتوفاكم وخصه
بوصف التوفي لما فيه من تذكير الموت وارهاب النفوس وصيرورتهم الى الله
فهو الجدير بان يخاف ويعبد لا الحجارة وفيه دلالة على البدء وعلى الاعادة والنقلة
فانا لا اعبد فان الفعل المنفي بلا اذا وقع جوابا انجزم فاذا دخلت عليه الفاء
علم انه على اضمار المبتدا وامرت ان اكون اي بان اكون من المومنين بما
وان اقم عطف على ان اكون وصلة ان محكية بعبارة امر بها الله وجوز
سيبويه ان تكون صلتها انشائية وقال لا فرق في الغرض لان المقصود
وصلها بما يتضمن معنى المصدر وجميع صيغ الافعال تتضمن المصدر فالمعنى
امرت بالاستقامة قيل تقديره واوحي الى ان اقم فان يحتمل ان يكون مفسرة
او مصدرية وجهك مقصدك للدين حنيفا منحرفا عن الشرك حال من
الفاعل او المفعول ولا تكونن من المشركين ولا تدع يحتمل عطفه على اقم
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اي لا يقدر عليهما قيل لا ينفعك
ان عبدته ولا يضرك ان تركته فان فعلت اي دعوت ما لا ينفعك
ولا يضرك فانك اذا من الظالمين رتبة اذا بعد الخبر لكن توسطت رعاية
للفاصلة وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له يدفعه عنك الا هو فهو الضار
وان يردك بخير وما اراد الله مفعول فلا راد لفضله الذي ارادك
واشار بتلك العبارة الى انه متفضل بالخير يصيب به بالخير من يشاء
من عباده وهو الغفور الرحيم اتى في الضر بلفظ المس وفي الخير بلفظ الارادة
وطابق بين الضر والخير مطابقة معنوية فان مقابل الضر النفع ومقابل
الخير الشر فلفظة الضر الطف واخص ولفظة الخير اتم ولفظة المس الص

على الاصابة وانسب لقوله فلا كاشف ولفظة الارادة ادل على الحصول
وانسب للفظ الخير وجاء جواب ان يمسسك بنفي عام وايجاب وجواب
ان يردك بنفي عام لان ما اراده لا يمكن رده. قل يا ايها الناس قد جاءكم
الحق اي القران من ربكم فمن اهتدى بالايمان به فانما يهتدي لنفسه نفعه لها
ومن ضل بالكفر به فانما يضل عليها وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل
بموكول الى امركم او بكفيل احفظ اعمالكم انما انا نذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال
والايصال الى الخلق واصبر على مخالفة من خالفك حتى يحكم الله بنصرك
وقهر عدوك وهو خير الحاكمين لان جميع احكامه على نهج الحكم والصواب لا يمكن
طريان الخطأ فيه روي انه لما نزلت جمع صلى الله عليه وسلم الانصار فقال
انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني والحمد لله رب العالمين

سورة هود مكية مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب خبر الر ان كان اسما للسورة والا
فخبر محذوف اي هو اعني القران كتاب احكمت اياته ثم فصلت محكمة اللفظ
مفصلة المعنى او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية او انزلت شيئا
فشيئا من لدن حكيم خبير حكيم صفة راجعة الى احكمت وخبير الى فصلت ومن
متعلقة باحد الفعلين من باب التنازع او صفة ثان لكتاب ان لا تعبدوا
الا الله اي احكمت ثم فصلت لاجل ان لا تعبدوا الا اياه او ان تفسيرية لان
في تفصيل الايات معنى القول انني لكم منه من الله نذير بالعقاب على عابدي
غير الله وبشير بالثواب على من يعبد الله ويحتمل تعلق منه بنذير وبشير
اي انذركم من عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم وان استغفروا ربكم
من الذنوب السالفة وعطف هذا على ان لا تعبدوا ونهي نحو لا تهلك اسى
وتجمل ثم توبوا اليه في الاستقبال او اطلبوا المغفرة وهي الستر ثم انسلخوا
بالكلية من المعاصي او ثم ارجعوا اليه بالطاعة يمتعكم متاعا حسنا الى اجل
مسمى يعيشكم في امن وسعة في الدنيا ويؤت كل ذي فضل فضله عن ابن عباس
يؤت كل من فضلت وزادت حسناته فضل الله اي الجنة والاستغفار اول
حال الراجع الى الله فناسب ان يترتب عليه حال الدنيا كما قال تعالى
حكاية فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم الآية

والتوبة هي المنجية فناسب ان يترتب عليها حال الاخرة فيكون من قبيل
اللف والنشر المرتب وضمير فضله يحتمل رجوعه الى كل اي جزاء ذلك الفضل الذي
عمله في الدنيا لا يبخس منه شيء وان تولوا اي تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب
يوم كبير عظيم لما فيه من الاهوال قيل تولوا ماض للغائبين والتقدير فقل
لهم اني اخاف عليكم الى الله مرجعكم بالجزاء وهو على كل شيء قدير فيقدر على
تعذيب المعرض ولما قال فان تولوا ناسب ذكر من يثني صدره فقال
الا انهم يثنون صدورهم من ثنيت الشيء اذا عطفته وطويته كان من حال
بعضهم اذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نطأطأوا وثنوا صدورهم
كالمستتر وردوا اليه ظهورهم وغشوا وجوههم ثيابهم تباعدا منه وكراهة للقائه
يظنون ان ذلك يخفى عليه وعن الله او قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا
ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم ليستخفوا منه من الله
فلا يطلع رسوله على اوزارهم او الضمير الى رسول الله يعني اخفيتم منه لكن
لا يمكن لكم الاخفاء من الله تعالى الا حين يستغشون ثيابهم يغطون رؤوسهم
بثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون يستوي في علم الله سرهم وعلنهم
وانتصب حين بقوله يعلم ولا حاجة الى اضمار انه عليم بذات الصدور
فكيف يمكن لهم اخفاء اعمال جوارحهم وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها فكيف لا يحيط علمه بالجليات والخفيات وهو المتكفل من فضله
برزق كل شيء محتاج الى الرزق وقوله في الارض لتاكيد العموم ويمكن ان
يكون اشارة الى ان كل ما ليس في الارض مستغن عن الرزق المعهود
ويعلم مستقرها ومستودعها مكانها في حيوتها ومماتها كل في كتاب مبين
كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ ولما بين احاطة علمه شرع في تبيين كمال
قدرته فقال وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام كايام الدنيا
او كل يوم كالف سنة وكان عرشه على الماء روى الترمذي وابن ماجه
ان الله كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق العرش بعد ذلك
وهذا دال على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل ليبلوكم ايكم احسن عملا
اي خلق ذلك ليعاملكم معاملة المختبر لاحوالكم كيف تعملون واحسان
العمل ان تكون على شريعة شرعها الله خالصة له قيل ذكر افعل التفضيل

للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب
العلم والعمل وايكم احسن مبتدأ وخبر في موضع نصب ليبلوكم وهو معلق
لان الاختبار فيه معنى التمييز والعلم ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد
الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ليس القول بالبعث
الا باطلا كبطلان السحر وما هو الا خديعة ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود
الى امة جماعة من الاوقات والامة تطلق على معاني متعددة معدودة
محصورة قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه اي شيء يمنعه عن الوقوع الا يوم
يأتيهم اليوم المقدر لنزول العذاب ليس العذاب مصروفا عنهم ويوم
ظرفه قيل فيه دليل على جواز تقديم خبر ليس لان معموله جاز التقديم لكن
فيه ان في الظرف سعة والكوفيون والمبرد لا يجوزون تقديم خبره وحاق
احاط بهم ذكر بلفظ الماضي لتحققه ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب
ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اعطيناه نعمة وجد لذتها ثم نزعناها منه
انه ليؤس قنوط كانه لا يرجو بعد ذلك فرجا كفور مبالغ لكفران نعمة السابقة
كانه لم ير خيرا قط ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كغنى بعد فقر وصحة
بعد سقم ليقولن ذهب السيئات عني ما بقي ينالني من بعده ضيم وسوء
ويمكن ان المراد من القول طورهم وطريق عيشهم كانهم قالوه لا ان لهم قولا
انه لفرح مغتر فخور على الناس مشغول عن الشكر الا الذين صبروا على
الضراء الاستثناء متصل ان اريد من الانسان الاستغراق ومنقطع
ان اريد منه الكافر وعملوا الصالحات في السراء والضراء اولئك لهم
مغفرة لمعاصيهم واجر كبير كالجنة ولقاء الله فلعلك تارك بعض
ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض القران الذي فيه سب آلهتهم وطعن
دينهم مخافة سخريتهم وزيادة انهماكهم في الكفر عصمه الله عن الخيانة في الوحي
ونبهه وضائق اسم فاعل بمعنى الضيق الا ان الضائق لضيق عارض
غير لازم كزيد سيد وعمرو سائد به بان تتلوه عليهم صدرك ان يقولوا
مفعول له بحذف مضاف اي مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز
او جاء معه ملك كما قالوا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى
اليه كنز او يكون له جنة يأكل منها قيل ضمير به مبهم يفسره ان يقولوا

انما انت

انما انت نذير ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وما عليك
ردهم وتهاونهم والله على كل شيء وكيل موكول الى الله امر الكل لا اليك
ولما اشار بقوله لولا انزل الى انهم كذبوه ونسبوه الى انه في القران مفتر
ردهم بدليل قاطع فقال ام يقولون افتراه الضمير لما يوحى وام بمعنى بل
والهمزة قل فأتوا بعشر سور مثله يكون كل واحد من العشر مثل القران في
لفظه ومعناه تحداهم اولا في هذه السورة بعشر سور فان هذه مكية
فلما عجزوا تحداهم بسورة واحدة كما في سورة البقرة ويونس فان البقرة
مدنية والاصح ان يونس ايضا مدنية مع ان الغرض الزامهم والعجز عن
الاتيان بمثل كل وبعض دليل عليهم مفتريات من عند انفسكم
مع ان ممارستكم للقصص والاشعار اكثر وادعوا الى المعاونة على المعارضة
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين انه مفتر فان لم يستجيبوا لكم
يعني فان لم يستجب من استطعتم لكم يا من نسبوه الى الافتراء فاعلموا انما
انزل بعلم الله ملتبسا بما هو يعلمه ولا يقدر عليه غيره وان لا اله الا هو فانكم
الهتكم عجزتم والعاجز لا يكون الها فلا اله الا الله فهل انتم مسلمون عابدون لله
دون غيره قيل معناه فان لم يستجب الكفار لكم يا اصحاب محمد فاعلموا واثبتوا
على ما انتم عليه من الاسلام والاول اظهر ولما الزمهم حقيقة القران ومن انزل اليه
ثبت ان بعد هذه الدار دارا هي الدار الباقية فلا بد ان لا يقصر العاقل
همته على الدار الفانية فيترك الاسلام خوفا عن فوات الدنيا فقال من
كان يريد الحيوة الدنيا فقط بعمله وزينتها واعرضوا عن طيبات الاخرة
نوف اليهم اعمالهم فيها اجور اعمالهم في الدنيا بمثل سعة العيش ودفع
المكاره وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون من ثواب اعمالهم شيئا اولئك
الذين ليس لهم في الاخرة الا النار فانهم استوفوا في الدنيا جزاء اعمالهم
واتوا الاخرة مع اوزارهم وحبط ما صنعوا فيها لانه لا يبقى لهم ثواب وقوله
فيها متعلق بحبط والضمير للاخرة او بصنعوا والضمير للدنيا وباطل ما كانوا
يعملون يعني عملهم في نفسه باطل لانهم لم يعملوا بوجه صحيح قوله باطل
خبر مقدم ان كان من عطف الجمل والا خبر بعد خبر وما كانوا فاعل باطل
وفي الحديث اشد الناس عذابا من يرى الناس فيه خيرا ولا خير فيه ولما ذكر

ذكر حال مريد الحيوة الدنيا اراد بيان حال من يريد وجه الله فقال افمن كان على
بينة برهان من ربه يدله على الحق ومعادله مقدر اي كمن يريد الحيوة الدنيا
وزينتها ويتلوه شاهد منه ويتبع ذلك البرهان شاهد من الله بصحته وهو القران
فالبينة الفطرة السليمة والدليل العقلي وما هما الا من الله او ضمير ويتلوه لمن
قيل البينة القران والشاهد جبريل او محمد ومن قبله ومن قبل القران كتاب
موسى اي التورية اماما كتابا مؤتما به نصبه على الحال ورحمة من الله لهم اولئك
اي من كان على بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر به من الاحزاب لمن اصناف
الكفار فالنار موعده مكان وعده الذي يصير اليه قيل اولئك اشارة الى
مؤمني اهل الكتاب فلا تك في مرية منه من الموعد او القران انه الحق من ربك
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بالموعد لانهم ينكرون البعث اولا يؤمنون بالقران
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كمثبت الشريك والولد ونافي القران عنه اولئك
يعرضون على ربهم بعد موتهم فيسال عن عقائدهم واعمالهم ويقول الاشهاد
من الحفظة الكرام الكاتبين او امة محمد فانهم شهداء عند الله او جوارحهم جمع
شاهد كصاحب واصحاب او جمع شهيد كشريف واشراف هؤلاء فيه تحقير
الذين كذبوا على ربهم اي على من يحسن اليهم ويملك نواصيهم الا لعنة الله
على الظالمين الذين يصدون يمنعون الناس عن سبيل الله عن دينه
ويبغونها عوجا يصفون دينه بالانحراف عن الصواب او يريدون ان
يكون سبيل الله عوجا مثل ما هم عليه قيل يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد
وهم بالاخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين الله في الارض في الدنيا
فهو قادر على اخذهم لكن يؤخرهم لحكمة وما كان لهم من دون الله من اولياء
يمنعونهم من العذاب ومن اولياء اسم كان ومن زائدة للتعميم يضاعف
لهم العذاب لمضاعفتهم الفساد والافساد ما كانوا يستطيعون السمع
فان الله ختم على سمعهم جملتان مستانفتان وما كانوا يبصرون وقد ختم
على ابصارهم وعلى ابصارهم غشاوة قيل معناه ما كان الاولياء والالهة
يستطيعون السمع فيكون بيانا لما نفاه من ولاية الالهة فان ما لا يسمع
ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض وقيل
قوله وما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون كالعلة لتضاعف العذاب

اولئك الذين خسروا انفسهم اشتروا عبادة الالهة بعبادة الله خسروا
في تجارتهم خسرانا لا اعظم منه وتقديره خسروا سعادة انفسهم وراحتها
وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها لا جرم حقا انهم في
الاخرة هم الاخسرون لا احد اكثر خسرانا منهم مذهب الخليل وسيبويه انهما
ركبا من لا وجرم وبنيا وما بعده مرفوع على الفاعلية والمعنى حق ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه لا يترددون
في انه هو الرب الواحد اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون لولا
خلودهم فيها لما كانت نعيما ولما تقدم ذكر الكفار واعقب بذكر المؤمنين
جاء التمثيل مبتدا بالكافر فقال مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم
هو مثل الكافر والبصير والسميع هو مثل المؤمن قوبل الاعمى بالبصير وقوبل
الاصم بالسميع فانه بصير بايات دالة على الوحدة والقدرة سميع للحق
هل يستويان مثلا اي تمثيلا فنصبه على التمييز استفهام معناه النفي
افلا تذكرون فتفرقوا بين هؤلاء وهؤلاء ولما ظهرت الفرقان في زمن
نوح كما صرح به القران ناسب حكاية نوح مع قومه فقال ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه اني اي باني ومن قرا بالكسر فعلى ارادة القول لكم نذير
مبين ان لا تعبدوا اي ارسلنا بان لا تعبدوا او نذير لاجل ان لا تعبدوا
وفي قراءة اني بالفتح ان لا تعبدوا بدل اشتمال من اني لكم على ان ان مصدرية
ولا ناهية كانه قال ارسلناه لنهيهم عن الاشراك او ان مفسرة الا الله
اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم وصف اليوم بالاليم للمبالغة فقال
الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا فمن اين
لك هذا الفضل ان تكون نبيا يجب علينا اتباعك ونريك يحتمل ان يكون
بصرية وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا الظاهر انه جمع ارذل
التي هي افعل التفضيل نحو اكابر مجرميها بادي الراي نصب على انه ظرف
لاتبعك اي اتبعك في بادي الراي اي اوله من بدا يبدا يعني من غير
روية وفكر او من بدي يبدو اي ظاهر الراي وباطنهم على خلاف ظاهرهم
وما نرى لكم علينا من فضل كثير ولا قليل بل نظنكم كاذبين بل نظنك
كاذبا في دعواك ومتبعيك في دعوى العلم بصحته فنحن افضل لصدقنا

ولكذبكم فمفعوله الثاني قوله كاذبين قال يا قوم أرأيتم أخبروني إن كنت على
بينة حجة قاطعة واضحة من ربي دالة على صدقي وآتاني رحمة نبوة ومعرفة
من عنده فعميت عليكم خفيت والتبست قيل ضمير عميت للبينة فان الذم من حيث
اتى بالمعجزة الواضحة وانها على وضوحها خفيت عليكم ولان خفاءها يستلزم
لخفاء الرحمة أنلزمكموها أنكرهكم على الاهتداء بها وأنتم لها كارهون اي للبينة
نافون وحاصل الكلام ان المساوات في البشرية لا تمنع من حصول المفارقة
في صفة النبوة والرسالة ومعي بينة ظاهرة على صدق ما ادعي لكن صارت
ملتبسة في عقولكم ولا اقدر على ان اجعلكم معترفين بها ولو تركتم العناد وتأملتم
لعرفتم ابرزه في طريق الشرط والجزاء لانه يقربهم من الانصاف ويا قوم لا
اسألكم عليه على التبليغ مالا مع ان في التبليغ كدا وتعبا وذلك دليل على صدقي
ان اجري الا على الله لا عليكم وما انا بطارد الذين آمنوا كانهم طلبوا منه طرد
المؤمنين احتشاما ونفاسة منهم ان يجلسوا معهم كما قالت قريش وهذا مفهوم
من قولهم الا الذين هم اراذلنا انهم ملاقوا ربهم فيعاقب الله من طردهم
اذا اشكوا اليه او معناه انهم فائزون بلقاء ربهم وقربه فكيف اطردهم
ولكني اريكم قوما تجهلون عواقب الامور او الجهل بسجيتكم او معناه انهم ملاقوا
ربهم فيجازيهم على ما في قلوبهم من تمكن الايمان وتزلزله حيث زعمتم ان ايمانهم
بادي الرأي وانا لا اعرف منهم الا الايمان فكيف اطردهم ويا قوم تلطف
بهذا الندآء من ينصرني من الله من يمنعني من عقابه ان طردتهم ظالما
افلا تذكرون فتعرفوا ما تقولون ولا اقول لكم عندي خزائن الله جواب
لقوله ما نرى لكم علينا من فضل ولا اعلم الغيب فتسألوني عن وقت العذاب
والاولى عطفه على عندي خزائن الله ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت
الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري تستصغر وتحقرهم اعينكم لفقرهم واسناد
الى الاعين لانهم استرذلوهم بما عاينوا من رثاثتهم لا بعيب علموا فيهم وتزدري
تفتعل والدال بدل من التاء وضمير الموصول محذوف وللذين معناه لاجلهم
لن يؤتيهم الله خيرا لا احكم على المؤمنين انه ليس لهم عند الله ثواب وقربة
الله اعلم بما في انفسهم فان كان باطنهم موافقا لظاهرهم فلهم اجر اني اذا
لمن الظالمين ان طردتهم او قلت لن يؤتيهم الله خيرا قالوا يا نوح قد جادلتنا

فاكثرت جدالنا اطلت مخاصمتنا فاتنا بما تعدنا من العذاب كما قال
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وما اما موصولة والعائد محذوف
او مصدرية ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم
بمعجزين الله في اتيان العذاب ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح
لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اي ان اراد الله ضلالكم فان اردت
نصحكم لا ينفعكم فقوله لا ينفعكم نصحي دال على جواب الشرط الاول ومجموع
الشرط والجزاء دال على جواب الشرط الثاني هو ربكم فله التصرف فيكم
كيف يشاء واليه ترجعون فيجازيكم ام يقولون افتراه بل ايقولون
افترى نوح فيما اخبر من شرع الله وعقاب من اعرض عنه قل ان
افتريته فعلي اجرامي وباله وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد
الافتراء وقيل معناه من اثبات الشرك قيل ام يقولون افتراه ضمير
الجمع لقريش وضمير افتراه لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو اعتراض في وسط
قصة نوح واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن
اي لا يصدقك الا من صدقك قبل ولا يصدقك احد بعده فلا تبتئس
لا تحزن بما كانوا يفعلون بسبب شيء يفعلونه من تكذيبك واهانتك
ولكن تابعا لمراد الله ومشيته واصنع عطف على لا تبتئس الفلك
باعيننا بمرأى منا وكلاءة حفظ ووحينا اليك كيفية صنعها قوله باعيننا
حال اي ملتبسا بها ولا تخاطبني بالدعاء في الذين ظلموا في شانهم انهم مغرقون
بالطوفان لا سبيل لهم الى الخلاص ويصنع الفلك حكاية حال ماضية
والفلك السفينة وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به وقالوا
كان نبيا فصار نجارا كلما ظرف وما مصدرية ظرفية اي سخروا منه كل وقت
مرور قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم حين نزول عذابكم كما تسخرون
منا فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يهينه في الدنيا ويحل عليه
عذاب مقيم دائم في الآخرة من موصولة مفعول تعلمون ويخزيه صفة
عذاب ويحل عطف على يأتيه حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله يصنع وما بينهما
حال اي كان يصنع الى ان جاء وقت الموعد والحال انه كلما مر عليه قوم
سخروا منه وفار التنور نبع الماء في التنور مكان النار قيل تنور من حجارة

كانت حوآء تخبز فيه فصار الى نوح قاله الحسن كما نقل عن محيى السنة
وقيل التنور وجه الارض قلنا احمل فيها في السفينة من كل من انواع
الحيوانات الا ما يتولد من الطين كالبق زوجين اثنين ذكرا وانثى واثنين
تاكيد ومبالغة واهلك عطف على زوجين اي احمل اهل بيتك وقرابتك
وفي قرآءة كل زوجين بالاضافة هو عطف على اثنين الذي هو المفعول
الا من سبق عليه القول بالهلاك كامرأته واعلة وابنه كنعان ومن
آمن مثل واهلك في العطف وما آمن معه الا قليل ثمانون نفر
ولما خرجوا من السفينة بنوا قرية تدعى اليوم قرية الثمانين بناحية الموصل
وقال نوح لمن آمن اركبوا فيها قائلين بسم الله مجريها ومرسيها وقت
اجرائها ووقت ارسائها منصوبان على انهما ظرفا زمان او المراد اركبوا
مسمين الله في الوقتين قيل باسم خبر مجريها ومرسيها وهما مصدران
فيكون اخبارا من نوح بان اجراءها وارساءها باسم الله ونقل انه اذا
اذا اراد اجراءها قال باسم الله فجرت واذا اراد ارساءها قال باسم الله
فرست وعدى اركبوا بفي لتضمين معنى الدخول ان ربي لغفور رحيم
لما نجانا من عذابه وهي تجري بهم الواو للحال من محذوف دال عليه اركبوا
فيها اي ركبوا فيها وهي وبهم اما حال او الباء للتعدية في موج كالجبال
كل موجة كجبل قوله في موج دال على ان الموج ظرف لهم فان سفينتهم تسبح
بهم في الماء كالسمكة ونادى نوح ابنه كنعان وكان في معزل في مكان
عزل وابعد فيه نفسه عن ابيه يا بني اركب معنا في هذا التصغير رقة
وتحنن اي في السفينة ونداءه قبل جري السفينة ولا تكن مع الكافرين
في الدين والبعد عنا وقوله يا بني اركب استئنافية او تقديره قائلا يا بني
قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء اي اصير والتجي قال لا عاصم اليوم
من امر الله من عذابه الا من رحم اي الا الراحم وهو الله والعدول
الى الموصول لزيادة تفخيم وتحقيق لرحمته او العاصم بمعنى ذا عصمة
كلابن وتامر وحينئذ يعني الا من رحم من رحمه الله او لا عاصم لاحد الا من
رحمه الله والعاصم بمعنى المعصوم كماء دافق او الاستثناء منقطع يعني
لكن من رحمه الله فهو معصوم وتقديره لا عاصم يعصم اليوم ومن امر

متعلق

متعلق بالفعل المقدر فلا يجوز نصب اليوم بلا عاصم ولا تعلق من امر الله
به لانه مبني ولو كان له معمول لوجب التنوين وحال بينهما بين نوح وولده
الموج فكان من المغرقين صار منهم وقيل بعد ما تناهى امر الطوفان
ولم يبق من الانسان الا من في السفينة يا ارض ابلعي انشفي ماءك
ويا سماء اقلعي امسكي عن المطر وغيض نقص الماء وقضي الامر اهلاك
الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت استقرت السفينة على الجودي
جبل شامخ قريب الموصل والشام وقيل بعدا هلاكا للقوم الظالمين
ونادى اراد النداء نوح ربه فقال او نادى على حقيقته وقوله فقال تفصيل
للمجمل لا ان الفاء للتعقيب رب ان ابني من اهلي وقد وعدت انجاءهم
وان وعدك الحق صدق لا خلف فيه وانت احكم الحاكمين اعدلهم قال
الله يا نوح انه ليس من اهلك الذي وعدت نجاته فانه داخل في المستثنى
يعني الا من سبق وقيل انه ربيبه ابن امرأته وظاهر القرآن على خلاف ذلك
انه عمل غير صالح جعله نفس العمل مبالغة في ذمه او تقديره انه ذو عمل
فاسد او ان عمله عمل غير صالح وحقيقة الابوة والبنوة المناسبة فمن لم يناسب
اباه فليس بولد له قيل معناه ان سؤالك نجاته عمل فاسد فلا تسألن لا تطلب
مني ما ليس لك به علم بصوابه والظاهر ان قوله رب ان ابني من اهلي
الى آخره قبل علمه بموت ولده او بعد علمه بموته للتشفي عن الشبهة او التحزن
او لغير ذلك وقوله فلا تسألن نصح له لئلا يطلب في امور آخر ليس له به علم
بصوابه اني اعظك انهاك ان تكون من الجاهلين قال نوح رب
اني اعوذ بك ان اسألك بعد في المستقبل ما ليس لي به علم وان لا تغفر
لي وترحمني فيما صدر عني وما يصدر اكن من الخاسرين ثم اعلم ان قوله
وان وعدك الحق والجواب من الله بقوله انه ليس من اهلك يدل على
ان الله وعد بانجاء اهله وهو غير مذكور في القرآن ولا بعد في ذلك
ان الله حين اخبره بنزول العذاب عليهم وعد معه نجاة اهله ومن
آمن ثم امره بحملهما على السفينة والا ففي السؤال اشكال لان الله امره بحمل
اهله على السفينة لان ينجوا من العذاب وابنه ما ائتمر بامر والده في ان يركب
فالذنب عليه اللهم الا ان يقال ان غرقه في اثناء مجادلته مع والده ولولا

ولولا حيلولة الموج بينهما ليلزمه على ركوب السفينة فالشبهة لظنه انه ان تم
كلامه معه يسمع ويقبل فتامل قيل بعد استقرار السفينة على الجودي يا نوح
اهبط من السفينة او من الجبل بسلام منا اي مصحوبا بسلامة وامن والقائل
هو الله تعالى لقوله منا وبركات عليك خيرات ناميات وعلى امم ممن
معك اي على امم ناشئة ممن معك من المومنين وهم الامم المومنون
الى اخر الدهر فمن للابتداء وقيل المراد المومنون الذين معه وسماهم امما لتحزبهم
او لتشعب الامم منهم وعلى هذا من للبيان وامم اي وممن معك امم فهو مبتدأ
محذوف الخبر دال عليه وعلى امم ممن معك سنمتعهم في الدنيا صفة لامم ثم
يمسهم منا عذاب اليم وهم الكافرون من ذرية من معه قيل وامم مبتدأ
وسنمتعهم خبره ومسوغ الابتداء بالنكرة كون المكان مكان تفصيل تلك
اشارة الى قصة نوح من انباء الغيب من اخباره نوحيها اليك يا محمد خبر ثان
او حال ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وهذا دليل على نبوتك
وانا ننتقم ممن تمرد ولو بعد حين وقوله ما كنت خبر ثالث او حال من الضمير المونث
فاصبر كما صبر نوح ان العاقبة في الدارين بالنصر للمتقين عن المخالفة فالعاقبة
لكم والى عاد اخاهم الاولى ان التقدير وارسلنا الى عاد ويكون من عطف
الجملة على الجملة ولا يكون الى عاد عطفا على الى قومه واخاهم عطفا على نوحا
فيكون من عطف المفردات لطول الفصل بالجمل الكثيرة بين المتعاطفين
هودا عطف بيان قال هود يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله سواه
غيره صفة تابعة لمحل اله فانه رفع باسمية ما ان انتم الا مفترون في اثبات
الشريك لله يا قوم لا اسالكم عليه على تبليغ الرسالة اجرا ان اجري الا على
الذي فطرني اشار الى انه خالص في النصح لا مشوب بالمطامع افلا تعقلون
حتى تميزوا بين المخطي والمصيب ويا قوم استغفروا ربكم عما سلف عنكم
ثم توبوا اليه فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات يرسل
جواب الامر السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم يضاعف
قوتكم بالمال والولد والشدة في الاعضاء قال تعالى ويمددكم باموال وبنين
الاية ولا تتولوا مجرمين لا تعرضوا مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا
ببينة حجة واضحة على صدقك وهذا منهم جحود وعناد وما نحن بتاركي آلهتنا

عن قولك

عن قولك اي صادرين عن كلامك حال عن ضمير تاركي وما نحن لك
بمؤمنين بمصدقين ان نقول ما نقول الا اعتراك اي الا قولنا
اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لانك تتكلم بالهذيانات مثل ترك
الالهة والحيوة بعد الممات قيل الباء للتعدية الى المفعول الثاني قال
اني اشهد الله على نفسي واشهدوا اني بريء مما تشركون ما مصدرية او
موصولة من دونه ظرف لتشركون اي تشركون في عبادة الله غير الله
او بيان لما وعلى الوجهين فائدته التعميم اي اي شيء كان من ملك ونبي
وجن وانس وجاز ان يكون متعلقا ببريء فيكون بدلا مما تشركون فكيدوني
انتم واوثانكم جميعا حال ثم لا تنظرون لا تمهلوني فاني لا ابالي بكم وبكيدكم
ومن اعظم اياته مواجهتهم بهذا الكلام مع انهم عطاش على اهلاكه وهم مع كثرتهم
كرجل واحد يرمون من قوس شديد اني توكلت على الله ربي وربكم ما من
دابة الا هو اخذ بناصيتها الاخذ بالنواصي تمثيل لاشتمال ربوبيته على الكل
وذله وخضوعه تحت قهر الله وسلطنته فان من اخذت ناصيته فقد قهر
ان ربي على صراط مستقيم على العدل والاحسان مع غلبته وقدرته قيل
تقديره ان ربي يحثكم على صراط مستقيم فان تولوا اي قوم هود وقيل اصله
تتولوا حذفت التاء الثانية فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فلا علي شيء فاني
بلغت الرسالة وما علي الا الابلاغ فجواب الشرط محذوف وهذا دليله الذي
قام مقامه وقيل في ابلاغه اليهم رسالته تضمن ما يحل بهم من العذاب المستاصل
فكانه قيل فان تتولوا استوصلتم بالعذاب ويدل عليه الجملة الخبرية وهي قوله
ويستخلف ربي قوما غيركم فان هذا وعيد لاستيصالهم واستخلاف قوم اخرين
مطيعين في ديارهم ولا تضرونه شيئا اي ولا تضرون الله باعراضكم
شيئا من الضرر ان ربي على كل شيء حفيظ فيحفظ اعمالكم ويجازيكم او هو الحافظ
للاشياء فهو الضار النافع فيستحيل ان يضره شيء وهو الحافظ يحفظني من كيدكم
ولما جاء امرنا بهلاك عاد نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا برحمة
متعلق بنجينا اي بمجرد رحمة لحقتهم لا باعمالهم ونجيناهم من عذاب غليظ
بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم وتقطعهم
عضوا عضوا قيل المراد به تنجيتهم من عذاب الاخرة ايضا وفيه التعريض

بتعذيب المهلكين في الدنيا والاخرة وتلك عاد اشارة الى القبيلة او الى
قبورهم واثارهم جحدوا بايات ربهم استنانقة واصل جحد تعديته بنفسه
لكنه اجرى مجرى كفر وعصوا رسله من عصى رسولا فقد عصى الرسل فان كلامهم
واحد وما من رسول الا ويصدق الرسل فلزم من نفي واحد نفي الجميع واتبعوا
امر كل جبار عنيد اتبع سقاطهم وسفلتهم كبرآءهم ورؤساءهم الذين طغوا
فلم يقبلوا الحق واتبعوا في هذه الدنيا لعنة قال السدي ما بعث نبي بعد عاد
الا لعنوا على لسانه ويوم القيمة اي لعنوا في الدنيا والاخرة الا ان عادا
كفروا ربهم اي نعمه او المراد بربهم فحذف الجار الا بعدا من رحمته وهلاكا
نصبه على انه مصدر بمعنى الدعآء كانه قال ابعدهم الله بعدا وهذا كما قيل
للشيطان لعنه الله لعاد قوم هود جيء بعطف البيان للتمييز عن عاد
الارم كما قال الله وانه اهلك عادا الاولى والى ثمود عطف على والى عاد
اخاهم واحدا منهم صالحا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره صفة تابعة لمحل الموصوف هو انشاكم من الارض فانهم من آدم
وادم من تراب واستعمركم فيها اقدركم على عمارتها او اطال عمركم فيها
فان الواحد يعيش الى الف فاستغفروه عما مضى ثم توبوا اليه فيما بقي
ان ربي قريب يسمع او قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت
فينا مرجوا قبل هذا نرجو ان تكون سيدا مستشارا في الامور لما نرى لك
من الرشد قبل ان تامرنا بترك الهتنا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا عدوا
هذا النهي منه بلاهة وشبه جنون ولم يقل ما عبد لحكاية حال ماضية وانا لفي
شك مما تدعونا اليه من التبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه
اذا اوقعه في الريبة وهو على الاسناد المجازي لان المريب الشخص الذي له
الشك لكن لما كان الشك بسبب تشكيك المشكك ولولاه لما قدر عليه
اسنده اليه او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة قال يا قوم ارايتم اخبروني
ان كنت على بينة من ربي يقين وبصيرة ناشية من الله وحرف الشك باعتبار
المخاطبين واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله من عذابه ان عصيته في تبليغ
الرسالة فما تزيدونني اذن حينئذ فالكلام جواب وجزآء وذكرنا حينئذ للتعقيب
المستفاد من الفآء اي على تقدير متابعتكم وعصياني غير تخسير غير ان تخسروا

اعمالي وتبطلوها او غير ان انسبكم الى الخسران واقول انكم خاسرون كفسقته
ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية هي حال ولكم حال من اية او بيان كما ذكره الزمخشري
في سورة الاعراف فذروها تاكل في ارض الله لا تمنعوها من رعي
اي موضع تريد ولا تمسوها بسوء ان تمسوها بسوء فياخذكم عذاب
قريب عاجل فعقروها فقال لهم صالح تمتعوا عيشوا في داركم في الدنيا
او في منازلكم ثلثة ايام ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب مصدر كالمجلود
او غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كيوم شهدناه سليما
وعامرا اي شهدنا فيه فلما جآء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة
منا ومن خزي عطف على نجينا بتقدير ونجيناهم من خزي يومئذ يوم
هلاكهم بالصيحة ان ربك هو القوي العزيز القادر الغالب وناسب
مجي الامر وصفه بالصفتين واخذ الذين ظلموا الصيحة كان عذابهم
صيحة من السمآء وزلزلة من الارض تقطعت قلوبهم في صدورهم فاصبحوا
في ديارهم في بيوتهم جاثمين خامدين ميتين كان لم يغنوا لم يقيموا لم يكونوا
فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا من رحمة الله لثمود صرف ثمود
للذهاب الى الحي او الاب الاكبر وعدم صرفه للتعريف والتانيث لانه
بمعنى القبيلة ولقد جآءت رسلنا ابرهيم بالبشرى ادرج شيئا من
اخبار ابرهيم عليه السلام بين قصة صالح ولوط لان له مدخلا في قصة لوط
وكان ابرهيم ابن خالة لوط والرسل الملائكة قال ابن عباس اثنى عشر
ملكا بشروا ابرهيم بثلاث بشائر بالولد والخلة وانجاء لوط ومن آمن معه
قالوا سلاما اي سلمنا عليك سلاما قال ابرهيم سلام اي عليكم سلام
فما لبث ما تاخر وابطأ ان جآء فاعل لبث اي ما ابطأ مجيئه بعجل حنيذ
مشوي على الحجارة المحماة او في لبث ضمير ابرهيم وان جآء على اسقاط
الحرف البآء او عن او في اي اسرع في ضيافتهم ومن ادب الضيافة
تعجيل القرى وكان عامة مال ابرهيم البقر فلما راى ابرهيم ايديهم لا تصل
اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم انكر ذلك منهم واوجس ادرك
منهم خيفة لان الضيف اذا اتى بشر لا ياكل قالوا لا تخف انا ارسلنا الى
قوم لوط بالعذاب وكان قبل كلامهم هذا لا يعرفهم بالملكية ولهذا جآء

بقراهم وامراته سارة ابنة عمه قائمة اي لخدمة الاضياف وهن لا يحتجبن
كعادة العرب ونازلة البوادي وكانت عجوزا وخدمة الضيفان من
مكارم الاخلاق وجملة وامراته قائمة حال من ضمير قالوا فضحكت سرورا
بالامن او بهلاك الاعداء ونجاة اخيها او ضحكت بمعنى حاضت قاله
ابن عباس ومجاهد وغيرهما يقال ضحكت السمرة اذا سال صمغها فبشرناها
على لسان رسلنا باسحق ومن وراء اسحق يعقوب بشروها بان لها
ولدا يكون له عقب فان يعقوب ولد اسحق ونصب يعقوب لانه في تقدير
ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب او بحذف حرف الجر اي بيعقوب وايصال
الفعل كما قاله الزمخشري في قوله تعالى ذلك الذي يبشر الله عباده وفي
قراءة الرفع مبتدأ اي ويعقوب مولود من بعده قالت يا ويلتى كلمة
جارية على افواه النساء اذا ظهر عليهن ما يتعجبن منه أألد وانا عجوز استفهام
تعجب وهي ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي شيخا ابن مائة
او مائة وعشرين ونصب شيخا على الحال ان هذا لشيء عجيب خارق عن
العادة قالوا اي الملئكة اتعجبين من امر الله قدرته رحمة الله وبركاته عليكم
جملة مستانفة علل بها انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه
الرحمة متكاثرة من الله عليكم اهل البيت نداء او نصب على الاختصاص
اي اهل بيت ابرهيم وهذه جبر من الملئكة انه حميد مجيد محمود في فعاله كريم
فلما ذهب عن ابرهيم الروع الخيفة التي اوجسها في نفسه فاطمان قلبه بان
عرفهم وجاءته البشرى بالولد وان المراد بمجيئهم غيره يجادلنا في قوم لوط يجادل
رسلنا في تخليصهم عن العذاب هذا ظاهر القران وقوله يجادلنا هو الجواب
والمضارع لحكاية الحال وضع موضع الماضي لوضوح المعنى وهذا
اقرب الاقوال ان ابرهيم لحليم اواه كثير التاسف على الذنوب منيب راجع
الى الله تعالى يعني رقة قلبه وفرط ترحمه باعثه الى المجادلة يا ابرهيم اي قالت
الملئكة اعرض عن هذا اي الجدال انه ان الشان قد جاء امر ربك اي عذابه
وانهم اتيهم عذاب غير مردود بجدال ودعاء ولما جاءت رسلنا لوطا
خرجت الملئكة من قرية ابرهيم الى قرية لوط وبينهما ثمانية اميال او اربعة
فراسخ سيء بهم حزن بمجيئهم وساءه وضاق بهم ذرعا طاقة يقال فلان

رحب

طائفة

رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان الشخص اذا طالت ذراعه
نال ما لا يناله قصير الذراع فضرب ضده مثلا في العجز وحزنه لانهم جاؤا في
احسن صورة غلمان فخاف عليهم من خبث قومه وعدم قوته بمدافعتهم
عنهم وقال هذا يوم عصيب شديد وقد نقل ان امراة لوط اخبرت قومها
بان في البيت غلمانا حسانا وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون عجلة
كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل قبل ذلك
الوقت كانوا يعملون السيئات اي عمل السيئات ديدنهم وعادتهم
من قديم الايام والله سبحانه ما سمى اتيان الرجال باسمه في القران بل
ذكره بالخبائث او بالسيئات لنهاية قباحته قال يا قوم هؤلاء بناتي
الاحسن ان الاضافة مجازية اذ ينزل النبي منزلة الاب لقومه فالمراد نساء
قومه وقيل كانوا يطلبون منه بنات صلبه ان يتزوجها وامتنع فاجابهم
ليتركوا اضيافه هن اطهر لكم من نكاح الرجال والاظهر ان هؤلاء بناتي مبتدأ
وخبر واراد انهن مهياة سهل الوصول اليهن وقوله هن اطهر جملة حالية والعامل
معنى الاشارة فاتقوا الله ولا تخزون لا تفضحوني في ضيفي في شانه فان اخزاء
ضيف الشخص اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد ينهاه نهاه عن الفضايح و
القبايح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وانك
لتعلم ما نريد من اتيان الرجال قال لوط لو ان لي بكم قوة قويت نفسي بدفعكم
وجاز ان بكم متعلق بفعل دال عليه ان اعني ثبت فاندفع تقديم معمول المصدر
الذي هو قوة على المصدر او آوي التجي الى ركن شديد الى قوي استند اليه
في دفعكم تقديره لفعلت وصنعت فجواب لو محذوف وقوله او آوي عطف
جملة فعلية على مثلها فان ان لي بمعنى ثبت لي قالوا اي الاضياف
يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك نقل ان لوطا اغلق باب البيت عليهم
وهم هموا بكسره وهو ياخذ الباب ويمسكه فقال له الاضياف تنح بالطوع
عن الباب فدخلوا فضرب جبريل جناحه الى وجوههم فطمست اعينهم
وانصرفوا على اعقابهم قائلين النجا النجا قوم سحرة وتوعدوا لوطا فحينئذ
قالوا انا رسل ربك وقوله لن يصلوا اليك اي بضررنا لضرك فهي
جملة موضحة لقوله انا رسل ربك فاسر يا لوط باهلك بقطع في طائفة

من الليل ولا يلتفت منكم احد يعني اذا سمعتم ما نزل بهم من الاصوات المزعجة
فاستمروا ذاهبين ولا يلتفت منكم احد الى خلفه الا امراتك بالنصب استثنآ
من اهلك اي لا تسر بها وخلفها بين قومها وبالرفع استثنآ من احد فانا
لا نمنعها عن الالتفات او الاستثنآ منقطع وهو مبتدأ والجملة بعده خبره وهذا
هو الاظهر فانه خلفها وليست معهم ومن الاسرائيليات انها كانت سرت
معهم بنفسها لا انه اخرجها ولما سمعت اصوات البلآ التفتت وقالت واقوماه
فادركها حجر وماتت واما حمل القرائتين على الروايتين في ان خلفها او خرجت
مع زوجها فباطل وما اوقع الزمخشري في تلك الوقيعة الاشوم عقيدته ان
اختلاف القرآ من عند انفسهم لا من الله كما صرح في مواضع كاد ان يكفر بذلك
وقيل الاستثنآ في قرآة النصب عن احد ايضا وان كان الافصح الرفع انه ان الشان
مصيبها ما اصابهم من العذاب ان موعدهم موعد عذابهم الصبح اليس الصبح
بقريب جواب لاستعجال لوط عذابهم روي ان لوطا خرج بابنتيه ليس معه
غيرهما عند طلوع الفجر طوى الله له الارض حتى نجا ووصل الى ابرهيم عليهما السلام
فلما جآ امرنا بعذابهم جعلنا عاليها عالي مداين قوم لوط سافلها ادخل جبرئيل
جناحه تحت قريتهم وقلعها وصعد بها الى السمآ حتى سمع اهل السمآ نباح الكلاب
وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وهم اربعمائة الف او اربعة الاف الف وامطرنا
عليها على تلك القرى حين التصعيد حجارة قيل كانت الحجارة على مسافريهم
وان رجلا منهم في الحرم فبقي الحجر معلقا في الهوآ حتى خرج من الحرم فاصابه الحجر
من سجيل قال ابن عباس اصله سنك كل اي حجر وطين فارسية معربة
منضود متتابع او معد في السمآ لذلك مسومة معلمة مكتوبا فيها اسم من
يقتل بها او معلمة بسيما تميزه عن احجار الارض عند ربك في خزائنه
وما هي من الظالمين ببعيد ما هذه النقمة ممن يشبههم ببعيد وهذا تهديد لقريش
واضرابهم قيل معناه ما هذه القرى من ظالمي مكة ببعيد يمرون عليها في اسفارهم
الى الشام وتذكير البعيد باعتبار الحجر او المكان والى مدين اي وارسلنا الى
هذه البلدة اخاهم شعيبا من اشرفهم نسبا قال يا قوم اعبدوا الله وحده ولا
تعبدوا الاوثان ما لكم من اله غيره جاز ان يكون غيره اسم ما ومن البيان ولا تنقصوا
المكيال والميزان هم اعتادوا البخس فنهاهم بعد الايمان عن هذا اني اريكم بخير

بلغ تصحيح

موسرين

موسرين في نعمة وخصب لا حاجة لكم الى التطفيف واني اخاف عليكم عذاب
يوم محيط وصف اليوم بالاحاطة لاشتماله على عذاب لا يفلت منه احد
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان امر بالايفآ بعد ان نهي عن ضده مبالغة
بالقسط بالعدل والسوية ولا تبخسوا الا تنقصوا الناس اشياءهم تعميم بعد
تخصيص قيل كانوا مكاسين ويقال للمكس البخس ولا تعثوا الا تبالغوا في
الارض مفسدين حال كونكم مفسدين امرهم بان لا يزيدوا في الفساد
قيل معناه لا تفسدوا في الارض بمثل قطع الطريق حال كونكم مفسدين
امر دينكم بقيت الله خير لكم ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفآ الكيل والوزن
خير لكم في الدارين من التطفيف او طاعة الله خير لكم ويؤيد الثاني في قرآة التوفيق
تقية الله اي تقواه الذي يكف عن المعاصي ان كنتم مومنين بشرط الايمان
فان ثواب الاعمال مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي وما انا عليكم
بحفيظ احفظكم عما يضركم انما انا ناصح او معناه احفظ اعمالكم فاجازيكم
انما انا منذر ولما انذرت اعذرت قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك تكليفنا
ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوه على سبيل الاستهزآ فكان
كثير الصلوة او ان نفعل في اموالنا ما نشآ عطف على ان نترك وتقديره
تامرك بنهينا عن ان نفعل في اموالنا ما نشآ مقابل لقوله لا تنقصوا المكيال
وهو من قبيل علفت تبنا ومآ باردا او عطف على ما يعبد اي وان نترك
فعلنا ما نشآ في اموالنا انك لانت الحليم الرشيد فكيف تبادر على مثل كلام
المجانين او قالوا ذلك استهزآ واراد واضدهما قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربي حجة وبصيرة اعتذر عما انكروا عليه من تغيير المالوف
والنهي عن دين الاباء ورزقني منه من الله بلا كد مني رزقا حسنا حلالا
فانه عليه السلام كثير المال وقد مر ان ارايتم اذا كان بمعنى اخبروني تعدت
الى مفعولين والغالب في الثاني ان يكون جملة استفهامية متعقدة بها
ومن المفعول الاول في الاصل جملة ابتدائية نحو قول العرب ارايتك زيدا
ما صنع فالمفعول الثاني هنا محذوف تقديره اتجوزلي الخيانة في الوحي
وجواب الشرط مقدر يدل عليه الجملة السابقة مع متعلقها وما اريد ان
اخالفكم الى ما انهيكم عنه ما اريد ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها

لاستقل بها دونكم يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه
وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده فقوله ان اخالفكم مفعول اريد
وخالف بمعنى خلف نحو جاوز وجاز يعني الكون خلفا منكم والى متعلق باخالفكم
او بمحذوف اي مائلا الى ما انهاكم عنه ان اريد في امري ونهيي الا الاصلاح
اصلاحكم ما استطعت ما مصدرية ظرفية اي مادمت استطيع الاصلاح
ولا يبعد ان يكون معناه ما قصدت الى ما نهيتكم عنه مجرد مخالفتكم بل الاصلاح
قصدي وهو الباعث الى النهي فيكون الى صلة اريد بتضمين معنى الميل
والقصد وان اخالفكم مفعول له وما توفيقي لاصابة الحق الا بالله باعانته
عليه توكلت فانه القادر المطلق واليه انيب ارجع بعد الموت اليه او التجئ
اليه في المصائب ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم يقال جرمته ذنبا وكسبته اياه
وجرم ذنبا وكسبه شقاقي عداوتي ان يصيبكم ثاني مفعوليه مثل ما اصاب
قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح المهلكة او قوم صالح من الصيحة وما قوم
لوط منكم ببعيد في الزمان فلا تنسوهم او في المكان فانهم جيران قوم لوط
ولم يقل ببعيدة ولا ببعيدين لان المراد ما اهلكهم ببعيد او لانه على زنة المصادر
المستوية فيها المذكر والمؤنث كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم عما سلف
ثم توبوا اليه فيما بقي من عمركم ان ربي رحيم ودود فاعل بالتائب ما يفعل البليغ
المودة بمن يوده قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول قالوه على وجه الاستهانة
كما تقول لمن لم تعبأ بحديثه ما ادري ما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا لانك
اعمى ولا لك خدم كما قاله بعض السلف وليس معنى الضعيف الاعمى بل العمى
علة لكونه ضعيفا ولولا رهطك عزتهم فانهم على دينهم والرهط من الثلثة
الى العشرة وقد يستعمل في اكثر من ذلك لرجمناك قتلناك باقبح وجه
وما انت علينا بعزيز بممتنع عزك عن الرجم قال يا قوم ارهطي اعز عليكم
من الله فانكم تبقون على رهطي ولا تبقون على الله وانا رسوله الكريم
واتخذتموه اي الله وراءكم ظهريا جعلتموه كالشيء الملقى وراء الظهر والظهري
منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب كالامسي في الامس ان ربي
بما تعملون محيط اي احاط علمه به فيجازي عليه ويا قوم اعملوا على مكانتكم
اي قارين على جهتكم التي عليها من الشرك او على تمكنكم من امركم فهي اما من

المكان

المكان فاستعير العين للمعنى او من مكن مكانة فهو مكين وهو حال اي عاملا
على ما انا عليه سوف تعلمون استيناف كانه قيل فماذا يكون بعد ذلك
فقال سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب اي سوف
تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب نظيره فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم وهو من عطف الصفة
والموصوف واحد وهم اوعدوه وسموه كاذبا فمن موصولة مفعول تعلمون
وجاز ان يكون من استفهامية رفعا على الابتداء معلق كانه قال اينا
يأتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب اي انتظروا
ما اقول لكم اني ايضا منتظر فالرقيب بمعنى الراقب للمبالغة او بمعنى المراقب
كالعشير والجليس او بمعنى المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا عذابنا نجينا شعيبا
والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبرئيل
فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين والجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا
فيها لم يكونوا فيها الا بعدا لمدين هلاكا لهم كما بعدت ثمود فان عذابهم ايضا
صيحة والصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة كلها لاهل مدين فلا ينافي انه
اثبت لهم في بعض المواضع الصيحة وفي بعض الرجفة وفي بعض عذاب
يوم الظلة ولقد ارسلنا موسى باياتنا المعجزات مثل اليد والعصا وسلطان
مبين حجج واضحة الى فرعون وملائه ونزول التورية بعد هلاك فرعون
فاتبعوا اي الملأ امر فرعون في تكذيب موسى وما امر فرعون برشيد
مرشد الى الخير يقدم قومه يوم القيمة يتقدمهم الى النار فهو في الدارين قدوتهم
من قدمه بمعنى تقدمه كما يقال قدمه بالتشديد بمعنى تقدمه فاوردهم
النار جاء بلفظ الماضي مبالغة في تحققه وارهابا وتخويفا وبئس الورد
اي المورد المورود اي الذي يردونه والمخصوص بالذم مقدر وهو النار
والمورود صفة الورد نزل النار لهم منزلة الماء ثم قبحه لان الورد تسكين
العطش وتبريد الاكباد والنار على ضده وهمزة اورد للتعدية الى المفعول
الثاني فتضمن واردا ومورودا وجاز ان يكون المورد بمعنى الوارد والمورود الذي
هو النار مخصوص بالذم واحتيج الى تقدير ليطابق فاعل بئس المخصوص
بالذم اي بئس مكان الورد المورود فعند كثير من النحاة لا يجوز وصف فاعل نعم وبئس

واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة فهم ملعونون في الدارين وقوله ويوم
عطف على في هذه بئس الرفد المرفود العون المعان نحو تحية بينهم ضرب
وجيع والمخصوص بالذم مقدر هو رفدهم فان اللعنة في الدنيا رفد ومدد للعذاب
وقد رفدت اللعنة في الدنيا باللعنة في الاخرة او المخصوص بالذم هو المرفود مثل
الورد المورود وقال الكلبي الرفد الرفادة اي بئس ما يرفدون به بعد الغرق
النار ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه اي النبأ عليك يا محمد الجملة
خبر بعد خبر منها قائم بقيت اثاره كالحيطان وحصيد اي ومنها حصيد عافي
الاثر والجملة منها قائم مستأنفة فانه لما ذكر ان ذلك بعض انبائها حرك
السامع للسؤال عن حالها هل استؤصلت عن ساقتها ام اختص الاهلاك
بسكانها فقال منها قائم ومنها حصيد ولا يجوز ان يكون حالا من ضمير نقصه
وما ظلمناهم بالاهلاك ولكن ظلموا انفسهم فاستحقوا العذاب فما اغنت عنهم
ما دفعت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء شيئا من عذابه
وما نافية لا استفهامية انكارية لما جاء امر ربك اي عذابه عند سيبويه ان
لما حرف وجوب لوجوب فجوابه محذوف يدل عليه الجملة المتقدمة وعند
غيره ان لما ظرف بمعنى حين وما زادوهم اي ما زاد الالهة الظالمين غير
تتبيب هلاك وتخسير وكذلك مثل ذلك الاخذ اخذ ربك مبتدأ كذلك خبره
اذا اخذ القرى اراد من القرى اهلها وهي ظالمة حال من القرى وعلى الحقيقة
لاهلها ان اخذه اخذ الله اليم شديد وجيع صعب ان في ذلك اي اهلاكهم
او الانباء به لاية عبرة لمن خاف عذاب الاخرة فيجعلها انموذجا ودليلا
على صدق ما اعد الله للمجرمين ذلك اشارة الى ما دل عليه عذاب الاخرة
يعني يوم القيمة يوم مجموع له الناس لان يجازيهم وذلك يوم مشهود
فيه الخلائق البر والفاجر فعلى هذا المشهود الموقف والاشهاد الخلائق والمشهود
فيه اليوم ولو جعل اليوم مشهودا على الحقيقة لم يلزم منه تعظيم ذلك اليوم
وتمييزه الا ان يراد ان ذلك اليوم هو الذي يراه الاولون والاخرون
فهو الذي يستحق ان يطلق اسم المشهود على الاطلاق عليه وعلى الاول
اتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كيوم شهدناه سليما وعامرا اي
شهدنا فيه وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود والاجل يطلق على مدة التاجيل

وعلى منتهاها

وعلى منتهاها يقال في الاول انتهى الاجل وبلغ اخره وفي الثاني حل
الاجل الاجل والعد للمدة لا لغايتها فهو على حذف المضاف اي لانتهاء
اجل معدود يوم يات ذلك اليوم المعين ويوم بمعنى حين فمرجع ضمير
يات اليوم المجموع المشهود فلا يرد عليه انه يعرف اليوم بالاتيان فكيف يعرف
الاتيان به وان اتيان اليوم لا ينفك عن يوم الاتيان فيكفي الاسناد وبلغو
الاضافة قيل ضمير يات الى الله نحو هل ينظرون الا ان ياتيهم الله لا تكلم
تتكلم نفس الا باذنه باذن الله وهذا في موقف ولا ينطقون في موقف
اخر ويوم ظرف لتكلم وفيه بيان المهابة والهول فمنهم الضمير للناس ومن
تبعيضية شقي ومنهم سعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق
الزفير اخراج النفس والشهيق رده او الزفير اول نهيق الحمير والشهيق اخره
خالدين فيها حال مقدرة ما دامت السموات والارض ما مصدرية ظرفية
اي مدة دوامهما والمراد التابيد نحو قول العرب ما اقام ثبير وما لاح كوكب
الا ما شاء ربك قال قتادة وغيره الله اعلم بثنياه اعترف بالعجز عن الفهم
والتعيين واحال العلم الى الله في الاستثنائين وعندي ان القول ما قالت
حذام او نقول هذا كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك مع
ان جزم عزمك على ضربه فعلى هذا الاستثناء في الموضعين لبيان انه لو اراد
عدم خلودهم لقدر لا انه واجب عليه ولذلك قال ان ربك فعال لما يريد
هذا وباقي التوجيهات تمحلات علمتها ان تاملت ان ربك فعال لما يريد
لكنه لا يريد الا ما فيه الحكمة البالغة واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها
ما دامت السموات والارض قيل المراد سموات الاخرة وارضها وهما
مؤبدان الا ما شاء ربك قيل المراد من الاستثناء اين الخروج من النار
الى الزمهرير ومن الجنة الى المنازل الارفع وفيه تمحل لان المنازل الارفع
ليست بخارجة من الجنة عطاء غير مجذوذ غير مقطوع ونصب عطاء بانه حال
او مصدر مؤكد ولما ذكر قصص عبدة الاوثان واتبع ذلك بذكر احوالهم
واحوال الموحدين السعداء اراد ان يبين ان عبادة غير الله تقليد وجهل
فقال فلا تك في مرية شك مما يعبد هؤلاء اشارة الى مشركي العرب
وفيه اذلالهم ما يعبدون عبادة الا كما يعبد اباؤهم من قبل الا مثل عبادة

اباؤهم والاصل كما كان يعبد وحذف كان لان قوله من قبل اغنا عنه يعني
هم واباؤهم سوآء في الجهل لا مستند لهم في الشرك فسيصل اليهم ما قد عرفت وصوله
الى اسلافهم وقوله ما يعبدون استيناف وما في كما على ما فسرنا مصدرية و
وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من الجزآء غير منقوص لا نقص في نصيبهم فهو حال
موكدة ولو قلت وفيت نصيبه منصفا معناه اعطيت النصف كاملا
من غير نقص في المنصفيته ولما ذكر في هذه الاية اعراض قومه عن الاتباع مع
ما اتى بهم من الايات سلاه باخيه موسى عليهما السلام فقال ولقد اتينا موسى
الكتاب التورية فاختلف فيه في الكتاب آمن به بعض وكفر به بعض كما
في القران وجاز ان يكون ضميره فيه لموسى ولولا كلمة سبقت من ربك
بتاخير العذاب عن قومك لقضي بينهم لفرغ من جزآئهم وانهم لفي شك منه
من كتابك مريب موقع للريبة وان كلا جميع المختلفين من مومن وكافر
وان مع انها مخففة عمل كما في كتاب سيبويه ان زيدا لمنطلق بتخفيف
ان والتنوين عوض عن المضاف اليه لما ما زائدة للفصل بين لام الموطئة
للقسم ولام التاكيد الداخلة في خبر ان ليوفينهم ربك اعمالهم اي جزآءها
واللام للقسم والتقدير وان كلا لاقسم ليوفينهم فالقسم في موضع خبر ان وليوفينهم
جواب قسم محذوف وقرآءة لما بالتشديد قيل هي لما الجازمة حذف الفعل
المجزوم تقديره وان كلا لما ينقص من جزآء عمله ودل عليه قوله ليوفينهم نحو
قول العرب قاربت المدينة ولما اي ولما ادخلها وقيل اصله لمن ما فقلبت
النون ميما للادغام فحذفت اولى الميمات الثلث وما موصولة انه بما يعملون
خبير فهو قادر على توفية جزآء عملهم من غير نقص ولا ظلم ولما بين امر المختلفين
وعدم استقامتهم وانهم في شك مريب امر نبيه صلى الله عليه وسلم
والمومنين بالاستقامة كانه قال هم ان لم يستقيموا فاستقيموا انتم فقال
فاستقم استقامة كما امرت مثل الاستقامة التي امرت بها على دين
ربك والدعآء اليه ومن تاب عن الكفر وآمن معك وجاز عطف من
على الضمير المتصل في استقم لقيام الفاصل مقام التاكيد بالضمير المنفصل
ولا تطغوا لا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير ولا تركنوا لا تميلوا
ادنى ميل الى الذين ظلموا انفسهم بالكفر فما بقي بينكم وبينهم سوى البغضآء

فتمسكم

فتمسكم النار بركونكم اليهم بل استقيموا ولا تميلوا الى جانب وهو جواب النهي
منصوب باضمار ان بعد الفآء وما لكم من دون الله من اوليآء اعوان
يمنعونكم من عذابه والواو للحال من مفعول تمسكم ثم لا تنصرون لا تجدون
من ينصركم او لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان لا يرحم من ركن الى ظالم
وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واقم الصلوة جآء
الامر في استقم واقم موحدا بحسب الظاهر وجآء النهي في لا تطغوا ولا تركنوا
جمعا مخاطبا به امته فحيث كان الامر بالخير خاطب نبيه منفردا وحيث كان
النهي عن المحظورات عدل عن الخطاب عنه وهذا من جليل المعاوضة
طرفي النهار انتصب على الظرف وطرف الشيء يقتضي ان يكون من الشيء
فالذي يظهر ان يكون الصبح والعصر وزلفا ساعات جمع زلفة مشتق
من زلفه اذا قربه عطف على طرفي عطف ظرف على ظرف من الليل
المغرب والعشآء قيل هما قبل وجوب الخمس من الصلوات فان الواجب
صلوة قبل طلوع الشمس وصلوة قبل غروبها وفي اثنآء الليل قيام عليه وعلى
امته ثم نسخ ان الحسنات يذهبن السيئات في الصحيحين وغيرهما انها
نزلت في رجل اصاب من امراة ما دون الجماع فسال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزل اقم الصلوة الاية فقال الرجل الي هذا قال لامتي كلهم
وفي الترمذي وغيره اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحوها ذلك اشارة
الى فاستقم فما بعده او الى اقرب مذكور وهو اقم ذكرى للذاكرين سبب
عظة وتذكرة للمتعظين واصبر على حكم الله فان الله لا يضيع اجر المحسنين
عن ابن عباس المحسنين المصلون ولما امر بالاستقامة واقامة الصلوة
ونهى عن الطغيان والميل الى الظلمة وبين فائدة الحسنات اراد حض الامة
على النهي عن الفساد وليكونوا خير امة اخرجت للناس فقال فلولا اي هلا
كان من القرون من قبلكم ممن تقدم من قرون نوح وعاد وثمود اولوا
بقية اي خير يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم يعني هلا كان
منهم من فيه خير ينهون عن الفساد في الارض وهذا تحريض للمسلمين على
النهي عن الفساد وكما قال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير الاية الا قليلا
ممن انجينا منهم لكن قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد وانجيناهم لانهم

نهوا فالاستثناء منقطع وقيل متصل لان التحضيض بلزوم للنفي كانه قال
ماكان فيهم اولوا بقية كذا الا قليلا وهم من انجيناهم لكن المختار الرفع ومن
في ممن للبيان على اى وجه واتبع الذين ظلموا من لم ينه عن المنكر فهو في موضع
باقيهم كانه قال واتبع سائرهم عطف على ما دل عليه الكلام اى لم ينهوا واتبعوا
ما اترفوا فيه ما نعموا فيه من الشهوات بتحصيل اسبابها فاعرضوا عن الدنيا
وكانوا مجرمين كافرين وهذا سبب استيصالهم فليحذر امتك عن مثل
ما هم كانوا عليه لئلا يقعوا فيما هم وقعوا وما كان ربك ما صح وما استقام له
ليهلك القرى بظلم اى بظلم منه سبحانه واهلها مصلحون لاعمالهم قال
تعالى لو اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها الاية وهذا وجه وجيه لا اعتزال
فيه وبظلم حال من الفاعل قيل المراد بالظلم الشرك اى لا يستاصلها بمجرد
الشرك اذا لم ينضموا الى شركهم فسادا وظلما فيما بينهم كما نقل الملك
يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين
مخلصين ولا يزالون مختلفين في فواسد العقائد وخبائث
الاعمال الا من رحم ربك رحمه ربك فالزمهم كلمة التقوى واتبعوا الرسل
ولذلك خلقهم اشارة الى مصدر رحم وضمير الجمع لمعنى من او الى مصدر مختلفين
او اليهما وضمير الجمع حينئذ للناس ولام لذلك لام العاقبة وتمت كلمة ربك
قضاؤه وقدره لاملان جهنم من الجنة والناس من المتمردين منهم اجمعين
او من النوعين اجمعين لا من نوع واحد وكلا اى كل نبأ فالتنوين عوض نقص
عليك من انباء الرسل كلا مفعول نقص ومن انباء بيان لكلا وان كان
افرادا نحو كل شئ قبلا او صفة لنبأ المقدر ومن للتبعيض صرح ابن الحاجب
في شرح المفصل ان الفصيح وصف المضاف اليه لكل ما نثبت به فوادك
من زيادة يقينك واحتمال الاذى وهو بدل بعض من كلا وجاءك في هذه
اى السورة الحق الذي هو مطابق لما جرى وموعظة وذكرى جاءتك
فيها للمومنين عممت فائدة تلك السورة لك ولامتك وقل للذين لا يومنون
اعملوا على مكانتكم اى قارين على جهتكم التي انتم عليها من التمرد وعلى تمكنكم
من امركم وقدر بسطه انا عاملون على حالنا وهذا امر تهديد وانتظروا بنا
الدوائر انا منتظرون على ان ينزل عليكم ما نزل على من قبلكم وانتظروا

ما بعدكم

ما يعدكم الشيطان انا منتظرون ما يعد نا ربنا ولله غيب السموات والارض
لا يخفى عليه شئ فيهما واليه يرجع الامر كله في المعاد او كل الامور راجع الى قدرته وخلقه
فهو الفاعل على الحقيقة لكل شئ فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون فيجازي جميعه بتحقيقه

سورة يوسف مكية اييها مائة واحدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك اشارة الى ما في الفهم من ايات السورة
ايات الكتاب المبين الواضح الجلي او المفصح عن المبهمات انا انزلناه
الكتاب قرانا اسم جنس يقع على البعض ايضا وهو مصدر بمعنى مفعول
ونصبه على الحال او البدل من المفعول عربيا صفة لعلكم تعقلون انزلناه
بلغتكم كي تفهموا نحن نقص عليك احسن القصص مصدر بمعنى الاقتصاص
واحسنيته انه على ابلغ طريقة واجمل اسلوب ونصب احسن بانه مصدر
لاضافته الى المصدر بما اوحينا بسبب ايحائنا اليك هذا القران من باب
التنازع والعامل نقص واوحينا واعمل الثاني جريا على الافصح وان كنت
من قبله قبل الايحاء لمن الغافلين لم يكن لك شعور بتلك القصة وان هي المخففة
اذ قال والعامل في اذ قال يا بني نحو اذ قام زيد قام عمرو يوسف اسم عبراني
غير منصرف للعلمية والعجمة لابيه يا ابت تاء التانيث عوض عن الياء فلا يجمعان
يا ابتي وكسرة التاء هي كسرة ما قبل الياء نقلت منه الى التاء لاقتضاء تاء
التانيث فتح ما قبلها اني رايت معمول القول وهو من الرويا احد عشر كوكبا
والشمس والقمر تاخيرهما من باب الترقي من الادنى الى الاعلى ولم يقع الترقي
بينهما لانه اذا اجتمعا قدمت عليه جريا على وتيرة القران رايتهم لي ساجدين
استيناف كانه قيل كيف رايتهم قال رايتهم لي واجريت مجرى العقلاء في
رايتهم لوصفهم بصفاتهم اعني السجود وساجدين حال ولي متعلق به قال
ابوه يا بني تصغير التحبب والتحنن كما قال يوسف يا ابت لا تقصص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا جواب النهي منصوب باضمار ان يعني
يحتالوا لاهلاكك حسدا منهم فانهم ربما علموا تاويلها وتضمين الكيد معنى الحيلة
عدي باللام وهو متعد بنفسه ان الشيطان للانسان عدو مبين ربما يحملهم
على الكيد وكذلك كما اجتباك بتلك الرويا العظيمة الدالة على جلالة قدرك
يجتبيك يصطفيك ربك بالنبوة ويعلمك كلام برأسه ليس داخلا في التشبيه

يصطفيك

كانه قال وهو يعلمك من تاويل الاحاديث تعبير الرؤيا وقيل تاويل
ايات كتب الله ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب سائر اولاده كما اتمها
على ابويك من قبل من قبل هذا الوقت والمراد من الابوين الجد وابو الجد
فانهما فى حكم الاب ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم
حكيم فيعطى ما يستحق لمن يستحقه لقد كان فى يوسف واخوته اى فى قصتهم
ايات عظة وعبرة للسائلين المستخبرين فانه خبر عجيب يستحق الاخبار عنه
روى ان علمآء اليهود علموا كبرآء المشركين ان يسالوا رسول الله سبب
انتقال آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف والمنقول ان
بعض احبارهم قالوا يا محمد اخبرنا عن اسمآء كواكب راها يوسف فنزل جبرئيل
واخبره بها فقال صلى الله عليه وسلم له هل انت مؤمن ان اخبرتك فقال
نعم فاخبره فصدقه اليهودى ومن اياته وضوح دلالته على صدق محمد عليه
الصلوة والسلام اذ قالوا ليوسف اللام للابتدآء واخوه من الابوين احب
يستوى فى افعل من الواحد والجمع الى ابينا منا ونحن الواو للحال عصبة
جماعة اقويآء ارادوا انهما لا كفاية فيهما ونحن جماعة نقوم بمرافقه فنحن احق
بالمحبة ان ابانا لفى ضلال مبين بايثارهما علينا ولا يجب عصمة الانبيآء
عن مثل هذا الضلال قال بعض السلف لم يقم دليل على انهم صاروا انبيآء
اقتلوا يوسف من جملة المحكى او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة وهذا معنى
تنكيرها ونصب ارضا على اسقاط حرف الجر اى فى ارض قال الزمخشرى
نصب نصب الظروف المبهمة لابهامها واعترض عليه بانك لو قلت
جلست دارا بعيدة او مكانا بعيدا لم يصح وللتنوين حكم القيد وليس ببعيد
ان يقال الظرف المبهم معرف بانه شئ ليس له حدود تحصره ولا اقطار
تحويه و ارضا فى الاية كذلك يخل لكم وجه ابيكم يخلص لكم وجهه عن الاقبال
بيوسف فيقبل بكليته عليكم وهو جواب الامر وتكونوا عطف على يخل
من بعده يوسف او طرحه او قتله قوما صالحين فيما بينكم وبين ابيكم
او بان تتوبوا قال قائل منهم قيل الاصح انه يهودا لا تقتلوا يوسف والقوه
فى غيابة الجب قعر البئر وفيه خلاف كثير انه اى بئر وفى اى ارض قيل
طاق فى البئر فوق الماء يلتقطه ياخذه بعض السيارة المسافرين ان كنتم

فاعلين

فاعلين عازمين على ان تبعدوه عن محضر ابيه يرى من كلامه عدم رضاه
بفعل اخوانه قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحين
لما تقرر فى اذهانهم التفريق تلطفوا فى اخراجه معهم وقالوا لم تخافنا عليه
ونحن مشفقون عليه مريدون له الخير ويشم من كلامهم ان يعقوب يمنعه عن
اللعب معهم وكان منعه دائما ارسله معنا غدا ظرف اسم لليوم الذى يلى
يومك ويطلق على الزمن المستقبل مطلقا نرتع الرتع الاتساع فى الملاذ
ونلعب فى الصحرآء بمثل الاستباق وانا له لحافظون من ان يناله ضرر
قال يعقوب انى ليحزننى ان تذهبوا به لشدة مفارقته على ولو كانت
يوما واخاف ان ياكله الذئب فان ارضهم مذابة وانتم عنه غافلون
مشتغلون بلعبكم قالوا لئن اكله الذئب اللام موطئة للقسم ونحن عصبة
جماعة اقويآء جملة حالية انا اذا لخاسرون ضعفآء عاجزون وهو جواب
القسم هو عليه السلام اعتذر لهم بشيئين وهم عدلوا عن الاول الى قصة
الذئب اشارة الى انه هو السبب واما قصر مادة حزن المفارقة فهين عندهم
لم يتعرضوا له فلما ذهبوا به واجمعوا اتفقوا ان يجعلوه يلقوه هو مفعول
اجمعوا فى غيابة الجب يعنى فاجابهم الى ما سالوه وارسله معهم فلما ذهبوا
واوحينا اليه لوحشته فى الجب وشدة غمه لتنبئنهم بامرهم هذا او الله لتخبرن
اخوتك بصنيعهم هذا وهو البشارة بخلاصه وتفوقه على اخوته وهم لا يشعرون
بوحى الله واعلامه اياه ذلك او هم لا يعرفونك حين تخبرهم قال تعالى
فعرفهم وهم له منكرون والاصح انه وحى الهام واما جواب لما فالاولى ان
يكون مقدرا بعد فى غيابة الجب مثل سروا بذلك واوحينا ليس داخلا
تحت جواب لما وجاؤا اباهم عشآء اخر النهار لما القوه فى الجب يبكون
حال قالوا يا ابانا قيل ان قالوا جواب فلما اى لما كان كيت وكيت قالوا
وفيه بعد انا ذهبنا نستبق نتسابق فى العدو او فى الرمى وتركنا يوسف
عند متاعنا من ثيابنا وزادنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن بمصدق
لنا فى ان الذئب اكله ولو كنا صادقين فى نفس الامر او معناه ما انت
بمصدق لنا فى هذه القصة ولو كنا صادقين عندك فى القضايا وجاؤا
على قميصه بدم كذب وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب

وعلى قميصه حال متقدم وجاز مع ان الحال المجرور لا يتقدم عليه لانه ظرف
قال الزمخشري نصبه على الظرفية بمعنى فوق وفي البحر انه لا يساعد المعنى لان العامل
فيه جاؤا وليس الفوق ظرفا لهم بل يستحيل ظرفيته لهم واجيب بان الظرفية باعتبار
الدم الذي هو المفعول كما اذا قلت ضربت زيدا على السطح العامل ضربت
فظرفيته باعتبار المفعول لا الفاعل قال بل سولت لكم انفسكم امرا تقديره لم
لم ياكله الذئب بل سهلت انفسكم لكم امرا عظيما فصبر جميل اجمل او فصبري
صبر جميل والله المستعان على ما تصفون على تحمل ما تصفون من هلاكه
والمنقول انهم ذبحوا سخلة ولطخوا ثوبه بدمها فاخذ يعقوب ثوبه ولطخ به وجهه
وبكى ثم تامل وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق ثوبه
ثم قال بل سولت الى اخره وجاءت سيارة مسافرون فارسلوا واردهم
الوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم ولم يقل فارسلت حملا على معنى السيارة
والاضافة في واردهم ليست الى المفعول بل المعنى الذي يرد لهم فادلى دلوه
ارسل دلوه في الجب ليستقي فتدلى يوسف بالحبل وخرج من الجب فلما راه المدلي
قال يا بشرى نادى البشرى تعالى فهذا من آونتك قيل له صاحب اسمه
بشرى فناداه وقيل ذهب به الى اصحابه وقال يا بشرى اي يا قوم بشرى
يعني البشرى وجب عليكم هذا غلام قيل تعلقه بالحبل واخراجه من الجب دال
على صغر سنه وغلام يرجح هذا المعنى لانه ابن سبعة عشر واسروه اخفى الواردون
امره من سائرهم بضاعة حال اي متاعا للتجارة قالوا هو بضاعة لنا من اهل
الماء لنبيعه في مصر واسروا انهم وجدوه من الجب قيل ان يهودا ياتيه كل يوم
بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فاخبر سائر اخوته فجاؤا ووجدوه عند السيارة
فقالوا هذا عبدنا ابق منا فاشتروه وسكت يوسف خوفا وعلى هذا قال ابن عباس
ضمير اسروه لاخوة يوسف وبضاعة مفعول له والله عليم بما يعملون لا يخفى
عليه اسرهم وهذا وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم وشروه باعه الواردون
او اخوته بثمن بخس مبخوس ناقص العيار دراهم معدودة قليلة بدل من الثمن
وما باعوه بالدنانير بل بالدراهم قال ابن عباس باربعين درهما وكانوا فيه
من الزاهدين الواردون باعوه عجلة بثمن بخس خوفا عن انتزاعه لانه ملتقط
فهم راغبون عنه او اخوته باعوه وهم راغبون عنه وفيه متعلق بمحذوف

يبينه

يبينه من الزاهدين لان ما بعد الجار وما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله وجوز صاحب
البحر تعلقه بالزاهدين وقال في الظرف اتساع وقال الذي اشتراه من مصر
وهو ملك كان على خزائن مصر والسلطان غيره لامراته اي قال لامراته اكرمي
مثواه احسني تعهده والمثوى المنزل عسى ان ينفعنا بكفاية امورنا او نتخذه
ولدا او نتبناه فانه كان عقيما وكذلك مثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض
في ارض مصر وجعلناه عزيزا عند العزيز ولنعلمه عطف على مقدر اي مكناه
لمصالح ولنعلمه او من عطف الجملة على الجملة ومعلله محذوف اي ولنعلمه كان ذلك
الانجاء والتمكين من تاويل الاحاديث اي الرؤيا والله غالب على امره الضمير
ليوسف او على الله لا راد لما اراد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده
ولا يعلمون لطائف تدبيره فالمراد من اكثر الناس اعم من الكفار ولما بلغ
اشده استكمل خلقه وتم وهو الحلم على الاصح آتيناه حكما وعلما نبوة وفقها
في الدين وكذلك نجزي المحسنين فانه في عنفوان شبابه محسن في عمله
صابر على النوائب فجازيناه بالحكم والعلم وراودته التي هو في بيتها عن
نفسه طلبت منه ان يواقعها والمراودة المطالبة من راد يرود واذا جاء
وذهب وهي مفاعلة من واحد كداويت المريض وكني به عن المخادعة
لاجل النكاح ولاجل ذلك عداه بعن كانه قال وخادعته عن نفسه ولم يصرح
باسمها سترا على الحرم والعرب يضيف البيوت الى النساء فيقال ربة البيت
وصاحبة البيت وغلقت الابواب قيل كانت سبعة وقالت هيت لك
اقبل وبادر اسم فعل واللام للتبيين نحو سقيا لك قال يوسف معاذ الله
اعوذ بالله معاذا اي عياذا انه اي ان الله ربي احسن مثواي نجاني
من الجب واقامني في احسن مقام فلا اعصيه استعاذ به اولا ثم نبه على
احسانه فلا يناسب ان يجازى بسوء انه لا يفلح الظالمون ثم نفى
الفلاح اي الظفر والفوز بالبغية عن الظالم الذي وضع الشيء غير موضعه
قيل معناه ان الشان ربي الذي اشتراني اكرمني فلا اخونه ولقد همت به
قصدت مخالطته وهم بها هم عزم وجزم وهم يوسف بها هم خطرة وحديث
نفس من غير اختيار ولا عزم لولا ان راى برهان ربه جوابه محذوف
اي لخالطها وما ذكره السلف في تفسير البرهان انه راى صورة ابيه

عاضا على اصبعه يعظه وقال صاحب البحر ونعم ما قال ان جواب لولا هو
عين المقدم او دال عليه المقدم وليس في كلام العرب ولا في قواعد النحو وغير
ذلك نحو فارقت لولا ان عصمك الله معناه لولا العصمة لفارقت فتقديره
هنا لولا ان راى برهان ربه لهم لكن ما هم لرؤيته برهان ربه فمن يجوز تقديم الجواب
فقوله هم بها نفس الجواب ومن لم يجوز فمحذوف دال عليه المقدم نحو ان كادت
لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها هذا هو الكلام ولم يصح من اقوال السلف شيء
دال على همه عليه السلام كذلك اي الامر كذلك او مثل ذلك التثبيت ثبتناه
لنصرف عنه السوء مثل خيانة صاحبه والفحشاء مثل الزنا انه من عبادنا المخلصين
ممن اخلصه للعبادة واستبقا الباب استبق يوسف للهرب وامراة العزيز
لمنعه واصله التعدي بالى فحذفت اتساعا او فيه تضمين الابتدار فعدي
بنفسه وقدت شقت يحتمل العطف والحال قميصه من دبر من خلف
وذلك لانه فر منها واسرعت وراءه واجتذبت ثوبه لتمنعه الخروج فانقد
والفيا صادفا سيدها زوجها لدى الباب وزوجها ليس سيد يوسف
على الحقيقة قالت حين احضرت كيدها وتبرات ساحتها ونسبت اليه
ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ليس جزاؤه الا السجن او العذاب
قال يوسف هي راودتني عن نفسي لم يقل هذه راودتني لان في المواجهة
بالقبيح ما ليس في الغيبة وشهد شاهد من اهلها كان ابن خالها طفلا
في المهد انطقه الله ليكون ادل قاله السلف وفيه حديث ان كان
قميصه محكي بقال مضمرة على مذهب البصريين واما عند الكوفيين
فلا يحتاج الى تقدير لان شهد متضمن للقول قيل معناه حكم حاكم فقال
ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه اذا كان
تابعها وهي دافعة قدت قميصه من قدامه بالدفع وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فانه دال على انها هي التي تبعته
واجتذبت ثوبه اليها ودخلت ان التي للاستقبال على كان الذي
للماضي اذ المعنى ان تبين كونه فائدة الشرط على الحقيقة انما دخلت
على المصدر وقوله فصدقت اي فقد صدقت وكذلك فكذبت فلما
راى قميصه قد من دبر قال لما عرف خيانة امراته انه هذا الصنيع من كيدكن

بها

الخطاب

الخطاب لها ولسائر النساء ان كيدكن عظيم وحيل النساء قد اشتهرت
قال تعالى ومن شر النفاثات في العقد يوسف اي يا يوسف اعرض عن هذا
اكتمه ولا تذكر هذا الامر ثم اقبل بعد التلطف على يوسف لان تكتمه فقال للامراة
واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين والتذكير للتغليب ولا شك
انه كما قيل كان قليل الغيرة قال صاحب البحر تربة مصر اقتضت هذا ولذلك
لا ينشا فيها الاسد ولو اتي به اليها لاسرع له الموت وليس ببعيد ان يقال
ان قوله ان كيدكن بصيغة الجمع براعة لاستهلال عذرها كانه قال مثل
تلك الشنيعة ليست باول قارورة كسرت منك فانها عادة جميع
النساء وقال نسوة جمع تكسير المؤنث ويجوز فيه الوجهان في المدينة شاعت
في مصر انها عشقت غلامها امراة العزيز تراود فتيها عن نفسه تطلب من عبدها
الفاحشة قد شغفها حبا جاء اولا بصيغة المضارعة ولم يقل راودت
اشارة الى انه صار ذلك سجية وعادة لها وقوله قد شغفها علة لدوام المراودة
اي بلغ حبه شغاف قلبها اي حجابه او سويداه ونصب حبا على التمييز وفاعل
شغف ضمير الفتى والفتى الغلام واصله الشاب ولما كان يليق بالخدم الشباب
استعير لهم اسم الفتى انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن تسميته مكرا
لما علمت انهن ارادن بهذا القول ان تريهن يوسف او لانها كتمت وهن
افشين سرها وقيل هن اغتبنها والغيبة كالمكر لانه في سر ارسلت اليهن دعتهن
واعتدت لهن متكا ما يتكا عليه لمجلس العظماء قال كثير من السلف المتكا في المصطلح
المجلس المعد فيه مفارش ومخاد وطعام فيه ما يقطع بالسكين واتت كل واحدة
منهن سكينا لتقطع ما في المائدة مما يحتاج الى السكين وقالت حين اخذن
السكاكين اخرج يا يوسف عليهن وخرج فلما راينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه
وقطعن ايديهن جرحنها من فرط الحيرة والتضعيف للتكثير وقلن حاش لله
حاشا حرف جر حذفت الالف منه تخفيفا وضعت موضع التنزيه كانه قيل
براءة ثم قال لله لبيان من يبرى كسقيا لك فهو في الاصل حرف ونقلت
الى معنى المصدر والمعنى تنزيها لله من العجز وتعجبا من قدرته على هذا الخلق
الجميل قيل معناه حاشا يوسف ان يقارف ما رمته به لطاعة الله لان
ذلك من افعال البشر انما هو ملك فاللام في لله للتعليل ما هذا بشرا فانه

لم يعهد للبشر مثل ذلك الجمال اعمل ما اعمل ليس وهو لغة الحجاز ان هذا الا
ملك كريم اثبتن له الملكية لما كان مركوزا في طباع كثير من الخلق حسن الملك
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه المعنى ان ما صدر منكن من الاكبار وتقطيع
الايدي واثبات الملكية هو الذي لمتنني في محبته فوضع ذلك موضع هذا
رفعا لمنزلته واستبعادا لمحله في الحسن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
اعترفت عندهن لما علمت انهن يعذرنها وجعلهن محل سرها وعلمت طمع
زوجها وبالغ في عصمته ولئن لم يفعل ما آمره ما موصولة والضمير عائد الى يوسف
وضمير الموصول مقدر اي ما امره به واللام موطئة للقسم وجوابه قوله ليسجنن
وليكونا من الصاغرين من الاذلاء والنون الخفيفة يكتب في خط المصحف الفا
على حكم الوقف قال حين قلن له اطعها رب نادى ربه تعالى تضرعا فقال
السجن احب الي مما يدعونني اليه من المعصية اضاف الفعل اليهما واليهن لانهن
الداعي وهن النواصح واحب هنا ليست على بابها من التفضيل فانه لم يحب
ما يدعونه اليه قط وانه اثر من الشرين ما هو اهون عنده صلى الله عليه وسلم
والا تصرف عني كيدهن اصب اميل اليهن باجابة كلامهن قيل انهن
اتفقن على دعوته الى انفسهن واكن من الجاهلين ومن لا يعمل بعلمه فهو والجاهل
سواء فاستجاب اجاب له ربه دعاءه فان في قوله الا تصرف معنى
الطلب والدعاء فصرف عنه كيدهن بان عصمه الله فاختار السجن انه
هو السميع لسؤال السائلين العليم بضمائرهم ثم بدا لهم ظهر للعزيز واصحابه
وفاعله ضمير عائد الى السجن المفهوم من قوله ليسجنن من بعد ما راوا الايات
الدالة على براءة يوسف ليسجننه جواب قسم محذوف حتى حين الى زمان
نقل عن ابن عباس انها قالت لزوجها هذا الغلام العبراني قد فضحني
وهو يحكي عند الخلق الحكاية وانا محبوسة في بيتك محجوبة عن الخلق لا اقدر اروح
اليهم واعتذر واكذبه فاما ان اذنت لي اخرج واعتذر واحبسه كما انا محبوسة
فحينئذ بدا لهم سجنه فامر به فحمل على حمار وضرب امامه بالطبل ونودي عليه
في الاسواق ان هذا الغلام العبراني يريد خيانة سيدته فجزاؤه ان يسجن
قال ابو صالح ما ذكر ابن عباس هذا الحديث الا بكى ودخل معه السجن فتيان
يعني فسجنوه ودخل احدهما خباز الملك الاعظم والآخر ساقيه وانهما

اتفقا

اتفقا على تسميم السلطان ودل هذا على انهم سجنوا الثلثة في ساعة واحدة
قال احدهما اي الساقي اني اراني في المنام جرى مجرى افعال القلوب في ان
فاعله ومفعوله ضميران لشيء واحد اعصر هو في موضع المفعول الثاني خمرا
اي عنبا سماه باسم ما يؤول اليه وقال الآخر الخباز اني اراني احمل فوق راسي
خبزا تاكل الطير منه نبئنا اخبرنا بتاويله ما قصصناه ويمكن ان كلا منهما
قص رؤياه وقال نبئنا قيل اخبر عن تلك الرؤيا اختبارا ليوسف فانه قال
اعطاني ربي تعبير الرؤيا انا نريك من المحسنين في الاعمال والاقوال
قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما وصف نفسه
بمزيد تعبير الرؤيا مما هو فوق علم العلماء فقالا من اين لك هذا وانت لست
بكاهن ولا منجم فقال ذلكما العلم مما علمني ربي لا من التكهن والتنجيم وهذا
مثل معجزة عيسى حيث قال وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم يعني
لا ياتيكما طعام من بيتكما تطعمانه وتاكلانه الا نبأتكما بقدره ولونه ووقته
قبل الوصول اليكم وقال ذلك الا لمن يشرب في قلوبهم الايمان ويبغض
لها الشرك وفي الحديث لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من
حمر النعم وقيل معناه لا ياتيكما طعام ترزقانه في نومكما الا نبأتكما بتاويله
قبل ان ياتيكما التعبير في اليقظة اني تركت مستانفة كانه قال علمني
ربي لاني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون
عبر بتركت مع انه لم يتشبث قط بتلك الملة اجراء للترك مجرى التجنب
من اول امره استجلابا لهما لان يتركا وقوم لا يؤمنون هم اهل مصر
وتكريرهم لمزيد التوكيد واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب
لما ذكر رفض الشرك وعرفهما بالمعجزة نبوته اثبت لهما انه من بيت
النبوة ليتقوى رغبتهما في الاستماع اليه ما كان ما صح وما استقام لنا
معاشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك
وانس وجن ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس على الرسل
والمرسل اليهم ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلك الفضل فيعرضون
عن الايمان يا صاحبي السجن اي ساكنيه نحو اصحاب الجنة او معناه
يا صاحبي فيه فالاضافة على الاتساع نحو يا سارق الليلة أارباب

متفرقون دعاهما الى التوحيد خير ام الله الواحد القهار الذي ذل كل شيء
لعز جلاله ابرز بطلان ما هما عليه من الشرك في صورة الاستفهام حتى لا تنفر
طبعهما من المفاجاة بدليل البطلان وجاء بصفة القهار لئلا يخافوا من سطوة
من لا يكون له الغلبة والقدرة لا يستحق الالوهية ما تعبدون من دونه من
دون الله الخطاب للمشركين الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم الا اسماء خالية
عن المعنى ليس تحتها مسميات فانهم سموا اذل شيء الهة ويعبدونها ما انزل
الله بها بتسميتها من سلطان من حجة ان الحكم الا لله ليس حكم من امر ونهي
الا له لا لاصنامكم امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين
القيم المستقيم الذي لا عوج له ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيهلكون في جهالاتهم يا صاحبي
السجن لما القى اليهما ما كان اهم من امر الدين نادهما ثانيا لتجتمع انفسهما لسماع
الجواب اما احدكما اي الشرابي فيسقي ربه خمرا يعود منصبه اليه واما الآخر
اي الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه قيل لما عبر رؤياهما قالا والله ما راينا
شيئا فقال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان هذا ما يؤول اليه امركما
وهو لا محالة واقع صدقتم او كذبتم وعلى هذا علمت انه لا حاجة الى ان يقول
قضي الامران وقال يوسف للذي ظن اي ايقن لقوله قضي الامر الذي فيه
تستفتيان انه ناج منهما وهو الساقي اذكرني عند ربك المراد اذكر حالي
عند الملك الاعظم كي يخلصني من جور العزيز وامراته فانسيه اي الساقي
الشيطان ذكر ربه ذكره لربه فلبث في السجن بضع سنين اخبار عن مدة
مقامه في السجن منذ سجن الى ان خرج والبضع ما بين الثلث الى التسع والاكثرون
على ان مدة سجنه سبع سنين قيل معناه انسى الشيطان يوسف ذكر
ربه فاستعان بغير الله فلبث وقال الملك الاعظم بعد مضي بضع
سنين اني ارى في نومي جاء بالمضارع لحكاية حال سبع بقرات سمان
خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل ياكلهن سبع عجاف فابتلعت
العجاف السمان والعجف غاية الهزال وقياس جمع العجفاء عجف لكنه حمل
على سمان الذي هو نقيضه وقال عجاف ومن دابهم حمل النقيض على
النقيض كحمل النظير على النظير وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها
واخر صفة موصوف محذوف معطوف على سبع سنبلات اي وسبعا

اخر يابسات قد استحصدت والتوت اليابسات على الخضر حتى عل
غلبن عليها قد استغنى عن بيان حالها بما نص من حال البقرات
يا ايها الملأ اي الاشراف من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي عبروها
ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بتعبير الرؤيا واللام لتقوية العامل
فان معموله تقدم عليه فضعف عمله فقوي باللام ولو تاخر المفعول عن
الفاعل لم يجئ باللام الا قليلا قيل للرؤيا خبر كان وتعبرون خبر بعد خبر
او حال كقولك كن لهذا الامر اي مستقلا به مهتما في شانه وحقيقة عبرت
الرؤيا ذكرت عاقبتها قالوا اي الملأ هذه اضغاث احلام جمع ضغث
اي تخاليطها وهو ما يكون من حديث النفس او وسوسة الشيطان
او مزاج غير مستقيم والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا ولتضمنه اشياء مختلفة
جمعوا الاحلام وان لم يكن الا واحدا وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين
اي تلك الاحلام التي هي الاضغاث او اعترفوا بالعجز عن تعبير الرؤيا
مطلقا وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وادكر تذكر يوسف بعد
امة جماعة كثيرة من الزمان قوله وادكر حالية اصله اذتكر ابدلت التاء
دالا وادغمت انا انبئكم بتاويله فارسلون الى من عنده علم التاويل
فارسل وجاء الى يوسف وقال يوسف ايها الصديق الكثير الصدق
افتنا في رؤيا سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس الملك الاعظم واهله لعلهم
يعلمون تاويلها او فضلك ولما جرب كمال علمه كلمه كلام محترز بناه
على الرجاء لا على اليقين فربما قطعه قاطع في اثناء الرجوع وربما لم يعلموا
قال تزرعون سبع سنين دابا حال اي دائبين مستمرين على عادتكم
فما حصدتم فذروه في سنبله ليحفظ من السوس ولا يفسد الا قليلا
مما تاكلون في تلك السنة ثم ياتي من بعد ذلك السبع سبع شداد اي
سبع سنين فيها قحط ياكلن اضاف الاكل الى السنين وهو لاهلهن
على المجاز ما قدمتم لهن مما ادخرتم لاجلهن الا قليلا مما تحصنون تحرزون
للبذر والاظهر ان قوله تزرعون خبر على اصله لا انه بمعنى الامر بدليل
قوله ثم ياتي والا فاين تعبير الرؤيا فان تعبير الرؤيا لا يكون الا اخبارا

فتضمن هذا الكلام من يوسف ثلثة انواع من القول احدها تعبير بالمعنى الثاني
عرض راى ونصح وهو قوله فما حصدتم فذروه فى سنبلة والثالث الاعلام
بالغيب فى العام الثامن وهو قوله ثم ياتى من بعد ذلك عام فيه يغاث
الناس من الغيث اى يمطرون وقيل من الغوث اى يغيث بعضهم بعضا
وفيه يعصرون ما يعصر كالحلب والزيتون وقصب السكر اول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بجدبة
واكل العجاف السمان باكل ما جمع فى المخصبة فى المجدبة ثم بشرهم بما يكون بعد
المجدبة بالهام الله اياه لا من تاويل رؤياه وقال الملك حين رجع المستفتى
واخبره بفتياه ايتونى به من الحبس فلما جاءه الرسول رسول السلطان ليخرجه
من السجن قال ارجع يا رسول الملك الى ربك اى الملك فاساله فان امرهما
شاع فى البلاد حتى وصل الى الوهاد والتلاد ما بال النسوة اللاتى قطعن
ايديهن اراد ان يعلم الملك براءة ساحته ومن كرم يوسف انه سكت عن
امراة العزيز مع ما صنعت به وهن يعلمن ايضا براءته باقرارها عندهن ولم يقل
فاساله ان يفتش عن حالهن لان السؤال عن احد مهيج ومحرك للبحث عما عنه
فاراد تهييج الملك فى التبيين عن حقيقة القصة وايضا هذه العبارة اقرب
من الادب وفى الصحيحين والترمذى قال صلى الله عليه وسلم لو لبثت فى السجن
ما لبث يوسف لاجبت الداعى وفى الترمذى ومسند احمد لقد عجبت من
يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن تعبير الرؤيا ولو كنت مكانه
ما اجبتهم حتى اشترط ان يخرجونى ان ربى بكيدهن عليم حين قلن اطع مولاتك
فيه الاستشهاد بعلم الله على براءته او الوعيد لهن على كيدهن او تعظيم كيدهن
قال الملك وهو ريان الوليد بعد ما رجع الرسول واخبره بما قال فجمع الملك
النسوة وامراة العزيز وقال لهن ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف
عن نفسه هل وجدتن منه سوء خاطبهن والمراد الاصلى امراة العزيز قلن
حاش لله تعجبا من عفته وقد مر اصله ما علمنا عليه من سوء قالت امراة
العزيز الان حصحص ثبت واستقر الحق قيل اقبلن كلهن عليها فقررنها
انا راودته عن نفسه قيل خافت شهادتهن عليها فاقرت وانه لمن
الصادقين فيما نسب الى ذلك اى ما فعلت من رد الرسول وهذا

من كلام يوسف على طور الايجاز القرانى لان المعنى رجع الرسول فقال لما
فتش الملك عن كنه الامر وبان حقيقة عصمتك من حيث ان خصومك
اعترفت ببراءة ساحتك فعند ذلك قال ليعلم العزيز انى لم اخنه
بالغيب بظهر الغيب حال من احد المعمولين وان الله لا يهدى لا ينفذ
ولا يسدد كيد الخائنين وما ابرئ نفسى عن بعض السلف انه لما قال
ليعلم انى لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت اراد ان الايق
بشان النبوة الاجتناب عن الهم وان كان غير محظور فاجاب وما ابرئ
نفسى ان النفس بطبعها لامارة بالسوء الا ما رحم ربى من النفوس
الاستثناء من ضمير امارة او من مفعول امارة المحذوف اى امارة
صاحبها او تقديره النفس فى جميع اوقاتها امارة الا وقت رحمة ربى
ان ربى غفور رحيم هذا الملخص ما فى التفاسير وقال بعضهم الظاهر ان
قوله ذلك ليعلم الاية من كلام امراة العزيز داخل تحت قالت يعنى
اعترفت بالحق ليعلم يوسف انى لم اخنه فى غيبته ولم ارمه بالبهتان الذى
رميته به خوفا وحياء من بعلى ثم اعتذرت عما وقعت فيه من الميل والشهوة
بقولها وما ابرئ نفسى فان النفس تتمنى وتشتهى ولذلك راودته
لانها امارة بالسوء الا نفس من عصمه الله انه غفور للمذنب رحيم وقال
ومن ذهب الى ان قوله ذلك ليعلم من كلام يوسف يحتاج الى تكلف
ربط بينه وبين ما قبله ولا قرينة على انه من كلام يوسف اذ لم يكن يوسف
حاضرا وقت سؤال الملك واقرار امراة العزيز وقال الملك ايتونى به
بيوسف استخلصه لنفسى اجعله خالصا لنفسى فلما كلمه بعد ما اتوا به وشاهد
كمال الرشد من كلام يوسف قال انك اليوم لدينا مكين ذو منزلة امين
مؤتمن صادق قال اجعلنى على خزائن الارض ولنى امر خزائن ارض مصر
قال مجاهد اسلم الملك على يده او نقول التولى من يد الكافر جائز اذا
علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا باستظهاره انى حفيظ
لها عليم بوجوه التصرف فيها قيل معناهما كاتب حاسب وهو سائل
العمل بما يناسب الوصفين اللذين وصفه الملك بهما لما فى ذلك من المصالح
ليتصرف فى سنة القحط على الوجه الاحوط ونقل محيى السنة ان العزيز

توفي فجعل الملك يوسف مكانه وزوجه امرأته فوجدها بكرا وولدت له ابنين
وكذلك مثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ ينزل
منها النبوء استعمل بمن والمقصود سعة منزلته وانه في اطلاق لا انه
ينزل في مساكن الخلق حيث يشاء يعني استولى على جميعها ودخلت
تحت سلطانه نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع في الدنيا اجر المحسنين
ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون فيه اشارة الى ان حال
يوسف في الاخرة خير من حالته العظيمة في الدنيا روي ان الملك توجه
بتاجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه واجلسه على سرير مكلل بالدر والياقوت
ودانت له الملوك وهو نفسه بطبيعه واقام العدل واحبه الرجال
والنساء وباع الطعام لاهل مصر في السنة الاولى من القحط بالنقد ثم بالحلي
ثم بالدواب ثم بالضياع ثم برقابهم وجاز ذلك في شرعهم ثم قال
للملك كيف ترى صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الرأي رأيك قال
فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت
عليهم اموالهم وجاء اخوة يوسف قد دخلت السنون المجدبة وعم القحط
حتى وصل بلاد كنعان وسمعوا بعدل مصر جاء اخوته لشراء الطعام
فدخلوا عليه فعرفهم يوسف وهم له منكرون لم يعرفوه قال ابن عباس
مدة المفارقة اربعون سنة ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر
حمولاتهم واصل الجهاز ما يعد من الامتعة للسفر وما يحمل من بلدة الى اخرى
وما تزف به المراة الى زوجها قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لما عرفهم اراد
ان يخبروه بجميع امرهم فباحثهم بلسان ترجمانه وقال اظنكم جواسيس
فقالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب بني صديق قال كم انتم قالوا كنا اثني
عشر فهلك اصغرنا في برية ولنا اخ من الابوين احتبسه ابوه ليتسلى به عن
اخيه قال ائتوني به حتى اعلم صدقكم الا ترون اني اوف الكيل اتمه
وانا خير المنزلين المضيفين في هذا القطر والزمان ثم توعدهم بقوله
فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ليس لكم عندي طعام اكيله لكم ولا تقربون
يحتمل ان يكون نهيا وحذفت النون ويحتمل ان يكون نفيا معطوفا
على محل فلا كيل فيكون مجزوما ومعناه لا تدخلوا بلادي قالوا سنراود

عنه اباه نلح في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ما دعوناك وقال يوسف
لفتيانه لغلمانه اجعلوا بضاعتهم ثمن طعامهم في رحالهم قيل كانت
بضاعتهم النعال والادم وفيه شبهة والظاهر ان متاعهم شيء صغير
الجثة قليل الوزن حيث لم يعرفوا انه في حملهم الى بلادهم وردوا بهم قادرا
على حملها مع الكيل لعلهم يعرفونها بانها بضاعتهم او يعرفون حق ردها
وحق التكرم باعطاء البدلين فيرغبون فيها اذا انقلبوا الى اهلهم حين
فتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون قيل اذ لا يستحلون امساك ما ليس لهم وقيل
خاف من ان لا يكون عندهم بضاعة اخرى فلا يمكن لهم الرجوع فلما
رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل بعد ذلك ان لم نذهب
باخينا قيل الاولى ان المراد منع كيل بعير اخينا بنيامين فارسل معنا
اخانا نكتل نحن وهو من غير مانع فانه قال فان لم تاتوني به فلا كيل لكم
عندي ويقوي ما ذكرنا انه اولى قراءة يكتل بالياء فانما منع كيل بعيره
لغيبته وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من
قبل فانكم ذكرتم في يوسف مثل ما ذكرتم هنا فهل يكون اماني هنا الا كاماني
هنالك يعني كما لا يحصل اماني هناك لا يحصل اماني هنا فالله خير حفظا
فاتوكل عليه وحفظا تمييز ومن قرأ حافظا فنصبه ايضا على التمييز
لانه لو جعلته حالا لزم تقييد ان الله خير بهذه الحال وهو ارحم الراحمين
فارجو منه الرحم بحفظه ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي ما استفهامية اي اي شيء نبغي ونطلب من
الكرامة هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف موضح لقولهم ما نبغي
ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك مار اهله حمل اليهم الطعام من بلد
اخر عطف على مقدر اي ردت الينا نستظهر او نستعين بها ونمير
ونحفظ اخانا عن المكاره ونزداد كيل بعير حمل بعير من الطعام فانه
انما يعطي كل شخص وقرا فاذا كان معنا اخونا يزيد لنا حملا وهذا في
زمن القحط ليس بقليل ذلك اي كيل بعير كيل يسير على الملك لا ينقضنا
الملك عليه وهذا عندنا كثير وقيل ذلك اشارة الى ما جئنا به اي هو
كيل قليل لا يكفينا قال يعقوب لن ارسله معكم حتى تؤتون نعطوني

موثقا من الله اى حتى تحلفوا لى وتعهدوا عهدا موكدا بذكر الله لتأتننى به
جواب القسم الا ان يحاط بكم اى الا ان تغلبوا من جميع الجهات حتى لا يبقى
حيلة ولا وجه تخلص يعنى لتأتننى على كل حال الا حال الاحاطة بكم قيل
استثناء من اعم العلل والكلام فى معنى النفى يعنى لا تمتنعون من اتيانه لعلة
الا الاحاطة بكم ومثاله فى المثبت فى اللفظ ومعناه النفى انشدك الله
الا فعلت اى ما انشدك الا الفعل فلما اتوه موثقهم واجابوه الى
ما طلب قال يعقوب الله على ما نقول من الموثق وكيل رقيب مطلع
ويمكن ان المعنى الله وكيل على حفظ العهد نكل امره اليه وقال يا بنى لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لان لا يصيبكم العين فانهم
لو كانوا مجتمعين لزاد فى الاعين عظمتهم ولم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم
كانوا مجهولين مع انه ليس فيهم اخو يوسف الذى هو مطرح حبه وكانه عالم
بان لبيته ابوابا متفرقة او المراد انهم لم يدخلوا مجتمعين بمرة واحدة بل لا بد ان يدخلوا
الا بمرات وما اغنى عنكم من الله من شىء يعنى لو اراد الله بكم سوء لا يدفع عنكم
ما وصيتكم فهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل الم
المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اى من ابواب متفرقة قيل
من ابواب متفرقة فى بلد مصر لا فى بيته ما كان يغنى يدفع دخولهم متفرقين
عنهم من الله من قضائه عليهم من شىء فقد اصابهم ما ساءهم من اضافة
السرقة اليهم وتضاعف المصيبة باخذ اخيهم لوجدان الصاع فى رحله
الا حاجة فى نفس يعقوب قضيها استثناء منقطع اى لكن حاجة اى شفقة
فى نفسه اظهرها ووصى بها او الاستثناء متصل اى ما دفع عنهم بسبب دخولهم
متفرقين الا اصابة العين وهى الحاجة التى فى نفس يعقوب لكن وصل
اليهم مصائب اخر قال صاحب البحر ما كان يغنى جواب لما وفيه حجة لمن زعم
ان لما حرف وجوب لوجوب لا ظرف بمعنى حين اذ لو كانت ظرفا ما جاز
ان يكون معمولا لما بعد ما النافية فلا يجوز حين قام زيد ما قام عمرو ويجوز
لما قام زيد ما قام عمرو وانه لذو علم لما علمناه اى لذو يقين وعمل ولكن اكثر
الناس لا يعلمون انه لذو علم فان اكثرهم مشركون فلما دخلوا على يوسف
اوى ضم اليه اخاه من ابويه روى انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به

فقال

فقال احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندى فاكرمهم واضافهم
واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى فقال لو كان يوسف بقى
اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال اتحب ان
اكون اخاك بدل اخيك قال من يجد اخا مثلك لكن لم يلدك يعقوب
ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه قال انى انا اخوك فلا تبتئس
لا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فقد احسن الله بفضله الينا فلا تعلمهم
بما اعلمتك فلما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم جعل السقاية مشربة كانت
يشرب بها الملك وبها يكال الطعام للناس فى رحل اخيه من ابويه وهى
من ذهب او زبرجد ثم اذن مؤذن نادى منادٍ ايتها العير اى القافلة
والمراد اصحاب العير نحو يا خيل الله اركبى انكم لسارقون والنداء كان
برضى اخيه قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قال اخوة يوسف وقد
اقبلوا على طالبى السقاية فالواو للحال وماذا استفهام فى موضع نصب
بتفقدون او ما وحدها استفهام وذا بمعنى الذى خبر ما وتفقدون
صلة والعائد محذوف قالوا نفقد صواع الملك الصواع الصاع
وفيه لغات ولمن جاء به حمل بعير فمن دل على السارق حمل بعير من الطعام
جعله وانا به زعيم من كلام المؤذن اى وانا بحمل البعير من الطعام كفيل
اوديه اليه قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم والاصح ان التاء
فى القسم لا تدخل الا فى لفظ الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض
استشهدوا بعلمهم على براءة ساحتهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم
وامانتهم فى كرتى مجيئهم فانهم قد اشتهروا بمصر بصلاح وعفة وكانوا ربطوا
افواه دوابهم لئلا تنال زرع الناس وما كنا سارقين لا نوصف قط
بالسرقة قالوا المؤذنون فما جزاؤه السارق ان كنتم كاذبين فى ادعاء
البراءة قالوا اخوة يوسف جزاؤه اى جزاء سرقته من وجد فى رحله
اى اخذ من وجد واسترقاقه فجزاؤه مبتدأ ومن وجد فى رحله بمعنى
اخذه خبره فهو جزاؤه تقرير للحكم يعنى استعباده اذ شريعتهم استعباد
السارق كذلك نجزى الظالمين اى مثل ذلك الجزاء وهو الاسترقاق
نجزى الظالمين بالسرقة فبدأ المؤذن باوعيتهم بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء

اخيه من ابويه لنفي التهمة وتمكين الحيلة ثم استخرجها من وعاء اخيه اي حتى
بلغ التفتيش الى وعاء اخيه فقال ما اظن سرقة فقالوا والله لا نتركه حتى
تنظر رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستفتش واخرج السقاية منه كذلك
مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه ما كان لياخذ اخاه في
دين الملك فان في دين ملك مصر ان جزاء السارق الضرب والتغريم
الا ان يشاء الله اي لم يتيسر له اخذه في دين الملك بحال من الاحوال
الا في حال مشية الله بان اجرى على السنة اخوته ان جزاء السارق الاسترقاق
فوجد السبيل الى ذلك وجاز ان يكون الاستثناء منقطعا اي لكن اخذه
بمشية الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجة يوسف
ودرجات تمييز عند من يجوز تقديمه على المميز او تقديره الى درجات
وفوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم الى الله عند الفلاسفة والمعتزلة وبعض
من اهل السنة ان علم الله ليس بصفة زائدة على ذاته بمعنى ان ذاته الاقدس
كاف في علمه بحقايق الاشياء لا يحتاج في ذلك الى شيء زائد وهذا من
خواص الرب سبحانه وعلى هذا لا يخفى لطف قوله وفوق كل ذي علم
ولم يقل فوق كل عالم عليم قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له
من قبل يعني فلا عجب فقد سرق اخ له وهو يوسف نكره لان الحاضرين
لا علم لهم به في زعمهم وهذا طريقتها الكتبا من جانب الام ونحن براء منهما
والتعليق لا يدل على الجزم بسرقته وقولهم مع ابيه ان ابنك سرق حكم
بحسب ظاهر الحال لكن قد حكموا بسرقة اخ له لانهم استدلوا بسرقته
على ان سرقة بنيامين ليست ببدع واما رميهم بسرقة يوسف فالاصح
لان عمته تحضنه بعد وفات امه واراد ابوه ان ياخذه من عمته وكانت
تحبه غاية المحبة فعمدت الى منطقة ورثتها من اسحق فشدتها تحت ثيابه
ثم صاحت على منطقتها وفتشت اهل بيتها ووجدتها على يوسف فقالت
صار ملكا سلما خالصا عن الشركة لي فان يوسف سارق فامسكته و
ولم يستطع ابوه على اخذه منها لحكم دينهم فاسرها يوسف في نفسه
ولم يبدها لهم ضمير اسرها الى مثل الكراهية والحزازة التي دل عليه سياق
الكلام قال انتم شر مكانا قيل هذا قول يوسف في نفسه يعني انتم شر منزلة

في السرقة لان خيانتكم وكذبكم حقيقة والله اعلم بما تصفون في شان
اخيه من السرقة وهذا يمكن ان يكون ايضا من تتمة كلامه السري قالوا
يا ايها العزيز اهل مصر يسمون نائب السلطان عزيزا ان له ابا شيخا
كبيرا في السن او القدر فخذ احدنا مكانه اي بدله وهم قد علموه بان له
اخا هالك وهذا شقيقه يستانس به ابوه انا نريك من المحسنين الى
الخلق فاحسن الينا بارساله الى ابيه واخذ احدنا بدله قال معاذ الله
اعوذ بالله معاذا ان ناخذ اي من ناخذ احدا من الاحاد الا من وجدنا
متاعنا عنده وقد وجدنا عنده هذا انا اذا لظالمون لو اخذنا غير السارق
في فتواكم فلما استياسوا منه يئسوا من سماع قولهم والاستفعال للمبالغة
خلصوا نجيا اعتزلوا ذوي نجوى يناجي بعضهم بعضا في تدبير امرهم وهو
فعيل بمعنى مفاعل وبمعنى المصدر الذي هو التناجي وهو لفظ يوصف
به من له نجوى مفردا كان او جماعة مذكرا او مونثا كذا قاله صاحب البحر
قال كبيرهم في السن الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله
عهدا وثيقا بذكر الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف ما صلة ومن قبل
متعلق بفرطتم اي ومن قبل هذا قصرتم في شانه والجملة عطف على جملة
الم تعلموا او حالية وجوز الزمخشري ان ما مصدرية مبتدا او من قبل
خبره قال صاحب البحر ذهل عن قاعدة عربية وحق له ان يذهل وهي
ان الظروف التي هي غايات اذا بنيت لا تقع خبرا ولا صلة ولا صفة
ولا حالا فلا يجوز عمرو وجاء وزيد خلف بل يقال خلفه وكذا قاله ابو البقاء
فلن ابرح افارق الارض ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع
او يحكم الله لي بخلاص اخي او بخروجي او بمقاتلتي وهو خير الحاكمين
فله الحكم الحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على حسب
الظاهر وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان راينا اخراج الصاع من رحله
وما كنا للغيب حافظين فلا ندري انه سرق او دست الصاع في رحله
او ما كنا حين عهدنا عالمين للعواقب فلم ندر انه سيسرق واسئل
القرية التي كنا فيها يعني رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قاله ووصيه كبيرهم
ثم قالوا واسال القرية اي ارسل مصر واسئلهم عن القصة والعير التي اقبلنا

التي اقبلنا توجهنا فيها وانا والله لصادقون قال بل سولت زينت يعني
ليس الامر حقيقة كما اخبرتم بل سهلت لكم انفسكم امرا عظيما فزينتموه والا من
اين للملك ان ياخذ ولدي لسرقته وذلك ليس من دينه فصبر جميل
اجمل عسى الله ان ياتيني بهم بيوسف واخيه واكبر اولادي جميعا مجتمعين
انه هو العليم بحالي الحكيم في فعاله وتولى عنهم اعرض عنهم كراهة لما جاؤا به ولما
ساء ظنه بهم وقال يا اسفي يا شدة حزني على يوسف تعالى فهذا اوانك
والالف عوض عن يا المتكلم وابيضت عيناه من الحزن محقت كثرة بكائه
سواد عينه وهو لا يتمالك فيها نفسه فعمي فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده
ولا يظهره جعل الابيضاض بالحزن وانما هو من البكاء المتوالي التي هي ثمرة
الحزن فعلل بالاصل والكظيم للمبالغة قالوا اي اولاده تالله تفتؤ تذكر يوسف
اي لا تزال تذكره وحذف حرف النفي في مثل هذا شايع ولا يلتبس بالاثبات
لانه لا بد من جوابه باللام والنون المؤكدة قال امرء القيس فقلت يمين الله ابرح
قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي حتى تكون حرضا مشفيا على الهلاك
مصدر وضع موضع الاسم ولذلك لا يونث ولا يجمع او تكون من الهالكين
الميتين قال انما اشكو بثي البث اصعب حزن لا يطاق كتمانه وحزني الى الله
لا اليكم ولا الى غيركم فخلوني وربي واعلم من الله ما لا تعلمون فرديا يوسف حي
وساجد له واخبره ملك الموت بانه ما قبض روح يوسف يا بني اذهبوا ا
ارض مصر فتحسسوا فتحصوا من يوسف واخيه ولا تياسوا لا تقنطوا من روح
الله من فرجه وتنفيسه انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لكن
المومن لا يزال في الدارين يطمع في رحمة الله فلما دخلوا بعد ما ذهبوا الى مصر
عليه على العزيز قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة
مزجاة ردية من ازجيتها اذا دفعتها رغبة عنه واما ان البضاعة اي شي ففيه اختلاف
ولا فائدة في تحقيقها فاوف لنا الكيل اتمه وتصدق علينا بالاغماض عن زيوف
متاعنا ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء قال هل علمتم قبح ما فعلتم
بيوسف واخيه فرقتم بينهما واذللتموه حتى لا يستطيع ان يتكلم بينكم الا بذلة وهوان
منكم اذ انتم جاهلون لما ابدى عذرهم بقوله اذ انتم جاهلون دل على ان قوله
هل علمتم ليس تشفيا بل هو حث على اتيانهم مع خفي معاتبة على وجود الجهل

وانه حقيق الانتفاء عن مثلهم فعنه هذا الخلق الكريم قالوا ائنك استفهام تقرير
لانت يوسف علموا من قوله هل علمتم انه يعلم كنه الاحوال فظنوا انه هو وقيل
كان يكلمهم ورآء حجاب فرفعه ووضع التاج وتبسم وكان يضيء ما حوله من نور
تبسمه ورأوا لمعة بيضاء كالشامة في فرقه حين وضع التاج وكان مثلها
لابيه وجده فتوسموا انه يوسف قال انا يوسف وهذا اخي زادهم في الجواب
لانه سبق منه قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وتوطئة لما ذكر بعده من قوله
قد من الله علينا بالاجتماع والانس بعد الفرقة والوحشة انه من يتق الله
ويصبر على مصائب الله فان الله لا يضيع اجر المحسنين لجمعه بين التقوى
والصبر فهذا من باب وضع الظاهر موضع المضمر قالوا تالله لقد اثرك
الله اختارك علينا بالعلم والصبر والملك وان وانه كنا لخاطئين مذنبين
قال لا تثريب لا تعيير ولا مواخذة عليكم اليوم اليوم متعلق بما تعلق عليكم به
اي لا تثريب ثابت عليكم اليوم ولو لم يكن المواخذة في يومنا هذا فلا مواخذة
بعده يغفر الله لكم يعني ان من جانبي عدم التثريب واسال من الله ان
يغفر لكم ذنوبكم وهو ارحم الراحمين فارجو رحمته بقبول الدعاء اذهبوا بقميصي
هذا الباء للحال اي مصحوبين بهذا الذي هو ملبوسي او الباء للتعدية فالقوه
على وجه ابي يات يا تيني بصيرا او بصيرا حال او معنى يات بصير على المجاز
قيل كان قميصه من نسج الجنة لا يقع على سقيم الا عوفي واتوني انتم وابي
باهلكم نسائكم وذراريكم اجمعين ولما فصلت العير خرجت من مصر قاصدة
مكان يعقوب والاصح انه قريب من بيت المقدس قال ابوهم لمن
حضره من اولاده واحفاده وعشائره اني لاجد ريح يوسف هاجت
ريح فجاءت برائحة قميصه الذي ارسل الى ابيه من مسيرة ثمانية ايام لولا
ان تفندون تسفهوني وتنسبوني الى فساد راي للهرم لصدقتموني
فجواب لولا مقدر قال بعض العلماء يقال شيخ مفند اي فسد رايه
ولا يقال عجوز مفندة لان المرأة لم تكن لها قط راي اصيل قالوا تالله
انك لفي ضلالك القديم خطاك الذي انت عليه من مدة مديدة وهو
شدة حزنك ليوسف وكمال محبته فلما ان جاء البشير ان مزيدة للتاكيد
وزيادتها بعد لما قياس مطرد قال ابن عباس المبشر من اولاده يهودا وهو

لا تثريب لا نرجح ان يقال لا تثريبا بالتنوين
لانه يشبه المضاف ويمكن ان يقال ان خبره اذا كان
المتعلق به اسم لا اما اذا كان منفصلا عنه فلا وهذا
هو الذي رخصه الزمخشري في تعلقه بتثريب فتامل
منه

الذی جاء بقمیص الدم القاه ای القی البشیر الثوب علی وجهه فارتد عاد
بصیرا قال الم اقل لکم انی اعلم من الله بتعلیمه ما لا تعلمون ومنه علمی بحیوة یوسف
ووجدان رایحة ثوبه قالوا یا ابانا استغفر لنا من ربنا ذنوبنا انا کنا خاطئین
قال سوف استغفر لکم ربی انه هو الغفور الرحیم فلا غرو ان یغفر لکم عن ابن مسعود
اخر الاستغفار الی السحر وعن ابن عباس الی سحر لیلة الجمعة وعن الشعبی
الی ان یستحل لهم من یوسف فلما دخلوا علی یوسف بعد ما امتثلوا امامهم
یوسف روی ان یوسف جهز الی ابیه مائتی راحلة وخرج فی اربعة الاف
من عظماء مصر وخرج اهل مصر باجمعهم فتلقوا یعقوب یمشی متوکا علی یهودا
فنظر الی الخیل والناس وقال هذا یا یهودا فرعون مصر قال لا ولکن هذا ولدک
فلما لقیه ابوه قال السلام علیک یا مذهب الاحزان وساله اول الکلمة
عن دینه آوی ضم الیه ابویه قال الحسن وابن اسحق کانت امه بالحیوة وقال
بعض اباه وخالته فان امه ماتت ضرب لهم مضرب مثل قبة فی طریقهم فدخلوا
علیه فیها وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنین من المکاره فالاستثناء
متعلق بالدخول المکیف بالامن ورفع ابویه علی العرش علی سریر سلطنته
وخصهما بذلک تکرمة لهما وخروا ای ابواه واخوته له سجدا وسجود التعظیم جائز
شایع من لدن آدم وحرم فی هذه الملة الغراء وجعل السجود مختصا بجناب الرب
تعالی شانه هذا هو الاصح وقال یا ابت هذا تاویل رویای من قبل الشمس والقمر
ابوای واحد عشر کوکبا اخوتی ومن متعلق برویای ای من قبل هذه الحوادث
والمصائب التی جرت بعد رویای وکان بین رویاه وتاویله ثمانی عشر سنة
وقیل غیر ذلک قد جعلها ربی حقا صدقا وقد احسن بی قد یتعدی بالباء وبالی والذین
احسنا قیل ضمن احسن معنی لطف فعدی بالباء اذ اخرجنی من السجن عدل
عن اخراجه من الجب وهو اول انعام واولی بالشکر صفحا عن ذکر ما جری من
اخوته اذ قال لا تثریب علیکم الیوم وذکر ذنب احد فی وجهه تثریب وعدلهم
نعما غیر معلومة لهم وجاء بکم من البدو فانهم اهل بادیة ومواشی من بعد ان نزغ
افسد الشیطان بینی وبین اخوتی الغرض من هذا اسماعهم انه من الشیطان
فهو لا یواخذهم به ان ربی لطیف تدبیره لما یشاء ان یلطف علیه انه هو العلیم
الحکیم فکل ما یفعل لا یکون الا علی وفق المصلحة رب قد اتیتنی من الملک

وعلمتنی

وعلمتنی من تاویل الاحادیث الرویا ومن فی الموضعین للتبعیض فاطر
مبدع نصبه بالمنادی السموات والارض انت ولیی ناصری ومتولی
امری فی الدنیا والاخرة توفنی اقبضنی مسلما والحقنی بالصالحین من
ابائی وغیرهم انما عد نعمه علیه ثم دعا ان یتم علیه النعم فی باقی امره ای توفنی
اذا حان اجلی علی الاسلام وانما تمنی الوفاة علی الاسلام لا انه تمنی الموت
ومراد من قال انه اول من تمنی الموت انه اول من سال الوفاة علی الاسلام
کما ان نوحا اول من قال رب اغفرلی ولوالدی الایة قیل اقام یعقوب
عند یوسف اربعا وعشرین سنة ولما مات حمل جسده الشریف الی الشام
عند ابیه اسحق صلوات الرحمن وتسلیماته علیهم اجمعین ذلک ای نبا یوسف
من انباء الغیب نوحیه الیک یا محمد وما کنت لدیهم لدی اخوة یوسف
اذ اجمعوا امرهم علی ایلام یوسف وهم یمکرون بالوالد والولد حین اتوه بالدم
الکذب وبالذهاب به الی اللعب لاهلاکه وفی هذا تهکم بقریش لانه قد علموا انه صلی
الله علیه وسلم ما کان معهم واین زمانه من زمانهم وهو یخبر بتفاصیل
امرهم فما ذلک الا من الوحی وما اکثر الناس ولو حرصت علی ایمانهم
بمؤمنین لعنادهم وشقاوتهم الازلیة وهذه الایة لقطع طمعه فی ایمانهم
فانهم بتعلیم الیهود سالوا عن قصة یوسف فاخبرهم مفصلا رجاء لایمانهم
وجواب لو محذوف وهو لم یومنوا وما تسالهم علیه علی تبلیغ الوحی من اجر
من جعل ان هو الا ذکر عظة للعالمین عامة لا تخص باکثرهم وکاین من ایة
کم من دلائل دالة علی وحدانیته وصفاته الحسنی والمشهور انه مرکب من کاف
التشبیه ومن ای فی السموات والارض یمرون علیها یرونها وهم عنها
معرضون لا یتفکرون فیها وما یومن اکثرهم بالله حین ان اقروا بان الله
خالق الجمیع الا وهم مشرکون لعبادتهم غیر الله کما قال الله ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض لیقولن الله والواو للحال ای ایمانهم ملتبس
بالشرک قیل ان هذا فی المنافقین افامنوا ان تاتیهم غاشیة من عذاب
الله عقوبة تغشیهم وتشملهم فی الدنیا او تاتیهم الساعة بغتة فجاة مفعول
مطلق فانها نوع من الاتیان وهم لا یشعرون فلا یستعدون لها قل هذه
الدعوة الی التوحید سبیلی طریقتی ادعوا الی الله بیان وتفسیر للسبیل

على بصيرة معرفة وحجة ومفعول ادعو مقدر اي الناس وعلى متعلق بادعو
او حال من الفاعل انا تاكيد لضمير ادعو ومن اتبعني معطوف عليه اي من
امن بي يدعو الناس الى الله قيل تم الكلام عند قوله الى الله وعلى بصيرة خبر
انا ومن اتبعني وسبحان الله عطف على هذه سبيلي اي قل انزهه تنزيها
عن الشريك وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا
لا ملائكة ذكرا ولانه لا يطلب منهم بالتبليغ جعلا وهو المقتضي لقبول كلامه
ثم ذكر ان كلا من الانبياء مثله رجال فلا مانع لنبوته نوحي اليهم كما اوحينا اليك
من اهل القرى فان اهلها اذكى من اهل البادية افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبة فيعتبروا فان اثار البلاء في
بعض المواقع ظاهر بعد ولدار الاخرة خير للذين اتقوا الشرك افلا تعقلون
يستعملون عقولهم فيؤمنوا قوله ولدار الاخرة اما من اضافة الموصوف الى
صفته وهذا التخريج كوفي واما من حذف الموصوف واقامة صفته مقامه
واصله ولدار النشاة الاخرة وهو تخريج بصري حتى اذا استيأس
الرسل متعلق بما دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
دعوا قومهم وتطاول عهدهم في الكفر حتى اذا استيأسوا من اجابة دعائهم
وظنوا انهم قد كذبوا احسبوا كذب رسلهم في الوعد والوعيد فالضمائر لمن
ارسل الرسل اليهم فان الرسل دال عليهم والضمائر للرسل بمعنى انهم خطر ببالهم
خلف الوعد من الله في نصرهم وفي البخاري عن ابن عباس انهم كانوا بشرا
وتلا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله والمراد الوسوسة
وحديث النفس وقيل معناه ظنوا كذب القوم بوعد الايمان وخلفه
هذا كله على قراءة تخفيف كذبوا واما على قراءة تشديده فالضمائر للرسل
والظن بمعنى اليقين شايع اي ايقنوا تكذيب القوم لهم او الظن بمعناه المتبادر
اي ظنوا انه يكذبهم ويرتد الى اعقابهم من امن بهم ايضا جاءهم نصرنا فنجي
من نشاء وهم اتباع الرسل ولا يرد باسنا عذابنا عن القوم المجرمين
فيها تهديد لقريش ومن يحذو حذوهم لقد كان في قصصهم اي المرسلين
مع قومهم واندرجت فيه قصة يوسف عبرة عظة لاولي الالباب لذوي
العقول السليمة ما كان القران الذي فيه القصص حديثا يفترى ولكن

كان

كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء
يحتاج اليه العباد من امر المعاد وهدى من الضلال ورحمة ينال بها
خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه اللهم اجعلنا بحق القران منهم امين

سورة الرعد مكية او مدنية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم المر عن ابن عباس انا الله اعلم واري تلك ايات الكتاب
ايات تلك السورة ايات القران والذي انزل اليك من ربك اي جميع
القران لا تلك السورة وحدها الحق من عند الله وهو خبر الذي ومن متعلق
بانزل ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لعنادهم او لجهلهم الله الذي رفع السموات
بغير عمد اساطين جمع عماد او عمود ترونها مستانفة والضمير الى السموات
يعني ترون السموات خالية عن عمد او صفة لعمد والضمير لها ويكون نفيا
للمركب نعم عمدها ارادة الله وهي غير مرئية ثم استوى على العرش قد مر بيانه
وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كل يجري لاجل مسمى هو فناء الدنيا فحينئذ
لا يسير وينقطع عن الجريان قيل لدرجاتهما ومنازلهما لا يجاوزانها قدر لكل
منهما سيرا خاصا الى جهة خاصة بقدر خاص من السرعة والبطء يدبر الامر
امر ملكوته من الايجاد والاعدام وغيرهما عبر بالتدبير تقريبا للفهم فان النظر
في ادبار الامور وعواقبها من صفات البشر يفصل الايات يبينها مميزة بعضها
عن بعض والايات علامات وحدانيته شاملة للايات القرانية والجملتان
استينافيتان لعلكم بلقاء ربكم توقنون يعني فصلها لكي تتفكروا فيها فتعلموا
كمال قدرته بحيث لا يعجز عن الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسط الارض
كما رفع السماء وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت غلب على الجبال وصفها
بالرواسي فصارت الصفة تغني عن الموصوف وكانت الارض تضطرب
فثقلها الله بالجبال فثبتت وانهارا المياه الجارية واكثر الانهار من الجبال
وبسببها ولذلك ترى ضمها مع الجبال في الايات ومن كل الثمرات
جعل فيها زوجين اثنين اي جعل من كلها صنفين ابيض واسود واكبر
واصغر حلوا وحامضا قيل حين مد الارض خلق من كل ام الاشجار اثنين
ثم تكثرت كما خلق الحيوان من زوجين ولما ذكر الانهار ذكر معها ما ينشا
عنها يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير مظلما بعد ما كان مضيئا

ان فی ذلک لایات لقوم یتفکرون فیما فیهما من بدایع الحکم وفی الارض
قطع متجاورات بقاع مختلفة مع کونها متلاصقة طیبة الی سبخة صلبة الی
رخوة مبیضة الی مسودة وما ذلک الا لاقتدار الله واختیاره وجنات
بساتین من اعناب وزرع عطف علی جنات وقراءة الجر معناها البستان
محفوف باعناب وزرع ونخیل صنوان وغیر صنوان ذو راسین واصلها
واحد واکثر النخیل غیر صنوان اصل واحد وراس واحد یسقی بماء واحد
من المطر او من بئر واحد او عین ونفضل بعضها علی بعض فی الاکل
فی الثمر طعما وشکلا ولونا مع انها تستمد من طبیعة واحدة ان فی ذلک
لایات لقوم یعقلون یستعملون عقولهم ولما کان الاستدلال فی قطع
الارض واختلاف انواع الثمار اسهل قال فی الثانی لقوم یعقلون وفی
الاول لقوم یتفکرون وان تعجب فعجب قولهم ای ان تعجب من شئ فاعجب
من قولهم وعن ابن عباس ان تعجب من تکذیبهم ایاک بعد ما حکموا لک بالصدق
فاعجب من قولهم وقیل ان تعجب من انکارهم البعث فعجبت فی موضعه حقیق
بان تتعجب من بقولهم وقیل ان تعجب یا من تنظر فی هذه الایات من
قدرة من هذه افعاله فازدد تعجبا ممن ینکر قدرته علی البعث مع هذه القدرة
القاهرة والبعث اهون اءذا کنا ترابا منصوب بقولهم فی توجیهات
ثلث ومرفوع بانه بدل علی الثالث ائنا لفی خلق جدید اذا ظرف لما دل
علیه هذا القول لان ما بعد الاستفهام لا یعمل فیما قبله فعامله مقدر ای
الحشر یعنی الذی ینبغی ان تتعجب منه انکار البعث وقوله فعجب خبر مقدم واجب
التقدیم او التنوین للتعظیم فجاز ان یکون مبتدا کانه قال فعجب ای عجب
قولهم ولا یضر کون الخبر معرفة والمبتدا نکرة مخصصة اولئک الذین کفروا
بربهم هم الکاملون فی الکفر جملة مستانفة واولئک الاغلال فی اعناقهم
فی القیمة یسحبون بها فی النار واولئک اصحاب النار ملازموها هم فیها
خالدون زادوا عذابا فوق العذاب ویستعجلونک بالسیئة بالعقوبة
والعذاب قبل الحسنة العافیة لما کانوا متوعدین بالعذاب ان اصروا
علی عنادهم سالوا العذاب واستعجلوا فی الطلب علی سبیل الاستهزاء
متیقنین بکذبه او معناه یطلبون النقمة والمحنة لا المنحة والنعمة نحو عجل لنا

قطنا

قطنا قبل یوم الحساب وقد خلت جملة حالیة من قبلهم المثلات
ای وقد مضت عقوبات امثالهم فما لهم لم یعتبروا والمثلة بوزن
السمرة العقوبة وان ربک لذو مغفرة للناس علی ظلمهم ای لذو امهال
وستر علی معاصیهم وکفرهم فعلی ظلمهم ظرف لمغفرة او حال ولما کان
الکلام مع الکفار فلا یناسب تفسیر الظلم بمعاصی غیر الکفر وان فسرته
بما یعمه ویکون المغفرة بمعنی العفو فلا یخلو ان العفو من غیر توبة فلا یصح
علی مذهب وان کان بعد التوبة فلا یلایم لانهم بعد التوبة لیسوا علی الظلم
قال الواحدی لذو توبة فاطلق المغفرة واراد سببها وان ربک
لشدید العقاب لمن شاء ولما ذکر من عجایبهم وهو انکارهم الحشر اعقبه
بمثله من العجایب فقال ویقول الذین کفروا ابرز فاعله لیعلم قبل ذکر
مقولهم انه ما یناسب وینهم من العجایب لولا ای هلا انزل علیه ایة
من ربه لم یعتدوا بالایات الباهرات واقترحوا ایات تشتهیها انفسهم
کجعل جبل ابی قبیس ذهبا فقال تعالی انما انت منذر لا علیک الا الاتیان
بما اقترحوا عنادا ولکل قوم هاد نبی مخصوص یدعوهم الی الهدی ومعناه
انت منذر ولکل قوم هاد یهدیهم اذا اراد وهو الله وعن بعض السلف
الهادی علی بن ابی طالب وقال ابن جریر عن ابن عباس انه لما نزل
وضع علیه الصلوة والسلام یده علی صدره فقال انا المنذر واومأ بیده
الی منکب علی فقال انت الهادی یا علی بک یهتدی المهتدون من
بعدی قال الشیخ عماد الدین ابن کثیر فیه نکارة شدیدة ولما تقدم
انکارهم البعث لتفتت الاجزاء بحیث لا یتمیز بینها نبه علی احاطة علمه
بالخفیات فقال الله یعلم ما تحمل کل انثی من ذکر وانثی سوی الخلق او ناقصه
واحدا او اکثر وما تغیض تنقص الارحام وما تزداد فی مدة الحمل او المراد
نقصان عدد الولد وازدیاده وهو دم الحیض کما قیل وغاض وازداد
جاء لازمین ومتعدیین فان اخذتهما لازمین تعین ما للمصدریة لئلا
یلزم خلو الموصولة عن عائد وکل شئ عنده بمقدار ای بحد لا یتجاوزه ای هو
عالم بکمیة کل شئ فامتنع وقوع اللبس وعنده ظرف قدم عالم الغیب
والشهادة ما غاب عن الخلق وحضر کیف لا وهو خالقه الکبیر القدر المتعال

وعلی هذا کلام الزمخشری فی
بعض توجیهاته لا یصح
منه

المستعلي على كل شيء او متعال عما لا يليق بجلاله سواء منكم من اسر القول
ومن جهر به يستوي احاطة علمه بالسر والجهر ولا يمكن لاحد ان يسر ويجهر الا باراءته
من مبتدا او سواء خبره او سواء الذي هو بمعنى مستو موصوف بمنكم مبتدا او
ومن خبره ومن هو مستخف بالليل مستتر وسارب ظاهر بالنهار عطف على
مستخف على ان من في معنى الاثنين كانه قال سواء منكم اثنان مستخف وسارب
تامل في مقابلات يغيض ويزداد والغيب والشهادة واسر وجهر ومستخف
وسارب والليل والنهار له الضمير لمن معقبات ملائكة تعتقب على
المكلفين من بين يديه ومن خلفه من قدامه ووراءه يحفظونه من امر الله
من بلائه وبأسه قيل من للسبب كقوله من غمّ وهو والباء سواء اي يحفظونه
بامره واذنه فاذا جاء قدر الله خلوا عنه وفي الشواذ بامر الله قيل من امر الله
صفة معقبات اي كائنة من امره يحفظونه من بين يديه ومن خلفه قدم
وصف المعقبات بالجملة ثم بالجار والمجرور هذه الملائكة غير الملائكة الكرام الكاتبين
واما ان اصل معقبات معتقبات ادغمت التاء في القاف فقال صاحب
البحر هذا وهم فاحش فقد نص البصريون على ان القاف والكاف يدغم احدهما
في الاخر ولا يدغمان في غيرهما ولا يدغم غيرهما فيهما ان الله لا يغير ما بقوم
من نعمة او نقمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة او القبيحة اشار
الى ان الحفظة يحفظونه دائما الا بعد استبداله الطاعة بالمعصية نقل الترمذي
في اربعينه وصححه انه قال الرب وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي
ما من اهل قرية ولا اهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهته من معصيتي
ثم تحولوا عنها الى ما احببت من طاعتي الا تحولت لهم عما يكرهون من
عذابي الى ما يحبون من رحمتي قال ابن كثير في اسناده من لا اعرفه و
واذا اراد الله بقوم سوءا من مصيبة فلا مرد له لا راد له وما لهم من دونه
من وال يلي امرهم فيدفع عنهم السوء ولما خوف عباده بقوله واذا اراد
الله اتبعه بما يشتمل على امور دالة على قدرته وحكمته تشبه النعم من وجه
والنقم من وجه فقال هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا خوفا من الصواعق
وطمعا في الغيث قيل الخوف للمسافر والطمع للمقيم ونصبهما بانهما مفعول له
بتقدير ارادتهما حتى يكون فعلا قيل حال من البرق كانه في نفسه خوف

جواب عما قيل حق العبارة ان يقال من هو
مستخف ومن هو سارب حتى يتناول معنى
الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول
واحدا هو مستخف وسارب منه

وطمع

وطمع وينشئ يخلق السحاب الثقال من كثرة الماء ويسبح الرعد وفي
حديث رواه الامام احمد والترمذي انه اسم ملك يسوق السحاب بحمده
اي ملتبسا بحمد الله والملائكة من خيفته من هيبة الله واجلاله ويرسل
الصواعق نار تنزل من الغيم فيصيب بها من يشاء من معمول يصيب
وهو من باب التنازع واعمال الثاني كمختار البصريين اي من يشاء اصابته
وهم الواو للحال يجادلون في الله اي الكفار يجادلون في قدرته ووحدانيته
نقل الحافظ ابو يعلى والبزار ان كافرا يجادل يقول مم ربك من ذهب او فضة
او لؤلؤ فاخذته صاعقة فاحرقته وهو شديد المحال مفعل من الحول او فعال
من المحل وهو القوة وفي الشواذ بفتح الميم مفعل من حال يحول اذا احتال له
الله دعوة الحق من اضافة الموصوف الى الصفة يعني لله الدعوة الحق
لا لغيره فمن يدعوه فدعوته هي الحق والذين يدعون من دونه اي الكفار
الذين يدعون الاصنام من دون الله لا يستجيبون لهم لا يستجيب الاصنام
للذين يدعونهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه اي الا استجابة
مثل استجابة من بسط كفيه الى الماء يطلب من الماء ان يبلغ فاه
وما هو ببالغه والماء لا يبلغ فاه فان الماء جماد لا يشعر بالدعاء ولا يقدر
الوصول الى فيه كالاصنام فانها لا تحس بدعائهم ولا تستطيع اجابتهم
ولا تقدر على نفعهم وعن ابن عباس مثلهم كمثل من بسط كفيه ناشرا
اصابعه والماء لا يبقى في الكف اذا نشرت الاصابع فلا يبلغ الماء فاه
وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع لا يجدي نفعا لانهم داعون الاصنام
او ما دعاؤهم ربهم الا في ضياع لان اصواتهم محجوبة عن الله قل ما يستجيبهم
ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها الظاهر من مساق هذه
الاية انما هو ان العالم كله مقهور خاضع تحت قدرته لا قدرة لشيء ان يخرج
من ارادة الله فالذين يعبدونهم كائنا ما كان تحت القهر ولذلك قال
وظلالهم بالغدو والاصال مع ان الظلال ليست اشخاصا يتصور منها
السجود بالهيئة المخصوصة لكنها داخلة تحت مشيئته يصرفها على ما اراد من
طوله وقصره وميله من جانب الى جانب وخص هذان الوقتان بالذكر
لان المد والتقليص فيهما اظهر وعلى هذا من لتغليب ذوي العقول او المراد

بمن في السموات الملئكة وبمن في الارض الثقلان فلا تغليب والمراد من
السجود ما هو المتبادر والمراد بمن في الارض عام خص منه بعض الكفار فالمنافق
يسجد كرها وكذا الكافر حال الاضطرار والمراد ان ظلال الكافر والمومن يسجد
بكيف لا نعرفه فيخلق الله في ظلالهم عقولا يسجد لخالقها كما خلق في الجبال
فتجلى له وتخصيص سجود الظلال بهذين الوقتين لانهما اشرف اوقات
العبادة او المراد بهما الدوام فدع البدعة عن لبك وكن سنيا سنيا شيخ
وقوله طوعا وكرها حال اي طايعا وكارها قل من رب السموات والارض
قل الله اجب عنهم فانهم مضطرون الى هذا الجواب معترفون به فهم
لعنادهم لا يقرون ان دعاهم لاصنامهم في ضلال وضياع قل افاتخذتم
من دونه اولياء الزمهم وابكتهم بانكم بعدما تقرون ان الله هو رب السموات
والارض تاخذون من الاحجار والاخشاب ربا لا يملكون لانفسهم نفعا ولا
ضرا لا يقدرون على ان ينفعوا انفسهم ويدفعوا عنها ضرا فكيف يملكون
لكم وليست العبادة الا لوصول نفع بها او دفع ضر قيل معناه لا يملكون
شيئا فان كل شيء اما نفع او ضر قل هل يستوي الاعمى والبصير الكافر
الجاهل الذي لم ير ان الله هو الضار النافع والمومن البصير قيل هل يستوي
الاله الغافل عنكم والاله المطلع على احوالكم ام هل يستوي الظلمات والنور
الكفر والايمان وقيل الاصنام والاله الذي هو نور السموات والارض
وعلى هذا جمع الظلمات وافراد النور في غاية المناسبة ام جعلوا لله شركاء
بل اجعلوا والهمزة للانكار خلقوا كخلقه صفة لشركاء فتشابه الخلق عليهم
تضمن هذا الاستفهام التهكم بهم فانه معلوم بالضرورة ان هذه الاحجار
لا تقدر على خلق ذرة يعني ما اتخذوا شركاء خالقين لان يتشابه عليهم
الامر فيقولوا هولاء خالقون كما ان الله خالق فاستحقوا العبادة كما استحق
بل اتخذوا شركاء من اعجز الخلق قل الله خالق كل شيء فلا تشركوا في
عبادته شيئا فاين المخلوق عن خالقه وهو الواحد بالالوهية القهار
الغالب يحتمل ان يكون عطفا على الله فيكون داخلا تحت القول ولما
وصف نفسه الاقدس بانه القهار اتبعه بذكر مثال نافع من قهره
وغلبته فقال انزل من السماء ماء من جانب السماء ومن قال تحت العرش

بحر قد يجذب الغمام منه الماء فيكون الماء من السماء فسالت اودية جمع
واد موضع يسيل فيه الماء فهو كنهر جار مجاز بقدرها على قدر صغرها
وكبرها فالكبير يسع الكثير او بمقدارها الذي علم الله انه نافع فاحتمل
السيل زبدا فحمل السيل زبدا رغوة تعلو الماء رابيا مرتفعا على وجه السيل
ومما توقدون عليه في النار اراد جواهر الارض من الذهب والفضة والحديد
والنحاس ابتغاء حلية طلب حلية مما يعمل للنساء او متاع كالاواني والمساحي
والات الحرث زبد مثله اي من جواهر الارض زبد مثل زبد الماء فهو مبتدأ
ومما توقدون خبره وابتغاء مفعول له ومن ابتدائية او تبعيضية والمماثلة لكونهما
من الاوساخ والاكدار كذلك يضرب الله الحق والباطل اي يضرب
مثلهما فالحق كالماء الصافي المنتفع به بقدر وسع انهارهم ويمكث ويبقى
وكالجواهر المنتفعة بها في صوغ الحلي والامتعة ويدوم نفعها والباطل
كالزبد الغير المنتفع به الذي لا بقاء له وان علا بعض الاحيان على الماء
والجواهر وقت اذابتها وعن السلف ان المراد من الماء القران ومن
الاودية القلوب احتملت من القران على قدر يقينها وشكها اما اليقين فينفع
الله به اهله واما الشك فلا ينفع معه العمل والعمل السيء يضمحل لا نفع له ولا
بقاء واما عمل الحق كالماء والجواهر يبقى وينفع وفي الحديث الصحيح ما يويد هذا
التاويل وهو مثل ما بعثت به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا
منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت ومنها اجادب فامسكت الماء
فانتفع الناس به لسقيهم وزرعهم ومنها قيعان فلا يمسك ولا ينبت
فاما الزبد فيذهب جفاء مضمحلا من اجفاه السيل رماه منصوب على
الحال افرد الزبد لان زبد الماء والجواهر مشترك في انه خبث واما ما
ينفع الناس فيمكث في الارض يثبت الماء في منافعه ويبقى اثاره
في العيون وغيرها بدأ بالزبد اذ هو المتاخر والباطل كناية عنه وهو ايضا
متاخر وهذه طريقة حسنة بدأ بالتقسيم ما ذكر اخرا ليكون بجنبه نحو يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وقد يكون الامر بالعكس
نحو فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا وكانه والله اعلم بدأ بما هو اهم
في المقصود والذكر كذلك يضرب الله الامثال للايضاح والتبيين

ولما ضرب المثل للحق والباطل انتقل الى مآل اهلهما من الثواب والعقاب
فقال للذين استجابوا لربهم اى من دعاه الله على لسان رسوله
فاجابوه الى ما دعاهم اليه الحسنى المثوبة الحسنى مبتدأ وللذين خبره
والذين لم يستجيبوا له من دعاه الله فما اجاب لو ان لهم ما فى الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به اى لو كان لهم جميع الدنيا ومثله لافتدوا به
للتخلص عن ما عاينوه من العذاب وهم فى الدنيا بخلوا بالقليل منها
فقوله لو ان لهم الى آخره خبر والذين وقدم الخبر فى الجملة الاولى للاعتناء
والاهتمام اولئك لهم سوء الحساب المناقشة فى حسابهم ومن
نوقش فى الحساب عذب وعدم عفو شئ من ذنوبهم ومأويهم
مرجعهم ومنزلهم جهنم وبئس المهاد وبئس المستقر جهنم ولما بين حال المجيب
ومن لم يجب اراد ان يبين ان بينهما بونا بعيدا فقال افمن يعلم انما انزل
اليك من ربك الحق فيؤمن به ويتبع ذلك كمن هو اعمى لا بصيرة له
لا يعلم فلا يؤمن ومن يعلم ولا يؤمن اسوأ حالا والهمزة لانكار تشابههما
فالثانى كالزبد والخبث والاول كالماء والابريز والفاء للعطف وقدمت
الهمزة لان الاستفهام له صدر الكلام انما يتذكر اولوا الالباب لا يتذكر
بالموعظة وضرب الامثال الا صواحب العقول السليمة الذين بدل
من اولوا او صفة له او تقديره هم الذين يوفون بعهد الله بما امرهم فى
كتبه او بالعهد الذى اخذ منهم حين اخرجهم من صلب آدم ولا ينقضون
الميثاق جملة توكيدية لان العهد هو الميثاق والالف واللام للعهد او للجنس
يعنى هذا العهد الخاص او مطلق العهود والذين يصلون ما امر الله به
ان يوصل من مثل صلة الرحم ومراعاة الحقوق ومفعول امر مقدر
اى امرهم وان يوصل بدل اشتمال من المقدر ويخشون ربهم وعيده
فلا يتجاوزون عن امره جملة المعطوف كالتأكيد مثل ولا ينقضون ه
ويخافون سوء الحساب فاجابوا داعى الله وحاسبوا انفسهم قبل
ان يحاسبوا والذين صبروا فيما يليق فيه الصبر جاءت الصلة هنا
بلفظ الماضى بخلاف ما تقدم لان حصول تلك الصلات انما هى
مرتبة على حصول الصبر ونقدمه عليها ولذلك لم ترد صلة فى القرآن بالصبر

جوز الزمخشرى ان ضرب المثل لبيان الفريقين فقوله
للذين متعلق بضرب والحسنى صفة مصدر اى
استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا
عطف على الذين استجابوا وقوله لو ان لهم الخ
كلام مبتدأ لبيان مآل الفريق الآخر وفيه بعد
لانه يلزم ان يكون قوله لو ان لهم بغير حرف
رابط منقطعا او كالمنقطع عما قبله منه

الا بصيغة الماضى اذ هو شرط مقدم على حصول التكاليف ابتغاء وجه
ربهم طلب مرضاته مفعول له واقاموا الصلوة على الوجه الشرعى وانفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية سائرين ومعلنين لم يمنعهم عن الانفاق حال من الاحوال
والاولى تعميم الانفاق ليكون السر لصدقة التطوع والعلانية للواجب
ويدرؤن يدفعون بالحسنة السيئة بالصالح من العمل السيئ منه كما ورد
اتبع السيئة الحسنة تمحها وفيه اشارة الى ان التخلص من السيئة متعذر او متعسر
كما ورد ان تغفر اللهم تغفر جما واى عبد لك لا الما قاله صلى الله عليه وسلم
حين قرأ الا اللمم قيل معناه يجازون الاساءة بالاحسان اذا اذاهم احد
قابلوه باللطف اولئك لهم عقبى الدار الجنة التى اراد الله ان تكون عاقبة
الدنيا ومرجع اهلها جنات عدن بدل من عقبى الدار والعدن الاقامة
قيل العدن قصر فى الجنة له خمسة الاف باب او مدينة منها فيها الانبياء
والشهداء وائمة الهدى وسائر الجنات حولها يدخلونها صفة ومن صلح
عطف على الفاعل وجاز للفصل قيل مفعول معه من آبائهم وازواجهم
وذرياتهم يعنى يلحق بهم هؤلاء وان لم يبلغوا مبلغهم كرامة لهم كما قال تعالى
والذين اتبعتهم ذريتهم بايمان الآية والملائكة يدخلون عليهم من
كل باب من ابواب منازلهم للتهنية معهم تحف وهدايا من الله سلام
عليكم اى قائلين سلام بما صبرتم بسبب صبركم عن محارم الله فالباء
للسبب او للبدل والاولى ان يكون تقديره ذلك بما صبرتم وجاز
تعلقه بمتعلق عليكم فنعم عقبى الدار جنة العدن والذين ينقضون عهد
الله من بعد ميثاقه فيهم للسعداء ومعنى من بعد ميثاقه بعد ما وثقوه
واقروا وقبلوا والاظهر من هذا ان المراد من العهد العهد الذى اخذ منهم
فى الازل كما ذكرناه فى الوجه الثانى او المراد من الناقضين المنافقون
والمرتدون ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض
اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار سوء عاقبة الدنيا وهو جهنم قوله والذين
مبتدأ وجملة اولئك هى خبره فلا يبعد ان يكون قوله الذين يوفون
بعهد الله مبتدأ وقوله فاولئك لهم عقبى الدار خبره والجملتان مبينتان
عن حال الفريقين الذين يعلمون ان ما انزل اليك من ربك

ومن يجوز ان يكون مفعولا معه لم يجوز
العطف بمجرد الفصل لانه اذا جاز
العطف تعين منه

الحق ومن هو اعمى فلا يعلم حقيقة ما انزل ولما كان كثير من الاشقيا في نعم
دنيوية وكثير من السعدا في ضنك من العيش وهذا امر مشكك اراد تبيين
حقيقة الامر فقال الله يبسط يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر يضيقه لا تعلق
للرزق بالايمان والكفر وفرحوا بالحيوة الدنيا اي مشركوا مكة فرح بطر لا فرح
سرور بالفضل والانعام وما الحيوة الدنيا في جنب الاخرة الا متاع نزر
قليل كتميرات لزاد المسافر ولما كان العناد واللجاج من لوازم البطر
والفرح عقبه بقوله ويقول الذين كفروا لولا اي هلا انزل عليه آية من ربه
مثل جعل الصفا ذهبا قل ان الله يضل من يشاء اضلاله كما اضلكم
بطلب آية بعد معاينة تلك الايات البينات ويهدي اليه يرشد
الى دينه والى وصاله من اناب من رجع عن العناد واقبل اليه والحاصل
ان الله انزل آيات بينات دالة على صدقه باوضح وجه لكنه هو المضل
والهادي يضل بها كثيرا ولو انزلنا عليهم كل آية لم يؤمنوا. الذين امنوا
بدل من اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله اطمينان القلوب سكونها بعد
الاضطراب انما بذكر رحمته وفضله الا بذكر الله تطمئن القلوب الا يسكن
اليه القلوب ويزول عنها القلق الذين امنوا بدل من الذين او تقديره
هم الذين وعملوا الصالحات طوبى لهم مصدر لطاب كبشرى قلبت ياؤه
واوا للضمة ما قبلها اي فرح وقرة عين وعن كثير من السلف هي شجرة في الجنة
يطول الكتاب بوصفها والاولى ان الذين مبتدأ وطوبى لهم خبره وعلى
الوجهين الاولين طوبى لهم جملة مستانفة وحسن مآب حسن المنقلب
ولما ذكر ان امته صار فرقتين اراد ان يبين ان فرقة الضلال خلف لسلفهم
لا ان ارسالك وضلالهم شيء بدع غير معهود فقال كذلك اي مثل ارسالنا
من تقدم من الرسل ارسلناك في امة قد خلت مضت من قبلها امم
لتتلو عليهم اي ارسلناك تتلو عليهم الذي اوحينا اليك اي القران
وهم الواو للحال يكفرون بالرحمن بليغ الرحمة لا يشكرونه لم يقل وهي تكفر
رعاية للمعنى قالوا ان محمدا يدعو الهين الله واله اخر يسمى الرحمن قل هو
اي الرحمن ربي لا اله الا هو وحده لا شريك له عليه توكلت واليه متاب
مرجعي ولما ذكر علة ارساله وهي تلاوته عظم هذا الموحى فقال ولو ان قرانا

سيرت به

سيرت به الجبال عن مقارها ونقلها من مكان الى مكان او قطعت به
الارض حتى تتصدع وتزايل قطعا قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب
لكان هذا القران لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار ومع هذا هولاء
المشركون كافرون به قال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل الاية فجواب
لو مقدر كما قدرنا قال بعضهم جواب لو لما امنوا به وقيل تقديره هم يكفرون
بالرحمن ولو ان قرانا الاية وقوله قل هو ربي اعتراض بينهما فقد نقل
في سبب نزول الاية انهم قالوا يا محمد لو سيرت لنا جبلي مكة حتى تتسع او قطعت
بنا الارض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح واحييت فلانا وفلانا
كما كان لعيسى بل لله الامر جميعا هو اضراب وانتقال اي ان الايمان
والكفر بيد الله لو شاء ايمان احد لامن واذا لم يشا لا ينفعه اتيان ما
اقترح من الايات افلم ييأس الذين امنوا عن ايمان هولاء المشركين
مع ما عاينوا من لجاجهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا متعلق
بمقدر وهو علما منهم بانه لو يشاء يعني الم يايسهم العلم بان الله لو شاء
لهدى الناس جميعا عن ايمانهم فيسالون ويرجون ايات تكون سببا
لايمانهم فقيل نزلت حين تمنى المسلمون ظهور اية مما اقترح المشركون
ليجتمعوا على الايمان او تقديره اولم يقنط الذين آمنوا بانه لو يشاء الله
لهدى الناس عن ايمان هولاء الكفرة فعلى هذا ان لو يشاء متعلق
بامنوا قيل ان الكلام قد تم عند قوله امنوا ويكون الاستفهام تقريرا اي قد
يئس المؤمنون عن ايمان هولاء المعاندين وقوله ان لو يشاء الله جواب
قسم محذوف ويدل على القسم ان مع لو وقد ذكر سيبويه ان ان باتي
بعد القسم وجعل ابن عصفور لو رابطة المقسم مع الجملة المقسم بها وقد فسر
اكثر السلف افلم ييأس بافلم يعلم فقيل هو بمعنى العلم في لغة النخع
او هوازن وقيل فسروه به لان اليائس عن الشيء عالم بانه لا يكون ولا
يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا بما فعلوا من خبائث الاعمال قارعة
داهية تقرعهم وتقلقهم في كل وقت من صنوف البلايا في نفوسهم
واولادهم واموالهم او تحل قريبا من دارهم او تحل القارعة قريبا منهم
ويتطاير اليهم شررها وتتعدى اليهم شرورها ليتعظوا فهو عطف على

تصيبهم ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الاية حتى ياتي وعد الله الموت
او القيمة قيل معناه لايزال اهل مكة تصيبهم قارعة اما عذاب من السماء
او سرية بعث عليه الصلوة والسلام اليهم او تحل انت يا محمد قريبا من
دارهم تقاتلهم حتى ياتي وعد الله في فتح مكة هكذا فسره كثير من السلف
ان الله لا يخلف الميعاد وعده ووعيده ولما قال لايزال تصيبهم بسبب
صنيعهم قارعة شرع يظهر بعض صنايعهم فقال ولقد استهزئ برسل
من قبلك فمثل تلك القبايح من عاداتهم القديمة فامليت للذين
كفروا اطلت مدتهم وامهلتهم ثم اخذتهم بصنيعهم فكيف كان عقاب
اي عقابي اياهم استفهام معناه التعجب بما حل بهم وفي ضمنه تسلية
ووعيد للرسول والمرسل اليهم ولما ذكر ان ما اصابهم ليس الا بسبب
كسبهم قال افمن هو قائم رقيب على كل نفس بما كسبت من خير فيثيبه
ومن شر فيعاقبه او يتفضل عليه بالعفو كمن لا ياتي منه نفع ولا ضرر
كاصنامهم فالخبر مقدر نحو افمن شرح الله صدره للاسلام يعني كمن هو قاسي
القلب والهمزة لانكار التساوي وذا اعلم ان لا يساويه ولا يناسبه شيء
بين جهلهم وحمقهم فقال وجعلوا لله شركاء الاولى ان يكون استينافا لا عطفا
على كسبت قيل تقديره افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت موجود وقد
جعلوا لله شركاء فالواو للحال وقد مقدرة قل سموهم بالاسماء الحسنى كالقادر
والرازق حتى يظهر استحقاقهم للعبودية ام تنبئونه بل اتخبرون الله بما
لا يعلم من الشركاء وما لا يعلم لا يكون في الارض وخص الارض بالذكر
لان مقر اصنامهم الارض وما موصولة وعائدها مقدر اي لا يعلمه
ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول يعني مجرد قول
من غير حقيقة كتسمية الزنجي كافورا وقوله ام بظاهر عطف على جملة ام
تنبئونه بتقدير كما قدرنا بل زين للذين كفروا مكرهم كيدهم وضلالهم
وصدوا عن السبيل عن الطريق الحق والشيطان سبب التزيين والصد
ومن يضلل الله فما له من هاد فانه لا راد لما اراد لهم عذاب في الحيوة الدنيا
كقتلهم ونهبهم واجلائهم سنانفة ولعذاب الاخرة المعد لهم اشق
وما لهم من الله من واق ليس لهم من عذاب الله من واق يقيهم ويمنعهم

منه عطف على لهم عذاب ولما ذكر ما اعد للكفار يذكر ما اعد للمؤمنين
فقال مثل الجنة اي صفتها التي هي مثل في الغرابة التي وعد المتقون
عن الشرك وهو عند سيبويه مبتدا محذوف الخبر اي مثلها فيما قصصنا
عليكم وليس المراد ضرب مثل نحو ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا
وقوله تجري من تحتها الانهار بيان وتفسير لذلك المثل او حال من العائد
المحذوف من الصلة قيل تجري هو الخبر نحو صفة زيد اسمر قال الزجاج تقديره
مثل الجنة جنة تجري كانه قال الجنة التي وعد المتقون شبه جنة تجري من
تحتها الانهار فعلى هذا المثل بمعناه المتبادر بخلاف الاولين اكلها دائم
ماكولها لا ينقطع نعيمها مؤبد وظلها كذلك لا كاشجار الدنيا يسقط
اوراقها في وقت وليس فيها شمس تحرق ونورها من نور العرش
تلك اي هذه الجنة عقبى مال الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار فنعم
الاول وبئس الثاني ولما بين حال القسمين القسيمين وما اعد لهما عقب
ببعض من القسمين فقال والذين آتيناهم الكتاب المراد مؤمنوا اهل
الكتاب من اليهود والنصارى يفرحون بما انزل اليك من القران
لما في كتبهم من الشواهد على صدقه ومن الاحزاب ومن احزابهم واهم
كفرتهم الذين تحزبوا على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم من ينكر بعضه
ما يخالف دينهم كنعت الاسلام ونسخه ما قبله ولا ينكرون من مثل
القصص وبعض الاحكام قل لهم انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك
به اليه الى الله والى شرعه ودينه ادعو لا الى غيره واليه مآب
مرجعي في الدنيا والاخرة يعني هذا شغلي فانكارهم انكار عبادة الله
مع ادعائهم واتفاقهم وجوبها وكذلك كما انزلنا على من قبلك
بلغتهم دل على ذلك قوله والذين اتيناهم الكتاب انزلناه
اي القران حكما عربيا حال كونه حكمة مترجمة بلسان العرب لانه منه
يحكم في الوقايع او لان الله حكم على الخلق بقبوله ولئن اتبعت اهواءهم
فلا تبلغ ما ينكر دونه بعد ما جاءك من العلم الدال على حقية ما معك
وبطلان ما معهم ما لك من الله من ولي ينصرك ولا واق
يقيك من عذاب الله قيل ونعم ما قيل هذا من باب الحقيقة وعيد للعلماء

ان تتبعوا سبل اهل الضلال ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا
لهم ازواجا وذرية فما لهؤلاء يعيبونك بقولون مع انهم من اهل الكتاب
ليست همة هذا الرجل الا في النساء ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن
النساء واين نساءه عن نسوة داود وسليمان وما كان ما صح وليس في
وسعه لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله والشرايع تختلف باختلاف
الاشخاص والاوقات لكل اجل كتاب لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب
بها وكل شيء عنده بمقدار يمحوا الله ما يشاء ينسخ الله ما يشاء محوه من
الاقدار والاحكام ويثبت ويديم ما يشاء اثباته وعنده ام الكتاب هو علم
الله كما قال ابن عباس الكتاب كتابان كتاب يمحو ما يشاء فيه وكتاب لا يغير
منه شيء وهو القضاء المبرم واما ان السعادة والشقاوة ومدة الحيوة
ووقت الاجل لا يغير ولا يمحو فالاحاديث والآثار دالة على خلاف ذلك
فان الصدقة وصلة الرحم تزيدان في العمر ولما ذكر ان الاقدار تمحو وتثبت
طمحت النفوس الى العلم بان اهلاك اعداء الدين هل هو من اي
القسمين من المحو والاثبات فقال وإما نرينك بعض الذي نعدهم
او نتوفينك يعني كيف ما دارت الحال اريناك بعض ما اوعدناهم
من العذاب او نتوفينك قبل نزول عذابهم فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب فلا يجب عليك الا تبليغ الرسالة وعلينا لا عليك
حسابهم وجزاؤهم فافرغ بالك عما ليس يشغلك ولا يهمنك
اعراضهم اولم يروا انا نأتي الارض عن امره وقدرته نحو فأتى الله بنيانهم
ننقصها من اطرافها اي يحكم الله بان ننقص ارض الكفار بان تصير
تحت يد المسلمين ويفتح المسلمون جوانب ارضهم فالمسلمون على زيادة
والكافرون في نقص يعني هذا مما نرينك الذي نعدهم وعن ابن عباس
وغيره اولم يروا ان الارض تخرب من جوانبها ونهلك اهلها وثمارها
افلا يخافون ان نفعل بهم ما فعلنا في جوانب الارض والله يحكم لا
معقب لحكمه المعقب من يكر على الشيء فيبطله والنفي مع المنفي جملة
حالية اي نافذا حكمه والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وللكفر بالادبار
ولا راد لحكمه وهو سريع الحساب فلا يعجز عن كثرة المحاسبين فعما قليل

يحاسبهم

يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا وما هو آت قريب ولما ذكر
اقبال المسلمين وادبار الكافرين عقب بما هو السبب لادبارهم
فقال وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم كما فعلت قريش بنبيهم
فلله المكر جميعا فان مكر الماكرين في جنب مكر الله كلا مكر فانه هو القادر
على ما هو المقصود من المكر ولا يضر مكر ماكر الا باذنه يعلم ما تكسب
كل نفس ويعد لها الجزاء وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار لمن تكون
الدائرة والعاقبة الحسنى لهم او للمسلمين ويقول الذين كفروا
لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اي كفى الله ومن
عنده علم الكتاب المراد من الكتاب جنس الكتب السماوية وهم
اليهود والنصارى فانهم عارفون بانه رسول حق من كتبهم
او المراد ممن عنده علم الكتاب هو الله فالمراد من الكتاب اللوح
المحفوظ اي كفى بالذي يستحق العبادة ولا يعلم ما في اللوح المحفوظ
الا هو شهيدا بيننا ويؤيد هذا المعنى قراءة من قرأ من عنده بكسر الميم
والدال والاحسن ان يكون علم الكتاب فاعلا لعنده والحمد لله وحده

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هذا كتاب انزلناه اليك الجملة
صفة كتاب لتخرج الناس بدعوتك اياهم الى ما فيه من الظلمات
انواع الضلال الى النور الهدى باذن ربهم بامره وتوفيقه وكل من
من والى والباء متعلق بتخرج الى صراط بدل من النور ولا يضر هذا
الفصل العزيز الحميد الغالب المستحق للحمد صفة العزة مناسب للانزال
وصفة الحميد للانزال للاخراج الى النور الله بالجر بدل او عطف بيان
للعزيز وبالرفع مبتدأ خبره قوله الذي او خبر محذوف اي هو الله والموصول
صفته له ما في السموات وما في الارض ان جعلت ما مخصوصا بغير ذوي
العقول فما في الموضعين للتغليب وويل للكافرين من عذاب شديد
الويل اسم معنى كالهلاك ومن عذاب متعلق بمتعلق للكافرين لا انه
متعلق بالويل لان الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر غير جائز الذين
اي هم الذين وليس بصفة للكافرين للفصل باجنبي ونظيره الدار

لان باذن معمول العامل في المبدل منه وهو لتخرج

قيل الاستحباب الايثار والاختيار كانه
يطلب من نفسه ان يكون احب اليها
وافضل عندها من غيرها منه

لزيد الحسنة القرشي يستحبون يوثرون وهو نحو استجاب واجاب
الحيوة الدنيا على الاخرة لتضمين معنى الايثار عداه بعلى او لانه مجاز عن
الايثار ويصدون عن سبيل الله يمنعون الناس عن دينه ويبغونها
عوجا يطلبون لسبيل الله الاعوجاج يقولون انها معوجة والاصل
يبغون لها فهو من باب الحذف والايصال اولئك في ضلال
بعيد عن الحق وصف الضلال بالبعد مع انه في الحقيقة للضال للمبالغة
كجد جده ومن طلب الاعوجاج انهم قالوا ما بال الكتب كلها اعجمية وهذا عربي
فقال الله وما ارسلنا من رسول الا بلسان بلغة قومه الذي هو بعث
فيهم وما ارسلنا قبل ذلك الى العرب رسولا ليبين لهم ما امروا فيفهموه
من غير كلفة وشبهة ورسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان مبعوثا الى
كافة الخلق لكن لما لم يمكن ان ينزل بجميع اللغات فالاولى ان يكون بلغة
من هو فيهم وهو لغة الرسول ليفهموه ويومنوا به ثم ينقل ويترجم لغيرهم
فيضل الله من يشاء اضلاله بعد البيان ويهدي من يشاء هدايته باتباعه
وهو العزيز الذي ما شاء كان الحكيم في افعاله فيضل ويهدي بحسب حكمته
ولما ذكر ان كتب الرسل بلسان قومهم شرع في حكاية رسول كتابه بعد القران
اجل الكتب تسلية وتثبيتا وتصبيرا للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم
فقال ولقد ارسلنا موسى باياتنا الجمهور على ان المراد باياتنا تسع ايات
مشهورة ان اخرج اي بان اخرج وجاز ان تكون ان تفسيرية ففي الارسال
معنى القول قومك بني اسرائيل وهم فرق بعضهم مع القبط وقيل
هو مبعوث الى بني اسرائيل والقبط من الظلمات الى النور وذكرهم بايام
الله بنعمائه عليهم من فلق البحر وغيره وهذا التفسير روى احمد في مسنده
وابن جرير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول كثير من السلف
وعلى هذا يكون التذكير لاسلام بعض او يكون بعد كفرهم بعبادة العجل
وذكرهم عطف على اخرج او مستانفة عطف جملة على جملة او المراد من
ايام الله وقايعه في الامم السالفة يقال ايام العرب لملاحمها وحروبها
ان في ذلك التذكير بايام الله لايات لكل صبار شكور يصبر ويتامل
ويشكر لنعمائه او يشكر على ان ليس كالامم مظهر القهر واذ قال اي واذكر

قصة

قصة اذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم اذ ظرف للنعمة
بمعنى الانعام او متعلق بعليكم ان جعلته ظرفا مستقرا من ال فرعون يسومونكم
والحال انه يبغونكم سوء العذاب افضحه وهو ثاني مفعوليه ويذبحون ابناءكم
عطف على يسومون وفيه اشارة الى ان ذبح الابناء احد انواع عذابهم
وهم معذبون بانواع اخر من الاستعباد وغيره ويستحيون نساءكم
يتركوهن احياء للخدمة وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ابتلاء عظيم من حيث انه
امهلهم فيه واذا كان ذلكم اشارة الى الانجاء فالبلاء بمعنى النعمة واذ تاذن
اي اذن واعلم عطف على اذ انجيكم ربكم لئن شكرتم نعمتي بقبول طاعتي
مفعول تاذن فانه ضرب من القول لازيدنكم في نعمة الدارين ولئن كفرتم
بان ابيتم كلامي ورسولي ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي جاء التركيب على
ما عهد في القران من انه اذا ذكر الخير اسنده الى نفسه الاقدس واذا ذكر
الشر بعده عدل عن نسبته الى نفسه وصرح في لازيدنكم بالمفعول ولم يذكره
في جانب العذاب وان كان المعنى عليه رجاء ورحمة ثم نبه موسى قومه على انه اوعده
على الكفر لا لانه محتاج الى شكركم فقال وقال موسى ان تكفروا انتم ومن
في الارض جميعا فان الله لغني عن العالمين حميد يستحق الحمد في ذاته
وان لم يحمد فجواب ان مقدر وهو مثل فانما ضر كفركم عليكم والمذكور
دليله الم ياتكم نبؤ الذين من قبلكم كلام مستانف من الله او من تتمة
قول موسى قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الامم المكذبة عطف
على الذين او على قوم لا يعلمهم الا الله لكثرتهم ولهذا قيل كذب النسابون
والجملة مستانفة او حال من ضمير في متعلق من بعدهم جاءتهم ضمير
الجمع عائد الى الذين من قبلكم والذين من بعدهم والجملة تفسيرية رسلهم
بالبينات المعجزات الواضحات فردوا ايديهم في افواههم اشاروا
بايديهم الى ما نطقت به السنتهم من قولهم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به
على زعمكم يعني هذا جواب ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق او المراد
انهم عضوا ايديهم من الغيظ او وضعوا ايديهم على افواههم كما يفعل ذلك
من غلبه الضحك يعني ضحكوا وتعجبوا او المراد من الايدي النعم اي ردوا نعم
الانبياء وهي نصايحهم وما اوحي اليهم في افواه الانبياء لانهم اذا كذبوها

فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل وعلى هذا في بمعنى الباء يقال
جعلك الله في الجنة وبالجنة وهذا توجيه للفرآء او المراد وضعوا ايديهم على الافواه
مشيرين للانبيآء بالسكوت او اخذ الكفار ايدي الرسل ووضعوها في افواه
الرسل ليسكتوهم او الرسل لما ايسوا منهم وضعوا ايدي انفسهم في افواه انفسهم
وسكتوا او وضع الكفار ايديهم في افواه الرسل ردا وتكذيبا ومنعا عن الكلام
او سكتوا عن الجواب المرض الحق يقال للرجل اذا امسك عن الجواب رد يده في فيه
وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب موقع في الريبة صفة توكيدية بادروا
اولا الى التكذيب المحض ثم اخبروا انهم في تردد كانهم نظروا بعض نظر اقتضى
انتقالهم من التكذيب المحض الى التردد او هما قولان من طائفتين طائفة بادرت
بالتكذيب وطائفة شكت وهذا الشك ايضا كفر قالت لهم رسلهم افي الله
في وحدانيته وتفرده بوجوب عبادته شك فاعل الظرف او مبتدأ فاطر
السموت والارض لا يستحق العبادة الا من ابتدعهما من غير مثال سبق
صفة لله ولا يضر هذا الفصل كما تقول في الدار زيد الحسنة يدعوكم الى طاعته
ليغفر لكم من ذنوبكم من للتبعيض والمظالم لا يكفر بالايمان سيما اذا كان المال
موجودا عنده وخصوصا للامر وقيل التبعيض لان الاسلام يجب ما قبله ويبقى
ما يستانف بعده من الذنوب وعند الكوفيين يجوز ان يكون من زائدة
واما جمهور البصريين فلا يجيزون زيادة من في الاثبات ويؤخركم الى اجل
مسمى فلا يعاجلكم بالعقوبة قالوا ان انتم ما انتم الا بشر مثلنا فمن اين لكم حق
المتبوعية تريدون ان تصدونا تمنعونا عما كان يعبد اباؤنا ليس مقصودكم الا
ان يكون لكم تبعا فاتونا بسلطان مبين حجة واضحة تعجزنا في ابائكم كانهم
اقترحوا اية مثل ما اقترحت قريش من جعل الصفا ذهبا قالت لهم رسلهم
ان نحن الا بشر مثلكم في الجنس والصورة ولكن الله يمن على من يشآء من عباده
لم يصرحوا بما من الله تعالى عليهم والمعتريين بالنبوة والقربة فاختصاصنا
بالنبوة والمتبوعية من فضله وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله
اي ليس هذا في وسعنا بل شيء يتعلق بمشيته تعالى واذنه وعلى الله فليتوكل
المؤمنون امرنهم للمؤمنين بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا كانهم
قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم الا ترى الى قوله وما

وما لنا اي عذر لنا في ان لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا فعل بنا ما يوجب
توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله ولنصبرن جواب قسم مقدر
على ما اذيتمونا الاولى ان ما مصدرية وعلى الله فليتوكل المتوكلون يعني
نحن متوكلون ومن توكل على احد فليتوكل على الله لا غيره او فليثبت الم
المتوكلون على توكلهم فانك اذا قلت للمتوكل توكل فمعناه اثبت فلا تكرار
بوجه وفي الحث على التوكل مبالغات وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا بان لا محالة يكون احد الامرين اما
اخراجكم واما عودكم والانبيآء قبل النبوة لا يمنعونهم عن عبادة غير الله فعند
هؤلاء ان الانبيآء كانوا على ملتهم او خاطبوا كل رسول ومن آمن به فغلبوا
الخطاب في الجماعة على الواحد فاوحى اليهم الى الرسل ربهم لنهلكن الظالمين
اقسم الله على اهلاكهم في مقابلة قسمهم واي اخراج اعظم من الاهلاك فانه
اخراج لا عود ابدا ولنسكننكم الارض ارضهم من بعدهم بعد اهلاكهم ذلك
اي وعدي بالاهلاك والاسكان لمن خاف مقامي موقفه بين يدي الله
فانه موقف الله الذي يقف فيه عباده في القيمة او مقامي مصدر اي
قيامي عليه بالحفظ لاعماله وقيل مقامي مقحم للتعظيم نحو سلام على مجلس فلان
فمعناه لمن خافني وخاف وعيد تخويفي وعذابي يعني ان ذلك حق
للمتقين نحو والعاقبة للمتقين واستفتحوا اي استنصر الرسل الله على اعدائهم
وسالوا منه الفتح على اعدائهم قيل استفتح من الفتاحة اي الحكومة اي طلبوا
منه القضآء بينهم قيل فاعل استفتح الامم كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر وقيل الضمير للرسل والاعدآء اي سالوا كلهم نصر المحق
وهلاك المبطل وخاب كل جبار عنيد متكبر معاند للحق كانه قال استفتحت
الرسل فنصر الرسل وافلحوا وخاب كل جبار عنيد فخاب معطوف على محذوف
من ورائه جهنم الورآء من الاضداد ينطلق على خلف وقدام اي من بين
يديه جهنم ويسقى معطوف على مقدر اي من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى
من مآء صديد الصديد ما يسيل من جلود اهل النار من القيح والدم قيل ما
يسيل من فروج الزناة وصديد عند الكوفيين جاز ان يكون عطف بيان
لكن البصريون لا يجيزون عطف بيان في النكرات فصديد صفة مآء بمعنى

انه نفس الصديد او ما كالصديد على اسقاط اداة التشبيه يتجرعه يتكلف
جرعه يشربه قهرا فانه لا يشرب الا بعد ان يضربه الملك بمطراق من
حديد صفة ما او حال من ضمير يسقى ولا يكاد يسيغه الاساغة جواز
الشراب على الحلق بسهولة يعني لا يقارب ان يسيغه فكيف يكون الاساغة
ويأتيه الموت اي اسبابه من الشدائد من كل مكان من كل جوانبه
او من كل جوارحه وما هو بميت ليستريح ومن ورائه بين يديه عذاب
غليظ اي له عذاب آخر ادهى وامر مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم
كرماد مبتدأ وخبر نحو صفة زيد عرضه مصون وماله محفوظ او خبره محذوف
اي فيما يقص عليكم وقوله اعمالهم كرماد مستانفة او اعمالهم بدل الاشتمال
من مثل وكرماد خبره اشتدت به الريح في يوم عاصف العصف
اشتداد الريح فهو كنهاره صائم يعني لا ينتفعون باعمالهم من صلة الارحام
وعتق الرقاب وغير ذلك كرماد ذرته الريح هل يجد احد منه ذرة لا يقدرون
في القيمة مما كسبوا على شئ لحبوطه كما لا يقدرون من الرماد المطير بالريح
على شئ ذلك اشارة الى عدم وجدان اعمالهم هو الضلال البعيد فانه الغاية
في البعد عن الحق ولما ذكر حال من ينكر الاخرة وماله عقبه بالدليل الواضح
على الاعادة فقال الم تر يا محمد ان الله خلق السموات والارض بالحق
لا بالباطل في خلقه مصالح وحكم ان يشأ يذهبكم اي ان يشأ اعدامكم
يعدمكم ايها الناس ويأت بخلق جديد ومن هو قادر على خلق السموات
فلا شك انه قادر على ايجاد المعدوم واعدام الموجود وما ذلك الاذهاب
والاتيان على الله بعزيز بمتعذر ولا متعسر ومن كان كذلك فحقيق بان
يعبد ويصدق رجاء وخوفا وبرزوا لله جميعا خرجوا من قبورهم الى الله
لما ثبت بالبرهان قدرته الكاملة عطف وعقب قوله وبرزوا ليكون
كالنتيجة للاولى فقال الضعفاء اي الاتباع للذين استكبروا اي رؤسائهم
الذين استكبروا عن عبادة الله او تكبروا على الناس انا كنا لكم تبعا
في الدين فهل انتم مغنون دافعون عنا من عذاب الله ومن متعلق
بمغنون من شئ مفعول ومن زائدة للتوكيد والاستغراق لانه في
سياق الاستفهام كما صرح بذلك المهرة من النحاة قالوا اي الرؤساء

ولما كانت الاساغة لهذا قبل الاشراب وبعده نقول صاحب البحر ان هذا نحو وما كادوا يفعلون اي قبل الذبح فالمعنى لا يكاد يسيغه قبل ان يشربه ثم شربه ليس على ما ينبغي فتامل منه

جوابا

جوابا عن الضعفاء لو هدينا الله لهديناكم قالوا على سبيل الاعتذار والخجل
لو هدانا طريق النجاة لهديناكم لكن سددونا طرق النجاة قيل لو هدانا
للايمان في الدنيا لهديناكم اي اخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا قد مر في اول سورة البقرة والاظهر ان هذا داخل تحت
قول المستكبرين لان السؤال عنهم بهل انتم لجزعهم فقالوا ما هذا الجزع لا فائدة
فيه كما لا فائدة في الصبر فنحن مجتمعون في عقاب ضلالنا اولما قالوا وهذا
الله اتبعوا ذلك بالاقناط ما لنا من محيص من مهرب نقل ان بعض اهل
النار قالوا لبعضهم تعالوا نبكي ونتضرع فان اهل الجنة انما ادركوها بالتضرع
فبكوا حتى راوا ان البكاء لا ينفع قالوا تعالوا نصبر فانما ادركوها بالصبر
فصبروا صبرا لم ير مثله فلما راوا انه لا ينفعهم قالوا سواء علينا اجزعنا
الاية وهذا اشعر بان هذا كلام الفريقين وبان هذا بعد العرض والحساب
وقال الشيطان لما قضي الامر لما فرغ من الامر ودخل اهل الجنة الجنة والنار
النار وقيل هذا بعد تعيين كل قوم لمنازلهم من الجنة والنار ولكنه في الموقف بعد
نقل من حديث عقبة بن عامر ان الكافرين يقولون وجد المؤمنون من
يشفع لهم فمن يشفع لنا فقيل شفيعكم ابليس فقاموا اليه فقام خطيبا وقال
ان الله وعدكم الاية فيثور من مجلسه انتن ريح شمه احد ان الله وعدكم
وعد الحق يحتمل ان يكون من اضافة الموصوف الى الصفة والمراد من
الحق الثابت وهو البعث والجزاء على الاعمال اي فوفى لكم بما وعدكم
ووعدتكم انه غير كائن والاصنام شفعاء فاخلفتكم جعل تبين خلف
وعده كالاخلاف وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط لالجئكم على
الاثام او ليس لي عليكم من حجة الا ان دعوتكم لكن دعوتكم فاستجبتم لي
وقيل الاستثناء متصل اي الا دعائي اياكم ووسوستي وليس الدعاء من
جنس السلطان لكنه على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع فلا تلوموني
ولوموا انفسكم في اطاعتي وعدم اطاعة ربكم مع ظهور حجته ما انا بمصرخكم
بمغيثكم وما انتم بمصرخي عن الحسن قام ابليس خطيبا في جهنم على منبر من نار
وقال ان الله وعدكم الاية اني كفرت بما اشركتموني من قبل اي اني كفرت
وجحدت اليوم باشراككم اياي في الدنيا وتبرأت ان اكون شريكا لله فما

مصدرية ومن متعلق باشركتموني قال تعالى ويكفرون بشرككم وقيل
ما بمعنى من ومن متعلق بكفرت يقال اشركته فلان اى جعلته له شريكا
يعني كفرت قبل اشراككم حين ابيت السجود بالذي اشركتمونيه اى الله
تعالى ان الظالمين لهم عذاب اليم الظاهر انه من تتمة قول اللعين
حكى الله عنه قوله في ذلك الوقت للتنبيه على النظر في عاقبتهم والاستعداد
لما لا بد منه قبل ان لا ينفع الندم ولما تم مقاولة الضعفاء مع الرؤساء
ومقاولة الشيطان الذي هو رأسهم ورئيسهم مع الكافرين يذكر حال
اهل النجاة كما هو عادة القرآن فقال وادخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم
اى ادخل الملك باذن ربهم الذين امنوا تحيتهم فيها سلام يحيي بعضهم
بعضا والملائكة يحيونهم بالسلام ولما تقرر ان الوعد الحق ما قاله الله
واذن له والوعد الباطل ما قاله الشيطان ووعده ضرب لهما مثلا تقريبا
لفهمهم فقال الم تر كيف ضرب الله مثلا اى قصد ووضع مثلا يقال فلان
ضرب البلد اى قصده كلمة طيبة عن ابن عباس هي كلمة التوحيد منصوب
بانها بدل من مثلا او ضرب بمعنى جعل ونصبها على انها مفعول اول
لضرب كشجرة طيبة صفة او خبر محذوف اى هي كشجرة وفي التشبيه
لا تحتاج الى تعيين الشجرة لكن في الحديث ما يدل على انها هي النخلة اصلها
ثابت في الارض فلها تمكن لا تقصفها الرياح العاصفة وفرعها في
السماء غصونها ورأسها في جانب العلو تؤتي الشجرة اكلها ثمرها كل حين
دائما صباحا ومساء باذن ربها اى تؤتي بارادة خالقها فكلمة التوحيد
كشجرة اصلها وعروقها ثابت في ارض قلب المؤمن وفرعها صوالح
اعماله الصادرة من ذلك الاصل اليه يصعد الكلم الطيب الاية وثمرها
ثواب الله في الدارين او الشجرة لا تكون شجرة الا باصل في عروق
وفرع واغصان مورقة واثمار ماكولة كذلك الايمان لا يتم الا بتصديق
واقرار وعمل ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون فان فيها
زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني ومثل كلمة خبيثة هي الشرك كشجرة
اى كمثل شجرة خبيثة والحديث دال على انها هي الحنظلة اجتثت

وجاز ان يكون ابتداء الكلام من الله تعالى منه

اقتلعت

اقتلعت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة
من فوقها ما لها من قرار من استقرار فالكفر لا اصل له وليس له اغصان
واوراق لعدم تمكن دوحته لانه غرس في ارض سبخة فيها عفونات
ولا يصعد له عمل صالح يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي هو
كالشجرة الثابتة في الحيوة الدنيا فلا يزلون عن القول الثابت بالحجة وفي
الاخرة اى في القبر عن ابن عباس من دام على الشهادة في الدنيا يلقنه
الله اياها في قبره ويضل الله الظالمين لا يلقنهم في قبورهم فيقولون
في جواب الملكين هاه هاه لا ادري كما صرح في الصحيح ويفعل الله ما يشاء
فعله لا راد لما اراد لكن لا يفعل باختياره واقتداره الا ما فيه
حكم ومصالح ولما قال ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء
ذكر من احوالهم واعمالهم ما يدل على انهم مستحقون للعقاب فقال الم تر
الم تنظر للتعجب فالهمزة للتقرير الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا انعم تعالى
على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم وغيره من النعم فكفروا ذلك فسلبت
عنهم وبقوا مسلوبي النعمة حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وقحطوا واسروا
وقتلوا فهم بدلوا نفس نعمته كفرا او بدلوا شكر نعمته كفرا بان وضعوه
مكانه ونعمة الله هو المفعول الثاني لانه هو الذي يدخل عليه حرف الجر
اى بنعمة الله فالمنصوب هو الحاصل والمجرور بالباء او المنصوب
على اسقاطها هو الذاهب نحو اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
اى بسيئاتهم قاله في البحر وحصى ان لا يتيسر واحلوا قومهم الذين اتبعوهم
دار البوار الهلاك جهنم بدل من دار البوار يصلونها اى يدخلونها
حال وبئس القرار المقر جهنم وعن علي بن ابي طالب وغيره انها نزلت
في قتلى بدر وقليب بدر دار بوارهم وعلى هذا جهنم منصوب بيصلون
المقدر والمذكور هو المفسر وجعلوا لله اندادا ليغتروا دوا الى كفر نعمته
ان صيروا له اندادا امثالا في عبادته ليضلوا الناس عن سبيله
عن دين الله والاضلال نتيجة الجعل ولما كان هذا نتيجته جعله كالغرض
نحو لدوا للموت وابنوا للخراب قل تمتعوا بدنياكم فان مصيركم الى النار
اى مرجعكم اليها والامر للتهديد فالمصير مصدر صار التامة بمعنى

رجع والى النار خبران ولما امر بان يقول للكافرين المشركين تمتعوا كان
النفس توجه الى ما يقال للمومنين الموحدين فقال قل لعبادي الذين
امنوا يقيموا اي ليقيموا فاللام مقدر كما هو مذهب الزجاج والكسائي
وجماعة من النحويين وهذا كانه اولى من تقدير اقيموا الصلوة وانفقوا او يقيموا
وينفقوا جواب الامر لقلة الحذف ولان قوله من قبل ان ياتي يناسب
الامر لا الجواب والفعل الغائب بعد قل واقع نحو قل لهم ان ينتهوا يغفر
لهم الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اي وقتي سر وعلانية فالنصب
على الظرفية او ينفقوا انفاقا سرا من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيشترى
ما تركه ولا خلال ولا مودة تنفعهم والمراد المودة الطبيعية فان مودة
التقوى نافعة ولما ذكر ان لا شي من البيع والخلال ينفع كان قائلا قال
فمن الحاكم قال الله الذي مبتدأ وخبر خلق السموات والارض وانزل
من السماء ماء من جانب السماء او من بحر تحت العرش كما قاله ابن عباس
فاخرج به بالماء من الثمرات رزقا لكم رزقا مفعول اخرج ومن للتبعيض
حال وجاز ان يكون من الثمرات مفعوله ورزقا مفعول له او حال او مصدر
فان معنى اخرج رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره ارادته وسخر
لكم لاجل انتفاعكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر ضياء ونورا وحسبانا
وغير ذلك من منافعهما دائبين جاريين دائما حال من الشمس والقمر
وسخر لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله واتيكم من كل
ما سالتموه اي اعطاكم بعض كل ما سالتموه اياه اي من شانه ان
يسال وينتفع به والضمير المتصل عائد الى ما الموصولة وان تعدوا نعمة
الله المراد من النعمة المنعم به وانه اسم جنس كانه قال وان تعدوا النعمة
لا تحصوها لا تطيقوا عدها فضلا عن القيام بشكرها ان الانسان اراد
جنسه لظلوم على النعمة بترك شكرها كفار لها قيل يشكر غير منعمه
فهو ظلوم يجحد المنعم فهو كفار وقيل ظلوم يشكو في شدة ويجزع كفار في
النعمة يجمع ويمنع ولما قال وان تعدوا نعمة الله الاية ذكرهم نعمة انعمها
عليهم وهم كفروا بها فقال واذ قال اي واذكرهم بايام الله اذ قال
ابرهيم رب اجعل هذا البلد اي مكة امنا ذا امن والظاهر ان الدعاء

حين صار

حين صار المكان بلدا واجنبني بعدني وبني اي ابناء صلبه ان نعبد
الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس كقوم نوح اسند
الى السبب نحو وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني في ديني فانه مني بعض
لفرط اختصاصه بي ومن عصاني فيه طباق معنوي لان التبعية طاعة
فانك غفور رحيم بعد ان تاب او من عصاني فيما دون الشرك
او المراد بيان قدرته وان لا يجب عليه شي ربنا لما ذكر الابناء قال ربنا
اني اسكنت من ذريتي بعضها وهو اسمعيل بواد غير ذي زرع روي ان
هاجر لما ولدت اسمعيل غارت منها سارة فروي انه ركب البراق هو
والطفل وامه فجاء الى مكة بيوم واحد من الشام فاقامهما ورجع من يومه
بوحي من الله فلما ولى دعا بهذا وليس في الوادي ماء وكانه طلب من
الله لهما الماء بقوله غير ذي زرع عند بيتك المحرم الذي في علمك حدوث
بيت فيه فان موضع البيت نحو جبل باتيه السيل وياخذ من يمينه وشماله
قال بعض هذا الدعاء بعد بناء البيت بعد الدعاء الاول بزمان وهو
الارجح كما يجي المرجح ربنا ليقيموا الصلوة اللام متعلق باسكنت وتوسيط
النداء للاشعار بانها الغرض من الاسكان والعبادة عند البيت هي المقصودة
بالذات فاجعل افئدة من الناس اي من افئدتهم تهوي اليهم تميل وتسرع
اليهم قال بعض السلف لو قال افئدة الناس لازدحم عليهم الناس من
مومن وكافر ولكن قال من الناس فاختص به المسلمون وارزقهم من الثمرات
لعلهم يشكرون نعمتك ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن فلا حاجة الى
الطلب لكنا نطلب اظهارا للعبودية وما يخفى على الله من شي من زيد
للشمول في الارض ولا في السماء ظرف مستقر صفة شي وجاز ان يكون لغوا
ليخفى وذلك من تتمة كلام ابرهيم الحمد لله الذي وهب لي على الكبر حال
من لي اي وانا كبير آيس من الولد اسمعيل قيل هو كان في تسع وتسعين
واسحق قيل هو في مائة واثنتي عشرة وهذا دليل على ان الدعاء بعد بناء
البيت فان الدعاء الاول في طفولية اسمعيل ولم يكن اسحق اللهم الا ان
يقال ان الدعاء والحمد في زمن مختلفة جمع الله جميعه وحكى عنه ان ربي
لسميع الدعاء لمجيبه من اضافة فعيل الى المفعول على ما ذهب اليه سيبويه

من اعمال فعيل الذى للمبالغة فى المفعول وخالفه جمهور البصريين رب
اجعلنى مقيم الصلوة محافظا عليها لا تفوت منى صلوة ومن ذريتى واجعل
منهم من يقيمها وهو عالم من الله ان بعضا من ذريته كافر ربنا وتقبل دعآء
فى جميع ما سالتك وهو عطف جملة على الجمل بتوسط ربنا للتضرع ربنا
اغفرلى ولوالدى كانت امه مؤمنة كما قيل ولم ييأس من ايمان والده ولم يتبين
له انه عدو لله وللمؤمنين يوم يقوم الحساب قيام الحساب مجاز عن ثبوته
نحو قامت الحرب على ساق ولما ذكر قريشا نعمة من نعم الله انعمها عليهم
وهم كفروا بها ولم يشكروها وتلك النعمة بناء جدهم الذى افتخروا به البيت
للتوحيد ودعائه من قوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام واتم حكايته رجع
الى ما كان فيه بحسن وجه حين وصل حكاية دعائه الى قوله يوم الحساب
فقال ولا تحسبن الله الخطاب لسامع يمكن فيه هذا الحسبان غافلا اذا اجل
المشركين عما يعمل الظالمون فيه تهديد شديد لهم انما يؤخرهم يؤخر عقوبتهم
ليوم تشخص فيه الابصار لا تقر الابصار فى اماكنها لهول ذلك اليوم مهطعين
مسرعين الى الحشر قال تعالى مهطعين الى الداع مقنعى رؤسهم رافعى
رؤسهم الى السمآء لا ينظر احد احدا لا يرتد اليهم طرفهم عيونهم مفتوحة ممدودة
من غير تحريك للاجفان لما هم فيه من الفكر والغم وافئدتهم فى ذلك اليوم
هوآء خالية عن الفهم خلآء عن العقل سكارى وما هم بسكارى يقال للبليد
قلبه هوآء اى لا رأى له او معناه كالهوآء فان الهوآء ابدا فى اضطراب
لا سكون له قيل مكان افئدتهم خال عن الافئدة قد خرجت عن اماكنها
فان القلوب لدى الحناجر قيل هذه الصفات الخمس لهم عند الحساب
لذكرها عقيب قوله يوم يقوم الحساب وانذر الناس يا محمد يوم
يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وليس بظرف وهو يوم القيمة فيقول
الذين ظلموا اشركوا من الناس ربنا اخرنا امهلنا الى اجل حد من الزمان
قريب سألوا الرد الى الدنيا بقوله ربنا اخرنا اى اخر حسابنا وعقابنا
ولا يبعد ان قولهم ربنا اخرنا عند سكرات موتهم ومعاينة امور الاخرة
ومن مات فقد قامت قيامته نجب دعوتك جواب للامر ونتبع الرسل
فيجابون حينئذ من الملائكة بقوله اولم تكونوا اقسمتم من قبل حلفتم فى الدنيا

مالكم من ز

مالكم من زوال جواب القسم اى اقسمتم انكم لا تنتقلون الى الاخرة و
لا معاد فقد قواو بالله قال تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت فمعناه مالكم من زوال من الارض بعد الموت وسكنتم
فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والعصيان سائرين سيرة من
قبلكم فى الظلم والفساد وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال
من حالهم فما تأملتم وما اعتبرتم وفاعل تبين ضمير لما دل الكلام عليه وهو
هذا من حالهم ولا يكون الفاعل كيف فعلنا لان كيف انما يأتى اسم استفهام
لا يعمل فيه ما قبله بل هو سؤال عن حال فى موضع نصب بفعلنا وقد مكروا
مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم الظاهر ان هذا اخبار من الله
لنبيه بما صدر عنهم فى الدنيا وانه ليس مقولا فى الاخرة وعند الله ثابت مكرهم
فهو مجازيهم من اضافة المصدر الى الفاعل كالاول وان كان مكرهم فى العظم
لتزول منه الجبال مهيا معدا لازالة الجبال ضرب زوال الجبال مثلا
لشدة المكر قال على بن ابى طالب فى الاية اشارة الى مكر نمرود فانه لما
جلس فى تابوت وربط قوائمه الاربع بنسور ومكر حتى طار الى جانب
السمآء بحيث غابت الارض عن نظره يريد محاربة اله السمآء فلما هبط الى
الارض فزعت الجبال من حفيف التابوت ظنا من قيام القيمة فكادت
تزول عن اماكنها وعن بعضهم معناه وما كان مكرهم لتزول منه شرايع
الله التى هى كالجبال الراسيات فى التمكن والثبات وقرا ابن مسعود وما
كان مكرهم ومن قرا بفتح لام لتزول ورفع الفعل فعنده ان مخففة واللام
هى المفارقة اى وانه كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وقرا
عمر وعلى وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله يا محمد مخلف وعده رسله كما قال
تعالى انا لننصر رسلنا ومخلف متعد الى مفعولين قال الفرآء وغيره
جازت اضافته الى ايهما شآء وهنا مضاف الى الثانى ولو اضاف
الى الاول لا وهم انه يجوز ان يخلف غير رسله وعده ولما قدم وعده اندفع
الوهم لدلالته على ان الاعتنآء بشان الوعد اتم وان الاخلاف انما يتحقق
فى الوعد لكونه وعدا لا لكونه مع الرسل قيل مخلف هنا متعد الى واحد
نحو لا يخلف الميعاد ونصب رسله بالوعد كانه قال مخلف ما وعد رسله

ان الله عزيز غالب غير مغلوب ذو انتقام لاوليائه يوم ظرف للانتقام
او تقديره اذكر مصائبهم يوم تبدل الارض غير الارض والسموات اي وتبدل
السموات غير السموات فتكون الارض من فضة والسمآء من ذهب كذا قاله
السلف وعن ابن عباس يمد الارض كما يمد الاديم ويزال عنها جبالها واكامها
واشجارها فتصير مستوية لاترى فيها عوجا ولا امتا وتبدل السموات بتكوير شمسها
وانتثار كواكبها وخسوف قمرها ولا يبعد ان الصواب قول خير الامة لان
الغرض من الاية التهويل والتخويف وارض الفضة ارض الجنة لا ارض يوم
القيمة والكلام في ارض القيمة ولهذا قال وبرزوا من قبورهم لله الواحد
القهار فيجازيهم ولا ناصر ولا استجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في
الاصفاد كل كافر مع شيطان في غل او بعض الكفار مع بعض او قرنت
ايديهم وارجلهم الى رقابهم والاصفاد الاغلال متعلق بمقرنين او
او حال من ضميره سرابيلهم قمصانهم من قطران ما يطلى به الابل الجربى فيحرق
الجرب والجلد بحره وحدته فيصير كيا ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال
النار وهو اسود منتن ومن قرا بكسر الرآء وتنوينها اي نحاس وآن هو المد
المتناهي حره اي قمصانهم من النحاس المذاب وتغشى وجوههم النار تعلو وجوههم وهي
اشرف موضع في ظاهر البدن النار كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على
الافئدة ليجزي الله متعلق بمحذوف يعني فعل ذلك بهم او متعلق بقوله برزوا وقوله وترى
المجرمين معترضة كل نفس من الكفار ما كسبت واذا كان ليجزي متعلقا ببرزوا فمعناه ليجزي كل
نفس من مومن وكافر ما كسبت من خير وشر ان الله سريع الحساب وليعلموا
انما هو اله واحد يستدلوا بالايات على وحدانيته وليذكر اولوا الالباب ذوا
العقول الخالصة فانهم هم الذين يجدي فيهم التذكر والحمد لله رب العالمين

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك اشارة الى ايات السورة ايات الكتاب
القران وقران مبين اي تلك ايات جامعة لكونها ايات كتاب كامل وقران مبين الاحكام
والامور اليقينية ومن الامور اليقينية وداتهم فقال ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين يودون حين موتهم وفي الترمذي والطبراني وابن ابي حاتم
انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك حين اجتمع بعض المذنبين من المومنين مع

فلا يشغله شيء عن شيء بهذا القران بلاغ
ليناس كفاية في الموعظة ولينذروا به
تقديره بلاغ لينصحوا به ولينذروا به
صح

الكفار في النار فيقول الكفار ما اغنى عنكم الاسلام فغضب الله على الكفار
واخرج المسلمين من النار وعلى هذا يكون المراد نهاية الودادة والندم على الكفر والا فلا شك
ان اصل الودادة واقع من حين موتهم وما كافة مهيئة لدخول رب على الفعل
والمترقب في اخبار الله كالماضي في تحققه فدخل رب عليه مع انه لا يدخل
او قلما يدخل على المضارع وفي انه يفيد التقليل او التكثير خلاف قال صاحب
البحران ذلك يفهم من سياق الكلام لا من وضع رب يقال ربما ندمت
ولا يقصد تقليله بل اريد ان لو كان الندم مشكوكا فيه او قليلا لحق ان يحترز
عما يحرك اليه فان العاقل يحترز من الغم المظنون كتحرزه من المتيقن ومن
القليل منه كما من الكثير وقيل هم في سكرة من القيمة فان حصلت افاقة في
بعض الاحيان تمنوا فلذلك قلل ولو بمعنى ان المصدرية مفعول يود اي
يودون كونهم مسلمين ومن لم يثبت ان لو حرف مصدري فيقول هذا حكاية
ودادتهم بلفظ الغيبة نحو حلف بالله ليفعلن ومفعول يود مقدر وهو
الاسلام وقيل لو شرطية جوابها مقدر اي لو كانوا مسلمين لنجوا بذلك
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم من غير هم وندم ويلههم الامل يشغلهم الامل
عن الاخذ من حظهم من الايمان فسوف يعلمون سوء عملهم وعاقبة امرهم
امر تهديد ووعيد وفيه اشارة بان غضب الله حل عليهم فلا ينفعهم النصح قال
الحسن ما اطال عبد الامل الا اسآء العمل واتفق السلف ان التمرغ في الدنيا من
اخلاق الهالكين ولما اوعدهم بهذا الوعد الشديد استبطأت بعض
النفوس حلول عذابهم فقال وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
اجل موقت مكتوب عند الله لا يهلكهم حتى يبلغوه قوله ولها كتاب جملة
حالية وقرية لاستغراقها في حكم المعرفة فوقعت ذا الحال ولا يجوز ان
يكون صفة لقرية والواو لتاكيد اللصوق لان النحاة باجمعهم على ان الا لا تعترض
بين الصفة والموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون لا يتاخرون
عنه انث الفعل والضمير في اجلها حملا على لفظ امة وجمع وذكر في
يستاخرون حملا على المعنى وحذف لفظة عنه لدلالة الكلام عليها ولما ثبت
لهم العذاب والانتقام عنهم في وقت ما بين من اعمالهم واقوالهم
ما بين استحقاقهم للعذاب فقال وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر من الله

في قال الزمخشري وتبعه فيه ابو البقاء بمنعه
ليس لهما لاحد وممن صرح
مجمع الاخفش وابو علي الفارسي قالا لا تفصل بين
الصفة والمصوف بالا ورد ابو حيان
قول الزمخشري
منهيه

قالوه على جهة الاستهزاء انك لمجنون نسبوا النبي الله بعد الاستهزاء لوما اي هلا
تاتينا بالملئكة للشهادة بصدقك ان كنت من الصادقين فاجاب الله
عنها بقوله ما ننزل الملئكة الا بالحق اي الا تنزيلا ملتبسا بالحق ذي المنافع التي ارادها
الله لعباده لا على اقتراح كافر معرض عن الحق وما كانوا اذا منظرين ثم ذكر
عادة الله من انها لم يات باية اقتراح الا وفي اثرها العقاب ان لم يؤمنوا
قيل مرادهم هلا تاتينا بالملائكة لعقابنا على التكذيب فاجاب الله ان
في حكمتنا ان لا نعجلهم بالهلاك ففي علمنا ان من ذريتهم من سبقت كلمتنا
له بالايمان واذا على الوجهين جواب وجزاء ولما قالوا يا ايها الذي نزل
عليه الذكر مستهزئين دل على انهم انكروا ان الله انزل الذكر فاثبته بوجوه
موكدة فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون عن التحريف والزيادة
والنقص فللقران مزية على سائر الكتب السماوية فان سائر الكتب غير محفوظ
ولذلك حرفوا التورية واخرجوا من التورية والانجيل مثل نعت محمد صلى
الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك رسلا في شيع فرق الاولين
وما ياتيهم حكاية حال ماضية فان ما لا يدخل عند الاكثرين الا على مضارع
بمعنى الحال او ماض قريب من الحال من رسول الا كانوا به يستهزؤن
وهذا التسلية لقلب نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك نسلكه ندخل الاستهزاء
والتكذيب في قلوب المجرمين لا يؤمنون به لا يحصل لهم الايمان بسبب الاستهزاء
قوله لا يؤمنون مستانفة او معناه مثل ذلك السلك نسلك الذكر في
قلوبهم مكذبا به فكلا الضميرين للذكر والباء صلة يؤمنون وقد خلت سنة
الاولين في تكذيبهم رسلهم او في اهلاكهم حين استهزؤا بهم ولما قال نسلكه
في قلوبهم علم انهم في الكفر راسخون لا ينصرفون عنه بحال فاثبت هذا المعنى
بقوله ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المشركين الذين سلكنا الكفر في قلوبهم بابا من
السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون فينظرون الى ملكوت الله وذكر الظلول
ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون لقالوا من غلوهم في
العناد انما سكرت ابصارنا اغشيت وسدت بالسحر من سكر
النهر سده والسكر بكسر السين الاسم والتشديد للتكثير نحو مفتحة لهم الابواب
بل نحن قوم مسحورون او لا قالوا سكرت ابصارنا لا عقولنا فنحن نعلم

بعقولنا

بعقولنا ان الحال بخلاف ما تتخايل ابصارنا ثم اضربوا عن الحصر في الابصار
وقالوا بل جاوز ذلك الى عقولنا بسحر سحرنا محمد وقيل معناه ظل الملئكة
في باب فتحناه يصعدون والكفار ينظرون ذلك وقيل في سكرت
ابصارنا حيرت كما يتحير السكران فعلى هذا التشديد للتعدية ولما قال
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء اي نحدث لهم في السماء امرا بديعا لما كانوا
برؤيته يؤمنون ثم بين ان في السماء والارض ما هو ابدع وهم معرضون
عنه فقال ولقد جعلنا اي خلقنا فلا يطلب الا مفعولا واحدا في السماء
بروجا قيل هي اثنا عشر منازل الشمس والقمر وزيناها للناظرين اي زينا
السماء بالنجوم لمن نظر اليها وحفظناها اي السماء من كل شيطان رجيم
فلا يقدر ان يطلع عليه كما قال وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا
شديدا او شهبا الا من استرق السمع الاستراق الاختلاس سرا والاستثناء
منصوب متصل من كل شيطان لا بدل من كل شيطان فانه في كلام
موجب ولا يحتاج الى التاويل وقيل منقطع لقوله فاتبعه لحقه شهاب
شعلة نار ساطعة مبين ظاهر لمن له عين فان السماء محفوظة عنهم ايضا
فلا يصدق الاستثناء المتصل وفي الحديث كما في البخاري ان الشياطين
يركب بعضهم فوق بعض الى السماء الدنيا يسترق السمع من الملك فيسمع
كلمة فالقيها الى من تحته حتى القيها على لسان الساحر والكاهن فربما ادرك
الشهاب قبل الالقاء وربما القي قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة
فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت
من السماء والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت
وانبتنا فيها في الارض من كل شيء موزون اي من كل ما يحتاجون اليه بقدر
بمقدار معين وجعلنا لكم فيها في الارض معايش ما تعيشون به من
المطاعم والملابس والمشارب ومن لستم له برازقين عطف على الضمير
في لكم وحسن العطف للفصل بينهما بقوله فيها معايش والمراد الخدم والعيال
ويدخل فيه ما لا يعقل من الدواب بحكم التغليب وقد سبق في ظنهم انهم
هم الرازقون لهم وجاز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار عند
الكوفيين ويونس والاخفش وقيل من عطف على معايش اي جعلنا في الارض

من رزقه على الله ونفعه لكم وقيل من مبتدأ وخبره محذوف لدلالة المعنى
عليه يعني ومن لستم له برازقين كذلك اي جعلنا فيها له معايش وان
من شيء ما من شيء الا عندنا خزائنه ضرب الخزائن مثلا للاقتدار على كل مقدور
وفي حديث رواه الحافظ البزار ان خزائن الله كلامه اذا اراد شيئا
قال له كن فكان وعند كثير من السلف ان الخزائن على حقيقتها وهي التي
يحفظ فيها الاشياء فان للريح مكانا وكذا للمطر ولكل مكان ملك وحفظة
فاذا امر الله باخراج شيء منه اخرجته الحفظة بقدر ما امر به الله وفي الاحاديث
الصحاح ما يدل على صحة ما قال وما ننزله الا بقدر معلوم تعلقت به مشيئتنا
وارسلنا الرياح لواقح جمع لاقح واللواقح الحوامل شبه الريح اذا جاءت
بخير من سحاب ماطر بالحامل كما في عكسه يقال ريح عقيم وقيل بمعنى الملاقح
نحو طوائح اي المطاوح جمع مطيحة حذفت الميم وردت الى الاصل الثلاثي
بمعنى ملاقح للسحاب والشجر يقال القحها الفحل اذا القى عليها الماء فحملته وعن
كثير من السلف كابن مسعود وابن عباس وغيرهما ان الله يرسل الريح فيحمل
الماء من السماء ثم يجري في السحاب حتى تدر كما تدر اللقحة فانزلنا من السماء ماء
فاسقيناكموه جعلنا لكم سقيا نصيبا من الماء وما انتم له بخازنين حافظين
بل نحن نحفظه عليكم في الآبار والعيون كما قال ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن
يأتيكم بماء معين او معناه نحن ننزل المطر وهو في خزائننا لا في خزائنكم وانا
لنحن نحيي ونميت مثل ما نحيي الارض بالماء ونحن الوارثون الباقون بعد
فناء الملائك ولقد علمنا المستقدمين منكم من هلك من لدن آدم ولقد
علمنا المستأخرين كل من هو حي ومن سيأتي الى آخر الدنيا وان ربك
من باب الالتفات تنبيها على ان المتصف بتلك الافعال السابقة هو ربك
الناظر في مصلحتك هو يحشرهم يحشر الجميع للجزاء انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع
العلم ولما نبه على منتهى الخلق وهو الحشر انبأهم مبدأ اصلهم وما جرى بعده لابليس
ليحذرهم من كيده فانه هو الذي اخرج اصلكم من محل الراحة الى مقر التكليف
والتعب فقال ولقد خلقنا الانسان اي آدم او المراد الجنس بان اصله
منه من صلصال طين يابس يصوت اذا نقر او من طين منتن من صل
اللحم انتن وهو كزلزال في انه رباعي الا ان اصله صلل من حمأ كائن من طين

اسود

اسود مسنون املس او مصبوب كالجواهر المذابة تصب في القوالب
والجان اي ابليس وهو ابو الشياطين او ابو الجن مطلقا او المراد
الجنس كما في الانسان منصوب بفعل يفسره قوله خلقناه من قبل

من قبل خلق آدم صح

قيل هو عطف على الانسان وقوله خلقناه مستأنفة تبين وقت خلقه
وانه من اي شيء من نار السموم نار الحر الشديد او من نار لا دخان لها
واذ قال ربك اي واذكر قصة اذ قال للملائكة اني خالق بشرا من صلصال
من حمأ مسنون فاذا سويته عدلت صورته واتممت خلقته ونفخت فيه
من روحي الاضافة للتشريف والنفخ تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه فقعوا
له اي اسقطوا على الارض له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون قدم
في سورة البقرة ان المامورين بالسجود الملائكة الارضيين او الجميع الا ابليس
الظاهر انه من الملك وقد مر ابى ان يكون مع الساجدين الاستثناء
منقطع او متصل وجملة ابى حينئذ مستأنفة قال يا ابليس ما لك اي غرض

عند من يكون هو من الملائكة فالامر ظاهر
فاذا لم يكن منهم فهو من عدادهم ومعهم منهم

لك ان لا تكون اي في ان لا تكون وهو ظرف لمتعلق الخبر مع الساجدين
قال لم اكن لاسجد لا يصح مني ولا يمكن واللام لتأكيد النفي لبشر خلقته من
صلصال من حمأ مسنون استكبر واستعظم نفسه قال فاخرج منها
من منزلتك التي انت فيها من الملأ الاعلى او من منزلك التي هي الجنة
فانك رجيم مطرود من الخير وان عليك اللعنة الى يوم الدين يعني
ان تلك اللعنة متصلة بك لا تفارقك الى يوم القيمة وهذا ابعد غاية
يضربها الناس لانه انتهت اللعنة حينئذ قال رب فانظرني امهلني
واخر اجلي الى يوم يبعثون آخر الدنيا قال فانك من المنظرين الى يوم
الوقت المعلوم امهله الله استدراجا وامتحانا للخلق قيل سأل الامهال
الى يوم البعث فاراد ان لا يموت فلم يجب الى ذلك وامهل الى
يوم الوقت المعلوم وهو آخر ايام التكليف فهو ميت بين النفختين ولهذا
لم يقل في جوابه فانك من المنظرين الى يوم يبعثون ولا يبعد ان يقال
ان يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم واحد وتغيير الكلام
للتفنن لانه قد مر في سورة الاعراف انه قال فانظرني الى يوم يبعثون
قال انك من المنظرين فانه يدل على الاجابة والملعون عالم بان لا يسال

ما لا يجاب عنه قال رب بما اغويتني اي اقسم باغوائك اياي اقسم
بفعل الله لازينن المعاصي لهم لذرية آدم والمرجع يفهم من الكلام قال
في الاية الاخرى لاحتنكن ذريته الا قليلا في الارض او معناه رب والله
لازينن لهم في الارض بسبب غوايتك اياي فالباء السببية والقسم
محذوف واللام هو الموطئة وعلى الاول الباء للقسم واللام جواب
ولاغوينهم اجمعين احملنهم على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الا عبادك
الموصوفين بالاخلاص في طاعتك حال كونهم من اولاد آدم فمنهم حال
من ضمير المخلصين وهو صفة عبادك قال الله هذا صراط علي مستقيم
اشارة الى قول ابليس اي هذا هو الذي حكمت به وقدرت على عبادي وهو
حق علي مستقيم قال الله ولكن حق القول مني الاية او المراد ان الاخلاص
طريق علي من غير اعوجاج يؤدي الى الوصول الى كرامتي ولقائي او الاشارة
الى ما دل عليه الاستثناء اي تخلصهم طريق حق علي ان اراعيه لا انحراف
عنه او هو تهديد كما تقول لخصمك طريقك علي اي لا يمكن لك التفلت مني
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اي ان عبادي المخلصين ليس لك
عليهم سلطان فقوله الا من اتبعك من الغاوين استثناء منقطع اي
لكن من اتبعك هو من الغاوين او الاستثناء متصل والمراد من العباد
العموم ويكون كالتصديق لقول ابليس انما سلطانه على الذين يتولونه
والذين هم به يؤمنون او معناه ليس لك حجة وتسلط على عبد من
عبادي فمن اين لك الاختيار في غوايتهم لكن من اتبعك هو من الغاوين
وان جهنم لموعدهم اجمعين اي موعد الغاوين واجمعين تاكيد للضمير
لها سبعة ابواب يعني هي سبع منازل لكل منزل باب وبعضها فوق
بعض لكل باب منهم جزء مقسوم لا يدخل فيها من بابها الا جزء من اتباع
الشيطان افرز له كما ورد ان المنافقين في الدرك الاسفل ومنهم حال من
ضمير لكل يعني من ضمير استقل من متعلقه اليه لا من ضمير مقسوم فان الصفة
لا تعمل فيما تقدم موصوفه ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها اي يقال
لهم ادخلوها بسلام يسلم بعضهم بعضا وقيل سلما عليكم يعني الملئكة يسلمون
عليهم امنين من المكاره او معناه سالمين في انفسكم امنين عن غيركم

ونزعنا ما في صدورهم من غل حسد وحقد كان لهم في الدنيا اخوانا في المودة
الاولى نصبه بمقدر هو غاية الكلام السابق اي صاروا اخوانا فان فائدة
نزع الغل عن صدورهم هي ان يصيروا اخوانا قيل حال فان معنى نزعنا
جعلناهم متحابين او حال من ضمير آمنين ونزعنا حال ايضا بتقدير قد
على سرر متقابلين متواجهين هما صفتان او حالان لا يمسهم فيها
نصب تعب وما هم منها بمخرجين لا يزول عنهم النعم ولما تقدم ذكر ما في
النار وما في الجنة وهو للمتقين كما قال ان المتقين في جنات وقد علم ان
الموصوفين بالتقوى كان بعضهم في الدنيا صواحب مثل حقد وحسد
وهو مناف للتقوى رفع الياس والتنافي بقوله نبئ عبادي اني انا
الغفور الرحيم فمن اتقى عن الشرك ووقع في سوء بجهالة فاني ارحمه واغفر له
وان عذابي هو العذاب الاليم لم يقل من جهة المقابلة واني انا المعذب
المولم ليعلم ان جهة العفو والرحمة ارجح ولله الحمد وقد نقل ابن جرير وابن
ابي حاتم انه صلى الله عليه وسلم خرج يوما على اصحابه وهم يضحكون فقال
اتضحكون وبين ايديكم النار فنزل جبريل بتلك الاية وقال يقول لك
ربك لم تقنط عبادي ونبئهم عن ضيف ابرهيم ليتحقق ان رحمته واسعة
وعذابه اليم ذكر العرب باحوال من يعرفونه ممن عصى وكذب الرسل
فحل بهم عذاب الدنيا قبل عذاب الاخرة ليعتبروا فبدا بذكر جدهم
الاعلى وما جرى لقوم ابن اخيه لوط ثم وثم والضيف اصله المصدر والافصح
ان لا يثنى ولا يجمع ولا حاجة الى تكلف اضمار اصحاب ضيف اذ دخلوا
عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال ابرهيم انا منكم وجلون
بعد ما اجاب سلامهم قال انا خائفون لانهم دخلوا بغير اذن وما اكلوا
طعامه حين جاءهم بعجل سمين وفي سورة هود فاوجس في نفسه خيفة
فيمكن ان التصريح بالخيفة بعد الايجاس ويحتمل ان القول هنا مجاز بانه
ظهرت عليه مخائل الخوف حتى صار كانه قائل به قالوا لا توجل انا نبشرك
بغلام عليم استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل وهو اسحق قال
ابشرتموني بالولد على ان مخففة من المثقلة وهو في موضع الحال مسني
الكبر والولد في هذا الحال كالمحال فبم تبشرون باي شيء تبشروني والبشارة

بمثل هذا بشارة بغير شئ قالوا بشرناك بالحق بالصدق الواقع
فلا تكن من القانطين من الايسين عما يمكن من رحمة قال ابرهيم
ومن يقنط من رحمة ربه من استفهامية انكارية فلهذا جاء بقوله
الا الضالون كانه قال لم استنكر ذلك قنوطا بل استبعادا عاديا قال
فما خطبكم ما شانكم وغرضكم ايها المرسلون فانه علم ان البشارة لا تحتاج
الى جمع فلا بد لهم من امر عظيم قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين قوم لوط
الا ال لوط الاولى ان يكون استثناء منقطعا واجب النصب وقوله انا
لمنجوهم اجمعين في موقع خبر لكن اي لكن ال لوط نجون الا امراته استثناء
من ضمير لمنجوهم قدرنا انها لمن الغابرين الباقين من الكفرة لتهلك
معهم والظاهر ان هذا من كلام الملئكة واسناد التقدير الى انفسهم
لما لهم من القرب من الله وانما علق قدرنا ولم يقل قدرنا انها مع ان التعليق
من خواص افعال القلوب لتضمن التقدير معنى العلم فلما جاء ال لوط
المرسلون قال لوط لهم انكم قوم منكرون لا اعرفكم او تنكركم نفسي وتنفر
منكم مخافة شركم قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك
لتعرفنا او لشرك بل جئناك بما يسرك وهو ما اوعدت به اعداءك
من العذاب فيشكون فيه ولا يصدقونك واتيناك بالحق باليقين
من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك فاسر باهلك اذهبهم في
الليل فان الاسراء الذهاب في الليل بقطع من الليل في طائفة منه وقيل
القطع اخر الليل واتبع ادبارهم سر خلفهم لتطلع على احوالهم فلا يتخلف
منهم احد ولا يلتفت منكم احد الى ما وراءه اذا سمعتم الصيحة بالقوم
وذروهم نهوا عن الالتفات لئلا يروا عذابهم فيرقوا ويرحموا او هو
كناية عن مواصلة السير وترك التواني لان الالتفات لا بد له من
ادنى توقف ويدل على ذلك قوله وامضوا حيث تؤمرون عدى
الى الظرف المبهم على الاتساع وكذلك تؤمرون الى ضميره المحذوف
وقضينا اليه عدي بالى لتضمين معنى اوحينا ذلك الامر اشار الى ما وعد
من هلاك اعدائه ان دابر هولاء مقطوع اي هم مستاصلون عن
اخرهم لا يبقى منهم نفس والجملة بدل من ذلك الامر مصبحين داخلين

وجاز ان يكون متصلا من ضمير المجرمين
اي الى قوم اجرموا كلهم الا ال
لوط منهم

في الصبح

في الصبح حال من ضمير مقطوع والجمع للمعنى وجاء اهل المدينة قرية اهل لوط
اسمها سدوم يستبشرون يفرحون باضياف لوط طمعا في ركوب
الفاحشة منهم قال لوط ان هولاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي
واعلم ان قول الملئكة بل جئناك بما كانوا متاخر عن مجئ اهل المدينة
ومقاولته لهم الا ترى الى قولهم انا رسل ربك لن يصلوا اليك وانما
جئ به على هذا النسق لدلالة كل على امر مستقل يصلح ان نساق له القصة
الاول تفريج الهم عن الصابرين ونصرة الله اياهم وانتقامه عن اعدائهم
والثاني في ذكر مساوي الامم وسوء الاحدوثة عنهم وقد جاء ذلك مرتبا
في سورة هود واتقوا الله في تلك الفاحشة ولا تخزون لا تخجلوني
فيهم من الخزاية وهي الحياء وجاز ان يكون من الخزي وهو الاذلال قالوا
اولم ننهك عن العالمين عن ضيافة احد او عن ان تجير احدا او عن ان
تدفع بيننا وبينهم وهذا دليل على انه كان يقوم بالنهي عن المنكر فاوعدوه
قال هولاء بناتي تزوجوهن قيل هم طلبوا منه البنات لان يتزوجوا
قبل ذلك وابى وعن كثير من السلف ان المراد من البنات نساء
القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم ان كنتم فاعلين لا محالة قضاء وطركم
فعليكم بمجال المباشرة دون المنكر القبيح لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
اي لعمرك قسمي انهم لفي حيرتهم وغوايتهم يتحيرون فاللام للابتداء والعمر
بفتح العين وضمها البقاء والزموا الفتح في القسم لانه اخف وهو
مبتدا المحذوف الخبر وجملة انهم جواب القسم فقيل الخطاب من الملئكة
للوط وكثير من السلف انه خطاب من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد
وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد غيره وعلى هذا الفعل المضارع
لاستحضار عمههم فاخذتهم الصيحة مشرقين مصبحتهم حال كونهم
داخلين في وقت طلوع الشمس قيل كان اول عذابهم عند طلوع
الفجر وامتد الى طلوع الشمس فجعلنا عاليها اي المدينة سافلها
صارت منقلبة وامطرنا عليهم حجارة قبل التقليب او معه او بعد التقليب
للمتوطنين والحجارة لما فرهم من سجيل من حجر وطين وقد مر في

فى سورة هود ان فى ذلك لايات للمتوسمين للمتفرسين من توسمت
فيه كذا اذا عرفت وسم ذلك وسمته فيه وانها اى تلك المدينة لبسبيل
مقيم طريق ثابت يسلكه الناس ولم تندرس اثارهم وهو تنبيه لقريش
ان فى ذلك اى فيما صنعنا بهم لاية للمؤمنين بالله ورسوله فيعرفون
ان ذلك انتقام لاوليائه من اعدائه وان كان مخففة من المثقلة عند
البصريين واما عند الفرآء فنافية واللام فى قوله اصحاب الايكة لظالمين بمعنى
الا والايكة الشجر الملتف وهم قوم شعيب وظلمهم الشرك وقطع الطريق ونقص
المكيال والميزان وكانوا قريبا من قوم لوط بعدهم فى الزمان مسامتين فى
المكان فانتقمنا منهم بعذاب الظلة والرجفة والصيحة كما سيجى فى سورة
الشعرآء وانهما مدينة لوط واصحاب الايكة فانهما مرسل اليهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام
اسم ما يؤتم به فسمى به الطريق والجبل الذى يقدر به البناء واللوح الذى يكتب فيه وقيل وانهما
اى لوطا وشعيبا ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قرية بين المدينة
والشام كانت مسكن ثمود قوم صالح هم كذبوا صالحا ومن كذب نبيا فقد كذب
الرسل باجمعهم واتيناهم اياتنا كالناقة فان فيها ايات فكانوا عنها معرضين
لم يستدلوا بها على صدق نبيهم وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الهدم
او امنين من عذاب الله لايخطر ببالهم زوال نعمتهم وسلامتهم فاخذتهم
الصيحة مصبحين داخلين فى الصباح فما اغنى عنهم ما دفع عنهم ما كانوا يكسبون من
البيوت الوثيقة والخدم والاموال ولما ذكر قصص الامم السالفة ليتعظ بها
المشركون فيؤمنوا بالقيمة والبعث عقبه بما يدل على البعث فقال وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق ليجزى الذين
اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى وان الساعة لاتية فيجازى
المسئ باسائته فاصفح الصفح الجميل اى عامل المشركين معاملة الحليم الصفوح فانه
واصل اليهم ما يستحقونه فى الساعة الاتية وهذا قبل الامر بالمقاتلة فان السورة مكية
والامر بها بعد المهاجرة وفى الاحياء عن على بن ابى طالب انه صلى الله عليه
وسلم لما نزل قال يا جبريل ما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلم فلا تعاتبه
فقال يا جبريل ان الله اكرم ان يعاتب من عفا عنه فبكيا فنزل ميكائيل
وقال ان ربكما يقرأ عليكما السلام ويقول كيف اعاتب من عفوت هذا

ما لايشبه كرم

ما لايشبه كرم ان ربك هو الخلاق العليم خالق كل شئ عالم بكل حال
فيبعث من مات ويجزيه بعمله وكيف لا اكون خلاقا عليما ولقد اتيناك
سبعا من المثانى والقران العظيم ولا يمكن اعطاء مثله الا لمن له قدرة
تامة وعلم واسع والسبع الطوال من البقرة الى الاعراف ثم يونس نص
على ذلك ابن عباس وابن عمر وكثير من السلف قال ابن عباس اوتى
نبينا السبع الطول واعطى موسى ستا فلما القى الالواح رفعت ثنتان وبقى
اربع وقيل من البقرة الى برآءة على ان الانفال وبرآءة سورة واحدة
او المراد من السبع فاتحة الكتاب وفى البخارى قال النبى صلى الله عليه وسلم
ام القران هى السبع المثانى والقران العظيم قال ابو العالية لقد نزلت
هذه السورة وما كان السبع الطول منزلا والمثانى بيان للسبع لان
الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر ثنيت فى تلك السور ولان
الفاتحة تثنى فى كل صلوة فيقرأ فى كل ركعة او لان المثانى من الثناء جمع مثنى
بضم الميم مفعل من اثنى رباعيا واما القران العظيم ان اريد به جميع القران
فانه يطلق على كله وبعضه فمن عطف الكل على البعض وان اريد الفاتحة
كما دل عليه حديث البخارى فمن عطف احد الوصفين على الاخر وعن بعض
ان المراد من السبع اسباع القران فان القران كله مثانى لان الانباء
والقصص ثنيت فيه لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب
متمن الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار يعنى استغن بما
اتيناك من القران فان فيه الدنيا والاخرة عما فى ايديهم من زهرة الدنيا
الفانية ولا تحزن عليهم ان لم يؤمنوا وقال محيى السنة لا تحزن على ما فاتك
من مشاركتهم فى الدنيا ونقل صاحب البحر عن الحسين بن الفضل ان سبع
قوافل وافت من بصرى فى يوم واحد ليهود فيها انواع من متاع الدنيا
فقال المسلمون ليت لنا هذه فلو كانت لنا لتقوينا بها وننفقها فى سبيل
الله فانزل الله الاية وقال اعطيتم سبع ايات هى خير لكم من هذه السبع
القوافل لا تمدن عينيك فالمراد من الخطاب اصحابه واخفض جناحك
للمؤمنين كناية عن التلطف والرفق واصله ان الطائر اذا ضم الفرخ
اليه بسط جناحه له ثم قبضه على فرخه يعنى تواضع لمن معك من المؤمنين

وطب نفسا عن ايمان من متعناهم في الحيوة الدنيا وقل اني انا النذير المبين
اي وقل لهم اني انذركم بعذاب الله كما انزلنا على المقتسمين اي انذرهم
عذابا مثل عذاب انزلنا على المقتسمين وهم الذين تقاسموا بالله لنبيتنه
واهله يعني تحالفوا على مخالفة الانبياء واذاهم الذين جعلوا القران عضين
عضوه وفرقوه وقالوا بعضه الذي هو موافق للتورية حق وبعضه الذي
هو مخالف باطل وفسر المقتسمين بالذين جعلوا القران عضين حينئذ باعتبار
ان هولاء اجدادهم واسلافهم وهم ذرياتهم وتبعهم او المراد من القران كتبهم
السماوية فانهم امنوا ببعض وكفروا ببعض والقران يطلق على الكل و
ولم يجز ان يكون كما انزلنا صفة لمفعول النذير اي انا النذير المبين عذابا
مثل عذاب انزلناه بل هو صفة مفعول فعل محذوف كما قدرناه لان
قوله كما انزلنا من قول الله ليس هو مما يقوله محمد عليه الصلوة والسلام
وايضا اتفاق البصريين على عدم جواز الفصل بين العامل والمعمول
بصفة نحو هو عليم شجاع علم النحو فلم يجوزوا ان يكون كما صفة من غير تقدير
فعل او معناه اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الايمان ويجزؤن
القران يقولون سحر ويقولون اساطير الاولين او اقتسموا القران بانه سحر
وبانه اساطير الاولين وعلى هذا قوله الذين جعلوا مبين للمقتسمين وعلى هذين
الوجهين جعل العذاب المتوقع بمنزلة الواقع فيكون من الاعجاز لان السورة
مكية وما نزل بهولاء انهم ماتوا وقتلوا شر ميتة وقتلة بعد الهجرة بمدة ويكون
المقتسمين من القسمة لا من القسم وقيل كما انزلنا متعلق بقوله ولقد اتيناك
سبعا اي انزلنا عليك سبعا كما انزلنا على المقتسمين وهم اليهود وقوله
ولا تمدن عينيك الاية معترضة واما قول المفسرين ان قريشا استهزؤا
واقتسموا فمن قائل البقرة لي ومن قائل البعوض لي ومن قائل الذباب لي
ومن قائل النمل لي ومن قائل العنكبوت لي ومن قائل الانعام لي ففيه اشكال
فان بعض هذه السور مثل سورة البقرة وغيرها مدنية والسورة مكية فوربك
لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون اي عن لمية ما عملوا من التحالف والاقتسام
او عن جميع اعمالهم فهو سؤال توبيخ فاصدع اي اظهر بما تؤمر اي بالذي
تؤمر به من الشرايع ولا تخف ولهذا قيل ما زال صلى الله عليه وسلم

مستخفيا

مستخفيا حتى نزلت فخرج هو واصحابه واعرض عن المشركين لا تلتفت اليهم
انا كفيناك المستهزئين بك وبكلام الله فان عظماءهم خمسة نفر من
قريش ماتوا باقرب زمان على مصائب مختلفة الذين يجعلون مع الله
الها اخر فسوف يعلمون ما اعد لهم ولقد نعلم انك يضيق صدرك
كنى عن القلب بالصدر لانه محله بما يقولون مما يوذيك فسبح بحمد ربك
فاشتغل بتسبيح من رباك وحمده وتوكل عليه وكن من الساجدين
المصلين او الخاضعين غاية واعبد ربك حتى ياتيك اليقين
اي الموت المتيقن لحاقه نحو وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين

سورة النحل مكية غير ثلث ايات في اخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله اي القيامة انزلها بمنزلة الواقع في
تحققه او المراد علاماتها او المراد العذاب الذي وعده بنبيه في من خالفه
فلا تستعجلوه اي امر الله فان الاستعجال في الامر الوخيم من الجهالة
سبحانه وتعالى عما يشركون ما مصدرية او موصولة بحذف مضاف
اي عن مشاركة ما يشركونه اتصلت براءته عما يشركون باستعجالهم
لانه تكذيب واستهزاء وما ذلك الا من شركهم ولما نزه ذاته الاقدس
عن الشريك شرع يصف نفسه بصفات الكمال من الامر والخلق فبدأ
بالامر لانه اقدم واعلى وكان ما يشركون لا تصرف له اصلا قال ينزل
الله سبحانه الملئكة بالروح بالوحي الذي هو بمنزلة الروح في الجسد
من امره من اجل امر الله على من يشاء من عباده بحسب ما تقتضي حكمته
ان انذروا اي بان انذروا او اعلموا بدل من الروح وجاز ان يكون ان
مفسرة فان الروح بمعنى الوحي دال على القول انه ان الشان لا اله
الا انا فاتقون عقوبتي على من عبد غيري رجع الى مخاطبتهم بقوله فاتقون
بما هو المقصود خلق السموات والارض بالحق اي ملتبسا به ليجزي كل نفس
بما كسبت تعالى عما يشركون نزه نفسه عن مشاركة غيره فانه هو الخالق
للاجسام وحده ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق خلق الانسان
اي جنسه من نطفة فاذا هو حين استقل خصيم مبين يخاصم ربه ويكذب
رسله ظاهر الخصومة والانعام نصب بما اضمر عامله وهي الابل والبقر والغنم

خلقها لكم او عطف على الانسان وقوله خلقها حينئذ مستانفة تبين ما خلق
لاجله فيها دفء ما يدفأ به من البرد فان من اشعارها بيوتا ولباسا وملاحف
ولكم متعلق بخلق ودفء مبتدأ وفيها خبره وجاز تنكيره لانه في معرض التفصيل
او لكم خبر دفء وفيها متعلق بمتعلق لكم ومنافع بالنسل والدر والركوب
وغير ذلك ومنها تأكلون قدم منها للمحافظة على رؤس الآي قيل كل ما تأكلون
منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب منها وتستقون من البقر والابل وتكسبون
بكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها اي في الانعام
سيما في الجمال جمال زينة حين تريحون تردونها بالعشي من مراعيها الى مراحها
وحين تسرحون حين تخرجونها الى المرعى بالغداة قدم الاول لان الزينة اذا
اقبلت ملأى البطون ممتلئة الضروع اظهر وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا
بالغيه ان لم تكن الانعام الا بشق الانفس بكلفة ومشقة للانفس
ان ربكم لرءوف رحيم فيسر ولم يعسر الامور والخيل عطف على الانعام والبغال
والحمير لتركبوها وزينة نصب زينة بانه عطف على لتركبوها كلاهما مفعول له
ولم يقل ولتتزينوا بها ليعلم ان المقصود من الخلق الركوب واما التزين بها فحاصل
بالعرض والزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله فلا يجوز حذف اللام
في الاول قيل تقديره ولتتزينوا بها زينة ويخلق ما لا تعلمون اي ويخلق لكم
ما لم يحط به علمكم وعلى الله قصد السبيل اوجب على نفسه بفضله ولطفه
بيان مستقيم الطريق وهدايته انتم والحمل من خلق ما خلق للمنافع يقال
سبيل قصد وقاصد اذا كان مستقيما كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك
لا يعدل عنه ومنها جائر وبعض السبيل مائل عن الحق وتغيير النظم حيث لم يقل
وعلى الله جائر لانه ليس يحق على الله ان يبين طرق الضلال ولو شاء
لهداكم اجمعين الى قصد السبيل قيل ضمير منها عائد الى الخلائق ويؤيده
قراءة ومنكم جائر وفي مصحف عبد الله فمنكم جائر بالفاء ولما امتن عليهم
بايجادهم بعد العدم وايجاد ما ينتفعون به امتن عليهم بما هو قوام حياتهم وحياة
كل حيوان وما يتولد ويحصل منه من الزرع والضرع فقال هو الذي انزل
من السماء ماء لكم صفة ماء او متعلق بانزل منه شراب مبتدأ وخبر اي
كل مشروب منه فمياه العيون والابار مما انزل من السماء ومنه شجر لولا

الماء

الماء لا يكون الشجر فيه تسيمون اي في جنس الشجر ترعون انعامكم وتقديم فيه رعاية
الفواصل اسام الماشية جعلها ترعى وسامت رعت حيث شاءت
تنبت لكم به بسبب الماء مستانفة الزرع الذي فيه قوت اكثر العالم
والزيتون فيه الاستصباح والايتدام والاطلاء والنخيل فاكهة وقوت
والاعناب ايضا فيه قوت وهو فاكهة ومن كل الثمرات قيل كل الثمرات
لا يكون الا في الجنة وفي الارض بعض منها للتذكرة وفي قوله ومن كل
الثمرات اشارة الى ان تفصيلها لا يكاد يحصر كما ان تفصيل ما خلق كذلك
ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون اي آية على وجوده وكمال علمه وقدرته
وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي هيأها
لمنافعكم حال كون الكل مسخرات تحت قدرة الله وسلطانه ولا يلزم
تقييد الشيء بنفسه فان التسخير لهم نفع خاص ان في ذلك لايات لقوم
يعقلون جمع الايات هنا وافرد في الاول لان الاستدلال بانبات
الماء واحد وان كثرت انواع النبات والاستدلال هنا متعدد وجعل
العقل هنا والفكر هنالك لان ادراك دلالات العلويات ظاهرة
بخلاف الانبات فان النظر في ذلك يحتاج الى فضل تأمل فان الحبة الواحدة
اذا مرت عليها ايام في الارض لحقها من نداوة الارض ينشق اعلاها
فيصعد منه شجرة الى الهواء ويغوص اسفلها في عمق الارض ثم ينمو ثم يخرج
الاوراق والاغصان والازهار والثمار المشتملة على طباع مختلفة وطعوم
والوان وروايح واشكال وكل ذلك بتقدير قادر مختار وما ذرأ لكم اي
خلق عطف على الليل في الارض من الحيوان والجماد مختلفا الوانه اشكاله
ان في ذلك لاية لقوم يذكرون افرد اية ليكون مطابقا لما ذرأ وان كان
ما صدقاته كثيرا وقال يذكرون كان علمهم بذلك سابق طرأ عليه النسيان
فتذكرهم باعتبار ما نسوا من الدلالة وهو الذي سخر البحر جعله بحيث يمكن
لهم الانتفاع لتأكلوا منه اي مما فيه لحما طريا من اصناف السمك وتستخرجوا
منه حلية اللؤلؤ والمرجان تلبسونها النساء من جملتهم ولبس النساء لاجل
الرجال وترى الفلك مواخر فيه شق الماء بصدرها او صوت جري الفلك
بالرياح فيه لتحمل الامتعة والاقوات وبالركوب ولتبتغوا من فضله

فلا يلزم اذا كانت مسخرات
حالا تقييد الشي بنفسه
منه

اى سعة رزقه الا ظهر انه عطف على لتاكلوا وقوله وترى الفلك مواخر فيه
بين المعطوفين للاهتمام برؤية هذا الامر العجيب ولعلكم تشكرون نعمه واحسانه
ولا تكفرون بالشرك والقى فى الارض رواسى جبالا ثوابت ان تميد بكم
كراهة ان تميل بكم والمنقول انه لما خلق الارض كانت مضطربة متحركة فقالت
الملائكة ما هى بمقر احد فاصبحوا وقد خلقت الجبال وسكنت الارض ولم تدر
الملائكة مم خلقت وانهارا عطف على رواسى فان فى القى معنى الجعل وسبلا
اى طرقا فانه تعالى جعل فى الارض طرقا ولو كانت الجبال متصلة لا يمكن
التطرق فى الارض لعلكم تهتدون بسبب السبل الى مقاصدكم او الى معرفة
الله بالتفكر فى الجبال والانهار والسبل وعلامات كالجبال والتلال
والوهاد فانها علامات للطرق عطف على رواسى وبالنجم هم يهتدون
اى بجنس النجم خصوصا يهتدى قريش خصوصا فى البرارى والبحار فلقريش علم بذلك
لم يكن مثله لقوم غيرهم فالشكر عليهم اوجب اقحام الضمير للتخصيص وتقديم
الجار والمجرور دال على الاختصاص وفيه رعاية الفواصل افمن يخلق اى الله
امر كمن لا يخلق والاصنام جعل من اولى العلم بزعمهم وهذا الزام للمشركين
جعلوا غير الخالق كالخالق فظاهر الالزام ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه
عكس للتشنيع والتجهيل على انهم جعلوا الله العليم المختار كالمخلوق العاجز تعالى
الله افلا تذكرون فتعرفوا قبح ذلك وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
فلا تحسبوا ان النعم باعداد احصر ولو لم تطيقوا ضبطها فكيف تطيقون القيام
بشكرها فمن فضله انه يقبل منكم الشكران الله لغفور رحيم حيث لا يعاقبكم
بتقصير فى شكرها ولا يعاجلكم بالعقوبة على الكفران ولما اثبت لنفسه الاحسان
وان الخلق معترفون فى انعامه وانه قادر مطلق اراد ان يثبت له احاطة العلم
صريحا فقال والله يعلم ما تسرون وما تعلنون مما فى قلوبكم وما فى لسانكم
وجوارحكم ولما اثبت الاحسان والقدرة والعلم لنفسه اراد ان ينفى كل
ذلك عن آلهتهم ليظهر التباين فقال والذين اى والالهة الذين يدعون
اى يعبدونهم من دون الله لا يخلقون شيئا فكيف يجوز دينهم شركتهم مع
الخالق لا سيما وهم يخلقون يخلق الله او يخلقهم الناس بالنحت والتصوير
اموات اى هم اموات لا ارواح لهم غير احياء فى وقت ما فهم اغرق فى الموت

ممن يعبدهم

ممن يعبدهم وما يشعرون ايان يبعثون لا تشعر الاصنام وقت بعثهم فان الا
الاصنام تبعث فتتبرأ من عبادتها فيل الاصنام جهلاء لا يشعرون ايان
وقت بعث عابديهم وايان يبعثون فى موضع نصب يشعرون لانه معلق
بمعنى العلم الهكم اله واحد اخبر بعد حجج وحدانيته بالنتيجة فالذين لا يؤمنون
بالاخرة قلوبهم منكرة يعنى لما علمت ان الاله واحد وعرفته وهو المخبر بالبعث
والنشور فمن لا يؤمن بالاخرة منكر قلبه لا يتامل بالحجج الواضحات وهم مستكبرون
عن اتباع رسل ربهم لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم
وقوله ان الله مرفوع بحذف على مذهب الفراء اى حق ان الله يعلم بان
لا جرم كلمة واحدة ومن قال لا نافية وجرم بمعنى كسب اى ليس الامر كما زعمت الكفرة
بل كسب انكاره ذلك لهم جزاء فعلهم الشنيع فقوله ان الله مفعول به انه
لا يحب المستكبرين فيعذبهم ولا يثيبهم قيل انه عام فى المومن والكافر يأخذ كل
بقسطه واذا قيل لهم اى لهؤلاء المستكبرين ماذا انزل ربكم ماذا كلمة استفهام
فى موضع مفعول انزل او ما مبتدأ وذا بمعنى الذى خبره وعائده فى انزل
محذوف قالوا اساطير الاولين اى ما يدعى نزوله مأخوذ من الكتب المتقدمة
ليس بمنزل من الله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اللام لام العاقبة والصيرورة
فان قولهم هذا اداهم الى حمل اوزار ضلالهم كاملة لم يعف عنها ولم يكفر بمصيبة
اصابتهم فى الدنيا كما يكفر للمومن وقيل اللام لام الامر على معنى الحتم عليهم والصغار
الموجب لهم ومن اوزار اى ليحملوا اوزار انفسهم كاملة وبعض اوزار الذين
يضلونهم بعض ذنب نشأ من ضلال هو من اضلال المضلين بغير علم حال
من الفاعل يعنى جاهلين بحمل اوزارهم وتضعيف عقابهم الا ساء ما يزرون
اى بئس شيئا يزرون صنيعهم قد مكر الذين من قبلهم ليهدموا ما اسس الله
من بنيان دينه كما فعل هؤلاء وقالوا اساطير الاولين فاتى الله بنيانهم
اى اتى امره من القواعد اى من جهة اساطين ما بنوا عليه وخربت من اساسه
فخر عليهم السقف من فوقهم قيل العرب تقول خر علينا سقف ووقع
علينا حائط اذا كان يملكه وان لم يكن وقع عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج
هذا الذى فى كلامهم اى عليهم وقع وهم تحته واتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون لا يتوقعون عن ابن عباس ان نمرود لما بنى الصرح ليصعد

الى السماء وكان طولها خمسة الاف ذراع فهبت الريح والقت راسها
في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته والاظهر ان ذلك على سبيل التمثيل ثم يوم
القيمة يخزيهم يذلهم ويقول الله تقريعا وتوبيخا فاياهم جامعة بين الفعل
والقول اين شركائي اي الذين جعلتموهم شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم
تحاربون في سبيلهم قال الذين اوتوا العلم من الانبياء وكمل المومنين
اظهارا للشماتة ومزيدا للاهانة ان الخزي اليوم والسوء العذاب على الكافرين
الذين يحتمل الاوجه الثلثة واذا كان مجرورا على الصفة يكون داخلا في
المقول تتوفيهم الملئكة ظالمي انفسهم حال من مفعول تتوفى فالقوا السلم
سالموا وانقادوا عند الموت عطف على تتوفيهم ما كنا نعمل من سوء كفر
وعدوان بلى اي قالت الملئكة بلى عملتم السوء وقيل قائله الذين اوتوا العلم
ان الله عليم بما كنتم تعملون فيجازيكم فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف
بابها المعدله خالدين فيها حال مقدرة فلبئس مثوى منزل المتكبرين عن
عبادة الله جهنم واللام لام تاكيد وهو لا يدخل على الماضي المتصرف على
الجيد لقربه من الاسماء وقيل للذين اتقوا عن الكفر كما قيل للذين كفروا
ماذا انزل ربكم قالوا انزل خيرا نصب خيرا دليل على ان ماذا مفعول
انزل وطابق الجواب السوال في النصب للذين احسنوا مكافاة في
هذه الدنيا حسنة مبتدا وللذين خبره والجملة مندرج تحت القول تفسير
للخير الذي انزل وقيل ابتداء كلام من الله مقطوع عما قبله وهو وعد متصل
بذكر احسان المتقين في مقالاتهم ولدار الاخرة خير لهم ولنعم دار المتقين
دار الاخرة جنات عدن خبر مبتدا محذوف او بدل من دار المتقين
او هو مخصوص بالمدح وعلى هذا لا يقدر مخصوص بالمدح كما قدرنا
يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كل ما يشتهون يجدون
فيها كذلك مثل ذلك الجزاء يجزي الله المتقين الذين تتوفيهم الملئكة
طيبين غير ظالمي انفسهم او طيبين عن كل خبث فرحين يقولون اي
الملئكة نصب على الحال قيل السلام من خزنة الجنة سلام عليكم لا يلحقكم
بعد مكروه وقيل يبلغونهم سلام الله ادخلوا الجنة المعدة لكم حين تبعثون
ويمكن ان المراد دخول ارواحهم الجنة عند نزع ارواحهم عن الاجساد وقيل

البعث

البعث وفي الموطا والترمذي قال صلى الله عليه وسلم انما نسمة المومن
طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه قال المحققون
هذا غير مختص بالشهداء بما كنتم تعملون بالعمل الصالح هل ينظرون
لما ذكر طعن الكفار في القران بقولهم اساطير الاولين ثم اتبع ذلك بوعيدهم
وتهديدهم ثم اردفه حال المومنين ووعدلهم كما هو داب القران رجع
الى حال الكفرة فان المقصود بيان حالهم الا ان تاتيهم الملئكة
اي هل ينتظر الكفرة الا ملائكة الله لقبض ارواحهم او ياتي امر ربك
هو العذاب والهلاك او القيمة يعني مالهم اما ان يموتوا حتف انفهم
او يقتلوا او يستاصلوا فكانهم لا ينتظرون الا فردا من هذين لكن المومنين
ينتظرون رحمة الله كذلك مثل فعلهم بالتكذيب فعل الذين من قبلهم
وما ظلمهم الله بتعذيبهم فانهم مستحقون ولكن كانوا انفسهم يظلمون بسبب
ارتكاب القبائح وتقديم انفسهم لرعاية الفواصل او اشارة الى انهم
ما ظلمونا فاصابهم عطف على قوله فعل وقوله وما ظلمهم الله جملة معترضة
سيئات ما عملوا وبال سيئات عملهم وحاق احاط بهم جزاء ما كانوا
به يستهزؤن وقال الذين اشركوا لو شاء الله ان لا نعبد غيره ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كالبحيرة والسائبة
تقدم الكلام عليه في اخر الانعام وحاصله انهم استدلوا على عدم قبح
اعمالهم بانها برضاه فمذهبهم ان المشية ملزوم لا تنفك عن الرضا كمذهب
المعتزلة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم من الشرك وتحريم الحلال ورد
الرسل فهل على الرسل الا البلاغ المبين يعني ليس الامر كما زعمتم من ان اعمالكم
غير مكروه عند الله كيف وقد انكرنا عليكم بلسان رسلنا اشد انكار وانما عليهم
التبليغ الظاهر لا الهداية ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله
اي بان او ان بمعنى اي واجتنبوا الطاغوت قد مر في البقرة
اي بلغناهم بذلك الامر فكيف تتمسكون بمشيته ورضاه فمنهم من هدى
الله اي هداه الله على ما هو مرضي عنده ومنهم من حقت عليه الضلالة
اذ لم يوفقهم لانه غير راض عنهم واراد شقوتهم ولم يقل ومنهم من اضله
الله تعليما للادب وان المقصود الاصلي هدايتهم فيه وايا معشر قريش

في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين حتى تعرفوا انهم في سخط من
الله ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم في كمال الشفقة على من بعثه الله
وقد انزل عليه ومنهم من حقت عليه الضلالة اغتم قلبه الرحيم للضالين فقال
الله ان تحرص يا محمد على هديهم فان الله لا يهدي من يضل من في علمه
انه ضال ولا تغيير في علمه وارادته القديم بحرصك على هدايتهم وقراءة
يهدي مبني للمفعول فقوله من فاعل يهدي اي من يضله الله وما لهم
من ناصرين ضميره لهم لمعنى من عطف على ان الله اي ان تحرص على
هدايتهم فلا فائدة فيه فان الله لا يهديهم وليس لهم ناصر ينجيهم فمجموع
المعطوف والمعطوف عليه علة للجزاء قائمة مقامه ولما ذكر ما فيه اقناط
من هدايتهم بذكر ما يشعر على سبب الاقناط فقال واقسموا بالله جهد ايمانهم
اي اغلظوا في الحلف ونصب جهد على انه مصدر او حال كما مر لا يبعث
الله من يموت ونعم قول من قال ان امر البعث مجملا عقلي لا حاجة الى مخبر
فانا نرى من يظلم صالحي كمال الظلم ويموتان فلو لم يكن بعده قصاص فاين
العدل وحاشا الله ان يرضى بذلك ولا ينتقم منه بلى يبعثهم وعدا مصدر
موكد فان بلى دال على وعد البعث عليه اي انجازه لامتناع خلف وعده
ووعيده حقا صفة لوعدا كان عليه كذلك او مصدر موكد كوعدا ولكن
اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون لكفرهم وجهلهم ليبين متعلق بما دل
عليه بلى اي بلى يبعثهم ليبين ومن يموت عام لجميع الخلق لهم الذي يختلفون
فيه المختلف فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا من بين من يبعث انهم كانوا
كاذبين سيما في حلفهم انه لا يبعث الله من يموت ولما كان انكارهم البعث
لحسبانهم ان البدن الممزق احياؤه بعيد عن العقل قال انما قولنا لشيء اذا
اردناه لشيء معدوم اذا اردنا ايجاده ان نقول له كن اي احدث فيكون
فيحدث وهذا بيان سهولة الاشياء له حتى يعلم ان البعث غير متعسر عليه تعالى
بوجه وقراءة نصب فيكون لجواب الامر او للعطف على نقول ولام لشيء
وله للتبليغ نحو قلت له قم وعند الزجاج لام السبب اي لاجل الايجاد ولما بين
ان ما اراد لا يتخلف ولا يتعسر عليه عيرا راهم انه تعالى لما اراد نصرة دين
نبيه ووعد ان العاقبة للمتقين خاب سعيهم وجهدهم في خلاف مراد الله

وقيل متعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا منه

ورجع

ورجع عليهم شوم مكرهم وبين كذب ما اقسموا بان الاخرة والبعث بعد
الموت ثابت فقال والذين هاجروا في الله في رضاه وحقه من بعد
ما ظلموا اعذبوا واوذوا لنبوئنهم في الدنيا حسنة تمكنهم في البلاد
وحكمهم على رقاب العباد فصاروا احكاما للمتقين اماما فان من هاجر
الى المدينة والحبشة كحمزة بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وقيل المراد
مباءة حسنة وهي المدينة وحسنة صفة محذوف هو مصدر او ظرف
وقيل لنبوئنهم في معنى لنعطينهم فحسنة مفعول ثان وقيل في معنى لنحسنن
فحسنة بمعنى احسانا ولاجر الاخرة اكبر مما اعطى لهم في الدنيا وقيل اكبر
من ان يعلمه احد قبل مشاهدته لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في صبرهم
واجتهادهم او الضمير للكفار الذين صبروا منصوب او مرفوع على المدح
اي هم الذين صبروا على الاذى ومفارقة الوطن لا سيما حرم الله المحبوب
على القلوب فكيف لمن كان مسقط راسه واول ارض مس جلدهم
ترابها وعلى ربهم يتوكلون قدم نكتة فعل الماضي في صبروا والمضارع
في غيره فلا تنساه ولما ذكر ومدح الصابرين المتوكلين وقد وتهم
واماهم الانبياء قال مخاطبا لنبيه وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لا ملكة
وهم قالوا الله اكبر من ان يكون رسوله بشرا نوحي اليهم على السنة الملائكة
فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب من اليهود والنصارى ليخبروكم ان الرسل
كانوا بشرا فان الكفرة لم يزالوا يسالون عنهم امر محمد صلى الله عليه وسلم ان كنتم
لا تعلمون انهم بشر بالبينات والزبر كان قائلا قال بم ارسلوا فقال ارسلناهم
بالمعجزات الظاهرات والكتب وقيل صفة رجالا اي ملتبسين بالبينات
واما تعلقه بارسلنا المذكور فجمهور البصريين لا يجيزون ان يقع بعد الا الا مستثنى
او مستثنى منه او تابعا وقيل متعلق بلا تعلمون والشرط على هذا للالزام
والتبكيت وانزلنا اليك يا محمد الذكر القران الذي هو موعظة وتنبيه
للغافلين لتبين للناس ما نزل اليهم لتفصل لهم ما اجمل وتبين لهم ما اشكل
لعلمك بمعنى المنزل وحرصك على ارشادهم وارفادهم ولعلهم يتفكرون
فيما انزلنا فيهتدون الى كمال علم الله وقدرته واثابة اوليائه والانتقام
عن اعدائه ولما ذكر ان الانزال للتبيين والتفكر ناسب ان يسال ان

الكسائي والاخفش يجوزان ان يقع
بعد الا معمول لما قبلها منه

بعد تبينك وتفكرهم امنوا ان لم يطيعوا انواع العقوبة فقال افامن
الذين مكروا المكرات السيئات او هو مفعول مكروا والتضمنه معنى عملوا
ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقرون او ياتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون من جهة لا يعلمون مجئ العذاب اليهم او ياخذهم في تقلبهم
اي يهلكهم ويصل العذاب اليهم في اشتغالهم بالمعاش ونحوه من
الاشتغال الملهية والظرف حال اي متقلبين فما هم بمعجزين الله تعالى
او ياخذهم على تخوف اي في حال خوفهم من اخذ العذاب لا بغتة مقابل
لقوله من حيث لا يشعرون قيل على تنقص بان ياخذ شيئا بعد شئ
الى الاستيصال من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته فان ربكم
لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة وان رجعتم من العصيان رجع
الى الاحسان ولما بين قدرته على تقدير الماكرين اراد تنبيههم على انه يجب
عليهم ان يكونوا طايعين فقال اولم يروا الى ما خلق الله من شئ ما موصولة
مبهمة ومن شئ بيانه وفائدته التعميم والهمزة للتوبيخ والتعجب يتفيؤا يميل ويدور
ظلاله الجملة صفة شئ عن اليمين والشمائل لكل شئ جانبان فوحد اليمين
باعتبار اللفظ كما وحد ضمير ظلاله وجمع الشمائل رعاية لمعنى ما كما جمع سجدا
قيل ان الظل يفئ من كل جهة فبدأ باليمين ثم جمع الشمائل لان المراد منه
سائر الجهات لما بين اليمين والباقي من التضاد وقيل المراد من اليمين
يمين الفلك وهو المشرق ومن الشمال المغرب فظلال الغداة يضمحل
من جهة واحدة وهو بالعشي يضمحل حين يضمحل من جميع الجهات سجدا
لله حال من ظلاله واصل السجود التطاطؤ والميل يقال سجد البعير اذا
طوطئ ليركب وسجدت النخلة اذا مالت ولا يبعد عن القدرة ان يسجد
الظل قبل سجوده انقياده لما قدر له من التفيؤ وهم داخرون اي صاغرون
حال من ضمير سجدا او حال ثانية من الظلال واما انه حال من ضمير ظلاله
فغير جائز الا عند من قال جاز اذا كان المضاف جزءا وكالجزء والظلال ك
في ان وجودها ناشئ عن وجوده كالجزء وجمعها بالواو والنون لان الدخور
والسجود من صفات العقلاء ولما وصفه بوصف العقلاء جمعه جمعهم
ولله يسجد ينقاد ما في السموات وما في الارض من دابة الدبيب الحركة

الجسمانية

الجسمانية فيشمل ما في السموات على مذهب السنة قال تعالى وبث فيهما
من دابة والملائكة عطف خاص على عام فان ما في السموات من غير
الملك كالارواح وقيل المراد من ما في السموات الطيور التي في الهواء
وهم لا يستكبرون عن عبادة الله يخافون ربهم حال او بيان وتاكيد
لنفي الاستكبار فان من خاف احدا لا يستكبر عليه من فوقهم حال كون
الرب عاليا عليهم وهو القاهر فوق عباده او ظرف يخافون اي يخافون
من فوقهم ان يرسل عليهم عذابا منه قال الواحدي يخاف الملائكة حال
كونهم من فوق ما في الارض وضمير ربهم راجع الى ما في الارض فمن دونهم
احق بالخوف ويفعلون ما يؤمرون فان الملائكة لا يعصون الله
ولما ذكر ولله يسجد اي له لا لغيره اشارة الى ان الاله واحد قال مصرحا
وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود دال عليه
ايماء الى ان الاثنينية تنافي الالهية فتتخذوا متعد الى واحد واثنين تاكيد
وقيل متعد الى اثنين واثنين هو المفعول الاول انما هو اله واحد فان
الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون من الالتفات من الغيبة
وهو اكد في الترهيب كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي لا غيري
فارهبوني واياي منصوب بفعل مقدر واجب التاخير تقديره فاياي
ارهبوا فارهبوني فان الفعل اذا كان متعديا الى واحد هو الضمير
المنفصل وجب تاخير الفعل نحو اياك نعبد ولا يعمل ما بعد الفاء فيما قبله
وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وفيه التفات من التكلم وله
الدين الطاعة او الجزاء واصبا دائما فان طاعة غير الله تنقطع افغير
الله تتقون مع انه خالق كل شئ وحده والهمزة للتوبيخ والتعجب قوله
وله ما في السموات عطف على اله واحد او عطف جملة على جملة انما هو
ونصب واصبا على الحال والعامل ما يتعلق به المجرور وما بكم من نعمة
فمن الله ما شرطية اي اي شئ اتصل بكم من النعم فهو من الله ومعنى الاتصال
معلوم من سوق الكلام او ما موصولة وبكم صلتها والخبر فمن الله
اي فهو من الله والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط والمقصود تذكيرهم
فان الاتصال سبب للعلم بكونها من الله فلا يقال الشرط والجزاء ليسا نحاح

فان الاول ليس سببا للثاني ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فاليه تتضرعون
لا الى غيره لما بين ان جميع النعم منه ذكر حالة افتقار العبد اليه وهي حالة الضر
والجؤار رفع الصوت بالدعاء ثم اذا كشف الله تعالى الضر عنكم اذا فريق
منكم بربهم يشركون هم الكفار ومن للتبعيض صفة فريق واذا الثانية فجائية
قال صاحب البحر فيه دليل على ان اداة الشرط ليس العامل فيها الجواب
لان ما بعد اذا الفجائية لا تعمل فيما قبلها وفريق مبتدأ ويشركون خبره وبربهم
متعلق به والتقديم لرعاية فواصل الاي ليكفروا واللام لام العاقبة او لام الامر
للتهديد والتوعيد بما آتيناهم من النعم فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون
عاقبة امركم ويجعلون لما لا يعلمون اي لاصنامهم التي لا علم لهن فضمير الجمع باعتبار
المعنى وقيل معناه للآلهة التي لا يعلمونها ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون
فيها انها تضر وتنفع وتشفع مع بطلان اعتقادهم وقيل لما يعلمون لجحادهم
الآلهة وقيل ما مصدرية اي لجهلهم والمجعول له محذوف اي للاصنام نصيبا
مما رزقناهم كما مر هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا تالله لتسئلن سؤال توبيخ وتبكيت
عما كنتم تفترون من اثبات الشريك وغيره ويجعلون لله البنات يثبتونها
له ويقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه من الله عن نسبة الولد ولهم
ما يشتهون كالابن والجملة مبتدأ وخبر وقيل ويجعلون لهم ما يشتهون فلهم عطف على
لله وما يشتهون على البنات فقال صاحب البحر تبع الزمخشري الفراء في ذلك
وفيه انه ذهول عن قاعدة نحوية هي انه لا يجوز زيد ضربه ولا زيد غضب عليه
وتريد نفسه الا في افعال القلوب وفقد وعدم فلا يجوز الا ان يقال ويجعلون
لانفسهم ما يشتهون هذا كلامه وهذا منه سهو فقد قال تعالى وهزي اليك
بجذع النخلة وقال واضمم اليك جناحك ثم اعلم ان الهز والضم ليسا واقعين
على الكاف كما ان الجعل ليس واقعا على الجاعلين بل على ما يشتهون فجاز في كل
منها من غير توسط النفس نعم لا يبعد ان يناقش في سعر ويجعلون لهم البنين
بانه لا جعل واذا بشر احدهم بالانثى من قال البشارة خبر يغير البشرة فهي على معناها
اللغوي ومن خص باول خبر يسر فهذا من باب التهكم ظل صار وجهه مسودا من الغم
والسواد والوجه كناية عن شدة الكآبة وهو كظيم مملوء غما وغيظا وهو للمبالغة بمعنى
كاظم او بمعنى مكظوم يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به ايمسكه الضمير

لما يعني متفكرا في ان يتركه على هون حال من الفاعل اي كارها على رغم انفه
قال ابن عباس انه صفة للاب او حال من المفعول اي يمسكها مهانة ذليلة
ام يدسه في التراب يخفيه فيه فانهم معتادون بوأد البنات الا ساء ما
يحكمون حيث يجعلون لمن تنزه عن الولد اخس الولد لديهم وما مصدرية
للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة النقص ولله المثل الاعلى
الكمال المطلق والصفات الحسنى فلا يتصف بانه يلد وهو العزيز الحكيم
متفرد بكمال الغلبة والحكمة التامة ولو يؤاخذ الله الناس بمعنى المجرد الذي
هو اخذ بظلمهم بسبب ما كسبوا من المعاصي ما ترك عليها من دابة اي
الضمير للارض بقرينة من دابة سمع ابو هريرة رجلا يقول ان الظالم لا يهلك
الا نفسه فقال لا والله الحبارى تموت في وكرها بظلم الظالم وعن كثير
من السلف كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم ولكن يؤخرهم الى
اجل مسمى لانقضاء عمرهم المقدر فيتوالدون فاذا جاء اجلهم وقته لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون لا يمهلون لحظة ويجعلون لله ما يكرهون اي
ما يكرهون لانفسهم من البنات والشريك في الرياسة والاموال
وتصف السنتهم الكذب هذا مبالغة في كذبهم كان الكذب مجهول
والسنتهم تعرفه وتصفه بكلامهم هذا كقولهم وجهها يصف الجمال وفسر
الكذب بقوله ان لهم الحسنى كما قال تعالى ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته الاية لا جرم حقا وتفصيل معنى لا جرم قد مر ان لهم النار وانهم
مفرطون مقدمون الى النار من الفرط وهو السابق الى الماء او منسيون
من افرطت فلانا خلفي اذا نسيته ولما استوفى الكلام في عنادهم وجهلهم
بحيث يظن ظان انهم في عنادهم اجهل الامم واضل اكد في نفي هذا الظن بالقسم
تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال تالله لقد ارسلنا رسلا الى امم
من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على ما هم عليه ولم يتبعوا
رسلنا ولم يطيعوا امرنا فهو وليهم اليوم فالشيطان ناصرهم الان ومن هو ناصره
وهو تحت نكاله فالويل عليه ثم الويل عليه قيل المراد من اليوم القيمة وعلى
الاول حكاية الحال الماضية التي كان يزين الشيطان اعمالهم فيها وعلى الثاني
حكاية للحال الآتية ويكون نفيا للناصر على ابلغ وجه وقيل اليوم عبارة

وقراءة مفرطون بكسر الراء من الافراط بالمعاصي منه

عن ايام الدنيا كلها ولهم عذاب اليم في الآخرة ولما علم انهم في خلاف
وضلال اراد التحريض في تبيين الحق لهم وارشادهم فقال وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه وتهديهم
وترشدهم الى الحق وهدى ورحمة منصوبان بالمفعول له وفيهما شرط
النصب لاتحاد الفاعل في الفعل وفيهما بخلاف لتبين الذي هو المعطوف
عليه فان المنزل هو الله والتبيين فعل المخاطب فلا يجوز ان يقال
تبيينا لقوم يؤمنون اي لقوم في علم الله انهم يؤمنون فان ما انزلنا
حيوة لارواحهم وشفاء لما في صدورهم ولما اراد التشبيه قال والله انزل
من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها تصير الارض خضرة بالنبات
نضرة بعد همودها كذلك القلب ان في ذلك لاية لقوم يسمعون
كانه في كونه اية دالة على امكان البعث لا يحتاج الى حس السمع ولا يحتاج
معه الى كثير عمل بالقلب من عميق الفكر وان لكم في الانعام لعبرة دلالة
على كمال قدرته وايجاد العجائب نسقيكم مما في بطونه اذا صح وقوع الجنس
مقام الجمع جاز عود الضمير اليه مذكرا نحو هو احسن الفتيان وانبله لانه
يصح هو احسن فتى ويجوز هنا وان لكم في النعم لعبرة ولهذا ذكر الضمير
في بطونه من بين فرث هو ما في الكرش من الثفل ومن للابتداء
متعلق بنسقيكم ودم البينية مجازية باعتبار تولده مما حصل في المعدة
الذي يصير بعضه فرثا وبعضه دما ولطيف الدم يصير لبنا لا ان في المعدة
فرثا في اسفل ودما في اعلى ولبنا متوسطا بينهما لبنا خالصا صافيا لا عليه
لون دم ولا رائحة فرث سائغا للشاربين هنيئا تجري في الحلوق على سهولة
ومن ثمرات النخيل والاعناب من متعلق بقوله تتخذون وقوله منه
بدل من قوله ومن ثمرات وتذكير الضمير مثل ما كتبنا في قوله مما في بطونه
قيل تقديره ونسقيكم من ثمراتها عطف على جملة وان لكم في الانعام وقوله
تتخذون منه استيناف لبيان الاسقاء سكرا هو الخمر والاية قبل تحريمه
ولما كان اللبن ليس فيه معالجة لاحد قال نسقيكم والسكر والخل والدبس
يحتاج الى معالجة قال تتخذون ورزقا حسنا هو الدبس والخل وفيه
ايماء الى ان السكر ليس من الرزق الحسن قيل السكر الطعم وقال الطبري

السكر

السكر في كلام العرب ما يطعم ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم قيل ناسب هنا ذكر العقل فان شرف الانسان به ولهذا حرم السكر
واوحى ربك الهم وارشد على وجه هو العالم به الى النحل ان اتخذي اي بان
اتخذي والتانيث بلغة الحجاز او لان المراد من النحل الجمع واوحى هنا بمعنى
الهم فليس فيه معنى القول فلا يكون ان تفسيرية من الجبال بيوتا ومن الشجر
ومما يعرشون يعني ارشدنا النحل باتخاذ المسكن من الجبل ومن الشجر وما يبنون
لها في اي موضع كان او منهما ومن بيوت الناس ومن في الكل للتبعيض
ثم كلي من كل الثمرات التي تشتهيها فاسلكي سبل ربك في ذهابك الى مرعيك
وايابك الى بيتك لا تضل قيل معناه اسلكي الطرق التي الهمك الله في
عمل العسل ذللا حال كون السبل مذللة سهلها لك او حال من ضمير فاسلكي
اي حال كونك منقادة لامر الله يخرج من بطونها شراب هو العسل
مختلف الوانه من البياض والسواد والصفرة والحمرة فيه شفاء للناس في
بعض الاحاديث ما يدل على انه شفاء لكل داء وصرح بذلك ابن مسعود
فالتنوين للتعظيم ولما كان امر النحل عجيبا في بنائها البيوت المسدسة وفي اكلها
الازهار المتنوعة وفي طواعيتها لاميرها وكان النظر في ذلك محتاجا الى تامل ختم
بقوله ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون في صنع الله واحكام امره ولما اثبت
كمال قدرته في الاربعة المتقدمة نبه على قدرته التامة في انفسنا فقال والله
خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه وهو الهرم ولا يتقيد بسن
مخصوص ويتفاوت بالاشخاص قيل ارذل العمر للكافر ولذلك قال تعالى
ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات قال عكرمة من قرا
القران لم يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا يصير الى حالة شبيهة
بالطفولية في كثير من الاشياء وكي حرف مصدري ناصبة كان واللام جارة
فينسبك من كي والمضارع بعدها مصدر مجرور فالتقدير لانتفاء علمه شيئا
بعد ان علمه واللام مشعرة بالتعليل ان الله عليم بصنعه قدير على ما يريد ولما
ذكر خلقنا واماتتنا وتفاوتنا في العمر اراد ذكر تفاوتنا في الرزق فقال والله
فضل بعضكم على بعض في الرزق بسطه على شخص وضيق على اخر لحكمة
الله عالمها فما الذين فضلوا في الرزق برادي بمعطي رزقهم على ما ملكت

ايمانهم اي مماليكهم فهم فيه سوآء فيستووا في الرزق هذه الجملة محتملة لكم
يكون جواب النفي عن ابن عباس وغيره ان معناه انهم لم يشركوا عبيدهم
في اموالهم فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني وهذا رد على المشركين فانهم
لا يرضون ان يكون شخص مثلهم شركاءهم ويجعلون مخلوقا لله شريكا له في
الوهية وقيل معناه انا رازق الكل فهم في رزقي سوآء فلا تحسبن الموالي
انهم يردون على مماليكهم من عندهم ومن رزقهم شيئا انما ذلك رزقي
اجريه اليهم بايديهم افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون معه شركاء والباء
لتضمين الجحود معنى الكفر وقيل معناه جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم
افضل واوسع فينبغي ان تردوا فضل رزقكم على مماليككم حتى تتساووا في
المطعم والملبس كما قال صلى الله عليه وسلم مماليككم اخوانكم فاكسوهم مما
تلبسون واطعموهم مما تطعمون ثم جعل عدم ردهم الى المماليك من جملة
جحود النعمة والله جعل لكم من انفسكم لما امتن بالرزق جعل يمتن بما هو من
مصالحهم ويستانسون به والمراد بالانفس الجنس واحتمل ان المراد خلق حوا
من آدم فنسب الى بني آدم لانها اصلهم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم
بنين لم يذكر البنات لان الاية للامتنان والبنات عند اكثرهم مكروه وحفدة
اولاد الاولاد او الحفدة الاعوان والخدم ومن يسارع في الطاعة ومنه اليك
نسعى ونحفد اي نسرع في الطاعة فعلى المعنى الاول عطف حفدة على بنين
وعلى الثاني على ازواجا ورزقكم من الطيبات بعض المستلذات وتمامها في
الجنة افبالباطل الاصنام يومنون وبنعمة الله هم يكفرون نعي عليهم فساد نظرهم
في عبادة ما لا يمكن ان يقع منه نفع ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم
رزقا من السموات والارض رزق من السموات هو المطر ومن الارض النبات
والثمر والمراد ان الرزق من احدهما فاذا لم يكن منهما فلا رزق شيئا ان كان رزقا
مصدرا بمعنى مرزوقا فنصب شيئا بانه مفعول به لرزقا وان كان بمعنى مرزوقا
فشيئا مصدر من لا يملك اي شيئا من الملك نحو لا يضره شيئا ومن السموات
صفة مرزوقا او متعلق بلا يملك واذا كان الرزق مصدرا فمن السموات
متعلق به ويبعد ان يكون شيئا بدلا من رزقا لانه اعم من رزقا والبدل اما
للبيان واما للتوكيد ولا يستطيعون التملك او لا استطاعة لهم اصلا

قيل

قيل لا يستطيع عابدوهم مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف
بالجماد فلا تضربوا لله الامثال لا تشبهوه بخلقه فان ضرب المثل تشبيه
ذات بذات او وصف بوصف وتعالى عن ذلك ان الله يعلم خطا
ما تضربون من الامثال وانتم لا تعلمون قيل معناه فانه يعلم كيف تضرب
الامثال وانتم لا تعلمون ثم ضرب المثل فقال ضرب الله مثلا عبدا
مملوكا لا يقدر على شي عاجز عن التصرف ومن رزقناه منا رزقا حسنا ناش منا
رزقا حسنا حلالا واسعا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل الصنم بمملوك
عاجز ومثل نفسه الاقدس بحر مالك متصرف في ماله بما ينفعه فالتسوية بينهما
مع الاشتراك في النوعية ممتنعة فكيف بالقادر الغني المطلق والصنم الجماد العاجز
ومن موصوفة وجمع يستوون لانه في معنى هل يستوي الاحرار والعبيد وقال
ابن عباس هذا تمثيل للكافر والمومن فالكافر لم يقدم في ماله خيرا كالمملوك فانه
لا يملك شيئا وان كان متصرفا والمومن يعمل بطاعة الله في ماله وينفقه
في رضاه فهو كالحر الغني يتصرف في ماله ولا يسلب عنه ابدا وقيل هذا مثل البخيل
والسخي الحمد لله كل الحمد له فانه وحده مولى النعم بل اكثرهم لا يعلمون ان كل
الحمد له فيعبدون غيره ثم ضرب مثلا اخر مثل الاول وضرب الله مثلا رجلين
ضرب بمعنى جعل اي جعل رجلين مثلا احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم
لا يقدر على شي من الصنايع لنقصان جده وعقله وهو كل ثقل على مولاه
علم ان المراد مملوك ابكم اينما يوجهه حيث ما يرسله مولاه في امر لا يات بخير
لا يكف مهم مرسله هل يستوي هو ومن يامر بالعدل فهم منطيق ذو رشد
ينفع احسن نفع وهو في نفسه على صراط مستقيم سيرة صالحة لا يرجى منه
شر الا وهو يابى باشد منه وقد تقرر في بداية العقول ان الابكم العاجز الناقص
في بدنه وعقله كاصنامهم ليس مساويا للمنطيق قادر كامل في جميع ماله من
الذات والصفات مع استوائهما في البشرية فكيف استوآء جماد ورب العباد
قيل هذا مثل للكافر والمومن ولما قال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وضرب
المثل بانه عالم قادر قال ولله غيب السموات والارض يختص به علم
ما غاب عن العباد وما امر الساعة قيام القيمة في السرعة والسهولة الا كلمح
البصر او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في اقل من ذلك الزمان

واو للتخيير او بمعنى بل قيل معناه قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشئ
الذى يقولون فيه كلمح البصر او هو اقرب مبالغة فى استقرابه ان الله
على كل شئ قدير فيقدر على اعادتهم كما قدر على ابدائهم ولما ذكر امر الساعة
وهو المقصود الاصلى فى الايمان عقبه بما ينبه على النشاة الاخرة فقال والله
اخرجكم من بطون امهاتكم فى حال لا تعلمون شيئا وجعل انشاء وخلق لكم
السمع والابصار والافئدة التى هى سبب معرفتكم الجزئية والكلية يعنى سمعا
لا كسمع الانعام وكذا الابصار والافئدة لعلكم تشكرون نعم موليكم ولا تعبدون
سواه ولما ذكر السمع والبصر والفواد وهى الحس والعقل ذكر مدركهما فقال
الم يروا الى الطير مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة
فى جو السماء اى فى هواء العلو والجو الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن
فيه الا الله وفى الاية مدرك الحس وهو رؤية الطير المسخر ومدرك العقل
فى انه لا يسقط اذ ليس تحت جسمه الثقيل ما يمنعه من السقوط وليس فوقه ما تعلق
به مع ان الثقيل مائل الى مركزه فلا بد من ممسك وليس الا الله القادر القائم
على كل شئ واكتفى من مدرك الحس بالبصر فانه اغرب واعجب ان فى ذلك
لايات لقوم يؤمنون والايات خلق الطير بهيئة يمكن معها الطيران
وخلق الجو بحيث يمكن فيه الطيران وامساكها فى الهواء مع ثقل جثة الطير
ولا يبعد ان يقال الايات باعتبار ما فى هذه الاية والتى قبلها ولا ينتفع بها
الا كل مؤمن مصدق بوجوده تعالى ولو اراد طيرانه بغير الات لطار
لشمول قدرته ولما ذكر الطير الذى ليس له الا الوكر فى مثل الاشجار وقد خلق له
من الرياش التى منها الطيران وهى دافعة عنه ضر الحر والبرد عقبه امتنانا
لمن لا يتمكن من الطيران وليس معه ما يدفع عنه ضر الحر والبرد بذكر ما هو دافع عنه
فقال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنونها كالبيوت المتخذة
من الطين فعل بمعنى مفعول والمراد من الجعل خلق الالات ثم تعليم الرصف
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا ذكر اولا البيوت على العموم ثم ذكر الجلود خصوصا
تنبيها على حال اكثر العرب فان بيوتهم من الجلود وما على الجلود من الشعر والوبر
تستخفونها تجدونها خفيفة يوم ظعنكم يوم ترحالكم فى السفر ويوم اقامتكم
وقت نزولكم او وقت حضركم يعنى خفيفة عليكم فى السفر نقلها وحملها يوم رحالكم

وحضرها

وحضرها يوم نزولكم واقامتكم فى مكانها او فى السفر والحضر جميعا ومن اصوافها
هى للضان واوبارها هى للابل واشعارها هى للمعز اثاثا من مثل الفرش
والاكسية ونصب اثاثا بانه مفعول جعل ومتاعا الى حين ما يتمتعون
به الى مدة متطاولة او الى اجل معلوم ولما كانت بلاد العرب غالبا
عليها الحر امتن عليهم بذكر ما يكنهم من الحر فقال والله جعل لكم مما خلق ظلالا
تستظلون بها من حر الشمس كشجرة ونحوه وجعل لكم من الجبال اكنانا
جمع كن وهو ما يستكن به من الغيران والبيوت المنحوتة وجعل لكم
سرابيل القمصان والثياب تقيكم الحر خصه بالذكر لان الحر فى بلاد الحر
او من باب الاكتفاء باحد الضدين عن الاخر وسرابيل لباس الحرب
كالدروع تقيكم باسكم تمنعكم الطعن والقطع والنشاب كذلك مثل
اتمام هذه النعم التى ذكرها يتم نعمته عليكم تستعينوا بها على طاعة الله
لعلكم تسلمون تنظرون فى نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه فان تولوا
اعرضوا عن قبول كلامك والاسلام يحتمل الماضى والمضارع فانما
عليك البلاغ المبين فبعد ما بلغت فكل امرهم الى الله وانظر صنع
الله فيهم والفاء وما بعدها جواب الشرط والجواب على الحقيقة محذوف
اى فانت معذور اذا اديت ما عليك يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها
فان المشركين يعرفون ان جميع النعم من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غيره
او يعرفونها فى الشدة وينكرونها فى الرخاء او يعرفونها بالقلوب وينكرونها
بالسنتهم واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا ولما ذكر انكارهم لنعمة
الله ذكر لهم هول يوم لا ينفع فيه ندم نادم فقال ويوم نبعث اى اذكر
هول هذا اليوم من كل امة شهيدا يعنى رسولهم يشهد لهم وعليهم ثم لا يؤذن
للذين كفروا فى النطق بالاعتذار لانه لا عذر لهم نحو لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون ولا هم يستعتبون يسترضون اى لا يكلفون بارضاء
ربهم لان الاخرة ليست بدار عمل واذا راى الذين ظلموا العذاب
وقعوا فى جهنم عطف على يوم فلا هو يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون يمهلون وجواب اذا قوله فلا يخفف على اضمار هو لان جواب
اذا كان مضارعا سواء كان موجبا او منفيا لا تدخل عليه الفاء والزمخشرى

جعل جوابه محذوفا وهو ثقل واشتد عليهم وقدر عامل يوم وقعوا فيما وقعوا
واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هولاء شركاؤنا الذين كنا ندعو
نعبدهم من دونك قالوا ذلك غيظا على الهتهم التى اوقعوهم فى العذاب
رجاء ان يشاركوهم فى العذاب فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اجاب
شركاؤهم عابديهم بالتكذيب وقالوا حاش لله ان نكون شركاء الله و
ما دعوناكم الى عبادتنا بل عبدتم اهواءكم وشركاؤهم عام من صنم ووثن وملك
وشيطان فيكذبهم من له نطق وانطق الله الاوثان ولا بدع والقوا الكفار
الى الله يومئذ السلم استسلموا الحكمه بعد ما استكبروا فى الدنيا وضل ضاع
وبطل عنهم ما كانوا يفترون من شفاعة الهتهم ونصرتها الذين كفروا وصدوا
الناس عن سبيل الله عن الدخول فى الاسلام زدناهم عذابا فوق
العذاب بما كانوا يفسدون بسبب افسادهم فانهم ضالون مضلون
قال ابن مسعود وابن عباس المزيد عقارب كالنخل الطوال
وانهار من صفر مذاب ويوم نبعث ذكر هوله فى كل امة شهيدا عليهم
من انفسهم نبى كل امة بعث من قومه وجئنا بك يا محمد شهيدا على
هولاء اى على امتك ونزلنا حال باضمار قد قيل تقديره وجئنا بك
شهيدا على هولاء لكونا ارسلناك اليهم ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
بيانا بليغا حال او مفعول له وهو مصدر ونظيره تلقاء ولم يجى بكسر التاء
الا هذان نقله المبرد عن البصريين لكل شى يحتاجون اليه فى امر الدين
وهدى من الضلال ورحمة للجميع وبشرى بشارة للمسلمين خاصة والحاصل
انه تعالى امره بتخويف امته بيوم شهادته على امته حال كونه مسولا عن تبليغ احكام
الله المبينة فى القران وحال كون امته مسولا عن قبولها قال تعالى فلنسئلن
الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا
يعملون ولما قال فى وصف القران تبيانا لكل شى وصل به ما يقتضى التكليف
فرضا ونفلا واخلاقا وادابا فقال ان الله يامر بالعدل بالتوسط فى
الامور اعتقادا وعملا لنفسه ولابناء جنسه والاحسان الى الخلق كلهم ولهذا
قيل من احسن الى الجميع سوى هرة فى بيته لم يكن محسنا وايتاء ذى القربى
صلة الرحم من عطف الخاص على العام اهتماما بشانها وينهى عن الفحشاء

ما غلظ

ما غلظ من المعاصى كالزناء والمنكر ما تنكره الشريعة والبغى التطاول
فى الظلم خصه من بين المنكر اهتماما فى اجتنابه يعظكم الله لعلكم تذكرون
تنتبهون لما امرتم به ونهيتم عنه ولله در من قال لو لم يكن فى القران غير
هذه الاية لصدق عليه انه تبيان لكل شى وهدى ورحمة قال ابن مسعود
هى اجمع اية فى القران للخير والشر واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم كل من
دخل فى الاسلام فقد بايع ولم يرد بيعة الرضوان لان السورة مكية و
والوفاء بالعهد من العدل والاحسان ونقضه من الفحشاء والمنكر
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها اى ايمان البيعة او مطلق الايمان
بعد توكيدها بتكرار ذكر الله وقد جعلتم الله عليكم كفيلا والحال انكم
جعلتم الله شاهدا لعهدكم وايمانكم ان الله يعلم ما تفعلون فيعلم الوفاء
والنقض ولا تكونوا فى نقض الايمان كالتى نقضت افسدت غزلها
مصدر بمعنى المفعول اى ما غزلته من بعد قوة اى نقضت بعد احكامه
وفتله انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله ثانى مفعولى نقضت بتضمين
معنى التصيير او مفعول مطلق لنقضت وهذا مثل لمن نقض عهده بعد
توكيده والغزل شان النسوان تتخذون ايمانكم دخلا بينكم اى لا تكونوا
مثلها متخذى ايمانكم مفسدة ودغلا فقوله تتخذون حال من اسم كان
ودخلا مفعول ثان وجاز ان تجعل تتخذون مستانفة ان تكون بان تكون
اى بسبب ان تكون امة جماعة هى اربى اكثر عددا وعددا من امة من جماعة
اخرى جعلوا الايمان ذريعة الى الغدر فانهم اذا حالفوا قبيلة ووجدوا قبيلة
اخرى اقوى منها حالفوها وغدروا بالتى كانت اضعف لان المحلوف له الاول
مطمئن انما يبلوكم الله به يختبركم بكونهم اربى لينظر اانكم متمسكون بحبل الوفاء
ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المومنين وفقرهم او ضميره راجع
الى الامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون فى الدنيا فيجازى
كل بعمله عطف على مقدر هو فائدة الاختبار ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
متفقة الكلمة مجتمعة على الاسلام ولكن يضل من يشاء عدلا منه لحكمة ويهدى
من يشاء فضلا منه لحكمة ولتسئلن عما كنتم تعملون يوم القيمة بنقير وقطمير
ويجازيكم ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم الذى سبق اخبار بانهم اتخذوا ايمانهم

وخلا معللا بشئ خاص هو ان تكون امة اربى من امة وجاء النهى هنا مبنيا
انشاء عن اتخاذ الايمان دخلا على العموم فيشمل جميع الصور من الحلف
والمبايعة وقطع الحقوق المالية وغير ذلك فلا تكرار فتزل قدم عن محجة
الاسلام بعد ثبوتها عليها وتزل بالنصب جواب النهى وهو استعارة
لمن كان مستقيما ثم وقع فى امر عظيم معوج وتذوقوا السوء اى العذاب
فى الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بسبب صدكم غيركم عن الاسلام فان
الكافر اذا راى غدرا من المومنين لم يبق له وثوق بالدين فانصد عن
الاسلام او لان من نقض البيعة جعل ذلك سنة لغيره او بصدودكم عن
الوفاء فعلى هذا الصد لازم ولكم عذاب عظيم فى الاخرة قيل وحد قدم ونكر
للدلالة على ان زلل قدم واحد عظيم فكيف بالكثير وفى البحر لما كان المعنى لا يتخذ
كل واحد منكم جاء فتزل قدم مراعاة لهذا المعنى ثم قال وتذوقوا مراعاة
للفظ الجمع فالاية تعرضت للنهى عن اتخاذ الايمان دخلا باعتبار كل فرد وباعتبار
المجموع ولا تشتروا اى لا تستبدلوا بعهد الله ثمنا قليلا عرضا يسيرا من الدنيا
انما عند الله من الثواب على الاعمال هو خير لكم مما حصل لكم من الدنيا فى الدنيا
فما موصولة وعند الله صلته وجملة هو خير لكم خبر ان كنتم تعلمون ان كنتم
من اهل العلم والتمييز ما عندكم من امتعة الدنيا وان امتلأ الدنيا منها ينفد
ينقضى وما عند الله باق دائم لا ينقطع ولا خير فى عيش اذا هو لا يبقى ولنجزين
الذين صبروا على طاعة الله ورضاه ودخل فيه الوفاء اجرهم ثانى مفعولى
نجزين فانه بمعنى نعطين باحسن ما كانوا يعملون اى بجزاء احسن من
اعمالهم قيل معناه نجزيهم بما ترجح فعله من اعمالهم وهو الواجب والمندوب
اراد ان الافعال اما واجب واما مندوب واما مباح واما مكروه واما حرام
وانما نجزيهم جزاء الواجب والمندوب بازاء جميع اعمالهم فضلا وكرما
قيل الاحسن الصبر اى نجزين الذين صبروا جزاء صبرهم والصبر احسن
الاعمال لاحتياج جميع التكاليف اليه من عمل عملا صالحا من ذكر او انثى
بيان لمن وهو مومن جملة حالية فلنحيينه حيوة طيبة فى الدنيا ولنجزينهم
نعطينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون عاد الضمير فى نحيينه الى لفظ
من وفى نجزينهم باعتبار معناها والمراد ممن عمل صالحا من شغله وصنيعه

العمل الصالح

العمل الصالح ولما قال ونزلنا عليك القران تبيانا لكل شئ واعقبه بما
يؤيده حتى ختم بالحث على الاعمال الصالحة التى فى القران تبيينها وذكر
ان الايمان شرطها والمومن من هو سالم من غوائل الشيطان وهو الذى
يحول بينه وبين فهم القران وصالحية الاعمال امران يستعيذ من خداعه
ووساوسه الى ربه فقال فاذا قرات القران اى بالفاء ليدل على ما بينا
فاستعذ بالله ان كان المراد ملاحظة العوذ من التلفظ باعوذ بالله من
الشيطان الرجيم كما بينه السنة فالمراد اذا اردت قرائته كما قال اذا قمتم
الى الصلوة فاغسلوا وان كان المراد مجرد الملاحظة من غير تلفظ به فلا حاجة
الى تقدير وظاهر القران وجوب ملاحظة العوذ من شره عند القراءة
واما التلفظ باعوذ بالله فسنة من الشيطان الرجيم المطرود عن رحمة الله
انه ليس له سلطان تسلط على الذين آمنوا ولم يؤثر فيهم وساوسه وعلى ربهم
يتوكلون فيلتجؤن الى تربيته من شر كل ذى شر انما سلطانه تسلطه على
الذين يتولونه يحبونه بان يطيعوه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان
مشركون ولا يبعد ان يقال المراد بالذين يتولونه الفجار من المسلمين ولما ذكر
تسلط الشيطان لاوليائه بين بعض ما انتج تسلطه فقال واذا بدلنا
اية مكان اية رفعناها وانزلنا غيرها لمصالح والله اعلم بما ينزل اعلم
بمصالح عباده فى النسخ والتبديل قالوا من تعليم الشيطان ووساوسه
وهو جواب اذا وما بينهما اعتراض او حال انما انت مفتر على الله بانه منزل
بل اكثرهم لا يعلمون ان الشرايع حكم ومصالح او المراد ان اكثرهم جهلة
ولكن بعضهم يعلمون ويطعنون عنادا قل نزله روح القدس جبريل عليه السلام
من ربك بالحق ملتبسا بانه حق سواء كان ناسخا او منسوخا وبينا ليس بمفتر
علينا ليثبت الذين امنوا على ايمانهم حين تاملوا وفهموا مصالح النسخ وهدى
وبشرى للمسلمين يحتمل ان يكونا مجرورين للعطف على المصدر المنسبك من
ان يثبت نحو جئت لاحسن اليك واكرام ولدك ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر عن ابن عباس كان غلام يباع يجلس اليه صلى الله عليه وسلم
ويكلمه وهو لا يعرف من العربى الا قدر رد الجواب فقال المشركون هو معلمه واما
نسبة تعلمه من سلمان فباطل لان الاية مكية وقد اسلم سلمان بالمدينة لسان

الذين يلحدون اليه لغة من يميلون قولهم عن الاستقامة اليه اعجمي وهذا القران
لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه من لا يعرفه يعني هب
انه تعلم منه المعنى لكن من اين تلقف لفظه والقران كما هو معجز بحسب المعنى معجز
بحسب اللفظ وقوله لسان الذي جملة استينافية او حالية ومذهب الفراء في ان
مجي الجملة الحالية الاسمية بغير واو وان كان فيها ضمير شاذ مذهب مرجوح لا يعتبر
ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله الى الحق فيتفوهون بكلمات
هي اضحوكة للبيب يسمع ولهم عذاب اليم في الاخرة انما يفتري الكذب بالله
الذين لا يؤمنون بايات الله لا مثل نبينا واولئك المفترون بهذا الافترا
هم الكاذبون الكاملون في الكذب فان الطعن بمثل تلك الخرافات اعظم
الكذب ولما قال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون ذكر ان من المفتري
من هو الد واشد الكاذبين ومنه من ليس من الكاذبين حقيقة فقال من كفر
بالله من بعد ايمانه خبر من مقدر دل عليه خبر من الثانية وهو قوله فعليهم
غضب تقديره فهو مواخذ بغضب الله عليه الا من اكره استثنا متصل
لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته
ولكن من شرح بالكفر صدرا يعني طاب به نفسا وصدرا مفعول شرح
لانه متعد فعليهم غضب من الله من مبتدأ وقوله فعليهم خبره والفاء لتضمن
معنى الشرط ولهم عذاب عظيم روى البيهقي وغيره عن ابن عباس ان الاية
في عمار بن ياسر عذبه المشركون ليرتد فوافقهم مكرها وجاء الى المدينة معتذرا
فقبل صلى الله عليه وسلم عذره والاجماع على جواز كلمة الكفر عند الاكراه
لكن الافضل تركها وان قتل وافراد الضمير في شرح للفظ من وجمعه في عليهم
ولهم لمعناه ذلك الكفر بعد الايمان او غضب الله بانهم استحبوا الحيوة
الدنيا على الاخرة اختاروها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي قوما
جبلوا وخلقوا على الكفر اولئك الذين طبع الله ختم على قلوبهم وسمعهم
وابصارهم فلا يفهمون الحق ولا يسمعونه ولا يبصرونه كما قال تعالى ولقد ذرأنا
لجهنم الاية واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة لا جرم حقا وقد مر تحقيقه
انهم في الاخرة هم الخاسرون فانهم اشتروا براس مالهم العذاب المخلد
ثم ان ربك للذين هاجروا اي ربك لهم بالرحمة والعناية فقوله للذين

خبران من بعد ما فتنوا عذبوا وهم المستضعفون الذين كانوا بمكة ما تيسرت
لهم الهجرة مع المهاجرين ثم جاهدوا وصبروا على المشاق لديهم وثم الاولى
لتباعد حال هولاء الذين لم يقولوا الكلمة الكفر عن حال من قال كلمة الكفر اكراها
ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور رحيم يغفر خطاياهم
ويرحمهم فينعم عليهم قيل لغفور رحيم خبر ان الاولى وقوله ان ربك من بعدها
تكرار للاولى للتوكيد والتعظيم ومعناه من بعد فتنتهم وعلى هذا قوله للذين
متعلق بغفورا او رحيم على الاعمال للتنازع لان ان ربك في الثاني لا يطلب له
لما بعده من حيث الاعراب يوم تاتي منصوب بغفور او رحيم فيكون ظرفا
او بتقدير اذكر فيكون مفعولا به كل نفس تجادل عن نفسها تحتج عن ذاتها
وتسعى في خلاصها والنفس الاولى بمعنى المجموع والثانية بمعنى الذات والعين
فانها تطلق على الذات وعلى مجموع الشيء وصاحبه ولهذا جاز اضافة
النفس الى الضمير الراجع الى النفس وتوفى كل نفس جزاء ما عملت
وهم لا يظلمون بنقص اجورهم ومزيد عذابهم ولما بين ان كل نفس لا تجزى
الا جزاء عملها في الاخرة غير مظلومين في ذلك ضرب مثلا انموذجا في
تحقق ما بين فقال ضرب الله مثلا قرية يعني جعلها مثلا لمن انعم الله عليه
فكفر بانعم الله فانزل الله عليه النقمة كانت امنة لانه لا يغتم لخائف مطمئنة
مستقرة لا يزعجها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان
من نواحيها فكفرت بانعم الله تركوا طاعة منعمهم وتمردوا في المعاصي فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف قد جرت الاذاقة في كلام العرب وموارد
استعمالاتهم مجرى الحقيقة لشيوعها في الشدائد فالذوق مستعار لادراك
اثر الضرر واللباس مستعار لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف
وقدم الجوع ليلي المتاخر نحو تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت
عن ابن عباس وكثير من السلف القرية المضروب بها المثل مكة ضرب مثلا
لغيرها مما ياتي بعدها فانه عليه الصلوة والسلام لما تمردوا في العصيان دعا عليهم
بسبع كسبع يوسف فاصابتهم حتى اكلوا العظام المحرقة والجيف واما الخوف
فمن سطوة سرايا المؤمنين حتى فتح الله على ايديهم بما كانوا يصنعون اي الاذاقة
بسبب صنيعهم اعاد الضمير اولا في اذاقها الى لفظ قرية ثم في يصنعون الى اهلها

المقصود من القرية ولقد جاءهم رسول منهم من نسبهم واصلهم وهذا صريح
فی ان القرية المضروبة مثلا ليست قرية مقدرة كما جوزه الزمخشری بل هی قرية
كانت موجودة فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون الواو للحال وقوله
ولقد جاءهم الی آخره مبين لقوله فكفرت بانعم الله الی آخره فالمراد باخذهم
العذاب عذاب الجوع والخوف والقتل ولما ذكر فكفرت بانعم الله عقبه بقوله
فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا قوله حلالا مفعول كلوا وقوله مما حال جاء العكس
واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون ان اطعتم الله غير مشركين امرهم
الله باكل الحلال المستلذ وشكر النعمة بعد ان هددهم عن الكفران ولما قال
كلوا مما رزقكم الله حلالا شرع يبين ما هو حرام ليظهر الحلال فقال انما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله
غفور رحيم عدد عليهم ما حرم الله لا ما حرموا من عند انفسهم من مثل البحائر بعد ما
امرهم بتناول ما احل لهم فلا يدل علی حصر المحرمات فی تلك الاشياء كانه قال
الحرمة محصورة فی تلك الاشياء لا تجاوز الی البحائر والسوائب وقد مر تفسيره
مفصلا فی سورة البقرة ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا
حرام هذا مبالغة فی كذبهم كان الكذب مجهول والسنتهم تعرفه وتصفه نحو
وجهها تصف الجمال والكذب مفعول تصف وما مصدرية يعنی لا تحللوا
ولا تحرموا لمجرد قول ينطق به السنتكم من غير حجة وهذا حلال مفعول القول ای
لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب وقد مر وتصف
السنتكم الكذب وفيه دليل علی ان الكذب ليس بقول القول كما قيل لتفتروا
علی الله الكذب اللام لام العاقبة فانه ليس غرضهم الافتراء بل نهاية امرهم
وغاية الافتراء ان الذين يفترون علی الله الكذب لا يفلحون ليس لهم نجاة
من عذاب الله متاع قليل ای ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة
وعلی الوجهين متاع خبر مبتدا محذوف ولهم فی الآخرة عذاب اليم ولما
ضرب مثلا لمن لم يشكر نعم الله من المشركين بين مثالا آخر من اهل الكتاب
فقال وعلی الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل فی سورة
الانعام يعنی قوله وعلی الذين هادوا حرمنا كل ذی ظفر الآية وما ظلمناهم
بالتحريم والتضييق عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاستحقوا التضييق

قال تعالی فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية
ثم ان ربك للذين عملوا السوء لا عليهم فقوله للذين خبر ان نحو انا لك
لا عليك بجهالة ملتبسين بها او بسببها غير عارفين لعقابه او غير متدبرين
للعاقبة لحرص وشهوة ملتذا بهواه لا يبال بمعصية مولاه مغترا بالحال
عن المآل وعن بعض السلف كل من عصی الله فهو جاهل ثم تابوا من بعد
ذلك من بعد عمل السوء واصلحوا حالهم ان ربك من بعدها من بعد التوبة
والاصلاح لغفور رحيم وجاز ان يكون قوله لغفور رحيم خبر ان الاولی علی
ما مر غير بعيد وحينئذ معنی من بعدها من بعد اعمال السوء ولما امر قريشا
ونهيهم وهم مفتخرون بجدهم ابرهيم عليه الصلوة والسلام مقرون بحسن سيرته
ووجوب اتباعه ذكره فی آخر السورة واوضح منهاجه فقال ان ابرهيم
كان امة ما موما مقصودا يقصده الناس ليأخذوا منه الخير او مؤتما
به يقتدی فعلة بمعنی مفعول كرحلة ونخبة ای ما يرحل اليه وما ينتخب ای
يختار او امة لانه وحده مؤمن والناس كلهم كفار او لاستجماعه فضائل
لا توجد الا فی امة قانتا مطيعا لله حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين
رد علی قريش فانهم مشركون زاعمون انهم علی ملة ابرهيم شاكرا لانعمه تقلل
نعمه فكيف بالكثير فان افعل جمع قلة اجتباه للنبوة والخلة وهداه الی صراط
مستقيم عبادة الله وحده خالصا واتيناه فی الدنيا حسنة هی كونه
معظما عند الكل ومن اولاده الانبياء ومن دعائه واجعل لی لسان صدق
فی الآخرين وانه فی الآخرة لمن الصالحين من دعائه والحقنی بالصالحين
ولما وصفه صلی الله عليه وسلم بتلك الاوصاف الحسنی امر نبيه وحبيبه
صلی الله عليه وسلم باتباعه فقال ثم اوحينا اليك يا محمد ان اتبع بان
اتبع او ان تفسيرية وهذا ادل دليل علی عظمته فان افضل الخلائق قاطبة
مامور باتباع ملة ابرهيم حنيفا فی مناسك الحج وعقائد الدين والفروع
الاشياء امر بمعنی لفقه وقوله حنيفا حال من المضاف اليه وقال بعض النحاة
جاز الحال من المضاف اليه اذا كان المضاف جزءا من المضاف اليه
نحو ونزعنا ما فی صدورهم من غل اخوانا او كالجزء نحو ملة ابرهيم حنيفا وما
كان من المشركين كما يزعم قومك انما جعل السبت تعظيمه علی الذين

اختلفوا فيه لا ان تعظيمه في ملة ابرهيم بل في دينه تعظيم الجمعة كما في دين
محمد عليه الصلوة والسلام وفي الصحيحين ما يدل على ان موسى امر امته بتعظيم
الجمعة فابوا الا شرذمة منهم وقالوا لا نريد الا يوم فرغ الله من الخلق وهو السبت
فاذن الله لهم في السبت وغلظ وشدد الامر فيه عليهم فابتلاهم بتحريم
صيده فما اطاعوا الا من رضي بتعظيم يوم الجمعة قيل معناه انما جعل وبال
السبت وهو المسخ على من حرم تارة وحلل اخرى وهو الاختلاف وان
ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيجازي كل فريق بما يستحقه
ولما ذكر انه صلى الله عليه وسلم مامور باتباع خليله امر حبيبه صلى الله عليه
وسلم بما هو الاصل والمقصود من اتباعه وارشاده فقال ادع الى سبيل ربك
اي دينه بالحكمة والموعظة الحسنة القول اللين من غير تغليظ وتعنيف قال
ابن عباس الحكمة هي القران والموعظة الحسنة مواعظ القران وجادلهم
بالتي هي احسن يعني من احتاج الى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الاحسن
برفق وحسن خطاب وتوضيح مقصود بمثل مثال ودليل ظاهر الدلالة
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يعني ادع الخلق
جميعا الى الله وهو عالم بمن يقبل دعوتك وبمن لا يقبل ولا تذهب
نفسك على من لا يقبل حسرات فانما عليك البلاغ وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وهذا من الحكمة والمجادلة الحسنة يعني ان عاقبتم
ولا تعفون عنهم فلا تجاوزوا عن مثل ما فعلوا فان المجاوزة غلظة وظلم
وليس هذا شانك والسورة مكية وهذه الايات الى اخر السورة مدنية
ذكر عطاء بن يسار في حديث مرسل وذكر الحافظ البزار بطريق متصل
وفيه ضعف انها نزلت في حمزة رضي الله عنه حين ما وقع عليه في وقعة
احد وقال صلى الله عليه وسلم حين نظر الى حمزة والله لئن اظفرني الله
عليهم لامثلن بسبعين مكانك فلما نزلت كفر عن يمينه وعن بعض السلف
ان هذا امر بالعدل في الاقتصاص والمماثلة في استيفاء الحق مطلقا
فلا يلزم ان تكون تلك الايات في تلك السورة مدنية ولئن صبرتم
بان لا تجاوزوا عن مثل ما فعلوا او صبرتم وعفوتم عن القصاص وقوله
وان عاقبتم مشعر بالثاني لهو اي الصبر خير للصابرين اي للصابرين

على امره

على امره ونهيه وهم المؤمنون واصبر انت يا محمد على الشدايد وما صبرك
الا بالله بتوفيقه او برضاه ولا تحزن عليهم على من خالفك ولا تك في
ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم فان الله كافيك وناصرك
ان الله مع الذين اتقوا مع من راعى التقوى بالتأييد والمعونة والمحبة
والذين هم محسنون بالشفقة على خلق الله او المحسنون في العمل جعلنا الله منهم

سورة بني اسرائيل مكية قبل الا ثمان ايات من قوله وان كادوا ليفتنونك وهي مائة وعشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحن الذي اسم بمعنى التسبيح اي انزهه تنزيها من كل
نقص يضيف اليه الجاهلون ذكر في اوائل بعض السور جميع تصاريفه
من المصدر والماضي والمضارع والامر الذي اسرى بعبده اسرى
بمعنى سرى لازم عداه بالباء فان باء التعدية بمعنى المعية ولهذا قال
بعض المهرة من النحاة باء التعدية بمعنى مع ليلا اي في ليل واحد مع ان
الذهاب لا يمكن عادة الا في ثلثين من المسجد الحرام مكة او مسجد مكة الى
المسجد الاقصى الذي ببيت المقدس ببدنه في اليقظة بعد البعثة
وكان في المنام قبل البعثة الذي باركنا حوله بالثمار وبركات الدنيا
والدين لنريه اي محمدا فيه التفات من الغيبة من اياتنا عجائب صنعه
وسماته انه هو السميع لمصدقه ومكذبه البصير فيجزي وفق استحقاقهم
قيل ضمير انه لعبده واتينا موسى الكتاب عطف على الجملة السابقة
المنزهة وكثيرا ما يقرن بين ذكر محمد وموسى عليهما الصلوة والسلام
والقران والتورية وكان بينهما في تلك الليلة حكاية مراجعته الى الله
لخمسين صلوة فرضت بامر موسى وصلاحه وهي مشهورة مسطورة في
كتب الاحاديث وجعلناه الضمير للكتاب او لموسى هدى لبني اسرائيل
ان لا تتخذوا ان تفسيرية ولا نهي او مصدرية ولا نفي اي لئلا تتخذوا
من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا مع نوح في قراءة
الخطاب في لا تتخذوا نصب ذرية بالنداء اي لا تتخذوا يا ذرية من انجيناهم
من الغرق ربا سواي واما في قراءة ياء الغيبة فمنصوب على الاختصاص
انه كان عبدا شكورا كثير الحمد وضمير انه لنوح فيه اشارة الى ان على الذرية
الاقتداء به وقضينا الى بني اسرائيل تعديته بالى لتضمين معنى الوحي

قيل هو جواب قضينا فانه جار
مجرى القسم منه

اي اوحينا وحيا مقضيا مقطوعا في الكتاب التورية لتفسدن جواب
قسم محذوف في الارض بالمعاصي مرتين قتل زكريا اولهما والثانية
حبس ارميا حين انذرهم سخط الله ولتعلن علوا كبيرا لتستكبرن عن طاعة
الله ولتظلمن الناس وحاصله قضينا الى بني اسرائيل بفسادهم في الارض
وعلوهم ثم اقسم على وقوع ذلك وانه كائن لا محالة فاذا جاء وعد عقاب
اوليهما اولى الافسادين بعثنا عليكم عبادا لنا هم جالوت وجنوده او
او ملك الموصل سنجاريب او بخت نصر والبعث الارسال والتسلط
فانه اذلهم وقتلهم اولي قوة باس شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم
خلال الديار وسطها للقتل والسبي ولم يكتفوا بقتل من ظهر وقاتلهم
وكان اي وعد اوليهما وعدا مفعولا فانه قضاء مبرم ثم رددنا لكم الكرة الدولة
عليهم بان سلط داود على جالوت فقتله او دانيال على بخت نصر
وامددناكم باموال وبنين حتى عادت حالكم كما كانت . وجعلناكم
اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه او جمع نفر اي اكثر
عددا مما كنتم او اكثر نفرا من الاعداء ونصب نفيرا على التمييز ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها اي فالاساءة لها لا يتعدى النفع والضرر
الى غيركم فاذا جاء وعد الاخرة اي جاء وعد عقوبة المرة الاخرة في افسادكم
وعلوكم ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءكم ومن قرا ليسوء فالضمير المفرد
لله او للبعث او للوعد والفاء في فاذا جاء مرتب على قوله ثم رددنا
لانه عطف على قوله فاذا جاء وعد اوليهما حتى تكون الواو مناسبا وجاز
ان يراد بالوجوه حقيقتها فان اثر السرور والكآبة يظهر على الوجه والظاهر
ان اساءة وجوههم لعقوبة المرة الاخرة كانت بعد رد الدولة عليهم
وكانهم ما عرفوا قدر هذا الرد وليدخلوا المسجد عطف على ليسوءوا كما دخلوه
اول مرة اي كما خربوا اولا بيت المقدس بعثناهم لتخريبه ثانيا وليتبروا
وليهلكوا ما علوا مفعول يتبروا اي يهلكوا كل شيء غلبوه تتبيرا قيل ما ظرفية
اي مدة استيلائهم عسى ربكم يا بني اسرائيل ان يرحمكم برد الدولة اليكم
بعد انتقامه منكم ثانيا وان عدتم الى المعصية عدنا الى العقوبة وعن الحسن
وقتادة عادوا فبعث الله عليهم المسلمين يقتلهم واجلائهم وضرب

الجزية

الجزية عليهم وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا او بساطا كما يبسط الحصير
او ذات حصر حاصرة محيطة بهم من جميع جهاتهم ولما ذكر من اختصه
بالاسرى ومن آتاه التورية وان التورية هدى لبني اسرائيل وذكر ما قضى
عليهم بذنوبهم تنبيها وردعا عن المعاصي بين ان كتابنا يهدي وبين
حال من يهتدي به ومن لا يهتدي فقال ان هذا القران العظيم الشان
الناسخ للاديان يهدي للتي اي للطريقة التي هي اقوم اسد الطرق
فان جميع الكتب السماوية سيما التورية له سدادا ولكن القران اسد
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان اي بان لهم اجرا
كبيرا الجنة والرضوان ولقاء الله وان الذين لا يؤمنون عطف على
ان لهم بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما يعني يبشر المؤمنين بثوابهم الجزيل
والعقاب التام لاعدائهم وقوله ان الذين لا يؤمنون بالاخرة
دل بمفهومه على ان من آمن لا يعد له عذاب اليم والعمل الصالح ليس
شرطا من نجاته عن تلك العقوبة ولا شك ان قد وقع في الصدر الاول
هنات وسقطات بعضها مذكور في القران وبعضها في الاحاديث
الصحاح وانكار ذلك مكابرة ولما بين عطافه على المؤمنين باثابتهم
والانتقام من اعدائهم ذكر لطفا اخر على الانسان مؤمنهم وكافرهم
في صورة قهر فقال ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير اي في طبعه
اذا غضب دعا على نفسه واهله وماله بالشر ان يصيبه مثل مسألته الخير
وكان الانسان عجولا يسارع الى ما لا يعلم خيريته لقلة صبره وعدم تثبته
لكن الله صبور عليم حليم لا يجيب لطفا وانعاما جميع مسألته كما دعا بعض
من لا يؤمن بالاخرة امطر علينا حجارة من السماء الاية ثم عد ما اعم
للكل من انعام عام ظاهر باهر دال على قدرته الكاملة فقال وجعلنا
الليل والنهار ايتين كلام السلف كما نذكره دال على ان آيتين مفعول
جعلنا وقوله الليل والنهار ظرفان في موقع المفعول الثاني فمحونا اية الليل
وعلى ما ذكرنا ليست الاضافة بيانية وجعلنا اية النهار مبصرة مضيئة
او مبصرة للناس من ابصره فبصر فيكون متعديا سئل عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه كما رواه ابن جرير وغيره بطرق متعددة ما هذه اللطخة

التي في وجه القمر فقال ويحك اما تقرا القران فمحونا آية الليل هذه محوه
وعن ابن عباس كان القمر وهو آية الليل مضيئا كآية النهار وهي الشمس فمحونا
آية الليل ومحوه السواد الذي في القمر لتبتغوا لتطلبوا في النهار فضلا من ربكم
اسباب معائشكم ولتعلموا بآية الليل عدد السنين والحساب ظاهر القران
على ان قوله لتبتغوا ولتعلموا متفرع على المحو والابصار كما قال ويسالونك
عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس ببعيد ان يقال النقصان الذي
في نور القمر في اوائل الشهر واواخره داخل في المحو فلو كان القمر دائما بدرا ونوره
كنور الشمس لكان بعض الليالي كالنهار مضيئا فلا يمتاز احدهما عن الآخر
لكل احد ولا يختص النهار لطلب المعاش ولا الليل للسكن وما ظهر لجميع عدد
السنين والحساب ولا يتميز اوسط الشهر عن الاول والآخر ويكون مجي
الشهر الفلاني وذهابه مجرد اصطلاح من غير تغيير بيان وكل شيء تحتاجون
اليه فصلناه تفصيلا بيناه بحيث لا يلتبس ونصب كل شيء على الاشتغال
ولما قال وكل شيء فصلناه تفصيلا اتبعه تفاصيل احوال البشر من حين حيوته الى
موته بانها مضبوطة من غير مزيد ونقصان فقال وكل انسان الزمناه
طائره في عنقه اي ما قضي عليه انه عامله من خير وشر وما هو صائر اليه من
سعادة وشقاوة لازم له لزوم القلادة او الغل لا ينفك عنه وطائره ثاني
مفعولي الزمناه وفي متعلق بالزمنا كانوا يتيمنون بسنوح الطير ويتشامون
ببروحها فهم لما نسبوا الخير والشر الى الطير استعير لما كان سببهما من
عمل العبد الذي هو السبب في النعمة والنقمة ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه
منشورا صفة اخرى لكتابا او حال من مفعول يلقاه اي يجده منشورا
لكشف غطائه اقرا كتابك اي يقال له ذلك كفى بنفسك الباء مزيدة
في فاعل كفى ولا يحفظ التانيث في كفى حين كان فاعله مونثا مجرورا مع
ان الظاهر تانيثه نحو ما آمنت قبلهم من قرية وما تاتيهم من آية اليوم عليك
حسيبا نصب حسيبا على التمييز لجواز دخول من عليه يعني كفيت انت في محاسبة
نفسك لا تحتاج الى من يحاسبك وتذكير حسيبا مع ان النفس مونث
لان يتولى هذه الامور يتولاها الرجال كانه قال كفى بنفسك اليوم رجلا حسيبا
او على تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه اهتداؤه

فانهم سالوا اما بال الهلال يبدو
دقيقا ثم وثم وقول المعه في جوابهم
ان فائدته العلم بمواقيت الناس
والحج
منه

لا يكون

لا يكون سبب نجاة غيره ومن ضل فانما يضل عليها لا يضل ضلاله غيره
ولا تزر ولا تحمل وازرة نفس حاملة وزر نفس اخرى بل لكل جزاء عمله لا تتعداه
الى غيره فنثيب من اهتدى ونعذب من ضل وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا فيكذب ولا يؤمن به وانتفاء التعذيب اعم من ان يكون في الدنيا
من الهلاك وفي الآخرة بالنار قال تعالى كلما القي فيها فوج سالهم
خزنتها الم ياتكم نذير الآية لكن المراد من انتفاء العذاب في قوله تعالى
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل محمد او القران لقالوا ربنا
لولا ارسلت الينا رسولا الآية وفي قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون العذاب الدنيوي العام
كما قال وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولهذا قال
بعض السلف في قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ان المراد
هو العذاب الدنيوي فان القران يفسر بعضه بعضا وعلى ما فسرناه اولا
فالظاهر ان من نشا في مثل شاهق جبل ولم يسمع رسولا فهو معذور وكذا
المجنون المطبق وكذا الاطفال مطلقا والاحاديث في شان الاطفال مختلفة
وقال بعض المحققين لا يمكن التوفيق الا بان نقول اطفال المسلمين في الجنة
واما اطفال الكفار فبعد البعثة ببركة محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة خدم
اطفال المسلمين واما قبل البعثة فالله عالم باحوالهم وفي حديث رواه
البيهقي وقال اسناده صحيح اربعة يحتجون يوم القيمة اصم لا يسمع شيئا
واحمق وهرم ومن مات في الفترة فيرسل الله اليهم ان ادخلوا النار
فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب اليها وروى
غير البيهقي هذا المعنى بعبارات وروايات مختلفة وقد صرح الاشعري
ان الاطفال يمتحنون يوم القيمة بمثل ما نقلنا في الحديث وقال على هذا اهل
السنة والجماعة ولما بين سبحانه انه لا يعذب احدا قبل بعثة الرسول بين
بعد ذلك علة اهلاكهم فقال واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا بالامر التقديري
مترفيها متنعميها بالفسق يعني سخرهم الله الى فعل الفواحش فاستحقوا
العقوبة فان الله لا يامر بالفحشاء قيل معنى امرنا كثرنا من امرت الشيء
اذا كثرته وقراءة آمرنا يؤيده ففسقوا فيها فحق عليها القول اي كلمة العذاب

فدمرناها تدميرا استأصلناها وغير المترفين الذين فيها لما رضوا بفعلهم وسكتوا
عن النهي استحقوا العذاب قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة فقال كثير من السلف المراد من الفتنة ترك نهي المنكر وكم اهلكنا
اي اهلكنا كثيرا من القرون بيان وتمييز لكم من بعد نوح فانه عليه السلام اول
نبي بالغ قومه في تكذيبه وقومه اول من حلت عليهم العقوبة العظمى اي الاستئصال
بالطوفان وكفى بربك الباء كما مر في تلك السورة مزيدة على الفاعل
بذنوب عباده خبيرا بصيرا منصوبان على التمييز وبذنوب متعلق بخبيرا
والذنوب اسباب الهلكة وهو تعالى خبير بصير بها فمعاقب عليها ولما ذكر
انه خبير بصير يعاقب على الذنوب رغب في الاخرة ورهب من الدنيا فان
الدنيا راس كل خطيئة فقال من كان يريد العاجلة اي همته مقصورة على
الدنيا عجلنا له فيها ما نشاء تعجيله لمن نريد لمن نريد تعجيله لمن بدل البعض من له
فان ضميره لمن الشرطية ومعناه الكثرة لكن جاءت الضمائر هنا على اللفظ
ثم جعلنا له جهنم بمعنى صيرنا له وجهنم مفعولاه فانه ينعقد منهما مبتدأ وخبر بعد
يصليها يدخلها جملة حالية من جهنم مذموما مدحورا مهانا مطرودا حالان
من فاعل يصلى ومن اراد الاخرة بان يؤثرها على الدنيا وسعى لها سعيها
حقها من السعي باتيان الاوامر والانتهاء عن النواهي وهو مؤمن فانه هو الشرط
الاعظم فاولئك الجامعون للشرائط الثلثة كان سعيهم مشكورا مقبولا عند
الله مثابا عليه وقد راعى معنى من فلهذا جاء بلفظ الجمع كلا نمد هؤلاء وهؤلاء
اي نمد بالرزق والعافية كلا من هؤلاء الذين ارادوا الدنيا وهؤلاء الذين
ارادوا الاخرة فكلا مفعول نمد اي كل الفريقين وقوله هؤلاء وهؤلاء بدل كل
من كلا وقيل هؤلاء منصوب بتقدير اعني من عطاء ربك متعلق بنمد وهو
من باب الالتفات الى الغيبة حيث لم يقل من عطائنا وما كان عطاء
ربك محظورا ممنوعا في الدنيا عن مؤمن وكافر انظر من نظر البصيرة كيف
فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا فمنهم الغني والفقير والصحيح والسقيم والحسن
والقبيح وكيف منصوب بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات واكبر
تفضيلا درجات وتفضيلا منصوبان على التمييز ولما تقرر بما مضى
انه القادر المعطي المانع انتج انه الواحد المنزه عن النقص والشريك فقال

لما قلنا ان انظر من نظر الفكر والبصيرة فهو معلق عن قوله كيف فضلنا فانه في موضع نصب بانظر منه

لا تجعل

لا تجعل مع الله الها آخر يعني ان كنت تريد الاخرة والخطاب لكل احد
او للرسول صلى الله عليه وسلم فانه هو راس الكل وسيدهم وهو المخاطب
في الكلام فتقعد فتصير مذموما من الملك والمؤمن مخذولا من الله سبحانه
وقضى ربك امر امرا قطعيا الا تعبدوا الا اياه اي بان لا تعبدوا الا اياه فانه هو
المستحق وحده للعبادة وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا بهما احسانا
عطف على ان لا تعبدوا او جاز ان يقدر واحسنوا بهما احسانا او تقدير
وقضى ربك احسانا بالوالدين وهذا عند من يجوز تقديم معمول المصدر
اذا كان جارا ومجرورا اعتنى بالاحسان اليهما حيث قرن بعبادة الله لان
الله هو الموجد وهما واسطة في الايجاد اما ان شرطية وما زائدة للتأكيد
يبلغن ومذهب سيبويه كما ذكر صاحب البحر جواز مثل ان يبلغن بدون زيادة
ما عندك الكبر احدهما فاعل يبلغن والكبر مفعوله او كلاهما ومن قرأ
يبلغان فاحدهما بدل بعض من ضمير التثنية وكلاهما مرفوع بمقدر على
تلك القراءة تقديره او يبلغ عنده كلاهما فلا تقل جواب الشرط لهما اف
صوت دال على تضجر مبني على الكسر والتنوين للتنكير يعني ان عاش احد والديك
او كلاهما حتى يكونا كلا عليك لشيبهما فلا تسمعهما التأفيف الذي هو ادنى
مراتب القول السيء ولا تنهرهما لا تزجرهما عما لا يعجبك صرح بما هو معلوم
وقل لهما قولا كريما جميلا بتأدب وتوقير واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما
واخضع قال القفال فيه وجهان احدهما ان الطير اذا ضم فرخه اليه للتربية
خفض له جناحه فهو كناية عن حسن التدبير والاشفاق فكانه قال اكفل والديك
بضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك والثاني ان الطير
ينشر جناحه للطيران والارتفاع وحين ترك الطيران يخفض جناحه فهو
كناية عن السكون والتواضع من الرحمة من فرط رحمتك عليهما وقل رب
ارحمهما كما ربياني صغيرا الكاف منصوب نعتا لمصدر محذوف وصغيرا
حال ربكم اعلم بما في نفوسكم اخبر بانه اعلم بما انطوت عليه الضمائر من
قصد عبادة الله والبر لوالديه ان تكونوا صالحين ذوي صلاح ثم فرط
منكم تقصير في عبادة الله وبر الوالدين وابتم الى الصلاح فانه كان لل
اوابين غفورا لما فرط عنهم وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم والبر عليه

وهذا هو الاولى لصحة معناه من غير حذف وتقدير غير شايع مع ان معمول المصدر غير متقدم عليه منه

لما امر بالبر الى اقرب الاقارب وهو الابوان امر بصلة باقي الاقارب
والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بان تصرف المال في غير حق شرعي
فكانه قال اصرف مالك في هولاء ولا تصرف في المعاصي وعن ابن مسعود
وغيره لو انفقت مدا في غير حقه صرت مبذرا ولو انفقت جميع ما في يديك
في الحق لم تكن مبذرا وكانت الجاهلية يبذر الاموال في الفخر والسمعة ان المبذرين
كانوا اخوان الشياطين اصدقاءهم وامثالهم وكان الشيطان لربه كفورا
منكر الانعم الله جحودا فلا تتبعوه ولا تكونوا مثله انما يدعو حزبه ليكونوا من
اصحاب السعير وهذه الاخوة دالة على التبذير الممنوع وهو ما يكون في معصية
الله واما تعرضن عنهم اي وان اعرضت عمن امرتك ان تؤتيه من الاقارب
والمسكين وابن السبيل حياء من ردهم حين سالك ولم يكن عندك شيء تعطيه
فان شرطية وما زائدة ابتغاء رحمة من ربك ترجوها اي تعرضن لانتظار
رزق من رحمة ربك ان ياتيك فتعطيه واما ان ابتغاء علة جواب الشرط
الذي هو فقل لهم فلا يجوز لان ما بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبله وهذا منصوص — كما جوزه الزمخشري من ان ابتغاء متعلق بجواب الشرط مقدم عليه منه
عليه نقل الزمخشري انه صلوات الله وسلامه عليه كان يعرض عن السائل حياء
ان لم يكن عنده ما يعطيه فلا يجيبه فامر بالجواب فقل لهم قولا ميسورا يعني
اذا سالك من امرتك باعطائهم وليس عندك شيء فعدهم وعدا بسهولة
ولين بدلا عن الاعراض والوعد مثل ان تقول اذا جاء رزق الله فسنصلكم
ان شاء الله كذا فسره كثير من السلف وقيل القول الميسور الدعاء مثل رزقنا
الله واياكم واليسر يكون لازما ومتعديا وميسور من المتعدي يقال يسرت
لك كذا ولما امر بالايتاء ونهى عن التبذير الممنوع توجه الى طريق الايتاء فقال
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك كناية عن البخل الذي هو الشح استعير له الغل
الذي ضم به اليد الى العنق فامتنع من تصرف اليد حيث يريد فان باليد
الاعطاء ولا تبسطها كل البسط اي لا تبسط اليد بالخير بسطا واسعا فعلى
الحقيقة امر بالاقتصاد الذي هو بين الاقتار والاسراف فاستعير بسط
اليد لذهاب المال فطابق في الكناية بين بسط اليد وقبضها من حيث
المعنى واما التبذير فهو شر اخر غير جائز مطلقا فتقعد جواب النهي ملوما محسورا من
اللف والنشر اي ملوما مذموما بالبخل محسورا نادما عن كمال البسط وجائز

ان يكونا

ان يكونا متعلقين بكل من البخل والسرف ويقال ايضا بعير محسور
اذا عجز عن السير ضعفا وتقول العرب ما قعدك عن المكارم وهذا امر في شان
المتعارف في الناس كما انه لا يجوز السفر الطويل من غير زاد ولا ماء في مفازة
وصاحب التوكل حق التوكل مستثنى ولا يستثنى لان الامر والنهي في شان
المتعارف بين الناس فالنهي من كمال البسط للمتعارف ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا
ولما نهى العباد عن الشح والاسراف للملومية والمحسورية اجاب عما يعرض
في بعض من الاذهان فقال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء بسطه
ويقدر ويضيق لمن يشاء ضيقه انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم
سرهم وعلنهم باطنهم وظاهرهم فالبسط والتضييق لما يرى الله من
مصالح عباده وفي الحديث ان من عبادي لمن لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته
لافسدت عليه دينه وان من عبادي لمن لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته
لافسدت عليه دينه ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق فقر وفاقة وكان
الولد عادتهم مخافة الفقر نحن نرزقهم واياكم قد مر في سورة الانعام جهة
اختلاف العبارة ان قتلهم سواء كان للاملاق ولغيره كان خطأ
ذنبا كبيرا والخطا الاثم ومن قرأ خطأ فهو اسم ايضا والصواب ولما كان
الزنا كقتل الولد في تضييع النسب ذكر في عقبه وقال ولا تقربوا الزنا
او في قرب بفعل شيء من مقدماته ولهذا لم يقل ولا تزنوا انه كان فاحشة
اي لم يزل معصية فاحشة قبيحة زائدة في القبح وساء سبيلا اي بئس
طريقا طريقه لانها سبيل يؤدي الى النار ولما خص نهي القتل بالاولاد
اعقبه بالتعميم فقال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق
اي لا تقتلوها بجهة من الجهات الا بجهة ردة او زنا بعد احصان او قتل
معصوم عمدا فان قتل كل منها حق غير باطل ومن قتل حال كونه مظلوما
غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه وهو الوارث فانه يلي امره بعده
سلطانا تسلطا على القاتل بقتله او باخذ الدية منه او عفوه فلا يسرف
اي الولي في القتل بان يقتل اثنين لواحد او غير القاتل او يمثل بالقاتل
كما هو عادة الجاهلية وقيل معناه فلا يسرف القاتل في القتل بان يقتل

من لا يجوز قتله وقرآءة فلا تسرفوا يؤيده انه كان منصورا استئناف يعني لا يسرف
الولي لانه تعالى لطف عليه ونصره حيث اوجب القصاص له وامر الناس بمعونته وعلى
الوجه الثاني معناه فان المقتول منصور لا محالة بقتل به الظالم ولما كانت الشريعة لاحصان
الدمآء والفروج والاموال التي هي عديل الارواح فلان بها قوامها ذكر الاشيآء الثلثة احدها
عقب الآخر فقال ولا تقربوا مال اليتيم فضلا عن ان تتصرفوا فيه الا بالتي الا بالطريقة التي هي
احسن الطرق حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا فادفعوه اليه وقد مر في سورة الانعام
ولما كان قبول الاوامر والوصايا من الوفآء بالعهود قال واوفوا بالعهد عام فيما عقده الانسان
بينه وبين ربه او بينه وبين مثله في طاعة ان العهد كان مسؤلا عنه يسأل الناكث ويعاتب
عليه او مسؤلا من العاهد ان لا يضيعه قيل يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث قال تعالى واذا
المؤودة سئلت باي ذنب قتلت ولما وصى في مال اليتيم ثم عم الوصية بوفاء العهد على الاجمال
عقبه بتفصيل امر جزئي ليعلم منه الاهتمام التام في الاجتناب عن المظالم فقال واوفوا الكيل
اذا كلتم من غير تبخيس قوله اذا كلتم قيد على سبيل التوكيد وان لا يتأخر الايفآء بان يكيل
بنقصان ما ثم يوفيه بعد وفيه دليل على ان الكيل على البايع لانه لا يناسب ان يقال
ذلك للمشتري وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان العدل وهو لفظ رومي عرب
ذلك اي الايفآء في ما هو بالكيل والوزن المستقيم فيما هو بالوزن خير واحسن تاويلا
عاقبة وهو من المال وهو المرجع وخيريته باعتبار انه لا يبقى على الموفي والوزان تبعة لا في
الدنيا ولا في الاخرة ثم توجه الى النهي عن كل ما لا يليق فقال ولا تقف لا تتبع ما ليس لك به علم
ما لم يتعلق به علمك من قول او فعل كشهادة الزور والكذب والجار متعلق بفعل مستنبط
من قولك ما ليس لك علم مثل لم تحط به لا متعلق بعلم فان معمول المصدر لا يتقدم عليه
ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك السمع والبصر والفؤاد وهو اسم اشارة الى
الجمع المذكر والمؤنث العاقل وغير العاقل كان عنه مسؤلا اي كل واحد من السمع والبصر
والفؤاد مسؤل عن اقتفآء ما لا علم له به ففي مسؤلا ضمير هو فاعله وقد صرح بعض النحاة
الاتفاق من النحويين على انه لا يجوز تقديم الجار والمجرور الذي يقام مقام الفاعل وقيل
عنه مرفوع بفعل يفسره مسؤلا وليس في مسؤلا ضمير لانه لمجرد التفسير ولما كان الكبر من اقبح
خصال الفؤاد الذي هو مسؤل عنه قال ولا تمش في الارض مرحا نصبه على الحال
نحو جاء زيد ركضا اي راكضا او تقديره ذا مرح وهو السرور والاغتباط بالراحة فانه
يصحب الخيلآء وفي الارض مشير الى التعميم انك لن تخرق الارض لشدة وطائك

ولن تبلغ

ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وكبرك وهو تهكم بالمتكبر قيل انك لن تقطع الارض
فتبلغ اخرها ولن تقدر ان تساوي الجبال فما انت الا عاجز وما اقبح التكبر من عاجز
وطولا تمييز اي لن تبلغ طول الجبال كل ذلك اشارة الى ما مر من قوله ولا تجعل
مع الله وهي اربعة وعشرون خصلة بعضها امر وبعضها نهي بداها بقوله لا تجعل وختم
بقوله ولا تجعل كان سيئه اي المنهيات لا المامورات عند ربك مكروها مبغوضا
لا المكروه الفقهي الاصطلاحي وفي هذه العبارة حيث لم يقل كل المنهيات سيئة
عند ربك مكروها اشارة تامة الى ان غير سيئه الذي هو الاوامر عند ربه محبوبا ومن
قرأ سيئة فالظاهر ان ذلك اشارة الى النهيين القريبين وهما لا تقف ولا تمش
او الى جميع ما نهي عنه من المذكور واسم كان ضمير كل ومكروها خبر بعد خبر او حال من المستكن
في الظرف والظرف صفة قال الزمخشري السيئة في حكم الاسمآء بمنزلة الذنب والاسم
زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه الا ترى قولك الزنا سيئة والسرقة سيئة
فلا تفرق بين مذكر ومونث ذلك اي الاحكام المتقدمة مما اوحي اليك ربك
من الحكمة وهي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير للعمل به ومن متعلقة باوحى او بدل مما
او حال من العائد الى ما ولا تجعل مع الله الها اخر ذكره في اول الخصال واخرها
لانه هو الاصل الاصيل والتوحيد راس كل حكمة فتلقى في جهنم ان مت مع الجهل
ملوما من الله وملائكته ومن نفسك مدحورا ملعونا والمراد من مثل هذا الخطاب
اهتدآء الامة ولما كان لكفار قريش رذيلتان وقبيحتان انكر عليهم احديهما
ثم تلاها الثانية فقال افاصفيكم ربكم بالبنين اي اخصكم ربكم بافضل الاولاد واتخذ
من الملائكة اناثا اي بناتا لنفسه كما قلتم الملائكة بنات الله والهمزة للانكار
اثبات قبيحة بعد اخرى فانهم يثبتون لله شركا فيثبتون له اولادا ويكرهونهم لانفسهم
انكم لتقولون قولا عظيما في القبح اضافة الولد الى الله ثم تخصيص اخس الاولاد به
ثم جعل ملائكة الله اناثا ولقد صرفنا بينا مكررا ونوعنا من جهة الى جهة في هذا القران
العظيم الشان العبر والامثال الحجج والاحكام او بينا مكررا ابطال اضافة الاولاد
سيما البنات اليه ليذكروا ليتدبروا او يتعظوا وما يزيدهم التصريف او القران الا نفورا
عن الحق والنفور من صفات الدواب الشديدة الشماس قل لو كان معه الهة
كما يقولون الكاف في موضع نصب على الحال اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا
اي اذا لطلبوا الى من له الملك العظيم سبيلا بالمغالبة كعادة الملوك بعضهم مع

بعض سبحانه وتعالى عطف تعالى على سبحانه لانه اسم قام مقام المصدر الذي
هو في معنى الفعل عما يقولون علوا اي تعاليا مصدر على غير المصدر كبيرا تسبح
له السموات السبع والارض ومن فيهن من ملك وانس وجن وان من شيء
الا يسبح بحمده ما من شيء الا يسبح ملتبسا بحمده وللسلف اجماع على ان للاشياء
تسبيحات لا يسمعها الا الكاملون من المومنين وعند المتاخرين لكل تسبيح
بلسان الحال وهو دلالته على صانع قديم احد صمد وعلى هذا الظاهر انه لزم الجمع بين
الحقيقة والمجاز في قوله يسبح له ولكن لا تفقهون تسبيحهم على قول المتاخرين هذا
خطاب للمشركين في البخاري عن ابن مسعود وكنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل
وفي مسند الامام احمد انه صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال
آمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلوة كل شيء وبها يرزق كل شيء وفي سنن
النسائي نهى عليه الصلوة والسلام عن قتل الضفدع فقال نقيقها تسبيح وعن كثير
من السلف يسبح ما كان فيه روح من نبات وحيوان والاحاديث الدالة على
التسبيح الفعالي للحيوان والجمادات كثيرة انه كان حليما لا يعاجل بالعقوبة غفورا لمن تاب
ولما قرر في قوله ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا انهم في حضيض من الغباوة التفت الى
سيد اولي الفهم فقال واذا قرات القران منبها على انهم صم لا يفقهون القران جعلنا
بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا لا يرونك فهم صم عمي عند قراءته فان
المشركين الذين يوذونه ادلاء عند قراءته يمرون به ثاني الحال ولا يرونه والظاهر ان
اي آية منه يكون حجابا وقيل ثلث آيات في النحل اولئك الذين طبع الله الى
الغافلون وفي الكهف ومن اظلم الى اذا ابدا وفي الجاثية افرايت من اتخذ الهه
الى افلا تذكرون وقيل اربع آيات هذه الثلث مع ما في الانعام ومنهم من يستمع
اليك الى اساطير الاولين قال القرطبي وزاد اول يس الى فهم لا يبصرون
مستورا به الرسول عن اعينهم بحولان وتام ادلا يرى ذلك الحجاب وجعلنا
على قلوبهم اكنة اغطية ان يفقهوه اي كراهة ان يفقهوا القران قيل هو مفعول
فعل مستفاد من التركيب اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا لان
لا يسمعوا بسبب الثقل سماع انتفاع واذا ذكرت ربك في القران وحده
اي اذا ذكرت ربك موحدا الله بالذكر مصدر يقع موقع الحال وعند المبرد
جاز ان يكون حالا من المفعول ايضا اي موحدا بالذكر ولوا على ادبارهم نفورا

نفرة

نفرة من التوحيد مصدر على غير لفظ فعله او جمع نافر فهو حال نزلت حين كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قرا القران ومراتبه التوحيد قال يا معشر قريش قولوا لا اله الا الله تملكون
بها العرب وتدين لكم العجم فنفروا وولوا نحن اعلم بما يستمعون به اي بما يستمعون
اليك بسببه ولاجله يعني بالغرض الذي يستمعون اليك به من الهزء والتكذيب
اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم واذ هم نجوى ذوو النجوى يتشاورون بالتكذيب
اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم بوضع الظاهر موضع المضمر ان تتبعون ان ما تتبعون
الا رجلا مسحورا سحر فجن قيل من السحر وهو الرئة اي رجلا ذا رئة فيكون مثلكم انظر
كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بساحر مرة وشاعر وكاهن ومجنون اخرى
فضلوا عن طريق الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الرشاد ومبالغة في عدم الاهتداء
قيل معناه متحيرون ليس لهم سبيل يسلكونها وقالوا دليلا على زعمهم انه مجنون كما
قال تعالى حكاية بل اولكم على رجل الاية ثم قالوا افترى على الله كذبا ام به جنة ائذا كنا
عظاما بعد الموت حين تفتت ابداننا ورفاتا ترابا او حطاما وماتوا ائنا لمبعوثون
الهمزة لتاكيد الانكار والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون فما بعد ان لا يعمل فيما قبله
خلقا جديدا خلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة يابسة او حديدا
صلبا وهما اشد امتناعا من العظام والرفات في قبول الحيوة او خلقا مما يكبر
في صدوركم يعظم في زعمكم احياؤه يعني لو فرضتم انكم صرتم حجارة او حديدا فانه
كاسر الحجارة او موتا فانه ضد الحيوة لاحياكم الله ان شاء قيل المراد من الخلق الكبير
السماء والارض والجبال فسيقولون من يعيدنا اذا كنا حجارة او خلقا اشد
قل الذي فطركم اول مرة اي الذي فطركم خلقكم من غير مثال يعيدكم فقوله الذي
مبتدا خبره مقدر فسينغضون يحركون اليك رؤسهم تعجبا وتكذيبا ويقولون
متى هو ما سالوا عن تعيين الوقت تسليما لوقوعه بل قالوا ذلك تبكيتا قل عسى ان يكون
قريبا فان كل ما هو مجهول الوقت يمكن قربه وبعده قوله ان يكون اسم عسى وكان
تامة او قريبا خبر عسى او ضمير في عسى الى البعث وان يكون قريبا خبره وكان ناقصة
يوم اي اذكر يوم هوله وقيل قريبا معناه زمانا قريبا فهو ظرف وعلى هذا يوم بدل منه يدعوكم
اي يدعوكم ربكم من قبوركم فتستجيبون فتجيبون دعوته بحمده ملتبسين بحمده والظاهر
ان الخطاب للكفار اذ الكلام كان معهم فهم يحمدون حين لا ينفعهم الحمد وقيل الخطاب
للمومنين وفي الحديث انهم ينفضون التراب عن رؤسهم قائلين سبحانك اللهم

وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا اي وتظنون ما لبثتم في الدنيا او في البرزخ
الا زمانا قليلا نحو لبثنا يوما او بعض يوم او تقديره الا لبثا قليلا ولما امر تعالى بابلاغ
قوله قل كونوا حجارة الاية وفيها نوع من التهكم والتبكيت وربما استن به المومنون
فيخاطبونهم بنحوه من عند انفسهم مما فيه نحو غلظة نهاهم عن ذلك فقال قل يا محمد
لعبادي اي المومنين يقولوا اي ليقولوا في محاوراتهم مع المشركين او مع بعضهم
بعضا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن الكلمات وهي الكلم الطيب والقول
الجميل الذي لا غلظة فيه على ما فسرنا يقولوا معمول قل وهو مجزوم باللام المقدر وعند
سيبويه ان معموله مقدر ويقولوا جوابه تقديره قل لهم قولوا التي هي احسن ان تقل
لهم يقولوا ان الشيطان ينزغ يهيج الشر بينهم فاذا لم يكونوا على لين فلربما يفضي الى
المشاجرة ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا له عداوة قديمة ظاهرة قال
الامام الكلبي نزلت حين شكوا فحش كلام المشركين وسوء خلقهم وقيل احسن الكلمة ان يقال
لهم يهديكم الله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالانجاء من اذى الكفار وتسليطهم او ان
يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم وما ارسلناك عليهم وكيلا ليس امرهم موكولا اليك
انما انت نذير فبلغ بحسن معاشرة وطيب كلام في التبليغ والله الهادي وقيل قوله
ربكم اعلم بكم تفسير للكلمة التي هي احسن يعني قولوا للمشركين هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا
لهم انتم من اهل النار وانتم معذبون وعلى هذا قوله وما ارسلناك استيناف من الله
الى رسوله صلى الله عليه وسلم ولما خاطبهم بقوله ربكم اعلم بكم انتقل من الخصوص
الى العموم فقال وربك اعلم بمن في السموات والارض فانه خلقهم على قوابل
مختلفة ومراتب متفاوتة في قبول الفيض من مفيض الحكمة بعضهم في غاية البعد
عن القبول كالكفار وبعضهم في نهاية القرب من القبول ولا بعد ان يكون قوله
ربكم اعلم الى آخره استيناف كالتعليل للامر بطيب الكلام فانه تعالى اعلم بما يؤول
امركم اليه من سعادة وشقاوة ثم رقى الخطاب الى اعلى الخلق وراس اهل الشرع ليكون
من دونه اولى بالمعنى منه ثم قال وربك اعلاما بان علمه ليس مقصورا عليهم فليس
لاحد استبعاد نبوة يتيم ابي طالب ولا سيادة الجوع العراة صلوات الله
وسلامه عليه ورضي الله عنهم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بمزيد العلم
اللدني لا بوفور المال الدني واتينا داود زبورا كانه قال وداود من الذين فضلنا
لانا انزلنا اليه الزبور مع ان له الملك والقوة فعلم من هذا ان نبينا افضل الرسل

لان كتابه

لان كتابه اشرف الكتب ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادي الصالحون وهم امة محمد على الاصح وما في الصحيحين من النهي عن التفضيل فالمراد
تفضيل بالتشهي والعصبية فلا خلاف ان نبينا افضل ثم ابراهيم ثم موسى
عليهم صلوات الله وسلامه وكانت قريش ترجع الى اليهود كثيرا فيما يخبرون به في كتبهم
فنبه على ان الزبور تضمن البشارة بدين الاسلام وفي ذلك رد على اليهود في زعمهم
ان لا كتاب بعد التورية وهم لا يعتقدون نبوة عيسى عليه الصلوة والسلام ولما ذكر فضل
الانبياء وان بعضهم افضل الخلائق ومع ذلك هم معترفون بالعبودية لا يستطيعون
الشفاعة الا باذنه فكيف بحجر جماد فقال قل ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة
والمعنى ادعوهم لكشف الضر وكلا مفعولي زعم محذوف من دونه كالملك وعزير والمسيح
فلا يملكون لا يستطيعون كشف الضر عنكم بالكلية ولا تحويلا ولا يستطيعون تحويل الضر
عنكم الى غيركم او ولا تحويل حال الى حال كعسر الى يسر اولئك الذين يدعون اي يدعونهم
لكشف الضر يبتغون الى ربهم الوسيلة اي يطلبون القربة الى ربهم فقوله الذين صفة
اولئك ويبتغون خبره ايهم اقرب اي يطلب ايهم هو اقرب الى ربهم الوسيلة
فايهم بدل من فاعل يبتغي واقرب خبر مبتدا مقدر واي موصولة وضمن يبتغون
معنى يحرصون اي يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله والوسيلة التقوى والطاعة
فعلى هذا ايهم اقرب معلق عنه فعله في موضع نصب على اسقاط حرف الجر نحو ان يحرص
على ايهم قال ابن فورك اولئك اشارة الى الانبياء المتقدمة والمعنى الانبياء
الذين يدعون الناس الى دين الله مع عظم منزلتهم يبتغون الى الله الوسيلة
فكيف غيرهم فلا تعبدوا غير الله ويرجون عطف على يبتغون رحمته ويخافون عذابه
فكيف يستحقون الالوهية ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذر عنه
كل شيء حتى الملك والانبياء روى البخاري ان تلك الاية نزلت في جماعة من الانس
يعبدون ناسا من الجن فاسلم الجن وبقي الانس على دينهم ولما قال ويخافون عذابه
وان عذابه كان محذورا عطف عليه قوله وان من قرية ان نافية ومن زائدة
للاستغراق وقيل تقديره ما من قرية ظالمة الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة فلا يبقى منها
اثر او معذبوها عذابا شديدا كل قرية بقيت الى القيمة لا بد ان يرد اشد انواع عذاب
الله وعن بعض السلف ان الاول في قرية المومنين والثاني في قرية الكفار
كان ذلك في الكتاب في اللوح مسطورا من الازل فلا يمكن تغييره ولما قال

بعض القرى نهلكها وبعضها نعذبها في وقت معين عندنا تقتضي حكمتنا اراد
ان يبين ان لكل ما جاء وقت جزائها ولا وقت عذابها فقال وما منعنا ان نرسل
بالايات اي ما صرفنا عن ارسال الايات المقترحة لقريش كفسحة مكة وجعل
الصفا ذهبا الا ان كذب بها الاولون اي الا تكذيب من هو قبلهم وهم
مثلهم طبعا فلو اجبنا ما اقترحوا وكذبوا بها لاستاصلناهم فقد جرت سنتنا
ان لا نؤخر عذاب من كذب الايات المقترحة فعدم اجابة مقترحهم لحكمة لا لعجز
واتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة اية مبصرة للناس او ظاهرة يبصرها الناس
ونصبها بالحال فظلموا بها كفروا بها او ظلموا انفسهم بسببها فعاجلناهم بالعقوبة
واختار تلك الاية من بين الايات المقترحة للاولين لان اثار اهلاكهم في بلاد
العرب قريبة من حدودهم وما نرسل بالايات اي وما نرسل المرسلين ملتبسين
بالايات الا تخويفا الا للانذار من عذاب الله وقيل الباء زائدة اي ايات القران
وغيرها الا تخويفا وانذارا من عذاب الاخرة وقيل ما نرسل الايات المقترحة الا
تخويفا لمعاينة قدرته فيخافوا ويؤمنوا واذ قلنا لك اي واذكر اذ اوحينا اليك
ان ربك احاط بالناس هم في قبضته وتحت تصرفه فخوفهم ولا تخف منهم وامض
لما امرك من انذارهم وما جعلنا الرؤيا التي اريناك اي قصة المعراج فانها كانت
في المنام او لانها بالجسم والعين فالمعنى الرؤيا التي اريناك في اليقظة تعبيره كذا
قاله ابن عباس وغيره كما رواه البخاري الا فتنة للناس اختبارا لهم فقد انكر بعضهم
وكذب به وزاد ايمان بعضهم فالقصد من تلك الاية التي للتخويف والانذار الاختبار
وقيل المراد رؤيا عام الحديبية كما قال تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل
المراد رؤيا وقعة البدر كما قال الله واذ يريكهم الله في منامك قليلا وفي هذين
القولين اشكال وهو ان السورة مكية بلا خلاف وهذان المنامان بعد الهجرة والشجرة
الملعونة في القران اي وما جعلنا الشجرة الا فتنة عطف على الرؤيا والمراد شجرة الزقوم
يقال طعام ملعون اي مكروه ضار وقيل لان منبتها اصل الجحيم وهي ابعد مكان من
رحمة الله وفتنتها انهم قالوا ان رسولكم يوعدكم بنار وقودها الناس والحجارة ثم يزعم ان
فيها شجرة طرية رطبة وقالوا استهزاء لا نعرف الزقوم الا الزبد والتمر فجاء بهما ابوجهل
وقال يا قوم زقموا فهذا ما يخوفكم به محمد ونخوفهم فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا
تمردا وعتوا عظيما ولما قال ان بعض الاشياء للفتنة والاختبار ومنه التخويف

ولا يزيدهم الا طغيانا اراد ان يذكر راس الفتنة ورئيس اهل الطغيان فقال
واذ قلنا واذكر القصة اذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قد ذكرنا
الخلاف في ان المامورين جملة الملائكة او ملائكة الارضين وان ابليس من الملائكة
او ممن كان فيهم قال ءاسجد يعني قيل له لم لا تسجد قال ءاسجد فالهمزة للانكار لمن خلقت
لمن خلقته طينا حال من ضمير من او منصوب بنزع الخافض اي من طين كما قال
وخلقته من طين قال ابليس ارايتك اي اخبرني والكاف لتاكيد الخطاب لا محل له
من الاعراب وقد مر في سورة الانعام هذا مفعول ارايت الذي صفة هذا كرمت
علي اي اخبرني عن هذا الذي فضلته علي بان امرتني بسجوده لم كرمته علي فمتعلق
الاستخبار محذوف يدل عليه قوله كرمت علي وقوله ءاسجد لمن خلقت طينا لئن
اخرتن اي اخرت مماتي الى يوم القيمة اللام موطئة للقسم وجوابه قوله لاحتنكن
لاستاصلن ذريته باغوائهم يعني لاشقينهم الا قليلا كانه لعنه الله تفرس
من خلق آدم لما جبل فيه من شهوة وغضب او استنبط من قول الملائكة اتجعل
فيها من يفسد فيها قال الله اذهب اي خليتك وانظرتك فامض لما
قصدت فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم فغلب
المخاطب جزاء موفورا مكملا ونصب جزاء بما في جزاؤكم بمعنى تجازون او في تقدير
تجازون او حال لتقييده بموفورا او لا معنى لتقييد الشيء بنفسه لكن لما وصف
به استقام المعنى وهو في جاء لازما ومتعديا واستفزز اي استخف من
استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك الى معصية الله ولا يبعد
ان يكون المراد من استفزازه بصوته صفيره كصفير راعي الغنم حين يريد ان يسعى
او ترجع غنمه ومثل ما قلنا مكاشف اهل القلب واجلب صح بسوقهم عليهم بخيلك
ورجلك اي بفرسانك ورجالك والظاهر ان لابليس خيلا ورجالا من
جنسه من الجن وهو اسم جمع كركب وراكب قيل هذا تمثيل لشخص كثير الغارة صوت
على قوم فاستفزهم واقلعهم عن اماكنهم واجلب عليهم بجنده فاستاصلهم والمعنى
رخصة التسلط بكل ما تقدر والامر امر قدري وقيل تهديد وشاركهم في الاموال والاولاد
بحملهم على الاخذ والانفاق من غير حق والبعث على الزنا فالولد منه وعلى قتلهم
خشية املاق وعلى تسميتهم بمثل عبد الشمس وما مجسوه وهودوه ونصروه وعدهم
بالمواعيد الكاذبة وما يعدهم الشيطان الا غرورا الغرور تزيين الخطا بما يوهم انه

صواب كشفاعة الاصنام وكراته الاباء مع فجور الابناء ونصبه بانه صفة
مصدر مقدر اي الا وعدا غرورا ان عبادي الاضافة للتشريف اي المخلصين
ليس لك عليهم سلطان تسلط على اغوائهم انما سلطانه على الذين كفروا وكفى
بربك وكيلا اي كفى الله لان يكل اوليائه فيعصمهم منك والابعد في ان يكون
الخطاب في بربك لنبيه صلى الله عليه وسلم ولما وصف المشركين في بطلان
اعتقادهم بان اصنامهم ضار نافع واتبع ذلك بقصة ابليس وتمكينه من وسوسة
اراد ذكر ما يدل على وحدانيته وانه هو النافع الضار المتصرف في خلقه ذاكرا
لاحسانه اليهم في البر والبحر فقال ربكم الذي يزجي يجري لكم الفلك في البحر
لتبتغوا من فضله لطلب الرزق والحج والغزو انه كان بكم رحيما فيما لكم ما تحتاجون
واذا مسكم الضر كعصف الريح وخوف الغرق في البحر ضل من تدعون الا اياه
زال من خاطركم كل من تدعونه الا الله وحده من ضل عني كذا اذا ضاع او من
ضلني فلان ذهب عني فلم اقدر عليه والاستثناء متصل فلما نجيكم من ضر البحر
الى البر اعرضتم عن الله وتوجهتم الى اصنامكم وكان الانسان كفورا سجية
الانسان نسيان النعم وجحدها افامنتم الهمزة لانكار الامن بعد ذلك الانجاء
ان يخسف اي من الخسوف بكم جانب البر اي يقلبه الله وانتم عليه وبكم حال من
جانب او الباء للسببية متعلق بيخسف وذكر الجانب اشارة الى انهم اذا وصلوا
الساحل اعرضوا وان الجوانب بقدرة الله فان الساحل قطعة وجانب من البر
وجميع الجوانب متساوية عند الله وجانب البحر وجانب البر سيان عند قدرته والخسف
تغيب تحت التراب والغرق تحت الماء وهما بخلق الله وارادته او يرسل عليكم
حاصبا مطرا فيه الحجارة او ريحا ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من العذاب
ام امنتم بل امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى وقتا غير الوقت الاول الذي
نجاكم فيه فيرسل عليكم قاصفا من الريح ريحا تكسر كل شيء تمر عليه فيغرقكم بما كفرتم
بسبب كفركم او كفرانكم نعمه ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي لا تجد واحدا يطالبنا
بما فعلنا انتقاما فضمير به الى مصدر يغرقكم وهو نتيجة الارسال ولما امتن عليهم من
ازجاء الفلك وتنجيتهم من الغرق وكفرانهم نعمه اراد تتميم ذكر النعم فقال ولقد كرمنا
بني آدم مع ان يجتنبهم الكفران باشياء منها العقل والنطق وحسن الصورة
والسيرة وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن وفي الحديث ما يدل على ان

الفلك

الفلك يجري في كف الرحمن ورزقناهم من الطيبات من المستلذات للانعام
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا تثنيات شاهد او افرا بخلاف التفضيل على
البعض فانه ليس بهذه المثابة من الوفور والظهور ولما ذكر الانواع من كرامات الانسان
في الدنيا ذكر اشياء من احوال الاخرة فقال يوم ندعو اي اذكره كل اناس بامامهم
الذي يأتم به من نبي او كتاب او شيطان كيا امة محمد ويا امة ابليس ويا امة كتاب الله
ويا امة كتاب الشيطان او بكتاب اعمالهم يا امة كتاب الخير ويا امة كتاب الشر
وهذا هو الارجح لحديث صحيح الحافظ البزار ولانه من كلام السلف قال تعالى كل
شيء احصيناه في امام مبين وقال كل امة تدعى الى كتابها ولذلك عقبه بقوله فمن
اوتي كتابه بيمينه اي كتاب اعماله فاولئك يقرؤن كتابهم مسرورين من
فضل ربهم ولا يظلمون فتيلا لانه لا ينقص من اجورهم ادنى شيء والفتيل الخيط
المستطيل في شق النواة ومن كان في هذه الدنيا الحقيرة عند الله اعمى
عمي القلب فلم ير رشده وهذا قسيم فمن اوتي من حيث المعنى فان الاول اهل السعادة
والثاني اهل الشقاوة فهو في الاخرة اعمى لا يرى طريق النجاة قيل اعمى الثاني افعل
التفضيل كاجهل وقوله واضل سبيلا مشعر بما قاله صاحب القيل اي اضل
سبيلا منه في الدنيا ولا يشتق افعل التفضيل من العيب الظاهري فيكون المراد
على قوله عمي البصيرة لا الباصرة نقل محيي السنة عن ابن عباس ان معناه من
كان في هذه النعم التي قد مرت وهو قوله ربكم الذي يزجي الآية اعمى وهو معاين
فهو في امر الاخرة التي لم يعاين ولم ير اعمى واضل هذا واما قوله تعالى في سورة طه
قال لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا يؤيد المعنى الاول وهو ان العمى في الاخرة
عمى البصر وان الاعمى ليس بافعل التفضيل ولما عدد نعمه على بني آدم ثم ذكر
حالهم في الاخرة من ايتاء الكتاب باليمين للسعداء ومن عمى الاشقياء اتبع
ذلك بما يهم به الاشقياء في الدنيا من المكر والخداع على سيد السعداء
المقطوع له بالعصمة صلى الله عليه وسلم فقال وان كادوا ان مخففة
من المثقلة ليفتنونك اي قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة عن الذي
اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واللام
ليفتنونك هي الفارقة بين ان هذه وبين ان النافية والمقاربة في زعمهم
قال محيي السنة نزلت في ثقيف قالوا لا نؤمن حتى تعطينا خصالا نفتخر بها

على ما فسرنا من غير محل يلزم تفضيل الملك
على البشر نظرا الى عبارة الزمخشري يجري
المجرى بالسب الذي هو حين تعصب منه
الباطل عامي جاهل عفا الله عنه
منه

لان افعل التفضيل لايشتق
من العيب الظاهري
منه

على العرب لا نجبّي اي لا نحني في الصلوة ولا نكسر اصنامنا وان تمتعنا
سنة من غير ان نعبدها فان خشيت ان تعترض عليك العرب فقل الله امرني
بذلك وعن سعيد بن جبير نزلت حين قال قريش لا ندعك ان تستلم الحجر
الاسود حتى تمس اصنامنا او نومن بك ان تمس الهتنا وقيل غير ذلك
واذا لاتخذوك خليلا ان اتبعت مرادهم ليحبنك غاية الحب واتخذوك
في معنى ليتخذنك نحو ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا اي ليظلن لان
اذا يقتضي الاستقبال لانها من حيث المعنى جزاء ولولا ان ثبتناك لولا تثبيتنا
لك وعصمتنا اياك لقد كدت تركن لقاربت ان تميل اليهم الى اتباع
رايهم شيئا قليلا لكن عصمناك فما قاربت من الركون فضلا عن الركون
مع قوة اهتمامك بايمانهم يعني لو فرضنا انك تميل اليهم لا يكون الا شيئا
قليلا مع ان الركون هو الميل القليل فالنظر الى كمال المبالغة في عصمته صلى
الله عليه وسلم ونصب شيئا على المصدر اذا اي والله ان حصل لك
الميل لاذقناك اي لنذيقنك ضعف الحياة وضعف الممات اي عذاب
الدنيا والاخرة ضعف ما يعذب به غيره بمثل هذا الفعل واصله عذابا ضعفا
اي مضاعفا فاقيمت الصفة مقام الموصوف بعد ما حذف ثم اضيف
نحو اليم الحيوة اي عذابا اليما في الحيوة فالاضافة بمعنى في هذا هو الاظهر وفي
الاية دليل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته
ولذلك قال الله تعالى يا نساء النبي الاية وقد ورد انه لما نزلت قال صلى
الله عليه وسلم اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ثم لا تجد لك علينا نصيرا
دافعا عنك عذابنا وان كادوا الضمير ليهود المدينة وان مخففة ليستفزونك
ليزعجونك من الارض ارض المدينة ليخرجوك منها نزلت حين قالت
اليهود ان هذه ليست بارض الانبياء وانما ارضهم الشام ولكنك تخاف
الروم فان كنت نبيا فاخرج اليها فان الله سيحميك كما حمى الانبياء واذا والله
ان استفزوك وخرجت لا يلبثون خلفك اي خلف اخراجك استعملت
ظرف زمان مجازا الا قليلا اي الا زمانا قليلا ولما ان اذا توسطت بين قسم
مقدر والفعل لم يعمل ويحتمل ان التقدير وهم اذا لا يلبثون فالغيت لانها وقعت
بين المبتدا وخبره وعند من يقول السورة بتمامها مكية فتوجيه الاية كما نقل محيي السنة

في بعض القراءات لا يلبثوا بحذف
النون اعمل اذا فنصب بها على قول
الجمهور منه

عن الامام الكلبي ان الكفار باجمعهم هموا ان يستفزوه من ارض العرب بتظاهرهم
عليه فلم ينالوا منه ما املوا سنة اي سن الله ذلك سنة من قد ارسلنا
قبلك من رسلنا وهو ان الله يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة
لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ولا تجد لسنتنا تحويلا تغييرا ولما ذكر كيدهم
وان الله بفضله حماه منه امره على ان يتوجه الى ما هو شانه وان لا يشغل قلبه
بشانه والصلوة اشرف العبادات بعد الايمان فقال اقم الصلوة لدلوك الشمس
لزوالها كذا فسره السلف واللام للتاقيت الى غسق الليل ظلمته فيدخل فيه الظهر والعصر
والمغرب والعشاء وقران الفجر صلوة الصبح سميت قرانا لان القراءة فيها اكثر واظهر
تسمية للشيء باسم جزئه كما سميت الصلوة ركوعا وسجودا وعطف على الصلوة او تقديره
والزم قران الفجر فيكون حثا عليه ان قران الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل
وملائكة النهار كذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه عمن انزل عليه القران صلى الله
عليه وسلم ولم يقل انه كان للدلالة على تعظيمها وتنويهها واصل لغة الدلوك الانتقال
وفسره ابن مسعود وجماعة من السلف بالغروب ومن الليل اي قم بعضه فتهجد
اي اترك الهجود فان التهجد ترك الهجود للصلوة كالتاثم والتحرج اي مجانبة الاثم والحرج
وقال ابن الاعرابي هجد نام وتهجد استيقظ للصلوة فهو من الاضداد به اي بالقران
نافلة لك فضيلة لك فان الله قد غفر له ما تقدم وما تاخر فجميع نوافله زيادة في رفع
درجته او فريضة زائدة على الصلوات المفروضة خاصة لك ليس على امتك
ونصب نافلة بالعلية على التوجيه الاول او تقديره فرضها فريضة زائدة لك
او حال من ضميره عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا عسى تامة لا ناقصة واسمها
ان يبعثك وربك فاعل يبعث ومقاما منصوب على الظرف اي في مقام
وجاز ان يكون عسى ناقصة وربك اسمه وان يبعثك خبره مقدما على اسمه
ونصب مقاما بفعل مقدر اي تقوم مقاما ولا يلزم على هذا وقوع الفاصل الاجنبي
بين يبعث ومعموله لان مقاما ليس معموله والمقام المحمود مقام الشفاعة العامة
وعسى تفيد الاطماع والله اكرم ان يطمع من غير ان يفيد وهذا من جنس كلام الملوك
ولهذا قيل عسى من الله واجب ولما امره باقامة الصلوة وبالتهجد ووعده بعثه
مقاما محمودا وذلك في الاخرة عقبه بامره بما يشمل الدنيا والاخرة فقال وقل
رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق والظاهر انه عام في الامور الدينية

والاخروية من جميع موارده ومصادره والصدق هنا يقتضي رفع الملام
واستيعاب المدح نحو رجل صدق في مقابل رجل سوء والمدخل والمخرج مصدر
وفيه ايماء الى الهجرة من مكة واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اجعل لي
من فضلك لا باسباب حجة بينة تنصرني على اعدائي او اجعل لي ملكا وعزا مع
مظهرا للاسلام على الكفر وقل بشيرا للمؤمنين نذيرا للكافرين جاء الحق القران
والاسلام وزهق اضمحل وهلك الباطل غرور الشيطان والشرك كانه مامور
ببيان استجابة دعاءه واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ان الباطل كان
زهوقا صفة مبالغة في عدم ثبوته في وقت ما وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم
دخل مكة وحول البيت ثلثمائة وستون نصب فجعل يطعنها بعود في يده قائلا
جاء الحق وزهق الباطل والانصاب تنكب على وجهها وننزل من القران
كالمبين لقوله جاء الحق ومن لابتداء الغاية ما هو شفاء للعلل الباطنية من الشك
والزيغ ورحمة للمؤمنين يحصل في قلوبهم الايمان والحكمة ولا بعد ان يقال
الجمع المحلى باللام يفيد الشمول وفوائد بعض الايات مختصة بالعلماء الراسخين
فصدق ان بعض الايات شفاء لجميع المؤمنين وقيل من بيانية وقدم على المبين
لكونه اهم وحين قدم صار حالا كما ان الصفة لما قدمت صارت حالا فلا يرد
انه لا يتقدم على المبهم ولا يزيد القران الذي هو الشفاء الظالمين الواضعين
الشيء غير موضعه المعرضين في مقام التدبر الاخسارا نقصانا وخذلانا ولما
بين ان القران لا يزيد لبعض الا الخسران اراد ان يبين ان جبلة بعض كفران
نعم الله اعم من ان تكون النعمة قرانا او غيره فقال واذا انعمنا على الانسان المراد
به الجنس نحو ان الانسان لربه لكنود اعرض عن شكره هو العامل في اذا ونأى
بجانبه النأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره يعني بعد عنا ولم يذكر منعمه
واذا مسه الشر كان يؤسا شديد الياس ييأس ان يمسه بعد ذلك خير واما في الاية
الاخرى فذو دعاء عريض فهو لبعض آخر يعني الانسان فيهم صنفان صنف هم في
حال العافية معرض وفي حال المصائب مايوس وصنف في حال الرخاء ينسى المنعم
وفي حال الشدة مقبل متضرع وكلاهما في غير الاستقامة قل كل يعمل على شاكلته
على طريقته التي جبلت عليها وتشاكل حاله في الهدى والضلال يقال طريق
ذو شواكل وهي الطرق التي تشعب من الطريق نقل عن الصديق الاكبر رضي الله

تعالى عنه انه قال لم ار آية ارجا من هذه لا يشاكل العبد الا العصيان ولا يشاكل
الرب الا الغفران فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا فيجزي كل عامل بعمله
ولما ذكر مكر اليهود وخداعهم من قبل في قوله وان كادوا ليستفزونك الاية الى ان
وصل الكلام الى قوله قل كل يعمل على شاكلته اعقبه بشيء من تعنتهم ومكرهم فقال
ويسألونك اي اليهود عن الروح اي عن ماهية الروح الحيواني او عن كيفية
مداخلتها بالجسد وملابستها له قل الروح من امر ربي مما استأثر بعلمه وقيل المراد
من الامر الفعل نحو وما امر فرعون برشيد وما اوتيتم الخطاب عام ودل على ذلك
حديث صحيح صريح من العلم من علمه الا قليلا اي ما اطلعتم من علمه الا على
القليل في جنب علم الله وامر الروح مما لم يطلعكم الله عليه الاحاديث الواردة
في نزول تلك الاية مشعرة بانها مدنية الا ان يقال نزلت مرتين ونزلت في المدينة
عليه ان يجيبهم بالاية المتقدمة في مكة وفي عبارة بعض ما في البخاري ما ينبو عن المعنى
الذي ذكرنا وما في مسند الامام احمد دال على انها مكية فانه نقل عن ابن عباس
ان قريشا قالت لليهود اعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا اسألوه عن
الروح وسألوه فنزلت ولما كان مكرهم وسؤالهم عن الروح لاجل ان يزيد في
القران شيئا من عنده حاشاه بين ان القران محفوظ من عند الله فقال
ولئن شئنا اللام موطئة للقسم لنذهبن جواب القسم دال على جواب الشرط
بالذي اوحينا اليك اي ان شئنا محونا القران من المصاحف والصدور
والباء للتعدية ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك اي ثم بعد الاذهاب
لا تجد من تتوكل عليه بالاسترداد ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به
فلم تحتج الى من تتوكل عليه بالاسترداد وقيل الاستثناء متصل يعني ان نالتك
رحمته تسترده عليك كان رحمته تصير وكيلا عليه ان فضله كان عليك
كبيرا ومن فضله انزال الكتاب وابقاؤه محفوظا قل لئن اجتمعت الانس والجن
وان فرض ان كلهم بلغاء ذكر الجن لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى
الثقلين ولان الجن تقدر على الغرائب على ان يأتوا بمثل الباء للتعدية هذا
القران العظيم الشان البليغ المعجز لا يأتون بمثله لعدم قدرتهم على ذلك
وهذا جواب قسم مقدر ولذلك جاء مرفوعا وجواب الشرط مقدر دال عليه جواب
القسم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا معينا ناصرا في الاتيان ولقد صرفنا

بينا مكررا للناس في هذا القران البليغ الذي تراه من كل مثل من كل معنى
هو كالمثل السائر في الغرابة والحسن وجاز ان يكون المراد الامثال التي ضربها
الله فيه قيل مفعول صرفنا مقدر اي البينات والعبر ومن للابتداء وجاز ان
يكون من للتبعيض وهو المفعول وعند الكوفيين والاخفش ان من زائدة ومدخولها
مفعول فابى اكثر الناس الا كفورا جحودا للحق وهذا في معنى الكلام المنفي كانه قال
لم يرضوا ولذلك جاز الاستثناء وقالوا لن نؤمن لك لما تحداهم بان ياتوا بمثل
هذا وتبين عجزهم وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح ايات ست فعل الحائر المبهوت
وقالوا لن نصدقك حتى تفجر لنا من قرا تفجر بالتشديد فالتضعيف للمبالغة لا
للتعدية من الارض ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ولا ينقطع او يكون لك
جنة بستان من نخيل وعنب ذكر الاول بصيغة الجمع والثاني بصيغة الجنس
تغنينا فتفجر الانهار خلالها اي في خلالها تفجيرا حتى نعرف فضلك ونرضى
بتقدمك فانك تلتمس المعاش وتدور بالاسواق مثلنا او تسقط السماء كما زعمت
اشارة الى قوله ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء علينا
متعلق بتسقط كسفا قطعا او تاتي بالله الباء للتعدية والملائكة قبيلا معاينة نراه
لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا ونصبه على الحال من الله وتقديره قبيلا
وقبيلا قيل معناه كفيلا بما تقول شاهدا بصحته او يكون لك بيت من زخرف
هو الزينة ويطلق على الذهب او ترقى في السماء تصعد بمثل سلم ونحن ننظر د
ولن نؤمن لرقيك اي لن نؤمن بك لاجل رقيك او لن نصدق له
بانه اية حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه اي صكا منشورا معه اربعة من الملك شاهدون
بصدقك واو للتنويع وذلك مقترح المجموع او اقترح بعضهم هذا وبعضهم ذاك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بامر ربه سبحان ربي تعجبا من تمردهم البليغ
او تنزيها لله من مشاركة احد في قدرته واجباره على شيء ومعاينتهم الله
هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وما منع الناس ان يؤمنوا
اي ليس لمثل قريش مانع من الايمان وقوله ان يؤمنوا مفعول ثان لمنع اذ جاءهم
الهدى اي بعد اذ جاءهم القران المعجز الا ان قالوا فاعل منع ابعث الله بشرا
رسولا اي ليس لهم شبهة تمنعهم عن الايمان الا انكارهم ان يرسل بشرا رسولا قل
جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما تمشون ليس لهم صعود الى

السماء

السماء مطمئنين ساكنين في الارض لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا من جنسهم
يهديهم لان انتفاع الجنس من الجنس اكثر فرحمتنا دعتنا الى ان ارسلنا اليكم بشرا
من جنسكم قال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم ونصب
ملكا وبشرا على الحال من رسولا قدم على ذي الحال او على المفعول ورسولا
في الموضعين صفته قل كفى بالله اي كفى الله شهيدا تمييز او حال بيني وبينكم
على اني بلغت وانتم عاندتم واني رسول واظهرت المعجزات انه كان بعباده
خبيرا بصيرا فيعلم ابلاغي رسالتي وعنادكم فيجازي كلا ما يستحقه ومن يهدي
الله فهو المهتد اخبار من الله وليس مندرجا تحت قل لقوله بعده ونحشرهم
ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونهم وينصرونهم ونحشرهم فيه
التفات من الغيبة يوم القيمة على وجوههم يمشون بها او يسحبهم الملائكة الى
النار قوله فهو المهتد حمل على لفظ من وقوله فلن تجد لهم حمل على المعنى قيل قوله
ومن يهدي الله مندرج تحت قل وقوله ونحشرهم اخبار من الله وفي الصحيحين
عن انس قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم قال الذي امشاهم على
ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما عميا وما بعده حال
من مفعول نحشر وهذا في حال دون حال فيكون هذا بعد الحساب او عميا
عما يقر اعينهم بكما عن حجة وعذر يتقبل منهم صما عما يلذ مسامعهم ماويهم
جهنم كلما خبت سكن لهبها زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل لحومهم وجلودهم
فتعود ملتهبة بهم قيل ونعم ما قيل لما كذبوا الاعادة بعد الافناء جازاهم
الله بدوام الاعادة بعد الافناء ذلك الحشر والعذاب جزاؤهم بانهم
كفروا باياتنا بالقران والحجج التي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا منكرين للحشر ائذا كنا عظاما ورفاتا ترابا ائنا الهمزة لتاكيد الانكار
والعامل في اذا ما دل عليه قوله لمبعوثون فان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله
خلقا جديدا نصبه على المصدر من غير لفظه او الحال اولم يروا الم يعلموا ان
الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم المراد ابداء
خلقهم لا اعادته وقوله وجعل لهم اجلا اي القيمة عطف على اولم يروا لانه
في معنى الخبر كانه قال قد علموا ان الله قادر وجعل اجلا للاعادة لا ريب فيه
او معناه اولم يعلموا ان من قدر على هذه الاجسام العظام قدر على ان يخلقهم

مثل ما كانوا اي يعيدهم ويجعل لاعادتهم اجلا مضروبا ومدة مقدرة لا بد من انقضائها
فعلى هذا المراد من الخلق اعادتهم وقوله وجعل عطف على يخلق وليس فيه مانع فابى الظالمون
بعد قيام الحجة الا كفورا جحودا بذلك الاجل وبذلك الخلق الذي هو الاعادة فهذا
على الوجه الثاني ولما قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر فطلبوا الانهار لتكثر اقواتهم ومن كفورهم
مع انهم علموا كمال قدرته واولادهم خشية املاق قال لنبيه قل لو انتم تملكون خزائن
رحمة ربي خزائن رزقه ونعمه اذا لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق مخافة النفاد يقال
انفق الشيء اذا ذهب ماله وقيل الانفاق على المتبادر والمضاف مقدر اي عاقبة الانفاق
فلو اجبنا مقترحهم وفجرنا الانهار في ارضهم فهم على عادتهم من البخل الذي هو من صفات
اهل النار قوله انتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده ولما حذف ذلك الفعل وهو تملك
انفصل الضمير الذي هو الواو فصار انتم وقوله خشية منصوب بانه مفعول له
وكان الانسان قتورا اي هذا الجنس بخيلا ولما حكى عن قريش تعنتهم باقتراح ايات
ست سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بما جرى على موسى مع فرعون وقومه فقال
ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات اكثر مما اقترح قومك بثلث اليد والعصا
والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم واما
ما رواه احمد والترمذي وقال صحيح حسن والنسائي وابن ماجه في تفسيره ان يهوديين
سالا عن هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم لا تشركوا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي
سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود
ان لا تعتدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه فقال بعض المحدثين لعل ذينك اليهوديين
انما سالا عن العشر الكلمات فاشتبه على الراوي وهو عبد الله بن سلام بالتسع
الايات فان في حفظه شيئا وقد تكلموا فيه فان هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون
واي مناسبة بين هذا وبين اقامة البراهين عليه ويدل عليه الاية التي بعده وهي
ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فاسأل يا محمد بني اسرائيل عن الايات
ليطمئن قلبك وليظهر للمشركين صدقك اذ جاءهم اي فسلهم عن قصة موسى
اذ جاءهم او ظرف لاتينا فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا فتخبط
عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الايات التسع الا رب السموات والارض
بصائر بينات تبصرك صدقي ونصب بصائر على الحال من مفعول فعل

محذوف

محذوف اي انزلها بصائر ولا يجوز ان يكون حالا من هؤلاء الا على مذهب
الكسائي والاخفش فان جميع البصريين واكثر الكوفيين على عدم جواز ما ضرب
هندا الا زيد ضاحكة فان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا ان يكون مستثنى او مستثنى منه
او تابعا له واني لاظنك يا فرعون مثبورا هالكا ملعونا او مصروفا عن الخير مطبوعا
على الشر يقال ما ثبرك عن هذا اي صرفك ومنعك وهذه المحاكاة بينهما بعد مدة
من دعوته لفرعون لا اول الامر فاراد ان يستفزهم من الارض اراد ان يخرج موسى
وقومه من ارض مصر او اراد ان ينفيهم من ظهر الارض بالاهلاك فاغرقناه ومن
معه جميعا وقلنا من بعده يعني من بعد اغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض
اي التي اراد ان يخرجكم منها وفي هذا اشارة الى بشارة المؤمنين بفتح مكة فان هذه
السورة نزلت قبل الهجرة فاذا جاء وعد الاخرة اي الدار الاخرة يعني القيمة
جئنا بكم لفيفا جميعا الى الموقف للحكم بينكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى ونصبه
على الحال اي منضما بعضكم الى بعض وبالحق انزلناه اي ما انزلنا القران الا
ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله فيه حكم الله وامره ونهيه وبالحق نزل وما نزل
الا بالحق الذي اشتمل عليه ويقال انزلته فلم ينزل اذا عرض له مانع من نزوله
فقال وبالحق نزل لازالة هذا الاحتمال وقوله وبالحق انزلناه مردود على قوله
قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وهكذا طريقة كلام العرب واسلوبه ياخذ
في شيء ويستطرد منه الى اخر ثم الى اخر ثم يعود الى ما ذكره اولا وما ارسلناك
الا مبشرا للمطيع ونذيرا للعاصي وانتصب على الحال اي مبشرا ومنذرا لهم بالجنة و
النار وقرانا فرقناه نزلناه مفرقا منجما على الوقائع في ثلث وعشرين سنة
ونصبه بفعل يفسره ما بعده وقيل معناه فرقنا فيه الحق من الباطل فعلى هذا يكون
مثل يوما شهدناه اي فيه لتقراه على الناس على مكث على مهل وتؤدة والظاهر
تعلق على مكث بقوله لتقراه قال في البحر لا باس بكون الفعل يتعلق به حرفا جر من جنس واحد
اذا كان معنى الحرفين مختلفين فالاول في موضع المفعول به والثاني في موضع
الحال اي متمهلا مترسلا اقول هذا منه بناء على الظاهر ان على مكث اذا كان حالا
متعلق بمقدر لانه ظرف مستقر وقيل على مكث متعلق بفرقناه ونزلناه تنزيلا
نجوما بعد نجوم على حسب الحوادث من الاقوال والافعال قل امنوا به او لا تؤمنوا اي
ايمانكم به او لا هو حق لا يزيد ولا ينقص منه شيء ان الذين اوتوا العلم من قبله من قبل

القران اي عالمي اهل الكتاب اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان
يسقطون على وجوههم والخرور السقوط بسرعة سجدا شكرا على انجاز وعده
وان جعلهم ممن ادركوا هذا الرسول المنزل عليه هذا الكتاب وذكر الذقن للمبالغة
في الخشوع وهو تعفير اللحى على التراب او انه ربما خر على الذقن كالمغشي عليه خشية
الله واللام لاختصاص الخرور بالذقن ونصب سجدا على الحال وقوله ان الذين الآية
تعليل لآمنوا به او لا تؤمنوا يعني ان لم تؤمنوا فقد امن به من هو خير واعلى منكم
منكم او تعليل لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء
وفيه تضمين الاعراض عنهم والاحتقار لهم وعدم الاكتراث بهم ويقولون سبحان
ربنا عن خلف الوعد ان كان اي انه كان وعد ربنا في الكتب السالفة بارسال
رسول خاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم لمفعولا واقعا كائنا ويخرون للاذقان
يبكون حال كونهم باكين لما اثر فيهم مواعظه كرره لتكرر الفعل منهم والاول
في حال السجود والثاني في حال البكاء عبر عن الحال الثاني بلفظ الفعل لان بكاءهم
عن التفكر والتذكر وذلك منهم دائمي فناسب الفعل الذي للتجدد واما السجود
ففي وقت دون وقت وهذا على ان المراد من الخرور للاذقان كمال التذلل لا انه
كناية عن السجود كانهم من ليس لهم اختيار في السقوط فان الانسان مجبول
على صيانة وجهه ويزيدهم سماع القران خشوعا خضوعا لربهم ولما ذكر مقالات
موسى وفرعون للتوحيد واهلاكه مع قومه لادعائهم الشركة وبهذا البيان انذر
قريشا ثم قال مخاطبا لهم امنوا به او لا تؤمنوا والايمان يستلزم التوحيد الذي
هو المطلوب الاصلي عنهم امر نبيه ان يدفع عنهم شبهة نشأت لهم فقال قل
ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاول علم لذاته الاقدس والثاني من الصفات الخاصة
التي هي كالعلم والدعاء بمعنى التسمية وهو متعد الى مفعولين ثانيهما بحرف جر
نحو دعوت ولدي بزيد ثم توسع بحذف الباء وعلى هذا الله هو الذي كان عليه الباء
فحذف فتقديره قل ادعوا معبودكم الواحد بالله او بالرحمن واو للتخيير والمراد من
الله والرحمن الاسم لا المسمى ايا ما تدعوا التنوين عوض عن المضاف اليه وما زائدة
للابهام الذي في اي واي هنا شرطية وجواب الشرط قوله فله الاسماء الحسنى
والضمير للمسمى لا الاسمين فان التسمية للذات يعني باي اسم سميتموه فهو حسن لان له
الاسماء الحسنى وهذان الاسمان منها نزلت حين يقول عليه الصلوة والسلام

هذا ان الوجهان في ذكر الذقن كانه ولي ما
ذكره الزمخشري فانه لا يخلو عن اشكال
فانظر وتامل

قيل الدعاء بمعنى الطلب له والثناء
وحاصله ايا ما تسموا في ثناءكم
وسؤالكم منه

في سجوده يا رحمن يا رحيم وقد سمع بعض المشركين وقال انه يزعم انه يدعو واحدا
وهو يدعو اثنين الله والرحمن ما الرحمن الا رحمن اليمامة اراد واميسلمة فكانه
تعليم في اذكار السجود حين مدح سجود العلماء ولما قال ادعوا الله او ادعوا
الرحمن يخطر بالبال هل ندعوه جهرا او خفية فقال ولا تجهر بصلوتك اي بقراءة
صلوتك وحذف المضاف للعلم به لان نفس الصلوة ليست بمسموعة والجهر
والمخافتة متعقبان على الصوت ولا تخافت بها ولا تخفها عمن خلفك من
اصحابك فانه لو سمع المشركون يسبون القران نقله البخاري عن ابن عباس
وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا والمنقول عن كثير من
السلف ان المراد من الصلوة الدعاء وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا كما
قالت اليهود والمشركون عزير ابن الله والملائكة بناته ولم يكن له شريك في
الملك كما اثبته النصارى والمشركون ولم يكن له ولي من الذل اي ناصر منه
فانه لا يحوم حول جنابه ذل ليحتاج الى ولي يتعزز به نقل القرطبي ان الصابئين
والمجوس يقولون لولا اولياء الله لذل اثبت لنفسه الاقدس الاسماء الحسنى
ونزه نفسه عن النقائص لمضمون قل هو الله احد وكبره تكبيرا اعظمه عن كل
ما لا يليق بعظمته كالولد والشريك والولي عظمة تامة افتتح السورة بالتنزيه
واختتم به وقد ورد انه عليه الصلوة والسلام سماها اية العز في بعض الاثار من قرأ
في ليلة في بيت فيصيبه سرقة او افة نقلها الشيخ عماد الدين في تفسيره من
غير تخريج والحمد لله رب السماء والارض حمدا كثيرا

سورة الكهف مكية قيل الا قوله واصبر نفسك الاية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب رتب الحمد على انزاله
القران الذي هو اشرف الكتب السماوية على عبده افضل رسل الله صلى الله عليه وسلم
لانه اجل نعم واعظم كرم ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج لا في الفاظه ولا في معانيه
قيما بمصالح العباد وشرايع دينهم وامور معاشهم ومعادهم او قيما على سائر
الكتب مصدقا لها فقوله لم يجعل دال على كونه مكملا في ذاته وقوله قيما دال على انه
مكمل لغيره فثبت ان الترتيب المناسب ما ذكره الله وقوله ولم يجعل جملة حالية
وكذلك قيما فهما حالان من الكتاب او قوله ولم يجعل عطف على انزل كما هو المتبادر
وقيما حال من الكتاب ولم يجعل جملة معترضة بين الحال وصاحبها وذلك جائز

مع ان الجملة المنفية كالبيان نحو وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام على
الاوجه لينذر الكافرين باسا شديدا من لدنه اى عذابا شديدا صادرا من لدنه
ويبشر المومنين هذا مقابل لقوله لينذر ولهذا قدرنا الكافرين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا حسنا حال كونهم ماكثين فيه فى الاجر ابدا دائما وينذر
الذين قالوا اتخذ الله ولدا اى ينذرهم باسا شديدا وخصهم من بين الكفار
بالذكر لغلظ كفرهم وحذف من الاول المنذر ومن الثانى المنذر به لدلالة الثانى
على المحذوف الاول ودلالة الاول على المحذوف الثانى وهذا من جليل البلاغة ولما لم يكرر
البشارة اى بالمبشر والمبشر به ما لهم به من علم اى يقولون عن جهل وافتراء والجملة
استينافية واو فى موضع الحال وضمير به اما للولد او للاتخاذ او للقول او لله
اى ما لهم بالله من علم فينزهوه عما لا يجوز عليه وانتفاء العلم بالشىء اما للجهل
بالطريق الموصل اليه واما لانه فى نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به ولا لابائهم
الذين قالوا ذلك كبرت عظمت مقالتهم هذه فى الكفر وفيه معنى التعجب
يعنى ما اكبرها كلمة وعند البصريين فى كبرت مبهم يفسره قوله كلمة نصبه على
التمييز وهو ابلغ من كبرت كلمتهم تخرج من افواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام
اجترائهم فان هذه الكلمة الردية التى لو خطرت ببال لا يليق ان يظهر بحال وهم
تكلموا بها ان يقولون الا كذبا اى ما يقولون الا قولا كذبا فلعلك باخع قاتل
نفسك على اثارهم اذا اعرضوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الاسف برجل
فارقته احبته فهو يتساقط حسرات على فراقهم واثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث
العظيم الشان اى القران اسفا لفرط الحزن فنصبه على انه مفعول له لباخع
ولما منعه من هلاك نفسه تاسفا علله بقوله انا جعلنا ما على الارض مما
يصلح ان يكون زينة زينة لها للارض وزينة مفعول ثان ان كان الجعل بمعنى
التصيير والا فهى مفعول له او حال لنبلوهم لنختبرهم ايهم احسن عملا ممن ليس
احسن عملا فلا بد فيهم ممن لم يحسن العمل فلا تحزن على من قضينا عليه الشقاوة
وحسن العمل الزهد فى الزينة وترك الاغترار بها وايهم مبتدأ وضمته اعرابى
واحسن خبره والجملة فى موضع المفعول المعلق عنه نبلوهم لما فيه من معنى العلم
وعند سيبويه ضمته بنائى لانه مضاف الى جملة حذف صدر صلتها فاحسن خبر محذوف
تقديره هو احسن وايهم موصول بدل من مفعول نبلو وانا لجاعلون ما عليها

ما على الارض من الزينة او اعم صعيدا جرزا مثل ارض ملساء لا نبات
فيها بعد ان كانت خضراء فى ازالة بهجته وابطال حسنه يعنى نميت الحيوانات
ونجفف النباتات فيه اشارة الى التزهيد فى الدنيا والرغبة عنها وتسلية له صلى
الله عليه وسلم عما تضمنته ايدى المترفين من زينتها اذ مال الكل الى الفناء ولما قال
لنبلوهم ايهم احسن عملا دال على البعث الذى نفاه المعاندون اتى بواقعة مبينة
للبعث فقال ام حسبت بمعنى بل احسبت بمعنى الاضراب والانتقال من كلام الى اخر
والهمزة لانكار العجبية بمعنى ان مثل ذلك فى اياتنا ليس بعجيب ان اصحاب الكهف
الغار الواسع فى الجبل والرقيم فى المراد منه اختلاف كثير والظاهر ان اصحاب الرقيم
الفئة المذكورون هنا وقيل هم قوم حالهم كاصحاب الكهف اخبر الله عن حال
اصحاب الكهف ولم يخبر عنهم كانوا من اياتنا اية عجبا فهو صفة محذوف للمبالغة حيث
لم يقل عجيبا كانه قال لا تتعجب منها فالعجائب فى المخلوقات ليس بقليل اذ اوى سكن
تقديره اذكر قصتهم اذ وقيل معمول عجبا الفتية الى الكهف جعلوه ماوى اتفق
المفسرون على انهم من الروم قصد سلطانهم دقيانوس تعذيبهم لان يشركوا فهربوا
الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة تسترنا من اعينهم للنجاة عن عذابهم
وهيئ لنا يسر لنا من امرنا الذى نحن فيه من الخوف رشدا نصيرا بسببه راشدين
فضربنا على اذانهم اى ضربنا حجابا عليها من سماع كلام يعنى انمناهم انامة ثقيلة
لا تنبههم الاصوات نحو بنى على امرأته اى القبة فى الكهف سنين عددا سنين
ظرف لضربنا وعددا مصدر وصف به او المراد ذوات عدد والمتبادر منه
الكثرة فان القليل لا يحتاج الى العد ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم علم مشاهدة
اى الحزبين المختلفين منهم احصى ضبط لما لبثوا امدا اى ايهم ضبط امد الزمان
لبثهم فانهم لما انتبهوا اختلفوا فى ذلك كما قال الله قال قائل منهم كم لبثتم الاية
او المراد من الحزبين اهل قريتهم فانهم تنازعوا فى مدة لبثهم فاى الحزبين احصى
مبتدأ وخبر علق لنعلم عنه لصدارة اى لما فيه من معنى الاستفهام وامدا مفعول
احصى الذى هو فعل ماض وما مصدرية والظرف حال من امدا قدم عليه او هو افعل
التفضيل كما قاله الزجاج وهو ظاهر كلام سيبويه نحو اقسط عند الله واقوم
للشهادة وتقول اما اشكل هذه المسئلة وما اظلم هذا الليل وعلى هذا امدا تمييز
لا مفعول وافعل التفضيل يعمل فى التمييز فيل شىء احوج من لا يجعل امدا تمييزا

ما على الارض

مع انه متبادر ان التمييز شرطه في هذا الباب ان يصح نسبة ذلك الوصف الذي
قبله اليه ويتصف به نحو زيد اقطع الناس سيفا فانه يصح ان يقال قطع سيفه
وسيفه قاطع وهنا ليس الاحصاء من صفة الامد ولا تصح نسبته اليه وانما هو
من صفة الحزبين وهو دقيق نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق بدأ اولا
بقصتهم مختصرة ثم ذكر مطولة انهم فتية شبان آمنوا بربهم لم يقل آمنوا بنا
اشارة الى انهم مربوبون له وزدناهم هدى بتيسيرهم للعمل الصالح والانقطاع
اليه وربطنا على قلوبهم قويناهم بالصبر والخوف يزعج القلوب عن مقارها كما
قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر قيل في مقابله ربط قلبه اذا تمكن وثبت
اذ قاموا بين يدي سلطانهم حين دعاهم الى الكفر واوعدهم ان خالفوا وقيل
معناه اذ قاموا من نومهم واذ ظرف ربطنا فقالوا ربنا رب السموات والارض
لن ندعو من دونه الها ملكهم يدعوهم الى عبادة الاصنام لقد قلنا اذا شططا اي
ان دعونا غير الله والله لقد قلنا قولا ذا بعد عن الحق فاذا حرف جواب وجزاء
وشططا نعت لمحذوف اما على الحذف اي ذا شطط واما على الوصف للمبالغة
كرجل عدل وقيل هو مفعول به لقلنا وهذه المقالة قالوها بين يدي الملك
تقبيحا له ولقومه وذلك ابلغ من التبري هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة
هؤلاء مبتدأ او قومنا عطف بيان وجملة اتخذوا خبره او قومنا خبره وجملة اتخذوا
حالية ويحتمل ان يراد الاتخاذ بمعنى عملوا وصنعوا فانهم نحتوا الاصنام لولا اي
هلا يأتون عليهم اي على عبادتهم بسلطان بين بدليل واضح فان دينا لا دليل
عليه باطل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا وهم المفترون عليه بان له شريكا
واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض والاعتزال شامل لمفارقة الاوطان
ومعتقدات قومهم فهو اعتزال جسماني وقلبي وما يعبدون معطوف على
مفعول اعتزل اي واعتزلتم معبوداتهم الا الله استثناء متصل فانهم يعبدون
الله مع آلهتهم وقيل ما نافية والجملة معترضة اخبار من الله ان الفتية لا يعبدون
الا الله فأووا الى الكهف هو العامل في اذ اعتزلتموهم جزاء له ينشر يبسط
لكم ربكم من رحمته مثل ما يستركم عن اعين الظلمة ويهيئ لكم من امركم مرفقا اي من
امركم الذي انتم فيه ما ينتفعون به من امر المعيشة وغيره وهنا جمل محذوفة
دل عليها ما تقدم والتقدير فأووا الى الكهف فالقى الله عليهم النوم واستجاب

دعاءهم وترى الشمس لو رأيتهم اذا طلعت تزاور تميل عن كهفهم فلا يقع شعاعها
عليهم لتحرق ابدانهم ولباسهم ذات اليمين الجهة المسماة باليمين يعني يمين الداخل
الى الكهف او يمين الفتية واذا غربت تقرضهم تقطعهم ذات الشمال وهم في فجوة
متسع منه من الكهف فلا يؤذيهم حر الشمس وينالهم روح الهواء ذلك من آيات
الله انه صرف بقدرته عنهم الشمس وحال بينها وبينهم بمحض قدرته لا لان باب
الكهف على جانب لا تقع الشمس الا على جنبيه فهذه آية اخرى وقيل الاشارة
في ذلك الى ان حديثهم من آيات الله وهو هدايتهم الى توحيده واخراجهم من بين
عبدة الاوثان سالمين وايواءهم الى كهف بابه الى بنات النعش فيقع الشعاع
على جنبيه وهم في وسطه والقاء الهيبة عليهم وانامتهم في تلك المدة مع حفظ ابدانهم
وثيابهم من البلى والسباع من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا
مرشدا وتحسبهم ايقاظا لانفتاح اعينهم لروح الهواء جمع يقظ كانكاد في نكد
وهم رقود نيام جملة حالية ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تأكل الارض
لحومهم وذات منصوب على الظرف واصلها صفة للجهة كأنه قال جهة ذات اليمين
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بالفناء من الكهف قد نقل انه كلب تبعهم فطردوه
فانطقه الله قائلا انا احب احباء الله ناموا وانا احرسكم وقوله باسط ذراعيه
حكاية حال ماضية فان اسم الفاعل لا يعمل عند الاكثرين اذا كان في معنى الماضي
لو اطلعت عليهم بان نظرتهم لوليت منهم فرارا هربت واعرضت ونصب فرارا
بانه مفعول له او مصدر لان وليت بمعنى فررت ولملئت منهم رعبا خوفا كليلا
صدرك لمهابتهم ونصبه بالمفعول الثاني وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم تلك
المدة آية بعثناهم من تلك النوم كذلك ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا مدة
لبثهم فيعرفوا حالهم ويزداد يقينهم واللام للصيرورة نحو لدوا للموت قال قائل
منهم كم لبثتم اي كم يوما اقمتم نائمين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فانه غالب مدة
نوم نائم وكانهم دخلوا غدوة وانتبهوا عشية والظاهر صدور الشك من المسؤولين
وقيل قال بعضهم لبثنا يوما وبعض اخر بعض يوم والسائل احس في خاطره
طول نومهم ولهذا سال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم كانه حصل لهم نوع تردد في طول
مدتهم لطول اظفارهم واشعارهم ولهذا احال العلم الى الله فابعثوا يعني
لا يصل علمكم الى مدة اللبث فاتركوا المقال وابعثوا احدكم بورقكم بفضتكم

هذه الى المدينة التي خرجتم عنها طرسوس وكان معهم دراهم فلينظر ايها اي
اهل تلك المدينة ويكون من باب واسال القرية ازكى طعاما احل واطهر فان
في المدينة مومنا وكافرا واكثر بركة فقيل هو الارز وكانه قال اي الماكل اكثر بركة
وعلى هذا ليس من باب واسال القرية ولا حذف وقيل المراد ارخص وجملة
ايهم ازكى منصوب محلا معلقا عنها الفعل وطعاما تمييز فليأتكم برزق منه وليتلطف
في الطريق والمعاملة حتى لا يطلع علينا احد ولا يشعرن بكم احدا لا يفعلن ما يؤدي
الى شعور احد بنا انهم اي اهل المدينة ان يظهروا عليكم اي يظفروا عليكم او
من الاطلاع يرجموكم يقتلوكم بافضح انواع القتل او يعيدوكم في ملتهم كرها والعود
بمعنى الصيرورة اذ كانوا على دينهم وهداهم الله فالعود على المتبادر منه ولن
تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وتركتم ملتكم وكذلك اعثرنا عليهم اي كما انمناهم
وايقظناهم اطلعنا عليهم اهل المدينة ومفعول اعثرنا محذوف اي اعثرناهم
عليهم وفي البين جمل مقدرة تقديره فبعثوا احدهم ونظر ايها ازكى طعاما
وتلطف ليعلموا اي المطلعون عليهم ان وعد الله حق اي الوعد بالبعث اذ نوع
ليس بمحال لتجانس الموت والبعث بتلك الرقدة والايقاظ وان الساعة
لا ريب فيها فان من قدر على حفظ ابدانهم وبقاءهم من التغير ثلثمائة تسنين
قدر على جمع المتفتت والقالب الحيوة فيه اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا او ليعلموا
بينهم امرهم امر دينهم فقد وقع لاهل ذلك الزمان شك في البعث فمنهم من
قال لا بعث الا للارواح فبعثهم الله حجة لمن هو قائل بالبعث للارواح والاجساد
او التنازع في مدة لبثهم كما مر فقالوا اي الكافرون ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم
سدوا عليهم باب الكهف وذروهم على حالهم فان ربهم اعلم بهم قيل هذا دال
على ان التنازع في مدة اللبث قال الذين غلبوا على امرهم وهم المؤمنون وكانوا
غالبين في ذلك الوقت قيل ان امرأة كافرة ارادت صومعة على الكهف
فغلبها المسلمون وقالوا لنتخذن عليهم مسجدا المنقول ان المبعوث الى الطعام
حين اخرج الدراهم ورأوا درهمه اتهموه بوجدان كنز لان الدرهم كان على
ضرب لم يروه فحين سألوه قال انا من هذه المدينة وعهدي بها عشية امس
وضرب درهمي ضرب دقيانوس فنسبوه الى الجنون فحملوه الى ملكهم فاخبرهم
المبعوث بامر نفسه فقام الملك مع الرعايا الى الكهف فقال دعوني اتقدم

قدرنا الشيء صالا رجالا كما قدره المفسرون لان
رابعهم اسم فاعل بمعنى صيرهم اربعة فلو قدر اربعة رجال
لكان المعنى كلبهم صيرهم رجالا اربعة وهذا
خطأ لاختلاف الجنسين منه

في الدخول فعمي عليهم المدخل واخفى الله عليهم فبنوا ثم مسجدا وعن بعض السلف
دخلوا عليهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم وكلمهم وكلموا وودعهم فتوفيهم الله
فبنوا عليهم مسجدا وهذا هو الاظهر الانسب سيقولون هم ثلثة اشخاص رابعهم
كلبهم ويقولون هم خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب اي يرمون رميا من
غير علم كمن يرمي الى مكان لا يعرفه فانه لا يكاد يصيب وان اصاب فليس من
جودة رميه والقائل بهما اهل الكتاب ويقولون هم سبعة وثامنهم كلبهم
عطف على جملة هم سبعة اخبروا اولا انهم سبعة ثم اخبروا ان ثامنهم كلبهم
فكانهم اخبروا مرتين بانهم سبعة بخلاف الاولين وليست الواو للصوق الصفة
بالموصوف فان ذلك شيء غير معروف في كلامهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم
الا قليل المثبت في حق الله الاعلمية وفي جانب القليل العالمية وقوله قل ربي
اعلم مرتب على مجموع سيقولون فلا يدل على كونهم سبعة وثامنهم كلبهم كالاقوا
ال بقية رجم بالغيب وقد صح عن ابن عباس انه قال انا من القليل كانوا سبعة
فلا تمار فيهم الا مراء اي لا تجادل فيهم في شان الفتية الا مراء ظاهرا سهلا هينا
فلا تجهلهم فان معرفته لا يترتب عليه كثير فائدة نحو وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت
فيهم منهم احدا لا تسأل عن قصتهم احدا من اهل الكتاب لا سؤال متعنت لانه خلاف
ما امرت به ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك ولا تعتمد على احد سوى الله
ولا على قدرتك عليه ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء
غدا اي في مستقبل الزمان ولم يرد خصوصية الزمان الا ان يشاء الله الا بان
يشاء الله اي ملتبسا بمشيئته فتقول ان شاء الله فالمستثنى في موقع الحال
وحذف حرف الجر من ان وان شايع وهو استثناء من النهي لا من قوله اني فاعل
نزلت حين سأله قريش بتعليم اليهود عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين
فقال صلى الله عليه وسلم اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله ولبث الوحي اياما فقاموا
بالشماتة ثم نزلت تعليما وتاديبا وقيل معناه لا تقولن ذلك الا ان يشاء الله
ان تقوله بان ياذن لك فيه وقيل الا ان يشاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قال
لا تقوله ابدا نحو وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا واذكر ربك بالمشيئة
فقل ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان يعني اذا نسيت كلمة الاستثناء
ثم تنبهت عليها فتداركه بالذكر وعن ابن عباس للحالف ان يستثني ولو بعد سنة

وهو ظاهر عند اهل التامل منه

يعني لمتابعة السنة في الاستثناء لا لانه رافع للحنث مسقط للكفارة وقد نقل الطبري
عن ابن عباس ان هذا اي عدم الحنث ان استثنى ولو بعد سنين خاصة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل معناه انه تعالى ارشد من نسي شيئا من كلامه
الى ان يذكر الله فان منشأ النسيان الشيطان وذكر الله يطرده فاذا ذهب
الشيطان ذهب النسيان وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا
اي يدلني الى اية على نبوتي هي اقرب وادل في الرشد من قصة اصحاب الكهف
فعلى هذا قوله وقل عسى من تتمة ولا تستفت فيهم منهم احدا فان المشركين سالوا
عن خبر اصحاب الكهف بتعليم اليهود امتحانا بالنبوة فقلل الله شان القصة تحقيرا
لما استعظموه وقد قص لان يخبر المشركين ليعلموا انه تلقى من الوحي وفي بيانها موعظة
وعبرة وقيل معناه واذكر ربك اذا نسيت شيئا واذكر ربك ان تقول
عند نسيانه عسى ان يهديني ربي لشيء اخر بدل المنسي اقرب رشدا من المنسي
قال تعالى او ننسها نات بخير منها وقيل اذا سئلت عن شيء لا تعلمه فتوجه الى
ربك في ان يوفقك الى اقرب طريق اليه ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين اخبر
تعالى بمدة لبثهم نياما الى ان اطلع الله عليهم وسنين بدل واما انه عطف
البيان فغير جائز على مذهب البصريين كما بينا في سورة ال عمران عند قوله مقام
ابرهيم وفي قراءة بالاضافة اوقع الجمع موقع المفرد وقال ابو علي يضاف الى
الجمع كما يضاف الى المفرد وازدادوا تسعا لان مدتهم ثلثمائة شمسية ولما كان الخطاب
للعرب وحسابهم القمري زيدت التسع لاتفاق الحسابين لان تفاوت ما بين
كل مائة سنة بالقمرية الى الشمسية ثلث سنين قل يا محمد الله اعلم بما لبثوا
فلا تختلفوا بعد الخبر من الله له غيب السموات والارض جملة مستانفة لتعليل
الاعلمية هذا قول اكثر العلماء وقال قتادة قوله ولبثوا حكاية قول اليهود وقد رده
الله بقوله قل الله اعلم وكان في مصحف عبد الله وقالوا لبثوا في كهفهم كذا في
البحر ابصر به واسمع هما صيغتا التعجب على الاصح اي ما ابصره وما اسمعه فالضمير الراجع
الى الله فاعل والباء صلة والتعجب منه سبحانه تعجيب ما لهم الضمير لاهل السموات
والارض من دونه من ولي يلي امرهم ولا يشرك الله في حكمه في قضائه احدا منهم
ولما انزل ما انزل من قصة اهل الكهف التي سالوها امتحانا امره بان يقص على معاصريه
ما اوحي اليه في شانهم وفي غيرهم فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك

القران

القران الحكيم لا مبدل لكلماته فانه تعالى هو المحافظ على كتابه ولن تجد من دونه
ملتحدا ملجأ تعدل اليه ان لم تتل ولم تتبع ولما قال ولن تجد من دونه ملتحدا الجاء
فكانه قال اقصر سمعك عن غير سمعه وبصرك عن غير بصره فان سمعه وبصره
الى من يدعونه دائما فقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي طرفي النهار يريدون وجهه يريدون الله بالدعاء لا شيء غيره نزل حين
قال اشراف قريش افرد لنا مجلسا لا يكون فيه الفقراء الذين تؤذينا رائحة جبتهم
كعمار وابن مسعود وصهيب وسلمان وبلال رضي الله عنهم وارضاهم ولذلك
اكده وقال ولا تعد عيناك عنهم اي لا تصرف عيناك النظر عنهم الى ابناء
الدنيا فعدا متعد من غير واسطة نحو عدا فلان طوره فقدرنا المفعول ليبقى
الفعل على اصله فعند البصريين لا يجوز التضمين الا لضرورة والحذف مع القرينة
شايع تريد زينة الحيوة الدنيا حال من المضاف اليه اي ضمير المخاطب واجاز
بعض النحاة اذا كان المضاف جزأ او كالجزء وحسنها لان المقصود نهيه كانه قال
ولا تعد انت عنهم النظر الى غيرهم ولا يبعد ان يكون حالا من عيناك وتوحيد الضمير
لاتحاد الاحساس او للاكتفاء باحدهما او لانهما عضو واحد او لان ارادة الزينة
لو فرض عنك لا يكون الا قليلا باحدى عينيك وهذا القليل لا يليق بحالك
ولا تطع في تبعيد الفقراء من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه من غير ان يطيعنا
وكان امره فرطا متقدما للصواب نابذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اي
متقدم على الخيل وقل الحق من ربكم اي هو الحق كائنا من ربكم فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر قال علي رضي الله عنه الاية تهديد لا تخيير والاية صريحة في
ان حصولهما موقوف على مشيتهما والعقل دال على ذلك ايضا فان الفعل
الاختياري بدون القصد محال لا بد من الانتهاء الى قصد يخلقه الله في العبد
وهو المشية انا اعتدنا هيأنا للظالمين الكافرين نارا احاط بهم سرادقها شبه
بالفسطاط ما يحيط بهم من النار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل
كمذاب النحاس وهذا على سبيل المقابلة والا فاين الاغاثة يشوي الوجوه
من حره اذا قدم اليه ليشرب قيل الوجوه البدن تمامه والجملة حالية او مستانفة
او صفة ثانية بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكأ وهو منصوب
على التمييز ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا

اخبار ان الحق خبر محذوف وان جاز
ان يكون مبتدأ ومن ربكم خبره
منه

انا لا نضيع اجرهم لانا لا نضيع اجر من احسن عملا فخبران محذوف والمذكور
دليله وهذا ابلغ وذكر حال المؤمنين على القاعدة القرانية في مقارنة ذكر احد
الفريقين عند الاخر او لانه لما ذكر الفريقين في قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر بين حالهما ومآلهما اولئك لهم جنات عدن عن ابن عباس انها جنة تتفجر
الانهار منها سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها يقال عدن بالمكان اذا اقام فيه
والجملة مستأنفة كالمبين قيل اولئك خبران وجملة انا لا نضيع معترضة تجري
من تحتهم تحت غرفهم واشجارهم الانهار الجملة حالية يحلون يزينون فيها جملة اخرى
حالية من اساور جمع اسورة ومن للابتداء من ذهب صفة اساور ومن بيانية
او تبعيضية ويلبسون ثيابا خضرا من سندس رقيق الديباج واستبرق غليظ منه
فان ما يلي البدن رقيق وفوقه غليظ كعادة الدنيا او جمع لهم بين النوعين والخضرة
احسن الالوان يزيد في ضوء البصر متكئين فيها على الارائك الاتكاء الاضطجاع
او التربع في المجلس والارائك السرر وعلى الارائك يحتمل تعلقه بمتكئين ويحتمل
ان يكون حالا من ضمير متكئين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الجنة مرتفقا متكأ
او منزلا قيل ضمير حسنت للارائك والاولى ما ذكرنا لقوله من قبل وساءت مرتفقا
واضرب لهم اي لهؤلاء المتجبرين الطالبين طرد الضعفاء من المؤمنين لفقرهم
المفتخرين بما هو في معرض الزوال من الانصار والمال مثلا رجلين بيان للمثل
او بدل بحذف مضاف اي قصة رجلين جعلنا صفة رجلين او الجملة بيان للتمثيل
لاحدهما جنتين بستانين من اعناب وحففناهما بنخل اي جعلنا النخل محيطة بهما
والباء للتعدية الى المفعول الثاني يقال حففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله والمراد
من صاحب البستانين الكافر الشاك في البعث وجعلنا بينهما وسط النخل والكرم
زرعا كلتا الجنتين لفظ كلتا مفرد ومعناه مثنى فلهذا اجاز آتت اكلها ولم تظلم
تنقص منه شيئا اي من اكلها كما يعهد فان المعهود في اكثر البساتين كمال الثمرة
في سنة تسمى سنة الحمل ونقصها في سنة تليها وفجرنا خلالهما وسط الجنتين
منصوب على الظرف اي وسطها وقد راعى معنى كلتا نهرا وكان له ثمر وكان لصاحب
البستانين انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه المؤمن وهذا دال
على انه ليس اخاه وهو يحاوره يراجعه في الكلام جملة حالية يعني يفتخر عليه في اثناء
الكلام بكثرة ماله وعزة نفسه انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما وعشيرة او اولادا

جاز ان يكون رجلين المفعول الاول لاضرب بتضمين معنى اجعل
منه

قاله ابن عباس وغيره
منه

ذكورا

ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث ونصب مالا ونفرا بالتمييز بعد افعل التفضيل
ودخل جنته حين اخذ بيد صاحبه وادخله بستانه يطوف به فيها يفاخره بها
ويري صاحبه ما هي عليه من البهجة والحسن لم يقل جنتيه لان الدخول لا يكون
الا في واحد منهما وهو ظالم لنفسه بسبب كفره وعجبه جملة حالية قال ما اظن ان
تبيد هذه ابدا راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم انها لا تفنى والمراد من الابد
حيوته وذلك لطول امله وتمادي غفلته او هو قائل بقدم العالم وان ما حوته هذه
الجنة ان فنيت اشخاص اثمارها واشجارها فيخلفها اشخاص اخر ودل كلامه هذا على
ان المحاورة في فناء هذا العالم والبعث ولله در الزمخشري عفا الله عنه حيث قال
وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم
ناطقة به منادية عليه والامر كما قال قال الله تعالى الذي جمع مالا وعدده يحسب
ان ماله اخلده فانه لفرط غروره وطول امله لا يخطر الموت بباله فيعمل اعمال من
يظن الخلود وما اظن الساعة القيمة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي مثل
ما زعمت لاجدن خيرا منها من جنتي منقلبا مرجعا وعاقبة فان الله ما اعطاني
في الدنيا الا لاستيهالي والاخرة لو كانت خير علي وابقى فتمنى على الله لغروره ونصب
منقلبا على التمييز قال له صاحبه المؤمن وهو يحاوره اي حال كونه يراجعه
في الكلام لا يجادله ولا يغاضبه اكفرت بالذي خلقك من تراب اي خلق
اصلك ما دتك منه فان ادم من تراب وقيل اراد ان ماء الرجل يتولد من اغذية
راجعة الى التراب ثم من نطفة فانها مادته القريبة ثم سواك رجلا عدلك
وكملك ذكرا بالغا ونصبه على الحال ولا يبعد انه مفعول ثان لمعنى الجعل فيه لكنا
هو الله ربي اصله لكن انا حذفت الهمزة وادغمت النونان اي لكن انا اقول الامر
والشان الله ربي وقيل هو راجع الى الذي اي خالقك الله وربي نعت
او بدل والجملة من اقول هو الله ربي خبر انا كانه قال انت كافر لكني انا مؤمن والاستفهام
في اكفرت لما كان للتوبيخ والتقرير ادى هذا المؤدى ولا شك ان الكفر يقابله
الايمان فالاستدراك مناسب ولا اشرك بربي احدا التعريض باشراك
صاحبه وقد صرح صاحبه بذلك حيث يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولولا اذ
دخلت جنتك قلت اي هلا قلت حين دخلت ما شاء الله ما شرطية منصوبة
بشاء والجواب مقدر اي كان او موصولة مبتدأة والخبر مقدر اي الذي

شاء الله كائن او خبر مبتدأ مقدر اي الامر الذي شاءه الله لا قوة الا بالله ا
قرارا بانها ليست الا بمشيئته ان شاء ابقاها وان شاء افناها واعترافا بالعجز على
نفسك والقدرة لله قال بعض السلف وقد روي فيه حديث مرفوع اخرجه
الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده ولكن ضعفه الحافظ ابو الفتح الازدي ان من اعجبه
شيء فليقل ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا ترى
ان كان علمية فاقل ثاني مفعوليه وان كان بصرية فاقل حال وانا ضمير الفصل
او تاكيد للمفعول وقوله وولدا دال على ان قول صاحبه واعز نفرا عنى به الاولاد
ونصب مالا وولدا بالتمييز فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الآخرة او
في الدنيا والآخرة لايماني ويرسل عليها على جنتك التي بها تفاخر وتكبر حـ
سبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصاعقة فتصبح الجنة صعيدا
زلقا ارضا ملسا لا يثبت فيها قدم ذهب جميع منافعها حتى منفعة المشي فيها
او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له للماء
الغائر طلبا في رده واو معطوف على يرسل طلب على جنته آفة سماوية او ارضية
واجاب الله سؤله فقال واحيط بثمره اصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد
ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك فاصبح صاحب التفاخر يقلب
كفيه ظهرا لبطن تاسفا وندما وهي فعلة المتاسف النادم المتحير في نفسه على ما
انفق فيها متعلق بيقلب لان فيه معنى التحسر اي يتحسر على ما انفق في عمارتها من
المال والعمر والقوة وهي خاوية ساقطة على عروشها فان كرومها المعرشة
سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوق العروش محترقة ويقول
تحسرا على بستانه لا على ايمانه يا ليتني لم اشرك بربي احدا حتى لا يهلك
الله بستانه تذكر موعظة اخيه ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله اي يقدرون
على نصرته من دون الله حمل ينصرونه على معنى فئة وفي قوله فئة تقاتل على
اللفظ واخرى كافرة يرونهم على المعنى وهذا من كلام الله تعالى وفيه
اشارة الى انه سقط وذل بحيث لو فرض له ناصر او ناصران لا يمكن من نصره
بل لا بد من فئة وما كان منتصرا بنفسه هنالك الولاية لله الحق هنالك
ظرف مكان للبعد اشير به للدار الآخرة اي فيها الولاية لله لا يقدر غيره على
نصرة وقيل هنالك معمول منتصرا ومن القراء من يقف على هنالك ولما نفى

عنه

عنه الفئة الناصرة في الدنيا نفى عنه ان ينتصر في الآخرة وقوله هو خير ثوابا
وخير عقبا قرينة ان المراد بهنالك الدار الآخرة وعلى الوجه الاول هنالك
الولاية لله مبتدأ وخبر ولله متعلق بالولاية والحق بكسر القاف صفة لله ورفعها
صفة الولاية وعلى الوجه الثاني الولاية مبتدأ وخبر وقراءة الولاية بكسر الواو معناها
السلطنة وبفتح الواو النصرة وتولية الامور ونصب ثوابا وعقبا بالتمييز اي الله
خير ثوابا لاهل طاعته لو كان غيره يثيب وخير عاقبة طاعته من طاعة غيره سبحانه
والاصح ان الرجلين رفيقان ورثا مالا فاشترى احدهما ضياعا وصرف عمره وماله
فيها وزينه والآخر صرف ماله في وجوه الخير وعمره في الطاعة فلم يبق في يد الاول
سوى الندم والجزع والخسران والثاني وجد ما رغب فيه كذلك حال صناديد الكفر
المتمنعين عن فقراء المؤمنين المفتخرين بثيابهم وطيب رائحتهم وبقاراتهم وفسحة
ساحتهم فساء صباح المنذرين ولما اتم المثل الاول لدنياهم الخاصة بهم التي
ابطرتهم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ضرب لدار الدنيا العامة لذوي العقول
في قلة بقائها وسرعة فنائها فقال واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اي اذكر لهم
ما يشبه الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها كماء اي هو كماء انزلناه من السماء
فاختلط به النبات بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا نبات الارض فاصبح
هشيما يابسا مكسورا تذروه تفرقه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا قادرا
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يعني هما زينة الدنيا وكل ما كان زينتها سريع الانقضاء
فهما سريع الانقضاء ومن بديهة العقل ان ما كان كذلك يقبح بالعاقل ان يفتخر
ويفرح بسببه والباقيات الصالحات اي الاعمال الصالحة ذكر بعنوان الباقيات
ليعلم ان ما عداها فانيات وعن كثير من السلف انها سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد نقل في ذلك احاديث
خير عند ربك ثوابا افضل عند الله جزاء وخير املا لان صاحبها ينال ما يؤمل بها
في الدنيا ونصب ثوابا واملا على التمييز ولما ذكر ما يؤول اليه حال الدنيا من النفاد
اعقبه باوائل احوال القيمة حتى تيقن عندك ضرب المثل فقال ويوم اي اذكر يوم
نسير الجبال نقلعها من اصولها كما نسير نبات الارض بعد ان صيرناه هشيما و
ترى الارض بارزة ظاهرة قاعا صفصفا لا تلال ولا وهاد وسطحا مستويا وقيل
بارزة اهلها من بطنها وعلى الوجهين بارزة حال وحشرناهم اي وقد اقمناهم

من قبورهم واحييناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا ما انكروا فالاولى ان تكون الواو
للحال فلم نغادر لم نترك منهم احدا بل الكل محشورون وعرضوا على ربك كما يعرض
الجند على السلطان ليامر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد احدا فهو حال من الفاعل
لقد جئتمونا معمول المحذوف اي قلنا لقد وجاز ان يكون هو العامل في يوم نسير
كما خلقناكم اول مرة نعت لمصدر مقدر اي مجيئا مثل مجيء خلقكم حفاة عراة غرلا
بلا مال وولد بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وحاصله لقد جئتمونا وانتم لا تصدقون
المجيء الينا بل زعمتم اي بل تكذبونه وان مخففة من المثقلة نحو ايحسب الانسان ان لن نجمع
عظامه والمعنى ان لن نجعل لاعادتكم وحشركم مكانا وعدا وزمانا موعدا لانجاز ما وعدتم
والخطاب في جئتمونا كما خلقناكم للمنكرين البعث وقيل قوله بل للخروج من القصة الى
اخرى ووضع الكتاب كتاب الاعمال في الايادي وقيل في الميزان فترى المجرمين
مشفقين خائفين وهو حال مما فيه من كشف سيئاتهم وما يترتب على ذلك من
العذاب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم من بين الهلكات ما لهذا الكتاب
كانه قال يا ويلتنا تعالي وانظري الى الكتاب وتعجبي منه وما الاستفهامية مبتدأ
وقوله لهذا خبره وجملة المنفي بعده حالية لا يغادر لا يترك صغيرة هنة صغيرة من
اعمالنا ولا كبيرة الا احصيها ضبطها وحفظها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف
ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل وقيل المراد من ما عملوا جزاء ما عملوا وعلى
هذا عدم الظلم بان لا يعاقبه بما لم يفعل ولما ذكر الحشر وخوف المجرمين من اعمالهم
وابليس هو حاملهم على المعاصي بين عداوته القديمة مع ابيهم لتتخذوه عدوا فقال
واذ قلنا اي واذكر قصة اذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس روى الضحاك
عن ابن عباس انه كان من اشرف الملائكة خازنا على الجنان وله سلطان السماء الدنيا
والارض فرأى لنفسه شرفا على اهل السماء فوقع في قلبه كبر لا يعلمه الا الله فامره الله
بالسجود لاستخراج ذلك الكبر منه فاستكبر واظهر ما هو كامن فيه فذكرها بعد حكاية
صناديد قريش والرجل المفتخر بالبستان والاولاد في غاية المناسبة ليعلموا ان الكبر
من سنته كان من الجن استيناف كان قائلا يقول لم لم يسجد فقال لانه كان
من الجن وهذه العبارة دالة على انه من الجن حقيقة لا انه من قبيلة من الملك اسمهم الجن
ولانه ابو الجن كما ان ادم ابو الانس ففسق عن امر ربه خرج عن اطاعة الله
والفاء مشعر بان سبب عصيانه كونه جنيا افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب يعني

عقيب

اعقيب ما صدر عنه تتخذونه وذريته قيل نسله وهم يتوالدون كبني ادم وقيل يدخل ذنبه في
دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين ولا حاجة لنا الى تحقيق ذلك
اولياء من دوني باطاعتهم وترك طاعة ربكم وهم لكم عدو كانهم يد واحدة متفقون
في عداوتكم ولهذا لم يقل اعداء بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته وجملة وهم
لكم عدو حالية وهم احقاء باسم الظلم فانهم هم الذين وضعوا الشيء غير موضعه
ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي ما احضرت الشياطين
حين خلقت الدنيا لا استعين بهم فانا المستقل التام القدرة ليس لي شريك فلم
اتخذتموهم شركائي قيل معناه ما اشهدت المشركين خلق هذه الاشياء وما خصصتهم
بعلوم حتى لو امنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرة الدين
وما كنت متخذ المضلين عضدا اعوانا ولا ينبغي ان اعتضد بالمضلين والمراد بالمضلين
على الاول الشياطين وعلى الثاني الكفار وضع الظاهر موضع المضمر للذم والاستبعاد
عن الاعتصام بهم ولما اثبت جهل من اطاع الشياطين ثبت انهم بضرهم في احوج
زمان ومكان فقال ويوم يقول الله للكافرين نادوا شركائي الذين زعمتم اي
زعمتموهم شركائي او شفعاءكم والمراد نادوهم ليغيثوكم فمفعولا زعم محذوف لدلالة
الكلام عليهما فدعوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم لعدم استطاعتهم الاغاثة وجعلنا
بينهم موبقا مهلكا فلا وصول بينهم لا الهتهم يستجيبون لهم ولا عابدوهم واصلون
اليهم قال الفراء بين هنا الوصل اي جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في القيمة فعلى هذا
بينهم مفعول اول والظرف في موضع المفعول الثاني وعن ابن عمر ان ضمير بينهم للمؤمن
والكافر اي نفرق ونجعل بينهم حاجزا ورأى المجرمون النار عاينوها فظنوا انهم مواقعوها
مخالطوها واقعون فيها من مسيرة اربعين سنة كذا في الحديث لتعجيل غمهم وتقدم
خوفهم قبل الوقوع فيها والظن بمعنى اليقين او على ظاهره لرجاء الخلاص برحمة الله
ولم يجدوا عنها مصرفا مكانا ينصرفون اليه للخلاص عما يتوقعون ولقد صرفنا
بينا ذكرنا في هذا القران الواضح المبين للناس من كل مثل يحتاجون اليه في امر
الدين وكان الانسان اكثر شيء جدلا اي اكثر شيء يأتي منه لخصومة خصومة ومعارضة
للحق بالباطل كما قال فاذا هو خصيم مبين لا يذعن للادلة اليقينية والامثال الواضحة
ونصب جدلا على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا اي من ان يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى ما يقتضي الايمان من مثل هذا القران الذي فيه الامثال و يستغفروا ربهم

من لفظ هذا يوخذ ذلك
منه

ومن ان يستغفروا الا ان تاتيهم سنة الاولين اي الا انتظار ان تاتيهم سنة
الاولين اي عذاب الاستيصال من مثل الصيحة والخسف والغرق وهذا كما يقال
لمن حان له الرواح عن منزل مخوف وهو مسوف ما تنتظر الا المصائب فهذا القول
تاسيف وتنبيه على فساد تسويفهم عن الايمان ولما كان تسويفهم يجر الى هذا فكانهم
منتظرون اليه والمراد من الناس كفار قريش وقوله الا ان تاتيهم فاعل منع على
حذف المضاف او ياتيهم العذاب قبلا عيانا وقبلا بالضمتين بمعنى قبلا بالكسر
والفتح لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وفيه اشارة الى ان جبلة قريش كجبلة عاد
وثمود وليس الجدل وعدم قبول الحق من خواصهم وما نرسل المرسلين الا مبشرين
لمن امن بالنعيم المقيم ومنذرين لمن كفر بالجحيم والعذاب الاليم لا لاجبارهم على الايمان
ودفع العذاب عنهم ويجادل الذين كفروا بالباطل كما قالوا ابعث الله بشرا رسولا
ليدحضوا به الحق ليزيلوا بالباطل الحق الذي جاءهم عن مقره ويبطلوه واتخذوا اياتي
اي الحجج والبراهين وما انذروا اي ما انذروه من عقاب الله فما موصولة وجاز مصدرية
اي انذارهم هزوا استهزاء كقولهم اساطير الاولين ونحو ولو نشاء لقلنا مثل هذا
ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها تركها ولم يؤمن بها ولم يتفكر فيها وقوله
اعرض محمول على لفظ من ونسي ما قدمت يداه ما سلف من معاصيه انا جعلنا
على قلوبهم الجمع محمول على معنى من اكنة اغطية وغشاوة تعليل للاعراض والنسيان
ان يفقهوه كراهة ان يفهموه لانا ذرانا هم لجهنم وذكر الضمير وافرد لان المراد بالايات
القران وفي اذانهم وقرا اي جعلنا فيها صمما وثقلا معنويا عن استماع الحق حق
الاستماع وان تدعهم الى الهدى الى القران والايمان فلن يهتدوا اذا ابدا وهذا
مخصوص بجمع طبع الله على قلوبهم وقيل هذا حكم على الجميع اي ان تدع جميعهم الى الهدى
فلن يهتدي جميعهم ابدا واذا جواب وجزاء كان قوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة
في معنى لا ندعهم ثم نزل حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمانهم منزلة قوله ما لي
لا ادعوهم فاجيب بقوله وان تدعهم الى الهدى الى اخره وربك الغفور البليغ
المغفرة ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا دليل رحمته وغفرانه انه لو يؤاخذهم بمعاصيهم
وقبايح فعالهم لعجل لهم العذاب فاستؤصلوا من غير مهلة لكن امهلهم من رحمته
لكي يرجعوا ويهتدوا بل لهم موعد هو الموت لن يجدوا من دونه من دون الله في ذلك
الموعد موئلا منجا وهو مع قدرته لا ينجيهم قيل معناه لن يجدوا عند ذلك الموعد

وهو الانتظار الذي قدرنا منه

من

وحصول الوجهين واحد منه

موئلا وتلك القرى اي واصحاب تلك القرى المجاورة لمكة كقرى عاد وثمود
وقوم لوط اهلكناهم لما ظلموا علة اهلاكهم الظلم وهو تحذير من الظلم اذ نتيجته الاهلاك
وجعلنا لمهلكهم موعدا اي ضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما فكذلك انتم يا معشر قريش
احذروا ان يصيبكم مثل ما اصابهم فقد ظلمتم كما ظلموا او موعدا يحتمل المصدر
كالمرجع قوله تلك مبتدا والقرى صفته او عطف بيانه والخبر اهلكناهم او القرى
الخبر واهلكناهم حالية نحو فتلك بيوتهم خاوية او تلك منصوب بفعل يفسره اهلكنا
ولما علم اليهود قريش ان يسالوا رسول الله من ثلثة اشيا امتحانا عن نبوته
فسالوا اولا عن اصحاب الكهف واجاب بما اجاب واعقبه بضرب امثال
ونصايح شرع الله في حكاية موسى ابن عمران نبي الله الدال على ان النبي لا يجب
ان يعلم جميع الوقايع فلو لم يجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسولتهم
لا يلزم منه ان لا يكون نبيا فقال واذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون بن افراثيم
ابن يوسف بن يعقوب لا ابرح اي لا ازال اسير واسافر فحذف ابرح الذي هو
من اخوات كان محذوف لقرينة حالية هي حال سيره وسفره ومقالية هي قوله
حتى ابلغ مجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق او امضي حقبا
الحقب الدهر قاله ابن عباس وقيل ثمانون او سبعون وقيل سنة بلغة قريش
او معطوف على ابلغ غيا السير ببلوغ المجمع او مضي الحقب فيعلم من طول السير
والجد ان لا وصول الى مجمع البحرين قبل هذا الحول لا افارقك او تقضيني حقي فاو بمعنى
الا ان اي لا ازال اسير الا ان اتيقن معه فوات مجمع البحرين وقصته ان كليم الله
كان يخطب يوما القوم فسئل عنه هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحي اليه ان
يسير بطول سيف البحر حتى يصل مجمع البحر يرى اعلم منه وعتب الله عليه حين لم
العلم الى الله كما وقع من نبينا صلى الله عليهما وسلم انه جزم بان يجيبهم غدا فتاخر
الوحي مدة وفرح الاعداء الى ان تلون شامتين فقال موسى كيف لي يا رب
بمن هو اعلم فقال خذ حوتا فحيث ما فقدته فهو ثمه فلما بلغا مجمع بينهما تقديرا فسارا
فلما بلغا مجمع بين البحرين وهذا النحو شهادة بينكم من انه ظرف اضيف اليه على الاتساع
او البين بمعنى الوصل نسيا حوتهما اي تفقد حوتهما اي نسي موسى ان يطلبه و
يوشع ان يحكي له ما راى من حيوته فاتخذ الحوت سبيله في البحر سربا مسلكا امسك
الله عن الحوت جرية الما فصار عليه مثل الطاق كذا في الحديث الصحيح وسربا

مفعول ثان قيل انه حوت مملوح في مكتل فوصل اليه قطرة من ماء الحيوة الذي في
مجمع البحرين فنبعه فحيي فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتيه اتنا غداءنا نتغدى به لقد
لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا قيل سارا بعد الصخرة يوما وليلة والقي عليه التعب
بعد ان جاوز الموعد ولم ينصب قبل فهذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة ج
قال ارايت بمعنى اخبرني او بمعنى اعلمت ما جرى اذ اوينا الى الصخرة اذ معمول
ارايت اي الى الصخرة التي في الموضع الموعود فاني نسيت الحوت وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره اي ذكري اياه وهو بدل اشتمال من مفعول انساني ووقع
الفصل بين البدل والمبدل بفاعل انساني واتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا
نصب على المفعول الثاني وقيل اي سبيلا عجبا او اتخذ سبيله اتخاذا عجبا قيل لما
كثرت هذه العجائب من موسى فاعتذر بها فغفل عن يوشع الاهتمام بذكره قال
موسى ذلك اشارة الى امر الحوت ما كنا نبغ نطلبه فانه علامة الظفر بالطلبة
من لقاء ذلك العبد الصالح وذلك مبتدأ والموصول مع صلته خبره اي ذلك
الذي كنا نبغيه فارتدا رجعا على اثارهما على الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان
قصصا او مقتصين والمشهور في الحكاية فوجدا عبدا من عبادنا الاضافة
للتشريف وكان عند الصخرة مسجى في ثوبه مستلقيا على الارض فسلم عليه موسى
فقال واني بارضك السلام ومن انت قال انا موسى بني اسرائيل والاصح انه ولي
من اولياء الله باق الى الان اتيناه رحمة من عندنا علم الهام من رحمتنا وعلمناه من لدنا
علما ولهذا قال اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه انت وانت على علم من علم الله
لا اعلمه انا قال له موسى هل اتبعك اصحبك على ان تعلمن على شرط التعليم حال
من المفعول مما علمت بعض ما علمك الله اياه رشدا مصدر في موضع الحال
اي هل اتبعك راشدا او مفعول له لاتبعك او تقديره تعلمني علما ذا رشد
والصيغتان من علم الذي بمعنى عرف فلا يطلب الا مفعولا واحدا ولاجل باب
التفعيل يطلب المفعول الثاني ولا نقص في تعلم النبي من غيره امر ليس من اصول
الدين وفروعه قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا لما ترى مني ما لا يجوز
في شرعك على ظاهر الحال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر
وانت نبي على امور لم يحط بواطنها خبرك وظواهرها مناكير ونصب خبرا
على التمييز او على المصدر لان معنى لم تحط لم تخبر قال ستجدني ان شاء الله صابرا

كما رجحه ابن الصلاح والنووي
وهو متفق اولياء الله
منه

معك

معك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا نحو صافات ويقبضن اي وغير عاص
او عطف على ستجدني فلا يكون مقيدا بالمشية لفظا ولهذا قيل قرن الصبر
بالمشية فصبر واطلق عصيانه فعصاه حيث قال الخ قال فان اتبعتني فلا تسألني وفيه شبهة
فانظر الى قوله الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء
حتى احدث لك منه ذكرا لا تفاتحني بالسؤال عما صدر عني حتى اكون انا الفاتح
عليك فانطلقا على الساحل يطلبان سفينة وكان يوشع معهما ولم يضمر له
لانه تبع وقيل رده موسى الى بني اسرائيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها عرف اهل
السفينة الخضر وحملوهما بغير نول فاخذ الخضر قدوما وقلع من الواح السفينة
لوحا قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها قيل اللام لام الصيرورة لقد جئت شيئا
امرا من امرا الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى لا تؤاخذني
بما نسيت يعني نسيت وصيتك ولا مؤاخذة على الناسي وفي الصحيح كانت
الاولى من موسى نسيانا فالمعنى الاخر في معنى النسيان باطل وما يحتمل الموصولة والمصدرية
ولا ترهقني لا تغشني من امري عسرا اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بترك
المناقشة وعسرا ثاني مفعوليه يقال رهقه وارهقه اياه فانطلقا بعدما خرجا
بالسلامة عن السفينة يمشيان حتى اذا لقيا غلاما يلعب مع الغلمان وكان احسنهم
فقتله الخضر وفي كيفيته اختلاف قال اقتلت نفسا زكية لم يذنب لكثرة الذنب اذ لم يره
اذنب وكان قريبا من البلوغ بغير نفس اي لم تقتل النفس نفسا وجب عليها القتل
حكى القرطبي انه عليه السلام لما قال للخضر هذا غضب الخضر واقتلع كتف الغلام الايسر
وقشر اللحم عنه واذا في عظمه مكتوب كافر لا يؤمن بالله ابدا لقد جئت شيئا نكرا منكرا
قيل النكر اقل من الامر فان قتل نفس واحدة اهون من اغراق جمع وقيل انكر من الاول
لان الخرق يمكن سده والقتل لا يتدارك قال الم اقل لك زاد لك زيادة لعتابه
على رفض وصيته وخلف وعده انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك
عن شيء بعدها بعد هذه المسألة فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت
من قبلي عذرا لما خالفتك ثلث مرات وفي الحديث رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث
مع صاحبه لابصر العجب فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية وفي القرية خلاف استطعما
اهلها سالا لاهم الطعام فابوا ان يضيفوهما وفي الحديث انهما كانا يمشيان على
مجالسهم يستطعمانهم وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله سبحانه فوجدا

قيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء اخر
نسيه وقيل المراد منه النسيان الحقيقي
اي لا تؤاخذني بما تركت من
وصيتك اول مرة
منه

قيل هذا دال على ان الغلام بلغ الحنث
والا لم يجب قتله بنفس ولهذا ا
قلنا انه قريب البلوغ
منه

فيها جدارا يريد ان ينقض استعار الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم
والعزم لذلك يقال عزم السراج ان يطفأ اذا قرب فاقامه قال ابن عباس دفعه
بيده فاستقام قال لو شئت لتخذت عليه اجرا هذا كما نقول لو شئت
لاتخذت مني مالا والتاء من تخذ اصل كتبع فهو كاتبع من تبع واتجر من تجر وليس من الاخذ
قال هذا فراق بيني وبينك اشارة الى الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى السؤال
الثالث او الى الوقت واضافته الى البين من اضافة المصدر الى الظرف للاتساع
وقوله لو شئت وان لم يكن صريح سؤال ففي ضمنه سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه
صبرا بما آل اليه الامر اما السفينة فكانت لمساكين قيل سموا مساكين لعجزهم
عن دفع الظلم لانفسهم والظاهر ان المراد من المسكين هنا هو المسكين في قوله
صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين
يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم اي امامهم
وهو من الاضداد بمعنى الامام والخلف ملك يأخذ كل سفينة صحيحة جيدة غصبا
وفي قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة ونصب غصبا على الحال من فاعل
يأخذ او على التمييز فلما صيرتها معيوبة لم يتعرض الى اهلها ولم يأخذها بالملكية
واما الغلام فكان ابواه مؤمنين ثنى تغليبا كالقمرين اي الاب والام فخشينا
ان يرهقهما يغشيهما طغيانا وكفرا يعني يحملهما حبه على متابعته في الطغيان والكفر
فانه كما ذكرنا طبع كافرا والظاهر ان اسناد الخشية الى ضمير الخضر والصالحين
من الملك وغيره او الخضر عظم نفسه لعظم فعله وليس الضمير بعد الخضر لقوله فخشينا
ولقوله فاردنا ان يبدلهما ربهما يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة وتقوى
واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه نقل ان الله اعطاهما جارية فتزوجها نبي
وولدت نبيا ونصب زكوة ورحما على التمييز قيل افعل التفضيل من باب الشتاء
احر من الصيف فانه لا زكوة ولا رحم في الغلام واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة اي في تلك المدينة التي استطعمنا والغلامان دون البلوغ ففي الحديث
لا يتم بعد البلوغ وكان تحته كنز لهما وعن كثير من السلف انه لوح كبير من ذهب
مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن
امن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن ايقن
بالحساب كيف يغفل عجبا لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن

لا اله الا الله محمد رسول الله ومكتوب في الجانب الآخر من اللوح انا الله لا اله الا انا وحدي
لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير فاجريته على يديه والويل لمن خلقته
للشر واجريته على يديه وعلى ما نقلنا صح انه كنز من المال ومن العلم وكان ابوهما صالحا
والظاهر ان اباهما الذي ولدهما لكن صرح جعفر بن محمد وغيره ان بينهما وبين الاب
الذي حفظ به سبعة آباء وكان نساجا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما كمال رأيهما
وقوتهما وهو سن البلوغ ويستخرجا كنزهما ولو سقط الجدار لضاع الكنز اسند الارادة
الى الله لما تضمن من الخير مع ان بلوغ الاشد في قوة الله والاول لما كان عيبا اسند
الى نفسه او بار رحمة من ربك منصوب على المفعول له وما فعلته اي ما رأيت من الخرق
والقتل والعمارة عن امري رأيي واختياري بل فعلته بامر الله قيل هذا دليل على ان
الخضر كان نبيا ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ذكر في هنا تسطع بحذف التاء
لان الثاني كالفذلكة والتأكيد للاول فالتخفيف يناسبه ولما فرغ عن قصة من
طاف في الارض لتحصيل العلم اعقبه بقصة من طاف في الارض للجهاد وهي من الاسولة
التي سألها قريش بتعليم اليهود امتحانا بالنبوة وتبكيتا له فقال ويسألونك عن
ذي القرنين هو الاسكندر اليوناني لا الرومي قد كان في زمن خليل الله وطاف
بالبيت معه ووزيره الخضر وقد صح عن علي بن ابي طالب انه كان عبدا صالحا دعا
قومه الى الله فضرب على قرنه الايمن فمات واحياه الله فدعا قومه الى الله ثانيا
فضربوه على قرنه الايسر فسمي ذو القرنين وقيل لانه بلغ طرفي الدنيا من حيث تطلع قرنا
الشمس وتغرب قل سأتلو عليكم منه ذكرا يحتمل ان يراد من الذكر القرآن ويحتمل ان
يراد الخبر والحديث وهذا الامر مناسب لانه لما تأخر الوحي وفرح قريش شامتين
ناسب ان يقال لهم لا تفرحوا فاني سأتلو عليكم ما يحزنكم ثم يأخذ بتفصيل الحكاية انا مكنا
له امره في الارض بان يتصرف فيها كيف شاء وفي الحديث الذين ملكوا الدنيا اربعة
مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران نمرود وبخت نصر واتيناه من كل شيء
يحتاج اليه في الوصول الى اغراضه سببا طريقا موصلا اليه واصل السبب الحبل
ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل الى الغرض فاتبع سببا يوصله الى المغرب
حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة رأى في منظره الشمس التي في
السماء تغرب في عين ذات حمأة اي طين اسود وقراءة حامية معناها حارة
فتكون العين جامعة للوصفين ووجد عندها قوما اي عند العين امة عظيمة من الكفار

قلنا يا ذا القرنين ظاهره انه وحي وقيل كلمه كفاحا كما كلم موسى ويبعد ان يكون الهاما
اما ان تعذب بالقتل والسبي واما ان تتخذ فيهم حسنا بارشادهم وتعليمهم ونصحهم
من غير غلظة قال اما من ظلم اختار التخ ذ الحسن يعني من ظلم باصراره على الكفر
وعدم قبول النصح فسوف نعذبه في الدنيا انا ومن معي ثم يرد الى ربه اشار الى
الحشر والبعث فيعذبه في الاخرة عذابا نكرا منكرا لم يعهد مثله واما من امن وعمل
صالحا ترك الكفر وقبل النصح فله جزاء الحسنى اي فله المثوبة الحسنى جزاء وهو تمييز
او تقديره يجزى بها جزاء ومن قرا برفع جزاء اي فله ان يجازى المثوبة الحسنى
وهي الجنة او جزاء فعلته الحسنى وهي اعماله الصالحة وسنقول له من امرنا يسرا
لا نامره بالصعب الشاق بل بالسهل المتيسر اي ذا يسر لما ذكر ما اعد الله له
من الحسنى جزاء لم يناسب ان يذكر جزاءه بالفعل بل اقتصر على القول ادبا مع
الله وان كان يعلم انه يحسن اليه قولا وفعلا ثم اتبع سببا طريقا الى المشرق
حتى اذا بلغ مطلع الشمس اي الموضع الذي تطلع عليه الشمس اولا ومن قرا بفتح
اللام فهو بحذف مضاف اي مكان طلوعها فان المطلع مصدر وجدها تطلع
على قوم هم الزنج لم نجعل لهم من دونها سترا من دون الشمس سترا كبنيان
يكنهم ولا شيء يظلهم فهم حين طلوع الشمس في سرب او ماء لا يحترقوا كذلك
خبر مبتدا محذوف اي امر ذي القرنين كذلك اي الذي وصفنا وسمعت
او امره في اهل المشرق كامره في اهل المغرب يعذبهم كفرة ومن اصر على كفره قتلهم
ومن امن احسن اليهم او صفة سترا اي مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال
والابنية والاشجار والثياب او صفة قوم اي تطلع على قوم مثل اهل المغرب
وقد احطنا بما لديه خبرا اي بالاسباب التي عنده علما لانا اعطيناه ذلك اشار
الى كثرة ما عنده من الاسباب كانه بلغ مبلغا لا يحيط به الا علم الله ثم اتبع سببا
طريقا ثالثا بين المشرق والمغرب حتى اذا بلغ بين السدين هما جبلان عاليان
املسان من ورائهما داماهما البلدان وسميا سدين لان كلا منهما قد سد فجاج
الارض وكانت بينهما فجوة يغير منها ياجوج وماجوج وبين هنا مفعول به فانه من
الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا ما لم تركب مع اخرى مثلها نحو قولهم بين بين
وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا يعني لعجمهم وقلة فطنتهم بعدا عن
فهم كلام وقراءة ضم الياء وكسر القاف معناها لا يفهمون السامع لغرابة لغتهم قالوا اي

العدم

اي القوم الذين لا يكادون يا ذا القرنين هذا دليل على انه معروف بهذا الاسم
بين الخلق لا لما نقلناه ولا يبعد صحة ما قيل كان في راسه شبه القرنين والله اعلم
قيل انه يتكلم بكل لسان ان ياجوج وماجوج الصحيح انهم قبيلتان من اولاد ادم
قال السدي والضحاك الترك شرذمة منهم مفسدون في الارض في ارضنا
فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا في تلك
الفجوة التي بين الجبلين حتى لا يمكن لهم الخروج الينا قال ما مكني فيه ربي خير اي الذي
مكني فيه ربي من المال والملك خير من خراجكم فلا حاجة لي اليه فاعينوني بقوة
بالعمال لا بالمال اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا اتوني زبر الحديد اي اسعى
مناولة قطع الحديد اي احضروه حتى اذا ساوى تقديره فاتوه بما طلب حتى
اذا ملا بين الصدفين اي جانبا الجبلين الذين يتصادفان اي يتقاربان من زبر
الحديد قال للعملة انفخوا اجعل الحطب والفحم في خلال قطع الحديد حتى اذا جعله نارا
اي نفخوا حتى اذا جعل المنفوخ فيه كالنار بالاحماء قال اتوني قطرا افرغ عليه قطرا
اي نحاسا مذابا على الحديد المحمى حتى يلتصق بعضه ببعض فحذف مفعول اتوني لدلالة
الثاني عليه وهو من باب التنازع وفي كيفية افراغ النحاس المذاب على الحديد المحمى
الذي هو كالجبل في الطول اشكال بين لم يبينه احد ولا يمكن ان يجال حوله وعلمها عند
الله سبحانه فلا تغفل فما اسطاعوا بحذف التاء ان يظهروه ان يعلوا عليه
لملاسته وطوله وما استطاعوا له نقبا لشدته ولا يبعد ان يقال انه قال في الاول
بالتخفيف وفي الثاني باصل الفعل اشارة الى ان ظهوره متعسر والنقب متعذر عادة
قال ذو القرنين هذا رحمة من ربي اي هذا السد رحمة على عباده فاذا جاء وعد
ربي وقت وعد ربي بقيام الساعة او بخروجهم جعله دكاء صيره ارضا مستوية
وقراءة دكا مصدر بمعنى المفعول اي مدكوكا مستويا بالارض وكان وعد ربي
حقا اي وعده بما وعد كائن البتة وفي الصحيحين انه استيقظ صلى الله عليه وسلم
يوما من نوم محمرا وجهه وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب
فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذا وحلق عقد تسعين وتركنا بعضهم
يومئذ اي بعض ياجوج وماجوج يوم اذ جاء وعد خروجهم وانتشارهم على الارض
يموج في بعض يختلط بعضهم ببعض كموج البحر او معناه وتركنا بعض الخلق من
الانس والجن يموج في بعض كموج البحر يركب بعضهم بعضا يوم قيام القيمة وهذا

التفسير اليق فلما ذكر ذو القرنين ان سده عند الوعد مدكوك بين تعالى بعض حال
ذلك اليوم فقال وتركنا بعضهم يومئذ الاية ونفخ في الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل
فجمعناهم جمعا للحساب والجزآء وهو مصدر موكد وعرضنا جهنم ابرزناها واظهرناها
يومئذ اي يوم اذ جمعناهم للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في غطآء غشاوة
عن ذكري اي لا يبصرون اياتي التي ينظر اليها فيعتبر بها وكانوا لا يستطيعون سمعا
لكلامي كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا الهمزة للانكار والتوبيخ والتقريع
ان يتخذوا عبادي كملائكتي وعزير وعيسى من دوني اوليآء اي معبودين يعني ظنوا
ان ذلك نافع فثاني مفعولي حسب مقدر اي نافعا منجيا من عذاب الله انا اعتدنا
جهنم للكافرين نزلا ما يهيا للضيف حين نزوله مما حضر وفيه تنبيه على ان لهم وراءه
عذابا اشد او النزل موضع النزول قل يا محمد هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا منصوب
بالتمييز وجمعه لتنوع الاعمال الذين ضل اي هم الذين بطل وضاع وقيل مجرور بدل
عن الاخسرين سعيهم في الحيوة الدنيا متعلق بسعيهم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
لاعتقادهم ان اعمالهم حق وهذا ينادي بالويل على اهل البدع اولئك الذين
كفروا بايات ربهم ولقاءه فحبطت اعمالهم لكفرهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
ليس لهم قدر ولا اعتبار عند الله او لا حسنة لهم يوزن في ميزان القيمة ذلك
جزآءهم اي عدم الوزن جزاءهم جهنم بدل وجاز ان يكون جزاءهم بدل من ذلك
وجهنم خبره بما كفروا ما مصدرية واتخذوا عطف على كفروا فالمراد منه المصدر
اياتي ورسلي هزوا لم يعتبروها ولم يقبلوها ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس هي وسط الجنة واعلاها ومنها تتفجر الانهار نزلا
فيه تفسيران كما مر خالدين فيها حال مقدرة وهذا بتفسير النزل بالمنزل الصق
لا يبغون عنها حولا تحولا لان ليس لهم اطيب المنازل لما ذكر ما اعد للكافرين ذكر
ما اعد للمومنين بقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية ثم لما تم الجواب
عن مسائلهم التي سالوها رجاء عجزه عن الجواب واعقبه ببعض احوال القيمة التي
انكروها اشار الى انه عليه الصلوة والسلام مغترف من بحر لا ينفد فمن حام
حول نقصه غرق في بحر لا ساحل له من الندم فقال قل يا محمد لو كان البحر اي ماؤه
مدادا اسم لما يمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد
مداد الارض لكلمات ربي اي لكتب كلمات علمه وحكمته لنفد البحر اي ماؤه

الذي هو مداد لكتب كلماته قبل ان تنفد كلمات ربي لان ماء البحر متناه وعلمه
غير متناه وكل متناه وان كثر اي كثرة قليل في جنب غير المتناهي وقوله لنفد جواب لو
ولو جئنا بمثله بمثل البحر الذي جعلناه مدادا مددا زيادة ومعونة منصوب على التمييز
وقيل مصدر لان معناه امددناه مددا نحو انبتكم نباتا وهذه الشرطية نظير قوله
نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فحاصل الحديث انه تارك العصيان
وان فرض ان له ما يستلزم العصيان عادة وهو الامن من عذاب الله وحاصل
الاية انه لا يستوفي كلمات الله ولو فرض ان يكون معها ما يستوجب الاستيفاء
بحسب العادة وهو ماء البحر لمداد كلماته وهذا كما يقال في بيان وفور الشوق ان كان
البحر مدادا والاشجار اقلاما لا يمكن شرح الشوق كما هو واما قوله قبل ان تنفد فمن باب
ارخاء العنان مع فهم العاقل والا فالاصل ان يقال لنفد البحر ولم تنفد كلمات ربي قل
انما انا بشر مثلكم لا ادعي علم الغيب فيما اخبرتكم من قصة اصحاب الكهف وذي القرنين
يوحى الي انما الهكم اله واحد خصصت بالوحي وتميزت عنكم به فلولا ان الله اطلعني
ما كنت اعرفه وما ارسلني اليكم الا لان توحدوا الله فمن كان يرجو لقاء ربه
اي يطمع حسن لقاءه او يخاف المصير اليه فليعمل بعد ان وحد عملا صالحا ما هو
موافق لما بينه نبي الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا فلا يريد بها الا وجه الله
من غير ريآء وسمعة وقد نقل في سبب نزولها حديث دال على ان ذلك
في الشرك الخفي اعني الريا اللهم اجعلنا من المخلصين الخالصين والحمد لله رب العالمين

سورة مريم مكية قيل الا اية السجدة وهي ثمان او تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص عن محمد بن الحنفية انه قال في جواب سائل
سال عن كهيعص لو اخبرتك عن تفسيرها لمشيت على الماء قيل معناه الله كاف
هاد يده فوق الايادي عالم صادق ذكر رحمة ربك خبر كهيعص ان كان
اسم السورة والا فتقديره هذا المتلو ذكر رحمة ربك عبده فالذكر مضاف
الى المفعول من غير ذكر فاعله والرحمة مضاف الى الفاعل ومفعوله عبده
وقيل عبده مفعول الذكر ورحمة فاعله على الاتساع نحو اغناني جود زيد بر
زكريا بدل او عطف بيان اذ نادى ربه ظرف الرحمة ندآء خفيا لئلا يلاحظه
ريا والاخفاء سنة الانبياء ادعوا ربكم تضرعا وخفية وفي الحديث انكم
لا تدعون اصم ولا غائبا ولان دعاءه جوف الليل قال رب اني وهن

ضعف العظم مني اي جنس العظم والعظام التي هي قوام البدن مع انها
اصلب الاجزاء اذا وهنت فكيف بما وراءها واشتعل الراس شيبا شبه الشيب
في بياضه وانارته بلهب النار لادخان فيه وانتشاره باشتعالها واخرجه مخرج
الاستعارة لطرح اداة التشبيه واسند الى الراس الذي هو مكان الشيب
مبالغة فان الشيب في الشعر والراس منبته ولم يقل راسي اكتفاء باللام واخرج الشيب
مميزا لايضاح المقصود ولم اكن فيما مضى بدعائك رب شقيا بل كنت سعيدا
وعادتك بسعادتك استجابة دعائي فانت الذي اطمعتني في قبول دعائي
فعلى هذا الكاف مفعول وقيل الكاف فاعل اي بدعائك لي الى الايمان شقيا
بان لا اقبل الايمان روي ان حاتم الطائي اتاه طالب حاجة وقال انا الذي
احسنت اليه وقت كذا فقال حاتم مرحبا بالذي توسل بنا الينا وقضى واني
خفت الموالي بني عمه وقرابته خاف ان لا يحسنوا الخلافة اذ راى فيهم ما يوهم ذلك
من ورائي اي بعد موتي تقديره خفت عملهم من ورائي فمن متعلق بمحذوف
وقيل متعلق بمعنى الموالي اي الذين يلون الامر من ورائي وكانت امراتي عاقرا
لا تلد فهب لي من لدنك من محض فضلك فاني وامراتي لا تصلح بحسب العادة
للولادة وليا من صلبي كما صرح به في سورة ال عمران رب هب لي من لدنك
ذرية طيبة انك سميع الدعاء يرثني صفة وليا وفي قراءة جزم يرثني جواب
لهب لي ويرث من ال يعقوب النبوة والعلم وزكريا من ذرية يعقوب
ابن اسحق بن ابرهيم وقد ثبت في الصحيحين نحن معاشر الانبياء لا نورث
ما تركنا صدقة ولولا ان المراد الوراثة الخاصة لكانت تلك الصفة لا فائدة
فيها اذ الولد يرث اباه في كل دين والاكثرون على ان موت زكريا قبل يحيى
فلا يلزم عدم استجابة دعائه وقد قال الله في سورة الانبياء فاستجبنا له فان
مقصوده من الولد الوراثة فلو لم تكن فالولد كلا ولد فكيف يقول الله تعالى
فاستجبنا له واجعله رب رضيا مرضيا عندك وعند خلقك يا زكريا
جواب لندائه انا نبشرك بغلام اسمه يحيى سماه الله بذلك لم نجعل له
من قبل سميا لم يسم احد قبل ولادته بهذا الاسم قيل معناه شبيها وانما قيل
للمثل سمي لان كلا من المتشاكلين يسمى باسم المثل والشبيه والنظير فكل منهما
سمي لصاحبه وعدم شبهه لانه ما عصى وما هم بمعصية كما ورد في الحديث

وهذا رد على صاحب المفتاح في قوله حتى تعلم حقيقته حقيقة كلامنا والله اعلم منه

وعن

وعن ابن عباس لم تلد العواقر مثله ابدا قال رب انى يكون لي غلام وكانت
امراتي من اول عمرها عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا يبسا في المفاصل
والعظام كالعود اليابس واصله عتوو استثقلوا توالي ضمتين وواوين فكسروا
التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وهذا منه عليه السلام
تعجب واستغراب وقيل استبعد ليجاب بما اجيب فيزداد المؤمنون ايقانا
ويرتدع المبطلون وقد بسطناه في سورة ال عمران قال الملك المبشر له
كذلك اي الامر كذلك تصديق له قال ربك هو اي اتخاذ الولد من
الشيخ والعاقر علي هين يسير وقد خلقتك من قبل من قبل ولادة يحيى ولم تك
شيئا اي في حيز العدم فظاهر هذا ان المعدوم ليس بشيء قيل معناه قال
ربك كذلك وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين والمراد من
قد خلقتك من قبل خلق اصلك آدم قال رب اجعل لي آية علامة يطمئن
قلبي بها في وقوع ما بشرت كما قال ابرهيم ولكن ليطمئن قلبي قال الزجاج و
قعت البشارة مطلقة فلم يعرف الوقت فطلب الاية لعرفان الوقت
قال آيتك ان لا تكلم الناس اي لا تقدر على التكلم ثلث ليال يعني ثلثة
ايام ولياليها دل ذكر الليالي هنا وذكر الايام في ال عمران على ان المنع من
الكلام مستمر به ثلثة ايام ولياليهن سويا حال كونك سوي الخلق من غير
خرس ومرض فانه لما حملت زوجته اصبح لا يستطيع التكلم مع انه يقرا التورية
ويسبح وعن ابن عباس ثلث ليال متتابعات كاملات فعلى الاول حال
من ضمير تكلم وعلى الثاني صفة ثلث ليال فخرج على قومه من المحراب من
مصلاه او من غرفته فاوحى اي اشار واوما اليهم قيل كتب لهم على الارض
ان سبحوا بكرة وعشيا اي بان سبحوا طرفي النهار او ان مفسرة والمراد تسبيحه وتنزيهه او المراد الصلوة
في هذين الوقتين يا يحيى يعني لما وهبنا له يحيى ووصل الى سن الفهم قلنا له
يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي التورية وقيل كتاب خص به او صحف ابرهيم
بجد وحرص واتيناه الحكم اي النبوة صبيا عن ابن عباس في سن سبع
قيل اراد من صبيا شابا لم يبلغ الكهولة وحنانا من لدنا رحمة وتعطفا من
عندنا وقيل تعطفا منا على ابويه عطف على الحكم وزكوة طهارة وكان
تقيا في الحديث الذي ذكره الامام احمد وقال المحدثون فيه ضعف انه ما اذنب

ولا هم بذنب وبرا بوالديه اى بارا كثير الاكرام عطف على تقيا ولم يكن جبارا
عصيا متكبرا عاصيا وسلام من الله عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث
حيا اوحش ما يكون الخلق فى تلك المواطن الثلثة فخصه الله تعالى بالسلام
ولما ذكر قصة زكريا مع ما فيها من الغرابة اعقب بما هو اغرب فقال واذكر
فى الكتاب مريم اى تامل بين ايات القران قصة مريم اذ انتبذت اى
اعتزلت وتنحت اى اذكر قصتها وما جرى عليها وقت انفرادها من اهلها
مكانا شرقيا من المسجد الاقصى لفراغها للعبادة ومكانا ظرف اى فى مكان
وقيل فى انتبذت تضمين معنى اتت فمكانا مفعوله فاتخذت من دونهم
استترت من القوم وتوارت حجابا بمثل حائط قيل استترت مقابل شروق
الشمس للاغتسال عن الحيض فارسلنا اليها روحنا جبريل سماه روحا لان
حيوة الدين به قيل هو مجاز عن كمال المحبة كما يقال انت روحى فتمثل لها بشرا
سويا على شكل انسان تام الخلق فنصب بشرا على الحال قالت انى اعوذ
بالرحمن منك ايها البشر تعوذت لعفافها ان كنت تقيا تخاف الله تعالى
فاذهب عنى ولا تتعرض لى قال جبريل وهو فى صورة البشر وانما انها
لما ذكرت الرحمن ارتعد جبريل فرعا وعاد الى صورته الاصلية وقال انا
رسول ربك فضعيف لان رؤية جبريل فى صورته خاصة رسول الله صلى
الله عليه وسلم مرتين ولم يكن لاحد قبله انما انا رسول ربك لست
ممن تظن به ريبة لاهب لك غلاما زكيا لاكون سببا فى هبة غلام طاهر لك
وقيل قوله لاهب حكاية قول الله ويؤيده قراءة ليهب لك قالت انى كيف
يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر لم يباشرنى بشر من الحلال ولم اك بغيا
ولم اك زانية ووزنه فعول قلبت الواو لاجتماع الواو والياء وادغمت
ثم كسرت الغين ولم يلحقه التاء لكى نص وطالق قال كذلك اى الامر
كما قلت صدقتها ثم قال قال ربك هو على هين اى وهب غلام من غير اب
يسير على وجاز تعلق كذلك بقال ربك كما مر قريبا ولنجعله اية عطف
على محذوف اى لنبين قدرتنا ولنجعله او تقديره ونفعل ذلك لنجعله
للناس ورحمة منا على عبادنا فان وجوده بين الناس رحمة لهم فى فترة
ثم نزل زمان قيام القيمة ويقتل الدجال ويؤيد دين المصطفى صلى الله وسلم عليهما

وكان امرا

وكان امرا مقضيا فى العلم الازلى الذى لا يتغير فحملته بان نفخ فى جيبها
فنزلت النفخة حتى ولجت فى الفرج فحملت وظاهر قول الله سبحانه فنفخنا فيه
من روحنا ان النافخ هو الله سبحانه واما مدة حملها وكمية سنها حين الحمل
ففيها مختلفات والمشهور ان مدة الحمل ثمانية اشهر ولا يعيش ولد الثمانية
لتكون له اية اخرى فانتبذت به مكانا قصيا اعتزلت حال كونها ملتبسة
بالحمل فى مكان بعيد عن الخلق لخوف التهمة عنهم فاجاءها المخاض الى جذع
النخلة اى ساقها وجع الولادة والجاها الى الجذع ليعتمد عليه عند الولادة و
وحرف التعريف فى النخلة للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمه غيرها قالت للاستحياء
ولشدة الوجع ولانفرادها عمن يعينها يا ليتنى مت قبل هذا الامر الذى انا فيه
وكنت نسيا ما من حقه ان يطرح وينسى كالذبح اسم لما من شانه ان يذبح
وقراءة فتح النون لغة فيه منسيا بحيث لا يخطر ببال احد فناديها من تحتها
اى فناديها جبريل من تحتها فانه يقبل الولد كالقابلة او المراد من تحتها
انه كان فى بقعة من الارض اخفض من البقعة التى هى فيها او معناه
فناديها عيسى يعنى ولدته وانطقه الله فناديها وقراءة من تحتها بمن
الموصولة يمكن الحمل على كلا الوجهين فقيل المراد من تحت النخلة ان لا تحزنى
اى بان او بمعنى اى قد جعل ربك تحتك سريا اى رجلا عظيما شان
او المراد من السرى نهر من الماء وهذا قول اكثر السلف وهزى اليك اميلى
الى جانبك قال فى البحر هذا وقوله واضمم اليك ان اليك فى الاثنين
ليس متعلقا بهزى ولا باضمم وانما ذلك على سبيل البيان والتقدير
اعنى اليك كما قالوا فى لكما من انا صحين ومثلها امسك عليك
زوجك لان لا يكون مخالفا لقاعدة نحوية وهى انه يجب ان يقال فى مثل
ذلك وهزى الى نفسك واضمم الى نفسك وامسك على نفسك
هذا ولا تنس ما ذكرناه فى قوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون
فى سورة النحل بجذع النخلة الباء زائدة للتاكيد نحو ولا تلقوا بايديكم فان
الهز متعد بنفسه تساقط اى تساقط النخلة عليك رطبا ونصب
رطبا على التمييز ان كان تساقط من باب التفاعل وعلى المفعولية
ان كان من باب المفاعلة جنيا غضا قال ابن عباس كان الجذع

يابسا فاورقت واثمرت او كانت النخلة طريا لكن لم تكن وقت ثمرها فتكون
على الوجهين اية تطمئن بها قلبها وتعلم ان الله لا يريد فضيحتها فكلي من الرطب
واشربي من النهر وهذا على تقدير ان يكون المراد من السري النهر واما اذا كان
السري عيسى فالمراد واشربي من عصير التمر والتمر وعصيره يناسب من وضع
الحمل ولا يبعد ان يكون المراد كلي واشربي ولا يحملك الحزن على ترك الاكل
والشرب قوله وقري عينا في غاية المناسبة اي طيبي نفسك وهو من القرى
البرودة فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة او من القرار فان
العين اذا رات ما تسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره فاما ترين ان شرطية
وما مزيدة اي فان ترى من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن اي لمن رحمني
اولا واخيرا صوما اي صمتا وقالوا كانت شريعتهم ترك الكلام والطعام في الصوم
فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري او كان الاخبار به ايضا بالاشارة
وقوله من البشر وقوله انسيا دال على ان مناجاة الرب وحديثها الملائكة الله
جائز وعن بعض السلف لما قال عيسى لامه لا تحزني قالت كيف لا احزن وانت
معي لا ذات زوج ولا مملوكة فما عذري يا ليتني مت قبل هذا فقال لها عيسى انا
اكفيك الكلام قولي اني نذرت للرحمن صوما فاتت به قومها تحمله الباء للتعدية
الى المفعول الثاني والضمير للولد وتحمله جملة حالية قالوا يا مريم لقد جئت شيئا
فريا الشنيع العظيم يا اخت هرون قال الكلبي هرون اسم رجل في بني
اسرائيل معروف بالتقوى اخو مريم من ابيها قيل كانت من نسله كما يقال للمضري
والتميمي يا اخا مضر ويا اخا تميم وقيل هرون رجل فاجر فيهم فعلى هذا التشبيه في
الفساد ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا اي زانية حتى يقول
انك تابعت احد ابويك قيل لما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صلاح
بكوا وقالوا ذلك وهموا برجمها فاشارت اليه اي الى عيسى بالكلام قالوا
كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال في البحر الظاهر ان كان ناقصة لا تامة
ولا زائدة وهي بمعنى صار او هي باقية على معناها من اقتران مضمون الجملة
بالزمان الماضي ولا يدل على الانقطاع نحو وكان الله غفورا رحيما ولذلك
قيل انه مرادف لم يزل فعلى هذا صبيا خبر لا حال قال اني عبد الله اقر اولا
بالعبودية رد الوهم ما سيقوله النصارى في شانه اتاني الكتاب

اي الانجيل

اي الانجيل جعل ما يأتي في حكم الاتي او درس الانجيل وهو في بطن امه وقيل
المراد علمني التورية وجعلني نبيا نباه في حال طفوليته وقيل المراد اي هذا سبق
في علمه وجعلني مباركا نفاعا اينما كنت ما زائدة اي حيث كنت وهو ظرف
سلب عنه معنى الشرطية ومن جعله شرطا فجزاؤه محذوف اي اينما كنت جعلني
مباركا ولما جرت العادة ان العوام يتشاءمون من شيء يقع على خلاف
مجرى العادة قال جعلني مباركا واوصاني امرني بالصلوة والزكوة
الظاهر ان يحمل الصلوة والزكوة على ما شرع من شريعتهم في البدن والمال
ما دمت حيا ما مصدرية ظرفية اي مدة دوام حيوتي وبرا بوالدتي
عطف على مباركا اي بارا والاولى اضمار فعل اي جعلني برا وليس
متعلقا باوصاني لان متعلقه لا يستعمل الا بالباء ولم يجعلني جبارا شقيا
متكبرا عن عبادة الله وبر والدتي وكان عليه الصلوة والسلام في نهاية
التواضع يلبس الشعر وياكل الشجر ويجلس على التراب وينام حيث جنه الليل
لا مسكن له والسلام علي حرف التعريف للجنس اي جنس السلام علي ومنه
يعلم التعريض على اعدائه بمثل اللعن نحو السلام على من اتبع الهدى وقرينة
المقام دال على ان العذاب على من كذب وتولى يوم ولدت فلا ينالني
شيطان كما ورد في الحديث ويوم اموت فانجاني من سوء العاقبة
ويوم ابعث حيا فليس لي هول ذلك اي الذي وصفناه عيسى بن
مريم ابن مريم صفة عيسى الذي هو خبر ذلك او خبر بعد خبر او بدل
قول الحق نصب قول بمصدر موكد لمضمون الجملة وبرفعه خبر مبتدأ محذوف
اي هو قول الحق والاضافة بيانية او المراد من الحق هو الله سبحانه واما
انه خبر بعد خبر او بدل ففيه بعد فان ذلك اشارة الى الذات الموصوف
وهو ليس بقول الحق الذي فيه يمترون فبعضهم يقولون انه ابن الله
وبعضهم يقولون انه لزنية ساحر وكلاهما باطل كفر ما كان لله ان يتخذ
من ولد سبحانه النفي متوجه لدوام اتخاذ الولد ومن للاستغراق جزئه
في المفعول واعقب النفي بالتنزيه عن النقص ومنه الولد اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون فهو لا يناسب خلقه والولد يشابه الوالد مع انه
لا يحتاج الى ولد يعضده وان الله ربي وربكم فاعبدوه اي وقل لهم

يا محمد اعبدوه ولان الله ربي وربكم نحو وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا
وقراءة ان بفتح الهمزة تقديره ولان الله نحو لايلاف قريش الاية عطف جملة
على جملة وقال بعض المفسرين وان الله عطف على اني عبد الله فهو من مقول
عيسى لقومه وعندي بعده ظاهر هذا صراط مستقيم اي القول بالتوحيد
ونفي الولد وان عيسى عبده ونبيه هو الطريق المشهود له بالاستقامة
فاختلف الاحزاب اهل الكتاب والمراد النصارى فانهم صاروا فرقا
ثلثة من بينهم من بين الناس ومن ههنا ظرف استعمل اسما بدخول من عليه
فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي من شهود هول يوم عظيم ومن وقت
الشهود او من مكان الشهود فيه اي الموقف فهو مصدر او زمان او مكان
اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا اي ما اسمعهم وما ابصرهم في ذلك اليوم
لكن لا ينفعهم صيغة تعجب وحاصله ان كمال ابصارهم واستماعهم في ذلك
اليوم جدير بان تتعجب منها بعد ما كانوا صما عميا وبهم في ابصر محذوف
بقرينة الاول لكن الظالمون عام مندرج فيه الاحزاب اليوم اي في الدنيا
في ضلال مبين فيشركون ويثبتون له الولد وانذرهم يا محمد يوم الحسرة
اسم جنس فان فيه حسرات اذ قضي الامر امر القيمة ظرف للحسرة او بدل
من يوم وهم في غفلة اي انذرهم حال كونهم في غفلة وهم لا يؤمنون
انا نحن نرث الارض ومن عليها هذه عبارة عن فناء الخلق وبقاء
الخالق فكانها وارثه اي تبقى له الملكية وتزول ملكية غيره والينا لا الى غيرنا
يرجعون يرجعون للحساب والثواب والعقاب ولما ذكر قصة مريم
وزكريا اتبعه قصة ابرهيم لمناسبتها ولتذكير العرب الذين يدعون انهم
على ملته وهم يعبدون الاصنام فقال واذكر في الكتاب ابرهيم يمكن
ان يكون معناه اذكر يا محمد لهم قصة ابرهيم حال كون القصة في القران
فان في الكتاب كان صفة القصة فلما قدم صار حالا انه كان صديقا
ملازما للصدق مبالغا فيه نبيا الظاهر انه خبر بعد خبر اذ قال ظرف للقصة
المقدرة في ابرهيم وقوله انه كان جملة معترضة لابيه يا ابت لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر فان من لا سمع له ولا بصر لا يليق بالمعبودية ولا يغني
عنك شيئا ولا يدفع عنك شيئا من المكاره استفهم عن السبب الحامل

لابيه على عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يدفع عنه شيئا من المكاره باحسن
الاتساق من المجادلة والرفق واللين فعلى ما قررنا شيئا مفعول به وجاز
ان يكون مفعولا مطلقا اي شيئا من الاغناء ولا يبعد ان يكون شيئا
مفعولا من باب التنازع ليسمع ويبصر ويغني يا ابت كرره للاستعطاف
اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك وان كنت من صلبك اصغر منك
فاتبعني اهدك صراطا سويا طريقا مستقيما يا ابت لا تعبد الشيطان
انتقل من الامر الى النهي ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومطاوع العاصي
عاص وفي ذكر الرحمن تنبيه على سعة رحمته وان من هذا وصفه ينبغي ان
يعبد وفيه اعلام بشقاوة الشيطان حيث عصى من هو متصف
بتلك الصفة وارتكب ما طرده يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب
من الرحمن فتكون للشيطان وليا الاولى حمل اخاف على ظاهره لانه
لم يكن آيسا من ايمان ابيه ونكر العذاب للتعظيم واشعر بلفظ الرحمن ان
ذنبه عظيم ورتب على مس العذاب ما هو اكبر واعظم وهو ولاية الشيطان
وقربه ومصاحبته لاعدى عدوه وابغض الخلق الى الله قال ابوه
اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم قابل استعطافه بالغلظة حيث
لم يقل يا ولدي والاولى ان نقول راغب مبتدا لاعتماده على اداة الاستفهام
وانت فاعل ساد مسد الخبر فلا يكون فصل بين العامل وهو راغب ومعموله
وهو عن الهتي باجنبي هو انت الذي هو مبتدا لان انت على ما قلنا معمول
راغب لئن لم تنته عن مقالتك او عن رغبتك عن الهتي لارجمنك
جواب القسم المحذوف وظاهره الرجم بالحجارة وقيل المراد الرجم
باللسان يعني لاشتمنك واهجرني مليا اي دهرا طويلا ومنه الملوان اي
الليل والنهار تقديره احذرني حتى لا ارجمنك واهجرني مدة مديدة
وهذا التقدير في غاية المناسبة لفظا ومعنى مع ان عطف الانشائية
على الخبرية جائز عند سيبويه فيجيز عطف واهجرني على جملة لئن لم تنته
فيكون كلاهما من مقول ابيه وقيل معنى مليا سالما سويا قبل اصابة مكروه
مني قال ابرهيم سلام عليك هذا سلام متاركة كما ورد اي تركتك
سالما مني عما يوذيك قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما

سأستغفر لك ربي رجاء ان يوفقك للتوبة وقضاء لحق الابوة
انه كان بي حفيا اي ان الله كان بي بليغا في البر والعناية فلعله يستجيب
فيك دعائي ثم امتثل وهاجر عنه الى الشام بعد ان قال واعتزلكم افارقكم
وما تدعون من دون الله وافارق دينكم وادعو ربي اعبده وحده عسى
ان لا اكون بدعاء ربي شقيا كما شقيتم انتم بدعاء الهتكم فضاع سعيكم
صدره بعسى تنبيها على ان قبول الطاعة فضل من الله غير واجب عليه
وان الحكم على الخاتمة وهي غيب ولا يبعد ان يريد من ادعو ربي الدعاء الموعود
في شان ابيه وقد طمع في اجابة ملتمسه كما قال زكريا ولم اكن بدعائك رب
شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهاجر الى الشام وهبنا له اسحق
ولدا انبياء كاملا بدل والده وقومه ويعقوب ابن اسحق يعني وهبنا له نافلة وعقبا
انبياء وكلا منهما جعلنا اي جعلناه نبيا هاديا لا امة ووهبنا لهم من رحمتنا
بعض رحمتنا من النبوة والرفعة والمال النافع وجعلنا لهم لسان صدق عليا
الثناء الحسن الباقي عليهم آخر الدهر عبر باللسان عما يوجد به كما تطلق اليد على العطية
واضاف الى الصدق اشعارا بانهم احقاء بذلك ووصف بالعلو اشعارا
بان محامدهم اعلاء في الامصار والاقطار على تباعد الاعصار واذكر في الكتاب
موسى انه كان مخلصا بفتح اللام اخلصه الله للنبوة والعبادة وبكسر اللام
خالصا عن الريا او مخلصا نفسه عما سوى الله وكان رسولا نبيا ارسله
الى عباده فانباهم عن امره ونهيه وناديناه من جانب الطور الايمن اي شرفه
بان كلمه والايمن من اليمن وهي البركة وهو صفة لجانب لما في الاية الاخرى
جانب الطور الايمن بنصب الايمن وقيل معناه من ناحيته التي تلي يمين موسى
وقربناه نجيا تقريب مكانة وتشريف ونجيا فعيل من المناجاة وهي المسارة
حال من المفعول او من النجوى اي مناجيا فهو محتمل للحال عن الفاعل والمفعول
وقيل من النجو وهو الارتفاع المكاني فانه رفعه فوق السموات حتى سمع صرير
القلم المكتوب به التورية ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا له اخاه اي مؤازرته
ومعاضدته فان هرون اكبر سنا من موسى واجاب الله دعاء موسى
في قوله واجعل لي وزيرا من اهلي الاية هرون بدل او عطف بيان من المفعول
وجاز ان يكون من رحمتنا هو المفعول نحو ووهبنا لهم من رحمتنا كما في حكاية

بنوع تاويل لئن لا يتوهم التعدد الذاتي منه

ابرهيم

ابرهيم اي بعض رحمتنا واخاه بدل نبيا حال واذكر في الكتاب اسمعيل
ابن ابرهيم انه كان صادق الوعد هو مشتهر بتلك الجميلة الجليلة وقد نقل
انه اقام في مكان حولا ينتظر احد الوعده ووفي بوعده لابيه ستجدني ان شاء الله
من الصابرين اي على الذبح وكان رسولا نبيا النبي اعم لان الرسول من ياتيه
الوحي بواسطة الملك والنبي يقال له ولمن ياتيه الوحي في المنام واولاد ابرهيم
كانوا على شريعة ابيهم ليس لهم شريعة مجددة على الاصح وكان يامر اهله بالصلوة
والزكوة اي كان يبدا باهله في الامر بالعبادة كما قال النبية وانذر عشيرتك
الاقربين وقال تعالى وامر اهلك بالصلوة وروى ابو داود والنسائي
وابن ماجه اذا استيقظ الرجل من الليل وايقظ امراته فصليا جميعا ركعتين
كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات قيل المراد من اهله امته لان امهم في علو
اهاليهم وكان عند ربه مرضيا لحسن شيمته واذكر في الكتاب ادريس جد ابي نوح
وهو اول مرسل بعد ادم وقد انزل عليه ثلثون صحيفة انه كان صديقا لا نفوه
بكذب قط نبيا ورفعناه مكانا عليا من النبوة والزلفى عند الله او رفعه الى
السماء الرابعة او الى الجنة اولئك الانبياء المذكورون الذين انعم الله
عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة من النبيين بيان للموصول من ذرية ادم
من للتبعيض وممن حملنا مع نوح في سفينته وادريس من ذرية ادم وابرهيم
من ذرية من حمل مع نوح فانه من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم
واسرائيل اسرائيل لقب يعقوب وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى
من ذرية اسرائيل واسرائيل عطف على ابرهيم وممن هدينا اي هديناه الى الحق
يحتمل العطف على من الاولى والثانية واجتبينا للنبوة اذا تتلى عليهم ايات
الرحمن خروا سقطوا سجدا جمع ساجد وبكيا جمع باك واذا ظرف لخروا
والجملة خبر اولئك وقوله الذين صفته وجاز ان يكون الذين خبر اولئك
وقوله اذا تتلى مستانفة تبين خشيتهم من الله مع رفعتهم عنده ومن قرا
بكيا بكسر الباء فهو جمع ايضا اتبعوا حركة الكاف لجثيا بكسر الجيم نحو عصي ودلي
فخلف من بعدهم خلف خلفه اي عقبه والخلف بسكون اللام عقب السوء
وبفتحها عقب الخير اضاعوا الصلوة تركوها او اخروا عن وقتها واتبعوا الشهوات
مالوا الى زخارف الدنيا فسوف يلقون يجدون غيا شرا وخسرانا كل شر عند

فلا يصح هنا قول من قال الرسول من يكون له شريعة مجددة والنبي اعم منه

العرب غي وكل خير رشاد وقال بعض السلف الغي واد في جهنم يسيل فيها
صديد اهل النار ونقل ابن جرير فيه حديثا مرفوعا قال ابن كثير رفعه منكر وعن ابن
عباس اية فخلف من بعدهم نزلت في اليهود الا من تاب وامن وعمل
صالحا الاستثناء متصل فاولئك محمول على معنى من وتاب على لفظه
يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا بنقص جزاء اعمالهم ونصب شيئا بالمصدر
جنات عدن بدل من الجنة والعدن الاقامة يقال عدن بالمكان وليس
بواجب ان يكون العدن علما لبعض ارض الجنة فان مذهب البصريين جواز ابدال
النكرة من المعرفة التي وعد الرحمن عباده صفة جنات ان اخذت العدن علما
والا فخبر مبتدأ مقدر تقديره هي التي وجاز ان يكون منصوبا باعني او بان يكون
بدلا من جنات بالغيب حال من المفعول المقدر لوعد اي هي غائبة عنهم او
حال من عباده اي وهم غائبون عنها ما شاهدوها انه ان الله كان وعده
ماتيا اي اتيا يعني لا خلف لوعده ولا يبعد ان يكون ضميره للشأن لا يسمعون
فيها لغوا ما لا طائل تحته الا سلاما استثناء منقطع والمراد سلام الملائكة
او سلام بعضهم بعضا وقيل متصل من باب ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم البيت
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا المراد الدوام قال تعالى اكلها دائم وظلها
كما تقول انا على بابك صباحا ومساء وعن ابن عباس غدوا وعشيا ولا فيها
ليل ونهار الا على التقدير وعن الحسن البصري وغيره اذا ارخى ستورهم على
ابوابهم فهذا الليل تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا الوراثة
اقوى لفظ يستعمل في التملك او اورثوا المساكن التي كانت لاهل النار
لو اطاعوا وفيه حديث معتمد وجاز ان من عبادنا هو المفعول ومن بدل
منه ولما حكى قصة زكريا التي دلت على كمال قدرته وقصة مريم وما يعقبها
التي هي ادل على انه لا يتخلف مراده عن ارادته اعقب ذلك حكاية قول
جبريل الدال على ان القوة بتمامها لله سبحانه وفيه تسلية لقلب نبيه كما انه
في تلك الحكايات سيما في مقاولة ابرهيم مع ابيه ان اباه كيف اغلظ
على ولده الذي راعى الادب تسلية لخاطره عما وجد من خلف اتبعوا الشهوات
فقال وما نتنزل الا بامر ربك ليس نزولنا اليك من عند انفسنا فلا جراءة
لنا الا بامر ربك الذي رباك فهذا من الله حكاية قول جبريل لنبيه

صلى

استدل الزمخشري على ان جنات عدن
لما كان بدلا من الجنة فلا بد ان يكون معرفة
او موصوفة وهذا مذهب البغداديين
واما عند البصريين فيجوز ابدال
النكرة الغير الموصوفة من
المعرفة منه

صلى الله عليه وسلم اوحى الى جبريل ان يقول له استعذارا وتسلية
له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك ما سلف من امر الدنيا وما نستقبل
من امر الاخرة وما بين ذلك هو ما بين النفختين اربعون سنة لا عذاب ولا شعور
لمومن ولا لكافر او المراد الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا
وما بين السماء والارض او المراد ان الاماكن لله سبحانه فلا نتمالك ان ننتقل
من مكان الى مكان الا باذن مالكه وما كان ربك نسيا تاركا لك مودعا
اياك كما زعم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات عن ابن عباس انه
ابطأ جبريل نزوله مدة فشكا اليه رسول الله فنزل وما نتنزل الاية قيل هذا
حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة اي ما نتنزل الجنة الا باذنه ولطفه وهو
مالك الاماكن كلها وعلى هذا قوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله
لقولهم اي وما كان ربك ناسيا لاعمالهم وما وعد لهم رب السموات والارض
وما بينهما اي هو رب السموات او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته
اي اثبت لعبادته ولا يضق صدرك عن احتباس الوحي وشماتة هولاء
تعدى باللام لا بعلى لتضمين معنى التثبيت هل تعلم له سميا مثلا وشبيها فلا يحصر
عن عبادته والصبر على مشاقها وقد مر في صفة يحيى فلا تمس او المراد من سمي في
الاسم كانه قال هل تعلم له مشاركا في اسمه فكيف في اشياء اخر ولهذا قالوا
ان في لفظ الله معجزة يقال فلان سمي فلان اذا شاركه في اللفظ وسميه اذا كان
مماثلا له في مناقبه ولما ذكر وتم الحكايات الدالة على شمول قدرته وعلمه كاتمامها
في ايجاد بشر تارة من التراب وتارة من ذكر وانثى وتارة من انثى بلا ذكر
اعقب جزاء الانسان على التعجب فقال ويقول الانسان اي جنسهم
كما يقال بنو فلان فعلوا ذلك والفاعل احدهم او حرف التعريف للعهد يعني
من انكر الحشر من خلف اضاعوا الصلوة أئذا ما مت ما مزيدة للتاكيد
لسوف اخرج حيا العامل في اذا فعل محذوف لان لام الابتداء لا يعمل
ما بعدها فيما قبلها واللام جردت عن معنى الحالية فلهذا جاز اقترانها بحرف
الاستقبال والمراد من الخروج الخروج من الارض او من العدم اولا يذكر
الانسان اي لا يتفكر وتكرار لفظ الانسان لتسجيل الشناعة عليه في الكاره
للبعث وهو معطوف على يقول وتقديم الهمزة لان لها صدر الكلام

انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا يعني لو تامل النشاة الاولى حيث اخرجناه
من العدم واخترعناه من غير حذو وعلى مثال لم ينكر النشاة الثانية فوربك
لنحشرنهم اقسم باسمه الاعلى مضافا الى اشرف مخاطب صلى الله عليه
وسلم والشياطين عطف على الضمير المنصوب العائد الى الانسان الذي
اريد منه المنكر للبعث ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا قاعدين على الركب وحول
منصوب على الظرف ثم لننزعن لنخرجن نحو نزع يده وقيل لنرمين من نزع
القوس وهو الرمي بالسهم من كل شيعة جماعة مرتبطة بمذهب ودين
ايهم اشد على الرحمن عتيا اي اشد عتيا وفسادا اي نبدا بالافسق فالافسق فنطرحه في
جهنم وايهم مبني عند سيبويه مفعول لننزعن واشد خبر لمحذوف اي هم اشد
وعتيا تمييز وعلى الرحمن متعلق باشد اي عتوهم اشد على الرحمن او للبيان
لا متعلق بعتيا لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وفي الكلام حذف تقديره
فنلقيه في اشد العذاب ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي احتراقا
فلا نضع شيئا غير موضعه اللائق به وضمير بها لجهنم وصليا تمييز وبها للبيان
او متعلق باولى يعني نبدأ بالاعصى فالاعصى ونقدم الاولى فالاولى بالعذاب
وان منكم اي وما منكم احد الا واردها الا وهو واردها وهو الجواز على الصراط
فانه ممدود على جهنم وعن ابن عباس انه قدير والنبي ولم يدخله نحو ولما ورد
ماء مدين ويقال وردت القافلة البلد ولم تدخله وقد صح عن كثير من السلف
وفيه حديث رواه الترمذي والامام احمد ان المراد من الورود الدخول يدخل
النار كل بر وفاجر وتكون على المؤمنين بردا وسلاما كان الورود على ربك
حتما واجبا اوجبه على نفسه مقضيا قضاه الله عليكم وقوله على ربك
خبر كان كما تقول هذا علي وحتما خبر بعد خبر او حال ثم ننجي عن النار الذين
اتقوا عن الكفر ونذر الظالمين فيها الكافرين في النار جثيا اي جميعا جمع جثوة
او على الركب كما كانوا حولها لا يهتدون الى وجه الخلاص جمع جاث قال
الزمخشري فيه دليل على ان المراد بالورود الجثو حولها يعني ظاهر الاية ان قوله
ثم ننجي ونذر تفصيل للجنس فكانه قيل ننجي هؤلاء ونترك هؤلاء على حالهم جاثين
فيكون المراد في حولها على الاضمار بقرينة الجثو ولا يخفى ان هذا انما يتم اذا ثبت
ان لا جثو في وسط النار وهو غير معلوم ولا شك ان الظالمين لا يتركون حولها

بل يدخلون

بل يدخلون النار ولو فسر ناجثيا بمعنى جميعا فلا يدل اصلا على ما قال
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني كيف لا نذر الظالمين في النار واذا تتلى
عليهم اياتنا واضحات المعاني والبرهان قال الذين كفروا للذين امنوا اي معهم
او لاجلهم اي الفريقين منا ومنكم خير مقاما مكانا واحسن نديا مجلسا يعني
لما سمعوا ايات الله اعرضوا عنها واستدلوا على فضلهم وشرفهم بزيادة
حظهم من حطام الدنيا فردهم الله بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن
اثاثا متاع البيت ورئيا منظرا وهيئة ولن يدفع كونهم احسن عذاب
الله وكم خبرية مفعول اهلكنا اي كثيرا اهلكنا ومن قرن تمييز وهم احسن
صفة لقرن وجمع لان القرن يشتمل على افراد كثيرة فروعي معناه وقد نص
كثير من النحويين ان كم خبرية او استفهامية لا يوصف ولا يوصف بها
واثاثا ورئيا تمييز عن النسبة قل يا محمد من كان في الضلالة اي في الكفر
فليمدد له الرحمن مدا يدعه ويمهله في ضلاله استدراجا وقوله فليمدد خبر
بلفظ الامر اشعارا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة وحاصله من
كان في الضلالة فلا عذر له فقد امهله الرحمن ومد في عمره حتى اذا راوا ما
يوعدون اما العذاب في الدنيا كالاسر والنهب والقتل واما الساعة
اي القيمة فسيعلمون عند ذلك من هو شر مكانا واضعف جندا فئة
وناصرا وحتى غاية المد اي هم في الاستدراج ممدود ولهم الغواية الى ان
ياتيهم وعد الله فحينئذ علموا ان الامر على العكس وانهم شر مكانا لا خير مقاما
واضعف جندا لا احسن نديا وقوله اما واما بدل من ما مفعول راوا
ومن موصولة او استفهامية ويعلمون معلق وجملة من هو في موضع نصب
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ايقانا على يقينهم عطف على الجملة الشرطية
اي من كان في الضلالة وحاصله ان الله يزيد في ضلال الضالين وهداية
المهتدين واما عطفه على فليمدد فبعيد لانه في موضع الخبر او في موضع
الجواب وعلى التقديرين يجب الربط وقوله ويزيد الله الى آخره عار عن ضمير
عائد الى من والباقيات الصالحات الاذكار والاعمال الصالحة التي
هي حلية الذين اهتدوا خير عند ربك من مفاخرات الكفرة ثوابا جزاء
وخير مردا مرجعا ونصب ثوابا ومردا على التمييز وهذا من قبيل الصيف احر من الشتاء

كما قاله الزمخشري وابو البقاء ان هم احسن في محل النصب صفة لكم خلاف قول النحاة
منه

وقولهم الذي يطير فيغضب زيد الذباب يجوز العطف بالفاء لا بالواو
منه

يعني ابلغ في حره من الشتا في برده افرايت اخبر بقصة الذي كفر باياتنا
عقيب حديث اولئك وقال لاوتين مالا وولدا نزلت في عاص بن
وائل فان خباب بن الارت وكان حدادا عمل له فاجتمع له عنده دين
فتقاضاه فقال لا اقضينك حتى تكفر بمحمد فقال خباب لا اكفر به حتى يميتك
الله ثم يبعثك فقال العاص ومبعوث انا بعد الموت قال خباب نعم
قال فانه اذا كان ذلك فسيكون لي مال وولد وعند ذلك اقضي دينك
وهذا المعنى في الصحيحين اطلع الغيب اعلم علم الغيب فعرف ان جرجعه
الجنة ام اتخذ عند الرحمن عهدا ان سيؤتيه ذلك وهمزة اطلع استفهامية
عادلها بام والمفعول الاول لرايت الذي كفر ومفعوله الثاني جملة
الاستفهام كلا حرف ردع ورد لما تخيل الكافر سنكتب ما يقول نحفظه
ولا ننساه والسين لمجرد التاكيد او كني بالكتابة عما يترتب عليه من الجزاء
فلذلك دخلت السين التي للاستقبال ونمد له من العذاب مدا
نزيده عذابا فوق العذاب من المدد او نطيل مدة عذابه ونرثه ما يقول
اي ونرث منه ولا نرزقه ما يقول في الدنيا من المال والولد ويأتينا
في القيمة فردا عما تخيل من الولد والمال قيل معناه نسلب عنه ماله وولده
الذي كان له في الدنيا فضلا ان نؤتيه ثم زائدا وعلى هذا في قوله ما يقول
تمحل قال الكلبي نجعل ما تمنى في الدنيا لغيره في الجنة فكانه سلبه عنه واعطى
لغيره ولما اخبر ان هذا الكافر ماله الذل اتبعه مما هو سجل عليه فقال
واتخذوا من دون الله الهة يعبدونها ليكونوا لهم عزا حيث يكونون
لهم شفعاء عند الله كلا ردع لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم يجحد
الالهة عبادة المشركين اياهم قال تعالى تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون
ويكونون عليهم ضدا اعداء وقد نقل انهم يقولون يا رب عذب من
عبدنا من دونك وتوحيد ضدا لانهم كشئ واحد في توافقهم في العداوة
قيل معناه ضد العز اي ضد لما قصدوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا
لا عزا او معناه سيكفر المشركون عبادة الاوثان كما قال تعالى والله ربنا
ما كنا مشركين ويكون الكفرة على الهتهم ضدا اصارا وكفرة بهم بعد ما كانوا
يعبدونها وعن ابن عباس يعني ضدا عونا كفلان من اضداده اي

من اعوانه

من اعوانه فان الالهة وقود نارهم فهم عون لعذابهم ولما انكر ان يكون لهم العز
واثبت ذلهم اعقب ذلك بما يوجب ذلهم فقال الم تر انا ارسلنا الشياطين
سلطناهم على الكافرين تؤزهم ازا تحركهم وتحملهم الى ما يأباه العقل فانهم يجوزون
ان ربهم حجر ولا يجوزون ان رسولهم بشر فلا تعجل عليهم بطلب تطهير الارض منهم
انما نعد لهم ايام اجالهم وانفاسهم عدا وحاصله لا تعجل بهلاكهم فليس بينك وبين
ما تطلب الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
وافدين الى من هو كثير الرحمة منتظرين عنايته وكفاهم تعظيما وتشريفا انهم وافدون
الى الرحمن يعني اذكر يوم عز من اطاعك وذل من بغى عليك وعصاك فقطعن عن
الاستعجال ونسوق المجرمين كما يساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا وكفاهم خسية
ان ماءهم نار جهنم والورد مصدر ورد اي سائرين الى الماء لا يملكون الشفاعة الضمير عائد
الى الخلق الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الاستثناء متصل
ومن بدل من الضمير بدل البعض والمراد لا يملكون ان يشفع لهم او ان يشفعوا الا ماذونا
له في الشفاعة وقيل تقديره لا يملكون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ عند الرحمن عهدا
والعهد كما قال ابن عباس هو لا اله الا الله محمد رسول الله فالمراد ان الوافدين الى الرحمن
هم المتخذون عند الرحمن عهدا وضمير لا يملكون للمجرمين والمستثنى حينئذ منقطع وقالوا
اي المسوقون الى جهنم اتخذ الرحمن ولدا كما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح
ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله لقد جئتم شيئا ادا عجيبا عظيما منكرا و
والالتفات من الغيبة مع لام القسم للتسجيل عليهم بالجراة على الله تكاد السموات
يتفطرن يتشققن منه من هول ذلك القول وتنشق الارض وتخر الجبال هدا اي
هدا يعني تنكسر وتسقط ان دعوا للرحمن ولدا اي نسبوا له الولد تعليل للانفطار والانشقاق
والخرور اي لدعوتهم له ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا لان الولادة منه سبحانه محال
واما التبني فلا يكون الا من مجانس وابن للقديم الرحمن مجانس ولا يبعد ان يقال ان التبني
بصدد رحمن يصلح ان يكون له ولد وقد عجز عن تحصيله للكبر او للعقم ومثل ذلك فاثبات
التبني بعد سبحانه افحج او مثل اثبات الولد تعالى الله ان كل من في السموات والارض
الا اتي الرحمن عبدا ما منهم احد الا وهو مملوك يأتي ويقر مفتخرا بالعبودية ان نافية
وكل مبتدا مضاف الى من الموصولة والا اتي خبر المبتدا وعبدا حال لقد احصيهم حصرهم
بعلمه وعدهم عدا لا يفوت شئ من علمه وكلهم اتيه يوم القيمة فردا منفردا عن الاتباع

كعبد ذليل بين يدي رب جليل قال في البحر كل اذا اضيف الى معرفة فالمنقول
انه يجوز عود الضمير اليه مفردا نحو كلكم ذاهب ويجوز العود اليه جمعا مراعاة للمعنى ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة من
غير تعرض للاسباب من رحمته وقد صح في مسلم والترمذي اذا احب الله عبدا
نادى جبريل اني قد احببت فلانا فاحبه فينادي في السماء ثم ينزل له المحبة في اهل الارض
فذلك قوله سيجعل لهم الرحمن ودا ومنه يفهم ان الذين كفروا سيجعل لهم الرحمن بغضا فحينئذ
المناسب البشارة والانذار للفريقين فقال فانما يسرناه بلسانك اي يسرنا القران
منزلا بلغتك او الباء بمعنى على اي يسرناه على لسانك لانه بلغتك لتبشر به المتقين
بان تخبرهم بما يكون لهم عند الله وتنذر به قوما لدا جمع الد وهو شديد الخصومة في الباطل
وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن من جمع كثير في الزمان المتقدم تخويف وانذار وكم
خبرية منصوب باهلكنا هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه استفهام نفي او تسمع لهم ركزا
والركز الصوت الخفي اللهم اجعلنا من الوافدين الى الرحمن لا من الواردين الى النيران بفضلك وعفوك

سورة طه مكية مائة واربع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طه عن كثير من السلف ان معناه يا رجل بالعبرانية وعن بعض انه
عليه الصلوة والسلام اذا صلى التهجد قام على رجل واحد فانزل الله طه اي
طا الارض بقدميك فقلبت همزته هاء والاظهر انه من الحروف المقطعة نحو يس وق
ما انزلنا عليك القران لتشقى لتتعب فانه صلى الله عليه وسلم واصحابه اجتهدوا
في قراءة القران والعبادة نهاية السعي بحيث كان يقول المعاندون ما انزل
عليك القران الا لشقائك الا تذكرة لمن يخشى لكن انزلناه تذكرة وموعظة لمن في
قلبه خشية من غضب الله ورقة يتاثر بالانذار فهو علة لفعل محذوف لا لانزلنا المذكور
تنزيلا اي نزل تنزيلا والظاهر انه اخبار من الله عن نفسه وباقي الى ... تنزيلا بعيد
ممن خلق الارض والسموات العلى جمع العليا تانيث الاعلى ومن متعلق بتنزيلا
او صفة تنزيلا وفيه تعظيم القران والالتفات من التكلم في ما انزلنا لمزيد التعظيم
الرحمن على العرش استوى الرحمن مبتدا مشار به الى من خلق او تقديره هو
الرحمن وحينئذ على العرش خبر بعد خبر وقد مر مفصلا في سورة الاعراف قال الشافعي
فيه امنت بلا تشبيه واتهمت نفسي في الادراك وامسكت عن الخوض فيه كل الامساك
له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى اي له جميع ما حوت

لان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين الا على
سبيل العطف ولما سبق الى بعض الاذهان ان
لتشقى ظرف مستقر صفة للقران والا تذكرة
جملة لانزلنا فبعيد لتخالف بسبب النزول

السموات

السموات والارض وما بينهما وما تحت الارض السابعة قيل انه منزل الشياطين
وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى هو افعل تفضيل عن ابن عباس السر
ما تسره الى غيرك والاخفى ما تخفيه في نفسك والمراد من القول ذكر الله فيكون
نهيا عن الجهر يعني فاعلم انه غني عن جهرك لانه يعلم السر واخفى نحو واذكر ربك
في نفسك او المراد من القول مطلق الكلام يعلم السر واخفى منه فكيف
ما تجهر به فعلى هذا حاصل الكلام منزل القران خالق الاشياء عالم السر والجهر
الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى مبتدا وخبر وجملة له الاسماء الحسنى خبر
ثان او تقديره هو الله كانه قيل في جواب من الذي يعلم السر واخفى
والحسنى تانيث الاحسن وصفة المؤنث المفردة تجري على جمع التكسير
والمراد التقديس والربوبية وما لا يمكن صدوره الا منه تعالى ولما ذكر تعظيم
كتابه وتضمن تعظيم رسوله اتبعه بقصة موسى ليتاسى به في تحمل اعباء
النبوة والصبر على الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل فقال
وهل اتاك يا محمد حديث موسى والاستفهام للتقرير بحيث على الاصغاء
لما يلقى اليه اذ راى نارا ظرف للحديث انه لما قضى الاجل الاجلين استاذن
شعيبا في الرجوع من مدين الى مصر لزيارة والدته واخته فخرج باهله وماله
وكان ايام الشتاء واخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامراته حامل
فسار في برية لا يعرف طرقها فالجاه المسير الى جانب الطور الغربي الايمن في
ليلة مظلمة مثلجة واخذ امراته الطلق وقدح زنده فلم يور فقال لاهله امكثوا
اقيموا مكانكم اني انست نارا ابصرتها ابصارا بينا لعلي اتيكم منها بقبس
بشعلة منها او اجد على النار هدى هاديا يهديني الى الطريق وعلى على بابها
من الاستعلاء فلما اتيها اي النار نودي يا موسى هو تكليم من الله اياه عن
ابن عباس راى نارا مضطرمة في شجرة خضراء كلما قرب منها تباعدت
فاذا ادبر اتبعته فايقن ان ذلك سر خارق للعادة ووقف متحيرا سامعا
من جانب السماء تسبيح الملائكة والقيت عليه السكينة اني انا ربك في النداء
معنى القول واما قراءة فتح الهمزة فبتقدير باني وتكرير الضمير للتوكيد
والتحقيق فاخلع نعليك امر بالخلع تعظيما للوادي وادبا كما يخلع عند الملوك
ولتمس قدماه بركة تربة الوادي وقيل نعله من جلد حمار ميت انك بالواد

المقدس طوى طوى اسم علم لهذا الوادى فهو بدل او عطف بيان وانا اخترتك
اصطفيتك للنبوة فاستمع لما يوحى اليك اى للذى يوحى هو اليك ولما
متعلق باستمع وقيل متعلق باخترتك وباستمع ويكون من باب اعمال
الثانى اننى انا الله لا اله الا انا قوله انا الله لا اله الا انا من باب قلب المستوى
نحو ربك فكبر ونحو كل فى فلك فاعبدنى بيّنا دل ما كلفه به من العبادة واقم
الصلوة بدأ بالصلوة التى هى افضل العبادات لذكرى لتذكرنى او عند
ذكرك لى يعنى عند ذكر الصلوة روى الامام احمد انه قال صلى الله عليه وسلم
اذا رقد احدكم عن الصلوة او غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله قال
اقم الصلوة لذكرى لما امره بالعبادة ذكر الحامل على ذلك وهو البعث اشارة
الى الجزاء فقال ان الساعة آتية البتة اكاد اخفيها عن نفسى اى وقتها فهو
مبالغة فى الاخفاء فى مصحف ابى وابن مسعود اكاد اخفيها من نفسى وفى بعض
القراآت فكيف اظهرها لكم او اكاد اخفيها فلم اذكر انها آتية ولكن اخبرتكم بها
لما فى خبرها من الالطاف او المراد اكاد اظهرها واخفى من الاضداد بمعنى
الاظهار وبمعنى الستر لتجزى متعلق بآتية وجملة اكاد اخفيها اعتراضية
لا صفة فان البصريين لا يجيزون اعمال اسم الفاعل اذا وصف قبل اخذ معموله
وجاز تعلقه باخفيها اذا كان بمعنى اظهرها كل نفس بما تسعى بالذى تعمله او
بعملها فلا يصدنك عنها اى عن التصديق بالساعة من لا يؤمن بها يعنى كن
شديد الشكيمة حتى لا يؤثر فيك اقوال الكفرة فنهى الكافر والمراد نهيه ان يصد
عنها واتبع هواه عطف على لا يؤمن فتردى فتهلك منصوب على جواب النهى
نحو لا تطغوا فيه فيحل وما تلك بيمينك يا موسى الحكمة فى هذا السؤال تيقظه ليرى
ما فيه من الحكمة الباهرة وفيه استيناس وما تلك مبتدأ وخبر وبيمينك حال
والعامل اسم الاشارة نحو هذا بعلى شيخا قال هى عصاى اتوكؤا عليها اعتمد
عليها فى المشى واهش بها على غنمى اخبط الورق من الشجر على رؤس غنمى
تاكله ولى فيها مآرب اخرى حاجات كحمل الماء والزاد والدفع للسباع قيل
فى قوله اتوكؤا قصده بسط الكلام مع الله وقيل ظن من السؤال انكار التمسك
بها فبسط اظهار الكمال احتياجه اليها قال الله القها يا موسى اطرحها على
الارض فالقيها فاذا هى حية تسعى ثعبان عظيم الخلقة تنتقل من مكان

الى مكان

الى مكان تبتلع الصخر والشجر قال خذها ولا تخف امره بالاقدام على اخذها ونهاه
عن الخوف الذى يلحق البشر عند رؤية مثل ذلك سيما عند اول ما رأى سنعيدها
سيرتها الاولى سيرتها بدل اشتمال من مفعول نعيدها اى سنعيد سيرتها
الاولى وهى كونها كانت عصى وهى من السير كالجلسة يقال سار فلان سيرة حسنة
ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين اى طريقتهم
واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت العضد والجناح للطير حقيقة اطلق
على العضد مجازا تخرج بيضاء لها شعاع كالشمس من غير سوء من برص
وبهق ونصب بيضاء على الحال ومن صلة لبيضاء كانه قال ابيضت
من غير سوء او صفة لبيضاء وفى الكلام حذف تقديره اضمم يدك تنضم
واخرجها تخرج فحذف من الاول تنضم وابقى مقابله فى الثانى وحذف من
الثانى اخرج وابقى مقابله فى الاول وهو اضمم الذى هو بمعنى ادخل كما بين
فى الآية الاخرى آية اخرى حال واخرى اى غير الاولى او تقديره خذ آية
اخرى والمقصود تأييده بالمعجزتين قبل المعارضة ليكون له فى الاقدام
جرأة لنريك اى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا اى بعضها الكبرى صفة
آياتنا ولم يقل الكبر رعاية الفاصلة وعلى تقدير خذ آية اخرى قوله لنريك
متعلق بخذ اذهب الى فرعون لدعوته الى التوحيد انه طغى عصى وتكبر
خص فرعون وان كان مبعوثا الى الكل لانه رئيس الضلال وهم تبع قال رب
اشرح لى صدرى لاتحمل ما يرد على من شدائد اعباء النبوة ويسر لى امرى
سهل على امورا انا بصدده وفى الكلام تاكيد ومبالغة بزيادة لى فى
الموضعين فانه ابهم اولا وعلم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم رفع الابهام
بصدرى وبامرى واحلل عقدة من لسانى من متعلق باحلل نقل انه فى
حجر فرعون حال صغره فاخذ لحيته ولطمه فتشأم واراد قتله فقالت امرأته
انه لم يعرف ولم يعقل وتمتحنه فقربوا اليه الجمرة واللؤلؤة فاخذ الجمرة ووضعها
فى فيه فاحترق لسانه وصار الثغ وعن ابن عباس سأل حل عقدة واحدة
ارادة فهم كلامه جيدا وما طلب الفصاحة الكاملة ولذلك بقى فى لسانه
شئ من الرتة ومنها قال فرعون ولا يكاد يبين يفقهوا قولى يفهموه جواب
الامر واجعل لى وزيرا اى معينا فانما يوزر الامور اى يثقلها من اهلى

هو مفعول ثان هرون اخي وهرون بدل من وزيرا لا عطف بيان لما حققنا
في قوله ايات بينات مقام ابرهيم او هرون مفعول اول ووزيرا مفعول ثان
ومن اهلي صفة لوزيرا واخي على الوجهين بدل او عطف بيان لهرون اشدد به
ازري اي قوتي جواب لقوله اجعل واشركه في امري في الرسالة ومن قرا بوصل
الهمزة فهو من موسى طلب من ربه على معنى الدعا في شدة الازر والاشراك
في النبوة وكان هرون اكبر من موسى باربعة اعوام كي نسبحك كثيرا ونذكرك
كثيرا اي ننزهك عما لا يليق بك تسبيحا كثيرا فان التعاون يؤدي الى تكاثر الخير
وقدم التسبيح لان محله القلب انك كنت بنا باحوالنا بصيرا فاعطنا ما نرى
انه اصلح لنا قال قد اوتيت سؤلك مسؤلك من شرح الصدر وتيسير الامر
وحل العقدة وجعل اخيك وزيرا كالخبز بمعنى المخبوز يا موسى ولقد مننا عليك
مرة اخرى في حال طفوليتك كانه قال حفظتك وانت طفل رضيع فكيف
لا احفظك وقد اهلتك للرسالة اذ اوحينا ظرف لمننا الى امك بطريق
الالهام او بلسان ملك لا على وجه النبوة ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي ان اقذفيه
بان القيه وضعيه في التابوت كان من خشب سدت خروقه فاقذفيه في اليم
بحر النيل فليلقه اليم بالساحل جعل البحر كانه ذو تمييز وامره باخذه جواب
للامر عدو لي وعدو له تكرير عدو وحيث لم يقل عدو لي وله للمبالغة وانه في كل
العداوتين مستقل والاولى ان الضماير كلها الى موسى فانه هو المحدث عنه
والقيت عليك محبة كائنة مني قد ركزتها في القلوب يحبك كل من راك
وكان فرعون احبه حبا لا يتمالك ان يصبر عنه وجاز ان يكون مني متعلقا بالقيت
اي احببتك ومن احبه احبته القلوب ولتصنع على عيني لتربى ويحسن اليك
بمراي ومنظر مني كما يراعي الشي بعينيه اذا اعتني به معطوف على محذوف
اي ليتلطف ولتصنع او متعلق بفعل متاخر تقديره ولتصنع فعلت ذلك
اذ تمشي بدل من اذ اوحينا فالعامل فيه مننا او ظرف لفعلت المقدر
اختك مريم فتقول حين القاك النيل الى الساحل واخذه فرعون واحبه
وكان لا يقبل ثدي احد من المراضع هل ادلكم على من يكفله فجاءت بامك
فقبلت ثديها فرجعناك الى امك كي تقر عينها بلقائك وقدم استغراقه
في سورة مريم ولا تحزن هي بفراقك قيل معناه ولا تحزن انت يا موسى

لان ضمير فاقذفيه الى التابوت وكذا ضمير فليلقه منه

فرعون احبه

بفراق

٣٢٠

بفراق امك قيل لما وضعته في التابوت امسكته بحبل وكانت ترضعه
في الليالي فانه قد ولد في سنة امر فرعون بقتل الغلمان المولودة فيها
فمرة ذهبت لترضعها انفلت حبل التابوت من يدها وذهبت به النيل الى دار
فرعون فالتقطه آل فرعون وقتلت نفسا عطف على اوحينا اي اذ قتلت
قبطيا استغاثه عليه الاسرائيلي وكان عليه الصلوة والسلام ابن اثنتي عشرة
سنة واغتم خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فنجيناك من
الغم بان غفر الله لك وآمنك من فرعون وفتناك فتونا ابتليناك
ابتلاء او جمع فتن اي ضروبا من الفتنة وهي ما وقع عليه من الواقعات قبل
نبوته ففتونا مصدر او جمع فتنة على ترك الاعتداد بالتاء نحو حجور وبدور
في حجرة وبدرة فلبثت مكثت سنين اي عشر سنين في اهل مدين منزل
شعيب على ثمان مراحل من مصر ثم جئت على قدر على مقدار هو اربعون
سنة وهو القدر الذي يوحى فيه الى الانبياء او المراد على وقت معين قدرته
لم يتقدم ولم يتاخر عنه يا موسى واصطنعتك لنفسي يقال اصطنع فلان
فلانا اتخذه صنيعة افتعال من الصنع وهو الاحسان على شي حتى يضاف
اليه فيقال هذا صنيع فلان فهو تمثيل لكمال قربه ووفور حبه وقوله لنفسي اي
للخدمة الخاصة التي هي مقصودي ومرادي اذهب انت واخوك باياتي
بمعجزاتي ولا تنيا لا تقصرا ولا تفترا في ذكري يعني لا تنيا في كما وعدت كي
نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا او قيل لا تقصرا في تبليغ رسالتي اذهبا الى فرعون
انه طغى امره الى اهمانه وحده اولا حيث قال اذهب الى فرعون وامره
ثانيا بالذهاب مع اخيه ولما حذف من يذهب اليه في الامر الثاني نص عليه
في الثالث ونبه على سبب الذهاب اليه انه طغى تجاوز الحد في الفساد واي
فساد اعظم من دعوى الربوبية فقولا له قولا لينا حتى لا تاخذه الانفة كما في
سورة والنازعات هل لك الى ان تزكى الاية او اللين ما حكاه هنا من
قولهما انا رسولا ربك لعله يتذكر يذعن للحق او يخشى ان يكون الامر كما
تصفان فيجر انكاره الى هلاكه وحاصله اذهبا على رجائكما وباشرا الامر
مباشرة من يرجو ترتب الفائدة على سعيه فيجتهد بطوقه قيل قبل النصح
او لانه اصله هامان قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا

بالعقوبة من فرط اي سبق او ان يطغى في التخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي
لجرأته وقسوة قلبه قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والعون اسمع ما يجري بينكم
وارى يعني لست بغافل عنكما فاتياه كرر الامر بالاتيان فقولا انا رسولا ربك
اعلاما له انه مربوب مملوك لا رب مالك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم
اطلقهم واخرجهم من ذل خدمة القبط فانهم يعذبونهم بالتكاليف الشاقة من الحدة
وذكر في غير هذه الآية دعاه الى الايمان اولا قد جئناك باية من ربك ببرهان
وحجة على رسالتنا فالغرض اثبات الرسالة لا النظر الى وحدة الآية وكثرتها
والسلام على من اتبع الهدى هذا فصل الكلام فالسلام بمعنى التحية جريا على العادة
في التسليم عند الفراغ من القول انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب
وتولى اي كذب الرسل واعرض عنهم مع انهم اثبتوا رسالتهم وهذا من لين
المقال حيث لم يقل ان العذاب عليك ان كذبت وتوليت قال ابن عباس
هذه ارجى آية في القرآن فان المؤمن ما كذب وما تولى فلا يناله شيء من العذاب
قال فرعون بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به فمن ربكما يعني سمعت ما قلتما فمن ربكما
يا موسى خصه بالنداء لانه الاصل المتكلم ولما علم ان به رتة فحمله خبثه على ذلك
وقوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين مشعر على ذلك قال
موسى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه صورته وشكله اللائق به ثم هدى ثم هداه
الى منافعه قيل معناه اعطى خلقه اي مخلوقه كل شيء يحتاج اليه ثم هداه الى
استعماله وعلى هذا خلقه مفعوله الاول وضمير خلقه الى الله ولما كان الجواب
بليغا فحما بهت فلم ير الا صرف الكلام عن الطريق الاول قال فما بال القرون الاولى
ما حالهم مع ان اكثرهم عابدو الاصنام وهم خلائق لا يحصى قال موسى علمها
عند ربي يعني اعمالهم محفوظة عنده في كتاب هو اللوح المحفوظ لا يضل ربي
هذا الكتاب ولا ينسى ما فيه ولا يذهب عنه ويجازيهم وعن ابن عباس لا يضل
ربي الكافر حتى ينتقم منه ولا ينسى الموحد حتى يثيبه ولما سال عن سعادتهم وشقاوتهم
احال علمه الى الله فكانه قال لا اعلم حالهم الذي جعل لكم الارض مهدا كالمهد
وجعل اوجد لكم فيها سبلا تسلكونها وانزل من السماء ماء اي من جانب السماء
مطرا فاخرجنا به ازواجا اصنافا من نبات شتى متفرقات جمع شتيت
والاولى ان شتى صفة ازواجا لانها المحدث عنها واخرها رعاية للفاصلة

ثم ان كلام

ثم ان كلام موسى قد تم عند قوله ولا ينسى وقوله الذي جعل من كلام الله نبه
على قدرته ووحدانيته فاخبر عن نفسه مخاطبا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لقوله
تعالى فاخرجنا ولقوله كلوا وارعوا ولقوله ولقد اريناه والالتفات من الغيبة
للايذان بانه مطاع لا يمتنع شيء عن ارادته نحو هو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به
نبات كل شيء وهذا هو الاوجه الابلغ كلوا اي اخرجنا قائلين كلوا انتم من النبات
وارعوا انعامكم واسرحوا انعامكم فيها ومعناه الاباحة والاذن ان في ذلك
لآيات اشارة الى ما مر من جعل الارض مهدا ومن سلك سبلها وانزال الماء واخراج
النبات لاولي النهى جمع نهية وهو العقل لانه ينهى عن القبائح منها من الارض
خلقناكم فان اباكم خلق منها وقد نقل ان الملك ياخذ من تراب الارض التي قدر
ان يدفن فيها فيذره على النطفة فيخلق من ذلك التراب والنطفة وقيل النطفة
من الاغذية والاغذية من الارض وفيها نعيدكم بالدفن فيها ومنها نخرجكم يوم
الحشر تارة اخرى مرة اخرى ولقد اريناه اياتنا كلها اي كل الآيات التي اعطينا
موسى فكذب الآيات وقال انها سحر وابى الايمان قال فرعون اجئتنا
لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى هذا الكلام اضطراب منه اذ علم انه الحق
وذكر علة المجيء وهي اخراجهم من ارضهم ولا شك لاحد ان ساحرا لا يقدر على
اخراج ملك مثله من ارضه لكن القى هذه العلة ليصير قومه الجاهلون متعصبين له
اذ الاخراج من الوطن شاق جعله الله مساويا للقتل كما قال اقتلوا انفسكم او
اخرجوا من دياركم مع انه لا يطلب منهم الا الايمان فلناتينك بسحر مثله في الغرابة
فاجعل بيننا وبينك موعدا الاظهر ان الموعد الزمان لا نخلفه اي لا نخلف
ذلك الوقت في الاجتماع فيه نحن ولا انت عطف على الضمير المستكن الذي هو
لفرعون وقومه المؤكد بنحن مكانا ظرف لا نخلفه سوى منتصفا بيننا وبينك
تستوي مسافته الينا واليك او مستوى من الارض يتبين الناس وما فيه
فيها قال موعدكم اي الموعد بينكم لاتيان سحرتكم يوم الزينة يوم العيد وان
يحشر الناس عطف على يوم ضحى اي وقت الضحوة في محضر الخلائق فتولى
فرعون هذا القول ذهب يفعل كذا اي شرع فجمع كيده اي ذوي كيده
وهم السحرة ثم اتى الموعد قال لهم للسحرة موسى وفي عددهم اختلاف ويلكم
قدم تفسير الويل لا تفتروا على الله كذبا بان تخيلوا ما لا حقيقة له وتقولوا

حيث قال فاخرجنا بعد ما قال وانزل
منه

قيل الكل من كلام موسى عدل الى التكلم على الحكاية
لكلام الله تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على
كمال قدرته وايذانا بانه مطاع تذعن الاجناس
المتفاوتة لمشيته وقيل غير ذلك
منه

خلقناه كما هو الله يخلق او تدعوا معجزة الله سحرا او دعاهم الى الايمان وافتراهم
جعلهم فرعون الهة فيسحتكم فيستاصلكم بعذاب وقد خاب من افترى
على الله قوله فيسحتكم جواب لا تفتروا وقوله وقد خاب جملة حالية فتنازعوا
امرهم بينهم اى تشاجر السحرة سرا من فرعون فى امرهم فيقول بعضهم ليس هذا بساحر
انما هو نبى ويقول بعض آخر انما هو ساحر وقوله امرهم منصوب بنزع الخافض
او التنازع متعد لما فيه من معنى التجاذب واسروا النجوى خيفة من فرعون عن
ابن عباس نجويهم ان غلبنا موسى اتبعناه قالوا يعنى بعد التنازع اتفقوا بهم
على انهما ساحران فقالوا ان هذان لساحران هذان اسم ان على لغة طوائف
من العرب يجعلون المثنى بالالف فى رفعه ونصبه وجره كما لا يختلف مفرده
ومن قرا ان فهى مخففة من المثقلة وهذان ساحران مبتدا وخبر واللام هى الفارقة
بين ان النافية وبين ان المخففة من المثقلة قيل ضمير قالوا لفرعون وقومه لا للسحرة
يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما تبعوا فيه مقالة فرعون وارضكم هى مصر
ويذهبا بطريقتكم المثلى بعيشكم ودينكم الذى هو احسن كل عيش ودين
يعنى يفنيانها نحو ذهب الله بنوره فاجمعوا كيدكم اى احكموا واعزموا كلكم
على كيدهما ثم ائتوا صفا مصطفين فانه اهيب فى اعين الرائين وقد افلح ظفر
وفاز اليوم من استعلى وهذا كله قول بعض السحرة لبعضهم الا على قول من قال
ضمير قالوا لفرعون وقومه قالوا يا موسى بعد ما جمعوا كيدهم واتوا مكان الوعد
اما ان تلقى عصاك اول الامر واما ان نكون اول من القى ان وما بعدها فى معنى
المصدر منصوب اى اختر القاءك اولا والقاءنا او مرفوع اى الامر القاءك
اولا او القاؤنا قال بل القوا لما علم ميلهم الى البدء او تغيير نظمهم فى قولهم مشعر
على ذلك حيث ما قالوا واما ان تلقى اولا فاذا حبالهم يعنى فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم
جمع عصى واذا للمفاجاة وما بعدها مبتدا يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ضمير اليه
لموسى وانها تسعى مفعول يخيل وجملة يخيل خبر المبتدا الذى هو حبالهم والرابط
ضمير تسعى وكان الحبال مرتبط بالعصى فهما معا كشىء واحد ولذلك لم يقل انهما
وتحريكها ما كان الا بحيلة ولما كان المتبادر من نسبة السعى والمشى الى شىء انه مختار
مريد نفى عنه السعى الا بالتخييل فاوجس اضمر فى نفسه خيفة موسى من طبع
البشرية او هجس الهاجس والهاجس ما خطر بالبال ولم يتمكن او خاف ان يلتبس

الامر على الحاضرين فلا يتبعونه واخر فاعل اوجس وهو موسى رعاية للفاصلة
وهو نحو ضرب غلامه زيد قلنا لا تخف انك انت الاعلى وهذا مشعر على الوجه
الثانى حيث لم يقل لا تخف انك آمن والق ما فى يمينك لم يقل عصاك لما فى
لفظ اليمين من معنى اليمن والبركة مع ان فى يمينه معجزة بيضاء تلقف ما صنعوا
تبتلع جواب الامر وقراءة تلقف بالرفع اى تتلقف حال او استيناف انما صنعوا
اى ان الذى زوروه كيد ساحر خبران والمراد من ساحر الجنس وقراءة سحر بالاضافة
البيانية او جعل الساحر سحرا للمبالغة ولا يفلح الساحر حيث اتى حيث سلك وتوجه
فالقى السحرة سجدا يعنى القى موسى عصاه فتلقف فالقى ذلك السحرة على وجوههم
ساجدين كانه ازعجهم امر لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين قالوا امنا برب هرون
وموسى قال فرعون آمنتم له لموسى اى امنتم متبعين له قبل ان آذن لكم فى اتباعه
انه لكبيركم استاذكم الذى علمكم السحر فانه حين راى ما راى من المعجزة وراى
اقدام من استنصر به بحضرة الناس شرع فى المكابرة والبهت بقول يعلم هو
والسحرة والخلق كلهم انه كذب مختلق ثم هددهم فقال فلاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف محله نصب على الحال والحال بحسب المعنى كالصفة فكانه قال المقطوع
هو الايدى والارجل الموصوفات بالاختلاف بينهن بالذات والصفة كاليمنة
واليسرة نحو او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ولاصلبنكم فى
جذوع النخل اى عليها شبه تمكن المصلوب بالجذوع تمكن المظروف بالظرف
فقال فى جذوع ولتعلمن اينا انا او موسى واراد الهزء وقيل انا او رب موسى الذى
امنتم به اشد عذابا وابقى وقوله ولتعلمن معلق واينا اشد جملة استفهامية
من مبتدا وخبر سدت مسد المفعولين قالوا السحرة لن نؤثرك لن نختارك
على ما جاءنا ضمير جاء لما من البينات المعجزات والذى فطرنا عطف على ما جاءنا
وقيل قسم فاقض ما انت قاض اى الذى انت قاضيه يعنى اصنع ما تصنع
انما تقضى هذه الحيوة الدنيا اى انما لك تسلط فى دار الزوال وانتصب هذه
الحيوة على الظرف انا امنا بربنا فنحن قد رغبنا فى دار القرار ليغفر لنا خطايانا
وما اكرهتنا عليه من السحر اكراهه اياهم على معارضة موسى مع علمهم انه ليس بساحر
فانهم لما راوا ان عصاه يحرسه وهو نائم قالوا لفرعون انه ليس بساحر فابى
الا المعارضة وليس فى القران ما يدل على انه انفذ وعيده فيهم بل الظاهر انه

سلبهم منه قال تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون والله خير لنا منك وابقى لنا رد
على قوله اينا اشد عذابا وابقى ومعناه خير جزاء وابقى عقابا انه ان الشان من يات
ربه مجرما بموته على الكفر فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة مرضية وجملة
انه من يات من تمام قول السحرة عظة لفرعون او خبر من الله لا على وجه الحكاية تنبيها
على قبح فعل فرعون وحسن فعل السحرة والجملة شرطية وجوابها خبر فانه ومن ياته
مومنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى ضمير عمل على لفظ من وقوله
فاولئك محمول على معنى من وفي مسند الامام احمد وفي الترمذي انه قال صلى الله
عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها درجة
جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها تحت غرفها واشجارها الانهار
وانهار الجنة ليست في اخدود خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى من تطهر من دنس
المعاصي ولقد اوحينا الى موسى ان اسر ان مصدرية اي بان او تفسيرية بعبادي
بني اسرائيل من مصر فاضرب اتخذ لهم طريقا في البحر بان تضرب بعصاك البحر
يبسا مصدر وصف به الطريق وصفه بما ال اليه فانه لما انكشف الارض ارسل الله عليها
الصبا فجففته كما روي لا تخاف دركا اي من ان يدركك فرعون حال من ضمير فاضرب
او صفة ثانية اي لا تخاف فيه دركا ولا تخشى وقراءة لا تخف بالجزم جواب للامر وعلى هذا
لا تخشى استيناف اي وانت لا تخشى من الغرق واصابة مكروه اليك قيل عطف
على تخف والالف مزيدة لرعاية الفاصلة كالظنونا فاتبعهم فرعون بجنوده اي اتبعهم
فرعون نفسه ملتبسا بجنوده كما تقول خرج زيد بسلاحه قيل اتبع بمعنى اتبع وعلى هذا الباء
للتعدية ويويده قراءة فاتبع فغشيهم من اليم ما غشيهم يعني فدخلوا الطرق التي دخل
فيها موسى وقومه فغشيهم وفي ابهام ما غشيهم تهويل وتعظيم واضل فرعون قومه وما هدى
اي ما هدى قومه الى الطريق المستقيم رد عليه حيث قال وما اهديكم الا سبيل الرشاد
يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد اهلاك فرعون بمدة مديدة فيها نزول التورية ووقعة
التيه على اضمار قلنا وقيل هذا خطاب للموجودين في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم
والمراد تذكيرهم بما فعل باباءهم قد انجيناكم من عدوكم ذكرهم بانواع نعمه فبدا بذكر
ازالة ما كانوا فيه من القتل وانواع الاهانة وواعدناكم جانب الطور الايمن اذ انزل
عليهم فيه كتاب في امر دينهم وشرح شريعتهم وقراءة جر الايمن بانه صفة للطور
لما فيه من اليمن او لانه على يمين من يستقبل الجبل ونزلنا عليكم المن والسلوى المن

شي

شي كالترنجبين ينزل من السماء عليهم والسلوى طير ياخذونه يسقط عليهم بقدر الحاجة
وذلك في التيه كلوا اي قائلين كلوا من طيبات ما رزقناكم من لذائذه او من حلالاته
ولا تطغوا فيه بان تكفروا النعمة فترتكبون المعاصي فيحل عليكم يلزمكم منصوب
بجواب النهي غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى هلك عن ابن عباس في جهنم
قصر من نار يرمى الكافر من اعلاه فيهوي اربعين خريفا قبل ان يبلغ الصلصال وذلك
قوله فقد هوى ويحلل بكسر اللام من حل الدين اذا وجب وحان وقت ادائه وبضم
اللام من الحلول بمعنى النزول واني لغفار لمن تاب عن الشرك وامن بما يجب الايمان
وعمل صالحا ثم اهتدى استقام على الطريق المستقيم وما اعجلك عن قومك
يا موسى سؤال عن سبب العجلة مع اشعار بانكارها مبتدا وخبر اي اي شي اعجلك
وذلك حين اختار سبعين رجلا وذهبوا الى الطور للمناجات واخذ التورية فتعجل
من بين السبعين شوقا الى ربه وتقدم وامرهم ان يتبعوه الى الجبل قال مجيبا لربه هم
اولاء على اثري على القرب مني جائين وعلى اثري حال او خبر بعد خبر وعجلت
اليك رب لترضى لتزداد عني رضى فان المسارعة الى امتثال الامر امتثل كانه قال
ما تقدمت الا بقدر يسير تتقدم بمثله الرفقة فما بعد هذا من العجلة الغير المعتادة وايضا طلبت
في التقدم رضاك قال الله فانا قد فتنا قومك الذين خلفتهم مع هرون وهم كما قيل
ستمائة الف لا السبعين الذين اختارهم للمناجات من بعدك اي فتنا من بعد
خروجك واضلهم السامري بان دعاهم الى عبادة العجل فرجع موسى الى قومه
بعد ان اخذ التورية ومضى اربعين غضبان على قومه اسفا الاسف اشد الحزن ونصبهما
على الحال قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ما وعدهم على لسان موسى من خير
الدارين افطال عليكم العهد اي الزمان في انتظار ما وعدكم الله فظهر لكم خلف في الموعد
ام اردتم ان يحل اي يجب عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي اي وعدكم
اياي بالثبوت على الدين وباتباع هرون قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا
عن قدرتنا واختيارنا ولو لم يسول لنا السامري لما اخلفناه ولكنا حملنا اوزارا
احمالا من زينة القوم من حلي القبط فقذفناها اي في النار وذلك لما خرجوا من مصر
كانت معهم ودايع من حلي ال فرعون فقال هرون لا يحل لكم الودايع ولسنا
برادين اليهم فامرهم ان يقذفوها في حفيرة ويوقد عليها النار حتى يكون كحجر واحد الى
ان يرى فيها حين الرجوع ما يشاء او الامر بذلك السامري لا هرون فكذلك القى

السامري من حلي في يده والقي معها تربة اخذها من تربة حافر فرس جبريل فاخرج
السامري لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذاب كما بينا في سورة الاعراف له خوار
صوت العجل عن ابن عباس لا والله ما كان له صوت ولا روح لكن تدخل الريح
في دبره وتخرج من فيه والصوت المشابه للخوار من ذلك وفيه بحث لانه اذا لم
يكن له حيوة فليس لقبض التراب من اثر جبريل فائدة كما ذكرنا في سورة الاعراف
فقالوا السامري ومن علمه السامري هذا الهكم واله موسى فنسي السامري دينه
وايمانه هكذا قاله ابن عباس او نسي موسى ان يطلب الهه هنا وذهب يطلبه فلا يرون
هذا قول تعديين فساد اعتقادهم وتكذيب كلامهم ان لا يرجع اي انه لا يرجع اليهم
قولا لا يجيبهم ولا يكلمهم ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا لا يملك ولا يقدر على اضرارهم ولا
على انفاعهم وعلى دفع ضرهم وايصال نفعهم ولقد قال لهم هرون من قبل قبل رجوع
موسى يا قوم انما فتنتم به ابتليتم بالعجل وان ربكم الرحمن الذي يرحمكم قبل الموت وبعده
لا العجل الذي لا ينفع فاتبعوني واطيعوا امري في الثبات على الدين الحق قالوا لن نبرح
لن نزال عليه على العجل بان نعبده عاكفين مقيمين خبر نبرح وعليه متعلق به
او عليه خبر وعاكفين حال حتى يرجع الينا موسى قال موسى بعد ان رجع
وعاتبهم اولا بقوله يا قوم الم يعدكم ربكم الى اخره معاتبا هرون يا هرون ما منعك
اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعن اي عن ان تاتي عقبي فتخبرني عما احدثوا
او عن ان تتبعني في الغضب والمقاتلة معهم وعلى الوجهين لا مزيدة وان مصدرية
نحو ما منعك ان لا تسجد افعصيت امري حيث وصيتك اخلفني ولا تتبع
سبيل المفسدين فسكت وسكت قال هرون يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي
اي بشعري كما مر في سورة الاعراف فاخذ براس اخيه يجره اليه اني خشيت ان
تقول فرقت بين بني اسرائيل يعني خشيت لو فارقتهم لتفرقوا وخشيت لو قاتلتهم
لصاروا احزابا متقاتلين بعضهم بعضا ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي
واصلح بالرفق قال موسى فما خطبك يا سامري يعني بعد ما عاتب قومه ثم اخاه
توجه الى عتاب السامري فقال ما شانك وما الذي حملك على ما فعلت واي شيء
تطلب من خطب الشيء اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به اي علمت وفطنت
ما لم يعلموا ولم يفطنوا له فقبضت قبضة اي مقبوضة من اثر الرسول يعني من تربة
موطئ فرس جبريل فنبذتها فالقيت تلك التربة على الحلي المذاب وكذلك

سولت لي نفسي زينت نفسي مثل ما ترى قيل السامري راى جبريل حين جاء الى اهلاك
فرعون او الى موسى ليذهب معه الى المناجات فاخذ قبضة من اثر فرسه والقي
الشيطان في خاطره انك ان القيتها على شيء وقلت له كن فيكون قال موسى له
لما فعلت هذه الفعلة الشنيعة فاذهب فان لك في الحيوة اي ما دمت حيا
ان تقول لا مساس اي تقول مع من جاءك لا مخالطة بوجه فتكون منفردا وحشيا
وكان من امره انه اذا اتفق ان يماسه احد حم الماس والممسوس ومرض فتحاموه ولا يواكل
ولا يكالم ولا يناكح وان لك موعدا للعذاب لن تخلفه منجزا البتة من اخلفك وعدا
متعد الى مفعولين والاولى ان يكون الموعد مصدرا وقراءة تخلفه بكسر اللام من اخلفت
الموعد اذا وجدته خلفا وانظر الى الهك الذي ظلت اي ظللت بحذف اللام الاولى
عليه عاكفا اي مقيما على عبادته لنحرقنه بالنار فانه كما قيل صار لحما ودما او بالمبرد ونقله
ابو حاتم عن علي بن ابي طالب ونقل الضحاك عن ابن عباس فان مال الحرق تفتيت
الشيء واذا برد بالمبرد يكون مثل الحرق ثم لننسفنه لنذرينه في اليم نسفا انما الهكم الذي
لا اله الا هو وسع كل شيء علما نصب على التمييز اي وسع علمه لا العجل الذي هو مثل في الغباوة
كذلك مثل ذلك الاقتصاص نقص عليك يا محمد من انباء ما قد سبق من الاحوال
تبصرة لك وتنبيها وقد اتيناك من لدنا ذكرا الكتاب مشتملا على ذكر امور محتاج اليها
وتنوين ذكرا للتعظيم وقيل معناه اعطيناك من لدنا ذكرا بين الناس وصيتا من اعرض
عنه فلم يؤمن بالكتاب ولم يعمل به وعلى الوجه الثاني ضمير عنه لله فانه الضمير لمن
يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة خالدين فيه الجمع باعتبار معنى من وساء لهم يوم
القيمة حملا ساء بمعنى بئس وحملا مفسر لضمير مبهم فيه والمخصوص بالذم محذوف اي
ساء حملا وزرهم واللام كلام هيت لك للبيان يوم ينفخ بدل من يوم القيمة في الصور
ونحشر المجرمين المشركين يومئذ زرقا زرق العيون قبيح المنظر والزرقة ابغض الوان
العيون والعرب تتشام به وقيل المراد عميا فان حدقة الاعمى تزرق يتخافتون يتشاورون
ولمشاورة للهول فان الهول خفض اصواتهم فلا يقدرون على رفع الصوت بينهم
ان لبثتم ما لبثتم في الدنيا الا عشرا عشر ليال استقصروا مدة لبثهم في الدنيا مع انهم
اثروها على الآخرة متاسفين وقيل مكثهم في القبر او ما بين النفختين الذي رفع عنهم العذاب
وهو اربعون سنة نحن اعلم منهم بما يقولون اشارة الى انه يعلم السر والجهر اذ يقول
امثلهم طريقة اعدلهم رايا وقولا ان لبثتم الا يوما في البحر المذكر اذ احذف وبقي عدده

فقد لا يولى بالها حكى الكسائي عن ابي الجراح فعشر الجمل عشر ايام وحسن الحذف هنا
للفاصلة وفي قوله الا يوما اشعار بما قال ويسألونك يا محمد عن الجبال هل تبقى يوم القيمة
او تزول والسائل منكر الحشر فقل ينسفها يقلعها من اصلها ربي نسفا فيذرها فيدع
اماكنها ومقارها قاعا منبسطا من الارض صفصفا ملساء منصوبان على الحال لا ترى
فيها عوجا اعوجاجا قليلا لا يدرك الا بالقياس فان العوج بكسر العين ما هو في
المعاني فنفي من الارض ما دق فالحقه بالمعاني ولا امتا نتوا يومئذ يتبعون الداعي
اي يوم اذ نسفت الجبال يتبع الخلايق داعي الله الى المحشر وقد ورد ان اسرافيل يقوم
على صخرة بيت المقدس يدعو الناس يضع الصور في فيه قائلا ايتها العظام البالية
والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلم الى العرض على الرحمن لا عوج له لا عوج للداعي بل
يسمع دعاءه جميعهم لا يميل الى ناس دون ناس ولا الى جانب وخشعت اي خضعت
الاصوات للرحمن لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا وعن ابن عباس
وكثير من السلف سكنت الاصوات فلا تسمع الا صوت وطء اقدامهم يومئذ
اي يوم خشوع الاصوات لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن في
الشفاعة فمن في موضع رفع بدل من الشفاعة على حذف المضاف الذي قدرنا
او معناه لا تنفع احدا الا من اذن في ان يشفع له فمن منصوب على المفعولية ورضي له
قولا رضي الله قوله عن ابن عباس القول لا اله الا الله وعلى الثاني معناه رضي قوله لاجله
يعلم ما بين ايديهم ما تقدم من احوالهم وما خلفهم ما يستقبلون يعني امر دنياهم ودينهم
ولا يحيطون به علما اي لا يحيط علمهم بالله او الضمير عائد الى الموصول اي لا يحيطون
بما بين ايديهم وما خلفهم علما وعنت الوجوه صارت عانية ذليلة كوجوه العناة
يعني الاسارى للحي القيوم الذي لا موت له وهو قيم كل شيء وقد خاب خسر من
حمل ظلما من اشرك والشرك لظلم عظيم قيل المراد وجوه المجرمين فاللام في الوجوه
بدل الاضافة وقوله وقد خاب مشعر على ما قال ومن يعمل من الصالحات اي
بعضها وهو مؤمن الجملة حالية فالايمان شرط لصحة الطاعة فلا يخاف اي
فهو لا يخاف ظلما بان يزاد على سيئاته ولا هضما بان ينقص من حسناته
كذا فسره ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف ونقله
المفسرون وصححه الشيخ الناقد عماد الدين ابن كثير في تفسيره وكذلك مثل
ذلك الانزال عطف على كذلك نقص انزلناه قرانا عربيا وصرفنا كررنا فيه من

الوعيد

الوعيد لعلهم يتقون من المعاصي يعني يكونوا بحيث يرجى منهم التقوى او يحدث
القران لهم ذكرا عظة بما حل بالامم السابقة فيدعوا المعاصي فتعالى الله الملك
الحق جل الله في ذاته وصفاته فانه الملك الذي جميع الكائنات تحت سلطانه
الحق وعده ووعيده او الثابت في الذات والصفات ولما وصف القران
وعظمه قال ولا تعجل بالقران اي بقراءته من قبل ان يقضى اليك وحيه اي تأن
حتى يفرغ الملقي اليك الوحي ولا تساوق في قراءتك قراءته بل انصت حين
الالقاء عن بعض من السلف لا تبلغ ولا تمله على احد حتى يظهر لك معانيه وقل
رب زدني علما بالقران ومعانيه ولما تقدم قوله كذلك نقص عليك من انباء
ما قد سبق ودعا بقوله رب زدني علما ومن مزيد العلم علم قصة واله الكل فيها
تنبيهات قال ولقد عهدنا الى آدم وعهده نهيه عن قربان الشجرة يقال في وصايا
الملوك واوامرهم عهد اليه وعزم عليه من قبل اي من قبل اولاده الناقضين للعهد
الذين كذبوك فنسي اي ترك ما وصى به او لم يعتن بالعهد حتى غفل عنه ولم نجد
له عزما تصميم راي حيث اطاع عدوه وله ظرف عزما قدم رعاية للفاصلة قيل
لم نجد له عزما على الذنب بل وقع منه خطأ واذ قلنا اي اذكر حاله في ذلك الوقت
لنعلم تركه للمامور وانه ليس بذي رأي للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قدم بيان
ذلك مرارا ابى استأنفه اي ابى ان يكون مع الساجدين فقلنا يا آدم ان هذا
عدو لك ولزوجك العدو يطلق على الواحد وغيره عرفه عداوة ابليس ليحذراه
فلم يغن الحذر من القدر فلا يخرجنكما من الجنة يعني كونا على وجه لا يؤثر فيكما غوايته فتشقى
فتتعب في الدنيا منصوب بجواب النهي اسند الشقاء اليه وحده لانه الاصل والزوجة
تبع ولانه هو المخاطب مع المحافظة على الفاصلة ان لك ان لا تجوع فيها في الجنة
وليس فيها جوع وانما طعامها كالفواكه في الدنيا لا يرغب فيها الا للذة ولا تعرى
ولباس الجنة لا يبلى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى لا تصيبك الشمس فتأذى من حرها
الجوع خلو الباطن والعري خلو الظاهر والظمأ احراق الباطن والضحو احراق الظاهر
فالمراد ان ليس لك ضرر لا ظاهرا ولا باطنا وقراءة انك بكسر الهمزة بالعطف
على ان لك وبفتح الهمزة بالعطف على ان لا تجوع قال ابو البقاء تقع ان المفتوحة
معمولة للمكسورة لما فصل بينهما نحو ان عندنا ان زيدا منطلق وعلى اي حال جاز
في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم

قال القرطبي [illegible]
منه

في الظاهر نهي الشيطان لكن
بالحقيقة امر لادم وحواء
منه

ناداه لان يقبل اليه ويحسن الاستماع هل ادلك على شجرة الخلد على شجرة من اكل
منها صار مخلدا رغبة فيما هو مرغوب الطباع سيما في دار الراحة وملك لا يبلى
لا يخلق ولا يزول وقوله هل ادلك مقدم وسابق على قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الاية التي في الاعراف لما راى ميله واصغاءه انتقل الى الحصر فاكلا منها فبدت
لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما على السوءتين للتستر من ورق الجنة وقدم
بيانه في الاعراف وعصى آدم ربه بمخالفة امر ربه فغوى اخطا طريق الحق ولم ينل
مراده ثم اجتباه ربه اصطفاه بالحمل على التوبة وبعد ان تاب فتاب عليه قبل
توبته وهدى هداه الى الثبات عليها بعد مدة وشدة وخضوع وخشوع وندامة وبكاء
وملالة وملامة قال الله اهبطا منها التثنية لادم وحوا جعل نزولهما الى الارض
عقوبتهما جميعا حال منهما بعضكم لبعض عدو جملة حالية اي متعادين بالحسد
وانواع العداوات ولما كانا اصلى البشر خاطبهما مخاطبة الفروع فاما ياتينكم مني هدى
ما مزيدة وان شرطية والمراد من الهدى كتاب الله ورسوله فمن اتبع هداي فلا
يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن شرطية وهي مع جوابه جواب لان قيل
علم منه ان ارسال الرسل غير واجب عقلا ومن اعرض عن ذكري عن الكتب الالهية
فان له معيشة ضنكا الضنك النكد الشاق وهو مصدر يوصف به المذكر
والمؤنث والمفرد والجمع والمراد عذاب القبر نقله الحافظ البزار عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقاله ابن مسعود وابو هريرة وقد ورد انه يسلط عليه في القبر تسعة وتسعون
حية ينهشون لحمه حتى تقوم القيمة قال الحسن هي الزقوم والغسلين والضريع في النار
او في الدنيا بان تكون الدنيا اخذت بمجامع همته ازمنة قلائل ثم مصيره الى النار
كما قال متاع قليل ثم ماواهم جهنم ونحشره يوم القيمة اعمى اعمى البصر قال رب لم حشرتني
اعمى وقد كنت بصيرا اي انك انت لا تحشر الناس الا مثل ما كانوا في الدنيا وانا
كنت فيها بصيرا فما السبب في عماي قال الله كذلك اي مثل ذلك فعلت انت
ثم فسره بقوله اتتك اياتنا واضحة مستنيرة فنسيتها تركتها واعرضت عنها
وعميت عنها وكذلك مثل تركك اياها اليوم تنسى نتركك على عماك الذي
انت عليه بعد الموت وكذلك مثل ذلك الجزاء نجزي من اسرف في مخالفة
الله ولم يؤمن بايات ربه الذي رباه ولعذاب الاخرة اشد من عذاب الدنيا
وابقى لان الدنيا تزول ولما قال اتتك اياتنا فنسيتها ذكر من الايات ما هي مبنية

وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاية

لكل جاهل تامل على سبيل التعجب فقال افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون اي افلم يهد
لهم كثرة اهلاكنا من القرون الماضية بسبب اسرافهم وكفرهم بايات الله يمشون في
مساكنهم والحال انهم يترددون حين سفرهم الى الشام في مساكنهم الخالية ويشاهدون
بقية اثار العذاب عليهم وعلى هذا فاعل يهد مضمون جملة كم اهلكنا فان جملة كم لا يعمل
فيها ما قبلها وعند البصريين فاعله مضمر يفسره كم اهلكنا وجملة يمشون حال من ضمير
لهم او فاعله ضمير عائد الى الله وجملة كم اهلكنا في تاويل المفعول اي افلم يبين الله لهم مضمون
تلك الجملة ويؤيد هذا التخريج قراءة نهد بالنون وقيل جملة يمشون حال من مفعول
اهلكنا يعني اهلكنا كثيرا من القرون حال كونهم امنين متصرفين في مساكنهم جاءهم
الاهلاك بغتة على غفلة ان في ذلك التبيين باهلاك القرون الماضية لايات
لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي ثم بين الوجه الذي لاجله
لا ينزل العذاب معجلا على من كفر بالقرآن فقال ولولا كلمة سبقت من ربك هي الحكم
والقضاء بتاخير عذابهم لكان لزاما لكان العذاب لازما لهم كما لزم القرون الماضية
ولزاما مصدر بمعنى لازما واجل مسمى عطف على كلمة اي لولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم
لكان العذاب لزاما والفصل بجواب لو للدلالة على استقلال كل منهما بنفي اللزوم وقيل
عطف على ضمير كان اي لكان العذاب العاجل واجل مسمى لازمين لهم فاصبر يا محمد
على ما يقولون وسبح بحمد ربك اكثر السلف على ان المراد من التسبيح في تلك
الاوقات الصلوات فيها وقيل امر بالتسبيح مقرونا بالحمد في تلك الاوقات التي
ذكرها فاما ان يراد ان يقول سبحان الله والحمد لله او اريد تنزيهه مع الثناء الجميل
من غير قول وقوله بحمد حال اي ملتبسا به قبل طلوع الشمس المراد صلوة الصبح وقبل
غروبها المراد صلوة العصر ومن اناء الليل فسبح جمع اني كمعا وامعاء والمراد التهجد
وتقديم من اناء على فسبح لاختصاصه بمزيد مزية تخصيصا عليه فان افضل الطاعات
احمزها والليل للاستراحة والنفس فيه مولعة بالنوم مع ان العبادة في الليل ابعد من
الرياء ولا يلزم ان النافلة افضل من الفرض قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطاء
واقوم قيلا او المراد من اناء الليل صلوة المغرب والعشاء واطراف النهار يعني
التطوع في اجزاء النهار كالتهجد في اناء الليل والمراد من الاطراف الساعات قيل
للنهار اربعة اطراف عند طلوع الشمس وعند غروبها وعند وقوف الشمس للزوال وعند
زوالها ولهذا قالوا المراد الظهر فانه في اخر طرف النهار الاول واول طرف النهار الاخر

فانظر في طرفين منه لعلك ترضى اي سبح في تلك الاوقات طمعا في ان تنال ما به
رضاك من المقام المحمود ولا تمدن نظر عينيك نظر استحسان وغبطة الى ما متعنا
به ازواجا اصنافا منهم من الكفرة فنصبه على المفعول به ومنهم صفة له وقيل منهم
مفعول متعنا وازواجا حال من ضمير به اي لا تنظر الى ما متعنا به بعض الكفرة حال
كون ذلك الشيء اصنافا من النعم الدنيوية زهرة الحيوة الدنيا زينة وبهجة زائلة له
نصب على الذم نحو اتاني زيد الفاسق او ثاني مفعولي متعنا لتضمن معنى الاعطاء

لنفتنهم لنختبرهم فيه اي فيما متعنا
او لنجعل ذلك فتنة وبلاء لهم لان يزدادوا في
طغيانهم
صح

ورزق ربك في المعاد خير وابقى من رزقهم في الدنيا قال بعض السلف من ظن ان
نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل علمه ودام عذابه وأمر اهلك اهل بيتك
او امتك بالصلوة ولا تهتموا بامر المعيشة واصطبر وداوم عليها لا نسألك
رزقا ان ترزق احدا فلا يطلب منه ان يرزق نفسه نحن نرزقك ففرغ بالك
ولا تمدن عينيك الى ما في ايدي الكفرة وفي حديث نقله ابن ابي حاتم باسناد جيد
انه صلى الله عليه وسلم اذا اصابه خصاصة نادى اهله يا اهلاه صلوا صلوا وفي
حديث قدسي روى الترمذي وابن ماجه يا ابن آدم تفرغ لعبادتي املأ صدرك
غنى واسد فقرك وان لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم اسد فقرك والعاقبة
المحمودة للتقوى لاهل التقوى نقل انها نزلت لما استسلف عليه صلوات الله وسلامه
من يهودي فابى الا برهان فضاق صدره الاشرف ولما بين ان عذاب الدنيا
والاخرة لمن اسرف ولم يؤمن ولم يتامل في ايات الله وللايات ليست الا لذوي
النهى ثم توجه الى نصح حبيبه صلى الله عليه وسلم عقبه بما يدل على عمههم في الدنيا وانهم
ليسوا من اهل النهى فقال وقالوا المشركون لولا اي هلا يأتينا محمد باية من ربه دالة على
نبوته هذه عادتهم في اقتراح الايات كانهم جعلوا ما ظهر من الايات ليس بايات فاقترحوا
على ديدنهم في التعنت فاجيبوا بقوله اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى وهي القران
المعجز الذي هو اعظم المعجزات المهيمن على سائر الكتب السماوية ظهر من لسان امي
لا يعرف القراءة والكتابة ولم يدارس اهلها صلوات الله وسلامه عليه وباقي الكتب
السماوية ليس بمعجز ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله نزول القران او بعثة النبي
لقالوا ربنا لولا اي هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع منصوب بجواب التحضيض اياتك
من قبل ان نذل بعذاب الدنيا ونخزى بعذاب الاخرة قال تعالى وما كان ربك
ليهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولما طال زمان الفترة وانتشر الكفر فهم في غفلة

الجميع

الجميع والاكثر قل بعد ما نبههم فلم ينتبهوا كل منا ومنكم متربص عاقبة امر صاحبه
فتربصوا انتم وانتظروا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم ومن
اهتدى الى الحق ومن الاستفهامية في الموضعين مبتدأ واصحاب واهتدى خبره
والجملة في موضع النصب والفعل معلق عنها والحمد لله الذي انعم علينا بالايمان فيا رب اديمه لنا

سورة الانبياء مكية وآيها مائة واثنى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس اللام للجنس حسابهم فانه قد ظهر خاتم الانبيا
الذي هو من علامة قرب القيمة وقد مضى من الزمان اكثره وكل ما هو آت قريب وهم في
غفلة عن الحساب معرضون عن التفكر في ايات الله والعاقبة فان الكفرة من الجنس
غافلون معرضون والواو للحال ومعرضون خبر بعد خبر وعلى هذا جاز ان يكون بعضهم
غافلا وبعضهم معرضا او معرضون هو الخبر وفي غفلة حال من ضمير معرضون وعلى هذا
لا بد ان يكون للمعرض غفلة كما فسرناه ما يأتيهم من ذكر طائفة من القران من ربهم صفة
ذكر او صلة يأتيهم محدث تنزيله جديد انزاله فان القران القديم نزل منجما بحسب الحاجة
الا استمعوه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ وتلا عليهم وهم يلعبون حال من
الفاعل اي مستهزئين به لاهية قلوبهم حال من فاعل يلعبون او من فاعل استمع يعني
مشغولين بدنياهم من قول العرب لهي عنه اذا ذهل وغفل واسروا النجوى بالغوا
في الاخفاء فان التناجي لا يكون الا خفية او تناجوا واخفوا نجويهم فلا يفطن احد لنجويهم
الذين ظلموا ابدال من فاعل اسروا وقيل مبتدأ واسروا خبر مقدم ووضع الذين ظلموا موضع
هؤلاء تسجيلا على فعلهم بانه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون مقدر
بقائلين اي قائلين هل هذا وقولهم هذا للتحقير خذلهم الله وهو استفهام التعجب اي كيف
خصوا بالنبوة مع مماثلته لكم في البشرية او فيما يتعلق بالبشرية وقوله افتأتون استفهام
التوبيخ وعنوا بالسحر ما ظهر من المعجزات التي اعظمها القران يعني افتحضرون السحر وانتم
تعاينون انه سحر والسحر من شأنه انه لا يلتفت اليه فعلى هذا المجموع الجملتين الاستفهامية
مفعول قول مقدر وجاز ان تكون الجملتان بدلا من النجوى من غير تقدير قل يا محمد
ربي يعلم القول جهرا كان او سرا في السماء والارض فلا يخفى عليه نجويهم وان بالغوا في
الاخفاء وفي تتعلق بيعلم او حال من القول وقراءة قال على حكاية قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو السميع فيسمع كل قول العليم بما انطوت عليه الضمائر بل قالوا
اضغاث احلام بل افتريه بل هو شاعر قسم المشركون القول في القران فقيل سحر وقيل

مخاليط احلام واباطيل خيلت اليه وخلطت عليه وهذا ابعد فسادا من الاول وقيل هو
مفترى اختلقه من تلقاء نفسه وهذا افسد من الثاني وقيل كلام شعري يخيل الى
السامع معاني لا حقيقة لها وهو افسد من الثالث لانه كذب مع علاوة فلذلك
جا بل تنزيلا من الله لاقوالهم في درج الفساد وقال الراغب الشاعر عندهم كاذب
الطبع ولا يبعد ان يكون هذا بيانا لكونهم غير ثابتين في شان القران على شيء
بل هم مضطربون مرة يقولون كذا ومرة ذلك كما هو شان المبطل الرجاع الذي
لا يدري كيف يبطله وينقصه فليأتنا باية كما ارسل الاولون من تتمة قولهم والكاف
في موضع صفة لاية وما مصدرية اي باية مثل اية ارسال الاولين كالناقة والعصا
او موصولة اي كالذي ارسل به وفي ذلك دلالة على معرفتهم اتيان الرسل
وفيه تناقض لمدعاهم ان الرسول لا يكون بشرا ما امنت قبلهم من اهل قرية
اهلكناها اي ما امنت قرية من القرى التي اهلكناها لما جاءتهم الايات المقترحة افهم
يؤمنون لو جئتهم بها مع انهم اعتى ممن اقترحوا الايات وعهدوا الايمان بها
استبعاد وانكار وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بمقترحهم للابقاء عليهم اذ لو اتى
ولم يؤمنوا لاستؤصلوا كما هو عادة الله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي
اليهم فما لهم ينكرونك زاعمين ان الرسول لا يكون بشرا فاسئلوا اهل الذكر اهل
الكتاب فان قريشا يشاورهم في امر النبي ويثق بقولهم ان كنتم لا تعلمون
ان الرسل بشر ومن العجب انهم يجيزون ان يكون الرب حجرا ولا يجيزون ان يكون
الرسول بشرا وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين اي وما جعلنا
الرسل ذوي جسد موصوفين بانهم لا ياكلون الطعام بل جعلناهم جسدا اكلين
للطعام غير خالدين اثبت لهم ثلثة هي للبشر خاصة اثباتا للبشرية ونفيا للملكية
عنهم الاول كونهم اجسادا اي جسما ذا لون يقال ثوب مجسد اي مصبوغ
بالجساد يعني بالزعفران والملك لصفائه لا يوصف باللون كما لا يطلق الجسد
على الماء والهواء ووحد الجسد لارادة الجنس الثاني انهم اكلوا الطعام الثالث
انهم يموتون في الدنيا ولان المشركين اعتقدوا خلود الملك ثم صدقناهم الوعد
اي في الوعد وهذا بيان سيرته تعالى مع الانبياء فكذلك يسلك مع خاتم
الانبياء ومن يشاء من امته فهذه عدة ووعيد فانجيناهم ومن نشاء انجاءه
واهلكنا المسرفين في المخالفة ولما توعدهم في تلك الاية اعقب ذلك بوعده

ليس للملك فيهما شركة منه

ذ موت الملك لا يكون الا بعد انقراض الدنيا منه

ثم بما فيه

ثم بما فيه وعيدهم ان لم يؤمنوا بما فيه شرف دينهم ودنياهم فقال لقد انزلنا
اليكم يا معشر قريش كتابا فيه ذكركم شرفكم وصيتكم او ذكر ما تحتاجون اليه من امر
دينكم افلا تعقلون فتؤمنون به وكم قصمنا من قرية اي اهلكنا كثيرا من القرى
والقصم الكسر الشديد كانت ظالمة غير طايعة وانشانا بعدها اي بعد اهلاكها
مكانهم قوما اخرين فلما احسوا اي اهل قرية قصموا باسنا شدة عذابنا اذا هم
منها يركضون يهربون بسرعة وضمير منها للقرية او للباس الذي هو بمعنى الشدة
لا تركضوا اي قيل لهم لا تركضوا والقائل على سبيل السخرية ملك او المؤمنون
او لا قول ويكون هذا لسان الحال والركض ضرب الدابة بالرجل والظاهر انهم
لما ادركهم مقدمة العذاب ركبوا دوابهم يركضونها منهزمين او شبهوا عدوهم
على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التلذذ والتنعم
والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم عطف على ما لعلكم تسئلون غدا عن حال
مساكنكم فيمكن لكم الجواب عن مشاهدة او يسال عنكم الفقراء من دنياكم فانهم
اهل ثروة وانفاق رياء الناس او هم بخلاء فيكون هذا تهكما الى تهكم او يسالكم
الخدم كيف ناتي ونذر كعادة المتنعمين وجميع هذه الوجوه سخرية وتهكم قالوا حين راوا
العذاب يا ويلنا تقدم تفسير الويل انا كنا ظالمين ندموا واقروا على انفسهم بالظلم
حين لا ينفعهم ولم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فما زالت تلك المقالة وهي
يا ويلنا انا كنا ظالمين دعويهم اي دعوتهم نحو اخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
ودعويهم خبر زالت لانه من باب ضرب موسى عيسى فتعين المقدم بالاسمية حتى
جعلناهم حصيدا كالزرع المحصود خامدين ميتين صفة لحصيدا او حال وقيل حصيدا
خامدين معا مفعول ثان كحلو حامض ونقل عن ابن عباس ان هذا في شان قرية
من اليمن يسمى حضور فان ثبت منه فكان مراده ان هذه القرية من تلك القرى
التي صدق عليها مضمونه ولما ذكر قصم تلك القرى الظالمة فلم يرحم عليهم حين ندموا
اتبع ذلك بما يدل على ان ذلك عدل ومجازاة وجميع ما صدر منه سبحانه جد
فقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين بل لنجزي الذين اساؤا بعدم
الاستدلال ببدايعهما وعدم الاستفادة من فوائدها والاغترار بزخارفها بما عملوا
ونجزي الذين احسنوا بنقيض اعمالهم بالحسنى وقوله لاعبين حال لو اردنا ان نتخذ
لهوا لاتخذناه من لدنا اي لو اردنا اتخاذ ما يلعب ويتلهى به لاتخذناه من عندنا

لا كما قال الزمخشري منه

اي تكون خاصة خالصة لنا كما يتخذ الشخص بستانه وزخارف بيته لي صحته
لا ارضا وسماء وكواكب سيارات وثوابت وجبالا وانهارا وازهارا عند نظر
الجميع وفي ايديهم وتصرفهم وفي لسان اليمن الزوجة والولد يسميان باللهو لانهما
مما يسرع اليه الشهوة كما يقال زوجة الرجل وولده ريحانتاه المال والبنون زينة
الحيوة الدنيا فقال ابن عباس وغيره المراد من اللهو هنا الزوجة والولد فالاية
رد على النصارى ان كنا فاعلين لهوا والجزاء ما يدل عليه المقدم يعني لاتخذناه
من لدنا وقيل ان نافية فتكون كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل
نغلب الحق الذي منه الجد على الباطل الذي منه اللهو فيدمغه يمحقه شبه الحق
بجرم صلب متين قذف ورمي به على حيوان فشق دماغه وقوله بل اضراب
عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب بل في كل شيء حكم ومصالح فاذا هو اي
الباطل زاهق هالك ولكم الويل خطاب للقائل باللعب لله مما تصفون الله
به مما لا يليق بجلاله وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده المراد
من ذلك شرف المكانة وعلو المنزلة وهم الارواح والملئكة المقربون خصهم
بالذكر لعلو رتبتهم كانهم ليسوا في ضمن من في السموات او المراد منه من في العرش
وهو ليس من السموات وقد استوى على العرش لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون لا يعيون ولا يسأمون والجملة المنفية حالية ان كان قوله
ومن عنده عطفا على من في السموات وجاز ان يكون ومن عنده مبتدأ
والجملة خبره يسبحون الليل والنهار لا يفترون الفترة الانكسار والضعف
والجملة المنفية حال وجملة يسبحون مستانفة مبينة عن كعب الاحبار التسبيح
للملك كالنفس لنا لا يشغلهم شيء عنه ولما اثبت انه ينتقم في الدنيا عمن يكذب
باياته وان كل ما صدر عنه حق عدل وان جميع من في الارض والسماء ملك له
وان الملئكة سيما الكاملين منهم دائبون في عبادته فهو الحقيق بالتوجه اليه
ظاهرا وباطنا والاعراض عمن سواه ومن لم يكن كذلك فهو جدير بالتوبيخ
والتقريع فقال ام اتخذوا ام منقطعة والهمزة للتعجيب والانكار وبل للاضراب
من خبر الى خبر الهة من الارض صفة لالهة دالة على انهم ليسوا بالهة هم ينشرون
اي يصفون بان لهم احياء الموتى والمراد تجهيلهم والتهكم بهم فانهم لما اثبتوا الالوهية
لشيء يلزمهم اثبات قدرته على كل ممكن والاحياء منه لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا

لان الملك

لان الملك يفسد عادة بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من الاختلاف والتمانع قال
تعالى لو كان معه الهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا واما جمع
الالهة فلان الواقع عندهم الهة كثيرة كهبل وعزى وغيرهما والا هنا بمعنى الغير صفة
لالهة لا بدل لفساد اللفظ لان الواجب ان يكون المستثنى داخلا في المستثنى منه
لو لم يؤت بالمستثنى ولا يجب ان يكون الله داخلا في الهة ولفساد المعنى لان
المقصود نفي التعدد مطلقا وعلى هذا يلزم الفساد واذا كان الله مستثنى من الالهة
قال صاحب المغني اذا اختلف الصفة والموصوف افرادا وغيره فالوصف
للتاكيد لا للتخصيص كما قالوا فلو قيل له عندي عشرة الا درهما لزم عليه تسعة ولو قيل الا
درهم بالرفع فقد اقر له بعشرة البتة فالمعنى لو كان الاله غير واحد البتة والصفة مفيدة
للتاكيد لان كل متعدد غير واحد يقينا فسبحان الله رب العرش الذي
استوى عليه وهو محيط بجميع الاجسام فلا يمكن ان يكون الاله في الارض عما يصفون
من الشريك لا يسأل عما يفعل لتفرده في عظمته وسلطانه وهم يسئلون فانهم
عبيد يعني هو سائل خلقه عما يعملون ام اتخذوا من دونه الهة كرر عليهم الانكار
ولم يأت بقوله في الارض ليعلم ان اتخاذ الالهة من دونه في الارض والسماء منكر مذموم
قل يا محمد هاتوا برهانكم بان له شريكا من جهة عقل او نقل هذا ذكر من معي اي عظة
امتي وذكر من قبلي اي الامم السالفة يعني التورية والانجيل وغيرهما من الكتب
السماوية فلو كان لهم برهان نقلي فلا يكون الا في تلك الكتب فعلى هذا هذا اشارة
الى كتب الله وجاز ان يكون اشارة الى القران وحده اي القران فيه ذكر امتي
وذكر امم قبلي انهم مطالبون بالتوحيد ممنوعون عن الشرك فكانه قال هاتوا برهانكم
فهذا برهاني بل اكثرهم لا يعلمون الحق لا يميزون بين الحق والباطل فهم معرضون
عن التوحيد وما ارسلنا جملة مقررة لما ولي من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا
انا فاعبدون وحدي لما كان من رسول عاما بحسب المعنى نظرا الى اللفظ فقال نوحي
اليه ونظرا الى المعنى فقال فاعبدوني ولما انكر الشرك تبعه انكار الولد فقال وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا من العرب من قال الملئكة بنات الله سبحانه عن ذلك بل هم
عباد مكرمون ليسوا باولاد لا يسبقونه بالقول لا يقولون حتى يقول الله ولا يسبق
قولهم قوله وهم بامره يعملون فكما ان قولهم تابع فعملهم ايضا مبني على امر الله فهم في نهاية
من الادب وحاشاهم ان يسيئوا الادب بان يقولوا انهم اولاد الرحمن ولا يبعد ان يكون

فلو كان الله فيهم لم يفسد وهو باطل قطعي

ذلك دليلا على انهم غير الاولاد اذ الولد لا يكون كذلك عادة يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم يحيط علمه بجميع احوال عباد مكرمين مما قدموا واخروا ولا يشفعون الا لمن
ارتضى الله ان يشفعوا له مهابة وهيبة منه وهم من خشيته مشفقون مرتعدون
لا يامنون مكر الله قيل الاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف
اظهر وان عدي بعلى فمعنى الاعتناء فيه اظهر والخشية الخوف مع تعظيم ومن يقل
منهم من الملئكة على سبيل الفرض اني اله من دونه ومن اثبت الالوهية لنفسه
فلا بد من انكار الوهية غيره فذلك نجزيه جهنم قصد بذلك تفظيع امر الشرك
فانه بعد ان وصف كرامتهم عليه واثنى عليهم فاجاء بالوعيد الشديد لمن ادعا منهم
على التمثيل وهذا دليل على ان الملك ليسوا بمجردين كما قيل قيل اراد ابليس حيث
دعا الخلق الى عبادة نفسه دون عبادة ربه كذلك نجزي الظالمين المشركين
اولم ير الذين كفروا هذا الاستفهام توبيخ لمن ادعا مع الله الهة دلالة على توحيده
ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال ابن عباس والاكثرون كانتا
شيئا واحدا ففصل الله بينهما بالهواء فلم يكن المطر ولا النبات ممكنا فلما جعل
بينهما الهواء فامكن النبات من الارض والمطر من جانب السماء او من نفس السماء
كما قاله ابن عباس والرتق مصدر وصف به كزور وعدل فوقع خبر المثنى وقيل
كانت جماعة السموات مرتوقة ملاصقا بعضها ببعض وجماعة الارض كذلك
فصارت السموات بالفتق سبعا والارض كذلك يقال رتق الشيء سده
وفتق فصل ما بين المتصلين قيل المراد انهما معدومتان فاوجدناهما فان المرتوقين
غير متميزين احدهما عن الاخر والمعدومين كذلك والمفتوقين متميزان البتة
والموجودين كذلك اما الفتق بالفصل بينهما بالهواء فامر مشاهد والرتق امر
ممكن اخبر به القران المعجز فهم متمكنون من العلم به فلو نظروا لعلموا وجعلنا من الماء
كل شيء حي اراد ان كل شيء موجود اصله من الماء فان الله خلق الماء قبل كل شيء
ثم خلق الاشياء من الماء نقله الامام احمد وابن ابي حاتم عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فذكر الملزوم الذي هو الحيوة واراد اللازم اي الوجود والمراد
خلقنا كل حيوان من النطفة التي هي الماء نحو والله خلق كل دابة من ماء والمراد
صيرنا كل شيء له نوع حيوة كالحيوان والنبات من الماء الذي ينزل بسبب الفتق
يعني لا بد له من الماء على منوال خلق الانسان من عجل فعلى هذا قوله من الماء وكل شيء

فان جهنم لا يضر مجردا منه

حود

ربه

احدهما

معقولاه

معقولاه افلا يؤمنون فيه معنى التعجب من ضعف عقولهم يعني افلا يتدبرون تلك
الادلة فيتركوا الشرك وجعلنا في الارض رواسي جبالا ثوابت ان تميد بهم
كراهة ان تميل وتضطرب كما بينا في سورة النحل وجعلنا فيها في الرواسي
فجاجا مسالك واسعة سبلا يعني لما خلقنا الجبال التي حالت بين البلدان جعلنا فيها
فجوة وطرقا ليسلك فيها من بلد وموضع الى آخر اصله سبلا فجاجا كما في سورة
نوح فلما قدم صارت الصفة حالا لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء على
الارض سقفا محفوظا من ان يقع على الارض وعن ابن عباس ونقل حديثا
مرفوعا ان معناه محفوظا عن الشياطين بالشهب وهم اي الكفرة عن آياتها
معرضون لا يتفكرون فيما فيها من الشمس والقمر والسيارات والثوابت الدالة
على القدرة الباهرة والحكمة البالغة وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر
الظلمة مقدم سابق فقدم الليل ونور القمر مستفاد فقدم الشمس كل في فلك يسبحون
كالسابح في الماء جاز ان يراد كل واحد والجمع في يسبحون باعتبار كثرة مطالعها
حيث لم يقل يسبح او يسبحان رعاية للفاصلة وكان اطلاق يسبحون على كل
واحد من الشمس والقمر باعتبار معنى الكثرة التي هي فيه نحو وكل اتوه داخرين وجاز
اطلاق المفرد عليه نحو كل يعمل على شاكلته وظاهر القران انهما يسبحان بانفسهما في
الفلك والحركة لهما وعلى هذا جاز ان تكون جميع السيارات والثوابت في سماء
الدنيا كما قال الله انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فلا نحتاج الى تاويل ولا يدل
دليل على خلاف ذلك فعلى هذا يكون كل كلا مجموعيا وجملة كل في فلك حال
منهما وجاز للقرينة ولما نزل قوله وما كانوا خالدين قالوا فنتربص بمحمد ريب المنون
شامتين نفى الله عنه الشماتة وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ولا شماتة
الا فيما يمكن سلامته الشامت منه والخضر والياس يذوقان الموت ولو بعد
حين افان مت فهم الخالدون الهمزة للانكار والفاء فان لتعلق الشرط بما قبله
وقوله فهم جزاء الشرط كما هو مذهب سيبويه كل نفس ذائقة مرارة الموت
ونبلوكم نعاملكم معاملة الاختبار بالشر والخير بالمصائب تارة وبالنعم اخرى
فتنة لننظر من يصبر ومن يجزع ومن يكفر ومن يشكر وفتنة مصدر موكد لنبلوكم من
غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم ولما ذكر شماتتهم ودفع عنه عقبه بذكر ما هو اشد
واقبح منها وهو سخريتهم فقال واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك ان نافية

ومن هذا يقال شموس واقمار منه

فان كل واحد يمكن اعتبار الكثرة فيه وقد صرح بذلك بعض من تحقق تعلمه منه

اي اختصاص الحال بهما دون الليل والنهار جاز للقرينة نحو رايت زيدا وهندا متبرجة منه

كانه قال فان مت انت ايبقى هولاء فان مذهب غيره ان جواب الشرط محذوف وان كان على ما زعم غيره لكان التركيب فان مت اهم الخالدون بغير فاء منه

الا هزوا مهزوا به قوله ان يتخذونك جواب اذا ولم يحتج الى الفاء نحو واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات ما كان حجتهم بخلاف سائر حروف الشرط فانه اذا كان جوابها مصدرا
بالنافية فلا بد من الفاء كذا قاله صاحب البحر اهذا الذي يذكر الهتكم يعني يقولون هذا
اشارة الى نبي الله على سبيل التحقير صلوات الله وسلامه عليه والذكر يكون بالخير
وبالشر ان كان الذاكر صديقا فهو ثناء والا فلوم وهم بذكر الرحمن بصفاته الحسنى
هم كافرون لا يصدقون به فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانت المحق وهم المبطل
والواو حالية من فاعل يقولون المقدر ولما ذكر شماتتهم بالرسول واستهزاءهم كانه
استعجلت النفس سرعة انتقامهم فقال خلق الانسان من عجل لفرط استعجاله
كانه خلق منه سأريكم اياتي نقماتي في الدنيا والاخرة والمراد من الانسان الجنس
قيل المراد منه آدم فانه ليس كاولاده من نطفة وهي من طعام وما حصل الطعام
الا بمهلة وكانوا صغارا ضعافا الى ان صاروا رجالا بمهلة فلا تستعجلون بالاتيان
بالايات ويقولون متى هذا الوعد متى استفهام على سبيل الهزء حين توعدهم
المسلمون كقول عبد ساريكم اياتي ومتى خبر هذا اي متى انجاز هذا الوعد ان كنتم
ايها المؤمنون صادقين في وعيدنا او قوما صادقين كما هو مدعاكم لو يعلم الذين
كفروا اي لو يعلمون بوضع الظاهر موضع المضمر حين لا يكفون عن وجوههم النار
ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون اي لو يعلمون مجيء الموعود الذي سالوه واستبطؤه
حين لا يقدرون كف النار عن اشرف اعضائهم وظهورهم اذ كفها عن جميع جوانبهم
ولا يجدون ناصرا لما استبطؤا وا ولسعوا فيما يخلصهم فعلى هذا مفعول يعلمون محذوف
وحين ظرف له وجاز ان يكون حين هو المفعول اي لو يعلمون وقت احاطة
النار بهم قيل النار هي المفعول على حذف مضاف اي مباشرة النار ومن
باب التنازع واعمال الثاني وعلى الوجوه جواب لو محذوف بل تاتيهم اي
لا يعلمون بل تاتيهم العدة وهي هلاكهم ومن مات فقد قامت قيامته بغتة
اي فجاءة مصدر من غير لفظ العامل فتبهتهم تحيرهم فلا يستطيعون ردها رد العدة
التي جاءت يعني الموعود ولا هم ينظرون يؤخرون عما حل بهم ولما ذكر استهزاءهم
صريحا في قوله ان يتخذونك الا هزوا وغير صريح في قولهم متى هذا الوعد سلاه عم
فقال ولقد استهزئ برسل من قبلك فانه ليس باول قادر ولكسرت منهم
معك بل هذا عادتهم الخبيثة مع الجميع فحاق احاط بالذين سخروا منهم بالنبيين

فيه ضعف فانها ان جعلنا مفعولا ليعلمون نقدر له مضافا وان جعلنا مفعوله بكفرانه فلا نحتاج الى تقدير فاعل

من المستهزئين ما كانوا به يستهزءون يعني ثمرة استهزائهم جنوها فلا تغتم انت
فسيحيط بمن يتخذك هزوا ما وعدتهم من العذاب الذي استهزءوا به قل للمستهزئين
من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من عذابه اي لا احد يحفظكم من باسه
فالاستفهام تقريع وتوبيخ وقيل من بمعنى البدل نحو لا ينفع ذا الجد منك الجد
وفي قوله من الرحمن زيادة تهديد كما يقال نعوذ بالله من غضب الحليم بل هم عن
ذكر ربهم معرضون لا يجري ببالهم ولا يخطر ببالهم ذكر ربهم فضلا ان يخافوا
من باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم
بل الهم الهة تمنعهم من العذاب من دوننا صفة بعد صفة او حال من فاعل
تمنع كانه قال لا نسال عنهم لانهم لا يصلحون للسؤال لغفلتهم عنا بل لا قبال لهم على
اعدائنا فبل للترقي والهمزة للانكار لا يستطيعون اي الذين لهم الالهة لما ذكر
نفي منع الهتهم ذكر ايضا حال انفسهم نصر انفسهم سيما نصر غيرهم والجملة
مستانفة لتبيين بطلان مدعاهم ولا هم منا يصحبون يقال صحب فلان
فلانا اذا اجاره اي لا يجارون منا بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم
العمر اضراب عن بيان بطلان ما هم عليه الى بيان ما غرهم فحسبوا انهم
على شيء والذي غرهم انا متعناهم مدة متطاولة في الدنيا وزخارفها فقد
فقست قلوبهم وكثرت ذنوبهم وظنوا ان الدنيا وزخارفها لا تزال ونسوا
الموت والفوت افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من
اطرافها بتسليط المسلمين عليها وقد مر بيانه في اخر الرعد افهم الغالبون
ام من اطاع رسولنا قل انما انذركم بالوحي اي اعلمكم بما تخافون بوحي من
الله لا من تلقاء نفسي وما كان من جهة الله فهو الصدق الواقع كما رأيتم
عيانا من نقصان اطراف ارضكم ولا يسمع الصم الدعاء ثم اخبر ان الانذار
لا يجدي فيهم اذ هم صم عن دعائه فالانذار لم يزد عتوهم وفي قراءة لا تسمع من باب
الافعال على خطاب النبي فالصم الدعاء مفعولاه اذا ما ينذرون ظرف
يسمع او للدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في صممهم فان
المتوجه بالانذار يكون اتم فكانه قال لا يسمعون بوجه من الوجوه ولئن مستهم
نفحة رائحة من عذاب ربك فيه ثلث مبالغات احدها المس والثاني
ما في مدلول النفح من القلة اذ هو الريح القليل والثالث بناء المرة منه حيث

فان من لا يسمع الانذار لا يسمع البشارة

لم يقل نفح ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين دعوا على انفسهم بالويل واقروا
بالظلم فكيف حالهم اذا جاءهم سوط من العذاب ونضع الموازين لما
ذكر حالهم في الدنيا استطرد لما يكون في الاخرة التي هي مقر الثواب
والعقاب فاخبر عن عدله واسند ذلك الى نفسه بنون العظمة وتقدم
الكلام على الموازين في اول الاعراف القسط مصدر وصفت به الموازين
مبالغة كانها في انفسها قسط او على حذف مضاف اي ذوات القسط
وقيل مفعول له اي لاجل القسط ليوم القيمة لاجل جزائه او اللام بمعنى في
كجئتك لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من الظلم او من العمل وان كان
العمل مثقال حبة من خردل اتينا بها ضمير المونث للمثقال المضاف الى
الحبة نحو ذهبت بعض اصابعه وقراءة مثقال بالرفع فلكان التامة وكفى بنا
لكمال علمنا وعدلنا الباء مزيدة نحو كفى بالله حاسبين حال من فاعل كفى
قال في البحر الظاهر انه تمييز لقبوله من ومن في من خردل للبيان وقيل
للتبعيض كانه قسم الخردل ثمانية واربعين جزءا اي حبة كما ان الدرهم كذلك
فالمعنى وان كان وزن جزء من ثمانية واربعين جزءا من خردل واحد
ولما كان كتاب موسى وهرون الذي هو عضد موسى اعظم الكتب السماوية
بعد القران وكان اهله قد اعرضوا عنه مرارا بعد ما اتيا من الايات التي
تحيرت منها العقول وكنا بهما فرقان يميز بين الحق والباطل وضياء
رافع للظلام مبين للحق كالميزان فلهذا اعقبه بقوله ولقد اتينا موسى
وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين اي الكتاب الجامع في
كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء للمستبصر به ومن شان من كان
في الضياء الا يضيع شيئا الا في موضعه وذكرى عظة للمتقين فانهم المنتفعون
به ثم بين المتقين بقوله الذين يخشون ربهم صفة كاشفة للمتقين بالغيب
حال اما من الفاعل او من المفعول وهم من الساعة مشفقون اي خائفون
من القيمة يؤمنون بها جملة حالية وقيل عطف على صلة الذين ولما
وصف التورية اعقبه بذكر القران فقال وهذا ذكر مبارك كثير منافعه
الكتفي مدحه بجمل في جوفه مفصلات انزلناه افانتم له منكرون استفهام
توبيخ للمشركين كانه قال اتيناهم التورية فهم امنوا به اول الامر افانتم

يا معشر قريش مع ذكائكم تنكرونه ولو انكره غيركم لكان ينبغي لكم متابعته
ثم لما ذكر الكتابين الناهيين عن الشرك اعقب بحكاية ابرهيم الذي هو
فخر قريش وجدهم في نهي والده وقومه عن الشرك فقال ولقد اتينا
ابرهيم رشده الا هتداء لوجه الصلاح والاضافة تر شد الى انه رشد
له شان من قبل من قبل موسى وهرون وكنا به عالمين علمنا انه اهل
لما اتيناه كما قال الله اعلم حيث يجعل رسالته اذ قال لابيه وقومه ظرف
لاتينا قيل لتقديره اذكر من اوقات رشده وقت قوله لابيه ما هذه التماثيل
الصور التي لا روح فيها مشبهة بشيء من الاشياء التي فيها روح او شان
تحقيرا لشانها التي انتم لها عاكفون استهان بهم على سوء صنيعهم
واللام لها للتعليل اي لتعظيمها عاكفون على عبادتها فصلة عاكفون
محذوفة او في العكوف معنى العبادة فعداه باللام قالوا وجدنا
اباءنا لها عابدين فقلدناهم والجواب مشعر بالتوجيه الثاني في
تعلق لها بالعكوف قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين اي
المقلدون والمقلدون منخرطون في سلك ضلال مبين لا يخفى على من
له ادنى مسكة قالوا اجئتنا بالحق الباء للتعدية فهي متعلقة بجئت او معناه
جئتنا ملتبسا بالحق الجدام انت من اللاعبين يعني اجئتنا بالجد ام بغيره
وهو اللعب استبعد وامنه تضليله اباءهم قال بل ربكم رب السموات
والارض اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على جده الذي فطرهن
الذي اخترع السموات والارض بخلقهن من غير سبق مثال وهن مشترك
بين ذوي العقول وغيرهم وانا على ذلكم اي على ربوبيته واختراعه
للعالم من الشاهدين من للتبعيض اي بعض ممن تحقق له وبرهن عليه
وتالله لاكيدن اصنامكم المكرن بها في كسرها والظاهر انه خاطب
بها اباه وقومه بعد ان تولوا عنها مدبرين الى عيدكم كان التقاول
في زمان قرب العيد يعني حين اجد البلدة خالية نقل محيي السنة عن مجاهد
وقتادة والسدي ان هذا القول منه سر ولم يسمع الا البعض منهم فافشاه
فجعلهم اي الاصنام واطلاق جمع العقلاء لانه معبودهم جذاذا قطعا
مكسورا بعد ان تولوا الى عيدهم وقصد ما نواه فعال بمعنى مفعول

الا كبيرا لهم استثناء من الضمير قيل كانت الاصنام مصطفة وصنم
عظيم عندهم مستقبل الباب من ذهب عيناه درتان مضيئتان فكسر
الكل الا هذا وعلق الفاس في عنقه او في يده لعلهم اليه الى كبيرهم يرجعون
فيعتقدون انه كسرهم حسدا عليهن او الى ابرهيم فيحاجهم بانه فاعل الكسر
كسرهم او الى الله بتوحيده عند رؤيتهم عجز آلهتهم قالوا حين انصرافهم عن العيد
من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين لاجترائه على الالهة المستحقة للتعظيم قالوا
القائل من سمع قوله تالله كما نقل يحيى السنة سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم يقال
له ابرهيم مرفوع بيقال لان المراد اطلاق الاسم عليه قوله يذكرهم وقوله يقال
صفتان لفتى وسمع ان دخل على مسموع فلا خلاف انه متعد الى واحد كسمعت
كلامك وان دخل على غيره كسمعنا فتى فالارجح انه كالاول متعد الى واحد
قال صاحب البحر هذا التاويل الذي ذكرناه في ابرهيم منعه بعض النحويين اذ لا يحفظ
من لسان العرب قلت زيدا ولا قال ضرب فالاولى ان ابرهيم نداء مقدر
بجملة محكي بيقال اي يقال له حين يدعا يا ابرهيم ثم ان قولهم من فعل والجواب
بقالوا سمعنا اما في محضر لم يكن فيه ابوه وقومه او كانوا فيه واخفوه شفقة
على ابرهيم سواء كان قوله تالله لاكيدن اصنامكم قول سره او جهره قالوا
فاتوا به على اعين الناس بمرأى منهم فعلى اعين حال والاستعلاء مجازي
كانه لتحديقهم اليه وارتفاع ابصارهم لرؤيته مستعل على ابصارهم لعلهم
يشهدون عليه انه الفاعل او يحضرون عقابه وكان هذا المقصود ابرهيم عم
لان يبين في محفل عظيم وفور جهلهم في عبادة جماد قالوا حين اتوا به ءانت
فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم قال بل الظاهر ان بل اضراب عن جملة
مقدرة اي قال لم افعله بل فعله كبيرهم هذا اشارة تحقيرية الى الكبير
فاسالوهم اي عن الاصنام الصغار المكسورين ان كانوا ينطقون
فان الاولى ان يسال المظلوم اولا عن تعيين ظالمه اراد ان يعترفوا بعدم
نطقهم فتثبت جماديتهم فتقوم الحجة عليهم قيل هذا تقرير لنفي صدور الكسر عن
الكبير مع استهزاء على اسلوب تعريضي كما لو خاطبك من لا يحسن الخط اانت
كتبت هذا الخط الرشيق فتقول بل كتبته وقيل فاسالوهم معترضة تمم به
فعله كبيرهم ان قدروا على النطق وقيل كبيرهم اغضبني لكسرتهم فهو الحامل عندي

ان مثل تلك

ان مثل تلك التاويلات غير محتاج اليه على ما قال النبي عم كما ورد في الصحيح
لم يكذب ابرهيم غير ثلث وعد هذا منها ومثل هذا الكذب من الرخص
كالتلفظ بالكفر عند التعذيب لكنه عم من اولي العزم فعليه الاحتراز عن
مثل ذلك لان لا يقال له يا صاحب العزيمة اياك والرخص فرجعوا الى
انفسهم اي بالملامة في عبادة ما لا ينطق يعني راجعوا عقولهم وتفكروا فقالوا
اي قال بعضهم لبعض بعد التامل انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او لانكم تركتم
اصنامكم بلا حافظ او لعبادتكم جمادا ثم نكسوا على رؤسهم اطرقوا رؤسهم من
الحيرة والفكر بما يجيبون به او انقلبوا الى المجادلة بعد ما اقروا على انفسهم
بالظلم شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا على اعلاه
لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف نسألهم اي قالوا ذلك وقوله ما هؤلاء
جملة في موضع نصب علق عنه علمت قال افتعبدون من دون الله ما
لا ينفعكم شيئا مفعول به او مفعول مطلق ولا يضركم ان عبدتموه او هجرتموه
اف لكم اي قبحا ونتنا وهو صوت المتضجر واللام لبيان المتافف به ولما
تعبدون من دون الله افلا تعقلون قبح ما انتم عليه اي اانتم مجانين
والاستفهام للتوبيخ قالوا بعد ما عجزوا عن الجواب حرقوه وانصروا
آلهتكم باهلاك عدوهم ان كنتم فاعلين ناصرين لآلهتكم او فاعلين
شيئا مع عدوهم وما ذلك الا بامر نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
على ابرهيم يسلم من حرك عن ابن عباس لو لم يقل سلاما لهلك ابرهيم
من البرد ولو لم يقل على ابرهيم لما احرقت نار بعدها والظاهر ان النار
انقلبت من جوهرها وبدن ابرهيم على ما كان عليه جمعوا حطبا واوقدوا
نارا لم ير مثلها ورموه فيها بالمنجنيق لانه لا يمكن لاحد القرب منها فقال عم
حسبي الله ونعم الوكيل فاستقبله جبريل في الهوا فقال الك حاجة
قال اما اليك فلا قال سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فما احرقت
منه سوى وثاقه وهو ابن سبع عشرة وكان يقول ما انعم حالي في النار
وفي مدة لبثه في النار خلاف وارادوا به كيدا مكرا في اهلاكه لئن
لا يرجع الناس عن دينهم فجعلناهم الاخسرين اخسر كل خاسر فقد
انقلب عليهم مكرهم وصار سببا لترك عقيدتهم ونجيناه ولوطا ابن اخيه

من ارض العراق الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي الشام فان اكثر
الانبياء بعثوا فيها وانتشرت في العالم بركتهم وقيل الارض مكة وفي
نجينا تضمين معنى اخرجنا ولذلك عدي بالى وقيل الى حال اي منتهيا الى
الارض فلا تضمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي عطية حال منهما
او مصدر كعاقبة وعافية من غير لفظ الفعل او ان نافلة ولد الولد فتكون
حالا من يعقوب وجاز للقرينة اي طلب ولدا فاعطيناه ولدا وزيادة وفضلا
وكلا من ابرهيم ولوط واسحق ويعقوب جعلنا صالحين قدم جواز ذلك
على ان الكل افرادي وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون الناس
بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات اعني الحث وترغيب الناس عليها او المراد فعلهم
الخيرات ليتبعهم منهم واقام الصلوة مصدر بمعنى الاقامة نص على ذلك
سيبويه وهذا من باب التخصيص بعد التعميم وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين
موحدين مخلصين ولوطا اتيناه منصوب بشريطة التفسير حكما الفصل
بالحق بين الخصوم وعلما اراد منهما النبوة فلازمها الحكم والعلم ونجيناه من القرية
التي كانت تعمل العملات الخبائث او المراد من الخبائث اللواط ونسبة العمل
الى القرية لعموم عمل اهلها كان القرية بما فيها هي العاملة وهي سدوم ونجاته
بان اخرجناه منها وجعلنا عاليها سافلها انهم كانوا قوم سوء فاسقين
وادخلناه اي لوطا في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين
مستانفة لبيان دخوله في الرحمة ونوحا اذ نادى اي اذكر قصة نوح
فانه الاب الثاني واية ابرهيم النار واية الماء واذ ظرف للقصة المقدرة
من قبل من قبل المذكورين ومعنى نادى دعا وقد دعا مجملا بقوله اني مغلوب
فانتصر ومفصلا بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاستجبنا له
دعاءه فنجيناه واهله من آمن به من الكرب العظيم تكذيبهم واذاهم مدة تطاوله
الف سنة الا خمسين ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا اي جعلناه
منتصرا منهم او لتضمين نجينا عدي بمن انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين ولم يبق على الارض منهم ديار وداود وسليمان اي اذكر قصة الوالد والولد
اذ يحكمان ظرف للقصة في الحرث قيل كرما انشئت عناقيده وقيل زرعا
اذ نفشت رعت ليلا بلا راع ظرف ليحكمان فيه في الحرث غنم القوم

فافسدته

فافسدته وكنا لحكمهم شاهدين عالمين وجمع الضمير لان المراد هما والمتحاكمين
اليهما ففهمناها اي الحكومة او الفتوى سليمان دون داود فانه حكم بان الغنم
لصاحب الكرم بدل افساده وحكم سليمان بدفع الكرم لصاحب الغنم
فيقوم عليه بخدمته ومؤنته حتى يعود كما كان وبدفع الغنم الى صاحب
الكرم فينتفع بدرها ونسلها وصوفها فاذا صار الحرث كما كان ياخذ
كل منهما ماله وكلا من داود وسليمان اتينا حكما وعلما عن الحسن البصري
لولا هذه الاية لرايت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه واثنى على
ذاك باجتهاده وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه
ويجاوبنه كما سبح الحصا في كف النبي المصطفى ع م والحاضرون كلهم
سامعون عن بعض السلف اذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير
لينشط ويشتاق ويسبحن حال اي مسبحات او استيناف والطير
مفعول معه ليسبحن او عطف على الجبال وكنا فاعلين لامثال ذلك
ليس ببدع من قدرتنا وعلمناه صنعة لبوس لكم عمل الدرع ليحصنكم الضمير
لله ويكون التفاتا وقراءة لنحصنكم بالنون يؤيده او لداود ومن قرا
بالتاء فالضمير للبوس وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار ولكم متعلق
بعلمنا اي لاجلكم من باسكم اي ليكون وقاية لكم في حربكم فهل انتم شاكرون
اراد فاشكروني وقد كان قريش اهل حرب وسلاح ولبس الدرع للبدن و
ولسليمان عطف على مع داود وجاء في تسخير الجبال بلفظ مع نحو يا جبال
اوبي معه وفي تسخير الريح باللام لان الجبال شريكة في التسبيح والريح مسخرة
له وقيل تسخير الريح له نافع عائد اليه وفي الاول اخر يظهر في الطير والجبال الريح
عاصفة شديدة الهبوب تجري بامره حال ثانية الى الارض التي باركنا
فيها اي الشام فانه وطنه كان له بسط من خشب يوضع له ما اراد من
الامتعة والجند فتحملها الريح وتظله الطير من الشمس الى اي مكان شاء
والريح في قبضته ان اراد عاصفة فعاصفة وان اراد رخوة فرخوة وعلى
الوجهين لينة لا تزلزل وكنا بكل شيء عالمين فنجري الاشياء على ما تقتضيه
علمنا ومن الشياطين من يغوصون له يخرجون من البحر الجواهر لسليمان
ومن مبتدا او من الشياطين خبره وجاز عطف من الشياطين على الريح

ومن يغوصون بدل عن الشياطين وجاز عطف من على الريح ومن الشياطين
حال مقدم ومن على اي حال تبعيضية ويعملون عملا دون ذلك
احقر من الغوص او سوى الغوص قال تعالى ويعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل الآية وكنا لهم حافظين من الزيغ والفساد او الخروج عن امره
وايوب اي اذكر قصته اذ نادى ربه اني اي باني مسني الضر وانت نادى
ارحم الراحمين كان له انواع من الاموال والاولاد فابتلاه الله بهلاك
الكل فصبر وشكر ثم ابتلاه بجسده فلم يبق منه سليم سوى لسانه وقلبه
ذاكرا بهما ربه حتى تنافر عنه كل انيس وتحاشى عنه كل جليس فلا يتردد عليه
سوى زوجته فدعا الله لكشف كربه بعد مدد متطاولة بهذا الاسلوب
البليغ نقل ابن ابي حاتم عن رسول الله عم ان ايوب لبث به بلاؤه
ثماني عشرة سنة وقيل دعاؤه هذا بعد ان لام بعض اصحابه حين
جاؤه واقفين من بعيد قائلين تب الى الله من ذنب تلك عقوبته
فتضرع تلك العبارة في كشف كربه قائلا لا طاقة لي في ان ينسبني احد
الى معصيتك والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس
من مرض وهزال فاستجبنا له دعاءه الضمني فكشفنا ما به من ضر
بالشفاء وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة ناشئة من عندنا على ايوب
قال بعض السلف احيى الله من مات منهم واعطاه مثلهم وعن بعض اعطي
من مات له في الجنة ومثلهم معهم في الدنيا فقد نقل ان الله خيره في احيائهم
في الدنيا او اعطاء اياهم في الجنة فاختار الثاني وذكرى تذكرة للعا
للعابدين ليصبروا ولئلا ييأسوا وان طال مدة البلاء واسمعيل
وادريس وذا الكفل عن بعض انه صالح من بني اسرائيل تكفل لنبي ان يقضي
بينه وبين قومه بالعدل وفعل فسمي ذا الكفل وعن بعض انه نبي قرنه في
سلكهم كل من الصابرين وليس الصبر من خواص ايوب وادخلناهم
في رحمتنا النبوة او الجنة انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وذا النون
صاحب الحوت وهو يونس اذ ذهب من بين قومه مغاضبا لهم من غير
اذن ربه حين اصروا على الكفر والمفاعلة هنا للمبالغة نحو عاقبت
وسافرت فظن ان لن نقدر عليه لن نضيق عليه في ذهابه من غير اذننا

من القدر

من القدر لا من القدرة او لن نعمل فيه قدرتنا في عقوبته او لن نقضي
عليه بالعقوبة ويؤيده قراءة نقدر بالتشديد وقيل هذا من باب
التمثيل اي حاله ممثلة بحال من ظن عدم قدرتنا عليه في مراغمة قومه
من غير انتظار لامرنا وقيل خطرة شيطانية سماها ظنا للمبالغة فانه لما
راى مقدمة العذاب فر وفيه بعد فنادى في الظلمات ظلمة بطن الحوت
والبحر والليل او جمع لشدتها وهنا جمل محذوفة كما سياتي في سورة
والصافات ان لا اله الا انت اي بانه او ان مفسرة سبحانك
انزهك عن كل نقص اني كنت من الظالمين وتقديم التسبيح في
مثل هذا الموقع لادب معروف كما يقال حاشاك هو مريض دد
فاستجبنا له دعاءه الضمني ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت
بالساحل سالما بعد ما مكث في بطنه اربعين يوما على ما قيل وكذلك
ننجي المؤمنين اذا دعونا في الشدائد منيبين الينا سيما اذا دعوا بهذا
ففي حديث رواه الترمذي والامام احمد والنسائي ما من مكروب يدعو
بهذا الدعاء الا استجيب له وقرا ابن عامر وابو بكر نجي ففيه اشكال قيل
فعل مجهول فيه ضمير المصدر والاخفش والكوفيون اجازوا اقامة غير
المفعول به مقام الفاعل مع وجوده كضرب الضرب الشديد زيدا
وضرب اليومان زيدا والمؤمنين منصوب باضمار ننجي وقيل اصله
ننجي فحذفت النون كما في قراءة نزل الملائكة في ننزل بحذف فاء الفعل
وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا بلا ولد وانت خير الوارثين
ثناء منه على الله بانه خير من يبقى بعد ما سال ولدا يبقى بعده قيل
سال ان يرزق ربه ولدا ارثه كما مر ورد امره الى الله فقال وانت
خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فانت خير وارث فاستجبنا له
صريح دعاءه ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه صيرناها ولودا بعد ما
كانت عاقرا عجوزا او حسنة الخلق بعد ما كانت سيئة الخلق كذا قال
بعض السلف انهم كانوا اي زكريا واهل بيته او المذكورين من الانبياء
يسارعون يبادرون في الخيرات في عمل القربات ويدعوننا رغبا
ورهبا راغبين في رحمتنا راهبين من عذابنا قيل نصبهما بالمفعول له

وكانوا لنا خاشعين لايخافون ولايخضعون غيرنا والتي احصنت فرجها
اي مريم فانها بكر ما ذاقت حلالا ولا حراما فنفخنا فيها في مريم من روحنا
بان امرنا جبريل بالنفخ في جيب درعها واضافة الروح اليه للتشريف قيل
من جهة روحنا جبريل قيل هذا نظير قول الزمار نفخت في بيت فلان اي في
المزمار في بيته فمعناه نفخنا في ابنها فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية
دالة على كمال قدرتنا للعالمين وافراد آية لان حالهما بمجموعهما آية واحدة
وهي ولادة مريم عيسى من غير فحل وان كان في مريم ايات وفي عيسى
كذلك ان هذه اي ملة الاسلام او اشارة الى الطريقة التي كان عليها
الانبياء المذكورون من التوحيد امتكم ملتكم امة واحدة غير مختلفة بين
الانبياء ونصب امة على الحال وانا ربكم فاعبدون لا غيري يعني الملة والدين
واحدة والرب واحد فلا تعبدوا غيري وتقطعوا امرهم بينهم يعني اختلفوا
وصاروا فرقا التفت من الخطاب لما كان هذا من اقبح المرتكبات عدل
الى الغيبة كان هذا ما صدر عن المخاطب فيقول الا ترى الى ما ارتكبوه في دين
الله جعلوا امر دينهم قطعا ونصب امرهم بنزع الخافض وهو في او بتضمين
معنى الجعل كل من الفرق الينا راجعون فيرون الجزاء فمن يعمل من
الصالحات بعض الاعمال الصالحة يعني شغله وحرفته العمل الصالح وهو
مؤمن فان العمل لايكون صالحا الا بان يكون العامل مؤمنا فلا كفران
لسعيه الكفران مصدر كالكفر وهو مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر في عطا
وانا له لسعيه كاتبون في صحيفة عمله او انا كاتبون لمن يعمل ما عمله فلا يضيع
وحرام اي ممنوع نحو حرمنا عليه المراضع على اهل قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
الى الحيوة فلا كقوله ما منعك ان لا تسجد زائدة حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج
اي سدهم وليس هذا الا عند القيمة يعني هؤلاء ممنوعون عن الحيوة الى قرب
القيمة لا كما اعتقد واخلود موتهم وعدم بعثهم وعن ابن عباس وكثير من
السلف معناه وجب وعزم عليهم ان لا يرجعوا الى ما زال عنهم وهو الحيوة
الى قرب القيمة فلا على هذا غير زائدة وحاصل المعنى واحد او حرام على اهل
قرية قدرنا اهلاكهم ان يرجعوا عن كفرهم ويؤمنوا الى قرب القيمة وحينئذ
لا ينفع الرجوع وقيل معناه ممنوع عدم رجوعهم الينا للجزاء وقوله حتى

غاية قوله وتقطعوا يعني هم لا يزالون مختلفين غير مجتمعين على الدين الحق
الى قرب القيمة فاذا جاءت القيمة ارتفع الاختلاف وعلموا ان الدين
الحق هو التوحيد وهذا معنى قريب لكن من جانب اللفظ بعيد وهم من
كل حدب ينسلون من كل مرتفع من الارض يسرعون روى الامام احمد
وابن ابي حاتم انه ع م قال هم صغار العيون عراض الوجوه من كل حدب
ينسلون والمراد بيان كثرتهم واقترب الوعد الحق اي القيمة عطف
على فتحت فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا فتحت اعينهم لا يكاد تطرف
من الهول قوله فاذا جواب اذا لا بقة بانها الفجائية وهي ضمير القصة
والابصار مبتدا او شاخصة خبره والجملة خبر عن ضمير القصة وعند الفراء ان هي
ضمير مبهم يوضحه الابصار ويفسره ياويلنا اي قالوا ياويلنا قيل هذا
جواب اذا فتحت قد كنا في الدنيا في غفلة من هذا اليوم ما علمنا انه حق
بل كنا ظالمين لانفسنا لان الرسل نبهونا فكذبناهم انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم هو ما يحصب ويرمى به في النار وقوله انكم
وما تعبدون مستانفة من قول الله لقريش انتم لها واردون المراد
من هذا الورود الدخول والخلود للقرائن واللام للاختصاص فان تعدية
الورود بعلى وقيل لها خبر وواردون خبر ثان لو كان هؤلاء اي المعبودون
الهة كما تقولون ما وردوها ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وكل
من العابد والمعبود فيها خالدون لهم فيها زفير انين وهم فيها لا يسمعون
قال تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما عن ابن مسعود
اذا بقي المخلدون في النار ادخلوا في تابوت من نار مسمر فظن كل احد
منهم انه بقي في النار وحده ثم قرا وهم فيها لا يسمعون والمراد من المعبودين
من لهم حيوة في الدنيا كفرعون ونمرود او يجعل الله للاصنام في النار حيوة
ولهم الزفير والعذاب او اذا كان العابد وهم كثيرون والمعبود كذلك
في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان كان الزفير لبعضهم وهم العابدون
وبعض من المعبودين وادخال معبود لا حيوة له في النار لمزيد اهانة العابدين
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى مع ان جعلوا معبودين والحسنى الخصلة
المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اولئك عنها عن النار مبعدون

نقل ابن ابی حاتم وابن مردویه عن ابن عباس ان مشركا قال قد عبد عزیر
والمسیح والملائكة فكل منهم مع الهتنا فی النار فاجاب عم انهم عبدوا الشیاطین
ثم نزل ان الذین سبقت لهم الایة استثناء من هولاء المعبودین فعلی هذا
قوله وما تعبدون عام مخصص لا یسمعون حسیسها الحسیس هنا الصوت الذی
یحس من حركة النار خبر ثان لاولئك او حال وهم فیما اشتهت انفسهم
خالدون دائمون فی نعمهم لا یحزنهم الفزع الاكبر اعظم الهول فی القیمة و
وتتلقیهم الملئكة بالرحمة والسلام عند خروجهم من قبورهم او علی ابواب الجنة
قائلین علی سبیل التهنیة هذا یومكم الذی كنتم توعدون للثواب لكم والعقاب
علی اعدائكم یوم نطوی السماء ای اذكر یوم نطوی والطی ضد النشر وقیل یوم
بدل من مفعول توعدون المقدر للموصول كطی السجل للكتاب ای طیا
مثل طی الصحیفة لاجل ما یكتب فیه فان عادة الكتاب انهم یسودون الورقة
ویدخرونها مطویة حتی اذا احتاجوا الیها یجدونها معدة من غیر احتیاج
الی تسویة وفی القاموس ان السجل یطلق علی الكتاب وعلی الكاتب فیمكن
ان یكون معناه كطی الكاتب كتابه اذا تمت كتابته واما ان السجل اسم لكاتب
رسول الله كما فی ابی داود والنسائی فقد حكم النقاد انه موضوع ولیس
فی الصحابة من یسمی بالسجل وقیل السجل ملك یطوی كتب بنی آدم وعلی
هذا زیدت لام الجر للاختصاص كما بدانا اول خلق نعیده اول خلق مفعو[ل]
بدانا ای نعید اول خلق اعادة كبدائتنا له یعنی كما ابرزناه من العدم نعیده
ثانی مرة او خبر عن ان كل شخص یبعث علی هیئته التی خرج بها الی الدنیا كما
ورد فی الحدیث یحشر الناس حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعیده وعدا
علینا انجازه مصدر موكد لمضمون الجملة الخبریة قبله او لنعد مقدرا انا كنا
فاعلین ذلك البتة ولما ذكر ان وعده حق لا تخلف الموعود عنه اعقبه بما هو
دال علی ذلك فقال ولقد كتبنا فی الزبور زبور داود من بعد الذكر من بعد
ما كتبنا وذكرنا فی التورية وقیل الزبور الكتب السماویة والذكر اللوح المحفوظ
ان الارض یرثها عبادی الصالحون ای ارض الكفار یرثها امة محمد عم
او المراد من الارض ارض الجنة والمراد من عبادی المومنون من ای دین
كان ان فی هذا المذكور فی تلك السورة من الاخبار والوعد والوعید والمواعظ

قیل عامل یوم لا یحزنهم او تتلقیهم

هذین الوجهین اللذین ذكرناهما فی توجیه
كما بدانا اولی واحسن مما ذكره الزمخشری
بوجوه فانظر وتامل

لبلاغا

لبلاغا لكفایة او لوصولا الی البغیة لقوم عابدین لله لا للشیطان وما
ارسلناك یا محمد الا رحمة للعالمین للبر والفاجر من الاول والاخر فانه شفیع
لجمیع البشر فی المحشر ورفع ببركته الخسف والمسخ وعذاب الاستیصال او المراد
ان ارساله لیس الا للرحمة لكن من اعرض عنه فحرمانهم من الرحمة من سوء شكیمتهم قل
انما یوحی الی انما الهكم اله واحد لا متعدد یعنی المقصود الاصلی من جمیع
الوحی العلم بالوحدانیة فكانه ما نزل الیه الا هذا فهذا من باب قصر القلب
الادعائی كمن اعتقد قعود زید فتقول له ما زید الا قائم وما فی انما بالفتح كافة لان
علی القصر علی المفهوم من كلام الزمخشری وانما بالكسر دال علی القصر علی المشهو[ر]
ولا یرد علیه ما اورد علیه صاحب البحر فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة
لله سبحانه استفهام یتضمن الامر بالاخلاص والانقیاد فان تولوا عن
الاسلام فقل آذنتكم علی سواء انذرتكم بالعذاب مستوی الاعلام لا اخص
احدا فهو حال من الفاعل او ایذانا علی سواء فهو صفة مفعول مطلق او
مستوین انتم فی اعلامی ایاكم فهو حال من المفعول او مستوین انا وایاكم فی
العلم بالتوحید فهو حال من الفاعل والمفعول والمراد ان اعرضوا فقل اعلمتكم
بما یوحی الی علی سواء قیل معناه اعلمتكم والحال انی علی عدل واستقامة
رأی وان ادری ای ما اعلم اقریب ام بعید ما توعدون من العذاب او القیمة
وهذا مشعر بان الایذان ایذان العذاب لا اعلام للوحی انه یعلم الجهر من القول
ویعلم ما تكتمون لا تفاوت عند الله فی اسراركم الطعن فی الاسلام وجهاركم
فلا تظنوا انی احسبكم مخلصین حین ما تكتمون وما فیما توعدون فاعل الظرف
وبعید علی التنازع والاولی ان ما مصدریة فی ما تكتمون وان ادری ای ما
ادری لعله لعل تاخیر هذا الوعد فتنة اختبار لكم لننظر كیف تعملون او استدراج
لكم ومتاع الی حین تمتیع الی اجل قدره الله وادری معلقة وجملة الترجی
منصب الفعل والكوفیون یجرون لعل مجری هل فكما یقع التعلیق عن هل فكذلك
عن لعل نحو وما یدریك لعل الساعة قریب قل یا محمد رب احكم بالحق
اقض بیننا وبینهم بالعدل امر باستعجال عذابهم به حقیق وفی الدعاء
اظهار العبودیة والرغبة وان كان المدعو امرا محققا نحو ربنا افتح بیننا وبین
قومنا بالحق وقیل معناه احكم بحقهم وربنا الرحمن المستعان المسئول منه المعونة

على ما تصفون فان زعمهم ان راية الاسلام ستنكس عن قريب وتصير
الشوكة لهم فيخيب الله امالهم ويخرب مالهم فقوله ربنا مبتدأ والرحمن صفته
والمستعان خبره والحمد لله على افضاله والصلوة على محمد واله

سورة الحج مكية غير ست ايات هي هذان خصمان الى قوله صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم اى عذابه فى القيمة ان زلزلة الساعة
شئ عظيم هى النفخة الاولى قبيل القيمة المسماة بنفخة الفزع او المراد القيمة فاضافة
المصدر الى فاعله اى شدة تحريكها للاشياء او للارض نحو اذا زلزلت الارض
او من اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع اى زلزال واهوال هى فيها
يعنى الزموا التقوى فانه لا ينفعكم فى هذا اليوم العظيم الا التدرع بلباس التقوى
وعلى بعض المعانى تكون الزلزلة مجازا يوم ترونها اى الزلزلة تذهل الذهول
هو الذهاب عن الشئ مع دهشة وهو الناصب ليوم كل مرضعة المرضع
التى شانها الارضاع والمرضعة التى هى فى حال الارضاع ملقمة ثديها الصبى
عما ارضعت ما اما موصولة وهى الاولى لقوله حملها بالتعدى الى مفعول
لا الى المصدر او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها لشدة ما ترى والذهول
والوضع بيان الواقع ان كان المراد قبيل القيمة والا فتصوير لهوله لانه ليس
فى القيمة مرضعة ولا حامل ولما كان الحامل قد يطلق على المهياة للحمل وعلى
من فى اول الحمل ومباديه لم يقل وتضع كل حامل ليكون على منوال مرضعة
بالتاء وترى الناس سكارى اى كانهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة
او تريهم سكارى من الخمر وما هم بسكارى منه ولكن عذاب الله شديد
فادهش عقولهم او فهم سكارى من الخوف روى ان الايتين نزلتا ليلا فى غزوة
بنى المصطلق فقراهما رسول الله عم فلم ير باكيا اكثر من تلك الليلة فلما اصبحوا
لم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يوقدوا نارا وهم بين حزين وباك
ومفكر رضى الله عنهم اجمعين ولما علم ان الناس قسمان من قوله يا ايها
الناس اتقوا ربكم فقسم هم المتقون ذكر قسيمهم فقال ومن الناس من يجادل
لا تنس ما ذكرنا فى اول سورة البقرة عند قوله ومن الناس من يقول فى الله
فى قدرته وصفات كماله بغير علم ويتبع فى جداله كل شيطان من الجن
او من الجن والانس مريد عار عن كل خير جادل قريش وقالوا اعادة الخلق

بعد ما صاروا

بعد ما صاروا ترابا محال وقالوا اخبرنا عن ربك اعن ذهب او فضة
فصعقت صاعقة فاختطفت قائله كتب قضى وقدر عليه على من يجادل
انه من تولاه فانه الضمائر الثلثة ايضا لمن فانه هو المحدث عنه يضله او
ضمير انه للشان وفاعل تولى ومفعول يضل ضمير من تولاه يعنى هذا
المجادل لكثرة جداله الباطل صار اماما لمن تولاه ويهديه الى عذاب
السعير هذا من باب التهكم وقيل ضمير عليه للشيطان وضمير انه للشان والكون
الاتباع وضمير المفعول للشيطان وكذلك فاعل يضل ثم ان قوله فانه جواب
من الشرطية واذا اخذتها موصولة فهو خبر من اى فشانه انه يضله او فله
ان يضله والظاهر ان جملة انه من تولاه مفعول ما لم يسم فاعله لكتب اسنادا
لفظيا اى كتب عليه هذا الكلام ولا يذهب عن الخبير ان ما ذكرنا فى اعراب الاية
ومعناها واضح من غير اشكال واغلاق ولما حذر الناس من ذلك
اليوم واخبر ان فيهم من يكذب وعرف ماله اقبل اليهم ثانيا رحمة عليهم مستدلا
لهم على وقوعه بدليلين انفسى وافاقى فقال يا ايها الناس ان كنتم فى ريب
من البعث جاء بلفظة ان للدلالة على ان الريب فيه لا ينبغى ان يكون الا
على سبيل الفرض فانا خلقناكم من تراب بخلق ادم منه يعنى فانظروا
فى بدء خلقكم لتعلموا ان من قدر على هذا قدر على ذلك ثم من نطفة اى ثم
خلقنا ذريته من منى ثم من علقة فان النطفة تصير دما غليظا ثم من مضغة
قطعة من لحم قدر ما يمضغ مخلقة مسواة لا نقص فيها وغير مخلقة غير مسواة
يعنى معيوبة ناقصة لنبين لكم كمال قدرتنا على البدايع والحشر فردا منها ونقر
فى الارحام ما نشاء ان نقره فلا نسقطه من الرحم الى اجل مسمى هو وقت
الوضع العادى ثم نخرجكم من الرحم طفلا لم يقل اطفالا لارادة الجنس او المراد
نخرج كل واحد منكم نحو الرجال يشبعهم رغيف منصوب على الحال ثم لتبلغوا
اشدكم اى ثم نبقيكم ونربيكم لتبلغوا كمال قوتكم يعنى لتصيروا شبانا اقوياء
ومنكم من يتوفى قبل الهرم اما فى الطفولية او فى الشباب ومنكم من يرد
الى ارذل العمر الهرم وذلك يختلف باختلاف الاشخاص وليس للهرم
وقت معين عندنا لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اى من بعد ما علم بعض الاشياء
فى حال شبابه شيئا كحال طفوليته فنسيان من بعيد كما بدا وترى الارض هامدة

فتأمل فى الكشاف لتطلع على ما فيه وحققناه والله المستعان
منه

شرع فی دلیل افاقی للبعث یعنی یابسة لا رطوبة فیها کالمیت ولما کان هذا
مشاهدا للابصار بخلاف الدلیل الاول فان بعض مراتب الخلقة فیه غیر
مرئی احال الثانی علی الرویة فاذا انزلنا علیها الماء ای ما کان من مطر
وغیره اهتزت تحرکت والمراد اضطراب بعض اجزائها لاجل خروج
النبات وربت انتفخت وانبتت من کل زوج صنف بهیج رائق حسن
کالمراة فی حال حملها ووضعها ذلک المذکور من خلق بنی آدم واحیاء الارض
بان الله هو الحق بسبب انه سبحانه ثابت موجود موجد قیل تقدیره ذلک هاد
بانه هو الحق وانه یحیی الموتی لانکم تردون کمال قدرته علی الاحیاء ومثله وقد
وعد بالبعث فلا بد من کونه وانه علی کل شیء قدیر لان الدلیل دل علی کمال
قدرته وان الساعة اتیة لاریب فیها للحجة القاطعة وان الله یبعث من
فی القبور والافاین العدل والفضل وجزاء الاعمال ونعم ما قیل العلم بنفس
البعث والجزاء حاصل من العقل المخلوق من غیر احتیاج الی مخبر صادق
ومن الناس من یجادل فی الله بغیر علم ولا هدی ولا کتاب مبین
لیس له علم فطری ولیس له استناد الی دلیل عقلی ولا الی نقلی والظاهر ان
المجادل فی هذه غیر المجادل فی الایة التی قبلها فالاولی للمقلدین فلهذا
قال ویتبع کل شیطان مرید وهذه للمقلدین ولهذا قال لیضل الناس
ثانی عطفه فی الاساس ثنی عنی عطفه اعرض حال من فاعل یجادل
لیضل الناس متعلق بیجادل عن سبیل الله ومن قرأ بفتح الیاء فاللام
لام العاقبة له فی الدنیا خزی مذلة مثل ما لحقه یوم بدر من القتل والاسر
ونذیقه یوم القیمة عذاب الحریق المحرق قیل هو اسم طبقة من طباق
جهنم ذلک اشارة الی الخزی والاذاقة بما قدمت یداک فیه التفات
من الغیبة او تقدیره یقال له ذلک بسبب اجترائک وان الله لیس بظلام
للعبید قیل لما اثبت خزی الدنیا وعذاب الاخرة صار مظنة لان یتوهم
انه ظلم عظیم فعکس الامر وقال لست بظلام کما زعمت وقد اشبعنا الکلام
فیه فی سورة ال عمران ولما ظهر حال الکافر وحال المؤمن المخلصین فی
الکفر والایمان اعقبه بحال المذبذب فقال ومن الناس من یعبد
الله علی حرف علی طرف من الدین لا علی وسط کمن هو علی طرف

وهی قوله ومن الناس من یجادل فی الله بغیر علم ویتبع کل شیطان مرید
منه

من العسکر

من العسکر ان حس بظفر قر والا فر قیل علی انحراف عن العقیدة البیضاء
فان اصابه خیر ما یرضی به اطمان به استقر علی دینه وان اصابته فتنة
ما یکرهه انقلب علی وجهه رجع عن دینه خسر الدنیا والاخرة ذلک ای
خسران الدارین هو الخسران المبین فی البخاری عن ابن عباس ان
من الاعراب من اسلم فان وجد عام غیث ونتجت انعامهم وولدت
امرأتهم غلاما رضوا به والا فارتدوا فنزلت فیهم یدعو من دون الله
ما لا یضره وما لا ینفعه فان اصنامهم جماد لا قدرة لها علی الضر والنفع
ذلک ای عبادة ما لا ضر ولا نفع له هو الضلال البعید عن المقصد یدعو
لمن ضره اقرب من نفعه الضر والنفع المثبتان له لکونه سببا من
الضر المحقق وبمعزل عن النفع المترقب قیل المراد من الاول نفی الضر والنفع
من الاصنام ولهذا جاء بما والمراد من الثانی من یعقل من معبودیهم کفرعون
ونمرود ولهذا جاء بمن التی لذوی العقول فمنهم نفع دنیوی لعابدیهم لکن
ضررهم اعظم واقرب لبئس المولی ای الناصر ولبئس العشیر ای الصحیب
قیل مفعول یدعو الثانیة محذوف ای یعبد الاصنام من ذوی العقول
ثم اخبر ان من ضره اقرب مقول فی شانه لبئس فمن مبتدأ والجملة الدالة
علی الذم خبره وقیل اللام فی لمن زائدة وقرأ ابن مسعود بلا لام فلا اشکال
وقیل اللام معلقة لیدعو لان فی یدعو معنی الزعم وفیه معنی الاعتقاد فیجاز
تعلیقه وقیل یدعو الثانی تکریر وتاکید للاول کانه قال یعبد یعبد من دونه
ما لا یضر وما لا ینفع ثم قال لمن ضره اقرب مقول فیه لبئس والمبتدأ والخبر
مستانفة من الله سبحانه ولما ذکر حال المذبذب وبین حال المتهم
اعقبه بان الله هو القادر علی کل شیء یثیب المخلصین فی الایمان فقال
ان الله یدخل الذین امنوا وعملوا الصالحات جنات تجری من
تحتها الانهار ان الله یفعل ما یرید لا یسال عما یفعل ولما ذم حال من
لا یطمان قلبه فی بعض الاحوال فظن فی شان نفسه انه ربما لا یکون
الرب ناصره لشک فی دینه کما نقل ان بعض الاعراب قالوا لو لم یکن
الذین منصورا لانقطع ما بیننا وبین حلفائنا من یهود فانزل الله تعالی
من کان یظن ان لن ینصره الله فی الدنیا والاخرة بسبب ان لا یکون

الظاهر المتبادر ان ضمیر ینصره راجع الی من
وقال مجاهد یقال ارض منصورة ای ممطورة
منه

دين الاسلام حقا فليمدد بسبب الى السماء فليمدد حبلا الى سماء بيته اى سقفه
او المراد سماء الدنيا ثم ليقطع يختنق سمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه
بحبس مجاريه فلينظر يتامل هل يذهبن كيده ما يغيظ من عدم نصره اياه سمى
اختناقه بحبل كيدا لانه منتهى ما يصل اليه يده وهذا على جهة المثل السائر
قولهم دونك الحبل فاختنق يقال ذلك لمن يريد من الامر ما لا يمكنه وقد صرح
كثير من السلف ان ضمير لن ينصره الى رسول الله فعلى هذا معناه ان الله ناصر
رسوله فمن يتوقع من غيظه خلاف ذلك فليجتهد فى ازالة غيظه بان يفعل
ما يفعل الممتلى غيظا يعنى ليس فى يده الا ما لا يذهب غيظه قيل معناه
فليتوصل الى بلوغ السماء فان النصر لا يكون الا من السماء ثم ليقطع المسافة
بين الارض والسماء فلينظر وقيل معنى فليمدد انه يستحيل باعظم الحيل
ثم ليقطع الحيل فلينظر هل يذهب تحيله فى ايصال نصره ما يغيظه من انتفاء
نصره وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه القران كله ايات بينات
وان الله اى والامر ان الله يهدى من يريد فمن لم يؤمن بتلك الايات
الواضحات فلعدم ارادة الله ايمانه لحكمة اقتضته ولما كان ذلك موجبا
للسؤال عن حال الفريقين المهدى والضال اجاب عن ذلك فقال ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
ان الله يفصل بينهم يوم القيمة اى يقضى بينهم ويجازى كلا ما يليق به ويستحقه
وخبر ان الذين الله يفصل بينهم وان الداخل على الخبر لمزيد التاكيد
وحسن دخولها لطول الفصل قال ابو البقا خبر ان الاولى محذوف اى
يفترقون والمذكور بعده كالتفسير له ان الله على كل شىء شهيد فيعلم ما يليق
بهم ولما ذكر انه هو يقضى بين الخلائق اعقبه بما هو دال على ان الجميع فى خضوع
وانقياد سوى بعض من الانس فقال الم تر ان الله يسجد ينقاد وفسرنا السجود
بالانقياد ليعم الكواكب والجبال له من فى السموات ومن فى الارض لا يبعد
ان يراد بمن كل شىء فيها وجاء بمن لتغليب العقلاء والشمس عبدتها حمير
والقمر عبدته كنانة والنجوم تميم عبد الدبران وقريش ولخم عبد الشعرى وطى
عبد الثريا والجبال والشجر الاصنام المنحوتة بعضها من الجبال وبعضها
من الاشجار والدواب البقر معبود اليهود وكثير من الناس المسلمون

فان انقيادهم

فان انقيادهم اختيارى صورى ومعنوى وكثير حق عليهم العذاب
الكفار فانهم تركوا الانقياد الاختيارى الصورى وهذا الجنس المعنى استثنا
من من فى الارض وعلى ما فسرنا عطف والشمس مع الباقى تخصيص بعد
التعميم لما ذكرنا انهم صاروا معبودين واما من يجوز استعمال لفظ واحد
فى حالة واحدة على معنييه فيحمل السجود على معان مختلفة وفى الصحيحين ان
الشمس والقمر يقعان ساجدين لله حين يغيبان ولا يطلعان حتى يؤذن
لهما ولا يستحيل مسلم سنى ان يكون للجمادات تسبيح وخشوع قيل وكثير من
الناس مبتدا خبره مقدر وهو مثاب بقرينة مقابله وقيل حق عليهم العذاب
خبر للاول وكثير الثانى تكرير ايذانا بان المحقوقين بالعذاب فى غاية الكثرة
ومن يهن الله فما له من مكرم من مبتدا ويهن الله صلته وضمير من مفعوله المقدر
وجملة فما له خبره والفاء لما فيه من معنى الشرط ان الله يفعل ما يشاء فعله
ولما ذكر الفريقين من اهل السعادة واهل الشقاوة ذكر ما دار بينهم من الخصومة
فى الدين فقال هذان خصمان فوجان مختصمان اختصموا الجمع نظرا الى المعنى
فى ربهم فى امر ربهم ودينه نزلت فى حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث بارزوا
مع عتبة وشيبة والوليد يوم بدر كما فى البخارى او فى المسلمين واليهود
قالوا كتابنا ونبينا اسبق وقال المسلمون نحن امنا بجميع الكتب والرسل
وانتم ما كفرتم الا حسدا والاختصام على ما نقل فى الدنيا فالذين كفروا
من المختصمين قطعت لهم ثياب من نار كما يقطع الثياب بقدر القامة فيخيط
وهذا بيان فصل حكومة الكافر المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة
يصب من فوق رؤسهم الحميم عن ابن عباس الماء الحار الذى ان سقطت
نقطة على جبال لاذابتها فقد اجتمع عليهم نار وماء وهو خبر بعد خبر او حال
من لهم يصهر به يذاب بالحميم ما فى بطونهم الامعاء والجلود الجملة حال
من الحميم ولهم مقامع سياط من حديد فى مسند الامام احمد عن رسول
الله انه لو ضرب جبل بمقمع منها لتفتت كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار
من غم بدل اشتمال من منها قيل من الاولى ابتدائية والثانية بمعنى لاجل
اعيدوا فيها بالمقامع والمراد انهم كلما خرجوا من اماكنهم المعدة للتعذيب
ارادة الخروج من النار اعيدوا فى اماكنهم نقل ان لهيبها ترفعهم حتى اذا كادوا

في اعلاها راجعين غذبوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا اعمق عن ملكانوا
وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق فكما يجمع لهم عذاب النار والماء
يجمع لهم العذاب الجسماني والروحاني يعني الاهانة ان الله يدخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار هذا بيان فصل خصومة [المؤمن]
يحلون من حليته اذا جعلت له حليا فيها من اساور جمع سوار من ذهب
بيان لاساور ولؤلؤا بالنصب والجر عطف على محل اساور ولفظها ولباسهم
فيها حرير في مقابلة اهل النار وهدوا الى الطيب من القول مثل قولهم الحمد لله
الذي صدقنا وعده او هدوا الى مكان لا يسمعون فيه الا الكلام الطيب وهو
سلام الملك وتهنيتهم في مقابلة وذوقوا عذاب الحريق وهدوا الى صراط
الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الطريق الى الجنة ولما بين الفريقين
كرر ذكر الفريق الاول لبيان ما يدل على استمرار كفرهم ويؤكد بيان جزائهم
فقال ان الذين كفروا في ماضي الزمان ويصدون عن سبيل الله يوما فيوما
والمضارع قد لا يلاحظ فيه زمان معين نحو فلان يعطي ويمنع عطفه على [الماضي]
ليدل على الاستمرار والمسجد الحرام عطف على لفظ الله او على سبيل الذي
جعلناه للناس لمناسك جميع الناس سواء ثاني مفعولي جعلنا العاكف
المقيم فيه والباد الطاري العاكف مرفوع بسواء واما في قراءة سواء بالرفع
فهو خبر للعاكف مقدم والجملة ثاني مفعولي جعلنا وان جعلت للناس ثاني
مفعوليه فالجملة حالية وخبر ان مقدر هنا هو نذيقهم من عذاب اليم وحذف
لدلالة جواب الشرط الاتي عليه ومن يرد فيه في المسجد الحرام بالحاد بميل عن
القصد ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول والباء للحال كانه [قال]
ومن يرد فيه مرادا حال كونه عادلا عن القصد ظالما او في يرد معنى التلبس
فيتعدى بالباء وقيل الباء زائدة بظلم اي بعمد صفة الحاد والمراد من الالحاد
كل كبيرة وبظلم بدل منه او حال من الحاد على انه مفعول عن بعض منهم
ابن مسعود وقيل الاسناد اليه على شرط البخاري ووقفه عليه اشبه من
رفعه ان من عزم سيئة بمكة وان لم يفعلها اذاقه الله العذاب الاليم وهذا
من خواص مكة نذقه من عذاب اليم جواب لمن يرد وقد كان دور مكة في
الصدر الاول بلا باب لينزل فيه الحاج رضي رب البيت او لم يرض حتى

قوله هنا مشير الى ان لا تقدير في مكان قدره الزمخشري فاعترض عليه بانه فصل بين الصفة والموصوف منه

كثرت

كثرت السرقة فاتخذ شخص بابا للداره فانكر عليه امير المؤمنين عمر بن الخطاب
وقال اتغلق على وجه الحاج وقد قال الله سواء العاكف فيه والباد فقال ارد[ت]
حفظ متاعهم فاتخذ الناس بعده الابواب وهذا مذهب عمر بن الخطاب وابن عباس
وجماعة من السلف انه لا يجوز لرب بيوت مكة منع الحاج عن النزول فيها ولما ذكر
صدهم عن المسجد الحرام وعظم اعقبه بحكاية بانيه الدالة على انه بناه لكل موحد
اراد زيارته فهذا البيت ليس للمشركين فكيف لهم صد الناس عن دخول بيتهم
فقال واذ بوانا لابرهيم مكان البيت واذكر اذ جعلنا لابرهيم مكان
البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه العباد والبيت ما كان حينئذ وقيل لفظ
مكان لتعظيم البيت وقيل معنى بوانا عينا ان لا تشرك بي شيئا ان مصدرية
وصلت بالنهي كما وصلت بالامر اي قائلين ان لا تشرك وطهر بيتي
من الشرك للطائفين حوله والقائمين والركع السجود عبر عن الصلوة
باركانها قيل المراد من القائمين المعتكفون لمشاهدة الكعبة وبالركع السجود
المصلون واذن ناد في الناس بالحج عن كثير من السلف انه قام على الحجر
الذي هو مقامه او على الصفا او على ابي قبيس وقال ان ربكم اتخذ بيتا فحجوه
فاجابه كل شيء من حجر وشجر ومن له الحج مكتوب الى يوم القيمة وهم في اصلاب
ابائهم لبيك اللهم لبيك ياتوك رجالا مشاة جمع راجل وعلى كل ضامر
اي كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر يعني ركبانا حال معطوف على حال
ياتين صفة لضامر وجمعه باعتبار معناه من كل فج عميق طريق بعيد
ليشهدوا ليحضروا منافع الدين والدنيا لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات
عشر ذي الحجة او وثلثة بعده على ما رزقهم من بهيمة الانعام اعني التسمية عند
ذبح الهدايا والضحايا فكلوا منها قد نقل جمع من السلف ان الجاهلية يحرمون
اكلها فعلى هذا الامر للاباحة نحو فاذا تطهرن فاتوهن والامر للاستحباب وعند
الاكثرين لا يجوز الاكل عن الدم الواجب واطعموا البائس الفقير الشديد
الفقر المتعفف والاطعام واجب وظاهر القران وجوب الاكل ايضا
ثم ليقضوا ليزيلوا تفثهم وسخهم بقص الشوارب والاظفار وغير ذلك وعن
ابن عباس التفث المناسك وليوفوا نذورهم ما ينذرونه من اعمال البر
في حجهم او المراد اعمال الحج من وفى بنذره اذا خرج عما وجب عليه مطلقا

ولهذا قال مكان البيت منه

وانما قال ان مفسرة لبوانا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا اي ابنه على اسمي وحدي ففيه بحث لان شرط ان التفسيرية ان تتقدمها جملة في معنى القول وبوانا ليس فيه معنى القول منه

وليطوفوا بالبيت العتيق طواف الافاضة والعتيق القديم قال تعالى ان
اول بيت وضع للناس وقيل العتيق المحرر لم يملك قط موضعه او معتق من
طوفان او الجيد من قولهم عتاق الخيل وعتاق الطير وقيل المراد بيت ما زاره
احد الا هو عتيق من نار ذلك اى الامر ذلك ومثل ذلك يطلق للفصل
بين كلامين ومن يعظم حرمات الله بترك ما نهى الله عنه او بتعظيم بيته
والشهر والبلد الحرام فهو اى التعظيم خير له عند ربه ثوابا ولما ذكر الهدايا والضحايا
ذكر الحرام منها الذى احل قريش وبين الحلال الذى احله الله فقال واحلت
لكم الانعام اى تناولها الا ما يتلى اية تحريمه عليكم فى سورة المائدة
ولما حث على تعظيم حرمات الله وقول الزور اعظم الحرمات اتبعه الامر
باجتناب الاوثان فان الشرك اقبح كل زور فقال فاجتنبوا الرجس من
الاوثان من للبيان واجتنبوا قول الزور الكذب كانه قال اجتنبوا
عبادة الاوثان التى هى راس الزور واجتنبوا قول الزور كله حنفاء لله
مخلصين له غير مشركين به حالان من اجتنبوا وفى الحديث عدلت شهادة
الزور بالشرك بالله ثم قرا هذه الاية ومن يشرك بالله فكانما خر سقط
من السماء فتخطفه الطير تسلبه فتفرق قطعا فى حواصلها او تهوى به الريح
فى مكان سحيق يعنى عصفت به الريح حتى هوت به فى مكان بعيد اى
مهلكة او للتخيير او للتنويع فالاول المشرك يموت على شركه والثانى لمن
يمكن خلاصه من الشرك بان يومن لكن على بعد فانه لا يومن من الالف
الا واحد ذلك اى الامر ذلك ومن يعظم شعائر الله البدن والهدى
وتعظيمها استسمانها والمغالاة فيها فانها الضمير للشعائر باعتبار تعظيمها
من تقوى القلوب اى ناش من تقوى قلوبهم فحرف التعريف عوض عن
المضاف اليه اضاف التقوى الى القلوب كما قال عم التقوى ههنا واشار
الى صدره لكم فيها فى الشعائر منافع درها وصوفها وظهرها الى اجل مسمى
هو نحرها هكذا قاله السلف وعن ابن عباس هو تسميتها وجعلها هديا فلما
سميها هديا فليس له شئ من ما ذكرنا من منافعها ثم محلها منحرها الى البيت
العتيق اى الحرم كله يعنى وجوب نحرها عنده ولكل امة اهل دين جعلنا
منسكا قال الفراء عيدا والمراد ان اراقة الدما مشروعة فى جميع الملل وفى

تامل قول الزمخشرى فى الكشاف حتى تعرف متانة قول الشارح ان كنت ذا نشت منصفا مهه

اى وقت نحرها منتهية الى ما يلى البيت

البحر

البحر قياس ما مفعل مما مضارعه يفعل بضم العين مفعل بفتحها فى المصدر
والزمان والمكان وقال الازهرى المنسك بكسر السين لغة قبيلة ليذكروا
اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعنى المقصود من المناسك خلوص
العبادة لله فالهكم اى الهكم جميع اله واحد فله اسلموا انقادوا له لا لغيره
وبشر المخبتين الخاشعين الراضين بقضائه وناسب من اتصف بالاخبات
بتبشيره هنا لان افعال الحج من نزع الثياب ولبس مثل الكفن وكشف الراس
والتردد الى المواضع الغبرة والتلبس بالمشاق التى لا يعلم حكمتها الا الله مؤذن
بالتواضع التام والاستسلام الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين
على ما اصابهم والمقيمى الصلوة ومما رزقناهم ينفقون تجددا نفاقهم فى جهات
الخير والبدن جمع بدنة وهى الابل وانتصابه على شريطة التفسير من جعلناها
لكم من شعائر الله من اعلام دينه لكم فيها خير منافع الدارين فاذكروا اسم الله
عليها على نحرها صواف عن ابن عباس وغيره قائمات على ثلث قوائم
معقولة يدها او رجلها اليسرى فاذا وجبت سقطت جنوبها على الارض
اى ذبحتموها فكلوا منها الظاهر الوجوب الا ان يقال فى الجاهلية حرام
واطعموا القانع والمعتر قنع فهو سائل وقنع قناعة تعفف واستغنى ببلغة
وقال ابن عيينة عره واعتره وعراه واعتراه اتاه طالبا لمعروفه كذلك
مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظم جثتها وترى صغيرة الجثة
وانت خائف عن تدانيها لعلكم تشكرون انعامنا لن ينال الله لحومها ولا
دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اى لن يصل اليه شئ منها ولكن يصل اليه النية
والاخلاص وهى المتقبل منكم ونجزى عليها عن ابن عباس اراد المؤمنون
فعل المشركين من الذبح وتشريح اللحم منصوبا حول الكعبة ونضح حواليها بالدم
فنزلت منعا لهم كذلك سخرها لكم كرر التسخير تذكير النعمة وتعليلا له بقوله
لتكبروا الله لتعظموه على ما هداكم اى على هدايته لاعلام دينه ومناسك
حجه بان تهللوا وتكبروا وضمن التكبير معنى الشكر فعداه بعلى وبشر المحسنين
امره اولا بان يبشر المتضرعين المتواضعين وثانيا بان يبشر من احسن
الى غيره فان فى اعمال الحج النفع اللازم والمتعدى ولما ذكر اعمال الحج وكان
المشركون يوذون المؤمنين سيما فى اوقات الحج بشرهم بدفع الكافرين

قاله الاكثرون وهو على مقتضى اللغة ويدل عليه قوله صواف وقوله وجبت جنوبها واما التفسير بالابل والبقر فهو على خلاف اللغة مهه

عنهم فقال ان الله يدافع يبالغ فی دفعه غائلة المشرکین عن الذین آمنوا ان
الله لا یحب کل خوان فی الامانة کفور لنعمته والمشرکون هم الخائنون الکفور
لانهم متقربون بذبحهم الی غیر الله ویقولون لبیک لا شریک لک الا
شریکا هو لک واسکنوا بیت الله شرکه بزعمهم اذن رخص فی القتال
للذین یقاتلون ای یریدون القتال قیل سماهم مقاتلین باعتبار المال
وقرآءة صیغة المجهول معناها یقاتلهم المشرکون تظلم المسلمون الی رسول
الله من اذی المشرکین فنزل رخصتهم فی القتال معهم حین رای رسول
الله القتال بانهم ظلموا ای بسبب ان المسلمین مظلومون وهی اول ایة
نزلت فی الجهاد حین هاجروا الی المدینة کذا ذکره المفسرون وهو المنقول
عن ابن عباس وعروة ومجاهد وقتادة وغیرهم وروی الترمذی والنسائی
عن سفیان الثوری وفیه اشکال لما قال المفسرون ان سورة الحج مکیة الا ست
ایات وهی من قوله هذان خصمان الی صراط الحمید قال الشیخ عماد الدین
ابن کثیر استدل بعضهم بهذه الایة علی ان السورة مدنیة وهو قول مجاهد
والضحاک وقتادة وغیر واحد وان الله علی نصرهم لقدیر هذا وعد
بالنصر وقیل معناه انه لقادر علی النصر من غیر قتال لکن صلاح المسلمین فی
القتال الذین اخرجوا صفة للذین او بدل او بتقدیر اعنی او هم من
دیارهم مکة بغیر حق موجب استحقوا الاخراج الا ان یقولوا ربنا الله
سوی التوحید الذی هو موجب للتعظیم والتمکین فالاستثناء صفة حق
لا بدل کانه قال الذین اخرجوا بغیر موجب سوی التوحید وهذا من باب
ولا عیب فیهم غیر ان سیوفهم بهن فلول من قراع الکتائب قال تعالی هل تنقمون
منا الا ان امنا وقیل الاولی ان یکون الاستثناء منقطعا ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض بالجهاد واقامة الحدود لهدمت صوامع هی لزهاد النصاری
وبیع کنائس النصاری وصلوات مواضع صلوات الیهود وسمیت بالصلوات
لان الیهود لا یصلون الا فیها ومساجد للمسلمین یذکر فیها اسم الله کثیرا
صفة للمساجد خصت بها تفضیلا وقیل الجملة صفة للاربع والمراد لولا لهدم
فی زمن موسی وعیسی ومحمد علیهم السلام مواضع عبادتهم باستیلاء اعدائهم
ولینصرن الله من ینصره من ینصر دین الله ان الله لقوی علی خلقه

المبالغة مستفادة من باب المفاعلة
حیث لا یمکن حمله علی ان الدفع من
الجانبین منه

لانه یصیر الترکیب حینئذ بغیر الا ان
یقولوا وهذا لا یصح بوجه فالوجه ما
ذکرناه من انه صفة منه

عزیز

عزیز لا یغلبه غالب الذین ان مکناهم فی الارض نصرناهم فتمکنوا من
البلدان واعراب هذا کاعراب الذین اخرجوا اقاموا الصلوة واتوا الزکوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنکر ولله عاقبة الامور مرجع الامور الی حکمه
وفیه تاکید لما وعد من النصرة وان یکذبوک فیها تسلیة لرسول الله عم
ووعید شدید لقریش فقد کذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهیم
وقوم لوط واصحاب مدین ای کل من هذه الاقوام کذبوا رسولهم فلا تغتم
فانک لست باوحدی فی التکذیب فان هذا شیمتهم الخبیثة وکذب موسی
مع ظهور معجزاته وقال کذب بصیغة المجهول لان قومه ما کذبوه وانما کذبه القبط
فاملیت امهلت واخرت العذاب للکافرین الذین کذبوا رسلنا ثم اخذتهم
والاخذ کنایة عن العقاب فکیف کان نکیر انکاری علیهم بتبدیل منحتهم
محنة وعمارتهم خرابا وحیوتهم هلاکا فکاین من قریة اهلکناها ای اهلکنا کثیرا
من القری باهلاک اهلها فکاین منصوب بشریطة التفسیر او کاین مبتدا
واهلکنا خبره وجملة فکاین بدل من فکیف کان ولهذا جاء بالفاء وهی ظالمة
یعنی باعتبار اهلها اجمعین کان حیطانها وجدرانها ظالمة الواو للحال
فهی خاویة ساقطة علی عروشها علی سقوفها یعنی خرت سقوفها ثم سقطت
حیطانها فوق السقوف او خالیة مع سلامة عروشها وقیل هذا هو الاولی
لیناسب قوله وبئر معطلة وقصر مشید وعلی الوجهین جملة فهی خاویة عطف
علی اهلکناها ولیس بعطف علی وهی ظالمة فان اهلاکها لیست فی حال
خوائها وعلی الوجه الاول من اعراب وکاین لا محل للجملة من الاعراب وعلی
الوجه الثانی خبر لانه معطوف علی الخبر وبئر معطلة وکم من بئر عامرة
متروکة لا یستقی منها اهلکنا ملاکها وقصر مشید رفیع او مجصص محکم
اهلکنا اهلها افلم یسیروا فی الارض حث علی السفر والتفکر فی نقم ما حل بالامم
الماضیة المکذبة او انهم سافروا او شاهدوا ولکن لم یعتبروا فجعلوا کان لم یسافروا
فتکون لهم قلوب یعقلون بها ما یجب ان یعقل کالایمان او اذان یسمعون
بها ما یجب ان یسمع کالتذکیر واسناد العقل الی القلب دال علی انه محله
ولا یبعد ان یکون للدماغ اتصال بالقلب اذا فسد الدماغ فسد العقل
فانها الضمیر للقصة لا تعمی الابصار ای لیس الخلل بمشاعرهم ولکن تعمی

القلوب التي في الصدور اي انما العمى بقلوبهم وذكر الصدور للتاكيد ونفي
التجوز لان المتعارف من العمى عمى البصر واستعماله في القلب غير متعارف
فلما اسند الى غير المتعارف احتيج الى فضل تعريف حتى يعلم انه ليس بسهو
ويستعجلونك بالعذاب ولولا عمى قلوبهم وزوال عقولهم لما استعجلوا به
وليس ذلك الا سخرية وتكذيبا من عدم بصارتهم ولن يخلف الله وعده
بنجزه ولو بعد حين وفيه دليل على ان الخلف في كلام الله لا يمكن ولا يكون
وعدا او وعيدا والوعيد خاص والوعد يطلق على الوعيد مثل ما في هذه الاية
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون هذا بيان لسبب تاخير
عذابهم يعني الايام المتطاولة عندكم كيوم واحد عند الله وهو قادر حليم
لا يفوته شيء بالتاخير او المراد كيف يستعجلون وان يوما من ايام الاخرة
الذي فيه عذابهم كالف سنة من الدنيا او ان يوما من العذاب لشدته
كالف سنة فان زمان الترحة مستطالة وايام الفرحة مستقصرة وكاين
من قرية امليت لها كما امهلت قريشا وهي ظالمة مثل قريش ثم اخذتها
بالعذاب بعد مدة ربما تكون عندكم متطاولة والي المصير فاجازيهم
فلا يفرح قريش بتاخير عذابهم فانه معد لهم لا بد منه ان اصروا فتكرير تلك
الاية لافادة جديدة فان هذه دالة على ان الله امهل قريشا حتى استعجلوا
بالعذاب فيمهلهم بعد وان استحقوا العذاب لا كالكثير من الامم السالفة
قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين منذر من عذاب الله لا مرسل
بالعذاب فلا معنى للاستعجال مني فان استعجلتم فاستعجلوا من المرسل
لا من الرسول ذكر النذارة دون البشارة وان كان التقسيم بعدها
يقتضيهما لان الحديث مسوق للمشركين وانما ذكر المومنين بالغايات
ليغاظ المشركون وليحرضهم على الميل الى نيل تلك الدرجة الجليلة فالذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة عما فرط عنهم ورزق كريم هو الجنة
ونعيمها والذين سعوا في اياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين
بزعمهم ظانين انهم يسبقوننا فلا نقدر عليهم او سابقين على من يسعى في
تحقيق اياتنا واتباعها اولئك اصحاب الجحيم غير منفكين عنها وما ارسلنا
من قبلك هذه الاية مسوقة ثانيا باعتبار من مضى من الرسل والانبياء من رسول

هو من ياتيه

هو من ياتيه الملك بالوحي والنبي هو اعم فانه يطلق على الرسول وعلى من ينبه
الوحي بالهام او بمنام وخص هنا للمقابلة الا اذا تمنى اشتهى شيئا كحرصهم
مثلا على ايمان قومهم واعلاء كلمة الله القى الشيطان في امنيته فيراغمه
كالسامري لموسى وكنضر بن الحارث لنبينا عم يلقي لقريش والوافدين عليهم
شبها تثبطهم عن الدين الحنيفي البيضاء ونسب الى الشيطان فانه هو المغوي
وقيل الشيطان هنا مطلق على الانس ايضا ولم يقل اذا تمنيا لان كل رسول
نبي وذلك على سبيل الاستخدام هنا او للاختصار فان اصله من رسول الا
اذا تمنى فحذف لدلالة الثاني عليه فينسخ الله يزيل ويبطل ما يلقي الشيطان
ما موصولة ثم يحكم الله اياته يثبتها خالصة عن شبه الشيطان قيل معنى
تمنى قرا وتلا كما قال الشاعر تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود الزبور
على رسل القى الشيطان في مقروه ما ليس من الله وذكر المفسرون قصة
الغرانيق بروايات مرسلة او منقطعة الا رواية واحدة عن ابن عباس
فانها كما قال الشيخ الناقد ابن كثير متصلة وقد بالغ كثير من العلماء في انكارها
والطعن في رواتها حتى قيل انها من وضع الزنادقة والقصة كما روى ابن
ابي حاتم وابن جرير والبزار والبيهقي في كتاب دلائل النبوة انه تمنى عليه السلام
ما يقرب بينه وبين قومه رجاء لاسلامهم وكان يوما في محضر قريش اذ انزلت
سورة والنجم فاخذ يقراها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في
قرائته فسبق لسانه سهوا او تكلم الشيطان فحسب ان القاري رسول الله ام
او نام نومة فالقى الشيطان على لسان رسول الله تلك الغرانيق العلى وان
شفاعتهن لترتجى فلما وصلت القراءة الى السجدة سجد وسجد من في النادي
من مسلم ومشرك وفرح المشركون فاتاه جبريل وقال ماذا صنعت لقد تلوت
ما لم اتلك به عن الله فحزن شديدا وخاف خوفا فعزاه الله بتلك
الاية انك لست باوحدي بل هذا منا ابتلاء لمزيد المنافقين شكا والمومنين
يقينا وحقا فاخبر عليه السلام ان تلك الكلمة من مكر الشيطان والله
عليم حكيم في جميع افعاله ليجعل اي مكنا الشيطان منه ليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة ضلالة للذين في قلوبهم مرض النفاق والقاسية
قلوبهم اي المشركين فانهم لما سمعوا نسخ قول الشيطان ازدادوا كفرا

وغيظا وظنوا انه منه عما قال وان الظالمين من وضع المظهر مقام المضمر
لفي شقاق اي في شق غير شق الصلاح بعيد عن الصلاح غير مرجو رجعتهم اليه
وليعلم عطف على ليجعل الذين اوتوا العلم هم المسلمون انه الحق اي
ما اوحينا اليك هو الحق الصدق من ربك حال او خبر بعد خبر فيؤمنوا به
بالقران اي فيتجدد ويزيد ايمانهم فان العلماء لما رأوا اعراضه عما تكلم به ولم يعبأ
ببيان خطائه ولم يبال بمزيد عداوة اعدائه مع كثرة حرصه ليؤمنوا علموا
حقية القران وعلموا ان الشيطان دخل في امنيته فنسخه الله وعصم نبيه
وكتابه فزاد يقينهم قيل ضميره الى تمكين الشيطان من الالقاء فانه جرت عادة
الله من قبل على ذلك ولا يبعد ان يكون المراد من الذين اوتوا العلم
علماء اليهود والنصارى وعلى هذا فيؤمنوا به على ظاهره فتخبت له تخشع
قلوبهم وتطمئن وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم في الدنيا
الى الاسلام وفي الدين الى الجنة ودرجاتها ولا يزال الذين كفروا في مرية منه
شك من القران حتى تاتيهم الساعة القيمة ومن مات فقد قامت قيامته
بغتة فجأة او ياتيهم عذاب يوم عقيم مثل يوم بدر يقال ريح عقيم اذا لم تنشر
مطرا ولم تلقح شجرا وقيل يوم الحرب عقيم لانه تقتل فيه اولاد النساء فكانهن
عقيم الملك يومئذ اي يوم اذ تاتيهم الساعة لله من غير منازع بحسب
الظاهر ايضا يحكم بينهم المومنين والكافرين فالذين امنوا وعملوا الصالحات
في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين
الفاء في خبر الثاني دون الاول موذن بان العقاب مسبب من اعمالهم
لكن الاثابة فضل وعطاء منه سبحانه ولما حكم بين المومن والكافر عقبه ببيان
حكم الشهيد ومن مات حتف انفه من المومنين الكاملين فقال والذين
هاجروا في سبيل الله اي هجرتهم لطلب رضى ربهم ثم قتلوا في الهجرة او ماتوا
حتف انفه ليرزقنهم الله رزقا حسنا هم عند الله احياء يرزقون قدم
من كبار الصحابة احد على قبرين احدهما مقتول والاخر متوفى في فراشه
فقال لا ابالي من اي حفرتيهما بعثت اسمعوا كتاب الله وقرأ تلك الاية
وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ومما تشتهي الانفس
ومما لا تراه العيون والرازق بحسب الظاهر متعدد فهو كاحسن الخالقين

ليدخلنهم

ليدخلنهم مدخلا يرضونه لا يبغون عنها حولا لما ذكر الرزق ذكر المسكن الذي
فيه الرزق وان الله لعليم بالاحوال حليم لا يعاجل ولما ذكر ثواب من هاجر
اخبر بانه ينصرهم في الدنيا فقال ذلك اي الامر ذلك ومن عاقب بمثل
ما عوقب به ولم يزد على مثله لاطاعة ربه وهذا النحو جزاء سيئة سيئة مثلها
للازدواج ثم بغي عليه بمزيد العقوبة لينصرنه الله فانه مظلوم كما وقع ذلك
في رهط من المسلمين لقوا جمعا من المشركين في شهر محرم فناشدهم المسلمون
الا يقاتلوا فابوا وقاتلوا ولم يعظموا حرمات الله وبغوا فنصر الله المسلمين
ان الله لعفو للمنتصر غفور ان زاد في الجزاء ذلك النصر بان الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل قد مر معناه في اوائل ال عمران
يعني النصر بسبب قدرته التامة على تقليب الامور وتغليبها قيل السبب انه خالق
الملوين ومتصرف فيهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من خير وشر
وان الله سميع بصير فيجازي بما يسمع ويبصر ذلك القدرة التامة والعلم
المحيط بان الله هو الحق الثابت الهيته وان ما يدعون من دونه هو الباطل
وان الله هو العلي الكبير ومن كان له شريك فليس له العلو المطلق ولا هو اكبر
شانا فكيف كان كمال القدرة ثابتا له ولما ذكر ما دل على القدرة التامة الظاهرة
اتبعه بمثلها في انه مشاهد عام فقال الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح
الارض مخضرة العدول الى المضارع للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد
زمان ولا يجوز نصب فتصبح لوجهين الاول لزوم خلاف المقصود لانك
اذا قلت الم تاتنا فتحدثنا فالمراد ان الاتيان منتف فكذا الحديث او هو ثابت
والحديث منتف وكلا الوجهين في الاية خلاف المقصود والثاني اذا كان
هو الجواب فلا بد من السببية والروية ليست بسبب للاخضرار بل المطر سبب
بل هذا الاستفهام بمعنى الخبر يعني قد رايت فلا يطلب جوابا ان الله لطيف
بعباده خبير بالتدابير له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني لانه
هو مالك كل شيء الحميد لانه هو الموصوف بجميع صفات الكمال الم تر ان الله
سخر لكم ما في الارض فيمكن لكم الانتفاع منه والفلك اي السفن عطف على ما
تجري في البحر بامره جملة حالية ويمسك السماء من ان تقع على الارض
الا باذنه بمشيته قيل ان تقع بدل اشتمال اي يمسك وقوعها وقيل مفعول له

فان العقاب جزاء من عقب فعل فسمى الاضرار الواقع ابتداء عقابا للازدواج

اى كراهة ان تقع فيه ايذان الى ان الوقوع ممكن بل واقع ان الله بالناس
اى بجميعهم لرؤف رحيم حيث اثبت لهم المنافع ودفع عنهم المضار وهو الذى
احياكم بعد ما كنتم ترابا ونطفة ثم يميتكم ثم يحييكم من القبر ان الانسان اى الجنس
لكفور جحود لنعم ربه ولما ذكر ان الانسان لكفور عقبه بما يدل على كفرانه فقال لكل امة
جماعة كثيرة جعلنا منسكا قدرنا طريقة هم ناسكوه هم فاعلوها البتة بحكم القدر
فلا ينازعنك فى الامر فلا تؤثر منازعتهم فيك ولا يصرفنك عما انت عليه
من الحق فيكون من نازعه فنزعه اذا غلبه قيل نزلت حين جادلوهم وقالوا
ما لكم تاكلون ما تقتلونه ولا تاكلون ما قتله الله اى الميتة وادع الناس الى ربك
الى عبادته انك لعلى هدى مستقيم فهم على طريق معوج غير موصل الى المقصود
قال تعالى فلذلك فادع واستقم كما امرت الى الله مرجعكم وان جادلوك
لجاجا مع انك لا تلتفت الى نزاعهم فقل الله اعلم بما تعملون هو اعلم بما تفيضون فيه
وهذه اية موادعة نسختها اية السيف الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه
تختلفون هذا خطاب من الله لرسوله وللمؤمنين دليل او من تتمة ما يؤمر بان يقول
لهم اى قل الله يفصل بين الكافرين والمؤمنين فيعرفون حينئذ الحق من الباطل
الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض فلا يخفى عليه شئ ان ذلك اى ما فيهما
فى كتاب مسطور فى اللوح المحفوظ ان ذلك اثباته وحفظه فى كتاب
على الله يسير فلا يهمنك جدالهم فانا قدرناه وهو بمرأى منا ويعبدون
من دون الله دليل اخر على كفرانهم ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم
ما لا برهان سماوى ولا دليل عقلى على عبادته وما للظالمين الذين وضعوا
عبادة مخلوق موضع عبادة خالقه من نصير ينصرهم من نكال ربهم واذا
تتلى عليهم دليل ثالث على الكفران اياتنا بينات ظاهرات الدلالة على الملة
الحقة تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر اى الانكار نحو مكرم بمعنى اكرام
اذا كان المراد من ضمير عليهم الامة العامة فالامر واضح واذا كان المراد منهم
المشركين فقوله الذين كفروا من وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل بالانكار
والكراهة لكفرهم يكادون يسطون اى يبطشون ويقهرون بالذين يتلون
عليهم اياتنا قل يا محمد افانبئكم بشر من ذلكم اى من غيظكم على التالين النار
كانه قيل ما هو قال النار اى هو النار وعدها الله الذين كفروا جملة

استينافية

استينافية والذين كفروا مفعول اول والضمير هو الثانى نحو وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار نار جهنم او هو مفعول ثان اى وعد النار الكفار اى ان
يطعمها اياهم الا ترى الى قولها هل من مزيد وبئس المصير النار يا ايها الناس
ضرب مثل قصة مستغربة كالمثل السائر اى بين شبها لكم ولما تعبدون من
دون الله فاستمعوا له للمثل سماع انتفاع ان الذين تدعون اى تدعونهم
من دون الله اى الاصنام وهذا مثل لاى شئ يعبد غير الله من ذوى العقول
ايضا لن يخلقوا ذبابا لن يقدروا على خلقه ولو اجتمعوا له اى على كل حال ولو
فى حال اجتماع جميع الهتكم لخلقه فالواو للعطف على حال مقدرة كما بيناه وضمير له
لمصدر يخلقوا وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه يعنى دع امر
الخلق فانهم اعجز لانهم لا يقدرون على استنقاذ ما اختطف الذباب
عنهم ضعف الطالب والمطلوب عن ابن عباس الصنم والذباب وعنه كانوا
يطلون اصنامهم بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب
فيدخل الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره ما عظموه وما عرفوه
حق عظمته ومعرفته حيث اشركوا بالله شيئا لا يقاوم اضعف مخلوقات الله
ان الله لقوى قادر على كل ما اراد عزيز لا يغلبه شئ ولما اثبت وحدانيته وعدم
الشركة فى الوهيته شرع يثبت ان فى الملك والبشر رسلا لا الملك بنات
الله ولا البشر غير مستحقين للرسالة فقال الله يصطفى يختار من الملئكة رسلا
ومن الناس يبلغون رسالات الله فعظموهم لتعظيم الله اياهم ان الله سميع
بصير مدرك للجزئيات يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم عالم بواقع الاشياء
ومترقبها والى الله ترجع الامور فانه خالقها ومالكها فالله اعلم حيث يجعل
رسالاته ولما اثبت ان ليس للرب شريك ولا ولد وان الرسول ثابت
امر عباده بعبادته فقال يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اى صلوا
واعبدوا ربكم كالحج والجهاد وافعلوا الخير امرهم اولا بخاص ثم بعام ثم باعم
فان فعل الخير اعم من العبادة لعلكم تفلحون اى افعلوا كل ذلك راجين من
فضل الله لا متكلين واثقين على اعمالكم وجاهدوا فى الله اى فى سبيله حق
جهاده اى استفرغوا جهدكم وطوقكم فى ذلك واضاف الجهاد اليه تعالى لانه
مفعول لوجه الله هو اجتباكم الله اختاركم من بين الامم كما اختار نبيكم من بين

الانبياء وما جعل عليكم في الدين من حرج ما كلفكم ما لا تطيقون فاعبدوا ربكم
منشرحي الصدور وفي الصحيحين بعثت بالحنيفية السمحة ملة ابيكم ابرهيم اعني بالدين
ملة ابرهيم فانه جد نبينا واكثر العرب من ذريته وهذا من باب التهييج فان اكثر
القلوب راغب في اتباع اباءه سيما قريش فانهم يدعون انهم على دين ابرهيم
مفتخرين بذلك ونصب ملة بمحذوف اي اتبعوا ملة ابرهيم فانه هو الناهي
عن الشرك ومعروف بانه كاسر الاصنام هو اي الله وهذا قول ابن عباس
وكثير من السلف سماكم المسلمين من قبل اي بهذا الاسم الجميل الله سماكم في
الكتب المتقدمة وفي هذا اي وفي القران وفي الشواذ الله سماكم بدل هو سماكم وقيل
الضمير لابرهيم فانه دعا بدعوة الله التي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله
الضمير لابرهيم فانه ظاهر عبارة القران هو سماكم بالمسلمين من قبل دين محمد
وفي القران لا لان في القران بيان تسميته اياكم بهذا حيث حكى الله فيه مقالته
ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس يعني انه فضلكم على
الامم وسماكم بهذا الاسم الجميل اولا واخرا ليكون الرسول شهيدا على انه بلغكم
واطعتم وتكونوا شهداء على الامم بان الرسل قد بلغتهم ولعصمة الرسول تقبل
شهادته لنفسه واذ قد خصكم بتلك الكرامة العظيمة انكم شهداء الرسل فاقيموا
الصلوة فانه صلة بينكم وبين ربكم واتوا الزكوة فانه صلة بينكم وبين عباد الله
واعتصموا بالله وثقوا به لا بغيره هو موليكم فنعم المولى هو ونعم النصير
هو لانه لا مولى ولا نصير سواه ولله الحمد والمنة في الاولى والاخرى

سورة المؤمنين مكية آيها مائة وتسع عشرة وعند الكوفيين ثماني عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون اي ظفر بالمراد وفاز من افلح اذا دخل
في الفلاح نحو اصبح الذين هم في صلوتهم خاشعون خائفون متضرعون
لا يلتفتون الى اليمين والشمال لتشغل قلوبهم والاصح انه من فرائض الصلوة
وهو اول علم يرفع من الناس كذا نقله عبادة بن الصامت والذين هم عن
اللغو معرضون فسر كثير من السلف اللغو بالشرك والظاهر ان المراد ما لا يعنيه
من قول وفعل وفكر والذين هم للزكوة فاعلون والاصح ان اصل الزكوة
فرضت في مكة واما نصابها وقدرها ومصرفها فرض في المدينة وقيل المراد
تطهير النفس عن الرذائل نحو قد افلح من زكاها وهي اسم مشترك بين المعنى

فانه دعا بقوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك منه

يعني ان التعقيب بالقاء شعر بالعلية لان الاوصاف مناسبة للحكم وهذا شعر بترجيح القول بان الضمير لله لا لابرهيم منه

وهو الزكية

وهو التزكية والعين وهو قدر ما يخرج للفقير فان اريد الثاني فتقديره لاداء الزكوة
فاعلون وقيل العين المخرج لا يسمى زكوة فالتعبير بالفعل عن اخراجه اولى منه
بالاداء فلا يرد ما اورده من لا ذوق عنده من العربية ان مؤدون هو الفصيح
لا فاعلون وفي اشعار الفصحاء الفاعلون للزكوات ولا يبعد ان يكون فاعلون
موذنا بان هذا شغلهم ليسوا بتاركين كما قالوا في اعملوا ال داود شكرا والذين
هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم حافظون لها من ان
يقعن الا عليها او في حافظون تضمين ممسكون فانه متعد بعلى نحو امسك عليك
زوجك وهذا خاص بالرجال بلا خلاف فانهم غير ملومين فمن ابتغى
وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان وفيه
مبالغة عظيمة حيث رتب العدوان على طلب غير ذلك واذا كان هذا حال
طالبه فكيف حال مرتكبه وصيغة الجمع لمعنى من والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون اذا ائتمنوا لم يخونوا واذا عاهدوا وفوا والذين هم على صلوتهم يحافظون
يواظبون لا يتركونها والعدول الى المضارع لما في الصلوة من التجدد الدائمي
اولئك الجامعون لتلك الصفات هم الوارثون اي هم احقاء بان يسموا
وراثا ثم فخم ارثهم فقال الذين يرثون الفردوس وهي اعلى الجنة ومنها تتفجر
الانهار كما في الصحيحين قال كثير من السلف المراد انهم يرثون من الكفار منازلهم
من الجنة وفي الحديث الذي روى ابن ابي حاتم وغيره ما منكم الا وله منزلان
منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله
فذلك قول الله اولئك هم الوارثون هم فيها خالدون ولما ذكر ان المتصفين
بتلك الاوصاف الجميلة هم وارثون للفردوس فتضمن ذلك المعاد الاخروي
ذكر النشاة الاولى ليستدل بها على صحة النشاة الاخرى فقال ولقد خلقنا
الانسان اي جنسه من سلالة خلاصة سلت من الظهر وهي المني من طين
من في الموضعين ابتدائية اي ناشئة تلك السلالة من طين فان ادم منه
ثم جعلناه اي السلالة التي هي المني او الانسان نطفة بان خلقنا منها وقيل
المراد من الانسان آدم اي خلقنا ادم من خلاصة منسلة من طين وعلى
هذا ضمير جعلناه للانسان بحذف مضاف اي نسل الانسان الذي هو
ادم في قرار مستقر مكين هو الرحم ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة

كما في قول امية بن ابي الصلت منه

لم يقل من ملكت لانه اجراهن مجرى غير العقلاء ومن الاناث بلا اتفاق منه

مضغة قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما ثم
انشأناه خلقا آخر مباينا مباينة بعيدة للخلق الاول فانه كان جمادا ثم صار
حيوانا سميعا بصيرا وثم هنا وفي الاوليين لكثرة تفاوت الخلقين فتبارك
الله اي تعالى شانه احسن الخالقين تبارك فعل ماض لا يتصرف واحسن
افعل التفضيل صفة الله عند من يقول اذا اضيف افعل الى معرفة فاضافتها
محضة وعند من يقول اضافتها غير محضة فاحسن بدل من الله او تقديره
هو احسن واثبات الخلق لغيره بحسب رأي العين لا بالحقيقة فان الله
خلق كل شيء ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد ذلك الانشاء صائرون
البتة الى الموت ثم انكم يوم القيمة تبعثون للجزاء نبه على عظيم قدرته
بالاختراع ثم بالاعدام ثم بالايجاد وقد بالغ في اثبات الموت اكثر من البعث
مع ان الموت لا ينكره احد تنبيها على ان الموت هو الذي يليق بان لا ينساه
ولا يغفل عن ترقبه فمن ترقبه ويكون بين عينيه فلا يعمل عمل مخلد ولا يحسب
ان ماله اخلده ومن كان كذلك تحقق عنده دار البقاء فلا حاجة الى
تاكيد في اثباته فلهذا قيل العلم بالبعث من العقل عند من اعتقد ان الله
لا يظلم مثقال ذرة لكن اكثر الخلق عاملون عمل الخالدين في الدنيا فالمناسب
في اثبات الموت مزيد التاكيد كما يقال للغافل ان بني عمك فيهم رماح
ولما اثبت ابتداء خلق الانسان للاستدلال على صحة الاعادة اعقبه بما
دل اولا على كمال قدرته وثانيا على ما يشبه الاعادة فقال ولقد خلقنا
فوقكم سبع طرائق سمي السموات طرائق لان كل شيء فوقه مثله فهو طريقة
يقال طارق بين ثوبين لبس احدهما فوق الآخر وقيل من طرقت
الشيء بمعنى بسطته وما كنا عن الخلق غافلين وما غفلنا حين خلق السموات
عن تدبير جميع ما خلقنا جليله ودقيقه او ما كنا من خلق السموات غافلين
فقد حفظناها من الفطور والسقوط وانزلنا من السماء من جانبه او من نفسه
كما قال ابن عباس ان المطر النافع من بحر تحت العرش ماء بقدر بمقدار
معين عندنا فاسكناه اثبتنا الماء في الارض ومنه الانهار والآبار وانا
على ذهاب به لقادرون اي نحن قادرون على اذهابه بوجه من الوجوه
كتنشيف وتصعيد ولهذا نكره والباء للتعدية فانشأنا لكم به بالماء جنات

من نخيل

من نخيل

قيل من زرع لحم شحم وثمارها تاكلون
وقيل منها تحصلون معايشكم كما تقول انا
آكل من حرفتي
منه

من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها
تاكلون يعني الجنات التي فيها نخيل واعناب موصوفة بانها جامعة للفواكه
الرطب والعنب وللطعام التمر والزبيب وهذا احسن المعاني وشجرة عطف
على جنات وفيها ايماء الى انها ليست ببستاني مغروس تخرج من طور
سيناء جبل مضاف الى البقعة او المركب اسم جبل موسى والزيتون فيه
احسن واكثر تنبت بالدهن وصبغ للآكلين اي ملتبسة بشيء جامع بين كونه
دهنا وادما فان الصبغ ادام يغمس فيه الخبز وقراءة تنبت من باب الافعال
معناها تنبت جناها ملتبسا بها فبالدهن على الوجهين حال وخص هذه الثلثة
لانها اكرم الاشجار وانفعها ولما دل سبحانه على قدرته بما احيى بالماء حيوة
قاصرة عن الروح اتبعه بما فيه حيوة كاملة فقال وان لكم في الانعام لعبرة
نسقيكم مما في بطونها من اللبن وقد مر في سورة النحل ولكم فيها منافع كثيرة
من ظهورها واصوافها واوبارها ومنها تاكلون يعني بعضها تذبحون
وتاكلون وبعضها تبقون لمنافعها قيل معناه ومنها تحصلون معايشكم
كما تقول اكلت من حرفة يدي وعليها على الانعام وعلى الفلك في البر
والبحر تحملون يقال ان الجمل سفينة البر ولما عدد نعمه وقدرته بيّن كفرانهم
من قديم الزمان مع ان ذكر الفلك مناسب لمن صنعه اول فقال ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الذي لا شريك له ما لكم
من اله غيره استيناف لتعليل الامر بعبادته وحده افلا تتقون من عبادة
غير الله فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه اي قال اشراف الكافرين
من قوم نوح لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم يريد رياستكم
ليكونوا متبوعا ولو شاء الله ارسال رسول لانزل ملئكة للرسالة ما سمعنا بهذا
الذي يدعونا اليه او بعث البشر رسولا في آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة
جنون فتربصوا به حتى حين اصبروا عليه وانتظروا امده لعله يفيق او يموت
قال نوح بعد الياس من ايمانهم رب انصرني عليهم بما كذبون بسبب تكذيبهم
او بدل تكذيبهم يقال هذا بذاك فاوحينا اليه ان اصنع ان يحتمل المصدرية
والتفسيرية الفلك وما كان في الدنيا سفينة باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا
جمع العين مبالغة في الحفظ وعدم الغفلة عنه باعتبار اللحظات ووحينا

بان نعلمك كيف تصنع فاذا جاء امرنا بعذابهم او بالركوب وفار التنور نبع
الماء في تنور الخبز وتقدم تفسير اكثر الفاظ هذه الاية في سورة هود فاسلك فيها
ادخل في السفينة من كل من كل نوع زوجين اثنين ذكرا وانثى وقدم معنى
القراءتين واهلك عطف على زوجين او على اثنين في قراءة الاضافة
الا من سبق عليه القول منهم بهلاكه اي ابنه وامراته ولا تخاطبني في الذين ظلموا
بدعاء انجائهم انهم مغرقون لانهم محكوم عليهم بالاغراق لكثرة ظلمهم فاذا استويت
انت ومن معك على الفلك علوت واستقررت عليها فقل الحمد لله الذي
نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني فيها وقيل قل رب انزلني امر بقوله
حين الخروج منها فتقديره رب انزلني منها منزلا مباركا يبارك له فيه
ويعطيه الزيادة في خير الدارين وقراءة منزلا بضم الميم وفتح الزاء فمعناها انزالا
او موضع انزال وانت خير المنزلين ان في ذلك في المذكور من قصة نوح خطاب
لرسول الله عم لايات دالة على ان الله قادر منتقم وان كنا اي انه كنا لمبتلين
لمختبرين عبادنا بالنظر من يعتبر نحو ولقد تركناها اية فهل من مدكر او مصيبين قوم
نوح ببلاء عظيم وقدم في سورة هود تمام القصة ثم انشانا احدثنا من بعدهم
قرنا اخرين هم عاد ويشعر بذلك قول الله واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد
قوم نوح فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود ومنه يعلم انه اوحي اليه وهو فيهم
ان اعبدوا الله ان مفسرة او مصدرية ما لكم من اله غيره افلا تتقون عذابه
وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة المعاد الجسماني واترفناهم
نعمناهم عطف على صلة الذين او الواو للحال اي وقد اترفناهم وعلى الوجهين
مشعر بعلية التكذيب يعني احسنا اليهم فقابلوا انعمنا بالتكذيب وينبغي ان
يكون الامر على خلاف ذلك في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون
منه ويشرب مما تشربون منه ولئن اطعتم بشرا مثلكم في ترك دينكم انكم اذا
لخاسرون الجملة جواب للقسم المحذوف وان كان جوابا للشرط لزمت
الفاء واذا وقع بين انكم والخبر ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما من غير
لحم وعصب انكم مخرجون من الاجداث عند سيبويه ان انكم بدل من
الاولى وفيها معنى التاكيد وخبر الاولى محذوف لدلالة خبر الثانية والعامل
في اذا الخبر المحذوف وعند الفراء والمبرد ان انكم كررت لما طال الفصل

ومجي قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وهود والشعراء منه

لتاكيد

للتاكيد فلا يطلب خبرا ومخرجون خبر للاولى عامل في اذا والمبرد يابى انها
بدل لانه من غير مستقل اذ لم يذكر خبرها هيهات هيهات لما توعدون
فاعل هيهات ضمير اي هو يعني اخراجكم واللام كلام هيت لك للبيان واسماء
الافعال قد يكون منونا ولم يثبت مصدرية هيهات ان هي الا حياتنا
الدنيا هي في معنى الحيوة الدالة على الجنس لدلالة الخبر عليها وان النافية
نفتها كانت في معنى لا حيوة الا هذه نموت ونحيا يموت بعض ويولد
بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو الا رجل افترى على الله كذبا
فيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين مصدقين قال لما ايس من
ايمانهم ووجب منهم مدى الايام الاصرار رب انصرني عليهم بما كذبون
بسبب تكذيبهم اياي قال الله عما قليل عن زمان قليل فقليل
صفة زمان محذوف وما زيدت لتاكيد القلة ليصبحن نادمين على
التكذيب فعما قليل متعلق بنادمين او ليصبحن وجاز التقديم على لام
القسم لتوسعة في الظرف والمجرور ومن ابى ذلك فعنده متعلق بمحذوف
دال عليه ما بعده وقيل ما قبله اي ننصر عما قليل ونادمين خبر ليصبحن
فاخذتهم الصيحة صوت العذاب او صوت جبريل فدمرهم بالحق
فانهم مستحقون لم يعتبروا بما علموا من حال قوم نوح فجعلناهم غثاء
اي كالغثاء وهو ما يحمل السيل من العيدان والاوراق البالية المسودة
فبعدا للقوم الظالمين يعني بعدوا بعدا اي هلكوا هلاكا وهو منصوب
بفعل متروك اظهاره واللام كلام هيت لك للبيان ثم انشانا
من بعدهم قرونا اخرين عن ابن عباس هم بنو اسرائيل وهم اولاد
يعقوب فيهم الرسل قبل موسى ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون
تقدم الكلام عليها في الحجر ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا
بعد واحد الف الاولى بدل من الواو فانها من الوتر والالف للتانيث
وقرئ منونا فمصدر وقع حالا بمعنى المواترة كلما جاء امة رسولها
كذبوه يعني اكثرهم مكذبون لرسولهم الذي ارسلنا اليهم فاتبعنا
بعضهم بعضا في العذاب لظلمهم وجعلناهم احاديث قال الاخفش
لا يقال هذا الا في الشر جمع حديث يعني لم يبق منهم عين ولا اثر الا الحكايت

فقول الزمخشري فمن نونه نزله منزلة المصدر
ليس بواضح لانهم قد نونوا اسماء الافعال
ولا يقولون انها اذا نونت نزلت منزلة المصدر منه

عنهم قال صاحب البحر الصحيح انه جمع تكسير كعباديد واقاطيع لا اسم جمع كما قاله الزمخشري
لان افاعيل ليس من ابنية اسم الجمع فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه
هرون باياتنا الدالة على صدقهما وسلطان مبين حجة واضحة ملزمة لكل منصف
الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين رفيعي الحال في الدنيا فقالوا انؤمن
لبشرين مثلنا مثل وغير يوصف بهما المفرد وغيره وقومهما لنا عابدون اي بنو اسرائيل
كالعبيد لنا فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق في الدنيا وعذاب شديد في الاخرة
ولقد اتينا موسى الكتاب التورية لعلهم بني اسرائيل يهتدون وانزال التورية بعد
اهلاك القبط وجعلنا ابن مريم وامه اية دالة على كمال قدرتنا فان خلقه من انثى
بلا ذكر كحواء من ذكر بلا انثى واويناهما الى ربوة مكان مرتفع ذات قرار ومعين
مستقر من الارض منبسطة وماء جار هي بيت المقدس اقرب ارض من السماء وعن
ابن عباس هي الغوطة بدمشق وفيها الانهار الجارية يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
الحلالات والمستلذات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم المقصود من الخطاب
رسول الله خاتم النبيين واعلامه بان كل رسول في زمانه وصي به ونودي بذلك
فهو امر من لدن قديم لا يجوز النبي وزعنه بوجه وان هذه امتكم ملتكم امة واحدة
ملة واحدة هي الدعوة الى التوحيد ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون يعني
خافوني لان ملتكم واحدة وانا ربكم فقوله وان هذه علة لقوله فاتقون او تقديره
واعلموا ان هذه امتكم فتقطعوا امرهم امر دينهم منصوب بنزع الخافض اي في امرهم
لا بالتمييز لانه معرفة بينهم زبرا قطعا نصب على الحال قيل منصوب على انه ثاني
مفعولي تقطع فانه متضمن معنى جعل اي جعلوا امر دينهم قطعا اديانا مختلفة والفاء
في فتقطعوا مؤذن بان التقطع اعقب بالامر بالتقوى وذلك مبالغة في عدم
قبولهم ونفارهم عن التوحيد كل حزب بما لديهم فرحون كل حزب من المتحزبين فرحون
بما لديهم من امر الدين يحسبون انهم على شيء فذرهم في غمرتهم في جهالتهم التي غمروا
فيها كما يغمر في الماء حتى حين الى حين موتهم فانه قدر شقاوتهم ايحسبون انما نمدهم به
نعطيهم من مال وبنين بيان لما نسارع لهم في الخيرات اي نسارع لهم به فالجملة
خبر ان وبه مقدر وهو ضمير اسم ان لدلالة به الاول عليه بل لا يشعرون ان
المال والبنين استدراج لا مسارعة به لهم فيما فيه خيرهم فهم كالبهائم لا شعور لهم
بامر بين ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون لما فرغ من ذكر الكفرة ووعيدهم

وآدم من غير ذكر وانثى منه

نعم بعض الكوفيين يجوزون تمييز المعرفة منه

شرع في ذكر المومنين ووعدهم فذكرهم بابلغ صفاتهم وهو انهم حذرون من
معاصيه من اجل خشية ربهم يعني ان خشيتهم علة لاجتناب معاصيه وهذا هو تمكن
الايمان في القلب او حذرون من خوف عذابه والذين هم بايات ربهم الكونية
والشرعية يومنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة انهم الى ربهم راجعون اي اعطوا ما اعطوه من الصدقات وقلوبهم خائفة
من عدم قبولها من الله لان مرجعهم الى ربهم وهو عالم منهم ما لا يعلمون من انفسهم
وذكر بصيغة المضارعة استحضار لتلك الخصلة الحميدة ووجلها او قلوبهم وجلة
من ان مرجعهم اليه اولئك يسارعون في الخيرات اي في نيل خيرات الدارين
بمزاولة حسان الاعمال فنعطيهم ما نالوا قال تعالى فاتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الاخرة فقوله اولئك يسارعون مبتدأ وخبر والجملة خبر ان يعني
هم المسارعون لا من حسب ان ماله وبنيه لمسارعته في الخيرات ففيه ما نفي عن
الكفار وهم لها سابقون اي الى الخيرات سابقون الناس او لاجل الخيرات
حصل لهم السباق فسابقون لازم او هم الى ثمرات الخيرات سابقون من
الجميع لانا نسارع لهم الى المسببات ولا نكلف نفسا الا وسعها يحتمل ان يكون العود
للحال والمقصود نفسهم لكنه عمم اشار الى ان حصول المسابقة ليس بامر شاق ولدينا
كتاب ينطق بالحق ليس فيه الا ما فعلوه وهم لا يظلمون بنقص ثواب بان لا نكتب
بعض اعماله الصالح ومزيد عقاب بان نكتب من السيئات ما لم يعمله بل قلوبهم في
غمرة من هذا يعني الكفرة لا يرجون ثمرات اعمال المومنين ومراتبهم بل قلوبهم في
غفلة قد غمرتها كما يغمر الماء من ما عليه المومنون او الكفرة لا يصدقون بل قلوبهم في
غمرة من هذا الذي ينطق بالحق ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك غير ذلك الذي
وصفنا في شانهم من تكذيب الحق وحسبان الباطل هم لها عاملون معتادون
حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اي متنعميهم واعاظمهم بمثل القحط الشديد ويوم
البدر اذا هم يجارون فاجئوا اي المترفون بالصراخ والجزع واذا الفجائية جواب
لاذا الشرطية لا تجاروا اليوم يقال لهم بلسان الملك او بلسان الحال انكم منا لا تنصرون
فلا نفع للجوار قد كانت اياتي ايات القران مستانفة علة لعدم نفع الجوار تتلى
عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون اي ترجعون كناية عن الاعراض مستكبرين به
ضمير به الى مصدر تنكصون اي مستكبرين بالنكوص والتباعد عن سماع الايات

وعن ابن عباس الضمير للبيت الحرام ولا يبعد ان شهرتهم بان تعظيمهم بالبيت
الحرام اغنت عن سبق ذكره او الضمير للايات لانها قران وفيه تضمين معنى
التكذيب سامرا السامر مفرد بمعنى الجمع اى الذين يتحدثون ليلا ونصبه
على الحال تهجرون من الهجر بمعنى الهذيان او من الهجرة اى تعرضون عنه
افلم يدبروا القول وبخهم على اعراضهم وهذيانهم بوجوه الاول انهم لم يدبروا
القران والعاقل يدبر شيئا فان لم يجد لائقا حقيقا بالتوجه اليه يعرض عنه
والالتفات الى الغيبة لعدم الالتفات اليهم ام جاءهم ما لم يات اباءهم
الاولين الثانى ان سبب اعراضهم انه ما جاء الى اباءهم الاقدمين مثل ما جاء اليهم
والمقصود انه قد جاء الكتب والرسل الى الاقدمين من اباءهم ام لم يعرفوا رسولهم
بالحسب والنسب فهم له منكرون الثالث ان سبب اعراضهم عدم عرفان رسولهم
والحال انهم معترفون بحسبه ونسبه وصدقه وامانته ام يقولون به جنة الرابع
ان سبب اعراضهم اعتقاد جنونه والحال انهم يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم
بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون بل ليس لاعراضهم سبب الا انه جاء
بالحق والحق لا يوافق مشتهاهم والواو حالية او عاطفة وهذا حكم اكثرهم لان
فيهم تابعين للجهل او من الخوف ولو اتبع الحق اى القران فانه هو الحق الذى سبق
اهواءهم فان هواهم ان لله شريكا لفسدت السموات والارض ومن فيهن
كما قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا او لان اهواءهم مختلفة تهوى
احدهم خلاف ما يهوى الاخر فيفضى الى فساد العالم واختلال نظامه بل
اتيناهم بذكرهم بكتاب فيه وعظهم او شرفهم وصيتهم او ما كانوا يتمنونه
قائلين لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فهم عن ذكرهم
معرضون ام تسالهم على التبليغ خرجا اجرا وجعلا فخراج ربك فعطاؤه
واجره خير وهو خير الرازقين ام هذه قسيم ام يقولون به جنة وهذا الزام لهم
بالسبر والتقسيم فى انه كابراهيم وغيره رسول معروف الحال عندكم تام العقل
ليس له طمع فى خسائس اموالكم فما هو الا انه يريد هدايتكم وانك لتدعوهم الى
صراط مستقيم يوصلهم الى دار السلام وان الذين لا يؤمنون بالاخرة
عن الصراط المستقيم الذى تدعوهم اليه لناكبون منحرفون ولو رحمناهم
وكشفنا ما بهم من ضر كالقحط والمرض للجوا تثبتوا فى طغيانهم فى افراطهم فى

فى قوله بل جاءهم بالحق والمراد منه القران
منه

المعاصى

فى المعاصى يعمهون متحيرين ولقد اخذناهم بالعذاب بالمصائب
والشدائد ليتضرعوا ويلتجئوا الينا ويتركوا غيرنا فما استكانوا لربهم ما
انتقلوا من كون الى كون واستمروا على غيهم نحو استحال اذا انتقل من حال الى حال
وما يتضرعون ليس من عادتهم التضرع ولاجل ارادة هذا المعنى عدل من الماضى
حتى اذا فتحنا عليهم يعنى هم مستمرون على عادتهم الى ان فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد عند موتهم اذا هم فيه مبلسون آيسون من كل خير واما ان سبب نزوله ان
قال ابو سفيان قتلت الاباء بالسيف يعنى يوم بدر والابناء بالجوع وانت تزعم
انك رحمة للعالمين فدعا فكشف فنزلت فمحل بحث بل لا يصح للاتفاق على ان
السورة مكية وهو الذى انشا لكم من باب الالتفات للاستعطاف السمع
والابصار والافئدة لتحسوا اياته وتدبروا فيها قليلا ما تشكرون زيدت ما
للتاكيد يعنى تشكرون شكرا قليلا يمكن ان يراد ان الاكثرين غير شاكرين لان العباد
كثيرون فلو كان لكل شكر قليل يصير الشكر كثيرا وكانه قال قليلا ما تستعملون السمع
والبصر والفؤاد فيما خلقناله وهو الذى ذراكم فى الارض بثكم بالتناسل فيه واليه
الى الله تحشرون بعد البعث وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار
لا يقدر على تعاقبهما وانتقاص احدهما وازدياد الاخر غير الله تعالى افلا تعقلون
اليس لكم عقول تهديكم الى شمول قدرتنا الممكنات التى منها البعث بل قالوا اى
ليس لهم عقل ولا تدبر بل قالوا مثل ما قال الاولون اى قال قريش مثل ما قال الكفار
السابقون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون قد مر تفسيره
ومعناه فى هذه السورة لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل على لسان من يدعى
رسولهم ان هذا الا اساطير الاولين اكاذيبهم التى سطروها قل لمن الارض ومن
فيها ان كنتم تعلمون من اهل العلم سيقولون لله فانهم معترفون بان الله خالق
الكل قل بعد اعترافهم افلا تذكرون فتعلموا ان فاطر الارض ومن فيها قادر على
الاعادة فان بدا الخلق ليس اهون من اعادته وهو حقيق بان لا يعبد الا هو ولا يثبت
له ولد قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم يعنى بعد ما سالت
عنهم مالك الارض ومن فيها سل عنهم مالك العلويات سيقولون لله كما قالوا
فى الارض قل بعد اعترافهم افلا تتقون عقابه فتنتهوا عن نسبة العجز اليه والشريك
من الجماد قل من بيده ملكوت كل شىء التصرف فى الاشياء جميعها وهو يجير

يغيث من يشاء ولا يجار عليه يقال اجرت فلانا على فلان اذا منعته منه يعني
الله يمنع من يشاء ممن يشاء ولا يمنع احد من الله احدا ان كنتم تعلمون ذلك
سيقولون لله قل فانى تسحرون اى فكيف تخدعون فتصرفون عن الرشد
مع تظاهر الادلة قرانهم مسحورون وسال عن كيفية السحر هنا مستعار تشبيه لما
يقع منهم من التخليط كوضع الاشياء في غير موضعها بما يقع من المسحور قرا
من القراء السبعة ابو عمرو في الثاني والثالث سيقولون الله مرفوعا وكذا في
مصاحف اهل الحرمين والكوفة وهذا هو الموافق لفظا ومعنى اما قراءة لله
لباقي السبعة جاءت على المعنى لان قولك من ربك ولمن انت في معنى واحد
ولم يختلف في الاولى انه باللام لانه جواب مطابق لقوله لمن الارض بل اتيناهم
بالحق لما كان الانكار بمعنى النفي حسن الاضراب الحق هو التوحيد والبعث وانهم
لكاذبون حيث انكروا ذلك ثم صرح بكذبهم فقال ما اتخذ الله من ولد وما كان
معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض اى لو كان معه
آلهة لتفرد كل اله بمخلوقه متميزا ملكه عن ملك الباقين ولغلب بعضهم بعضا كما هو
العادة بين ملوك الدنيا فلم يكن بيد الله ملكوت كل شيء واللازم باطل فمحسوس
ان العالم العلوي والسفلي مرتبطان غاية الارتباط ما ترى في خلق الرحمن من
تفاوت ثم لا تنس ما قررناه في قوله واذا لاتخذوك خليلا في سورة اسرى
سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك عالم الغيب بالرفع اى هو
عالم الغيب بالجر صفة والشهادة فتعالى عما يشركون لانه صفة نقص وهو
القدوس وهو المتفرد باحاطة العلم فلا رتبة للالوهية الا له ولما اعلم الله
نبيه انه ينتقم ممن ادعى الولد والشريك له ولم يبين ان ذلك متى يكون قريبا
ام بعيدا في حيوة نبيه او بعده كما قال حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد امره بان يدعو بهذا الدعاء قل رب اما تريني ان شرطية وما زائدة
والنون للتاكيد ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين يعني ان
كان لا بد من ان تريني ما نعدهم من العذاب فلا تجعلني معهم وفيهم فيكون من
باب وضع الظاهر موضع المضمر ومن دعائه عليه الصلوة والسلام كما ذكره
الامام احمد وصححه الترمذي اذا اردت بقوم فتنة فتوفني اليك غير مفتون وتكرار
رب حث على فضل تضرع وتواضع واظهار عبودية وافتقار وعجز وانا على

ان نريك

ان نريك ما نعدهم من العذاب لقادرون لكن لا نستعجل للحلم
والحكمة ادفع بالتي هي احسن السيئة اى ادفع سيئتهم من اذاك
وطعنهم في الله بالشرك بالخصلة التي هي احسن الخصال اى الصفح
والحلم والالزام بطريق الحجة اولا فان لم ينفع فامرك بازاه نحن اعلم بما
يصفون فلا تبال وقيل بعد النصح الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من
همزات الشياطين وساوسهم ونزغاتهم ومن دعاء بعض السلف
اعوذ بك من النزغ عند النزع واعوذ بك رب ان يحضرون فيحوموا
حولي حتى اذا جاء احدهم الموت قيل متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض
اى لا يزالون على سوء الذكر الى ان جاء موتهم وقيل قبلها جملة محذوفة
وهذا غاية لها تدل عليها ما قبلها اى فلا اكون كمن تهمزهم الشياطين
حتى اذا جاء يعني مدة عمرهم وشبه ذلك بقول الشاعر فيا عجبا حتى
كليب يسبني فدل ما بعد حتى في هذا على المحذوف اى يسبني الناس حتى
كليب قال رب ارجعون الى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع نحو الا فارحموني
يا اله محمد وقيل استغاث اولا بربه ثم خاطب ملائكة العذاب فانه من
شدته في قلق وقيل معناه ارجعني ارجعني كما قيل في قفا نبك قف قف
لعلي اعمل صالحا فيما تركت اى في الايمان الذي تركته او في الدنيا او في المال
كلا ردع واستبعاد عما طلب انها كلمة هو قائلها لا يجاب ولا يجد لها
جدوى كما يقال هذا الكلام ليس تحته معنى قيل عدته بانه يعمل صالحا كلمة لا
وفاء ولا حقيقة تحتها قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون
فهذا علة للردع ومن ورائهم امامهم برزخ بينهم وبين مطلوبهم الى يوم يبعثون
وهذا اقناط كلي لهم للعلم بان لا رجعة يوم البعث الى الدنيا فاذا نفخ في الصور
النفخة الاخيرة فلا انساب بينهم لا ينفع الانساب يومئذ قال الله يوم
يفر المرء من اخيه الاية ولا يتساءلون لا يسال حميم حميما وهذا كله في اول
هول القيمة روى الحافظ ابن عساكر عن عبد الله بن عمرو مرفوعا سالت
ربي ان لا اتزوج الى احد من امتي ولا تتزوج الى احد منهم الا كان معي في
الجنة فاعطاني ذلك ونقل الامام احمد ان فاطمة بضعة مني يقبضني
ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها وان الانساب منقطع الا نسبي وسببي

وصهري قال الشيخ ابن كثير هذا حديث له اصل في الصحيحين وروى الطبراني
والبيهقي وغيرهم انه لما تزوج عمر ابنة علي من فاطمة قال اني لالي سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كل نسب وسبب منقطع يوم القيمة الا
سببي ونسبي فاصدقها اربعين الفا اعظاما لها فمن ثقلت موازينه
بان يكون له اعمال مثقلة للميزان فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه
بان ليس له ما يثقله فاولئك الذين خسروا انفسهم حيث بطلوا استعدادها
في جهنم خالدون الاظهر ان في متعلق بخالدون والمجموع خبر ثان تلفح
وجوههم النار خص الوجه لانه ليس في الانسان اشرف منه وهو احفظ له
من الافات فالمراد ان هذا حال اشرف اعضائه وهم فيها كالحون صحح
الترمذي انه عليه الصلوة والسلام قال تشويه النار فتقلص شفته العليا
حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته الم تكن
اياتي تتلى عليكم اي يقال لهم ذلك تقريعا لان يجتمع لهم العذاب الجسماني والروحاني
فكنتم بها تكذبون قالوا معترفين على انفسهم ربنا غلبت علينا شقوتنا من
قولهم غلبني فلان على كذا اذا اخذه مني والشقاوة سوء العاقبة وكنا قوما
ضالين عن الهدى ربنا اخرجنا منها فان عدنا الى ما كنا فيه فانا ظالمون
قال الله مجيبا لهم اخسئوا فيها اي ذلوا وانزجروا كالكلب يقال خسأت
الكلب وخسأ هو بنفسه فهو متعد ولازم ولا تكلمون في رفع العذاب
وعن كثير من السلف لم يكن لهم بعد ذلك الا شهيق وزفير كالحمير وعواء
كالكلاب انه اي ان الشان كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا
فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا بضم
السين وكسرها لغتان بمعنى الهزء وزيدت ياء النسبة للمبالغة قال يونس
اذا اريد التخديم فالضم لا غير واذا اريد الهزء فالضم والكسر والاية بمعنى
الهزء الا ترى الى قوله وكنتم منهم تضحكون حتى انسوكم ذكري نسبة الانساء
الى العباد المؤمنين مجازية للمبالغة كما تقول انستني كل شيء غيرك وكنتم
منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا بصبرهم على اذاكم وعماكره الله
انهم هم الفائزون بكسر ان استيناف وبالفتح بتقدير اللام اي لانهم
وعلى هذا مفعول جزيت محذوف اي جزيتهم ما ترون بعني من النعم على

انفسهم

انفسهم مع قهر اعدائهم قال الله ومن قرأ قل فهو خطاب من الله لاهل النار
نزل الجميع منزلة شخص واحد او للملك الموكل بهم يعني قل لهم كم لبثتم في الارض
احياء عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصروا مدة
لبثهم في الدنيا ونسوا العظم ما فيهم فسئل العادين فنحن في حال لا نقدر
معه اعمال الفكر والمراد من العادين الملائكة الحفظة قال ان لبثتم الا
قليلا لو انكم كنتم تعلمون اي ما مكثتم الا زمانا قليلا على فرض انكم تعلمون مدة
لبثها وقد نقل ابن ابي حاتم وغيره ان الله اذا ادخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار قال يا اهل الجنة كم لبثتم في الارض قالوا يوما او بعض يوم قال لنعم ما اتجرتم
في يوم او بعض يوم رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين ثم يسال
من اهل النار فيجيبون مثلهم فيقول بئس ما اتجرتم في يوم او بعض يوم ناري
وسخطي امكثوا خالدين فيها فالحديث دال على ان الاستقصار عام
للمؤمن والكافر فيمكن ان يكون لان كل ما مضى وانقضى فهو قصير قيل الاولى
ان يكون المراد استقصار مدة لبثهم في القبر فالمراد من قوله كم لبثتم في الارض
سؤال عن مدة لبثهم في القبر فانهم منكرون للبعث وهذا السؤال عند بعثهم
الذي هم ينكرونه وقوله بعد ذلك وانكم الينا لا ترجعون يشعر بذلك افحسبتم
انما خلقناكم عبثا اي عابثين او مفعول له اي تلهيا بكم وما زائدة وانكم الينا
لا ترجعون عطف على انما فتعالى الله الملك الحق ان يخلق عبثا والحق اي
الذي يحق له الملك او الثابت الذي لا يزال لا اله الا هو رب العرش الكريم
فان الرحمة منه تنزل على الارض وهو الله سبحانه مستو عليه ولما قال ما خلقتكم
عبثا ومرجعكم الي قال ومن يدع يعبد مع الله الها اخر لا برهان له به قوله
لا برهان صفة ثانية لالها لازمة له جيء بها للتاكيد وليس جوابا للشرط
لان حذف الفاء من الجواب غير جائز الا في ضرورة الشعر وقيل هو جملة معترضة
بين الجواب والشرط للتنبيه على ان قبول ما لا دليل عليه في العقائد ممنوع فانما
حسابه عند ربه فيجازيه بما يستحقه انه لا يفلح الكافرون وقل يا محمد رب
اغفر وارحم وانت خير الراحمين امر نبيه بقول مثل قول فريق من عباده الذين يقولون
ربنا امنا الاية فتح السورة بقوله قد افلح المؤمنون وختمها بقوله لا يفلح الكافرون اللهم اجعلنا من الاول لا من الاخر

سورة النور مدنية وايها ثنتان او اربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم سورة أي هذه سورة أنزلناها وفرضناها أي فرضنا
أحكامها وقراءة فرّضنا بالتشديد للمبالغة أو معناه فصّلنا وأنزلنا
فيها آيات بينات ظاهرات المعاني لعلكم تذكرون تتعظون الزانية
والزاني أي حكمهما فيما يتلى عليكم فعلى هذا أحذف مضاف المبتدأ وخبره
وقوله فاجلدوا بيان للحكم هذا مذهب سيبويه وقدمت الزانية لقلة عقلها
التي هي الموجبة للفاحشة وزناها أفحش لوجوه والجلد ضرب الجلد من البدن
كل واحد منهما مائة جلدة وهذا مطلق محمول على بعض هو حر بالغ عاقل ما
جامع في نكاح شرعي وأما حكم من جامع فيه فالرجم للأحاديث الصحاح
ولآية الرجم المنسوخ لفظها دون معناها بالاتفاق ولا تأخذكم بهما رأفة رقة
قلب في دين الله فتبطلوا أحكام الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
فإن الإيمان يقتضي الصلابة في دينه والاجتهاد في إقامة أحكامه وجزاء الشرط
محذوف على الأصح والمقدم دال عليه وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين
أي الجلد بحضور طائفة للعبرة والشهرة والتخجيل أو للدعائهم بالغفران والمراد من
الطائفة الجماعة وعند بعض يطلق على الواحد أيضا الزاني لا ينكح إلا زانية
أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك هو خبر يعني لا يرغب الجنس إلا
إلى جنسه ومثله وحرّم ذلك أي هذا النكاح على المؤمنين المؤمنين هنا
في مقابلة الفاسقين والمشركين فقيل النكاح بمعنى العقد ومعنى الحرمة
الكراهة اللائقة وعند بعض من السلف نكاح العفيف البغية وتزوج الـ
صالحة بالفاجر باطل ويؤيده بعض الأحاديث وقيل النكاح صحيح لكنه
حرام أو المؤمنين على إطلاقه فالمراد لا يجامع الزاني إلا زانية من المسلمين
أو أخس منها وهذا الوطي والمجامعة حرام على المؤمنين والذين يرمون
المحصنات يقذفون المسلمات الحرائر العاقلات البالغات
العفيفات بالزنا وخص النساء بذلك لأن القذف بالزنا فيهن
أشنع وأقبح لإزالة عرضهن وعرض أقاربهن وشبهة أولادهن وإن كان
الرجال يشاركونهن في الحكم ثم لم يأتوا على ما رموهن به بأربعة شهداء
يشهدون عليهن بما رموا فاجلدوهم أي كل واحد منهم ثمانين جلدة
ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا أي أي واقعة كانت وأولئك هم الفاسقون

لأنهم أتوا الفسق العظيم بغيرهم فانقلب إليهم ولما كانت الزنا من
أمهات الكبائر وقلما يطلع على ذلك أحد شدّد الله على القاذف
حيث شرط فيها أربعة رحمة وسترا على عباده سيما على النساء الطاهر
وجوب جلد الرامي وإن لم يطالب المقذوف والظاهر أن قوله
وأولئك جملة على حيالها غير داخلة في خبر والذين يرمون مؤكدة
لعدم قبول شهادتهم إلا الذين تابوا من بعد ذلك أي القذف
وأصلحوا أعمالهم فإن الله غفور رحيم على الظاهر أن الاستثناء من
الفاسقون ومحله النصب فعلى هذا الجلد ولا تقبل شهادته بعد التوبة
أيضا وهذا مذهب كثير من السلف قال الشعبي والضحاك إن اعترف
بعد التوبة على نفسه بأن ما قاله بهتان تقبل شهادته وإلا فلا والجمهور
على أن الجلد واجب وإن تاب وأما في قبول شهادته بعد التوبة فخلاف
قال صاحب البحر الذي يقتضيه النظر ويعضده كلام العرب أن الاستثناء
إذا تعقب جملا يصلح أن تخصص كل منها بالاستثناء لا بد أن يجعل التخصيص
في الجملة الأخيرة لا عوده إلى الجمل كلها وهذه مسئلة في أصول الفقه سيما
في هذه الآية فإن الجلد لا يطيح عنه بالتوبة إلا أن يقال رد شهادتهم وتفسيقهم
والفسق زال بالتوبة فرجع إليهم قبول شهادتهم والذين يرمون أزواجهم
بالزنا ولم يكن لهم شهداء على صدق قولهم إلا أنفسهم إلا بمعنى غير صفة شهداء
فشهادة أحدهم التي تمنع الحد أربع شهادات بالله أي أربع مرات
إنه لمن الصادقين فيما قذفها به وأصله أربع شهادات بالله على أنه
لمن الصادقين فحذف على وكسر إن وعلق عنه العامل باللام تأكيدا
وقراءة نصب أربع فعلى أن قوله فشهادة خبر مبتدأ محذوف أي فالواجب
شهادة أو مبتدأ حذف خبره أي فعليه شهادة وأربع منصوب على
المصدر من شهادة والخامسة أي الشهادة الخامسة أن لعنة الله
عليه إن كان من الكاذبين في الرمي أي والخامسة كينونة لعنة
الله عليه إن كذب في الرمي وقرأ نافع أن المخففة من المثقلة ولعنة
بالرفع وحكم لعان الرجل سقوط حد القذف وبانت منه بنفس اللعان
وحرمت عليه أبدا على الأصح للحديث الصحيح وعليه الأكثرون من السلف

ويتوجه عليها حد الزنا الا ان تلاعن وهو قوله ويدرأ اي يدفع عنها العذاب
الحد ان تشهد فاعل يدرأ اربع شهادات بالله انه الزوج لمن الكاذبين
فيما رماني به والخامسة ان غضب الله عليها ان كان الزوج من الصادقين
في ذلك وقراءة نصب والخامسة على العطف على اربع وقرأ نافع بان
المخففة من المثقلة وغضب فعل ماض ورفع لفظ الله قال صاحب البحر
مثل ان بورك في ان الفعل دعاء فلا يرد ان اهل العربية يستقبحون ان
يلي الفعل ان الا اذا كان الفعل بمعنى الدعاء ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وان الله تواب حكيم لعاجلكم بالعقوبة فجواب لولا متروك اشارة
الى انه امر عظيم لا يكتنه نزلت فيمن وجد في فراشه رجلا فجاء واخبر النبي
صلى الله عليه وسلم فاراد صلى الله عليه وسلم ان يأمر بجلده لحكم اية الرمي اذ
انزلت اية اللعان فتلاعنا ان الذين جاءوا بالافك الافك اشد الكذب
والمراد الافتراء والبهت على ام المومنين عائشة وصفوان رضي الله عنهما
كما هو المشهور المذكور في الصحيحين وغيرهما عصبة منكم العصبة جماعة من
عشرة الى اربعين بدل من ضمير جاءوا ومنكم صفة لا تحسبوه اي افكهم شرا لكم
الجملة خبر ان وعصبة خبرها ولا تحسبوه مستأنفة بل هو خير لكم لانه ظهر
منه البراءة لها والعفة بركتها لجميع ازواجه ورفعة القدر مع الاجر الجزيل
لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به
والذي تولى كبره معظمه منهم من العصبة وهو رئيس النفاق ابن ابي بن سلول
بدأبه واشاعه له عذاب عظيم في الدارين اما في الدنيا فبانه صار بها مشهورا
بالنفاق لولا هلا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا
وقالوا هذا افك مبين حاصله هلا ظننتم خيرا ايها المومنون والمومنات
بالذين هم كانفسكم حين سمعتم ممن اخترعه وهلا قلتم بناء على ظنكم خيرا هذا
افك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال فالالتفات الى الغيبة
حيث قال ظن المومنون ولم يقل ظننتم للمبالغة في التوبيخ والاشعار بانهم
عدلوا عن مقتضى الايمان ومقتضاه ظن الخير بمن هو كنفسه فان المومنين
كنفس واحدة فحق المومن اذا سمع قالة على اخيه ان يبني الامر فيه على ظن الخير
وان يقول هذه قالة باطلة وافك مبين باللفظ الصريح براءة ساحته

وتقديم

وتقديم الظرف وجعله فاصلا بين لولا وفعله لان ذكره اهم لبيان ان
الواجب عليهم التحامي عن قبول الافك والتكلم به اول ما سمعوه لولا هلا جاءوا
عليه باربعة شهداء كما هو حكم رمي المحصنات فاذ لم يأتوا بالشهداء اي الاربعة
فاولئك عند الله هم الكاذبون اي في شرع الله وحكمه او معدودون
ممن اعتادوا بالكذب والكذب ليس من عادة المومنين كما في الحديث
الصحيح انه يتحرى في الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ولولا امتناعية
فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم هو جواب لولا فيما افضتم
فيه خضتم من الافك في شان حبيبة حبيب الله الطاهرة الصديقة عذاب
عظيم تستحقر في جنبه اللوم والجلد اذ تلقونه ظرف لمسكم بالسنتكم يعني ياخذه
بعضكم من بعض يعني ما اكتفيتم في تهاونكم في تكذيب الرائين حتى افشيتموه
وتقولون بافواهكم من غير روية وتامل ما ليس لكم به علم فان الشيء المعلوم يكون
اولا في القلب ثم يعبر عنه اللسان وهذا ليس محله الا الافواه كما قال تعالى
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند
الله عظيم في الوزر هذه ثلاثة اثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم
تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقيق واستصغارهم لذلك
وهو عند الله عظيم ولولا هلا اذ سمعتموه من المخترعين قلتم ما يكون لنا ما يصح
وما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا فان التكلم بهذا ليس من حرف المومنين
سبحانك قول سبحانك لفظ يذكر عند رؤية عجيب ويذكر قبيل نسبة
مكروه الى احد كما يقال حاشاك فلان كذاب هذا بهتان عظيم نجزم
بحسب حسن الظن انه افتراء عظيم الوزر يعظكم الله ان تعودوا اي كراهة ان
تعودوا او في ان تعودوا كما تقول وعظته في كذا فتركه لمثله ابدا في شان
احد اي من كان ان كنتم مومنين حث على قبول الاتعاظ ويبين الله
لكم الايات لكي تتعظوا والله عليم حكيم ان الذين يحبون ان تشيع اي
تنتشر الفاحشة في الذين امنوا اي فاحشة كانت لهم عذاب اليم
في الدنيا والاخرة فيه دليل على ان ارادة الفسق والرضا به فسق والمومن
من يريد الخير لاخوانه والله يعلم السرائر وانتم لا تعلمون فيعاقب على ما
في صدوركم من مثل محبة افشاء الفاحشة ولولا فضل الله عليكم ورحمته

وان الله رؤف رحيم تكرير للمنة وتعظيم للجريمة بحذف جواب لولا كأنه
قال لترون ما لا يحيط بها لكم من العقاب يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان وساوسه واوامره نهي عام بعد خاص قدم في
سورة البقرة ومن يتبع خطوات الشيطان فهو غاو ضال فالخبر من
محذوف فانه اي الشيطان يأمر بالفحشاء علة للخبر دال عليه والفحشاء
ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع والعقل السليم قال صاحب البحر ضمير
فانه عائد الى من الشرطية يعني متبع الخطوات هو الامر بالفحشاء وهذا لانه
جعل فانه يأمر هو الخبر من غير حذف ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى
ما طهر من دنس النفس بواسطة وساوس الشيطان منكم من احد ابدا لان
نفسكم التي بين جنبيكم لا تغفل عنكم والشيطان مهيج لها معلم وانتم عنها غافلون
ولكن الله يزكي من يشاء فيوفق على تهذيب الاخلاق والتوبة الماحية
دنسه كما وفق بعض من اغواه بالافك على التوبة وطهرهم ومن دعائه
صلى الله عليه وسلم اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت
وليها ومولاها والله سميع عليم بالاقوال والنيات ولما وقع امر الافك
كان للصديق ابن خالة مسكين مهاجر ممن شهد بدرا قد زلق زلقة في
الافك وقد كان ينفق عليه مدى الزمان فحلف رضي الله عنه ان لا ينفق
عليه بعد ذلك فنهى الله عن عدم الانفاق وترك صلة الرحم بواسطة
زلته فقال ولا يأتل لا يحلف من الالية وهي الحلف وفي بعض القراءات ولا يتأل
اولوا الفضل منكم في الدين والسعة في الدنيا بالمال ان يؤتوا اي في شأن اعطاء
اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله سيما من اجتمع فيه
هذه الثلثة وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عن تفريطهم الا تحبون
ان يغفر الله لكم بعفوكم عن الناس والجزاء من جنس العمل والله غفور رحيم لما سمع
الصديق الاية قال بلى احب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته وقال
والله لا انزعها منه ابدا عوضا عن ذاك الحلف ان الذين يرمون المحصنات
العفائف الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس
فيهن دهاء ولا مكر المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم
عن بعض السلف ان هذا خاصة بمن رمى ازواج النبي فليس له توبة وقيل في

مشركي مكة اذا خرجت امرأة مهاجرة الى المدينة قالوا خرجت لتفجر
والاصح ان الاية عامة مشروط بعدم التوبة وقد عد صلى الله عليه وسلم
قذف المحصنات من السبع الموبقات وفي الطبراني قذف المحصنة
يهدم عمل مائة سنة قيل معناه ان الذين يرمون الانفس المحصنات
فيدخل فيه الذكر والانثى يوم تشهد ظرف لمتعلق لهم لا العذاب فان
البصريين لا يجيزون عمل المصدر الموصوف عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون بان انطقهن الله من غير ارادة لهم وعن ابن عباس
هذا خاص بالكفرة وعلى هذا يؤيد قول من قال الاية في مشركي مكة يومئذ
ايوم اذ تشهد يوفيهم الله هو عامل في يومئذ دينهم جزاءهم فالدين هنا
بالمعنى اللغوي الحق اي الواجب الذي لا ظلم فيه ويعلمون علما عيانا
ان الله هو الحق المبين ذو الحق البين العادل الظاهر عدله الخبيثات
للخبيثين يعني الكلمات والفعلات الخبيثات لا تليق ولا تلصق عند رمي
الرامي وقذف القاذف الا بالخبيثين من الناس فهي لهم وهم لها بهذا الوجه
او الكلمات الخبيثة لا يقولها ولا يرضاها الا الخبيثون من الناس والمراد من
الخبيثات النساء الخبيثات للخبيثين من الرجال وقول عائشة ولقد
خلقت طيبة عند طيب ووعدت مغفرة ورزقا كريما دال على هذا والخبيثون
من الرجال للخبيثات من القول او من النساء والطيبات من القول او من
النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول
او من النساء اولئك اي عائشة وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع والطيبون
والطيبات على الوجه الثاني مبرءون مما يقولون الضمير لذوي الخبث
لهم مغفرة ورزق كريم في الجنة ولما وجد اهل الافك سبيلا الى البهتان
لاتفاق الخلوة اعقبه تعالى بشيء لا يكون لاحد طريق في التهمة فقال يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها حتى تستأنسوا قيل
الاستيناس خلاف الاستيحاش من هو على باب الغير لا يدري يؤذن
له اولا فهو كالمستوحش من خفاء الحال فاذا اذن له استأنس فالمعنى
حتى يؤذن لكم او من آنس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا اي استعلم
ومنه آنست فلم ار احدا وتسلموا على اهلها وتقولوا بعد السلام اادخل

ثلث مرات ان اذن له دخل والا رجع وان كان البيت لامه وبنته
كما ورد في معتمد الاحاديث ذلكم الاستيناس والتسليم خير لكم
لعلكم تذكرون قوله لعلكم متعلق بمحذوف اي انزل عليكم ما فيه صلاحكم
ارادة ان تتعظوا وتتادبوا والمراد من قوله يا ايها الذين امنوا جنس
المؤمنين فان لم تجدوا فيها في البيوت احدا يأذن لكم فلا تدخلوها
حتى يؤذن لكم يعني لا تدخلوها الا باذن مالكها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا
ولا تلحوا هو اي الرجوع ازكى لكم اطهر واصلح والله بما تعملون عليم فلا يخفى عليه
ما امركم ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة هذا تخصيص بعد
تعميم فيها متاع لكم اي استمتاع لكم فان الغرض من الاذن كف النظر عن
العورات وليس في غير المسكون عورة والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
فلا تدخلوا لفساد ولا تطلعوا على عورات الناس ولما ذكر الاستيذان لان
لا يقع النظر على عورة قال قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي عما يحرم
وقد مر الكلام على مثل هذا التركيب في قوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا
يقيموا الصلوة في سورة ابرهيم فتذكر ويحفظوا فروجهم دخل من
التبعيضية في النظر دون الفرج دلالة على ان امر النظر اوسع لان اول
النظر لا يملك ولهذا في الحديث لا تتبع النظرة النظرة فان الاولى
لك وليست لك الثانية وقدم النظر لانه هو بريد الفجور والبلوى
فيه اكثر وقد فسر حفظ الفرج بالحفظ عن الزنا وكشف العورة وهو
حسن ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون فكونوا على حذر
من الله في حركاتكم وسكناتكم وقل للمؤمنات امرهن مصرحا لا في
ضمن امر الرجال لكمال الاهتمام في شان غض البصر وحفظ الفرج
يغضضن من ابصارهن قيل من في الموضعين للابتداء ويحفظن
فروجهن عما يحرم ولا يبدين زينتهن اي لا يظهرن مثل الخلخال والقرط
الا ما ظهر منها كالخاتم والكحل قال ابن مسعود ما ظهر منها هو الثياب
ونص على هذا احمد قال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وذكر الزينة
دون مواضعها مبالغة في الامر بالستر فعلم ستر مواضعها بطريق
الاولى وليضربن بخمرهن جمع خمار وهو المقنعة على جيوبهن ليسترن

فلا يشكل قوله ارادة ان تتعظوا بان
ارادة الله اذا تعلقت لا يمكن لاحد
التخلف عنه فلا بد ان يكون جميع المؤمنين
متادبا منه

اي تخصيص لذلك العام من قوله لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم منه

بذلك

بذلك القرط والاعناق والصدر وفي ليضربن تضمين معنى ليلقين
ولذلك عدي بعلى كما تقول ضربت يدي على الحائط اذا وضعتها
عليه ولا يبدين زينتهن اي المخفية الا لبعولتهن قدم الازواج لان
اطلاعهم يقع على اعظم من الزينة بل الزينة لهم او اباءهن او اباء بعولتهن
او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن
او نسائهن اي المؤمنات واكثر السلف على ان الكافرات كالاجانب
من الرجال وقد كتب عمر بن عبد العزيز الى ابي عبيدة ان امنع نساء اهل الذمة
من دخول الحمام مع المؤمنات ولم يذكر العم والخال مع انهما كالمذكور
في الاستثناء فقال الشعبي وعكرمة الاولى ان تتحاشى منهما حذرا من
ان يصفاهن لابنائهما فلهذا لم يذكرهما او ما ملكت ايمانهن اكثر
السلف على ان عبد المراة كابيها وعليه حديث صحيح وبعض من السلف
على ان المراد بما ملكت الاماء المشركات فانهن محرمات واما عبد
المراة كاجنبي او التابعين غير اولي الاربة من الرجال الاربة الحاجة
والمراد من لا حاجة لهم الى النساء ويتبعون ليصيبوا من فضل الطعام
ومنه الاحمق الغبي والشيخ الفاني والمجنون وقراءة غير بكسر الراء بدل
وبفتحها حال او بتقدير اعني او الطفل الذين المراد من الطفل الجنس في
وصفه بالجمع لم يظهروا على عورات النساء معنى الظهور الاطلاع
اي اطفال لا يعرفون ما العورة والطفل من لم يراهق الحلم ولا يضربن
بارجلهن الارض ليعلم ما يخفين من زينتهن من صوت الخلخال وهذا
عادة الجاهلية وتوبوا الى الله جميعا من التقصير في اوامره ونواهيه
او توبوا من مثل ما كنتم عليه من امر الجاهلية وفي معنى ابداء مثل الخلخال
التطيب عند الخروج من بيتها كما ثبت في الترمذي اذا استعطرت
فمرت بمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية ايها المؤمنون لعلكم تفلحون
قيل ليس في كتاب الله اية اكثر ضمائر من هذه جمعت خمسة وعشرين
ضمير للمومنات من مخفوض ومرفوع ولما كان النظر بالشهوة ودواعيه
الوقوع في الزنا غالبا في العزب اعقب امر غض البصر وحفظ الفرج
بالتزوج فقال وانكحوا الايامى العزب ذكرا كان او انثى منكم اي من

احوالكم والصالحين من عبادكم واماءكم خص الصالحين لان احصان
دينهم اهم والامر في انكحوا للندب عند الاكثرين ان يكونوا فقراء يغنهم
الله من فضله يعني لا يمنعكم فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة قال تعالى
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع لا ينفد جوده
عليم بصلاح احوال العباد في القبض والبسط وليستعفف ليجتهد
في العفة عن الحرام الذين لا يجدون نكاحا اي اسباب نكاح وقيل
النكاح هنا اسم لما يمهر به كاللحاف واللباس اسم لما يلتحف به ويلبس
حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به امر اولا بما يعصم عن
الفتنة وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي هو عاصم ثم بالحمل على النفس
الامارة بالسوء عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة ولما ذكر العبيد
والاماء الطف لتبيين الراغبين في النكاح وبعث السيد على تزويجهم
رغبهم في ان يكاتبوهم ان طلبوا ذلك فقال والذين يبتغون الكتاب
اي المكاتبة مما ملكت ايمانكم اي ان تبيعوهم من انفسهم فكاتبوهم خبر
للموصول ويحتمل ان الذين منصوب بكاتبوا وقوله فكاتبوهم مفسر
نحو زيدا فاضربه والفاء لتضمن معنى الشرط ان علمتم فيهم خيرا في الحديث
ان علمتم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلا على الناس والمراد من الخير الصدق
والصلاح في الدين واتوهم من مال الله الذي اتاكم اي اطرحوا لهم من
الكتابة شيئا وفيه خلاف في انه معين او غير معين والمراد امر الموسرين
باعطائهم سهمهم من الزكوة قيل ولو كان المراد الحط فحق العبارة ان يقال
ضعوا عنهم وكذا قوله من مال الله الذي اتاكم دال على ان المراد اعطاء
سهمهم ولما امر سبحانه بالرفق عليهم نهى عن ضده فقال ولا تكرهوا فتياتكم
على البغاء اي اماءكم على الزنا كما هو طور الجاهلية ان اردن تحصنا هذا
الشرط للتغليظ يعني لو كانت الامة تحترز عن تلك الرذيلة فما اقبح على
مولاها ان يكرهها عليها فان الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التعفف
لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا يعني ما يؤخذ من كسبهن شكت فتيات
ابن ابي بن سلول عن اكراههن على الزنا فنزلت كما نقله البزار في مسنده
والمفسرون ومن يكرههن على الزنا فان الله من بعد اكراههن اي

بعد

بعد فعلته القبيحة التي تستحق المقت للمكره غفور رحيم له اي بعد التوبة
للمكره قال صاحب البحر لا يجوز ان يقدر غفور رحيم لهن لانه لا يكون
في جواب الشرط حينئذ ضمير عائد الى الشرط وهو من ومثل ذلك الذي
هو مشروط بالتوبة ولم يذكر التوبة معه في القران غير عزيز والقول بان
الربط حاصل لان المعنى من بعد اكراههم اياهن باطل فان الفاعل
المحذوف من المصدر لم يعد وامن الروابط الا ترى انك لو قلت
هند عجبت من ضربها زيد لكان عربيا ولو قلت هند عجبت
من ضرب زيد لم يصح هذا الكلام وهو رد على الزمخشري وابي البقاء
ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات بكسر الياء اي مبينات غيرها
من الاحكام والحدود وجاز ان يكون لازما كما في قولهم قد بين
الصبح لذي عينين اي قد ظهر ووضح له وبفتح الياء اي مبينا فيها ثم
اتسع كالمبين في الحقيقة غيرها وهي ظرف للمبين ومثلا من الذين
خلوا من قبلكم اي امثالا من امثال من قبلكم وما حل بهم قال تعالى
فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين وموعظة للمتقين فانهم المنتفعون
بمواعظ القران ولما قال ايات مبينات ومثل فما القران الا هدى
ونور كما وصفه الله بذلك فاعقبه بقوله الله نور السموات والارض
اي منورها وهو كما يقال زيد كرم وجود للمبالغة في كرمه ويؤيد هذا
المعنى قوله مثل نوره بالاضافة الى ضميره وقراءة علي بن ابي طالب
وابي جعفر وعبد العزيز المكي وزيد بن علي وثابت بن ابي حفصة وسلمة
بن عبد الملك وابي عبد الرحمن السلمي وعبد الله بن عياش بن ربيعة
نور فعلا ماضيا والارض بالنصب قال الغزالي النور في الحقيقة
اسم لكل ما هو ظاهر بذاته مظهر لغيره والله تعالى هو المتصف بذلك
فهو النور الحقيقي مثل نوره هذا على تحقيق الغزالي مثل قولك وجود
زيد وذاته من اضافة العام الى الخاص فعلى هذا لا يؤيد معنى المنور
كما ذكرنا كمشكوة اي كنور مشكوة فيها مصباح اي سراج والمشكوة
كوة غير نافذة قيل هو حبشي معرب يعني مثل نور الله كمثل نور مشكوة
قيل المشكوة موضع الفتيلة وعلى هذا فيها مصباح معناه فيها فتيلة

وكذا قاله ابو عبد الله الرازي ثم قال ان
كلام جهول وكلام من لم يمعن في
العرب
منه

اشار الى ان حمل نور السموات حمل هو ذو
اي ذو نور كما تقول زيد عطاء اي ذو عطاء
ومعنى ذو عطاء اي معط فمعنى ذو نور لها اي
منور لها وحينئذ نظير ما بعده قوله مثل نوره لهذا
الكلام فتامل
منه

مشتعلة المصباح في زجاجة قنديل من الزجاج الزجاجة لصفاء جوهرها
وبريقها ولمعانها كانها كوكب دري متلألئ كالدر او فعيل من الدرء
وهو الدفع اي يدفع الظلمة توقد من شجرة مباركة اي من زيت شجرة
ونسبة الايقاد الى الزجاجة لتوقد المصباح فيها زيتونة في تنكير شجرة
ووصفها بانها مباركة ثم الابدال عنها بزيتونة موصوفة تفخيم لشان
الزيت وشرط البصريون في عطف البيان ان يكون معرفة من معرفة
كما مر في قوله ايات بينات مقام ابرهيم لا شرقية ولا غربية اي نابتة
في وسط الارض لا في شرق الارض ولا في غربها كالشام فان زيتونه اجود
قيل هذا كما يقال ليس باسود ولا ابيض يعني في محل ليس بشرقي وحده فلا يصيبها
حر الشمس في المساء ولا غربي وحده فلا يصيبها حر الشمس في الصباح بل في
مكان عليها اشراق الشمس في طول النهار فزيتها اصفى او لا في شرقية من
الشجر ولا في غربية بل في وسط الشجر فيصل اليها نوع حر من الشمس واما لكن
لا تحرقها كما في ثمرة طرف من الشجرة فربما تحرقها اما حر المصباح واما حر
الماء يكاد زيتها يضيء بنفسه ولو لم تمسسه نار لصفاء ذلك الدهن
جملة معطوفة على حال محذوفة وهي في كل حال ولو في هذه الحال التي تقتضي
ان لا يضيء نور على نور اي نور متضاعف نور النار ونور ذلك الزيت
ونور القنديل وضبط المشكوة لاشعته وهنا تم المثال وما احسن ذلك
حيث ذكر المصباح مرتين نكرة ومعرفة وكذلك الزجاجة وما اكتفى بقوله
كمصباح في زجاجة في مشكوة للتفخيم والتعظيم ولقد احسن ابو تمام وقد مدح
ملكا وقال اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم احنف في ذكاء اياس فقيل له
شبهت ملكا عظيما باجلاف من العرب فقال مرتجلا لا تنكروا ضربي له من
دونه مثلا شرودا في الندى والباس والله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من
المشكوة والنبراس النبراس المصباح فان المثل للتفهيم يهدي الله لنوره
من يشاء هدايته فيستدل بنوره على وجوده ووحدانيته وعلمه وقدرته
وحكمته ويضرب الله الامثال للناس تقريبا للافهام وتسهيلا للسبيل الى
والله بكل شيء عليم من المعقول والمحسوس الظاهر والخفي الكلي والجزئي عن ابن
عباس يكاد قلب المومن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد

هدى ونورا على هدى ونور وعن بعض السلف المصباح القران والزجاجة
قلب المومن والمشكوة لسانه وفمه والشجرة الوحي يكاد حجة القران
تتضح وان لم تقرا نور على نور نور القران والدلائل العقلية ونور البصيرة
وهذان الوجهان بناء على ان فسر بعضهم قوله مثل نوره بان صفة نور الله
وهداه في قلب المومن وكان ابن مسعود يقرا مثل نور الله في قلب المومن وبعضهم
قالوا المراد من النور القران ولما ذكر انه يهدي لنوره من يشاء ذكر حال
من حصلت له الهداية لذلك النور فذكر اشرف عباداتهم القلبية واي
التنزيه عن النقائص في اشرف بيوت وهو المساجد وقد جاء التقسيم
لقابل الهداية وغير قابلها فبدئ بالصالحين ثم الطالحين فقال في بيوت
اذن الله امر الله ان ترفع تعظم قدرها بتطهيرها عما لا يليق بها ويذكر
فيها اسمه يسبح له الفاعل في قوله في بيوت هو يسبح فيها بدل من
في بيوت بالغدو والاصال في طرفي النهار والمراد من التسبيح في الغدو
صلوة الصبح ومن التسبيح في الاصال صلوة العصر رجال فاعل يسبح
ومن قرا يسبح بفتح الباء ففاعل محذوف كانه قيل من يسبح فاجاب
يسبح رجال نحو فليبك يزيد ضارع لخصومة لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله اي لا تلهيهم عن ذكر الله معاملة لاجل الربح ولا مطلق البيع
بان لا تجارة ولا بيع لهم نحو على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا منار له
فيهتدى به او لهم تجارة وبيع لكن ذكر الله آخذ بمجامع قلوبهم فلا يشغلهم
شيء عن ذكره واقام الصلوة عطف على ذكر الله اي لا يشغلهم شيء عن اقامة
الصلوة وايتاء الزكوة المفروضة يخافون صفة لرجال كما ان لا تلهيهم
كذلك يوما مع تلك الطاعات تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب
وتتغير من هول ذلك اليوم وهو يوم القيمة ليجزيهم الله متعلق بيذكر
او بلا تلهيهم او تقديره فعلوا ذلك ليجزيهم احسن ما عملوا احسن جزاء
اعمالهم ويزيدهم من فضله سوى جزاء العمل ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر ببال احد والله يرزق من يشاء بغير حساب رزقا واسعا
لا يعد ولا يحصى اما على القولين الاخيرين فالاولى ان قوله في بيوت
مستانفة كانه قيل في اي موضع ذلك القنديل يعني الزجاجة قال هي

الذين ذكرناهما عن ابن عباس وعن بعض السلف منه

في بيوت كذا وعلى هذا يمكن ان يراد من البيوت صدور المؤمنين وحينئذ
المراد من القنديل والمشكوة الجنس ليصدق انها في بيوت ولما ذكر حال
المؤمنين بين حال الكافرين فقال والذين كفروا اعمالهم كسراب هو
ما يرى في فلاة وقت الظهيرة فيظن انه ماء بقيعة بمعنى القاع وهو الارض
المستوى يحسبه الظمآن ماء يحسب السراب ماء الكل لكن خصه بالعطشان
حتى يترتب عليه قوله حتى اذا جاءه فان الرواح الى السراب للعطش
لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده اي وجد مقدور الله عليه
من مثل الهلاك بالظمأ عند موضع السراب فوفاه حسابه اي فوفاه
ما كتب له من ذلك وهو المحسوب له والله سريع الحساب معجل
حسابه لا يؤخره عنه فعلى ما فسرنا الكلام متناسق آخذ بعضه بعنق بعض
والتشبيه مطابق لاعمالهم من حيث انهم اعتقدوها نافعة ولم ينفعهم وحصل
لهم الهلاك باثر ما حسبوا فالكافر يظن ان عمله في الدنيا نافعه حتى
اذا افضى الى الاخرة لم ينفعه عمله بل صار وبالا واما الزمخشري فجعل المشبه به
سرابا يحسبه العطشان في القيمة ماء فياتيه فلا يجد الا نقيض ما رجاه وقف
العطشان في القيمة ليحصل التقريب بين التشبيه وتتمته وهو قوله ووجد
الله عنده الى اخره وعلى هذا المشبه به امر خيالي لا موجود محسوس فالكافر
يحسب ان عمله مغن عن عقاب الله فاذا جاء اليه ليغنيه في اشد اوقات
الحاجة لم يجده ينفعه ووجد الله او وجد عقابه عنده فوفاه جزاء عمله
فيجر الى النار بعد ما طمع في الماء او كظلمات عطف على كسراب واو
للتخيير والتشبيه الاول فيما يؤول اليهم في الاخرة وهذا الثاني فيما هم عليه في
حال الدنيا اتبعه بهذا لعلهم يتفكرون فيرجعون الى الايمان في بحر لجي
عميق لا وصول الى عمقه يغشاه يعلو البحر موج من فوقه موج امواج مترادفة
من فوقه الضمير للموج الثاني سحاب مظلم ظلمات خبر محذوف اي
هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقراءة جر ظلمات على انه بدل من
ظلمات في كظلمات وقوله بعضها فوق بعض مبتدأ وخبر والجملة صفة
ظلمات اذا اخرج اي راكب البحر يده لم يكد يراها لم يقارب ان يراها فضلا عن ان
يراها لتكاثف الظلمة شبه اعمالهم في سوادها وظلمتها وما في قلوبهم من الجهل

والحيرة بظلمات متراكمة في غاية ما يكون بحيث لا يقرب ان يهتدي الى
النور سبيلا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور هذا في مقابلة يهدي الله
لنوره من يشاء وفي مقابلة نور على نور ولما اخبر ان الله نور السموات
والارض وعلم ان ظهورهما وظهور ما فيهما من نوره بين ان الموجودات
التي ظهرت من نوره واله مبينة لموجدها فقال الم تر الم تعلم علما كالمشاهدة
في اليقين ان الله يسبح له من في السموات والارض المراد بمن في الارض
المطيع لله من الثقلين او المراد بمن كل موجود فيهما وغلب ذوي العقول
والكل جماد ولسان به يذكر الله يسمعه من يسمعه وقيل المراد لسان الحال
والطير عطف على من صافات باسطات اجنحتهن في الهواء وذكر
هذا الحال لانه صفة كل طير فاني للشمول قيل خص الطير لانها ليست في سماء
ولا في ارض في تلك الحال اي في حال الطيران كل منهم قد علم صلوته
وتسبيحه اي قد علم صلوة نفسه كيف يصلي ويسبح بالهام الله اياه كما
الهم الطير من دقائق العلوم بحيث تحيرت فيه عقول العقلاء قال مجاهد
الصلوة للبشر والتسبيح لما عداهم والله عليم بما يفعلون من صلوتهم
وتسبيحهم ولله ملك السموات والارض خلقا وملكا والى الله المصير
مرجع الكل اليه سبحانه ولما ذكر ان الكل منقاد له وذكر ملكه والمصير اليه
يؤكد ذلك بعجيب من فعاله مشعر بانتقال من حال الى حال منبه على امكان
الانتقال الى المعاد فقال الم تر ان الله يزجي يسوق قليلا قليلا سحابا
ثم يؤلف بينه اي ثم يجمع بين قطعه واجزائه ثم يجعله ركاما متراكما بعضه
فوق بعض فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله يعني اذا تراكم بعض السحاب
على بعض وانعصر بذلك ينزل المطر منه اي من مخارجه التي حدثت
بالانعصار والخلال قيل مفرد وقيل جمع خلل كجبال وجبل وينزل من السماء
من جبال فيها من برد من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل
مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ومن الثالثة للتبعيض وهو
المفعول وعن ابن عباس وغيره ان في السماء جبال برد ينزل منها
البرد ومعناه ينزل من جانب السماء من قطع غيم كالجبال بعض برد
فيصيب به بالبرد من يشاء ان يصيبه ويصرفه عمن يشاء ان يصرفه

قيل البرد والزلزلة ليست الا للمصائب يكاد سنا ضوء برقه يذهب
بالابصار الباء للتعدية يعني يعميها من فرط الاضاءة فهو سبحانه مخرج
الماء والنار والظلمة والنور من شيء واحد وعادة الله جارية بان
برق غيم البرد اضوء ورعده اشد يقلب الله الليل والنهار يصرفهما في
اختلافهما وتعاقبهما ان في ذلك المذكورات لعبرة ودلالة لاولي الابصار
لذوي العقول السليمة على انه قادر على كل شيء عالم بالتفاصيل والله
خلق كل دابة من ماء كما خلق النبات من ماء اي ابتدا خلقها من
النطفة قيل من الماء المعهود لكونه لا يعيش الا بالماء ولو كان المراد
النطفة ففيه تغليب فان كثيرا من الحيوان غير متولد من نطفة وعن بعض اول
المخلوق الماء والنار والطين والريح خلق من الماء والمراد من الدابة ما يدب
على الارض من ذوي العقول وغيرها فمنهم من يمشي على بطنه قدمه لانه
اغرب سمي الزحف على البطن مشيا للمشاكلة لما بعده او للمشابهة
ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع
جعل الدواب كلهم مميزين تغليبا للعقلاء الذين هم الانس والجن فلما
غلبهم في المجمل استعمل لفظة من وهم في تفصيله ليكون على وتيرة المجمل
وما وجد ان ما يمشي على زيادة من اربع فلم يذكره لندرته وقيل اعتماده
على اربع ولا يفتقر في المشي الى الجميع يخلق الله ما يشاء ان يخلقه ان الله
على كل شيء قدير لقد انزلنا ايات مبينات لقد مر معنى المبينات عن
قريب والله يهدي من يشاء هدايته الى صراط مستقيم فيبصره اياه
ويعلمه الكتاب والحكمة ولما ذكر دلائل التوحيد اتبع ذلك بذم قوم امنوا
بالسنتهم دون قلوبهم فقال ويقولون اي الذين مع محمد صلى الله عليه وسلم
امنا بالله وبالرسول واطعنا الله وللرسول ثم يتولى عن الطاعة فريق
منهم من بعد ذلك القول والاعتراف وما اولئك الفريق بالمؤمنين
او الاشارة الى الجميع وصدق ان الجميع غير مؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله
ليحكم بينهم لما كان حكم الله بلسان رسوله افرد ليحكم اذا فريق منهم معرضون
فاجاؤوا الاعراض لعلمهم انه لا يحكم الا بالحق وهم ان كان الحق عليهم يريدون
الباطل وهذا يعلم من مقابله وهو قوله وان يكن لهم الحق لا عليهم يأتوا اليه

الى رسول ا

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذعنين منقادين جاز تعلق اليه بمذعنين
الذي هو الحال وتقديمه لرعاية الفواصل نزلت في يهودي ومنافق اليهودي
يجر المنافق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق الى ابن الاشرف
ليحكم بينهما افي قلوبهم مرض يفضي الى النفاق وقيل المراد الجنون ام ارتابوا
في نبوتك بعد الاعتراف ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
في الحكومة بل اولئك هم الظالمون هذا اضراب عن نفس التقسيم اي دع
التقسيم فانهم هم الكاملون في وضع الشيء غير موضعه فلذلك صدوا
عن حكومتك ولهذا جاء باسم الاشارة وتعريف الخبر بلام الجنس وتوسيط
ضمير الفصل وجاز ان يكون اضرابا عن ام ارتابوا ام يخافون او عن ام يخافون
او عن الثلثة ان فسر المرض بالجنون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم بينهم سواء كان الحق لهم او عليهم ان يقولوا اسم كان اي ما
كان الا ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون ومن يطع
الله ورسوله في امره ونهيه ويخشى الله اي عقابه فيما مضى ويتقه عن
عصيانه فيما بقي وفي بعض اللغات يسكنون ما قبل الهاء اذا سقطت
بالجزم فيقال لم اشتر طعاما فاولئك هم الفائزون وفق بل فوق
بغيتهم ولما استطرد حكاية قول المؤمنين رجع الى بيان احوال المنافقين
فقال واقسموا بالله جهد ايمانهم يعني قسما غليظا مؤكدا انتصب جهد
بانه مصدر من غير لفظ الفعل لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم ليخرجن
يعني يمتثلون بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم جواب للقسم ساد
مسد جواب الشرط قل لهم لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة اي طاعة
معروفة بين المؤمنين اولى من هذه الايمان الكاذبة او طاعتكم طاعة معروفة
بانها مجرد قول ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه شيء من سرائركم قل اطيعوا
الله واطيعوا الرسول فان تولوا اي تتولوا عن الطاعة يعني قل لهم يا محمد
اطيعوا واطيعوا ثم توجه اليهم بالخطاب وقال فان تولوا بانه خطاب
مستقل لا من تتمة القول فهو التفات من الغيبة الى الخطاب فانما
عليه على محمد ما حمل من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم من القبول فان
ادى خرج من عهدة التبليغ وان اعرضتم عن القبول فقد تعرضتم لسخط الله

وان قلت شكك ان لقلوبهم مرضا لكن
الاضراب عنه منه

وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح
فضرر عدم القبول لا يتعدى منكم ولما قال ليس على الرسول الا البلاغ
وصارت النفوس طامحة بان يعلموا الحال بعد تبليغ الرسول وعدم
قبولهم قوله قال مبينا حال المؤمنين السامعين ومن ضمنه تعلم حال المعرضين
وعد الله الذين امنوا منكم الخطاب للرسول ومن اتبعه ومن للبيان
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين
في الارض واللام جواب قسم محذوف او اجرى وعد الله لتحققه مجرى القسم
فتلقى بما تتلقى به القسم من اللام ونون التاكيد وعلى الاول معمول وعد
محذوف اى استخلافكم وتمكينكم دل عليه جواب القسم كما استخلف
الذين من قبلهم كبني اسرائيل حيث اورثهم ارض الجبابرة وليمكنن لهم دينهم
بالتثبيت والاحكام الذي ارتضى اختاره لهم وليبدلنهم اى يبدلن حالهم
وفي تلك العبارة مبالغة من بعد خوفهم من اعدائهم امنا منهم نزلت
حين قالوا يا رسول الله ابد الدهر نحن خائفون اما ياتي علينا يوم نضع
السلاح يعبدونني استيناف كانه قيل ما سبب الاستخلاف والامن
فقال يعبدونني او حال من ليبدلن لا يشركون بي شيئا من المخلوقات
حال من فاعل يعبدون ومن كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد حصول الخلافة
والامن او كفر بمعنى ارتد فاولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسق ولما
تمت لهم البشرى ومعناه اعبدوا ولا تشركوا ولا تكفروا النعمة او لا ترتدوا
عطف عليه بقوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم
ترحمون راجين رحمة الله ولما وعد المؤمنين بما وعدهم كان قائلا قال
كيف والكفار في كثرة وقوة فقال لا تحسبن ايها المخاطب الذين كفروا
معجزين الله عن اهلاكهم في الارض والخطاب في لا تحسبن لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والمقصود من الخطاب خطاب امته ومثل ذلك في القران
ليس بعزيز وفي قراءة بالغيبة معناه لا يحسبن حاسب او لا يحسبن الرسول
قيل الذين كفروا فاعل يحسبن اى لا يحسبن الكافرون انفسهم معجزين الله وقد مر
مثله في اواخر ال عمران وماويهم النار جملة حالية يعني لا ينبغي هذا الحسبان وقد
اعد لهم جهنم او عطف على جملة لا تحسبن وقد صرح سيبويه بجواز عطف الجمل على

اختلافها

اختلافها بعضها على بعض ومن لم يجوز ذلك وقال لا بد من مناسبة
في النوعية فقال حصلت المناسبة من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا
بمعجزين الله فالمعطوف عليه ايضا كالمعطوف خبر وقيل تقديره لا تحسبنهم
معجزين بل مقهورين وماويهم النار ولبئس المصير النار ولما كانت السورة
معقودة لبيان احكام العفاف والستر بين بعض احكامه وفي خلالها
اثبت نصايح ومواعظ استطرادا والدلالة على وجوب الطاعة فيما سلف
من الاحكام وغيره ووعد على امتثالها واوعد على الاعراض ثم رجع
الى المقصود من المعقود له السورة فقال يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم
الذين ملكت ايمانكم من عبيدكم واماتكم المراد من الخطاب الرجال والنساء
والاصل هو الرجال فخاطبهم او غلب فيه الرجال والذين لم يبلغوا
الحلم منكم من الاحرار ثلث مرات او قات في يوم وليلة اى ثلث
استيذانات قال صلى الله عليه وسلم الاستيذان ثلث من قبل
صلوة الفجر هو مع اخويه بدل من ثلث مرات وتقديره هي من قبل
فانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب
اليقظة وحين تضعون ثيابكم للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن
بعد صلوة العشاء فانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف
بثوب النوم ثلث عورات لكم اى هذه الاوقات ثلث اوقات
عورات والعورة الخلل وقراءة نصب ثلث بالبدلية من ثلث
مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح في ترك الاستيذان بعدهن بعد
هذه الاوقات والاية التي مضت للاحرار البالغين وهذه في
المماليك والصبيان فلا تكون ناسخة للاية السابقة طوافون
اى هم طوافون عليكم مستانفة لبيان العذر في ترك الاستيذان
في غير تلك الاوقات بعضكم طائف على بعض وتقديره يطوف
بعضكم على بعض فكثر ترددهم لقضاء الحوائج فيغتفر فيهم ما لا يغتفر في
غيرهم نزلت الاية لما دخل عبد لامراة صحابية عليها في وقت كرهته
او لما دخل وقت الظهيرة غلام من الانصار على عمر وهو نائم منكشف
عنه ثوبه والظاهر ان السرية خارجة من هذا الحكم الا ان يكون سيدها

زوجته او جارية اخرى ويكون عنده كذلك مثل ذلك التبيين
يبين الله لكم الآيات والله عليم باحوالكم حكيم فيما امركم واذا بلغ
الاطفال منكم الحلم اي ذلك الاطفال المستأذنون في ثلث اوقات
فليستأذنوا في جميع اوقات الدخول كما استأذن الذين بلغوا الحلم
من قبلهم وهم الرجال الاحرار كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم
حكيم كرره تأكيدا في الامر بالاستئذان فلا يدخل الغلام البالغ على
ابويه الا بالاستئذان والقواعد من النساء جمع قاعد اي عن الحيض والحمل
فهي من الصفات المختصة كطالق وحائض فلا يحتاج الى التاء اللاتي
لا يرجون نكاحا لا يطمعن في النكاح لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن
ثيابهن الظاهرة كالجلباب يعني ليس على العجائز من التستر ما على غيرها
من النساء غير متبرجات مظهرات بزينة امر باخفائها وان يستعففن
فلا يضعن الجلباب خير لهن لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالهن
عليم بنياتهن ولما حجر في امر البيوت لبعض ووسع لبعض لاجل صيانة
العرض ضيق ووسع ايضا في امر المال فقال ليس على الاعمى حرج ولا
على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم
او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم
او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم عن
ابن عباس وغيره ان الضعفاء من ذوي العاهات اذا نزلوا ضيفا
على احد وليس في بيته ما يضيفهم يذهب بهم الى بيت اقاربهم فيأكل
هو ومن معه من بيوتهم فلما نزل ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل خافوا
ان يكون هذا اكلا باطلا فنزلت اي ليس على الضعفاء ولا على من في مثل
حالكم من المؤمنين حرج في ذلك ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها
ازواجكم وعيالكم فقيل ذكرها ليعطف عليها الباقي فيعلم ان بيوت الاولاد
كبيت نفسه فلم يحترز عنها وقيل كان ينزل احد ضيفا على بيت وصاحب
البيت ليس فيه فتضيفه زوجة رب البيت فتحرج الضيف وقال ان
تأكلوا المراد ان تأكلوا انتم ومن معكم والمراد انه لا حرج على انفسكم ايها المؤمنون
ان تأكلوا من تلك البيوت ولا شك ان ذوي العاهات من الاعمى وغيره

داخل

داخل في على انفسكم لكن خصها بالذكر وقدمها لان سبب نزول الآية في
شأنهم وعن عائشة وغيرها انهم حين سافروا للغزو دفعوا مفاتيح
بيوتهم الى هؤلاء القاعدين بالعذر مرخصين لهم في الاكل من بيوتهم وهم
يتحرجون فنزلت رخصة لهم ولغيرهم وعن سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما
ان هؤلاء الضعفاء يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لما عسى يؤدي الى
الكراهة من قبلهم فنزلت وعن عطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم
ان معنى الآية ليس على هؤلاء من الاعمى وغيره حرج في القعود عن الغزو
لعذرهم ولا عليكم حرج من الاكل من تلك البيوت وسبب النزول
مختلف او ما ملكتم مفاتحه عطف على بيوتكم وما عبارة عن الاموال اي
من شيء تقومون بحفظه من مثل بستان وماشية فلا حرج في اكل ثمره
ولبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه مثل قولهم القيت
اليه مقاليد الامر اذا فوض اليه او عطف على ضمير المخاطب الذي هو
مضاف اليه للبيوت والمراد بيوت المماليك كذا قاله سعيد بن
جبير والسدي او صديقكم اي من بيوت صديقكم وهذا كله اذا علم رضى
صاحب المال وان كان بقرينة والصديق يكون واحدا وجمعا عن ابن
عباس الصديق اوكد من القرابة الا ترى استغاثة اهل النار لم يستغيثوا
بالآباء والامهات وقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قيل لعالم
اخوك احب اليك ام صديقك فاجاب لا احب اخي الا اذا كان
صديقي وما تعرض لبيت الاولاد لانه داخل في بيوتكم فان ولد الشخص
بعضه ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات وفي الحديث اطيب
ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ليس عليكم جناح ان تأكلوا
جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين عن ابن عباس وغيره كانوا يتحرجون
ان يأكل الرجل وحده فرخصهم وقال بعضهم كان غني يطلب فقيرا للاكل
معه فيتحرج الفقير وعن عكرمة كانوا اذا نزل بهم يتحرجون ان لا يأكلوا الا
مع الضيف فنزلت فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتأكلوا فسلموا
على انفسكم اي على اهلها الذي هو منكم دينا وقرابة او اذا دخلتم بيوت
انفسكم فسلموا على اهل بيتكم او اذا دخلتم بيوتا خالية فقولوا السلام علينا

ويقول اني فقير وانت غني لا آكل معك صح

وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله اي تحية ثابتة بامره مشروعة
من لدنه ونصبها على المصدر فان معناه حيوا تحية مباركة يرجى
بها زيادة الخير طيبة تطيب بها نفس المستمع وجاز ان يكون من عند
متعلق بتحية لا صفة لها فان التحية طلب حيوة من عند الله كذلك يبين
الله لكم الايات لعلكم تعقلون تفهمون معناها فتعملون على مقتضاها او
تدخلون في زمرة العقلاء ولما بين الاستيذان في دخول البيوت وجواز
الاكل من بعض البيوت واستحباب السلام حين دخول البيوت اعقبه
بالاستيذان عن محضر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي هو في بيت
الله فقال انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم والذين
لم يكونوا كذلك بل امنوا بمجرد اللسان فهم غير مؤمنين بالله ورسوله واذا
كانوا معه مع الرسول عطف على امنوا على امر جامع كشورد ومقاتلة وجمعة
لم يذهبوا عن محضره حتى يستاذنوه يعني ويأذن لهم وحذف للظهور
ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ايمانا
من صميم القلب وقوله انما المؤمنون كالمقدمة لاثبات ذلك فاذا استاذنوك
لبعض شانهم مهامهم فأذن لمن شئت منهم فالامر مفوض اليك واستغفر
لهم الله فان الذهاب عن محضرك ربما يكون لهم زلا ان الله غفور رحيم
لفرطات عباده ولما ذكر من الحكم ما هو من خصوصيات رسول الله اعقبه
بشيء آخر من خصوصياته الدال على تعظيمه كالاول فقال لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا يعني لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا فلا تقولوا
يا محمد يا ابا القاسم بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله او معناه لا تقيسوا دعاءه اياكم
على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في اجابته والرجوع بعد
الاجابة بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة وان كنتم في الصلوة
والمراجعة بغير اذنه محرمة او لا تجعلوا دعاءه لكم وعليكم مثل دعاء بعضكم
فان دعاءه موجب فاغتنموا رضاه واحذروا سخطه قد يعلم الله الذين
يتسللون ينصرفون عن الجماعة قليلا قليلا في خفية منكم لواذا ملاوذين
يلوذ بعضهم ببعض بحيث يدور معه اذا دار استتارا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال في البحر هو مصدر لاوذ لا مصدر لاذ والا لكان لياذا

وهو مستحب صلى الله عليه وسلم

قال الزمخشري يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كانه تابعه من لاذ يلوذ

كقام

كقيام وصيام صياما وكان هذا دين المنافقين يتسللون من محضر
النبوة باي وجه يمكن لهم فليحذر الذين يخالفون عن امره خالف يتعدى بنفسه
وقد يتعدى بالى فتعديته بعن لتضمن معنى الاعراض ان تصيبهم فتنة في الدنيا
او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة الا ان لله ما في السموات والارض خلقا
قد يعلم ما انتم عليه من نفاق واخلاص الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
قال في البحر الاصح ان قد في المضارع للتقليل كما ان رب كذلك فان فهم تكثير
فمن السياق لا من قد ولا من رب خلافا لما قيل وفيه التفات من الغيبة الى
الخطاب ويوم يرجعون المنافقون الظاهر عطفه ويوم على ما انتم فهو
مفعول يعلم وفيه التفات آخر من الخطاب اليه البحر فينبئهم بما عملوا
بمجازاته قيل يوم ظرف ينبئهم وجملة ينبئهم عطف على قد يعلم بالفاء المرتبة
ومعمول ينبئهم اعني يوم لما قدم عليه للاختصاص جيء بحرف العطف عليه
ومثله غير عزيز والله بكل شيء عليم يحيط علمه بما قل وكثر والحمد لله حق حمده

سورة الفرقان مكية آيها سبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تكاثر خيره او تزايد عن كل شيء وتعاظم او
ثبت ودام الذي نزل منجما الفرقان سمي القرآن به لانه فارق بين الحق
والباطل او لانه مفرق مفصول بين اياته في الانزال قال تعالى وقرانا
فرقناه الاية على عبده ليكون العبد وهو اقرب مذكور للعالمين الانس
والجن نذيرا منذرا مخوفا الذي له ملك السموات والارض بدل من الذي
نزل والفصل ليس باجنبي لانه من تتمة الصلة ومتعلقاتها او نصب
او رفع بالمدح ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في ملك
السموات والارض او في سلطنته وخلق كل شيء فقدره تقديرا في كمه
وكيفه وبقائه وفنائه واتخذوا الضمير للعالمين اي الانس والجن مع ثبوت
دلائل الوحدة وعلمهم بان الله هو خالقهم من دونه آلهة لا يخلقون شيئا
عاجزين وهم يخلقون فان عبدتهم ينحتونهم ونسبة الخلق الى العباد مجاز
كاحسن الخالقين فعبادهم بمنزلة الاله لالهتهم ولا يملكون اي آلهتهم
لانفسهم ضرا ولا نفعا لا دفع ضر ولا جلب نفع ولا يملكون موتا اماتة
ولا حيوة ولا احياء ولا نشورا احياء بعد موت فآلهتهم متصفون بصفات

[illegible]

فقد قيل ان قد قد يكون في المضارع للتحقيق والتأكيد

الاول من البركة وهي كثرة الخير والثاني فيما في البركة من معنى الزيادة والثالث من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها

ثانی الالوهیة وقال الذین کفروا ای قالوا الکفرهم ان هذا ای الفرقان
الذی نزل علی عبده الا افک افتریه کذب افتری عبده واعانه علیه
علی الافتراء قوم آخرون ارادوا الیهود مع علمهم بکذب کلامهم وافترائهم
علیه فقد جاؤا ظلما وزورا ای وردوا ظلما وافتراء فجاء متعد بنفسه نحو فاذا
جاءه لم یجده شیئا واما حرف التعدیة فلا یجوز حذفه وقالوا الفرقان
اساطیر الاولین شیء سطره المتقدمون اکتتبها جمعها او امر بکتبتها نحو احتجم
وافتصد وهو خبر ثان للمبتدأ المحذوف فهی تملی علیه بکرة واصیلا ای الاساطیر
تملی علیه دائما لانه امی لا یقدر الا قراءتها فیحفظها او تملی علیه فی هذین الوقتین
اللذین احدهما وقت انتشار الناس والاخر وقت ایوائهم الی مساکنهم
قل یا محمد انزله ای الفرقان ولم یقل انزلها اشارة الی انه لیس باساطیر
الاولین الذی یعلم السر فی السموات والارض ولذلک تری القران
مملوا من المغیبات انه کان غفورا رحیما ولولا رحمته ما امهلهم وقالوا
یعنی بعد ما نسبوا الیه الافتراء نفوا عنه النبوة مال هذا الرسول ای الذی
یزعم الرسالة یاکل الطعام کسائر البشر ویمشی فی الاسواق کسائر الرعایا
لولا ای هلا انزل الیه ملک فیکون الملک الظاهر الذی نراه معه
نذیرا منذرا ودلیلا علی نبوته والاظهر ان معه متعلق بنذیرا او یلقی الیه
کنز فیکون کالملوک او تکون له جنة یاکل منها ای فلا اقل ان یکون کدهاقین
یاکل من بستانه وقال الظالمون ای قالوا الظلمهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا
ای ما اکتفیتم بانکم تتبعون رجلا مثلکم بل تتبعون مسحورا فغلب علی عقله یعنی
رجلا انقص من امثالکم انظر یا محمد کیف ضربوا لک الامثال من مسحور وکذاب
ومحتاج فضلوا عن الحق فلا یستطیعون سبیلا الی الحق تبارک تکاثر خیر
الذی ان شاء جعل لک خیرا من ذلک الذی قالوه من الکنز والجنة جنات
تجری من تحتها الانهار ویجعل لک قصورا ای یهب لک فی الدنیا
مثل ما اعد لک فی الاخرة ونصب جنات علی البدلیة من خیرا والجزم
والرفع فی یجعل لان الشرط اذا کان ماضیا فیجوز فی جوابه الجزم والرفع
والرفع علی غیر مذهب سیبویه ومذهبه حینئذ ان الجواب محذوف
والمذکور مستانف کما بین فی کتب النحو بل کذبوا بالساعة وهو اعجب

کما قال بعض المفسرین اصله جاؤا بظلم فحذف باء التعدیة منه

من تکذیبهم

من تکذیبهم بنبوتک او ولهذا کذبوک فان تکذیبها حملهم علی هذه الاقاویل
فیک واعتدنا لمن کذب بالساعة سعیرا جعلنا نارا شدیدة الایقاد
معدة لهم اذا راتهم السعیر الذی هو النار من مکان بعید قیل من مسیرة خمسمائة
سنة سمعوا لها تغیظا وزفیرا صوت تغیظ وتغضب والزفیر صوت
یسمع من جوف المغتاظ حین شدة غیظه قیل سمعوا بمعنی ادرکوا وقیل
تقدیره سمعوا وراوا لها تغیظا وزفیرا الخوف فذا متقلدا سیفا ورمحا
روی ابن جریر وابن ابی حاتم وغیرهما بروایات متنوعات انه قال صلی الله
علیه وسلم من یقل علی ما لم اقل فلیتبوأ بین عینی جهنم مقعدا قیل وهل لها عینان
قال اما سمعتم الله یقول اذا راتهم من مکان بعید الایة وعلی هذا لا حاجة الی
بیان جهة المجاز ویحتمل ان هذا من باب تیراای نارا هما واذا القوا منها مکانا
ضیقا لمزید العذاب فی الحدیث والذی نفسی بیده انهم لیستکرهون
فی النار کما یستکره الوتد فی الحائط وقوله منها حال کان بیانا ان اخر
مقرنین قرنت ایدیهم الی اعناقهم بالسلاسل او مع کل کافر شیطانه فی
سلسلة دعوا هنالک ثبورا هنالک اشارة الی مکان ضیق
یقولون واثبوراه تعال فهذا اوانک والثبور الهلاک لا تدعوا ای
یقال لهم لا تدعوا الیوم ثبورا واحدا ای لا تدعوه مرة واحدة وادعوا
ثبورا کثیرا وکثرته اما لدیمومیة العذاب واما لانواعه قل اذلک خیر
ای ما وصفنا من انواع العذاب خیر ام جنة الخلد التی وعد ای وعدها
المتقون وفی هذا السؤال تقریع مع تهکم کانت الجنة فی علم الله لهم
جزاء علی اعمالهم بحسب الوعد ومصیرا مرجعا ینقلبون الیه واما غیر المتقین
من المومنین کالتبع لهم کما ورد ان النساء تبع للرجال فی الجنة ولهم اما متعلق
بجزاء او هو الخبر وجزاء حال او مفعول له لهم فیها ما یشاؤن خالدین کان
ما یشاؤن علی ربک وعدا مسئولا موعودا سالته الملائکة حین قالوا
ربنا وادخلهم جنات عدن التی وعدتهم او ساله المؤمنون یقولون
ربنا عجل لنا ما امرتنا فانجز لنا ما وعدتنا ویوم یحشرهم ای اذکره وما یعبدون
من دون الله المراد ذوو العقول من مثل ملک وعیسی واتی بلفظ
ما لانه ارید به الوصف ای معبودیهم او لتحقیرهم اشعارا بانهم غیر مستحقین

للعبودية او المراد اعم ويُنطق الله الاصنام وغلب غير ذوي العقول
لكثرتهم فيقول أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء اي الحاضرين ام هم ضلوا
السبيل من غير دعوة منكم والسؤال لتقريع العبدة ولما كان السؤال
عن تعيين الفاعل قدّم انتم وهم نحو أأنت فعلت هذا بالهتنا ونصب
السبيل بالحذف والايصال للمبالغة اي عن السبيل قالوا سبحانك
من ان يكون لك ندّا او ذكره للتعجب ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من
اولياء يعني نحن لا نعبد غيرك فكيف ندعوا احدا ان يتولى غيرك قيل المراد
من لنا جميع الخلائق ومن مزيدة في المفعول للاستغراق لانه سبب النفي
في نتخذ لانه معمول ينبغي واذا انتفى الانبغاء لزم انتفاء متعلقه واتخذ مما
يتعدى لواحد نحو ام اتخذوا آلهة من الارض ولاثنين نحو افرأيت من
اتخذ الهه هواه ولكن متعتهم يعني لم نحملهم على ان يشركوا لكن متعتهم واباءهم
في الدنيا بالنعم حتى نسوا الذكر ما انزلت عليهم من المواعظ بلسان رسلك
او غفلوا عن ذكرك لتلهيهم بامتعتهم وكانوا قوما بورا هالكين اشقياء راعوا
الادب حيث لم يقولوا صريحا انت اضللتهم كما قال موسى في مقام الانبساط
ان هي الا فتنتك لان المقام يأبى الانبساط فقد كذبوكم قال الله تعالى لهم
على سبيل الالتفات فقد كذبكم المعبودون بما تقولون هؤلاء اضلونا
قيل البا بمعنى في او هو بدل الاشتمال من كم فان كذبت فلانا وكذبت بقوله
بحسب المؤدّى واحد فصح الابدال واما من قرأ يقولون بالياء فمعناه كذبوكم
بقولهم سبحانك ما كان ينبغي فما تستطيعون صرفا للعذاب عنكم
ولا نصرا ومعنى قراءة التاء فما تستطيعون ايها العابدون صرف العذاب
عن انفسكم ولا نصرها ومن يظلم يشرك كذا فسره ابن عباس وغيره وهو
المناسب لان الكلام من مفتتح السورة في الكافر وفي وعيدهم منكم
نذقه عذابا كبيرا وما ارسلنا قبلك من المرسلين اي رسولا من المرسلين
الا انهم ليأكلون الطعام ما بعد الا حال ويمشون في الاسواق وهذا
جواب قولهم مال هذا الرسول يأكل وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض
فتنة ابتلاء وامتحانا كابتلاء المرسَل بالمرسَل اليه والفقير بالغني وبعض
الرسل باشراف قومه وكذلك اتصبرون علة للجعل وحث على الصبر

وكان

وكان ربك بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به فلا يضيقن صدرك
او بصيرا بمن يصبر وقال الذين لا يرجون لقاءنا لا يخافون البعث ولا يأملون
لقاءنا بالخير لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبرنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم
او نرى ربنا فيخبرنا عيانا بانه الرسول لقد استكبروا في انفسهم حتى تمنوا
ما لم يحصل لاحد واللام جواب قسم محذوف وعتوا تجاوزوا حدهم
عتوا كبيرا يوم اي اذكر يوم يرون الملائكة اي عند الموت لا بشرى يحتمل بناءه
ويحتمل ان يكون بنية التنوين ومنع صرفه للزوم التأنيث يومئذ للمجرمين
ويومئذ صفة لبشرى وللمجرمين هو الخبر او للمجرمين متعلق بما تعلق به الخبر واعيد
يومئذ ويومئذ ليس للتكرير وللمجرمين من ذكر الظاهر موضع المضمر وعام
لهؤلاء وغيرهم تتجلى الملائكة للمؤمنين فيبشرهم عند موتهم وبعثهم بانواع
من الرحمة وللكافرين باجناس من الخيبة ويقولون اي المجرمون لهم حجرا
محجورا الواو للحال من الملائكة يعني وهم يقولون قال سيبويه هذا مثل
معاذ الله من مصادر غير متصرفة منصوبة بافعال متروكة يتكلمون بها
عند لقاء مكروه يضعونها موضع الاستعاذة وهي من حجره اذا منعه
لان المستعيذ من الشيء طالب من الله ان يمنعه فانه مكروه فكأنه قال الله
اسأل ان يحجره حجرا ووصفه بمحجورا كموت مائت للتاكيد فهذا عوذهم
من الملائكة مع انهم في الدنيا طالبون النزول لهم وقيل هذا قول الملائكة للمجرمين
يعني حراما محرما عليكم رحمة الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل شبه حالهم
بحال من خالف سلطانا عظيما فقدم الى اسبابه فمزقها ولم يبق لها
اثرا وقوله من عمل بيان للتعميم فجعلناه هباء منثورا احبطناه شبه
عملهم بعد احباطه بالغبار في الحقارة وعدم النفع وما اكتفى بذلك بل
شبهه بالمنثور المتفرق منه كانه ضربته الريح وفرقته ومنثورا صفة
هباء اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا موضع قرار واحسن مقيلا
مكان استراحة والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم
يعني هؤلاء في اسوأ حال وهم في احسنها ويوم تشقق اي تتشقق
السماء بالغمام بالحال اي متغيمة او بسبب طلوع الغمام منه كما يقال شق
السنام بالشفرة ونزل الملائكة في ذلك الغمام تنزيلا يعني تنفتح السماء

ان تكون لا لنفي الجنس نحو لا رجل
منه

فلا تكون لا لنفي الجنس ولم ينقل بشرى
بالتنوين لانه غير منصرف منه

بغمام يخرج منها وفي الغمام ملائكة ينزلون فيحيطون بالخلائق للحشر الملك
يومئذ الحق للرحمن الحق صفة الملك اي الثابت فان كل ملك
سوا ملكه زائل ويومئذ خبر الملك وللرحمن متعلق بالحق او للرحمن هو الخبر
ويومئذ معمول الملك وكان يوما على الكافرين عسيرا وهو مع طوله
يخفف على بعض المؤمنين حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة يصليها في
الدنيا كما وقع في مسند الامام احمد ويوم يعض الظالم على يديه عض
اليدين والانامل وامثالها كنايات عن كمال غيظه وحسرته والمقصود
بيان هول القيمة بتندم الظالم وتمنيه انه لم يكن اطاع خليله الامر بالظلم
يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ارافقه في الطريق يا ويلتي
تعال فهذا اوانك ليتني لم اتخذ فلانا خليلا فلانا كناية عن علم كما ان
فل كناية عن نكرة فيا فل معناه يا رجل لقد اضلني عن الذكر ذكر الله او
القران بعد اذ جاءني وكان الشيطان من صدك عن ذكر الله فهو
شيطانك للانسان خذولا خذله خذلانا اذا ترك عونه ونصرته
يعني هو غير نافع له عند البلاء وجملة وكان الشيطان يحتمل ان يكون
من تتمة قول الظالم ويحتمل انه كلام الله من غير حكاية صرح كثير من السلف
ان حكم هذه الايات عام في جميع المتحابين المتفقين في معصية الله
وقال الرسول والاظهر ان قوله هذا مما جرى له في الدنيا بدليل اقباله عليه
مسليا بقوله وكذلك جعلنا الاية يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا
القران الذي انزلته لذكرهم مهجورا متروكا غير ملتفتين اليه قيل بمنزلة
الهجر والهذيان فان الهجر بالفتح الهذيان فيكون كالمجلود بمعنى الجلد
وكذلك جعلنا ذكره للتسلية والوعد بالنصر لكل نبي عدوا العدو
يطلق على الواحد والجمع من المجرمين من الذين يهجرون شرائعه فاصبر
كما صبروا وكفى بربك هاديا ونصيرا هو الكافي في الهداية والنصر
فلا تبال عن صدهم الناس فان الله يهديهم وهو ناصرك عليهم
ونصبهما على التمييز وقال الذين كفروا لولا هلا نزل عليه القران جملة واحدة
كسائر الكتب قال صاحب البحر ان نزل وانزل مترادفان ونزل لا يقتضي
التفريق في النزول وعلى هذا لا يحتاج الى كلفة توجيه وهذا من جملة اقوالهم التي

وهو وان كان اجنبيا لكن لاجل انه
ظرف فيه الاتساع نحو الوزن
يومئذ الحق منه

لا طائل تحتها لان امر الاحتجاج به والاعجاز لا يختلف بنزوله جملة واحدة
او مفرقا كذلك اي انزلناه كذلك اي مفرقا لنثبت به فؤادك في حفظه
شيئا بعد شيء وفهمه فانك امي ولانه كلما نزل عليك وحي من ربك
يزداد لك قوة الى قوة ولاعدائك ضعفا وكسرا على كسر وتجدد
الرسالة مزيد التفات وعناية ورتلناه ترتيلا فصلناه وبيناه تبيينا
على تمهل بحسب الوقايع وهو عطف على فعل محذوف ناصب لكذلك
ولا ياتونك بمثل بشيء عجيب في القدح الا جئناك بالحق الذي يدفع
الباطل واحسن تفسيرا بيانا وكشفا في دفع اعتراضهم وهذا سبب اخر
لانزاله مفرقا الذين يحشرون اي هم الذين يحشرون يعني الذين ياتونك
بمثل في قدحك هم الذين يحشرون بتلك الفضيحة ولا يدرون على
وجوههم الى جهنم بان يسحبون على وجوههم او يمشون بوجوههم كما يمشون
بارجلهم كما ذكر في الحديث الثابت قيل هو مجاز عن الذلة المفرطة وقيل
او من قول العرب مر فلان على وجهه اذا لم يدر اين يذهب اولئك
شر مكانا منزلا او منزلة واضل سبيلا نسب الضلال الى السبيل والضلال
لهم في السبيل للمبالغة في الضلال وقوله شر واضل ليس على بابهما من
الدلالة على التفضيل فيمكن ان يكون من باب العسل احلى من الخل يعني
قبح مكان الكفرة وضلال سبيلهم اكثر من حسن مكان المؤمنين وهداية
سبيلهم واستقامتها ولما سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله وكذلك
جعلنا لكل نبي كما ذكرنا اخذ يبين اعداءهم مجملا بقوله وقرونا بين ذلك
كثيرا وكلا ضربنا له الامثال ومفصلا بحكاية موسى ونوح وغيرهما فقال
ولقد اتينا موسى الكتاب الالواح وكثير من السلف على ان الالواح
غير التورية او المراد من الكتاب ما يستلزمه من النبوة والرسالة لان
التورية ما نزل الا بعد هلاك فرعون وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا
معينا له في النبوة بالتماسه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا
فان قوم فرعون كذبوا جميع الانبياء المتقدمين فدمرناهم تدميرا اي
استاصلناهم بعد ما كذبوهما حين ذهبا بهما اليهم اقتصر القصة بمجمل
الحكاية فان المقصود الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق العذاب بالتكذيب

وقوم نوح لما كذبوا الرسل نوحا ومن قبله او من كذب رسولا فقد
كذب جميع الرسل فان كل رسول يصدق الرسل اغرقناهم وجعلناهم
اي قصتهم او اغراقهم للناس آية عبرة واعتدنا للظالمين اي لهم لظلمهم
عذابا اليما غير عذاب الاغراق ونصب قوم بفعل محذوف مثل
اهلكنا لانه منصوب بفعل يفسره اغرقنا لان الاصح ان لما شرط
فاغرقناهم جوابه فلا يكون مفسرا قيل المراد من الظالمين العموم وعلى هذا
عطف واعتدنا على ناصب قوم لا على اغرقنا وعادا وثمود واصحاب
الرس عطف على قوم نوح يعني اهلكناهم وقد اختلف في اصحاب الرس
فقيل عباد الصنم حول بئر فخسف بهم والرس البئر الغير المطوية وقيل
اي غير المبنية على الحجارة والآجر
قوم دفنوا نبيهم في بئر وقيل غير ذلك وقرونا اهل اعصار بين ذلك
يعني بين المذكورين كثيرا صفة لقرونا وكلا ضربنا له الامثال في اقامة
الحجة عليهم وانذرناهم من وقايع اسلافهم فلم يعتبروا ونصب كلا بمثل
انذرنا لا بنفس ضربنا وكلا تبرنا تتبيرا فتتناهم ولقد اتوا اي مر قريش
في طريق الشام على القرية التي امطرت مطر السوء امطرت عليها الحجارة
وهذا من باب تبتل اليه تبتيلا افلم يكونوا يرونها فيتعظوا بما يرون من
آثار عذابهم مع انهم مروا عليها مرارا بل كانوا لا يرجون نشورا اي بل كانوا
ولم يتعظوا لانهم لا يؤمنون بالبعث والنشور واذا رأوك ان يتخذونك
الا هزوا ان نافية جواب اذا وانفردت اذا بانها اذا كان جوابها
منفيا بما او لا لا تدخله الفاء بخلاف ادوات الشرط غيرها فلا بد من الفاء
وهزوا اي مهزوا به او موضع هزء اهذا اي يقولون هذا والاشارة
للاستحقار الذي بعث الله رسولا الجملة كالبيان للهزء قيل جواب اذا
قالوا هذا وجملة ان يتخذونك الا هزوا معترضة ان كاد ان مخففة من
المثقلة ليضلنا عن آلهتنا شارفنا ان نترك اصنامنا لولا ان صبرنا عليها
اي لولا صبرنا لكنا صرفنا عنها فجواب لولا ما دل عليه ان كاد ليضلنا
وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا جواب عن كلامهم
فانهم نسبوه الى الضلال والاضلال وفيه وعيد بانه لا يهملهم وان امهلهم
الظاهر ان من استفهامية مبتدأ واضل خبره والجملة في موضع مفعول

يعلمون

يعلمون ارأيت من اتخذ الهه هواه استفهام تعجب من جهل من هذه
حاله فانهم اذا رأوا حجرا احسن من حجر يعبده تركوا الاول بحسب هواهم
وقوله الهه هواه مفعولاه والمعنى انه لم يتخذ الها الا هواه وليس من
باب القلب فانه من ضرورات الشعر افانت تكون عليه وكيلا حفيظا
والمفعول الاول لرأيت من اتخذ ومفعوله الثاني الجملة الاستفهامية
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فيسمعوا الحق او يعقلوه وهذه
المذمة بحسب الظاهر اشد عما قبله تحقيق بالاضراب اليه عنه وذكر
الاكثر لان فيهم من عقل وآمن ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
فانها تنقاد للمتعهد وتعرف المحسن وتجتنب المضار وتهتدي الى مراعيها
ومشاربها وما لها اضلال وان فرض ان لها ضلالا لا لهم بين جهل
المعرضين على دلائل حقية كلامه ورسوله وردهم باوضح وجه واحكمه
واثبت عليهم كمال جهلهم ذكر انواعا من الدلائل على قدرته التامة العامة
فقال الم تر الم تنظر الى ربك الى صنعه كيف مد الظل عن ابن عباس
وغيره من جم غفير من السلف ان المراد ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس
جعله ممدودا فانه ظل على وجه الارض ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا دائما
مثل ظل الجنة لا تزيله الشمس ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لو لم تكن
الشمس لما عرف الظل فان الشيء يعرف بضده وقيل جعلنا الشمس
مستتبعة عليه كالدليل للمدلول ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
ازلنا الظل قبضا على مهل وتدريج او قبضا سهلا هينا او سريعا
بان اوقعنا موقعه الشمس لفوائد لا تحصى والقبض في مقابلة المد
والبسط وثم في الموضعين للاشارة الى ان كلا اعظم من الاول واغرب
قيل معناه مد الظل حين بني السماء كالقبة على الارض عند دحوها
فلا نير ولو شاء لجعله ساكنا كما قال ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا الى يوم القيمة ثم خلق الشمس ونصبها دليلا على مد ظل
الليل ولولاها لا يعرف الليل والظل يزيد بها وينقص ويمتد
ويتقلص ثم نسخه بها بقبضه قبضا سهلا يسيرا ثم شرع في آية اخرى
فقال وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه الظلام باللباس في الستر

والنوم سباتا اي النوم فيه راحة ومنه يوم السبت ويقال للعليل
اذا استراح من تعب العلة مسبوت او السبات الموت
والمسبوت الميت لانه مقطوع الحيوة والسبات ايضا ضرب
من الاغماء والسبت ايضا هو الاقامة في المكان وفي مقابلته النشور
بمعنى الانتشار والحركة وجعل النهار نشورا بعثا فان النوم اخ الموت
او ذا نشور ينتشر فيه الخلق بعد السكون ثم بين آية اخرى فقال وهو
الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته قدام المطر قد مر في سورة الاعراف
وانزلنا من السماء من جانبه او منه كما مر مرارا ماء طهورا الظاهر انه
فعول للمبالغة في طهارته نحو وسقاهم ربهم شرابا طهورا او طاهرا
مطهرا كما قال الله تعالى وانزل من السماء ماء ليطهركم به لنحيي به بلدة
ميتا وصفها بالمذكر لانها في معنى الموضع والبلد ونسقيه مما خلقنا
انعاما فانها ذخيرة الانسان متعلقة به بخلاف الطيور والوحوش
فالكلام مسوق لتعداد النعم واناسي جمع انسان عند سيبويه وجمع
انسي عند الفراء والمبرد وكثيرا فان بعضهم اهل مدن لا يحتاجون مثل
احتياج البدو الى المطر والظاهر ان كثيرا صفة لاناسي وجاز ان
يكون صفة لانعاما واناسي فان الانعام التي في المدن كالاناسي
فيها غير محتاج غاية الاحتياج الى المطر لوجود الانهار والابيار في المدن
وقدم احياء البلدة في الذكر لان حياتهم بحيوة ارضهم ثم قدم الانعام
لان الاكل والشرب شان الانعام وقصارى همتهم حيوة انعامهم
فكان حيوتهم بحيوتها ولقد صرفناه عن ابن عباس الضمير للقرآن ووضوح
هذا الكلام فيه ويعضده قوله وجاهدهم به فان الضمير للقرآن بلا خلاف
بينهم ليذكروا ليتعظوا بمواعظه وعن بعضهم وهو المنقول عن ابن عباس
ايضا معناه صرفنا المطر مرة ببلدة ومرة باخرى وعن ابن مسعود مرفوعا
ليس من سنة بامطر من اخرى لكن الله قسم الارزاق فاذا عمل قوم
بالمعاصي حول الله الى غيرهم فاذا عصوا جميعا فالى البحار والفيافي
وقيل صرف المطر على الصفات المختلفة من وابل وطل وجود ورذاذ
وديمة ورهام وعلى الثاني معناه ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر

الناس

الناس الا كفورا كفران النعمة قال عكرمة الا جحودا لما قالوا مطرنا بنوء كذا
ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا كما انزلنا على كل قرية اسطارا فيهون عليك
يا محمد اعباء النبوة لكن ما فعلنا لتعظيم اجرك وهؤلاء كما يكفرون بك
يكفرون بنذرهم ورسلهم فلا تطع الكافرين وهذا تهييج للنبي وامته وجاهدهم
بالقرآن او بما امرك القرآن به جهادا كبيرا لا يخالطه فتور بان تلزمهم الحجج
والايات باي وجه يمكن لك ثم بين آية اخرى فقال وهو الذي مرج البحرين
ارسلهما في مجاريهما والمراد بالبحرين الماء الكثير من العذب ومن المالح
هذا عذب فرات بليغ عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ ملوحته وجعل
بينهما برزخا حاجزا لان لا يختلط احدهما بالاخر وحجرا محجورا كلمة يقولها
المتعوذ كما مر في هذه السورة كان كلا من البحرين يقول لصاحبه ما يقوله
المتعوذ منه وحجرا اما عطف على برزخا او تقديره وقال حجرا والقول
مجازي وهذا كدجلة ونيل مصر تشقان البحر المالح بحيث يبقى نهرا تجري
في خلاله فراسخ ولا تختلط وقيل في سواحل بحر الهند اعذب من ذلك
فالحاجز محض قدرة الله وقيل المراد بالعذب الانهار والعيون والابار
وبالملح البحار المعروفة فالمراد بالبرزخ الارض الحائل بينهما ثم ذكر آية اخرى
فقال وهو الذي خلق من الماء اي من النطفة بشرا هو يطلق على الواحد
والجمع فجعله نسبا وصهرا اي ذوي نسب يعني ذكورا ينسب اليهم فيقال
فلان ابن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر يعني اناثا يصاهر بهن
قيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل وقيل في ابتداء امره ولد نسيبا
ثم يتزوج فيصير صهرا وكان ربك قديرا على ما اراد ويعبدون من دون
الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني هؤلاء الجهلة يتركون عبادة خالقهم القادر
على تلك الاشياء البدايع ويعبدون العاجز الذي له كل عجز وكان الكافر على ربه
ظهيرا معينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك غير ملتفت
اليه وقيل يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك ولما ذكر ان
الكافر مهين غير ملتفت اليه على الله فذكر بعده ما يدل على ان لا يحزن لحال
رسوله ان لا يزيد همه فيهم لما بلغ رسالته فقال وما ارسلناك الا مبشرا
ونذيرا مبشرا للمؤمنين الذين هم عند الله عظيم ومنذرا للكافرين الذين هم

مهين حقير عند الله قل ما اسألكم عليه اي على ما ارسلت اليه من البشارة
والانذار من اجر فلا تثابوا في اخلاصي الا من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا يعني لا اسألكم لنفعي اجرا ولكن لا امنع من انفاق مال في طلب
مرضات الله واتخاذ السبيل الى الجنة فتقديره لكن من شاء ان
يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وهذا كما يقال لا اطلب من خدمتك
اجرا الا راحتك اي الا فعل من شاء التقرب الى الله فجعل فعله
الذي لا ينفع الا فاعله من جنس اجره اظهارا لكمال الشفقة ودفعا لريب
الطمع كانه قال هذا اجري ولا شك انه ليس باجر له وتوكل على الحي
الذي لا يموت في الاستغناء عن اجورهم والاستكفاء عن شرورهم
فانه هو الباقي حقيق بان يتوكل عليه وسبح بحمده نزهه عن كل نقص
مثنيا بنعوت كماله وكفى به اي كفى الله بذنوب عباده خبيرا فلا عليك
ايمانهم وكفرهم وهي كلمة يراد بها المبالغة يقال كفى بالعلم جمالا وبالادب
مالا يعني حسبك لا تحتاج معه الى غيره الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد مر تفصيل معناه في
سورة الاعراف الرحمن خبر الذي قيل بدل من المستكن في استوى
وعلى هذا الذي خبر محذوف فاسئل به خبيرا اي سل عما ذكر من الخلق
والاستواء عالما يخبرك به وهو الله وقيل تقديره هو الرحمن
فاسأل خبيرا بالرحمن فان اهل الكتاب يعرفون مرادفه في كتبهم وان
قريشا انكروا اطلاقه على الله فعلى هذا به متعلق بخبيرا والسؤال يعدى
بالباء لما في السؤال من معنى الاعتناء واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الذي
خلق كل شيء برحمته قالوا وما الرحمن استفهم كفار قريش استفهام جاهل
بمعناه وهم عارفون بمعناه وبصفته الرحمانية مغالطة ووقاحة
كما قال فرعون وما رب العالمين على سبيل المناكرة وهو عارف برب
العالمين كما قال له موسى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض بصائر انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بسجوده او لامرك
لنا وما نعرفه ومن قرأ بالياء فيكون هذا الكلام بعضهم لبعض وزادهم نفورا
اي زادهم الامر بالسجود نفورا عن الايمان ولما ذكر انه خلق السموات

والارض اعقبه باعظم ما خلق في السماء من منافع السماء والارض فقال
تبارك كثر وثبت خيره الذي جعل في السماء بروجا قصورا عالية هي
للكواكب السبعة السيارة كالمنازل لسكانها وهو المروي عن علي
وابن عباس وغيرهما وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة
والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وعن بعض
البروج هي الكواكب العظام وجعل فيها سراجا هي الشمس ومن قرأ
سرجا فالمعنى الكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا في الليالي وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يعقب هذا ذاك وذاك هذا
او يخلف كل منهما الاخر بقيامه مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه فمن فاته من
الخير في احدهما فيتداركه في الذي يليه قاله ابن عباس لمن اراد ان يذكر
او اراد شكورا اي لينظر الناظر في اختلافهما فيعلم ان لا بد لانتقالهما من
ناقل قادر عليم حكيم ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من سكون وتصرف
او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما قام
به في الاخر وذكر بلفظة او لان كلا من التذكر والشكر لنوع غير الاخر
ولما انه جعلهما خلفة لمن اراد الذكر والشكر عرفه وبينه فقال وعباد
الرحمن الذين اذا امروا بسجوده سجدوا الذين يمشون على الارض هونا
اي هينين او مشيا هينا بسكينة ووقار من غير جبرية واستكبار وقوله
الذين خبر لقوله وعباد او الذين صفة عباد وخبره ما في اخر السورة
اولئك يجزون واذا خاطبهم الجاهلون بما يقتضيه جهلهم قالوا سلاما
ويسمى هذا سلام متاركة قال تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه الاية
يعني نتركونه ولا نعارضونه فان من عارض جاهلا فهو مثله وعدم معارضته
للجاهل من تتمة الوقار ولهذا لم يقل والذين اذا خاطبهم الجاهلون والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما المراد احياء تمام الليل او اكثره بالصلوة والقيام
والسجود حالان من احوال الصلوة والبيتوتة ان يدركك الليل نمت
او لم تنم والصلوة في الليل افضل قال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الاية
والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم فيه ايذان بانهم
مع اجتهادهم في العبادة خائفون مبتهلون في صرف العذاب عنهم

لا معجبون بعبادتهم ان عذابها كان غراما هلاكا وخسرانا ملحا انها
ساءت مستقرا ومقاما ساءت بمعنى بئست وفيها ضمير مبهم
ومستقرا ومقاما تمييز مفسر للمبهم بتاويل الدار والمنزلة والمخصوص
بالذم مقدر اي بئست مستقرا ومقاما هي والمقدر هو الرابط بين
اسم ان وخبرها او ساءت بمعنى احزنت والمفعول محذوف اي
ساءتهم والفاعل ضمير جهنم ومستقرا ومقاما تمييزان او حالان وجاز
ان يكون التعليلان من كلام الله او حكاية لكلامهم قيل المستقر للعصاة
من المؤمنين والمقام للكافرين فانها دار اقامتهم والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ليسوا مبذرين ولا بخلاء
بل يكون انفاقهم عدلا وسطا وعن عمر رضي الله عنه من اشترى اي شي
اشتهى فهو مسرف فضمير كان لمصدر انفقوا وذلك اشارة الى الاسراف
والاقتار وخبر كان اما قواما وبين ظرف وبين هو الخبر وقواما حال
او خبر بعد خبر وفسر ابن عباس وغيره الاسراف بالانفاق في معصية
الله والاقتار بالامساك عن طاعته والذين لا يدعون مع الله
الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق متعلق بلا يقتلون
او بقتلها المقدر ولا يزنون سال ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم
اي الذنب اعظم فقال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال
ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليلة
جارك فانزل الله الاية تصديقا له ومن يفعل ذلك يلق اثاما اي اثما
يعني جزاءه وعن بعض السلف ان اثاما واد او بئر في قعر جهنم
يضاعف له العذاب يوم القيمة بالجزم بدل من يلق وبالرفع استئناف
او حال ويخلد فيه مهانا وتضعيف العذاب والخلود فيه لانضمام الكبيرة
الى الكفر الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات اي تنقلب بنفس التوبة فان التائب ان تاب
حق التوبة بحيث كلما تذكر ما مضى منه تحسر وندم واستغفر فيقلب
الله ذنبه طاعة بحيث يتمنى في القيمة ان تكون سيئاته اكثر من ذلك
والاحاديث الصحاح والحسان دالة على ذلك والمعنى انه يمحوها

ويثبت

ويثبت مكانها الايمان وما عمل من الطاعات في اسلامه وعلى هذا يحمل
كثرة سيئاته في القيمة باعتبار ان كل حسرة على ذنب طاعة فلو زادت
سيئاته زادت حسراته فكثرت طاعاته في البحر سيئاتهم هو المفعول
الثاني واصله ان يكون مقيدا بحرف الجر نحو وبدلناهم بجنتيهم جنتين
وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفوا ويبدل والظاهر من الاية قبول
توبة المسلم القاتل بغير حق ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله
يرجع الى الله متابا مرضيا عنده او يرجع الى ثوابه مرجعا حسنا او المراد
من تاب فقد تاب الى من له اللطف الشامل والرحمة الواسعة والذين
لا يشهدون الزور لا يحضرون محاضر الباطل او لا يقيمون الشهادة الباطلة
واذا مروا باللغو جميع المعاصي لغو فانها ينبغي ان تلغى وتطرح مروا كراما
اي اذا مروا باهل اللغو مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عما يشينها
منكرين لهم ولم يقل والذين اذا مروا لان القصد ان من لا يتعمد حضور
الباطل وان اتفق حضوره من غير تعمد يتركه والذين اذا ذكروا بايات
ربهم وعظوا بالايات القرانية لم يخروا لم يسقطوا ولم يقيموا عليها صما
وعميانا غير واعين ولا غير متبصرين بما فيها بل سامعين باذان واعية
متبصرين بعيون راعية فالنفي متوجه الى القيد لا الى نفس الخرور بخلاف
المنافق فانه يخر ويقبل على الذكر بحسب الظاهر لكن باذن صم واعين عمي
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين يسالون
ان تكون ازواجهم وذرياتهم مطيعين لله ابرارا ومن اطاع الله اطاع
لزوجها ووالده تقر عيونهم بسرورهم برؤيتهم ماخوذ من القر وهو البرد
يقال اقر الله عينك واسخن عين عدوك فقيل دمع السرور بارد
ودمع الحزن حار ومن ابيانية كرايت منك اسدا او ابتدائية
واجعلنا للمتقين اماما ائمة يقتدى بنا في الخير ويكون لنا نفع متعد الى
غيرنا كالانبياء ووحد اماما لان المراد كل واحد منا او لان المجموع لاتحاد
طريقتهم كنفس واحدة اولئك يجزون الغرفة اي الدرجة العالية
في الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع قال تعالى وهم في الغرفات آمنون
بما صبروا على طاعة الله وبلائه وعن محارم الله ويلقون فيها في الغرفة

تحية وسلاما كالملوك من لقاهم كذا اي استقبلهم به والتحية والسلام
من الله سبحانه ومن الملائكة ومن بعضهم بعضا خالدين فيها
حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا ومقاما في المعنى
والاعراب واصلها ختم اوصاف عباد الرحمن بالدعاء والاخلاص وذكر
حسن جزائهم امر الرسول النذير صلى الله عليه وسلم بان يقول المتكبرين عن
سجود الرحمن فقال قل ما يعبأ بكم ما يصنع بكم ربي يعني لا وزن ولا مقدار لكم
عنده لولا دعاؤكم ايمانكم وعبادتكم او لولا تضرعكم اليه في الشدائد واستغفاركم
به قيل معناه ما يعبأ بعذابكم في الدنيا لولا دعاؤكم في الشدائد فالعذاب
لنفعكم كما قال الله فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون وقيل
ما خلقتكم ولي اليكم حاجة الا ان تسألوني وتستغفروني فاعطيكم
واغفر لكم فقد كذبتم بما اخبرتكم فتستحقون العقاب فسوف يكون
التكذيب اي جزاؤه لزاما لازما لكم لا ينفك عنكم اللهم اجعلنا ممن احسنت مستقرهم ومقامهم

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر السورة وهي مائتان وست وسبع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم طسم عن بعض السلف انه من اسماء الله تعالى تلك
اشارة الى ايات السورة او ايات القران ايات الكتاب المبين
البين في نفسه مبين للاحكام والشرائع او مبين انه من عند الله
لعلك باخع نفسك لعل هنا للاشفاق اي اشفق ان تهلك
نفسك من شدة الوجد ان لا يكونوا مومنين اي لئلا يومنوا او خيفة
ان لا يومنوا وارض بما قسم الله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية ملجئة
الى الايمان فظلت اعناقهم لها خاضعين لا يقدرون بعدها على الاعراض
لكن المنجي من الايمان ما لا يكون صاحبه فيه مكرها ولم يقل خاضعة لان
المقصود اهل الاعناق وذكر الاعناق لبيان موضع الخضوع او المراد
من الاعناق الرؤساء والاعاظم كما يقال هم الرؤس والصدور وقيل
لما وصفت الاعناق بصفة العقلاء التي هي الخضوع اجري مجرى العقلاء
وعطف الماضي وهو ظلت على المضارع الذي هو الجزاء يعني ننزل
للاشعار بان انقيادهم بعد انزال تلك الاية امر مقطوع به كانه مضى
فيخبر عنه وما ياتيهم من ذكر طائفة من المواعظ القرانية من زيد

للعموم

للعموم من الرحمن اشارة الى ان انزاله ناش من رحمته محدث
مجدد انزاله الا كانوا عنه معرضين الا انهم استمروا على عادتهم
في الاعراض عن ايات الرحمن والجملة حالية فقد كذبوا فسيأتيهم
انباء ما كانوا به يستهزؤن اهو حق حقيق بالتعظيم والقبول ام باطل جدير
بالاستهزاء والاعراض فيه وعيد بعذاب الدنيا والاخرة ولما كان
اعراضهم لعدم التأمل في الصنائع نبههم ببديع يشبه الموت
والحشر فقال اولم يروا الى الارض الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل
زوج صنف كريم كثير النفع والكريم صفة لكل ما يرضى في بابه ان في
ذلك الانبات لاية على ان منبتها قادر حكيم ولما كان الانبات
شيئا واحدا افرد الاية او اراد ان في كل واحد من تلك الازواج لاية
وما كان اكثرهم مومنين في علم الله فلا تنفعهم هذه الاية الباهرة
وان ربك لهو العزيز الرحيم ولولا اجتماع العزة والرحمة لانتقم منهم
من غير مهل ولما ذكر تسجيلهم بكفر اكثرهم سلى نبيه بقصة موسى مع فرعون
واغراق القبط مع كثرتهم وما قاساه منهم فقال واذ نادى ربك
اي واذكر حكاية زمان ندائه موسى ان ائت ان مصدرية مقدرة
بحرف الجر او تفسيرية القوم الظالمين قوم فرعون الاجود نصب
قوم بانه عطف بيان سجل عليهم بالظلم او لاثم عتقهم وبنيهم الا يتقون
اي ائتهم قائلا قولي لهم الا تتقون فهو منصوب المحل بانه مقول القول
نحو اذا سألك عبادي عني فاني قريب او استيناف اتبعه ارساله
اليهم تعجيبا لموسى من امنهم وعدم خوفهم عقاب الله قال رب
اني اخاف ان يكذبون فلا ينفع نصحهم ويضيق صدري ولا
ينطلق لساني بعد التكذيب فاعجز عن جوابهم ويضيق وينطلق
بالرفع عطف على اخاف يعني لي ثلثة اشياء خوف التكذيب
وضيق الصدر وعدم انطلاق اللسان فارسل يعني لهذه الثلثة
ارسل جبريل الى هرون اجعله نبيا يقوي قلبي ويتكلم حين تعروني
حبسة ولهم على ذنب وهو قود قتلي للقبطي الكافر فاخاف ان
يقتلون به فلم يتم امر الرسالة ان كنت انا الرسول وحدي قال كلا

لن يقتلوك فاذهبا عطف على ما دل عليه كلا اي ارتدع عما تظن
فاذهب انت وهرون وغلب الحاضر باياتنا اي متلبسين باياتنا او الباء
للتعدية انا معكم مستمعون لما يجرى بينكم وبين عدوكم فاظهركم عليه فتخفف
مثّل نفسه بمن حضر بمحضر ليصغي الى المقاولة فيمد اولياءه فان الاستماع لا تطلق
على الله حقيقة لانه جار مجرى الاصغاء فهو يتطلب للادراك وجل الله سبحانه
عن ذلك ومعكم خبر اول او حال او ظرف مقدم والجمع وهما اثنان لتعظيمهما
كما في مستمعون والمعية تطلق على معنيين احدهما الحفظ والنصر وبهذا
المعنى معكم للتعظيم البتة قال تعالى انني معكما اسمع وارى والثاني بمعنى
العلم فيحتمل التعظيم وقيل ضمير الجمع للمرسل والمرسل اليه كما يقول الناصر لشخص
لا تخف من فلان فانا الذي يعينك ويحبك معكما فاكسر شوكته فاتيا
فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وحّد الرسول لوحدة المرسل به
فليس كل منهما مختصا برسالة بل قولهما واحد او لاتحادهما في الاخوة او لانه
اراد كل واحد منا وفي قوله رب العالمين رد عليه بانه مربوب معه
سبحانه ان ارسل اي بان اطلق وسرّح معنا بني اسرائيل ليذهب الى
الشام قال فرعون بعد ما اتيا رسالتهما الم نربك فينا في منازلنا
وليدا طفلا ولبثت فينا بين خدمنا وحواشينا من عمرك سنين
ثلثين سنة وفعلت فعلتك التي فعلت اراد قتل القبطي وبخه بما جرى
على يده وعظّمه حيث اتى به مجملا كانه لفظاعته لا ينطق به بعد ما عدد عليه
نعمه وانت من الكافرين لجاحدين نعمتنا جاز ان يكون حالا اي انت
اذ ذاك من الكافرين بالله لانك كنت معنا في ديننا الذي تعيبه الان
افترى فرعون نسبة هذه اليه فالانبياء معصومون عن الشرك في جميع
احوالهم او معناه من الكافرين لي باني الهك قال فعلتها اذا وانا من
الضالين الجاهلين لم ياتني منه شي او من الجاهلين ان وكزتي اياه ياتي
على نفسه وفي البحران اذا قد تكون جزاء وجوابا معا وقد يكون جوابا فقط
والمعنى اللازم لها هو الجواب واكثر النحويين على ان قوله فعلتها اذا جاءت
جوابا لا جزاء فلا حاجة الى تكلف ففررت منكم منك ومن قومك
مثل ما ذكره الزمخشري منه
لما خفتكم فوهب لي ربي حكما نبوة وفهما وعلما وجعلني من المرسلين

من الرسل

من المرسل او من المرسلين اليك اجابه موسى اولا عن كلامه الاخير لان
فيه ازهاق النفس فالاعتذار فيه اهم وتلك اشارة الى المقصد المفهوم
من قوله الم نربك فينا وليدا نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل
اي تلك التربية نعمة لا نعمة لانك اتخذت بني اسرائيل عبيدا ولولا
ذلك لكفلني اهلي وما كنت محتاجا اليك فهذه في الحقيقة نقمة
او تلك التربية نعمة لانك اتخذتهم عبيدا واتخذتني وليدا فانا معترف
بنعمتك لكن لا يدفع ذلك رسالتي قيل تلك اشارة الى ما في الذهن
وقوله ان عبدت عطف بيان لها يعني تعبيدهم وقصدهم الى ذبح ابنائهم
هو السبب في حصولي عندك فكانك تمتن علي باذلال قومي وهذا مما
لا يدرى الا بتفسيره نحو وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع
مصبحين قال فرعون وما رب العالمين اي اي شيء هو انكر ان يكون
اله غيره لا انه سائل عن حقيقة الله قال رب السموات والارض
وما بينهما اي ما بين الجنسين ولهذا لم يقل ما بينهن ان كنتم موقنين
اي من اهل الايقان والنظر الصحيح قال فرعون لمن حوله من اشراف
قومه الا تستمعون هذا كانه سمع ما لم يسمعه قط وليس من كلام العقلاء
قال موسى ربكم ورب ابائكم الاولين حين لم يكن فرعون ولا قومه
ففيه اشارة الى ان الاله لا يكون الا قديما قال فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون حيث تكلم بما لم نعهد ان نسمعه وينفي ما اتفق عليه
الخلق وهو بقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم يبعدهم عن قبول قوله
وعن الاعتراف برسالته قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما
ان كنتم تعقلون فان طلوع الشمس من جانب وغروبها من آخر على
وتيرة مستقيمة مع اختلاف المطالع في طول السنة من اظهر ما استدل
به ان كنتم عقلاء وهذا في مقابلة المجنون قيل سؤاله بقوله وما رب العالمين
عن الحقيقة وان كان على سبيل المكابرة وموسى عرّفه باظهر خواصه واثاره
اشارة الى ان بيان حقيقته ممتنع ولهذا قال ان كنتم موقنين لا شيئا محققين
لها واستعجب فرعون لان سؤاله عن الحقيقة واجيب بالافعال ثم عدل
موسى الى ما هو اوضح عند التامل وهو قوله ربكم ورب ابائكم الاولين فصرح

فرعون لمجنونه لانه يجيب عن السؤال بما لا مناسبة له ثم استدل موسى
بشيء من غرائب آثاره التي لا يقدر عليها الا هو فعدل فرعون عن باب
الاحتجاج والسؤال الى التهديد الذي هو طريق الظلم والاستيلاء قال
لئن اتخذت يا موسى الها غيري لاجعلنك من المسجونين قيل ان سجنه
هوة بعيدة العمق مظلمة لا خلاص لمن دخل فيه فاللام للعهد قال اولو
جئتك بشيء مبين الواو للعطف اي اتعذبني على اي حال ولو على حال
جئتك بشيء يبين لك صدقي قال فأت به ان كنت من الصادقين
في دعواك او في ان لك بينة فالقى عصاه رماه من يده فاذا هي ثعبان
مبين اعظم الحيات ظاهر ثعبانيته ليست من التي تزور بالشعبذة
ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين تتلألأ كانها قطعة من
الشمس قال فرعون للملأ حوله حال كونهم مستقرين حوله ان هذا
لساحر عليم في السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون
قالوا ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين ياتوك بكل سحار عليم
قدم تفصيل معناه في الاعراف فلا نعيده فجمع السحرة لميقات يوم
معلوم الميقات وقت الضحى واليوم يوم عيدهم وقيل للناس
هل انتم مجتمعون قيل امر بالنداء وحث الناس على الاجتماع وعدم
التفرق كما تقول لخادمك هل انت منطلق الى فلان لعلنا نتبع
السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن
لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين يعني ان
غلبتم لكم الاجر والقربة فاذا جواب وجزاء لان قوله وانكم عطف
على جزاء الشرط المدلول عليه بان لنا لاجرا قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون هذا اذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة فلا يلزم الاذن في فعل
الحرام قيل اذن فيه ليبطله من اصله ويظهر على الخلق بطلانه ويمكن ان
يقال ان الامر لهذا ولو لم يمكن دفعه بغيره جائز بل واجب فالقوا حبالهم
وعصيهم جمع عصا وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته
لفرط اعتقادهم فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع ما يافكون
ما يزورونه من حبالهم وعصيهم قيل ما مصدرية وتسمية الماخوذ

افكا

افكا للمبالغة فالقي السحرة ساجدين قدم معناه قالوا امنا برب
العالمين رب موسى وهرون الذي ابطل سحرنا بايديهما قال فرعون
امنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر يعني علمكم شيئا دون
شيء او تواطأتم عليه فلسوف تعلمون وبال فعلكم لاقطعن ايديكم
وارجلكم حلف بذلك كما هو العادة المستمرة من الخلق الحلف باسمه
او المراد الحلف بذاته النجسة من خلاف قدم معناه ولاصلبنكم
اجمعين قالوا لا ضير اي لا ضرر علينا فيما تفعل من موعودك فنصبر
انا الى ربنا منقلبون وهو لا يضيع اجر الصابرين او معناه لا ضرر علينا
في القتل باي وجه كان لانا نرجع الى سرور وعزة دائمة انا نطمع ان يغفر
لنا ربنا خطايانا التي صدرت عنا مدة عمرنا ان كنا اول المومنين
من القبط واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي من مصر وذلك بعد مدة
متطاولة انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهذا علة الامر بالاسرا
لانه سبب هلاك اعدائه فارسل فرعون حين علم خروجهم في المدائن
حاشرين عساكره ان هولاء قال القوم ان بني اسرائيل لشرذمة طائفة
قليلون صفة او خبر بعد خبر وقلتهم بالنسبة الى عسكره وانهم لنا
لغائظون وانا لجميع حاذرون وانا الجمع من عادتنا التيقظ والحذر ولهذا
نتجهز العسكر والا فوجودهم كالعدم عندنا وهذه من معاذيره لئلا
يظن به الخوف فاخرجناهم هذا من كلام الله لا حكاية كلامهم من
جنات بساتين بنوا على شاطئ النيل وعيون انهار جارية من النيل
الى بساتينهم وبيوتهم وكنوز اموال جمعوها ومقام كريم منازل حسنة
كذلك اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل اي اعطينا بني اسرائيل
ديارهم واموالهم ملكا مستقرا من غير سعيهم فاتبعوهم من قولهم
اتبعت فلانا فاتبعته اي لحقته مشرقين داخلين في وقت الشروق
حال من الفاعل اي وقت اشراق الشمس فلما تراءى الجمعان راى كل
منهما الاخر قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون قالوا حين راوا
عدوهم والبحر امامهم فساءت ظنونهم قال موسى ثقة بوعد الله كلا
لن يدركونا ان معي ربي بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة ولا بعد

ولا يبعد ان موسى عليه الصلوة والسلام استنبط ذلك من قول
الله انا معكم مستمعون فاوحينا الى موسى بعد ما وصلوا الى البحر
الذي قدامهم ان اضرب ان مفسّرة بعصاك البحر الاصح ان البحر
قلزم وهو اسم الخليج من البحر الاخضر وهو على تسع منازل من مصر فانفلق
اى ضرب بعصاه فانشق فكان كل فرق كل قطعة من البحر كالطود العظيم
كالجبل الضخم صار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وازلفنا قربنا ثم
ثم ظرف مكان الاخرين فرعون وقومه والمعنى قربناهم حيث انفلق البحر
او قربناهم من البحر او قربنا بعضهم من بعض حتى لا ينجو احد منهم فدخلوا
مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين خرجوا بالسلامة من الجانب
الاخر من البحر ثم اغرقنا الاخرين باجمعهم ان في ذلك لاية عبرة لمن له
اعتبار وما كان اكثرهم اكثر القبط مومنين قد آمن السحرة واسية
امراة فرعون ومومن آل فرعون وامراة اخرى اسمها مريم وان ربك
لهو العزيز الرحيم الغالب على كل الرحيم باوليائه ولما قدم قصة
موسى لان قومه حضار مصدقون بالحكاية اتبعه قصة ابراهيم لانه
اب العرب له شان عند الجميع فامر بتلاوتها وقال واتل يا محمد عليهم
نبا ابراهيم اذ قال لابيه العامل في اذ نبا وقومه اى قوم ابيه قال تعالى
انى اراك وقومك ما تعبدون سالهم مع علمه بانهم عبدة اصنام
ليريهم ان معبودهم لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما فنظل ندوم
لها عاكفين عابدين اطنبوا في الجواب كمن يفتخر بصنيعه قيل كانوا يعبدون
في النهار دون الليالي فلذلك قالوا فنظل قال هل يسمعونكم اى يسمعون
دعاكم او يجيبونكم نحو سمع الله لمن حمده اذ تدعون الصحيح ان يسمع متعد
الى واحد والفعل بعده مفعوله في موضع الحال ومجيئه مضارعا مع اذ
على حكاية الحال الماضية استحضارا لها او ينفعونكم او يضرون واذا
لم يضروا ولم ينفعوا فما معنى عبادتكم لمن لا يضر ولا ينفع قالوا بل وجدنا
اباءنا بل هنا اضراب عن جواب ما سال اخذوا في جواب شيء لم يسالهم
عنه انقطاعا واقرارا بالعجز عن الجواب لانهم لو قالوا يسمعوننا وينفعوننا
ان عبدناهم ويضروننا ان تركناهم فضحوا بالكذب ظاهرا ولو قالوا لا يسمعون

ولا ينفعون

ولا ينفعون ولا يضرون لسجلوا على انفسهم بالخطا فعدلوا الى التقليد
كذلك يفعلون اى يفعلون فعلا مثل ذلك الفعل فقلدناهم قال ابراهيم
افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فان التقدم والاولية
لا تكون برهانا على الصحة فانهم اى الاصنام عدو لي وحده لانه في الاصل
مصدر او المراد كل واحد منهم عدو او انهم اعداء لكم لكن بنى الكلام على
التعريض لانه ادخل في القبول كما تقول لمن اساء الادب ليت ابي
ادبني يعني هل عرفتم انكم عبدتم اعداءكم قال الله كلا سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا الا رب العالمين الاستثناء منقطع او المراد
من قولهم فانهم المعبودون لا الاصنام فالاستثناء متصل فانهم يعبدون
الاصنام مع الله الذي نصب بانه صفة رب العالمين والتقدير هو
الذي خلقني فهو يهدين الى طاعته او الى طريق مصالح معاشي ومعادي
وعطف الجملة الاسمية بالفاء للدلالة على استمرار الهداية المتاخرة عن
الخلق والذي هو يطعمني ويسقين تكرار الموصول للدلالة على استقلال
كل باقتضاء الحكم واذا مرضت فهو يشفين لم يقل واذا امرضني رعاية
الادب لانه لا ينبغي ان ينسب اليه ما هو اذى كما حكى الله عن الجن وانا
لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا وايضا غرضه
تعداد النعم عليهم والمرض ليس منها بحسب الظاهر سيما عند الكافر وعطف
على الصلة من غير اعادة الموصول لان الصحة والمرض يتبعان الطعام
والشراب غالبا والذي يميتني ثم يحيين اما الاماتة مع انها وسيلة
للسعداء الى نيل الفوز وللاشقياء الى تقليل اسباب العذاب وتطهير
للدنيا من دنسهم فبموت الظالم تفرح الطير في اوكارها فامر لا ضرر فيها
انما الضرر في مقدماتها التي هي المرض والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين وهذا دليل على شدة خوفه صلى الله عليه وسلم مع عظيم منزلته
وعلمه رب هب لي حكما فصلا بين الناس بالعدل او مزيد فهم وعلم
او دوام نبوة والحقني بالصالحين الكاملين في الصلاح من الانبياء
والمرسلين ولا غرو من خوف الانبياء من سوء العاقبة فانه لا يجب على
الله شيء وفي الحديث ما يدل على ذلك واجعل لي لسان صدق في الاخرين

ذكرا جميلا وثناء حسنا بعدي الى يوم القيمة ليصل الى بركات دعائهم
ويقتدى بى فى الخير قال تعالى وباركنا عليه فى الآخرين سلام على ابرٰهيم
واعظم ما وقع من اجابة دعائه ما هو فى كل صلوة اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم قيل المراد طلب ذرية
يدعو الخلق الى الله واجعلنى من ورثة جنة النعيم اى ممن له الجنة كالخاص
امواله قال الله تعالى تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان
تقيا واغفر لابى انه كان من الضالين الظاهر ان الدعاء عند دعوة
والده وقومه الى الاسلام فالمراد اغفر له بتوفيقه على الاسلام ولا تخزنى
لا تذلنى ولا تفضحنى يوم يبعثون الخلائق فان الانبياء كما قلت
مشفقون من سوء العاقبة فانه لا معقب لحكم الله او لا تخزنى باهانة
والدى فعن البخارى عند هذه الآية والترمذى ان ابراهيم قال فى
القيمة وعدتك ان لا تخزينى يوم يبعثون وهذا ابى فيقول الله انى
حرمت الجنة على الكافرين يوم لا ينفع مال ولا بنون بدل من يوم يبعثون
الا من اتى الله بقلب سليم اى لكن من اتى بقلب سليم ينفعه سلامة قلبه
فالاستثناء منقطع او لا ينفع المال والبنون احدا الا سليم القلب لانه صرف
المال فى الخير وارشد الاولاد وجعل سلامة القلب من جنسهما كما تقول
هل لك مال واولاد فيقول مالى واولادى غنى قلبى وازلفت الجنة للمتقين
قربت لينظروا اليها ويزيدهم قوة ونورا وسرورا عطف على لا ينفع
وبرزت الجحيم اظهرت للغاوين من شملته الغواية وهم الكفرة لتعجيل
همهم ويقين شقاوتهم وقيل لهم توبيخا وتقريعا اينما موصولة والمراد
الالهة كنتم تعبدون ضمير ما مقدر من دون الله هل ينصرونكم كما زعمتم
انهم شفعاؤكم او ينتصرون بدفع العذاب عن انفسهم فانهم وما يعبدون
من دون الله حصب جهنم فكبكبوا اى القوا وهو تكرير الكب جعل تكريره
لفظه لتكرير معناه كانه ينكب فيه مرة بعد اخرى فيها فى جهنم هم المعبودون
والغاوون العابدون وجنود ابليس متبعوه اجمعون تاكيد للجنود قالوا
اراد السفلة للكبراء وهم فيها يختصمون جملة حالية بين القول ومقوله
تالله ان انه كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين حيث كنا لكم

تبعا قال الله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وضمير قالوا
للاصنام وعابديها وتسويتهم انهم اتخذوها الهة فانطق الله الاصنام ليصح
التخاصم وما اضلنا الا المجرمون من باب الظاهر مقام المضمر وفيه التفات
من المخاطب وعلى الوجه الثانى المجرمون اباؤهم وكبراؤهم فما لنا من
شافعين كما للمومنين ولا من صديق حميم من الاحتمام اى الاهتمام او من
الحامة اى الخاصة ولتعدد انواع الشفعاء من ملك ونبى وولى جمع الشفيع
بخلاف الصديق فان من تكون بينه وبين آخر صداقة ومحبة لا يكون الا
من ابناء جنسه ولان الصديق الحقيقى قليل ولذلك قيل هو اسم لا معنى له
قيل الصديق كالعدو يقع على الواحد وعلى الاكثر فلو ان لنا كرة رجعة
الى الدنيا فنكون من المومنين نصب نكون لجواب لو التمنى ان فى
ذلك المذكور من قصة ابراهيم لآية حجة وعظة فيها من الارشاد والتنبيه
والاستدلال على ترتيب انيق نصحهم ووعدهم ثم اوعدهم باحسن
طريق وما كان اكثرهم مومنين مع ظهور الدلائل التى استدل بها
وفى ذلك مسلاة لخاتم النبوة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
فى تكذيب قومه اياه وان ربك لهو العزيز الرحيم قال بعض المفسرين
قد تم حكاية قول ابراهيم عند قوله ولا تخزنى يوم يبعثون وقوله يوم لا
ينفع ابتداء كلام من الله او صلة الى كلام ابراهيم الى قوله لهو العزيز الرحيم
وعندى ان هذا ليس ببعيد بل هو الصواب انتهى كذبت قوم نوح
تصغير قوم على قومة دليل على تانيثها ولهذا قال كذبت المرسلين
لان من كذب رسولا فقد كذب الجميع اذ يصدق بعضهم بعضا
اذ قال لهم اخوهم نوح فانه منهم الا تتقون الله انى لكم رسول امين
عرفتمونى قبل الرسالة بالامانة فاتقوا الله واطيعون فيما دعوتكم وما
اسألكم عليه اى على ما ادعوكم اليه من اجر فتتهمونى بغرض لنفسى ان اجرى
ان نافية الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره تاكيدا وتنبيها
على ان كلا من الامانة وحسم الطمع موجب لقبول النصح فكيف اذا اجتمعا قالوا
انؤمن لك شرع اشراف قومه فى تنقيص متبعيه وان انتفاء ايمانهم لهذا
والهمزة للانكار واتبعك الارذلون جملة حالية كذا قاله قريش فى شان

عمار وصهيب وغيرهما قال نوح وما علمي بما كانوا يعملون ما اعلم
صنايعهم وحرفهم وليس لي من دناءتهم شيء ان انا الا مبلغ ان حسابهم
الا على ربي لا اطلب من احد الا التصديق والطاعة والله مطلع
على السرائر لو تشعرون لعلمتم ان الحق الذي اقول قيل مرادهم انهم اراذل
ما اتبعوك الا للقمة وعزة لا لاعتقاد وايقان وعلى هذا الجواب الصق
وما انا بطارد المؤمنين اي مؤمن كان من فقير دني او غني شريف
وهذا مشعر بانهم طالبون طردهم كما طلب قريش مثل هذا ونزلت ولا تطرد
الذين يدعون ربهم الاية ان انا الا نذير مبين فلا اشتغل الا بما هو شغلي
قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين المقتولين بالحجارة
فانه افضح قتل قال نوح بعد مدة متطاولة علم لجاجهم رب ان قومي
كذبون فافتح فاحكم بيني وبينهم فتحا حكما بتا فان نصحي لا ينفعهم ونجني
ومن معي من المؤمنين اي من كيدهم وشرهم فانهم يؤذونهم او المراد
نجني من بلاء سينزل عليهم فانجيناه ومن معه من كيدهم ومن بلاء نزلت
عليهم في الفلك المشحون المملو من الاشياء وفي متعلق بانجينا وقيل
حال من مفعول انجينا ثم اغرقنا بعد اي بعد نجاة نوح والمؤمنين الباقين
من قومه ان في ذلك لاية دالة على ان المكذبين في معرض العقوبة ولو بعد
حين وما كان اكثرهم مؤمنين فان ليس المؤمن الا من هو في الفلك مع نوح
وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انث باعتبار القبيلة وهو
في الاصل اسم ابيهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود كان اخاهم من النسب
تاجرا جميلا اشبه الخلق بادم عاش اربعمائة سنة واربعا وستين ومنازلهم
ما بين عمان الى حضرموت امرع البلاد فجعلها الله مفاوز ورمالا الا
تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون فاني لا امركم الا بما
امركم الله وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
تصدير تلك القصص بمضمون شيء واحد ليعلم ان كلمتهم متفقة وان اختلفت
في بعض الفروع اتبنون بكل ريع مكان مرتفع وقيل بكل طريق اية عمارة
عالية كاية في الشهرة تعبثون في بنائها من غير حاجة لكم اليها ونعم ما قيل ان
في هذا نعي على المترفين الذين يبنون للتنعم والتلذذ وقيل بنوا على الطرق قصورا

يجلسون فيها ويسخرون بمن يمر وقيل المراد بروج الحمام فانهم يولعون
عليها وتتخذون مصانع قصورا وحصونا مشوقة جمع مصنعة وقيل
هي البناء على الماء لعلكم تخلدون يعني يشبه حالكم حال من لا يأمل
الموت فلذلك بنيتم واتخذتم العمارات كما قال الله يحسب ان ماله اخلده
واذا بطشتم سطوتم بطشتم جبارين متسلطين ظالمين بلا عفو ورحمة
وجبارين حال فاتقوا الله واطيعون فان اعمالكم تورث الخزي والندامة
واتقوا الذي امدكم اعطاكم بما تعلمون من الخير نبههم على نعم الله مجملا
ثم فصلها فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم
فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان بقيتم على ما انتم عليه الان
من الكفر والكفران قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين
هذا ابلغ من قولك اوعظت ام لم تعظ مع انه راعى الفواصل يعني
مستو علينا وعظك وعدمه فانا لا ندع طريقتنا وقد مر في اول سورة
البقرة فلا تنس ان هذا الا خلق الاولين اي ما هذا الذي نحن عليه الا دين
الاوائل ونحن لا نتركه او ما هذا الذي جئتنا به الا عادة الاولين بدعوى
الرسالة وهم كاذبون مزخرفون وقراءة خَلْق بفتح الخاء وسكون اللام
بمعنى الاختلاق والاختراع تويد المعنى الثاني وما نحن بمعذبين فلا نخاف
عما تخوفنا عنه فكذبوه فاهلكناهم بريح صرصر ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين
كان بين عاد وثمود مائة سنة اذ قال لهم اخوهم في النسب صالح الا
تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه
من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا امنين انكار
لان يتركوا مخلدين في نعيمهم وتذكير بالنعمة فيما يتنعمون به امنين من
المخاوف فالهمزة للانكار والتقرير وما موصولة اي في الذي استقر في
هذا المكان من النعم وامنين حال ثم فسر المجمل بقوله في جنات وعيون
وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف ضامر طلع اناث النخل بالنسبة
الى فحولها لطيف وطلع البرني الطف ومعناه مكسور منظوم من
كثرة الثمار وافراز النخل لفضله على الاشجار وقوله في جنات بدل من

فيما ههنا وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين الفراهة الكيس والنشاط
او حاذقين متقنين لنحتها وقيل امنين قيل من راى منازلهم راى عجبا
فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين اى رؤساءهم وقادتهم
قيل المراد منهم تسعة عقروا الناقة الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون
قطعا قالوا انما انت من المسحرين من الذين لهم سحر اى رئة يعنى ما انت
ملك فكيف تكون نبيا او من الذين سحروا كثيرا حتى غلبوا على عقلهم
ما انت الا بشر مثلنا فى الاكل والشرب وغير ذلك من الصفات
البشرية وليس لك مع انك بشر مزية علينا فات باية دالة على
دعواك ان كنت من الصادقين فى الدعوى قال صالح هذه ناقة
دعا الله فاخرجها من الصخرة فى محضرهم باقتراحهم لها شرب
نصيب من ماء جار فى قريتهم او بئر ولكم شرب يوم معلوم هو
يوم لا تشرب الناقة فالماء مباداة بينهم ولا تمسوها بسوء فياخذكم
جواب النهى عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه فعقروها
اسند الى الكل لان كلهم راضون به فاصبحوا نادمين عند مقدمة
العذاب فاخذهم العذاب زلزال مع صيحة اقتلعت قلوبهم
بها ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو
العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط
الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم
عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين
استفهام انكار وتقريع وتوبيخ والاتيان كناية عن وطى الرجال
الذى ما سمى الله باسمه بل سماه بالفاحشة لمزيد قبحه اى اتاتون
من بين العالمين الذكران لا يشارككم شى وتذرون ما خلق لكم ربكم
من ازواجكم اى تذرون اتيان فروج ما خلق ومن بيان لما قيل
من للتبعيض بدل من ما فالمراد من ما خلق العضو المباح منهن وفى قراءة
ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون مفرطون
فى المعصية حيث تختصون بفاحشة لا يشارككم بهيمة والاضراب
للانتقال من شى الى شى لا انه ابطال لما سبق وجاء تصدير الجملة

قوله ما انت الا بشر على التفسير الاول
فى انما انت من المسحرين نوع تاكيد
منه

بضمير

بضمير الخطاب تعظيما لقبح فعالهم وتنبيها على انهم هم المختصون بذلك
قالوا لئن لم تنته عما تنازعنا فيه يا لوط لتكونن من المخرجين من ارضنا
وليس ببعيد ان يقال هذا ليس دالا على انهم اخرجوا قبله ناسا من قريتهم
قال انى لعملكم من القالين المبغضين غاية البغض نبه بتلك العبارة
على ان هذا الفعل موجب لان يبغض ولعملكم متعلق بالقالين لانه
يسوغ فى الظرف والجار والمجرور ما لا يسوغ فى غيرها رب نجنى
واهلى مما يعملون دعا لنفسه ولاهله العصمة من وبال فعالهم قيل من مثل
فعالهم فنجيناه واهله اجمعين اى استجبنا دعاءه بان اخرجناهم من
بينهم حين حلول العذاب الا عجوزا فى الغابرين اى عجوزا موصوفة بكونها
فى الباقين فى العذاب كما مر فى سورة هود ثم دمرنا الاخرين استاصلناهم
وامطرنا عليهم مطرا قلب الله ديارهم وحين التقليب امطر عليهم الحجارة
والحجارة على مسافريهم كما مر فساء مطر المنذرين مطرهم واللام المنذرين
للجنس لانه يجب ان يكون فاعل المدح والذم جنسا او مضافا الى جنس
ليكون فيه ابهام ويكون المخصوص بالمدح او بالذم تفسيره ان فى ذلك
لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب
اصحاب الايكة المرسلين هى شجرة كانوا يعبدونها اذ قال لهم شعيب
قيل انه منهم فى النسب لكن لما نسبهم الى عبادة شجرة قطع نسبة الاخوة عنهم
ولم يقل اخوهم وهم اهل مدين وقيل هم غيرهم وشعيب من اهل مدين
لا منهم الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم
عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا
من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف قيل وعظهم بايفاء الكيل دليل
على ان هولاء اهل مدين فان فى قصة مدين وعظهم بمثل ذلك وزنوا
بالقسطاس المستقيم بالميزان السوى قيل القسطاس القبان امر بالوزن
ليعادل قوله اوفوا الكيل فيشمل بالكال وما يوزن وعن ابن عباس
عدلوا اموركم كلها بميزان العدل الذى جعله الله لعباده ولا تبخسوا الناس
اشياءهم لا تنقصوا اشياء من حقوقهم من بخسه حقه اذا نقصه اياه ولا تعثوا
فى الارض لا تغلوا فى الفساد مفسدين حال كونكم مفسدين بمثل قطع

الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة اي ذوي الجبلة الاولين يعني
خلقكم وخلق الخلائق الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما
انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين الظن ههنا بمعنى العلم
بدليل ان المخففة من المثقلة واللام وعند الكوفيين ان ان نافية
واللام بمعنى الا اتي بالواو في قوله وما انت دون قول قوم ثمود دلالة
على انه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه ولهذا
اكده بقوله وان نظنك لمن الكاذبين وما طلبوا دليلا منه على رسالته
بل قطعوا على الياس حيث قالوا فاسقط علينا كسفا قطعة من السماء
ان كنت من الصادقين في دعواك يعني لا نشك في كذبك قال
ربي اعلم بما تعملون فيجازيكم بما تستحقونه فكذبوه فاخذهم عذاب
يوم الظلة روي فيها اختلاف فقيل انه حبس عنهم الريح فابتلوا
بحر شديد ياخذ بانفاسهم فاظلتهم سحابة تحت جالهم فوجدوا فيها
بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحرقتهم وقيل كشف
عنهم الظلة وحميت عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلي
انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين
كرر في كل قصة ذلك ليعلم انه هو العلة الاصلية في نزول العذاب
على الامم ولو آمن اكثرهم كما امن قريش لامهلهم وعلم من بضايعهم مع كفرهم
بترك ذنوبهم الخاصة بكل واحد من الامم ان الكفار مواخذون بالفروع
وان ربك لهو العزيز الرحيم وهذا اخر القصص السبع المذكورة بعد ما فصلها
تكرارا في السور تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتنبيها على ان الكل
من الرسل دعوة واحدة ونصايح مختلفة بحسب ما هم فيه من المعاصي
وتهديدا لمن خالف خاتم النبيين وانه اي القران لتنزيل منزل
رب العالمين ليس بكهانة ولا سحر وكانه عاد بعد ما قص حكاية الامم
السوالف الى ما افتتح به السورة من اعراض المشركين عما ياتيهم من
الذكر ليناسب المفتتح والمختتم نزل به الباء للتعدية الروح الامين
جبريل على قلبك لانه محل الوحي قيل لما كان القران بلغة الرسول قال
نزل على قلبك يعني لتفهمه اولا من غير ملاحظة الالفاظ كيف جرت ولو لم يكن

بلغته

بلغته لكان نازلا على سمعه بسمع الالفاظ اولا ثم منها يخرج المعاني وان
كان ماهرا بتلك اللغة لتكون من المنذرين عن المعاصي بلسان
متعلق بنزل وقيل بالمنذرين اي ممن انذروا بلسان العرب وهم
خمسة هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين وقيل متعلق بلتكون عربي مبين واضح المعنى وانه
القران اي ذكره لفي زبر الاولين مذكور في الكتب القديمة السماوية التي
نزلت على الاولين قيل القران باعتبار المعنى مذكور في التورية والانجيل
اولم يكن لهم اية على صحة القران ان يعلمه علماء بني اسرائيل انه من الله
يعني اليس علم علماء بني اسرائيل بانه من الله دليلا دالا على صحته والمراد
من علمائهم عدولهم وكان قريش في كثير من الامور النقلية ترجع الى علماء
اليهود يسالونهم قائلين انهم اصحاب الكتب الالهية وقد تهود وتنصر كثير
من العرب وعن ابن عباس ان اهل مكة بعثوا الى احبار يثرب يسالونهم
عن النبي فقالوا هذا زمانه ووصفوا نعته ذكره الثعلبي وقراءة تكن بالتاء
الفوقانية ورفع اية فاية اسم كان ولهم خبره وان يعلمه بدل من الاسم
او اسم كان ضمير القصة وان يعلمه مبتدأ واية خبره والجملة خبر كان وهذان
الوجهان بناء على ان لا يكون اسم كان نكرة والخبر معرفة وقد صرح جمهرة
النحاة انه لا يجوز ذلك الا في الشعر ولو نزلناه القران الفصيح الذي عجز
دونه افصح فصحاء العرب على بعض الاعجمين الذين لا يعلمون العربي
والاعجم في الاصل من يكون في لسانه عجمة وعقدة ثم استعمل فيمن يتكلم
بلسان غير لسانهم فالعرب عند العجم اعجمي وبالعكس واما العجم فكل من
هو غير العرب فقراه عليهم ما كانوا به مومنين لفرط عنادهم وجحودهم
في صلة لو كان الرسول عجميا لا يمكن له التقصي بالعربية فيقرا على اهل مكة
هذا القران العربي البليغ لنسبوه الى الاختلاق والى انه من عند نفسه
لانهم في صدد العناد وقيل معناه لو نزلنا القران بلغة العجم على بعض
الاعجمين فقراه على اهل مكة ما كانوا به يومنون من حيث لم يفهموا
واستنكفوا عن اتباعه قال تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا
فصلت اياته كذلك سلكناه في قلوب المجرمين اي مثل ذلك السلك

فلهذا عدل عن ان اية اسم كان وان يعلمه علماء خبره لئلا يلزم ان الاسم نكرة والخبر معرفة
منه

قيل معناه سلكنا الكفر والتكذيب
في قلوب المجرمين والاظهر ما اخترناه
ان الضمير الى القرآن

سلكناه القرآن وادخلناه في قلوب المجرمين حتى فهموه وادركوه
لا يؤمنون به لم يزدهم الا عنادا وتمكنا في الكفر حتى يروا العذاب
الاليم الظاهر انه عذاب القيمة فيأتيهم العذاب بغتة وهم
لا يشعرون باتيانه وبغتة مفعول مطلق من غير لفظ الفعل او حال
فيقولوا هل نحن منظرون يتمنون النظرة والتأخير افبعذابنا يستعجلون
اي يستعجلون ان يأتيهم عذاب الله ثم يطلبون النظرة عند نزوله
افرأيت اخبرني يا محمد ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون
من العذاب الاليم ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم ينفعهم تمتعهم في ايام
متطاولة ولم يدفع شيئا من العذاب عنهم فلا نفع لتنظرهم وفيه اشارة
الى انهم في حال امهالهم لا يؤمنون ولا يكتسبون ما ينفعهم ولما ذكر ان
امهالهم لا ينتجهم الا مزيد نكالهم بين انه اخبرهم وحقهم واتاهم للسعادة
لكن تقدمت شقاوتهم ولم ينتفعوا فقال وما اهلكنا من قرية الا لها
منذرون رسل ينذرونهم واعطيناهم ليحذروا ما انذروا وجمع منذرون
لان من قرية عام كانه قال ما اهلكنا القرى الظالمة قوله لها حال ومنذرون
فاعل لها لا ان الجملة صفة قرية فان مذهب الجمهور انه لا يجيء الصفة بعد الا
والعرب تقول ما مررت باحد الا قائما ولم يسمع منهم الا قائم ذكرى
منصوب على المصدر كانه قال منذرون انذارا او المفعول له اي ينذرون
لاجل الموعظة قيل ذكرى صفة لمنذرون يعني ذوي عظة او لتوغلهم في
التذكير جعلهم نفس العظة كرجل عدل وما كنا ظالمين فنهلكها قبل الانذار
وما تنزلت به الشياطين تقول قريش لمحمد جني يخبره كالكاهن وما ينبغي
لهم ما يصح للشياطين ان ينزلوا به فانهم ينزلون الفساد لا الرشاد
وما يستطيعون انزاله ان ارادوا انهم عن السمع لمعزولون علة عدم استطاعتهم
يعني لانهم عن استراق السمع من السماء بحيث يكون المسموع كلاما تاما
مفيدا لمعزولون محجوبون كما قالوا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
نفي اولا تنزيلهم به وما نفي الامكان ثم نفى صلاحيته كانه قال لو فرض
الامكان لم يكونوا اهلا له ثم نفى قدرتهم على ذلك وانه مستحيل في
حقهم فارتقى من نفي الفعل الى نفي الصلاحية الى نفي الاستطاعة

ولما شا

ولما اشار الى ان الشياطين يدعون الى الطواغيت والقرآن هو
الداعي الى الحق سبب عنه بقوله فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من
المعذبين عن ابن عباس يحذر غيره كانه قال يا محمد انت اكرم خلقي
ان فرض انك تتخذ الها غيري لعذبتك وانذر عشيرتك الاقربين
فان الاعتناء بشانهم اوفر وانهم والناس سواء في انهم معذبون
اذا لم يتقوا واخفض جناحك لين جانبك وتواضع وقدم في
اخر الحجر لمن اتبعك من المؤمنين من العشيرة وغيرهم لا من لم يتقين
فانهم من المتبعين بحسب الظاهر بل واغلظ عليهم فما ديهم جهنم فان
عصوك الضمير للعشيرة يعني لم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون وجزائكم

عن ابن عباس مرة بان يقول اني بريء
من عملكم لا منكم ولو امره بالبراءة منهم
ما بقي بعد هذا شفيع للعصاة

على الله وتوكل على العزيز الرحيم ولا تبال من عصيانهم الذي يراك
حين تقوم الى الصلوة وحدك في اثناء الليل وفيه حث على التهجد
وتقلبك في الساجدين تقلبك في الصلوة من حال الى حال
فيما بين المصلين يعني يراك في هاتين الحالين العظيمين اذا صليت
منفردا واذا صليت في جماعة عطف على كاف يراك او على حين
بتقدير حين تقلبك ولما حذف حين اقيم المضاف اليه وهو تقلبك
مقامه فنصب قيل معناه حين تقلبك في اصلاب ابائك
الانبياء من نبي الى نبي حتى اخرجك يعني توكل على من يراك في
احوال اجتهادك الى مرضاته انه هو السميع العليم ولما قال وما تنزلت
به الشياطين قال هل انبئكم على من تنزل الشياطين وهذا استفهام
تقرير واستيقاظ وعلى متعلق بتنزل والجملة المتضمنة معنى الاستفهام
في موضع نصب لانبئكم لانه معلق لانه بمعنى اعلمكم فان جعلتها متعدية
الى مفعولين سدت مسد المفعول الثاني وان جعلتها متعدية الى
ثلثة سدت مسد الاثنين تنزل على كل افاك كذاب اثيم كثير الاثم
كالكهنة والمنجمين ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الصادق الصدوق
الذي يتقلب ليله ونهاره في مرضات الله يلقون السمع الضمير
الى الشياطين فانهم يسترقون السمع من السماء ثم يلقون ما استرقوا
مع مائة كذبة الى اوليائهم من الانس كما في الصحيحين ربما ادركه الشهاب

قبل ان يلقيها وربما القى قبل ان يدركه والضمير الى الافاكين اى
يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا واكثرها الكاذب
واكثرهم كاذبون قل من يصدق منهم والشعراء يتبعهم الغاوون
الضالون ومتبعي نبي الله هداة مهديون عالمون عاملون رضي الله
تعالى عنهم فهو صلى الله عليه وسلم ليس بساحر وكاهن وشاعر
الم تر انهم في كل واد من اودية الكلام يهيمون يذهبون كالمجنون فان
اكثر الاشعار واحسنها خيالات لا حقيقة تحتها حتى يجعلون في المدح
اجهل الناس افضلهم وابخلهم اسخاهم واجبنهم اشجعهم واسفلهم اعلاهم
وفي الذم يعكسون وينكسون وانهم يقولون ما لا يفعلون ينسبون الى
انفسهم من مثل فرط الحب والعشق وليس فيهم فهم كاذبون في شان غيرهم
وفي شان انفسهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا اى
شعرهم وغير شعرهم وانتصروا من اعدائهم من بعد ما ظلموا مكافاة
مثل هجائهم وشتمهم نزل الاستثناء حين جاء حسان وعبد الله
بن ابي رواحة وكعب بن مالك وهم يبكون قائلين قد علم الله
حين انزل هذه الاية انا شعراء وهذه الاية الى اخر السورة مدنية كما صرح
بذلك محيي السنة وغيره والباقي من اول السورة الى اية والشعراء يتبعهم
مكية فلا اشكال في سبب النزول على ما نقل والمورد خاص والحكم عام
فمن كان شعره في امر ديني او في مكافاة ظلم بقدره وهو متصف بما وصفه
الله فهو من الذين استثناهم الله وسيعلم الذين ظلموا بان ذموا او هجوا
بالباطل اى منقلب ينقلبون اى مرجع بعد الموت يرجعون فيه تهديد
ووعيد شديد وسياق الاية وان كان في الكفار لكن عام لكل ظالم
ولهذا كتب الصديق عند وصيته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اوصى به
ابو بكر بن ابي قحافة حين خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر
ويصدق الكاذب اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان يعدل
فذاك ظني ورجائي فيه وان يجر ويبدل فلا اعلم الغيب وسيعلم
الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون والحمد لله رب العالمين

سورة النمل مكية ثلث او اربع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طس عن ابن عباس هو من اسماء الله تلك
ايات القران وكتاب مبين اشار الى ايات هذه السورة وعطف
كتاب من عطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكير كتاب للتفخيم والتعظيم
قيل المراد من كتاب هو اللوح المحفوظ وابانته ان قد خط فيه كل ما هو كائن
هدى وبشرى للمؤمنين خبران لمحذوف اى هي مزيد هداية وبشارة
للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم
يوقنون لما كانت الصلوة والزكوة مما يتجدد ولا يستغرق الازمنة
جاءت الصلة فعلا مضارعا ولما كان الايمان مما هو ثابت مستقر
الديمومة جاءت الجملة الاسمية وتكرير الضمير وتغيير الاسلوب للدلالة
على قوة يقينهم وانهم الاوحدون فيه والواو يحتمل الحال ان الذين لا يؤمنون
بالاخرة زينا لهم اعمالهم يعني اعمالهم القبيحة حتى حسبوها حسنة
فهم يعمهون لا يدركون قباحتها والعمه صفة القلب اولئك
كما ان العمى صفة القلب منه
الذين لهم سوء العذاب وهم في الاخرة هم الاخسرون ما احد
اشد خسرانا منهم في القيمة اذ مآلهم الى اشد العذاب السرمدي ولما
تقدم قوله تلك ايات القران خاطب من انزل اليه بقوله وانك
لتلقى القران اى هذا القران ولقي متعد الى واحد والتضعيف
للتعدية الى ثان من لدن حكيم عليم اى اى حكيم واى عليم فانه لا يمكن
تعريفه ولهذا المعنى نكرهما وهذا التمهيد لذكر القصص الاتية فكم فيها من
لطائف حكمه ودقائق علمه اذ قال كانه قال خذ من اثار حكمته وعلمه
قصة موسى اذ قال موسى لاهله اني انست نارا حين ضل الطريق
في سيره من مدين الى مصر في ليل مظلم سآتيكم منها اى من اهلها
بخبر عن حال الطريق او اتيكم بشهاب قبس ان لم يكن خبر الشهاب
الشعلة والقبس النار المقتبسة من جمر ونحوه فقبس بدل او صفة وقرئ
بالاضافة من اضافة الخاص الى العام فان القبس جاز ان يكون شعلة
او غيرها لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها من البرد فانهم في ليل
شتوي فلما جاءها نودي ان بورك مغفرة او مصدرية من في
النار عن ابن عباس وغيره اى قدس من في النار وهو الله سبحانه

والنار نوره بمعنى انه نادى موسى من النار واسمعه كلامه من جهتها وعنه
انه لما اتاها راى منظرا هائلا عظيما والنار تضطرم فى شجرة خضراء ثم رفع
راسه فاذا نورها متصل بعنان السماء وما هو الا نور لا نار وفعل المجهول
لانه من شانه التقديس سواء وجد مقدس اولا ومن حولها اراد الملائكة
وهذا مثل علم الله وملائكته فلا يجب ان يكون تقديس احدهما كتقديس
الاخر او المراد بمن فى النار الملائكة فان فيها ملائكة لهم زجل بالتسبيح
والتقديس ومن حولها هو موسى وقيل المراد بورك من فى مكان النار ومن
حول مكانها ومكانها البقعة المباركة التى فيها النار وما حولها ارض
الشام ومن فى تلك البقعتين هم المباركون ففيهما الانبيا والصالحون
وارض الشام بالبركات موسومة فهى مبعث الانبيا ومهبط الوحى قال الله
من شاطى الواد الايمن فى البقعة المباركة وفى قراءة ابى تباركت الارض
ومن حولها وقد مر فى قوله والخامسة ان غضب الله عليها فى قراءة ان
مخففة وغضب فعل ماض ان ان مخففة من المثقلة ولا حاجة الى ذكر قد
بعد ان المخففة فى الجملة الدعائية فهنا ايضا اذ جعلت جملة بورك من
فى النار دعائية ان مخففة من المثقلة ومن كلام العرب ان جزاك
الله وان يغفر الله لك وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودى
به اى لا يشبه شيئا من مخلوقاته وهو مقدس عن كل نقص يا موسى انه
اى ان الشان انا الله الجملة خبران العزيز الحكيم صفتان له قيل هو
راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان لانا والق عصاك عطف على
انه انا الله عطف جملة الامر على جملة الخبر وقد نص سيبويه على جوازه
سيما فى مثل هذا الموقع فانه لا ينكره احد من العلماء فلما راها بعد
ان رماها تهتز تتحرك كانها جان اى كانها فى سرعة حركتها حية خفيفة
مع عظم جثتها ولى مدبرا هرب نصب مدبرا على الحال ولم يعقب
لم يرجع عطف على ولى يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قبل بعد
الادبار يا موسى اى نودى يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون
يعنى لا يخاف المرسلون حين ان اوحى اليهم لفرط استغراقهم الا من
ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم استثناء منقطع يعنى لكن

اى ضمير انه راجع الى المتكلم لا ضمير الشان منه

من ظلم

من ظلم نفسه ثم تاب وعمل صالحا فانى اغفر له ظلمه وارحمه وفيه اشارة
الى ان ما صدر عنه من الخوف زلة غفرها الله له قيل لا يخافون الا من ظلم
نفسه من مثل الصغائر ثم تاب فانه يخاف مع انى غفرت له
وهذا كما وقع فى الحديث الصحيح من حكاية الشفاعة ان كل نبى احال
الشفاعة الى نبى آخر لاجل خوفهم الا خاتم النبيين فانه قام بالشفاعة صلوات
الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين وادخل يدك فى جيبك فى جيب
درعك ونقل محيى السنة انه كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها تخرج
بيضاء كقطعة قمر تيلالا من غير سوء من مثل برص فى تسع ايات اى ادخل
يدك فى جملة تسع ايات وعدادهن الى فرعون اى مبعوثا مرسلا اليه
وقومه انهم كانوا قوما فاسقين وقد مر فى سورة الاعراف فلما جاءتهم
اياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة ظاهرة للناظرين ونسبة الابصار
اليها مجاز قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها ضمن جحد معنى كفر فلذلك
عداه بالباء واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا يعنى جحدوا وكذبوا
بالايات للظلم والتكبر عن اتباعه والحال انهم متيقنون انها ايات
الله ليست بسحر فنصب ظلما على انه مفعول له لجحدوا ونحو قعدت جبنا
والواو فى واستيقنتها للحال وقد مقدرة فانظر يا محمد كيف كان
عاقبة المفسدين ولما اتم قصة موسى شرع فى قصة اخرى فقال
ولقد اتينا داود وسليمان علما نكر علما اى طائفة عظيمة من العلم
وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين شكرا على ما اعطيهما
من العلم قيل هذا موقع الفاء دون الواو فقال السكاكى اخبر تعالى عما
صنع بهما واخبر عما قالا فكانه قال نحن فعلنا ايتاء العلم وهما فعلا الحمد
تفويضا لاستفادة ترتب الحمد على ايتائه العلم الى فهم السامع وقال
الزمخشرى اتى بالواو اشعارا بان ما قالا بعض ما اتيا به فى مقابلة تلك
النعمة كانه قال ففعلا شكرا للنعمة وشكرا وقالا الحمد لله الذى الاية وورث
سليمان داود نبوته وعلمه وملكه دون ساير اولاده فقيل له تسعة عشر ابنا
بمعنى صار اليه ذلك بعد موت ابيه فسمى ميراثا تجوزا وقال سليمان تحدثا
لنعمة الله عليه يا ايها الناس علمنا منطق الطير نفهم ما يقصد بصوته قيل

كانت الطير تكلمه معجزة وهذا خلاف ظاهر القرآن وقوله علمنا
كالمبين للميراث واوتينا من كل شيء هذا كما تقول فلان يعلم كل شيء والمراد
الكثرة ان هذا لهو الفضل المبين قيل هو يعلم منطق كل شيء من الحيوان
والنبات حتى آمر على شجر فيسمع منه منافعه وتخصيص الطير لانه كان جندا
من جنوده للتظليل عن الشمس وحشر جمع لسليمان جنوده من الجن
وكانوا هم حول الانس والانس وهم يلونه والطير وهي فوق راسه فان
كان حر اظلته من الحر باجنحتها فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم ليجتمعوا
يعني غير مهملين لهم الاداب والسياسة فلا يتأذى بهم احد حتى اذا اتوا
غاية المحذوف اي ساروا حتى اذا على واد النمل هو بالشام وعدي بعلى
لان اتيانهم من فوق او المراد قطعه يقال اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ
آخره قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم خاطبت خطاب العقلاء
لما نسبت اليهم ما يختص بهم والعجب من الزمخشري تقريره حكاية تدل على ان
تانيث قالت دالة على ان النملة انثى وليست كذلك بل دالة على
الواحد من هذا الجنس يقال لكل شاة برجلها تستناط وفي الشعر حمامة جرعى
حومة الجندل اسجعي فانت بمرأى من سعاد ومسمع وما هذا الا غفلة منه
لا يحطمنكم سليمان وجنوده اي لا تكونوا حيث انتم فيحطمنكم خيل سليمان وجنوده
نهي سليمان والمراد نهي المخاطب وهو استيناف وبدل من الامر باعتبار
ما ذكرنا من ان المراد نهي المخاطب ولا يجوز ان يكون جواب الامر لان نون
التاكيد مانع والنحاة قد صرحوا بذلك وانه لا يجوز الا في الشعر وقد تنبه
بذلك ابو البقاء فقال قيل هو جواب الامر وهو ضعيف لانه لا يوكد بالنون
في الاختيار وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم فيه اشعار بانهم لو علموا لم يحطموا
لانهم جنود نبي الله فتبسم ضاحكا من قولها اي تبسم سليمان حين سمع قولها
مقدرا الضحك فان المتبسم يصير ضاحكا اذا اتصل ودام فضاحكا حال
مقدرة وهذا التبسم للتعجب والسرور وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك
الهمني شكرها او حرضني على الشكر فلا ازال شاكرا التي انعمت علي وعلى
والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين الكاملين في الصلاح قيل كماله ان لا يهم بمعصية وتفقد الطير

تعرفها

تعرفها وذلك للاهتمام بامور الملك والاهتمام بالرعايا قيل كان
ياتيه من كل صنف واحد فلم ير فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد
كانه ظن انه حاضر ولا يراه لان العادة ان لا يذهب من جنده الا باذنه
ثم لاح انه غائب فقال ام كان بل اكان من الغائبين كانه يسأل عن
صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتيني بسلطان
مبين بحجة ظاهرة تبين عذره حلف على احد الثلثة التعذيب الشديد
او الذبح او العفو بشرط العذر او الحلف على الاولين ان لم يكن الثالث
والثالث للتقابل ادخل في سلكهما لانه محلوف عليه بالحقيقة فمكث
الهدهد غير بعيد زمانا غير مديد قيل معناه فوقف حين جاء مكانا
غير بعيد من سليمان متخلفا عن مكانه المعتاد فقال احطت بما لم تحط
به علمت ما لم تعلم وجئتك من سبأ مدينة في اليمن قيل اسم قبيلة من
ملوك اليمن بنبأ خبر له شأن يقين لا شك في صدقه بادر الى جواب
ما يسكن غيظه وابهم اولا حتى تتشوف النفس الى معرفته وتجاسر بان
له معلوما لم يكن لنبي الله ثم انتقل الى ما هو اقل ابهاما اذ فيه اخبار بمكان
جاء منه وان له علم بخبر يقيني وراعى الفصاحة في كلامه بوجوه ثم صرح
بما كان ابهمه فقال اني وجدت امراة بلقيس تملكهم اي اهل سبأ
واوتيت من كل شيء المراد التكثير كما مر ولها عرش عظيم بالنسبة
الى عروش امثالها من ذهب مكلل بالجواهر وما احسن انتقالات
خبر هذا الطير بعد تهدد الهدهد وعلمه بذلك اخبر اولا باطلاعه على ما
لم يطلع تحصنا من العقوبة لعلمه برتبة العلم عنده ثم اخبر ثانيا بانه امر
متيقن ليزيد شوق السامع ثم اخبر ثالثا عن ملك عظيم لامراة وكان
سليمان قد سأل الله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ثم اخبر رابعا بما يحكي
الاشتراك بين سليمان وامراة بشيء ليس لفحول الرجال وهو ان لها كل
شيء ثم اخبر خامسا بان لها عرشا عظيما تجلس عليه وقد كان لسليمان بساط
عظيم قد صنع له ولما علم ان سليمان عال همته لم يتأثر بامر دنيوي اخبره سادسا
بما يهزه لطلب تلك المملكة ودعائها الى الايمان فقال وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل منعهم

الشيطان عن طريق الحق فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا اي صدهم
لئلا يسجدوا لله او معناه لا يهتدون لانهم لا يسجدون اي الحامل لهم
على انتفاء الهداية انتفاء سجودهم لله فان الذنب يجر الذنب فلما
انتفى عنهم السجود انتفت الهداية ومن قرأ الا بالتخفيف فمعناه الا يا اسجدوا
فيا للتنبيه اكد بها الا التي للتنبيه والمعنى الا يا قوم اسجدوا وهو استيناف
امر من الله بالسجود الى قوله رب العرش العظيم تنبيها لقريش ولمن يسجد
غير الله وقيل من الهدهد الذي يخرج الخبأ يظهر ما خفي في غيره مصدر اطلق
على المخبوء وهو كالمطر والنبات والبنين والبنات في السموات
والارض متعلق بالخبأ ويعلم ما تخفون وما تعلنون فهو المستحق للسجود
لا الكرة التي تدور بامر مدبرها الله لا اله الا هو جاز ان يكون خبر الذي
يخرج وجاز ان يكون جملة مستانفة فيكون الذي يخرج صفة لقوله تعالى
رب العرش العظيم المحيط بجملة المكونات فهو العرش لا عرش بلقيس
ولما فرغ الهدهد من كلامه اخر سليمان امره الى ان يتبين صدقه كما قال
تعالى حكاية عنه قال سننظر نتامل ونتعرف اصدقت في موضع
نصب على اسقاط حرف الجر لان النظر بمعنى التامل يستعمل بفي ام كنت من
الكاذبين اي ام كذبت والتغيير للمبالغة كان هنا كذابين كالجن
ولمحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا يعني امر يكتب به كتاب فدفعه الى
الهدهد اليهم فقال اذهب فالقه اليهم يعني اليها وقومها ثم تول
عنهم تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تسمع كلامهم فانظر ماذا يرجعون
اي يردون بالجواب او ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وانظر
اما بمعنى تامل واما بمعنى انتظر وعلى الاول انظر معلق وماذا كلمة استفهام
ويرجعون خبرها والجملة في موضع نصب وان جعلت ما استفهاما وذا
بمعنى الذي فذا خبر ما ويرجعون صلة ذا وعلى الثاني ماذا كلمة موصول
اي فانظر الذي يرجعون قالت بعد ما ذهب والقى الكتاب يا ايها
الملأ خاطبت عظماء قومها اني القي الي كتاب كريم لغرابته من جهات
الوجازة والفصاحة وختم الكتاب وقد روي كرامة الكتاب
ختمه والرسول طير انه من سليمان استيناف كانه قيل ممن هو وما هو

ذكر ابن عصفور وابو البقاء ان يا حرف تنبيه وهو مختار صاحب البحر منه

ابن جريج عن النبي صلى الله عليه وسلم كرامة الكتاب ختمه منه

وانه اي المكتوب او المضمون بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي اي
المقصود ان لا تتكبروا علي او عليكم ان لا تتكبروا واتوني مسلمين اي مؤمنين
او منقادين ولا تعلوا نهي لمن كلمة عطف الامر عليه وهذا اي انه من
سليمان الى قوله مسلمين عبارة الكتاب ولما قرأت على الملأ استشارتهم
استعطافا وتطييبا لقلوبهم ليقوموا معها وقالت يا ايها الملأ
افتوني في امري اجيبوا في امري الحادث ما كنت قاطعة فاصلة
اي هذه عادتي معكم في الامور امرا يعني ما ابته حتى تشهدون اي تحضروا
واذا كان هذا عادتي في الامور فكيف لا استشيركم في هذه الحادثة الكبرى
قالوا نحن اولوا قوة عدد كثير واولوا باس شديد اصحاب شجاعة
ونجدة قيل كان الملأ ثلثمائة واثنا عشر اميرا مع كل منهم عشرة الاف
والامر موكول اليك وذلك من حسن محاورتهم وافراطا عنهم فانظري
من التامل والتفكر ماذا تامرين من المقاتلة والصلح نطعك وماذا
مفعول ثان لتامرين والاول محذوف للعلم به اي تامريننا والجملة
في موضع مفعول انظري معلق عنها قيل مرادهم نحن ابناء الحرب
لا ابناء الاستشارة وانت ذات الرأي والتدبير قالت ان الملوك اذا
دخلوا قرية اي على طريقة العنوة والقهر افسدوها وجعلوا اعزة اهلها
اذلة ذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها وان الحرب سجال
لا يدري عاقبتها مالت الى المهاداة والصلح لما رات منه مالا رات
من الملوك وكتب الله سعادتها وكذلك يفعلون الا ظهر انه
من تتمة كلامها تقريرا وتاكيدا لما وصفت واني مرسلة اليهم بهدية
كان الهدية لسليمان واشرافه فناظرة عطف على مرسلة بم يرجع بم
متعلق بيرجع لا بناظرة والنظر هنا معلق والجملة في موضع مفعوله
المرسلون باي شئ يرجعون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك عن ابن عباس
وغيره قالت ان قبل الهدية فهو ملك نحاربه والا فهو نبي نتبعه فلما جاء
الرسول والمراد به الجنس سليمان واخبر بان معه هدية قال اتمدونن
خطاب للرسل والهمزة للانكار بمال فما اتاني الله من النبوة والملك
والمال خير مما اتاكم فلا وقع لهديتكم عندي بل انتم بهديتكم بما يهدى اليكم

تفرحون لحبكم الدنيا وقلتها في خزائنكم لما انكر عليهم الامداد وعلل ذلك
اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم على الامداد وهو قياس
حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا وجاء لفظ الهدية مبهما وذكروا في
تعيينها اقوالا مختلفة وذكروا حيلا في الهدية ومن حال سليمان مع
الرسل حين وصلت الهدية ما الله اعلم بصحته ولا مدخل له في تفسير كلام
الله فاضربنا عنه ارجع انصرف والضمير الى جنس الرسول وقيل الضمير
الى الهدهد اي ارجع اليهم بكتاب آخر اليهم يعني بهديتهم فلنأتينهم
بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بالجنود اي لنأتينهم ان لم يأتوني مسلمين
وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة ولنخرجنهم منها من بلدتهم اذلة
ذليلين بذهاب اسباب عزهم وهم صاغرون اسراء جملة حالية
قيل في ذلك دليل على جواز الحالين لذي حال واحد وهي مسئلة خلافية
فقيل يمكن ان تكون الثانية تاكيدا للاولى فكانهما حال واحدة قال سليمان
حين راى جماعة من بعيد فسال عنهم فقالوا فوج بلقيس يا ايها الملأ
ايكم يأتيني بعرشها لاريها معجزة اخرى واختبر عقلها قبل ان يأتوني
مسلمين واراد ان يرد اليها عرشها لان حل الغنائم مختص بدينه
قال عفريت خبيث قوي من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك
وكان يجلس في مجلس الحكم من الصبح الى الظهر واني عليه على اتيانه لقوي امين
لا اختلس منه شيئا فقال سليمان اريد اسرع من ذلك لانه اراد ان
يكون عرشها حين قدومها قدامه قال الذي عنده علم من الكتاب
من جنس الكتاب السماوي عن ابن عباس وغيره انه كاتبه آصف
صديق عارف باسم الله الاعظم وكان عرشها في اليمن وسليمان في بيت
المقدس انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك اي قبل ان ترد طرفك
التي ارسلت نحو شئ وهذا مثل في السرعة وآتيك في الموضعين يحتمل
الفعل واسم الفاعل فلما رآه اي سليمان العرش مستقرا عنده ثابتا
غير متقلقل عنده فعنده ظرف لغوا حال حتى يجب حذف عامله
قال هذا اي اتيانه من فضل ربي ليبلوني ليعاملني معاملة من يختبر عبده
أأشكر ام اكفر اي اشكر نعمته فارى ذلك من فضله ام اكفر بان ارى نفسي

قيل معناه بل انتم بهذه الهدية التي اهديتموها
تفرحون فرح افتخار بانكم قدرتم على اهداء
مثلها وقيل بل انتم من حقكم ان تأخذوا
هديتكم وتفرحوا بها فيكون عبارة عن الرد
منه

اي مستقرا وليس الاستقرار بمعنى الحصول
المطلق بل الاستقرار بمعنى الرسوخ وعدم
التزلزل والتقلقل
منه

مستحقا

مستحقا له او اقصر في مواجبه والشكر كما قيل قيد للنعمة الموجودة وصيد
للنعمة المفقودة والفعلان في موضع نصب ليبلو والفعل معلق وكثر
التعليق في هذا الفعل اجراء له مجرى التمييز والعلم لان مدلوله الحقيقي الاختبار
ومن شكر فانما يشكر لنفسه يرجع فوائد الشكر الى نفسه ومن كفر فان
ربي غني عن شكره كريم بالافضال على من يكفر وعلى ما قررنا جاز ان يكون
المذكور هو جواب الشرط لتقدير غني عن شكره وقيل الجواب محذوف
دل عليه قسيمه وتقديره فانما يكفر على نفسه والمذكور علة الحصر يعني
لا يرجع ضرره الى الله لانه غني قال سليمان نكروا لها عرشها بتقديم
شئ وتاخير شئ منكرا متغيرا عن شكله ننظر جواب الامر اتهتدي
الى انه عرشها ام تكون من الذين لا يهتدون بل ظاهره ان تعرف شبها
قال وهب ومحمد بن كعب خاف الجن ان يتزوجها سليمان فتفشي اليه
اسرار الجن فان امها جنية فقالوا ان في عقلها شيئا وان رجلها كحافر
حمار وانها شعراء الساقين قيل معناه اتهتدي للايمان بان رأت
تلك المعجزة الاخرى ام هي من المتصلبين في الكفر وهذا من حيث لم يعقل
من اللاتي مثل قوله في شان مريم وكانت من القانتين فلما جاءت
قيل بعد ان نكروا عرشها اهكذا عرشك اي مثل هذا عرشك ولم يقل
اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها قالت كانه هو قابلت تشبيههم بتشبيهها
ورعت الحزم وما جزمت لذكائها واوتينا العلم بنبوة سليمان من قبلها
من قبل تلك المعجزة التي ارينا اياها اليوم وكنا مسلمين منقادين له قبل وصولنا
الى محضره وقوله مسلمين من باب التغليب لان معها رجالا كثيرا وقد صرح
بعض السلف ان قوله واوتينا العلم الى قوله من قوم كافرين من كلام سليمان
وقومه عطفوه على جوابها لانه لاح منه ايمانها بالله حيث جوزت خرق
العادة الذي هو من معجزات الانبياء ومعناه على هذا واوتينا العلم بالله
قبلها وكنا لم نزل منقادين لله وغرضهم من هذا التحدث بنعم الله شكرا له
واما قوله وصدها الى كافرين فلا شك انه ليس من كلام بلقيس ما كانت
تعبد من دون الله يعني منعها عن التقدم للاسلام عبادتها للشمس فما فاعل
صد انها كانت من قوم كافرين مستانفة بمنزلة العلة اي لانها نشأت

بين اظهر المشركين قيل لها ادخلي الصرح الصرح كل بناء عال امر سليمان
قبل قدومها فبنى الجن قصرا صحنه من زجاج ابيض شفاف وتحته الماء
والقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره في وسطه وقال لها ادخلي فلما رأته
حسبته لجة ماء راكد الصفاء الزجاج لم تر الزجاج وكشفت عن ساقيها
وانما فعل ذلك لانه اراد ان يتزوجها وقد قيل له كأن رجلها فاراد تحقيق
القول فراى احسن الناس ساقا وعند بعض ان المقصود من الصرح ارادة
عظمته وحصول كشف الساق تبع واما انها كانت شعراء فام الجن فاحالوا
الموزة مذكور في القصص قال سليمان لها ادمن امرها بدخول الصرح
انه صرح ممرد مملس من قوارير زجاج فلا تخافي ولا تكشفي عن ساقيك قالت
لما دعاها الى الاسلام بعد ان رأت المعجزات رب اني ظلمت نفسي بالشرك
واسلمت مع سليمان لله رب العالمين ومع اسم يدل على الصحبة والتجدد
كما صرح به الزمخشري في سورة يوسف عند قوله ودخل معه السجن فتيان وفي
سورة والصافات في قوله فلما بلغ معه السعي فعلى هذا المراد اسلمت
بالموافقة او بان لقيها او مع حال لا ظرف لغو فلا يلزم الا ان حدث اسلامها
كان في صحبته ولما ذكر قصة داود وسليمان وهما من بني اسرائيل ذكر قصة
من هو من العرب يذكر بها العرب وينبههم على ان العرب والعجم من الانبياء
يدعون الى منع الشرك ليعلموا انهم في ضلال من عبادة الاصنام فقال ولقد
ارسلنا الى ثمود اخاهم في النسب صالحا وهو عطف على قوله ولقد اتينا داود
وسليمان ان اعبدوا الله قد مر مرارا ان أن في مثله جاز ان تكون تفسيرية
ومصدرية بتقدير حرف الجر فاذا هم فريقان يختصمون مؤمن وكافر وضمير
هم لثمود وعطف بالفاء لانهم بادروا بالاختصام متعقبا دعاء صالح اياهم
الى عبادة الله وحده ويختصمون بصيغة الجمع على المعنى واختصامهم
ما مر في سورة الاعراف قال الذين استكبروا الاية قال يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة بوقوع ما يسوؤكم قبل الحسنة قبل الحالة الحسنة قيل كانوا يقولون ان
صدق ايعاده تبنا حينئذ زاعمين ان التوبة في ذلك الزمان مقبولة في ظنهم
على حسب ما اعتقدوا لولا هلا تستغفرون الله قبل العذاب لعلكم ترحمون
فان العذاب حين جاء لا ينفع الاستغفار قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن

ای امر بنآ الصرح الذی تحته الماء والقی فیه حیوانات البحر منه

معك فانهم قحطوا وتفرقت كلمتهم منذ كذبوه قال طائركم عند الله
رد عليهم بان شؤمكم عند الله اتاكم من عنده بعملكم الخبيث قال الزمخشري
كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم
فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قسمة الله او من
عمل العبد ومنه قالوا طائر الله لا طائرك اي قدر الله الغالب الذي
ينسب اليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم وتتيمن بل انتم قوم تفتنون
تختبرون بالخير والشر اضرب عن بيان الطائر الى بيان ما هو الداعي الى
الضراء وجاء بالخطاب على مراعاة انتم وهو الكثير في لسان العرب
وكان في المدينة في مدينة ثمود تسعة رهط هي من الثلاثة الى العشرة واتفق
المفسرون على ان المعنى تسعة رجال وهم الذين عقروا الناقة ابناء اشرافهم
رضا الجميع وقد صرح المازني وقوم من النحاة ان تمييز العدد باسم الجمع
كنفر وذود ورهط يضاف اليه بلا فصل من وقد صرح الاخفش وسيبويه
انه لا يقال ثلث غنم بل يقال من غنم يفسدون في الارض ولا يصلحون يعني
اعمالهم محض فساد وفساد وهم عام قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا
بالله اي احلفوا به فعلى هذا تقاسموا امر وهو مفعول قالوا وقيل فعل
ماض بدل من قالوا او حال بتقدير قد لنبيتنه واهله لنقتلن صالحا واهله ليلا
فان البيات مباغتة العدو ليلا ثم لنقولن لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله ما حضرنا اهلاكهم وفيه حذف تقديره ومهلكه وانا لصادقون
ونحلف بقولنا انا لصادقون في حلفنا قيل معناه وانا عند الناس
صادقون قالوا وحالية على هذا والحاصل ان الكذب شعارهم ودثارهم
حتى قالوا في محضر القيمة والله ربنا ما كنا مشركين ومكروا مكرا بتلك
المواضعة ومكرنا مكرا جازيناهم بمثل فعلهم وهم لا يشعرون بمكرنا فانظر
كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين روي ان صالحا اخبرهم
بعد ما عقروا الناقة بمجي العذاب فاتفقوا على قتل صالح فاختفوا في غار
شاهرين اسيافهم بالليل فاهلكهم الله واهلك اهاليهم ولم يشعر كل واحد
بهلاك آخر وقوله كيف خبر كان والجملة في موضع نصب لانظر معلقة عن
العمل وانا بكسر الهمزة استيناف واما على قراءة فتحها فيحتمل ان يكون خبرا

وهو الاولی من تسعة انفس ... النفس الفصيح منه

تحفظه اربعة من الطير منه

وكيف حال او يكون بدلا من عاقبة او تقديره لانا دمرناهم وعلى القراءتين
جاز ان يكون كان تامة وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية او ساقطة
خربة ونصبها على الحال عاملها معنى الاشارة بما ظلموا بسبب ظلمهم على
انفسهم وعلى غيرهم ان فى ذلك لاية لقوم يعلمون ويجعل الاية ليمكن
ليتعظوا وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون عن الكفر والمعاصى وهم الالاف
مع صالح ولوطا اى وارسلنا لوطا اذ قال ظرف لارسلنا لقومه
اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون قبحها من بصر القلب او يبصره
بعضكم بعضا فى حال ارتكاب فاحشتكم وتاتون فى ناديكم المنكر ائنكم
ابهم او لانهم عينها لتاتون الرجال تناكحونهم شهوة تتركون المانع الشرعى
والزاجر العقلى لمجرد شهوة فشهوة مفعول له من دون النساء فانه لا
مانع شرعيا ولا طبعيا بل انتم قوم تجهلون سفهاء او تجهلون عاقبة
ما انتم عليه وذكر الفعل بصيغة الخطاب لما ان القوم فى معنى المخاطب
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم اى لوطا
واله انهم اناس يتطهرون عن ابن عباس استهزءوا بهذا فانجيناه
واهله الا امراته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر
المنذرين قد مر فى سورة الشعراء وهود والاعراف قل يا محمد
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى لما فرغ من تلك القصص
امر نبيه بحمده وبالسلام على المصطفين على نصرة اوليائه واهلاك
اعدائه ثم اخذ فى مباينة واجب الوجود للاصنام التى اشركوها مع
الله فقال آلله خير اى آلله الذى ينجى من وحده خير اما تشركون
اى الشئ الذى تشركونه ولم يغن عن عباده شيئا فهذا الزام وتسفيه
لرايهم فمن المعلوم ان لا خير اصلا فيما اشركوه وهم اعتقدوا فيه نفعا
بالجهل ولهذا عبر عنه بما لا بمن ام من خلق السموات والارض وانزل
لكم من السماء ماء فانبتنا به عدل الى التكلم للاشارة الى ان الانبات
الذى بين ايديكم وتحسبون ان لكم فيه شركة فى بعض مختص بنا لا يقدر عليه
غيرنا حدائق ذات بهجة بساتين ذات حسن ما كان لكم ليس فى
قدرتكم ان تنبتوا شجرها فانه ايجاد وهو لله وحده وقوله امن متصلة

قسيمة

قسيمة لمحذوف اى اما تشركون خير امن خلق او تقديره امن خلق
كمن لا يخلق وكذلك الثانى والثالث وقد اظهر فى غير هذا الموضع ما
اضمر قال تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق او منقطعة بمعنى بل والهمزة فتقرير
اضرب عن السؤال الاول الى تقرير المعنى الثانى يعنى ادعوا ذلك
الا تقرون انه الخالق فهو خير من جماد ءاله مع الله اى اغيره يقرن به
بل هم قوم يعدلون عن الحق الى الباطل او يعدلون به غيره فيجعلون له
عديلا ولما ذكر شيئا مشتركا بين السماء والارض من انزال الماء وانبات
الحدائق ذكر ما هو مختص بالارض فقال امن جعل الارض قيل بدل امن
امن خلق قرارا مستقرا لكم بحيث لا يديرها الفلك وهى مستواة بحوه
وجعل خلالها وسطها انهارا جارية وجعل لها رواسى جبالا ثوابت
لئلا تضطرب وتميد وجعل بين البحرين الملح والعذب حاجزا لئلا
يختلط فينتفعون بهما قد مر فى الفرقان وفى هذا اشعار بان الحاجز هو الارض
فذكره هنا للامتنان لا لبيان القدرة ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون عظمته
جهلا ايكرر العامل فى قوله جعل وجعل اشارة الى ان كل جملة مستقلة
وجاء بصيغة الماضى دلالة على ان لا تجدد فيها بخلاف الجمل بعدها
امن يجيب المضطر الذى احوجه مرض او حادث من حوادث الدهر
اذا دعاه ويكشف ما اعتراه الكفرة فى حال اضطرارهم يتركون الهتهم ويلجئون
الى الله ويكشف السوء كل ما يسوءه وهو عام فى كل ضر سواء كان المكشوف
عنه مضطرا اولا ويجعلكم خلفاء الارض سكانها يهلك قرنا وينشئ قرنا
اخرا والمراد التسلط والعظمة او الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ءاله مع الله
يجيبه ويعينه قليلا ما تذكرون زيدت ما لتاكيد القلة اى تذكرون تذكرا
قليلا لا ينفع امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر هداية البر بالعلامات كالجبال
وهداية البحر بالنجوم ومن يرسل الرياح بشرا مبشرات بين يدى رحمته
قدام المطر ءاله مع الله يقدر على مثله تعالى الله عما يشركون امن يبدأ
الخلق ثم يعيده اى ينشئ المخلوق ثم يعيده عند القيامة وهذا هو المقصود
والكفرة وان انكروا الاعادة لكن بحسب الحجج الواضحة ظاهرة ولما كان
الانعام بالايجاد لا يتم الا بالرزق قال ومن يرزقكم من السماء بالمطر والارض

بالبنات أإله مع الله قل هاتوا برهانكم على ان مع الله الها آخر
ان كنتم صادقين في دعواكم او هاتوا برهانكم على نفي شيء من ذلك عن الله
او على اثبات شيء منه لغيره ان كنتم صادقين في انكم على حق في ان
معه غيره ولما كانت مضمونات تلك البراهين متوقفة على العلم اذ
لا قدرة لمن لا علم له اثبت هذا العلم المختص بذاته الاقدس فقال قل
لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله قيل الاستثناء منقطع
ورفعه على لغة تميم لنكتة المبالغة في نفي علم الغيب عن الغير كما قيل في
وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس اراد انه ان كان ما من
الانيس فيها انيس ومحال ان يكونا من الانيس فالمراد من الآية ان كان الله
ممن فيهما ففيهما من يعلم الغيب ومن المحال ان الله في سماء وارض
وقيل المراد بمن فيهما الموجودون فان في فهم الاكثرين ان كل موجود فيهما
فعلى هذا الاستثناء متصل وقيل الاستثناء مفرغ ومن منصوب المحل
والغيب بدل اشتمال من من ولا يخفى على فاهم ان من اخبره الله بشيء
من المغيبات لم يصدق عليه بحال انه عالم الغيب كيف وهو جاهل
الا بما لقنه وما يشعرون ايان يبعثون نقل محيي السنة ان هذه الآية نزلت
حين سال المشركون تهكما متى البعث والاعادة وايان ههنا اسم استفهام
بمعنى متى معمولة ليبعثون ويشعرون معلق والجملة الاستفهامية في موضع
نصب به بل ادارك علمهم في الآخرة عن ابن عباس تدارك علمهم ما جهلوه
في الدنيا بمعنى تكامل علمهم في الآخرة بان كل موعود حق لانهم شاهدوا عيانا
ما وعدوا به في الدنيا وقراءة أدرك ايضا بمعنى انتهى وتكامل قيل ادارك
بمعنى تتابع حتى انقطع يقال ادارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك
وادرك بمعنى انتهى واضمحل يعني اضمحل علمهم في شان الآخرة فهم لا يقرون
بوجود البعث سيما بوقته بل هم في شك منها الاضراب على الوجه الاول
بمعنى ان هؤلاء في الآخرة على يقين لا على شك بل شكهم منها في الدنيا
وعلى الوجه الثاني لان عدم الاقرار بشيء واقع قد يكون لعدم التوجه اليه
وقد يكون بعده والثاني اقبح فخص الاضراب بل هم منها عمون عيون
قلوبهم عمي ومنشأ عماهم الآخرة ولهذا المعنى عداه بمن لا بعن يعني الكفر

أي لا يعلم غيب من فيهما الا الله

بها صيرهم اضل من البهائم ولما ذكر انهم غير مقرين بل شاكون عمي القلوب
اثبت بالدليل فقال وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون
قد مر مرارا افلا نعيده لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل اي من قبل بعث
محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا الا اساطير الاولين اكاذيبهم قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين حتى تعلموا ان هذا ليس
باسمار وليس باساطير الاولين ثم سلى نبيه فقال ولا تحزن عليهم على
تكذيبهم واعراضهم عنك ولا تكن في ضيق حرج صدر مما يمكرون
من مكرهم فالله حافظك وناصر دينك ولما ذكر انهم في شك من
القيمة واورد من كلماتهم ما دل ظاهره على شكهم ثم اوعدهم بالهلاك
وسلى فؤاد نبيه ذكر منهم ما دل على عنادهم وتماديهم في جهلهم مما يدل ظاهره
ايضا على شكهم فقال ويقولون متى هذا الوعد اي القيمة ان كنتم صادقين
قل يا محمد عسى ان يكون ردف لكم تبعكم عن قرب ودنا لكم كالرديف
واللام في المفعول لتاكيد وصول الفعل اليه كما زيدت الباء في ولا تلقوا
بايديكم وقيل ردفه وردف له لغتان بعض الذي تستعجلون كيوم
بدر فانه قامت فيه قيامتهم وقد مر ان حكم لعل وعسى في مواعيد
الملوك حكم الجزم فان الرمزة منهم كافية وان ربك لذو فضل على
الناس ولهذا اتوخر عذابهم ان استحقوا ولكن اكثرهم لا يشكرون
نعمه ولما كان الامهال ربما يكون لجهل بذنوب المذنب نفاه بقوله
وان ربك ليعلم ما تكن ما تخفي صدورهم وما يعلنون اسند الاعلان
اليهم لانه من افعال الجوارح وما من غائبة ما من شيء في غاية الغيبوبة
والخفاء في السماء والارض الا في كتاب مبين اللوح المحفوظ او العلم
القديم ثم اثبت ما ذكر من ان كل شيء خفي مبين في كتابه القديم بقوله
ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون فصح
ان الله يحيط علمه اذ لا خصوصية لهذا دون غيره بالنسبة الى علمه
وانه القرآن لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم اهل الانتفاع وفيه ايماء
الى انه غواية ونقمة للكافرين ولما ذكر الاختلاف قال ان ربك
يقضي يفصل بينهم بين المختلفين في امور الدين بحكمه بما يحكم به وهو

اشارة الى ان اللام في ردف لكم لتضمين معنى دنا

العزيز فلا يرد حكمه العليم بما يحكم له وعليه ولما ثبت حكمه وعلمه امر نبيه
بان يعتمد كل الاعتماد عليه فقال فتوكل على الله انك على الحق المبين
والحق يعلو ولا يعلى ولما قال انك على الحق المبين كان سائلا سال
فما بالهم لا يذعنونه فقال انك لا تسمع الموتى شبهوا بالموتى وان كانوا
احياء لعدم الانتفاع بما يستمعون او هم موتى القلوب ولا تسمع
الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين الكفار كالصم في حالة ادبارهم واعراضهم
فان الاصم اذا كان مقبلا مستمعا قد يسمع وما انت بهادي العمي
عن ضلالتهم حيث يضلون الطريق فلا تقدر ان تزيل عنهم ذلك
وتجعلهم هداة بصراء ان تسمع سماع انتفاع الا من يؤمن باياتنا من هو
في علم الله انه يصدق باياتنا فهم مسلمون منقادون فانت تبلغ
الرسالة من غير ضيق قلب واذا وقع القول عليهم انجز وعد عذابهم
الذي تضمنه القول الازلي من الله ولا يقبل من كافر ايمانه اخرجنا
لهم دابة من الارض من مكة او من حواليها والظاهر انها واحدة وروي
انها تخرج في كل بلدة واحدة فعلى هذا دابة اسم جنس واختلف في كيفيتها
اختلافا لا ينضبط وفي مسلم اول الايات خروجا طلوع الشمس من
المغرب وخروج الدابة على الناس ضحى فايتهما ما كانت قبل صاحبتها
فالاخرى على اثرها قريبا تكلمهم من الكلام وفي كلامه اختلاف او من
الكلم اي الجرح روى ابن ماجة وابو داود وابن جريج ان عصى موسى
بيدها فتنكت في وجه المومن نكتة بيضاء فتبيض منها وجوههم وبيدها
خاتم سليمان وتنكت الكافر بها في وجهه فتسود منها وجوههم وفي الشواذ
فتكلمهم بفتح التاء وجزم الكاف ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون
اي لان الناس وهذا من كلام الله لا كلام دابة الارض علة لاخرجنا
او تكلمهم وقراءة كسران مستانفة علة لقراءة الفتح قيل هذا الكلام دابة
الارض اي تكلمهم بان وقراءة كسران لان في الكلام معنى القول وعلى
هذا المراد باياتنا نفس خروجها وسائر احوالها فانها من ايات الله
وقيل المراد من اياتنا القران وعلى هذا الكلام حكاية كلام الله ولما
كان من فعل الدابة التمييز بين المومن والكافر فعقبه تلاه بتمييز كل فريق

منها عن صاحبه بنوع اخر فقال ويوم نحشر اي اذكر او ذكر والحشر الجمع
على عنف من كل امة من الامم من للتبعيض فوجا جماعة ممن من للبيان
يكذب باياتنا فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم ليجتمعوا وهذا عبارة
عن كثرتهم والايات الانبياء او القران والدلائل حتى اذا جاءوا الى المحشر
قال الله لهم اكذبتم باياتي استفهام تقريع وتوبيخ ولم تحيطوا بها علما
الواو للحال اي اكذبتموها بادي الراي من غير احاطة علم بكنهها وجاز ان
تكون للعطف اما ذا كنتم تعملون ماذا بجملته يحتمل ان يكون استفهاما
منصوبا بالخبر كان يعني تعملون وان يكون ما هو الاستفهام وذا بمعنى الذي
فيكونان مبتدأ وخبرا اي تعملونه انتقل من توبيخ الى توبيخ اي اي شيء
كنتم تعملونه يعني ان كان لكم عمل وحجة فهاتوا وهذا كما توبخ عبدك الذي
اكل مالك وانت تعلمه اكلت ام بعت ام ضاع عنك ام ماذا عملت به
ووقع القول عليهم حل عليهم العذاب الموعود بما ظلموا فهم لا ينطقون
بحجة وعذر في جواب هذا السؤال عنهم لانه لا عذر لهم وقيل يختم على افواههم
فيكون ذلك في موطن من القيمة ولما ذكر الحشر استدل عليه بحشرهم كل
ليلة الى المبيت والختم على مشاعرهم وبعثهم من المنام فقال اولم يروا
لم يتفكروا انا جعلنا خلقنا الليل ليسكنوا فيه بالقرار والنوم والنهار
مبصرا نصب مبصرا على الحال وفيه مبالغة فان ما هو حال لاهله جعله
من احواله عند الزمخشري انه مراعى من حيث المعنى لان معنى مبصرا ليبصروا
فيه طريق التقلب في المكاسب وعند صاحب البحر انه من باب
ما حذف من اوله ما اثبت في مقابله وبالعكس فالتقدير جعلنا الليل
مظلما ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ليتصرفوا فيه قال تعالى وجعلنا اية
النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وعلى هذا جعلنا متعد الى مفعولين
ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فانهم لو تاملوا لعلموا كمال قدرته
ولطفه على خلقه وان النوم كالموت والنهار كالبعث فما انكروا البعث
وما اشركوا ولما ذكر هذا الحشر الخاص الذي هو كالدليل على الحشر العام
اعقبه بالحشر العام فقال ويوم اي اذكر يوم ينفخ في الصور قرن
ينفخ فيه اسرافيل في اخر عمر الدنيا والمراد الزمان الممتد ففزع عبر عنه

بالماضي لتحقق وقوعه من في السموات ومن في الارض من الهول
عن ابي هريرة ان النفخ ثلث نفخة فزع حيوة الدنيا ونفخة الصعق ونفخة
القيام من القبور الا من شاء الله فلا ينالهم الفزع ونعم ما قيل الله اعلم
بثنياه وعن كثير من السلف انهم الشهداء متقلدون السيوف حول العرش
وكل اي كلهم اتوه الضمير للموقف او لله سبحانه داخرين ذليلين
وترى الجبال تحسبها جامدة من رؤية العين وتحسبها حال وجامدة
من جمد مكانه اذا لم يبرح منه اي ثابتة في مكانه وهي تمر مر السحاب
وهي سائرة والاجرام العظام اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها
كالسحاب وذلك اول احوال الجبال تسير ثم ينسفها الله فتصير كالعهن
ثم تكون هباء منثورا صنع الله مصدر مؤكد لمضمون الجملة الحالية وهي
تمر وقيل منصوب على الاغراء اي انظروا صنعه الذي اتقن احكم
كل شيء واودع فيه من الحكم ما اودع انه خبير بما تفعلون فيجازيكم عليه
من جاء في ذلك اليوم بالحسنة فله خير منها تضعيف حسنته وهم من
فزع يومئذ فزع وهو فزع دخول النار يومئذ آمنون الظرف معمول آمنون
او لفزع او صفة لفزع اي فزع يوم اذ جاء بالحسنة او يوم اذ ترى الجبال
او يوم اذ ينفخ ومن جاء بالسيئة اي بالشرك اجمع السلف على ان الحسنة
الايمان والسيئة الكفر فكبت وجوههم اي انفسهم في النار وفيه ايذان
بانهم يكبون فيها منكوسين هل تجزون اي قيل لهم وقت الكب الا ما
كنتم تعملون فما ذلك الا عدل ولما رغب ورهب بقوله هل تجزون
امر الله نبيه بان يبين شغله وحال امته معه ليتميز القسمان
فقال انما امرت يعني قل انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة
الذي حرمها مكة حرم الله صيدها ونباتها واشتجارها ولقطتها
من قبل واما ما في الحديث ان ابراهيم حرم مكة فالمراد انه اخبر بذلك
ومنه ظهر حرمتها وله كل شيء خلقا وملكا فله التحريم والتحليل وامرت
ان اكون من المسلمين المنقادين لله اعاد لفظ امرت للفاصلة بقوله
وله كل شيء وان اتلو القران على الناس فمن اهتدى بالقبول
والاتباع فانما يهتدي لنفسه ثم هدايته مختصة به ومن ضل بعدم

القبول

القبول والاتباع فقل انما انا من المنذرين له فلا علي من ضلالكم شيء
فالرابطة محذوفة وقيل جوابه محذوف لدلالة مقابله عليه وقل
الحمد لله على النبوة والتبليغ سيريكم اياته في الدنيا واراهم مثل وقعة
بدر فتعرفونها حين لا ينفعكم العرفان قال الحسن وذلك في القيمة
وقيل سيريكم اياته الافاقية والانفسية وما ربك بغافل عما
تعملون فتاخير العذاب ليس لغفلة بل لرحمة والحمد لله على الاتمام

سورة القصص مكية قيل الا الذين آتيناهم الكتاب الى الجاهلين وآيها ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك اشارة الى السورة ايات الكتاب
المبين القران او اللوح المحفوظ نتلو بلسان جبريل عليك من نبا
اي بعضه قيل تقديره نبأ من نبأ وعلى هذا من بيانية موسى وفرعون
بالحق حال من فاعل نتلوا اي محقين او حال من من نبا اي ملتبسا به
لقوم يؤمنون فانه لا ينتفع به الا من هو مؤمن في علم الله ان فرعون
مستانفة مبينة علا في الارض استكبر في ارض مصر حتى ادعى الربوبية
وجعل اهلها شيعا اصنافا يصرف كل صنف فيما يريد يستضعف
حال من فاعل جعل قيل صفة شيعا او استيناف طائفة منهم هم
بنو اسرائيل يذبح ابناءهم جملة مبينة ليستضعف او بدل منه ويستحيي
نساءهم يبقيهن احياء للخدمة انه كان من المفسدين ونريد حكاية حال
ماضية ان نمن نتفضل على الذين استضعفوا في الارض بانقاذهم
من سطوته الواو للعطف على ان فرعون وكلاهما تفسير للنبأ ونجعلهم
المستضعفين ائمة يقتدى بهم ونجعلهم الوارثين لما كان تحت
ايدي القبط ونمكن لهم في الارض نسلطهم في ارض مصر والشام
ونري فرعون وهامان وجنودهما في قوله وجنودهما اشارة الى ان وزيره
كالملوك عظيم منهم اي من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من
ذهاب ملكهم بيد مولود من بني اسرائيل فان القبط قد سمعوا ذلك
من بني اسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول ابراهيم صلوات الله وسلامه
عليه واوحينا الى ام موسى اي الهمنا بعد الولادة ان ارضعيه ان مفسرة
او مصدرية اي ما دمت غير خائفة عليه فاذا خفت عليه من جواسيس

فرعون فالقيه في اليم في بحر نيل يعني اجعليه في تابوت كما مر في سورة طه
ولا تخافي عليه فعلينا وقايته ولا تحزني في فراقه انا رادوه اليك وهذا كما
قيل يمكن تحمل الفراق حين رجاء التلاق وجاعلوه من المرسلين الى
عبادنا قد استفصح الاصمعي امراة قالت بعد ما سمعت الاية اشهد
ان هذا كلام رب العالمين في اية واحدة قصيرة امران ونهيان
وخبران وبشارتان فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا لام
ليكون لام العاقبة وهي للتعليل المجازي ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين فعاقبهم الله بان ربّى عدوّهم على ايديهم وقالت
امراة فرعون لفرعون حين فتحت التابوت ورات فيه غلاما بهيا
القى الله محبته على قلب اسية قرة اي هو قرة عين لي ولك عن ابن
عباس ان فرعون اجابها اما لك فنعم واما لي فلا فكان كذلك
لا تقتلوه فانه جاء من ارض بعيدة وليس من هذه السنة وفرعون
لا يخاف الا من ابناء تلك السنة عسى ان ينفعنا لانه يظهر من جبينه
اثار اليمن او نتخذه ولدا نتبناه فانه ليس لهما ابن وهم لا يشعرون انه
هو الذي يفسد ملكهم والجملة حالية من كلام الله قيل من كلام اسية
يعني انا نتخذه ولدا والناس لا يشعرون انه ولد غيرنا واصبح فؤاد
ام موسى فارغا اي صار فؤادها فارغا عن الصبر او خاليا عن كل
شيء كالمجنون في حب ولدها حين سمعت ان ولدها التقطه ال فرعون
وفي الشواذ فزعا بدل فارغا ان كادت اي انها قربت لتبدي به
اي بموسى ومفعول تبدي محذوف اي لتبدي القول بسبب موسى
او الباء زائدة والضمير هو المفعول لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر
جواب لولا ما يدل عليه ما قبله لتكون من المؤمنين علة للربط يعني
لتكون ام موسى من المصدقين بوعد الله حين الهمها بانا رادوه اليك
قيل معناه اصبح فؤادها خاليا من الغم لما سمعت ان فرعون تبناه
وكادت من الفرح تظهر حاله لولا ان ربطنا واسكنا ما حدث لها
من شدة الفرح لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون
وتعطفه وقالت ام موسى لاخته مريم قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره

الامران ارضعيه والقيه والنهيان
لا تخافي ولا تحزني والبشارتان
انا رادوه وجاعلوه والخبران
اوحينا واذا خفت عليه منه
ولي اثنانا نقط

فبصرت

فبصرت مريم بعد ما قصت به اي ابصرته عن جنب عن بعد وهم
لا يشعرون انها اخته او لا يشعرون انها تطلبه وبابصارها اياه
عند قوم من حاشية امراة فرعون يطلبن له مرضعة حين لم يقبل
المراضع وحرمنا عليه المراضع تحريما قدريا اي منعناه من ان يرتضع
فما قبل ثدي مرضعة من قبل من اول امره فقالت اخته هل ادلكم على
اهل بيت يكفلونه يضمونه ويرضعونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا
يقصرون في خدمته قيل اخذوها لما سمعوا منها ما قالت بانك تعرفه
فقالت لا اعرفه وانما قلت وهم للملك ناصحون لا للولد فخلوها فاتت
بامها فالوا عنها حين التقم ثديها فقالت اني امراة طيبة النشر لا
اوتى بصبي الا قبلني فاعطوه اياها مع اجر وعطاء جزيل فذهبت
به الى بيتها شاكرة فرددناه الى امه يعني بعد ما ذهبت اخته بامه
اليهم وكلموها كي تقر عينها برؤيته ولا تحزن ولتعلم علم مشاهدة
ان وعد الله حق قال تعالى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين
ولكن اكثرهم لا يعلمون حقيقة وعده او غرضنا في رده اليها او انا
وعدنا رده اليها ولما بلغ اشده واستوى تقدم في سورة يوسف
اتيناه حكما وعلما نبوة وعلما في الدين وقيل حكمة وفهما قبل النبوة
وكذلك مثل ذلك الجزاء نجزي المحسنين ودخل المدينة مدينة بارض
مصر وهذا بيان سبب وصوله الى النبوة على حين غفلة من اهلها
عن ابن عباس وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها
رجلين يقتتلان صفة رجلين او حال منهما وقد صرح سيبويه بجواز
الحال من النكرة من غير شرط قاله صاحب البحر هذا من شيعته وهذا
من عدوه يعني احدهما من بني اسرائيل والثاني من القبط عبر عن
غائب ماض باسم الاشارة الذي هو للحاضر لحكاية الحال فاستغاثه
طلب ان يغيثه الذي من شيعته على الذي من عدوه عدي بعلى
لما في استغاث من معنى العون فوكزه موسى الوكز الضرب بجمع
الكف او الدفع باطراف الاصابع فقضى عليه موسى او الله او الوكز
عليه قتله ولم يتعمد قتله قال موسى هذا من عمل الشيطان فانه غير مامور

بقتل الكفار انه عدو مضل مبين بين الاضلال قال رب اني
ظلمت نفسي بقتله من غير امرك فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور
الرحيم قال رب بما انعمت اي بحق انعامك علي فلن
اكون ظهيرا معينا للمجرمين لمن ادت مظاهرته الى جرم قيل
بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك
ولا ادع قبطيا يغلب احدا من بني اسرائيل وقيل اقسم بانعامك ان
عصمتني لاتوبن فجواب القسم محذوف وقوله فلن اكون
مسبب عن الجواب فاصبح موسى في المدينة خائفا يترقب
ينتظر سوءا او يترقب الاخبار هل وقفوا على ما كان منه قيل يترقب
نصرة ربه فاذا الذي استنصره بالامس اعني ذلك الاسرائيلي
اذا للمفاجاة والامس معرب لانه دخلت عليه حرف التعريف
لكن اذا عري فالحجازية تبنيه اذا كان معرفة وتميم يمنعه الصرف حالة
الرفع فقط ومنهم من يمنعه الصرف مطلقا يستصرخه يستغيث
موسى قال له موسى انك لغوي مبين لانك تسببت الى قتل ثم
تدعوني الى مثله فلما ان اراد موسى ان يبطش بالذي هو عدو
لهما اي يبطش بالقبطي اعانة للاسرائيلي قال الاسرائيلي يا موسى
اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس لما سماه غويا ظن
ان البطش عليه قيل قائله القبطي فقد اشتهر قتل قبطي ان تريد الا
ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين
بين الناس فلما سمع القبطي كلام الاسرائيلي راح الى باب فرعون
فاخبره فامر بقتل موسى ولاخذه تفرق جنده وجاء رجل من
اقصى المدينة اي من آخرها يسعى يسرع لما امر بقتله خرج الجلاوزة
من الشارع الاعظم لطلبه سلك هذا الرجل طريقا اقرب الى
موسى قوله من اقصى ويسعى صفتان او يسعى حال اذ من متعلق بجاء
وقد ذكرنا ان سيبويه يجوز الحال عن النكرة الصرفة قال يا موسى
ان الملأ من فرعون واشرافه يأتمرون يتشاورون بك بسببك
قيل يأمر بعضهم بعضا قال تعالى وأتمروا بينكم بمعروف ليقتلوك

فاخرج

فاخرج من البلد اني لك من الناصحين من لم يجوز تقديم معمول الموصول
بوجه فعنده ان لك بيان نحو هيت لك فخرج منها من المدينة
خائفا يترقب لحوق شر قال رب نجني من القوم الظالمين من شرهم
ولما توجه تلقاء قبالة مدين قرية شعيب ولم تكن تحت سلطان فرعون
قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل وكان هناك ثلث طرق فاخذ
موسى في اوسطها واخذ طالبوه في الاخرين وقالوا المريب
لا يسلك اعظم الطرق فبقي موسى في اعظم الطرق ثمان ليال وهو حاف
لا يطعم الا ورق الشجر وكان لا يعرف الطريق الى مدين ولما ورد ماء
مدين وصل الى بئر لهم وجد عليه امة جماعة من الناس يسقون
مواشيهم ووجد من دونهم اي من الجهة التي وصل اليها قبل ان يصل
الى الامة يعني المراتان من دونهم بالاضافة اليه امرأتين تذودان
تمنعان غنمهما عن الماء انتظارا لخلو شفير البئر قيل معناه تمنعان
عن وجوههما نظر الناظرين لتسترهما قال موسى ما خطبكما ما شأنكما
تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء يصرفوا مواشيهم وابونا
شيخ كبير لا يستطيع الخروج لتعهد المواشي ونحن ضعفاء لا نقدر
على مزاحمة الرجال فسقى موسى مواشيهما لهما رحمة عليهما روى ابو بكر
ابن شيبة وقال الشيخ ابن كثير ان اسناده صحيح عن امير المؤمنين عمر
انهم لما فرغوا عن الاستقاء خطوا صخرة لا يستطيع رفعها الا عشرة
على رأس البئر فرفع موسى الحجر وحده ثم لم يستق الا دلوا واحدا
ودعا بالبركة وروى غنمهما ثم تولى الى الظل من الشجرة فقال رب اني
لما انزلت الي من خير طعام قليل او كثير فقير محتاج سأل ربه شيئا
ليأكل فانه من الجوع في غاية وما موصوفة وتتضمن معنى طلب عدي
فقير باللام قيل معناه اني فقير من الدنيا لما انزلت الي من خير الدين
وهو النجاة من الظالمين وغرضه اظهار الشكر والفرح فجاءته احداهما
تمشي على استحياء مستحيية متسترة بكم درعها بعد ما رجعتا الى ابيهما
وقال لهما ما لكما اليوم سقيتما اسرع الايام فقصتا فارسل اليه احديهما
لتدعوه قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا جزاء

شعيب فلما جاءه موسى وقص عليه على ابيها القصص اخبره بامره
الذي اخرجه من ارضه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين
فرعون وقومه قيل قرب اليه طعاما فقال له موسى انا من اهل بيت
لا نبيع ديننا على ملء الارض ذهبا فاجابه شعيب ليس هذا عوض
السقي ولكن عادتي وعادة آبائي قرى الضيف فاكلا عليهما الصلوة
والسلام قالت احديهما يا ابت استاجره لرعي غنمنا ان خير
من استاجرت القوي الامين وهو كذلك علمت قوته من قلعه
الحجر الذي وضعوا على البئر وامانته بانه يامرها بان تكون خلفه في
الطريق ولا يرسل طرفه اليها واختلف في انهما ابنتا شعيب او ابن
اخيه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين اللتين رايتهما
تذودان على ان تاجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا فقوله ثماني
حجج ظرف والمفعول مقدر اي نفسك او من اجرته كذا اذا اثبته
اياه فعلى هذا ثماني بتقدير رعيه ثماني ثاني مفعوليه وعلى ان تاجرني حال
اما من فاعل او مفعول انكحك وعلى الوجهين ليس هو مثل اماته الله
مائة عام فان اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك اتمامه تفضلا وتبرعا
وهذا استدعاء العقد لا نفسه لقوله اريد ان انكحك وما اريد
ان اشق عليك بالزام اتمام العشر ستجدني ان شاء الله من
الصالحين في حسن الصحبة والوفاء بالقول قال موسى ذلك
الذي عاهدتني فيه بيني وبينك قائم مقرر لا نخرج عما شرطنا
ايما الاجلين الاقصر والاطول قضيت ما مزيدة للتاكيد واي شرطية
منصوبة بقضيت فلا عدوان علي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه
ولي الخيار مطلقا والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد فلما
قضى موسى الاجل روى البخاري عن ابن عباس انه قضى اطولهما وسار
باهله بامراته بنته الصغرى وقيل الكبرى آنس ابصر من جانب الطور
نارا وكانا في برية وليلة مظلمة شديدة البرد قال لاهله امكثوا لعل
معها غيرها وعظمها للتعظيم والدها اني آنست نارا لعلي آتيكم منها
بخبر من الطريق فانه اخطأ الطريق او جذوة عود غليظ من النار

لعلكم

لعلكم تصطلون تستدفئون بها من البرد فلما اتيها نودي من شاطئ
جانب الوادي الايمن صفة لشاطئ او الوادي على معنى اليمن والبركة وبركتها
لما خصت به من آيات الله وانواره وتكليمه لموسى او لما خلق فيها
من الارزاق والثمار الطيبة او لانه عن يمين موسى في البقعة المباركة حال
من الشاطئ او صلة لنودي من الشجرة قيل هي عناب بدل اشتمال
من شاطئ فانها نابتة على الشاطئ ان يا موسى ان تفسيرية او مخففة
من المثقلة اني انا الله رب العالمين اي الذي يكلمك رب
العالمين وقد حكى الله تعالى في كل سورة من مثل طه والنمل بعض ما
اشتمل عليه النداء وان الق عصاك عطف على ان يا موسى فلما
رآها بنور الشجرة او المعجزة او وقع ذلك حين طلعت الشمس
تهتز تتحرك بسرعة كانها جان حية صغيرة من سرعة حركتها
وان كانت هي في نفسها عظيمة الجثة ولى مدبرا منهزما من الخوف
لطبع البشرية ولم يعقب لم يرجع يا موسى اي نودي يا موسى
اقبل ولا تخف انك من الآمنين فرجع ووقف في مكانه الاول
اسلك يدك ادخلها في جيبك تخرج بيضاء كانها قطعة قمر
من غير سوء من مثل برص واضمم اليك جناحك من الرهب
عن ابن عباس وغيره اذا خاف احد وضع يده على فؤاده تخف
فقوله من الرهب اي من اجله وقيل تجلد ولا ترتعد من الخوف
والطائر ينشر جناحيه حين خوفه ويضم حين اطمينانه قيل اذا
هالك ما يغلب من شيء عنها فاضممها اليك ليسكن وقيل هذا
امر بالعزم كقول العرب اشدد حيازيمك واربط جاشك
اي تشمر في امرك ودع الرهب وذلك حين كثر رعبه في غير موطنه
قال تعالى في سورة النمل واضمم يدك الى جناحك فالجناح وهو اليد
مضموم اليه وفي هنا الجناح مضموم قال الزمخشري الجناح المضموم
هو اليد اليمنى والمضموم اليه اليسرى وكل من يمنى اليدين ويسراهما
جناح فذانك العصا واليد وهما مؤنث لكن لتذكير الخبر ذكرهما
برهانان من ربك معجزتان الى فرعون مرسلا بهما اليه وملائه انهم

عن ابن عباس في كل شجر نار يمكن اخراجها بالزند الا شجر العناب منه

كانوا قوما فاسقين قال موسى رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف
ان يقتلون عوضا ولم يتم امر الرسالة واخي هرون هو افصح مني لسانا
قد مر ان له نوع لكنة فارسله معي ردءا معينا يصدقني باتمام الحجة
ودفع الشبهة وجزم يصدقني لجواب ارسل ورفعه لانه صفة ردءا
او استيناف فقيل ارسله يصدقني فرعون لان خبر الاثنين اوقع
اني اخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك نقويك باخيك
واليد تشتد بقوة العضد وجملة البدن تقوى بشدة اليد على
مزاولة الامور فهو مجاز مرسل من باب اطلاق السبب على المسبب
بمرتبتين ونجعل لكما سلطانا تسلطا او حجة وبرهانا فلا يصلون
اليكما لا سبيل لهم الى وصول اذاكم باياتنا بسبب ابلاغكما ايات
الله قيل متعلق بنجعل وقيل معناه اذهبا باياتنا نحو في تسع ايات
الى فرعون انتما ومن اتبعكما الغالبون قيل اللام في الغالبون ليس
بمعنى الذي فيجاز تعلق باياتنا بالغالبون فلما جاءهم موسى باياتنا
اليد والعصا بينات واضحات الدلالة على صدقه قالوا
ما هذا الا سحر مفترى على الله وما سمعنا بهذا بمثل ما يدعونا اليه في
اباءنا الاولين كائنا في ايام اباءنا وقال موسى بعد ان كذبوه ربي
اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم حقيتي وبطلانكم ومن متعلق بجاء
او حال من الهدى ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة والنصرة
في الدارين انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت
لكم من اله غيري اظهر عند رعاياه ان وجود اله غيره غير معلوم وانه يستطيع
ان يحقق ذلك وهو عالم متيقن انه امر لا يمكن لكن لخداعه مع جهلة قومه
امر وزيره ببناء فقال فاوقد لي يا هامان على الطين لم يقل اطبخ لي
الاجر لانه لم يتقدم لهامان علمه بل فرعون علم ما صنع فاجعل لي صرحا
بناء مشرفا وقيل في طوله وعرضه حكايات لعلي اطلع الى اله موسى
كانه سمع من موسى ان الله في السماء واني لاظنه موسى من الكاذبين
في ان لكم الها غيري وهو رسوله او في انه في السماء واستكبر هو
وجنوده في الارض بغير الحق غير محقين والمستحقون للاستكبار وظنوا

عن ابن عباس ان فرعون اول من عمل الاجر منه

انهم

انهم الينا لا يرجعون اعتقدوا ان لا معاد وهذا هو الباعث
على استكبارهم فاخذناه وجنوده فنبذناهم القيناهم في اليم في
بحر قلزم كلف رماد و تمام الحكاية مر في سورة طه فانظر يا محمد كيف
كان عاقبة الظالمين فحذر امتك وكيف خبر كان وجعلناهم ائمة
اصيرناهم قدوة للكفار يدعون الى النار اي الناس الى موجباتها
من الكفر والضلال ويوم القيمة لا ينصرون في العذاب يخلدون
واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة من الرسل والملائكة والمؤمنين ويوم
القيمة هم من المقبوحين عن ابن عباس سود الوجوه زرق العيون ويوم
القيمة عطف على هذه الدنيا وجملة هم من المقبوحين حالية بغير واو
او يوم ظرف لمقبوحين ولقد اتينا موسى الكتاب التورية وهو
اول كتاب فيه الفرايض والاحكام من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
كقوم فرعون وعاد ونوح وثمود وقيل لم يهلك قرية بعد نزول التورية
غير قرية مسخ اهلها قردة وخنازير بصاير للناس اي اتينا التورية
حال كونه انوارا للقلوب تبصرها بقيهم من الضلال وهدى الى
الطريق المستقيم ورحمة لو عملوا بما فيه لنالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون
ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وما كنت يا محمد بجانب
الغربي حاضرا في الغربي من الجبل الذي كلم الله موسى من الشجرة التي
هي شرقية وعن الحسن بعث الله موسى بالغرب وقيل هناك
جبل غربي قيل الغربي من الوادي او من البحر من اضافة الموصوف
الى صفته او تقديره بجانب المكان الغربي اذ قضينا الى موسى الامر
فوضنا اليه امر الرسالة وما كنت من الشاهدين نفي اولا حضوره
حين تفويض الرسالة اليه ثم ثني بكونه لم يكن من الشاهدين لجميع ما
علمناه فكان عموما بعد خصوص وعن ابن عباس لم تحضر ذلك الموضع
ولو حضرت فما شاهدت وهذا مثل ما في اخر يوسف ذلك من انباء
الغيب نوحيه اليك الاية يعني ما انت تعرف القصة وما شاهدتها
فما هي الا من الوحي فكيف يرتاب احد في نبوتك ولكنا انشأنا
قرونا كانه قال لا ينبغي لاحد ان يرتاب لكن ارتابوا لان الله انشأ

وقيل تقديره وما كنت حاضرا اشاهد ما كنا اوحيناه اليك والمذكور
في قوله انشأنا قرونا سبب الوحي ودل به على المسبب على عادة عبارة
القران في الاختصار فهذا الاستدراك كالاستدراكين بعده فتطاول
عليهم العمر فافسدوا شرايعهم ونسوا عهودهم ولهذا اكذبوك وان كانت
دلائل صدقك ظاهرة باهرة وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين
هم شعيب والمومنون تتلو عليهم اياتنا تقرأ عليهم تعلما منهم اياتنا
التي فيها قصتهم فتحكي ولكنا كنا مرسلين اليك اخبارهم يوحينا وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا موسى لاعطاء التورية والوصية بخذ التورية
ولكن علمناك واوحينا اليك رحمة من ربك عليك وعلى امتك
لتنذر قوما متعلق بناصب رحمة ما اتاهم من نذير من قبلك ما نافية
فانهم في فترة منسط دله وقيل ما موصوفة فقد جاء الرسل الى اباءهم
الاقدمين لعلهم يتذكرون لكي يتعظوا فيردعوا عما يسوءهم ولولا ان
تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع اياتك ونكون من المومنين يعني لولا قولهم ربنا هلا ارسلت
الينا رسولا نومن به ويعلمنا الدين اذا عاقبناهم بسبب ما كسبت
ايديهم من المعاصي لما ارسلناك فارسالك لئلا يكون لهم حجة علينا
ان عذبناهم اشارة الى انهم مستحقون للعقاب لكن تاخيره وارسالك
لقطع الحجة فلولا الاولى امتناعية وجوابها محذوف مثل ما قدرناه وقوله
فيقولوا عطف على تصيبهم ولولا الثانية تحضيضية وقوله فنتبع جوابها
ولما كان اكثر الاعمال تزاولها بالايدي عبر عن كل عمل باجتراحها حتى عن
عمل القلب اتساعا في الكلام وتغليب للاكثر واختار تلك العبارة ولم يقل
لولا ان يقولوا اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ربنا الاية لنكتة هي
ان هذا القول منهم لم يكن الا لمشاهدة العذاب لا لتاسف على ما فاتهم
من الايمان بربهم وتلك النكتة فهمت من تقديم العقوبة التي هي سبب
القول وجعلها كانها سبب للارسال بواسطة القول فلما جاءهم الحق
من عندنا اي محمد عليه الصلوة والسلام قالوا عنادا بتعليم اليهود لولا
هلا اوتي اي محمد مثل ما اوتي موسى من مثل اليد والعصا اولم يكفروا

اي ابناء

اي ابناء جنسهم يعني كفرة زمان موسى بما اوتي موسى من قبل الهمزة للانكار
والاولى ان من متعلق بيكفروا قالوا سحران اي هما يعني موسى وهرون
ساحران سموهما سحران للمبالغة تظاهرا تعاونا واتفقا وقالوا انا
بكل من الاخوين كافرون والمعنى الم يكفر قريش بمعجزات موسى وقالوا
في محمد وموسى ساحران يصدق كل واحد الاخر ويعاونه نحن بكل
منكما كافرون وعلى هذا من متعلق باوتي لانهم ما كانوا يقولون قبل
محمد موسى ومحمد ساحران اللهم الا ان يراد من قبل هذا الزمان لا من
قبل محمد قل يا محمد فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما من التورية
والقران الضمير الى الكتابين بحسب القرينة وهذا يويد التوجيه الثاني الذي
هو مروي عن ابن عباس وغيره اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران
وكتابنا سحر والمراد تبكيتهم والزامهم مع نوع من التهكم بهم فان لم يستجيبوا لك
اي دعاءك الى الاتيان بكتاب اهدى عن الزمخشري قد يعدى فعل
الاستجابة بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي واذا عدي الى الداعي
حذف الدعاء غالبا فاعلم انما يتبعون اهواءهم لانهم ما رجعوا عن
العناد بعد ما الزمتهم بالحجة ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام انكار
بنادي بالويل على الف بغير هدى من الله حال للتوكيد قيل للتقييد
فان الهوى قد يكون من الله وفي الحديث لا يومن احدكم حتى يكون هواه
تبعا لما جئت به ان الله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين امر
الهوى موضع امر الله ولما ذكر دلائل صحة نبوته وكررها بطرق مختلفة
لئلا يبقى لهم شبهة وانزل عليه ايات بينات بين سبب تناسقها
وتواليها فقال ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا القران موصولا بعضه
ببعض في المواعظ والنصائح وقصص الامم الخالية والوعد والوعيد
لعلهم يتذكرون شفقة ورحمة عليهم الذين اتيناهم الكتاب من قبله
من قبل هذا القول هم لا من وصلنا لهم به بهذا القول يومنون فان
سعداء اهل الكتاب غير محتاجين الى توصيل القول واذا يتلى
عليهم القول قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين
فانا قد علمنا من كتابنا حقيقة محمد وكنا به اولئك يوتون اجرهم مرتين

مرة على ايمانهم بكتابهم ورسولهم ومرة على ايمانهم بالقرآن ومن انزل
عليه وان كانوا مؤمنين به من قبل بما صبروا بسبب صبرهم وثباتهم على
الحق ولم يتركوا دين الله ولم يشركوا اولا واخرا ويدرؤن بالحسنة السيئة
يدفعون بالطاعة المعصية كما قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ اتبع السيئة
الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن او لا يقابلون الاذى بمثله بل العفو
شيمتهم بل يجازون لكن بالاحسان وهو الخلق الحسن ومما رزقناهم ينفقون
في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو القبيح من القول كشتمهم اعرضوا عنه تكرما
وقالوا لمن لغى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم ويسمى هذا اسلام متاركة
وتوديع لا نبتغي الجاهلين لا نريد صحبتهم ولا طريقتهم والحاصل ان هؤلاء فكوا
كفهم وكفوا فكهم روى محيي السنة ان المشركين كانوا يسبون مؤمني اهل الكتاب
قائلين تبا لكم تركتم دين ابائكم ففيهم نزلت ولما بين انه فصل القول
لقريش لكن سبقت السعادة لغيرهم اعقبه بقوله انك لا تهدي من
احببت يعني لا تقدر ان تحصل الايمان في قلب من احببته نعم في قدرتك
هدايته بمعنى ارشاده ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين اي
بمن استعد لذلك فهو خلقهم قد اجمع اهل الدين على انها نزلت في
ابي طالب وحديثه مسطور في الصحيحين وغيرهما وقالوا اي قريش عذرا
في عدم اتباع القول ان نتبع الهدى معك ظرف نتبع او حال من
الهدى نتخطف من ارضنا كما تتخطف العصافير من اوكارهم لمخالفة كافة
العرب لانا نصير قليلا من غير نصير والاختطاف الانتزاع بسرعة
او لم نمكن لهم حرما امنا يعني هم كاذبون في عذرهم فانهم جربوا ان حرمهم آمن
من السطوات مكناهم فيه مع كفرهم فكيف اذا اطاعونا يجبى اليه
يجمع ويحمل اليه ثمرات كل شيء اي ثمرات كثيرة من انواع متباينة من
ثمرات البلاد الحارة والباردة ففيه الفواكه مع انه واد غير ذي زرع
وفي فعل المضارع اشارة الى ان هذا يبقى مستمرا رزقا من لدنا مع انه
يتخطف الناس من حولهم فهذا العجب في عجيب فيه ما يكفيهم لان يشكروا
ولا يكفروا ونصب رزقا على انه مصدر من غير لفظ الفعل او مفعول له او حال
من ثمرات بمعنى مرزوقا ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة ولذلك قالوا ما قالوا

من اعذارهم

من اعذارهم الباطلة ولما ذكر امنهم والجاءهم وتمكينهم مع انهم
قائلون معترفون بضعفهم اتبعه بما وقع من اهلاك قرى اقوياء يخاف
الناس من سطواتهم فالاول ترغيب والثاني ترهيب فقال وكم
اهلكنا من قرية من اهلها بطرت طغت القرية واشرت معيشتها
نصب على التمييز عند الكوفيين كذا في البحر او على اسقاط في او على
تضمين فعل متعد مثل كفرت وخسرت يقال بطر فلان نعمة الله
اي استخفها ولم يشكرها فتلك مساكنهم قائمة في الفيافي البعيدة
لم تسكن من بعدهم ليس بمسكون فيها من بعد اهلاكهم الا قليلا الا سكنى
قليلا اذ لا يسكنها احد الا المسافر حين العبور او الا قليلا من المساكن
في بعض من القرى المهلكة وكنا نحن الوارثين ما بقي منهم احد يرثها ويسكنها
فانهم مستأصلون وما كان ربك مهلك القرى ما جرت عادة الله
على اهلاكها عناية ورحمة حتى يبعث في امها في اصلها واعظمها المنتشر
الاجناب منها الى اطرافها ولان فيها الاشراف والاشراف غالبا
رسولا يتلو عليهم اياتنا فينبههم ويوقظهم عن رقدة الغفلات فان استمروا
على جهلهم وغفلتهم نزل العذاب عليهم وما كنا مهلكي القرى الا واهلها
ظالمون بتكذيب الرسول والواو بعد الا للحال عن بعض معناه ما كنا
في حكمنا وقضائنا ان نهلك القرى ونخرب الدنيا حتى نبعث في ام
القرى مكة رسولا الاية ولما اعتلوا في الوقوف عن الايمان بالخوف والتخطف
والخوف اما على الانفس او على ما في ايديهم من الدنيا وذكرهم نعمته
في الامن وخوفهم سطوته وهم في مسكنهم وقوتهم اشار الى انهم فوتوا
بعدم الايمان ما هو اعلى واعلى وافضل واولى فقال وما اوتيتم
من شيء قليل او كثير مما يطلق عليه انه شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها
ما هو الا تمتع وزينة في ايام قلائل وما عند الله من الجنة ونعيمها خير
وابقى فانه وان لم يكن ازليا لكنه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون الذي
هو ادنى بالذي هو خير ولما بين التفاوت البين بين جنس المتاعين
شرع يبين تفاوت المتمتعين بهما فقال افمن وعدناه وعدا حسنا
حسن الوعد لحسن الموعود كالجنة فهو لاقيه مدركه كمن متعناه متاع الحيوة

الدنيا الذي هو مشوب بانواع الغصص ثم هو يوم القيمة من
المحضرين يعني ويكون في عقبه انه من المحضرين للحساب والعقاب
وهذه الاية كالنتيجة لما قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم
اي اذكر يوم ينادي الله المحضرين بواسطة ملك او بغير واسطة
لمزيد تهويلهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركائي
بحذف المفعولين والاستفهام للتقريع والتوبيخ قال الذين حق
عليهم القول اي وجب عليهم مقتضى كلمة العذاب من سادة الضلال
وكبرائهم ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي اغوينا هم اغويناهم كما غوينا
اي اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعني اخترنا لهم الذي اخترنا
لانفسنا فلا عتب علينا اذ غووا باختيارهم كما غوينا باختيارنا ليس منا
سوى دعاء ووسوسة لسنا اجبرناهم كما قال الله حكاية من ابليس
ما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا
انفسكم والحاصل انه لما خاطب الله عظماء الكفار ووبخهم بقوله اين
من زعمتم انه شريكي في ملكي خافوا من الاداني ان يعتذروا من انفسهم
ان سادتنا اضلونا فعليهم العتب فبادر السادة الى الجواب
للقول الموهوم من الاداني بانهم اختاروا ما اخترنا فالعتب على
الكل لا ان عتبهم علينا فقوله اغويناهم خبر لهؤلاء والذين مع صلته صفته
والتقييد بقوله كما غوينا استفيد منه ما لم يستفد من الصفة او الموصول
هو الخبر واغويناهم مستانفة تبرأنا اليك منهم ما كانوا ايانا
يعبدون فهم عابدون اهواءهم شهدوا على انفسهم بالغواية
والاغواء ثم تبرأوا وقيل ادعوا شركاءكم لما سئلوا واجابوا
بغير جوابه سئلوا ثانيا واضاف الشركاء اليهم لمزيد نكالهم ووبالهم
وقال ادعوهم لان يخلصوكم عما انتم فيه تهكما بهم فدعوهم لحماقتهم
وسخافة عقولهم فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة وراوا التابع
والمتبوع العذاب لو انهم كانوا يهتدون جواب لو محذوف
اي ما راوا هذا العذاب قيل لو للتمني وقوله انهم كانوا على الحكاية
نحو اقسم ليضربن وحقه ان يقول انا كنا ويوم يناديهم فيقول

ماذا اجبتم المرسلين سال اولا عن اشراكهم ثم عن تكذيبهم رسل الله
فعميت عليهم الانباء يومئذ اظلمت عليهم الامور صارت الانباء
كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم وفيه مبالغة ليس في عموا عن الانباء
والنبأ الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله فهم لا يتساءلون لا يسال
بعضهم عن بعض لفرط حيرة كل منهم فاما من تاب في الدنيا عن
الشرك واجاب المرسلين بما دعوهم وآمن وعمل صالحا فعسى
ان يكون من المفلحين يعني من جمع بين الندم عما مضى والايمان والعمل
الصالح فليطمع في الفلاح وليكن بين الخوف والرجاء وربك
يخلق ما يشاء ويختار لا منازع ولا راد لحكمه ما كان لهم الخيرة اي
التخير ليس لاحد ان يختار على الله وليس لاحد اختيار اصلا بل
هم عاجزون تحت قدرته والصحيح ان ما نافية كما فسره ابن عباس
قال تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان
يكون لهم الخيرة من امرهم فالمقام بيان انفراده بالخلق والاختيار
ولهذا عقبه بقوله سبحان الله وتعالى عما يشركون عن اشراكهم
نقل محيي السنة انها نزلت حين قالوا لولا نزل هذا القران على
رجل من القريتين عظيم وربك يعلم ما تكن صدورهم تسره وما
يعلنون لا يخفى عليه شيء وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة
فانه هو الخالق الموصوف بجميع صفات الكمال لا تزول عنه بحال
وله الحكم فصل القضاء بين الخلق واليه ترجعون بالنشور يرجع
الامور كلها اليه ولما ذكر ان لله العلم العام التام وليس له شريك
وهو الموصوف بجميع الصفات الحسنى وهو الحاكم يرجع اليه الامر
شرع يثبت المدعى بحجة ثابتة متحدة فقال ارايتم اخبروني ان جعل
الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد والميم مزيدة للمبالغة
في المتابعة الى يوم القيمة لا نهار يعاقبه من اله غير الله ياتيكم بضياء
افلا تسمعون سماع فهم ولمزيد قوة السامعة بالليل اعقبه بذلك
قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة لا يعقبه
ليل من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه للاستراحة عن متاعب

النهار وصف الليل وحده لان النهار مستغن عن الوصف كشمس
الضحى افلا تبصرون مناسبته بما ختم ظاهر على البصير ومن رحمته
اي من اجل رحمته عليكم جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في
الليل ولتبتغوا من فضله اي من فضل الله في النهار فحذف فيه
للقرينة او المراد لتطلبوا من فضل النهار ولما كان حاصلا فيه اضيف
اليه نحو بل مكر الليل والنهار ولعلكم تشكرون بدأ بعلته الاول ثم
بعلته الثاني ثم بما يشبه العلة لجعل هذين الشيئين وهي لعلكم تشكرون ولما
اثبت ان له القدرة والحكمة والاحسان لحسان والجمهم وافهمهم ونبه
على عجزهم عن البرهان مرة بعد اخرى لكي يرجعوا الى الحق ويذعنوا فقال
ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون وتكرار ذلك
كمن اورد مدعا الخصم وابطله ثم بعد الابطال اعاد المدعى ليقرعه
ويقر بابطاله ونزعنا اخرجنا من كل امة اي امة دعوة شهيدا هو
نبيهم يشهد عليهم بما اجابوه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم
عليه من مخالفة هذا الشهيد فعلموا حينئذ ان الحق لله لا لهم وهم انكروا
كلامه الذي ارسله ببيان الشهيد وضل عنهم غاب غيبة الضايع
ما كانوا يفترون من الاباطيل ولما صوغ تلك السورة من قصص موسى
عليه الصلاة والسلام فصل حكايته في اول السورة مع اجابته
ولما اتمها بين فائدتها ثم شرع في حكاية اخرى منه مع احد من قاربه
كما وقع لمحمد صلى الله عليه وسلم حذو النعل بالنعل فقال ان قارون
كان من قوم موسى من بني اسرائيل بلا خلاف واختلف في قرابته
فعن ابن عباس انه ابن عم موسى وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان
احفظ بني اسرائيل للتورية واقرأهم نافق كالسامري جدا
فبغى عليهم تكبر وظلم واتيناه من الكنوز ما الذي ان مفاتحه
جمع مفتح وهو ما يفتح به لتنوء تثقل بالعصبة الجماعة الكثيرة الباء
للتعدية قال ابن عباس تقول العرب ناء الحمل بالبعير اذا اثقله
اولي القوة فما موصولة او موصوفة وان مع الاسم والخبر صلتها او
صفتها وما مع متعلقتها مفعول ثان لاتينا اذ قال قال صاحب

و انتصب ... اذ قال ... منه

فان ظرفية لتنوء ضعيف لان اثقال المفاتح العصبة ليس مقيدا بهذا الوقت منه

البحر الاولى انه ظرف لمقدر هو مثل فاظهر التفاخر والفرح له قومه
لا تفرح بدنياك فان الفرح بها مدته قصيرة وهو يورث غما سرمدا
ان الله لا يحب الفرحين الاشرين البطرين بالدنيا وابتغ فيما اتاك
الله من متاع الدنيا الدار الاخرة بان تنفقه في سبيل الخير ولا تنس
نصيبك من الدنيا نصيب كل شخص ما كوله وملبوسه فلا تتعب
في جمع ما لا نصيب لك فيه او النصيب ما ينفعك بعد الموت
قيل النصيب هو الكفن واحسن الى الناس كما احسن الله اليك
لا يلزم ان تكون المشابهة من كل جهة قيل احسن بالشكر كما احسن
بالانعام ولا تبغ الفساد بظلم ومعصية في الارض ان الله لا يحب
المفسدين قال في جواب النصح انما اوتيته على علم عندي قيل اراد
علم الكيمياء اي الاكسير المزيل لعيوب حدثت لبعض الفلزات
من معادنه وقيل لعلم وفضل عندي استحق الايتاء ولولا معرفته
بفضلي ورضاه ما اعطاني والاظهر ان عندي صفة علم او لم يعلم
ابتداء كلام من الله ان الله قد اهلك من قبله من القرون من للتبعيض
اي بعض اهلها من هو بدل الكل اشد منه قوة واكثر جمعا القوة والجمع
اما باعتبار ان قوة كل واحد من ذلك البعض اشد وجمعه اكثر او قوة
المجموع وماله اشد واكثر ونصب قوة وجمعا على التمييز ولا يسئل عن
ذنوبهم المجرمون يعني لا يسال الله المجرمين عن ذنوبهم فانه مطلع
على ذنوبهم لا يحتاج الى الاستعلام فهم يدخلون النار بغير حساب
فخرج على قومه في زينته في بيان زينته ذكر اشياء الله اعلم بصحتها
منها انه خرج في تسعين الف عليهم المعصفرات والحلي راكبين
وراجلين قال الذين يريدون الحيوة الدنيا اي المؤمنون الراغبون
في الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم من نعم
الدنيا وقال الذين اوتوا العلم احبار اليهود لمن تمنى ويلكم في اصله
دعاء بالهلاك مستعمل في الزجر ثواب الله اي جزاء الاعمال
في الاخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون قوله لمن متعلق
بخير او بثواب الله ولا يلقيها اي الثواب والتانيث باعتبار المثوبة

او النعمة الا الصابرون على حكم الله وهو من تتمة النصيحة
او لا يلقيها الكلمة التي تكلم بها العلماء الا الصابرون فعلى هذا هذا
كلام الله منقطع عن النصح فخسفنا به وبداره الارض قيل هو يوذي
موسى بكل ما يمكنه فاعطى يوما الزانية لتنسب موسى من نفسها بالزنا
فرسته بنفسها يوم العيد فناشدها موسى بالصدق فصدقت
فدعا الله موسى عليه فاوحى اليه ان جعلت الارض مطيعة لك
فامر الارض باخذه وانه ليتجلجل فيها الى يوم القيمة فما كان له من فئة
اعوان فيه ايماء الى ان لو فرضنا له ناصرا لابد ان يكونوا جماعة اقوياء
ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين بنفسه واصبح الذين
تمنوا مكانه منزلته في امر الدنيا بالامس اي بالزمان الماضي او المراد
الزمان المقدم بليلة واحدة يقولون ويكأن الله مركب عند الخليل
وسيبويه من وي وهي اسم فعل بخصوصه وه ومعناها اعجب وكاف
التشبيه الداخلة على ان وعند الاخفش ويك بمعنى ويلك والكاف
حرف خطاب لا موضع له من الاعراب وان مفتوح بتقدير اعلم
وعند الكسائي ويونس وغيرهما ان اصله ويلك حذفت اللام
والكاف في موضع جر بالاضافة وقيل ويكأن بجملته كلمة واحدة بمعنى
الم تر يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ويضيق لا لكرامته
عنده ولا لهوانه لولا ان من الله علينا لخسف بنا لانا وددنا ان
نكون مثله ولولا فضله لكنا خاسفين لاجل نيتنا ويكأنه لا يفلح
الكافرون اي الكافرون لنعم الله تلك الدار الاخرة اي العظيم
الشان البعيد المنزلة التي سمعت بذكرها كانك من بعيد رايتها
نجعلها استيناف وتلك الدار مبتدأ وخبر والدار صفة تلك
ونجعلها خبر بالذين مفعول ثان لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
اعادة لا دالة على ان كلا من العلو والفساد مقصود لا جمعهما والاول
ملجى مع كفارون وعلق حصولها على ترك ميل القلب نحو ولا تركنوا
الى الذين ظلموا قراها فضيل فقال ذهبت الاماني ولا بعيد ان يراد بهذه
ان لا يكون جبارا متسلطا على العباد ولا يريد الفساد في البلاد وقوله

قالت اعطى لي قارون جعلا على
ان اقذفك بنفسي منه

في الارض بشرها فلنا فلا يتخذ عباد الله خولا ولا مال الله دولا بل
همته ونيته وامنيته اعلاء الدين واصلاح المسلمين وايضا ان هذا
كما عدت للمتقين لا يلزم ان لا يدخلها الغير ابدا والعاقبة الحسنى للمتقين
من المعاصي ومن وفق على التوبة فهو منهم ولما حصل التمييز بين اهل
الاخرة وارباب الدنيا فكان قائلا قال ما حال من احسن وما حال
من اساء فقال من جاء بالحسنة الى الغاية فله خير الاظهر انه
افعل التفضيل منها اي من حسنة جاء بها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الذين عملوا السيئات وضع المظهر موضع المضمر تبغيضا للسيئة
الى القلوب الا ما كانوا يعملون اي الا مثله وحذف المثل للمبالغة
كانه لا يصل اليه الا هذه السيئة بعينها التي اعد لنفسه والشخص اذا
خرج من جلباب البدن الكثيف وان كان كافرا يعرف بعقله
ويميز بين مساواة الجزاء وزيادته ونقصه ولما ذكر ان العاقبة
للمتقين واعقبه بقوله من جاء بالحسنة فله خير منها توجه الفهم الى حال
امام المتقين وسيد عاملي الحسنات باليقين فقال ان الذي فرض
عليك القران اي تبليغه وتلاوته والعمل به وجعلك حقيقا لان
تكون مهبطا له لرادك الى معاد اي معاد ومعاد انت مختص به من
بين العباد وهو المقام المحمود الذي يغبطك به الاولون والاخرون
روى السدي وغيره بطرق متعددة عن ابن عباس ان المراد منه
الموت وروى البخاري والنسائي عنه ايضا ان المراد منه العود
الى مكة فانها نزلت في طريق المدينة حين المهاجرة فقيل مراد
ابن عباس من الوجهين واحد فانه رضي الله عنه يرى فتح مكة
من علامات قرب موته صلى الله عليه وسلم ولما كان المشركون
يقولون لو كان على حق وهدى لما رضي ربه بان يكون مخرجا من بيته
في غربته وكربته قال قل يا محمد ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو
في ضلال مبين تقديره اعلم بمن فمن منصوب بنزع الخافض وما
كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب فالقاء القران اليك والنبوة
نعمة غير مترقبة كذلك عودك الى مكة الا رحمة من ربك اي لكن القى

اليك الكتاب الا رحمة من ربك قيل الاستثناء متصل محمول على المعنى
كانه قال ما القي اليك الكتاب لامر الا لرحمة منه فلا تكونن ظهيرا للكافرين
بان تصبر من غير مجاهدة لدعائهم الى الايمان ولا يصدنك عن آيات
الله اي لا يمنعنك كثرة الكفار وتمكنهم من اخراجك عن بلدك
عن تبليغ آياته بعد اذ انزلت اليك ما لم تكن ترجوه وما انزلناه
عليك الا رحمة على العالمين وادع الى ربك الى معرفته وطاعته
ولا تكونن من المشركين بان تسكت عنهم انك اذا مثلهم ولا تدع مع
الله الها آخر هذه المناهي على الحقيقة ناظرة الى اهل دينه وهي من باب
التهييج لا اله الا هو كل شيء هالك لا يبقى ولا ينتفع به الا وجهه الا ذاته المقدس
عن الفناء او معناه الا ما اريد به وجه الله فانه يبقى وينتفع به الا كل شيء ما
خلا الله باطل له الحكم القضاء النافذ واليه ترجعون الا الى الله ترجع الامور والحمد لله رب العالمين

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس الهمزة للانكار ان يتركوا على عجزه
وفراغ ان يقولوا اي بان او لان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون يمتحنون
بالمصائب ومشاق التكاليف ليتميز المخلص من المنافق ولما كان
صلة ان مشتملة على مسند ومسند اليه سدت مسد مفعولي حسب
قال تعالى احسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله وقيل ان يقولوا بدل من
ان يتركوا والواو وهم حالية ولقد فتنا الذين من قبلهم اتباع الانبياء
اصابهم من المحن ما فرق به المومن بالمنشار فرقتين ويمشط لحمه بامشاط
الحديد ولم يرجع عن دينه ويقينه فليعلمن الله علما حاليا يتميز به الذين
صدقوا في ايمانهم وليعلمن الكاذبين فيه ام حسب ام منقطعة والهمزة
للانكار وبل للاضراب من قصة الى قصة الذين يعملون السيئات ان
يسبقونا يعجزونا فلا نقدر على انتقامهم وان يسبقونا ساد مسد
مفعولي حسب ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا من كان
يرجو لقاء الله وصوله الى ثوابه فان اجل الله لآت فليبادر بما يصدق
رجاءه وليستعد لقاءه قال بعض المحققين هذه تعزية من الله للمشتاقين
الى لقائه وهو السميع العليم بعلم الاقوال والعقائد ولما امره بالمبادرة

والاستعداد

والاستعداد قال ومن جاهد نفسه في منعها عن مشتهياتها وحملها
على مخالفتها فانما يجاهد لنفسه ثمرة جهاده لنفسه لانه ان الله لغني
عن العالمين لا يحتاجون من نفعه ولا من ضره والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم فان الانسان لا بد من ان يزل
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون العمل الواحد اذا جوزي بعشر
يقينا فلا شك ان الجزاء احسن وقد مر معنى آخر فلا نس ووصينا
الانسان من جملة ما قضيناه بوالديه اي امرناه بتعاهد والديه نحو وصيت
زيدا بعمرو حسنا اي ايصاء حسنا على سبيل المبالغة كانه في ذاته حسن
يعني ذا حسن وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به بالهيته واستحقاقه
علم فان ما لا يعلم صحته لا يتبع سيما ان علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك
الي مرجعكم مرجع الوالد والولد المومن والمشرك البار والعاق
فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه نزلت في سعد بن ابي وقاص حلفت
امه لا تاكل ولا تشرب ما لم يرجع ابنها الى دين آبائه رواه مسلم وغيره
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في زمرة جملة الصالحين
وكمال الصلاح هو الفوز والفلاح ومنتهى الدرجات العاليات ومن
الناس من يقول آمنا بالله هذا احد قسمي المفتونين الذين هم في
دينهم غير راسخين فهم الذين يعبدون الله على حرف فاذا اوذي في
الله اذا آذاه الكفار في ايمانه جعل فتنة الناس كعذاب الله جعل
ذلك الاذى وهو فتنة الناس صارفا له عن الايمان كما ان عذاب
الله صارف للمومنين عن الكفر يعني لما علموا ان عذاب الله واقع
البتة على الكافرين تركوا الكفر وظنوا ان هذا الاذى في الشدة كعذاب
الله في الآخرة فما صبروا وارتدوا وما عرفوا ان هذا لا يشبه عذاب
الآخرة بوجه لا في مدة ولا في شدة ولئن جاء نصر من ربك فتح
وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الباطن والظاهر فاقسموا لنا من الغنيمة
قوله جعل وقوله ليقولن بضم اللام باعتبار لفظ من ومعناه او ليس الله
باعلم بما في صدور العالمين الهمزة للتقرير فهو يعلم ما في باطنهم من
النفاق وليعلمن الله الذين آمنوا من صميم قلوبهم وليعلمن المنافقين

قيل تقديره ووصيناه بايتاء والديه فعلا ذا حسن فاعترض عليه صاحب البحر بان فيه اعمال المصدر محذوفا وابقاء معموله وهو غير جائز عند البصريين منه

لا يمكن الا الباس عليه وقال الذين كفروا هذا ايضا من جملة الفتنة
للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ارجعوا الى ديننا ولنحمل خطايا كم
اللام للامر وهى قليل الدخول على فعل المتكلم والحمل مجاز يعنى
نحن نطيق منكم ما يحصل من عواقب الاثم ان كان الذى نحن عليه
من الدين يوجب الاثم والمراد من الامر الخبر وفى تلك العبارة
مبالغة بان كلا الامرين من اتباعكم وحملنا لا ينفكان وهذا قول صناديد
قريش وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ لا قليل ولا كثير انهم لكاذبون
فى انجاز وعدهم وحاصل المعنى ان تتبعونا وبلغكم فى ذلك مكروه
فنحن نرفع منكم مكروههم فالجزاء خبر لا يطابق الواقع فهو كذب صريح
ومن قال الوعد انشاء الضمان عند وجود الوصف وليس الكذب
الا فى الخبر فالجواب ان لو سلمنا ذلك فهذا الانشاء يلزم الخبر
والكذب باعتبار اللازم وليحملن اثقالهم اثام انفسهم واثقالا اخر
مع اثقالهم وهى اثام من اضلوه من غير ان ينقص من اوزار متبعيهم شئ
فهم حاملون لاعمالهم وفيها الاضلال ولاعمال من اضلوه وليسألن
يوم القيمة سوال تقريع وتوبيخ عما كانوا يفترون من الاباطيل وهذا
علاوة الاحمال ولما كان السياق للبلاء والامتحان والصبر ذكر
من الرسل من هو اولهم وطال صبره ولم يفتر عزمه عن النصح تسلية
لرسوله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له وللاصحابه فقال ولقد
ارسلنا عطف جملة على جملة نوحا الى قومه فلبث فيهم بعد النبوة
الف سنة الا خمسين عاما واختلف فى مقدار عمره حين بعث
وحين مات اختلافا كثيرا فاخذهم الطوفان بعد تلك المدة المتطاولة
لانه لم يزدهم دعاؤه الا فرارا وهم ظالمون فانجيناه واصحاب
السفينة من كان معه فيها وقد اطاعوه وجعلناها السفينة او القصة
آية للعالمين من بعدهم فقد هلك سوى اصحاب السفينة وما بقى
فى الديار ديار وفى جامع الاصول ان مدة الطوفان ستة اشهر
اخرها يوم عاشوراء ولما كان بلاء ابرهيم وصبره من اعظم البلاء
لقذفه فى النار وكون عدوه اباه اتبع حكاية نوح فقال وابرهيم

ما بينا من حاصل المعنى اخرجنا
الكلام من الوعد على اى حال
الكذب حاصل اما صريح او ضمنى
منه

عطف

عطف على نوحا اذ قال ظرف لارسلنا لقومه اعبدوا الله واتقوه
ذلكم خير لكم مما انتم فيه وتلك العبارة من ملاطفاته معهم لكى يذعنوا
ان كنتم تعلمون الخير والشر انما تعبدون من دون الله اوثانا الالها
وتخلقون تكذبون افكا كذبا فنصبه على المصدر او المراد من الخلق النحت
فنصب افكا على المفعول له ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا والمعبود هو الرزاق ونصب رزقا على المفعول فابتغوا عند
الله الرزق فانه هو المالك فهو الرزاق واعبدوه واشكروا له اليه
ترجعون وان تكذبوا هذا من تتمة كلام ابرهيم يعنى ان تكذبونى فقد
كذب امم من قبلكم رسلهم ولا يضرهم فلا يضرنى تكذيبكم وما على
الرسول الا البلاغ المبين اللام فى الرسول للجنس وقيل من قوله وان
تكذبوا معترضة من كلام الله الى قوله فما كان جواب قومه بين كلام
ابراهيم تشفيا وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى وان تكذب
قريش محمدا الاية اولم يروا كيف يبدء الله الخلق من العدم ثم يعيده
عطف على يبدء وان لم يتعلق بها رؤيتهم لانه امر ممكن اخبر به الصادق
فقد صار كالابداء مقطوعا به وقيل عطف على اولم يروا فانه فى
معرض الاستدلال من الاول على الثانى وانما هو اخبار على حياله
قيل معناه يعيد الاشياء كالنبات والاشجار ان قطعت ونبتت
والثمار ان قطفت ان ذلك الاعادة بعد الانشاء على الله يسير
فانه امر ممكن قل سيروا حكاية كلام الله حكاه ابرهيم لقومه على
الوجه الاول فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق مع اختلاف
اجناسهم ثم الله ينشئ النشأة الاخرة نصبها بانها مفعول به قوله
ثم الله ينشئ قوله ثم يعيده فيحتمل ان يكون عطفا على قل سيروا وصرح
باسمه الاقدس فى كيف يبدء الله واضمر فى ثم يعيده وههنا اضمر
وابرز بالعكس من الاول للدلالة على تفخيم النشأة الاخرة كانه قيل
ثم ذلك الذى بدأ الخلق هو ينشئ النشأة الاخرة وليس فى قوله
ثم يعيده عدول عن الظاهر ان الله على كل شئ قدير والاعادة من
الاشياء الممكنة يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته

والیه تقلبون ای تردون وما انتم بمعجزین ربکم ان فررتم فی الارض
بالتواری فیها ولا فی السماء بالتحصن فیها او ان هربتم من حکمه فی الارض
الفسیحة ولا فی السماء التی هی افسح منها قیل ولا من فی السماء وما لکم
من دون الله من ولی ولا نصیر ان اراد بکم ضرا والذین کفروا
بایات الله بکتبه ودلائل وحدته ولقائه البعث اولئک یئسوا
من رحمتی لانکارهم الجنة واولئک لهم عذاب الیم فهم آیسون من
الخیر واقعون فی الشر فما کان جواب قومه لما بین ابرهیم سفههم فی عبادة
الاوثان رجعوا الی الغلبة التی هی عادة العاجز عن الجواب الا ان
قالوا اقتلوه بالسیف لتستریحوا منه عاجلا او حرقوه لئن یرجع
الی دینکم خوفا من النار او یموت بها ان اصر مع شهرة فی عزة اوثانکم
والامرون بذلک اما بعضهم لبعض او کبراؤهم فانجاه الله من النار
بعد ان قذفوه فیها ان فی ذلک الانجاء لایات لقوم یومنون
فان الکفار غیر موفقین للتدبر وقد مر فی سورة الانبیاء وقال انما
اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بینکم فی الحیوة الدنیا ای لتتوادوا
بینکم وتتواصلوا فتتفق بعض علی مذهب لیکون ذلک سبب
تحابهم وثانی مفعولی اتخذتم مقدر هو الها او مودة ثانی مفعولیه
بتقدیر مضاف ای سبب مودة وبینکم وفی الحیوة متعلقان
بمودة وجاز ذلک لاختلافهما فان الاول ظرف مکان والثانی
ظرف زمان واما قراءة رفع مودة فتقدیره هی سبب مودة والجملة
صفة اوثانا یعنی ما اتخذتم الا اوثانا هی سبب مودة بینکم وقیل ما فی
انما موصولة ومودة خبر ان یعنی ان الذین اتخذتموهم من دون الله
اوثانا سبب مودتکم وقیل ما مصدریة والمضاف مقدر علی اسم
ان ای ان سبب اتخاذکم مودة ثم یوم القیمة یکفر بعضکم ببعض بان
یتبرأ منه ویلعن بعضکم بعضا کلما دخلت امة لعنت اختها
وماویکم النار وما لکم من ناصرین من للاستغراق فامن له لابرهیم
لوط ابن اخی ابرهیم لا ابن اخته وسارة بنت عمه فامنت وهو
اول من آمن وقال ابرهیم انی مهاجر من قومی الی ربی الی قربة رضاه

کما قاله الزمخشری

هاجر من سواد الکوفة الی حران ثم الی الشام ومعه لوط وسارة انه
هو العزیز الحکیم فیدفع عنی ما یضرنی ویوفقنی علی خیری ووهبنا له اسحق
ویعقوب هو ولد اسحق تولد فی حیوة ابرهیم وجعلنا فی ذریته ابرهیم
النبوة والکتاب کل نبی بعده من اسباطه واتیناه اجره فی الدنیا
وانه فی الاخرة لمن الصالحین جمع له بین السعادتین فمن سعادة الدنیا
الثناء الجمیل من العموم الی آخر الدنیا ولوطا عطف علی ابرهیم اذ قال لقومه
اهل سدوم وقد صار رسولا فی حیوة خلیل الله عمه انکم لتاتون الفاحشة
ما سبقکم بها من احد من العالمین قوله ما سبقکم الاولی ان تکون جملة
حالیة یعنی اتاتون تلک الفعلة القبیحة مبتدعین غیر مسبوقین بها
وفیه دلیل علی انه لم ینز ذکر علی ذکر قبل قوم لوط ائنکم لتاتون الرجال
وتقطعون السبیل کانوا قطاع الطریق قیل المراد سبیل الولد بتعطیل
الفروج وهم اول من لاط رجالهم وسحقت نساؤهم وتاتون فی
نادیکم المنکر یعنی فی مجلسکم الغاصة وفی المنکر خلاف فی الترمذی
هو الاستهزاء بالمارین وعن الکثیرین کانوا یاتون الرجال فی مجالسهم
ینظر بعضهم بعضا والضراط والتفحش فی المزح فما کان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان کنت من الصادقین فی النبوة
او فی الوعید اما ما وقع من جوابهم اخرجوا آل لوط من قریتکم فی آیة
اخری فانهم قالوا اولا فی جوابه ائتنا بعذاب الله ثم لما کرر منه
نهی ووعد ووعید قالوا اخرجوا فهذان جوابهم قال رب انصرنی
علی القوم المفسدین بانزال العذاب علیهم فانهم مصرون لا یذعنون
للحق بوجه ولما جاءت رسلنا تقدم الکلام علیه ابرهیم بالبشری
قالوا انا مهلکوا اهل هذه القریة ان اهلها کانوا ظالمین مستمرین علی
ظلمهم قال ابرهیم ان فیها فی القریة لوطا وهو نبی لا ظالم قالوا نحن
اعلم بمن فیها لننجینه ای لوطا واهله الا امراته کانت من الغابرین
ولما ان جاءت رسلنا لوطا سیء بهم وضاق بهم ذرعا ان مزیدة
لاتصال الفعلین کانه قیل لما احس بمجیئهم فاجاته المساءة من
غیر ریث خیفة علیهم من القوم وضاق بشانهم وتدبیر امرهم

وزعه وطاقته قد جعلت العرب ضيق الذراع عبارة عن فقد الطاقة والاصل انه اذا طالت ذراع احد نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز وقالوا اي رسلنا لما راوا غمه لا تخف علينا ولا تحزن انا منجوك واهلك عند سيبويه منصوب بتقدير ننجي فان الكاف عنده مجرور المحل وعند الاخفش وهشام في موضع نصب فاهلك معطوف على محل الكاف الا امراتك كانت في علم الله من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا عذابا من السماء بما كانوا يفسقون بسبب استمرار فسقهم ولقد تركنا هذا الكلام الله لا حكاية منها من قريات لوط اية بينة لقوم يعقلون هي اثار ديارهم وانهارهم المسودة واحجارهم الممطورة والى مدين اخاهم شعيبا عطف على نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا من الرجاء بمعنى الخوف اليوم الاخر قيل من اقامة المسبب مقام السبب اي افعلوا ما ترجون به ثواب يوم الاخر ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تزيدوا في الفساد وحال كونكم مفسدين فان العثو اشد الفساد فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة وقد مر في سورة الاعراف وهود والشعراء فاصبحوا في دارهم جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان بمثل اهلكنا وقد تبين لكم من مساكنهم بعض مساكنهم باليمن فمن بمعنى البعض فاعل تبين او المراد تبين لكم اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا رايتموها فمن متعلق بتبين وفاعله ضمير وزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة حتى حسبوها حسنة فصدهم عن السبيل عن الطريق المستقيم وكانوا مستبصرين عقلاء عند انفسهم معجبين برايهم او كانوا في نفس الامر متمكنين من النظر او مستبصرين بضلالهم لكن لجوا وما رجعوا وقارون وفرعون وهامان عطف على عادا وثمودا ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين الله فائتين بل ادركهم امر الله قيل ما كانوا سابقين الامم الى الكفر تلك عادة الامم مع الرسل فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا تحمل الحصباء

وتلقيها

وتلقيها عليهم وتقلعهم من الارض ثم تنكسهم على ام راسهم فتشدخهم كانهم اعجاز نخل منقعر وهم قوم عاد ومنهم من اخذته الصيحة وهم ثمود ومنهم من خسفنا به الارض قارون ومنهم من اغرقنا فرعون وهامان وما كان الله ليظلمهم فيما فعل بهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاستحقوا مقت الله وغضبه مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء يتكلون عليهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتا تعتمد عليه وتحسبها بيتا وماوى وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت اضعف منها مما تتخذه الهوام لا يدفع حرا ولا بردا ولا تحجب عن الاعين لو كانوا يعلمون لعلموا ان هذا مثلهم ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء اي شيء كان من ملك او بشر او حجر او شجر وهو مجازيكم وهو العزيز الحكيم الغالب الذي لا يصدر عنه شيء الا وفيه حكم وهولاء تركوا عبادته وعبدوا عاجزا لا يصدر عنه شيء قيل ما نافية ومن شيء مفعول تدعون يعني ان الاوثان الذي يعبدونه ليس بشيء وعلى هذا يكون توكيدا للمثل وتجهيلا لهم ولا يخفى ان هذا خلاف المتبادر وتلك الامثال هذا ونظائره نضربها للناس تنبيها تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها لا يفهمها متدبرا الا العالمون في تفسير تلك الاية روى محيي السنة حديثا ان العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه وكان جهلة قريش يضحكون قائلين ان رب محمد يضرب الامثال بالذباب والعنكبوت ولما بين انه هو العزيز الحكيم اثبت ما بين لشيء مث هو دال على ذلك فقال خلق الله السموات والارض من غير نزاع لاحد بالحق لا على وجه العبث ان في ذلك الخلق العظيم لاية للمؤمنين المتدبرين في صنايع خلقه ولما افاد القران هذه الاخبار ودل على ان فهم امثاله من رسوخ الايمان خاطب سيد اهل الايمان بتلاوة ما يفيد الاخبار فقال اتل ما اوحي اليك من الكتاب ليقتدي بك من امن بك واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء ما تناهى قبحه والمنكر ما انكره الشرع عام بعد خاص يعني ان مواظبتها تحمل على تركها روى الطبراني وغيره انه قال

صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر
لم يزدد من الله الا بعدا وروى الامام احمد وغيره انه قيل
فلان يصلي بالليل فاذا اصبح سرق فقال صلوات الله وسلامه عليه
سينهاه ما تقول ولذكر الله اكبر من كل عبادة فالصلوة افضل
الطاعات لان كلها مشتملة على ذكره وثنائه وعن ابن عباس
وكثير من السلف ان معناه ذكر الله لعباده اعظم واكبر من ذكر العباد
اياه وفي القدسي من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ
ذكرته في ملأ خير منه فمن صلى في جماعة صدق عليه انه ذكر الله في
نفسه وفي ملأ والله يعلم ما تصنعون فلا تليق الغفلة حين ذكر
الله ولما امر بتلاوة القرآن امر بحسن الخلق قال ولا تجادلوا
اهل الكتاب الذين تطمعون ايمانهم الا بالتي هي احسن بطريقة هي
احسن فان اللين والملاطفة في المحاورة يقرب والغلظة تبعد
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الآية وخصوصية
اهل الكتاب في الموقع للموقع مع ان ايمانهم ارجى بحسب العقل الا الذين
ظلموا منهم في الافراط بالمعاداة والعناد فاغلظوا معهم من الجدال
الى الجلاد وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هذا كانه من المجادلة
الحسنة ولم يقل انزل الينا واليكم ليكون كالصريح في المقصود في
ان المراد الكتابان فان القرآن انزل على الكل والهنا والهكم واحد
ولا مخالفة بين عبيد لسيد واحد ونحن خاصة له مسلمون فيه تعريض
بانهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك
مثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب كتابا مصدقا لسائر
كتبنا تحقيقا لقوله انزل الينا وانزل اليكم قيل معناه كما انزلنا الكتب
على من قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به كمؤمني اهل الكتاب وعلى الحقيقة التورية انا هم خاصة
ومن هؤلاء اي من هو بين ظهرانيك من يؤمن به كمؤمني العرب
وما يجحد باياتنا مع ظهور صدقها الا الكافرون المتوغلون في الكفر
يقال جحدته وجحدت به وكفرته وكفرت به وما كنت تتلو من قبله قبل

في الحديث ان فتى من الانصار كان يصلي
مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيئا
من الفواحش الا ارتكبه فقيل ذلك له صلى الله
عليه وسلم فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث
ان تاب وصلحت حاله فقال صلى الله عليه وسلم
الم اقل لكم
منه

نزول

قبل نزول القرآن من كتاب من مزيدة للاستغراق ولا تخطه بيمينك
ذكر اليمين زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا اذا لو كان شيء من
التلاوة والخط لارتاب المبطلون يقولون لعله قرأه والتقطه من الكتب
قال مجاهد في التورية ان محمدا لا يخط ولا يقرأ فتسميتهم المبطلون باعتبار
ريبهم مع انه موصوف بما وصفه الله في كتابهم بل هو القرآن
آيات بينات تبين صدقها على من له فهم في صدور الذين اوتوا
العلم يتلونه من حفظهم لا من مصاحفهم ولهذا ورد في صفتهم في
الكتب السماوية صدورهم اناجيلهم وهذا خاصة القرآن وامته
قيل معناه بل العلم بانك امي لا تقرأ ولا تخط آيات بينات في
صدور الاحبار وما يجحد باياتنا الا الظالمون خصت الاولى
بالكافرين لانه قسيم للمؤمنين لقوله ومن هؤلاء من يؤمن به والثانية
بالظالمين لانه جحد بعد اقامة الحجج والدلائل وقالوا لولا هلا انزل
عليه آية من ربه كناقة صالح وعصا موسى قل انما الآيات عند
الله ليس لي قدرة واختيار في انزالها وانما انا نذير مبين فانا على
شغلي اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فانه مغنية
عن آية غيره ان كانوا غير متعنتين ان في ذلك القرآن وانزاله
على طريقة غير طرق الكتب السماوية لرحمة وذكرى تذكرة لقوم
يؤمنون قل كفى بالله زيادة الباء في فاعل كفى عربي بيني وبينكم
شهيدا انه قد بلغت وانذرت وكذبتم وجحدتم مع علمكم بصدقي
يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين
آمنوا بالباطل وكفروا بالله وانكار رسالة رسول الله هو الكفر بالله
اولئك هم الخاسرون في صفقتهم ويستعجلونك بالعذاب
وهذا من عجائب احوالهم مرة يقولون لولا انزل عليه آية ومرة
يطلبون عذاب الله كقولهم امطر علينا حجارة ولولا اجل مسمى
مثبت وقته في اللوح المحفوظ لجاءهم العذاب حين استعجلوا
وليأتينهم العذاب بغتة من غير تقدم علمهم به منصوب على المصدر
كانه قال هذا النوع من الاتيان وهم لا يشعرون شدة العذاب

او باتيانه والواو حالية يستعجلونك بالعذاب كرره للتعجيب
وان جهنم لمحيطة بالكافرين فهم في وسط عذاب الله فان الكفر
والمعاصي كالدائرة عليهم لكن لهم عمي يوم يغشيهم العذاب
ظرف لمحيطة او لمحذوف اي كان كيت وكيت يقصر الوصف
عن بيانه من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول الله لتقريعهم ذوقوا
وبال ما كنتم تعملون فانكم انتم اوقدتم عذاب الله حولكم ولما بالغ
في الانذار وحذر من الذنوب الكبار ولم يهمل الاشارة الى الصغار
وقال ان جهنم لمحيطة بالكافرين وقد كرر ان هذه المواعظ للمومنين
خاطبهم بلطف وعناية وقال يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة
اكد في اخبار المستضعفين الذين لم يستطيعوا الهجرة الى المدينة ويخافون
الهجرة من ضيق العيش كان من ترك الهجرة ظن ان الارض ضيقة
وهذا الظن هو الذي اقعده عن الهجرة فاياي فاعبدون ليس الغرض
الا عبادة الله وحده اي ارضي واسعة فان لم تتمكنوا من عبادة الله
خالصة في ارض فاعبدوني في غيرها فنصب اياي بفعل مقدر يفسره
ما بعده لانه مشغول عنه وهو جواب شرط محذوف عوض عنه تقديم
المفعول مع ان التقديم مفيد للتخصيص والفاء في فاياي هي التي
كانت على الشرط كل نفس ذائقة الموت فاستعدوا له باي طريق
تيسر لكم او خوفهم بالموت ليهون عليهم البعد عن الوطن ثم الينا ترجعون
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا بوا
متعد الى اثنين قال تعالى تبوء المومنين مقاعد وقد جاء متعديا باللام
واذ بوانا لابرهيم مكان البيت اما ثوى فهو لازم يتعدى اما بالهمزة
او بالتضعيف فنصب غرفا على هذه القراءة على انه مفعول ثان ايضا
لاجرائه مجرى لننزلنهم بتضمين معنى التبوء او بنزع الخافض اي في غرف
او بتشبيه الظرف المعين بالمبهم لانه منكر نحو اطرحوه ارضا تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين ذلك الذين صبروا
على المشاق مثل مفارقة الاوطان بدل من الذين او نصب او رفع
على المدح وعلى ربهم يتوكلون في امورهم سيما في رزقهم وكاين من

دابة لا تحمل رزقها اي وكثيرا من الدواب لا ترفع معها ولا تدخره
الله يرزقها واياكم مع انكم ترفعون وتدخرون فلا تخافوا من الهجرة
للمعيشة قيل ثلثة تدخر الفار والنمل والبشر لا رابع لها في الحديث لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا
وهو السميع العليم فلا يغفل عن عباده ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يوفكون يصرفون عن
توحيده وما لهم يخافون عن غيره مع اعترافهم بان لا خالق الا الله
والخالق هو الرزاق الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
له اي ويضيق له وهذا من باب عندي درهم ونصفه اي نصف
درهم آخر فالضمير غير عائد الى من بل وضع موضع لمن يشاء لجامع كونهما
مبهمين وهذا من توسعهم فيتعدد المرزوق او عائد اليه والتعدد
بحسب احواله يبسط له تارة ويقبض له اخرى ان الله بكل شيء عليم
والاية لبيان انه كما هو الخالق فهو الرزاق وهم معترفون بذلك
ايضا وكيف لا ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض
من بعد موتها ليقولن الله فلولا المطر لم يبق الاشجار والانهار والانعام
وهم مع الاعتراف فاين يعدلون عن الله قل يا محمد الحمد لله على ظهور
حجتك عليهم وعلى عصمتك عن مثل تلك الضلالة بل اكثرهم لا يعقلون
ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك فبل اضراب عن جهلهم
الخاص الى انهم مسلوب العقول فالجهل الخاص عنهم غير مستبعد وقوله
قل الحمد لله معترض وقيل معناه بل اكثرهم لا يعقلون ما تريد بقولك
الحمد لله فعلى هذا يكون من تتمة قوله الحمد لله ومعنى الاضراب حينئذ
انهم اذا لم يفطنوا بتلك المناقضة الظاهرة فاولى ان لا يفطنوا
بمكان حمدك وما فيه وما هذه اشارة تحقير الحيوة الدنيا الا لهو
ولعب كما يجتمع الصبيان سويعة متبهجين ثم يتفرقون وما حصلوا
سوى اتعاب البدن وان الدار الاخرة لهي الحيوان حيوة حقيقية
لا يعقبها موت فكانها في نفسها حيوة وهو مصدر حيي وقياسه
حييان فقلبت الثانية واوا كما قالوا حيوة وفي بنيته حركة فيها شدة وا

قلبت الياء واوا وترك الادغام ونباه مصدره على فعلان لانه يدل
على الحركة والاضطراب كالغليان والنزوان والحي كثير الاضطراب
لو كانوا يعلمون حقيقتهما لعلموا صحة ما قلنا ولم يؤثروا دار الفناء
عليها فالخزف الباقي احسن من الذهب الفاني سيما اذا كان الخزف
هو الفاني فاذا ركبوا في الفلك واضطربت الامواج واختلفت
الرياح دعوا الله مخلصين له الدين يدعون اصنامهم ويتركونها
ولا يدعون الا الله فهم مع الاعتراف بخالقيته ورازقيته يعترفون
في بعض الاحيان بوحدانيته فلما نجيهم بفضله الى البر اذا هم
يشركون فاجاؤا المعاودة الى شركهم من غير تامل فاذا جواب
فلما ليكفروا بما آتيناهم من النعم وليتمتعوا اي الحامل على الشرك
كفرهم بما اعطاهم الله وتلذذهم بما متعوا به من عرض الدنيا فاظن
ان اللام لام كي ومن قرأ وليتمتعوا بسكون اللام ولام ليكفروا عنده
لام كي فمن عطف الجملة على الجملة لا من عطف فعل على فعل وقيل اللام
في الفعلين لام الامر بدليل هذه القراءة فيكون من باب التهديد نحو
اعملوا ما شئتم فسوف يعلمون عاقبة صنيعهم ولما هددهم لطفهم
بنعمة جليلة ظاهرة فقال اولم يروا اهل مكة انا جعلنا حرما آمنا
مفعوله الثاني اي بلدهم ذا امن لا يغار عليهم ويتخطف الناس من
حولهم يختلسون تغزوا العرب بعضهم بعضا حولهم فهم مع قلتهم وكثرة
العرب التي لا يخافون في امن افبالباطل يؤمنون ابعد هذه النعمة
الظاهرة التي هي من الله بالصنم يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث
اشركوا به غيره في العبادة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
بالحق لما جاءه فيقول الاوثان شركاء الله ولما جاء الرسول والقرآن
ومعه ما يدل على حقيته كذبوه بلا تامل واستعمال فكر اليس في جهنم
مثوى للكافرين اي الا يبقى في جهنم مكان يسعهم فانه لو كان فيه مكان
يسعهم فهو منزلهم الذي لا يعدلون عنه والذين جاهدوا فينا
في حقنا ورضانا ولم يجاهدوا في انفسهم والشياطين لنهدينهم
سبلنا الطرق الموصلة الى جنابنا وثوابنا قيل جاهدوا فيما علموا

لنهدينهم

لنهدينهم الى ما لم يعلموا او لنزيدن هدايتهم الى سبيل الخير والذين
اهتدوا زادهم هدى وان الله لمع المحسنين بالنصرة والاعانة
عن عيسى كلمة الله صلوات الله عليه انما الاحسان ان تحسن
الى من اساء اليك ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك رواه ابن ابي حاتم

سورة الروم تسع وخمسون او ستون آية وهي مكية الا قوله فسبحان الله حين تمسون الآية

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض في ادنى ارض
العرب منهم وهي اطراف الشام او ادنى ارضهم الى عدوهم وهي
الجزيرة او الاردن وهم من بعد غلبهم من الاضافة الى المفعول
سيغلبون في بضع سنين البضع ما بين الثلثة الى التسع او الى العشر
نزلت حين بلغ خبر غلبة فارس على الروم ففرح قريش وقالوا نحن
واهل فارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ايها المؤمنون فانكم
والنصارى اهل الكتاب فلنظهرن نحن عليكم لله الامر من قبل ومن
بعد قبل كونهم غالبين وبعد كونهم مغلوبين فالغالبية والمغلوبية
بارادة الله وقضائه ويومئذ يوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون
بنصر الله لغلبة اهل الكتاب عوض فرح المشركين قبل ويومئذ
عطف على من قبل ومن بعد لانه ظرف ليفرح حصر الازمنة الثلثة
انها لله ثم ابتدا الاخبار بفرح المؤمنين من نصر الله وقيل نصر الله
انه ولى بعض الظالمين بعضا ووصول خبر غلبة الروم الى المؤمنين
عند راس سبع سنين ووصل خبر موت كسرى يوم الحديبية وبشر
المؤمنون ينصر من يشاء نصره وهو العزيز الغالب الرحيم على
من اراد وعد الله مصدر موكد لنفسه لتقدم الوعد مما قبله لا يخلف
الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه صحيح الوعد لكفرهم يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا فلها ظاهر وهو التمتع بزخارفها والتنعم
بملاذها وباطن وهو انها مجاز الى الآخرة ومزرعتها جملة مستانفة
لبيان موجب جهلهم وقيل بدل من لا يعلمون وفيه دلالة على ان لا
فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز
ظاهر الدنيا قيل معنى ظاهرا زائل اي يعلمون امور الدنيا التي لا بقاء

لها ولا عاقبة ومن اشعار العرب وعيرها الواشون اني احبها وتلك
شكاة ظاهر عنك عارها وهم عن الاخرة هم غافلون فهم عقلاء في امور
الدنيا بله في امور الدين اولم يتفكروا في انفسهم قوله في انفسهم زيادة
تصوير لحال المتفكر نحو اضمره في نفسه ما خلق الله ما نافية السموات
والارض وما بينهما الا بالحق الا ملتبسة به لا عبثا الا ولي بل متعين ان
تفكروا معلقة ومتعلقها الجملة من قوله ما خلق الله الى اخره نحو ثم تتفكروا
ما بصاحبكم من جنة وظنوا ما لهم من محيص واجل مسمى عطف على الحق
معناه ينتهي عنده وهو القيامة قيل معناه اولم يتفكروا في امر انفسهم
فانها العالم الاصغر فيعلموا حقية خلق العالم الاكبر وفنائه ومن عرف نفسه
فقد عرف ربه وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم قيام القيامة لكافرون
لما كان معظم نعيم الاخرة لقاء الله سمى الاخرة باللقاء فيا رب لا تحرمنا من
من النظر الى وجهك الكريم اولم يسيروا في الارض اي سافرين فيها
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اي ينظروا مصارع الامم
السالفة المكذبة فيعتبروا كانوا اشد منهم من قريش قوة واثاروا
الارض قلبوها للزراعة وعمروها بالابنية والزراعة اكثر مما عمروها فان
بيوتهم وحصونهم اوسع واعلى وهم في واد غير ذي زرع وجاءتهم
رسلهم بالبينات فكذبوهم فما كان الله ليظلمهم فانه بفضله حرم الظلم
على نفسه ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما استحقوا التدمير
وما اغنى عنهم غناهم فليحذر قريش ومن يحذو حذوهم ثم كان عاقبة
الذين اساؤا السوءى ثم كانت عاقبتهم عقوبة هي اسوء العقوبات
فقوله الذين اساؤا من وضع المظهر موضع المضمر وقوله السوءى تانيث
الاسوء صفة محذوف وعاقبة اسم كان والسوءى خبره وفي قراءة
نصب عاقبة الامر بالعكس ان كذبوا اي لان كذبوا بايات الله
وكانوا بها يستهزؤن قيل ان كذبوا بدل او عطف بيان للسوءى وقيل
السوءى مفعول اساؤا وان كذبوا خبر كان اي كان عاقبة من اقترف
الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا واستهزؤا وجاز هذا المعنى
في قراءة نصب عاقبة ايضا الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون

فالويل

فالويل على من تكون عاقبته السوءى وكذب واستهزى ويوم
تقوم الساعة القيمة التي قيامها مع عظمها في ساعة يبلس المجرمون
يسكت الكاملون في الجرم آيسا من كل خير ولم يكن لهم من شركائهم
شفعاء لا من ملك ونبي كعيسى وعزير ولا من صنم وكانوا في الاخرة
وفعل الماضي لتحققه بشركائهم كافرين ينكرون عبادتهم بعد الياس
من شفاعتهم ويوم تقوم الساعة يومئذ تاكيد فيه تهويل وقيل
معناه يوم اذ يبلس المجرمون يتفرقون يتفرق المومن والكافر تفرقا
لا اجتماع بعده فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحالهم
بعد التفرق فهم في روضة ارض ذات نبات وماء يحبرون يسرون
سرورا تتهلل له وجوههم نكر روضة لابهام امرها وتفخيمه وجاء يحبرون
بالمضارع لان لهم في كل لمحة ما يسرون به من متجددات النعيم واذا
جعلت في روضة خبرا فيحبرون حال واما الذين كفروا وكذبوا
باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون لا يغيبون
عنه ابدا جاء في الكافرين باسم المفعول لدوام عذابهم كانه وصف
لازم لهم ولما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي
من الوعيد فقال فسبحان الله تنزيه منه لذاته الاقدس وارشاد
لعباده الى تسبيحه وتحميده منصوب بفعل مقدر اي اسبح حين
تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض هو المحمود
فيهما وعلى اهلهما ان يحمدوه عطف جملة اسمية على فعلية وعشيا وحين
تظهرون حين الظهيرة وسط النهار قوله وعشيا اما عطف على
حين وجملة وله الحمد معترضة او عطف على في السموات عطف ظرف
زمان على مكان وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لظهور آثار
القدرة فيهما وتخصيص الحمد باخر النهار ووسطه لان تجدد النعم فيهما
اكثر ويحتمل ان يكون المراد استغراق زمان العبد في جميع اوقاته بالتسبيح
والتحميد روى الطبراني وابو داود في سننه ان من قال حين يصبح
فسبحان الله حين تمسون الاية ادرك ما فاته في يومه ومن قاله حين
يمسي ادرك ما فاته في ليلته عن ابن عباس الاية جامعة للصلوات الخمس

فالعشي العصر والباقي ظاهر يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي كالانسان من النطفة والنطفة من الانسان ويحيي الارض بالنبات
بعد موتها يبسها وكذلك مثل اخراج النبات من الارض تخرجون
من القبور ومن اياته ان خلقكم من تراب فان ادم اصل كل وهو من
التراب ثم اذا انتم بشر ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا تنتشرون في
الارض في اغراضكم ولما كان بين الخلق وبين الانتشار رتب اخر جاء
بثم المقتضية للمهلة والتراخي ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم من
جنسكم لا من جنس آخر ازواجا بشرا مثلكم قيل المراد خلقهن من نطف
الرجال لتسكنوا لتميلوا وتالفوا اليها وجعل بينكم بين الرجال والنساء
مودة ورحمة من غير معرفة سابقة وسبب يوجب التعاطف ان في
ذلك لايات لقوم يتفكرون في غرائب صنع الله ومن اياته خلق
السموات والارض واختلاف السنتكم اي لغاتكم لكل قوم لغة
والكل مركب من تسعة وعشرين حرفا لو تكلم صاحب لغة بلغته سنين
بحكايات مختلفة متميزة لتمكن منه ولا تجد كلاما بكلام مع اتحاد ما
ركب منه قيل المراد كيفية النطق فلا حد لكنة ولا اخر فصاحة ولا تسمع
منطقين متفقين في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة
والوانكم هيأتكم وحلاكم بحيث وقع التمايز حتى بين التوأمين ان في
ذلك لايات للعالمين لا تكاد تخفى على احد ومن اياته منامكم بالليل
والنهار وابتغاؤكم من فضله من باب اللف اي منامكم وابتغاؤكم
من فضله بالليل والنهار قال تعالى جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ولما
كان الليل والنهار ظرفين وما فيهما مظروفهما والظرف والمظروف
كشيء واحد فلا فصل باجنبي والنكتة في العدول حيث لم تقل منامكم
وابتغاؤكم بالليل والنهار الاهتمام بشأن الظرف وفيه اشارة الى
ان الاية المنام في الليل لا مجرد المنام والابتغاء في النهار لا مجرد الابتغاء قيل المراد
منامكم في الزمانين وطلب المعاش فيهما فحذف من آخر المتقابلين
لدلالة الاول ان في ذلك لايات لقوم يسمعون بالاذان الواعية

ومن اياته

ومن اياته يريكم البرق هذا كقول الشاعر الا ايها الزاجري احضر الوغى
اصله ان احضر فلما حذف ان ارتفع الفعل او على انزال الفعل
منزلة المصدر يعني اراءته فيريكم مبتدأ او من اياته خبر محذوف
هو ما يتلى عليكم ثم قال يريكم بيانا لذلك او من متعلق بيريكم
خوفا وطمعا اي ارادة خوف وطمع او اخافة من الصاعقة
واطماعا في الغيث او خائفين وطامعين او تقديره يريكم
البرق فتردونه خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض
بعد موتها لم يات بلفظ ان اشعارا بان البرق والمطر من الامور
المتجددة ان في ذلك لايات لقوم يعقلون لمن له درك
وفهم ولا يكون كالانعام ومن اياته ان تقوم السماء والارض
بامره قائمتان بامره وتسخيره اياهما من غير مقيم مشاهد ثم اذا
دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم اي
ومن اياته قيام السماء ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم والمراد
سرعة الاجابة من غير توقف ومن الارض متعلق بدعاكم
والمراد مكان المدعو واذا الفجائية تنوب مناب الفاء وثم
للتراخي الرتبي وهذه نتيجة جميع الايات المتقدمة فان من
اذعن وفهم تلك الايات لعرف ان هذه الاية العظيمة ظاهرة
ثابتة لا ينكرها الا من ليس له تدبر وسمع وعقل وله من في السموات
والارض خلقا وملكا كل له قانتون منقادون لتصرفه فيهم فكيف
لا يسرعون في اجابته اذا دعاهم وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده
وهو اي ان يعيده اهون عليه بالقياس الى اصولكم فلا وجه للاعتراض
بالاول وانكار الثاني قيل ضمير عليه للخلق واهون بمعنى اسرع لان
البداءة فيها تدريج من طور الى طور الى ان يصير انسانا والاعادة
غير محتاج الى هذه التدريجات فكانه قال اقصر مدة وانتقالا وله
المثل الاعلى الوصف العجيب الشأن الذي ليس لغيره ما يدانيه
في السموات والارض وهو العزيز الغالب الذي لا يغلب الحكيم
في جميع افعاله فكيف لاحد ان يتخذ احدا شريكا له في الوهيته ضرب لكم

نصبهما على المفعول له من فعل مقدر

يعني لم يقل ان يريكم وان ينزل

في هذا التفسير اشارة الى وجه تذكير
الضمير مع ان المرجع الاعادة
وقيل التذكير للتذكير للخبر وهو اهون

مثلا من انفسكم منتزعا من احوال انفسكم فی فساد اعتقاد
ان لله شركا هل لكم مما ملكت ايمانكم من مماليككم مع ان الملكية
فيه عارضة قابلة للزوال ومملوكيتكم مثلكم فی انه بشر وفی الهيآت
ومملوك الله مباين غير مشابه فی شیء من شركاء من مزيدة لتأكيد
نفی الشركة فان الاستفهام انكار بمعنی النفی فيما رزقناكم من اموال
واولاد ومنزلة فانتم فيه سواء يعنی هل ترضون ان يشارككم بعض
مماليككم فی اموالكم فتكونون انتم وهم علی السوآء فی التصرف
تخافونهم تهابون ان يستبدوا بالتصرف فيه حال من ضمير سوآء
ای خائفا منهم كخيفتكم انفسكم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار
فاذا لم ترضوا ذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب
مالك العبيد والاحرار ان تجعلوا بعض عبده الاخس شريكا فی اخص
الاشياء به وهذه عبارة تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا
هو لك تملكه وما ملك فقوله من شركاء فی موضع رفع بالابتداء وفيما
رزقناكم متعلق به ولكم خبره ومما ملكت حال والعامل فيها العامل
فی لكم كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل نبين الايات لقوم يعقلون
لا الجاهل لا يعرف الغث من السمين بل اتبع اضراب عما تضمنته الآية
فان المعنی ليس لهم حجة ولا معذرة فيما فعلوا من اشراكهم بل ذلك منهم
بمجرد هوی بغير علم الذين ظلموا اهواءهم بغير علم جاهلين ليس لهم رادع
والهوی قد يكون هوی وهو يعلم انه هوی فمن يهدی من اضل
الله لا يقدر احد علی اهدآء من اراد اضلاله وما لهم من ناصرين لا
احد لهم يخلصهم من الغواية والشقاوة فاقم فقوم وجهك للدين
حنيفا حال كونك مائلا عن كل دين باطل او حال من الدين يعنی
لما علمت ان الله اضلهم وليس لهم ناصر فاعرض عنهم وتوجه بكليتك
الی الله فطرة الله ای الزموا فطرته وهی الخلقة التی فطر الناس عليها فانه
خلقهم قابلين لمعرفته غير نابين ولا منكرين كما قال صلی الله عليه
وسلم كل مولود يولد علی الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه يعنی
العقائد الفاسدة لم تطرأ الا من خارج لا تبديل لخلق الله ما ينبغی

ان يبدل تلك الفطرة وهو من اقامة المظهر وهو الخلق موضع المضمر
من غير لفظه حيث لم يقل لا تبديل لفطرة الله ذلك ای الدين المامور
باقامة الوجه له الدين القيم المستوی الذی لا عوج له بوجه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون استقامته لجهلهم منيبين اليه راجعين اليه
بالتوبة حال من فاعل الزموا وهذا هو الباعث علی ان قدرنا الفعل
جمعا ووحد الخطاب فی اقم ثم جمع اشارة الی متابعة نبيه صلی الله
عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله وكفی بنا شرفا انا داخلون فی خطابه
واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا خلق
الله من الذين بدل من المشركين فرقوا دينهم جعلوه اديانا مختلفة
لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل شايع اماما اضله
كل حزب منهم بما لديهم فرحون مسرورون بمذاهبهم يحسبون انهم
علی شیء وجمع فرحون باعتبار المعنی واذا مس الناس ضر شدة
دعوا ربهم منيبين اليه وحده بالتضرع والدعاء وتركوا اصنامهم
لعلمهم ان لا يكشف السوء الا الله ثم اذا اذاقهم منه من فضله ومن عنده
رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون
فاجأ بعضهم بالاشراك قبل شبابهم تخليصهم من الضر ليكفروا
اللام لام العاقبة تحولوا والموت بما آتيناهم يعنی اخذوا بدل
الشكر الكفر فتمتعوا ولا يبعد ان تكون اللام لام الامر للتهديد بسبب
قوله فتمتعوا الكن فيه التفات للمبالغة فسوف تعلمون عاقبة
تمتعكم ام انزلنا بل للاضراب عن الكلام السابق والهمزة
للاستفهام عن الحجة استفهام انكار وتوبيخ عليهم سلطانا حجة
فهو يتكلم ای السلطان ينطق بما كانوا به يشركون يعنی اانزلنا
عليهم حجة ناطقة بالامر الذی بسببه يشركون فهو يتكلم جواب
للاستفهام والتكلم مجاز نحو هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وجاز
ان تكون ما مصدرية وضمير به راجع الی الله واذا اذقنا الناس
رحمة نعمة كصحة ومطر فرحوا بها فرح بطر فذهلوا عن شكر ما اسداها
اليهم وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذاهم

فی اصابة البلآء فقنطوا وذهلوا
عن الضر ونسوا ما انعم عليهم
قبل اصابة البلآء [illegible]
حين ذكر اصابة السيئة ذكر سببها
وهو العصيان لتحقق عدله
[illegible]

يقنطون فاجؤا القنوط من الرحمة قال صاحب البحر لا نعلم اذا الفجائية
جواب ان الا في موضعين هذا وفي ان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء بسطه ويقدر لمن يشاء
فما لهم لا يشكرون ويقنطون ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
فانهم المستدلون بالايات ولما ذكر بسط الرزق وعلم شكر
المؤمنين اتبعه ذكر الصدقة فجيء بالفاء فقال فآت ذا القربى حقه
من الصلة والبر والمسكين وابن السبيل حقهم نصيبهم من الصدقة
ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي يريدون جهته وجانبه
او النظر الى وجهه الكريم واولئك هم المفلحون فانهم حصلوا بما بسط
لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا ما اعطيتم من اجل ربوا ليربو ليزيد
ويزكو في اموال الناس يعني ليزيد من اموال الناس فيرجع اليه كمن
ارسل غنمه بين غنم الناس ليسمن في مرعاهم فيرجع اليه بعد سمنها فلا يربو
عند الله لا يزكو عنده ولا يثاب عليه يعني من يعطي عطية يريد ان يرد
المهدى له اكثر مما اهدى فلا ثواب له لكنه ليس بحرام نحو ولا تمنن
تستكثر او الاية في الربا المحرم والاول قول السلف وما آتيتم من زكوة
صدقة تريدون به وجه الله اي مخلصين وهذا مشعر بالوجه الاول
فاولئك عند الله هم المضعفون اي ذوو الاضعاف من الثواب
والبركة وضميرها محذوف اي المضعفون به لانه لا بد في اسم الشرط
الذي ليس بظرف ان يكون في الجواب ضمير يعود اليه ليتم به الربط
وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة للتعظيم الله الذي خلقكم
ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء
الله الذي مبتدأ وخبر ومن مبتدأ موصولة ومن شركائكم خبره ومن
للتبعيض ومن شيء مفعول يفعل ومزيدة من للعموم ومن ذلكم حال لانه
في الاصل صفة شيئا فلما قدم صار حالا ولما اثبت صفات
الالوهية لله ونفاها عن الشركاء استنتج من ذلك تقدسه عن
الشركة فقال سبحانه وتعالى عطف على ناصب سبحانه عما يشركون
عن اشراكهم ولما ذكر تعالى دلائل الوحدة ونفي الشرك وظاهر من

الكلام

الكلام عنادهم ولجاجهم في ارتكاب ما لا يرضى به الله تعرض لبيان ما سينزل به
في الدنيا فقال ظهر الفساد بارتفاع البركات وحدوث الرزايا
والفتن او غلبة الكفار في البر والبحر اي في زراعات وتجارات فيهما والمراد
من البر الصحاري والبحر الامصار فالعرب تسمي الامصار البحار وقيل هما
على ظاهرهما فان من قلة المطر عمي دواب البحر وخلو اجواف الاصداف
بما كسبت ايدي الناس بسبب المعاصي فوبال معاصيهم يرجع
اليهم في الدنيا والاخرة ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون
يعني انه تعالى افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم بعض وبال
اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بها جميعا في الاخرة لعلهم يرجعون
فلا يذيقهم الباقي فلام العلة متعلق بظهر قل سيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبل لتروا في منازلهم آثار محنهم ومصائبهم
ليعتبروا كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة على سوء عاقبتهم قيل
المراد ان اكثرهم مشركون وبعضهم عاصون وكلهم كفار واكثرهم من
اهل الشرك فاقم وجهك يعني قل لاهل الضلال سيروا وانظروا
واعتبروا وقم انت يعني انت ومن معك وجوههم للدين القيم
البليغ الاستقامة من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله قبل ان يأتي
من الله يوم لا يرده احد نحو لا يستطيعون ردها فمن الله متعلق بيأتي
او معناه لا رد من جهته فانه قدر في الازل اتيانه فمن متعلق بمرد الذي
بمعنى المصدر يومئذ يصدعون اي يتفرقون يوم اذ يأتي يوم لا مرد
فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه كفره وبال كفره لا يتعداه ومن
عمل صالحا فلانفسهم لا لغيرها يمهدون يسوون ويوطئون منازل
في القبور والجنة ذكر في الكفر عليه دلالة على الثقل والمشقة وفي المؤمن اللام
التي للكلام الملك والنفع ليجزي اي يصدعون ليجزي الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات من فضله لا انه وجب عليه شيء ولان اعمالهم لا تساوي
اقل نعمه من عافيتهم وغيرها واقتصر على ذكر جزاء المؤمن اشعارا بانه هو
المقصود مع ان قوله انه لا يحب الكافرين الدال على محبته للمؤمنين
يكفي في ذكر جزاء الكافرين ولما بين ان معاصي الانسان سبب لظهور

الف وفي البر والبحر ذكر ما انعم فيهما فقال ومن اياته ان يرسل الرياح
مبشرات بالمطر بعضها لتحصيل السحاب وبعضها لجمعه وبعضها
للامطار والصبا والشمال والجنوب رياح الرحمة بخلاف الدبور
وليذيقكم من رحمته عطف على مبشرات بحسب المعنى اي ليبشركم
وليذيقكم ورحمة المطر وما يتبعه من الخصب والرخاء قيل عطف على
محذوف تقديره لفوائد وليذيقكم ولتجري الفلك بامره في ذهابها
وايابه ولو لم تكن الرياح المختلفة لا يستوي سير الفلك المختلف مقصدها
ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون نعم الله ولما بين
دلائل الوحدة والمعاد بين الاصل الثالث الذي هو النبوة التي
هي كالغيث كما في الصحيحين مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كما نعت
الحديث بطوله اتبعه بقوله ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
فجاءوهم بالبينات المعجزات الظاهرات وكذب بعضهم بها وصدق
بعضهم فانتقمنا من الذين اجرموا المكذبين وكان حقا علينا من جهة
الوعد واللطف نصر المؤمنين اسم كان واخره رعاية للفاصلة
وللاهتمام بالخبر وفي هذه العبارة بشارة عظيمة وتعظيم قيل يوقف
على حقا وفي كان ضمير اي الانتقام حق لا ظلم ثم ابتدا وقال علينا
نصر المؤمنين ولما اجمل امر بشارة الرياح لطفا عادلا لان يشكروا
ووعد للشاكرين ووعد للكافرين وآنس نبيه صلى الله عليه وسلم
فصل امر الرياح واستدل بما يتبعها ثم فقال الله الذي
يرسل الرياح فتثير سحابا تخرجه من اماكنه فيبسطه يبسط الله
السحاب تذكير الضمير لان السحاب اسم جنس يجوز تذكيره وتانيثه
في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغيره الى غير
ذلك ويجعله كسفا اي فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا قطعا تارة
فترى الودق اي المطر يخرج في التارتين من خلاله من وسط السحاب
فاذا اصاب به من يشاء من عباده اصابة الغيث واصابة اراضيهم
اذا هم يستبشرون فاجاءوا بالاستبشار وان كانوا من قبل ان ينزل
عليهم المطر من قبله لمبلسين آيسين قيل من قبله تاكيد وال على

بعد

بعد عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم وعن بعض الفضلاء من قبل
متعلق بمبلسين ومن قبله متعلق بينزل اي ينزل من قبل وقت
نزوله كما اذا كنت معتادا العطاء من احد في وقت معين فتاخر
عن الوقت المعين ثم اتاك به فتقول قد كنت آيسا من قبل
ان يجيئني بهذا من قبل هذا الوقت فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيي
الارض بعد موتها كيف يحيي حكاية حال ماضية لشهادة قوله فانظر
فان الامر بالنظر مسبوق بوجود المنظور اليه والعدول الى المضارع
لاحضار تلك الحالة العجيبة الشان في مشاهدة السامع ولا يبعد
ان قوله يحيي الارض استئنافية وكيف حال مقدم ان ذلك اي الذي
محيي الارض لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن ارسلنا ريحا وفي
الحديث اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا يعني ان ارسلنا مضرة
فراوه اي الزرع فهو اثر الريح فمرجع الضمير ما يفهم من سياق
الكلام مصفرا من الجائحة لظلوا من بعده اي من بعد اصفرار
الزرع يكفرون لكن المؤمنون يفرحون برحمة الله شاكرا لانعمه وان
جاءتهم جائحة لاموا انفسهم واستغفروا راجين عفو الله ورحمته
فشكروا على ان ليست الجائحة في دينهم ولا في انفسهم واللام لئن
موطئة للقسم وقوله لظلوا جواب له ساد مسد جواب الشرط
ووضع الماضي موضع المستقبل اتساعا اي ليظلن ولما علم من
قوله لظلوا من بعده يكفرون ان ليس لهم تدبر ولا بصيرة ناسب
ان يتبعه بالفاء في قوله فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء
اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم والكافر كمن لا
عين له يضل الطريق وليس في وسع احد ان ينزع العمى ويصيره بصيرا
ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون قد مر شرحه في اواخر
النمل ولما ذكر من الدلائل الافاقية ما هو دال على قدرته على الاعادة
ذكر شيئا من الانفسية والا على ذلك فقال الله الذي خلقكم
من ضعف يعني ابتدأكم ضعفا في طفوليتكم لتخلق الانسان من
عجل ثم جعل من بعد ضعف قوة بعد البلوغ الى الشيخوخة ثم جعل

من بعد قوة ضعفا وشيبة رجع الى حال كالطفولية فقد صرح بعض
اللغويين ان الضعف بالضم في البدن وبالفتح في العقل يخلق ما
يشاء خلقه وهو العليم القدير فما لهولاء ينكرون الاعادة ولما
اثبت قدرته على البعث ذكر شيا من احواله فقال ويوم تقوم الساعة
القيمة يقسم المجرمون يحلف المشركون ويوم ظرف ليقسم ما لبثوا
في الدنيا غير ساعة واحدة ومقصودهم ان لا يثبت عليهم الحجة فانهم
لم يمهلوا ليومنوا او المراد ما لبثوا في قبورهم حلفوا التخمين او كذبا ودونهم
محكي على المعنى حيث لم يقل ما لبثنا غير ساعة كذلك مثل ذلك
الصرف كانوا يوفكون يصرفون في الدنيا عن الصدق والحق اراد
تفضيحهم فحلفوا على ما تبين على الكل كذبه فالغرض الاغراق في وصف
المجرمين بالتمادي والاصرار على الباطل وقال الذين اوتوا العلم
والايمان ردا على هولاء لقد لبثتم في كتاب الله في علمه القديم
الى يوم البعث يعني مبين في علم الله انكم تلبثون الى يوم البعث
ومعلوم انه مدة لا يعلمها الا الله فقوله في كتاب الله ليس على
حقيقته فان اللبث لا يكون الا في مكان قيل في متعلق بالعلم فانهم
قراوا في القران ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فهذا يوم البعث
الفاء جواب شرط مقدر اي ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه
ولكنكم كنتم لا تعلمون لتفريطكم في طلب الحق واشتغالكم بما تهوى
انفسكم فيومئذ اذ يقع اقسام الكفار ورد اولي العلم لهم لا ينفع
الذين ظلموا معذرتهم لانها معذرة كذب ولا هم يستعتبون
لا يطلب منهم ازالة غضب الله لانه ما بقي الا الانتقام ولقد
ضربنا للناس في هذا القران العظيم الشان من كل مثل
يرشدهم الى التوحيد والبعث بحيث ما بقي في النفوس منزع
فليس لهم عذر وما بقي زمان للاستعتاب ولئن جئتهم يا محمد باية
اي اية كانت ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم ان انتم ما انت
ومن تبعك الا مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك الطبع
يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لجهلهم فلا يدخل في قلوبهم

الايمان

الايمان والحكمة فاصبر على جهلهم واستكبارهم وتكذيبهم ايات
الله ان وعد الله حق فينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين
ولا يستخفنك لا يحملنك على الخفة وعدم الصبر الذين لا يوقنون لا يقين لهم
بل شاكون ضالون ولا يليق باهل اليقين ان يستخفه مثلهم والحمد لله حق حمده

سورة لقمان اربع وثلثون اية وعن ابن عباس الا ثلث اولهن ولو ان ما في الارض من شجرة

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب الحكيم المشتمل على الحكم
او المحكم ايأته هدى حال من الايات ورحمة للمحسنين لمن يعمل الحسنات
الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون
ايقنوا بالدار الاخرة والجزاء فاخلصوا اعمالهم اولئك على هدى من
ربهم واولئك هم المفلحون الظافرون بمراداتهم ولما وصف القران
بانه مشتمل على الحكم فمن تمسك به فهو حكيم ومن اعرض عنه فهو سفيه
ذكر على سبيل التعجب فقال ومن الناس من يشتري لهو الحديث عن
ابن مسعود وغيره هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلث
مرات فعلى هذا يشتري مجاز عن المحبة والاختيار او نزلت فيمن
اشترى كتب اخبار سلاطين العجم يحدث بها قريشا ويقول انا احسن
حديثا واضافة لهو الحديث بمعنى من من اضافة العام الى الخاص
فان اللهو قد يكون حديثا فمن للبيان او من اضافة للخاص فالحديث
قد لا يكون لهوا فمن للتبعيض ليضل عن سبيل الله بفتح الياء معناه
ليثبت على ضلالة القديم ويزيد فيه بغير علم حال من فاعل يشتري
اي يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بالبيع والشري حيث
استبدل الضلال بالهدى وفي قراءة ضم الياء بغير علم حال
من فاعل يضل ويتخذها اي سبيل الله وهي دينه هزوا سخرية من
قرا برفع يتخذ فعطف على يشتري اولئك لهم عذاب مهين
لاهانتهم الحق بالسخرية واذا تتلى عليه اياتنا القرانية ولى اعرض
عنها وادبر مستكبرا متكبرا كان لم يسمعها كانه اي مشابها حاله
بحال من لم يسمعها فهو حال من ضمير مستكبرا ومستكبرا حال من ضمير
ولى او كان مستانفة كان في اذنيه وقرا ثقلا مانعا عن الاستماع

الاولى ان يكون بدلا من كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم
فيه تهكم فان من قال البشارة تستعمل فيما لا يسر ايضا يسلم انها
متبادر منها السرور وضمير يشتري ويضل ويتخذ محمول على لفظ من
وفي اولئك لهم حمل على المعنى ثم في عليه وما بعده على اللفظ ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها
وعد الله مصدر موكد لنفسه حقا موكد لغيره لانه موكد للوعد
وليس كل وعد من حيث هو حقا وهو العزيز الحكيم ومن عزته وحكمته
انه خلق السموات بغير عمد ترونها صفة عمد او استيناف في ترونها
بغير عمد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد كراهة ان تميل
بكم فان الارض كانت تضطرب قبل خلق الجبال فلا يمكن السكون
على وجهها وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها
من كل زوج كريم من كل صنف كثير النفع هذا خلق الله مخلوقه فاروني
ماذا خلق الذين من دونه حتى استوجبوا عندكم عبادتها ونصب
ماذا بخلق او ما مبتدا او ذا بمعنى الذي خبره واروني معلق عنه بل الظالمون
الذين وضعوا عبادة الاوثان موضع عبادة الله في ضلال مبين
ظاهر ضلاله لمن له عين اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال
البعيد ولما ذكر ان القران مشتمل على الحكم وذكر ان من تركه من السفه
يبين ان من امن وعمل صالحا من رزقه الحكمة وقد عزبها فقال ولقد
اتينا لقمن الحكمة الصحيح انه ما كان نبيا وفي حرفته خلاف ادرك داود
وقيل ان الله خيره بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة فان فيها السلامة
روي انه تعجب شخص من وجاهته عند الخلق مع انه عبد اسود غليظ
الشفتين فقال غض بصري وكف لساني وتركي ما لا يعنيني صيرني كما
ترى ان اشكر ان مفسرة فان ايتاء الحكمة معنى القول لله ومن يشكر
فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني عنه وعن شكره حميد حقيق
النعم حمد او لم يحمد واذ قال لقمن لابنه اي اذكر اذ قال حتى تعرف من
كلامه حكمته قيل ان ابنه وامراته كانا كافرين فما زال بهما حتى اسلما وهو يعظه
يا بني تصغير شفقة لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا

قد مر في سورة يونس ان المصدرية تدخل على الامر كما تدخل على الخبر فلا تغفل
منه

الانسان

الانسان بوالديه برعايتهما حملته امه وهنا على وهن تضعف
ضعفا فوق ضعف عن ابن عباس شدة بعد شدة فنصبه على انه
مصدر لمحذوف والجملة حالية وفصاله اي فطامه في عامين في
انقضائهما وذلك اقصى مدة الرضاع عطف على الجملة الحالية يعني
تهن عطف الاسمية على الفعلية لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام
من المتاعب في حمله وفصاله ايجابا للتوصية بها خصوصا ان اشكر
تفسير لوصينا او تقديره لان اشكر لي ولوالديك فاني موجدك
وهما واسطتان الى المصير فاجازيك في شكرك عن ابن عيينة
في هذه الاية من صلى الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار
الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين وان جاهداك بالغاك
على ان تشرك بي ما ليس لك به علم ما ليس لك علم باستحقاقه للاشراك
فما ليس معقول تشرك فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا
معروفا اي صحبا معروفا بخلق جميل وحلم ومروة وكفى بها وصية
انهما ان امرا بالشرك فليس عليه سوى اللين والكلام الطيب مثل
ان يقول هل ترضين يا امي بالشقاوة لي والعذاب المخلد ومثل ذلك
واتبع في دينك سبيل من اناب الي سبيل من رجع الي عن الضلال
وسلك الصراط السوي ثم الي مرجعكم اي مرجع الوالدين والمولود
فانبئكم بما كنتم تعملون بجزاء عملكم والايتان من قوله ووصينا وقعت
في اثناء وصية لقمان استطرادا فيهما تشديد وتاكيد لاتباع الولد
والده والنهي عن الشرك والصحيح ان هذه الاية واية العنكبوت نزلتا
في سعد بن ابي وقاص كما مر واجاب لانه لو كانت لك مائة نفس
فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا او الطعام ان شئت كلي
وعن جماعة من السلف الايتان مما وصى به لقمان لابنه اخبر الله عنه
بعبارته وقيل من كلام الله قاله للقمان يعني وقلنا له ووصينا يا بني
انها الضمير للقصة او للخصلة فقد روي ان ابنه سال عن ابيه ان
عملت عملا لا يراني احد كيف يعلمها الله فاجابه ان تك مثقال
حبة كان تامة وتانيثه لاضافة فاعله الى مونث او لان المراد السيئة

فانها قالت لابنها لله عن عن دينك او لا آكل الطعام والشراب حتى اموت
منه

عند من قرا مثقال بالرفع
منه

او الحسنة من خردل في موقع الصفة لحبة فتكن في صخرة في اخفى مكان
واحرزه او المراد صخرة تحت الارضين السبع يكتب فيها اعمال الفجار
او في السموات او في الارض اعلى مكان او اسفله يات بها الله يحضرها
الله يوم الجزاء جواب لان ان الله لطيف خبير عالم بكل خفي فانه هو
خالقه وحافظه يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر
واصبر على ما اصابك من المحن ان ذلك اي المذكور من عزم
الامور العزم مصدر بمعنى المفعول اي من معزوماتها وبمعنى الفاعل
اي من عازماتها نحو فاذا عزم الامر وقد ورد ان الله يحب ان يعمل
برخصه كما يحب ان يعمل بعزائمه يعني بمفروضاته ولا تصعر لا تمل
خدك للناس كعمل المتكبر فانه يعرض بوجهه اذا كلموه تكبرا ولا تمش
في الارض مرحا اي اختيالا يعني تمرح مرحا او منصوب على الحال
اي مرحا ان الله لا يحب كل مختال من الخيلاء فخور على الناس
ولهذا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم باللهم احيني مسكينا وامتني
مسكينا واحشرني في زمرة المساكين واقصد في مشيك توسط
بين الدبيب والاسراع لا مشي الجبارين ولا مشي المتهورين الشطار
واغضض من صوتك المراد التنقيص من الرفع والجهارة وكانت
العرب تفتخر بجهارة الصوت ان انكر الاصوات اوحشها لصوت
الحمير شبه الرافعين صوتهم بالحمير من عزادات التشبيه مبالغة في
التنفير ولما كان صوته لا يكاد يختلف واصوات سائر الحيوان
مختلف جدا افرد وجمعت والحمير بمنزلة اسماء الاجناس على
الاصح والظاهر ان انكر الى اخره كلام لقمان وقيل هذا من كلام
الله ولما كانت السورة لاتباع القران الامر بالتوحيد وحسن
الاخلاق واتى بحكاية لقمان فانه مقدم على نزول القران وهو امر
بما امر به القران رجع الى دليل وجوب اتباع كلامه فقال الم تروا
ان الله سخر لكم ما في السموات من النجوم والسحاب بان جعله
من اسباب منافعكم وما في الارض واسبغ اوفى واتم عليكم
نعمه ظاهرة محسوسة تعرفونها حالا وباطنة غير محسوسة ولا تعرفونها

ومن الناس

ومن الناس من يجادل في الله اي ومع هذا بعض الناس يجادل
في ما انزل الله بغير علم بغير حجة عقلية ولا هدى ولا كتاب منير
ولا نقلية من اتباع رسول وكتاب مضيء للناس صدقه بل قلدوا
جهالهم كما بين بقوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله ونبهوا عن غفلتهم
قالوا لا نتبع كتاب الله بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا فيقال عنهم
اتتبعون الاباء على كل حال اولو كان الشيطان يدعوهم يدعو اباءهم
الى عذاب السعير الى جهنم فان قلدتم انتم اباءكم فانتم تكونون مع
اباءكم الضالين في جهنم ومن يسلم وجهه الى الله انقاد وتوكل فان
اسلم له معناه اخلص واسلم اليه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع
الى احد فالمراد التوكل وهو محسن في عمله متبع للشرع فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا ينقطع حبله فلا يطيح في بئر الغواية ولا يتردى من شاهق
جبل الدين والى الله عاقبة الامور مرجع الكل في كل الامور الى الله
ومن كفر ولا يتبع الاهواء فلا يحزنك كفره فانه بارادة من ارسلك
الينا مرجعهم لا نغفلت عنا فننبئهم بما عملوا فعلموا شقاوتهم ولم ينفعهم
حينئذ ما علموا ان الله عليم بذات الصدور بخفيات الامور فضلا
عن جلياتها فلا يفوت شيء من اعمالهم نمتعهم في الدنيا قليلا زمانا
قليلا او تمتيعا قليلا ثم نضطرهم نلجئهم في الاخرة الى عذاب غليظ
ثقيل على المعذب ولئن سألتهم يعني هم لا يتبعون رسولنا ولا
كتابنا والله ان سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
معترفون بانه هو الخالق مضطرون الى هذا الجواب الحق قل الحمد لله
اذ قامت الحجة عليكم باعترافكم بل اكثرهم لا يعلمون ان هذا اعتراف
على ضلالهم او انتهى جهلهم الى ان لا يعلمون موقع الحمد في هذا المقام
لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني لان الكل له غير محتاج
بوجه الى شيء الحميد وان لم يحمده احد بلسانه ولما ثبت انه غني حميد
يبين ان لا حد لغناه ولا ضبط ولا حصر لمعلوماته الموجبة لحمده فقال ولو ان
ما في الارض من شجرة اقلام لكتابة معلوماته والبحر الواو للحال اي لو
كانت الاشجار اقلاما حال كون البحر ممدودا او للعطف على ان ما في الارض

لانه في معنى لو ثبت كون ما في الارض على مذهب المبرد يمده خبر
البحر على الوجه الاول وحال على الوجه الثاني من بعده اي بعد
ذلك البحر قيل من بعد نفاده سبعة ابحر فاعل يمده وذكر
السبعة للتكثير قيل سبعة ابحر في العالم محيطة به ما نفدت كلمات
الله يعني وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات علمه لما
نفدت ونفدت الاقلام والمداد ولما كان المداد ينقص بكل حرف
يكتب منه بالغ في امر المداد ما لم يبالغ في امر القلم وهذا مثل قوله نعم
العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فانظر الى اخر سورة الكهف
عن ابن عباس وغيره قال بعض الاحبار بلغنا انك يا محمد تقول
وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام قومك فقال كلا فقالوا
انك تتلو انا قد اوتينا التورية وفيها تبيان كل شيء فقال
صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد اتيكم ما ان عملتم به
انتفعتم وهذا السؤال من الحبر بان جاء الى مكة وسال او امر اليهود
قريشا قال لان المشهور ان السورة مكية ان الله عزيز حكيم ولما
بالغ في عدم تناهي علمه شرع يبالغ في قدرته فقال ما خلقكم ايجادكم
من العدم جميعا ولا بعثكم اعادتكم بعد الاعدام مجتمعين الا كنفس
واحدة كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتفاوت القليل والكثير عنده
ان الله سميع بصير لا يشغله شان عن شان يعلم واحد يعلم كل المعلومات
ولا يشغله مبصر عن مبصر كذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج
الليل في النهار فيطول النهار ويقصر الليل ويولج النهار في الليل
فيطول الليل ويقصر النهار وسخر الشمس والقمر كل منهما يجري الى
اجل مسمى ينقطع فلكه الى وقت مقدر معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر
الى آخر الشهر او الاجل المسمى القيمة فحينئذ ينقطع جريهما اراد ان من قدر
على مثل ذلك فهو تام القدرة لا ينتهي عند ارادته شيء وان الله بما تعملون
خبير فلا يفوت عنه شيء من اعمالكم ذلك اختصاصه بسعة العلم
وشمول القدرة وعجائب الصنع بان الله هو الحق وان ما تدعون من
دونه الباطل والباطل عاطل عن الصفات الحسنى وان الله هو العلي

الشان

الشان الكبير السلطان قيل ذلك الذي اوحى اليك بسبب بيان
انه هو الحق وان كل اله غيره باطل وانه مترفع ومتسلط على كل شيء
ولما تم قدرته في السماء شرع في بيان قدرته في الارض فقال الم تر
ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله قيل الباء يحتمل السببية يعني بسبب
تسخيره البحر والريح والحالية يعني مصحوبة بنعمته وهي ما تحمله
السفن من الارزاق والتجارات ليريكم من اياته ان في ذلك
لايات لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المومن
فكانه قال لكل مومن وقد ورد الايمان نصفان نصف صبر
ونصف شكر صبر عن المالوف وشكر على المعروف او لان كونها
اية لا يعلم الا كثير الصبر ممن ركبها وتامل صابرا في غرائبها ثم اذا
خرج سالما شكر واذا غشيهم علاهم فيه التفات لقوله ليريكم
موج كالظلل كالجبال والسحاب دعوا الله مخلصين له الدين يتركون
الهتهم فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد متوسط في العمل لا يعمل بكل ما
عهد ولا يترك جميعه وما يجحد باياتنا الا كل ختار كثير الغدر كفور
للنعم ومقابلة الختار للصبار والكفور للشكور في اللفظ والمعنى
لان الغدر لا يكون الا من قلة الصبر فان الصابر يفوض امره الى
الله ويترك حول نفسه وقوتها والغدار يعهد ويغدر لا يصبر
فالحاصل ان الناجي من البحر قسمان منكر نعم الله ومقتصد واما
العامل بجميع ما عهد فنادر والنادر كالمعدوم ولما ذكر من اول
السورة دلائل التوحيد والبعث شرع في النصح والموعظة فقال
يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي عرفتموه بالوحدة والقدرة واخشوا
يوما اثبته لكم لا يجزي لا يقضي والد عن ولده في ذلك اليوم فلا يجزي
صفة وضمير الموصوف محذوف هو فيه ولما كان الوالد اشفق على
الولد من الولد على ابيه بداه به وشفقته متجددة في الاحوال فنفى
شفقته المتجددة بصيغة المضارع ولا مولود هو جاز عن والده
شيئا مبتدا وخبر غير الاسلوب بطريق التوكيد لقطع اطماع المومنين
ان ينفعوا اباءهم الكفرة فان اباء اكثر الصحابة ماتوا على الجاهلية اي

باسم الفاعل الدال على الثبوت والثبوت يصدق بالمرة الواحدة والولد
يطلق على ولد الولد لكن المولود لا يطلق الا على من ولد منك فضلا ان احدهم لو
شفع لابيه لم تقبل فضلا عن ان يشفع لجده وشيا يحتمل ان يكون من باب
التنازع للاتجزى ولجاز ان وعد الله بمثل الجزاء حق لا خلف في وعده
فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فتنكروا ثبوت ما وعد ولا يغرنكم بالله الغرور هو
الشيطان فينسيكم عقابه ويطمعكم في رحمته من غير طاعة ولما ثبت
قيام القيمة وكرره وبالغ بان طول الحيوة والتمتع بزينتها والشيطان لا ينفعكم
اليوم طالت الاعناق الى العلم بوقتها فقال ان الله عنده وليس عند
غيره علم الساعة تعيين وقتها لا يعلمه الا هو قوله علم الساعة مبتدأ
وعنده خبره والجملة خبر ان وينزل الغيث علم وقت نزوله المخصص به من
غير تقديم ولا تاخير الا عند امر الله به قوله وينزل عطف على خبر ان ولا شك
ان المقصود اختصاص هذا العلم لا نفس القدرة والايجاد واسم الله
الجامع اذا وقع مسندا اليه وبني عليه الخبر على ارادة التقوي يفيد التخصيص سيما
اذا كان عطفا على المختص وجاز عطفه على الساعة بتقدير ان ويعلم ما
في الارحام لا يعلم احد ان ما في الرحم ذكر او انثى الا وقت ارسال الملك
اليه وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير وشر ولهذا لا تجد نفسا تدري
حسن عاقبته عطف على جملة ان الله اثبت اختصاصه به على وجه الكناية
بابلغ وجه وما تدري نفس باي ارض تموت فانها لا تعرف ان رامي القدر
يرميها باي مكان وقوله باي متعلق بتموت والجملة في موضع نصب بتدري
ان الله عليم خبير فلا يخفى عليه ظواهر الامور وبواطنها عن ابن عباس من ادعا
علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فانها تدعو الى الشرك والشرك
واهله في النار والله المستأثر بعلم هذه الخمس لانها جواب لسائل سأل
عنها والا فهو سبحانه مستأثر باشياء لا تحصيها الا هو واثبت لنفسه
الاقدس العلم والدراية لغيره لان في الدراية الكسب والحيل في تحصيله

سورة السجدة ثلثون او تسع وعشرون اية مكية الا ثلث من قوله افمن كان مؤمنا

بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين
اي تنزيل القران من رب العالمين من غير ريب في انه من الله لان نافي الريب

وهو انه معجز معه فلا وليّ في اعرابه ان تنزيل مبتدأ ولا ريب فيه معترضة
ومن رب العالمين هو الخبر وهذا على ان الم لم يكن اسما للسورة ام يقولون
افتراه ام بمعنى الهمزة وبل كانه قال لا شك في انه منزل من الله ثم اضرب
عن ذلك الى انهم لا يشكون في انه ليس من الله والهمزة للانكار والتعجيب
لظهور بطلانه بل هو الحق من ربك ثم اضرب عن انكارهم الى بيان
ما هو الحق لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اللام متعلق بمتعلق
من ربك فانه حال او خبر بعد خبر او تقديره انزله لتنذر قوما هو
قريش ما اتيهم نذير منهم مبعوث اليهم وان كانوا عالمين بشرايع
الرسل وان لم تكن منهم مقصرين في البحث عنها سيما دين ابرهيم
واسمعيل فانهم على دينهما الى ان غير بعض رؤسائهم وعبدوا الاصنام
وعن ابن عباس ما اتاهم نذير في فترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام
قال صاحب البحر الاولى عندي ان ما موصولة لا نافية ومن نذير متعلق
باتاهم اي لتنذر قوما العقاب الذي اتاهم على لسان نذير من قبلك
وكذلك الامر في قوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اي العقاب الذي
انذره اباءهم فما مفعول ثان في الايتين لتنذر وهو متعد الى اثنين
نحو انذرتكم صاعقة وهذا لظواهر القران اوفق نحو ان من امة الا خلا
فيها نذير ونحو ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير
وما كان ربك ليهلك القرى الاية وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
هذا كلامه لعلهم يهتدون بانذارك ثم شرع في دليل دال على التوحيد
فقال الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم
استوى على العرش قد مر في سورة الاعراف ما لكم من دونه من ولي
ولا شفيع لا ولي ولا شفيع لكم من دون اذنه قيل المراد من الشفيع الناصر
مجازا لان الشفيع ناصر وعلى الاول من دونه ظرف لمتعلق لكم قيل هو حال
عن المجرور في لكم اي ليس لكم حال كونكم متجاوزين رضاه ولي ولا شفيع
وعلى الثاني من دونه حال مقدم افلا تتذكرون مواعظ الله يدبر الامر
اي امر الدنيا منزلا من السماء الى الارض الى يوم القيمة والسماء محل
حكم الله ومنه ينزل الامور ثم يعرج اليه الى الله ذلك الامر كله لان

يحكم الله فيه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وهو يوم من
تمام ايام القيمة التي هي خمسون الف سنة وما هو الا يوم عرض الاعمال
ففي يوم ظرف يعرج ومعناه نزول الملك بتدبير الدنيا وعروجه
في يوم واحد من ايامكم لو قطع بشر ما قطعه الملك في يوم ما قطعه
الا في الف سنة لان المسافة بين السماء والارض خمسمائة فالنزول
والعروج لا يكون الا بالف ففي يوم ظرف ليدبر وفيه محذوف
من يعرج كما هو شان التنازع وضمير اليه للسماء او ينزل قضاءه وقدره
من السماء الى الارض ثم يرفع الاعمال الى ديوانها فوق السماء بيوم احد
مع ان المسافة مسافة الف قد ذكر في معناه معان اخر والوجوه
التي ذكرناها هي منقولة عن السلف ذلك عالم الغيب ما غاب
عنكم والشهادة وما حضر العزيز الرحيم الذي احسن كل شيء خلقه
اي اتقنه واحكمه وقوله خلقه بسكون اللام بدل الاشتمال من كل شيء
والضمير لكل شيء يعني الذي احسن خلق كل شيء وبفتح اللام ضمير خلقه
الى كل فصفته او الى شيء ففي موضع الجر صفته وبدأ خلق الانسان
يعني آدم من طين ثم جعل نسله ذريته من سلالة شيء استل وانفصل
من ماء مهين حقير مبتذل ثم سواه قومه والضمير لادم او لنسله ونفخ
فيه من روحه الاضافة للتشريف نحو بيت الله وجعل لكم فيه التفات
من مفرد غائب الى جمع مخاطب السمع والابصار والافئدة لتسمعوا
وتبصروا وتعقلوا فتشكروا ونكتة افراد السمع قد ذكرنا في اول سورة البقرة
قليلا ما تشكرون ما مزيدة للتاكيد اي تشكرون شكرا قليلا وقالوا ائذا
شكرهم ائذا ضللنا في الارض بان تمزقت اجسامنا وصرنا
ترابا وغبارا في الارض ائنا لفي خلق جديد قدم اعرابه ومعناه غير مرة
بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب عن معنى استفهامهم كانه قال ليسوا
مستفهمين بل كافرون جاحدون بلقاء الله والصيرورة الى جزائهم
قل يتوفاكم يستوفي روحكم ويميتكم ملك الموت الذي وكل بكم بقبض
روحكم في حديث رواه ابن ابي حاتم وغيره ان ملك الموت قال يا محمد
ما في الارض بيت الا انا اتصفحهم كل يوم خمس مرات حتى اني لصغيرهم وكبيرهم

اعرف منهم بانفسهم ثم الى ربكم ترجعون للجزاء ولما تقرر دليل البعث
بما لا خفاء فيه شرع بقص بعض احوالهم عند ذلك فقال ولو ترى اذ
المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم اي لو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيمة
مطرقي رؤسهم من الذل والحزن والخجل والندم بين يدي ربهم وجواب لو
مقدر اي لرأيت العجب العجاب ولو واذ كلاهما للمضي ووقوعهما هنا
الا انه لان المترقب الذي اخبره الله بمنزلة شيء مضى ربنا قائلين ربنا
ابصرنا وسمعنا ايقنا حقيقة الامر وكنا عميا وصما فزال عنا او ابصرنا
ما كنا نكذبه وسمعنا ما كنا ننكره من لسان رسلك فارجعنا الى الدنيا
نعمل عملا صالحا ونترك ما كنا نعمل انا موقنون البعث وزالت عنا
الشكوك ولا تقدر لترى مفعولا يعني لو تكون منك رؤية في هذا الوقت
او اذ مفعول ترى عند من يجوز خروجه عن الظرفية او تقدر ما يدل
عليه الظرف ولما طلبوا الرجوع الى الدنيا لئن يهتدوا فيها اتبعه
ان شقاوتهم بارادة الله تعالى ولولا ها لعدناهم في الدنيا فقال ولو
شئنا سعادتهم لآتينا كل نفس هداها ما تهتدي به نحو ولو شاء
الله لهدى الناس جميعا ولكن حق القول مني سبق وعيدي بقولي
لاملان جهنم من الجنة والناس اي من هولاء المجرمين من الجنة والناس
اجمعين وهم الكفار فذوقوا اي والله لاملان قائلا لهم فذوقوا على
التقريع ليكون لهم العذاب الجسماني والروحاني بما نسيتم لقاء
يومكم هذا اي بسبب ترككم الفكر في العاقبة انا نسيناكم تركناكم
لا نلتفت اليكم فذكر نسيانا ان الله على المقابلة وذوقوا عذاب
الخلد عذابا لا يزول عنكم بما كنتم تعملون ما موصولة اي تعملونه من
عبادة الاصنام وسائر المعاصي او مصدرية وقوله هذا صفة يومكم
ومفعول ذوقوا مقدر وقيل هذا مفعول ذوقوا وايم الله لو اراد الله
هداية المعتزلة لكفاهم هذه الاية انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا
وعظوا بها خروا سجدا سقطوا على وجوههم ساجدين كان الخرور
منه الوعظ طبعهم وجبلتهم من غير كلفة واختيار وسبحوا بحمد ربهم
سبحوه عن النقص حامدين له وهم لا يستكبرون عن طاعة ربهم

تتجافى مستأنفة جنوبهم في نسبة التجافي الى الجنب مبالغة كمبالغة
قوله جزوا عن المضاجع عن فراش نومهم يدعون ربهم داعين اياه
خوفا وطمعا من عقابه وفي ثوابه نصبهما بالمفعول له وقيل مصدران
في موضع الحال والمراد التهجد وقيام الليل على الاصح ومما رزقناهم
ينفقون في مصارف الخير عطف على يدعون فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم ما موصولة مفعول تعلم بمعنى تعرف حتى لا يتعدى
الا الى واحد من قرة اعين مما تقر به عيونهم ومن لبيان ما جزاء
بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي للجزاء ونعم ما قيل اخفوا اعمالهم
فاخفى الله ثوابهم ففي الصحيحين من القدسيات اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن طاعة الله لا يستوون
في المثوبة فان المؤمن في سرور وقرة اعين والفاسق في جهنم ذائقا
لعذاب الخلد غير ملتفت اليه وجمع يستوون للحمل على المعنى
نزلت في علي بن ابي طالب والوليد اخي عثمان بن عفان لامه
حين قال لعلي ما انت الا صبي وانا والله ادلق منك لسانا واحد
سنانا واشجع جنانا فقال له علي اسكت فانك فاسق اما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى هي المأوى الحقيقي
لا الدنيا نزلا بما كانوا يعملون النزل ما يحضر للنازل قبل الضيافة
منصوب على الحال من جنات ان جعلتها فاعل لهم والا فمن
ضميرها واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا استئنافة لتبيين
ان النار مأواهم ان يخرجوا منها فصعدوا الى ابواب جهنم اعيدوا
فيها الى اسفل وهو مأواهم وفي ذلك عذاب آخر وقيل لهم اهانة
ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون تكذبون بهذا العذاب
ثم بين ان هذا التعذيب عدل منه لا ظلم فقال ولنذيقنهم من
العذاب الادنى هو المصائب في الدنيا من القتل والاسر والنهب
والقحط وغيرها دون العذاب الاكبر من النار وعذاب الخلد لعلهم
يرجعون عن كفرهم فلا يقعوا في العذاب الاكبر ومن اظلم ممن ذكر

بآيات ربه ثم اعرض عنها يعني من اظلم ممن اذقناه المصائب المذكورة
مدة متطاولة وارينا فيها الآيات ثم بعد تلك المدة خاتمة امره
الاعراض فثم وقع موقعه وفي سورة الكهف فاعرض بالفاء لانه
ما ذكر الا جدالهم مع الرسل واتخاذ الآيات هزؤا فما هو الا انهم
انكروا بادي الرأي من غير تأمل فالفاء مناسب انا من المجرمين منتقمون
عام في كل مجرم ومن متعلق بمنتقمون ولما قرر الاصول الثلاثة التوحيد
والمعاد والرسالة عاد الى امر الرسالة الذي بني السورة له فقال
ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية من لقائه
الضمير لموسى مضاف اليه على طريق المفعول والفاعل ضمير الرسول محذوف
اي من لقائك موسى والمراد ليلة الاسراء كما وصفه صلى الله
عليه وسلم انه آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة وقيل من
لقاء موسى ربه بعد الموت فاطمع ايضا انت في ذلك ورد في الطبراني
حديثا في ذلك وقيل من تلقي موسى الكتاب بالرضاء والقبول
وجعلناه اي الكتاب او موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم من
بني اسرائيل ائمة يهدون الناس بامرنا الذي امرنا الناس في الكتاب
لما صبروا على اوامره ومصائبه علة للجعل وقرئ لما بكسر اللام وتخفيف
الميم وكانوا بآياتنا يوقنون وفي هذه الآية وعد وتسلية لنبيه
وارشاد لامته ان ربك هو يفصل يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا
فيه يختلفون فيميز المحق والحق من المبطل والباطل اولم يهد لهم اي للمبطل
كم اهلكنا من قبلهم من القرون قد مر في سورة طه يمشون في مساكنهم
ان في ذلك لآيات حين اسفارهم فيرون آثار البلاء عليهم
افلا يسمعون سماع اتعاظ فيتعظوا من سماع احوالهم اولم يروا انا
نسوق الماء اولا اقام الحجة على المشركين بالامم السالفة ثم اقامها
عليهم باظهار قدرته المرئية المنبهة على البعث والاظهر ان المراد من
سوق الماء المطر الى الارض الجرز التي قطعت نباتها فنخرج به بالماء
زرعا تأكل منه من الزرع انعامهم من اوراقه وحبه وانفسهم من
حبوبه وقدم الانعام لتقدم اكلها من الزرع والانسان قد يتغذى

من غير الزرع والعرب يقدم انعامهم على انفسهم فيسكن في غير سكن
لرعدد وابهم افلا يبصرون ليروا تلك الاية البينة فمن راها واصر
ولم ينتبه فليس له بصر ولا بصيرة ولما كانت الاية ادل دليل على
البعث اتبعها لحجهم باستهزائهم تعجيبا من عميهم وعماهم فقال
فقال ويقولون متى هذا الفتح الذي تزعم ظهورك فيه حين قال ان
ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة ان كنتم صادقين ان لكم يوم فتح
وغلبة وانتقام منا قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا قبله ايمانهم اي
لا ينفع يوم الفتح ايمانهم وهو يوم حلول عذاب الله وكان غرضهم
الايمان ان نزل عليهم من السماء بلاء ولا هم ينظرون يمهلون لان
يومنوا فاعرض عنهم ولا تبال باستهزائهم وانتظر موعد النصر انهم
منتظرون حوادث الليالي عليك وقيل انهم منتظرون عذاب
الله عليهم وان كانوا لا يشعرون روى الامام احمد انه صلى الله
عليه وسلم لا ينام في الليالي حتى يقرا تبارك والم السجدة فيارب وفقنا على اتباعه

سورة الاحزاب مدنية وآيها ثلاث وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله اثبت على تقواك
ولا تطع الكافرين والمنافقين المنقول ان بعض قريش نزلوا على
منافقي يهود المدينة بامان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
بخداع من اليهود يا محمد ارفض ذكر الهتنا بسوء وندعك وربك
فاخرجهم النبي من المدينة فنزلت اي لا تطع الكافرين من اهل مكة
ولا المنافقين من اهل المدينة ولا تقبل لهم رايا ولا مشورة واحترس
منهم ان الله كان عليما بالصواب من الخطا والمصلحة من المفسدة
حكيما لا يضع الاشياء الا مواضعها منوطة بالحكمة واتبع ما يوحى
اليك من ربك لا تخالفه ان الله كان بما تعملون خبيرا وقراءة
يعملون بالغيبة معناه انه خبير بمكائد الكفار والمنافقين فلا تبال
وتوكل على الله وكفى بالله الباء في فاعل كفى مزيدة وكيلا موكولا اليه
جميع امورك ولما نهاه عن طاعة المعاندين لاهل الدين وامره
بالتوكل والتوجه بالكلية اليه تعالى نبه نبيه انه لا يجتمع الاقبال على

الله بالكلية والتوجه الى الغير الا بان يكون لشخص قلبان وهذا امر
لا يمكن فقال ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه لان القلب سلطان
وجميع الجوارح رعاياه وقد علمت نقلا وعقلا انه لا يجتمع سلطانان
في بلد واحد ولان اعمال القلبين يودي الى ان الشخص الواحد ربما يكون
محبا كارها عالما جاهلا في حالة واحدة وفائدة في جوفه سرعة انكار
القلبين لمن تصوره وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم
في الجاهلية تحصل بالمظاهرة الفرقة الكلية بين الزوجين وتصير الزوجة
كالام لا يمكن بينهما الازدواج بعدها ابدا والظهار ان يقول الزوج لزوجته
انت كظهر امي وهو مبين في كتب الفقه فقال الله ان امهاتهم الا اللائي
ولدنهم فالامهات محذورات والزوجات للفراش خادمات
ولا يمكن الاجتماع والتعدية بمن لتضمن معنى التجنب والتباعد وما جعل
ادعياءكم ابناءكم لا يصير الدعي الذي دعاه وسماه ابنا مع انه غير مولود
ابنا حقيقيا اصيلا لانه لا يجتمع في شخص انه اصيل وغير اصيل ويكون
لواحد ابوان والبنوة ذاتي والتبني عارضي ولا يمكن اجتماعهما في شيء وعن
بعض السلف ان الاولين للثالث يعني كما لا يكون لرجل قلبان ولا يصير
غير الام اما كذلك لا يكون الدعي ابنا فلا تسمتوا زيد بن حارثة الذي
تبناه النبي قبل النبوة زيد بن محمد ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقوله
بعده ذلكم قولكم بافواهكم الى قوله وكان الله غفورا رحيما مشعر بما اختاره
وعن كثير من السلف ان الاول نزل في شخص يقال له ذو القلبين يقول ان
لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد ذلكم اشارة الى الاخير وقيل الى
المجموع قولكم بافواهكم لا حقيقة له والله يقول الحق المطابق للواقع وهو
يهدي السبيل يهدي لعباده الطريق الحق ادعوهم لابائهم فلا تقولوا
زيد بن محمد هو راجع الى مصدر ادعوهم اقسط عند الله ادخل الامرين
في القسط والعدل فان لم تعلموا اباءهم حتى تنسبوهم اليهم فاخوانكم
في الدين ومواليكم اي فهم اخوانكم من جهة الدين واولياؤكم فيه
فقولوا لكل من لا تعلموا اباه اخي ومولاي وليس عليكم جناح اثم فيما
اخطاتم به على النسيان او سبق اللسان او نسبتموه الى احد ظنا خطا

وعليكم خبر مقدم وفي متعلق بجناح ولكن ما تعمدت قلوبكم عطف
على ما اخطأتم او ما مبتدأ وخبره مقدر اي لكن ما تعمدت قلوبكم
فيه الجناح قال صاحب الرضي الاولى كما قاله الجزولي ان لكن بدون
الواو عاطفة ومعها فالواو هي العاطفة ولكن لمجرد معنى الاستدراك
وكان الله غفورا رحيما وفي الحديث ملعون من نسب الى غير ابيه
وروى الامام احمد في مسنده ان في القران المنسوخ ولا ترغبوا
عن اباءكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن اباءكم النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم اعطف واراف واحق قال صلى الله عليه وسلم انا آخذ بحجزكم
عن النار وانتم تقتحمون فيها تقحم الفراش وفي البخاري وغيره والذي
نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وماله وولده
والناس اجمعين وازواجه امهاتهم في التوقير وتحريم نكاحهن على
التابيد لا في النظر والخلوة وقد صح عن عائشة ان لا يقال امهات
المؤمنات واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الارث وكان
اولا بالمدينة توارث باخوة الاسلام وبالهجرة وهذه الاية ناسخة
في كتاب الله في حكمه او في اللوح المحفوظ او في القران باية في آخر الانفال
وهي قبل هذه نزولا من المؤمنين والمهاجرين متعلق باولى اي هم
بحق القرابة اولى بالميراث منهم بحق الايمان والهجرة الا ان تفعلوا الى
اوليائكم معروفا استثناء منقطع اي لكن فعلكم الى احبائكم معروفا
جائز يعني ذهب الميراث وبقي البر والاحسان والوصية كان ذلك
في الكتاب مسطورا اي هذا الحكم وهو ان اولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض في الكتاب القديم الذي لا يبدل مسطور وان كان الله شرع
خلاف ذلك في وقت لما له من الحكم والمصالح فيه اشارة الى دفع
طعن الملحدين في النسخ بانه ليس من باب البدا فانه غير جائز على من
لا يخفى عليه شيء ولما كان تغيير المالوف شديدا على النفوس وقد ذكر
اشياء من تغيير المالوف بين ان اقامة الدين هو عهد وميثاق
مع اول الرسل واخرهم فقال واذ اخذنا مقدر باذكر من النبيين
ميثاقهم في اقامة الدين وابلاغ الوحي ومنك يعني محمدا خاتم

الانبياء

الانبياء ومن نوح وهو اقدم اولي العزم وابرهيم وموسى
وعيسى بن مريم صرح بعد التعميم اسماء اولي العزم المتوسطين بينهما
لشرفهم وقدم خاتمهم لشرفه عليهم الصلوة والسلام واخذنا منهم
ميثاقا غليظا عهدا شديدا موكدا هذا الميثاق هو الميثاق الاول
بعينه كانه قال اخذنا منهم ميثاقهم ميثاقا غليظا فمحمد صلى الله
عليه وسلم داخل في اخذ الميثاق الغليظ والغلظ في الاجرام
استعير للمعنى ليسال الصادقين عن صدقهم فيه التفات من التكلم
اي فعل ذلك ليسال الصادقين اي الانبياء الذين صدقوا
عهدهم عن صدقهم تبليغهم ما اوحي اليهم تبكيتا للمنكرين الكافرين كما قال
لعيسى ءانت قلت للناس اتخذوني الاية قيل المراد ان الله يسال
الصادقين اي الانبياء عن تصديق الامم اياهم قال الله فلنسألن
الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين قيل ليسال الله يوم القيمة
المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين قالوا بلى عن صدقهم عهدهم
فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وامنوا واعد للكافرين
عذابا اليما عطف على ما دل عليه ليسال كانه قال فاثاب المؤمنين
واعد او عطف على اخذنا والمعنى اكد على الانبياء الدعوة الى
دين الله لاجل اثابة المؤمنين واعد للكافرين والحاصل انه اخذ
المواثيق على الانبياء في التبليغ لكي يجعل من يبلغ اليه فرقتين فرقة
يسألها عن صدقها فتجيب بانا صدقنا الله في ما امر ونهى فيثيبها
على ذلك وفرقة كفرت فينالها ما اعد لها من العذاب لما امر
نبيه في اول السورة بالتوكل على الله في دفع المعاندين وما وقع
في البين الى هذه الاية من متفرعات التوكل كما اشرنا اليه ذكره من
نعمه ما هو محض حماية الله وعنايته ليرى فائدة التوكل فيزيد وثوقه
فقال يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود
اي انعام الله عليكم وقت مجيء الجنود وذلك في غزوة الاحزاب
حين اجتمع المشركون من قريش واهل الكتاب كيدا واحدا وهم نحو
من خمسة عشر الفا وجاؤوا الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه

وسلم بحفر الخندق بشورة سلمان وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا وهم
كانوا ثلثة الاف فالخندق اثني عشر الف ذراع فنزل الاحزاب
خلف الخندق وزعموا انهم لا يرجعون وقد بقي للاسلام باقية ومضى
على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة
وظهر نفاق المنافقين واشتد الخوف على المؤمنين وتفصيل الحكاية
مسطور في السير فارسلنا عليهم ريحا اي الصبا كما قال صلى الله
عليه وسلم نصرت بالصبا وجنودا لم تروها من الملائكة جاز ان
يكون من رؤية البصر او القلب ارسل الله في ليلة مظلمة باردة
ريحا صرصرا فاطفات نيرانهم واكفات قدورهم وجفانهم
وسفت التراب في وجوههم ورمتهم بالحجارة وهدت خيامهم
خيامهم واوهنت بالبرد عظامهم وماجت خيولهم وقذف
الرعب في قلوبهم والارتعاش في جنوبهم وكبرت الملائكة من
جوانبهم فارتحلوا فارين خائفين خائبين فما اغنت عنهم قوتهم
وكثرتهم وكان الله بما تعملون بصيرا فدبر ما دبر اذ جاؤكم الاولى
ان يكون بدلا من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل
المشرق ومن اسفل منكم من قبل المغرب تحزبوا وقالوا نحيط
بهم ونستاصلهم ولهذا قيل اراد بهذا المبالغة يعني جاؤكم
من جميع الجهات محيطين بكم لتخويفهم العذاب من
فوقهم ومن تحت ارجلهم واذ زاغت الابصار مالت ابصار
المؤمنين عن سننها حيرة لشدة الامر قال الفراء زاغت عن
كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها وبلغت القلوب الحناجر رعبا
هذا مثل في الاضطراب وقيل اذا انتفخت الرئة من فزع او غضب
ارتفع القلب بارتفاع الرئة الى راس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم
وتظنون بالله الظنونا ظن كل المؤمن الخالص والمؤمن الضعيف
والمنافق مختلف قال بعض المنافقين كان يعدنا محمد كنوز كسرى
وقيصر والان لا نقدر الذهاب الى الغائط والالف زيدت
تشبيها للفواصل بالقوافي هنالك ظرف مكان للبعيد هذا

اصله فاستعمل هنا في البعيد عن وقوع مثله ابتلي المؤمنون اختبروا
فيظهر قوي الايمان من ضعيفه ومخلصه عن منافقه وزلزلوا زلزالا
شديدا يعني الخوف ازعجهم اشد ازعاج واذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض نشأت منه شبهة لم تطمئن بها قلوبهم
على الايمان فهم قوم من الكفرة غير المنافقين وقيل هذا من باب الى الملك
القرم وابن الهمام ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وعدا من غير وفاء
استهزؤا حين قالوا الله ورسوله واذ قالت طائفة منهم
هم المنافقون يا اهل يثرب كان اسما للمدينة لا مقام لكم لا موضع
قيام لكم هنا اي عند رسول الله في مقام المرابطة فارجعوا الى بيوتكم
قيل الى دينكم الاول امروهم بالفرار ويستاذن فريق منهم النبي للرجوع
فانهم خارجون من المدينة بحيث اسندوا ظهورهم الى جبل سلع ووجوههم
نحو العدو والخندق بينهم يقولون ان بيوتنا عورة مكشوفة للعدو
او غير حصينة يخاف عليها السرق جملة حالية اي قائلين وما هي
بعورة فانها حصينة ان يريدون الا فرارا قال الضحاك رجع ثمانون
من غير اذن ولو دخلت عليهم من اقطارها ولو دخلت الاحزاب
بيوتهم من جوانبها من قولهم دخلت على فلان داره ثم سئلوا الفتنة
سال الاحزاب من قال ان بيوتنا عورة الفتنة اي الردة ومحاربة
المسلمين لاتوها لاعطوها واجابوا الفتنة وقبلوا الارتداد ومحاربة
المسلمين وما تلبثوا بها الا يسيرا ما لبثوا عطاء الفتنة الا تلبثا يسيرا
قدر سؤال وجواب وقيل قدر ما ياخذون سلاحهم يعني اسرعوا اجابتهم
لحبهم الكفر والكفار وقيل معناه ما لبثوا بعد ارتدادهم بيوتهم الا يسيرا
من الزمان لهلاكهم او لاخراجهم المؤمنون ولقد كانوا عاهدوا الله
من قبل لا يولون الادبار الاولى ان يكون الواو للحال اي اسرعوا الى
الكفر ومحاربة المسلمين والحال انهم والله لعاهدوا وقيل تلك المحاربة
ان لا يفروا من الزحف فقوله لا يولون جواب القسم جاء على المعنى
حيث لم يقل لا نولي الادبار وكان عهد الله مسؤلا عن الوفاء به قل
لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فلا محالة يصل الى كل منكم

الموت حتف انفه او القتل في وقت معين واذا لا تمتعون
بالحيوة بعد الفرار الا قليلا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا يعني لو
فرضتم انه ينفعكم لا ينفعكم الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم
من الله اي لا احد يعصمكم منه ان اراد بكم سوءا مصيبة او اراد
بكم رحمة عطف على اراد والعصمة بمعنى المنع مجازا اي من ذا
يمنع رحمة الله منكم ان اراد بكم رحمة قيل عطف على من ذا التقديره
من ذا الذي يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة نحو متقلدا سيفا
ورمحا اي ومعتقلا رمحا جواب الشرطين محذوف دل عليه ما قبلها
يعني لا ينفعكم الفرار لان مجي الاجل لا بد منه ولا يعصمكم منه احد
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع ضررهم
قد يعلم الله المعوقين منكم الذين يعوقون المسلمين عن معاونة
سيد العالمين وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من
ساكني المدينة هلم الينا فنحن في ظلال وراحة في بيوتنا قد صرح
النحويون ان هلم يجي لازما نحو هلم الينا اي اقبلوا ويجي متعديا نحو
هلم شهداءكم اي احضروهم قد ارسلت اليهود الى المنافقين
يخوفونهم قائلين هلم الينا والمنافقون يخوفون المومنين قائلين
انطلقوا معنا الى اخواننا يعني اليهود ولا ياتون الباس الحرب
مع المومنين الا قليلا لا يبارزون الا شيا قليلا نحو ما قاتلوا الا
قليلا او لا يحضرون الا زمانا قليلا ثم يعتذرون ويرجعون
قيل هذا من تتمة قولهم يعني هلم الينا فان المومنين لا يحاربون
الا زمانا قليلا فانهم اكلة راس اشحة عليكم حال من فاعل
ياتون ولا ياتون حال من ضمير القائلين او هما حالان من ضمير
القائلين يعني بخلاء بالشفقة او بالنفقة او في الغنائم فاذا جاء
الخوف وقت الحرب رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم
في احداقهم تدور حالية من الضمير في ينظرون وينظرون حال من
ضمير رايتهم كالذي يغشى عليه من الموت اي دورانا كدوران من
يغشى او ينظرون اليك نظرا كنظر الذي يغشى عليه من معالجة سكرات المو

لواذا

لواذا بك فاذا ذهب الخوف وجاء وقت قسمة الغنائم سلقوكم بسطوا
السنتهم فيكم بالسنة حداد كالاسنة اشحة على الخير بخلاء على
الغنيمة قيل لا يصل الى احد خيرهم ونفعهم لا في الحالة الاولى ولا الاخيرة
عليكم فهم جمعوا بين البخل والجبن وقلة الحياء وعدم الوفا اولئك
لم يؤمنوا وان امنوا بالسنتهم فاحبط الله اعمالهم ابطل جهادهم
واعمالهم الخير وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا كما وقع في حديث
ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله في اي واد اهلكه وهذه الكناية عن
اهانتهم بخلاف المومنين فانهم ذو خطر عند الله وابطالهم ليس بهين
يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي يحسب المنافقون لجزعهم وسوء
ظنهم ان الاحزاب لم ينهزموا وان غابوا وظنوا انه خداع والحال انهم
قد انهزموا خائبين ولم يذهبوا في موضع المفعول الثاني ليحسبون وان
يات الاحزاب مرة اخرى يودوا تمنوا لخوفهم وعدم يقينهم مع ما راوا
من كيفية فرارهم لو انهم بادون في الاعراب مقيمون في البدو مع
الاعراب ليكونوا سالمين من القتال يسالون القادمين عن المدينة
عن انبائكم يتعرفون احوالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة فرقا وجبنا ولو
كانوا فيكم حاضرين في الحرب في هذه الكرة ما قاتلوا الا قليلا نفاقا
ورياء كما فعلوا قبل ذهابهم ولما اخبر عنهم بحال هي غاية المخالفة عن
طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه الى الكل فقال لقد كان لكم
ايها المومنون في رسول الله اسوة اي قدوة حسنة قاتل بنفسه
فكسرت رباعيته وشج وجهه الكريم وقتل عمه واوذي ضروبا من الايذاء
فاقتدوا به ولا ترغبوا بانفسكم عن نفسه ولكم خبر كان وفي متعلق
بمتعلق لكم او بكان وجاز ان يكون في رسول الله خبرا ولكم تبيين وهو من
باب التجريد جرد من نفسه الزكية شيا هو القدوة لمن كان بدل
بعض من لكم ولا يبدل من ضمير المتكلم ولا من المخاطب بدل الكل
الا على مذهب الكوفيين والاخفش وعندي فرق بين قولك نظرت
اليك زيد ونظرت اليك الى زيد فان الثاني جائز نحو للذين استضعفوا
لمن امن منهم وليس ببدل من الضمير بل من الجار والمجرور يرجوا الله

لقاءه واليوم الآخر نعيمه وذكر الله كثيرا فالمقتدي برسول الله من
كان كذلك لما اخبر عن حال المنافقين وقولهم ما وعدنا الله ورسوله
الا غرورا بين حال المؤمنين وقولهم فقال ولما راى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله في الوعد
لم يقل وصدقا للتلذذ بصريح الاسم ولما قيل الجمع بين اسم الله ورسوله
في الضمير سوء ادب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب
حين قال ومن يعصهما يعني الله ورسوله وما زادهم اي البلاء والضيق
الا ايمانا بالله وتسليما انقيادا لما امر ونهى ووعد الله قوله ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم الآية هذا قول كثير من السلف وعن
بعض منهم انه صلى الله عليه وسلم قال ان الاحزاب سائرون اليكم
تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه من الثبات والمحاربة مع اعداء الله يقال
صدقت زيدا الحديث وفي الحديث واصله بحرف الجر ثم اتسع
وحذف حرف الجر يعني صدقوا الله فيما عاهدوا فمنهم من قضى
نحبه النحب النذر فانه نذر ان ينصر رسول الله او يموت دونه فخرج
من عهدته واستشهد كحمزة وانس بن النضر وفي الصحاح قضى نحبه
اي مات فمعناه منهم من استشهد ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان
وما بدلوا تبديلا ما غيروا شيئا من النذر والعهد فيه تعريض على المنافقين
ليجزي الله الصادقين بصدقهم اللام متعلق بما بدلوا مع ما يفهم
منه بالتعريض كانه قال ما بدل المؤمنون وبدل المنافقون ليجزي
او متعلق بمعنى ولما راى المؤمنون الاحزاب كانه قال انما ابتلاهم
الله برؤية هذا الخطب ليجزي ويعذب المنافقين ان شاء بان
يديمهم على النفاق حتى يموتوا عليه او يتوب عليهم يقبل توبتهم
ان تابوا ان الله كان غفورا رحيما فيقبل توبة من تاب ورد
الله الذين كفروا رد الاحزاب عن المدينة بغيظهم مغيظين والباء
للمصاحبة لم ينالوا خيرا اي مالا ونفعا حال ثانية او من ضمير بغيظهم

ظ
ولما راى المؤمنون الاحزاب

فهوا

فهوا اما حال متعاقبة او متداخلة وكفى الله المؤمنين القتال بالريح
والملائكة فلم يحتج المؤمنون الى قتال وكفى الله مداومة القتال فلم تغز
قريش المؤمنين بعد الخندق وكفى هنا بمعنى وقى للتعدي الى اثنين
وقليل في كلام العرب ان فاعل كفى بمعنى حسب يستعمل بغير باء زائدة
وكان الله قويا على ايجاد ما يشاء عزيزا غالبا غير مغلوب وانزل الله
الذين ظاهروهم عاونوا الاحزاب من اهل الكتاب بني قريظة
نقضوا عهد رسول الله مع ان آباءهم نزلوا الحجاز قديما طمعا في
متابعة النبي الامي المكتوب في التورية فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
به من بيان للذين من صياصيهم يعني انزل من حصونهم وقذف
في قلوبهم الرعب القى الخوف فيها فريقا تقتلون اي تقتلون
رجالهم قدم المعمول للاهتمام والتخصيص في قتلهم وتاسرون فريقا
نساءهم وذراريهم واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم بيوتهم وحصونهم
واموالهم كالنقود والمواشي وارضا لم تطؤها فيها خلاف اهي مكة
او خيبر او فارس والروم عن عكرمة كل ارض تفتح الى القيمة وكان
الله على كل شيء قديرا لما انهزمت الاحزاب ورجع المؤمنون الى
المدينة جاء جبريل على فرس معتجر وجهه وسرجه قائلا اوقد وضعت
السلاح لا والله ما وضعت الملائكة بعد اخرج الى بني قريظة فان
الله داقهم دق البيض على الصفا فاذن رسول الله بان لا يصلي
العصر احد الا في بني قريظة فمنهم مصل في الطريق وراى ان هذا من
باب الاستعجال ومنهم مصل بعد العشاء وكل مصيب فحاصرهم
خمسا وعشرين يوما فنزلوا على حكم سعد بن معاذ بعد ما ابوا ان ينزلوا
على حكم رسول الله فحكم بما هو في القرآن وقال صلى الله عليه وسلم
لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع ارقعة ثم استنزلهم في خندق
في سوق المدينة وضرب اعناق ستمائة او اكثر الى تسعمائة وتفصيله
في كتب السير ولما امر نبيه من اول السورة بالتقوى والتوكل وحب
الدنيا رأس كل خطيئة فلا يناسب ان تكون الدنيا في بيته واهل بيته
من اهلها فقال يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة

الدنيا السعة والمال وزينتها فتعالين امتعكن اعطكن متعة الطلاق
واسرحكن اطلقكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار فاخذ متعتها وترك
رسول الله وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله
اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا من للتبيين
فكلهن محسنات وذكر المحسنات لان نعلم ان الاجر للاحسان
لما فتح الله لنبيه بالغنائم قعدت ازواجه حوله وقلن يا رسول الله
بنات كسرى وقيصر في حلي وحلل واماء وخول ونحن على ما ترى من
فاقة وآلمن قلبه المنور فامره الله بان يتلو عليهن ما نزل في امرهن
فتلا اولا على عائشة فاختارت الله ورسوله ثم اخترن كما اختارت
ولما ان وقعت تلك الخطيئة منهن ورجعن عنها هددهن وادبهن
الله عناية وحماية فقال يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة
مبينة ظاهرة قبحها عن ابن عباس هي النشوز وسوء الخلق وايلام قلبه
يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن فان الذنب
اقبح من العارفين وكان ذلك اي تضعيف عذابهن على الله يسيرا
لا ينظر الى كونهن نساء نبيه بل هو السبب في التضعيف ومن يقنت
يطع منكن لله ورسوله فلا يغاضبه غير مولم قلبه وتعمل صالحا بما امر ونهى
وتعمل بالتاء الفوقانية محمول على معنى من نؤتها اجرها مرتين مثلي
ثواب غيرها واعتدنا لها رزقا كريما حلالا من غير تعب في الدنيا
وفي الآخرة ما لا عين رأت وذكر صيغة الماضي لتحققه واستيفائهن
ثم خاطبهن مجاملهن وقال يا نساء النبي لستن كاحد من النساء يعني
اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم يوجد منها جماعة واحدة
تساويكن في الفضل وعند صاحب البحر معناه ليس كل واحدة
منكن كشخص واحد من نساء عصركن وذكر ان احد الذي يستعمل
في النفي العام مخصوص بذوي العقول بخلاف واحد ثم ذكر ان النحويين
صرحوا ان مادة احد الذي للعموم همزة وحاء ودال ومادة احد بمعنى
واحد اصله واو وحاء ودال فقد اختلفا مدلولا ومادة ان اتقيتن
راعيتن التقوى الظاهر ان جواب ان محذوف دل عليه ما قبله

فلا تخضعن

فلا تخضعن بالقول لا تكلمن كلاما لينا خنثا يعني لا بد من الغلظة في المقالة
مع الاجانب لا كما كانت الحال في نساء العرب من مكالمة الرجال
برخيم الصوت ولينه وجاز ان جواب ان قوله فلا تخضعن اي ان
اردتن التقوى فلا تخضعن قال صاحب البحر اتقى بمعنى استقبل معروف
في اللغة وعندي ان هذا المعنى هو الاولى اي ان استقبلتن احدا
فلا تخضعن له بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وريبة وقلن قولا
معروفا بريئة الشرع والعقل وقرن في بيوتكن بكسر القاف من وقر
يقر فهو كعد او من قر يقر حذفت الاولى من رائي اقررن ونقلت
كسرتها الى القاف كظلن وبفتح القاف من قررت في المكان
يقرن واصل امره اقررن نقلت حركة الراء الى القاف وحذفت
همزة الوصل ثم حذفت لام الكلمة نحو ظلن ولا تبرجن قال الزجاج
التبرج اظهار ما يستدعي شهوة الرجال تبرج الجاهلية الاولى جاهلية
الكفر او المراد الجاهلية القديمة او المراد زمن نمرود فان نساءهن تلبس درعا
مزينا وتعرض نفسها على الرجال واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن
الله ورسوله عمم بعد ما خص انما يريد الله من الاوامر والنواهي ليذهب
عنكم الرجس خباثت القلب اهل البيت نصب على النداء او المدح
ويطهركم عن الذنوب تطهيرا في الصحاح والحسان انه صلى الله
عليه وسلم ادخل عليا وفاطمة وابنيهما تحت كساء وقال اللهم
هؤلاء اهل بيتي فاذهب الرجس عنهم وطهرهم تطهيرا وفي مسند
الامام احمد وغيره ان ذلك في بيت ام سلمة قالت فادخلت
راسي البيت وقلت انا معكم يا رسول الله فقال انك الى خير انك
الى خير والاصوب ان ازواجه المطهرات من اهل بيته والآية
فيهن واذا كانت الازواج من اهل البيت فهؤلاء احق واولى او مثل
واعلى كما قلنا ونقلنا في آية لمسجد اسس على التقوى واذكرن ما يتلى
في بيوتكن من آيات الله والحكمة امرهن ان لا ينسين النعمة الجليلة
القدر من الكتاب الجامع بين الامرين فيعرفن قدرها ويشكرن
او المراد من الحكمة ما كان من سننه ونصائحه عليه الصلوة والسلام

ان الله كان لطيفا خبيرا فيعلم ما ينفعكم في الدنيا والدين والظاهر
والباطن لما ذكر ما هو خاصة لاهل بيته ونصحهم عمم الوعد والنصح
للرجال والنساء فقال ان المسلمين المنقادين لامر الله والمسلمات
روى النسائي وغيره عن ام سلمة انها قالت يا نبي الله ما لنا
لا نذكر في القران كما تذكر الرجال فنزلت والمؤمنين المصدقين
بما يجب التصديق به والمؤمنات والقانتين المداومين على
الطاعة والقانتات والصادقين في كل حال وشيء والصادقات
والصابرين على ما اصابهم والصابرات والخاشعين المتواضعين
الخاضعين والخاشعات والمتصدقين المحسنين الى الخلق
والمتصدقات والصائمين عن كثير من السلف من صام بعد
رمضان ثلثة ايام من كل شهر دخل في الصائمين والصائمات
والحافظين فروجهم عن الحرام والحافظات والذاكرين الله
كثيرا والذاكرات روى النسائي وابن ماجه وابن ابي حاتم ان
من ايقظ امراته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من
الذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة لذنوبهم واجرا
عظيما لا يعرف احد قدره ما عظمه الله ولما ذكر ان النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وحرض امته على طاعته وحذرهم عن مخالفته اتبع
ذلك بقوله وما كان ما صح وما استقام لمؤمن ولا مؤمنة اذا
قضى الله ورسوله امرا حكم بشيء ان يكون لهم الجمع للمعنى فان المؤمن
والمؤمنة وقع تحت النفي الخيرة من امرهم ان يختاروا من امر الله
ورسوله فضمير الجمع للتعظيم حيث لم يقل من امرهما فلا يجوز لهم العدول
عما اختار رسول الله ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا
مبينا خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت اميمة بنت
عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فامتنعت وابت فلما نزل
قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الاية عنا بالها رضيت واجابت
واذ تقول الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقدرا باذكر
للذي انعم الله عليه بالاسلام وانعمت عليه بالعتق والمحبة وهو

زيد اشتراه في الجاهلية واعتقه وتبناه وزوجه في الاسلام زينب
امسك عليك زوجك زينب حين شاورك في طلاقها وهذا
نحو نهي اليك حيث لم يقل على نفسك وقدم واتق الله فان
ابغض الحلال الى الله الطلاق فلا تطلقها وتخفي عطف على تقول
في نفسك ما الله مبديه شيا الله مظهره وهو مودة مفارقة زيد
اياها فقد مال اليها قلبه الانور بعد ان تزوجها زيد او هو علمه باعلام
الله ان زيدا سيطلقها ورسول الله ينكحها صرح بذلك علي بن الحسين
وتخشى الناس عن قالتهم وتعييرهم بان محمدا مال الى زوجة مولاه
وتزوج زوجة ابنه يعني دعيه والله احق ان تخشاه فلا تظهر
بلسانك ما ليس تحب بقلبك او فلا تامر بشيء تعلم يقينا انه لا يتم
فلما قضى زيد منها وطرا اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة يقال
قضى منه وطره روي عن زينب انها قالت ذلك يتورم منه
حين يريد غشيانها فلم يتمكن من الاستمتاع بها قط زوجناكها بعد
طلاقها وانقضاء عدتها بلا ولي من بشر ولا شاهد منه ولا مهر
ومن ذلك تفتخر بان الله زوجني من فوق سبع سموات والسفير
جبريل وزوج في زوجناهم بحور عين متعد الى الثاني بواسطة حرف

يعني هو يتعدى بنفسه الى مفعولين
وقد يتعدى الى الثاني بواسطة
حرف الجر منه

الجر لكيلا يكون على المؤمنين حرج في تزوج ازواج ادعيائهم اذا
قضوا منهن وطرا وحليلة الابن المولود حرام ابدي على الوالد وان
لم يمسها ولده وكان امر الله قضاؤه مفعولا مكونا لا محالة ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله قدر وقسم له نفى عنه الحرج مرتين
الاولى بالاندراج في العموم والاخرى بالخصوص سنة الله سن
سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء الماضين يعني كثرة الازواج
سنة الانبياء وطريقتهم من قبل فليس للجاهل مطعن وكان امر
الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا جملة كان امر الله معترضة
بين الصفة والموصوف الذين صفة مادحة للذين خلوا يبلغون
رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله فلا يمنعهم شيء عن
التبليغ فيه تهييج بان يسلك هو صلوات الله وسلامه عليه وعليهم

طريقتهم فقالت عائشة لو كتم رسول الله شيئا من الوحي لكتم قوله
وتخفي في نفسك ما الله مبديه الاية وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف
ما كان محمد ابا احد من رجالكم فلم يثبت بينه وبين من تبناه ما يثبت
بين الاب وولده من حرمة المصاهرة والنكاح ولكن كان رسول
الله وخاتم اخر النبيين وعيسى بعده ينزل مؤيدا له فهو نبي صار
من امة محمد صلوات الله وسلامه عليهما وكان الله بكل شيء عليما
لما وعد بانه اعد للذاكرين الله كثيرا والذاكرات المغفرة والاجر
العظيم واثبت انه بكل شيء عليم امر المومنين بالذكر فقال يا ايها
الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا روى الامام احمد والترمذي
والطبراني وابن ماجة انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان شرايع الاسلام قد كثرت علينا فمرنا بامر نتشبث به فقال عليه
الصلوة والسلام لا يزال لسانك رطبا بذكر الله وسبحوه بكرة
واصيلا اول النهار واخره لشرف هذين الوقتين والمراد الدوام
وقوله بكرة واصيلا قيد لسبحوا اوله ولاذكروا هو الذي يصلي
عليكم وملئكته اي يثني عليكم ويريد بكم الخير وكذا الملئكة ليخرجكم من
الظلمات الكفر والمعاصي الى النور الايمان والطاعة وكان
بالمومنين رحيما المراد رحمة خاصة شاملة لدنياهم ودينهم تحيتهم
من اضافة المصدر الى المفعول اي تحية الله اليهم يوم يلقونه سلام
اي يسلم الله عليهم قال المبرد التحية دعاء مطلقا والسلام مخصوص
واعد لهم اجرا كريما كالجنة ونعيمها يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
على الناس بقبولهم امر الله وردهم فهذا حال مقدرة ومبشرا
لمن اطاع ونذيرا لمن عصى وداعيا للخلق الى الله الى طاعته باذنه
بتيسيره واعانته فانه امر صعب يقال البخيل غير ماذون في الانفاق
اي غير مسهل عليه وسراجا منيرا مزيلا للظلمات الجهالة فان الله
وملائكته يصلون ليخرجكم من الظلمات وبشر المومنين عطف على
محذوف مثل فراقب احوالهم بان لهم من الله فضلا كبيرا في الدنيا
والاخرة ولا تطع الكافرين والمنافقين اي دم واثبت على انت

قد مر مرارا ان سيبويه قد نص على ان
عطف الانشاء على الاخبار جائز
في الجمل من غير ضعف

عليه

عليه ودع اذاهم اصبر عليه ولا تحتسب له حسابا فانه غير ضارك
وجاز ان يكون من الاضافة الى المفعول كانه قال لا تطعهم ولا تؤذهم
بسبب وجي دله وتوكل على الله في امورك فانه ميسر كل عسير
وكفى بالله وكيلا قيل ما قدرنا من معطوف عليه لبشر في مقابلة
شاهدا وبشر في مقابلة مبشرا ولا تطع في مقابلة نذيرا ودع
اذاهم في مقابلة داعيا الى الله لان من دعى الخلق لا بد له من مداراة
ومجاملة وتوكل على الله في مقابلة سراجا منيرا لان لا تطفئه
الرياح العاصفات وقوله وكفى بالله من متممات التوكل
وقيل في بيان التقابل غير ما قلنا لما كان معقود تلك السورة بيان
الاحكام وما وقع بينها متعلق باحديها وحين تم حكم وما تعلق
به يرجع الى حكم اخر مناسب لما يليه واكثر احكامها متعلق
بالازواج والنساء ولذلك ترى فيها تصريحا باسمهن ما لم تر
في غير تلك السورة وجميع احكامها متناسقة فقال يا ايها
الذين امنوا اذا نكحتم المومنات عقدتم عليهن ثم طلقتموهن
لما كان العقد رغبة والطلاق نفرة والغالب ان تخلل بينهما
مهلة اتى بثم من قبل ان تمسوهن كناية عن الجماع فما لكم عليهن
من عدة تعتدونها تستوفون عددها والظاهر ان العدة لا تكون
الا بعد الجماع لا بمجرد خلوة وهذا في المطلقة لكن المتوفى عنها زوجها
عليها العدة مسها او لا وحكم الكتابيات حكم المومنات فقوله
المومنات تحريض على نكاحهن فمتعوهن بنصف الصداق
ان كان لهن صداق كما قال الله وان طلقتموهن من قبل ان
تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم وان
لم يكن لها صداق فالمتعة على قدر حال الزوج عند اكثر السلف
وعن بعض المتعة غير النصف واللام للندب او للوجوب فيه
خلاف وسرحوهن اطلقوهن سراحا جميلا من غير ضرار ومنع
حق ولما بين بعض احكام انكحة سائر الخلق اتبعه بذكر طرف من نساء
النبي فقال يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت

اجورهن مهورهن وتعجيل اعطاء المهر افضل واولى وهو لا ينافي
مقابلة ما ملكه الله والواهبات انفسهن والسراري وما ملكت
يمينك مما افاء الله عليك غنمك الله من دار الحرب وصفية
وجويرية من ذلك فاعتقهما وتزوجهما واما مارية وريحانة فمن السراري
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك
لا كالنصارى فانهم لا يتزوجون مراة بينهم وبينها سبعة اجداد
ولا كاليهود فانهم يتزوجون ابنة اخيهم واختهم اللاتي هاجرن معك
الى المدينة والمراد المهاجرات لا الرافقة في الطريق لا يحل له غير
المهاجرات كما في حديث الترمذي وغيره وعن قتادة معناه
اسلمن وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان
يستنكحها فهبتها لا توجب حلها الا بارادته نكاحها فان ارادته
جارية مجرى القبول ولما كان قوله احللنا لك امراة مومنة بحسب
المعنى والحقيقة جواب الشرط فهو ايضا مستقبل فلا يلزم ان
امراة متصفة بهذا تكون حلالا له قبل ثبوت الاتصاف خالصة
لك من دون المومنين والاصح انه ينعقد في حقه بلفظ الهبة من
غير ولي وشاهد ومهر وهذا مما خص فيه لشرفه ونصب خالصة على
انه مصدر موكد لمضمون جملة وامراة مومنة او على الحال من ضمير
وهبت او التقدير هبة خالصة لك عن ابن عباس وغيره ما كانت
تحته من الواهبات احد والمشهور ان زينب بنت خزيمة الانصارية
التي ماتت في حيوة النبي منها عدل الى الغيبة في قوله النبي ثم الى
الخطاب في لك ايذانا بانه مما خص به لنبوته وتكرير النبي تفخيم وتقرير
لاستحقاقه للنبوة والخطاب ادخل في التخصيص واما ان خالصة
مصدر من مضمون احللنا لك الى اخره بان الاربعة المذكورة
من خواصه بعضه بالوجوب وبعضه بالاولوية فليس بشيء لان الحل عين
الذين بطريق الهبة غير مختص به قد علمنا ما فرضنا عليهم اي على
المومنين في ازواجهم من ان لا تحل لهم زيادة من اربع نسوة وشرطنا
العقد والشهود والمهر وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها لكيلا يكون

عليك

عليك حرج اللام متعلقة بقوله خالصة وقوله قد علمنا معترضة بين خالصة ومتعلقها والمراد بالحرج
الضيق وقيل متعلقة بقوله احللنا لك كله او كله وقيل تقديره بينا هذا البيان الشافي لكيلا يكون عليكم حرج وقيل بمعنى انك
قد امنت عند ربك لا يبعد ان اللام متعلق بقوله قد علمنا اي
وسعنا على امتك باربع زوجات والجوار غير محصورات لئلا
يكون عليك غم وحزن بان لا يصبروا على الواحد ولا يطيعونك
فتغتم شفقة عليهم وكان الله غفورا رحيما بالتوسعة ترجي تؤخر من
تشاء منهن وتؤوي تضم اليك من تشاء من نسائك ومن الواهبات
فانت بالخيار في امرهن انك مخطوطا عنك وجوب القسم بعد ذلك
وبالخيار في الواهبات ان شئت قبلت وان شئت رددت ومن
ابتغيت اردت اصابتها ممن عزلت عن القسمة فلا جناح عليك
في ذلك فلك الخيار في ترك مضاجعة من تشاء من ازواجك
ولك ان تضاجع من تشاء وتطلق وتمسك وتقسم ولا تقسم وتتزوج
من تشاء ولا تتزوج ذلك التفويض الى رايك من غير وجوب
القسم ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن تاكيد
لفاعل يرضين اي اذا علمن ان الله قد وضع عنك الحرج في القسم ثم
مع هذا تراعي القسم انت لهن اختيارا فرحن بمراعاتك وحملن
جميلتك في ذلك واعترفن بكمال انصافك وان رجحت بعضهن
علمن انه بفسحة من الله ورضاه فتطمئن نفوسهن واتفقت الروايات
على انه صلى الله عليه وسلم يراعي القسم الى وفاته واخذ بالفضل غير ما
جرى لسودة فانها وهبت ليلتها لعايشة لئلا يطلقها فتكون محشورة
بين نسائه ونقل عن ابن عباس معناه تطلق من تشاء منهن وتمسك
من تشاء ومن ابتغيت ممن طلقته بالرجعة فلا اثم والتفويض الى
رايك اقرب لرضاهن لانك لو لم تطلقهن حملن في ذلك جميلتك
والله يعلم ما في قلوبكم من الميل الى البعض حالا يمكن دفعه وكان الله
عليما حليما فلا يواخذكم بما ليس في وسعكم لا يحل لك النساء من بعد
اي بعد التسع فلا يجوز لك العشرة ولا ان تبدل بهن من ازواج بان تطلق
واحدة منها وتنكح بدلها اخرى ولو اعجبك حسنهن مفروضا اعجابك

بهن حال من فاعل تبدل وعن كثير من السلف لما خيرن بين الدنيا
والاخرى واخترن الاخرة كما تقدم جازاهن الله في الدنيا بتحريم التزوج
بغيرهن ثم اباح له لكن لم يقع ليكون منة عليهن كما صرحت بذلك
عائشة كما روى الامام احمد والترمذي والنسائي في سننهما عنها
وعن بعض معناه لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة المذكورة
من قبل فلا يحل غريبة غير قريبة ولا غير مهاجرة وان كانت قريبة
ولا غير مؤمنة واهبة نفسها للنبي وعلى هذا قوله ولا ان تبدل تاكيد
للاول وقيل في الجاهلية يقول الرجل لصاحبه بادلني امرأتك وابادلك
امرأتي فانزل الله منعه الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء المتناول
للاماء وكان الله على كل شيء رقيبا فلا تتعدوا حدوده يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي هذا الامر بعد ضرب الحجاب وبعد
قوله وقرن في بيوتكن الا ان يؤذن لكم تقديره الا بان يؤذن او ماذونا
الى طعام متعلق بيؤذن لتضمين معنى يدعى غير ناظرين اناه اي غير منتظرين
ادراكه حال من ضمير لكم نهى الدخول في كل حال الا حال وجود الاذن المقيد
فان الدخول مع الاذن لمن راقب الطعام بحيث اذا قارب تعرض
للدخول مذموم وان اذن له ولكن اذا دعيتم في غير حال انتظاركم لادراك
الطعام فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا من غير زيادة مكث ولا مستأنسين
لحديث لحديث بعضكم بعضا في بيته عطف على ناظرين فيكون مجرورا
او على غير فيكون منصوبا اي لا ناظرين ولا مستأنسين ان ذلكم
اي المكث في بيته كان يؤذي النبي فيستحيي منكم اي من اخراجكم والله
لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق وهو لا يستحيي منه بان يتركه
ترك الحيي منكم في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم اولم في تزوج زينب
فلما طعموا جلس ثلث منهم يتحدثون فخرج ودخل ليدخل الى اهله وهم كما
كانوا جلوسا فرجع وما اخرجهم حياء فنزلت واذا سألتموهن اي طلبتم
ازواجه متاعا من مثل اثاث البيت فاسألوهن من وراء حجاب
اي ستر نزلت في ذي القعدة من السنة الخامسة او الثالثة من الهجرة
ذلكم اي السؤال من وراء الحجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي ازالة الريبة

التعلق

التعلق والفتنة وما كان لكم ما استقام لكم ان تؤذوا رسول الله
بوجه من الوجوه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده بعد وفاته ابدا
نزلت فيمن هم ان ينكح بعض نسائه ان توفي لشرفهما والاصح
ان مطلقتها التي مسها حرام ابدي ان ذلكم ايذاءه ونكاح نسائه
كان عند الله ذنبا عظيما ان تبدوا شيئا وعيد لمن اظهر بلسانه ما ليس
في قلبه او تخفوه فلم يتكلم به فان الله كان بكل شيء عليما فيجازيه لما نزل
فاسألوهن من وراء حجاب قال الاقارب او نحن ايضا نكلمهن من
وراء حجاب فنزل قوله لا جناح لا اثم عليهن في ابائهن ولا ابنائهن
ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن اي في ان لا يحتجبن
عن هؤلاء اما عدم ذكر العم والخال فقيل لانهما بمنزلة الوالدين فلا حاجة
وقيل لانهما يصفانها لبنيهما ولا نسائهن المؤمنات ولا ما ملكت
ايمانهن من العبيد والاماء وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن
في السر والعلانية ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه شيء ولما
كان اكثر الايات المذكورة دالة على شرف نبي الله صرح بما تضمنته
الايات فقال ان الله وملائكته يصلون على النبي اي ان الله يذكر نبيه
بالثناء والتبجيل وملائكته يسألون من ربهم ثناء رسوله وتعظيمه ولا شك
ان هذا الطلب منهم عين الثناء والتعظيم يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما عظموا انتم نبيكم بان تطلبوا من فضل الله مزيد ثنائه وتوقيره
قدره فعلى هذا الاشتراك ولا جمع بين الحقيقة والمجاز وعند اكثر اهل
العلم الصلوة والسلام عليه فرض غير محدد بوقت وسقوط الفرض
بالصلوة عليه في عمره مرة اما عند الشافعي والاصح به فالصلوة واجبة
في تشهد الصلوات لا غير ان الذين يؤذون الله ورسوله ينسبون
الى الله ما لا يليق بكبريائه مثل يد الله مغلولة في الصحيحين يؤذيني ابن ادم
يسب الدهر وانا الدهر اقلب ليله ونهاره قد بين الشافعي وغيره
معناه بان الجاهل كان يقول يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وانما الفاعل
هو الله واما ايذاء رسول الله فالطعن فيه وفيما يتعلق به لعنهم الله
ابعدهم من رحمته في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا اي جهنم

وردت حيا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير
جناية واستحقاق للاذى والمعنى ينسبون اليهم ما هم براء منه فقد
احتملوا بهتانا واثما مبينا في الترمذي وابي داود قال صلى الله عليه وسلم
الغيبة ذكرك اخاك بما يكره قيل افرايت ان كان فيه ما اقول قال ان
كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته نقل محيي السنة وغيره ان الاية
نزلت في الذين يؤذون علي بن ابي طالب ويسبونه يا ايها النبي قل
لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن
الجلباب رداء فوق الخمار تستر من الفوق الى الاسفل صرح بذلك
السلف يعني يرخينها عليهن ويغطين ابدانهن ومن للتبعيض اي ترخي
بعض جلبابها وتتقنع بالباقي او المراد تجلبب بعض جلابيبها ان كان لها
اكثر من جلباب واحد ذلك ادنى اقرب ان يعرفن انهن حرائر مميزين
من الاماء فلا يؤذين بالتعرض لهن كان في المدينة فسقة متعرضون
للاماء في الليالي فامرت الاحرار بارخاء الجلباب للتمييز بين الاحرار
والاماء وكان الله غفورا رحيما فيعلم جزئيات مصالحهم لئن لم ينته
المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان كالفسقة
والمرجفون عما يؤلفون من اخبار السوء في المدينة كانوا يخبرون عن
سرايا رسول الله بانهم كسروا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت وفي
المدينة يحتمل تعلقه بالاخير او بالثلثة من باب التنازع او متعلق بينته
لنغرينك بهم لنحملنك على ان تفعل بهم ما يسوءهم ثم لا يجاورونك فيها
الجار الذي يجاورك وفيها اي في المدينة الا قليلا جوارا قليلا بان يضطروا
الى الجلاء عطف ثم على قوله لنغرينك وهو جواب القسم كانه قال لئن لم
ينتهوا ليحصل لهم خطبان عظيمان الثاني اعظم فان الجلاء من الاوطان من
اعظم المصائب ملعونين منصوب على الذم اينما ثقفوا وجدوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا وهذا بمعنى الامر للوجوب وهؤلاء الثلثة كلهم قوم واحد
منافقون سماهم بخصائلهم من النفاق ومرض القلب والارجاف سنة
الله اي سن الله سنة في الذين خلوا من قبل في الذين نافقوا الانبياء
ان يقتلوا حيث وجدوا ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا ولما ذكر خصائل

المنافقين

المنافقين وبين امرهم وان حكمهم كحكم من قبلهم تعرض بشيء من قبائحهم مثل
قبائح الذين خلوا فقال يسألك الناس عن الساعة عن وقت
قيامها سخرية وتعجيزا او امتحانا كما كان الاولون يسألون عن انبيائهم
قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه غيره وما يدريك ما استفهام مبتدأ
اي واي شيء يعلمك وقتها يعني ما يدريك بها احد لعل الساعة
تكون قريبا تذكيره لان الساعة بمعنى اليوم او لانه على وزن يستوي فيه
الصيغ او استعمال قريب بمعنى الظرف كثيرا اي في زمان قريب ولما
بين حالهم في الدنيا انهم ملعونون مهانون مقتولون عقبه بحالهم في الاخرة
فقال ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الاتقاد خالدين
فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا ينجيهم عنها يوم تقلب وجوههم في النار
تصرف من جهة الى جهة كاللحمة تدور في القدر اذا غلت او المراد طرحهم في
النار منكوسين يقولون هو عامل يوم وقيل عامله اذكر ويقولون حال
او عامله يجدون ويقولون استيناف يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا تمنوا يوم لا ينفع التمني وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب اي من عذابنا
او من العذاب الذي هم فيه والعنهم لعنا كبيرا اشد اللعن واعظمه
فانهم ضلوا واضلوا عبادك ولما كان المنافقون وبعض المؤمنين
آذوا رسول الله في الطعن بانه تزوج زوجة ابنه وبغير ذلك انزل
الله تعالى قوله يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى اي كاليهود
كما قال يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم كانهم نسبوه
الى برص وقتل اخيه هارون وغير ذلك فبرأه الله مما قالوا اظهر براءته
وكان عند الله وجيها ذا وجاهة ومنزلة سنية يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ليكن قولكم قولا عدلا صوابا يصلح لكم
اعمالكم يوفقكم على الاعمال الصالحة او المراد يتقبل حسناتكم وان كان
فيها نوع خلل وقصور ويغفر لكم ذنوبكم فان حفظ اللسان وسداد
القول رأس الخير فالاية الاولى وهذه مقررة لما قبلها تلك ناهية
عما يؤذي به رسول الله وهذه على الامر بالتقوى في حفظ اللسان

يترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي بما يتضمن الوعيد من
قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف من
الاذى والداعي الى تركه ولهذا قال ومن يطع الله ورسوله
فقد فاز فوزا عظيما ظفر بكل خير لما ارشد الى ما ارشد من ترك
الاذى واتقاء الله وسداد القول ورتب على الطاعة ما رتب
اراد ان يبين ان ما كلفه الانسان امر عظيم لا يتبع الا من له وجاهة
ورتبة فقال انا عرضنا الامانة هي الفرائض على السموات والارض
والجبال بان قلنا لهن هل لكم ان تحملوا الامانة وما فيها قلن بعد ان
انطقهن الله اي شي فيها قلنا ان احسنتن اثبتناكن وان اسأتن
عوقبتن فابين ان يحملنها واشفقن منها خفن من حملها وقلن لا
طاقة لنا ولا نريد الثواب وعن علماء السلف انهن ضججن الى الله
ثلثة ايام قائلات لا طاقة لنا بالعمل وحملها الانسان يعني ادم
انه كان ظلوما لنفسه بتحميله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته هذا كلام
اكثر السلف وغير مستحيل كحنين الجذع وتسبيح الحصا وغير ذلك وعن ابن
عباس وغيره ما كان بين قبوله الامانة وبين خطيئته الا قدر ما بين العصر
الى الليل وقال قوم هذا من المجاز يعني اذا قايسنا ثقل الامانة بقوة
السموات راينا انها لا تطيق ولو تكلمت لابتها وهذا مثل عرضت
الحمل على البعير فابى وانت تريد بذلك اني قايست قوته فرايت تقصير
ولذلك قيل معنى عرضنا عارضنا وقابلنا فقصرن وتقصن عنها
وقيل هذا من باب التمثيل وهذا في لسان العرب من فصاحتهم ومن
ذلك قولهم قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني ومنه قيل
سنحيم ابن تذهب قال اسوي العوج وعن الحسن وغيره ان معنى ابين
ان يحملنها ادين الامانة وخرجن عن عهدتها ولم يخن فيها لانهن خاشعات
منقادات لمشية الله وارادته وحملها الانسان خان فيها وما خرج
عن عهدتها لان الامانة في حقه طاعة الله باختياره يقال فلان حامل
للامانة ومحتملها اي لا يؤديها الى صاحبها بل اخذها لنفسه والظلومية
والجهولية باعتبار الجنس قال الرازي هذا كقولك الماء طهور والبغل جموح

اي من شانه ذلك ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات ويتوب الله على المومنين والمومنات تعليل للعرض
اي عرضناها ليظهر نفاقهم فيعذبهم ويظهر ايمانهم فيتوب عليهم ويعود بالرحمة
والغفران عليهم ان صدر منهم تقصير او تعليل للحمل واللام للعاقبة
وللاشارة الى تقصير الاكثرين قال ويتوب الله ولم يقل ويثيب الله
وكان الله غفورا رحيما حيث يقبل التوبة ويثيب والحمد لله وحده

سورة سبا خمس واربعون اية كلها مكية قيل الا قوله والذين اوتوا العلم الاية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض جميع
ما فيهما نعمة منه فهو الحقيق بالحمد والثناء وله الحمد في الاخرة فان ما فيها
ايضا منه وهو المنعم بلا واسطة ولذلك قدم صلة الحمد لمزيد اختصاص
امور الاخرة به وهو الحكيم الخبير الذي احكم امور الدارين العليم بباطن
كل شي يعلم ما يلج في الارض كالكنوز والبذور والاموات وما يخرج
منها كالنبات وماء العيون وما ينزل من السماء كالمطر والملك والرزق
وما يعرج فيها كالملك واعمال العباد وهو الرحيم الغفور للمقصرين
عن شكر نعمه لما ذكر تلك الامور البدايع من خلقه واثبت العلم الواسع
له فليس لاحد ان ينكر شيا من بدايعه التي اخبر بها فقال على سبيل التعجيب
وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة اي القيمة قل بلى وربي اثبات لما نفوه
باكد وجه وقد اضاف الى الرسول لتاتينكم الساعة عالم الغيب بالرفع
على تقدير هو عالم وبالجر صفة ربي وصفه بهذا لان الساعة من ادخل
الغيوب في الخفية لا يعزب لا يبعد عنه قيل عالم الغيب مبتدا ولا يعزب
خبره مثقال ذرة مقدار اصغر نملة في السموات ولا في الارض في اي
مكان كان ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام منقطع
عما قبله ولا لنفي الجنس واصغر مبتدا خبره الا في كتاب وهو من عطف
الجمل لا من عطف المفردات وهذا هو الاولى كما هو مصرح به ليجزي
الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي لتاتينكم الساعة ليجزي قيل لا يعزب
ليجزي والاول اولى وان كان الثاني اقرب وما ذلك الا حجة ساطعة
في صدق ما اقسم عليه لانه مركوز في العقول ثبوت الجزاء والعقاب للمحسن

والمسيء فكانه تعليل لتأتينكم اولئك لهم مغفرة ورزق كريم في الجنة
بلا تعب ومنة من مخلوق مثلهم والذين سعوا في آياتنا بالابطال
عطف على الذين آمنوا معاجزين على زعمهم يحسبون من جهلهم انهم
يفوتوننا اولئك لهم عذاب من رجز سوء العذاب اليم صاحب
الم كان الرجز او العذاب من شدته صاحب الم فما حال المعذب
واليم بالرفع صفة عذاب وبالجر صفة رجز ويرى يعلم الذين اوتوا
العلم كمؤمني اهل الكتاب قيل المراد الصحابة الذي انزل اليك
من ربك اي القرآن هو الحق الضمير للفصل والحق ثاني مفعولي يرى
وقراءة رفع الحق بانه خبر هو والجملة ثاني مفعوليه قيل ويرى عطف على
ليجزي اي ليرى اولو العلم حين مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه
الآن برهانا ويهدي القرآن الى صراط العزيز الحميد دين الله والله
هو العزيز الحميد وقال الذين كفروا بعد ما انكروا مجيء الساعة وقالوا لا تأتينا
الساعة يعني قال بعضهم لبعض على سبيل التعجب والتعجيب هل ندلكم
على رجل يعنون اصدق الصادقين عليه الصلوة والسلام ونكروه مع انه
هو اعرف اسم في الارض والسماء كأنهم لا يعرفونه ينبئكم يحدثكم
باعجوبة محال اذا مزقتم كل ممزق فرقتم وقطعتم كل تفريق وتقطيع فممزق
مصدر على زنة اسم المفعول انكم لفي خلق جديد اي تنشأون خلقا جديدا
بعد ان تكونوا ترابا وهو جواب اذا والعامل فيها محذوف يدل عليه
الجواب لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله افترى اي افترى على الله
كذبا اختلق على الله قاصدا الكذب ام به جنة فيتفوه بما لا يعقل
معناه كانه قيل هذا الكذب العجيب أعن افتراء او جنون والمجنون لا
افتراء له وقيل الافتراء اخص من الكذب فعلى الوجهين لا يدل على
الواسطة بين الصدق والكذب وجاز ان نقول ان ام منقطعة
كأنهم قالوا ادعوا حديث الافتراء فان العاقل لا يفتري المحال بل جنونه
يوهمه ذلك بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال
البعيد اضرب تعالى عن مقالتهم والمعنى ليس للرسول مثل ما نسبتم اليه
بل انتم في عذاب النار والضلال البعيد عن الصواب ولذلك

تترددون

تترددون في افترائه وجنونه ووصف الضلال بما هو صفة للضال
حقيقة للاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من
السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من
السماء افلم ينظروا الى ان الارض والسماء محيطتان بهم لا يستطيعون
الخروج من اقطارهما ان اردنا نخسف بهم الارض كما خسفنا بقارون
او نسقط عليهم قطعة من السماء كما فعلنا يوم الظلة فانهم استحقوا
لعنادهم وقدم مرارا ان التقدير فالم ولصدارة الهمزة قدمت
على الفاء ولا حذف ان في ذلك فيما يرون من احاطة الارض
والسماء لآية لكل عبد منيب راجع الى ربه مطيع لوفور تامله ولما
ذكر انكارهم البعث لانه مستحيل عندهم ذكرهم باشياء كل منها
مستحيل عادة بعضها طفحت به اخبارهم ونطقت به اشعارهم
ومن اعترف بثبوته ولم يعترف بالبعث مع انه اتفق عليه السنة
الصادقين بالادلة الواضحة مع البينات الظاهرة من المعجزات
فما هو الا معاند قليل الحياء فقال ولقد آتينا داود منا فضلا
جمع له بين النبوة والملك وبدائع المعجزات يا جبال اوبي معه
اي قلنا يا جبال رجعي معه التسبيح يعني سبحي معه اذا سبح وعلى هذا
الاولى ان نجعله مستأنفا والطير عطف على محل جبال ولا يجوز ان
يكون مفعولا معه لاوبي كما قاله الزجاج كان اذا سبح تسبح معه الجبال
والطير بانواع اللغات بحيث يسمع ويفهم كل سامع وفاهم والنا له
الحديد كالشمع في الصيف من غير نار ولا ضرب مطرقة ان اعمل
سابغات امرناه بلسان ملك او الهام بعمل الدروع الواسعات
وقدر في السرد لا تجعل المسامير دقاقا ولا غلاظا والسرد نسج
الدروع واعملوا يا داود ويا آل داود صالحا قيل خطابه للتعظيم
اني بما تعملون بصير فلا يضيع عملكم ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح
وقراءة الرفع تقديرها ولسليمان الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها
شهر اي جري غدوها يعني جريها في الغدو مسيرة شهر وكذا في الرواح
ففي يوم واحد يجري مسيرة شهرين واسلنا له عين القطر نبع معدن

ولهذا قال صاحب البحر ترجع
الزمخشري في عدم التقدير الى
مذهب النحويين في ذلك
منه

النحاس كما ينبع الماء من العين عن ابن عباس اجريت له ثلثة
ايام بليا ليهن ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه بامر الله اى
سخرنا من يعمل بين يديه حال كونه من الجن ومن الجن خبر من يعمل
ومن يزغ يعدل منهم عن امرنا الذى هو طاعته نذقه من عذاب السعير
يدركه صاعقة فتحرقه وعن ابن عباس هو عذاب الاخرة يعملون له
ما يشاء من محاريب المساجد الرفيعة والقصور العالية وتماثيل
صور الملائكة والانبياء وكان ذلك جائزا فى شرعهم وجفان
جمع جفنة وهى القصعة كالجواب جمع جابية وهى الحوض الكبير اصله
الجوابى وحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقدور راسيات ثابتات
كالجبال اثافيها منها قيل كان ياكل من جفنة الف رجل اعملوا
حكاية ما قيل لهم ال داود شكرا الشكر على ثلثة اضرب بالقلب
وباللسان وبالجوارح فقال اعملوا لينبه على التزام جميع انواعه
فان فى قولك عليك باعمال الفكر مبالغة ليست فى قولك
تفكر فى تلك المسئلة وكان عليه السلام لا يشبع قط من خبز الشعير
ويطعم الناس الاطعمة وقليل من عبادى الشكور المبالغ الباذل وسعه
فيه كانه قال اعملوا انواع الشكر وقليل من عبادى يعملونها فلما قضينا
عليه الموت اى انفذنا عليه ما قضينا فى الازل من الموت واوقعنا عليه
ما دلهم الجن على موته الا دابة الارض اى الارضة تاكل منساته عصاه
فلما خر سليمان تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب
المهين تبين بمعنى ظهر لازم وان المخففة مع صلتها بدل اشتمال من
الجن نحو قولك تبين زيد جهله والظهور للجهل لا لزيد فجئ بزيد توطئة
او بمعنى علم اى علم الجن انهم كانوا كاذبين فى ادعاء علم الغيب ولو علموا
الغيب لعلموا موته فلم يلبثوا فى الاعمال الشاقة قد نقل انه عليه السلام
من عادته الاعتكاف فى المسجد الاقصى سنة واقل واكثر فلما علم حضور
اجله دعا الله ان يعمى موته على الجن حتى يفرغوا من بناء المسجد وتبطل
دعواهم علم الغيب فدخل المحراب من القوارير واتكأ على عصاه
ومات والجن يرونه قائما يحسبونه حيا وهم فى اعمالهم الشاقة فلما

الكلت

الكلت الارضة عصاه خر سليمان وعلمت الجن انه مات بمدة طويلة
قبل ذلك فشكرت الجن الارضة وهم ياتونها بالماء والطين فى اى
موضع هى فيه كذا روى ابن ابى حاتم عن ابن عباس وغيره ولما ذكر حال
الشاكرين بين حال الكافرين موعظة لقريش فقال لقد كان
لسبأ اسم قبيلة فى مسكنهم موضع سكناهم باليمن او مسكن كل واحد
منهم اية دالة على وجود قادر مختار فان قريتهم من عجائب الارض
جنتان اى هى جنتان او بدل من اية عن يمين وشمال اراد بستانى
كل واحد منهم عن يمين مسكنه وشماله او المراد جماعتان من البساتين
جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل من الجماعتين فى تقاربها
وتضامها كانها جنة واحدة فتكون كل الجماعتين بمنزلة بستانين
واما الاية فهى الاقصتهم من اعراضهم عن الشكر وخراب ديارهم كلوا
من رزق ربكم واشكروا له حكاية ما قال لهم الانبياء او لسان الحال
بلدة طيبة ورب غفور استيناف لبيان موجب الشكر اى هذه
بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور كانت لها
اطيب الهواء لا ذباب فيها ولا هوام ولا حر ولا برد وقيل رب
غفور بان لا عقاب له على التمتع بنعمهم لا فى الدنيا ولا فى الاخرة
فهذه هى اللذة فاعرضوا عن الشكر الى عبادة الشمس وتكذيب الانبياء
فارسلنا عليهم سيل العرم اسم هذا الوادى او العرم الشديد او اسم
للجرذ الذى نقب عليهم السد وهو نوع من الفار وكثرة الماء كان
بحيث ملأ ما بين الجبلين وقد كان قدام قريتهم سد عظيم يجتمع خلفه الماء
سلط الله عليه الجرذ فخربه واغرقهم وبدلناهم بجنتيهم دخل الباء على الزائل
جنتين تسمية جنة للمشاكلة وفيها من التهكم ذواتى اكل صفة جنتين
اى ذواتى ثمر خمط اراك له ثمر يوكل وقيل نوع من الاراك لا يوكل ثمرها
وقيل كل شجر له شوك وفى مفردات الراغب ومجمل اللغة كل شجر مر لا شوك
له واثل هو الطرفاء عطف على اكل لا على خمط لان الطرفاء لا اكل له وشئ
من سدر قليل يعنى الاشجار المنتفعة به قليل قيل السدر سدران سدر
لا ينتفع به وورقه لا يصلح للغسول وله ثمرة عفصة لا يوكل وهذا هو المراد

بالسد رهنا ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرهم او بكفرانهم وهل نجازي الا
الكفور يعني هل نجازي بمثل هذا الا البليغ في الكفران وجعلنا بينهم وبين
القرى التي باركنا فيها هي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها
من بعض بحيث ان مسافرهم لا يحتاج الى حمل ماء وزاد وهذا وصف حالهم
قبل كسر سدهم وقدرنا فيها السير يقيلون من اليمن في قرى ويبيتون في
اخرى الى الشام سيروا اي قلنا لهم سيروا فيها ليالي واياما آمنين قدم
الليالي لانها مظنة الخوف قيل لما تمكنوا من السير في رغد وامن كانهم امروا
به فان الامن في كلا الوقتين حاصل فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا طلبوا ا
سفارا يحتاجون في قطعها الى رواحل وسير ملوا العافية وبطروا النعمة
وسئموا المنحة فالوا المحنة قيل ما طلبوا من الله ذلك الا ان يظهر فرق
بينهم وبين فقرائهم في السفر فعجل الله لهم الاجابة وهم لما كانوا عابدي الشمس
يمكن ان يكون مرادهم من ربنا الشمس ويمكن ان الشمس عندهم كالاصنام عند
قريش فمرادهم من ربنا خالق السماء والارض وظلموا انفسهم بالبطر عطف
على قالوا وقيل حال اي وقد ظلموا انفسهم بتكذيب الرسل فقد ارسل الله اليهم
رسلا كثيرة فجعلناهم احاديث لمن بعدهم صاروا اضرب مثل يقال تفرقوا
ايدي سبا ومعناه جعلناهم عظات وعبرا يتحدث ويتمثل بهم ولم يبق
منهم سوى الحكاية والحديث ومزقناهم كل ممزق فرقناهم في الارض كل
تفريق بعضهم الى الشام والى عمان والى العراق وهكذا ان في ذلك لآيات
لكل صبار عن المعاصي شكور على النعم والمؤمن اذا ابتلي صبر واذا اعطي
شكر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي حقق ظنه فيهم واما قراءة تخفيف
الدال فبنزع الخافض اي في ظنه او يظن ظنه نحو فعلته جهدك اي تجهد
جهدك وعن بعض من السلف انه لما قال لاضلنهم ولاغوينهم لم يكن مستيقنا
ان ما قاله يتم وانما قال ظنا فلما اطاعوه صدق عليهم ما ظنه وكلام السلف
ان ضمير عليهم لبني آدم لا لخاصة اهل سبا فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين
وهم الصالحون فمن تبعيضية او المراد هم المؤمنون فمن بيانية وما كان
له عليهم من سلطان يعني ما كان تسليطنا اياه بالوسوسة الا لنعلم من
يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ليتميز المؤمن من الشاك او ليتعلق علمنا

بذلك

بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء فالمراد من حصول العلم حصول متعلقه
مبالغة او المراد منه العلم بطريق المشاهدة ولم يقل ممن يكفر ليعلم ان ادنى
شك في الآخرة كفر وربك على كل شيء حفيظ محافظ ولما ذكر اغوائه على
اهل سبا اتم تدميرهم لاطاعتهم ابليس امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يبين لقريش
ضلالهم فقال قل يا محمد للمشركين ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة
فكلا مفعولي زعم محذوف والامر للتعجيز من دون الله من ملك وصنم
لكشف ضركم فروي ان نزوله عند مجاعة قريش واضطرارهم لا يملكون
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض الجملة استئنافية جواب عن المشركين
لانه امر لا يقبل المكابرة واما حال من الذين وما لهم فيهما اي في السموات
والارض من شرك ليس لهم شركة فيهما لا قليلة ولا كثيرة وما له منهم من ظهير
وليس لله منهم عون في خلقهما وحفظهما فهو سبحانه المستقل في جميع الامور
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له الاستثناء مفرغ اي لا تنفع الشفاعة
لاحد الا لمن اذن الله له ولاحد يحتمل ان يكون مشفوعا له وهو الظاهر والمراد
من لمن اذن مشفوع اذن لاجله ان يشفع فيه والشافع غير مذكور دل
عليه المعنى واحتمل ان يكون شافعا ومعنى الا لمن اذن الا شافع اذن له
ان يشفع والمشفوع غير مذكور دل عليه المعنى واللام لام التبليغ حتى اذا
فزع عن قلوبهم ازيل الفزع عنها قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي
الكبير حاصل كلام المتاخرين ان حتى غاية لما فهم من السابق من ان ثم
انتظارا وتربصا للاذن كانه قيل يتربصون فزعين حتى اذا كشف فزعهم
بكلمة تكلم بها رب العزة قال بعضهم لبعض على وجه السؤال ماذا قال
ربكم قالوا القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى واما كلام السلف
على ما تظاهرت الاحاديث الصحاح والحسان عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان قوله حتى اذا انما هي في الملائكة اذا سمعت الوحي ارعدوا من
الهيبة فيلحقهم كالغشي فاذا جلي عن قلوبهم سال بعضهم بعضا ماذا قال
ربكم قالوا القول الحق اي المطابق للواقع يعني اخبرهم بما قال الله من
غير زيادة ونقصان وعلى هذا فطباقه مع الآية متعسر اللهم الا ان يقال
المشركون يعبدون الملائكة لئن يشفعوا لهم بل اصل عبادة الاحجار انهم نحتوا

كل صنم على مثال ملك بزعمهم فبين سبحانه مقام عظمته وكبريائه
انه لا يجترئ احد منهم ان يشفع لاحد الا باذنه فانهم خلف سرادق
الهيبة هائمون لا يقدرون التكلم حتى اذا فزع عنهم الفزع قالوا الاية
هذا ما ظهر على وفوق كل ذي علم عليم قل من يرزقكم من السموات والارض
قل الله امره بالسؤال تقريرا ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار بقوله
يرزقكم الله فانهم عالمون بذلك ولا ينكرون بقلوبهم فالمطر والنبات
من السماء والارض من الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
اي احد الفريقين ممن يوحد الرازق بالعبادة ومن يشرك به الجماد لعلى
احد الامرين مستعل على ذروة الهدى او منغمس في حضيض الضلال وليس
هذا على سبيل الشك بل على الانصاف في الحجاج وهو ابلغ من التصريح
في هذا المقام قال حسان اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء
ولما كانوا في جواب السؤال بين امرين اما السكوت فيعلم كل سامع ان
الحجة لزمتهم واما الجواب بوقاحة نحن على الهدى وانتم على الضلال امره
ان يجيبهم على هذا بما هو ابلغ في الانصاف من الاول فقال قل لا تسألون
عما اجرمنا من الذنوب ان كنا على الضلال ولا نسأل عما تعملون ان
كنتم عليه وهذا ايضا من الانصاف غايته حيث اسند الاجرام الى
نفسه والعمل اليهم قل يجمع بيننا ربنا في المحشر ثم يفتح بيننا بالحق يفصل
ويحكم وهو الفتاح العليم والفتح بينهم ان يوصل كلا بما يستحقه ولما
كان شان وقاحتهم ان يجيبوا بان الضلال عليكم امره بان يبين لهم
وقاحتهم فقال قل اروني الذين الحقتم به شركاء اروني من رؤية البصر
وشركاء حال ولا يبعد ان تجعله بمعنى اعلموا فشركاء ثالث مفاعيله وهذا
كما تقول لخسيس الاصل اذكر لي اباك الذي قايست به اباي اراد تبكيته
وتخجيله وما اراد الامر على حقيقة الذكر والارادة وفيه اشارة الى ان الهتهم
كشئ في ايديهم يقلبونه حيث ما ارادوا كلا ردع عن المشاركة بل هو الله
العزيز الحكيم فاين هولاء الاذلاء عن هذه الصفات وضمير هو يحتمل ان
يكون للشان ولما تم دليل بطلان دينهم واثبت لهم انهم على الضلال
المبين شرع في تحقيق هدايته فقال وما ارسلناك الا كافة للناس عند الزجاج

كافة

كافة حال من الكاف اي ما ارسلناك الا جامعا للناس في الابلاغ
فعلى هذا التاء علامة للمبالغة وعند ابي علي وابن كيسان وابن مالك
انه حال من للناس ولما بان بالتقديم واستصوبه صاحب البحر فقال
هذا هو الصحيح لوروده في كلام الفصحاء في نظمهم ونثرهم فمنه اذا المرء اعيته
المروءة ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد ومنه تسليت طرا عنكم بعد
بينكم بذكراكم حتى كانكم عندي اي تسليت عنكم طرا اي جميعا وارسل
كما يتعدى بالى يتعدى باللام وارسلناك للناس رسولا وايضا يجئ
الى بمعنى اللام واللام بمعنى الى وعندي ان المراد انه مرسل الى جميع الناس
ولو اراد ما قال فتاخير للناس من كافة من غير فائدة معتدة بها نوع قصور
في فصاحة هذا التركيب فانصف من نفسك وعند الزمخشري ان كافة
صفة مصدر محذوف اي ارسالة كافة عامة نحو ما قمت الا طويلا
قال صاحب المغني عند قول الزمخشري في ادخلوا في السلم كافة انها
حال من السلم هذا منه وهم لان كافة مختص بمن يعقل ومن هذا انه قال في
خطبة المفصل محيط بكافة الابواب وخطاه ايضا صاحب البحر
بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فلا يستبشرون ببشارتك ولا يحذرون
عن انذارك ويقولون متى هذا الوعد اي المبشر به والمنذر عنه ان كنتم
صادقين قل لكم ميعاد يوم الاضافة بيانية لا تستاخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون يعني حين جاءكم لا يمكن التقدم ولا التاخر
عنه وليس مقصودهم من السؤال الا انكار الساعة وانها لا تاتي البتة
فالجواب مطابق للمقصود وليس هذا من باب اسلوب الحكيم وقال الذين
كفروا من باب الظاهر موضع المضمر لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي
بين يديه الكتب السماوية او المراد القيمة روي ان قريشا سالوا اهل
الكتاب فاخبروهم بان فيه صفة نبي يبعث كذا وكذا فغضبوا وقالوا
لن نؤمن الاية ولو ترى اذ الظالمون في البحر مفعول ترى محذوف
تقديره لو ترى حال الظالمين اذ وذلك لان المقرر عنده ان اذ
لا يخرج من الظرفية موقوفون عند ربهم في القيمة يرجع بعضهم الى بعض
القول في التلاوم والجدال لرايت العجب فجواب لو مقدر يقول هذا

بيان كلامهم الذي يرجع بعضهم الى بعض الذين استضعفوا الاتباع للذين
استكبروا المتبوعين لولا انتم لكنا مومنين فانكم اضللتمونا قال
الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ
جاءكم بل كنتم مجرمين فانكم اثرتم الضلال بطيب نفوسكم وقال الذين
استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضربوا عن اضرابهم
يعني مكركم في الليل والنهار هو السبب في ضلالنا كذبوا تكذيبهم باكد وجه
والاضافة على الاتساع وخبر مكر الليل مقدر او التقدير صدنا مكركم
اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اذ ظرف لمكر او لعامله
واسروا اي اضمر الظالمون وهم التابع والمتبوع او اظهروا فانه من
الاضداد الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق
الذين كفروا اي اعناقهم لكفرهم وهذه الندامة التي ظهرت عليهم ندامة
هي الندامة كان الندامة التي كانت عليهم من حين الموت الى الان في
جنبها لا تسمى ندامة هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي الا على ما كانوا
ومعنى الاستفهام النفي فالا داخل بعد النفي والمقصود بيان
استحقاقهم ولما ذكر استحقاقهم للعذاب يذكر ما يدل على ذلك وفيه
اشعار بصدق كلام المستضعفين فقال وما ارسلنا في قرية من نذير
الا قال مترفوها اغنياؤها ورؤساؤها انا بما ارسلتم به كافرون بما متعلق
بكافرون والتقديم للاهتمام ومحافظة رؤس الاي وبه متعلق بارسلتم
وقالوا اي المترفون نحن اكثر اموالا واولادا وما ذلك الا من محبة الله
لنا وما نحن بمعذبين فلا يعذب المحب حبيبه ابدا قل ردا لحسبانهم ان ربي
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يضيق لمن يشاء فلا البسط للرضى ولا
التضييق للسخط ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحسبون ان كثرة الاموال
والاولاد لشرف على البتة وما اموالكم ولا اولادكم بالتي اي بالخصلة
التي تقربكم عندنا زلفى فعلى ما قررنا النفي راجع الى المقيد وزلفى مفعول
مطلق كانبتكم من الارض نباتا ومعناه ما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم
بالتي تقربكم قربة فانما المقرب هو التقوى الا من آمن وعمل صالحا تفسير
السلف دال على ان الاستثناء منقطع فاولئك لهم جزاء الضعف من

اضافة

اضافة المصدر الى المفعول والجزاء يتعدى الى مفعولين اي يضاعف
حسناتهم الى عشر الى سبعمائة بما عملوا وهم في الغرفات غرفات الجنة
آمنون من المكاره قيل الاستثناء متصل وهو بحذف مضاف اي الا
اموال واولاد من آمن بان يصرفها في الخيرات ويعلمهم شرايع الدين
او يكون المستثنى من ضمير الجمع الذي هو بمنزلة احد فكانه قال لا يقرب
احد الا من آمن والمراد من آمن منكم فبدل البعض والذين يسعون في
آياتنا بالرد والطعن معاجزين يحسبون انهم يعجزوننا اولئك في
العذاب محضرون هذا في مقابلة وهم في الغرفات آمنون قل ان
ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع تارة ويضيق
وقتا آخر بحسب المصلحة فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في
شخصين كذا قيل وما انفقتم من شيء قليل وكثير في رضى الله تعالى فهو
يخلفه يعوضه والظاهر ان مساق قل ان ربي في المومنين سيما مع قوله
وما انفقتم فهذا لمقام الوعظ والتزهيد بخلاف الاول وعلى هذا زاد
هنا من عباده والمناسب للاخلاف في الاخرة كما قاله مجاهد ولا بعد
ان يعوضه في الدنيا اما بالمال او بالقناعة فهي كنز لا ينفد وهو خير
الرازقين وكل رزق يظهر من يد احد فهو من رزق الله اجراه على يده
مع منة وذلة وقلة ولما مر مرارا ان ليس للملائكة شفاعتهم ولكن للانبياء
لا ينكرون قرب بعض الملائكة فربما طرأ لبعض اذهان الجهلة انهم يشفعون
معنا في قربهم ونحن نعبدهم فكيف لا يشفعوننا فاقنط المشركين ووبخهم فقال
ويوم يحشرهم جميعا اي الكفار ثم يقول للملائكة توبيخا للكفار اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون فالخطاب للملك والتقريع للكفرة فهذا وارد على
المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة كما قال الله انت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ونظيره واذا الموءودة سئلت
باي ذنب قتلت هؤلاء مبتدأ وجملة كانوا خبره وتقديم مفعول يعبدون
فصار منفصلا ابلغ في الخطاب مع رعاية الفواصل قالوا سبحانك
من ان نثبت لك شريكا انت ولينا من دونهم انت الذي نواليه
من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم اشاروا الى ان الثابت المعاداة ولا

لا تظنن ان هذا الكلام الزمخشري الذي اعترضوا عليه
بل هذا وجه آخر وجيه لا غبار عليه فتأمل
منه

ولا نرضى بعبادتهم بل كانوا يعبدون الجن فانهم مطيعون للشياطين
في قبائحهم وهم راضون بها اكثرهم بهم مؤمنون فان قليلا من الانس
لا يصدقون الجن فاكثرهم اتباع الشياطين فاليوم لا يملك بعضكم
لبعض نفعا ولا ضرا بخلاف حال الدنيا فانهم يتضارون وينتفعون
والامر في هذا اليوم كله لله ظاهرا وباطنا والاظهر ان الخطاب للكفار لان
ذكر اليوم دال على حضورهم ونقول عطف على لا يملك للذين ظلموا
وبدلوا عبادة غير الله بعبادته ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
قيل لما كان هذا اول دخولهم النار فالمناسب تكذيب النار واما في
سورة السجدة فهم في وسط العذاب متقلبون فيه بدليل قوله كلما ارادوا
الاية قال الذي كنتم به لما اخبر بانهم في اشد عذاب شرع يبين استحقاقهم
وانهم وجدوا ما عملوا فقال واذا تتلى عليهم اياتنا القرانية بينات
قالوا ما هذا اي محمد حقروه الا رجل يريد ان يصدكم يمنعكم عما كان يعبد
اباؤكم ما قالوا ذلك الا خوفا من ان يتبع احد منهم من ضلالهم القديم
وقالوا ما هذا اي القران الا افك غير مطابق للواقع مفترى على الله وقال
الذين كفروا للحق لما جاءهم اي القران ان هذا الا سحر مبين طعنوا اولا
في التالي ثم في ما جاء به بانه كذب مخترع ثم بانه سحر واضح لما فيه من تاثيره
في النفوس والاعجاز الدال على الصدق ويحتمل ان يكون ذلك صادرا عن
مجموعهم ويحتمل ان كل جملة منها قالها قوم وقيل قائل ان هذا غير قائل الاولين
وقوله لما جاءهم مشير الى انهم بادروه من غير تامل الى الانكار وما اتيناهم
من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يعني لا وجه لتكذيبهم
ولا شبهة في ايديهم وان كانت باطلة كشبهة اهل الكتاب نحن اهل
كتب وشرايع مستندون الى رسل فليس لقريش عهد بانزال كتاب
ولا بعثة رسول كما قال تعالى ام اتيناهم كتابا فهم به مستمسكون او كانوا
يقولون لو جاءنا نذير وانزل علينا كتاب لكنا اهدى من غيرنا فليس هذا
القران الا اول كتاب وما انت يا محمد الا اول نذير ثم توعدهم بقوله
وكذب الذين من قبلهم الكفرة الماضية من الامم وما بلغوا هولاء اي قريش
معشار ما اتيناهم من كثرة المال وطول العمر وقوة البدن فكذبوا رسلي

فكيف

فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان
نكيري فليحذر هولاء الضعفاء عن مثل ما وقع على هولاء الاقوياء المعشار
بمعنى العشر وليس في العدد هذا الوزن غيره سوى المرباع اي الربع وقوله
فكذبوا عطف على كذب عطف مقيد على مطلق اي فعلوا التكذيب فكذبوا
رسلي كما قدمت على الضرب فضربته او على ما بلغوا والضمير لقريش
اي ما بلغوا معشار الماضين فكذبوا رسلي نحو ما بلغت معشار علم زيد فتفضل
عليه وجميع الانبياء بشر والجاتهم فمن كذبه كذبهم وعلى الوجه الاول قوله
وما بلغوا معشار ما اتيناهم معترضة وعلى الثاني هو مع قوله فكذبوا رسلي
معترض لان كيف كان نكير للمكذبين الاولين وقيل مجموع الضمائر سوى ضمير
قبلهم للامم السالفة اي وما بلغوا في شكر النعمة معشار ما اتيناهم من
النعم والاحسان هذا ما اختاره صاحب البحر لتناسق الضمائر وقيل ضمير
اتيناهم لقريش اي ما بلغ الامم السالفة معشار ما اتينا قريشا من
الايات البينات فان القران اعلى كل معجزة ومحمد افضل كل رسول
صلى الله وسلم على الجميع وهذا ما اختاره الرازي ثم لما حذرهم التفت
اليهم ونصحهم فقال قل يا محمد انما اعظكم ارشدكم بواحدة اي بخصلة
واحدة ان فعلتموها اصبتم الحق ان تقوموا لله مثنى وفرادى هي القيام
عن مجلس الكثرة والتحدث فانه يشوش الفكر لوجه الله متفرقين اثنين
اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في امر محمد فالاثنان يعرض كل محصول
فكره على صاحبه وينظران فيه متصادقين على انصاف والفرد يفكر
في نفسه من غير ان يكابر نفسه ويعرض على عقله ما بصاحبكم من جنة
جملة مستانفة كانهم لما سمعوا كلام منصف اتجه لهم ان يسالوا لاي
شيء هذا التامل العميق فقيل لان ما بصدده لا يتاتى الا من شخص مجنون
لا يبالي من الافتضاح وكامل العقل صادق مبرهن مدعاه وقد علمتم
ان صاحبكم لا يرى منه اثر جنون بل الذي يظهر منه الراي الثاقب
فيترجح فيه اثر الصدق والحق قيل الارجح لفظا ان تتفكروا معلق والجملة
المنفية في موضع نصب بنزع الخافض اي في انتفاء الجنة عنه وقيل ما استفهامية
اي تتفكروا اي شيء به من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي قدام عذاب

شديد لما انتفى عنه ما خيلوه به بقي امكان ان يكون دعواه لغرض دنيوي فنفاه وقال قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ما اما موصولة والضمير محذوف اي سألتكموه ودخل الفاء على الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط واما شرطية معمولة لسألت اي اي شيء سألتكم وجملة فهو لكم جواب والمعنى على الوجهين احدهما نفي مسألة الاجر بالكلية كما يقول لما اعطيتني فخذه يريد تعليق الاخذ بما لم يكن والثاني المراد ان ما سألتكم لنفعكم نحو ما سألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد فيعلم صدقي وحاجتي الى ربي قل ان ربي يقذف اي يرمي بالحق الاظهر ان معناه يقذف الوحي ملتبسا بالحق لا بالباطل فان قذف متعد بنفسه ولو جعلت بالحق هو المفعول لزدت الباء في موضع لا يطرد زيادتها علام الغيوب صفة لربي تابع لمحله او بدل من ضمير يقذف او تقديره هو علام قل جاء الحق القران والاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد اي هلك الكفر بالكلية فان من صفة الحي الابداء والاعادة فاذا لم يبدأ الشيء فهو ميت كما تقول لا يأكل ولا يشرب فهذا مثل في الهلاك قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وبال ضلالي على نفسي لانها هي السبب مثل ضلالكم وان اهتديت فبما يوحي الي من ربي اي فاهتدائي بالوحي المنير من ربي ليس كاهتدائكم الا ان الكل من الله انه سميع قريب فيسمع قول كل ضال ومهتد ولو ترى الكفار اذ فزعوا عند عذابهم وظهور الحال عليهم في الاخرة وعن ابن عباس هذا في خسف البيداء فان ثمانين الفا يغزون لخراب الكعبة فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف بمعنى لرايت حالا هائلة ولو اذ والافعال من فزع واخذ وحيل بلفظ الماضي بلفظ الماضي لتحقق وقوعه بالخبر الصادق فالمراد بها الاستقبال فلا فوت لهم منا ولا مهرب واخذوا عطف على لا فوت يعني اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا من مكان قريب كناية عن سهولة الامر اي اخذناهم اخذا يسيرا علينا وقالوا امنا به بما دعانا به واني لهم التناوش من مكان بعيد تمثيل لطلبهم ما لا يكون فان التناوش تناول سهل لشيء قريب فاذا كان الشيء بعيدا يستحيل الوصول اليه يعني من اين لهم تناول الايمان والتوبة

في الاخرة وما هما الا في الدنيا وقد كفروا به والجملة حالية من قبل في الدنيا حين يدعوهم الى الايمان ويقذفون بالغيب من مكان بعيد عطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية يرمون بالظن كانهم رموا الى شيء بعيد في الظلمة ثم يزعمون انهم ضربوه يعني وقد كفروا وظنوا ظنا بعيدا عن الصواب واعتقدوا كقولهم لا بعث ولا جنة ولا نار وحيل بينهم وبين ما يشتهون كالايمان وشهواتهم الدنيوية قال صاحب البحر لو كان بينهم قائما مقام الفاعل لقرأ بالرفع نحو لقد تقطع بينكم في قراءة الرفع فالوجه ان الفاعل في مثل هذا ضمير المصدر يعني حيل هو اي الحول ولكونه اضمر لم يكن مصدرا موكدا فجاز قيامه مقام الفاعل كما فعل باشياعهم باشباههم من قبل من كفرة الامم المتقدمة انهم كانوا في شك مريب من ارابه اذا اوقعه في الريب او من اراب الرجل اذا صار ذا ريب وعلى الوجهين مجاز فعلى الاول مكنية شبه بشخص واثبت له من خواص الانسان وهو الارابة على التخييلية كما تثبت للمنية اظفارها وعلى الثاني من الاسناد المجازي لان الريب لصاحب الشك فاسند الى الشك كشعر شاعر والحمد لله حق حمده

سورة الملائكة مكية خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر مبدع السموات والارض جاعل الملائكة رسلا بالوحي وغيره من اوامره ولا يريد ان جميعهم رسل والاضافة في فاطر محضة لانها بمعنى الماضي وكذا في جاعل بمعنى خالق ورسلا حال مقدرة هذا هو الاصح اولي اي ذوي اجنحة متعددة مثنى وثلث ورباع في محل الجر صفات لاجنحة يعني اجنحة بعضهم اثنان اثنان لكل منهم جناحان وكذا في ثلث ورباع ونحن نؤمن بما قال الله والعلم بالكيفية ليس علينا والحمد لله على ان خلصنا في مثل ذلك من التأويلات البدعية يزيد في الخلق ما يشاء اي في خلق الاجنحة وغيرها ما يشاء زيادته ففي الحديث انه راى جبريل ليلة المعراج صلوات الله عليهما وسلامه وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ان الله على كل شيء قدير ولما قال انه على كل شيء قدير يؤيده ويبينه فقال ما يفتح الله يرسل ويطلق للناس من رحمة رزق ومطر ومن صنوف نعمائه ومن رحمة حال فان اسم الشرط

لا يوصف فلا ممسك لها لما فسر الشرطية بمن رحمة انث الضمير اليها
باعتبار المعنى وما يمسك الظاهر انه عام في الرحمة وغيرها فلا مرسل
له من بعده بعد امساكه وتذكير ضميره لانه عام او باعتبار لفظ ما وهو
العزيز الغالب الحكيم في افعاله ولما بين ان جميع الامور منه سبحانه
امر الخلق بشكر انعامه فقال يا ايها الناس اذكروا بالشكر ولا تنسوا
نعمة الله عليكم من حسن الصورة والرزق وغيرها مما لا يعد هل
من خالق غير الله بالخفض نعت على اللفظ وبالرفع نعت على الموضع
والخبر مقدر اي هل خالق لكم فالاستفهام للتقرير يرزقكم من السماء
والارض مستانفة وصفة اخرى لخالق لا اله الا هو فهو الخالق
الرازق وحده فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد ولما
كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتم النعم واعمها
واكثر الناس انكروه وما شكروه بين سببه وسلى قلبه الاشرف فقال
وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فتاس بتكذيب الرسل من
قبلك فقد كذبت رسل ذوو عدد كثير واولو ايات بينات فقوله
كذبت وضع موضع الجزاء والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما يستحقه
يا ايها الناس ان وعد الله حق فالجزاء متحقق لا يخلف الله وعده
فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فيذهلنكم التلذذ بما فيها عن الاخرة ولا يغرنكم
بالله الغرور اي الشيطان فيحملكم على المعاصي بانكار البعث او بوعد
التوبة والمغفرة الى ان فات موقعها ومن يضمن لكم التوفيق ان الشيطان
لكم عدو من قديم الزمن فاتخذوه عدوا ولا تغتروا بامانيه انما يدعو
حزبه متبعيه ليكونوا من اصحاب السعير لان يتركوه في المنزل
والمنزلة الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة واجر كبير بيان لحال موافقيه وحزبه ومخالفيه
وحزب الله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا كمن وفق فراى الحق
حقا والباطل باطلا ويدل على هذا قوله فان الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كانه لما قال النبي افمن
زين له سوء عمله كمن لم يزين قال صلى الله عليه وسلم لا قال له فاذا

كان

كان كذلك فلا تهلك نفسك حسرة فان الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء فقدم واخر اهتماما بشان المقدم قوله حسرات مفعول له وعليهم
صلة تذهب نحو هلك عليه حبا ومات عليه حزنا ولا يجوز تعلقه بحسرات
لان معمول المصدر لا يتقدم عليه ان الله عليم بما يصنعون فاصبر على
مراد الله ولما قال يا ايها الناس ان وعد الله حق وقال لا ينسينكم
الحيوة ولا الشيطان ذكر الاخرة اتى بمثال دال عليه فقال والله الذي
ارسل الرياح فتثير صيغة المضارع بين الماضيين حكاية للحال الماضية
استحضار لتلك الصورة البديعة كانه يريكم سحابا فسقناه من السوق
التفت من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص لما فيه من مزيد الصنع وما هو
الا الغاية والمقصود الى بلد ميت فاحيينا به بالمطر وهو المفهوم من
الكلام وجاز ان يرجع الضمير الى السحاب وهو السبب البعيد الارض بعد
موتها كذلك النشور في الحديث ينزل من تحت العرش مطر فيعم الارض
وينبت الاجساد من قبورها كما ينبت الحب في الارض ولما اثبت
القدرة والوحدانية والحشر والنشر ما بقي لعابدي الصنم مستند عندهم
الا انهم يتعززون بها كما قال تعالى اتخذوا من دون الله الهة ليكونوا
لهم عزا واراد تبيين ضلالهم في ذلك ايضا فقال من كان يريد العزة في الدنيا
او في الدنيا والاخرة فلله العزة جميعا لا يكون عزيزا الا من اعزه الله
فليطلب منه بما يرضيه سبحانه اليه يصعد الكلم الطيب التهليل والتحميد
والتسبيح ولما كان الكلم والعمل الصالح الذي بينه الدين الحنيفي رفعه
يوصله الى محل القبول وقوله اليه يصعد مستانفة تبين كيفية نيل
العزة من الله واما ان الضمير المستتر في يرفع عائد الى الكلم الطيب
فخلاف المتبادر والمختار لفظا وقد نص سيبويه في مثل قام زيد وعمروا
يضربه بكر المختار نصب عمروا والمراد العمل الصالح يرفعه الله قيل العمل
الصالح عطف على الكلم الطيب وقوله يرفعه استئناف اي يرفعهما الله
والضمير قد يجري مجرى اسم الاشارة ولما بين ما تحصل العزة بين ما
يكسب الذلة فقال والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات
او اصناف المكر السيئات كمن استحكم من قريش مكره في احدى ثلث

الاول ان السيئات صفة محذوف
والثاني ان المراد من السيئات اصناف
من غير حذف ...

اثبات رسول الله اعني حبسه المؤبد او قتله او اخراجه كما مر في الانفال
لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور يبطل ويفسد لا مكر الله اذ
اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر وحقق فيهم قوله ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين قيل ضمن يمكرون معنى يكسبون فقوله
السيئات مفعول به والمراد المراؤن والمنافقون يوهمون انهم
في طاعة الله ولما بين التفاوت البين في العمل اتبعه ما هم عليه من
وحدة الاصل فقال والله خلقكم من تراب بخلق آدم منه ثم من
نطفة ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
من زائدة لمعنى الاستغراق في النفي وبعلمه في معنى الحال من انثى فاعل
تحمل وتضع واثبات العلم الواقع على المحمول والموضوع باثبات العلم
بالحمل والوضع وما يعمر من معمر من زائدة للاستغراق سماه بما يؤول
اليه وهو الطويل العمر ولا ينقص من عمره هذا على الوجهين الاول ان الضمير
الى المعمر على التسامح المشهور اعتمادا على فهم السامع نحو لك علي دينار
ونصفه الثاني انه اليه لفظا ومعنى فان الثابت ان فلانا اذا حج مثلا
فعمره ستون والا فخمسون فاذا حج فقد عمر والا فقد نقص من عمره الذي
هو الغاية وهو ستون الا في كتاب صحيفة كتب في بطن امه او اللوح
المحفوظ ان ذلك الحفظ والزيادة والنقصان على الله يسير
لا عسر في ذلك وما يستوي البحران بيان قدرة اخرى هذا عذب
فرات سائغ مريء شرابه وهذا ملح اجاج يحرق بملوحته ومن كل
من البحرين تاكلون لحما طريا اي السمك وتستخرجون عطف على جملة
ومن كل تاكلون حلية هي اللآلي تلبسونها عن ابن عباس اللؤلؤ يحصل
من مطر ينزل من بحر تحت العرش في البحر الاجاج فعلى هذا صدق
انه منهما قيل البحران مثل للمؤمن والكافر وقوله ومن كل اما استطراد
او تتميم لتفضيل المشبه به نحو ان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وترى
الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها لتبتغوا متعلق بمواخر
من فضله من فضل الله بالتجارة ولعلكم تشكرون نعمه يولج الليل
في النهار قدرة اعظم وفيها من اتم ويولج النهار في الليل وسخر الشمس

والقمر

والقمر كل من الشمس والقمر يجري لاجل مسمى هو يوم القيمة ذلكم الموصوف
بتلك الصفات المذكورة الله مبتدأ او خبر ربكم خبر ثان له الملك
وحده اما خبر ثالث او مستانفة والذين تدعون من دونه بالالوهية
من ملك او صنم ما يملكون من قطمير القشرة الرقيقة الملتفة على النواة
ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم فانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض
ما استجابوا لكم لعجزهم عن ان ينفعوا احدا ويوم القيمة يكفرون بشرككم
ينطق الله الاصنام فيتبرؤن منكم قائلين ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك
مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به ولا خبير اعلم من الله
وهو الذي اخبركم والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق
لاني خبير بما اخبرت به قيل الخبير الصنم فانه اخبر عن نفسه بالتبري عن
الشرك فكانه قال لا يخبرك مثل من يخبرك عن نفسه فهو صادق ولما
اختص تعالى بالملك ونفي عن الشركاء النفع انتج الاختصاص قوله يا ايها
الناس انتم الفقراء الى الله فان احتياجكم او فقركم والله هو الغني
الحميد المنعم عليكم بما يستوجب الحمد فان الغني بدون الجود غير محمود
ان يشا يذهبكم فانه غير محتاج اليكم ويات بخلق جديد على حسب ارادته
فانه قادر تام القدرة وما ذلك على الله بعزيز بعسير او بنادر قليل
كما فعل في زمن نوح وغيره ولا تزر وازرة لا تحمل نفس آثمة وزر اخرى
اثم نفس اخرى وان تدع مثقلة الى حملها اي وان تدع نفس اثقلتها
اوزارها احدا من الاحاد الى ان يحمل بعض ما عليها لا يحمل منه من وزره
شيء ولو كان المدعو ذا قربى من مثل اب وام واخ وابن والمسبوق بالتضمن
الوعيد وبعض احوال القيمة كان ذلك انذارا فذكر ان الانذار انما يجدي
من يخشى الله بالغيب فقال انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اي
يخشون عذاب ربهم حال كون العذاب غائبا عنهم لم يروه او يخشونهم
عن الرب في السر حال كونهم غائبين عن محضر الناس واقاموا الصلوة ومن
تزكى عن دنس المعاصي فانما يتزكى يتطهر لنفسه نفع التطهير لها وفيه اشارة
الى ان خشية الله في السر واقام الصلوة هي العمدة في تزكية النفس
والى الله المصير فيجازيهم ولما بين افتقار الناس الى الله الغني وبين قدرته

وان كل احد تحت عمله لا ينفعه قريبه والنفع خشية الله واقامة الصلوة
وختم بان المصير الى الله اعقبه بما دل على ان المنتفع بالايات ليس الا
من هو بصير ذو حيوة عند الله وما ذلك الا المومنون فقال وما يستوي
الاعمى والبصير هذا على وزان وما يستوي البحران ولا شك ان الاعمى
مثل للكافر الجاهل والبصير مثل للمومن فكذا البحران ولما كان التفاوت
بين الجنسين مقطوعا به لا بين الافراد فانه قد يكون لفرد منه ذكا يساوي
به البصير البليد افرد الاعمى والبصير ولا الظلمات هي طرق الجهل وهي
متعددة ولا النور الحق والتوحيد وهو طريق واحد ولا الظل الراحة
ولا الحرور حر وسموم وتعب وما يستوي الاحياء ولا الاموات التفاوت
بين الاحياء والاموات ثابت سواء قابلت الجنس بالجنس والفرد بالفرد
لما ذكر مثلين الاعمى والبصير وبين ان البصير ولو كان حاد النظر لا يبصر الا
في ضوء ذكر ما هو الكافر فيه من ظلمات كفره وما هو المومن فيه من نور ايمانه
ثم ذكر مآل امرهما اليه وهو الظل الذي فيه الراحة والسموم الذي فيه التعب
وتكريرلا على الشقين لمزيد التاكيد ثم ذكر مثلا آخر هو فوق حال الاعمى والبصير
اذ الاعمى يشارك البصير في ادراك ما والكافر ليس كذلك ولذلك اتى بلا
التاكيدية في الاخير وما اتى في الاول فان التنافي بين طرفي الاخير اقوى واعاد
قوله وما يستوي ليعلم انه مثل آخر ان الله يسمع من يشاء سماع قبول
وما انت يا محمد بمسمع من في القبور والكفار كميت تحت التراب لا تنفعهم
مواعظك ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار انا ارسلناك بالحق
يحتمل الحال من احد المعمولين قيل صفة مفعول مطلق اي ارسالا مصحوبا
بالحق بشيرا لمن اطاع ونذيرا لمن خالف وابى وان من امة اهل كل عصر
الا خلا مضى فيها نذير ينذرهم من عقاب الله وحتى بقيت اثار النذارة
صدق ان تلك الامة لم تخل عن نذير ولهذا لما اندرست اثار نذارة عيسى
بعث الله خاتم النبيين والايات الدالة على ان قريشا ما جاءهم نذير
معناه ما جاء الى المعاصرين ولا الى ابائهم الاقربين كيف لا ودعواهم
انهم على ملة ابرهيم عليه الصلوة والسلام وان يكذبوك فليس ببدع
منهم فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم من باب التنازع والعمل

للثاني

للثاني لان كذب يقتضي نصب رسلهم بالبينات المعجزات الظاهرة
وبالزبر الصحف وبالكتاب المنير الواضح المبين وهذه تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم اخذت الذين كفروا اهلكتهم فكيف كان نكير انكاري
وتغييري لهم بالعقوبة وعيد لقريش ولما قرر وحدانيته بادلة واشار الى
اتبعها بحجج سماوية وارضية فقال الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا
اسند الى ذاته الاقدس نعمة الاخراج التي هي اتم واغرب بضمير العظمة
به ثمرات مختلفا الوانها كالصفرة والخضرة او المراد اجناسها كالرمان
والتفاح ومن الجبال جدد بيض مبتدا او خبر عطف جملة على جملة يعني
ومن الجبال ذو جدد اي خطط كانها طرائق واضحة منفصل بعضها
عن بعض كالعروق وحمر يعني بعضها ابيض وبعضها احمر مختلف الوانها
لان البياض والحمرة يتفاوت بالشدة والضعف وغرابيب سود
يقال اسود غربيب اي شديد السواد عطف على بيض اصله سود غرابيب
حذف الموصوف ثم فسر به او سود تاكيد لغرابيب ومن الناس والدواب
والانعام قوله والدواب عموم بعد خصوص وقوله والانعام خصوص
بعد عموم مختلف الوانه كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال والوقف
على كذلك حسن ويحتمل ان كذلك خبر محذوف اي الامر كذلك اي
كما بين ولخص انما يخشى الله من عباده العلماء لما قال الم تر الى المطر واثاره
واختلاف هيات الاجناس من اثار صنع الله اتبعه قوله انما يخشى الله
يعني انما ينجع وينفع ويوثر فيمن يخشى الله بالغيب وهم العلماء لا الجهلة الذين
يدعون العلم وليس لهم نصيب من الخشية وفيه تنويه منزلة العلماء العاملين
والوصف بالعلم وهو المشعر بالعلية دل على ان من لم يخش لم يكن عالما مع
ان العلماء جمع محلى باللام مفيد للعموم غالبا ان الله عزيز فيتمكن من الانتقام غفور
للعصاة فحقه ان يخشى ويرجى لما وصف العلماء اعقبه ببعض اوصافهم فقال
ان الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته او متابعته واقاموا الصلوة
دل عطف الماضي على المضارع على الاستمرار وايضا مقام المدح يساعده
كما تقول فلان يقري الضيف وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يحتمل
وجهين من الاعراب انفاقا سرا او سائرين يرجون تجارة فيه اشارة الى

الاخلاص اي يقصدون بذلك وجهه تعالى لا رياء ولا سمعة والجملة خبر ان
لن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد ليوفيهم اجورهم اي ليوفيهم الله
بنفاق التجارة اجورهم قيل علة للتلاوة والاقامة والانفاق ويزيدهم
على الاجر الذي قرره من فضله انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم والذي
اوحينا اليك من الكتاب اي القرآن فمن للتبيين هو الحق مصدقا لما بين
يديه من الكتب السماوية ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر
ولهذا اجتباك واصطفاك وانزل عليك هذا الكتاب المهيمن ثم اورثنا
حكمنا بتوريثه منك وجاز ان يكون التعبير بالماضي لتيقنه الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا يعني الك واصحابك ومن بعدهم من امتك
فمنهم ظالم لنفسه لتقصيرهم في العمل بما دربوا وهم يحبسون في طول المحشر
حتى يصيبهم ما يصيبهم من الهم الطويل ثم يدخلون الجنة كذا رواه الامام احمد
وابن ابي حاتم وابن جرير ويدل على ما فسرنا احاديث مختلفة وفي حديث
لا باس به انهم الذين يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ومنهم مقتصد
متوسط في العمل خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فهم يحاسبون حسابا يسيرا
ومنهم سابق بالخيرات بالطاعات هم الاخيار والابرار باذن الله الاظهر
انه متعلق بالاخير وهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب اخرهم لقلتهم
وللترقي من الادنى روى ابو داود عن عائشة حين سال عقبة عن تلك الاية
انها قالت كلهم في الجنة اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشهد له بالجنة واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه واما الظالم
فمثلي ومثلكم قيل ضمير فمنهم لعبادنا والمراد من ظالم لنفسه الكافر والمنافق
وهو خلاف المتبادر والمنقول المعتمد ذلك التوريث قيل السبق هو
الفضل الكبير العظيم جنات عدن مبتدأ يدخلونها خبره ويدل على انه مبتدأ
وخبر القراءة الشاذة جنات بالنصب على شريطة التفسير وضمير يدخلونها
عائد الى الاصناف الثلثة وهو قول عمر بن الخطاب وقال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له
وقال صاحب البحران هذا قول ابن مسعود وعثمان بن عفان وابي الدرداء
وعقبة بن عامر وابي سعيد وعائشة ومحمد بن الحنفية وجعفر الصادق وكعب

الاحبار رضي الله عنهم يحلون فيها من حليت المراة اذا جعلت لها حليا
حال مقدرة او خبر بعد خبر من اساور جمع سوار ومن للتبعيض من ذهب
بيان لاساور ولؤلؤا بالجر عطف على اساور او على ذهب بان يكون اساور
من الذهب المرصع باللالي وبالنصب عطف على محل من اساور ولباسهم فيها
حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور للذنوب
شكور للطاعة الذي احلنا دار المقامة اي الاقامة لا ارتحال منها من فضله
فان طاعتنا في جنب ما اعطانا حقيرة قليلة لا يمسنا فيها نصب
تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال وملال والذين كفروا مقابل الذين
اصطفينا من عبادنا دال على ان الاصناف الثلثة في الجنة والحمد لله اضعاف
ما حمده الحامدون لهم نار جهنم لا يقضى عليهم بالموت فيها فيموتوا جواب
النفي منصوب باضمار ان والمعنى انتفى القضاء عليهم فانتفى مسببه
ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ
في الكفر او في الكفران وهم يصطرخون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة
فيها قائلين ربنا اخرجنا نعمل صالحا اي عملا صالحا غير الذي كنا نعمل صفة
صالحا او بدل قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فجاز ان يكون
معناه نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم جواب من
الله لهم وهو استفهام توبيخ وتقرير وقد روي ان الجواب بعد مضي مقدار
الدنيا ما يتذكر فيه من تذكر ما مصدرية ظرفية اي مدة تذكر ومن فاعل يتذكر
والاصح الدال عليه الاحاديث المروية في البخاري والنسائي والطبراني
وغيرها انه ستون سنة وجاءكم عطف على معنى اولم نعمركم كانه قال عمرناكم
وجاءكم نحو الم نشرح لك صدرك ووضعنا النذير الرسول او الشيب وقيل موت
الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير ومثل هذه الايات صريح في
ان عذاب الكفر مخلد فالعدول الى ان الله عالم غيب السموات والارض
فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له يعني اذا علم مضمرات
الصدور فكيف يخفى عليه شيء آخر هو الذي جعلكم خلائف في الارض جمع خليفة
اي خلفاء لقوم آخرين اورثكم ارضهم وديارهم وفيه اشارة الى انهم لم يتعظوا
بحال من قبلهم من مكذبي الرسل وما حل بهم من المصائب المفضية الى الهلاك

فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا اشد البغض
وهم يحسبون ان الهتهم شفعاؤهم ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا
وهم يحسبون انهم على شيء الا انهم هم الخاسرون قل ارايتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ارايتم بمعنى اخبروني
يطلب مفعولين احدهما منصوب هو شركاءكم والاخر مشتمل على الاستفهام
هو ماذا خلقوا نحو ارايت زيدا ما صنع واروني جملة اعتراضية فيها تاكيد
للكلام وتشديد هذا هو النحو المتين المبين فلا ينبغي العدول عنه يعني هل استبدوا
بخلق شيء فاستحقوا العبادة ام لهم شرك في السموات شركة مع الله
في خلقها ام اتيناهم الاصنام او المشركين كتابا بانهم شركائي فهم على
بينة حجة واضحة منه من ذلك الكتاب فعبادتهم للاصنام لا عقلية
ولا نقلية لانه لا عقل لمن يعبد ما لا يخلق جزءا من الارض ولا له شرك في السماء
ولا نقل لمن لم يؤت اليه كتاب فيه امر بعبادة هؤلاء بل ان يعد الظالمون
بل اضراب عن الكل بعضهم بدل من الظالمون بعضا الا غرورا فان
الاخلاف والاتباع اعتمدوا على قول رؤسائهم واسلافهم على انهم شفعاء
وما هو الا غرور ولما بين فساد امر الاصنام عقب بذكر عظمته وقدرته
ليتاكد حقارة الهتهم فقال ان الله يمسك السموات والارض ان
تزولا لا يستقلا من اماكنهما فلا يبقى النظام الذي تراه والمراد فيهما يعني
يمنعهما من الازالة فان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما من احد
من مزيدة للاستغراق من بعده من ابتدائية اي من بعد ترك امساكه
قوله ان امسكهما الجملة المنفية جواب للقسم دال على جواب الشرط
انه كان حليما غفورا لا يعاجل بالعقوبة مع كمال قدرته واستحقاقهم
ولما بين انكارهم للتوحيد بين تكذيبهم للرسل فقال واقسموا بالله الضمير
لقريش جهد ايمانهم قسما غليظا منصوب على انه مفعول مطلق وقيل حال
لئن جاءهم نذير حلفوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
لئن جاءهم نبي ينذرهم ليكونن اهدى من احدى الامم حكاية لمعنى كلامهم
حيث لم يقل لئن جاءنا نذير لنكونن كانوا يلعنون اليهود والنصارى
حيث كذبوا رسلهم وقالوا لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى

ذكر في اعرابه وجوه اخر انظر الى الكشاف حتى تنكشف عليك الحال
منه

الامم

الامم قيل معناه من الامة التي هي احدى الامم اي افضلهم واهديهم يقول
فلان واحد القوم وواحد العصر ومن هنا قال البعض معناه
من جميع الامم الذين ارسل اليهم الرسل فلما جاءهم نذير خاتم الانبياء ما زادهم
مجيئه الا نفورا عن الحق استكبارا مفعول له يعني بسبب النفور هو الاستكبار
في الارض قيل نصبه على الحال اي مستكبرين في الارض ومكر السيء
عطف على استكبارا اي الحامل على النفور الاستكبار والمكر السيء اي الخداع
الذي يرومونه برسول الله والكيد له او استكبارا بدل من نفورا
ومكر السيء من اضافة الموصوف الى صفته بدليل قوله ولا يحيق اي
يحيط المكر السيء الا باهله بالماكر يعني المكر لا يحيق في العاقبة بالتدمير
الا بالماكر وان كان قد يتخلط ظاهرا حالا فهل ينظرون ينتظرون الا سنة
الاولين من اضافة المصدر الى المفعول وسنة الله فيهم تعذيب
المكذبين جعل عدم ايمانهم مع ظهور دلائل صدقه انتظارا للعذاب
الله فلن تجد لسنة الله من اضافة المصدر الى الفاعل تبديلا تغييرا
للعذاب الى غيره فيصل العذاب البتة ولن تجد لسنة الله تحويلا
فيصل اليهم لا الى غيرهم اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم فان اثار العذاب مشاهد على ديارهم
وكانوا اشد منهم قوة تمييز وما كان الله ليعجزه ليسبقه ويفوت عنه
من شيء من للاستغراق في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا
بسبب علمه وقدرته لا يفوت عنه شيء ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
ما ترك على ظهرها اي ظهر الارض من دابة بشؤم معاصي الانسان ولكن
يؤخرهم الى اجل مسمى الى اجالهم المقدرة المعينة فاذا جاء اجلهم فان
الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على ما علم من عقائدهم
واعمالهم اللهم عاملنا بفضلك لا بعدلك

سورة يس مكية ثلاث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يس اي يا انسان او هو من اسماء الله تعالى
والقران الحكيم فعيل بمعنى مفعل او للمبالغة من حاكم او على النسبة اي
ذي حكمة قيل الاسناد مجازي باعتبار صدوره عن حكيم وهو قسم انك

لمن المرسلين الى جميع الثقلين على صراط مستقيم دين قويم وشرع
لا عوج له خبر بعد خبر او حال تنزيل العزيز الرحيم المصدر بمعنى
المفعول اي هو منزل وفي قراءة النصب بتقدير نزل تنزيل او اعني
تنزيل لتنذر متعلق بتنزيل قوما ما انذر اباؤهم يعني قوما غير منذر
اباؤهم الادنون قبل ما مصدرية فيكون مفعولا مطلقا اي لتنذرهم
انذارا مثل انذار اباؤهم الاقدمين او ما موصولة فيكون مفعولا ثانيا
والانذار يتعدى الى مفعولين نحو انذرناكم عذابا قريبا فهم غافلون
على الوجه الاول معناه لم ينذروا فهم غافلون وعلى الثاني الذي
هو الاثبات مترتب على قوله من المرسلين كقولك ارسلتك الى
فلان لتنذره فانه غافل ولا يبعد ان يترتب على قوله لتنذرهم انذارا
مثل انذار اباؤهم والذي انذر اباؤهم الاقدمون فانهم غافلون
عما انذر اباؤهم لقد حق القول كلمة العذاب على اكثرهم فهم لا يؤمنون
والعذاب لا يتحقق الا بعد الانذار وتحقق عنادهم انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا الظاهر ان هذا على حقيقته حين دخولهم النار والمراد ان
الاغلال في اعناقهم وايديهم فان الغل كذلك فهي اي الاغلال الى الاذقان
اي واصلة اليها يعني عريضة والذقن مجتمع اللحيين فهم مقمحون مضطرون
الى ان رفعوا رؤسهم وغضوا ابصارهم وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم جعلنا على ابصارهم غشاوة
فهم لا يبصرون للسدين وللغشاوة فهم في هذا المحبس مغلولون في النار
قال تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا عن محيي السنة وغيره
هذا في ابي جهل حين اخذ حجرا ليدمغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما رفعه لصقت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده وعاد الى قومه فقام
آخر اي ليقتله بهذا الحجر فاتاه فاعمى الله بصره الكافر يسمع قراءته ولا يراه
وقيل تصميمهم على الكفر شبه بذي الاغلال واستكبارهم بالاقماح فان
المقمح لا يطأطئ راسه وقوله فهي الى الاذقان تتمة لموجب الاقماح وعدم
النظر في القرون الماضية شبه بالسد من خلفهم وعدم النظر في العواقب
المستقبلة بالسد من قدامهم او السدين لانهم غير متاملين في مبداهم

ومعادهم وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون قد مر تفصيله
في اول سورة البقرة انما تنذر يعني انذارا نافعا يترتب عليه البغية من اتبع
الذكر القران بالتامل والعمل وخشي الرحمن بالغيب حال من المفعول
اي غائبا عنه الرحمن او من الفاعل اي غائبا عن عذاب الرحمن او معناه
حال كونه غائبا عن محضر الخلق اي في سره فبشره بمغفرة واجر كريم ولما كان
انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ناسب بيان الحشر والجزاء
فقال انا نحن نحيي الموتى الالف واللام للاستغراق يعني عند البعث
ونكتب ما قدموا من اعمالهم الصالحة والطالحة التي باشروها بانفسهم
وآثارهم ما سنوا من سنة حسنة او سيئة قال بعض السلف المراد ما اثروا
من الهدى والضلال والمراد آثار خطاهم الى الطاعة والمعصية ولما كان
نفع الكتابة وظهورها عند البعث عبر بقوله ونكتب والا فالكتابة مقدم
وكل شيء احصيناه نصب على الاشتغال في امام مبين اللوح المحفوظ
ولما دل تعالى على ما له من القدرة الكاملة بالافعال الهائلة من الاماتة
والاحياء وكان الامثال بالمشاهدات الصق شيء بالبال واقطع
للجدال ضرب مثلا جامعا للاصول الثلثة التوحيد والرسالة والبعث
فقال واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اضرب بمعنى اجعل بالتضمين
واصحاب مفعول اول ومثلا مفعول ثان وهذا اختيار الزمخشري
وغيره في قوله ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة اذ جاءها بدل الاشتمال
من اصحاب المرسلون من الله اذ ارسلنا اليهم بدل من اذ جاءها تفصيل
للحكاية اثنين وادعيا رسالة الله فكذبوهما مع ان اظهر المعجزة من
ابراء المريض وغيره فعززنا مفعوله محذوف للعلم به اي قويناهما
بثالث برسول ثالث فقالوا اي الرسل الثلثة انا اليكم مرسلون
من ربكم صرح بذلك ابن عباس وكعب قالوا ما انتم الا بشر مثلنا انما
الرسول ملك وان كان بشرا فلا ياتنا وهذا القول منهم دليل على
ان هؤلاء ادعوا انهم رسل الله اليهم لا انهم رسل عيسى اليهم وما انزل
الرحمن من شيء اي شيئا من الوحي والرسالة ان انتم الا تكذبون في
دعواكم قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون بالغوا واكدوا واستشهدوا

بما يجري مجرى القسم من علم الله وما علينا الا البلاغ المبين التبليغ
الظاهر المبرهن بالمعجزات قالوا انا تطيرنا تشأمنا بكم فقد تواتر
عندنا انه لم يدخل مثلكم على قرية الا عذب اهلها قيل احبس عليهم المطر
واسرع فيهم اسباب الادب معهم الجذام ولهذا قالوا تطيرنا بكم لئن لم
تنتهوا عن مقالتكم وتتركوا دعواكم لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا
عذاب اليم ذو الم قالوا طائركم سببه شؤمكم معكم لا يفارقكم لخبائث فعالكم
ائن ذكرتم ائن وعظتم تطيرتم بمن نصحكم واوعدتموه فجواب الشرط مقدر
بل انتم قوم مسرفون اضراب عن مجموع الكلام كان الرسل قالوا انا قد
جعلنا الله اسبابا للسعادة وانتم لسوء صنيعكم محرومون عنها ثم اضربوا
عنه الى ما فعلوا من التعكيس حيث جعلوا الرسل اسبابا للشقاوة وجاء
من اقصى المدينة اي من ابعد مواضعها رجل يسعى يسرع شفقة على الرسل
وقد نقل انه كان مجذوما يعبد الاصنام مدة سبعين ولم يسال عن الالهة
كشف ضره فلما دعاه الرسل الى عبادة الله وحده قال هل من اية قالوا
ندعو القادر يفرج عنك ما بك قال ان هذا لعجب لي سبعون سنة ادعو
الالهة وما استطاعوا وربكم في غداة واحدة قالوا نعم ربنا على ما يشاء
قدير ودعوا فكشف الله ما به كان لم يكن به باس فاقبل على كسب الاصح
انه نجار فنصف ما يحصل منه يصرفه لعياله والنصف الاخر للفقراء فلما
هم اهل قريته بقتل الرسل اسرع قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من
لا يسألكم اجرا يعني لا غرض له وهم مهتدون فقيل له انت تصدق
هولاء وتذم ديننا فقال وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون بعد
الموت فيجازيكم باعمالكم فاعبدوا انتم ايضا ووحدوه وصدقوا رسله
ءاتخذ من دونه من دون الله الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم
شيئا لا تمنع شفاعتهم عني شيئا من العذاب وهذا لانهم مثل قريش
يعتقدون انهم شفعاؤهم عند الله ولا ينقذون ولم يقدروا على انقاذي
اني اذا لفي ضلال مبين ان اعدل عن عبادة قادر نافع ضار الى عاجز
اني امنت بربكم الذي كفرتم به فاسمعون اي اسمعوا قولي واطيعوني
قيل الخطاب في امنت بربكم للرسل ومعنى فاسمعون اسمعوا قولي

لتشهدوا

لتشهدوا بما اقول لكم عند ربي فحين سمعوا منه هذا قتلوه بافضح وجه
قيل وطؤه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره قيل اي قال الله تعالى له
ادخل الجنة بشره واذن له في الدخول مستعقبا من غير مهلة قال لما راى
عناية الله يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي ما مصدرية وجعلني
من المكرمين تمنى علمهم بمغفرة ذنوبه وجعله من المكرمين اذ نصح قومه
في حيوته ومماته رضي الله عنه وما انزلنا على قومه قوم الحبيب من بعده
من ابتدائية اي من بعد قتله من جند من مزيدة للاستغراق من السماء
لاهلاك تلك القرية وما كنا منزلين الجند في اهلاك الامم المكذبة بل
انزال الجند لنصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاصته لشرفه
ان كانت ما كانت العقوبة الا صيحة واحدة من جبريل بعثه الله
فاخذ بعضادتي باب بلدهم فصاح فاذا هم خامدون صاروا كالرماد
فلم يبق في البلدة روح يتردد في جسده هذا قول السلف ثم اعلم
ان اكثر المتاخرين وبعض السلف على انهم رسل عيسى الى قرية انطاكية
وامن ملك القرية واكثر اهلها بعد تقوية الاثنين بثالث وظهور معجزاتهم
والاهلاك بصيحة جبريل على من لم يؤمن لكن كلام كثير من السلف انهم
رسل الله واسماؤهم صادق وصدوق وشلوم وهو ظاهر القران
لقولهم ما انتم الا بشر مثلنا والمورخون اتفقوا على ان اول مدينة امنت
برسل عيسى هو انطاكية ولهذا انطاكية عند النصارى من احدى المدائن
الاربع اللاتي تعظمها وهي القدس لانها بلد المسيح وامنت بالمسيح
عن آخر اهلها وانطاكية واسكندرية ورومية وان هذه لم يعرف انها
اهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبلها وايضا صرح كثير من السلف في
قول الله ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
ان الله ما اهلك من الامم عن اخرهم بالعذاب بعد انزال التورية
والعلم عند الله سبحانه يا حسرة على العباد نداء كانه قيل تعالى يا حسرة
فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري وعلى ما تتعلق بحسرة او صفة
لها ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون والمراد من العباد الجنس او قوم
فعل البعض واصل الى الجميع الم يروا الم يعلموا كم اهلكنا قبلهم من القرون

ولقوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث منه

فجاز ان يكون المراد من العباد الاستغراق منه

جملة كم اهلكنا قائم مقام مفعولي يروا وهو معلق عن العمل انهم اليهم لا
يرجعون قال صاحب البحر الذي يقتضيه صناعة العربية ان تقديره قضينا
او حكمنا انهم اليهم لا يرجعون وبعض القرآت انهم بكسر الهمزة دل على ما
ذكرنا لانها مقطوعة عما قبلها ولا يخفي بعد انها بدل اي بدل من الثلثة
قيل معناه كم اهلكنا قبلهم لانهم الى الرسل لا يرجعون ولا يتبعونهم وسنتنا
ان من لا يتبعهم اهلكناهم ولن تجد لسنتنا تبديلا وان كل لما جميع لدينا
محضرون اي ما كلهم الا مجموعون لدينا يوم المحشر محضرون فان نافية ولما بمعنى
الا والظرف لجميع بمعنى مجموع او لمحضرون واما قراءة تخفيف لما فعند البصريين
ان مخففة من المثقلة وما زائدة وعند الكوفيين ان نافية وما زائدة واللام
بمعنى الا واية عظيمة لهم على قدرتنا على الحشر الارض الميتة اليابسة التي لا نبات
فيها احييناها استيناف لبيان كونها اية او اية لهم مبتدأ وخبر واحييناها
خبر الارض والجملة تفسير لاية ولا يبعد ان احييناها حال بتقدير قد واخرجنا
منها حبا اي جنسه فمنه يأكلون وجعلنا فيها في الارض جنات من نخيل
واعناب وفجرنا فيها من العيون اي بعضها ليأكلوا من ثمره من ثمر
المذكور قيل الضمير لله اي ثمر الله الذي خلقه والاشجار لا بد لها من الماء
الدائم وما عملته ايديهم ما نافية والجملة حالية ولهذا قال افلا يشكرون
قيل ما موصولة عطف على ثمره والمراد ما يتخذ منه كالدبس وفي قراءة ابن
مسعود ومما عملته ايديهم قيل معناه التمر في نفسه خلق الله وفيه اثار من
كد بني ادم من الغرس والسقي والابار ولما اثبت تفرده بالايجاد والانعام
ناسب ان يعقبه تنزيهه فقال سبحان الذي خلق الازواج الانواع
كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون من
مخلوقات شتى لا يعرفون تفاصيلها وماهياتها وان كانوا يعرفونها
بوجودها الاجمالي فكأنه قال الازواج قسمان معلوم وغير معلوم فمن بيانية
والاستيعاب انما هو باعتبار المعلومية وغير المعلومية واكتفى في بيان
قسم المعلوم بذكر بعض افراده واية لهم الليل نسلخ نزيل ونكشف منه النهار
فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها اسم مكان وقد
ثبت في الصحيحين وغيرهما بروايات متعددة انه صلى الله عليه وسلم قال مستقرها

اي من كم اهلكنا قيل بدل الكل فان
عدم الرجوع والاهلاك واحد
وانت تعلم ان هذا تكلف تام
منه

تحت

تحت العرش تذهب وتسجد هناك وتستأذن في الطلوع فيقال
لها اطلعي من حيث طلعت فاذا كان عند القيمة يقال لها اطلعي من
حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها هذا هو التفسير ولا عجبا
لمن عدل عنه وهو يدعي الايمان واما كيفية ذهابها الى تحت العرش مع
ان العرش كرة محيطة او قبة ذات قوائم تحملها الملائكة فوق هذا الجانب
من الارض كما هو ظاهر بعض الاحاديث فعلمه عند الله ورسوله نحن
نؤمن به ونكل العلم اليهما كما في اكثر امور الاخرة ذلك الجري الخاص
تقدير العزيز العليم الذي خلقها واجراها والقمر قدرناه نصب بشريطة
التفسير اي قدرنا سيره منازل ظرف اي في منازل وهي ثمانية وعشرون
ينزل كل ليلة في واحد قيل قدرناه منازل النور فان جرم القمر مظلم ينزل
فيه النور لقبوله عكس ضياء الشمس مثل المرآت المجلوة اذا قوبل بها
الشعاع حتى عاد كالعرجون القديم كالعذق العتيق اليابس وهو العود
المعوج الذي عليه التمر لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر اي لا يصح ولا يتسهل
للشمس ادراكها القمر فيجتمع معه في وقت واحد فتداخله في سلطانه فتطمس نوره
ولا الليل سابق النهار المراد من الليل والنهار آيتاهما وهما النيران اي
ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء يطمس نور الشمس فسلطانها بالنهار وسلطانه
بالليل لا يدخل احدهما في سلطان الاخر قبل القيمة ووصف الشمس بعدم
الادراك لانها بطيئة السير ووصف القمر بعدم السبق لسرعة سيره
على ما نشاهد والمراد لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا الليل
على النهار ايضا يتعاقبان بحساب معلوم الى القيمة او المراد انها لا
تجتمع معه في فلك ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار وكل في
فلك يسبحون قد مر في سورة الانبياء تفصيله والجمع بالواو والنون
ربما يكون لادراك فيهما وليست السباحة من خواص ذوي العقول
وهما لاختلاف مطالعهما كانها شموس واقمار فلهذا قال كل ويسبحون
وظاهر القران ان لنفسهما سيرا وسباحة والعلم عند الله واية لهم
انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون المراد سفينة نوح فانها مشحونة
مملوة من الحيوانات والامتعة والمقصود الاصلي تذكيرهم بتلك الوقعة

التي لم تقع مثلها والمراد ذرياتهم التي في اصلاب اباءهم اي حملنا
فيها اباءهم الاقدمين الذين هم مؤمنون وفي اصلابهم ذرياتهم وتخصيص
الذرية لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب مع الايجاز وخلقنا
لهم من مثله ما يركبون من السفن التي بعد سفينة نوح قيل دخل فيه الابل
والخيل والبغال والحمير وان نشأ نغرقهم فلا صريخ فعيل هنا بمعنى مصرخ
اي لا مغيث لهم ولا هم ينقذون ينجون من الغرق الا رحمة منا اي لجهة
الا رحمة منا ومتاعا الى حين وللتمتع بالحيوة الى اجل مقدر وهو العاقبة
الموت واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم اي من مثل التي ابتليت بها الامم
المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة وعن ابن عباس ما بين
ايديكم الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم الدنيا فلا تغتروا بها لعلكم ترحمون
لتكونوا على رجاء رحمة وجواب اذا مقدر وهو مثل اعرضوا عنه
ولم يلتفتوا اليه ويدل عليه قوله وما تأتيهم من اية من ايات ربهم الا
كانوا عنها معرضين لجهلهم وعنادهم واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم
الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه
لما اسلم اقارب صناديد قريش وهم فقراء قطع الصناديد عنهم ما
كانوا يواسونهم فندبهم المؤمنون الى صلة اقاربهم فاجابوا انطعم
واكثر السلف على ان قولهم هذا استهزاء فانهم يسمعون المؤمنين يعلقون
الافعال بمشيئة الله فخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما
كانوا يقولون وهذا كما تقول لاحد اعطه دينارا فيجيب لا اعطيه
قيل انهم امروا بالانفاق فاجابوا بانا لا نطعمهم وجواب لو اطعمه وهو بغير
لام فصيح ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بالانفاق على من
خالفنا بكل وجه قيل هذا قول الله للكفار ويقولون متى هذا الوعد
يعنون البعث ان كنتم صادقين مقصودهم التكذيب والاستهزاء ما ينظرون
ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى عند قيام القيمة تأخذهم
وهم يخصمون مشتغلون في متاجرهم يخصمون انهم لا يخطر ببالهم القيمة فلا
يستطيعون توصية لمفاجأة القيمة ولا الى اهلهم يرجعون لموتهم في
مكانهم فلا يتمكنون من الرجوع الى بيوتهم ولما كان هذه الصيحة لا بد من

وقوعها

وقوعها جعلوا كانهم منتظروها ونفخ في الصور نفخة البعث بعد الصيحة فاذا
هم من الاجداث القبور الى ربهم ينسلون يسرعون قالوا حين خرجوا من
قبورهم يا ويلنا تعالى فهذا اوانك من بعثنا من مرقدنا يرفع الله
العذاب عن كل كافر اربعين سنة بين النفختين فيحسبون انهم كانوا نياما
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون من كلامهم ردا على انفسهم وتحسرا
او من كلام الملك في جوابهم كانه قيل ليس هذا ببعث النائم حتى يهمكم
السؤال عن الباعث انما هو البعث الاكبر ذو الاهوال وهو الذي وعده
الله في كتبه على السنة رسله وما اما مصدرية اي وعده وصدقهم على
تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق او موصولة اي الذي
وعده الرحمن وصدقه بمعنى صدق فيه نحو صدقوني القتال ان كانت
اي ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون
فليس الامر العظيم عندنا بعسير فاليوم لا تظلم نفس شيئا من الظلم
ولا تجزون الا ما كنتم تعملون هذا حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم
ولما ذكر اهوال القيمة اعقب ذلك بحال السعداء والاشقياء
فقال ان اصحاب الجنة اليوم بعد دخول الجنة في شغل عظيم لا يحيط
به الافهام فاكهون متلذذون خبر بعد خبر او الاول ظرف للثاني
هم وازواجهم في ظلال من الاشجار والقصور على الارائك هي السرر
في الحجال متكؤن لهم فيها فاكهة جميع انواع الفواكه ولهم ما يدعون
يدعون به لانفسهم فهو من الدعاء او يتمنون من قولهم ادع علي ما
شئت بمعنى تمنه علي سلام اي لهم سلام الله روى ابن حاتم انه قال
صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا
رؤسهم فاذا الرب تعالى قد اشرف عليهم من فوقهم وقال السلام
عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله سلام قولا من رب رحيم فقال
فينظر اليهم وينظرون اليه ولا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون
اليه حتى يحتجب منهم ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم قولا من
رب رحيم يقال لهم قولا من جهته اي يسلم الله عليهم بغير واسطة
تعظيما لهم وهذا بغيتهم ومناهم وامتازوا اليوم ايها المجرمون انفردوا

عن المؤمنين قوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون مجمل تفصيله قوله ان اصحاب
الجنة اليوم الخ قوله وامتازوا اليوم الاية في مقابلة على طريقة قولهم
زيد يعاقب بالقيد والازهاق وبشر يا فلان عمرو بالعفو والاطلاق
من ان المقصود عطف جملة قصة اصحاب النار على جملة قصة اصحاب
الجنة واوثر هنا الطلب زيادة للتهويل والتعنيف الا ترى قوله اصلوها
اليوم بما كنتم تكفرون الم اعهد اليكم العهد الوصية اي الم اوصكم بلسان
انبيائي وهذا من جملة ما يقال لهم تقريعا يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان
ان مفسرة او مصدرية انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة وان اعبدوني
عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم بليغ في استقامته اشارة
الى مصدر اعبدوني ولقد اضل الشيطان منكم جبلا خلقا كثيرا افلم
تكونوا تعقلون فتتداركوا اضلاله وعداوته فلا تتبعوا خطواته كما اتبع
الجبل الكثير يعني ان عداوته امر واضح لمن له ادنى عقل وعن ابن جرير
انه قال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة تخرج من جهنم عنق ساطع
مظلم فيقول الم اعهد اليكم يا بني آدم الى قوله تكفرون هذه جهنم التي
كنتم توعدون اصلوها ادخلوها ذائقين عذابها اليوم بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها عن التكلم روى ابن جرير
عن ابي موسى الاشعري وغيره من السلف انه يدعا الكافر والمنافق
للحساب فيعرض عليه عمله فيجحد ويقول اي رب وعزتك لقد كتب علي
الملك ما لم اعمله فيقول له الملك اما عملت كذا في يوم كذا فيقول لا
وعزتك اي رب فحينئذ ختم على فيه ويشهد عليه جوارحه وهذا صريح في
ان الكفرة يحاسبون مواخذون بما فعلهم وتكلمنا ايديهم بما فعلت
وتشهد ارجلهم بانطاق الله اياها بما كانوا يكسبون من المعاصي يقول
الكافر لجوارحه بعد ما شهدت عليه بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل
ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة
فاستبقوا الصراط اي الطريق الذي اعتادوا سلوكه قال في الاساس
استبقوا الصراط ابتدروه فعلى هذا نصب الصراط بالمفعولية فانى
يبصرون اي لا يبصرون الطريق ولو نشاء لمسخناهم قردة وخنازير

وحجارة

وحجارة على مكانتهم اي مكانهم المكانة والمكان كالمقامة والمقام
واحد قيل معناه ازمناهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون اي ولا ذهابا
ولا رجوعا ولرعاية الفواصل قال ولا يرجعون قيل معناه ولا يرجعون
الى ما كانوا عليه والحاصل انهم احقاء بالطمس والمسخ ونحن قادرون
لكن نمهلهم لحكمة ورحمة منا ومن نعمره نطل عمره ننكسه نقلبه في الخلق
فتنقص جوارحه بعد الزيادة وتضعف بعد القوة افلا يعقلون ان
القادر على ذلك قادر على البعث او على الطمس والمسخ ولما قال قريش
ان محمدا شاعر وما القران الا شعر فما فيه من التوحيد والبعث والوعد
والوعيد خيالات شعرية لا اصل لها بل من المحالات التي تلقى على
الناس في صورة حسنة نفاه تعالى وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي
الشعر له فان اكثر الشعر تحسين ما ليس بحسن وتقبيح ما ليس بقبيح ومغالاة
مفرطة وما هو الا موزون مقفى ان هو ليس الذي اتى به الا ذكر عظة من
الله وقران مبين واضح الدلالة على انه من الله عن ابن عباس ما ولد
عبد المطلب ذكرا ولا انثى الا يقول شعرا سوى النبي المصطفى لينذر
الرسول وقراءة لتنذر بالتاء الفوقانية دالة على ان الضمير في قراءة
لينذر للرسول من كان حيا حي القلب والبصيرة فانه المنتفع به ويحق
القول كلمة العذاب على الكافرين فان انكار الرسول والقران هو
السبب لالزامهم كلمة العذاب وسوء الخاتمة اولم يروا انا خلقنا لهم
مما عملت ايدينا بلا شريك ولا معاون فيستدلوا على كمال قدرتنا
واسناد العمل الى الايدي استعارة تفيد المبالغة في التفرد بالايجاد
وفي الحديث ما خلق الله شيئا بيده الا ثلثة اشياء وليس خلق الانعام
منها والا في شأننا انكار يدين لا يقتنين بالاله سبحانه انعاما مفعول
خلقنا فهم لها مالكون يعني خلقنا لهم وملكناها اياهم فهم متصرفون مختصون
بالانتفاع ولذلك امر بتسبيح الله راكبها بقوله سبحان الذي سخر
لنا هذا وما كنا له مقرنين وذللناها لهم فمنها ركوبهم فعول بمعنى مفعول
ومنها ياكلون ولهم فيها منافع من جلودها واصوافها ومشارب
من اللبن جمع مشرب اسم مكان او مصدر افلا يشكرون رب هذه

النعم ومن اين لهم ذلك لولا تسخير تلك الانعام اياهم واتخذوا مع
تلك الانعامات الجلائل من الله وحده من دون الله آلهة لعلهم ينصرون
طمعا في ان يتقووا بهم لا يستطيعون نصرهم وهم لهم الكفار للاصنام جند
محضرون يعني هم طمعوا في ان يتقووا بهم فانعكس الامر فانهم جند يغضبون
لالهتهم في الدنيا ويحفظونها او المراد جند معدون في الآخرة لعذابهم لان
الاصنام وقود نارهم فلا يحزنك قولهم الفاء متصل بقوله وما علمناه الشعر
لما رد عليهم قولهم انه شاعر اتى بقوله انا خلقنا لهم الآية تسلية له صلى الله عليه وسلم
يعني لك التأسي بربك فانه كيف اولاهم بالنعم وعلموا انه تعالى المنفرد بها
ومع ذلك عاندوا واشركوا به فاذا كان ذلك حالهم مع ربهم فلا تحزن
لانا نجازيهم على تكذيبك واشراكهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون
فمضبوط عندنا سرهم وعلنهم اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
شيء خسيس مهين فاذا هو خصيم مبين بين الخصومة لا يتأمل في بدء امره
ولا يستحيي قال مجاهد وعكرمة وغيرهما انه جاء ابي بن خلف وعن ابن عباس
انه جاء عاص بن وائل ومعه عظم رميم ويذره في الهواء ويقول اتزعم
يا محمد ان الله يبعث هذا فقال صلى الله عليه وسلم نعم يميتك الله ثم يبعثك
ثم يحشرك الى النار فنزل قوله اولم ير الانسان الى آخر السورة وضرب
لنا مثلا امرا عجيبا ونسي خلقه ابتداء خلقنا اياه قال بيان للمثل من يحيي
العظام وهي رميم بالية اسم لما بلي من العظام غير صفة فلا يقال لم لا يؤنث
وقد وقع خبر المؤنث قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم
يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا مع
مضادة الماء النار والمراد الزناد التي تورى بها الاعراب واكثرها
من شجري المرخ والعفار المخضرين فان العفار الزند وهو الاعلى والمرخ
الزندة وهي الاسفل كذا في الصحاح عكس ما في الكشاف عن ابن عباس ليس
شجر الا وفيه نار الا العناب فاذا انتم منه توقدون فمن كان قادرا على
هذا كيف لا يقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس اوليس الذي
خلق السموات والارض مع عظم جسمهما وشأنهما بقادر على ان يخلق
مثلهم اي يعيدهم وهذا كما يقال مثلك كذا يعني انت تحقيرا له والمراد

مثلهم في اصول الذات والصفات وهو المعاد ولا شك ان الشيخ
الفاني الذي هو كذا وكذا كان وكان بل هو النطفة والعلقة بلى جواب
من الله وفيه اشعار بانه لا جواب سواه عند ذوي العقول وهو الخلاق
كثير المخلوقات العليم كثير المعلومات انما امره شأنه اذا اراد شيئا
ان يقول له كن تكون فيكون فيحدث اي لا يعسر عليه شيء ولا يمتنع دون
ارادته وقراءة نصب فيكون للعطف على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شيء يعني هو المالك المتصرف فيه واليه ترجعون للجزاء والحمد لله اولا واخرا

سورة والصافات مكية مائة واحدى او اثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا اقسم سبحانه بطوائف الملائكة
الصافات والمراد صفهم في الصلوة قال وانا لنحن الصافون او في الهواء
انتظارا لامر الله فالزاجرات زجرا الملائكة الذين يزجرون السحاب
سوقا او المراد الآيات القرآنية التي تنهى وتزجر عن المعاصي فالتاليات
ذكرا الملائكة الذين ينزلون بكلام الله ويتلونه على انبيائه والعطف بالفاء
للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل فالفضل للصف ثم للزجر ثم
للتلاوة قيل اقسم بالذين يصفون في مقابلة العدو والذين يزجرون الخيل
للجهاد ويتلون القرآن مع ذلك لا يشغلهم تلك الشواغل عن ذكر الله
كما قيل ذكرتك والخطي يخطر بيننا ان الهكم لواحد جواب للقسم
رب السموات والارض خبر بعد خبر او خبر المحذوف وما بينهما ورب
المشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة لانها في نصف
السنة لكل يوم مشرق ثم ترجع الى ان تصل من حيث ابتدأت واذا بين
انه رب المشارق فقد علم انه هو رب المغارب انا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب اما قراءة الاضافة فاحتمل ان يكون المصدر مضافا الى
الفاعل بان زانت الكواكب السماء واحتمل ان يكون مضافا الى المفعول
بان زين الله الكواكب واما قراءة بزينة منونا والكواكب بالنصب
فاحتمل ان يكون بزينة مصدرا والكواكب مفعول به واحتمل ان يكون
الكواكب بدلا من السماء اي زينا كواكب السماء وقد صدق ان السماء
الدنيا مزينة بالكواكب وان لم يكن بعضها في السماء الدنيا لانها يرى

انما قيل هي ثمانية وستون مشرقا في
كل يوم لها مشرق ومغرب فلا بد
من التوجيه ومسامحة

وحينئذ الزينة اوضاع الكواكب
واضواؤها

على سطحها وحفظا اى وحفظناها حفظا قيل تقديره وزيناها بالكواكب
حفظا من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة اذا اراد استراق السمع اتاه
شهاب ثاقب من الكواكب فاحرقه لا يسمعون الى الملأ الاعلى التسمع تطلب
السماع وعدى بالى لتضمنه معنى الاصغاء والملأ الاعلى الملائكة وحاصل
معنى لا يسمعون لا يتمكنون من التسمع كما لا يخفى وعلى هذا جاز ان يكون صفة
لشيطان من غير محذور معنوى وجاز ان يكون استينافا لان قوله وحفظا
مما يحرك الذهن الى ما يكون عند الحفظ وكيفيته فقيل لا يتمكنون من التسمع
ويقذفون بيانا لكيفية الحفظ وهذا احسن طباقا لفظا ومعنى ويقذفون
يرمون من كل جانب من جوانب السما حين صعدوا للاستراق دحورا
للدحر وهو الطرد قيل معنى القذف والطرد متقارب فنصبه على انه مفعول
مطلق ولهم عذاب واصب مستمر يعنى فى الاخرة الا من خطف اختلس
الخطفة من استثنا من فاعل لا يسمعون فاتبعه شهاب ثاقب يعنى لا يسمع
الشياطين الا الشيطان الذى يختلس ويأخذ كلام الملائكة بسرعة فيتبعه
كوكب مضئ فيحرقه وسياتى تفصيل ذلك فى سورة قل اوحى انشا الله
فاستفتهم استخبر مشركى مكة اهم اشد خلقا اى سلهم ان خلقهم اصعب
امن خلقنا من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب
والشهب الثواقب غلب اولى العقل فجاء بلفظة من ولم يذكر متعلق الخلق
اكتفاء بما تقدم من غير تراخ كانه قال ام من خلقنا من غرائب المصنوعات
وعجائبها يعنى اذا اعترفوا ان خلق تلك المصنوعات اشد فما لهم ينكرون
البعث الذى هو اسهل فى نظر عقلهم او معناه استفهم اهم اقوى خلقا
ام من عددنا ثم قال خلقناهم من طين لازب دليلا عليه بالضعف والرخاوة
فهذا اثبات للقدرة التامة العامة انا خلقناهم من طين لازب لاصق
لازق بعضه ببعض والمراد خلق اصلهم وهو آدم واذا كان خلق اصلهم
من تراب فكيف ينكرون اعادتهم ثانيا من تراب بل عجبت ويسخرون
اى بل عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون ممن ينبهه او عجبت من
قدرة الله على خلق تلك البدايع وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومعنى
قراءة عجبت بضم التاء اى عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه صنايعه

ولا يرد عليه شئ مما اورد عليه الزمخشرى
فلينظر ولينصف منه

وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة على البعث او معناه بلغ من عظم
اياتى انى عجبت منها وهولاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من اياتى والعجب روعة
يعترى الانسان عند استعظام الشئ والله منزه عن الروعة فيحمل
على الاستعظام من غير روعة واذا ذكروا وعظوا بشئ لا يذكرون لا يتعظون
به واذا راوا اية يستسخرون يبالغون فى السخرية وقالوا ان هذا اى ليس
الذى نراه من مثل انشقاق القمر الا سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا تكرار الهمزة للتاكيد فى نفى البعث لمبعوثون الى الجنة
او الى النار او اباؤنا الاولون تقديره او اباؤنا الاولون مبعوثون فعند
سيبويه ان زيدا قائم وعمرو رفع عمرو على الابتداء وخبره محذوف ارادوا
انهم اقدم فبعثهم ابعد قل نعم يبعثون اكتفى به فى الجواب لان الاية سيقت
وانتم داخرون الواو للحال اى وانتم صاغرون اذلاء فانما هى زجرة واحدة
اى فانما بعثهم صيحة واحدة وهى النفخة الثانية لما كانت بعثتهم ناشئة عن
الزجرة جعلت اياها مجازا ولا ضرورة تدعوا الى حذف وتقدير فاذا هم
ينظرون احياء يبصرون او ينتظرون امر الله فيهم وقالوا يا ويلنا احضر فهذا
اوانك هذا يوم الدين الجزاء والاظهر ان هذا الكلام بعض الكفرة مع بعض
تحسرا وتندما هذا يوم الفصل بين الحق والباطل الذى كنتم به تكذبون قيل
قوله الذى كنتم به تكذبون من كلام الملائكة او المؤمنين ومثل ذلك فى الفصيح
سيما فى القران غير عزيز احشروا الذين ظلموا هذا من امر الله للملائكة
وازواجهم اى اجمعوا الظالمين ونساءهم قاله ابن عباس او المراد من
الازواج الاشباه وما كانوا يعبدون من دون الله اى اصنامهم فاهدوهم
الى صراط الجحيم عرفوهم طريق الجحيم ليسلكوها وقفوهم فى الموقف انهم
مسؤلون عن عقائدهم واعمالهم ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا وهذا
توبيخ وتهكم فقيل المعنى انهم مسؤلون عن مضمون ما لكم لا تناصرون يعنى
عن امتناعهم عن التناصر بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وذلهم
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسال بعضهم بعضا على طريق اللوم قالوا
الاتباع للرؤساء او الكفار للشياطين انكم كنتم تاتوننا عن اليمين عن قبل
الخير فزينتم الباطل لنا فحسبناه حقا فان من اتاه الشيطان من جانب

اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق او المراد عن اليمين القوة والقهر
فالجئتمونا على الضلال او قبل اليمين الحلف فان رؤساءهم يحلفون
انهم على الحق قالوا اي الرؤساء والشياطين في جوابهم بل لم تكونوا مؤمنين
اي الكفر من قبل انفسكم وما كان لنا عليكم من سلطان تسلط بل كنتم
قوما طاغين ضالين فحق علينا جميعا قول ربنا كلمة العذاب انا لذائقون
عذاب الله فاغويناكم انا كنا غاوين احببنا ان تكونوا امثالنا بما اوردنا
بكم شيئا لم نرد بانفسنا فلا تلومونا فقوله انا لذائقون مستانفة للتعليل
والحاصل دعوناكم الى الغي وفيكم قابلية فغويتم فانهم كلهم يومئذ في
العذاب مشتركون في العذاب متعلق بمشتركون وجاز ان يكون
هو الخبر ومشتركون خبر بعد خبر انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل
بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم في الدنيا لا اله الا الله يستكبرون
عن ان يقولوها ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون ارادوا به
اصدق الخلائق واعقلهم وكلامهم هذا ينوح عليهم ويفضحهم بل جاء
بالحق وصدق المرسلين يعني ان ما اتى به الانبياء ذووا المعجزات
وهذا الاضراب من الله سبحانه انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون
الا ما كنتم تعملون اي مثله الا عباد الله المخلصين عن كدر الكفر والنفاق
الاستثناء متصل ان كان الخطاب في قوله انكم لذائقوا العذاب الى
آخره لجميع المكلفين نحو والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين وان كان
الخطاب للكفار وهو المتبادر فالاستثناء منقطع اي لكن المخلصين
لا يذوقون اولئك لهم رزق معلوم خصائصه من طيب طعمه ورائحته
وحسن منظره او المراد معلوم وقته قال تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
فواكه ليس رزق اهل الجنة للتغذي فهم مستغنون عن بدل ما يتحلل بل هو للتلذذ
بدل الكل او خبر محذوف وهم مكرمون بخلاف اعدائهم في جنات النعيم
ظرف او حال او خبر بعد خبر على سرر متقابلين ناظرين بعضهم بعضا وعلى
ظرف مقدم او خبر آخر يطاف عليهم بكاس الخمر نفسها تسمى كاسا من
معين من نهر جار كما يجري الماء بيضاء كاللبن لا فيها كدورة لذة للشاربين
الخمر نفس اللذة وعينها لا فيها مرارة ولا حرارة لا فيها غول غائلة وفساد

من صداع

من صداع ومغص ولغو وتاثيم ولا هم عنها ينزفون من نزف الشارب اذا ذهب
عقله من عطف الخاص على العام كانه قال لا فيها فساد اصلا سيما اعظم المفاسد
وهو زوال العقل وعندهم قاصرات الطرف عفيفات قصرن ابصارهن
على ازواجهن ليس لهن ميل ونظر الى غيرهم عين حسان الاعين واسعاتها
جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون عن الغبار في
اللون وتناسب الاعضاء نقل ابن جرير عن ام سلمة انها قالت قلت
يا رسول الله اخبرني عن قول الله كانهن بيض مكنون قال رقتهن كرقة
الجلدة التي رايتها في داخل البيضة التي تلي القشر وهذا قول سعيد بن جبير
وعطاء وغيرهما فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون عطف على يطاف
عليهم اي يشربون فيتحادثون على الشراب محادثة راحة وتنعم وجيء
بصيغة الماضي لتحققه قال قائل منهم في اثناء المكالمة اني كان لي قرين
جليس في الدنيا وقد كان كافرا يقول ذلك الجليس على وجه التعجب
او التقريع ائنك لمن المصدقين بالبعث ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمدينون مجزيون بان يحيينا ربنا قال ذلك القائل هل انتم مطلعون
الى جهنم لاريكم ذلك القرين والخطاب في انتم لجلسائه ورفقائه
في الجنة الذين يتكلم معهم قيل ضمير قال لله تعالى فاطلع هذا القائل فراه
في سواء الجحيم وسطها عن كعب الاحبار ان في الجنة كوى اذا اراد احد
ان ينظر الى عدوه في النار اطلع عليه فازداد شكرا قال القائل لقرينه
وهو في النار تالله ان اي انه كدت لتردين لتهلكني كما هلكت ولولا
نعمة ربي بالهداية لكنت من المحضرين معك فيما انت فيه افما نحن بميتين
من كلام القائل يسمع قرينه على جهة التوبيخ له والابتهاج لنفسه اي الستنا
اهل الجنة بميتين وقد مر مرارا ان ليس في مثل هذا الكلام تقدير الا موتتنا
الاولى كانت في الدنيا يعني حال المومن ان لا يذوق مرارة الموت الا
مرة واحدة بخلاف حال الكافر فانه يتمنى الموت في كل لمحة قيل لبعض
الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت وما نحن بمعذبين كمن في
النار ان هذا لهو الفوز العظيم اما قوله لمثل هذا من نعيم لا آخر له فليعمل
العاملون فهو اما من كلام الله وعليه الاكثرون او من كلام اهل الجنة تحدثا

بل من عطف الجملة على الجملة بالفاء والهمزة
الاستفهام دخلت في صلته
لتصدرها [illegible]

بنعمة الله ونجاتي اذلك هذا من كلام الله لهم خير نزلا نصب على التمييز
او على الحال وفيه دلالة على ان لهم غير ذلك من النعم فان النزل ما حضر
للضيف حتى يتهيأ له الطعام ولا اشتراك بين نعيم الجنة والزقوم في
الخيرية لكن لما كان كل من المؤمن والكافر اختار ما ادى الى احدهما قيل ذلك
توبيخا وتقريعا ام شجرة الزقوم فانها نزل اهل النار انا جعلناها فتنة
للظالمين ابتلاء لهم في الدنيا فانهم كذبوا الرسل وانكروا ان يكون في
النار شجرة قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة
الملعونة في القران انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها قعرها واغصانها
مرتفعة الى دركاتها كما ان شجرة طوبى غصن منها في كل دار من دور الجنة
طلعها ثمرها كانه رؤس الشياطين في تناهي قبح منظره قيل تشبيه تخييلي
فان المركوز في الطباع ان صورة الملك احسن الصور وصورة الشيطان
اقبحها وقيل العرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا وقيل شجرة قبيحة
مرة منتنة تسميها العرب رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها من طلعها
فمالئون منها البطون قيل انهم لنهمهم واضطرارهم ياكلون ذلك بلاء فيهم
كانهم يوجرون انفسهم وفي الترمذي والنسائي وابن ماجه انه قال صلى الله
عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت على بحار الدنيا لافسدت على اهل
الارض معايشهم ثم ان لهم عليها على الزقوم بعد ما شبعوا منها وغلبهم
العطش لشوبا من حميم الشوب الخلط سمي العسل شوبا لانه كان مزاجا لغيره
من الاشربة قيل ممزوجا من حميم يمزج بما يسيل من فروج الزناة وعيون
اهل النار لما امتلأت بطونهم من الزقوم احترقت بطونهم فاخر سقيهم
ليزدادوا عذابا بالعطش ثم سقوا ما هو احر واكره ثم ان مرجعهم لالى الجحيم
فانهم يوردون الحميم لشربه والحميم في طرف من الجحيم والمرجع بعد الشرب
الى اصلها وقيل هو خارج من النار انهم اراد قريش الفوا وجدوا
اباءهم ضالين الجملة تعليل لاستحقاقهم تلك المصائب فهم على اثارهم
يهرعون يسرعون كانهم لغاية مبادرتهم الى طريق اباءهم مضطرون الى
الاسراع ولقد ضل قبلهم قبل امتك اكثر الاولين من الامم الماضية
ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم باس الله فانظر كيف كان عاقبة

المنذرين

المنذرين تامل عاقبة من انذرناهم ولم يلتفتوا الى الانذار الا عباد الله
المخلصين الظاهر ان الاستثناء منقطع ولما ذكر ضلال الاولين شرع في
حكاية اوائلهم شهرة فقال ولقد نادينا نوح حين ايس من ايمان قومه فقال
اني مغلوب فانتصر فلنعم المجيبون اي فاجبناه احسن اجابة والله لنعم
المجيبون نحن ونجيناه واهله من الكرب العظيم اذى قومه وهو ما وقع عليهم
وجعلنا ذريته هم الباقين روى الترمذي وغيره انه قال صلى الله عليه وسلم
في قوله وجعلنا ذريته هم الباقين سام وحام ويافث ونقل الامام احمد
عنه صلى الله عليه وسلم ان سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث
ابو الروم وقد مات من كان معه في السفينة سوى اولاده وازواجهم
وتركنا عليه في الاخرين من الامم سلام على نوح في العالمين مفعول
تركنا وهو الكلام المحكي نحو قرات سورة انزلناها وفي العالمين دال
على الاستغراق يعني يسلم جميع الامم عليه تسليما كما تقول السلام عليك
صباحا ومساء وقيل مفعول تركنا محذوف اي الثناء الجميل والجملة بعده
مستانف دال على سلام الله عليه ليقتدي بذلك من هو عبد الله انا
كذلك مثل هذه التكرمة نجزي المحسنين من احسن في عبادة ربه انه
من عبادنا المؤمنين علة للاحسان وفيه علم ان الايمان هو القصارى
في المدح ثم اغرقنا الاخرين بحيث ما بقي على وجه الارض كافر وان من
شيعته اهل دينه وعلى منهاجه وسنته لابرهيم ونوح ابو العالمين
وابرهيم ابو العرب وكما جعل الله سلامه عليه وثناءه الى يوم الدين كذلك
جعل ثناءه عليه كما قال وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابرهيم وجعل
معجزته ماء وجعل معجزته نارا اذ جاء ربه بقلب سليم من النقائص التي
تعتري من الغل والحسد وما اشبه ذلك قيل اذ متعلق بما دل عليه
من شيعته فالتقدير وان من شيعته لابرهيم شايعه اذ جاء او التقدير
اذكر اذ جاء اذ قال بدل من الاول او ظرف لسليم لابيه وقومه ماذا تعبدون
انكر عليهم عبادة الاصنام ائفكا الهة دون الله تريدون اي اتريدون
الهة دون الله للافك او افكين قدم المفعول للعناية والاهتمام وقدم
المفعول له وهو افكا لان الاهم عنده ان يواجههم بانهم على افك وباطل

او افكا هو المفعول والهة بدل وفيه على هذا مبالغة لا تخفى فما ظنكم
برب العالمين استفهام توبيخ وتحذير وتوعد اي شئ ظنكم ماذا
يفعل بكم رب العالمين وقد عبدتم غيره وتركتم عبادته فنظر نظرة في النجوم
فقال اني سقيم خرج قومه الى عيدهم وارادوا ان يخرج معه فلم يرد وتامل
في علم النجوم وكانوا يعانون ذلك واوهمهم انه ذو طاعون وكان الطاعون
اغلب اسقامهم فخافوا العدوى وهربوا منه الى عيدهم وقيل المراد من
قوله فنظر نظرة في النجوم التفكر والتامل والعرب تقول للمتفكر نظر الى النجوم
فتولوا عنه مدبرين هاربين الى عيدهم خوفا عن سراية الطاعون فراغ ذهب
بخفية الى الهتهم وكانت الالهة في متعبدهم فقال للاصنام سخرية الا تاكلون
من الاطعمة التي حضرت عندكم فان عادتهم انهم يضعون اطعمة العيد بين
ايدي الاصنام ثم يرجعون وياكلون تبركون بذلك مالكم لا تنطقون
فراغ عليهم اي اقبل على الاصنام مستخفيا ضربا باليمين ضاربا باليمين
باليد اليمنى لانها اشد وقيل بالقسم الذي سبق منه وهو تالله لاكيدن
اصنامكم وتعديته براغ بعلى للاستعلاء فاقبلوا اليه يعني بعد رجوعهم من عيدهم
وراوا كسر الهتهم بحثوا عن كاسرها وتوجهوا الى ابرهيم يزفون يسرعون قال
لهم ابرهيم اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون الظاهر ان ما موصولة
معطوفة على مفعول خلقكم اي انشأ ذواتكم وذوات ما تعملونه من الاصنام
والعمل هنا التصوير والتشكيل فما تعملون مثل ما تنحتون يعني هل المخلوقان
لخالق واحد يعبد احدهما الاخر وهذا هو الاولى على طريقة الانكار والرد
للتصريح بالمقصود وهو في صدده وعلى اي حال الاية محتملة فمن اين الاستدلال
قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم لما غلبهم بالحجة مالوا الى الاستيلاء والشوكة
الظاهر كعادة الفراعنة والمراد بالجحيم النار الشديدة قيل بنوا له حائطا من الحجر
طوله ثمنون وعرضه عشرون واوقدوا فيه النار ربطوه وطرحوه فيه فارادوا به
كيدا اشرا فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وقد مر تفصيل الحكاية
في سورة الانبياء وقال ابرهيم بعد ان خرج من النار اني ذاهب الى
ربي اي الى مرضاته سيهدين الى صلاح داري وهاجر الى الشام رب هب
لي من الصالحين اي بعض الصالحين من الاولاد فبشرناه بغلام حليم بولد

ينتهي

ينتهي في السن الى ان يوصف بالحلم وهو اسمعيل على الاصح نقلا ودليلا
وهو قول ابن عمر والحسن البصري ونقل عبد الله ابن امام احمد عن والده في
كتاب الزهد وقال ابن ابي حاتم هو المروي عن علي وابي هريرة وسعيد
ابن المسيب وسعيد بن جبير والشعبي ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي
وهو الذي وهب له اثر الهجرة والبشارة باسحق بعد معطوفة على هذه
البشارة وهو الذي كان بمكة والمناسك في الذبيح ما كانت الا فيها
وقال صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين وقد صححه ابن الجوزي في الوفا
وبين معناه قيل من زعم من السلف انه اسحق هو الذي سمع من كعب الاحبار
حين يروي من الاسرائيليات والرواية عن علي وابن عباس مختلفة
والله اعلم فلما بلغ معه السعي يعني سنا يسعى مع ابيه في اعماله
ومعه ظرف للسعي عند من يجوز تقديم الظرف على المصدر او حال من
فاعل بلغ ولا يجوز ان يكون متعلقا ببلغ فان مع دال على الصحبة وسبقها اياها
قيل كان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك ورؤيا الانبياء وحي ولما تكرر رؤياه في ثلث ليال قال ارى بلفظ
المضارع فانظر ماذا ترى من المصلحة اختبر صبره من صغره على طاعة
الله لا انه شاوره لاجل الترجيح وترى من الراي لا يطلب الا مفعولا واحدا
وماذا الاستفهام وانظر معلقة وذا ان كانت موصولة فما مبتدأ والفعل
بعده صلة وان كانت ماذا مركبة بمعنى الاستفهام ففي موضع نصب
بالفعل بعدها والجملة واسم الاستفهام الذي معمول للفعل بعده في موضع
نصب لانظر قال يا ابت افعل ما تؤمر به يعني ليس هذا من مقام المشاورة
فان الواجب امضاء امر الله ستجدني ان شاء الله من الصابرين على
حكم الله فلما اسلما انقادا لامر الله ويكون اسلم لازما قيل تشهدا وذكرا اسم
الله الوالد على الذبح والولد شهادة الموت وتله للجبين الكبه على وجهه
ليذبحه من قفاه لئلا يرى وجهه عند الذبح وناديناه ان يا ابرهيم ان مفسرة
قد صدقت الرؤيا بجزم عزمك وجواب لما مقدر اي اجزلنا اجرهما
انا كذلك نجزي المحسنين يعني نصرف عمن اطاعنا المكاره ونجعل له من امرنا
فرجا ومخرجا ان هذا لهو البلاء المبين الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلص عن غيره

وفديناه بذبح عظيم القدر والذبح اسم ما يذبح والاصح انه كبش املح اقرن
وعن ابن عباس وغيره عظمه لانه من كباش الجنة قال محيي السنة كان راس
الكبش معلقا في الكعبة الى زمان عبد الله بن الزبير قال الشعبي رايت قرنيها
معلقين في الكعبة وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابرهيم كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين قد مر في هذه السورة تفسيره فلا نعيده
وبشرناه باسحق اي بوجوده نبيا من الصالحين اي بشرناه به مقدرا نبوته
وكونه من الصالحين والظاهر ان هذه بشارة بعد تلك البشارة واما
من يقول الذبيح اسحق فهذه بشارة بوجوده مقيدا بنبوته والمقصود الاصلي
في هذه المرة البشارة بالنبوة واما الصلاح بعد النبوة فلتعظيم شان
الصلاح وباركنا عليه على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق وكثير من الانبياء
من نسله ومن ذريتهما محسن الى نفسه وظالم لنفسه مبين ظاهر ظلمه باعلان
كفره ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها ونجيناهما
وقومهما من الكرب العظيم تغلب فرعون ونصرناهم موسى وهرون وقومهما
فكانوا هم الغالبين على القبط بعد ان كانوا اذل من العبيد في ايديهم واتيناهما
الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم
وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين هو نبي من انبياء بني اسرائيل
من اسباط هرون بن عمران واما انه ادريس فلعله لا يصح لان ادريس قبل
نوح وفي سورة الانعام ان الياس من ذرية ابرهيم او من ذرية نوح على
اختلاف في مرجع الضمير اذ قال ظرف للمرسلين لقومه الا تتقون عذاب
الله اتدعون بعلا اي تعبدون بعض الارباب وتذرون احسن الخالقين
وتتركون عبادة احسن الخالقين والخالق هو الله وحده كالرازق لكن بحسب
الظاهر يرى فيهما نوع شركة وعن ابن عباس وغيره البعل بلغة اليمن وقيل اسم
لصنم كان لاهل بك من الشام وهو المسمى حينئذ بعلبك وقيل امراة اسمها
بعل يعبدونها الله ربكم ورب اباءكم الاولين من قرا بالنصب فعلى انه بدل
من احسن فكذبوه فانهم لمحضرون في عذاب الله الا عباد الله المخلصين
استثناء من فاعل كذبوه لا من ضمير محضرون وتركنا عليه في الاخرين سلام

على الياسين

على الياسين قيل لغة في الياس كميكال وميكائيل او جمع المنسوبين الى الياس
معه كما قالوا في جمع الاشعري الاشعرين بحذف ياء النسبة واما في قراءة
ال ياسين فقيل ياسين ابو الياس فاله الياس وقيل ياسين هو اسمه والياء
والنون زائدة في السريانية وعلى هذا الال مقحم كال موسى وهرون انا
كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين
اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا هي امراة لوط في الغابرين وقعت في الباقين
الذين هم في العذاب ثم دمرنا الاخرين قد مر تفصيله وانكم يا اهل مكة لتمرون
عليهم على بيوتهم الخربة في طريقكم الى الشام مصبحين داخلين في الصباح
وبالليل يعني نهارا وليلا افلا تعقلون اليس لكم عقل فتعتبرون بهم وان
يونس لمن المرسلين اذ ابق هرب عبر بالاباق لانه عبد الله هرب عن قومه
من غير اذن ربه الى الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع اهل الفلك
فكان من المدحضين صار من المغلوبين بالقرعة وذلك لانه بعد ما دخل
مركبهم وبعدت السفينة في البحر ركدت ولم تكن تجري فقال اهلها ان فيها
من تحبس الله السفينة لاجله فلنقترع فمن وقعت عليه قرعة فنلقيه في اليم
فوقعت القرعة مرارا على يونس فالقوه او القى نفسه في اليم فالتقمه
الحوت ابتلعه وهو مليم اتى بما يوجب ان يلام عليه او مليم نفسه على ما
فعل فلولا انه كان من المسبحين نقل ابن ابي حاتم وغيره انه لما قال يونس
في بطن الحوت اللهم لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قالت
الملائكة هذا صوت ضعيف مكروب من بلاد غريبة فقال الله عبدي
يونس الذي لم يزل يرفع له عملا متقبلا ودعوة مستجابة قالوا يا رب
او لا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه عن البلاء قال الله بلى للبث في
بطنه الى يوم يبعثون الظاهر ان يكون بطنه سجنا له وهما حيان الى يوم
القيمة فنبذناه بالعراء طرحناه من بطن الحوت بالارض الخالية التي لا
نبات فيها وفي تلك الارض خلاف وهو سقيم كفرخ ليس عليه ريش
وفي مدة لبثه في بطن الحوت خلاف كثير وانبتنا عليه بحيث يكون في ظله
شجرة من يقطين الاصح انها الدباء لبرد الظل ونعومة الملمس وعظم الورق
ولان الذباب لا يجتمع في ظلها وفي قصة يونس هنا جمل محذوفة كما يعلم

انها ارض اليمن او غيرها منه

قيل كل شجرة لا ساق لها فهو يقطين
وقيل كل شجرة تهلك من عامها منه

من سورة الانبياء وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب
منهم او يزيدون او بمعنى بل ويزيدون خبر محذوف اي بل هم او المراد انهم
يزيدون على ظنكم وتقديركم كمن يرى جمعا فيقول هم مائة او اكثر فآمنوا
الرسل اليهم فمتعناهم الى حين الى وقت آجالهم فاستفتهم لما ذكر قصص
الانبياء وان اممهم لكانوا يسارعون الى متابعة ابائهم في ضلالهم بالشرك
وغيره فقلعهم وقطع بنيان اكثرهم لعدم متابعة رسلهم جاء بالقاء سؤال
اهل مكة كما في قوله في اول السورة فاستفتهم اهم اشد خلقا الاية الربك
البنات قالوا الملائكة بنات الله ولهم البنون فانهم يطلبون لانفسهم البنين
ويستوحشون البنات كما قال الله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل
وجهه مسودا الاية ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون خلقنا اياهم فان
الانوثية مما يعلم بالمشاهدة الا انهم من افكهم من بهتانهم ليقولون ولد الله
يعني بلغ افكهم الى انهم نسبوا الولد اليه وانهم لكاذبون فانه محال على الله
سبحانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد اصطفى البنات على البنين
الاستفهام للاستبعاد واما قراءة اصطفى بكسر الهمزة فعلى حذف همزة
الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او بدل من ولد الله او التقدير وانهم
لكاذبون في قولهم اصطفى مالكم كيف تحكمون بمثل هذا افلا تذكرون ان الله
سبحانه منزه عن مثل ذلك ام لكم سلطان مبين حجة واضحة من السماء دلت
على ان الملائكة بنات الله فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم من السماء ان
كنتم صادقين لزم من قولهم هذا التجسيم لان الولادة ليست الا للاجسام وتفضيل
انفسهم على ربهم حيث جعلوا ارفع الجنسين لهم واستهانتهم بالملائكة وجعلوا
بينه بين الله سبحانه وبين الجنة نسبا قالوا الملائكة بنات الله فقال
ابو بكر رضي الله عنه من امهاتهن قالوا سروات الجن قيل زعموا عليهم لعائن
الله ان الله سبحانه وابليس اخوان ولقد علمت الجنة انهم اي القائلين
بذلك او انفسهم لمحضرون في العذاب يعني الكفار يسوون الجن بالله
والحال ان الجن يعلمون كذبهم سبحان الله عما يصفون من مثل الولد
والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء من يصفون اي فانهم يصفونه
بصفاته العلى او من لمحضرون اي الا عباد الله فانهم ناجون من العذاب

ويكون جملة التنزيه اعتراضا على الوجهين الاستثناء منقطع فانكم وما
تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم اي انتم واصنامكم
ما انتم وهم على عبادة ما تعبدون بفاتنين اي بحاملين الفتنة على عبادة
الا من قدر الله في سابق علمه انه من اهل النار فضمير عليه على ما تعبدون
بحذف مضاف كما قدرنا وفي قوله ما انتم تغليب المخاطب على الاصنام
قيل ضمير عليه لله والخطاب في انتم لهم ولآلهتهم على تغليب المخاطب
يعني ما انتم على الله بمفسدين الناس بالاغواء الا من سبق في علمه شقاوته
وما منا احد الا له مقام معلوم هذا حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية
ردا على عبدتهم يعني كل واحد منا له في السموات مقام معلوم يعبد الله
فيه لا يتجاوزه او في القربة والمعرفة قيل قوله سبحانه من كلام الملائكة
كانه قال ولقد علمت الملائكة ان القائلين بذلك معذبون قائلين سبحان
الله عما يصفون لكن عباد الله المخلصون برآء عما يصفونه ثم التفتوا الى الكفرة وجاؤا
بالفاء الجزائية اي اذا صح انكم مفترون والله منزه فاعلموا انكم وآلهتكم
لا تقدرون على ان تفتنوا على الله عبادة الا اشقياء مثلكم ثم رجعوا
عن الاحتجاج واظهروا العبودية واعترفوا واقروا وعلى هذا المراد من الجنة
الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار صرح بذلك الحسن البصري وغيره
كما قاله الشيخ ابن كثير في تفسيره وانا لنحن الصافون في طاعة ربنا او نصف
اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين او منتظرين لامر الله وانا لنحن المسبحون
الله عما لا يليق بجلاله وان كانوا ليقولون ان مخففة من المثقلة وضمير الجمع لكفار
قريش لو ان عندنا ذكرا كتابا من الاولين اي من كتبهم لكنا عباد الله المخلصين
لاخلصنا العبادة لله ولم نخالف كما خالفوا فكفروا به اي بالذكر لما جاءهم
وكذبوا انفسهم فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم كتاب الله وما يحل
عليهم من الانتقام ولقد سبقت كلمتنا وعدنا بالنصر لعبادنا المرسلين
والكلمة هي قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون عاقبة الامر
عن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة فتول اعرض
عنهم حتى حين الى وقت مؤجل ومدة يسيرة ياتيك نصرك وابصرهم
حينئذ كيف يذلون فسوف يبصرون عزك ونصرك وسوف للوعيد لا للتبعيد

أفبعذابنا يستعجلون روى محيي السنة وغيره أنهم عند نزول قوله فسوف
يبصرون قالوا متى يكون هذا فنزلت فإذا نزل العذاب بساحتهم
بفنائهم فساء بئس صباح المنذرين صباحهم والمراد من الصباح اليوم
أو الوقت الخاص كانت عادتهم أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا
وإن وقعت في وقت آخر شبهه بجيش أنذر بعض نصاح القوم بهجومه
قومه فلم يلتفتوا إليه حتى أناخ بغتة بفنائهم وتول عنهم حتى حين وأبصر
فسوف يبصرون وعد إلى وعد ووعيد إلى وعيد تأكيدا لوقوع الميعاد
وفي إطلاق أبصر ويبصرون عن التقييد بالمفعول فائدة هي أنه يبصر وأنهم
يبصرون ما لا يحيط به الوصف من أنواع المسرة وأجناس المساءة ولما
تقرر لله من العظمة ما ذكر فكان الأمر أمره ثبت تنزيهه عن كل نقص واتصافه
بكل كمال فلذلك ذكر نتيجة ذلك الختم بجامع التنزيه والتحميد فقال سبحان
ربك رب العزة فإن العزة له يعز من يشاء عما يصفون أي المشركون
مما يقتضي النقص وسلام على المرسلين الواصفين له بما يليق جلاله والحمد
لله رب العالمين على ما أنعم فهو المنزه عن الشريك والولد وهذا ورد على سبيل
التعليم للمؤمنين وروى الطبراني وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال
دبر كل صلوة سبحان ربك إلى آخر السورة ثلث مرات فقد
اكتال بالمكيال الأوفى من الأجر والحمد لله على ما هدانا

سورة ص مكية ست أو ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ص والقرآن ذي الذكر ذي الشرف والشهرة أو ذي
التذكير والعظة يعني هذه سورة ص وهي المقسم عليه من حيث أنه سورة
مشتملة على معظم ما في القرآن مع كمال بلاغة معجزة نحو هذا حاتم والله
قيل من الصادق وقيل اسم بحر تحت العرش وهو قسم حذف حرفه والقرآن
عطف عليه والجواب مقدر أي إنك لمن المرسلين كما قال في يس ولهذا
قال وعجبوا أن جاءهم منذر منهم كما قال في يس لتنذر قوما بل الذين كفروا
في عزة استكبار عن الحق وشقاق منازعة ومعاندة وبل للانتقال من هذا
القسم والمقسم عليه إلى حال تعزز الكفار وشقاقهم في قبول رسالتك
كأنه قيل أنت مرسل والقرآن معجز وهم لا يقرون بل يصرون على عنادهم

والتنوين

والتنوين فيهما للتعظيم كم أهلكنا من قبلهم من قرن أي كثيرا أهلكنا من أهل قرن
وعيد لهم على عدم الإذعان فنادوا استغاثة وتوبة عند حلول العذاب
ولات حين مناص لهم وزيدت على لا التاء للمبالغة كما في ثم وربت وعجبوا أن
جاءهم منذر منهم رسول بشر من أنفسهم وقال الكافرون يعني قالوا لكفرهم
هذا ساحر المعجز إنه كذاب لأنه يقول ما لم نسمعه قط أجعل الآلهة إلها
واحدا أنسب الألوهية التي للآلهة لإله واحد فيقول لا إله إلا الله إن هذا
لشيء عجاب بليغ في العجب اجتمعت ستة وعشرون رجلا من صناديد
قريش عند أبي طالب قائلين اقض بيننا وبين ابن أخيك بأن يرفض ذكر
آلهتنا ونذره وإلهه فلما أخبر أبو طالب محمدا صلى الله عليه وسلم قولهم
أجاب يا عم أفلا أدعوهم إلى كلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم
فقال من بين القوم أبو جهل ما هي لنعطينكها وعشر أمثالها فقال قولوا لا إله
إلا الله فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وذلك قوله وانطلق الملأ
أي الأشراف منهم من الكافرين من محضر أبي طالب منهم حال من الملأ
أن امشوا أي قائلين امشوا عن هذا المحفل إلى بيوتكم واصبروا على آلهتكم
اثبتوا على عبادتها وإن مضرة فإن انطلاقهم دال على القول فإن عادة
المنطلقين عن مجالس التقاول أن يتكلموا في ما هم فيه تقاولهم إن هذا الشيء
يراد لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له أو ما يدعونا إليه محمد لشيء نتمناه
ولا يصل إليه ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه في الملة الآخرة عن ابن عباس
ملة عيسى فإنها عند قريش آخر الملل وهم مثلثة أو المراد ملة قريش التي أدركنا
عليها آباءنا إن هذا إلا اختلاق كذب اختلقه قيل في الملة حال من
اسم الإشارة أأنزل عليه الذكر الوحي من بيننا وليس له علينا مزيد شرف
بل هم في شك من ذكري إضراب من الله فإن قولهم أأنزل عليه الذكر من
بيننا ناشئ عن الحسد المنطوي عليه صدورهم فنطقت به ألسنتهم والقول
بأنهم في شك من القرآن أنه حق أو باطل لا ينافي جزمهم بأن التوحيد والبعث
اختلاق وافتراء فإن شكهم في السالبة الكلية أي لا شيء من القرآن بحق فإنهم
لا يحكمون به ولا بنقيضه الذي هو الموجبة الجزئية وقيل جزمهم بأنه ساحر
والتوحيد باطل قول عنادهم من غير يقين والشك عقيدتهم بل لما يذوقوا

أي منجاء وفرار مذهب سيبويه أن لات عملت
عمل ليس واسمها محذوف أي ولات الحين حين
فوت وفرار ومذهب الأخفش أن لات
عملت عمل إن نصبت الاسم ورفعت الخبر والخبر
محذوف أي ولات حين مناص صح

عذاب اضراب عن الاضراب اي لم يذوقوا عذابي فاذا ذاقوه عرفوا ان
ما جاء به حق وزال عنهم الشك فان شكهم من حسد رسخ في صدورهم والحسد
لا يكون الا في حال رفاهيتهم ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب
بل اعندهم خزائن رحمته حتى يعطوها من ارادوا ويصرفوا عمن لم يريدوا فيتخيروا
للنبوة التي هي اعلى الرحمة من ارادوا ويصدوا عنها من شاءوا وانما الرحمة بيد ربك
الغالب الوهاب ما شاء لمن شاء ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما
اي ليس لهم شيء من ذلك اي الانكار والتوبيخ ثابت بما هو اعم من الاول
فليرتقوا في الاسباب اي ان لهم شيء من ذلك فليصعدوا في الاسباب
الموصلة الى السماء والمعارج التي يتوصل بها الى تدبير العالم فيضعوا الرسالة
فيمن اختاروا وهذا تهكم واي تهكم بهم جند ما اي هم جند ما من الكفار وما مزيدة
للتقليل هنالك ظرف مكان للبعيد والمشار اليه المكان الذي تفاوضوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الكلمات السابقة وهو مكة وهزمهم
يوم الفتح وقيل اشارة الى بدر فانه مصارعهم مهزوم من الاحزاب صغرهم
وحقرهم واخبر بما يؤول اليه امرهم من الهزيمة والخيبة ويمكن ان تكون ما صفة
اريد بها التعظيم على سبيل الهزء فان ما الصفة تستعمل على هذين المعنيين
ولما حقرهم وصغرهم بين حال من هو اعظم واجل منهم من الاحزاب المتقدمة
فقال كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت
كما يقال في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل له اوتاد يعذب عليها وقيل له اوتاد
وارسان يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة قوم
اولئك الاحزاب مبتدأ وخبر يعني اولاء الذين اخبر عنهم بانه وجد منهم
التكذيب هم الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم بعضا منهم ان كل الا
كذب الرسل اي ما كل قوم منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبرا عنه بانه كذب جميع
الرسل فان الرسل يصدق كل منهم الكل فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل
وعلى هذا الاستثناء مفرغ فحق عقاب فوجب عليهم عقابي وما ينظر هؤلاء اي ما
ينتظر اهل مكة وفي هؤلاء تحقير الا صيحة واحدة هي نفخة الفزع ما لها من فواق
من رجوع اي نفخة لا تثنى ولا ترد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة او المراد
ما لها من توقف مقدار فواق والفواق بضم الفاء وفتحها الزمان الذي بين

فان الاول خزائن رحمة ربك منه

حلبتي

حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني من زمان يسير لم يتأخروا اذا جاء
وقتها واهل مكة لما لم يؤمنوا مع رؤيتهم المعجزات وعلمهم باحوال الامم السالفة
فكانهم لا ينتظرون الا امرا يغيبيا يصل اليهم وقالوا ربنا اي يا ربنا عجل لنا
قطنا القط القسط من الشيء يعني نصيبنا من عذابك الذي يوعدنا محمد
او نصيبنا من الجنة لنتنعم به في الدنيا قبل يوم الحساب وهذا منهم تكذيب
ليوم الحساب وسخرية اصبر على ما يقولون من الاستهزاء واذكر عبدنا داود
يعني اصبر وتامل في قصة داود وكيف لقي من توبيخ الله بزلة يسيرة فصن نفسك
عن ان تزل فيما امرتك من تحمل اذاهم قيل معناه اصبر وعظم امر معصية الله
في اعينهم بذكر قصة داود ذا الايد ذا القوة في طاعة ربه انه اواب رجاع
الى الله في شؤونه انا سخرنا الجبال معه يسبحن مسبحات معه بالعشي والاشراق
حين تشرق الشمس وهو وقت الضحى والطير عطف على الجبال محشورة مجتمعة
محبوسة اليه من كل جانب كل له اواب مطيع او رجاع الى التسبيح كل ما
رجع داود الى التسبيح كانت ترجع هذه الاشياء الى تسبيحها وشددنا
ملكه قويناه بالهيبة وكثرة الجنود قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف
حارس مسلح يحرسونه وآتيناه الحكمة الفهم والعقل والحكمة في الحقيقة العلم
بالاشياء كما هي والعمل بالامور كما ينبغي وفصل الخطاب الفاصل من الخطاب
بين الحق والباطل عن ابن عباس القضاء بين الناس بالحق وهل اتاك نبأ
الخصم مجيء مثل هذا الاستفهام انما يكون لغرابة ما بعده من القصص كقوله وهل
اتاك حديث موسى فيتهيأ المخاطب لما ياتي ويصغي والخصم مصدر يطلق على
الواحد والجمع اذ تسوروا المحراب اي تصعدوا واسوره عن ابن عباس كان
جزأ ايامه اربعة يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص امره
ويوما يعظ بني اسرائيل ويبكيهم فجاء ملكان في صورة رجلين في غير يوم القضاء
فمنعهما الحرس فتسورا عليه المسجد فلم يشعر الا وهما بين يديه ففزع عنهم اذ نزلوا عليه
من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله فخاف ان يؤذوه واذ ظرف للنبأ
ومعناه الخبر الواقع في ذلك الزمان هل وصل اليك الان وهو معنى صحيح للخصم
لما فيه من معنى الفعل اذ دخلوا على داود بدل من اذ تسوروا او ظرف لتسوروا ففزع
منهم لما ذكرنا قالوا لا تخف خصمان اي نحن خصمان والظاهر ان معهما غيرهما لقوله

ولا حاجة الى تقدير مضاف منه

اذ دخلوا ولقوله منهم ولقوله قالوا لا تخف خصمان متخاصمان بغى
ظلم بعضنا على بعض وهذا تمثيل منهم وتعريض بحال داود وتصوير المسألة
وفي بعض القراآت بغى بعضهم على بعض والتحاكم بين اثنين لكن اطلق عليهما
وعلى غيرهما خصم لان من صحب لمعاضدة خصم او لمؤانسته لا يبعد ان يسمى
خصما فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط لا تجر في الحكومة واهدنا الى سواء الصراط
الى وسطه لا الى طرفيه وهو العدل ان هذا اخي في الصداقة وهو بدل من هذا
له تسعة وتسعون نعجة هي الانثى من الضان وهذا صادر على سبيل التصوير
للمسألة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها ملكنيها واجعلها كفلي اي نصيبي
وعزني في الخطاب غلبني في مخاطبته اياي فانه اقدر على النطق قال داود لما
اعترف الخصم الاخر لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه في السؤال تضمين
لتعديته الى مفعول آخر بالى كانه قال باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه الطلب
وسؤال مصدر اضيف الى المفعول نقل محيي السنة عن ابن مسعود ان عين
داود وقعت على امراة فاعجبها وسال زوجها النزول عنها فذنبه التماس النزول
عنها وقيل زوجها قتل في بعض الغزوات فلم يغتم داود اغتمامه بالشهدا
فتزوج امراته والمنقول عن علي رضي الله عنه انه قال من حدثكم بحديث داود
عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وان كثيرا من الخلطاء
الشركاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الظاهر انه
هذا ايضا من كلام داود وقليل ما هم هم مبتدا وقليل خبر مقدم وما مزيدة تفيد
معنى التعظيم والتعجب وفي تنكير قليل وافراده في موقع الجمع لكونه خبرهم وقرانه
بما الابهامية من المبالغة في القلة ما لا يخفى وظن اي علم داود انما فتناه
ابتليناه قد ذكر انه لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك وصعدا
الى السماء فعلم انه تمثيل بحاله فاستغفر ربه من ذنبه وخر راكعا سقط ساجدا
وسمى السجود ركوعا لان الركوع مبدؤه او معناه خر للسجود حال كونه راكعا اي
مصليا واناب رجع الى الله بالتوبة وذكر انه استمر ساجدا اربعين يوما
وفي البحر ظاهر القرآن انهم دخلوا عليه من غير المدخل في غير وقت حكومته
ففزع منهم ظانا انهم يغتالونه فلما اتضح له انهم جاؤا للحكومة عرف خطا ظنه
فاستغفر من ذلك الظن وخر ساجدا والله غفر له ذلك الظن وعلم ان

اي فقط هو الله لا الحراس ولم يتقدم سوى قوله وظن داود انما فتناه واما
ابتلاؤه بغير ذلك فلا نؤمن بصحته والله اعلم فغفرنا له ذلك وان له
عندنا لزلفى لقربة وحسن مآب مرجع ومنقلب يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض استخلفناك على الملك يقال هذا خليفة السلطان
في البلد اذا نصبه ليحكم بين رعاياه والسلطان حي قائم او المراد خليفة
من قبلك من الانبياء يقال زيد خليفة من عمرو اذا مات عمرو فاحكم بين
الناس بالحق الذي هو حكم الله ولا تتبع الهوى هوى النفس في القضاء
فيضلك اتباع الهوى منصوب باضمار ان بعد الفاء في جواب النهي
عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد يعني
من يترك الطريق المستقيم ويتبع خطوات الشيطان له عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب اي عذابهم بسبب نسيانهم يوم القيمة فلم يعملوا له فيوم
الحساب مفعول به لنسوا وقيل ظرف لمتعلق لهم ومفعول نسوا متروك
وعلى الوجهين الباء للسببية وفيه ايماء الى ان الانسان عارف بالمعاد
بحسب اصله وعقله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا
باطلا لا لامر عظيم وحكمة بالغة فباطلا صفة مصدر محذوف او للباطل
والعبث فباطلا مفعول له بالتجوز به عن العبث قيل باطلا حال بمعنى مبطلين
نحو وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ذلك
اي خلقنا اياهن باطلا ظن اي مظنون الذين كفروا فويل للذين كفروا
من اقامة الظاهر موقع المضمر للتسجيل من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض بان لم يؤمنوا ولم يعملوا بل افسدوا
دينهم واعمالهم ام نجعل المتقين من المؤمنين كالفجار منهم وام في الموضعين
منقطعة والهمزة لانكار التسوية فان التسوية من لوازم خلقهما باطلا فاذا
لم يكن باطلا فالحساب والثواب والعقاب مقرر فلا يستوي وفي الاية
ارشاد الى المعاد فانه ربما يكون المفسد والفاجر في الدنيا احسن حالا فلا بد
من دار اخرى قيل الاختلاف بين القسمين باعتبار الوصف لا باعتبار
الذات فالمراد من الفجار الكفار ولما نفى التسوية بينهما بين ما يصلح به ويحصل
لمتبعيه السعادة الابدية وهو كتاب الله فقال كتاب اي هذا كتاب

انزلناه اليك مبارك كثير النفع ليدبروا اياته ليتفكروا فيها وليتذكر
يتعظ به اولوا الالباب ذووا العقول السليمة والظاهر ان ضمير يدبروا
لاولي الالباب على التنازع واعمال الثاني ووهبنا لداود سليمان من فضلنا
ورحمتنا نعم العبد سليمان انه اواب رجاع الى الله بالانابة ولا احد الا وهو
مقصر في جنب الله وحقه اذ عرض عليه ظرف لاواب بالعشي بعد الظهر
الصافنات الصافن من الخيل الذي يرفع احدى يديه او رجليه ويقف
على ثلث قوائم وهذه صفة محمودة في الخيل الجياد جمع جواد وهو المسرع في
سيره فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اي اثرت حب الخيل بدلا عن
ذكر ربي فعلى هذا حب مفعول به لاحببت فانه قد يستعمل بمعنى آثرت نحو
استحبوا العمى على الهدى ويكون عن حالا من حب الخير لان آثر مستعمل بعلى
لا بعن او عن متعلق احببت لتضمين معنى انبت والخير المال واراد به هنا الخيل
اي جعلت حب الخير نائبا عن ذكر ربي قيل معناه احببت الخيل حب الخير اي حبا
مثل حب المال حتى توارت بالحجاب اي الشمس وذكر العشي مشعر اي غربت
وحتى غاية لما قبلها فالمعنى داومت حب الخير ذاهلا عن ذكر ربي حتى في البحر
الظاهر ان الضمير في توارت عائد على الصافنات اي دخلت اصطبلاتها
فهي الحجب وقيل حتى توارت في المسابقة بما حجبها عن النظر ردوها علي اي
الصافنات قال محيي السنة حكي عن علي ان معنى ردوها علي ردوا يا ملائكة الله
الشمس علي فردوها عليه حتى صلى في وقتها لكن قوله فطفق بالفاء يأبى هذا المعنى
مسحا اي فجعل يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق بسوقها واعناقها
والسوق جمع ساق يعني يقطعها غضبا بان الخيل شغلته عن ذكر الله صلوة العصر
يقال مسح علاوته اذا ضرب عنقه والعلاوة راس الانسان ما دام في عنقه
وفي عدد خيوله خلاف فلما قتلها غضبا لله عوضه الله بما هو خير وهو الريح
تجري بامره وقال سيبويه مسحت برأسه ومسحت راسه بمعنى واحد وعن
ابن عباس والزهري انه مسحها بيده يكشف الغبار تكريما ومحبة واختاره
الطبري وهذا بعيد وقيل كوى سوقها واعناقها لكي الصدقة وحبسها في سبيل الله
ولقد فتنا ابتلينا سليمان بان سلبنا الملك منه مدة والقينا على كرسيه
جسدا استولى على ملكه شيطانا كذا قاله ابن عباس وجمع غفير من السلف ثم اناب

رجع

رجع الى الله فازلنا عن ملكه الشيطان والمفسرون ذكروا اشياء في ابتلائه
لا يصح نقلها واقرب ما قيل فيه ان فتنته كونه لم يستثن في قوله لاطوفن الليلة
على سبعين امراة يأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله
فطاف ولم تحمل الا واحدة فجاءت بشق رجل وفي الحديث والذي نفسي
بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون واما قول كثير
من السلف فهو انه سلط الله شيطانا بخيل انه سليمان وجلس مقامه وتصرف
في ملكه حتى مضى ايام ابتلائه قال رب اغفر لي ذنبي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدي ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز وانظر
الى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقل لم تعط احدا غيري فكانه سال اعلى
المراتب وفي الاحاديث الصحيحة ما يدل على هذا المعنى انك انت الوهاب
اجاب الله دعاءه فسخرنا له الريح من جملة ما وهبنا له خاصة تجري بامره
جملة حالية اي جارية رخاء لينة مشتقة من الرخاوة حيث اصاب قصد
سليمان واراد والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل من الشياطين
وقد اشغل سليمان الغواصين في استخراج اللالي من البحر والبنائين في المحاريب
والتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وآخرين عطف على كل كانه
جعل الشياطين قسمين عملة ومردة مقرنين قرن بعضهم مع بعض في الاصفاد
في السلاسل هذا الملك الضخم والتسليط عطاؤنا فامنن واعط ما تريد لمن تريد
او امسك واحرم من شئت بغير حساب من غير حرج عليك في اعطائك
وامساكك واو للتنويع وقيل صلة للعطاء اي انه عطاء غير متناه وقيل معناه
امنن على الشياطين بالاطلاق او امسكهم في الوثاق لا تبعة عليك بوجه وان
له عندنا لزلفى لقربة ورتبة عظيمة وحسن مآب في الفردوس واذكر عبدنا ايوب
عطف بيان اذ نادى ربه بدل اشتمال من عبدنا اني اي باني مسني الشيطان
بنصب بتعب وعذاب الم ابتلاه الله بجسده وماله واولاده حتى لم يبق
من بدنه سليم سوى قلبه ولسانه ولم تصبر عليه الا امراته ورفضه القريب
والبعيد مدة مديدة حتى آل به الحال انه القي على مزبلة فلما طال واشتد الحال
تضرع وقال رب اني مسني الضر واسند فعل مسني الى الشيطان لانه سببه
وراعى الادب اركض برجلك في الكلام حذف اي فاستجبنا وقلنا اركض اضرب

برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين
فقيل له اغتسل واشرب منه يزول عنك داؤك ووهبنا له اهله ومثلهم
معهم رحمة اي لرحمة منا عليه وذكرى تذكرة لاولي الالباب ليصبروا
وينتظروا الفرج وقد مر في سورة الانبياء تفصيل حكايته وخذ بيدك
ضغثا حزمة صغيرة من الحشيش كان حلف عليه السلام ليضربن امراته مائة ضربة
بسبب ذنب عنده جرى منها وهي محسنة فجعل الله له خلاصا من يمينه بقوله
وخذ فاضرب به امراتك ولا تحنث فان هذا الضرب خروجك من الحنث
ولا تؤذي المراة فانها تليق بالاحسان وروي انها قطعت ذوابتيها وباعت
بخبز فاطعمته لانها لم تجد ما تطعمه فلامها على ذلك وحلف لئن شفاه الله
ليضربنها مائة ضربة انا وجدناه صابرا نعم العبد ايوب انه اواب
مقبل على الله بكليته واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب الثلثة عطف
بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا يكون واسحق ويعقوب عطفا على عبدنا اولي
الايدي ذوي القوة في طاعة الله والابصار لهم بصائر يبصرون بها
الحقائق وينظرون بنور الله انا اخلصناهم جعلناهم خالصين بخالصة
اسم فاعل عبر به عن خصلة او مزية او رتبة لا شوب فيها قيل مصدر كالعافية
قد حذف منه الفاعل اي اخلصناهم بان اخلصوا ذكرى الدار والباء سببية
اي بسبب خصلة وذكرى بدل من خالصة على قصد التفسير والبيان والدار الاخرة
يعني ليس لهم هم وذكر سوى الاخرة لا يشوب بهم الدنيا واضافة خالصة
الى ذكرى في قراءة بيانية واما اضافة ذكرى فمن اضافة المصدر الى مفعوله وقيل
ذكرى هو الثناء الجميل بمعنى الصيت والشرف والدار هي الدنيا والاضافة
على التعلق الظرفي والاختصاص المجازي ومعنى اتصاف هذه الذكرى
بالخلوص انها لهم لا لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار جمع خير
او خير كاموات في جمع ميت او ميت واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل
وكل التنوين عوض اي كلهم من الاخيار قد مر في سورة الانبياء وفيها اسمعيل
وادريس وذا الكفل والمناسبة بين هؤلاء حتى جعلهم في سلك الله يعلمه
هذا ذكر اي هذا نوع من الذكر ثم شرع في نوع اخر من الكلام كما سيقول هذا
وان للطاغين ومساقهما واحد ولا شبهة في ان معناه الاخذ في نوع اخر

من الكلام

من الكلام بعد اتمام نوع وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن
بدل من حسن مآب لا عطف بيان لان تخالفهما في التنكير والتعريف غير جائز
لا عند بصري ولا عند كوفي مفتحة حال من ضمير في الخبر راجع الى حسن مآب
لهم الابواب مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله لمفتحة وحرف التعريف
عوض عن الضمير وقيل في مفتحة ضمير جنات والابواب بدل اشتمال
من الضمير فان الابواب ليست بعضا من الجنات متكئين فيها حال
من هم في لهم يدعون فيها استيناف لبيان حالهم فيها قيل متكئين حال
من ضمير يدعون بفاكهة كثيرة وشراب انواع مختلفة من الفواكه والشراب
لذة للشاربين وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن نظر رغبة الى غير ازواجهن
اتراب متساويات في السن فان الالفة والتحاب بين الاقران اشد قيل
هن اتراب لازواجهن سنهم وسنهن واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب
اي لاجل يوم الحساب فان الحساب سبب الوصول الى الجزاء ان هذا
لرزقنا الذي رزقناهم ما له من نفاد اي انقطاع بل هو دائم الى الابد
هذا اي الامر هذا وان للطاغين مقابل للمتقين لشر مآب مقابل لحسن
مآب جهنم مقابل جنات يصلونها حال كونهم يدخلونها فبئس المهاد
جهنم شبه ما تحتهم من النار بمهاد يفترشه النائم هذا فليذوقوه حميم
انتهى حره وحميم خبر هذا وما بينهما اعتراض كزيد فافهم رجل صالح وغساق
انتهى برده اشارة الى النار والزمهرير او الغساق ما يسيل من صديد
اهل النار واخر اي وعذاب اخر من شكله من شكل ما ذكر من العذاب
فتوحيد الضمير لانه راجع الى المذكور ويمكن ان المرجع الشراب الشامل
للغساق ازواج اصناف ازواج صفة لاخر تاويل كونه ضروبا
ليطابق الموصوف الصفة واخر اما عطف على حميم او التقدير ولهم
اخر هذا فوج مقتحم كلام خزنة النار للقادة حين يدخل بعدهم الاتباع
معكم اي هذا فوج داخل في النار معكم لا مرحبا بهم دعوا عليهم لان
الرئيس اذا راى الخسيس قد قرن معه ساءه ذلك والمرحب السعة
اي ضاقت عليهم الارض ولا مرحبا ابتداء كلام هو دعاء على التابعين
من المتبوعين وبابهم كلام هيئت لك يعني هذا الدعاء لاحق بهم فهو

كما جوزه الزمخشري وقد ذكر ان جنات عدن
معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن
لكن هذا لا يدل على مدعاه لانه جاز ان يكون
التي بدلا من جنات عدن لا صفة منه

بيان للمدعو عليه انهم صالوا النار لانهم داخلوها قالوا اي الفوج بل انتم
لا مرحبا بكم لا بنا انتم قدمتموه اي العذاب لنا باغوائكم ايانا فبئس القرار
اي بئس القرار جهنم قالوا اي الفوج ربنا يا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا
ضعفا مضاعفا يعني ذا ضعف في النار وقالوا اي الكفار والمراد صناديد
قريش ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم في الدنيا من الاشرار من الارذال
الذين لا خير فيهم يعني فقراء المسلمين اتخذناهم سخريا بكسر الهمزة صفة اخرى
لرجالا والتقدير اتخذناهم بحذف همزة الاستفهام لتقرير انفسهم على هذا
على جهة الاسف ام زاغت عنهم الابصار اضربوا عن الاول واستفهموا يعني
نفوا اولا انهم معهم في النار وهم ليسوا على ما ظنوا فيهم ثم جوزوا ان يكونوا معهم
في النار وهم مثل ما ظنوا فيهم لكن ابصارهم زائغة عنهم فلا تراهم ان ذلك
ما ذكرنا عنهم لحق واقع تخاصم اهل النار هو تخاصم او خبر بعد خبر او بدل وتسمية
تلك المفاوضة تخاصما لقولهم لا مرحبا بهم وبل انتم لا مرحبا بكم وعلى هذا قولنا
هو الانسب من قول من قال لا مرحبا بهم من كلام الخزنة لان قوله تخاصم اهل
النار دال على ان الخصومة بين الكفار من الجانبين قل يا محمد للمشركين انما انا
منذر انذركم عقاب الله وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة
القهار الذي يغضب على من يليق بالغضب رب السموات والارض وما بينهما
مالك الكل وخالقه وحافظه العزيز الغالب الغفار لمن اراد قل هو
نبأ عظيم انتم عنه معرضون يعني القران او ما قصه الله من مناظرة اهل
النار ومقاولة الاتباع مع المتبوع من احوال البعث وقريش ينكرونه وهم
عنه معرضون وقوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اي الملائكة اذ يختصمون
احتجاج على قريش ان ما جاء به من عند ربه لا من قبل نفسه فان من في الارض
ليس له علم بمن في السماء الا باعلام الله وعلم المغيبات لا يوصل اليه الا بان
يطلعه الله وعلمه باحوال اهل النار وابتداء خلق ادم لم يكن له بوجه فاخباره
بذلك من الله سبحانه واذ متعلق بعلم قبل تقديره ما كان لي علم بكلامهم
وقت الاختصام واختصامهم في ادم وذريته في جعلهم في الارض ان يوحى
الي الا انما انا نذير مبين هذا كما تقول فوضت الامر اليك لانك عالم كامل
فما بعد الا منصوب بنزع الخافض اي الا لاني والى مفعول ما لم يسم ليوحى يعني

لم يوح

٤٦٠

لم يوح الي الا لاني مقصور على الانذار والتبليغ لا انجي وزالي ما ليس الي
او ما بعد الا قائم مقام الفاعل اي لم يوح الي الا ان انذر وابين ليس الي
هدايتكم وصدكم عن العناد فانما بالفتح والكسر للقصر ولما كان قريش لحسده
والكبر خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر حال ابليس حيث خالف
امر الله لحسده وكبره وما آل اليه امره من اللعنة الابدية ليرتدع من فيه شيء من
ذلك فقال اذ قال ربك للملائكة بدل من اذ يختصمون مبين له اني خالق
بشرا من طين في ال عمران من تراب وفي الحجر من صلصال من حما مسنون
التراب المادة البعيدة ثم ما يليه وهو الطين ثم ما يليه وهو الحما المسنون
ثم المادة الاخرة وهو الصلصال فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت
فيه من روحي فاحييته فقعوا اخروا له ساجدين تعظيما له وتكرمة فسجد
الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس هو في عداد الملائكة محسوب منهم
استكبر استيناف وكان في علم الله او صار من الكافرين بالاستكبار
والاستنكار قال الله يا ابليس ما منعك ان تسجد في الاعراف ان لا
لا تسجد فلا صلة زائدة لما خلقت بيدي جميع السلف على ان اليدين
من صفات الذات اثبتها السمع وابطلوا حمل اليدين بصيغة التثنية
على القدرة استكبرت اي المانع مجرد الكبر منك ام كنت من العالين
او انك اعلى واعظم فلا يستحق سجودك واما قراءة استكبرت بكسر الهمزة
فيحتمل تقدير همزة الاستفهام للمعادلة نحو بسبع رمين الجمر ام بثمان
ويحتمل ان خطابه بذلك على سبيل التقريع وام منقطعة والمعنى بل
انت من العالين عند نفسك استخفافا به قال ابليس انا خير منه
اجاب باختيار الشق الثاني خلقتني من نار لطيفة وخلقته من طين
كثيف فانا الحقيق بان تعظمني قال الله فاخرج منها من السماء فانك
رجيم مطرود والارض مكان المطرودين وان عليك لعنتي الى يوم الدين
فترى فيه غب طردي قال ابليس رب فانظرني اي لما طردتني بواسطته
فامهلني الى يوم يبعثون قال الله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
الى قيام الساعة قال ابليس فبعزتك يعني لما امهلتني فبسلطانك لاغوينهم
اي اولاده اجمعين الا عبادك منهم المخلصين منهم حال مقدم من ضمير المخلصين

وقد مر مرارا في البقرة والاعراف والحجر وسبحان قال الله فالحق والحق
اقول اي ولا اقول الا الحق يستفاد حصره من تقديم مفعول اقول لاملان
جهنم منك وممن تبعك منهم من بني آدم الذي لم يتبع رسلنا وهو بدل ممن
اجمعين تاكيد للتبع والمتبع قوله فالحق في قراءة الرفع تقديره فالحق
قسمي وفي قراءة النصب فقسم بحذف حرفه اي فبالحق نحو عليك الله ان
تبايعا بنصب الله فهو مقسم به على الوجهين والمراد من الحق اسم الله او الحق
الذي نقيض الباطل وعلى الوجهين جوابه لاملان وما بينهما اعتراض والمراد
بمفعول اقول نقيض الباطل وقيل تقديره على النصب فاحق الحق او الزم
وعلى الرفع فالحق مني او انا الحق وعلى هذا لاملان جواب قسم محذوف
دال عليه اللام قل ما اسالكم عليه على التبليغ من اجر من جعل وما انا من
المتكلفين في نظم القرآن فانه من عند الله يوحى الي منظوما ان هو الا ذكر
عظة من الله للعالمين ولتعلمن والله لتعلمن نباه من حقية القرآن وصدقه
بعد حين كان الحسن يقول يا ابن آدم عند الموت ياتيك الخبر اليقين
ومن الامثال قل لله ليومه غدا تعرف الخبر والحمد لله رب العالمين

سورة الزمر مكية الا قل يا عبادي الاية آيها خمس او اثنان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل اي هذا تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
متعلق بتنزيل او خبر ثان لهذا وقيل من الله خبر لتنزيل الكتاب والكتاب عام
لجميع ما نزل من عند الله فاخبر اولا ان الكتب العادية انما تنزيلها من الله
وجعل هذا توطئة لقوله انا انزلنا اليك الكتاب اي القرآن بالحق ملتبسا
به او بسبب اظهار الحق واثباته فاعبد الله مخلصا له الدين لا يحوم حول
ضميرك شرك الا لله الدين الخالص ليس لغيره في الدين شركة والذين اتخذوا من
دونه اولياء هم الكفرة ما نعبدهم اي قائلون ما نعبدهم الا اولياء فهو خبر الذين
الا ليقربونا الى الله زلفى الا ليقرب الاولياء كالاصنام الى الله تقريبا قيل
الذين عبارة عن الاصنام وضمير اتخذوا للعابدين وضمير الذين مقدر اي
اتخذوهم وما نعبدهم بتقدير قائلين حال وخبر الذين قوله ان الله يحكم بينهم
فيما هم فيه يختلفون اي يحكم بين المتخذين ومقابليهم او بينهم وبين اوليائهم
فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنون عابديهم وعلى الوجه الاول ان الله يحكم بينهم

ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار لا يرشد الى الهداية من هو مفتر على
الله وقلبه كافر باياته مختوم على الكفر ولما كان من الكذب العظيم دعويهم ان الملائكة
بنات الله وعبده وما اعقبه بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا كزعم المشركين لاصطفى
مما يخلق ما يشاء اي لو اراد اتخاذ الولد لاختار الافضل لا الانقص على الاناث
كما زعموا لكن لم يرد فلا ولد له من ذكر وانثى قيل لو فرض اتخاذ الولد لم يمكن الا اصطفاء

> هذا في نفي اتخاذ الولد بان لا يكون له ولد حقيقي ظاهر لا شبهة فيه واما في التبني المشعر بلفظ الاتخاذ فلا يخلو عن شبهة [illegible]

بعض مخلوقاته بالقرب وهو ليس من الاتخاذ في شيء فهذا غاية في امتناع الاتخاذ
على النجوم لم يخف الله لم يعصه وهو ثبوت الجزاء على كل حال يعني الامتناع متحقق على
تقدير ارادة الاتخاذ فكيف على تقدير عدمها قال الله وما ينبغي للرحمن ان يتخذ
ولدا ان كل من في السموات الاية سبحانه نزه نفسه الاقدس عما يثبت له الكفرة
هو الله الواحد القهار الفرد الذي دانت له الاشياء فلا يناسبه شيء خلق
السموات والارض بالحق ملتبسا به الحكم ومصالح يكور الليل على النهار ويكور
النهار على الليل التكوير اللف والادغام كل منهما مكان الاخر فكانما الف عليه
كلف اللباس على اللابس قال الضحاك يدخل الزيادة في احدهما بالنقصان من
الاخر وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة عند الله ينقطع جريهما وحركتهما
يوم القيمة الا هو العزيز الغالب الغفار فلا يعاجل بالعقوبة على من يصفه بما
لا يليق به خلقكم من نفس واحدة آدم ثم جعل منها زوجها اخرج حواء من
الضلع الاسفل منه وثم للتراخي الرتبي فان خلق حواء مقدم في الوجود على تشعب
الذرية من نفس آدم فانه امر مستمر واما اخراج نفس من ضلع تخص فامر عجيب
غير معهود فهو ادخل في الايات وانزل لكم مجاز بانه قضي في السماء من الانعام
قيل هذا كقوله السنة الا بال في سحابه فان الانعام لا تعيش الا بالنبات
والنبات لا تكون الا بالماء وقد انزل الماء من السماء ثمانية ازواج كما مر في سورة
الانعام يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق حيوانا من بعد عظام
من بعد مضغ من بعد نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة ذلكم
الله مبتدأ او خبر ربكم بدل عن الخبر له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون كيف يعدل
بكم عن عبادته الى عبادة غيره ان تكفروا فان الله غني عنكم وليست عبادتكم الا لنفعكم
ولا يرضى لعباده الكفر مع ان الكفر بارادته ولا يجري في ملكه الا ما يشاء ومن تامل
وجد في الرضا معنى ليس في الارادة هو شبه استحسان واستحماد وابتهاج يعبر عنه

بترك الاعتراض ولا تتعلق ارادة الله بشئ الا وهو مفعول بخلاف الرضا
ومتعلق الرضا لا يكون الا معنى من المعاني فيتعدى اليه بنفسه محلى باللام نحو
رضي الله لكم الشكر وقد يتعدى اليه بالباء نحو رضينا بقضاء الله وقد يذكر
المحلى بالباء والمتعلق تمييزا نحو رضيت بالله ربا وقد يطوى ذكر المتعلق
قصدا الى العموم ويذكر المحلى بعن نحو رضي الله عنهم ورضوا عنه ولا يخلو شئ
من الاستعمالات عما ذكرنا من زيادة المعنى وايضا يقابل الرضا بالسخط
والارادة بالكراهة ولا تغفل عن قوله وان تشكروا يرضه اى الشكر لكم فانه سبب
فوزكم فقد جعل شرطا وجزاء فوقوع الشكر شرط وحصول الرضا جزاء فلزم
تقديم الشكر على ارادته ان اتحد الرضا والارادة ولا شك ان ارادة الله
مقدم على وجود الشكر منهم لكن المصر على الضلال على قلبه رين وعلى عينه
غين فيتفوه بما لا يرضى به الا غبي زنديق فنعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب
لا يخشع ولا تزر وازرة لا تحمل نفس وازرة وزر اخرى وزر نفس اخرى ثم
الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا يخفى
عليه شئ واذا مس الانسان المراد الجنس ضر دعا ربه منيبا راجعا من سخطه
اليه ثم اذا خوله اعطاه وملكه نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه الضر الذي كان
يدعو الله لكشفه قبل او بمعنى من واقيم مقامه لما في الابهام من التفخيم وفي يدعو
تضمين معنى التضرع اى نسى الكاشف لضر المضطرين الذي كان يتضرع اليه
من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله اللام لام العاقبة اى
ليعقبه وينتج الاضلال والضلال قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد وتوبيخ انك
من اصحاب النار كفاه شرا وبالاستئناف على سبيل التعليل امن هو
قانت قائم بالطاعات اناء ساعات الليل ساجدا وقائما حالان من
ضمير قانت يحذر الاخرة اى عذابها جملة حالية ويرجو رحمة ربه يعني اهو الذي
نسى ما كان يدعو اليه خير ام من هو قانت فخبر من محذوف وكذا الهمزة المعادلة
لام او منقطعة بمعنى بل امن هو قانت كغيره فعلى هذا الاستفهام للتبكيت
ومعنى الاضراب الاخذ في الاولى والاحق كانه قيل دع بيان الموجب
وسلهم فقد محض الحق وانكشف وقراءة امن بالتخفيف فيحتمل ان معناه امن
هو قانت افضل ام من غافل جاهل قل هل يستوي الذين يعلمون وهم

كالزمخشري المعتزلي الذي وقع
في وادي تعصبه لا يرى محل خطاه
فيعثر على وجهه ويسرع على هذا
في مشيه فلا حول ولا قوة الا بالله
سبحانه منه

عطف على ما علم من ان ام متصلة
منه

القانتون

القانتون وفيه دليل واضح على ان غير العامل ليس بعالم والذين لا يعلمون
قيل هذا على التشبيه اى كما لا يستوي العالم والجاهل كذلك لا يستوي
القانت والعاصي انما يتذكر يتعظ بوعظ الله اولوا الالباب ذووا القلوب
الواعية قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم عن معاصيه للذين
احسنوا بالطاعة في هذه الدنيا متعلق باحسنوا حسنة في الاخرة لما
احسنوا في الدنيا فعن الاخرة لهم من جنس عملهم وارض الله واسعة فهاجروا
الى ارض تيسر لكم فيها الاحسان والتقوى انما يوفى الصابرون على البلاء
من مثل مفارقة الاوطان ومهاجرة الاخوان اجرهم بغير حساب لا يوزن
ولا يكال قيل نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه صبروا حين اشتد
بهم البلاء فهاجروا الى الحبشة قل اني امرت ان اى بان اعبد الله مخلصا
له الدين حال من فاعل اعبد وامرت لان اكون اول المسلمين من هذه
الامة والملة واللام مزيدة للتاكيد قال تعالى امرت ان اكون اول من اسلم
قيل معناه امرت بهذا النوع من العبادة لاجل ان اكون مقدم المسلمين
في الدارين قل اني اخاف ان عصيت ربي مع اني نبي مقرب عذاب
يوم عظيم لعظمة ما في هذا اليوم نزلت حين دعي الى دين ابائه قل الله اعبد
مخلصا له ديني الاول اعني قوله اني امرت اخبار عن كونه مامورا بايجاد
الاخلاص وهذا اخبار عن انه امتثل الامر فاعبدوا ما شئتم من دونه
فاني لا اتبعكم وهذا امر توبيخ قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم مع ان
انفسهم راس مالهم واهليهم يوم القيمة الذين هم في الجنة من الحور والغلمان
فان لكل منزلا واهلا في الجنة صار المنزل وما فيه لاهل الجنة ان دخل هو النار
كذا فسره جم غفير من السلف والمراد خسروا اهليهم الذين لهم في الدنيا فانهم
خسروهم كما خسروا انفسهم ان اتبعوهم وان امنوا وصاروا من اهل الجنة
فقد ذهبوا عنهم ذهابا ابديا لا مواصلة بينهم الا ذلك هو الخسران المبين
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل اطباق النار ظلل لاخرين ومن في جوف
النار صدق ان النار من فوقه كالظلة ذلك العذاب يخوف الله به عباده
يعني يخبر عباده به لان يتخوفوا فيتركوا ما يوجبه يا عباد فاتقون مخالفتي ولا
تتعرضوا المعصية والذين اجتنبوا الطاغوت الاوثان ان يعبدوها بدل

اشارة الى ان المراد بالحسنة الفرد الواحد
منه

اشتمال من الطاغوت وانابوا الى الله رجعوا الى عبادة الله عن عبادة
الطاغوت لهم البشرى سيما في احوالهم في الآخرة فبشر يا محمد عبادي الذين
يستمعون القول قول الله وقول رسوله فيتبعون احسنه كمن يستمع القول
من العزائم والرخص فاتبع العزائم قال كثير من السلف في القرآن الانتصار
من الظالم والعفو فاتبع العفو ومعناه الذين يستمعون القول المطلق
فيتبعون الاحسن من القول اي القرآن كذا فسره ابن عباس قال تعالى الله
نزل احسن الحديث او المراد الذين يستمعون اقوال الناس فيتبعون احسنه
ويتركون ما فيه مساءة وهذا من وضع الظاهر موضع المضمر حيث لم يقل
فبشرهم لان يصفهم بهذه الصفة الاخرى اولئك الذين هداهم الله هداية
لا تحوم حولها ضلالة واولئك هم اولوا الالباب العقول السليمة ولما كان
في ضمن بشارتهم بالنوع الخاص الذي هو الهداية وغيرها اشارة الى نقيضهم
بالخذلان والشقاوة وكان صلى الله عليه وسلم مجبولا بعظيم الرحمة ومزيد
الشفقة يتأسف على من اعرض عن الله اعقبه بقوله افمن حق عليه كلمة
العذاب افانت تنقذ من في النار افمن نفذ عليه الوعيد بالعذاب
افانت تنقذه منه الهمزة كررت في الجزاء لتوكيد معنى الانكار يعني لست
بقادر على انقاذ من اراد الله شقاوته وضع الظاهر وهو من في النار
موضع المضمر ليدل على ان عذاب الله النار وسعي رسول الله في انقاذهم
منها لكن الذين اتقوا ربهم عذاب ربهم بكفهم عن المعاصي لهم غرف من
فوقها غرف مبنية محكمة عالية كالاسافل لا كالدنيا فان اسافلها احكم من
علاليها ولو لم يكن معنى مبنية الا البناء الخاص لكان غير مفيد تجري من تحتها
تحت الغرف السفلى والعليا من غير تفاوت الانهار وعد الله مصدر
مؤكد لنفسه فان لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك لا يخلف الله
الميعاد اي الوعد ولما اخبر بقدرته على البعث دل عليها بما يتكرر
مشاهدته من مثلها فقال الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع
ادخله مسالك وعيونا وماء العيون من ماء المطر تحبسه الارض وتخرجه
شيئا فشيئا ونصب ينابيع الاولى ان يكون على الظرف وهو وان كان
اسم مكان غير مبهم لكن جاز نصبه لانه في حكم ما بعد دخلت كما فسره في الارض

صفة ينابيع ثم يخرج الله به بالماء زرعا مختلفا الوانه في الصحاح اللون الهيئة
كالسواد والحمرة واللون النوع كالبر والشعير ثم يهيج ثم يجف فتراه مصفرا ثم يجعله
حطاما في الصحاح الحطام ما تكسر من اليبس ان في ذلك لذكرى لعظة لاولي
الالباب فيعرف انه مثل الحياة الدنيا مستدلا به على كمال حكمة الله وقدرته
افمن شرح الله صدره للاسلام وسعه لقبول الحق فهو على نور من ربه
يهتدي به الى الحق كمن اقسى الله قلبه فهذا خبر مقدر دال عليه قوله فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله اي غلظ وجفا عن تاثير الذكر في قلبه قال الفراء والزجاج
من ذكر الله وعن ذكر الله سواء كاتخمت من طعام وعن طعام اولئك
في ضلال مبين الله نزل احسن الحديث اي القرآن كتابا بدل او حال
متشابها يشبه بعضه بعضا في البلاغة وصحة المعنى مثاني جمع مثنى مفعل
من التثنية بمعنى الاعادة والتكرير فان قصصه ومواعظه واحكامه ووعده
ووعيده مكرر معاد ومثاني في الحقيقة صفة ما يتضمنه الكتاب من السور
والايات فلا يرد انه جمع وكتابا مفرد فكانه قال هو سور وايات هي
اقاصيص واحكام ومواعظ مكررات قيل ان سياق الكلام اذا كان في
معنى واحد يناسب بعضه بعضا فهو المتشابه وان كان يذكر الشيء وضده
كذكر المؤمنين ثم الكافرين والجنة ثم النار فهو من المثاني تقشعر تضطرب
وحمل القشعريرة على الحقيقة هو الاولى اذ نجده عند الخشية منه من القرآن جلود
الذين يخشون ربهم في الحديث اذا اقشعر جلد العبد من خشية ربه تحاتت
منه ذنوبه كما تتحات عن الشجرة اليابسة ورقها في مجمل الصحاح اجلاد الرجل
جسمه والجلد واحد الجلود والاجلاد وعلى هذا يمكن ان يكون المراد اجسام الذين
يخشون وعندي هو الاولى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي حين يتلون
ويتاملون ما فيه من ايات الوعيد عرتهم خشية تنقبض منها جلودهم وتضطرب
منها اجسامهم ثم اذا ذكروا رحمته ورافته لانت جلودهم وزالت عنهم
ما نشأ من كمال خشية قلوبهم لما يرجون من لطفه فهم بين الخشية والرجاء
لم يكونوا يتصارخون ولا يرقصون وتضمين معنى السكون عداه بالى وفي ذكر
القلوب دليل على تاثرها عند السماع فاكتفى بقشعريرة الجلود عن ذكر خشية
القلوب بقيام المسبب مقام السبب فلما ذكر اللين ذكرهما وفي ذكر اللين دليل على

المحذوف الذي هو رحمة الله ذلك اي الكتاب قيل اي الخوف والرجاء
هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ولما صرح بذكر من
شرح صدره مضمنا ذكر قاسي القلب كما بينا عكس الامر في مقابلته للتعادل
فقال افمن يتقي بوجهه سوء العذاب شدته يوم القيمة ظرف يتقي وخبره
محذوف نحو افمن شرح الله صدره اي كمن ياتي امنا يوم القيمة وعادة
الانسان اذا لقي مخوفا استقبله بيده يتقي بها وجهه الذي هو اعز اعضائه
فعلم انهم لا يتهيأ لهم ذلك لانهم مغلولون وقيل حال بتقدير قد للظالمين
اي لهم ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم من الامم الماضية
فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون اي على حين غفلة فليحذر امتك ممن
كذب ان يصيروا كالامم المكذبة فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا
ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر اشد من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون لو كانوا
من اهل العلم لا كالبهائم لعلموا ذلك ولقد ضربنا للناس في هذا القران
العظيم الشان من كل مثل يحتاج اليه لعلهم يتذكرون يتعظون قرانا نصب
على المدح او الحال عربيا هو افصح اللغات غير ذي عوج اختلال بوجه من
الوجوه لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة على الاولى ولما ذكر انه ضرب في
القران من كل مثل شرع يضرب مثلا لعابد الالهة ومن يعبد الله وحده
فقال ضرب الله مثلا للمشرك والمخلص رجلا بدل من مثلا فيه شركاء مبتدأ
وخبر متشاكسون متنازعون صفة لشركاء والجملة صفة رجلا يعني مثل المشرك
كعبد يتشارك فيه جمع يختلف كل منهم في انه عبد له فيتجاذبونه في مهامهم فهو متحير
لا يدري ايهم يرضي وعلى ايهم يعتمد اذا سنح له سانح ورجلا سلما ذا خلوص
خالصا لرجل واحد يعرف سيده يخدمه خالصة ويتكل عليه في النوائب
هل يستويان هذان الرجلان مثلا اي صفة وحالا نصب على التمييز الحمد لله
لا حمد لغيره فانه هو المنعم وحده بل اكثرهم لا يعلمون اضراب عن ضرب المثل
وظهور الحال لين كانه قال لا ينفعهم المثل بل اكثرهم كالبهائم ولما ذكر ان اكثرهم
جهلاء لا يتاملون في المثل ولا يعتبرون بالوعظ فاقتضى الحال ان تتوجه النفوس
الى المآل ومآل الحال اليه فقال انك يا محمد ميت ويدخل في الحكم امته جعل
ما ال اليه الامر كان قد حصل وانهم اي من عاندك ميتون ثم انكم فيه تغليب

المخاطب

المخاطب يوم القيمة عند ربكم الذي هو الحكم العدل الخبير تختصمون فتحتج انت
عليهم باني قد بلغت وكذبوا واجتهدت في الدعوة ولجوا في العناد واكثر
السلف حمل ذلك على اختصام الجميع حتى الروح والجسد فمن اظلم ممن كذب
على الله باضافة الشريك والولد اليه وكذب بالصدق بما جاء به رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه من غير تدبر اليس في جهنم مثوى منزل للكافرين
اللام للجنس وهو اولى من ان يكون للعهد والذي جاء بالصدق اثبات
الوحدة في الالوهية ونفي الولد وصدق به صدق بما جاء به رسول الله
فيدخل فيه الرسول واتباعه كذا قاله عظماء السلف ويكون المعطوف والمعطوف
عليه صلة واحدة على التوزيع وينصرف المعطوف عليه الى الرسول والمعطوف
الى اتباعه اجمعين قيل المراد من الذي جاء بالصدق وصدق به الرسل
اولئك هم المتقون واولئك خبر الذي بحسب المعنى لهم ما يشاؤن عند ربهم
ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله علة لذلك جزاء او للهم ما يشاؤن او للمتقون
عنهم اسوء الذي عملوا يعلم من تخصيص اسوء ان غير الاسوء اولى بالتكفير ويجزيهم
اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في
زيادة الاجر وعظمه قيل ينظر الى احسن طاعته فيجزي الباقي في الجزاء على
قياسه اليس الله بكاف عبده اي هو كاف عبده فالهمزة للتقرير والمراد
من العبد الجنس ففي بعض القراءات عباده نزلت لما خوف قريش
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخوفونك بالذين من دونه باصنامهم
من دون الله تعالى قائلين انك لتعيبها وسيصيبك بسوء ومن يضلل
الله فيخوف رسول الله بما لا يضر ولا ينفع فما له من هاد ومن يهد الله
كمن يحمي رسول الله ويتبعه فما له من مضل اليس الله بعزيز غالب منيع ذي
انتقام من اعدائه ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
فانهم معترفون انه وحده الخالق ومع ذلك يعبدون الاصنام من دون
الله قل يا محمد لهم افرايتم ما تدعون من دون الله ما تدعون المفعول الاول ارايتم
ان ارادني الله بضر كمرض هل هن اي الاصنام التي تدعون من دون الله كاشفات
ضره وهذه الجملة الاستفهامية المفعول الثاني ولفظ هن عائد على ما وانث
تحقيرا وتضعيفا وفيها ما سمي بتسمية الاناث كاللات والعزى ومناة او ارادني

فتقول الروح انت بعثت ويقول الجسد انت امرت صح

برحمته كما فيه هل هن ممسكات رحمته وهذا بيان ان الاصنام لا تنفع
ولا تضر فلا خوف منها قل حسبي الله كاف في اصابة النفع ودفع الضر
اذ قامت الحجة على ان الله متفرد فيهما عليه يتوكل المتوكلون ولما كانوا
مع هذه الحجج القاطعة والادلة القامعة والبراهين الساطعة كالبهائم
الهائمة لا يرفعون رؤسهم اليها فهم على حال لا يرجى منهم الهداية والدراية
قال قل يا قوم اعملوا على مكانتكم طريقتكم التي انتم اخترتموها اسم للمكان
استعير للحال اني عامل على منهجي وطريقتي وحذف للاختصار والعلم به
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه من مفعول تعلمون الذي بمعنى
تعرفون ويخزيه صفة عذاب والمراد القتل والاسر والفرار ويحل
عطف على يأتيه عليه عذاب مقيم غير منقطع والمراد عذاب الآخرة انا انزلنا
عليك الكتاب للناس لاجل نفعهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى وامن
بالكتاب فلنفسه يعود نفعه الى نفسه ومن ضل ولم يؤمن بالكتاب
فانما يضل عليها وبال ضلاله منحصر في نفسه لا يتجاوزها وما انت عليهم
بوكيل فتجبرهم على الهداية انما انت نذير والله الهادي ولما ذكر انه تعالى
انزل الكتاب على رسوله بالحق نبه على آية من آياته الكبرى الدالة على وحدانيته
لا شركة لاحد في ذلك بالاتفاق فقال الله يتوفى الانفس يستوفيها
ويقبضها والاصح ان الروح والنفس واحد والاولى ان يكون المراد من
الانفس الجملة كما قال تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل اي يميتكم به حين
موتها الذي قدر لها والتي لم تمت ويستوفي الانفس التي لم تمت يعني جاء
وقت موتها الحقيقي في منامها فتجتمع النفوس كلهن في الملأ الاعلى كما ورد
بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره وفي الصحيحين اذا اوى
احدكم الى فراشه فليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت
نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين فيمسك
التي اي النفس التي قضى عليها الموت فلا يردها الى الجسد ويرسل الاخرى
اي النفس الاخرى هي النائمة الى جسدها الى اجل مسمى هو وقت الموت
الحقيقي ان في ذلك التوفي والامساك والارسال لآيات لقوم يتفكرون
في عجائب ملكه وملكوته هذا ما ذكره المفسرون ثم لا يخفى عليك ان في بدن الانسان

الروح

الروح الذي منه حركته ونفسه ولو اراد الله موت احد في نومه فلا بد
ان تحصل له سكرات وليس مجرد امساك روحه وعدم الرد الى بدنه كما هو
ظاهر الآية والحديث وان كان الموت فجاءة والى ما وجدت احدا تعرض
لبيانه والعلم عند الله سبحانه واما ان الموت والنوم من واد واحد فلا شك
فيه والظاهر ان الموت انقطاع تعلق الروح ظاهرا وباطنا انقطاعا
تاما لكن له ميل الى بدنه الذي يحشر فيه والنوم انقطاع ظاهري لا باطني
وما هو الا انقطاع ناقص وهو انقطاع ضوء الروح وكشف ذلك لا بد من
تفصيل وتطويل ولما دلت الآية على انه تعالى هو المتصرف في الامور وحده
فكانه قال الا اذعنوا ذلك واقروا به ام اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة للانكار
بمعنى لم يكن ذلك لان من اعتقده شفعاء ليس شفعاء من دون الله
اي من دون اذنه شفعاء عند الله كما هو زعمهم الفاسد قل اولو كانوا
لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي قل ايشفعون على اي حال ولو كانوا غير
مالكين ولا عاقلين فانهم جماد فالواو للعطف على الحال قل لله الشفاعة جميعا
هو مالكها لا يستطيع احد ان يشفع بغير اذنه له ملك السموات والارض ثم اليه
ترجعون بعد الموت فيحكم بالعدل واذا ذكر الله وحده كما دل عليه الدلائل
وقيل لا اله الا الله اشمأزت انقبضت ونفرت قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اي الاوثان سواء ذكر الله معهم او لم يذكر
اذا هم يستبشرون من جعل العامل مضمون الشرط فالعامل في كليهما ذكر
واذا الفجائية رابطة لجملة الجزاء بجملة الشرط كالفاء وهي معمولة لما بعدها
بهذا قاله صاحب البحر وظاهر كلام النحاة ان عامل اذا الاولى اشمأزت
وعامل اذا الثانية ما يدل عليه اذا هم يستبشرون لان ما بعد اذا الفجائية
لا يعمل فيما قبلها وهذا باعث الزمخشري في ان قال عاملهما معنى المفاجأة
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة يعني لما تحيرت
في عنادهم آيسا من انقيادهم فالجأ الى الله القادر العالم انت تحكم
وحدك بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين ولو ان للذين ظلموا
انفسهم بالشرك ما في الارض اسم ان جميعا ومثله معه اي لو ملكوا جميع ما في
الدنيا وضعفه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة لكن لم يقبل منه وكان

تمكن ان يزيل عنه العذاب بالكلية واحدة في الدنيا ولم يرضها لنفسه
وبدا ظهر لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ما لم يخطر ببالهم الوبال وبدا لهم
سيئات ما كسبوا السيئات انواع العذاب سميت سيئات
نحو جزاء سيئة سيئة كانه قال سيئات سيئاتهم وما يحتمل موصولة
ومصدرية وحاق احاط بهم ما كانوا اي جزاء ما كانوا به يستهزؤن فاذا
مس الانسان اي جنسه باعتبار الغالب ضر مصيبة دعانا جواب اذا
وعطف فاذا بالفاء على قوله واذا ذكر الله وحده ليدل على التسبب والدلالة
على تعكيس الكافر الامر وجعله ما هو ابعد الاشياء من الالتجاء وسيلة له كانه
قال هم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الهتهم فاذا مس
احدهم مصيبة دعا من اشمأز من ذكره وترك من استبشر به وما بين المعطوفين
اعني قوله قل اللهم الى قوله يستهزؤن اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم
ثم اذا خولناه اعطيناه نعمة منا تفضلا قال انما اوتيته ما كافة مهيئة
لدخول ان على الجملة الفعلية وتذكير الضمير لان المراد من النعمة المال وقيل ما
موصولة والضمير عائد اليها على علم مني باني مستحق للعطاء او من الله باستحقاقي
فهو حال من احد معمولي اوتيته وان جعلت ما موصولة فهو خبر ان او معناه
اوتيته على فضل وعلم عندي كما تقول انعمت عليك لعلمك وعلى كمالك
بل هي فتنة اختبار ايشكر ام يكفر انث الضمير بعدما ذكره لتانيث خبره
ولكن اكثرهم لا يعلمون انها امتحان وفتنة قد قالها اي هذه المقالة وهي انما
اوتيته على علم الذين من قبلهم جهلة الامم السالفة كما قالها قارون فما
اغنى عنهم عن سخط الله عليهم ما كانوا يكسبون من اموالهم او من اعمالهم
فاصابهم سيئات اي وبال ما كسبوا او جزاء سيئاته والذين ظلموا من هؤلاء
الجهلة كمشركي قريش ومن للبيان سيصيبهم كما اصيبوا سيئات ما كسبوا
وما هم بمعجزين بفائتين كما لم يكونوا معجزين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر ويضيق على من يشاء ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
بان الكل من الله ولما شدد على الكفار ردفه بما اعد لهم من العذاب وانهم
لو كان لاحدهم ملء الارض ومثله معه لافتدوا به بين من اجابه الكمال
والغاية انهم ان رجعوا وتابوا رجع اليهم بالعناية والقبول لئلا يقنطوا من رحمته

قوله من اجابه حال من الكمال مقدم عليه منه

فقال

فقال قل يا عبادي اضافهم الى نفسه الاقدس تشريفا واستبشارا الذين
اسرفوا على انفسهم بالمعاصي وضررها عائد عليهم اي معصية كانت لا تقنطوا
لا تيأسوا من رحمة الله اضاف الرحمة الى الله ولم يقل من رحمتي فانه اعظم اسم
محتو على معاني جميع صفات الكمال ان الله يغفر الذنوب جميعا ليس
ذنب لا يمكن ان يتعلق به مغفرته لكن قدر الله وقرر انه لا يغفر الشرك من غير توبة
ويغفر ما دونه مع التوبة الشرعية تبا وبدونها ان اراد ولا يبعد ان يقال المراد
من المغفرة الخلاص من شؤم الذنوب ولو كان مآلا لا بخلاف الكفر في شرح
السنة بعث صلى الله عليه وسلم الى قاتل حمزة يدعوه الى الاسلام فقال
كيف وانت تزعم ان من اشرك وقتل نفسا وزنى يلق اثاما يضاعف له
العذاب وانا مرتكب الكل فانزل الله الا من تاب وآمن وعمل صالحا فقال
الوحشي هذا شرط شديد فهل غير ذلك فانزل الله ان الله لا يغفر ان يشرك
به الاية فقال اوبعد اني في شبهة فلا ادري يغفر لي ام لا فانزل الله يا عبادي
الاية فقال المسلمون هذه له خاصة فقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين عامة
وفي الصحيحين عن ابن عباس انها نزلت في جمع من المشركين قالوا انما تدعونا
اليه يا محمد لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة والمنقول عن بعض السلف في سبب
نزولها غير ما ذكرنا انه هو الغفور الرحيم ولما كانت في الاية فسحة عظيمة
ولهذا قيل هي ارجى اية في القرآن اذ اعاد الاسم الاعظم واكد الجملة بان ثم وصف
نفسه بما سبق في الجملتين بصيغتي المبالغة واكد بما هو مقتض للحصر اتبعها
بان الانابة مطلوبة مأمور بها وتوعد من لم يتب حتى لا يبقى المرء كالمهمل من
الطاعة والمتكل على الغفران من دون انابة فقال وانيبوا ارجعوا الى ربكم
فان التوبة جاعلة للمعاصي كالعدم موثوق معها بالنجاة المطلقة واسلموا له
اطيعوا من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون الاية في شان الكفار واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم اعني القرآن فانه احسن جميع كتب سماوية
وقيل الاحسن العزائم فانها انجى من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة نصبها
على المصدر فانها نوع من الاتيان او على الحال وانتم لا تشعرون بمجيئه
فلا تشتغلون بالتدارك ويكون اشد قيل متعلقه عام يعني لفرط غفلتهم
كانه لا شعور لهم ان تقول اي انذركم وارشدكم باتباع الاحسن كراهة ان تقول

نفس بعض النفوس وهي النفس الكافرة او عام لانها في معنى سياق
النفي كانه قال لئلا تقول نفس يا حسرتا الالف منقلبة عن ياء المتكلم
يعني يا حسرتي اقبلي فهذا اوانك على ما فرطت على تفريطي وتقصيري
والظاهر ان ما مصدرية في جنب الله جانبه يعني في حقه وان كنت
لمن الساخرين واني كنت لمن المستهزئين بدين الله الواو للحال وان
هي المخففة او تقول لو ان الله هداني الى الحق وارشدني لكنت من
المتقين من المعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون
من المحسنين لو للتمني تمنى ان يكون له رجعة الى الدنيا فيكون من الذين احسنوا
دينهم واعمالهم ونصب اكون على جواب التمني واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه
الاقوال ولا يبعد ان يقال ان تقول بدل اشتمال من ان يأتيكم العذاب
اي من قبل ان تقول نفس الى آخره وقد رايت ذلك منقولا عن بعض ائمة
النحاة بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين
قوله لو ان الله هداني وجوابه متضمن نفي الهداية كانه قال ما هداني الله فقيل له
بلى قد جاءتك ولم يجعل قوله بلى متوسطا بين القرائن في جنب لو ان الله
هداني لكنت من المتقين لئلا يتبتر النظم بين القرائن الثلث ولم يجعل قوله
لو ان الله هداني متاخرا حتى يكون الرد متصلا به لئلا يلزم ان يكون شيء مؤخر
في نفس الامر مقدما في الكلام فانه صدر عنهم اولا يا حسرتا ثم لو ان الله هداني
ثانيا ثم لو ان لي كرة اخر الامر ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله اثبتوا
له الشريك والولد وجوههم مسودة جملة حالية وترى من رؤية البصر الجملة
الاسمية المشتملة على ضمير ذي الحال ليس بشاذ على الاصح اليس في جهنم مثوى
مقام للمتكبرين عن طاعة الله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم بسبب فلاحهم
وسعادتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون عند الفزع الاكبر جملة مستانفة
او المراد ملتبسين بفلاحهم وجملة لا يمسهم على هذا مبينة للفلاح الله خالق كل
شيء اراد كل ما هو موجود في زمان فالله خالقه وهو على كل شيء وكيل فهو المتصرف
فيه له مقاليد اي مفاتيح واصل الكلمة فارسية السموات والارض يعني ان
جميع الامور بيده والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون قيل والذين
كفروا عطف على وينجي لانه في معنى ويخسر من كفر بايات الله وقيل جملة كل ما

في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين جحدوا ان يكون
الامر كذلك هم الخاسرون قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون غير
منصوب باعبد وتامروني جملة اعتراضية بين الفعل ومعموله كانه قيل
اعبد غير الله تامروني بذلك نزلت حين قالوا استلم بعض الهتنا نعبد
الهك ولقد اوحي اليك قائم مقام الفاعل لا قوله لئن اشركت
لان عند البصريين لا يكون الجمل قائمة مقام الفاعل كما لا تكون فاعلا والى
الذين من قبلك لئن اشركت افراد الخطاب باعتبار كل واحد يعني اوحي
اليك والى كل واحد من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك حسنتك
ولتكونن من الخاسرين يعني كيف اعبد غيره واشرك الله احدا في عبادته
والحال انه والله لقد اوحي قيل هذا الحكم مختص بالانبياء فان شركهم على سبيل
الفرض محبط وان رجعوا الى التوحيد بل الله فاعبد عند سيبويه الفاء
عطف على محذوف اي تنبه فاعبد الله وتقديم المفعول للاختصاص
وعند الزمخشري الفاء للجزاء كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت
عاقلا فاعبد الله وكن من الشاكرين لانعام الله عليك وما قدروا الله
ما عظموه حق قدره تعظيمه حيث جعلوا له شريكا وما عرفوه حق معرفته والارض
الواو للحال جميعا قبضته يوم القيمة مصدر بمعنى المقبوضة وجميعا حال من
المستتر في قبضته فلا يلزم وقوع الحال من المبتدا ولا تقديم معمول المصدر
فان القبضة بمعنى المقبوضة ولهذا قلنا فيها ضمير والا فالمصدر لا ضمير فيها
وهو تاكيد لشمول الافراد اي الارضون السبع او لشمول الاجزاء ونحن على
طريق السلف لا نؤول اليد والقبضة والاصبع ونؤمن بها ونكل علمها
الى الله وهي اقرب الى السلامة وابعد من الملامة والسموات مطويات
بيمينه من الطي الذي هو ضد النشر وبيمينه متعلق بمطويات وفي صحيح مسلم
يقبض الله الارض يوم القيمة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين
ملوك الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد واعلى من هذه قدرته
عما ينسب اليه من الشركاء او عن اشراكهم فما موصولة او مصدرية ونفخ في
الصور في الاحاديث المعتمدة انه في قرب القيمة تخفق ريح باردة من
قبل الشام فيموت من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويبقى شرار الناس

يعبدون الاوثان فى رغد من العيش ثم نفخ فى الصور فصعق من فى
السموات ومن فى الارض فمن سمى تلك الريح نفخة فنفخة الصعق نفخة ثانية
والا فهى النفخة الاولى الا من شاء الله فيه خلاف وورد فى حديث انهم
الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش وقد مر فى سورة النمل ثم نفخ فيه
فى الصور اخرى مرفوع بفاعل نفخ كقولك جاءنى اخرى او منصوب بالمصدر
اى نفخة اخرى ونفخ مسند الى فيه فاذا هم قيام قائمون من مهلكهم ينظرون
الى جوانبهم كما كانوا او نظر المبهوت اذا فاجاه خطب او ينتظرون امر الله
واشرقت الارض اضاءت ارض القيمة بنور ربها وذلك حين تجليه
سبحانه للخلق لفصل القضاء قيل المراد اضاءت بما يقام فيها من العدل
كقولك اضاءت الدنيا بقسطاك ووضع الكتاب كتاب الاعمال للجزاء
وجئ بالنبيين يشهدون على الامم انهم بلغوهم رسالة الله والشهداء من
الملائكة الحفظة على اعمال العباد او الذين يشهدون للرسل بالتبليغ وهم امة
محمد صلى الله عليه وسلم وقضى بينهم بالحق بالعدل والكل من الطرفين صلاحية
ان يقوم مقام الفاعل وهم لا يظلمون فلا يزاد فى سيئاتهم ولا ينقص من
حسناتهم ووفيت كل نفس ما عملت اى جزاءه وهو اى الله اعلم بما يفعلون
فلا يفوته شئ مما عملوا وسيق الذين كفروا الى جهنم كما يساق الاسارى الى
قتل او حبس فان السوق يقتضى الحث على السير بعنف زمرا افواجا بعضها
على اثر بعض حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها فتحت جواب اذا ودل ذلك
على انها لا تفتح الا اذا جاءت كسائر ابواب السجون فانها لا تزال مغلقة
حتى تاتى اصحاب الجرائم فتفتح ثم تغلق عليهم وقال لهم خزنتها توبيخا وتقريعا
الم ياتكم رسل منكم من جنسكم فانهم كانوا ينكرون ان تكون الرسل من جنسهم
يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اى وقتكم هذا وهو وقت
دخولهم النار ولا يبعد ان يراد يوم القيمة فانهم ينكرونه قالوا بلى جاءتنا
ولكن حقت كلمة العذاب مثل لاملئن جهنم من الجنة والناس اجمعين
او حكم الله بشقاوتهم على الكافرين وضع الظاهر موضع المضمر للتاسف
قيل ادخلوا ابواب جهنم كل زمرة من باب خالدين حال مقدرة فيها
فبئس مثوى المتكبرين على الله جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم اى عن الكفر به

لانه فى مقابلة وسيق الذين كفروا عبر عن الاسراع بهم مكرمين الى مأوى هو
منتهى بغيتهم بالسوق والمراد سوق مراكبهم كما ورد فى الاحاديث الصحيحة الى الجنة
زمرا فوجا بعد فوج على تفاوت رتبهم فى الشرف حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها الثمانية ناسب ان يكون الواو للحال فان ابواب الافراح مفتحة لانتظار
من يجئ تكرمة لهم وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم طاب لكم المقام فادخلوها
خالدين وجواب اذا قد حذف للاشعار بانه شئ لا يحيط به وصف واصف
قال الكوفيون جواب اذا وفتحت بزيادة الواو وقالوا الحمد لله الذى صدقنا
وعده شكر الهذه النعمة الجليلة واورثنا الارض ارض الجنة نتصرف فيها تصرف
الوارث لميراثه فان ملكيته اتم وقيل ورثوها من اهل النار نتبوء من الجنة حيث
نشاء وهذا اسرورهم واظهار عظمتهم وانهم فى فسحة وسلطان كما قال تعالى
فى شان يوسف وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوء منها حيث يشاء
فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملئكة حافين محيطين وحافين حال لان
ترى من رؤية البصر من حول العرش من للابتداء قيل متعلق بترى يسبحون
جملة حالية بحمد ربهم ملتبسين بالحمد وقضى بينهم بين الخلائق بالحق بالعدل
وقيل الحمد لله رب العالمين قيل قائل الحمد المؤمن والكافر ومن هذا لم يسند
الى قائل وحمد الكافر لمعاينته عدله كما ترى ظالما استوفى عادل منه حق جنايته
باخذه فى مدح العادل ومن هذه الاية جعلت الحمد لله رب العالمين خاتمة المجالس المجمعات فى العلم

سورة المؤمن مكية وآيها خمس وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم حم فى الحديث الحواميم ديباج القران وفيه من اراد ان
يرتع فى رياض من الجنة فليقرأ الحواميم قيل حم من اسماء الله تنزيل الكتاب
من الله مبتدأ او خبر العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب عطف هذه
الصفة من بين الصفات دال على زيادة ارتباط وجمعية فيحمل على كونهما بالنسبة
الى متعلق واحد هو التائب فانه يغفر ذنبه ويقبل توبته او الواو دال على
نوع مغايرة وليست فى الموصوف فيعتبر فى التعلق يعنى غافر الذنب لمن
يشاء وقابل التوب لمن تاب وينبه عليه تقديم المغفرة فانها فى التائب
يكون بعد قبول التوبة فليس له دلالة ولا اشعار بالاعتزال شديد العقاب
هذه الاضافة لفظية البتة لانها من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وقد

فلو كان المغفرة مخصوصة بالتائب
تاخير المغفرة منه

وقد نص سيبويه انه لا يتعرف ابدا بخلاف غافر الذنب وقابل التوب
فانه يمكن ان يراد بهما الاستمرار والثبوت لا التجدد فالاضافة محضة فيكون
معرفة فالاولى ان تكون الصفات كلها ابدالا ليندفع خلل تخلل بدل بين
النعوت فيلزم ان بعضا من الاوصاف مقصود وبعضه غير مقصود
والمتبوع مقصود غير مقصود وفي اتيان بدل واحد نكرة فائدة هي ابهام
عقابه ليدل على فرط شدته ليفيد زيادة الانذار وقيل هو ايضا نعت
والاصل الشديد العقاب فحذف اللام للازدواج قال الخليل في قولهم ما
يحسن بالرجل مثلك ان يفعل كذا انه على نية الالف واللام مع انه لا يجوز
دخول اللام عليه بخلاف ما نحن فيه وقد حكي عن الكوفيين انهم اجازوا في حسن
الوجه وما اشبهه ان يكون صفة لمعرفة قاله في البحر ذي الطول السعة والغناء
او النعم والفواضل لا اله الا هو اليه المصير فيجازي كلا بما يستحقه ما يجادل
في ايات الله بالباطل بالطعن فيها واطفاء نورها الا الذين كفروا فلا يغررك
بفك الادغام لغة حجاز تقلبهم في البلاد مجيئهم وذهابهم للتجارة وسلامتهم
وربحهم فان ذلك لا تدل على سعادتهم بل عاقبتهم كعاقبة الامم الكاذبة ثم بين
حالهم فقال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب الذين تحزبوا على رسلهم
بتكذيبهم من بعدهم كعاد وثمود وهمت قصدت كل امة من هؤلاء برسولهم
ليأخذوه ليأسروه فيعذبوه او يقتلوه يقال فلان اخيذ اي اسير وجادلوا
بالباطل ليدحضوا ليزيلوا به بالباطل الحق فاخذتهم عملت معهم ما ارادوا ان
يعملوا برسلهم فكيف كان عقاب اي عقابي وهذا الاستفهام حمل على
الاقرار وفيه تعجيب للسامعين وكيف في موضع خبر كان وعقاب اسمه
وكذلك كما وجب اهلاك من سبق حقت كلمة ربك وجبت كلمة العذاب
على الذين كفروا من قومك انهم اصحاب النار لانهم قدر في علم الله انهم من
اصحاب النار قيل انهم بدل من كلمة وعلى هذا معناه كما وجب عذابهم
في الدنيا وجب عذابهم في الاخرة بالنار فالمراد من الذين كفروا الامم السالفة
ولا معنى للتعليل في هذا الوجه لانه من باب تعليل الشيء بنفسه ولما ذكر حال
الكفار في ايات الله وعصبيتهم ذكر طاعة هؤلاء المصطفين من خلقه
فقال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون ملتبسين بحمد ربهم ويؤمنون به

صفة

صفة مادحة للايمان وفيه ترغيب كاثبات الصدق والصلاح للانبياء
ويستغفرون للذين آمنوا للمناسبة التي بينهم ربنا اي يقولون ربنا وجملة
يقولون اما حال او مرفوع المحل بيان ليستغفرون وسعت كل شيء رحمة وعلما
اصله وسعت رحمتك كل شيء فنصب الفاعل على التمييز واسند الفعل الى
صاحب الرحمة للمبالغة كان ذاته رحمة واسعة كل شيء فاغفر للذين تابوا
اي لمن علمت منه التوبة ففيه اشارة الى وجه ترتب هذا على وصفه بسعة
العلم واتبعوا سبيلك التي هديتهم بلسان رسلك وقهم عذاب الجحيم
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم اياها ووعده بدخول الجنة لا محالة
من شرط فدعاؤهم لحصول هذا الشرط حقيقة ومن صلح من ابائهم عطف
على مفعول ادخل وازواجهم وذرياتهم اي ساو بينهم في المنزلة ليتم سرورهم
وهذا معنى قوله والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم الاية
انك انت العزيز الغالب على كل شيء الحكيم في جميع افعاله وقهم السيئات
العقوبات او وبالها وهو تعميم بعد تخصيص ومن تق اي تقيه السيئات
بعد ان قال وقهم عذاب الجحيم
يومئذ اي يوم اذ يؤاخذ بالسيئات فقد رحمته قيل اراد بالسيئات
في الموضعين المعاصي فمعناه ومن تقه في الدنيا عن المعاصي فقد رحمته في
القيمة وعلى هذا المراد من يومئذ يوم اذ يمكن ان تحصل منهم السيئات وذلك
الرحمة والوقاية هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون يقال لهم في القيمة
لمقت الله بغضه اياكم اللام للابتداء او للقسم اكبر من مقتكم انفسكم
اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اي بغضه تعالى لمن كفر حين عرض عليهم
الايمان في الدنيا فاعرضوا اكبر مما مقتوا انفسهم حين عاينوا العذاب
في القيمة فانهم ابغضوا انفسهم غاية البغض عند معاينة العذاب بسبب ما
اكتسبوا من موجبات الخلود فيه وقوله اذ ظرف لمقت مقدر تقديره
اعني مقته اذ ولا يجوز ان يكون ظرفا لمقت الله لانه مصدر ومعموله من صلته
كما قاله الزمخشري وشنع عليه صاحب البحر
ولا يجوز ان يخبر عنه الا بعد استيفاء صلته وقيل ظرف لاكبر على طريق العلية
والسببية لا على وجه الظرفية يعني بغضه تعالى اياكم اكبر من بغض بعضكم
بعضا لانكم كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين اي اماتتين واحياءتين فانهم في ارحام امهاتهم نطف

لا حيوة لها فهو اماتة فاحيوا في الدنيا ثم اميتوا ثم احيوا للبعث صرح بذلك
علماء السلف وهذا اقرارهم ببعث انكروه وعلى هذا فيه جمع بين الحقيقة
والمجاز وقد جوز في المثنى والمجموع كالامهات والجدات قال الله تعالى كنتم
امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وهذا كقولك سبحان من صغر جسم البعوضة
وكبر جسم الفيل اذ الاثنان على تلك الهيئة والسبب في صحته ان الصغر
والكبر جائزان على مصنوع واحد من غير ترجح فاذا اختار الصانع احدهما
وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع من الجائز الاخر فجعل صرفه عنه
كنقله منه فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من النار من سبيل فنسلكه يعني
عرفنا قدرتك على الاماتة والاحياء وزال عنا الانكار للبعث فاعترفنا
بذنوبنا التي لقتنا من انكار البعث وغيره فهل الى خروج سريع او بطيء من
النار من سبيل فاجيبوا بقوله ذلكم اي ما انتم فيه من العذاب بانه الضمير
للشان اذا دعي الله وحده اي منفردا بالذكر فوحده حال بالتاويل كفرتم
وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فان ذكرت اللات والعزى وامثالهما
صدقتم بالوهيتها وسكنت نفوسكم اليها او بالله فان ذكرت الاصنام مع
الله سبحانه آمنوا بالله فانهم يقولون هولاء شفعاؤنا عند الله فالحكم لله
حيث حكم بالعذاب السرمد عليكم العلي الكبير من ان يشرك به هو الذي يريكم
اياته الدالة على توحيده وكمال قدرته وينزل لكم من السماء رزقا اي اسباب
رزق وهو المطر والمراد انه قضي ودبر في السماء رزقكم نحو انزل لكم من الانعام
وما يتذكر بالايات الا من ينيب يرجع الى الله فان المعاند لا يتامل فيما ينافي
مقصوده فادعوا الله الامر للمؤمنين المنيبين مخلصين له الدين اخلصوا له
العبادة ولو كره الكافرون اخلاصكم رفيع الدرجات اي رافع درجات
المؤمنين ومنازلهم في الجنة فعيل للمبالغة والدرجات مفعوله او فعيل
من باب الصفة المشبهة والمراد علو سلطانه ورفعه بانه خبر ثان لهو في آية
الذي يريكم او تقديره هو رفيع الدرجات ذو العرش مالك اصل العالم
الجسماني ومدبره يلقي الروح اي الوحي او جبرئيل وهو خبر رابع على التوجيه
الاول في اعراب رفيع الدرجات من امره من قضائه حال من الروح
فان الروح من امر ربي فمن ابتدائية وجاز تعلقه بيلقي على من يشاء من عباده

فيجعله

فيجعله نبيا لينذر الضمير لمن او لله يوم التلاق في القيامة يلتقي اهل السماء
والارض والظالم والمظلوم والعابد وما عملوا من خير وشر يوم هم بارزون
ظاهرون لا يسترهم شيء بدل من يوم التلاق الذي هو مفعول به على السعة
او التقدير عذاب يوم التلاق فيوم ظرف والمقدر مفعول ويوم مضاف
الى جملة هم بارزون قيل يوم هم معمول لا يخفى ويوم اذا اضيف الى جملة
اسمية فعند البصريين انه معرب وعند الكوفيين جواز الاعراب والبناء
لا يخفى على الله منهم شيء من اعمالهم واحوالهم لمن الملك اليوم حكاية لما يسال
عنه في ذلك اليوم حين لا يبقى الا الله عنه الواحد القهار حكاية لما يجاب به
لا احد يجيبه فيجيب نفسه بعد اربعين سنة يكون الصوت بالسؤال بين العرش
والكرسي وهذا مصرح في الاحاديث المعتمدة اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
من الاحسان والاساءة لا ظلم اليوم فانه سبحانه عادل حرم الظلم على نفسه
بفضله ان الله سريع الحساب لا يشغله حساب احد عن حساب اخر
وانذرهم يوم الازفة الازفة القريبة وهو يوم القيمة اذ القلوب لدى
الحناجر زالت القلوب من الخوف عن مقارها فلا تعود ولا تخرج حتى يموتوا
ويستريحوا وقد مر في سورة الاحزاب كاظمين ممتلين كربا او ساكتين وتعريف
القلوب والحناجر للعوض اي قلوبهم لدى حناجرهم وكاظمين حال من
ضمير في لدى راجع الى القلوب او من مفعول انذر ما للظالمين الكافرين
من حميم محب مشفق ولا شفيع يطاع فيشفع والمقصود نفي المعين لهم ولذلك
قال حميم وشفيع يطاع فان محبا غير مشفق وشفيعا غير مطاع وجوده وعدمه
سواء يعلم خائنة الاعين مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافات
كلحظ مراة وغمزها اذا غفل الناس وما تخفي الصدور اي ما تخفيه والتعبير بالخائنة
من الاعين لا يناسب وما تخفي الصدور ومناسبها الصدور الخائنة وجملة
يعلم مستانفة كالتعليل لقوله وانذرهم والله يقضي بالحق لا يظلم مثقال
ذرة والذين يدعون من دونه اي الاصنام لا يقضون بشيء فانهم جمادات
ففيه تهكم لان ما لا قدرة له لا يقال له يقضي ولا يقضي ان الله هو السميع البصير
تقرير لاحاطة علمه ووعيد للمشركين اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم فانه يظهر من منازلهم سوء حالهم ومآلهم

وعنه الله تاويله

فان الظلم وضع الشيء في غير موضعه
كما ذكره في رسالة مدللة

كانوا هم اشد منهم قوة فلا يغرن هؤلاء قوتهم وهم ضمير الفصل او توكيد
لضمير كانوا وآثارا في الارض مثل الحصون والانهار الجارية فاخذهم الله
بذنوبهم ولم تنفعهم قوتهم وما كان لهم من الله من واق يقيهم من عذابه
ومن في اسم كان زائدة للتعميم ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات فكفروا ولم يعتبروا البينات فاخذهم الله بعذابهم انه قوي
لا يحوم حول جلاله عجز شديد العقاب ولما حثهم على السير والنظر في عاقبة
من كفر ولم يرفع راسه الى المعجزات الظاهرات جاء بحكاية موسى مع فرعون
فقال ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين حجة ظاهرة الى فرعون
وهامان وزير فرعون وكان في نهاية الكبر والحشمة وقارون اغنى الناس
في زمانه فقالوا موسى ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق الدليل على نبوته
من عندنا قالوا اي فرعون وهامان وقارون بالمشاورة اقتلوا امروا
جنودهم ابناء الذين امنوا معه بيده او في محضره واستحيوا نساءهم للخدمة
وهذا الامر باعادة ما كانوا يفعلون بهم فانه قد امسك عن قتل ابنائهم ولما
بعث موسى اعاد القتل غيظا وحنقا وتشفيا عما في صدره من الهم والحزن
وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع وزوال وقال فرعون ذروني
اقتل موسى كان فيهم من يمنعه نهى عن قتله خوفا من العذاب وجزم اقتل
لجواب الامر وليدع موسى ربه الذي يزعم انه ارسله فيقيه منا وظاهر
كلامه ان هذا الكلام منه تمويه وتورية وتجلد وفي باطنه الخوف من دعائه
فانه كان سفاكا لايثار واحدا اني اخاف ان يبدل دينكم الذي انتم عليه
ان لم اقتله صرح بالخوف مع انه يدعي انه ربهم الاعلى وهو في نفس الامر خائف
على نفسه وعظمته فان تبدل دينهم ان يوحدوا الله فلا يبقى له حشمة او ان
يظهر في الارض الفساد من الفتن والتهارج والمخالفة اراد يخرب دينكم او
دنياكم وقال موسى اني عذت بربي وربكم وهو الله سبحانه خالق كل شيء
من كل متكبر يشمل فرعون وغيره لا يؤمن بيوم الحساب فان من امن بيوم
الحساب لا يجترى على الظلم وعلمهم التوكل وقال ربي وربكم ولم يسم فرعون
بل جاء بالشمول وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل من اقاربه يكتم ايمانه
عن الخلق خوفا من فرعون اتقتلون رجلا كانه لم يعرفه فلا يحمل على التعصب

ان يقول لان يقول ربي الله وحده وقد جاءكم بالبينات المعجزات
الظاهرات على صدقه من ربكم هذا اظهار لبيانه وارشاد بحيث ما بقي فيه
ابهام ثم اخذ في الاحتجاج فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه وبال كذبه لا
يتخطاه وان يك صادقا يصبكم اي لا اقل من ان يصيبكم بعض الذي يعدكم
وقد كفاكم في الشر وفيه اظهار الانصاف وكمال الشفقة فانه بنى الكلام
في النصح على التنزل فقدم قوله وان يك كاذبا ثم قال يصبكم بعض الذي
ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب كلام ذو وجهين الاول لو كان مسرفا
لما هداه الله الى البينات الثاني لو كان كاذبا فهو غير مهتد فخلوا سبيله ولا
تعظموا امره اراد المعنى الاول وخيل اليهم المعنى الثاني وكان فيه تعريضا لفرعون
بالاسراف والكذب يا قوم لكم الملك اليوم هذا من تتمة نصحه فانهم في غرة
وفسحة ظاهرين في الارض غالبين في مصر حال من ضمير لكم وعامله عامل لكم
فمن ينصرنا من باس الله عذابه ان جاءنا فلا تتعرضوا لباسه بقتله قال
فرعون حين منع من قتله ما اريكم من الراي اي لا اشير عليكم الا ما ارى من المصلحة
ارادة قتله وما اهديكم بهذا الراي الا سبيل الرشاد طريق صلاحكم وهذه الكلمات
من فرعون الذي يدعي الالوهية مع تجبره وسفكه الدماء من غير تامل صريح
في انه خائف وهو عالم بان ما جاء به موسى حق لكن يتجلد دفعا للخجالة وقال
الذي آمن من قوم فرعون يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب
يوم وقايع الامم الماضية مثل داب عطف بيان لمثل قوم نوح وعاد وثمود
والذين من بعدهم اي مثل جزاء عادتهم من تكذيب الرسل والاصرار على الكفر
ولا بد من تقدير مضاف في يوم الاحزاب اي حادث يوم وفي مثل داب
اي جزاء داب وترك جمع اليوم لعدم الالتباس لظهور ان الاحزاب ما هلكوا
في يوم واحد وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغضبه من غير استحقاق
ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد سميت القيمة بذلك لكثرة النداء فيه
بالسعادة والشقاوة ونداء بعضهم بعضا وقد مر في سورة الاعراف خوفهم
اولا عن عذاب الدنيا ثم عن عذاب الآخرة يوم تولون عن الموقف مدبرين
قيل معناه منصرفين عن الموقف الى النار منه
فارين عن النار ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من العذاب ومن مزيدة للعموم
ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى الرشاد ولقد جاءكم يوسف من قبل وهذا

ايضا من كلامه والصحيح ان يوسف هو يوسف بن يعقوب بعثه الله قبل موسى
رسولا يدعو القبط الى الله وما اطاعوه في ذلك وما تركوا دينهم مع ان يوسف
عندهم ذو عزة بالبينات المعجزات الظاهرات فما زلتم في شك
مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا
جزمتم مع الشك في رسالة يوسف بان لا رسول يبعث بعده كذلك
مثل ذلك الاضلال يضل الله من هو مسرف في المعاصي مرتاب في الدين
المبين بالحجج الذين يجادلون في آيات الله لا بطالها بغير سلطان اتاهم
بغير حجة بل بمجرد تشهيهم كبر اي جدالهم مقتا بغضا تمييز عند الله وعند الذين
آمنوا والاولى في اعرابه ان الذين مبتدأ وكبر خبره وفيه ضمير الى مصدر يجادلوا
نحو من كذب كان شرا له وهذا اعراب لا غبار عليه كذلك مثل ذلك
الطبع يطبع الله على كل قلب متكبر جبار يختم عليه فلا يفقه الرشاد وتلك الصفات
في فرعون واكثر قومه وقد عدل عن مخاطبتهم لحسن محاورته لهم وفي كبر مقتا ضرب
من التعجب وقال فرعون معرضا عن مجادلة موسى لعجزه عنها يا هامان ابن لي
صرحا قصرا ظاهرا عاليا لا يخفى على الناظر وان بعد لعلي ابلغ الاسباب الطرق
او الابواب اسباب السموات ابهم ثم اوضح تعظيما وتشويقا الى معرفته
فاطلع وقراءة النصب لجواب الترجي تشبيها بالتمني من جهة انشاء
التوقع وان اختص الترجي باشتراط حصول الامكان الى اله موسى والاظهر انه
متجاهل يلبس على قومه الجهال فان الوصول الى السماء بالبناء ظاهر محاليته
واني لاظنه كاذبا في ان له الها في السماء وقد سمع من موسى ان الله في السماء
كما هو وارد في صحاح الاحاديث وحسانها وكذلك مثل ذلك التزيين
زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل عن طريق الرشاد وهو لانه كان
معاندا فحاله اسوء وهو اضل وقراءة صد معلومة صد فرعون الناس
عن الحق بان يوهمهم انه عامل شيئا يتوصل به الى العلم بكذب موسى
وما كيد فرعون الا في تباب خسار لا ينفعه بوجه وقال الذي آمن يا قوم
اتبعون اهدكم سبيل الرشاد ادلكم عليه يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا
متاع اي ما هذه الا تمتع قليل تذهب سريعا وان الآخرة هي دار القرار
لا تزول ابدا من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا يعني العمل

قيل هو يوسف بن ابرهيم بن يوسف
ابن يعقوب وفرعونه غير فرعون موسى
منه

انظر الى الكشاف وغيره حتى تعرف وتنصف
منه

الصالح

الصالح حرفته من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها
بغير حساب لا كالسيئة فانها بموازنة العمل وما ذلك الا من سعة فضله
ويا قوم عطف على يا قوم اتبعون لا على يا قوم انما هذه لانه كالبيان للاول
ولهذا اتراه بغير عطف بخلاف الثالث مالي ادعوكم الى النجوة ما هو سبب لها
وتدعونني الى النار ما هو سبب لها تدعونني لاكفر بالله بيان لتدعونني والدعاء
يتعدى بالى واللام كالهداية واشرك به ما ليس لي به علم شيئا ليس لي بربوبيته
حجة وبرهان يعني ما ليس باله وانا ادعوكم الى العزيز الغفار بيان لادعوكم
لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وما بعده فاعله اي حق
وثبت ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي ان الذي
تدعونني اليه باطل ليس له ثبوت في زمان او بمعنى كسب وفاعله ضمير الى ما
قبله وما بعده مفعوله اي كسب ذلك الدعاء بطلان دعوة ما تدعونني
اليه يعني ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته او جرم اسم بمعنى القطع ولا
لنفي الجنس وما بعده خبره اي لا قطع ولا انقطاع لبطلان دعوة الاصنام
يعني لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا ومعنى ليس له دعوة ان ليس له
دعوة الى نفسه ومن شان المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته او معناه
ليس له استجابة دعوة فيكون من تسمية اثر الشيء وثمرته باسم ذلك الشيء
وان مردنا مرجعنا الى الله وان المسرفين في المعاصي هم اصحاب النار
ملازموها فستذكرون ما اقول لكم من النصح وتتحسرون على عدم قبوله وافوض
امري الى الله ليعصمني من السوء ان الله بصير بالعباد وذلك حين وعدوه
بالعذاب لمخالفته دينهم فوقاه الله سيئات ما مكروا فما وصل اليه آثار مكرهم
ونجا مع موسى قال مقاتل قصدوا قتله ففر الى جبل فبعث فرعون الى اخذه
الف رجل فهلك بعضهم بالعطش وبعضهم اكلهم السباع وبعضهم لما
رجعوا اتهمهم فامر فرعون بقتلهم وصلبهم فهلك الالف عن آخرهم ونجا وحاق
بآل فرعون اي بفرعون وقومه سوء العذاب الغرق في الدنيا ثم النقلة الى
النار النار يعرضون عليها مبتدأ وخبر غدوا وعشيا قيل النار بدل من سوء
العذاب ويعرضون حال ويوم تقوم الساعة قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون
اشد العذاب بتقدير القول ناصبا اليوم ليكون عطف خبر على خبر والجر

ادخلوا مستقيم من جهة المعنى وفي الصحيحين اذا مات احدكم يعرض عليه
مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من
اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله الى يوم القيمة
قيل المراد من العرض الاحراق بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف
اذا قتلهم وفيما بين الغدو والعشي الله اعلم بحالهم اما التنفيس او التعذيب
بغير النار وجاز ان يراد من الغداة والعشي الدوام وفي القيمة قيل لهم
ادخلوا اشد عذاب جهنم واذ يتحاجون اي واذكر وقت تخاصمهم في
النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا في الدنيا جمع تابع
كخدم فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار نصب نصيبا بانه مفعول اسم
الفاعل بتضمين معنى دافعون او بانه مصدر كشيئا في لن تغني عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا اي من الاغناء وعلى هذا من صلة مغنون قال الذين
استكبروا انا كل فيها نحن وانتم وكفانا ما علينا وقراءة كلا نصبه بانه بدل
من اسم ان قال صاحب البحر لا ادري خلافا في جواز مثل هذا البدل الذي يفيد
الشمول والاحاطة والبصريون لا يجوزون بدل كل من ضمير المتكلم والمخاطب
في غير هذا الموقع لكن الاخفش منهم والكوفيين يجوزون مطلقا ان الله قد حكم
بين العباد فاعطى كلا ما يستحقه وقال الذين في النار لخزنة جهنم لم يقل لخزنتها
لان عذاب جهنم غير منحصر في النار ولما في لفظ جهنم من التهويل ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما من العذاب اي ما في قدر يوم ومن بيانية او بعضا من العذاب
في يوم من الايام فيوما على الاول مفعول بالمجاز وعلى الثاني ظرف ومن العذاب
مفعول قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى جاؤا بها قالوا فادعوا
انتم ربنا فنحن لا ندعو فيه اقناطهم وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع لا نفع له
انا لننصر رسلنا والذين امنوا باظهار حجتهم والانتقام من اعدائهم في الحيوة
الدنيا ظرف لننصر والنصرة بالمعنى الذي ذكرنا عام لكل رسول ومؤمن
وقيل الخبر عام والمراد منه الاكثر فان بعضا من الانبياء قد قتل ويوم يقوم
الاشهاد فان الملائكة تشهدون للرسل على الكفار في الصحاح انه جمع شهيد
بالسكون وفي المرزوقي جمع شهود فان الجمهور على ان فاعلا لا يجمع على افعال
فلا يكون الاشهاد جمع شاهد يوم لا ينفع بدل من يوم يقوم الظالمين معذرتهم

ان جهنم

وان رخصوا في الاعتذار ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يعني جهنم ولقد اتينا
موسى الهدى ما يهتدى به في امر الدين واورثنا بني اسرائيل الكتاب تركنا
عليهم من بعد موسى التورية هدى وذكرى اي لما هديا او التذكير او هاديا
ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة فاصبر على اذاهم فان فيهم من
ليس من اولي الالباب ان وعد الله حق في نصرتك واستشهد بحال انبيائهم
موسى واستغفر لذنبك لفرطاتك ليعلي درجاتك ويبقى سنة منك وسبح
متلبسا بحمد ربك بالعشي والابكار طرفي النهار والمراد صلوة الصبح والعصر
ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان برهان اتيهم يريدون الحجج بالشبه
ان في صدورهم ان نافية الا كبر تكبر عن اتباع الحق يريدون ابطاله ما هم
ببالغيه بواصلي مقتضى كبرهم فان الله اذلهم واعز رسوله فاستعذ بالله
في اطفاء نارهم عن بعض السلف قالت اليهود ان صاحبنا الدجال يخرج
فيملك الدنيا فامر الله ان يستعيذ من شره انه هو السميع البصير لما تقول
وتعمل ولما يقولون ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك منهم ولما كان
اعظم النظر في اية المجادلة من اول السورة الى البعث وصيرورة العباد الى الله
للحساب والثواب والعقاب فقال موكدا لخلق السموات والارض
اكبر اعظم واشق في نظركم من خلق الناس اي اعادتهم والاضافة الى المفعول
ولكن اكثر الناس لا يعلمون فينكرون الاعادة مع الاعتراف بخلق الاعظم
وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء
الاولان مثلان للجاهل والعالم والاخران لمن احسن العمل ومن اساء تغاير
وصفيهما وزيد لا للمبالغة في نفي مساوات المسيء للمحسن ولما تقدم قوله ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ناسب ان يبدأ بالاعمى ثم في المثل الاخر ابتدأ
بالممدوح لمجاورة البصير وقد يخالف هذا الطريق وكل ذلك تفنن في
المبالغة قليلا ما يتذكرون اي يتذكرون تذكرا قليلا ان الساعة لاتية
لا ريب فيها فان من تامل في اطوار العالم يعلم انه لا بد من معاد يجازي
المحسن والمسيء ولاتفاق كلمة الانبياء مع ظهور معجزاتهم عليها ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لجهلهم وقال ربكم رحمة على عباده
ادعوني استجب لكم من دعا حق الدعاء لا محالة يستجيبه الله

ان الذين يستكبرون عن عبادتي والدعاء مخ العبادة وفي مسند الامام
احمد الدعاء هو العبادة ثم قرأ صلى الله عليه وسلم ادعوني استجب
لكم الاية وهكذا روى اصحاب السنن وقال الحاكم صحيح الاسناد وقال
الترمذي حسن صحيح وفي الحديث من لم يدع الله وفي رواية لم يسأل الله
يغضب عليه سيدخلون جهنم داخرين صاغرين ذليلين ولما ختم بالم
الساعة التي ينكرها الكفار عقبه بما يدل صريحا على كمال قدرته ولا يمكن
انكاره فقال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا لتستريحوا من تعب النهار
فيه والنهار مبصرا الابصار لاهل النهار فاثبته للنهار مجازا للمبالغة وجعله
حالا ولم يقل لتبصروا ليكون على وفق لتسكنوا فيه للمبالغة ولو قال جعل
لكم الليل ساكنا لا يفهم تلك المبالغة لجواز وصف الليل بالسكون هو الحق
في العرف بالحقيقة نحو ليل ساكن اي لا ريح فيه كما يقال ليل مظلم بارد
بخلاف وصفهما بوصف اهلها فانه مجاز صرف ان الله لذو فضل
على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون فيثبتون له الشريك وفي تكرير
لفظ الناس حيث لم يقل ولكن اكثرهم تخصيص لكفران النعمة بهم كان هذا شان
الانسان وخاصيته ذلكم المختص بتلك الافعال الله ربكم خالق كل
شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة اي هو الجامع لتلك الاوصاف فاني
فكيف من اي وجه تؤفكون تصرفون عن توحيده وعبادته كذلك
كما افكوا يؤفك فعل المضارع لاستحضار تلك الحال الذين كانوا بايات
الله يجحدون من غير حجة وتامل الله الذي جعل لكم الارض قرارا مستقرا
والسماء بناء قبة على الارض وصوركم فاحسن صوركم خلقكم في احسن صورة
فاحسان الصورة بعد التصوير بحسب الاعتبار وان لم يكن تعدد بحسب الوجود
ويكفي في الحسن استواء القامة ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم المخصوص
بتلك الانعامات الله ربكم فتبارك الله رب العالمين الواحد العالم
القادر الحكيم هو الحي المنفرد بالحيوة الذاتية الدائمة لا اله الا هو فادعوه
مخلصين له الدين موحدين الحمد لله رب العالمين اي قائلين له عن ابن عباس
من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل يا محمد حين
يدعونك الى دين قومك اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله

اي الاصنام

اي الاصنام لما جاءني البينات الادلة الواضحة على وحدانية من ربي
جواب لما محذوف يدل عليه قوله نهيت والناهي عنه هو الله لانه هو
الذي بين له البينات وامرت ان اسلم انقاد لرب العالمين هو الذي
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم من بطون امهاتكم
طفلا افرده لارادة الجنس او على تاويل كل واحد ثم لتبلغوا اشدكم اي يبقيكم
لتبلغوا سن القوة ثم لتكونوا اي ثم يبقيكم لتكونوا شيوخا ومنكم من
يتوفى من قبل من قبل تلك الاحوال ولتبلغوا اي ويفعل ذلك لتبلغوا
اجلا مسمى الاجل المقدر او يوم القيمة فقوله ولتبلغوا ليس عطفا على لتبلغوا
او لتكونوا اذ ليس المعنى يبقيكم بعد الطفولية لتبلغوا الموت والقيمة بل فعل
هذه الاحوال لينتهي الى الموت ولعلكم تعقلون وحدته وقدرته عطف على
لتبلغوا اجلا هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى اراد امرا فانما يقول له كن فيكون
لا يحتاج الى مادة ومدة واله وعدة الم تر الى الذين يجادلون في ايات
الله انى يصرفون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل الذين كذبوا بالكتاب
القران وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او المراد بالكتاب جنسه ومن ما
ارسلنا به الشرايع فسوف يعلمون وبال التكذيب اذ الاغلال في اعناقهم
جعل المتوقع في حكم الموجود لتيقنه ولهذا جمع بين سوف الذي للمستقبل واذ
الذي للماضي فان اذ ظرف يعلمون والسلاسل عطف على الاغلال يعني
اذ الاغلال والسلاسل في اعناقهم يسحبون اي يجرون حال من ضمير اعناقهم
في الحميم قيل تقديره يسحبون بها في الحميم فيكون السلاسل مبتدا والجملة خبره
ثم في النار يسجرون يحرقون ويصيرون وقود النار ثم قيل لهم تقريعا
وتنكيلا اين ما كنتم تشركون اين الذي تشركون به من دون الله اي الاصنام
قالوا تحسرا وتندما ضلوا عنا فقدناهم وغابوا عن اعيننا تقول ضلت الدابة
اذا لم تعرف موضعها وذلك قبل ان يقرن الهتهم بهم او المراد ضاعوا عنا
اي ما وجدنا ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اضربوا عن الجواب
الاول وجحدوا اشراكهم كما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين او مرادهم ضاعت
عبادتنا لها كما يقول من ضاع عمله ما كنت اعمل شيئا اعني العمل كلا عمل كذلك
مثل ذلك الاضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدون الى ما ينفعهم في الاخرة

ذلكم الاضلال والعذاب بما كنتم بسبب كونكم تفرحون في الارض بغير
الحق الشرك والضلال وبما كنتم تمرحون تتوسعون او تفسدون ادخلوا
ابواب جهنم السبعة المقسومة يقال لهم قبل هذه المحاورة اول الامر فان
هذه المحاورة بعد دخولهم النار والمراد ادخلوا طبقات فيكون ذلك
بعد دخولهم الطبقة الاولى خالدين مقدرين الخلود فيها فبئس مثوى المتكبرين
منزل المتكبرين عن الحق جهنم فاصبر يا محمد ان وعد الله باعلاء كلمتك
حق كائن فاما نرينك بعض الذي نعدهم كقتلهم واسرهم وان شرطية
وما زائدة ولاجل زيادة ما جاز دخول النون المؤكدة على الفعل وجزاؤه محذوف
هو مثل فذاك او نتوفينك قبل ان يحل بعض الذي نعدهم بهم فالينا يرجعون
فنجزيهم في القيمة وانت تراه وقوله فالينا يرجعون جواب او نتوفينك
او هو جواب نرينك ونتوفينك ولا حذف اي ان نعذبهم في حيوتك
او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة عذابا شديدا وكلام الزمخشري في قوله
واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب
في سورة الرعد دال على ان المذكور جزاء الشرطين ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك في مسند الامام
احمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جملتهم مائة الف واربع وعشرون
الفا الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر وما كان لرسول ان ياتي باية الا
باذن الله ليس لهم اختيار في اتيان مقترح اممهم فاذا جاء امر الله قضاؤه
بين الانبياء والامم قضي بالحق فنجي المؤمنين وخسر هنالك المبطلون الكافرون
قيل امر الله القيامة والمبطلون المعاندون باقتراح الايات الله الذي جعل
لكم الانعام خلق لكم الابل والبقر والغنم لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها
منافع من الصوف والدر والوبر ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم من حمل
اثقالكم الى بلد فالغنم للاكل وله المنافع والباقي صالح للكل وعليها في البر وعلى
الفلك في البحر تحملون دخول اللام في بعض اي لتركبوا ولتبلغوا دون بعض
يعني لم يقل لتاكلوا ولتنتفعوا للفرق بين العين والمنفعة في البحر لما كان الركوب
وبلوغ الحاجة المترتب عليه قد يتوصل به الى الانتقال لامر واجب او مندوب
كالحج وطلب العلم دخل حرف التعليل على الركوب وعلى المترتب عليه من بلوغ

لحاجة

لمحاجات فجعل ذلك علة لجعل الانعام لنا ولما كان الاكل واصابة المنافع
من المباحات لم يجعل ذلك علة في الجعل بل ذكر انا منها ناكل ولنا فيها منافع
من شرب لبن وغيره كما قال تعالى لتركبوها وزينة ادخل لام التعليل في لتركبوها
ولم يدخلها على الزينة وتقديم المعمول في منها تاكلون وعليها وعلى الفلك
لرعاية الفاصلة وزيادة الاهتمام ومنها تاكلون عطف جملة على جملة بتقدير
وجعل لكم الانعام منها تاكلون حتى لا يلزم عطف الحال على العلة وكذلك وعليها
وعلى الفلك ولما ذكر ما امتن به من الركوب للابل في البر ذكر ما امتن به من نعمة
الركوب في البحر ولهذا قيل الابل سفينة البر ويريكم اياته الدالة على كمال
قدرته ورحمته فاي ايات الله اي اي اية منها تنكرون هو العامل في اي افلم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم
من قريش عددا واشد قوة فانهم اجسم واثارا في الارض كقصورهم
ومصانعهم فما اغنى ما نافية عنهم عذاب الله ما كانوا يكسبون كسبهم
وجاز ان يكون ما موصولة يعني اجتمعوا مع قوة اجسادهم وحصلوا اثارا
في قوتهم لتغنيهم اذا حزبهم امر فانقلب الله بها عليهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
وجاز ان يكون ما في فما اغنى استفهامية منصوبة باغنى ودخل الفاء لانه
كالنتيجة بمعنى انه ترتب عليه وان كان عكس المطلوب فلما جاءتهم
الفاء تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء رسلهم بالبينات
فرحوا رضوا بما عندهم من العلم بزعمهم او سماه علما تهكما وهو قولهم لا بعث
ولا عذاب مطلقا او نفوا البعث الاجساد فانه في نفس الامر جهل قيل
معنى فرحوا بما عندهم استهزؤا فرح ضحك بما عند الانبياء من العلم وقيل
رضوا بما عندهم من علم الدنيا ومعرفة تدبيرها واكتفوا بها وحاق
بهم وبال ما كانوا به يستهزؤن قيل فيه اشعار الى ما قلنا بقيل الاول فلما
راوا باسنا عاينوا وقوع العذاب والفاء لمجرد التعقيب قالوا امنا
بالله وحده منفردا بالايمان وكفرنا بما كنا به من الاصنام مشركين بالله
فلم يك ينفعهم ايمانهم يعني لم يصح ان ينفعهم وهذا ابلغ من قولك لم ينفعهم
لانه انما ينفي الوقوع لا الصحة والاستقامة وذلك بحسب سياق الكلام
والسياق الافهام وان كان ظاهره نفي الكون لا الامكان وايمانهم اسم

كان او فاعل ينفعهم وفي يك ضمير الشان على الخلاف الذي في كان يقوم زيد
لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة
ماضية مستمرة فهي مصدر موكدة وخسر هنالك اسم مكان للزمان اي وقت رؤيتهم الباس
الكافرون اي ظهر لهم خسرانهم والحمد لله على نعمائه وصلى الله على سيدنا محمد واله

سورة فصلت مكية وايها ثلث او اربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم تنزيل خبر حم ان كان اسما للسورة
والا فخبر محذوف او مبتدا مخصص بالصفة خبره قوله كتاب وعلى الاولين
كتاب خبر بعد خبر او بدل او خبر محذوف فصلت بينت وميزت اياته
قرانا نصب على المدح او حال عربيا لقوم صفة اخرى لقرانا او متعلق بفصلت
يعلمون يعني فصلت للعلماء فانهم هم المنتفعون به بشيرا صفة قرانا ونذيرا فاعرض
اكثرهم عن الايمان به والتامل فيه فهم لا يسمعون سماع قبول ولا يصغون اليه وقالوا
قلوبنا في اكنة اغطية مما تدعونا اليه فلا نفقه ما تقول وفي اذاننا وقر صمم ومن
بيننا وبينك حجاب غليظ فلا تلاقي ولا ترائي بين الثانية هي الاولى بعينها
وهي عبارة عن جهة متوسطة بين المتضايفين ووجب تكرارها هنا لان
المعطوف عليه ضمير مخفوض فمن للاشعار بان الجهة المتوسطة مبدا الحجاب
ووجود من قريب من عدمها قال تعالى جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالاخرة حجابا مستورا هذا هو الكلام الحق فاعمل على هواك اننا عاملون على دينا
وهذا القول موقعه في متاركة اي انت بحالك ونحن على حالنا قل انما انا
بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست بجني ولا بملك انكلم بما لا تفهمون
فما لكم تقولون قلوبنا في اكنة فاستقيموا اليه وجهوا اليه وجوهكم واخلصوا
له العبادة واستغفروه من سالف الذنوب وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكوة لما كان العقل ناطقا بان السعادة مربوطة بامرين التعظيم
لامر الله والشفقة على خلقه ذكر ان الويل والثبور لمن اشرك ولم يعظم ربه ولم
يشفق على خلقه بايصال الخير اليهم واصل الزكوة مامور به في ابتداء البعثة
ولفظ الاية كالصريح بان المراد زكوة اموالهم لكن ابن عباس فسره بتطهيرهم
انفسهم نحو قد افلح من زكاها وهم بالاخرة هم كافرون تكرير هم للتاكيد ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون غير مقطوع او غير ممنون

ولا يمكن العطف بخلاف قولك
بين زيد وعمرو فانه جائز من غير
اعادة المضاف منه

من احد

من احد مثله عليه قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في يومين
حقيقيين معلومين عند الله لا تعرف كيفيتهما او في قدر يومين لان الظاهر من قوله
رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها ان حدوث اليوم والليلة
بعد خلق السماء وتجعلون له اندادا ذلك القادر العظيم العليم رب العالمين
وجعل فيها في الارض رواسي جبالا ثوابت وهو عطف على محذوف اي خلقها
وجعل قصد الى تمام النعمة وكمال القدرة ومبالغة في الرد والانكار على المشركين
بعد تمام المطلوب بمجرد خلق الارض في يومين قيل عطف على خلق والفصل
بالجملتين اعني قوله وتجعلون الذي هو عطف على تكفرون وقوله ذلك رب
العالمين كلا فصل لان الاولى بمنزلة الاعادة لتكفرون والثانية معترضة
كالتاكيد لمضمون الكلام وحقهما بحسب المعنى ايضا تاخيرهما عن تمام الصلة
لكن المذكور ابلغ في افادة المقصود لدلالته على ان مجرد المعطوف عليه اعني خلق
الارض في يومين كاف في انه رب العالمين وان لا يجعل له ند فكيف اذا انضم
اليه المعطوفات اعني وجعل فيها رواسي الاية من فوقها مرتفعة يظهر على
الناظرين وبارك فيها بخلق المنافع فيها وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها
في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام يعني بالتتمة اليومين لقوله خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وثبت ان خلق السموات في يومين
فلو كان الكلام على ظاهره لزم ان يكون خلق المجموع في ثمانية ايام وظاهر
كلام الزمخشري ان في اربعة ايام خبر محذوف اي المجموع سواء استوت
استواء بلا زيادة ونقصان وجملة سواء صفة ايام للسائلين اي هذا
الحصر للسائلين عن مدة خلقها او متعلق بقدر اي قدر فيها اقواتها للمحتاجين
ثم استوى الى السماء قصد نحوها وهي دخان مرتفع من الماء الذي عليه
عرش الرحمن فقال لها وللارض ائتيا ما امركما اي افعلا واستجيبا لامري
عن ابن عباس اطلعي شمسك وقمرك ونجومك يا سماء وشققي انهارك
فاخرجي ثمارك ونباتك يا ارض طوعا او كرها طائعتين او كارهتين
اي شئتما او ابيتما ذلك قالتا اتينا طائعين اي منقادين لما
خاطبهما واقدرهما على الجواب اجراهما مجرى العقلاء ورعي جانب المعنى
في الجمعية واما جمع المذكر فلانه لا جهة للتانيث عند اخبارهم عن انفسهم لان

تا بيتهم بحسب اللفظ فقط وعن بعض السلف ان المتكلم موضع الكعبة ومن
السماء ما يسامته ومن المفسرين من ذهب الى انه تمثيل والمقصود تكوينهما
فلم يمتنعا عنه ووجدتا كما اراد وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد
عليه امر الامر المطاع فقضاهن خلقهن واحكمهن والضمير للسماء باعتبار المعنى
سبع سموات حال في يومين هذه الايات تدل على ان خلق الارض ودحوها
مقدم على خلق السماء وفي سورة والنازعات قال والارض بعد ذلك
دحيها فقيل تاويله ان الخلق ليس التكوين بل هو التقدير وهو حكمه ان سيوجد
بطريق مخصوص اراده نحو ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون اي قدره وحكم بانه تراب وعلى هذا يلزم تقديم احداث
الارض على احداث السماء والاولى ان ثم هنا لترتيب الاخبار لا لترتيب
الزمان كانه قال اخبركم بانه خلق الارض وجعل فيها كذا وكذا ثم اخبركم انه
استوى الى السماء فلا تعرض للاية لترتيب ولما كان خلق السماء ابدع اتى بثم
الاخبار فيه بثم وهذا كقوله ثم كان من الذين امنوا بعد قوله فلا اقتحم العقبة
ومن هذا القبيل ايضا ثم اتينا موسى الكتاب بعد قوله قل تعالوا اتل الاية
ويدل على ان المقصود الاخبار بوقوع هذه الاشياء من غير ترتيب قوله
في الرعد الذي رفع السموات بغير عمد ترونها الاية ثم قال بعده وهو الذي مد
الارض وجعل فيها رواسي الاية فظاهر هذا رفع السموات ثم مد الارض وظاهر
ما في هذه السورة جعل الرواسي قبل خلق السماء لكن المقصود من الايتين الاخبار
بصدور ذلك منه من غير تعرض لترتيب وكانه لا يندفع الاشكال الا بهذا واوحى
في كل سماء امرها قدر وترتيب شانها يعني خلق ما يحتاج اليه فيها ما لا يعلمه الا الله
وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان جميع الكواكب ظاهرة على السماء الدنيا
وحفظا اي وحفظناها من استراق السمع حفظا ذلك تقدير العزيز العليم
فان اعرضوا اي قريش مع هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة اي حلولها مثل
صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد وثمود او ظرف لما
فيها من معنى الفعل يعني صعقوا اذ او لان معنى الصاعقة العذاب من بين ايديهم
من القرى القريبة من بلادهم ومن خلفهم القرى البعيدة نحو وقد خلت النذر من
بين يديه ومن خلفه او المراد من كل جانب كقول الشيطان لاتينهم من بين ايديهم

ومن خلفهم

ومن خلفهم قيل المراد انذروهم من الوقائع المتقدمة ومن العذاب المتاخر
اي عذاب الاخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من
الجهتين الا تعبدوا الا الله ان بمعنى اي وقيل ان مخففة وتقدير القول ليكون
خبر ضمير الشان جملة خبرية قالوا لو شاء ربنا انزال الرسل لانزل ملائكة
بالرسالة وهو لم يشا ذلك فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون ما موصولة
وذلك خطاب لهود وصالح ومن دعا من الانبيا الى الايمان وغلب
الخطاب على الغيبة كقولك انت وزيد تقومان فاما عاد فاستكبروا في
الارض بغير الحق بغوا وعتوا وقالوا من اشد منا قوة اغتروا بقوتهم ومزيد
قدرتهم وظنوا انها تغنيهم عن عذاب الله اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة ازيد قدرة منهم وكانوا باياتنا يجحدون عطف على فاستكبروا
يعني يعلمون وينكرون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا شديدة الصوت من
الصرير او شديدة البرد من الصر في ايام نحسات مشومات عليهم سبع
ليال وثمانية ايام حسوما لنذيقهم عذاب الخزي الذل وصف به العذاب
مع انه في الاصل صفة المعذب على الاسناد المجازي للمبالغة في الحيوة
الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى فعذاب الخزي من اضافة الموصوف الى
صفته كانه قال العذاب الخزي ولذلك قال ولعذاب الاخرة اخزى بلفظة اخزى التي
تقتضي المشاركة والتفضيل خبرا عن قوله ولعذاب الاخرة وهم لا ينصرون
واما ثمود فهديناهم دللناهم على طريق الحق بان نبيهم صالح فاستحبوا
العمى اختاروا الضلالة على الهدى وهذا التفسير ظاهر موافق من غير
تكلف لمذهب اهل السنة والجماعة والحق والطاعة فاخذتهم صاعقة
العذاب الهون صيحة ورجفة وهي الذل والهوان والاضافة الى العذاب
ووصفه بالهوان للمبالغة بما كانوا يكسبون من القبائح ونجينا من تلك
الصاعقة الذين امنوا وكانوا يتقون طريقتهم التقوى والتحرز عن سخط
الله ويوم اي اذكره يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون يحبس اولهم
على اخرهم حتى اذا ما جاؤها اي النار وحتى غاية ليحشر وما مزيدة لتاكيد
ظرفية للشهادة يعني انما تقع فيه البتة فان المزيدة تؤكد معنى ما اتصلت به
في النسبة التي تعلقت به وهنا قد اتصلت بوقت المجي المجعول ظرفا

للشهادة فهو كد ظرفية شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون
من المعاصي يعني اذا ما جاؤا النار وسألوا عما اجرموا فانكروا شهد عليهم
والظاهر ان الجلود هي المعروفة وقالوا الجلود هم خصوا الجلود بالسؤال لان
الشهادة منها اعجب اذ ليس من شأنها الادراك بخلاف السمع والبصر
لم شهدتم علينا باي موجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء ينطق
فما شهدنا اختيارا بل اضطرارا وهذه الجوارح في القيمة هي الناطقة بالحقيقة
وفيها القدرة والارادة لا كاللسان التي هي مجرد آلة حتى ان اسناد النطق
اليه ربما يعد مجازا ولهذا قال شهد عليهم سمعهم وقالوا لهم لم شهدتم علينا
وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون عن ابن عباس الكافر يجحد شركه ويحلف
فيشهد من انفسهم جوارحهم ويختم على افواههم ثم يفتح افواههم فتجيء صم الجوارح
فتقول انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو الذي خلقكم اول مرة واليه
ترجعون فتقر الالسنة ايضا بعد الجحود وهذا منه صريح بان قوله وهو خلقكم
من تتمة كلام الجلود قال البغوي والواحدي تم كلام الجلود ثم قال الله وهو خلقكم
اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون عند ارتكاب المعاصي من كلام الله
توبيخا وتقريعا لهم ان يشهد خيفة ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا
جلودكم فانكم تنكرون شهادتها لانكاركم البعث ولكن ظننتم ان الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون لكنكم انما استترتم لظنكم ان الله لا يعلم الخفيات
فهو بالحقيقة استدراك من المفعول له اي ليس استتاركم لخوف الشهادة
بل لظن ان الله لا يعلم نقل محيي السنة عن ابن مسعود اجتمع عند البيت رجال
فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول فقال الاخر يسمع ان جهرنا لا ان
اخفينا فانزل الله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم اهلككم وذلكم مبتدأ
وظنكم بدل من ذلكم وارديكم هو الخبر وليس ظنكم خبرا لان ذلكم اشارة الى ظننتم
ان الله فيصير التقدير وظنكم بان ربكم لا يعلم ظنكم بربكم فيكون نظير ما منعه
النحاة من قولك سيد الجارية مالكها كذا قاله صاحب البحر فاصبحتم من
الخاسرين قال بعض المفسرين هذا آخر كلام الجلود فان يصبروا ولا يبالوا
شيئا فالنار مثوى منزل لهم لا ينفعهم صبرهم وان يستعتبوا يعتذروا فما هم
من المعتبين فلن يرضوا والعتبى الرجوع لهم الى ما يحبون ولما ذكر الوعيد

الشديد

الشديد عليهم اردفه بذكر السبب الذي وقعهم فيه فقال وقيضنا قدرنا
لهم للمشركين قرناء من الشياطين فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم حسنوا
لهم اعمالهم الماضية والآتية فلم يروا انفسهم الا محسنين او امر الدنيا
واتباع شهواتها وامر الاخرة وانكارها وحق عليهم القول كلمة العذاب
في امم كائنين في جملتهم حال من عليهم قد خلت من قبلهم من الجن والانس
انهم استيناف تعليل كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه كان بعضهم يوصي بعضا بانكم اذا رأيتم محمدا يقرأ في
الحرم فعارضوه بالشعر والرجز والمكاء والصفير وكثرة الكلام والصياح
حتى يخفى صوته وهذا هو اللغو في قراءة القرآن فانهم خافوا استمالته القلوب
لعلكم تغلبون محمدا على قراءته فيترك فلنذيقن الذين كفروا اي نذيقهم عذابا
شديدا ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي جزاء اسوأ اعمالهم
من الاستهزاء وتحقير كلام الله ذلك الاسوأ جزاء اعداء الله مبتدأ
وخبر النار عطف بيان للخبر او التقدير الامر ذلك وجزاء مبتدأ والنار
خبره لهم فيها دار الخلد في النار مواضع واسعة ولهم فيها مكان يخلدون
فيه وجاز ان يكون من باب التجريد نحو لكم في رسول الله اسوة حسنة فان النار
في نفسها دار الخلد والتجريد هو ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر بتلك
الصفة مبالغة لكماله فيها جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا
ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس اي شيطاني النوعين نجعلهما
تحت اقدامنا اسفل منا في العذاب ليكون عذابهما اشد او ندسهما
انتقاما ليكونا من الاسفلين في الدرك الاسفل او من الاسفلين ذلا
ولما اطنب في وعيد الكفار اردفه بوعد المؤمنين فقال ان الذين قالوا
ربنا الله اقروا بوحدانيته ثم استقاموا على التوحيد ولم يشركوا به
شيئا او على امر الله وطاعته وثم للتراخي الرتبي فان الاستقامة لها الشأن
كله تتنزل عليهم الملئكة عند موتهم وفي قبرهم وبعثهم الا تخافوا ان مفسرة
او مصدرية يعني بان لا تخافوا مما تقدمون عليه من امر الاخرة ولا تحزنوا
على ما خلفتموه من امر الدنيا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون على لسان
نبيكم عن ابن عباس قال جاء جبريل الى النبي عليهما الصلوة والسلام فقال

يا محمد اتيتك بهدية من عند ربك لك ولامتك تقر بها عينك قال ما
هي انك لتسر في فيهم كثيرا قال قالت اليهود ربنا الله ثم لم يستقيموا حتى قالوا
يد الله مغلولة وعزير ابن الله وقالت النصارى ربنا الله ثم لم يستقيموا حتى
قالوا عيسى ابن الله وقالت امتك يا محمد ربنا الله ثم استقاموا عليه فلم يشوبوا
به غيره ولم يخلطوا به سواه تتنزل عليهم الملئكة ان لا تخافوا مما تقدمون عليه
ولا تحزنوا لمن تخلفون من دين وعيال فان الله خليفتكم فيهم وابشروا بالجنة
التي كنتم توعدون بقول لا اله الا الله قال النبي صلى الله عليه وسلم اقررت
عيني يا جبريل قال اقر الله عينك يا محمد رواه الامام الترمذي في الاربعين
القدسي وابو القسم في الترغيب نحن معاشر الملئكة اولياؤكم في الحيوة الدنيا
وفقناكم على الخير وحفظناكم من الشر باذن الله وفي الاخرة نوصلكم الى رضوان
الله ولكم فيها في الاخرة ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون ما تطلبون وان
لم تشتهه انفسكم نزلا من غفور رحيم النزل طعام النزيل نصبه على الحال من
الضمير المستكن في خبر ما تدعون فانه قيد للحصول ومن احسن قولا ممن دعا
الى الله الى طاعة الله وعمل صالحا لا من الذين لا يوافق قولهم عملهم وقال
انني من المسلمين جعل الاسلام دينه ومذهبه واعلم ان القول يستعمل بمعان
يناسب المقام كالنصح ومن ذلك ما ورد في الدعاء المأثور سبحان من
تعزز بالعز وقال به ولا تستوي الحسنة ولا السيئة لا الثانية لتاكيد النفي ادفع
اي السيئة بالتي هي احسن هي الحسنة وقوله ادفع استيناف كانه قيل كيف
اصنع قال ادفع عن ابن عباس امر بالصبر عند الغضب وبالعفو عند الاساءة
قيل المراد من الحسنة الجنس وكذا السيئة يعني لا تستوي الحسنات بعضها حسن
وبعضها احسن وكذا السيئات فادفع السيئة التي ترد عليك بحسنة هي
احسن من اختها مثلا تحسن الى من اساءك ولا تكتفي بمجرد العفو عنه قال في
سورة المؤمنين ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون الاية فاذا
الذي بينك وبينه عداوة اذا فعلت ذلك يصير العدو كانه ولي حميم صديق
شفيق وفيه اشعار بان ظهور المحبة كاف وان لم تكن من صميم القلب وما يلقيها
اي تلك الخصلة يعني مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا على مخالفة
النفس وما يلقيها الا ذو حظ عظيم من كمال النفس واما ينزغنك من الشيطان

نزغ

نزغ اي ينخسنك ف وحال كون النخس من الشيطان يعني يصرفك عن
الدفع بالتي هي احسن فيكون من قبيل جد جده وقيل نزغ بمعنى نازغ ومن
تجريدية فاستعذ بالله ليوفقك على دفعه انه هو السميع باستعاذتك العليم
بما في ضميرك ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر
فانهما اثنان من ايات الله واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة نحو
الايام مضين فان حكم ضمير جماعة ما لا يعقل وان كانت ذكورا ان يجعل
مونثا فلا يكون هذا من باب التغليب ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته
مع عبادة غيره غير مقبولة فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك
اي الملئكة يسبحون له بالليل والنهار دائما وهم لا يسئمون لا يملون
فيه التفات من الخطاب في قوله لا تسجدوا واسجدوا واتم قال وان استكبروا
كانه قال فان استكبرتم فخلهم واستكبارهم ولا تبال بهم فالذين عند ربك
نحو فان يكفر بها هولاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ومن اياته السفلية
انك ترى الارض خاشعة متذللة استعارة عن يبسها فاذا انزلنا عليها
الماء اي المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت زادت وعلت ان الذي
احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير فيقدر على الاعادة ان الذين يلحدون
في اياتنا يميلون عن الاستقامة فيها بالطعن او بالتاويل الباطل او بغير
ذلك لا يخفون علينا وعيد شديد افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا
يوم القيمة اراد ان جزاء الالحاد في الايات النار اعملوا ما شئتم انه بما تعملون
بصير تهديد على تهديد ووعيد على وعيد ان الذين كفروا بالذكر بالقران لما جاءهم
جملة مستانفة وخبره محذوف للتهويل يعني يكون من امرهم ما لا يحيط به الكلام
وانه لكتاب عزيز غالب لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يبطله
كتاب متقدم ولا ياتيه كتاب بعده يبطله فالباطل بمعنى المبطل او ليس
للبطلان اليه سبيل فالباطل مصدر كالغي فيه وخص الجهتين لان المراد انه
لا ينسخه الكتب المتقدمة ولا ياتي كتاب بعده يكون ناسخا له تنزيل من حكيم
حميد في ذاته حمد او لم يحمد ما يقال لك اي لا يقول لك قومك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك اي الا مثله فاصبر ولا تحزن ان ربك لذو مغفرة لمن تاب
وذو عقاب اليم لمن اصر وفيه اشارة ان بعضا من قومك يؤمنون بك

وبعضا يموتون على كفرهم او المعنى لا يقول الله لك الا مثل ما قال الله للرسل
وهو ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم يعني حاصل ما اوحي اليك واليهم
وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة فقوله ان ربك بدل من ما قد قيل
ولما ذكر الملحدين في اياته وانهم لا يخفون عليه والكافرين بالقران ذكر ما دل
على تعنتهم وما ظهر من تكذيبهم فقال ولو جعلناه اي الذكر قرانا اعجميا بغير لغة
العرب كسائر الكتب لقالوا لولا فصلت اياته الا بينت بوجه نفهمه
ءاعجمي وعربي الكلام اعجمي ومخاطب عربي والهمزة للانكار ومن قرا بغير الهمزة
فهو اخبار بان القران اعجمي والمرسل اليه عربي كانه يتعجب منه قيل معناه حين
ما لم تكن الهمزة هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا وبعضها عربيا فينتفع به
القبيلتان يعني انهم على اي حال تجدهم في عناد واعتراض نقل البغوي
عن مقاتل انها نزلت حين قالوا انما يعلم ابو فكيهة محمدا القران وهو غلام يهودي
قل يا محمد هو القران للذين امنوا هدى الى الحق وشفاء من الجهل والذين
لا يؤمنون في اذانهم وقر الاظهر انه مبتدا وخبر تقديره هو في اذانهم وقر او
تقديره انه اي في اذانهم وقر منه وهو عليهم عمى فلا ينتفعون من سمعهم ولا من
ابصارهم اولئك ينادون من مكان بعيد هذا تمثيل اي مثلهم مثل من يصيح
عليه من مسافة بعيدة لا يسمع من مثلها الا مجرد نداء قال تعالى مثل الذين
كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء وعن الضحاك ينادون
في القيمة من مكان بعيد باشنع وجه ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
بالتصديق والتكذيب كما اختلف قومك في كتابك ولولا كلمة سبقت
من ربك في تاخير عذابهم وان يموتوا باجل مسمى لقضي بينهم بتعجيل العذاب
على المكذبين وانهم مكذبي قومك او المكذبين من اليهود لفي شك منه
من القران او من التورية مريب موقع لهم في الريبة صفة شك من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد فلا يعذب احدا من
عبيده الا بعد الاستحقاق ولما ذكر من عمل صالحا ومن اساء كان فيه دلالة
على الجزاء كان سائلا قال متى ذلك فاجاب اليه يرد علم الساعة لا يعلمها
الا الله ثم ذكر سعة علمه فقال وما تخرج ما نافية من ثمرات من مزيدة
للاستغراق من اكمامها جمع كم بكسر الكاف هو وعاء الثمرة وما تحمل من انثى

اي لا تحمل

اي لا تحمل انثى ولا تضع الا بعلمه استثناء مفرغ في موقع الحال المجموع الحمل
الثلث المذكورة ولما ثبت بهذا علمه وقدرته وعجز من سواه وجهله وامر
الساعة مقرر لا بد من كونه لينصف المظلوم وليتميز المسيء من المحسن ذكر شقاوة
المسيء فقال ويوم يناديهم اي اذكره اين شركائي بزعمكم قالوا اذناك
اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد ان لك شريكا اذ تبرؤا منهم لما
عاينوا الحال والسؤال للتوبيخ واذناك معلق وما منا من شهيد في موقع
المفعول قيل معناه ما منا من احد يشاهدهم فانهم ضلوا عنا وضل عنهم ما
كانوا يدعون من الاصنام من قبل القيمة فلا ينفعهم ولا يرونهم وظنوا ايقنوا
والفعل معلق وقوله ما لهم من محيص مهرب في موضع مفعول ظنوا لا يسام
لا يمل الانسان من دعاء الخير كالمال والصحة وان مسه الشر كالفقر والمرض
فيؤس من فضله قنوط من رحمته واليأس صفة القلب وهو ان ينقطع رجاؤه
من الخير والقنوط ان يظهر عليه اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته تفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي وصل الي فاللام للاستحقاق
او لا يزول عني فاللام للاختصاص وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت
الى ربي على فرض وجود الساعة كما زعموا ان لي عنده للحسنى سعادة لي عند
الله لحالة الحسنى وهو جواب القسم دال على جواب الشرط اكد باليمين
وتقديم لي وعنده على اسم ان وبدخول لام التاكيد عليه وبصيغة الحسنى
مؤنث الاحسن الذي هو افعل التفضيل فلننبئن الذين كفروا لنخبرنهم
بما عملوا بحقيقة اعمالهم فيعلموا انها تستوجب نذالة لا كرامة ولنذيقنهم
من عذاب غليظ شديد واذا انعمنا على الانسان المراد الجنس اعرض
نسيان المنعم فلم يأتمر بامره ونأى بجانبه اذهب نفسه وتباعد عنه
تكبرا فترك ذكر ربه والجانب مجاز عن النفس واذا مسه الشر فذو دعاء
عريض اي ذو دعاء بازالة الشر عنه دائم والعرب يطلق الطول والعرض
في الكثرة وجاز ان يراد ان عرضه ان كان واسعا فما ظنك بطوله استعير
ما هو من صفة الاجرام للدعاء قل ارايتم اخبروني ان كان القران من عند
الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق خلاف وعداوة بعيد عن الطريق
المستقيم اي من اضل منكم فوضع من موضع منكم ليكون تعليلا لكمال الضلال

ومن اصل فى موقع مفعولى اخبرونى على طريق التعليق ابرزه فى صورة
الاحتمال تنزلا معهم فى الخطاب وجزاء الشرط مضمون الكلام سنريهم
اياتنا الدالة على حقية القران فى الافاق كظهور الاسلام فى المشارق
والمغارب وامور خارقة للعادة وفى انفسهم كفتح مكة ووقعة بدر حتى
يتبين لهم انه القران الحق المنزل من عند الله اولم يكف بربك انه على كل
شئ شهيد اولم يكف شهادته على كل شئ وهو يشهد على صدق محمد فيما اخبره
عن الله قال الله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملئكة يشهدون
الباء مزيدة فى فاعل كفى للتاكيد كانه قيل اولم تحصل الكفاية به وهذا من
خواص فاعل كفى وقوله انه على كل شئ شهيد بدل من ربك قيل معناه اولم
يكف الانسان رادعا عن المعاصى انه تعالى مطلع على كل شئ لا تخفى عليه
خافية الا انهم فى مرية شك من لقاء ربهم فانهم فى شك من البعث
الا انه بكل شئ محيط الكل تحت علمه وقدرته فاقامة الساعة
عليه يسير ولله الحمد رب السموات والارض وصلى الله على محمد واله

سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى مكية واياتها ثلث وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق قيل قطع حم عما بعده ولم يقطع كهيعص
ليطابق سائر الحواميم كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله
العزيز الحكيم اى مثل الايحاء السابق وما فى هذه من المعانى اوحى الله
اليك والى من قبلك من الرسل وعن ابن عباس ليس من رسول
الا وقد اوحى اليه حم عسق فعلى هذا كذلك اشارة اليه وذكر المضارع
لبيان الاستمرار والعادة نحو الله يستهزئ بهم وكذلك فى موقع المصدر
اى مثل ذلك الوحى او فى موقع المفعول به اى مثل ذلك الكتاب وفى
قراءة يوحى بصيغة المجهول اسمه مرفوع بمحذوف كان قائلا قال من يوحى
فقال الله له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم فى ذاته وصفاته
تكاد السموات يتفطرن يتشققن من عظمته من فوقهن اى يبتدأ الانفطار
من جهتهن الفوقانية فان اعظم اياته الدالة على جلاله وهو العرش والكرسى
وغيرهما من تلك الجهة وضمير الجمع الى السموات والملئكة يسبحون
ملتبسين بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض قال تعالى ويستغفرون

للذين

للذين امنوا قيل يطلبون بدعائهم التى هى موجب الغفران نعيم الكفار الا
ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء الله حفيظ
عليهم رقيب على اعمالهم يحصيها ليجزيهم وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل
عليهم غير مفوض اليك امرهم وكذلك مثل ذلك الايحاء البين اوحينا
اليك قرانا مفعول اوحينا عربيا قيل كذلك اشارة الى معنى الاية المتقدمة
فانه قد كرر فيكون كذلك مفعولا به وقرانا حال منه على تجوز فى جعل المعنى
قرانا عربيا لتنذر ام القرى مكة يعنى اهلها ومن حولها مشارق الارض ومغاربها
او المراد العرب وترك المفعول الثانى لقصد العموم يعنى بانواع الانذار
وتنذر يوم الجمع يقال انذرته النار وبالنار وترك المفعول الاول للعموم يعنى
لتنذر كل احد من هول يوم القيمة الذى يجمع فيه الاولون والاخرون لا ريب
فيه معترضة لا محل لها من الاعراب فريق فى الجنة وفريق فى السعير اى منهم فريق
والضمير للمجموعين الدال عليه يوم الجمع والجملة حال من ضمير الجمع اى يوم جمعهم
حال كونهم متفرقين للتفريق وقدرنا الجار والمجرور مقدما لان كون الجملة الاسمية
حالا بغير واو ولم يكن فى صدرها ضمير الى ذى الحال ضعيف ولو شاء الله
لجعلهم امة واحدة على الهداية او الضلالة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته
بالهداية والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير يدفع عنهم العذاب وينصرهم
وتغيير المقابل حيث لم يقل ومن يشاء فى عذابه للمبالغة فى الوعيد ولتكثير
الفائدة لانه علم من تلك الاسلوب ان بعضهم فى النار مع ان ظلم انفسهم
ادخلهم النار وان ليس لهم ولى ولا نصير ام اتخذوا بل اتخذوا والهمزة للانكار
بمعنى لا ينبغى ان يتخذ من دونه ولى من دونه اولياء وليس لهم ذلك وليسوا
باولياء فالله هو الولى وعلى ما ذكرنا لا حاجة الى تقدير شرط يترتب الفاء
وهو يحيى الموتى للحساب والجزاء وهو على كل شئ قدير وما اختلفتم فيه الضمير
لما من شئ اى بهذا البيان يعلم ارادة العموم فحكمه الى الله قال تعالى وان
تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول وهذا حكاية قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم على طريقة التعليم يدل على ذلك قوله ذلكم الله ربى
عليه توكلت واليه انيب ارجع كانه قال قل لهم وما اختلفتم فى شئ الاية
فاطر السموات والارض خبر اخر لذلكم وقوله جعل لكم من انفسكم اى من جنسكم

فقدرنا ما مقدما ليخرج من الضعف
صح

كما قدره الزمخشرى صح

مستانفة او فاطر مبتدأ وجعل خبره ازواجا ومن الانعام ازواجا
وخلق للانعام من جنسها ازواجا فقوله ومن الانعام ازواجا عطف
على جعل بتقدير خلق او جعل لكم من الانعام اصنافا فعلى هذا عطف
على من انفسكم ازواجا يذرؤكم فيه يكثركم في ذلك الجعل والتدبير فانه سبب
للتوالد قيل الضمير للمخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء فيكون
هذا التدبير عبارة من ان جعل للناس والانعام ازواجا ليكون بين الذكور
والاناث التوالد والتناسل ليس كمثله شئ ليس كذاته وليس كمثله عبارتان
عن معنى واحد الا ان الاولى صريح والثانية كناية مشتملة على مبالغة واي
ان المماثلة منتفية عمن يكون مثله وعلى صفته فكيف عن نفسه وهذا الاستلزام
وجود المثل الا ترى ان قولك مثل الامير يؤيد الدين ليس اعترافا بوجود المثل
وقيل من له مثل فلمثله مثل البتة لان المماثلة من الجانبين فكما ان زيدا مثل عمرو
كذلك عمرو مثل زيد فمن هو ثابت ولم يكن له مثل المثل فلا بد ان لا يكون له
مثل بطريق البرهان وهذا مسلك دقيق قيل المثل بمعنى الصفة وارد في موارد
كلام العرب فمعناه ليس كصفته تعالى شئ من الصفات وقيل الكاف صلة
وهو السميع البصير له مقاليد اي مفاتيح او خزائن السموات والارض يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر ويضيق انه بكل شئ عليم فانه اذا علم ان الغنى
صلاح لعبد اغناه والا افقره ولما هدد ووبخ في شان من اتخذ من دونه
اولياء اعقبه بان التوحيد شرع جميع الرسل فقال شرع اظهر الله وسن
لكم من الدين ما وصى به نوحا ما وصى مفعول شرع والذي اوحينا اليك
عطف على ما وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ذكر اول انبياء الشريعة
واخره ومن بينهما من اولي العزم فان ابراهيم ابو العرب وهم يدعون اتباعه
وموسى وعيسى هما اللذان اتباعهما موجودون في زمان بعثة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اقيموا الدين ان بمعنى اي فلا موضع لها من الاعراب
او مصدرية في موضع نصب على البدل من مفعول شرع ولا تتفرقوا فيه
اراد اقامة دين الاسلام وعدم الاختلاف في ما اتفقت عليه كلمة الانبياء من
اصول الدين لا الفروع المختلفة باختلاف مصالح الامم كبر عظم وشق على
المشركين ما تدعوهم اليه من ترك دينهم ودين اباءهم الاوثان وهو الشرك

ما فاعل

ما فاعل كبر الله يجتبي يصطفي اليه الضمير الى الله من يشاء ويهدي اليه من
ينيب من يقبل عليه فلا يعظم عليه ما تدعوه اليه قيل يجتبي من جبي الخراج
اذا جمعه وضمير اليه للدين والكلام في عدم التفرق يناسب الجمع والانتهاء
اليه وما تفرقوا اي امم الانبياء الا من بعد ما جاءهم العلم بان الدين الحق
ليس الا واحدا بغيا لعداوة وعناد بينهم فاختلفوا ولولا كلمة سبقت
من ربك بالامهال الى اجل مسمى آخر اعمارهم لقضي بينهم لجوزوا في اسرع
وقت واستؤصل المخالف وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
الجيل المتاخر بعد القرون الاول هم بقية اهل الكتاب الذين عاصروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم لفي شك منه من القران او من دينهم
مريب مدخل في الريبة وعن ابن عباس ضمير تفرقوا لقريش والمراد من
العلم محمد عليه الصلوة والسلام كانوا يتمنون ان يبعث فيهم نبي نحو
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير الاية فلذلك اي الى ما اوحينا
اليك والى غيرك فادع الناس ودعوت يتعدى باللام وبالى بمعنى
واحد وتكرير اللفظ للمبالغة في السببية او معناه فلذلك التفرق البعيد
عن الصواب فادع الى ما ارسلك الله من الاتفاق على دين الاسلام
واستقم على عبادته ودعوة الخلق كما امرت ولا تتبع اهواءهم لانهم
ليسوا ينسوا فيتبعونك وقل قولا ثابتا من غير محجة امنت بما انزل الله من
كتاب لا كمن آمن ببعض وكفر ببعض وامرت لاعدل لان اعدل بينكم
في ايصال ما امرت به اليكم لا اخص تخصيصا لشئ دون شخص فان الشريعة
واحدة والاحكام مشتركة فيها الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وكل
يجازى بعمله الذي له لا حجة لا خصومة بيننا وبينكم ولا ايراد حجة بيننا فانه
قد ظهر الحق فليس بعد هذا الا المقاتلة لا المقاولة الله يجمع بيننا في القيمة
فيفصل الامر بيننا واليه المصير مصير الكل الى الله والذين يحاجون يجادلون
في الله في دينه من بعد ما استجيب له بعد ما استجاب الناس له ودخلوا
الاسلام وقيل بعد ما استجاب الله لرسوله باظهار دينه وقيل بعد ما استجاب
اهل الكتاب واقروا بنبوته حجتهم داحضة باطلة زائلة عند ربهم وعليهم
غضب ولهم عذاب شديد عن ابن عباس وغيره جادل المشركون المؤمنين

بعد ما استجيب له المؤمنون لله وللرسول ليصدوا المؤمنين عن الهدى الذي اقروه وطمعوا ان يعودوا الى الجاهلية وقال قتادة هم اهل الكتاب قالوا للمؤمنين ديننا خير من دينكم ونبينا خير من نبيكم ونحن خير منكم واولى بالله الله الذي انزل الكتاب جنسه بالحق ملتبسا به والميزان العدل وهو شرع الله وانزاله عبارة عن الامر به او المراد انزال الميزان على حقيقته فانه كما روي نزل جبريل بالميزان الى نوح وقال مر قومك يزنوا به وما يدريك لعل الساعة التي هي يوم الجزاء والعدل ووضع الميزان قريب فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل وتذكير قريب لان المراد مجيء الساعة او لان الفعيل الذي ليس بمعنى المفعول لما كان على صيغته يعطى حكم الذي بمعنى المفعول من انه يستوي فيه التذكير والتانيث يستعجل بها الساعة الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين امنوا مشفقون خائفون منها ويعلمون انها الحق الكائن البتة فيستعدون لها الا ان الذين يمارون يجادلون في الساعة في شانها وينكرونها لفي ضلال بعيد عن طريق الصواب فانه لو لم تكن لا يكون الرب عادلا تعالى الله الله لطيف بعباده بار بالبر والفاجر يرزق من يشاء ان يرزقه بايثار على مقتضى حكمته وهو القوي العزيز القادر المطلق الذي لا يغلب ولما قرر ان الرزق ليس الا بيد الله والحرث من اعظم اسباب الرزق سيما عند العرب قال من كان يريد بعمله حرث الاخرة زرعها سمي عمله زرع الاخرة لان فائدته تحصل فيها نزد له في حرثه بتضعيف ثوابه الاقل ان واحدا بعشرة ومن كان يريد بعمله حرث الدنيا زرعا فائدته دنيوية نؤته منها شيئا منها بقدر ما قسمنا له وما له في الاخرة من نصيب نصيب من عمله لا كثير ولا قليل اذ لكل امرئ ما نوى وجاء فعل الشرط ماضيا والجواب مجزوما وهو فصيح مختار كما صرح به سيبويه وغيره ولما قرر ان الله شرع لكم من الدين ما وصى به النبيين فهو شرع الله وشرع جميع اهل الهدى فمن له طريق وشرع غير شرعهم فما هو الا من الاصنام والشياطين فقال ام لهم اي بل للكفار والهمزة للتحقيق والتقرير شركاء الهة وهم الشياطين شرعوا اظهروا لهم من الدين ما لم ياذن به الله لم يرض به ولم يرخصه ولولا كلمة الفصل القضاء السابق بتاجيل عذابهم الى القيمة لقضي بينهم بين المؤمنين والكافرين في الدنيا

فانه يرى كثيرا من عباد الله المخلصين في عذاب من الظالمين في هذه الدنيا فلو لم يكن لله سبحانه موضع آخر للانتقام فاين العدل منه

وان الظالمين

وان الظالمين لهم عذاب اليم ذات الم ترى الظالمين في القيمة مشفقين مما كسبوا خائفين من وبال ما كسبوا وهو اي وباله واقع بهم لا محالة فمن صلة الاشفاق وجاز ان يراد مشفقين اشفاقا ناشيا مما كسبوا ومن اجله وعلى هذا لا يحتاج الى تقدير مضاف والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات احسن بقاعها لهم ما يشاؤن عند ربهم ظرف للهم اي حصل لهم عنده وفي كرمه وقيل عند ربهم حال من ضمير لهم او من فاعل يشاء ذلك اي ما اعد لهم من الكرامة هو الفضل الكبير ذلك الثواب المعد الذي يبشر الله عباده به حذف الجار فانتصب الضمير ثم حذف مبتدا وخبر الذين امنوا وعملوا الصالحات صفة مقيدة لعباده ولما كانت العادة جارية بان للبشير شيئا وان لم يسال لان بشارته بمنزلة سواله قال قل لا اسالكم عليه على التبليغ بشارة او نذارة اجرا الا المودة في القربى الا ان تحبوني في حق قرابتي منكم وتصدقوني فيما جئتكم به وتمسكوا عن اذيتي قيل جمع قريش مالا وارادوا ان يرشوه على ان يمسك عن سب الهتهم فنزلت او الا ان تحبوا اهل قرابتي وتجعلوهم مكان المودة فالظرف حال اي الا المودة حال كونها ثابتة ومتمكنة في القربى والقربى مصدر بمعنى القرابة قيل معناه الا ان تحبوا الله في تقربكم اليه بطاعته وعلى اي وجه الاستثناء منقطع او متصل بان جعل ذلك من جنس الاجر ويعلم منه المبالغة في انتفاء الاجر ومن يقترف يكتسب حسنة نزد له فيها في الحسنة حسنا بان نضاعف اجرها ان الله غفور شكور يقبل الطاعة وان قلت ام يقولون اضراب آخر اشد من قوله ام لهم شركاء كانه قال شرع الله لهم دينا كذا وكذا ثم قال بل لهم دين شرع لهم شياطينهم بل هم في الكفر اشد لانهم ينسبون نبينا صلى الله عليه وسلم وكلامنا الى الافتراء ثم الافتراء على الله افترى محمد على الله كذبا فان يشاء الله يختم على قلبك يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم هذا تفسير مجاهد ومعناه ان يشاء الله افتراءك يختم على قلبك كما ختم على قلبهم فلا تعي القران ولا تفهم الوحي لكن الله قد شرح صدرك وانار قلبك فمحاشاك عن الافتراء على الله ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته كلام ابتدائي عطف جملة على جملة لا على

الجزاء ولهذا اعاد اسم الله ورفع يحق وهذا عدة من الله بمحو الباطل الذي
هم عليه واثبات الحق الذي عليه المومنون بحججه او بالقران او بقضائه قيل
حاصله ان من عادته محو الباطل واثبات الحق فلو كان مفتريا لمحقه
واثبت الحق فعلى هذا المضارع للاستمرار وعلى الوجه الاول للاستقبال
واما حذف الواو من يمحو في اللفظ لالتقاء الساكنين وفي الخط لموافقة
اللفظ على خلاف القياس انه عليم بذات الصدور فيعلم ضميرك وضميرهم
فيجري الامر على حسب ذلك وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالعفو عما
تاب عنه وعدم المواخذة ويعفو عن السيات والظاهر من لفظ العفو
وعطفه على يقبل التوبة ان هذا في غير التائب يعني من شانه قبول التوبة
والعفو عن المعاصي ويعلم ما تفعلون فيثيب ويعاقب وفي المعالم عن
ابن عباس لما نزل الا المودة في القربى وقع في بعض القلوب منها شيء وقالوا
يريد ان يحثنا على اقاربه من بعده فجاء جبريل واخبره بانهم اتهموك وانزل
ام يقولون افترى على الله الاية فاعتذروا وقالوا يا نبي الله انا نشهد بصدقك
فنزل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده الاية ويستجيب الذين امنوا وعملوا
الصالحات اي يجيب الله دعاءهم ويثيبهم فعلى هذا الذين هو المفعول
بتقدير المضاف او بحذف اللام اي للذين لحذواذا كالوهم اي كالوا لهم
ويزيدهم من فضله على ما استحقوا وفي الحديث الزيادة من فضل الله عبارة
عن قبول شفاعته في شان من صنع اليه المعروف في الدنيا واستحق النار
بسوء عمله وعن بعض السلف في معنى ويستجيب الذين امنوا قال يشفعون
في اخوانهم وفي قوله ويزيدهم من فضله قال ويشفعون في اخوان اخوانهم
والكافرون لهم عذاب شديد لما قال الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
وقال الله لطيف بعباده يرزق من يشاء كان للمتوهم ان يقول لكمال البسط
واللطف ان يوفر الدنيا لكل من عباده فقال ولو بسط الله الرزق لعباده
بان اغناهم جميعا واعطاهم ما اقترحوا من الدنيا لبغوا افسدوا في الارض
ولم يبسط لئلا يعم البغي ولا يغلب الفساد على الصلاح ولكن ينزل بقدر ما
يشاء اي ينزل ما يشاء من ارزاقهم بتقدير وتعيين وفي الحديث ان
من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسدته عليه دينه وان منهم

من

من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسدت عليه دينه انه بعباده خبير بصير
فيقدر لهم ما يناسبهم وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي نفعه عام فهو
قادر على شمول الرحمة وبسط الرزق من بعد ما قنطوا عقيب ما يئسوا منه
وينشر رحمته يبسط منافع الغيث لا يختص شيء او المراد انه ينشر سائر رحمته
وهو الولي المتصرف للامور الحميد المستحق للحمد فمن حمده عمل بمقتضى العقل
والدين ومن اياته خلق السموات والارض وما بث اي نشر فيهما من دابة
ذي حيوة ذكر الملزوم الذي هو الدبيب واراد اللازم الذي هو الحيوة
وفي صحاح الاحاديث ما يدل على وجود الدواب في السماء من مراكب
اهل الجنة وغيرها ووجود بعض الملئكة على صورة الاوعال وعلى هذا من دابة
على ظاهرها قيل المراد من فيهما في بينهما وما موصولة عطف على السموات
وجاز عطفه على خلق وهو على جمعهم جمع ما نشر للبعث اذا يشاء اي وقت
شاء قدير وما اصابكم من مصيبة كقلة مطر وقحط فبما كسبت ايديكم بشوم
معاصيكم فانتم السبب وما موصولة وبما كسبت خبرها الموصولة والفاء لتضمين
معنى الشرطية ويعفو عن كثير فلا يعاقبكم بها لا في الدنيا ولا في الاخرة وفي
الحديث الصحيح والذي نفسي بيده ما يصيب المومن من نصب ولا وصب
ولا هم ولا حزن الا كفر الله عنه بها من خطاياه حتى بالشوكة يشاكها وفي مسند
الامام احمد قال صلى الله عليه وسلم ساقسر اية وما اصابكم من مصيبة لك
يا علي ما اصابكم من مرض وعقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله
احلم من ان يثني عليهم العقوبة في الاخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله اكرم
من ان يعود بعد عفوه وما انتم بمعجزين في الارض فيصل اليكم لا محالة ما قدر
الله لكم وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فلا متولي ولا ناصر الا الله سبحانه
ومن اياته الجوار السفن في البحر متعلق بالجوار قال صاحب البحر اصله السفن
الجواري حذف الموصوف واقيمت صفته مقامه كالاعلام اي السفن كالجبال
في العظم حال من ضمير متعلق من اياته فانه خبر الجوار ان يشا يسكن الريح
فيظللن يصرن رواكد ثوابت على ظهره اي البحر ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور لكل مومن سافر البحر ورای عجائبه فصبر على شدائده وشكر
عند الخلاص بالسلامة قيل المومن اما في الضراء فهو صبار واما في السراء فهو شكور

فلا يخلو المؤمن منهما وقيل لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر
او يوبقهن بما كسبوا يهلك اهلهن بسبب ذنوبهم ويعف عن كثير يعنى ان يشأ
الله يبتل من فى البحر باحدى بليتين اما سكون الريح فلا تجرى السفن ولا
يصل اهلها الى مقاصدهم وما ذلك ان طال الامن عظم ثم اهوال البحر لا يعرف
الا من وقع فيه او يهلكهن بعصف الريح او بغير ذلك من اسباب اغراق
السفن بشؤم ذنوبهم وان يشأ يعف عن كثير فلا يسكن ريحهم ولا يهلكهم
بل يهب رياحهم فيصلون بالسلامة الى مقاصدهم ويتلطف عليهم بالعفو
عن جرائمهم وعلى هذا او يوبقهن عطف على يسكن الريح والاولى ان يكون بما كسبوا
قيدا ليسكن الريح وليوبقهن ويعف عن كثير فى مقابلة القسمين من الاسكان
والاهلاك والاولى عندى انه عطف على ان يشأ بتقدير وان يشأ يعف
ويعلم الذين يجادلون فى اياتنا بابطالها ما لهم من محيص مهرب من عذابه
ان قدر وهو جملة منفية فى موضع نصب علق عنها قوله ويعلم ومن مزيدة
للشمول ومحيص مبتدأ وما لهم خبره وقراءة نصب يعلم على مذهب البصريين
انه باضمار ان ويشبك منها ومن الفعل بعدها مصدر معطوف على مصدر
متوهم تقديره فاطلاعهن او ايباقهن وعلم الذين يجادلون كما ذكرنا فى ال
عمران فى تفسير ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وعند
الكوفيين ناصبها نفس الواو ويسمونها واو الصرف لانها تصرف عطفه
على ما قبله من المرفوع هذا هو الكلام الموجز الذى يرتضيه كل فطن ماهر فى
العربية فاياك والعصبية فانها تعمى وتصم ولما ذكر نزول الغيث ونشر رحمته
وبث الدواب وكل ذلك معرض الزوال عظيم التقلبات سبب عنه قوله
فما اوتيتم من شئ ما الشرطية مفعول اوتى وبيانه بقوله من شئ للتعميم فمتاع
الحيوة الدنيا ان زالت زال وما عند الله من الثواب خير وابقى اى باقيا
فى جزاء الاول دون الثانى لان سببه الثانى امر مقرر عند العقول غنى عن
حرف دال عليها بخلاف الاول للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون واللام
متعلق بخير وابقى عن على بن ابى طالب انه اجتمع لابى بكر مال فتصدق بجميعه
فلامه قريش فنزلت والذين يجتنبون عطف على الذين امنوا كبائر الاثم
الاصح ان الكبائر كل ما ورد فى الكتاب والسنة فيه وعيد شديد والفواحش

ما تزايد قبحه او ما يتعلق بالفروج تخصيص بعد تعميم واذا ما غضبوا هم يغفرون
العامل فى اذا يغفرون وهى جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على يجتنبون وجاز
ان يكون هم تأكيدا للفاعل غضبوا والمراد ان يجتنبهم الصفح لا الانتقام والذين
استجابوا لربهم اجابوه واطاعوه حين دعاهم الى طاعته واقاموا
الصلوة وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا يبرمون امرا حتى يتشاوروا
فيه وهذا كان عادة الصحابة ومما رزقناهم ينفقون اراد انهم متفقون
متفقون اسخياء والذين اذا اصابهم البغى ظلمهم عدوهم هم ينتصرون مما
ينتقمون يعنى يعفون فى محل العفو وينتقمون فى محل الانتقام ليسوا اذلاء
عاجزين قوله هم ينتصرون صلة للذين واذا معمول ينتصرون قال صاحب
البحر لا يجوز ان يكون هم ينتصرون جوابا لاذا والجملة الشرطية وجوابها
صلة لان الجملة اذا كان جوابا لاذا كانت بالفاء ولا يجوز ترك الفاء الا
فى ضرورة الشعر وجزاء سيئة سيئة مثلها عقب وصف الانتقام بهذا اشارة
الى منع التعدى وسمى الثانية سيئة للازدواج قيل فيه اشارة الى ان العفو
اى الحسنة فتسميتها بالسيئة تحريض على العفو فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه
فاجره على الله الجزاء مذكور على الابهام للتعظيم والفاء فى فمن للتفريع يعنى
اذا كان الواجب فى الجزاء رعاية المماثلة من غير زيادة فالاولى العفو والاصلاح
وسلوك طريق المجازاة لا يكاد يؤمن فيه الوقوع فى الظلم انه لا يحب الظالمين
ولمن انتصر بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول اى بعد ظلم الظالم اياه
فاولئك جاء بلفظ الجمع فى اسم الاشارة لان المشار اليه معنى من وهو جمع
ما عليهم من سبيل بنوع مؤاخذة وعقوبة انما السبيل اى ما السبيل بالمعاقبة
الا على الذين يظلمون الناس لا على من ينتصر ويبغون فى الارض يفسدون
ويتكبرون بغير الحق والفساد فى الارض لزجر الكفار تسخيرهم كقطع اشجارهم
وتخريب ديارهم فحق اولئك لهم عذاب اليم ذو الم ولمن صبر
على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك اشارة الى صبره لا الى مطلق الصبر
فلا يحتاج الى تقدير ضمير قال العلامة التفتازانى عندى ان مثل هذا اغنى عن
تقدير الراجع لمن عزم الامور لمن الامور المشكورة والافعال الحميدة واللام
فى لمن صبر للابتداء او موطئة للقسم وجوابه ان ذلك وجواب من الشرطية

محذوف دل عليه جواب القسم وحذف الفاء من جواب الشرط اذا كان
جملة اسمية مختص بالشعر عند سيبويه في الحديث في القيمة نادى مناد من كان
له اجر على الله فليقم فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم فيقولون نحن عفونا عمن
ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله واما التحريض على العفو في قوله
ولمن صبر بعد ما دل قوله اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على افضلية الانتصار
فيمكن ان المراد ان الانتصار افضل في المصر على البغي وافضلية العفو في النادم
غير المصر ومن يضلل الله فما له من ولي ناصر يتولاه من بعده من بعد اضلال
الله اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب في القيمة يقولون هل الى مرد
رجعة الى الدنيا من سبيل بعيدا وقريب وتراهم يعرضون عليها على النار دل
عليها لفظ العذاب خاشعين خاضعين من الذل مما يلحقهم من الذل ينظرون
الى النار من طرف خفي مسارقة فان الكاره لشيء لا يقدر ان يفتح اجفانه عليه
وقال الذين امنوا في الدنيا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم بالضلال
واهليهم بالاضلال يوم القيمة ظرف لخسروا او لقال وهذا القول من المومنين
حين راوا ان العذاب احاط بالظالمين وذكر الماضي من باب ونادى
اصحاب الاعراف وقيل هذا القول من المومنين في الدنيا الا ان الظالمين في
عذاب مقيم من تتمة كلامهم او تصديق من الله وما كان لهم من اولياء ينصرونهم
من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى ولما علم ان من اضله الله
فليس له من سبيل الى الهداية فلا بد من الالتجاء الى الله قال استجيبوا لربكم اى
اجيبوا امره وداعيه من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله من الله متعلق بمتعلق له
لا بمرد فانه لو كان معمولا لمرد لما صح بناؤه على الفتح لكونه مشبها بالمضاف يعني يوم
لا يرده الله بعد ما حكم به وقيل متعلق بياتي ما لكم من ملجا يومئذ اى يوم لا مرد له
من الله وما لكم من نكير انكار لاعمالكم فانهم في هذا اليوم مقرون بقبايح اعمالهم وجاز
ان يراد انكار لوعد الله ووعيده فانهم انكروا في الدنيا واستهزؤا فان اعرضوا
عن الاجابة فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا تحفظ اعمالهم ان عليك ان ما فيه
الا البلاغ والاية تسلية وتانيس لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما تضمن هذه
الاية ما ارسله له اتبعه ما جبل عليه الانسان بيانا لانه صلى الله عليه وسلم
لا حكم له على الطباع وان الذي عليه الاسماع لا السماع قال وانا اذا اذقنا

الانسان

الانسان المراد جنسه يعني المجرمين منا رحمة كصحة وغنى فرح بها اشر وبطر
وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم بسبب قبايحهم فان الانسان كفور بليغ
الكفران ينسى النعمة ويقنط لم يقل فانه كفور تسجيلا على ان هذا الجنس موسوم بالكفران
وهذا علة الجزاء اقيم مقامه والجزاء مثل فهي من عند انفسهم ولما فصل من اول
السورة ان التصرف والقدرة الكاملة لله وحده وان الانسان هو المرمي
من جملة الخلق وكل ما وصل اليهم من الرحمة فما هي الا من فضله وما وصل اليه من
السيئة فمن شوم انفسهم بين انهم مجبورون في اصل وجودهم وخلقتهم قال
لله ملك السموات والارض فيقسم الرحمة والسيئة كيف يشاء يخلق ما يشاء
يهب لمن يشاء اناثا وان كان هو لم يشاها ويهب لمن يشاء الذكور قدم
وهب الاناث على الذكور لان سياق الكلام في اطلاق مشية الله من غير
اختيار لغيره والغالب ان الاناث مما لم يشا الوالدان وايضا للمحافظة
على الفواصل وهي كفور وقدير ولهذا عرفه او قدمهن توصية برعايتهن سيما
وكن قريبات العهد بالواد او يزوجهم اى المولودين ذكرانا واناثا نصبهما على
انهما حال من المفعول فسر السلف الاية بوجهين احدهما انه يهب اناثا منفردات
لا توام او ذكورا منفردين لا توام والمراد من يزوجهم التوام اناثا باى وجه كان والثاني ان المراد من ان
يهب اناثا انه لا يعطيهم ذكرا قط ومن ان يهب الذكور ان لا يعطيهم قط بنتا ومن ان يزوجهم
ان يعطيهم بنين وبنات يعني النوعين باى وجه كان من طريق التوامية وغيرها
ويجعل من يشاء عقيما فلم يهب له ذكرا ولا انثى انه عليم قدير فيفعل ما يعلم صلاحه
ولما ذكر قدرته التامة اعقبه بالعظمة العظيمة وليست لاحد عظمة الا من عظمة الله
فقال وما كان ما صح لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الوحي الالهام والمنام او من
وراء حجاب بان يسمع كلام الله ولا يراه وهذا هو المراد من وراء حجاب او يرسل
رسولا ملكا فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذنه باذن الله ما يشاء
الله من الاحكام والقصص والمواعظ ونصب وحيا ويرسل على المصدر
فان الوحي والارسال نوعان من التكلم ويقدر قبل من وراء حجاب اسماعا
او منصوب بنزع الخافض فتقديره بان يوحي او يسمع من وراء حجاب
او يرسل وفي المعالم وغيره ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان
كنت نبيا تكلم الله وتنظر اليه كما كلمه موسى ونظر اليه فنزل قوله وما كان لبشر لعلم

ان ليست الرؤية في الدنيا والاية دلت على ان المكالمة لا تكون في حال
المشافهة والرؤية انه علي عن مماثلة خلقه حكيم فيفعل ما تقتضيه حكمته وكذلك
اوحينا اليك يا محمد بهذه الطرق الثلث روحا وحيا فان حيوة القلوب
بما اوحي اليه من القران وغيره من امرنا ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب
ولا الايمان على هذا التفصيل الذي علمته بعد الوحي وقوله ما كنت تدري جملة
حالية ولكن جعلناه الكتاب او الايمان نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
وانك لتهدي الى صراط مستقيم وان رب العالمين على صراط مستقيم صراط
الله بدل الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور فيحكم
فيهما بمقتضى عدله وفضله وذكر المضارع نحو الله يعطي ويمنع بلا مؤونة والحمد لله حق حمده

سورة الزخرف مكية قيل الا قوله واسئل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب المظهر طرق الهدى
فالمبين من الابانة بمعنى الاظهار او بالكتاب الظاهر الجلي فهو بمعنى الظهور
اللازم والواو اما للقسم وحينئذ يحتمل ان يكون حم ايضا قسما بحذف حرف
القسم وهو من نمط التعديد او للعطف على القسم وقوله انا جعلناه قرانا عربيا
جواب القسم يعني صيرناه عربيا بلغتكم لعلكم تعقلون اي تكونوا بحيث يرجى
منكم التعقل ولما كان اول من يطلب منهم تصديق القران هو قريش
والعرب قال ذلك وانه عطف على انا في ام الكتاب اللوح المحفوظ حال
لدينا بدل اي ثابتا عندنا لعلي حكيم ذو مكانة وشرف وحكمة بالغة خبران
افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين عن ابن عباس افنترك تذكيركم
وتخويفكم عفوا عنكم لانكم مسرفون تاركون لامرنا وهذا كما تقول احبك لان
كنت شتمتني وعلى هذا صفحا حال عن كم في عنكم او المراد نترك انزال القران
بالكلية لانكم مسرفون وان اسرافكم سبب لنزوله لا لتركه فصفحا جاز ان
يكون مصدرا من غير لفظه لان ترك الذكر وتنحيته اعراض واما قراءة ان بالكسر
فمن باب جعل المحقق منزلة المشكوك ابتناء على ان المخاطب كانه متردد
في ثبوت الشرط قصدا الى نسبته الى الجهل وكم ارسلنا من نبي في الاولين في
الامم السالفة وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن فاهلكنا اشد منهم من
القوم المسرفين وهم قريش بطشا قوة قيل مفعول فاهلكنا اشد المستهزئين

قيل الثلثة يعني في ام الكتاب ولدينا ولعلي حكيم خبر بعد خبر لان

من الاولين بطشا ومضى مثل الاولين وقد سلف في القران حالهم العجيبة
او معناه مضى عبرتهم لمن بعدهم وهذا تسلية ووعد لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ووعيد وتحذير لقريش واضرابهم ولئن سالتهم احتجاج على قريش
من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم بعد ما اثبتوا الله
بكمال قدرته وعزته وعلمه عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث جاء الجواب
مطابقا لمعنى السؤال لا للفظه والظاهر ان العزيز العليم نفس المحكي لانهم
قالوا خلقهن الله وجعل الله مكان لفظ الله العزيز العليم لان الله متصف
بهما ولابد في خلق السموات والارض من هاتين الصفتين الذي جعل هذا قول
الله من غير حكاية وصفا منه لذاته على سياق واحد وهذا كما تقول لمن قال لك
ادبني زيد فتقول الذي اكرمك واعطاك ورباك تصل كلامك بكلامه على انه
من تتمته لكن لا تجعله من كلامه لكم الارض مهدا تبيتون فيها وجعل لكم فيها
سبلا من بلد الى بلد وما جعل الجبال الشوامخ متصلات بعضها ببعض لعلكم
تهتدون الى كمال حكمته وعنايته فتؤمنون او لعلكم تهتدون الى مقاصدكم من
بلد الى آخر والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار معلوم فانشرنا احيينا
فيه التفات من الغيبة الى التكلم به بلدة ميتا لا نبات فيه البلدة بمعنى المكان
ولهذا ذكر صفته كذلك تخرجون عند البعث من قبوركم وفي الحديث انه ينزل
حينئذ مطر كمني الرجال فيحيي به من كان ذا حيوة والذي خلق الازواج الاصناف
كلها قيل كل ما سوى الله فهو زوج كفوق وتحت ويمين وشمال وقدام وخلف
وذوات وصفات صيف وشتاء ربيع وخريف غيم وصحو وجعل لكم من
الفلك والانعام ما تركبون اي تركبونه يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة
اذا ركب في الفلك فمن حقه ان يقال ما تركبون فيه فغلب المتعدي بغير واسطة
على المتعدي بواسطة اي غلب احد اعتباري الفعل لتستووا على ظهوره ظهور
ما تركبونه راعي معنى ما حيث جمع الظهور وراعي اللفظ حيث اضاف الظهور
الى الضمير المفرد ثم تذكروا بقلبكم نعمة ربكم في تسخير البحر والانعام اذا استويتم
عليه وتقولوا بلسانكم سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين
لتسخيره وانا الى ربنا لمنقلبون منصرفون راجعون بذكر الموت لان السفن مظنة
الغرق والانعام مظنة العثور وبتذكر ركوب النفس البدن وسير العمر وعن طاوس

فانه اذا اجاب العزيز الحكيم دون خلقهن يكون المطابقة لفظه ومعنويه

من الاولين

يتذكر انقلابه في آخر عمره على مركب الجنازة الى الله وجعلوا له من عباده
جزءا يعني بعد ما اعترفوا بان الخالق هو الله جعلوا له ولدا والولد بضعة
وجزء لوالده فانهم قالوا الملائكة بنات الله الاولى ان الواو للحال من فاعل
ليقولن بتقدير قد وجميع الفواصل غير اجنبي قيل معناه جعلوا جزءا من
عباده لله فانهم قالوا بعض الانعام لله وبعضها لطواغيتهم كما قال الله هذا
لله بزعمهم وهذا لشركائنا ان الانسان جنسه لكفور مبين ظاهر الكفران ام
اتخذ مما يخلق بنات اي بل اتخذ ربكم من مخلوقاته لنفسه البنات وفي قوله
مما يخلق تنبيه على استحالة ان يكون له ولد ذكرا كان او انثى والهمزة للانكار والتعجب
من عدم اكتفائهم بنسبة الولد حتى نسبوا اليه الجزء الاخس واصفيكم اخلصكم
بالبنين واذا بشر الواو للحال احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بالجنس الذي
جعله لله شبها فان الولد شبه الوالد فضرب بمعنى جعل المتعدي الى مفعولين
حذف مفعوله الاول ظل وجهه مسودا وهو كظيم مملوء من الغم يعني نسبوا اليه هذا
الجنس ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت تعبس واغتم
او من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين يعني اتنسبون له من هو ناقص
الظاهر يستكمل نقصه بالحلي والباطن لا يقدر على ايراد الحجة على من يخاصمه
وتقديره او اتخذ من ينشؤ عطف على ام اتخذ والهمزة بين المعطوفين لمزيد
الانكار وفي الخصام متعلق بمبين لان غير في معنى النفي فجاز تقديمه عليه قيل
من مبتدأ خبره محذوف اي من هذا حاله ولده او عطف على ما في مما يخلق بنات
وجعلوا اي صيروا في اعتقادهم الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فهذا كفر آخر
منهم اشهدوا احضروا خلقهم خلق الله اياهم فشاهدوا انهم اناث ستكتب
شهادتهم على الملائكة ويسألون عنها يوم القيمة قيل سألهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما يدريكم انهم اناث فقالوا سمعنا ذلك من آبائنا ونحن نشهد
بصدقهم فانزل الله ستكتب شهادتهم ويسألون وقالوا لو شاء الرحمن
ان لا نعبد الملائكة ما عبدناهم ارادوا ان كفرهم بمشيئة الله فلا يكون منكرا
منهيا عنه بل مأمورا به فرأيهم عين رأي المعتزلة في ان كل مأمور به مراد وكل منهي
عنه غير مراد وانكروا ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن واولوه بما لم يرض به
الله ورسوله ومن له رتبة في العلم ولم يفرقوا بين الارادة والرضا وقد بينا

فان كل ما هو راض به يأمر عباده
بذلك — سنتهم

الفرق

الفرق شافيا في سورة الزمر ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يعني
انهم جاهلون كاذبون في ان كل ما يكون بمشيئته يكونون مصيبين في استصوابه
معذورين في ارتكابه ام آتيناهم كتابا من قبله قبل القرآن بان يعبدوا غير
الله وينسبوا اليه الولد ويقولوا هو راض عنا فهم به مستمسكون نسبهم الى
الكذب اولا ثم اضرب عنه الى انكار سندهم من جهة النقل وان جعلت
ام معادلة لقوله اشهدوا خلقهم لكان وجها غير بعيد بل قالوا انا وجدنا
آباءنا على امة دين وانا على آثارهم مهتدون جعلوا من جهلهم تقليد جهلتهم الذين
اهتداء وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير من مزيدة لشمول محله
النصب بانه مفعول ارسلنا الا قال مترفوها متنعموها انا وجدنا آباءنا على
امة طريقة متداولة وانا على آثارهم مقتدون فهذه سنتهم القديمة ليست
مخصوصة بامتك قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اي اتتبعون
آباءكم على اي حال ولو جئتكم بدين اهدى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا
منهم بانواع مختلفة من المصائب والنوائب فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين فانها بيان من منازلهم ومسطورة في قصصهم ومذكورة في لسان
سلفهم ثم اعلم ان قوله قل اولو جئتكم حكاية امر ماض من الله الى كل واحد من
نذير اوحي الى نبينا ويؤيده ذلك قراءة قال لكن فسر اكثر المفسرين على خلاف
ذلك وقالوا قل يا محمد اتتبعون آباءكم ولو جئتكم باهدى واجابوا محمدا بعد
ما ادى الرسالة بقولهم انا كافرون بما ارسلتم به اي انت والرسل قبلك غلب
الخطاب على الغيبة وقوله فانتقمنا منهم يعني من الامم المكذبة بهذا التفسير هم
ولا يخفى بعده ولما ذكر تقليد هولاء آباءهم اعقبه حكاية ابرهيم مع ابيه وقومه
فانهم اجابوه بمثل ما اجاب هولاء فقال واذ قال اي اذكره ابرهيم لابيه
انني براء مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث مما تعبدون
الا الذي فطرني اشار الى ان المعبود لا يكون الا خالقه فانه سيهدين الاستثناء
منقطع وجاز اتصاله فانهم معترفون بان الله هو الاله خالق الارض والسماء
والاصنام شفعاء وذكر ما لتغليب غير ذوي العقول فان اكثر معبودهم احجار
والاولى ان يكون ما بعد الا منصوبا على الاستثناء لانه في كلام موجب وجاز
ان يكون مجرورا بدلا من ما تعبدون فان الكلام في معنى النفي نحو ويأبى الله الا

ثم عندنا ص

ان يتم نوره ونحوه وانها لكبيرة الا على الخاشعين فان يابى في معنى لا يفعل وانها
لكبيرة في معنى لا يسهل هكذا حققه المحققون والاظهر ان السين لمجرد التاكيد
والمضارع للاستمرار وجعلها ضمير الفاعل لله او لابرهيم وضمير المفعول للكلمة
التوحيد الدال عليه الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته لا يزال فيهم من
يوحد الله لعلهم يرجعون اي لعل من اشرك منهم يرجع الى التوحيد بدعوة من
وحد فيهم بل متعت هولاء اي قريشا فانهم من عقب ابرهيم واباءهم في الدنيا
فاغتروا بها حتى جاءهم الحق القران ورسول مبين ظاهر رسالته يعني اشتغلوا
عن التوحيد حتى جاءهم الحق لينبهوا عن غفلتهم ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر
وانا به كافرون يعني لما جاءهم الحق جاءوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وقالوا
لولا اي هلا نزل هذا القران على رجل من احدى القريتين مكة والطائف
عظيم بالجاه والمال صفة رجل قيل ارادوا من مكة وليد بن المغيرة ومن الطائف
عروة بن مسعود الثقفي فانهما من الاعاظم لا تليق النبوة الا بهما بزعمهم طعنوا
في الحق بانه سحر وفي رسول مبين بانه لا يليق بالنبوة اهم يقسمون رحمة ربك
اي ليس الامر مردودا اليهم بل الله يعلم حيث يجعل رسالته نزلها على ازكى
الخلق قلبا ونفسا واشرفهم واطهرهم بيتا واصلا والمال والجاه ليسا شيئا
عند الله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا فجعلنا بعضا غنيا وبعضا
فقيرا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات بالمال ودرجات تمييز ليتخذ
بعضهم بعضا سخريا ليسخر الاغنياء الفقراء باموالهم ويستخدموهم فينتظم العالم
ورب ان يخدم الدواب وليس هذا من شرف في الغني ونقص في الفقير
ورحمة ربك بخلقه بان يهديهم ويحسن عاقبتهم خير مما يجمعون من حطام الدنيا
وكثيرا ترى المال وبالا وفي لفظ مما يجمعون تحقير للمال ولولا ان يكون الناس امة
واحدة على طبيعة واحدة اي حب المال والجاه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم بدل اشتمال من لمن يكفر ولامها للتخصيص سقفا من فضة قيل لبيوتهم
متعلق بسقفا ومعارج سلالم ومصاعد من الفضة عليها يظهرون يعلون
السطوح لحقارة الدنيا فيغتروا بها اكثر مما اغتروا ولبيوتهم ابوابا وسررا
من فضة عليها على السرر يتكئون وزخرفا ذهبا عطف على محل من فضة يعني
بعضها من فضة وبعضها من ذهب والزخرف الزينة فعطف على سقفا وحاصله

لو جعل

لو جعلت للكفر هذا الغنى ربما اجتمع جميع الخلق على الكفر لرغبتهم في الدنيا وما
اردنا ذلك فيفتقر بعض الكفرة من سوابق عنايتنا على المؤمنين والا فموضع
مال الدنيا ايادي اهالي الشقاوة وسقفهم وسلالمهم وابوابهم وسررهم وفي
الترمذي وقد صححه لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها
كافرا شربة ماء ابدا وان كل ذلك ان نافية لما متاع الحيوة الدنيا وحيوة
الدنيا زائلة فانية ولما بمعنى الا ومن قرا لما بالتخفيف فان مخففة واللام هي
الفارقة وما زائدة ومتاع خبر كل والجملة خبر ان والاخرة الباقية عند
ربك للمتقين خاصة لمن هو موصوف بالتقوى عند الله وفي علمه وحاصل
عند الله لهم فعلى هذا عنده متعلق بما يتعلق به للمتقين ومن يعش يعرض
عن ذكر الرحمن نقيض له نسبب ونسلط له شيطانا يصده عن الهدى ويزين
له الردى فهو له قرين لا يفارقه وانهم اي من يعش وجمع الضمير باعتبار معنى من
ليصدونهم ضمير الفاعل للشياطين والمراد من شيطانا الجنس عن السبيل
عن طريق الحق وجاز ان يكون ضمير انهم للشياطين ويحسبون اي الكفرة
انهم اي انفسهم مهتدون حتى اذا جاءنا افرد ضمير الفاعل باعتبار لفظ من
قال للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين روي انهما يجعلان يوم
البعث في سلسلة فلا يفترقان الى النار فبئس القرين انت والمراد بعد المشرق
من المغرب فغلب واضاف البعد اليهما بعد التثنية وقيل المراد مشرق
الشتاء ومشرق الصيف وقيل انه من اللف واصله بعد المشرق من
المغرب وبعد المغرب من المشرق ثم لفه نحو وقالوا لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى ولن ينفعكم اليوم هذا قول الله او قول الملك لهم
اذ ظلمتم اي لن ينفعكم تمني البعد اذ ظلمتم انفسكم في الدنيا بمتابعة الشياطين
انكم في العذاب مشتركون لانكم مشتركون في العذاب ففاعل ينفعكم ضمير
يرجع الى التمني المستفاد من يا ليت وقراءة انكم بكسر الهمزة تؤيد هذا المعنى
او معناه ولا ينفعكم اشتراككم واجتماعكم في العذاب لان لكل نصيبه
لانكم ظلمتم انفسكم وعلى هذا اذ ظلمتم علة سلبت عنه معنى الظرفية وانكم فاعل
ينفع او اذ ظلمتم لتحقق الوقوع والمعنى على الاستقبال نحو ولو ترى اذ وقفوا
فجاز ان يكون بدلا من اليوم والمراد اذ تبين ظلمكم انفسكم في الدنيا فانت

تسمع الصم همزة انكار فانه صلى الله عليه وسلم تتعب نفسه في اهدائهم او
تهدي العمي حتى يتوجه نفسه كل مقصد يريده ومن كان في ضلال مبين
عطف على العمي يعني ليس هذا في وسعك والقادر على ذلك هو الله وحده
فاما نذهبن بك فان نقبضنك قبل ان نعذبهم ما زائدة للتاكيد بمنزلة لام
القسم في استجلاب نون التاكيد فانا منهم منتقمون بعد موتك او نرينك
ان اردنا ان نريك الذي وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون
هم في قبضتنا ولما ردده بين حيوته وموته صلى الله عليه وسلم امره بالاشتغال
بشغله فقال فاستمسك بالذي اوحي اليك من الشرائع انك على صراط
مستقيم وصاحب الصراط المستقيم متمسك باوامره ونهيه وانه الذي
اوحي اليك لذكر لشرف او لتذكير لك ولقومك فانه انزل بلغتهم ينبغي
ان يكونوا اقوم الخلق وسوف تسألون عن حقه واسأل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا المراد السؤال عن اممهم وفي قراءة ابن مسعود واسأل
الذين ارسلنا اليهم قبلك رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
ما جاءتهم الرسل الا بالتوحيد والمراد من السؤال التقرير لمشركي قريش
انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله هذا قول اكثر السلف ومن
في موضع نصب باسأل بعد اسقاط الخافض والجملة الاستفهامية بالهمزة
في موضع المفعول بغير واسطة ولما قال قريش لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم اي في المال والجاه اعقبه حكاية موسى مع فرعون
ليعلم ان فرعون حين قال أليس لي ملك مصر الآية قد وبخهم في ذلك وموسى
ما امر الا بالتوحيد فقال ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه
فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا يعني حين قال اني رسول
رب العالمين طالبوه بما يدل على صحة دعواه فلما جاء بآياتنا التي فيها دلالة
بينة على صحة دعواه اذا هم منها يضحكون لم يتأملوا بل بنفس ما رأوا ضحكوا
سخرية واستهزاء والعامل في اذا خبر المبتدأ الذي هو يضحكون عند من ذهب
الى انها ظرف وما نريهم من آية من مزيدة للشمول وآية ثاني مفعولي نريهم
الا هي اكبر من اختها اي صاحبتها التي كانت قبلها ولا يكون ذلك الحكم في
الآية الاولى لانه لم يسبقها شيء يقال هذه الدرة اخت هذه واخذناهم

بالعذاب

بالعذاب كالجراد لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عن الكفر وقالوا يا ايها
الساحر اي العالم الكامل والسحر عندهم فضيلة لا نقيصة او سبق لسانهم
الى ما تعودوا به لفرط حيرتهم ادع لنا ربك يكشف العذاب عنا بما عهد
عندك بسبب عهده عندك ان يجيب دعوتك او بحق ما عندك من
عهد الله اراد النبوة اننا لمهتدون ان كشف عنا عذابنا فلما كشفنا
عنهم العذاب اذا هم ينكثون فجاءة من غير تمكث وتأمل وهذه القصة
مذكورة في سورة الاعراف بغير تلك الصورة فيحتمل ان الله تعالى حكى كلامهم
بحسب المعنى ويحتمل ان يكون هذا الكلام لبعض وذاك كلام بعض آخر ونادى فرعون
في قومه يعني امر بالنداء او نادى هو بنفسه في مجمع عظماء قومه لما رأى اجابة الله
دعوة موسى في رفع العذاب وخاف ميل القلوب اليه قال يا قوم أليس لي
ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل عطف على ملك مصر تجري من تحتي تحت قصري
جملة حالية او خبر لهذه الانهار والواو ليست للعطف بل للحال والانهار صفة
او عطف بيان افلا تبصرون عظمتي وقدرتي وعجز موسى ومن النيل تتشعب انهار
اعظمها نهر الملك ونهر طولون ام انا خير ام منقطعة والهمزة فيها للتقرير والتحقيق
من هذا اشارة تحقير الذي هو مهين حقير في اعين الخلق ولا يكاد يبين يعرب
عما في ضميره لما في لسانه من العقدة فلولا فهلا ألقي عليه اي القى ربه عليه اسورة
من ذهب * وذلك علامة لسيادته او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يصدقونه
او متتابعين يشهدون له مرة بعد اخرى فاستخف فرعون قومه حملهم على الخفة
والجهل فاطاعوه لجهلهم انهم كانوا قوما فاسقين فاطاعوا فاسقا مثلهم فلما
آسفونا اغضبونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا متقدمين
ليتعظ المتأخرون او قدوة ومثلا قصة عجيبة للآخرين كانه المثل السائر ولما
ذكر طرفا من قصة موسى اعقبه طرفا من قصة عيسى وقدم من امره ما يتعلق بقريش
فقال ولما ضرب ابن مريم مثلا يعني لما ضرب ضارب منهم ابن مريم حجة سائرة
لآلهتهم اذا قومك منه يصدون من ضرب المثل يضجون يرفعون اصواتهم سرورا
وفرحا بانا غلبنا المسلمين واسكتنا محمدا وذلك انه لما نزل انكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم جادل ابن الزبعرى وقال رضينا ان آلهتنا مع عيسى فهذا
مثلهم ومقتبسهم في بيان ابطال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم

* ان كان كما يدعي سيدا مطاعا فان عادتهم اذا سودوا شخصا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب صح

وفرح قريش بانا اسكتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلام يصد ويصد
بكسر وضم لغتان وفي القاموس صد يصد ويصد ضج وجاز ان يكون بالضم
بمعنى الاعراض اي لاجل هذا المثل يعرضون عن الحق وقالوا الهتنا يعني الاصنام
خير عندك ام هو اي عيسى ولا شك ان عيسى عندك خير من الهتنا وان كان
عيسى حصب جهنم فليكن الهتنا كذلك ما ضربوه اي المثل لك الا جدلا
لاجل الجدال لا لاظهار الحق فانه معلوم لكل من له فهم ان المراد مما تعبدون
الاصنام سيما اذا جعل ما لغير ذوي العقول على ما هو المتبادر الى الفهم
عند الاطلاق بل هم قوم خصمون فهذا رد الله عليهم اجمالا وتفصيله عند
قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون هذا هو الاصح
نقلا ومناسبة في بيان مثلهم ان هو ما عيسى الا عبد انعمنا عليه بالنبوة
وجعلناه مثلا امرا وقصة عجيبة لبني اسرائيل فكيف يكون حصب جهنم
ولو نشاء لجعلنا منكم اي بدلكم بحوار رضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة اي
بدلها ملئكة في الارض يخلفون يخلفونكم بعبد ونبي فالملئكة لا يستحقون
الالوهية فباي وجه تعبدونهم وتاخذونهم الهة قيل المراد لو نشاء لولدنا
الملئكة منكم كما ولدنا عيسى من غير فحل لتعرفوا ان الملئكة اجسام مثلكم
وانه اي عيسى لعلم للساعة اي علامتها فان نزوله من اشراط الساعة قيل
ما قدرناه عليه من احياء الموتى كفى دليلا على علم الساعة فلا تمترن بها لا تشكن
في الساعة وانها آتية لا ريب فيها واتبعون اي قل لهم يا محمد اتبعوني هذا صراط
مستقيم اتباعي صراط لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن اتباع محمد
انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم
بالحكمة بالنبوة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه اي بعض ما انتم تختلفون
فيه من احكام التورية اللام متعلق بجئتكم المقدر فهو من عطف الجملة على الجملة
اي جئتكم بالحكمة وجئتكم لابين او تقدير جئتكم بالحكمة لمصالحكم ولابين فاتقوا
الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه ووحدوه بالعبادة هذا صراط
مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم من بين قومه الذي ارسل اليه فمنهم
من يقر بانه عبد الله ورسوله ومنهم من يدعي انه ولد الله او هو الله ومنهم
من يدعي انه كذاب فويل للذين ظلموا منهم اي المراد كل ظالم وهولاء ادخل فيه

قيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قال
قريش ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وهذا
معنى ما ضربوه لك الا جدلا وضمير هو في قوله
آالهتنا خير ام هو لمحمد وغرضهم الموازنة بينه
وبين الهتهم بالاستهزاء ومعنى يصدون يضجون
هذا وانت تعلم ان هذا التوجيه بعيد لفظيا
ومعنويا ولهذا اعرضنا عنه منه

من عذاب

من عذاب يوم اليم ذي الم هذا العذاب وفيه مبالغة بليغة هل ينظرون الضمير
لقريش الا الساعة ان تاتيهم بدل من الساعة اي لا ينتظرون الا اتيان الساعة
فانهم لا يومنون اصلا وان ظهر دليل وجوب الايمان والساعة لا محالة
تاتيهم فكانهم ينتظرونها بغتة فجاءة مفعول مطلق لتاتي وهم لا يشعرون لاشتغالهم
وانهماكهم في دنياهم ومجيء الساعة فجاءة ربما يكون مع الشعور به وربما يكون
مع الغفلة الاخلاء يومئذ اي يوم اذ تاتيهم الساعة بغتة بعضهم لبعض
عدو يومئذ ظرف عدو ولا مانع الا المتقين فان محبة هذه الجنسية تبقى
يا عباد حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون جدا فانكم فان لكم ما سالتم الذين منصوب على المدح امنوا باياتنا
وكانوا مسلمين منقادين في الدنيا ادخلوا الجنة انتم وازواجكم اي المومنات
منهن تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم يطاف عليهم
بصحاف جمع صحفة يعني مملوة من طعام الجنة من ذهب واكواب
جمع كوب وهو كوز لا عروة له والظاهر ان الاكواب من نوع اخر غير
الذهب وفيها في الجنة ما تشتهيه الانفس داخل فيه جميع المستلذات
وتلذ الاعين بمشاهدته وهذا من التخصيص بعد التعميم لمزيد استلذاذها من
بين المحسوسات وانتم فيها خالدون وهذا من اتم النعم وتلك الجنة الموصوفة
بالصفات المذكورة الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون جاز فيها وجوه
من الاعراب احدها ان تلك الجنة مبتدا وخبره التي اورثتموها
صفة وما متعلق به وثانيها ان الجنة بدل والتي اورثتموها الخبر وعليك
باستخراج الباقي لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون لا يزال بعضها باقيا
على الشجر فلا يرى شجر من غير ثمر ان المجرمين في عذاب جهنم الظرف خبر ان
خالدون خبر بعد خبر او هو الخبر وفي ظرف له لا يفتر لا يخفف ولا ينقص
العذاب عنهم وهم فيه في العذاب مبلسون ساكتون سكوت ياس
وما ظلمناهم فانا اخبرناهم بلسان رسلنا ان من اشرك ومات فيه فهذا
جزاؤه ولكن كانوا هم الظالمين لانهم اختاروا الشرك ونادوا اي
المجرمون يا مالك خازن جهنم ليقض لام الطلب علينا ربك من قضى
عليه اذا اماته وهو تمني للموت لفرط شدتهم وحيرتهم وان علموا ان لا موت

وهذا الطلب قبيل ابلاسهم من قبل ان يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
قال انكم ماكثون فيه استهزاء لان المكث مشعر بالانقطاع ولا انقطاع
لقد جئناكم بالحق جواب من الله بعد جواب الملك ولكن اكثركم للحق
كارهون عن بعض السلف انهم يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين عاما
ثم يرد عليهم انكم ماكثون ثم يدعون الله بقولهم ربنا غلبت علينا شقوتنا
الايات فسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم اجابهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
فوالله لا يسمع منهم الا زفير وشهيق كالحمير قال ولكن اكثركم فان بعضهم كافر
بالتبع وبعضهم همج لا يعرف الحق والباطل ام ابرموا امرا ام منقطعة
والضمير لقريش اي بل احكموا امرا من كيدهم للرسول فانا مبرمون كيدنا
في دفعهم ومجازاتهم ام يحسبون ام متصلة انا لا نسمع سرهم ما يخفون
في صدورهم ونجويهم ما تكلموا بينهم بلى نسمعها ورسلنا لديهم يكتبون ذلك
المراد من رسلنا الحفظة ولديهم متعلق بيكتبون قدم رعاية للفواصل ولما
قدم في اول السورة تكذيبهم في ادعائهم ولدا وهددهم بقوله ستكتب شهادتهم
ويسئلون علم نبيه جوابهم وردهم فقال قل ان كان للرحمن ولد كما زعمون
وتكفرون بذلك فانا اول العابدين للولد وهذا من باب فرض محال
فانه جعل ثبوت الولد ملزوما لامر محال في اعتقاده وهو عبادته للولد لكن
اللازم منتف فكذا الملزوم والغرض نفي الولد على ابلغ وجه او معناه
فانا اول الانفين من ان يكون له ولد المنكرين لما قلتم كما رواه البخاري
عن سفيان الثوري يقال عبد بالكسر يعبد بالفتح اذا اشتد انفه وقيل
معناه ان كان له ولد فانا اول العابدين الموحدين لله تعالى وعبادته
بان ندفع عنه الولد ثم انظر الى الزمخشري الجري الحري بالسب كيف الحد
بالمقال وقام في هذا المقام باختراع المثال وافحم خطبا خطيرا لم يسبقه
احد من الفجرة ولم يخف ان يسقط عليه كسف من السماء او ان ينشق به الارض
وانا اتحاشى ان اذكر لفظه ورفضه عن الدين وان لم يداركه عفو الله
فالويل ثم الويل عليه سبحان رب السموات والارض رب العرش
عما يصفون من كونه ذا ولد فذرهم يخوضوا في الباطل ويلعبوا بايام حيوتهم
حتى يلاقوا يومهم الذي فيه عصابهم الذي يوعدون وهو القيمة وهو الذي في السماء

اله وفي الارض اله تقديره هو اله وهو ضمير يرجع الى الذي فلا يبقى الصلة
بلا عائد وسبب الحذف انه لو ظهر لكان كالتكرار المستثقل والمعنى عند
الحذف ظاهر وفي متعلق باله لما فيه من معنى الوصفية وخص في العرف بالمعبود
بالحق وان كان اسما للمعبود مطلقا ولهذا صح لا اله الا الله مع كثرة المعبودات
الباطلة وهو الحكيم في التدابير العليم بكل شيء ومن كان هو الاها فيهما فلا يحتاج
الى ولد وتبارك اي ثبت ثباتا لا يشبهه ثبات مع اليمن والبركة الذي له ملك
السموات والارض وما بينهما وعنده لا عند غيره علم الساعة انها متى
تقوم واليه ترجعون للجزاء وفي قراءة التاء المنقطة من فوق التفات للتهديد
ولا يملك الذين يدعون من دونه يعني الهتهم الشفاعة كما زعموا الا من شهد
بالحق بالتوحيد وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به ولا يكونون منافقين والاستثناء
متصل اي لا يملك الشفاعة احد من المعبودين الا الموحدين منهم كالملئكة
وعيسى فان لهم الشفاعة باذنه لمن ارتضى لا للكفرة او منقطع ان خص الذين بالاصنام
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون يصرفون من عبادته الى عبادة
غيره وقيله الضمير عائد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصبه بالمصدر اي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيله يعني شكا الى ربه شكواه او منصوب بانه
مفعول به على تقدير فعل اي ويعلم قيله كانه قال ويعلم الساعة وقيله واما قراءة
الجر فهو عطف على الساعة اي عنده علم قيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
لكثرة عنادهم فاصفح عنهم امر من الله بالاعراض عنهم وعدم المجادلة لعدم النفع
وهم لجهلهم يخاطبونك بالسيء من القول وقل سلام هذا اسمي سلام متاركة وليس
حقيقة هذا الكلام الامر بالسلام فسوف يعلمون غب اعمالهم فيه تهديد اكيد
ومن قرأ بالتاء فهو ايضا من مقول قل والحمد لله رب العالمين

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب ايها سبع او تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا انزلناه اي الكتاب المبين
وقد مر في سورة زخرف في ليلة مباركة انزل في ليلة القدر جملة واحدة
من اللوح الى بيت العزة من السماء الدنيا ثم انزل مفصلا بحسب الوقايع وعن
بعض هي ليلة النصف من شعبان انا كنا منذرين محذرين بانزال الكتاب
جملة مستانفة تبين فائدة الانزال فيها في تلك الليلة يفرق يفصل ويثبت

ذكر فيه وجوه اخر اعرضنا عنها لبعده وما ذكرناه اقرب
منه

كل امر حكيم محكم من الارزاق والاجال وجميع امر العباد الى السنة الآتية
قال الله تنزل الملئكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر امرا من عندنا
نصب على الاختصاص اى اعني به امرا حاصلا من عندنا او حال من كل
او من ضمير حكيم انا كنا مرسلين الى الناس يتلو عليهم اياتنا بدل من انا
كنا منذرين رحمة من ربك مفعول له والعامل فيه مرسلين يعني انزلنا
القران لان من شاننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم
انه هو السميع العليم للاقوال والاحوال والرب لابد ان يكون كذلك رب
السموات بدل من ربك وقراءة الرفع بتقدير هو رب والارض
وما بينهما ان كنتم موقنين المعنى ان هذا الرب الذي ارسل الرسل وانزل
الكتب رحمة منه هو ذلك السميع العليم الذي اعترفتم بانه خالق السموات
والارض من العدم ان كان اعترافكم عن ايقان لكن يظهر من حالكم عدم الايقان
فلذا لا يقع التصديق بان ارسال الرسل رحمة منه او معناه ان كنتم مريدين
اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب اباءكم الاولين
بل هم في شك يلعبون فاين لهم الايقان فارتقب انتظر لهم يوم مفعول به
لارتقب تاتي السماء بدخان مبين هو الدخان الموعود الذي هو من علامة
قرب القيامة البين الواضح الذي يراه كل احد قاله ابن عباس وكثير من
الصحابة والتابعين وفيه صحاح الاحاديث وهو انها يغشى الناس
يحيط بهم اما المومن فيصيبه كالزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من
منخريه واذنيه ودبره هذا عذاب اليم من قول الكفار الى قوله انا مومنون
يعني قائلين هذا عذاب اليم فالجملة مفعول لحال ربنا اكشف عنا العذاب
انا مومنون وعد منهم بالايمان ان كشف عنهم كانه قيل ان يكشف فانا
مومنون انى لهم الذكرى من اين لهم التذكر والانابة وقد جاءهم رسول
مبين ثم تولوا عنه ولم يومنوا وقالوا معلم مجنون قالوا يعلمه غلام يهودي
وله نوع خبط في عقله فانه يتكلم بما لم يسمعه احد قيل قال بعضهم في شانه معلم
وبعض آخر انه مجنون والاول اولى يعني لا ياتي منهم التذكر بهذا السبب
فانه قد جاءهم من اسباب التذكر ما هو اعلى من هذا وما التفتوا اليه بل
ازدادوا كفرا انا كاشفوا العذاب قليلا زمانا قليلا يكشف الله الدخان

قيل علة ليفرق بحذف اللام وحينئذ رحمة
مفعول به يعني تفصل في هذه الليلة كل امر
لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفضل كل
امر من باب الرحمة

ق

قيل ارتدوا بعد اربعين يوما انكم عائدون فيما انتم فيه من ظهور العناد والعداوة
بالمجاهرة يوم نبطش البطشة البطش السطوة البطشة الكبرى المراد يوم القيمة
على ما فسرنا انا منتقمون منهم والعامل في يوم فعل دل عليه انا منتقمون لان
ان مانع من العمل في ما قبله هذا وعن ابن مسعود وغيره من علم علما فليقل به
ومن لم يعلم فليقل الله اعلم وساحدثكم ان قريشا لما استعصوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر
واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعظام
وكانوا يرون بين السماء والارض الدخان حتى ان الرجل يحدث الرجل
فيسمع صوته ولا يرى المتكلم من الدخان فمشى ابو سفين ونفر معه فناشدوه
الله والرحم وواعدوه بالايمان بعد كشف العذاب فلما كشف عنهم بدعائه
صلى الله عليه وسلم رجعوا الى حالهم فرحمهم النبي وارسل اليهم صدقة ومالا
وانزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون والمراد يوم بدر
والسورة اذا كانت مكية ففي تلك الحكاية اخبار عما سيقع ولما ذكر ذلك
اعقبه بما هو كالمثال لقريش فقال ولقد فتنا قبلهم قبل قريش قوم
فرعون وجاءهم رسول كريم على الله ان ادوا الي ان مفسرة الى عباد
الله بني اسرائيل ارسلوهم معي ولا تعذبوهم اني لكم رسول امين على وحي
الله وان لا تعلوا لا تتكبروا على الله بترك طاعته اني اتيكم بسلطان مبين
حجة ظاهرة على صدقي واني عذت بربي وربكم صرح بان ليس لهم رب
الا رب موسى ان ترجمون تقتلوني كانوا قد توعدوه بالقتل وان لم تومنوا
لي فاعتزلون كونوا بمعزل مني لا تتعرضوا الى بسوء فدعا ربه بعد ما كذبوه
شاكيا ان هؤلاء اي بان هؤلاء قوم مجرمون وجرائمهم يوجب ابقاهم
على جهلهم فانتقم منهم فاسر بعبادي هذا قول الله ولا يجب ان يكون الفاء
جواب شرط محذوف ليلا قبل الصبح والاسراء لا يكون الا في الليل
فقوله ليلا اشارة الى ان الاسراء ينبغي ان يكون في غير قرب الصبح
انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنده واترك البحر رهوا اي اتركه حين
قطعته وعبرت ساكنا كهيئته ولا تامره بان يرجع الى ما كان فيصير حائلا
بينكم وبين فرعون انهم جند مغرقون واغرقهم بان يتبعوكم حين يرونكم في البحر

فان تلك المصائب على قريش لم تقع
ورسول الله بين اظهرهم

كما في الكشاف لاحتمال تقدير فقال اسر

كم تركوا تركوا كثيرا من جنات بساتين وعيون وزروع ومقام كريم
بيوت مزخرفة عزيز عندهم في مصر وقراه ونعمة بفتح النون غضارة العيش
ولذاذة الحيوة كانوا فيها فاكهين متنعمين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم
منها واورثناها عطف على الفعل المقدر قوما اخرين هم بنوا اسرائيل
وفي سورة الشعرآء كذلك واورثناها بني اسرائيل فلا تعتمد ولا تعتبر على
ما في التواريخ ان بني اسرائيل ما رجعوا الى مصر ابدا ولا ملكوها قط فالكذب
في التواريخ ليس بعزيز فما بكت عليهم السمآء والارض كانه وقعت
عليهم واقعة تقتضي بكآء العالم عليهم لكنهم لسوء فعالهم ما بكى عليهم شئ
فهذا مجاز عن عدم الاكتراث والمبالات بهلاكهم قالت العرب في
موت عظيم اظلمت له الشمس وبكته الرياح والمنقول ان لكل مومن بابا
في السمآء ينزل منه رزقه ويصعد فيه عمله فاذا مات اغلق بابه وبكا عليه
وكذا اذا فقد الارض مصلاه بكت عليه الارض وليس يهبط عمل صالح فما
بكت وعن جماعة من السلف ان بكاء الباب المذكور لكل مسلم
واما بكاء السماء مطلقا فما كانت منذ كانت الدنيا الا على اثنين يحيى
ابن زكريا وحسين بن علي عليهما سلام الله لما قتلا احمرت السمآء
وبكت من اقطارها قيل المعنى ما بكى عليهم اهل السمآء والارض وما كانوا
منظرين ممهلين لتوبة وافاقة ولقد نجينا بني اسرائيل باهلاكهم من العذاب
المهين قتل الابناء واستخدام النساء من فرعون بدل من العذاب المهين
جعل فرعون نفسه هو العذاب مبالغة وقيل حال من ضمير المهين
انه كان عاليا من المسرفين في الشرارة وهو حال من ضمير عاليا اي
كبيرا فائقا او خبر بعد خبر ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل على علم حال
من فاعل اخترنا اي عالمين بانهم احقآء وقيل من مفعوله اي على فضل
وعلم فيهم على العالمين عالمي زمانهم واتيناهم من الايات على يدي موسى
ما فيه بلاء اختبار ونعمة مبين ان هولاء اشارة الى قريش والحكاية فيهم
وحكاية موسى وفرعون لتذكيرهم ليقولون ان هي اي ما نهاية الامر الا موتتنا
الاولى التي بعد حيوة الدنيا يعني ليس بعدها الا الفناء المحض ولهذا حصرها
بقولهم وما نحن بمنشرين من قبورنا غرضهم نفي البعث فأتوا باباءنا

الذي اخترنا في تفسيره هو الاول بل
هو الوجه فانظروا نصف منه

ان كنتم

ان كنتم صادقين ان صدقتم انه يمكن النشور بعد الموت فاسئلوا لكم
احياء من مات من ابائنا حتى نرى صدق ما تقولون ولما كان حمير
ومن تبعهم من قوم تبع اقرب المهلكين لعدم اطاعة نبيهم حذر قريشا من
ان يصيروا امثالهم فقال اهم قريش خير في القوة والمنعة ام قوم تبع
وهم سبأ اهلكهم الله وفرقهم وخرب ديارهم وتبع اسم لمن ملك فيهم
وهو باني سمرقند وروى الامام احمد والطبراني لا تسبوا تبعا فانه قد
كان اسلم وروى ابن اسحق وغيره انه آمن قبل البعثة بسبعمائة سنة
وكتب كتابا فيه اما بعد فاني آمنت بك وبكتابك وانا على دينك وسنتك
وامنت بربك ورب كل شئ وامنت بكل ما جاء من ربك فان ادركتك
فبها ونعمت والا فاشفع لي ولا تنسني يوم القيمة فاني من امتك الاولين
وبايعتك قبل مجيئك وانا على ملتك وملة ابيك ابرهيم ثم ختم الكتاب
ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه الى محمد بن عبد الله
نبي الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم
من تبع الاول وكان الكتاب عند ابي ايوب خالد بن زيد حتى بعثة
النبي يتوارثونه كابرا عن كابر حتى اداه النبي صلوات الله وسلامه عليه
والذين من قبلهم من المشركين اهلكناهم انهم كانوا مجرمين كفريش يهددهم
بهم وما خلقنا السموات والارض وما بينهما ما بين الجنسين ولذلك لم تقل
ما بينهن لاعبين لاهين ما خلقناهما الا بالحق بسبب الحق وهو الاستعداد للكل
والبعث والجزاء وغير ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون فانهم مشغولون
عنها بلعبهم ان يوم الفصل فصل الحق والمحق عن الباطل والمبطل ميقاتهم
وقت موعدهم اجمعين يوم لا يغني بدل من يوم الفصل مولى اي ولي
كان من قرابة وغيرها عن مولى اي مولى كان شيئا من الاغناء نصبه
على المصدر ولا هم ينصرون الضمير للمولى الاول اي هم ليسوا ناصرين ولا منصورين
وجاز عود ضمير الجمع الى المفرد لفظا لان لفظه مطلق شايع في جنسه متناول
للكل والبعض وجاز عود الضمير الى المولى الثاني والى كليهما الا من رحم الله
نصب على الاستثناء من واو ينصرون فانه جاز النصب لكن المختار انه
بدل منه والمراد المومنون انه هو العزيز الغالب الرحيم لمن يستحق الرحم

ولما كان السياق في الانتقام اخبر عن حال الغني بطريق الاستيناف فقال
ان شجرة الزقوم قد مر في سورة والصافات طعام الاثيم طعام المبالغ
في الاثم وهو الكافر كالمهل كدردي الزيت غليظها وكدرها وتنتها او ذائب
الفضة والنحاس تغلي في البطون خبر بعد خبر او مستانفة وقراءة يغلي
بالتذكير باعتبار الخبر كغلي الحميم غليا مثل غليان الماء الشديد الحرارة
خذوه اي قيل للزبانية خذوا الاثيم فاعتلوه سوقوه بعنف الى سواء
الجحيم وسطها ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم عن ابن عباس وغيره
انه يضرب بحديد فيفتح دماغه ثم يصب الحميم على راسه فينسلت ما في بطنه
من الامعاء فيمرق على كعبيه والمصبوب حقيقة هو الحميم لكن اذا صب
الحميم فقد صب ما تولد منه من الالام فعبر عن السبب بالمسبب ولفظ
عذاب الحميم اهيب ذق انك انت العزيز الكريم اي قولوا ذلك
تقريعا واهانة عن عكرمة وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال لابي جهل امرني
ان اقول لك اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ما تستطيع انت
ولا صاحبك ارادا لرب تعالى وتقدس من شيء اني امنع اهل البطحاء
وانا العزيز الكريم فقتله الله يوم بدر واذله وعيره بكلمته وانزل ذق
انك انت العزيز الكريم وذكر جمع من السلف ان المراد من الاثيم ابو جهل
ولما كانت السورة مكية فالظاهر نزول الاية عند قوله ما تستطيع انت
ولا صاحبك ان هذا ما كنتم به تمترون اي هذا هو العذاب الذي تشكون
فيه ان المتقين لما ذكر حال المجرمين اعقبه بحال المتقين كما هو عادة كلام
الله القديم في مقام امين يامن ساكنه عن كل مكروه فعلي هذا فعيل بمعنى
مفعول في جنات بدل من في مقام وعيون يلبسون خبر ثان او استيناف
من سندس مارق من الحرير واستبرق ما غلظ منه قيل هو تعريب استبر
متقابلين لا يجلس احد منهم وظهره الى غيره لانس بينهم كذلك اي الامر
كذلك وزوجناهم قرناهم بحور عين بهذا الجنس من الحور يعني عينا
واسعة الاعين يدعون فيها بكل فاكهة يامرون باحضار انواع الفواكه
امنين من كل مكروه لا يذوقون فيها الموت فانه راس كل مكروه
الا الموتة الاولى لكن ذاقوا الموتة الاولى في الدنيا فالاستثناء منقطع وفيه

وهو طعام الاثيم

تنبيه

تنبيه على ما انعم به عليهم من الخلود السرمدي وتذكير لهم بمفارقة الدنيا التي
قيل هذا من باب المبالغة كانه قال لو فرضنا ذوق الموت في الجنة لما ذاقوا
الا الموتة الاولى وذوقه فيها محال لانه ماض فالذوق محال ووقيهم عذاب
الجحيم فضلا من ربك نصبه بفعل محذوف اي اعطي كل ذلك تفضلا
ذلك هو الفوز العظيم ولما امتن بان جميع النعم من فضله سبحانه اعقبه
بغرد من الفضل تام فقال فانما يسرناه اي سهلنا القران بلسانك
بلغتك العربي المبين لعلهم يتذكرون لكي يفهموه فيتعظون به فارتقب
النصر الذي وعدناك انهم مرتقبون الدوائر عليك فيما يزعمون
من ظنونهم الكاذبة فهو وعد ووعيد والحمد لله على كل حال

سورة الجاثية مكية آيها سبع او ست وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب ان كان حم اسما للسورة
فمبتدا والمراد من الكتاب السورة فالقصد تعظيم السورة ولا بد من تقدير
اي تنزيل حم تنزيل السورة نحو شعري شعري بالغة شعره ويكون من باب اقامة
الظاهر مقام المضمر وان كان المراد من الكتاب القران فالمعنى على
التشبيه اي تنزيل حم كتنزيل سائر القران في البيان والهداية والاعجاز
والحكمة من الله العزيز الحكيم خبر بعد خبر او حال ان في السموات والارض
لايات للمؤمنين فانهم المتاملون وفي خلقكم وما يبث عطف على خلقكم
او التقدير وخلق ما ينشر من دابة ايات لقوم يوقنون قراءة رفع ايات
بانها مبتدا وفي خلقكم خبره والجملة عطف على الجملة المتقدمة وقراءة
نصبها بان في خلقكم عطف على في السموات وايات على اسم ان واختلاف
الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق يعني المطر فانه سبب
الرزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وغيرها
ايات لقوم يعقلون في ايات قراءتان وعلى القراءتين عطف على معمولي
عاملين مختلفين الا ان تقول واختلاف بتقدير في عطف على في السموات
فيكون من العطف على معمولي عامل واحد وقرا ابن مسعود وفي اختلاف
قيل مرتبة الايقان المنبي عن زوال شوائب الاشتباه فوق مرتبة الايمان
ومرتبة كمال العقل المنبي عن الاستحكام وزوال شوب التزلزل اشبه بالمتطلبين

فوقهما والاولى يحصل بالنظر في اول المصنوعات واظهر المحسوسات والثانية
بالنظر في اخر المكونات وخلاصة الممتزجات والثالثة بتكرار الايات
وتجدد الغرائب في الاوقات ولهذا جعل الايات اولا للمؤمنين وثانيا
لقوم يوقنون وثالثا لقوم يعقلون ولم يقل في الاولى لقوم يؤمنون
اشارة الى ان اصل الايمان مما ينبغي ان يكون ثابتا حاصلا في اصل
الفطرة والله اعلم تلك الايات ايات الله ودلائله نتلوها عليك
بالحق نسردها عليك ملتبسة بالحق او متلبسين به ونتلوها جملة حالية
عاملها معنى الاشارة فباي حديث بعد الله اي بعد حديثه واياته
اي بعد دلائله او المراد من اياته القران فالعطف لفائدة الوصفين
يؤمنون فان لم يؤمنوا بحديثه فلن يؤمنوا ابدا ولما قال فباي حديث
بعد الله واياته يؤمنون اعقبه بذكر عقاب من لا يؤمن بالقران فقال
ويل لكل افاك اثيم كثير الكذب كثير الاثم يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر
على كفره مستكبرا عن الانقياد حال من ضمير يصر كان لم يسمعها اي كانه واذا
ايضا حال اما من ضمير يصر او من ضمير مستكبرا اي مثل غير السامع فبشره
بعذاب اليم فيه تهكم وتحقير واذا علم من اياتنا شيئا اي علم شيئا انه من
الايات فمن اياتنا شيئا مفعول لا علم اتخذها هزوا انث الضمير باعتبار
ان الشي اية او الضمير الى الايات بمعنى انه اذا علم شيئا من جملة الايات
تجاوز في الاستهزاء الى جميع الايات اجمالا وان لم يعلمها تفصيلا اولئك
لهم عذاب مهين فلهم عذاب جسماني وروحاني من ورائهم الورى ما
يواري من خلف وامام اي من قدامهم جهنم ولا يغني لا يدفع عنهم ما كسبوا
من الاموال والضياع شيئا من العذاب ولا ما اتخذوا من دون الله
اولياء المراد اصنامهم بل الاصنام ساقوهم الى العذاب ولهم عذاب
عظيم هذا اي القران هدى التنكير يفيد كمال الهداية مع انه جعل القران
نفس الهدى والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز هو اشد
العذاب اليم ذي الم فيه مبالغة الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك
فيه بامره بتسخيره ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد ولعلكم
تشكرون نعمه وسخر لكم ما في السموات وما في الارض تسخيرها لكم من حيث

انا ننتفع

انا ننتفع بها جميعا منه جميعا حال من ما ومنه حال مشكلة اي حال كون
ما فيها جميعا من الله واما ان منه حال من ما وجميعا حال من فاعل الظرف
اعني منه فجائز عند الاخفش وحده لان عامل جميعا على هذا معنوي
فهو نظير زيد قائما في الدار ولا يجوزه غير الاخفش ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون قل للذين امنوا يغفروا اي يعفوا تقديره ليغفروا
او تقديره قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله لا يخافون
وقائعه ونقمه وهذا قبل الامر بالقتال فالاية منسوخة وعن بعض هم عمر
بطش من شتمه بمكة فامر بالعفو فالاية محكمة ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
يعني ليكن منكم العفو ليجزي الله سوء اعمالهم وتنكير قوما للتحقير وقيل المراد
من القوم الذين صبروا فالمراد من جزائهم المغفرة والتنكير للتعظيم من عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون فتستوفون الاجور
ولما كان من اول السورة بيان انه تعالى انزل كتابا ليس بعده كتاب
وبعد ما انزل هذا الذي هو هدى اضل اكثرهم والله يقضي بينهم بالجزاء
ذكر حال بني اسرائيل فانهم مثلهم حذو النعل بالنعل فقال ولقد اتينا
بني اسرائيل الكتاب والحكم الحكمة او فصل الخصومات لان الملك
كان فيهم والنبوة اذ فيهم كثير من الانبياء ورزقناهم من الطيبات
كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين على عالمي زمانهم واتيناهم
بينات من الامر ادلة ظاهرة من امر الدين فما اختلفوا في امر الدين
الا من بعد ما جاءهم العلم الموجب لرفع الاختلاف بغيا حسدا وعداوة
بينهم عن بعضهم بمعناه اتيناهم ادلة على مبعث محمد وانه مهاجر من تهامة
الى يثرب فما اختلفوا الا بعد القران حسدا ان ربك يقضي بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فانهم ما رجعوا وما انابوا ثم جعلناك يا محمد
على شريعة سنة وطريقة من الامر من الدين فاتبعها ولا تتبع اهواء اراء
الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا لن يدفعوا عنك من الله شيئا ان تبعتهم
حين يدعونك الى دين ابائك وانت تعلم ان كل شيء من الله وان
الظالمين بعضهم اولياء بعض وحاشاك ان تكون ظالما والله ولي
المتقين وانت افضلهم وسيدهم هذا اي القران بصائر للناس يبصرهم

رشد لهم وهدى ورحمة لقوم يوقنون يطلبون اليقين ولا يقفون في شكهم
ام حسب ام منقطعة والهمزة لانكار الحسبان يعني لا ينبغي ان يكون حسبان
الذين اجترحوا اكتسبوا السيئات بان تكون السيئات حرفتهم وشغلهم
ان نجعلهم نصيرهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم
في قراءة نصب سواء بدل من كاف كالذين فانه بمعنى المثل وهو المفعول
الثاني لنجعل الذي بمعنى نصير ولا يتم المعنى الا به وحينئذ محياهم ومماتهم
مرفوع على الفاعلية لانه بمعنى مستويا وفي قراءة رفعه محياهم ومماتهم مبتدأ
وسواء خبره والجملة ايضا بدل لانها تقع مفعولا ثانيا وكانت في حكم المفرد
كظننت زيدا ابوه منطلق والضمير في محياهم ومماتهم للذين اجترحوا والمعنى
ايحسبون انا نصير المسيئين مستويا محياهم ومماتهم بل جعلنا محياهم رغدا
ومماتهم نكدا وليس الامر كما زعموا وقالوا لو فرضنا بعثا فنحن لنا بعده احسن
وعندي انه لو جعلت الضميرين للمحسنين والمسيئين فلا يخلو عن اشكال
في معنى التصيير وما جعلناها في قراءة الرفع مستأنفة لان كونه بدلا اوفق
لقراءة النصب في اللفظ والمعنى ولان تعقيبه بقوله ساء ما يحكمون
مشعر بانه داخل في حكم الانكار والامر كذلك على تقدير كونه بدلا وقيل الكلام
على القراءتين حال والتقدير ام حسب الكفار ان نصيرهم مثل المؤمنين في
حال استواء محياهم ومماتهم ليسوا كذلك بل هم مفترقون وهذه الحال مبينة
للابهام دل عليه الكاف وعلى هذا جاز ان يكون الضمير للمجترحين والصالحين
بمعنى ان محيا المؤمنين ومماتهم سواء في الكرامة عند الله ومحيا المجترحين
ومماتهم سواء في اهانتهم عند الله واللفظ قد لف وذهن السامع يفصله
اذ تقدم ايعاد الله ان يجعل هؤلاء كهؤلاء ساء ما يحكمون بئس حكمهم هذا وخلق
الله السموات والارض بالحق اي لا يمكن الاستواء وقد خلقها بالحق
المقتضي للعدل فالواو للحال ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق فكل
من الباء واللام تكونان للتعليل فلا حاجة الى تمحل وهم لا يظلمون افرايت
من اتخذ الهه هواه مطواع لهوى نفسه يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبده
واضله الله على علم اي على علم من الله قديم او من هذا الضال يعني بعد
بلوغ العلم وقيام الحجة عليه فعلى حال من احد المعمولين ومعناه حال كونه

معاندا

معاندا فان ضلال المعاند عن علم بان الحق خلاف ما هو عليه نحو
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم الاية وختم على سمعه وقلبه وجعل
على بصره غشاوة فلا يتعظ ولا ينظر بعين الاعتبار فمن يهديه من
بعد الله اي من بعد اضلاله او من غير الله واعلم ان افرايت بمعنى
اخبرني ومن مفعوله الاول وثاني مفعوليه محذوف دل عليه فمن يهديه
من بعد الله تقديره بعد الضلالة لمن اهتدى يعني لا احد يهديه افلا

وفي اتخذ واضل وختم وجعل

تذكرون تتعظون وقالوا ما هي اي الحيوة الا حياتنا الدنيا لا انقراض للدنيا
نموت ونحيا اي نموت طائفة ونحيى طائفة ولا يزال كذلك ففيه انكار
البعث وما يهلكنا الا الدهر لا مميت ولا محيي والموت بطول العمر ومر
الزمان قيل المراد من الاول نفي المحيي والمميت وعلى هذا قوله وما يهلكنا
مبين له وما لهم بذلك الذي يقولونه من علم ان هم الا يظنون ويرجحون
ظنهم على اخبار رسلهم بالبينات واذا تتلى عليهم اياتنا يعني ما يدل على
خلاف معتقدهم بينات واضحات الدلالة ما كان حجتهم متشبثهم في
المعارضة الا ان قالوا ائتوا بابائنا الاموات حتى نستدل بالبعث
او ليشهدوا عليه ان كنتم صادقين جواب اذا الجملة المنفية وجوابها
اذا كان منفيا بما لم يدخل الفاء بخلاف سائر ادوات الشرط فلا بد من
الفاء وفي كون جواب اذا منفيا بما دليل على قول من قال جواب اذا
لا يعمل فيها لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها كذا في البحر قل الله يحييكم
من العدم ثم يميتكم بعد الحيوة الدنيا ثم يجمعكم في القبر الى يوم القيمة لا ريب
فيه في يوم القيمة فمن قدر على الايجاد من العدم الذي هو ظاهر جلي لا ينكره
الا غبي بعد ما اخبر عن الاعادة كيف يرتاب فيه ولكن اكثر الناس لفرط
جهلهم وقصور نظرهم لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم

فيوم تقوم الساعة معمول لاذكر
ويومئذ معمول لتخسر

الساعة اي القيمة مقدر باذكر يومئذ يخسر المبطلون ظهور خسرانهم
يوم اذ تقوم الساعة وترى كل امة جاثية باركة على الركب وهي هيئة
الخائف كل امة تدعى الى كتابها افراد الكتاب اكتفاء باسم جنسه والمراد
كتاب فيه اعمالهم وقراءة نصب كل بالبدلية وتدعى حينئذ صفة امة
اليوم تجزون ما كنتم تعملون تقديره مقولا لهم اليوم تجزون فهو حال

هذا كتابنا يعني يقال لهم ذلك والله امر بكتبته ينطق عليكم بالحق
يشهد بلا زيادة ولا نقص انا كنا نستنسخ نامر الملائكة بنسخ ما كنتم تعملون
عن ابن عباس وغيره صعد الملئكة كل يوم وليلة بالاعمال الى السماء
يومرون بالمقابلة على ما في اللوح المحفوظ فلا يزيد ولا ينقص ثم قرأ انا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم
ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن يقال لهم
افلم تكن وقد مر مرارا ان الزمخشري على ان مثل هذه الفاء معطوف على
محذوف وصاحب البحر يمنعه اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما
مجرمين واذا قيل لكم ان وعد الله حق موعوده او متعلق وعده كائن
والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة ان
نظن الا ظنا ما نظن في اتيانها الا ظنا ضعيفا لا علما وما نحن بمستيقنين
انها كائنة واما جزمهم في انكار القيمة فلعله حين عتوهم في العناد او يكون
الظن مخصوصا ببعضهم وهذا هو الاولى وبدا لهم سيئات ما عملوا ظهر لهم
قبحه او جزاؤها وحاق احاط بهم جزاء ما كانوا به يستهزؤن وقيل
اليوم ننساكم نترككم في العذاب كالشيء المنسي كما نسيتم لقاء يومكم هذا
لقاء ما في هذا اليوم من الجزاء فتركتم العمل له جعل الظرف مجرى المفعول به
واضاف اللقاء اليه ومأويكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم
ايات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فنسيتم حيوة الاخرة فاليوم لا يخرجون
منها من النار ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يزيلوا غضب الله ويرضوا
ربهم فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء
العظمة الثابتة في السموات والارض وهو العزيز الغالب الحكيم فيما اراد وهذه
الاخبار كانها كناية عن الامر بالحمد فله تعالى الحمد والثناء والعظمة والكبرياء

سورة الاحقاف مكية وآيها اربع او خمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم قد مر في سورة
قبلها ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى اي خلق
ملتبسا بما يقتضيه الحكمة وبتقدير مدة معينة تنتهي اليها وبعدها الفناء والمستثنى
في موقع المصدر لان المقترن بالحكمة وبتقدير المدة هو الخلق حقيقة دون

قيل الفعل لا يحتمل المصدر فاي وجه
لصحة الاستثناء فالجواب انه محمول على
تخصيص المصدر بالنوع صحه

المخلوق

المخلوق وقدرنا المضاف في اجل وهو بتقدير لان الخلق يلتبس به لا
بنفس الاجل وقيل المراد خلقها بمدة وهي ستة ايام والذين كفروا عما
انذروا من هول يوم اجل مسمى معرضون فانهم المنكرون قل ارايتم اخبروني
ما تدعون من دون الله من اصنامكم اروني بدل من ارايتم ماذا خلقوا من
الارض اي اجزاء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات
شركة مع الله في خلقها حتى يستحقون العبادة ثم مفعول ارايتم هو ما تدعون
وماذا خلقوا جملة استفهامية يطلبها ارايتم ويطلبها اروني على سبيل
التعليق فهذا من باب التنازع واعمال الثاني وحذف المفعول الثاني
من الفعل الاول ائتوني بكتاب من قبل هذا من قبل القران او اثارة
من علم اي بقية من علم بقيت من علوم الاولين تدل على صحة دين الشرك
يعني القران المعجز ناطق بالتوحيد وكذلك جميع كتب الله فطلب منهم
اتيان كتاب واحد يشهد بصحة دينهم او بقية من علوم الاولين الراسخين
والاثارة مستعملة في بقية الشرف يقال لبني فلان اثارة من شرف
اذا كانت عندهم شواهد قديمة ان كنتم صادقين ان الشرك دين ومن
اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له لو سمع الدعاء الى يوم القيمة
اي ابدا فهذا كناية عن التابيد قال تعالى لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا
ما استجابوا لكم وهم اي الاصنام عن دعائهم اي الذين يدعونهم غافلون
فانهم جمادات واذا حشر الناس كانوا لهم اي كان الناس للاصنام
اعداء لانهم رأوا عذابهم بسببهم وكانوا وصار العابدون بعبادتهم
يحتمل الاضافة الى الفاعل والى المفعول كافرين كما يقولون والله
ربنا ما كنا مشركين او ضمير كانوا للمعبودين والاضافة الى المفعول كما
قال الله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ويقولون تبرانا اليك
ما كانوا ايانا يعبدون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات حال كون ايات
ظاهرات المعنى قال الذين كفروا اقام الظاهر موقع المضمر تسجيلا بان هذا
القول بسبب كفرهم للحق في شانه لما جاءهم من غير تدبر هذا سحر مبين لما
راوه شيئا خارقا للعادة وليس لهم سعادة نسبوه الى السحر ام يقولون
منقطعة والهمزة للانكار والتعجيب وبل اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا

الى ما هو اشنع افتراه الضمير الى الحق المراد عنه الايات قل ان افتريته
على الفرض فلا تملكون لى من الله شيا من عقوبته على الافترا فكيف
اجترئ عليه من اجلكم هو اعلم بما تفيضون تخوضون فيه من القدح فى
صفة الله وفى رسوله كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم
لمن تاب فلا اقنط من رحمته قل ما كنت بدعا بديعا غريبا من الرسل
آمركم بما لا يامرون به وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم لا ادرى الى ما يصير امرى
وامركم فى الدنيا اقتل ام اخرج او تخسفون ام ترمون بالحجارة ولا ادرى
حالى وحالكم على التفصيل الاولى ان ما استفهامية مبتداء ويفعل خبره
وجملة ما يفعل فى موضع المفعول فادرى معلقة نحو ان ادرى اقريب والفصيح
المشهور ان درى متعد بالباء وكذلك حين عدى بالهمزة نحو ولا ادراكم
به وانسحب النفى على يفعل ولذلك قال ولا بكم ولولا اعتبار النفى لكان
التركيب بى وبكم فلاجل المبالغة كانه قال لا ادرى ما يفعل بى ولا ما يفعل
بكم ان اتبع الا ما يوحى الى من غير ان ابتدع من عندى شيا وما انا الا نذير
مبين قيل هذا جواب عن اقتراحهم الاخبار عن الغيب وعن استعجال
المسلمين خلاصهم عن اذى الكفار قل ارايتم ان كان القران من عند الله
وكفرتم به وشهد شاهد اى عادل من بنى اسرائيل على مثله مثل ما اخبر القران
من التوحيد والوعد والوعيد قيل المثل صلة فامن الشاهد واستكبرتم
جملة وشهد شاهد الى واستكبرتم عطف على جملة كان من عند الله وكفرتم وجواب
الشرط مقدر مثل الستم ظالمين ويدل عليه قوله ان الله لا يهدى القوم
الظالمين والمراد من الشاهد عبد الله بن سلام كما فى الصحيحين والنسائى
وعليه السلف وهذه الاية مستثناة من كون السورة مكية كما صرح به فى
تفسير الكواشى وقد ذهب جماعة الى ان القصد ويشهد شاهد فيكون على
طريقة ونادى اصحاب الاعراف فالاية مكية ويخبر بانه يشهد بعد ذلك
وقال الذين كفروا للذين امنوا اى لاجلهم وفى شانهم لو كان الايمان والاسلام
خيرا ما سبقونا اليه فانهم فقراء وعبيد ونحن اشراف والاشرف للاشراف
وهذا الكلام كانه تكلم بعضهم بعضا فى غيبة المومنين ولهذا ما قالوا ما سبقتم
اليه وقال الله فيهم اهم يقسمون رحمة ربك واذ لم يهتدوا به بالايمان

فسيقولون

فسيقولون هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين ولما كان اذ للماضى
والسين للاستقبال فلا يكون مدخولها العامل فى اذ فيقدر عامله وهو
مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون مسبب عنه او السين لمجرد التاكيد
والمضارع للاستقرار بحيث يتناول الماضى فلا حاجة الى تقدير
ومن قبله قبل القران كتاب موسى اماما يهتدى به وفيه البشارة
بمبعث خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين ورحمة على الخلق
لانه سبب الهداية اى كتاب موسى كائنا قبل القران فى حال كونه اماما
ورحمة فانهم لما طعنوا فى القران قيل لهم انزل الله قبل القران التورية وانتم
لا تنازعون فيه فما بالكم فى شان القران وهذا القران كتاب مصدق
للكتب السماوية لسانا عربيا نصب على الحال وعامله معنى الاشارة او حال
من ضمير مصدق لينذر الكتاب الذين ظلموا وبشرى للمحسنين بشرى
فى موضع جر معطوف على المصدر المنسبك فى قوله لتنذر وقيل بنزع
الخافض اى وللبشرى ان الذين قالوا ربنا الله اقروا بالوحدانية
ثم استقاموا مداومة عمرهم على التوحيد فلا خوف عليهم عند الفزع الاكبر
ولا هم يحزنون بل يستبشرون بنعمة الله اولئك اصحاب الجنة خالدين
فيها جزاء اى جوزوا جزاء بما كانوا يعملون من طاعة الله ولما ذكر التوحيد
اعقبه بذكر الوصية بالوالدين كما وقع فى مواضع من القران فقال ووصينا
الانسان بوالديه حسنا منصوب بمفعول به لوصى لانه فى معنى الزمنا
المحسن فى ابويه حملته امه كرها حال كونها ذات مشقة او حملا ذا كره ووضعته
كرها ولما كان الاهتمام فى شان الام لضعفها وكثرة احتياجها الى الاحسان
ذكر ما للام من الحقوق وحمله وفصاله اى ومدة الحمل والفطام ثلثون شهرا
يدل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه حولان كاملان لمن
اراد ان يتم الرضاعة بقى ذلك وفى سورة لقمان وفصاله فى عامين
وعن ابن عباس اذا وضعت بعد تسعة ارضعت احدى وعشرين واذا
وضعت بعد ستة ارضعت اربعة وعشرين حتى اذا بلغ اى وعاش
حتى اذا بلغ اشده قوته كذا فى القاموس وهو ما بين ثمانى عشر الى اربعين
وبلغ اربعين سنة قال اى المحسن فى سن كمال العقل رب اوزعنى الهمنى

ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي من الهداية والعافية
وان اعمل صالحا ترضيه وليس كل عمل صالح يقع موقع الرضا واصلح لي
في ذريتي اجعل لي الصلاح ساريا فيهم اني تبت اليك وقد ورد من
وصل الاربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار واني من المسلمين
المطيعين لامرك ونهيك فيه ارشاد لمن بلغ الاربعين ان يجدد الانابة
نزلت في الصديق اجتمع له اسلام ابويه وجميع اولاده ولم يكن ذلك
لاحد من الصحابة اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا اي طاعاتهم
فانها احسن من المباح ولا يبعد ان يراد بينهم خلوص الاعمال وجودتها
وربما طرأ في العمل قصور فيتقبل بحسب النية التي هي احسن من نفس العمل
ونتجاوز عن سيئاتهم فان الانسان محل التقصير في اصحاب الجنة كائنين
معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد للجملة السابقة الذي كانوا
يوعدون بلسان الانبياء عن علي بن ابي طالب عثمان واصحابه من الذين
قال الله فيهم اولئك الذين يتقبل عنهم الاية قالها علي ثلث مرات ولما ذكر
حال البارين بهما عقب بحال العاقين فقال والذي قال لوالديه اف
في الاصل صوت يعلم منه التضجر لكما اللام للبيان نحو هيت لك اتعدانني
ان اخرج من قبري حيا وقد خلت مضت القرون من قبلي ولم يبعث احد
منهم وهما الوالدان يستغيثان الله يسألانه ان يغيث بالهداية او المراد
الغياث بالله منك ويلك آمن يقولان له ذلك دعاء عليه والمقصود
التحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك ونصب ويلك بانه مصدر وجب
حذف فعله ان وعد الله حق فعليك بالايمان فيقول الولد ما هذا الذي
تدعونني اليه الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها اولئك خبر والذي
قال والمراد الجنس القائل ذلك القول فيجوز ان يكون خبره جمعا الذين
حق عليهم القول كلمة العذاب وانهم اهل النار في امم كائنين معدودين
فيهم قد خلت صفة امم من قبلهم من الجن والانس يعني داخلين في زمرة
اشباههم من الخاسرين من الجن والانس انهم كانوا خاسرين والاية في
كل كافر عاق ومن قال انها في شان عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه لا يعبأ
بقوله وفي النسائي لما بايع معاوية ليزيد قال مروان سنة ابي بكر وعمر فقال

عبد الرحمن

عبد الرحمن سنة هرقل وقيصر فقال مروان انزل الله فيك والذي قال
لوالديه الاية فقالت عائشة والله ما هو به ولو شئت ان اسمي الذي انزل
الله فيه لسميته وهذا منها رضي الله عنها دال على ان الاية في معين ولكل
من المحسن والمسيء درجات غلب الدرجات على الدركات فان للنار دركات
مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر فمما عملوا صفة درجات
قيل معناه ثبت لكل من اجل ما عملوا من الخير والشر درجات فمما عملوا متعلق
بمتعلق لكل وليوفيهم اعمالهم جزاءها وهم لا يظلمون بزيادة عقاب
وتنقيص ثواب ويوم يعرض الذين كفروا على النار من عرض فلان على السيف
اذا قتل به والعرض المباشرة كما تقول عرضت العود على النار وايضا في
الكتاب والسنة ما يدل على ان لجهنم عينا وكلا معنى الوجهين لا تكون الاية
من باب القلب القليل النزر اذهبتم يقال لهم في القيمة اذهبتم ويوم معمول
يقال المقدر طيباتكم لذائذكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم
شيء من المستلذات التي قدرها الله فاليوم تجزون عذاب الهون الذل
بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق تكبر المومن بالايمان على الكافر بالحق
وبما كنتم تفسقون راى عمر في يد جابر لحما فقال ما بيدك فقال لحما اشتهيته
فقال او كل ما اشتهيت اشتريت اما تخاف اية اذهبتم طيباتكم في حيوتكم
ولما هددهم بالعقوبات الاخروية اعقبها بالعقوبات الدنيوية التي
وقعت على قوم في جزيرة العرب معروفين بالقوة الغالبة والاستكبار
والبنيان الذي ليس له نظير في الدنيا ولقريش معرفتهم بالاخبار ورؤية
اثارهم فقال واذكر اخا عاد اي اخاك هودا اذ انذر بدل من اخا عاد
قومه بالاحقاف منازلهم فهم ساكنون بين رمال جمع حقف وهو الرمل
الكثير وقد خلت النذر مضى المنذرون من بين يديه قبله ومن خلفه
قوله وقد خلت حال من مفعول اذكر او معترضة بين انذر وبين ان لا تعبدوا
ان لا تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا فان النهي عن شيء انذار عن مضرته
او ان تفسيرية اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا لتافكنا لتصرفنا
عن الهتنا فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في ان العذاب
ياتي علينا ان عبدنا اصنامنا قال انما العلم عند الله هو عالم بوقت اتيان عذابكم

ولا مدخل لي في الاستعجال وأبلغكم ما أرسلت به وما على الرسول إلا البلاغ
ولكني أراكم قوما تجهلون فإنكم تستعجلون بعذاب محتمل الوقوع فلما رأوه
الضمير لما طلبوا إتيانه عارضا سحابا عرض في الأفق نصب على الحال
وقيل الضمير مبهم يفسره عارضا فاعترض عليه صاحب البحر أن المبهم
المفسر بالتمييز لا يكون إلا في باب رب وفي باب نعم وبئس عند البصريين
مستقبل أوديتهم الإضافة لفظية لا تفيد التعريف قالوا هذا
عارض ممطرنا استبشروا بالعذاب لأنه قد حبس عنهم المطر وهذه الإضافة
أيضا لفظية بل هو أي قال هود أو الإضراب من الله ولا قول بل عبارة
عن سرعة استيصالهم ما استعجلتم به من العذاب ريح أي هي ريح أو بدل
من ما فيها عذاب أليم ذو ألم تدمر تهلك كل شيء بأمر ربها فلذا ترى
هودا والمؤمنين سالمين فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم أي جاءتهم الريح
ودمرتهم فأصبحوا بحيث لو حضرتهم لا ترى منهم شيئا بحاله إلا مساكنهم كذلك
نجزي القوم المجرمين قيل كانوا تحت الرمل ثمانية أيام ثم قذفتهم الريح
في البحر فليحذر قريش عن الإجرام ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه في الذي
ما مكناكم فيه من المال والقوة وطول العمر فإن نافية وجعلنا لهم سمعا
وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم
من شيء شيئا من الإغناء فمن زائدة للاستغراق وشيئا مصدر أو معناه
ما دفع عنهم شيئا فمفعول به إذ كانوا يجحدون بآيات الله ظرف جرى
مجرى التعليل وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فإنهم استهزءوا بعذاب
الله ولما تم حكاية قوم عاد هدد قريش بغيرهم من الأمم المجرمين فقال
ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا
الآيات بيناها مكررا لأهل تلك القرى لعلهم يرجعون عن ضلالهم فلولا
هلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة الذين اتخذوهم متجاوزين
الله آلهة متقربا بهم فالمفعول الأول محذوف ومتقربا حال من آلهة
الذي هو المفعول الثاني لا أن قربانا هو المفعول الثاني وآلهة بدل لأنه يلزم
أن يكون معناه أن التحقيق أن يجعل الله قربانا وهو فاسد فإن الله لا يتقرب
به بل يتقرب إليه كما إذا قلت اتخذت زيدا قربانا دون عمرو بل ضلوا عنهم

هذا هو السبب في أن الزمخشري منعه وقد فصل عن ذلك صاحب البحر واعترض على الزمخشري منه

يعني

يعني ما نصروهم بل ضلوا عنهم والجمع باعتبار معنى من وذلك إفكهم
وما كانوا يفترون أي العذاب جزاء إفكهم وافترائهم أو ضلالهم عنهم
أثر صرفهم عن الحق وافترائهم ولما ذكر صريحا وكناية عن قريش ووعيدهم
بعذاب دنيوي وأخروي أعقب ذلك تقريعا لهم بمن هو قسي قلبا وأبعد
سجية وطبع فقال وإذ صرفنا أي واذكر إذ أملنا إليك نفرا ما دون العشرة
من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه القرآن قالوا بعضهم لبعض أنصتوا
نستمع القرآن فلما قضي فرغ عن قراءته واستمعوا ولوا رجعوا إلى قومهم
منذرين والأحاديث الصحاح والحسان تدل على أن ذهابه صلى الله عليه
وسلم إلى الجن كان قصدا إلى دعوتهم والأصح كما قال بعض المحققين أن استماعهم
القرآن ليس مرة واحدة في مكان واحد قالوا بيان إنذارهم يا قومنا
إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى لم يذكر الكتاب عيسى لأنه كالمتمم للتوراة
وقيل إنهم من اليهود مصدقا لما بين يديه من كتب الله يهدي إلى الحق
وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به بالله يغفر لكم
من ذنوبكم بعضها فإن المظالم التي في ذمة من آمن سيما إذا كانت موجودة
بعينها لا تغفر في حق الذمي بلا خلاف ويجركم من عذاب أليم ذي ألم ومن
لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض لا يعجز الله فيفوته وليس له من
دونه أولياء ينصرونه أولئك الجمع باعتبار معنى من في ضلال مبين أولم
يروا أن الله خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يضعف
عن إبداعهن بقادر خبر أن والباء لاشتمال النفي على أن مع ما في حيزها كأنه
قال أليس الله بقادر وقد أجاز الزجاج ما ظننت أحدا بقائم كذا في البحر
على أن يحيي الموتى بلى تقرير للقدرة الواقعة بعد ليس تقديرا للألوهية الواقعة
بعد لم تحقيقا إنه على كل شيء قدير والأظهر أن قوله أولم يروا الكلام الله
لا حكاية كلام الجن ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون عليها
من عرضته بالسيف إذا قتلت به أليس هذا بالحق قيل لهم ذلك في هذا
اليوم تقريعا قالوا بلى وربنا إن كان المراد من الحق العدل تحلفهم بقوله وربنا
ظاهر موقعه وإن كان المراد الوقوع فحلفهم جبر لمبالغتهم في الدنيا في نفيه
قال المجاوب من الملئكة فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسببه فاصبر

قوله والجمع باعتبار معنى من زائد وقع سهوا من قلم المصنف ح

كما قدرنا أليس الله بقادر منه

اي لما عرفت ان هذا حال من لم يؤمن بالله فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل اولوا الثبات والجد والاشهر انهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وخاتم
النبيين فمن للتبعيض حال وعن بعضهم ان جميع الانبياء اولوا العزم فمن للتبيين
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولا تستعجل بالعذاب لهم كانهم يوم يرون
ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار يعني يحسبون يوم القيمة ان مدة لبثهم
في الدنيا ساعة واحدة لان ما مضى كان لم يكن وان كان الف سنة والمراد
انك لا تستعجل حلول عذابهم فانه نازل بهم لا محالة بلاغ اي هذا يعني القران
تبليغ من الرسول او ما وعظتم به كفاية فهل يهلك الا القوم الفاسقون
الخارجون عن الاتعاظ والطاعة اللهم لا تجعلنا منهم والحمد لله رب العالمين

سورة محمد مدنية وقيل مكية وتسمى سورة القتال آيها ثمان او تسع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا اعرضوا او منعوا الناس
عن سبيل الله عن الدخول في الاسلام اضل اعمالهم ابطلها كتصدقهم
وصلة ارحامهم فهو من ضل عني اذا ضاع لا من الاضلال المقابل للهداية والذين
امنوا بالله وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد تخصيص بعد التعميم تعظيما
لشانه وهو الحق من ربهم جملة اعتراضية تاكيد للايمان به والواو للحال
ومن ربهم حال من ضمير الحق او خبر بعد خبر كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم
حالهم وامرهم ذلك الاضلال لاعمالهم والتكفير لسيئاتهم بان الذين كفروا
اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم حال كون الحق من ربهم
كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم اي لاجل الناس
امثالهم بان جعل اتباع الباطل والاضلال للاعمال مثلا للذين كفروا واتباع
الحق والتكفير للسيئات مثلا للذين امنوا فالمشار اليه في ذلك ما يقتضي
المشار اليه مغاير المضمون يضرب الله للناس امثالهم لكن لا بد من ضرب
مثل في الجملة فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فاضربوا رقابهم
ضربا والمراد منه القتل باي وجه كان ولما كان القتل في حال الاختيار
بضرب رقبته غالبا عبر بذلك عن مطلق القتل جعل المصدر مضافا الى
المفعول بعد حذف فعله حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم القتل فيهم من ثخن الشيء
اذا كثف وغلظ فالمعنى على حذف المضاف اي اثخنتم قتلهم فشدوا الوثاق

يعني اذا

يعني اذا اوقع الاثخان وتمكنتم من اخذهم فشدوا وثاق الاسرى لئلا يهربوا
والوثاق ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء يعني انتم مخيرون بين الاطلاق بمجرد
المنة عليهم وبعوض فنصبهما على اضمار فعل هو تمنون وتفدون وظاهر
القران التخيير بين القسمين فلا ثالث وقول اكثر السلف لهم المن والمفاداة
والقتل والاسترقاق حتى تضع الحرب اوزارها اثقالها والاتها يعني حتى
لا يبقى حرب بان لا يبقى كافر ويكون الدين كله لله قال مجاهد تضع الحرب
اوزارها الى حين نزول عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام وفي الحديث لا تزال
امتي ظاهرين على الحق حتى تقاتل اخرها الدجال ذلك اي الامر ذلك ولو
يشاء الله لانتصر منهم لانتقم من الكفار باستيصالهم من غير قتال ولكن
الزم عليكم الجهاد ليبلو الله بعضكم ببعض فيمحص المؤمنين بالجهاد ويمحق الكافرين
بايدي المؤمنين فهو من البلية او من الابتلاء قال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الاية والذين قاتلوا في سبيل الله غرضهم فتح سبيله
وتطهيره فلن يضل يضيع اعمالهم سيهديهم الى سبل السلام ويصلح بالهم
في الاخرة وفيما بقي من عمرهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم بينها لهم فكل منهم يعرف
منزله وفي البخاري والذي نفس محمد بيده ان احدهم بمنزله في الجنة اهدى منه
بمنزله كان في الدنيا وعن بعض طيبها لهم من العرف وهو الرائحة الطيبة قيل
عرفها لهم في الدنيا فاشتاقوا اليها وعملوا لها يا ايها الذين امنوا ان تنصروا
الله بان تجاهدوا في سبيله وتنتقموا من اعدائه ينصركم على عدوكم ويثبت
اقدامكم في الحرب والصراط فلا تقعوا في عار الفرار وهوة بوار النار والذين
كفروا مبتدأ ضمن معنى الشرط فتعسا لهم اتعسهم الله تعسا يعني اهلكهم الله
وهذا مجاز عن الاهلاك ولا قول هناك ولا دعاء ولذلك جاز ان يكون
خبر المبتدأ من غير حاجة الى تقدير قول فان حقيقته خبرية وان كان اللفظ
دعائية انشائية وعلى هذا قوله واضل اعمالهم جاز عطفه وهو خبر على
الانشاء صورة فانه عطف على ناصب تعسا ذلك بانهم كرهوا ما انزل
الله عام في كل ما نزل فاحبط اعمالهم كتصدقهم وصلة ارحامهم فاضاعه
افلم يسيروا في الارض تعجيب وتخصيص على السير والتامل فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم دمر استاصل الله عليهم فلم يبق لهم اثر سوى منازلهم

الحزبة المعطلة وللكافرين امثالها ولسائر الكافرين السابقين على الكفر
امثال تلك العاقبة فيه وعيد لقريش قيل وللكافرين من باب وضع
الظاهر موضع المضمر كانه قال ولهم اي لقريش ذلك بان الله مولى
ناصر الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم بمعنى لا ناصر لهم والله مولى الكل
بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون في الدنيا بالدنيا ويأكلون
كما يأكل الانعام اي اكلا مثل اكل الانعام غافلا عن التامل في حله وحرمته
وقلته وكثرته كالشكر والحمد في اخره والبسملة في اوله والنار مثوى منزل
لهم بعد موتهم وكاين من قرية وكم من اهل قرية هي اشد قوة منصوب
على التمييز من قريتك من اهل مكة التي اخرجتك كانوا سبب خروجك
اهلكناهم بانواع من عذابنا فلا ناصر لهم اي لم يكن لهم ناصر فهو كالحال المحكية
قوله اهلكناهم خبر كاين وقوله هي اشد في موضع الصفة نزلت ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في غار ثور محزون على فراق مكة افمن كان على
بينة حجة ظاهرة من ربه كالقران كمن زين له سوء عمله واتبعوا جمع الضمير
باعتبار معنى من اهواءهم شهوات انفسهم فعبدوا غير خالقهم ورازقهم
ولما استفهم استفهام تقرير على شيء ظاهر وهو المعادلة بين الفريقين
اعقب التفاوت بين منزليهما فقال مثل الجنة صفتها التي وعد المتقون
وعدها فيها انهار من ماء غير آسن لا يتغير ابدا طعمه ولا ريحه وان كان في
بطن شاربه وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر حامضا ولا قارصا وانهار
من خمر لذة للشاربين طيبة الطعم والريح لا فيها غول تانيث لذ وهو اللذيذ
او مصدر وصف به للمبالغة وانهار من عسل مصفى من جميع الاوساخ
والعسل مما يذكر ويونث ولهم فيها من كل الثمرات بعض كلها ومغفرة
عطف على محل من كل او تقديره ولهم مغفرة من ربهم وهم متنعمون متلذذون
بالمغفرة السابقة التي هي سبب دخول الجنة وترتب جلائل النعم عليها
كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم من شدة الحرارة ثم ان
خبر مثل الجنة كمن هو بتقدير كمثل جزاء من او بتقدير في المبتدأ اي مثل اهل الجنة
كمثل من هو خالد وعلى الوجهين قوله فيها انهار مستانفة وعند سيبويه

فانه صلوات الله وسلامه عليه خرج باختياره

فهي صلة مثل الجنة كمثل النار

وقيل صفة بعد صفة لقوله التي كانه قال التي فيها انهار

تقديره

تقديره فيما يتلى عليكم مثل الجنة وقوله كمن هو خالد خبر محذوف اي المتقي
الذي له تلك الجنة كمن هو خالد والقرينة وعد المتقون ومنهم من يستمع
اليك هم المنافقون يحضرون مجلسك الاشرف ويستمعون كلامك الالطف
حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم علماء الصحابة ماذا قال
محمد انفا اي ساعة قريبة منا وسؤالهم اظهار استهزاء واعلام بانهم
غير مكترثين بكلامه ونصبه على الحال قال صاحب البحر ما عده احد من الظروف
ومن جعله من الظروف فكانه لما راى انهم قالوا في ساعة اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم ختم عليها فلا يدخل فيها الهدى واتبعوا اهواءهم
شهوات انفسهم والذين اهتدوا زادهم الله او قول الرسول هدى
بتفهيمهم مزيد الادلة وبتوفيقهم لتكثير الحسنات وتقليل السيئات واتيهم
تقويهم اعانهم على التقوى فهذا كالعطف التفسيري لزادهم هدى ولما ذكر
حال المنافقين والكلام في شانهم وقوله والذين اهتدوا في البين للمقابلة
كما هو طور القران رجع الى الكلام في امرهم فقال فهل ينظرون ينتظرون الا
الساعة فانهم يستمعون كلامك الاشرف وما اثر فيهم فكانهم لا يؤخرون الايمان
الا لما هو ات قريب ان تاتيهم بغتة ان تاتيهم بدل الاشتمال من الساعة
وبغتة مفعول مطلق فانها نوع من الاتيان فقد جاء اشراطها كانه قال
لا ينتظرون الا الساعة لانه قد جاء اشراطها فلا بد من وقوعها وفي الحديث
انا من اشراطها وانا والساعة كفرسي رهان فانى لهم اذا جاءتهم ذكريهم
فمن اين لهم التذكر والاتعاظ اذا جاءتهم الساعة يعني حينئذ يتعظون
ويندمون ولا ينفعهم فاعلم انه لا اله الا الله يعني اذا علمت حال الفريقين
فاثبت انت على ما حققت من التوحيد واستغفر لذنبك لتستن به
امتك وللمؤمنين والمؤمنات واستغفر لذنوبهم والله يعلم متقلبكم
ومثويكم هو على العموم في كل متقلب ومثوى اي موضع سكون ولما قال والله
يعلم متقلبكم ومثويكم عطف عليه ما هو من المعلومات فقال ويقول الذين
امنوا الظاهر انهم الموحدون المخلصون لولا هلا نزلت سورة فيها الامر
بالجهاد فاذا انزلت سورة محكمة غير منسوخة او غير متشابه لا تحتمل الا وجوب
القتال وذكر فيها القتال اي الامر به رايت الذين في قلوبهم مرض ضعف

اسم فاعل لم يستعمل فعله وقال الزجاج من استانفت الشيء اذا ابتدأته

دين وهم المنافقون وهذا كما قال الله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم الاية
ينظرون اليك من جبنهم ورعبهم نظر المغشي عليه من الموت اي كنظر من اصابته
الغشية عند الموت فاولى لهم طاعة وقول معروف اي كان الاولى في الاخرى
والاولى بهم طاعة الله وقول معروف باجابة الامر وعن ابن عباس معناه
الويل لهم كما سياتي في سورة القيمة ثم قال طاعة اي امرهم طاعة او طاعة
امثل لهم في الصحاح قول العرب اولى لك تهديد وتوعيد فاذا عزم جد
الامر ووجب القتال فلو صدقوا الله فيما زعموا في حرصهم على الجهاد لكان
الصدق خيرا لهم قيل معناه اذا حضر القتال فلو اخلصوا له النية لكان
خيرا لهم والظاهر ان قوله فلو صدقوا جواب عن اذا عزم كما تقول اذا
جاء الشتاء فلو جئتني لكسوتك فهل عسيتم اي هل يتوقع منكم ان توليتم
ان اعرضتم عن الدين ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اي تعودوا
الى ما كنتم عليه من امر الجاهلية فيه التفات بعد قوله الذين في قلوبهم
مرض اقبل بالخطاب على سبيل التوبيخ وفصل بين عسى وخبرها
بالشرط اعني ان توليتم ونصب ارحامكم في قراءة تقطعوا بفتح التاء
بنزع الخافض اي في ارحامكم فان تقطع لازم او معنى توليتم تامرتم
من الولاية وقراءة وليتم على صيغة المجهول يؤيده والاظهر انه خطاب
للمنافقين في امر القتال والمراد ان يفسدوا بعدم معونة اهل الاسلام
وقطع الرحم فان من ارحامهم كثيرا من المسلمين ويدل على ذلك اولئك الذين
لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم فلا يسمعون الحق ولا يهتدون ودخلت
هل على ما تضمنه عسى من معنى التوقع يعني هم لضعف دينهم بحيث يتوقع
من عرفهم ذلك منهم فلا يصح التوقع من الله كما لا يصح التعجب افلا يتدبرون
القران فيتعظوا بمواعظه ام على قلوب اقفالها اي ام يتدبرون لكن
عليها القفل فلا يدخل فيها الحق وتنكير قلوب للتهويل كانه قيل لا يقادر
قدرها في القسوة او المراد قلوب بعض واضافة الاقفال اليها لانه على
اقفال مناسبة لها لا تجانس الاقفال المعهودة وقيل ام منقطعة والهمزة
للتقرير والتسجيل عليهم ان الذين ارتدوا على ادبارهم رجعوا الى كفرهم وهم
المنافقون يعني ظهر منهم الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى حقيقة دين الاسلام

بعد

بعد ظهور المعجزات عليهم الشيطان سول لهم زين وسهل واملى لهم مد لهم
في الامال او امهلهم الله وقراءة واملي على فعل المتكلم دال على الثاني والواو
حينئذ واو الحال اي والله امهلهم ولا يعجلهم بالعقوبة ذلك بانهم قالوا سرا
للذين كرهوا ما نزل الله الكفار الخلص سنطيعكم في بعض الامر بعض اموركم
في عداوة الاسلام بحيث لا يظهر على اهل الاسلام انا لسنا منهم والله يعلم
اسرارهم فافشى الله سرهم وافضحهم فكيف اي كيف حالهم اذا توفتهم
الملائكة لما ذكر شدة فزعهم لاجل القتال وانهم لضعف دينهم بحيث
يتوقع منهم الفساد في الارض وقطع الارحام وان بينهم وبين الكفار مودة
وعدة قال فكيف اذا توفتهم الملئكة يعني هذا علم تعيشهم وتقلبهم في الدنيا
واختلاف سرهم وعلنهم فكيف يعملون ويمكرون وينافقون حين توفتهم
وفجاءة عذابهم يضربون وجوههم وادبارهم لاستخراج ارواحهم الجملة
حال من الملئكة ذلك اي هذا النوع من التوفي بانهم اتبعوا ما اسخط الله
توجهوا وجوههم اليه فضربوا وجوههم وكرهوا رضوانه ما يرضاه فتولوا عنه فضربوا
ادبارهم ففي ذلك مقابلة امرين بامرين فاحبط اعمالهم حسناتهم التي عملوها
ام حسب الذين في قلوبهم مرض نفاق ان لن يخرج الله يبرز ويظهر اضغانهم
احقادهم وام منقطعة والهمزة للانكار وفيه توبيخ ولو نشاء لاريناكهم فتراهم
بعينك وتعرفهم باشخاصهم فلعرفتهم بسيماهم وهو معرفة القلب يعني
بعد ما عرفتهم بسيماهم وعلامات تستدل بها على نفاقهم لو نشاء لنشخصهم لك
بحيث لا تحتاج الى الاستدلال لكن ابقينا عليهم وعن ابن عباس ما خفي على
رسول الله صلى الله عليه وسلم احد من المنافقين يعرفهم بسيماهم ولام لعرفتهم
قسمية بقرينة عطف قوله ولتعرفنهم في لحن القول عليه فان المضارع مع
نون التاكيد ينافي ان يكون جواب لو ولحن القول ازالة الكلام عن جهته
الى تورية مثل قولهم راعنا وهذه الطريقة التي اخترناها في بيان تلك الاية
كانها ضالة الحكيم وفوق كل ذي علم عليم والله يعلم اعمالكم خطاب عام
شامل للمؤمن والكافر ولنبلونكم نعاملكم معاملة المختبر بالتكاليف حتى نعلم
نرى ونميز المجاهدين منكم والصابرين على مشاق الجهاد ونبلوا اخباركم
نعلم او نظهر احوالكم واعمالكم او نختبر اخباركم عن الايمان انه عن صدق الباطن

فانك ان تاملت كلام الزمخشري والشارحين
عليه وانت آخذ بالانصاف على
لوجدتك عرفت قدر ما جئناه لك
والله الموفق

او عن الله وحده ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله
وشاقوا الرسول خاصموه من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله
شيئا من المضرة انما يضرون انفسهم وسيحبط اعمالهم ثواب حسناتهم
من سوء سيئاتهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا
تبطلوا اعمالكم كما ابطل المنافقون والكافرون عن ابي العالية كنا معاشر
الصحابة نرى انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل
صالح حتى نزل قوله ولا تبطلوا اعمالكم فخفنا ان يبطل الذنب العمل وقد
صح عن ابن عمر قريب من قول ابي العالية ان الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم دل بمفهومه على انه قد يغفر
الله ذنوب من لم يمت على الكفر فلا تهنوا تضعفوا وتدعوا الى السلم
تدعوا الكفار الى الصلح وانتم الاعلون الواو للحال والحال انكم الاغلبون
اخبار بمغيب والله معكم بالنصر ارتقى الى رتبة اعلى هي كون الله معهم
قوله وتدعو مجزوم معطوف على تهنوا او منصوب باضمار ان ولن
يتركم اعمالكم اي لن يفردكم الله من الاعمال بان يبطلها من افردته من قريبه
او ماله من الوتر وهو الفرد وقد ورد في الحديث من فاتته صلوة العصر
فكانما وتر اهله وماله فاعمالكم نصب بنزع الخافض او بالمفعول الثاني
لتضمين معنى السلب يقال سلبته الثوب اي عنه انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو لا اصل لها ولا ثبات وان تؤمنوا وتتقوا معاصي الله يؤتكم اجوركم
ثواب اعمالكم ولا يسالكم ربكم اموالكم جميع اموالكم ان يسالكموها فيحفكم
يطلب منكم جميعه من احفى شاربه استاصل تبخلوا ولا تعطوا ويخرج اي
الله اضغانكم حقدكم على من يطلب منكم قيل ضمير يخرج للبخل لانه سبب الاضغان
وقيل للسوال ها انتم هؤلاء كرر هاء التنبيه تاكيدا مبتدا وخبر فيه تحقير
لشانهم وتوبيخ واما ان هؤلاء موصول وما بعده صلته فقال في البحر
انه مذهب كوفي وعند البصريين ان اسم الاشارة تكون موصولا اذا تقدمها
ما الاستفهامية تدعون استيناف لتنفقوا في سبيل الله طرق الخير
فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ضرر البخل راجع الى نفسه
قيل يتعدى بعن لتضمين معنى الامساك كانه قال يمسك عن النفس بخلا والله

الغني

الغني وانتم الفقراء فلا يامركم الا بما لا يزعجكم وان تتولوا عطف على وان
تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقم مقامكم قوما اخرين ثم لا يكونوا امثالكم
في التولي عن الطاعة بل سامعين طايعين في الحديث من هؤلاء الذين
ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا فضرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يده على كتف سلمان ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند
الثريا لتناوله رجال من الفرس وعن عكرمة وغيره هم فارس
والروم والحمد لله اضعاف ما حمده الحامدون وصلى الله على محمد واله

سورة الفتح مدنية وفي الصحيح انها نزلت عليه في الطريق منصرفه من الحديبية سنة ست من الهجرة فتعد من المدنيات آياتها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا نزلت في طريق المدينة
حين الرجوع من حديبية والاصح بل الصحيح ان الفتح صلح الحديبية وما فتح
الله على صدره الاشرف روى محيي السنة ان عمر بن الخطاب قال حين
نزل او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وعن الزهري
لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين فسمعوا
كلامهم وتمكن الاسلام في قلوبهم ومن هنا استقبل فتح خيبر لم يفتحها الا
اهل الحديبية لم يشاركهم احد عن المخلفين عنها وهو صلح بسببه خير الدنيا
والاخرة فيه بيعة الرضوان وظهور الاسلام وانتشار العلم وهو سبب
لفتح مكة ليغفر لك الله لما كان الفتح متضمنا لامور عظيمة القدر عند الله
كان سببا للغفران فجمع له عز الدارين ما تقدم من ذنبك وما تاخر نعم ما
قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ويتم نعمته عليك ويهديك
في كل امر توجهت اليه صراطا مستقيما لا عوج فيه وينصرك الله نصرا
عزيزا هذا من باب عيشة راضية اي ذات رضا كلابن وتامر او معناه
نصرا قليل الوجود مثله كما يقال هذا ليس بعزيز اي كثير هو الذي انزل
السكينة الطمانينة والوقار قيل هي ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه
عن المكاره كما روي ان السكينة لتنطق على لسان عمر وروي عن عطا
هي نور يقذف في القلب يبصر به مواقع الصواب في قلوب المؤمنين
كما انزل على الصحابة يوم الحديبية واطمانت افئدتهم بالصلح بعد
ما اوقعهم الشيطان في شك ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ايمانا بما امرهم

ايمانهم مقرونا مع الايمان الذي كان لهم او يقينا مع يقينهم ولله جنود
السموات والارض هو المدبر المتصرف فيهم وكان الله عليما حكيما
فما امر من الصلح هو الصلاح ليدخل اللام متعلق بما دل عليه الكلام فانه
لما قال ولله جنود السموات والارض كان فيه دليل على انه يبتلي بتلك
الجنود من شاء فان الجند لا يكون الا لنصرة الموافقين على المخالفين
فكانه قال ابتلى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها في الصحيحين لما نزل قوله ليغفر لك الله الاية قالوا
هنيئا مريئا بين الله ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت الى قوله فوزا عظيما
وعلى هذا الظاهر انه ايضا علة لانا فتحنا ويكفر عطف على يدخل وهو ترتب
في الذكر لا في الوقوع فبدأ بادخالهم الجنة اذ التبشير به اهم عنهم سيئاتهم
وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وعند حال من فوزا مقدم رعاية للفواصل
ويعذب عطف على يدخل المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
الظانين بالله ظن السوء اي ظن الشيء السوء وهو ظنهم ان لا ينصر الله
الموحدين عليهم دائرة السوء اي عليهم خاصة ما يظنونه بالمؤمنين يحيط بهم
احاطة الدائرة فلا يفلت منهم احد والاضافة بمعنى من وغضب الله
عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات
والارض وكان الله عزيزا حكيما فلا احد يمنعه من الانتقام الذي فيه
المصالح والحكم ولما قال انا فتحنا لك وبين انه الاجابة ومدحهم والدعوة
وذمهم ذكر ارساله الى الجميع فقال انا ارسلناك شاهدا في القيمة على امتك
ومبشرا لمن اتبعك ونذيرا لمن لم يطعك هذه الاحوال الثلثة احوال مقدرة
لتؤمنوا الضمير لله تعالى على ان جعل خطابه منزلا منزلة خطابهم بالله ورسوله
وتعزروه تعظموا الله وتوقروه تجلوه وتسبحوه بكرة واصيلا تنزهوه غدوة
وعشيا وجاز ان يكون ضمير تعزروه وتوقروه لرسوله ان الذين يبايعونك
في الحديبية والمراد بيعة الرضوان انما يبايعون الله اي عقد الميثاق
مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما نحو من يطع الرسول
فقد اطاع الله يد الله فوق ايديهم الاصوب عدم التاويل بان يقال
انه تمثيل فلله سبحانه يد لائق لذاته الاقدس والجملة استينافية ارسل

عليه

عليه الصلوة والسلام عثمان بن عفان الى قريش يخبرهم انهم جاؤا معتمرين
لا محاربين فارجفوا بقتل عثمان فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنون
على الصبر الى اقصى الجهد ولذلك قالوا بايعنا على الموت وعن بعض المراد
نعمة الله عليهم بالهداية فوق ما صنعوا من البيعة فمن نكث نقض العهد
فانما ينكث على نفسه عليه وباله ومن اوفى بما عاهد عليه الله يقال وفيت
بالعهد واوفيت به وقراءة عليه بضم الهاء ليبقى تفخيم لفظ الله على حاله
فسيؤتيه اجرا عظيما سيقول لك المخلفون من الاعراب المراد من وعد
المرافقة في العمرة فتثاقل واخلف الوعد شغلتنا عن الوفاء بالوعد اموالنا
واهلونا اذ ليس لهم من يقوم بامرهم اذا خرجنا فاستغفر لنا عن التخلف
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم كذبهم الله والقول الذي بالسنتهم
قولهم شغلتنا فانه كذب والاستغفار فانه ليس في قلوبهم طلب قل فمن
يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا لا احد يدفع ضره
ولا نفعه فليس التشغل بالمال والاهل عذرا فلا ذاك يدفع الضر ان اراده
ولا ملاقاة العدو تمنع النفع ان اراد بكم نفعا قيل تقدير الاية من يملك
لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا ومن يحرمكم النفع ان اراد بكم نفعا فان
من يملك مستعمل في الضر قال تعالى فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان
يهلك المسيح وسر الاختصاص ان اضافة الملك في تلك المواضع باللام
ودفع المضرة نفع وليس كذلك حرمان المنفعة فانه ضر عائد عليه لا له
واللام لكم للبيان او للصلة بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم قصدكم في
التخلف بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا قالوا
هم في قريش اكلة راس ارادوا ان المشركين يستاصلون المؤمنين وزين
ذلك في قلوبكم اي زين الله ذلك لارادة شقاوتهم او زين الشيطان
قال وزينا لهم اعمالهم وقال وزين لهم الشيطان اعمالهم وظننتم في انهم
اكلة راس لقريش ظن السوء وكنتم قوما بورا هالكين عند الله او فاسدين
الظاهر انه مصدر كالهلك قيل جمع بائر كحائل وحول ومن لم يؤمن
بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين اي لهم لكفرهم لانهم لم يجمعوا بين
الايمانين سعيرا التنكير للتهويل ولله ملك السموات والارض له الاختيار

المطلق يغفر لمن يشاء غفرانه ويعذب من يشاء تعذيبه لا يجب عليه شي
وكان الله غفورا رحيما لمن تاب وامن والغفران من دابه سيقول
المخلفون المذكورون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها كغنائم خيبر ذرونا
نتبعكم لا تمنعونا في ان نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله فانه تعالى وعد
اهل حديبية ان ييسر لهم فتح خيبر ويعوضهم من مكة مغانم خيبر لا شريك
لهم فيها قل لن تتبعونا نفي بمعنى النهي كذلكم قال الله من قبل قبل ان شاءوا
الخروج معنا فسيقولون بل تحسدوننا في ان نصيب من الغنائم وليس هذا
من امر الله بل كانوا لا يفقهون الا قليلا الا فهما قليلا من امور دنياهم
فالاضراب الثاني رد لردهم في اثباتهم الحسد للمؤمنين واثبات لجهلهم في
امور الدين ولما بين انهم مطرودون لتخلفهم وقع في النفوس ان طردهم هل
هو ابدي فقال قل للمخلفين من الاعراب كرر تسميتهم بهذا الاسم للشناعة
ومن الاعراب ينادي بجهلهم الاعراب اشد كفرا ونفاقا الاية ستدعون
الى قوم اولي باس شديد اي الى مقاتلة قوم شاكي السلاح ذي قوة وقد
حضر كثير منهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جعفر في مؤتة وحرب
هوازن وكانوا معه في غزوة تبوك ابهم تعالى القوم دلالة على قوة الاسلام
وانتشار دعوته في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده تقاتلونهم
او يسلمون جملة مستانفة للتعليل نحو سيدعوك الامير يكرمك لا صفقة
لقوم يعني احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام والاصح ان الجزية لا تقبل
من المشركين وجاز ان يراد من الاسلام الانقياد فيشمل الجزية فان تطيعوا
الى ما تدعون يؤتكم الله اجرا حسنا مع انكم مذنبون مخطئون وان تتولوا
عما تدعونه كما توليتم من قبل عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما لا يعفو عنكم المرة
الثانية والعذاب الاليم في الدنيا او في الاخرة او فيهما لما اوعد على التخلف
نفى الحرج عن هولاء فقال ليس على الاعمى حرج في التخلف ولا على الاعرج حرج
وان وجد المركب لقصوره في تردد السفر ولا على المريض حرج ومن يطع الله
ورسوله من غير ان يخترع عذرا في الاسقاط عنه يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار ومن يتول عن الطاعة يعذبه عذابا اليما ولما وعد المطيع واوعد
العاصي اعقب بيان ما للمطيع فقال لقد رضي الله عن المؤمنين وكفاهم

لانهم دعوا الى قتال القوم لا انهم
دعوا الى قوم موصوفين بالمقاتلة
او الاسلام منه

فجزاوهم الف واربعمائة على الاصح اذ يبايعونك بالحديبية على ان يكونوا
متفقين على قتال قريش تحت الشجرة شجرة سمرة معمول يبايعون او حال
من مفعوله فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص او من الهم والانصراف عن المشركين
والانفة في ذلك فانزل السكينة الطمانينة وقدم تفصيل معنى السكينة
عليهم واثابهم جازاهم فتحا قريبا هو الصلح وما هو سبب له من فتح البلدان
ومغانم كثيرة ياخذونها كعقار خيبر واموالها وكان الله عزيزا غالبا حكيما
مراعيا للحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها هي الفتوحات الى يوم القيمة
فعجل لكم هذه غنيمة خيبر او المراد صلح الحديبية وكف ايدي الناس عنكم
لما توجهوا الى خيبر هم اليهود ان يغيروا على عيال المسلمين بالمدينة فقذف
الله الرعب في قلوبهم او المراد ايدي قريش في حديبية ولتكون الكفة
وسلامة عيالكم والغنيمة المعجلة اية للمؤمنين على صدقك قوله ولتكون معلله
محذوف اي وفعل ذلك لك لتكون او عطف على محذوف اي لتكون
سببا للشكر ولتكون ويهديكم صراطا مستقيما التوكل وتفويض الامور
الى الله في جميع الامور واخرى عطف على هذه لم تقدروا عليها لشوكتهم
مثل بلاد فارس والروم وغيرهما قد احاط الله بها استولى ففتحها لكم
وجاز ان يكون واخرى مبتدأ ولم تقدروا صفتها وقد احاط خبرها وكان
الله على كل شيء قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة عام الحديبية لولوا
الادبار لانهزموا لانا قدرنا كذلك وقدرتنا عامة تامة ثم لا يجدون وليا
ولا نصيرا يحرسهم وينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن الله
سنة الانبياء المتقدمين ان عاقبة اعدائهم الخزي والنكال ولن تجد
لسنة الله تبديلا لا يمكن لاحد تبديل سنته وهو الذي كف ايديهم كفار مكة
عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة في الحرم من بعد ان اظفركم عليهم في مسلم والنسائي
وغيرهما ان ثمانين من اهل مكة متسلحين هبطوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قبل التنعيم يريدون غرة المسلمين فدعا عليهم فاخذوا
وعفا عنهم فاطلقوا فانزل الله وهو الذي كف الاية فقد من الله بصلح
الحديبية وحفظ المسلمين عن الكافرين وعدم هتك حرمة مسجد الحرام
واما من قال المراد فتح مكة فهو ضعيف فان السورة مدنية نزلت قبل الفتح

والحمل على ان الماضي اعني كف الى اخره للتحقق وهو بمعنى المضارع فيكون
وعدا بعيدا جدا وايضا ما ذكر ان عكرمة ابن ابي جهل خرج في عسكر فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد من حديبية فهزمهم حتى ادخلهم
حيطان مكة فكانه غلط فان خالد بن الوليد لم يكن اسلم يومئذ بل كان طليعة
للمشركين كما في البخاري وغيره وكان الله بما يعملون بصيرا فيجازيكم هم الذين
كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معطوف على مفعول صدوا اي منعوكم
ومنعوا الهدي وهي سبعون بدنة معكوفا محبوسا ان يبلغ محله مكانه الذي
يحل نحره فيه وقد مر في سورة البقرة قوله وان يبلغ متعلق بمعكوفا وهو
حال اي محبوسا عن ان يبلغ وحبسها من المشركين ولولا رجال مؤمنون
ونساء مؤمنات هم المستضعفون بمكة لم تعلموهم لم تعرفوهم لاختلاطهم
بالمشركين ان تطؤهم توقعوا بهم وتقتلوهم في اثناء قتال المشركين
بدل اشتمال من مفعول تعلموا فتصيبكم منهم من قبلهم معرة ملامة وتالم
النفس وتعيير المشركين انهم قتلوا اهل دينهم بغير علم اي تطؤهم غير عالمين
فهو حال من فاعل تطؤا متعلق العلم في الاول الوطاة وفي الثاني انفسهم
باعتبار الايمان فلا تكرار او معناه معرة حاصلة من غير سبق علم وتوجه
ذهن فعلى هذا بغير علم صفة لمعرة وجواب لولا على اي وجه محذوف يعني
لولا مؤمنون لم تعلموا وطئهم واهلاكهم وانتم غير عالمين بايمانهم لما كف
ايديكم عنهم ولفعل بهم ما لا يدخل تحت الوصف ليدخل الله في رحمته من يشاء
يعني تاخر تسلطكم ليتخلص المؤمنون من بين اظهر المشركين فقوله ليدخل علة
لما دلت عليه الاية من كف الايدي عن اهل مكة والمنع عن قتالهم ثم قال مستانفا
لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما يعني لو تميز الكفار
عن المؤمنين الذين بين اظهرهم لعذبنا الكافرين والظاهر ان المراد من
التعذيب تسليط المؤمنين وقتل المشركين وسبيهم واسرهم فان
عدم التمييز لا يوجب عدم عذاب الاخرة قال الزمخشري جاز ان
يكون قوله لعذبنا هو الجواب للولا رجال وقوله لو تزيلوا كالتكرير للولا
رجال لان مرجعهما واحد فاقول حاصل المعنى في الثاني لو تميزوا لم يكن
وهم الوطاة وهذا المعنى قريب راجع الى الاول فلا يرد عليه ما اورده

صاحب البحران المعنى في الاولى لولا وطاة قوم مؤمنين والمعنى في الثانية
لو تميزوا عن الكفار واين هذا من الاول اذ جعل الذين كفروا ظرف لعذبنا او
لصدوكم والذين كفروا من وضع الظاهر موضع الضمير في قلوبهم في قلوب
انفسهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التي تمنع قبول الحق ابهم الحمية اولا ثم اوضح
تسجيلا بانهم كانوا احقاء بالعذاب فانزل الله سكينته ووقاره على رسوله
وعلى المؤمنين فقد هم المؤمنون اباء كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الصلح ودخلوا من ذلك في امر عظيم كادوا ان يهلكوا ودخل الشك
في قلوب بعضهم حتى انه قال صلى الله عليه وسلم ثلث مرات قوموا
وانحروا وما قام منهم احد وقالوا الست كنت تحدثنا انا نأتي البيت ونطوف
قال هل اخبرتكم انا نأتيه العام قالوا لا قال فانكم تأتونه وتطوفون وحاصله
انه وعدهم دخول مكة فعزم وتوجه فحبسوا ومنعوا فكون خلف وعد فلما منعوا
دخل الشك في قلوب بعض فازاح الله الشك بفضله وتفضل عليهم والزمهم
اي المؤمنين الزام الكرام وتشريف كلمة التقوى هي كما روي النسائي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله اضيفت الى التقوى لانها
سبب التقوى او المراد كلمة اهل التقوى وكانوا المؤمنون احق بها من غيرهم
فانهم اختارهم الله لصحبة نبيه واهلها وكانوا اهلها في علم الله وفي مصحف
حرث بن سويد من كبار تابعي الكوفة وثقاتهم كما قال ابن الاثير قد سئل
احمد بن حنبل عنه قال مثل هذا يسأل عنه وكانوا اهلها واحق بها لما امر
صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب ان يكتب في كتاب الصلح بسم الله
الرحمن الرحيم قالوا لا نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ولهذا قيل البسملة
كلمة التقوى اختارها الله للمؤمنين وكان الله بكل شيء عليما لقد صدق الله
رسوله الرؤيا في رؤياه فهو من نزع الخافض وذلك انه عليه الصلوة والسلام
راى قبل الحديبية في منامه انه مع اصحابه دخلوا المسجد الحرام امنين غير
خائفين فاخبر الاصحاب وفرحوا فلما منعوا شق ذلك عليهم ودخلوا
في نوع شك فنزلت بالحق حال كون الرؤيا ملتبسة بالحق لم يكن اضغاث
احلام وقيل صفة مصدر محذوف اي صدق صدقا ملتبسا بالحق الغرض
الصحيح وهو قصد التمييز بين الثابت والمتزلزل لتدخلن اي والله لتدخلن

المسجد الحرام ان شاء الله الاستثناء لاجل تعليم العباد آمنين حال
والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين حال مقدرة اي بعضكم
كذا وبعضكم كذا لا تخافون حال مؤكدة من آمنين فعلم الله ما لم تعلموا
من الحكم والمصالح فجعل من دون ذلك من دون دخولكم المسجد فتحا
قريبا هو صلح الحديبية على الاصح كما ذكرنا او هو فتح خيبر وفتح مكة
سنة ثمان من الهجرة وخروجهم من المدينة عام الحديبية في ذي القعدة
سنة ست منها ولما اخبر بهذه الامور الجليلة الدالة على احاطة علمه
شرف رسوله فقال هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا بالعلم
النافع ودين الحق الذي لا يأتيه الباطل ابدا ليظهره ليغلبه على الدين
على جنسه كله وكفى بالله شهيدا انك مرسل بالحق وانكار من انكر ذلك
لا يضرك فانه لما قال لعلي اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله قالوا
لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك
ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فقال صلى الله عليه وسلم
اكتب ما يريدون محمد رسول الله جملة تامة مبينة للمشهود به او تقديره
هو محمد والذين معه من اهل الحديبية وغيرهم اشداء على الكفار رحماء
بينهم يغلظون على المخالفين يتراحمون فيما بينهم قيل محمد مبتدأ ورسول
الله عطف بيان والذين معه عطف على محمد واشداء الى اخره خبرهما
تراهم ركعا سجدا دليل على كثرة ذلك منهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا زيادة من الخير ورضا كاملا سيماهم في وجوههم من اثر السجود
اي علامة الرضا في وجوههم ومن اثر حال من ضمير في الخبر يرجع الى سيما
يعني نور وجوههم في القيمة او صفاؤهم او صفرة لونهم من السهر لكثرة
صلواتهم ذلك اي المذكور مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل اي
صفتهم العجيبة في الكتابين كزرع اي هم كزرع مثل اخر غيرهما في الكتابين
قيل الاولى ان يكون ومثلهم في الانجيل مبتدأ وكزرع خبره عطف جملة
على جملة اخرج شطأه فراخه فآزره قواه فاستغلظ صار من الدقة
الى الغلظ او المراد المبالغة في الغلظ كاستعصم ونظائره فاستوى
استقام على سوقه على ساقه وقصبه يعجب الزراع الذين يعرفون حال

الزرع

الزرع فكيف من لم يعرف حال الزرع ويعجبه جملة حالية عن قتادة في
الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون اراد ان الصحابة كانوا اولا ضعفاء
ثم كثروا فلهم بهجة في عين الناظر لما لهم من الرونق ليغيظ علة للتشبيه
اي جعلهم الله بهذه الصفة ليغيظ او التقدير قواهم ليغيظ بهم الكفار قيل
علة لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم اي من
الصحابة ومن للبيان مغفرة واجرا عظيما والحمد لله على جلائل النعم

سورة الحجرات مدنية آيها ثمان عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
اي لا تقطعوا امرا قبل حكمهما به بل كونوا تابعين يقال تقدم بين يدي
ابيه ووالده اي عجل بالامر والنهي دونهما فالفعل لازم وقراءة لا تقدموا
بفتح التاء يؤيده واصلها لا تتقدموا والمفعول محذوف اي لا تقدموا
امرا عن ابن عباس لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة واتقوا الله
في جميع اموركم سيما في التقدم ان الله سميع لاقوالكم عليم باحوالكم يا ايها
الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي لا تجاوزوا باصواتكم
عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض في عدم المبالاة وقلة
الاحترام فان رتبة النبوة واجب التوقير فاجعلوا اصواتكم معه اخفض
من اصوات بعضكم مع بعض نزلت في ابي بكر وعمر تماريا في محضر النبي
صلى الله عليه وسلم حتى ارتفعت اصواتهما فكانا بعد ذلك يسرانه
ان تحبط اي كراهة او خشية ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون بحبطها
فقوله ان تحبط مفعول له للاتجهروا والتقدير مضاف والفعل المنهي معلل وجاز
ان يكون بعض المعاصي محبطا للطاعات واما عند المعتزلة فجميع
الكبائر محبط كالكفر والعلماء صرحوا بكراهة رفع الصوت عند قبره الاطهر
ان الذين يغضون يخفضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى اخلصها للتقوى فلم يبق لغير التقوى فيها حق
يقال امتحن الذهب اذا اذابه واخرج خبثه او ضرب الله قلوبهم بانواع
المحن لاجل حصول التقوى فالامتحان هو الضرب بالمحن على الحقيقة
واللام للتعليل على معنى ان ظهور التقوى هو العلة والغرض او كناية عن صبرهم

وثباتهم على التقوى اى جرّبها ومرّنها على التقوى يقال امتحن فلان لامر
كذا فالممتحن جرب وعود منه الفعل مرة بعد اخرى فهو دال على التمرن الموجب
للاطلاع لهم مغفرة عظيمة واجر عظيم وجملة لهم مغفرة خبر ثان لان او استيناف
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من جهة وراء حجرات نسائه وجميع
الحجرات لما كانت متقاربة يصدق على من وقف وراء حجرة انه من
وراء الحجرات قيل جمعت اجلالا له فان مجالسك ابلغ فى التعظيم من مجلسك
اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضى الادب سيما مع مثله صلى الله عليه وسلم
وفيه دليل على ان فيهم عقلاء قال صاحب البحر ونعم ما قال كلام من قال
القلة تقع موقع النفى فى كلامهم فيمكن ان يكون القصد نفى ان يكون فيهم من يعقل
نحو قليل من عبادى الشكور ليس بشئ فان الحكم بقلة العقلاء مفهوم الاية لا
منطوقها والنفى المحض انما هو من صريح لفظ التقليل لا من المفهوم فلا يحمل
قوله ولكن اكثر الناس لا يشكرون على النفى المحض للشكر ولو انهم صبروا لو
ثبت صبرهم حتى تخرج اليهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال والله
غفور رحيم حيث يقتصر على النصح لمسيئ الادب وان تاب غفر نزلت
فى وفد بنى تميم اتوا عند الظهيرة ونادوا على الباب حتى استيقظوه وقالوا
يا محمد اخرج الينا فان مدحنا زين وذمّنا شين او فى وفد بنى العنبر حين سبيت
ذراريهم فجاء رجالهم يفدون ذراريهم وقد وافقت الظهيرة يصيحون
يا محمد اخرج الينا ولما منع ما يوجب اذاه واذى امته ربما يكون عنده
صلى الله عليه وسلم اشد لكمال عطوفته على امته اعقبه بقوله يا ايها الذين
امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ بخبر فتبينوا فتفحصوا صدقه فان الفاسق غير معتمد
وقراءة فتثبتوا معناه توقفوا الى ان يتبين الامر ان تصيبوا منصوب المحل
بانه مفعول له بتقدير مضاف اى كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين
بحالهم فتصبحوا اى تصيروا وعبر بالاصباح لان اشنع الذم ما استقبل
فى الصباح على ما فعلتم على فعلكم نادمين نزلت فى وليد بن عقبة راح
الى بنى المصطلق لاخذ زكاتهم فرجع من الطريق خوفا منهم لعداوة بينهم فى
الجاهلية وقال منعوا الصدقة وهموا بقتلى فاراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يغزوهم فجاء وفد منهم بالزكاة وحلفوا انه ما جاءهم الوليد

ولارادة واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم اى
فيكم لا فى غيركم رسول الله على حال لو اطاعكم فى كثير من ارائكم لوقعتم فى جهد
ومصيبة نزلهم منزلة من لا يعلم انه بين اظهرهم فعلى هذا لو يطيعكم حال
من المستتر فى فيكم والمعنى ان رسول الله فيكم على حالة يجب عليكم تغييرها
وجاز ان يكون حالا من الضمير البارز فى فيكم يعنى انتم على حالة يجب عليكم
تغييرها وهى انكم تطلبون منه ان يعمل فى الحوادث على مقتضى ارائكم وكان
بعض المؤمنين زينوا التصديق قول الوليد عند رسول الله صلوات الله
وسلامه عليه ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم
الكفر والفسوق الكبائر والعصيان الصغائر ولذلك انتم تطيعونه
لا هو يطيعكم فلا توقعون فى عنت كما تقول زيد لو يطيعك لما كان عالما
لكن هو رجل ذو لب فعلى هذا قوله ولكن استدراك وقع موقعه
اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة مفعول له لحبب او كره وما بينهما
اعتراض قيل مفعول مطلق فان التحبيب فضل والله عليم باحوال المؤمنين
حكيم فيفضل بحسب حكمته ولما كانت النميمة ونقل الاخبار الباطلة ربما
جرت فتنا ادت الى القتال اعقب طريق الحكمة فى دفعه فقال وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا فاصلحوا بينهما بالنصح والامر فى
اصلحوا وغيره لمن له الامر من الولاة وهذا من باب وان احد من المشركين
استجارك فطائفتان فاعل الفعل مقدر دل عليه اقتتلوا ولما كانت
الطائفتان فى معنى القوم قال اقتتلوا فهو محمول على المعنى ثم حمل على
اللفظ فقال بينهما نزلت حين جرى ما جرى بين الاوس والخزرج لسوء
ادب من ابن ابى راس المنافقين على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتجالد الحيان بالجريد والنعال والايدى فقراها عليهم فاصطلحوا فان
بغت تعدت اصله طلب العلو بغير الحق احديهما احدى الطائفتين
على الاخرى فقاتلوا التى تبغى الطائفة التى صدرت منها البغى ولم تقبل
النصح حتى تفئ ترجع الى امر الله حكمه فان فاءت وانقادت فاصلحوا
بينهما بالعدل قيد بالعدل لان الناصح المصلح لما تقاتل مع الباغى ربما
اثار غضبه فحين الاصلاح لا يراعى العدل فمظنة الحيف واقسطوا اعدلوا

فی جمیع الامور والقسط بفتح القاف الجور وبکسرها العدل ان الله
یحب المقسطین انما المومنون اخوة ماهم الا اخوة من حیث الدین فاصلحوا
بین اخویکم لم یقل بینهم تخصیصا علی الصلح لشفقة الاخوة واتقوا الله
فی سائر امورکم لعلکم ترحمون کونوا بعد التقوی راجین لرحمة الله یا ایها
الذین امنوا بعد ان عرفتم انکم اخوة لا یسخر قوم من قوم القوم للرجال
خاصة قال زهیر اقوم آل حصن ام نساء عسی ان یکونوا المسخور بهم
خیرا منهم من الساخرین استیناف علة للنهی واکتفی عسی بالاسم عن الخبر
وعلة عدم السخریة الخیریة عند الله وهی موجود فی واحد ایضا فالمراد به کل
فرد فرد لکن السخریة اکثرها انها فی مجلس فاتی بصیغة الجمع ولا نساء من نساء
عسی ان یکن خیرا منهن عند الله ولا تلمزوا انفسکم لا یعب بعضکم بعضا
لان عیبهم راجع الی عیبکم لان الاخ المعیوب عیب او لان المسلمین کنفس
واحدة واللمز الطعن باللسان ولا تنابزوا بالالقاب لا یدعو بعضکم
بعضا باللقب السوء والنبز مختص باللقب السوء عرفا بئس الاسم الفسوق
بعد الایمان یعنی ان السخریة واللمز والتنابز فسوق او التنابز بالالقاب
من عادات الجاهلیة وبئس الذکر الذی هو الفسوق بعد الایمان یعنی لا ینبغی
ان یجتمع فان الایمان یابی الفسق یقال طار اسمه فی الناس بالکرای ذکره
قیل کان فی شتائمهم یا فاسق یا یهودی لمن اسلم فنهوا عنه وقال بئس
تشهیر الناس بعیب کانوا فیه بعد ما اتصفوا بضده ومن لم یتب
عما نهی عنه فاولئک هم الظالمون الجمع محمول علی معنی من یا ایها الذین
امنوا اجتنبوا کثیرا من الظن لا تعملوا بحسبه لا یجتری احد علی ظن الا بعد نظر
وتامل بین حقه وباطله والمراد ظن السوء باخیک المسلم ان بعض الظن
اثم فکونوا علی حذر لئلا تقعوا فی الاثم ولا تجسسوا لا تبحثوا عن عورات
اخوانکم ومعائبها ولا یغتب بعضکم بعضا والغیبة ذکر اخاک بما یکره
ویکون ما یکره فیه فان لم یکن فیه فهو بهتان وهو اشد من الغیبة کذا فی الحدیث
ایحب احدهم ان یاکل لحم اخیه میتا نصب بالحال من اللحم لا من اخیه لانه
لا یجی الحال من المضاف الیه الا کان له موضع من الاعراب نحو اعجبنی رکوب
الفرس مسرجا فانه فی موضع نصب واعجبنی قیام زید مسرعا فانه فی موضع

رفع کذا

رفع کذا فی البحر وغیره وهذا وهذا ضرب المثل علی الفحش وجه فان اللحم
ستر علی العظام وهو کانه یکشف فکرهتموه الفاء فصیحة نحو فقد جئنا
خراسانا فمقدر بالشرط یعنی ان عرض علیکم هذا فقد کرهتموه فهذا تحقیق
وتقریر للاول واتقوا الله ان الله تواب بلیغ فی قبول التوبة رحیم
فتوبوا عن غیبة اخوانکم روی الامام احمد والبیهقی انه قیل یا رسول الله
فلانة وفلانة صائمتان وقد بلغتا الجهد فناداهما وقال لاحدهما فقاءت
لحما ودما عبیطا وقیحا والاخری ایضا کذلک فقال صلی الله علیه وسلم
انهما صامتا عما احل الله وافطرتا علی ما حرم اتت احدیهما الاخری
فلم تزالا تاکلان لحوم الناس حتی امتلأت اجوافهما قیحا وقد ورد المغتاب
اول ما یدخل النار وهو آخر ما یخرج منها ولما منع عن الاذی بکل وجه
اعقبه بان الکل متساوون فی النسب متشارکون فی الجد والجدة بل الکل
کواحد فقال یا ایها الناس انا خلقناکم من ذکر ادم وانثی حواء وجعلناکم
شعوبا الشعب بالفتح رؤس القبائل والطبقة الاولی وقبائل القبائل
تتشعب منه کتمیم من مضر لتعارفوا لیعرف بعضکم بعضا وفی الترمذی
تعلموا من انسابکم ما تصلون به ارحامکم فان صلة الرحم محبة فی
الاهل ان اکرمکم عند الله اتقیکم مستانفة کانه لما قال فمن الذی یستحق
المفخرة فقیل من هو اتقی واخشی لله ان الله علیم خبیر بالظواهر والبواطن
ومن هذا ذهب من ذهب الی ان الکفاءة فی النکاح لا یشترط سوی
الدین ولما امر الله باجلال نبیه ونهی عن اذاه فی نفسه وامته واخبر
بانه خبیر یعلم ما فی صدورکم فما الخلاص من سخطه الا بالتقوی والاخلاص
اعقبه بما دل علی الذی یجدی وهو التقوی فقال قالت الاعراب اهل البادیة
الذین هم معدن الغلظة والجفاء اناس من بنی اسد جاؤا طمعا فی اخذ نصیب
من الصدقة ومنوا علی رسول الله صلی الله علیه وسلم بایمانهم به وانهم
ما قاتلوه کما قاتل بنو فلان وبنو فلان قل لم تؤمنوا لم یقل کذبتم لان یکافحهم
بنسبة الکذب الیهم وفیه تعلیم وادب حسن والایمان تصدیق مع
طمانینة قلب وانشراح صدر ولو حصل هذا الاحد لا یمن ویقبل منة
الله ورسوله ولکن قولوا اسلمنا فان الاسلام هو الانقیاد للاوامر والنواهی

قال الامام جعفر الصادق الايمان ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال
والاسلام ما جرى به اللفظ وحلت به المناكحة وقال انما الصحيفة على املاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوارثها صاغر عن كابر ولما يدخل الايمان
الى هذا الزمان في قلوبكم الا ظهر انه اخبار من الله لا انه حال وقيد وجاء
النفي بلما الدالة على انتفاء الشيء الى زمان الاخبار به وان تطيعوا الله
ورسوله من صدق قلبكم لا يلتكم لا ينقصكم ومن قرأ لا يألتكم فهي لغة
غطفان واسد من اعمالكم من جزائها شيئا يقال الته السلطان
حقه اشد الالت ان الله غفور رحيم عن ابن عباس والنخعي وقتادة
وغيرهم واختاره ابن جرير ان هولاء ليسوا منافقين لكن ادعوا لانفسهم
اول ما دخلوا في الاسلام مقام الايمان فادبهم الله ولهذا قال بعض
المحققين هم قوم يشهدوا الشهادة لحق ولا يعلمون ما يشهدوا به غير ان
انفسهم ليست تنازعهم الى تكذيب وهذا شان اكثر العوام انما المومنون
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا تشكيك مشكك من
انس وجن وثم جاز ان يكون للتراخي الزماني وجاز ان يكون للرتبي وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طرق الخير لان الذين عندهم احب
اولئك هم الصادقون في دعوى الايمان حيث ظهرت ثمرة ذلك
عليهم من المجاهدات قل اتعلمون الله بدينكم اي اتخبرونه به وهو قولكم
امنا لما كان بمعنى الاعلام دخل الباء على مفعوله والله يعلم ما في السموات
وما في الارض الواو للحال والله بكل شيء عليم الثاني اعم من الاول يمنون لان كل شيء لا يدخل فيه ما ليس في السموات والارض مشهور
عليك ان اسلموا اي بان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم اي باسلامكم قيل
منصوب بتضمين معنى الاعتداد اي لا تعتدوا على اسلامكم بل الله
يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان نفي ولا
الايمان عنهم واثبت الاسلام وانكر منتهم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالاسلام ثم قال بل لو صح ادعاؤكم الايمان الذي هو اعلى من
الاسلام فنعمة المنة عليكم بالهداية للايمان وهذا المسلك يصح اذا كان
قائل امنا والمان واحدا وهو كذلك فان الشيخ ابا الفداء عماد الدين
ابن كثير نقل في تفسيره عن مجاهد ان الاعراب الذين قالوا امنا بنو اسد

وقوله يمنون عليك ان اسلموا نزل فيهم وقد ذهب البخاري وبعض
المفسرين ان هولاء الاعراب منافقون ان الله يعلم غيب السموات
والارض والله بصير بما تعملون فكيف يخفى عليه دينكم اللهم من علينا بالايمان

سورة ق مكية آيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقران المجيد ذي المجد والشرف بل عجبوا
ان جاءهم منذر منهم هذا دال على جواب القسم تقديره انك جئتهم
منذرا بالبعث فلم يقبلوا بل عجبوا والاعراب والمعنى مثل ما مر في ص
فيه انكار لتعجبهم فقال الكافرون من وضع الظاهر موضع المضمر هذا
اشارة الى مجيء المنذر من البشر شيء عجيب فعندهم ان الرسول ملك
او من معه ملك او بشر غير محتاج الى كسب المعاش ااذا متنا اي
انرجع اذا متنا وكنا ترابا الجملة الاستفهامية مستانفة كالمبين ذلك
اي البعث رجع بعيد مستبعد في الاوهام والعادة قد علمنا ما تنقص
الارض منهم ما تاكل الارض من اجساد موتاهم وفي الخبر الثابت ان
الارض تاكل ابن آدم الا عجب الذنب وهو عظم صغير جدا منه يركب
ابن ادم وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل كل شيء او محفوظ عن
ان يغيره احد ومن هو كذلك فهو قادر على رجعهم بل كذبوا بالحق اي
بالقران لما جاءهم كانه قال بل جاؤا بما هو اقطع من تعجبهم وهو انكارهم
للقران من غير تامل ونظر فهم في امر مريج مضطرب لا يثبتون على شيء
مرة قالوا شعر ومرة قالوا سحر وثم وثم افلم ينظروا حين انكروا البعث
الى السماء فوقهم كائنة فوقهم كيف بنيناها وزيناها بالنيرين والنجوم وما لها
من فروج من فتوق لا خلل فيها عطف على كيف او الواو للحال والارض
مددناها اي بسطناها ووسعناها نصبها على شريطة التفسير اي ومددنا
الارض فلينظروا اليها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها
في الارض من كل زوج صنف بهيج حسن المنظر يسر من نظر اليه تبصرة
وذكرى مفعول له للافعال المتقدمة لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر
في بدائع صنعه ونزلنا من السماء ماء مباركا اي المطر فانبتنا به جنات
اشجارا وحب الحصيد حب الزرع الذي يحصد كالحنطة وهو من حذف

الموصوف واقامة الصفة مقامه والنخل عطف على جنات عطف
الخاص على العام لشرفه باسقات طوالا شاهقات حال مقدرة لها
طلع اول ما يظهر قبل ان ينشق نضيد منضود بعضه على بعض في الكمام
والمراد كثرة ما فيه من التمر رزقا للعباد مفعول له لانبتنا واحيينا به بالماء
بلدة ميتا ارضا لا نماء فيها كذلك الاحياء الخروج من القبور وهذه كلها
امثلة دالة على البعث ذكر في السماء ثلثة البناء والتزيين ونفي الفروج
وفي الارض ثلثة المد مقابل البناء لان البناء رفع والمد وضع والقاء الرواسي
بالتزيين لارتكاز كل منهما والانبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج
ونبه فيما تعلق به الانبات فيما يقطف ويبقى اصله ولما ذكر قوله بل كذبوا
بالحق اعقبه من كذب الانبياء تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم
فقال كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس قد تقدم شرحها وثمود
وعاد وفرعون اراد قومه واخوان لوط اي قومه سماهم اخوة لقرابته
القريبة معهم واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في الدخان كل اي كل
واحد من هؤلاء كذب الرسل قد مر مرارا ان من كذب رسولا فقد كذب
الجميع فحق وعيد وجب عليهم عذابي افعيينا بالخلق الاول اي انا لم نعجز
كما علموا عن بدء الخلق حتى نعجز عن الاعادة وهذا افادة حجة واضحة على
الكفار بل هم في لبس من خلق جديد يعني هم لا ينكرون قدرتنا بل هم
في شبهة من البعث ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه
ما يخطر بضميره به صلة توسوس اي الذي تحدث نفسه وجاز ان يكون
ما مصدرية والباء للتعدية والضمير للانسان يقال حدث نفسه بكذا
وحدثته نفسه بكذا ونحن اقرب اليه بعلمنا من حبل الوريد من عرق
العنق والاضافة بيانية وهذا مثل في فرط القرب والاولى عندي ان
لا يأول هذا ايضا ويوكل علمه الى الله اذ يتلقى يتلقن بالحفظ المتلقيان
الملكان الحفيظان واذ ظرف لاقرب وفيه دلالة على انه تعالى غني
عن استحفاظهما عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد حذف المبتدأ من الاول
لدلالة الثاني عليه ما يلفظ من قول ظاهره العموم قال مجاهد حتى انينه
في مرضه الا لديه لدى القول رقيب ملك يرقبه عتيد حاضر وفيه اشعار

تمام

تام بان توجه كل منهما للقول للضبط والحفظ والكتبة كما في الحديث الا
اذا كان القصد الالتفاظ فالمناسب رقيبان عتيدان لان السماع غير
مختص باحدهما فعلى هذا الاولى قول من قال يكتب كل ما تلفظ به وان
كان مباحا وكاتبه صاحب الشمال فكل ما لا ينتفع به اصلا يصير بسبب بعد
لفاعله وجاءت سكرة الموت شدته بالحق الباء للتعدية اي اتت بحقيقة
الامر الذي كنت تمترى فيه ذلك الحق ما كنت منه تحيد تميل فلم تقربه او بالحق
في موقع الحال اي جاءت سكرته ملتبسة بالحكمة ذلك الموت ما كنت
تفر منه فعلى الاول الخطاب للكفار وعلى الثاني لمطلق الانسان وكلام
بعض السلف دال على الثاني ونبه على الاقتراب بلفظ الماضي ونفخ في الصور
اي نفخة البعث ذلك النفخ اي وقته يوم الوعيد وجاءت كل نفس الظاهر
العموم معها سائق حاث على السير للكاملين بالتعظيم فيسوق مراكبهم وشهيد
يشهد عليه باعماله وجملة معها سائق في موضع الصفة لا حال لان المانع
من جواز ذي الحال نكرة لبس الحال بالصفة فلو تكلفت وجعلت النكرة في معنى
المعرفة لبقي المانع او معها صفة وسائق فاعل الظرف لانه قد اعتمد لقد
كنت اي يقال لكل نفس لقد كنت في الدنيا في غفلة من هذا فان الاخرة
بالنسبة الى الدنيا يقظة فكشفنا عنك غطاءك فعاينته فبصرك اليوم
حديد نافذ لزوال المانع وعن بعض السلف الخطاب للكفار فالمراد من الغفلة
الانكار وقال قرينه الملك الموكل عليه يكتب اعماله هذا ما لدي من كتاب
اعماله عتيد حاضر او قرينه شيطانه الذي قيض له كما في قوله ربنا ما اطغيته
اي هذا شيء عندي وفي ملكي عتيد لجهنم هيأته باغوائي وعتيد خبر ثان ان جعلت
ما موصولة وصفة لها ان جعلتها موصوفة القيا خطاب من الله للسائق
والشهيد في جهنم كل كفار مبالغ في الكفر والكفران عنيد منحرف عن الطاعة
مناع للخير لجنس الخير ان يصل الى اربابه او المراد من الخير الزكوة معتد ظالم
مريب شاك في التوحيد والبعث الذي جعل مع الله الها اخر ما وحده
بل اثبت له شريكا في العبادة فالقياه في العذاب الشديد الذي بدل من
كل كفار والعذاب الشديد نوع من عذاب جهنم فيكون القياه من
عطف الخاص على العام او ثاني تكرير للتوكيد قال قرينه الشيطان الذي قيض له ربنا

ما اطغیته ما اضللته تنزیه لنفسه من ان له قدرة علی التاثیر وهذا جواب
سنه لقول الکافر هو اطغانی فالذنب له ولذلک استونفت فی
حکایة التقاول من غیر حرف العطف واما قوله وقال قرینه بالواو فللدلالة
علی الجمع بین معناها ومعنی ما قبلها فی الحصول اعنی مجیء کل نفس مع
الملکین وقول قرینه ما قال له ولکن کان فی ضلال بعید عن الحق فی نفسه
لا منی فهو الذی استحب العمی علی الهدی قال الله لا تختصموا لدی استیناف
مثل قال قرینه کان قائلا قال ما قال الله فقال لا تختصموا فی دار الجزاء وموقف
الحساب وقد قدمت الیکم بالوعید الواو للحال ای لا تختصموا عالمین
بانی اوعدتکم علی الطغیان بلسان رسلی فلم یبق لکم حجة والباء زائدة او قدم
مطاوع تقدم فالباء للتعدیة ما یبدل القول لدی لا تبدیل ولا خلف
لقولی فما امضیته لا یمکن تبدیله وما انا بظلام للعبید فلا اعذب من لا یستحق
وقد مر مرارا یوم نقول منصوب باذکر المقدر او بظلام لجهنم هل امتلات
من اصحابک وتقول جهنم هل من مزید تطلب المزید وفی الصحیح لا تزال
جهنم یلقی فیها وتقول هل من مزید حتی یضع رب العزة فیها قدمه فینزوی
بعضها الی بعض فتقول قط قط او تستبعد الزیادة لفرط کثرة اصحابها
فالاستفهام للانکار نحو هل ترک لنا عقیل من دار ای ما ترک وعلی هذا
یکون القول منها بعد وضع الرب قدمه فیها والجواب والسؤال فی الوجهین
علی حقیقته لانه من باب التمثیل والتخییل ومزید اما مصدر او اسم مفعول
وازلفت قربت الجنة للمتقین عن المعاصی غیر بعید نصب علی الظرف
ای مکانا غیر بعید یری منهم هذا ای یقال لهم هذا ما توعدون لکل اواب
رجاع الی الله حفیظ حافظ لامره الاظهر ان لکل اواب بدل من للمتقین
من خشی الرحمن ای اعنی او هم من خشی بالغیب حال من الفاعل ای غائبا
عن الخلق ای خاف فی سره او من المفعول ای خشی عقابه حال کون
العقاب غائبا عنه والخشیة عن احد خشیة عن غضبه وجاء بقلب
منیب راجع الی الله خاشع ادخلوها ای یقال لهم ادخلوا الجنة بسلام
سالمین عن المکاره او مسلمین من الله والملائکة ذلک یوم الخلود وهذا نحو هذا
اخوک فلا یکون اشارة الی سابق ویوم الخلود علی حقیقته الا ان جمیع الابد

الذی

الذی هم فیه یوم واحد لهم ما یشاؤن فیها ولدینا ما لم یخطر ببالهم
مزید ولما اثبت لکل من الکافرین والمومنین ما یلیق بهم هدد الکافرین
لئلا یکونوا من اهل المزید فی جهنم فقال وکم اهلکنا ای کثیرا اهلکنا قبلهم
قبل قریش من قرن جماعة من الناس هم اشد منهم بطشا هذه الجماعة
اشد من قریش قوة الجملة صفة قرن ونصب بطشا علی التمییز فنقبوا
فی البلاد تصرفوا فیه والضمیر لکم هل من محیص مفر لهم من قضاء الله
وهل نفعتهم القوة او المراد فبحثوا وطلبوا فی البلاد هل من مفر من الموت
فلم یجدوا او الضمیر لقریش ای نقبوا وساروا وسافروا بلاد القرون
فهل راوا لهم محیصا حتی یاملوا المحیص لانفسهم والقراءة الشاذة فنقبوا
بصیغة الامر دال علی الوجه الاخیر ان فی ذلک المذکور فی هذه السورة
او فی اهلاک تلک القرون لذکری تذکرة لمن کان له قلب معتد به
او القی السمع اصغی الی النصح وهو شهید حاضر بذهنه والواو للحال
یعنی تذکرة لاحدی الطائفتین من له قلب یفقه عن الله ومن له سمع
مصغ مع ذهن حاضر یعنی له استعداد القبول عن الفقیه وان لم یکن
هو بنفسه فقیها ولقد خلقنا السموات والارض وما بینهما فی ستة
ایام مر تفسیره وما مسنا من لغوب تعب واعیاء کما قالت الیهود
ان الله فرغ عن الخلق یوم الجمعة واستراح یوم السبت ویسمونه یوم
الراحة فاصبر علی ما یقولون المکذبون وسبح نزهه عن النقائص
بحمد ربک حال کونک ملتبسا بحمده قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
فانهما وقتان فاضلان ومن اللیل فسبحه وادبار السجود اعقاب الصلوات
او المراد صلوة الفجر وصلوة العصر وصلوة التهجد والمراد من ادبار
السجود رکعتان بعد المغرب وعلی ذلک کثیر من السلف کعمر وعلی والحسن
وابن عباس وقبل الاسراء ما کانت الفرائض الا ثلثا العصر والصبح
والتهجد وقیل المراد بادبار السجود النوافل بعد الفرائض واستمع یا محمد
ای لما اخبرته من حال القیمة وفی ذلک تهویل لشان المخبر به والمحدث
عنه یوم ینادی المناد من مکان قریب انتصب یوم بما دل علیه قوله
بعد ذلک یعنی یوم الخروج ای یوم ینادی المنادی یخرجون من القبور ولا تعد

ان يكون واستمع عطف على اصبر اى اصبر اليوم على مقالاتهم واستمع
يوم القيمة عجزهم وندامتهم والمراد من مكان قريب مكان قريب من
السماء وهى صخرة بيت المقدس فانه اقرب اجزاء الارض من السماء
ينادى اسرافيل ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والرمم الذاهبة
هلم الى الحشر والوقوف بين يدى الله يوم يسمعون بدل من يوم ينادى
الصيحة نفخة البعث بالحق متعلق بالصيحة ذلك يوم الخروج من
القبور انا نحن نحيى ونميت والينا المصير للجزاء يوم تشقق اى تتشقق
بدل بعد بدل او ظرف للمصير الارض عنهم سراعا مسرعين حال عن ضمير
عنهم ذلك حشر علينا لا على غيرنا يسير فصل بين الموصوف والصفة
بمعمول الصفة نحن اعلم بما يقولون وعيد وتهديد للكفار وتسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وما انت عليهم بجبار فتجبرهم على الهداية فهو بمعنى
المتسلط وعليهم معمول جبار لا انه خبر ايضا لانه يمتنع حينئذ دخول الباء
على الخبر الثانى فذكر بالقران من يخاف وعيد فان من اصر على الكفر
لا ينتفع به اللهم اجعلنا ممن يخاف الوعيد ويرجو الموعود وصلى الله على محمد وآله

سورة والذاريات مكية آيها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات الرياح فانها تذرو التراب وغيره
اى تفرقه ذروا مفعول مطلق فان معناه تذرو ذروا فالحاملات السحاب
فانها تحمل المطر وقرا حملا فالجاريات السفن يسرا اى جريا ذا سهولة
وعن بعض هى النجوم تجرى بسهولة فى افلاكها فالمقسمات الملئكة
امرا يقسمون الامور بين الخلق فامرا مفعول به انما توعدون الوعيد
المحض لصادق هذا كعيشة راضية وهو جواب القسم وما مصدرية
او موصولة اى توعدونه وان الدين اى الجزاء لواقع والسماء ذات
الحبك الحبيكة تكسر كل شئ كالرمل والماء من هبوب الريح عليه
او ذات الشدة او ذات الطرق انكم ايها المشركون لفى قول
مختلف مضطرب لا التيام له ولا يجتمع فى امر الدين وهو جواب
القسم الثانى يؤفك عنه يصرف عن الدين او القران او الرسول من
افك من صرف الصرف الذى لا اشد منه والمبالغة من اسناد

قيل فى السماء آثار تكسر كتكسر شعر جعد لكنها لا ترى لبعدها مصحح

العقل الى من وصف به وقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم قريب من
ذلك او يصرف عن الهداية بسبب قول مختلف من صرف فعن بمعنى
الاجل والسبب وهم كانوا يتلقون من يريد الايمان يقولون انه ساحر
شاعر مجنون معلم فيصرفونه عن الايمان قيل معنى من افك الافاك
الكذاب قتل الخراصون الكذابون ممن يختلف قولهم والمراد من هذا
اللعن الذين هم فى غمرة جهل يغمرهم ساهون غافلون يسئلون ايان
يوم الدين متى وقوع يوم الجزاء سؤال تكذيب واستهزاء يوم هم
على النار يفتنون يحرقون تقديره يقع يوم او هو يوم وعلى النار
متعلق بيفتنون ويوم مضاف الى الجملة فهو مفتوح لا منصوب
كيعجبنى يوم انت قائم ويوم انت تقوم صرح بذلك الزجاج ذوقوا
اى يقال لهم ذوقوا زجرا فتنتكم عذابكم التى ادخرتم وحصلتم هذا الذى
كنتم به تستعجلون تستعجلون به فى الدنيا سخرية كما كنتم قلتم ايان يوم
الدين وهذا مبتدا والذى خبره وقيل هذا بدل من فتنتكم والذى صفة
هذا ان المتقين فى جنات وعيون هم فى جنات والانهار فى جميع اطرافهم
اخذين ما اتاهم اعطاهم ربهم من النعيم راضين به انهم كانوا قبل
ذلك لانهم كانوا فى الدنيا محسنين قد احسنوا العمل كانوا استئناف
لبيان احسانهم قليلا من الليل ما يهجعون الهجوع النوم فى الليل وما زائدة
وقليلا ظرف اى فى زمان قليل ينامون او نعت لمصدر اى يهجعون هجوعا
قليلا والفعل خبر كان وكلام ابن عباس وجماعة من السلف على ان ما
نافية اى ليس لهم نوم عادتهم احياء الليل وهذا جائز عند من يجوز تقديم
معمول ما النافية عليها اذا كان ظرفا قيل معناه قل ليلة اتت عليهم ان
يناموا كلها وبالاسحار هم يستغفرون عن تقصير صدر عنهم وفى اموالهم
حق نصيب للسائل والمحروم المحروم من لا يسال فيحسب غنيا ولظاهر
انهم جعلوا من اموالهم نصيبا للفقراء فالمراد صدقة التطوع مع انه فى
سلك غير الواجب ولما ذكر فى البين احوال المصدقين عاد الى ما كان فيه
من اثبات البعث فقال وفى الارض ايات دلائل على قدرته وصنعه
للموقنين لا يدركها الا طالب اليقين وفى انفسكم ايات اى عجائب ما

لا يسال بايان الا عن يحدث فلعلهم قدرنا الوقوع مصحح

في الادمي في ظاهره وباطنه من صغره الى كبره افلا تبصرون فانها
في نظر ان اعتبر ظاهرة وفي السماء رزقكم وهو المطر والثلج فانها سبب
الرزق وما توعدون الجنة فورب السماء والارض اللذين فيهما رزقكم
وايات وما توعدون انه اي ما توعدون لحق والاولى ان الضمير عائد
على جميع ما في السورة من صدق الموعود ووقوع الجزاء وغير ذلك
مثل ما انكم تنطقون بالرفع صفة حق اي واقع مثل نطقكم وما زائدة نص
عليها الخليل ولا يحفظ حذفها وبالنصب صفة مصدر محذوف اي لحق
حقا مثل نطقكم وقيل حال من ضمير حق ولما ذكر ان في السماء والارض
والانفس ايات اعقبه بقصص مذكور لان من السماء رجمهم ومن الارض
خسفهم ومن البحر غرقهم وفي ذلك تهديد وموعظة وتسلية فقال هل
اتاك حديث ضيف ابرهيم فيه تعظيم لشان الحديث وتنبيه على انه
عرفه بالوحي المكرمين عند الله ويطلق الضيف للواحد والجمع وقدم
في سورة هود والحجر اذ دخلوا عليه من غير استيذان ظرف لحديث
فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما قال ابرهيم سلام اي عليكم سلام
عمل بتحيوا باحسن منها لان رفعه دال على الثبات قوم منكرون اي
هولاء قوم منكرون قال صاحب البحر المناسب لحال ابرهيم انه لا يواجههم
بذلك وهذا القول في نفسه او لمن كان معه من اتباعه بحيث لا يسمعه
الضيف فراغ ذهب بخفية الى اهله ومن ادب المضيف ان يخفي اتيانه
عن الضيف بالضيافة فجاء بعجل مشوي سمين عطف فجاء على فراغ
دال على سرعة مجيئه بالقرى وانه كان معدا لمن يرد عليه وفي سورة هود
فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فقربه اليهم فيه ادب المضيف وفيه العرض
على الاكل بانبساط قال الا تاكلون تقديره فامتنعوا من الاكل فانكره وقال
على طريق الادب والعرض الا تاكلون واستمروا على امتناع من الاكل
فاوجس اضمر منهم خيفة واكل الضيف امنة وانبساطه وحرمته للطعام
قالوا لا تخف انا رسل الله وبشروه بغلام عليم هو اسحق وفيه بشارتان
احديهما انه ذكر والاخرى انه كامل فاقبلت امراته في صرة في صيحة اي جاءت
صائحة او اخذت في صيحة نحو اقبل يشتمني ولا اقبال ولا ادبار وقيل اقبلت

الى بيتها

الى بيتها وهي في زاوية تسمع كلامهم وعرفت من كلامهم ان الولد منها
فقيل في صرة اي في جماعة من النسوة وفي الصحاح الصرة الصيحة
والجماعة والشدة فصكت لطمت وجهها كعادة النساء من امر عجيب
وقالت عجوز عقيم انا فيما بلغت من الولادة قالوا كذلك قال ربك
اي قال الله مثل ما بشرناه فواقع البتة فكذلك مفعول قال انه هو
الحكيم العليم قال ابرهيم بعد ان علم انهم رسل الله فما خطبكم ما شانكم
ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين قوم لوط لنرسل عليهم
حجارة من طين اي السجيل طين مطبوخ في صلابة الحجارة مسومة معلمة
مكتوبا على كل حجر اسم من يهلك به عند ربك للمسرفين فاخرجنا من
كان فيها في قرى قوم لوط من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت اهل
بيت من المسلمين هم لوط واهل بيته سوى امراته قيل ثلثة عشر نفس
وذكر هذا للدلالة على ان القرية مستحقة للعذاب والمعلوم ان كل
مومن مسلم من غير عكس فلا يدل على اتحاد مفهوميهما وتركنا فيها اية
علامة للذين يخافون العذاب الاليم وقد بقي فيها اثار عذابهم لكن
من لا يخاف الله لا يتدبر عليها ولا يعتبر وفي موسى الاولى ان يكون عطفا
على فيها في قوله وتركنا فيها اي في قصة موسى اية ولا حاجة الى جعله
من باب علفته تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان برهان
مبين ظاهر فتولى اعرض فرعون بركنه الباء للتعدية نحو ناى بجانبه
بمعنى ثنى عطفه كناية عن الاعراض او للسببية اي بسبب قوته وجنده
وملكه وقال ساحر اي هو ساحر لظهور خرق العادة منه او مجنون
لما يدعي ما لا تقبل العقول فاخذناه وجنوده فنبذناهم طرحناهم
في اليم فلكف من رماد وهو مليم حال كونه آت بما يلام عليه وفي عاد
عطف على في موسى اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم التي لا تنتج نفعا من
انشاء مطر ما تذر الريح من شيء اراد الله تدميره اتت عليه الا جعلته
كالرميم الشيء البالي المفتت كانت تمر بجماعة فيهم من قوم عاد فتنزعه
من بينهم وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين لما بعث اليهم صالح امروا
بالايمان والتمتع بدنياهم الى اجالهم المقدرة لئلا يعجلهم عذاب الله

كما استدل على ذلك الزمخشري

فتعتوا عن امر ربهم تمردوا عنه فلم يؤمنوا وعقروا الناقة فاخذتهم
الصاعقة بعد ثلثة ايام من عقر الناقة وهم ينظرون الى عذاب الله
او ينتظرون عذابه في هذه الايام الثلثة وانتظار العذاب اشد
من العذاب فما استطاعوا من قيام للهرب من العذاب قيل هذا من
قولهم ما يقوم به اذا عجز ولم يقدر التحمل وليس المراد القيام المعهود وما كانوا
منتصرين ممتنعين منه وهذا التفسير للحسن رضي الله عنه وهو تفسير حسن لا بعبارة
وقوم نوح اي اهلكناهم ومن قرأ بالجر عطف على المجرور قبل ذلك من
قبل اي من قبل هولاء انهم كانوا قوما فاسقين وقوله والسماء بنيناها بين
قصص السابقين لتهديد قريش وبين امرهم بطاعة الله لتأكيد
الطاعة والايتمار بايد بقوة وانا لموسعون جملة حالية اي لقادرون
من الوسع او انا لموسعون بناء السماء بحيث ان الارض وما يحيط بها
من الماء والهواء كالنقطة وسط الدائرة والارض فرشناها بسطناها
ومهدناها للعباد فنعم الماهدون نحن ومن كل شئ من الاجناس خلقنا
زوجين نوعين كالسماء والارض والليل والنهار والبر والبحر والموت
والحيوة والسواد والبياض والكفر والايمان لعلكم تذكرون مرتب على
مجموع بناء السماء وغيره ففروا الى الله اي فقل لهم فروا الى طاعة من
عقابه جعل الامر بالطاعة بلفظ الفرار لينبه على ان وراء الخلق اهوالا
حقه ان يفر منها وفي الحديث لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك اني لكم
منه نذير مبين وهذا دال على تقدير القول في ففروا كما قدرنا ولا تجعلوا
مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين تكراره للتأكيد كذلك يعني الامر مثل
ما اخبرتك من تكذيب الامم رسلهم ما اتى الذين من قبلهم من رسول
الا قالوا في شأنه ساحر او مجنون اتواصوا به اي اوصى بعضهم بعضا
بهذا القول حتى اتفقوا على كلمة واحدة وهذا التعجب من اتفاق كلمتهم
مع افتراق ازمانهم وبعد مكانهم بل هم قوم طاغون لم يتواصوا به بل
جمعهم علة واحدة هي كونهم طغاة فطبيعتهم تجرهم الى قول واحد فتول
عنهم عمن كررت عليهم الدعوة فلم يجب فما انت بملوم على الاعراض بعد ان
بلغت رسالتك وذكر لا تترك الموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين

تؤثر

تؤثر فيمن قدر الله ان يؤمن والظاهر ان الامر بالاعراض منسوخ باية
السيف وعن علي بن ابي طالب لما نزل حزن المؤمنون وظنوا انه امر
بالتولي عن الجميع وان الوحي قد انقطع حتى نزل وذكر فسروا وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون هذا كما تقول القرس مخلوق للكر والفر فانهم
خلقوا بحيث يتأتى منهم العبادة وهدوا اليها فهذه غاية كمالية لخلقهم
او معناه ليقروا لي فالمؤمن يوحده في كل حال والكافر في الشدة الشديدة
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون قيل معناه ان يرزقوا انفسهم
ولا غيرهم واسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله واطعام
العيال اطعامه ومن القدسيات استطعمته فلم يطعمني ان الله هو
الرزاق لا غيره ذو القوة المتين اي المبالغ للقوة ولما قال فتول
عنهم وهم قد اعرضوا عما خلقوا له قال فان للذين ظلموا ذنوبا حظا
ونصيبا مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب الامم السالفة والذنوب
النصيب والدلو المملو فلا يستعجلون كما قيل متى هذا الوعد فويل للذين
كفروا من يومهم الذي يوعدون اي يوعدونه وهم ينكرونه ويستهزؤن به

سورة الطور مكية آيها تسع او ثمان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم والطور اقسم تعالى بجبل كلم الله عليه موسى
وارسل منه عيسى عليهما الصلوة والسلام وهو بالشام وكتاب
مسطور مكتوب في رق صحيفة منشور مبسوط مهياة للقراءة والمراد
كتب الله او اللوح المحفوظ او الواح موسى او دواوين كرام الكاتبين
وتنكير كتاب للتعظيم والبيت المعمور بيت في السماء السابعة مسامت
للكعبة والسقف المرفوع السماء او سقف الجنة وهو العرش والبحر
المسجور المملو وهو بحر تحت العرش او الذي في الدنيا وهو مسجور
اي موقد فيصير نارا محيطة باهل الموقف كذا قاله جماهير السلف ان
عذاب ربك لواقع على من مات على الكفر هي الجملة المقسم عليها
ما له من دافع من احد يدفعه يوم تمور تضطرب ظرف لدافع او لواقع
والجملة بينهما اعتراضية السماء مورا يعني لاجل تشققها وتسير الجبال سيرا
فيكون هباء منبثا فويل يومئذ اي يوم تمور وتسير للمكذبين الذين هم

في خوض في الباطل يلعبون في اما ظرف يلعبون او هو الخبر ويلعبون حال
او خبر بعد خبر يوم يدعون يدفعون ويساقون الى نار جهنم دعا دفعا بعنف
هذه اي يقال لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون تقريعا لهم فان خزنة جهنم
يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعون بهم النار
على وجوههم يزجون زجا في اقفيتهم يقال لهم هذه ليجمع لهم العذاب الجسماني
والروحاني افسحر هذا من جملة ما يقال لهم فانهم كانوا يقولون للوحي المنذر
عن هذه هذا سحر فهذا الذي مصداقه سحر ايضا والتذكير لارادة المصداق
ودخلت الهمزة بين المعطوفين لان فسحر عطف على هذا سحر للوحي وهذا كما استدل
احد على مدعاه فقال الخصم هذا باطل فجاء بدليل اوضح فقال افباطل هذا ايضا
ام انتم لا تبصرون هذا كما انكم لا تبصرون ما يدل عليه وهذا تهكم وتقريع بهم
ثم قيل لهم على قطع رجائهم اصلوها ادخلوها مخلدين فاصبروا او لا تصبروا
فانه لا محيص ولا مناص سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه مستو عليكم
في عدم النفع انما تجزون ما كنتم تعملون اي لان الجزاء ثابت محقق فالجملة استئنافية
ان المتقين عن المعاصي في جنات ونعيم فاكهين متلذذين بما آتاهم اعطاهم
ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على في جنات اي استقروا فيها ووقاهم
كلوا واشربوا هنيئا اي يقال لهم كلوا اكلا وطعاما واشربوا شربا او شرابا
هنيئا لا تنغيص فيه فهنيئا صفة مصدر او صفة مفعول به بما كنتم تعملون اي بدله
او بسببه متكئين على سرر مصفوفة موضوعة بعضها الى جنب بعض لمحبة جالسيها
وزوجناهم بحور عين الباء لتضمين معنى الوصل اي وصلناهم وقرناهم والذين
امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم اخبر تعالى عن كمال احسانه
الى المؤمنين بان اولادهم اذا اتبعوا آباءهم في الايمان الحقهم الله بآبائهم
في المنزلة وان كانوا مقصرين في العمل لتقر اعين الآباء وما التناهم من
عملهم من شيء اي ما نقصنا من عمل الآباء شيئا من النقص فرفع درجات
الذريات بمجرد تفضلنا على الآباء فعلى هذا والذين مبتدأ واتبعتهم عطف
على امنوا وبايمان متعلق باتبعتهم وتنكيره اشارة الى ان قصور عمل الذرية
لا يضر في لحوقهم الى منزلة آبائهم وخبر والذين الحقنا وفي الطبراني قال صلى
الله عليه وسلم اذا دخل الرجل الجنة سأل عن ابويه وزوجته وولده فيقال انهم

لم يبلغوا

وهو تفسير في غاية الملائمة لفظا ومعنى
والعدول عنه عدول عن الحق الصرف
منه

لم يبلغوا درجتك فيقول يا رب قد عملت لي ولهم فيامر بالحاقهم به وهذا
تفسير ابن عباس وجماهير السلف كل امرئ بما كسب رهين مرهون بما كسب
ان عمل صالحا فكها والا اهلكها وادامة الايمان من الاعمال وامددناهم زدناهم
وقتا بعد وقت بفاكهة ولحم مما يشتهون للذة لا للجوع يتنازعون يتجاذبون
تجاذب ملاعبة اذ اهل الدنيا لهم في ذلك لذة فكذلك في الجنة فيها في الجنة
كأسا خمرا لا لغو فيها لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا تأثيم لا يفعلون
ما ينسب الى الاثم كالكذب والفواحش بل كلامهم كله حكم لا كما يجري في
شرب الخمر في الدنيا ويطوف عليهم للخدمة غلمان لهم مماليك كأنهم لؤلؤ
مكنون مصون في الصدف من صفائهم وبياضهم قيل المكنون المخزون
ولا يخزن الا العالي الغالي واقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الاحوال
التي مضت عليهم قالوا انا كنا قبل في اهلنا في الدنيا مشفقين خائفين من
عذاب الله فمن الله علينا برحمته ووقانا عذاب السموم حرارة نار جهنم
قال الحسن السموم من اسماء جهنم انا كنا من قبل في الدنيا ندعوه نسأله الوقاية
انه هو البر المحسن الرحيم المبالغ في الرحمة فذكر يا محمد فما انت بنعمة ربك
اي بانعامه عليك بكاهن كما يقولون في شأنك ولا مجنون فانهما نقص
لكن طريقان لبعض المغيبات والمجن بهما ملابسة فقوله بنعمة حال من ضمير
كاهن لازمة لا منتقلة فانه صلى الله عليه وسلم لا زال ملتبسا بنعمة الله قيل الباء
بنعمة للقسم وتوسط القسم بين الاسم والخبر نحو ما زيد والله بقائم ام يقولون
شاعر منقطعة والهمزة للانكار انه شاعر نتربص به ريب المنون حوادث
الدهر فيهلك كما هلك الشعراء فنستريح والمنون الدهر او الموت
قل يا محمد لهم تربصوا انتظروا هلاكي فاني معكم من المتربصين هلاككم والظاهر
ان معكم متعلق بالمتربصين كأنه قال حتى ننظر نتيجة التربصين قال
القشيري كلهم ماتوا في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ام تأمرهم احلامهم
بهذا اي عقولهم بهذا الذي يقولون فيك من الاقوال المتناقضة ام هم
قوم طاغون مجاوزون الحد فهو الذي حملهم على هذه الاقوال والهمزة هنا
للتقرير وفي البواقي للانكار انكر ان احلامهم يأمرهم بذلك بل جهلهم وشقاوتهم
يأمرهم بهذا وفيه تهكم فان العقل لا يأمر بالاشياء المتناقضة الظاهرة خطاها

ام يقولون تقوله اختلق القران من عند نفسه متعمدا بل لا يؤمنون
فينسبونه الى تلك الاشياء فليأتوا بحديث مثله مثل القران في
نظمه وحسن وصفه من البلاغة والاخبار بالقصص السالفة
والمغيبات والحكم ان كانوا صادقين ان محمدا تقوله وليس الكلام الله
فانه واحد منهم ام خلقوا من غير شيء من غير رب يعني برزوا الى الوجود
من غير اله يبرزكم او من معنى لاجل اي عبثا ام هم الخالقون لانفسهم فلذلك
لا يسمعون كلام الله ورسالته ام خلقوا السموات والارض فهم الرب
لا غير بل لا يوقنون يشكون لا ينظرون نظرا يؤديهم الى اليقين ام عندهم
خزائن ربك خزائن رزقه فيرزقوا النبوة من شاؤا او خزائن علمه
فيختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة ام هم المسيطرون الغالبون
المحاسبون للخلائق ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون الى الجرى
فيه اي صاعدين فيه فيعرفون حقيقة ما هم عليه حال من فاعل يستمع قيل
فيه بمعنى عليه ومنه وحروف الجر قد يسد بعضها مسد بعض فعلى هذا
في متعلق بيستمع فليأت مستمعهم بسلطان مبين بدليل ظاهر ام له
البنات ولكم البنون فيه تسفيه لاحلامهم على اكد وجه وفيه التفات
من الغيبة ام تسالهم اجرا على الرسالة فهم من مغرم مثقلون محملون
الثقل من التزام غرم فلذلك لم يتبعوك والمغرم ان يلتزم ما ليس عليه
ام عندهم الغيب كاللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث
ام يريدون كيدا انكارا بك والهمزة هنا للتقرير فالذين كفروا المطلق
الكفار او من باب وضع الظاهر موضع المضمر هم المكيدون الذين
يحيق بهم الكيد ويعود وباله عليهم ام لهم اله غير الله يعصمهم سبحان
الله عما يشركون نزه تعالى نفسه الاقدس عن ان يكون له شريك
وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا كما اقترحوا فاسقط علينا كسفا
من السماء الاية يقولوا عنادا سحاب هذا سحاب مركوم تراكم بعضها
على بعض لا ان سقوطه للعذاب فذرهم في غمرتهم ولا تجادلهم حتى يلاقوا
يومهم الذي فيه يصعقون يوم موتهم واحدا واحدا او يوم القيمة
عند النفخة الاولى يوم لا يغني بدل من يومهم عنهم كيدهم شيئا من الاغناء

ولاهم

ولا هم ينصرون لا فعلهم ينفعهم ولا تعصب احد وان للذين ظلموا اراد
العموم او من وضع الظاهر موضع المضمر عذابا في الدنيا دون ذلك
غير عذاب الاخرة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان المصائب الدنيوية
للتنبيه قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى الاية وفي الحديث
المنافق اذا مرض مثله كالبعير لا يدري فيما عقلوه ولا فيما ارسلوه وفي
اثر الهي كم اعصيك ولا تعاقبني فقال الله كم اعافيك يا عبدي
وانت لا تدري واصبر لحكم ربك ولا تجزع من اذاهم فانك
باعيننا فنراك ونرعاك ونحفظك وجمع العين لجمع الضمير وسبح
بحمد ربك حين تقوم الى الصلوة او عند كل قيام روى الترمذي
وصححه والنسائي وقال اسناده على شرط مسلم من جلس في مجلس
فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك
اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر الله له ما
كان في مجلسه ذلك ومن الليل فسبحه نزهه عن النقائص وادبار
النجوم اي سبح اذا ادبرت النجوم اي عند الصباح وقد صرح
ابن عباس ان المراد ركعتي الفجر وفيه حديث ايضا والمراد من الذي قبله التهجد

سورة والنجم مكية ايها احدى او اثنتين وستون

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اسم جنس او المراد الثريا ولا تقول العرب
النجم مطلقا الا للثريا وهو علم بالغلبة اذا هوى اي غرب واذا ظرف
زمان وعامله معنى العظمة المستفادة من القسم كما سيجيء او المراد بالهوى
انتثار النجوم يوم القيمة قيل المراد من هوى طلع فان الهوى يا لفتح
الغروب وبالضم الصعود ما ضل صاحبكم ما ضل عن الطريق
المستقيم محمد صلى الله عليه وسلم فما اختلق على ربه وما غوى وما
اعتقد باطلا كزعمكم وما ينطق بالقران عن الهوى هوى نفسه ورايه
او ليس له قول عن هوى وغرض ان هو اي القران او الذي ينطق به
الا وحي من الله يوحى اليه وفي الحديث لا اقول الا حقا علمه شديد
القوى جبريل فانه شديد قواه والهاء راجع الى الرسول والمفعول
الثاني مقدر اي علمه الوحي او راجع الى القران فالمفعول الاول مقدر

اي علمه الرسول ولا يبعد ان يكون راجعا الى الرسول والمفعول الثاني
متروك والقصد بيان معلمه ذو مرة قوة شديدة او احكام في العقل
فاستوى استقام على صورته الاصلية وما راه غيره من الانبياء على
صورته كذا قاله ابن مسعود وابن عباس وغير واحد من السلف وهو
بالافق الاعلى افق السماء وقد سد الافق بستمائة جناح وهذا قبل
الاسراء ثم دنا جبريل الى محمد بعد ما رده الله الى صورة آدمي فتدلى
تعلق بمحمد وذلك بالابطح في اوائل البعثة بعد ان جاء اليه في حراء
فكان جبريل قاب مقدار قوسين يعني المسافة بينهما مثل مقدار
قوسين او ادنى يعني على تقديركم والغرض نفي ما زاد عليه فاوحى جبريل
الى عبده الى عبد الله الضمير الى الله لعدم اللبس نحو ما ترك على ظهرها
من دابة ما اوحى جبريل فيه تفخيم للموحى به او المعنى فاوحى الله الى عبده
ما اوحى بتوسط جبريل وحاصل المعنى متحد ما كذب الفؤاد ما راى
اي فؤاد محمد ما راه ببصره من صورة جبريل او ما كذب الفؤاد ما راه
بفؤاده اي الله تعالى روى ابن جرير وابن ابي حاتم وكذا روى مسلم
عن ابن عباس راويا عنه صلى الله عليه وسلم رايته بفؤادي مرتين ثم قرأ
ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه من المراء اي اتجادلونه وتضمين معنى
الغلبة عدي بعلى فقال على ما يرى من صورة جبريل فانهم قالوا ظهر عليه
شيطان ولقد راه جبريل في صورته الاصلية نزلة اخرى مرة اخرى
ليلة الاسراء وعن ابي هريرة وجم غفير من السلف انه راى جبريل في
صورته الاصلية مرتين ونصب نزلة بالمفعول فيه وقيل بالمصدر اي رؤية
اخرى عند سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش
اليها ينتهي علم الخلائق لا يعلم احد ما وراءها عندها جنة المأوى الضمير
الى السدرة اذ يغشى السدرة ما يغشى فيه بابهام الموصول وصلته
تعظيم لما يغشاها وفي الحديث انه غشيها نور الرب والوان لا
يدرى ما هي وعليها الملائكة مثل الغربان يعبدون الله وما يغشى
فاعل يغشى واذ ظرف لراه قيل فاعل يغشى ضمير الى رسول الله وما يغشى
مفعوله والسدرة بتقدير عند السدرة ظرف بقرينة عند سدرة

هكذا في التفاسير وكتب الحديث ولا يخلو عن اشكال فقد صرحوا ان الكرسي ارض الجنة والعرش سقفها وقيل المنتهى يعني في آخر الجنة ونهايتها منه

المنتهى

المنتهى ما زاغ البصر ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم عما راه وما طغى
وما تجاوزه وهذا وصف ادبه وتمكنه عليه صلوات الله وسلامه
لقد راى من آيات ربه بعض عجائبه الكبرى صفة الآيات وهذا
الجمع يوصف بوصف الواحدة وحسن ذلك هنا كونها فاصلة
او هو المفعول ومن آيات ربه حال مقدم ثم انه قد ورد في الصحيحين
ان عائشة قالت انا اول من سأل رسول الله عن قوله ولقد راه
بالافق المبين ولقد راه نزلة اخرى فقال صلى الله عليه وسلم انما
ذاك جبريل لم يره في صورته الا مرتين وفي مسلم عن ابي ذر قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نور اني اراه وفي
رواية لغير مسلم رايت نورا وسؤال عائشة بعد الاسراء بدليل
قولها انا اول من سأل عن تلك الآية وما كانت هذه الآية الا بعد
الاسراء بلا خلاف من احد فلا يمكن ان يقال كان نفي الرؤية قبل
الاسراء واما ما قيل انه عليه الصلوة والسلام خاطبها على قدر عقلها
فخطأ مردود لانه يلزم انه صلى الله عليه وسلم فسر القرآن على خطأ
كذب فانه قال انما ذاك جبريل ولم يتفوه بذلك مؤمن وايضا
هي رضي الله عنها كاملة مكملة وليس لاثبات الرؤية ونفيها كثير غموض
لا تعيها قال الشيخ عماد الدين ابن كثير لا يصح في انه راه ربه ببصره شيء
من الصحابة واما ما قاله البغوي ذهب جماعة الى انه راه ببصره وهو
قول انس والحسن وعكرمة ففيه نظر وقد روى ابن ابي حاتم عن عباد
ابن منصور قال لما سألت عكرمة عن قوله ما كذب الفؤاد ما راى فقال
عكرمة نعم قد راى فسألت عنه الحسن فقال راى جلاله وعظمته ورداءه
واما ما رواه الامام احمد عن ابن عباس قال قال عليه الصلوة والسلام
رايت ربي عز وجل فهو مختصر من حديث المنام كما رواه الامام بالتفصيل
المصرح بانه منام هذا كلام الشيخ وسئل جنيد هل راى محمد ربه بعينه
فقال رفع نور عينه فوضع في قلبه حتى راى بنور عينه راسه في قلبه ربا
بلا حد ولا كيف قال صاحب التعرف اختلف في انه صلى الله عليه وسلم
راى ربه ببصره ليلة المعراج فقال الجمهور وعظماء العلماء انه لم يره ببصره

نحو هذا اثره مرفوعة ومشكلة كثير منه

لا هو ولا احد من الخلائق في الدنيا كذا قاله جنيد والنوري وابو سعيد
الخراز وغيرهم وقيل الرؤية مخصوصة به صلوات الله وسلامه عليه
وقد اطبق المشايخ على تضليل من زعم انه يرى الله في الدنيا وتكذيب
من ادعا ذلك هذا كلامه ولما اخبر سبحانه عن استقامة طريقة نبيه
بما ثبتت به رسالته وما اراه من اياته التي ظهر بها استحقاقه سبحانه
للالهية منفردا بها سبب عنه الانكار عليهم في عبادة معبوداتهم فقال
افرايتم اللات صخرة بيضاء عليها بيت بالطائف لها سدنة
يعظمونها اشتقوا اسمها من لفظ الله يعنون مؤنثه تعالى الله عن ذلك
والعزى من العزيز شجرة عليها بناء واستار بنخلة بين مكة والطائف
بعثها اليه خالد بن الوليد فقطعها واخرج منها شيطانة ناشرة شعرها
واضعة يدها على راسها تدعو على نفسها بالويل فضربها بالسيف حتى
قطعها ورجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى
ولن تعبد ابدا ومناة الثالثة الاخرى كانت صخرة بين مكة والمدينة
يهلون منها الحج افرد هذه الثلثة بالذكر لانها اشهر واعظم عندهم
والظاهر ان الثالثة الاخرى صفتان لمناة تفيدان التوكيد والمناة
اعظم الاوثان اكدت بالوصفين ولفظة اخرى مونث آخر لم توضع
لذم ولا لمدح انما يدلان على معنى غير الا ان من شرطهما ان يكونا من
جنس ما قبلهما قال ابو البقا الاخرى توكيد لان الثالثة لا تكون الا
اخرى نعم يطلق مجازا على الذم قيل افرايتم عطف على افتمارونه وادخال
الهمزة لزيادة الانكار اراد ابعد هذا البيان تستمرون على المراء فترون
الثلثة اولادا لله اخس الاولاد اي الاناث الكم الذكر وله الانثى هذا دال
على ثاني مفعولي افرايتم الذي هو بمعنى علمتم ووجدتم يعني اتختارون
لانفسكم الذكر من الاولاد وتجعلون وتختارون له البنات تلك
اذا قسمة ضيزى جائرة ان هي الا اسماء اي ما الاصنام الا اسماء ليس لها في الحقيقة
مسميات لانكم تدعون الالوهية لها سميتموها انتم واباؤكم بهواكم
ما انزل الله بها من سلطان من برهان تتعلقون به ان يتبعون الا
الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا وما تهوى الانفس اي انفسهم

[illegible] في الكشاف الاخرى ذم وهي المتاخرة الوضيعة المقدار [illegible]

وانفسهم

وانفسهم لا تهوى الا ما يرضى به شيطانهم ولقد جاءهم من ربهم
الهدى الرسول والقران وقد تركوهما ام للانسان ما تمنى الهمزة
للانكار يعني ليس للانسان كل ما يتمناه كما تمنى شفاعة الاوثان
فلله الاخرة والاولى هو مالكهما يعطي منهما من يشاء ويمنع من
يشاء وكم من ملك اي كثير منهم مبتدأ في السموات السبع لا تغني
شفاعتهم شيئا من الاغناء والجملة خبركم ولفظها مفرد ومعناها
جمع ولذلك قال شفاعتهم الا من بعد ان ياذن الله في الشفاعة
لمن يشاء من الناس ان يشفع له او من الملائكة ان يشفع ويرضى
فكيف يرجون شفاعة الانداد الجماد وفيه اشارة الى ان مرتبة الشفاعة
ليست لكل ملك ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة
تسمية الانثى اذا قيل هم بنات الله فقد سمى كل منهم بنتا وهي
تسمية الانثى وما لهم به بما يقولون من علم ان يتبعون الا الظن وان
الظن لا يغني من الحق شيئا اي انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء
بالعلم لا بالظن فان مدرك العقائد العلم فلا ينفع فيه الظن قيل المراد
من الحق هنا هو الله تعالى اي الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون
فاعرض عمن تولى عن ذكرنا فلم يتامل ولم يتدبر بان لا تنصحهم ولا تجادلهم
ولم يرد الا الحيوة الدنيا ليس له همة وفكر الا الدنيا ذلك امر الدنيا
مبلغهم من العلم لا يتجاوزونه وفي الدعاء الماثور اللهم لا تجعل الدنيا
اكبر همنا ولا مبلغ علمنا ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو
اعلم بمن اهتدى اي اعرض فانه اعلم بهما ويجازيهما وربما يكون اصلاح
دينك ان لا يدخلوا فيه ولو دخل لافسد اكثر مما اصلح ولله ما في
السموات وما في الارض فهو العليم القدير ليجزي علة لقوله ولله ما
في السموات اي خلق العالم ليجزي او لقوله ان ربك الاية فان نتيجة
العلم بهما جزاؤهما وقوله ولله ما في السموات معترضة بيان لكمال
قدرته الذين اساؤا بما عملوا بعقابه او بسببه ويجزي الذين احسنوا
بالحسنى بالمثوبة الحسنى او بسبب الاعمال الحسنى الذين بدل من الذين
احسنوا او نصب باعني او رفع بهم الذين يجتنبون كبائر الاثم الكبائر

ما ورد في شأنها في الكتاب والسنة وعيد شديد والفواحش من
الكبائر خصوصا الا اللمم اي الصغائر فالاستثناء منقطع ان ربك
واسع المغفرة حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة
البتة وبغير التوبة لمن يشاء وكلام كثير من السلف دال على ان المراد
من اللمم القليل من الكبائر وعلى هذا المعنى يجتنبون الكبائر كلها الا القليل
منها بمعنى انه يلم بها مرة او مرتين فيتوب سريعا ولم يجعلها عادة وفي
الترمذي وقال انه حديث حسن صحيح غريب انه قال صلى الله عليه وسلم
ان تغفر اللهم تغفر جما فاي عبد لك ما الما هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض
في ابتداء خلق ابيكم آدم من تراب واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم
الاجنة جمع جنين وهو ما كان في البطن فقوله في بطون امهاتكم تنبيه على كمال
العلم والقدرة فان البطن في غاية الظلمة والبعد عن التصرف فلا تزكوا
انفسكم اي لا تمدحوها ولا تنسبوها الى الطهارة ولا تعجبوا بطاعاتكم
هو اعلم بمن اتقى فربما تنسبون احدا الى التقوى والله يعلم انه ليس كذلك
وفي الصحيحين مدح احد احدا عنده صلى الله عليه وسلم فقال قطعت عنق
صاحبك مرارا اذا كان احدكم مادحا صاحبه لا محالة فليقل احسب
فلانا والله حسيبه ولا ازكي على الله احدا احسبه كذا وكذا ان كان يعلم ذلك
وانما قال لا تزكوا انفسكم فانه اعلم بمن اتقى اعقبه بمن ظهر منه التقوى والايمان
وهو في نفس الامر من اهل الشقاوة فقال افرايت الذي تولى اعرض
عن الحق واعطى قليلا واكدى انفق قليلا مما وعد وبخل بالباقي اعنده علم
الغيب فهو يرى عيانا ان لا جزاء وان انفاقه ينفد ما في يده فيصير فقيرا
قوله افرايت بمعنى اخبرني والموصول مفعوله الاول والجملة الاستفهامية
التي فيها التهكم مفعوله الثاني ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي
وفى اي اقام باوامر الله ونهيه وبلغ رسالته على التمام وتقديم صحف موسى
لانه اشهر قيل خص هذين النبيين لان ما بين نوح وابراهيم كانوا ياخذون
الرجل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامراته والعبد بسيده فاول من
خالفهم ابراهيم الا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تؤخذ نفس اثمة باثم
نفس اخرى وان مخففة من المثقلة بدل من ما في بما او تقديره هو ان لا تزر

كان

كان قائلا قال ما الذي في صحفهما وان ليس للانسان الا ما سعى هذا كما
يقال لا املك الا ما اكتسب لم يكن ذلك نفيا للانتفاع بشيء غير كسبه فانه
قد يحصل له اشياء اخر لكن الذي هو مالكه وفي تحت يده واختياره ما
كسب وان سعيه سوف يرى في ميزان اعماله ثم يجزيه الجزاء الاوفى اي يجزى
الانسان سعيه الجزاء الاوفى فالضمير المرفوع للانسان والمنصوب
للسعي ونصب الجزاء بالمصدر او بنزع الخافض اي بالجزاء والاوفى كما
يكون صفة للمجزي يكون صفة للحدث اي المصدر لملابسته له نزلت
في وليد بن مغيرة آمن او اراد فعيره المشركون فقال اخشى عذاب الله
فضمن احد من المشركين تحمل العذاب عنه ان اعطاه كذا مالا فارتد واعطى
بعض ما شرط وبخل بالباقي وعلى هذا معنى اعنده علم الغيب فهو يرى انه يعلم
تمكين الله اياه عن ان يحمل عنه العذاب واما ما ذكر الزمخشري ان الاية في
شان عثمان فخطأ مردود وان الى ربك المنتهى اي المرجع وانه هو اضحك
وابكى وانه هو امات الخلق في الدنيا واحيى بالايجاد او يحيي مريضا هو
في صدد الموت او يحيي بعد الموت وانه خلق الزوجين الذكر والانثى
من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم وان عليه النشأة الاخرى اي الاحياء
بعد الموت وجب عليه وفاء بالوعد والحكمة تقتضيها وانه هو اغنى
باعطاء المال واقنى اعطى القنية اي اصول المال للتجارة او ارضاه
يعني جعله قنوعا ولم يذكر متعلق الفعلين لان المقصود نسبة الفعلين
اليه لا الى غيره وانه هو رب الشعرى كوكب وقاد من الثوابت خلف
الجوزاء تعبد في الجاهلية جاء بلفظ هو بين ان وخبرها فيما يمكن النزاع لاحد
كقول نمرود انا احيي واميت والشعرى عبدوه ولم يات بلفظ هو فيما
لا نزاع وانه اهلك عادا الاولى قوم هود خلايق لا تحصى وعاد الاخرى
ارم وثمود عطف على عادا فما ابقى من الفريقين احدا وقوم نوح من
قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين او من قريش
ولفظ هم تاكيد للضمير المنصوب او ضمير الفصل لانه واقع بين معرفة
وافعل التفضيل والمؤتفكة مدائن قوم لوط باجماع المفسرين وسميت
بذلك لانها انقلبت ومنه الافك لانه قلب الحق كذبا اهوى اسقط

الى الارض اخر العامل لكونه في صلة فغشها اي المؤتفكة ما غشي من
العذاب كانه لا يمكن وصف عذابهم لشدته فبأي آلاء ربك
تتمارى تتشكك اطلق على النعم والنقم المذكورتين الآلاء لما في النقم
من المزاجر والمواعظ للمعتبرين هذا نذير اي رسول الله من النذر
الاولى من جنس الانبياء المتقدمين افتتح السورة به واختتم ايضا
او المراد ان القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة ازفت الآزفة
قربت الموصوفة بالقرب وهي القيمة فانه صلى الله عليه وسلم من
علامات القيمة وقد ورد انا والقيمة كهاتين وضم احد اصبعيه على
الاخرى ليس لها من دون الله كاشفة اي نفس كاشفة اهوالها اذا
غشيت الخلائق او مبينة متى تقوم لا يجليها لوقتها الا هو وقيل الكاشفة
مصدر كالعافية اي ليس لها كشف من غيره افمن هذا الحديث اي القرآن
تعجبون انكارا وتضحكون مستهزئين ولا تبكون جزعا من وعيده
وانتم سامدون لاهون روي انه صلى الله عليه وسلم لم ير بعد نزولها
ضاحكا فاسجدوا لله واعبدوا اي دون الآلهة الباطلة وهذه السورة
اول سورة اعلن صلى الله عليه وسلم بقراءتها في الحرم وفيها سجد
وسجد من حضر من مؤمن ومشرك الا ان ابا لهب اخذ حفنة من تراب
الى جبهته وقال هذا يكفي وسبب نزولها قولهم محمد يختلق القرآن ولله الحمد

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة القيمة وانشق القمر انشقاقه
من علامات قرب القيمة وقد انشق حين التمسوا آية وعن بعض
كان ذلك مرتين قال قريش حين رأوه منشقا نصفين ليلة البدر
هذا سحرنا ابن ابي كبشة انظروا السفار فلما سئل السفار حين
قدموا من بعيد قالوا رأيناه وان يروا آية اي آية كانت يعرضوا عن
الايمان بها ويقولوا الذي شاهدنا سحر مستمر مطرد دائم وذلك لانهم
رأوا تتابع المعجزات او مار ذاهب مضمحل باطل وكذبوا واتبعوا
اهواءهم الباطلة وكل امر مستقر اي له غاية ينتهي اليها فان الشيء
اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وهذا تذييل جار مجرى المثل قيل كل امر

فالتمسوا من السفار ان تكلموا او لا تقولوا لاحد منهم

من خير

من خير وشر يستقر باهله ولقد جاءهم في القرآن من الانباء يعني من
القرآن المشتمل على اخبار الامم السالفة ما فيه مزدجر ازدجار او ردع عما هم
فيه حكمة بالغة تامة بلغت الغاية بدل من ما او من مزدجر فما تغني النذر
اي لا تغني النذر جمع نذير او فاي شيء تغني المنذرون مع هؤلاء الكفرة
فتول عنهم اعرض عن نصحهم فان انذارهم لا يجدي يوم يدع الداع
اي الداعي وهو اسرافيل الى شيء نكر منكر فظيع لم يروا مثله هو هول القيمة
خشعا ابصارهم خشوعها كناية عن الذلة فان الذلة والعزة تظهران
في العيون وفي الكشاف هذا على لغة اكلوني البراغيث واعترض عليه
صاحب البحر بان الزمخشري قاس جمع التكسير على جمع السلامة وليس
كذلك فان مررت بقوم كرام اباؤهم ليس على لغة اكلوني البراغيث
كما دل عليه نصوص القوم نعم مررت بقوم كريمين اباؤهم عليها يخرجون
من الاجداث من القبور ونصب خشعا بانه حال من فاعل يخرج
او من مفعول يدع المقدر اي يدع الداع الخلائق ونصب يوم بانه
ظرف يخرجون او مفعول لمثل اذكر كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج
بعضهم في بعض جملة حالية مهطعين مسرعين مادي اعناقهم الى الداع
يقول الكافرون هذا يوم عسر لما يشاهدون من مخايل هوله وما يرتقبون
من سوء منقلبهم فيه كذبت قبلهم قبل قريش فيه وعيد لهم قوم نوح
نوحا فكذبوا عبدنا نوحا تفصيل بعد اجمال او تقدير الكلام كذبت
قبلهم قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا نوحا فانه من جملة الرسل وقالوا
هو مجنون وازدجر وازجروه عن التبليغ وعن الدعوة وقيل معناه وازدجره
الجن فيكون من جملة المقول فدعا ربه اني اي باني مغلوب فانتصر
فانتقم لي منهم وانما دعا عليهم بعد مدة متطاولة يئس من ايمانهم ورأى
منهم زيادة شدتهم في التعدي والكفر ففتحنا بيان اجابة دعائه ابواب
السماء بماء منهمر منصب عن علي بن ابي طالب حين سئل عن المجرة هي
شرج السماء ومنها فتحت بماء منهمر وعن ابن عباس ماء ذلك من السماء
لا من السحاب قيل هذا مجاز كما تقول فتحت افواه القرب وجرت
مزاريب السماء وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها كانها عيون

تتفجر ونصب عيونا على التمييز وهو ابلغ من فجرنا عيون الارض فالتقى
الماء ماء السماء وماء الارض على امر حال قد قدر قضي في الازل او على
امر قدره الله وهو هلاكهم وحملناه نوحا على ذات الواح اخشاب
عريضة ودسر جمع دسار وهو المسمار والمراد السفينة تجري باعيننا
بمرأى منا ونحن نحفظها جزاء اي فعلنا ما فعلنا جزاء لمن كان كفر لنوح

يعني المراد من نوح ومن معه منه

فانه نعمة كفروها ولقد تركناها السفينة او الفعلة آية فهل من مدكر معتبر فكيف
كان عذابي ونذر اي انذاري والاستفهام لتعظيم الوعيد اذ قد استأصل
الجميع ولقد يسرنا القران سهلنا لفظه وفهمه للذكر للاتعاظ فهل من مدكر
متعظ عن ابن عباس لولا ان الله يسره على لساننا ما استطاع احد منا
ان يتكلم بكلام الله كذبت عاد قوم هود فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا شديدة الصوت او باردة في يوم نحس مستمر
شؤم عليهم نحسه مستمر حتى بلغهم جهنم او على صغيرهم وكبيرهم فالاستمرار
بحسب الاشخاص وعلى الاول بحسب الزمان تنزع الناس تقلعهم
عن اماكنهم فترمي بهم على رؤسهم والجملة مستأنفة او صفة ريحا كانهم
اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع ساقط قيل ان الريح تقلع رؤسهم
فالمطروح جسد بلا راس فاشبهت اصول النخل التي انقلعت من مغارسها
والجملة التشبيهية حال مقدرة من الناس فكيف كان عذابي ونذر
في التكرار تهويل سيما في انه ذكر عذابهم قبل بيان العذاب ولقد يسرنا

اي اولا قبل بيان عذابهم وهذا اشكل ما يقول انظروا الى انتقامي ثم بين الانتقام فقال هذا انتقامي منه

القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذار الذي جاءهم
به صالح فقالوا ابشرا اي انتبع بشرا فنصبه بفعل يفسره نتبعه منا من
جملتنا او من جنسنا واحدا منفردا لا تبع له ليس من الاشراف يمكن ان
يكون اتبعناهم لان يكون جمعا كثيرا قبائل متعددة تابعا لواحد نتبعه
انا اذا اذا اتبعناه لفي ضلال بعيد عن الصواب وسعر جنون النقي الذكر
اانزل الوحي عليه من بيننا وفينا من هو افضل بل هو كذاب اشر متكبر يريد
الترفع سيعلمون غدا من اعلام الله صالحا والمراد من الغد الزمان المستقبل
القريب من الكذاب الاشر اصالح او من كذبه ومن قرأ ستعلمون بالخطاب
فمحمول على انه حكاية ما اجابهم به صالح او على انه من باب الالتفات كانهم

حضور

حضور في المجلس حول اليهم الوجه انا مرسلوا الناقة لما يريدهم بقوله ستعلمون
وقد ادعوا انه كاذب فقالوا ما الدليل على صدقك قال الله انا مخرجوا
الناقة من الصخرة فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم انتظرهم وتبصر ما هم صانعون
واصطبر على اذاهم ولا تعجل حتى يأتي امر الله ونبئهم ان الماء ماء البئر التي لهم
قسمة بينهم يوم للناقة ويوم لهم فغيبه تغليب العقلاء كل شرب نصيب
محتضر يحضره من كانت نوبته فيتصرف فنادوا صاحبهم حكاية الناقة بعث
وهنا مقدر اي فكانوا على هذه الوتيرة من قسمة الماء فملوا وعزموا على عقرها
فنادوا صاحبهم اسمه قدار فتعاطى فاجترأ على تعاطي قتل الناقة وسائر
القوم راضون فعقر فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم في الاجمال
والتفصيل تفخيم للعذاب صيحة واحدة من جبرئيل فكانوا كهشيم
كالشجر اليابس المتكسر المحتظر الذي يعمل الحظيرة وهي تصنعها العرب
للمواشي والسكنى من الاغصان والشجر المورق والقصب فان ما يحتظر
ييبس بطول الزمان ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت قوم
لوط بالنذر بالمواعظ انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم وترميهم
بالحجارة الا ال لوط نجيناهم الاستثناء منقطع والمعنى لكن نجينا ال لوط وقوله
نجيناهم يفسره او نصبه بنزع الخافض والاستثناء متصل والمعنى ارسلنا
على الجميع الا على ال لوط وقوله نجيناهم مستأنفة بسحر في السدس الاخر
من الليل نعمة من عندنا اي نجيناهم لانعامنا عليهم كذلك مثل ما انعمنا
على ال لوط نجزي من شكر انعامنا واطاع ولقد انذرهم لوط بطشتنا
سطوتنا وقهرنا فتماروا فتشككوا بالنذر بالانذار ولقد راودوه عن
ضيفه طلبوا ان يسلم اليهم اضيافه للفجور وهم جبرئيل وميكائيل واسرافيل
على صورة مرد حسان فطمسنا اعينهم مسحناها جر جبرئيل جناحه على
اعينهم فعمين ودخلوا الاخذ الضيف فاستوت مع وجوههم فذوقوا
اي فقلنا لهم بلسان ملك او بلسان الحال عذابي ونذري اي انذاري
يعني البطشة ولقد صبحهم بكرة اول النهار عذاب مستقر ثابت لا يزول
عنهم ابدا فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كرره
في كل قصة للتنبيه على ان كل واقعة لا بد ان يتأمل فيها ويعتبر منها ولا يغفل عنها

ولقد جاء آل فرعون النذر موسى وهرون وغيرهما من انبياء بني اسرائيل
او الانذار فهو جمع نذير بمعنى الانذار كذبوا بآياتنا كلها هي التسع
فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر لا يغالب ولا يعجزه شيء أكفاركم يا اهل مكة
خير من اولئكم اكثر قوة وعدة من الكفار المذكورين يعني ليس كفار العرب
خيرا من هؤلاء بل هم مثلهم او شر منهم وقد علمتم ما لحق بهم من العذاب
لما كذبوا رسلنا ام لكم براءة من عذاب الله في الزبر في الكتب المنزلة من
السماء ام يقولون نحن جميع منتصر جماعة ينصر بعضنا بعضا فلا احد يغلبنا
سيهزم الجمع ويولون الدبر اي ينهزمون وافراد الدبر لارادة الجنس وحسن
هنا للفاصلة وهذا عدة من الله بهزيمة قريش فان السورة مكية بل الساعة
موعدهم انتقل من هذه الاحوال الى امر الساعة فان عذابها اشد
وابقى والساعة ادهى اشد داهية وهي نازلة لا يهتدى لدوائها وامر
مما نزل عليهم في الدنيا من المرارة ان المجرمين في ضلال لا يهتدون الى
الجنة وسعر احتراق او في ضلال في الدنيا وجنون يوم يسحبون يجرون
في النار على وجوههم ذوقوا اي يقال لهم ذوقوا مس سقر حرها اسم من اسماء
جهنم غير منصرف للتانيث والعلمية انا كل شيء خلقناه بقدر اي خلقنا
بتقديرنا في اللوح المحفوظ قبل وقوعه فنصب كل بفعل يفسره خلقناه وعند
النحويين الرفع في مثل ذلك هو الاولى لكن نصبه لان الرفع موهم خلاف
المقصود اذ خلقناه حينئذ يحتمل ان يكون صفة كل شيء فيوهم ان في
المخلوق ما ليس بقدر هو مخلوق لغير الله والله خالق كل شيء وما امرنا الا
واحدة كلمة واحدة هي قول كن او الا مرة واحدة لا يحتاج الى تكرار كلمح
بالبصر تشبيه بالعجل ما يحس نزلت حين خاصم مشركو قريش في القدر
رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قرأ
هذه الآية فقال نزلت في اناس من امتي يكونون في آخر الزمان يكذبون
بقدر الله ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم من الكفرة السالفة فهل
من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه اي فعلته الامم المكذبة في الزبر مكتوب في
كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مكتوب وسطرت
واستطرت بمعنى واحد ان المتقين في جنات ونهر انهار الجنة من خمر

وعسل

وعسل ولبن وماء اكتفى باسم الجنس للفواصل او المراد انهم في ضياء اشتقاقه
من النهار في مقعد صدق مجلس حق يرضى به لا لغو ولا تأثيم عند مليك
اي مجلس موصوف بانه عند ملك عظيم مقتدر لا شيء الا وهو تحت قدرته فهم
قرب مكانة من الله عن جعفر الصادق مدح الله المكان بالصدق فلا
يقعد فيه الا اهل الصدق اللهم اجعلنا منهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

سورة الرحمن مكية عند الجمهور وقيل مدنية وقيل متبعضة آيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن نبيه لا انه قول البشر او علمه عباده
برحمته يسر حفظه وفهمه خلق الانسان علمه البيان النطق الذي هو تعبير
عما في الضمير وهو الذي به يمكن قبول التعليم الشمس والقمر بحسبان
بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما يعلم منها السنون والحساب
لما ذكر النعم به على الانسان اعقبه بما امتن به من الشمس والقمر لما فيهما
من كثرة المنافع احدها ظهور الاشياء كالبيان والنجم الكواكب
والشجر يسجدان الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض الآية
او المراد من النجم النبات الذي لا ساق له ذكر الجمل الاولى على نهج التعديد
المفيد ان كل واحد نعمة بحياله لان الجميع كواحدة ثم رد الى المنهاج الاصلي
والسماء رفعها فوق الارض ووضع الميزان كل ما يوزن به كالميزان والمكيال
وغيرهما خلقه موضوعا على الارض او المراد منه العدل ان لا لئلا تطغوا
تعتدوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط عطف لا على النهي اي لكن
تقيموه بالعدل ولا تخسروا الميزان لا تنقصوه وخسر جاء متعديا خسروا
انفسهم امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن
الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان اهتماما بشانه
ولما ذكر السماء ذكر مقابلها فقال والارض وضعها خفضها مدحوة
للانام فيها فاكهة انواع ما يتفكه به والنخل خصوصا ذات الاكمام هي
اوعية الثمر الذي يطلع فيها القنو ثم تنشق خص من بين الاشياء لكثرة
المنافع من ليف وسعف وجريد وجمار وثمر هو فاكهة وطعام والحب
كالحنطة ذو العصف ورق النبات وهو التبن يعني هو قوام عيش الانسان
وبهائمهم والريحان بدأ بالفاكهة وختم بالمشموم وذكر بينهما النخل والحب

هذا اشارة الى وجه قراءة تخسروا بفتح التاء صح

ليحصل ما يتفكه وما يتقوت وما به يقع اللذاذة من الرائحة الطيبة
او المراد من الريحان الرزق يقال خرجت اطلب ريحان الله يعني حبا
وا علف الانعام وطعام الانسان وقراءة والريحان بالكسر يؤيد
هذا ليتوافق القراءتان في المعنى فباي آلاء ربكما ايها الثقلان تكذبان
والآلاء النعم خلق الانسان المراد الجنس من صلصال طين يابس
له صلصلة فان اصل الكل منه كالفخار كالخزف وخلق الجان من
مارج من صاف من نار من الاولى ابتدائية والثانية بيانية قيل
ابو الكل ابليس وفي قوله كان من الجن نوع نبوّ عنه فباي آلاء ربكما
تكذبان رب المشرقين اي هو رب مشرق الشتاء والصيف ورب
المغربين فباي آلاء ربكما تكذبان فان اختلاف المشارق واختلاف
المغارب سبب لمصالح الخلق مرج البحرين العذب والمالح يلتقيان
يتجاوران ويتلاصقان بينهما برزخ حاجز لا يبغيان لا يتجاوزان
حديهما او لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وقد مر في سورة الفرقان
فباي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره
او الخرز الاحمر قال المحققون انما يخرج من الاجاج في المواضع التي
تقع فيها الانهار والمياه العذبة فناسب اسناد ذلك اليهما
وعن ابن عباس وغيره هذا في البحر بنزول المطر فلذلك قال منهما كما
يقال الولد يخرج من الذكر والانثى فالعذب كاللقاح فباي آلاء
ربكما تكذبان وله الجوار السفن المنشآت المرفوعات الشرع في البحر
كالاعلام كالجبال فباي آلاء ربكما تكذبان كل من عليها من على الارض
فان ويبقى وجه ربك ذاته يقال اين وجه عربي كريم والخطاب في
ربك الخط ههنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل سامع
ذو الجلال الاستغناء المطلق والاكرام الفضل التام وهذا كما
قال كل شيء هالك الا وجهه فمن في قوله من عليها من باب التغليب
فباي آلاء ربكما تكذبان فان فناء الكل وبقاء الله مع انه غني وفضل
عام سبب للاعادة والجزاء بالتمام وجه يسأله يطلب منه [illegible]
حوائج الدين والدنيا ولهذا ترك المفعول من في السموات والارض

كل يوم هو في شأن قال صلى الله عليه وسلم من شأنه ان يغفر ذنبا
ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين والمراد من اليوم الوقت ونصب
كل على انه ظرف لعامل في شأن فباي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم مجاز
عن الانتقام التام لمن يهدد كقولك ساتفرغ لك فان المتجرد للشيء
اقوى واجد او المراد سنقصد لحسابكم وجزائكم وننظر في اموركم
يعني في القيمة فاوصلكم ما تستحقون ايها الثقلان اي الانس
والجن لثقلهما على الارض او لانهما مثقلان بالتكاليف فباي آلاء
ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس قدم الجن ههنا لان استطاعتهم
في الامور اكثر ان استطعتم ان تنفذوا تخرجوا من اقطار جوانب السموات
والارض فارين من قضاء الله فانفذوا لا تنفذون لا تقدرون على
الخروج الا بسلطان الا بقوة وغلبة وانى لكم ذلك فالامر للتعجيز
قال محيي السنة المراد اينما تكونوا ادرككم الموت فباي آلاء ربكما تكذبان
يرسل عليكما في القيمة شواظ لهب لا دخان فيه فاحراقه اشد
من نار ونحاس دخان او الصفر المذاب يصب على رؤسهم وفي
قراءة نحاس بالجر فتقديره وشيء من نحاس فلا تنتصران لا تمتنعان
من الله والمراد لو هربتم في القيمة لردتكم الملائكة والزبانية بارسال
اللهب والنحاس لترجعوا فباي آلاء ربكما تكذبان فانه مع عجزكم وجهلكم
دلكم على ما يخلصكم من هذه النوائب وعلى تجارة تنجيكم من عذاب
الله مع ان التهديد والانتقام من الاعداء والتمييز بين المطيع والعاصي
من الآلاء فاذا انشقت السماء فكانت وردة محمرة كالورد كالدهان
كالاديم الاحمر وجواب اذا مقدر اي فما اعظم الهول فباي آلاء ربكما
تكذبان فيومئذ يوم اذا انشقت لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان
اي لا يسأل انس عن ذنبه ولا جان عنه وذلك في موطن خاص
ثم يسألون فوربك لنسألنهم اجمعين وعن ابن عباس لا يسألهم
هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم بذلك منهم لكن يقول لم عملتم كذا وكذا
فباي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم كسواد وجوههم
وزرقة عيونهم فيؤخذ بالنواصي اي بنواصيهم والاقدام تجمع بينهما في

سلسلة من وراء ظهورهم فيطرحون في النار وقوله بالنواصي فاعل يؤخذ
فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم أي يقال لهم تقريعاً التي يكذب بها
المجرمون الأظهر أنه من إقامة المظهر مقام المضمر يطوفون بينها بين النار
وبين حميم ماء شديد الحرارة آن بالغ النهاية في الحر يسحبون في الحميم ثم في
النار يسجرون فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه مقام
مصدر فاحتمل أن يكون مضافاً إلى الفاعل أي قيام ربه عليه قيل
المقام مقحم جيء للتعظيم كما خاف جانبه جنتان لكل فرد فرد من الخائفين
روى النسائي وغيره أنه قرأ عليه الصلوة والسلام ولمن خاف
مقام ربه جنتان [7] فقال وإن زنى وإن سرق فقال ولمن خاف مقام
ربه جنتان قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن رغم أنف أبي الدرداء
فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان أنواع النعم جمع فن قاله ابن عباس
وغيره أو أغصان وهي الغصون التي تتشعب من فروع الشجرة ومنها
الأوراق وامتداد الظلال والثمر جمع فنن فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان تجريان أحدهما التسنيم والأخرى السلسبيل تحت تلك
الأشجار فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان
صنف كفواكه رأيتم نظيرها في الدنيا وصنف ما رأيتم فبأي آلاء ربكما
تكذبان متكئين نصب على الحال من مقدر أي يتنعمون متكئين والاتكاء
يطلق على الاضطجاع وعلى التربع على فرش بطائنها من إستبرق ديباج
ثخين في الحديث قيل يا رسول الله هذه البطائن فكيف الظهائر قال
من نور يتلألأ وجنى الجنتين دان قريب لا يرده بعد ولا شوك فبأي
آلاء ربكما تكذبان فيهن في أماكن الجنتين أو في الجنات الدال عليها الجنتين
أو في الفرش قاصرات الطرف نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن
لا ينظرن إلى الغير قائلات لبعلهن والله ما أرى في الجنة أحسن منك
ولا أحب إلي الحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك أو المراد قصرن
عين من ينظر إليهن عن النظر إلى غيرهن لم يطمثهن إنس قبلهم
ولا جان قيل الجن في الجنة لهم قاصرات الطرف من نوعهم فنفى الافتضاض
عن البشريات والجنيات فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت

[7] قال أبو الدرداء فقلت وإن زنى وإن سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان صح

قاله ابن عباس وقتادة وعطاء الخراساني وابن زيد منه

قال مجاهد الجن قد يجامع نساء البشر إذا لم يذكر الزوج ربه فنفى عنها جميع المجامعين منه

في الصفا

في الصفاء وحمرة الوجنة والمرجان صغار اللؤلؤ وهو أنصع بياضاً
من كباره فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الإحسان إلا الإحسان
وهم أحسنوا في الدنيا في أعمالهم فأحسن الله إليهم في الآخرة فبأي آلاء
ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان سوى تينك الجنتين للمقربين جنتان
لمن دونهم في المنزلة وهم أصحاب اليمين من الورق والأوليان من
الذهب فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان سوداوان من شدة
خضرتهما لريهما وصف الأوليين بكثرة أشجارهما وهاتين بالخضرة لما
بينهما من التفاوت فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان
فوارتان بالماء والجري أقوى من النضخ فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة
ونخل ورمان الرطب فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فأفردهما
بالذكر ووصف الأوليين بأن فيهما من كل فاكهة صنفين فبأي آلاء
ربكما تكذبان فيهن خيرات الخلق خففت كهيّن ولين في
هيّن ولين حسان الخلق جميلات فبأي آلاء ربكما تكذبان
حور مقصورات مستورات قصرن في بيوتهن لسن بطوافات في الطرق
أو مقصورات الطرف على أزواجهن ووصفهن في الأولى بقاصرات
الطرف الدالة على أنهن قد قصرت أعينهن بالطبع وهي أتم من المقصورات
التي فيها إشعار بقسر القصر في الخيام المخيمة من زبرجد وياقوت ولؤلؤ
فيها سبعون باباً من الدر فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن إنس قبلهم
ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان زاد في الأول كأنهن الياقوت
والمرجان وزاد أيضاً وجنى الجنتين دان وقد استدل على أن الجن
يطمثون وهم في الجنة متكئين نصبه كما مر على رفرف خضر مجالس
فوق الفرش أو وسائد ووصف الرفرف بالجمع لأنه اسم جنس وقد يجمع
نعته نحو والنخل باسقات الواحد منه رفرفة وعبقري حسان لكل
شيء نفيس وإن كان انا عند العرب عبقري قيل عبقر اسم بلد من
بلاد الجن ينسب العرب إليه كل نفيس ووصف بطائن فرش الأوليين
وسكت عن ظهائرها ثم أظهرها بأن وصفها لا يفي به اللسان فبأي
آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه المطلق على ذاته الأقدس

فما ظنك بذاته ذي الجلال اهل ان يجل فلا يعصى والاكرام واهل ان
يكرم فلا يعبد غيره او اهل لمن يكرم من بجلته ختم الامتنان الدنيوى بقوله
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وناسب ذكر البقا الفنآء الدنيا
وناسب هنا ما اشتق من البركة وهي النمو والزيادة وهما للمؤمنين في
الجنة وفي الحديث الظوا بذا الجلال والاكرام وفي الحديث من اجلال الله اكرام
ذي الشيبة المسلم وذي السلطان وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي منه والحمد لله حق حمده

سورة الواقعة مكية وآيها سبع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة هي من اسمآء القيمة ليس لوقعتها
لمجيئها كاذبة مصدر اي كذب بل هي واقعة صادقة او نفس كاذبة فان
من اخبر عنها صدق فهي اسم فاعل واللام للتوقيت نحو يا ليتني قدمت
لحيوتي اي ليس في زمان وقعتها نفس كاذبة فان النفوس حينئذ مؤمنة
صادقة خافضة رافعة هي خافضة لقوم رافعة لآخرين والخافض والرافع
هو الله لكن ظهورهما في ذلك اليوم اذا رجت حركت الارض رجا
تحريكا شديدا اذا ظرف لخافضة رافعة او بدل من اذ او بست فتت
حتى تعود كالسويق او سيرت الجبال بسا فكانت هبآء غبارا
منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلثة ينقسم الناس يومئذ الى
ثلثة اصناف فاصحاب الميمنة الذين هم عن يمين العرش او كانوا
عن يمين آدم عند اخراج الذرية عن ظهره او الذين يؤتون كتبهم بايمانهم
او اصحاب المنزلة السنية يقال فلان مني باليمين اي رفيع الشان عندي
او اصحاب اليمن ما اصحاب الميمنة جملة استفهامية تعجبية خبر لاصحاب
الميمنة باقامة الظاهر مقام المضمر واصحاب المشئمة مقابل الميمنة بالمعاني
الخمسة ما اصحاب المشئمة والاولى كما اختاره صاحب الهجران قوله
فاصحاب الميمنة مع ما عطف عليه جواب اذا وقعت والمعنى اذا كان
كذا وكذا فما اسعد حال اصحاب الميمنة يظهر في ذلك الوقت اليوم
الكثير الهول رتبتهم عند الله وما اخسر صفقة اصحاب المشئمة وقوله ليس
لوقعتها جملة اعتراضية بين الشرط وجوابه والسابقون الى قبول دعوة
الرسول او الى الخيرات السابقون خبر للمبتدا نحو شعري شعري اولئك

وأما جعلهم بأنهم لم يشركوا في الدنيا فمن
العنادرة التي يعرف مخالفتها كذب وذلك
وهم في هذا كالغريق يتشبث بكل شيء
منه

وقعت به

المقربون

ای علت درجاتهم

وعلى هذين الوجهين معناه اولئك المقربون
عند الله في جنات منه

المقربون في جنات النعيم قربت درجاتهم في الجنة من العرش او في
جنات خبر بعد خبر او حال من ضمير المقربون ثلة هم جماعة كثيرة من
الاولين من الامم الماضية من آدم الى رسول الله صلى الله عليهما وسلم
وقليل من الآخرين من هذه الامة المرحومة فان السابقين منهم اقل
من السابقين من سائر الامم او هم كثير من متقدمي هذه الامة المرحومة
وقليل من متاخريها وكثير من السلف على ذلك وعليه بعض الاحاديث
على سرر موضونة اي هم على سرر منسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت
متكئين عليها متقابلين وجوه بعض الى بعض من غاية الانس حالان
من ضمير على سرر يطوف عليهم للخدمة ولدان غلمان مخلدون لا يشيبون
ولا يموتون باكواب انآء لا عروة ولا خرطوم له واباريق
الجامع للوصفين من العروة والخرطوم وكاس من معين من خمر جار
لا يصدعون عنها ولا ينزفون لا ينشا عن شربها صداعهم ولا ذهاب
عقلهم بخلاف خمر الدنيا او المعنى لا يفرقون عنها ولا تنقطع لذتهم
يقال تصدع السحاب عن المدينة تفرق ولا يفرغ خمرهم من نزف
البئر فرغ ماؤها وفاكهة مما يتخيرون يختارون ولحم طير مما يشتهون
ولحم الطير الذ وحور عين اي وفيها حورا وولهم حور ومن قرأ بالجر عطف
على المجرورات قبله والمعنى ان الولدان يطوفون عليهم بالحور كامثال
اللؤلؤ المكنون المصون وفي الحديث صفاؤهن كصفآء الدر الذي
لا يمسه الايادي جزاء اي يفعل ذلك بهم للجزآء بما كانوا يعملون في الدنيا
وان المنازل في الجنة على قدر الاعمال واما نفس دخول الجنة فبرحمة الله
وفضله وعلى ذلك نص الصريح الصحيح لا يسمعون فيها لغوا عبثا باطلا
ولا تاثيما ولا ما يوقع في الاثم الا قيلا قولا سلاما سلاما ونصب سلاما
على المفعول به اي لا يسمعون الا ان يقول بعضهم لبعض سلاما والاستثناء
ان جعلته متصلا فمعناه لا يسمعون فيها لغوا الا السلام ومعلوم ان
السلام ليس بلغو فلا لغو نحو بيد اني من قريش واصحاب اليمين ما
اصحاب اليمين لما ذكر نعيم المقربين يذكر نعيم الابرار في سدر مخضود
عار من الشوك او مثني الغصن من كثرة الحمل وطلح منضود قال مجاهد

وغيره هو الموز الذي نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه او هو ام غيلان له
انوار طيبة الرائحة وله ظل بارد يحبه العرب وظل ممدود منبسط دائم
وفي الصحيحين ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا
ان شئتم وظل ممدود وماء مسكوب مصبوب يجري على ارضها من
غير اخدود وفاكهة كثيرة لا مقطوعة في زمان ولا ممنوعة من احد بخلاف
فواكه الدنيا وفرش مرفوعة في الترمذي والنسائي ارتفاعها كما بين السماء
والارض انا انشأناهن انشاء ابتدأنا من غير ولادة والضمير عائد الى
ما دل عليه السياق من ذكر الفرش اي اعدنا انشاء من على الفرش من النساء
قيل المراد من الفرش النساء ومعنى المرفوعات اللاتي رفعن بالجمال
والكمال والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا فجعلناهن ابكارا قيل دائما
البكارة عربا كلامهن عربي وقد نقل ابن ابي حاتم حديثا دالا على هذا المعنى
او عواشق لازواجهن صرح بهذا المعنى اكثر السلف اترابا مستويات
في السن والقد والشكل بنات ثلث وثلثين كما ورد في حديث رواه
محيي السنة وغيره وفي الحديث هن اللواتي قبضن عجائز خلقهن الله
بعد الكبر عذارى متعشقات على ميلاد واحد فضل من الحور العين
كفضل الظهارة على البطانة مستويات في الاخلاق لا تباغض ولا
تحاسد ولا تلعن ويلعبن وهذا المختصر مما في الترمذي والطبراني ومن يكون
لها ازواج في الدنيا تخير فتختار احسنهم خلقا لاصحاب اليمين متعلق
بانشأنا او صفة لابكارا ثلة هم جماعة كثيرة من الاولين الامم الماضية
غير هذه الامة المرحومة وثلة من الاخرين من هذه الامة المرحومة او المراد
ثلة من المتقدمين من هذه الامة المرحومة وثلة من المتأخرين منهم واصحاب
الشمال ما اصحاب الشمال لا يمكن بيان شقاوتهم في سموم حر نار وحميم
ماء في نهاية الحرارة وظل من يحموم دخان اسود لا بارد ولا كريم نافع
ليس كسائر الظلال وحاصله انه ظل حار ضار ردىء كريه المنظر انهم
كانوا قبل ذلك في الدنيا مترفين منهمكين في الشهوات التي نهى الله
عنها وكانوا يصرون على الحنث الذنب العظيم وهو الشرك وكانوا
يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون همزة الانكار كررت
لمزيد انكارهم والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لان ما بعد ان لا
يعمل فيما قبله او اباؤنا الاولون عطف على محل اسم ان لا على ضمير
مبعوثون لان همزة الاستفهام لا تدخل على المفرد ولا يعمل ما قبلها
فيما بعدها وفي قراءة نافع وابن عامر او بسكون الواو وعلى هذا يلزم
ايضا العطف على الضمير المتصل المرفوع من غير تأكيد او فصل قل ان الاولين
والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا
وحدت من يوم معين عند الله فالاضافة في ميقات يوم بمعنى
من ثم انكم خطاب لكفار قريش ايها الضالون المكذبون لاكلون
من شجر من ابتدائية او تبعيضية من زقوم من للبيان اي من شجر هو زقوم
قيل من زقوم بدل فعلى هذا من مثل من الاولى فمالئون منها الضمير
للشجر وهو اسم جنس يؤنث ويذكر البطون يسجرون حتى تملأ بطونهم
فشاربون عليه تذكير الضمير بعد تأنيثه قد عرفت وقيل الضمير عائد
على المأكول او على الاكل من الحميم الماء الذي في نهاية الحر فهذا غذاؤهم
وهذا شرابهم فشاربون شرب الهيم مثل شرب الابل التي بها الهيام
وهي داء تشبه الاستسقاء تشرب الى ان تموت وكل من المعطوف
والمعطوف عليه اخص من وجه من الاخر فلا اتحاد بينهما قال صاحب
البحر الفاء تقتضي التعقيب في الشربين وانهم لما عطشوا شربوا من
الحميم فازداد عطشهم فشربوا بعده شربا لا يقع بعده ري ابدا فهما
شربان من الحميم لا شرب واحد والمشروب منه محذوف لفهم المعنى
تقديره فشاربون منه شرب الهيم هذا نزلهم رزقهم المعد لهم تكرمة لهم
فيه تهكم يوم الدين يوم الجزاء واذا كان ذلك نزلهم فما ظنك في قراهم بعد
النزل ولما ذكر مآل اصحاب الشمال استدل لهم على خلاف ما هم عليه
كأنه نصحهم فقال نحن خلقناكم بعد ان لم تكونوا شيئا مذكورا فلولا تصدقون
فهلا تصدقون كأن اعمالهم على خلاف ما يقتضيه التصديق تحضيضهم عليه
افرأيتم ما تمنون تصبون في الارحام من النطف ءانتم تخلقونه ام
نحن الخالقون فعلم ان الابداء منا وما جاء من الخبر بعد نحن جيء به على
سبيل التوكيد فانه لو اختصر بقوله ام نحن لوقع الاكتفاء نحن قدرنا

بينكم الموت وما نحن بمسبوقين مغلوبين عاجزين على ان نبدل
امثالكم نغير صفاتكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون في صفات
لا تعلمونها اي فما نحن بعاجزين عن الاعادة وهي تبديل الصفات
او المراد وما نحن بعاجزين على ان نأتي بخلق مثلكم بدلا عنكم وننشئكم فيما
لا تعلمونه من الصور كالقردة والخنازير فالامثال جمع مثل بسكون الثاء
وفيه تهديد وفي الاية الثانية وهو قوله لو نشاء لجعلناه حطاما والثالثة
وهي لو نشاء جعلناه اجاجا ما يشعر بملايم هذا المعنى او المراد نحن خلقناكم
ابتداء فهلا تصدقون بالبعث ثم استدل وقال افرايتم ما تمنون المني كيف
يجمع وهو منبث في اطراف العالم ثم يجمع في الرحم بعد ما كان منبثا
في الاعضاء ثم نكون الحيوان منه فاذا افترق بالموت الم نقدر على جمعه
وتكوينه مرة اخرى ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون فهلا
تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى افرايتم ما تحرثون
تثيرونه وتبذرون حبه ءانتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون روى
ابن جرير وابن ابي حاتم انه قال صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم
زرعت وليقل حرثت لو نشاء لجعلناه حطاما الحطام اليابس
المتفتت الذي لا ينتفع به فظلتم تفكهون اي ظللتم تفكهون بالمقالة
تتنقلون بالحديث وقد استعير من التنقل بانواع الفاكهة الى التنقل
بالحديث قيل التفكه يستعمل في التحزن والتنعم قال في البحر تفكهون
تطرحون الفكاهة عن انفسكم وهي المسرة وتفكه من اخوات تحرج وتحوب
انا لمغرمون استيناف مبين لمقالتهم اي يقولون انا لمعذبون من الغرام
الذي هو اشد العذاب او المغرم الذي ذهب ماله بغير عوض
بل نحن محرومون محدودون لا حظ لنا في الخير افرايتم الماء الذي تشربون
ءانتم انزلتموه من المزن السحاب جمع مزنة ام نحن المنزلون لو نشاء
جعلناه اجاجا شديد الملوحة فلولا تشكرون ودخول اللام في الاول
وسقوطه في الثاني من التفنن وكلاهما فصيح افرايتم النار التي تورون
تقدحون ءانتم انشأتم شجرتها اي الشجرة التي تقدح منها النار ام نحن
المنشئون تحك احد غصني المرخ والعفار بالاخر فتنقدح منهما شرر

النار

الا نحن جعلناها تذكرة لنار جهنم ومتاعا للمقوين اي النازلين
الارض القواء اي المفازة فان انتفاع المسافر بالزند اكثر من
انتفاع الحاضرين فسبح باسم ربك العظيم نزهه عن النقائص التي
يقولون باستعانة ذكر اسمه العظيم او اسم ذاته العظيم فالعظيم جاز
ان يكون صفة للمضاف او للمضاف اليه وما نقلناه في اخر السورة
دال على الثاني فلا اقسم لا مزيدة للتاكيد وسيأتي تفصيل الاقوال
في لا اقسم بمواقع النجوم اي نجوم القران ومواقعها اوقات
نزولها او مغارب نجوم السماء والتخصيص بالمغارب لما في
المغارب من زوال اثرها الدال على ان له مؤثرا كما استدل
ابراهيم عليه الصلوة والسلام بالافول فقال تعالى فلما افلت وانه
اي هذا القسم الذي اقسمت به لقسم لو تعلمون عظيم قوله لو تعلمون
اعتراض بين الموصوف والصفة ومنه تعالى سر في تعظيمه هو الذي
يعلمه انه لقران جواب القسم كريم كثير النفع في كتاب مكنون مصون
وهو اللوح المحفوظ لا يمسه الذي في السماء الا المطهرون اي
الملائكة كذا فسره ابن عباس والاكثرون من السلف قيل لا يمس
القران الا المطهرون من الجنابة والحدث والنفي حينئذ بمعنى النهي
والمراد من القران المصحف تماما او بعضه تنزيل من رب العالمين
صفة اخرى للقران وفيها مبالغة لانه وصفه بالمصدر كانه في
نفسه تنزيل افبهذا الحديث اي القران انتم ايها المشركون
مدهنون متها ون تكذبون وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم
الذي هو المطر فسره الرسول المنزل عليه صلى الله عليه وسلم بذلك
كما نقله الامام احمد والترمذي وهو المنقول عن ابن عباس قيل
الرزق بمعنى الشكر في لغة ازد انكم تكذبون بمعطيه تقولون مطرنا
بنوء كذا قيل تجعلون نصيبكم من القران تكذيبكم به فلولا فهلا
اذا بلغت النفس الحلقوم وانتم باحضار الميت حينئذ حين
اذ بلغت الحلقوم تنظرون قوله وانتم جملة حالية من فاعل ترجعونها
اي لولا ترجعون النفس زمان بلوغها الحلقوم حال نظركم اليه والى ما يقاسيه

متهاونون سامـ

من شدة النزع ونحن اقرب اليه الى المحتضر منكم ايها الحاضرون
ولكن لا تبصرون قربنا ولا تعرفون قدرنا قوله ونحن اقرب اليه اعتراض
يؤكد ما سيق له الكلام من توبيخهم على اثبات العجز لله ولا يناسب ان
يكون حالا فلولا فهلا ان كنتم غير مدينين مجزيين في القيمة ترجعونها
اي النفس الى مقرها بعد ما بلغت الحلقوم ان كنتم صادقين انه لا بعث
ولا جزاء فلولا الثاني تاكيد للاول وجواب الشرط دال عليه السياق
ومحصول الكلام انكم تنسبون الى الافتراء كتابي والى السحر رسولي
والى غيري رحمتي حيث تقولون مطرنا بنوء كذا ولا تقولون مطرنا برحمته
وتزعمون ان لا بعث ولا حساب ولا اله يجازي فنفيتم قدرتي واختياري
فما لكم لا تردون روح من يعز عليكم اذا بلغ الحلقوم وانتم ناظرون اليه
والى ما يقاسيه من شدة النزع فاذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان فوقكم
قادرا مختارا بيده الامر من غير عجز ولا تعطيل او انهم لما الهاهم التنعم والترف
معجبين بقوتهم ومكنتهم وترفهم وشرفهم شبه حالهم بحال من يثبت
القدرة لنفسه وينكرها عن غيره قيل لهم ان كنتم صادقين في دعواكم
فارجعوها حين وصلت الى الحلقوم فاما ان كان المتوفى من المقربين
وهم السابقون فروح فله راحة وريحان رزق حسن وفي الترمذي
وغيره ينطلق الى ولي الله ملك الموت مع خمسمائة من الملائكة معهم
ضبائر الريحان اصل الريحان واحد وفي راسها عشرون لونا لكل لون
ريح سوى ريح صاحبه قوله ضبائر اي جماعات واحدتها ضبارة
كعمارة وعمائر وجنة نعيم ذات تنعم يبشر بها واما ان كان من اصحاب
اليمين فسلام لك اي فيقال له سلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب
اليمين من اخوانك او المراد حصل لك سلامة من العذاب بحال كونك
من اهل اليمين يبشر بالبشارتين قيل فسلامة لك يا محمد منهم لا تهتم لهم
فانهم في عافية وسرور واما ان كان من المكذبين الضالين هم اصحاب
الشمال فنزل اي فله ما يعد للضيف من حميم وتصلية ادخال جحيم
والفاء في المواضع الثلثة جواب لاما واغني عن جواب ان لانه اذا اجتمع
الشرطان فالجواب للاول ويغني عن جواب الثاني ان هذا اي الذي ذكر

لهو حق اليقين حق هو اليقين من غير ريب قيل هو من اضافة المترادفين
على المبالغة كما تقول صواب الصواب ويقين اليقين يعني انه نهاية
في ذلك فسبح باسم ربك العظيم في البحر سبح يتعدى بنفسه وبحرف
الجر وفي الحديث لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فجعل
في الركوع سبحان ربي العظيم وفيه دليل على ان الاسم مقحم والحمد لله رب العالمين

سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم سبح جاء في مفتتح السور بلفظ الماضي والمضارع
والامر والمصدر للدلالة على الديمومة والاستمرار لله ما في السموات
والارض من الموجودات وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وهو العزيز الحكيم فيستحق ان ينزه عما لا يليق بجلاله له ملك
السموات والارض فانه خالقهما ومتصرف فيهما يحيي ويميت استيناف
او حال من المجرور في له وهو على كل شيء قدير هو الاول فليس قبله شيء
والاخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء
هكذا فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى مسلم وفي الترمذي عنه
صلى الله عليه وسلم سبع ارضين بين كل ارضين خمسمائة سنة ثم
قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط
على الله ثم قرا هو الاول والاخر والظاهر والباطن وقد قال بعض
السلف هو ظاهر لان جميع الكائنات دليل وجوده وباطن لانه
غير مدرك بالحس وهو بكل شيء عليم هو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش قد مر تفسيره في الاعراف وغيره
يعلم ما يلج يدخل في الارض كالحب والقطر وما يخرج منها كالنبات
والاشجار وما ينزل من السماء من جانبها كالمطر والملك وما يعرج فيها
كالارواح والاعمال والملك وهو معكم بعلمه وبما يعلمه الله اينما كنتم
والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه له ملك السموات والارض ذلك
كالمقدمة للاعادة والابداء فلذا كرره والى الله ترجع الامور فيحكم اما
بالفضل او بالعدل يولج الليل في النهار فيطول النهار ويولج النهار
في الليل فيطول الليل وهو عليم بذات الصدور بخفيات احوالها ك

ولما ذكر تسبيح العالمين وما احتوى عليه من الملك والتصرف وذكر
نفسه بالصفات العلى وختم بالعلم بخفيات الصدور امر عباده بالايمان
والانفاق في الخير فقال آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم الله
مستخلفين فيه ممن كان قبلكم بتوريثه اياكم او جعلكم الله خلفاء في التصرف
وهو في الحقيقة لله فلا تبخلوا فيه تزهيد في المال اذ مصيره الى الغير
وانه ينتقل منكم كما انتقل من ابائكم قيل لاعرابي لمن هذه الابل قال
هي لله عندي فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير فالايمان والانفاق
لا ينفعان الا انفسكم وما لكم مبتدأ وخبر لا تومنون بالله حال من معنى
الفعل في ما لكم والرسول يدعوكم يعني اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول
يدعوكم الواو للحال وهما حالان متداخلان لتومنوا بربكم اي الى هذا الامر
الجليل اليسير وقد اخذ ميثاقكم الواو للحال من مفعول يدعوا ومن معمول
تومنوا يعني الحال انه قد اخذ الله ميثاقكم حين اخرجكم من ظهر آدم او بما نصب
الحجة ان كنتم مومنين لحجة ودليل او ان كنتم تومنون في حال فالان اوان
لموجب ما فهذا هو الموجب لايمانكم قبل الميثاق بعثة الرسول ثم ان
الخطاب مع المومنين على سبيل التوبيخ ومعنى ما لكم لا تومنون
اي كيف لا تثبتون على الايمان ودواعيه قائم هو الذي ينزل على عبده
رحمة الله على العالمين ايات بينات اي القران ليخرجكم الله او العبد
من الظلمات الجهالات الى النور العلم وان الله بكم لرءوف رحيم وما
لكم ان لا تنفقوا في سبيل الله لا يبعد ان يكون هذا خطابا للمومنين والاول
للكافرين على خلاف ما نقلنا ولله ميراث السموات والارض يبقى رب
العزة ولم يبق احد لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح فتح مكة وقاتل
اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا فان الامر قبل الفتح
لشديد الناس في ريب من الرسالة والاحتياج الى الانفاق اكثر وبعد
الفتح ظهر الاسلام ودخل الناس في دين الله افواجا وقلت الحاجة
الى الانفاق وكلا وعد الله الحسنى اي وعد الله كلا من المنفقين من
قبل ومن بعد الجنة والله بما تعملون خبير فلا يضيع عنده عمل عامل من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا من انفق رجاء الثواب لله كمن يقرضه

فهذا

فهذا الاستفهام ترغيب وتحضيض وهذا عام في كل انفاق هو لله
فيضاعفه له يعطي اجره اضعافا بالرفع عطف على يقرض وبالنصب
هو جواب الاستفهام وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه
الاضعاف كريم محمود في نفسه يعني كما انه زائد في الكم بالغ في الكيف
وهو جملة حالية قيل المراد من قوله وله اجر الزيادة على الاجر اصله
وفرعه من فضل الله يوم ترى اي استقرار الاجر له يوم ترى المومنين
والمومنات يسعى نورهم فيه دليل على انهم مسارعون الى الجنة بين
ايديهم وبايمانهم وذلك دليلهم الى الجنة عبر عن جميع الجهات بالجهتين
وقيل النور ليس الا من هاتين الجانبين كما ان السعداء يوتون صحايفهم
من هاتين الجهتين لكن جميع جوانبهم منور بسببهما وجملة يسعى حالية وترى
من روية البصر وبين ايديهم اما ظرف او حال بشريكم اليوم يقال لهم
ذلك ولا يبعد ان يوم ترى ظرف ليقال المقدر في بشريكم جنات
اي دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو
الفوز العظيم يوم بدل من يوم ترى يقول المنافقون والمنافقات
للذين امنوا انظرونا انتظرونا نقتبس نستضئ من نوركم قيل القائل
المومنون او الملائكة ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا اي ارجعوا الى مكان
قسم فيه النور واطلبوا فيه نورا فلا يستضاء من نور المومنين كما لا يستضي
الاعمى ببصر البصير فيرجعون الى ذلك المكان فلا يجدون نورا فينصرفون
الى المومنين فضرب بينهم بين المومنين والمنافقين بسور اي حجاب
له باب في اخر الصراط بعد التفاول والمومنون يدخلون من الباب
الى نحو الجنة باطنه اي السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره
من قبله من جهته العذاب فانه يلي النار ينادونهم ينادي المنافقون
المومنين وبينهما سور الم نكن معكم في الدنيا بالموافقة والمرافقة قالوا
اي المومنون بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق والمعاصي وتربصتم
انتظرتم في شاننا الدوائر وعن بعض معناه اخرتم التوبة وارتبتم
في دين الاسلام وغرتكم الاماني امنيتكم الباطلة حتى جاء امر الله
اي الموت وغركم بالله الغرور الشيطان فانه يمنيكم ويعدكم فاليوم لا يوخذ

منكم فدية لا يقبل منكم فدآء ولا من الذين كفروا مأويكم يا معشر
المنافقين والكافرين النار هي أي النار موليكم مفعل من أولى
أي النار أولى بكم أو النار ناصركم والويل على من النار ناصره وبئس
المصير النار ولما أجمل وفصل الوعد والوعيد والبشارة والتهديد
الشديد وهم على حالهم ولم يؤثر فيهم قال ألم يأن مضارع أنى أي
حان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق أي عند
ذكر الله وسماع القرآن عن ابن عباس استبطأ الله خشوع قلوب
المهاجرين فعاتبهم بهذه على رأس ثلث عشرة وفي بعض الروايات
على رأس خمس عشرة سنة من نزول القرآن وهذا دليل على أن السورة
مدنية ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل كاليهود والنصارى
عطف على تخشع أو نهي عن مماثلة أهل الكتاب وفيه التفات من الغيبة
فطال عليهم الأمد الزمان بينهم وبين أنبيائهم فقست قلوبهم صلبت
بحيث لا ينفعل عن الخير فمالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله وكثير
منهم فاسقون خارجون من دينهم اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها
فلا تيأسوا من أن يلين القلوب بعد قسوتها قد بينا لكم الآيات لعلكم
تعقلون فتدبروا مواعظ الله لكي تخشع قلوبكم ولما استبطأ خشوعهم
حرصهم على ما هو سبب للخشوع فقال إن المصدقين المتصدقين والمصدقات
وأقرضوا الله على حذف الموصول لدلالة ما قبله عليه أي والذين أقرضوا
كقول الشاعر فمن يهجو رسول الله منهم ويمدحه وينصره سواء أي من
يمدحه وذكر المتصدقات لمزيد الاهتمام كما قال صلى الله عليه وسلم
تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار قرضا حسنا لوجه الله يضاعف
ثواب القرض خبران لهم ولهم أجر كريم وهذا الكلام يحتمل الوجهين
والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند
ربهم في الفردوس أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في أنهار
الجنة ثم تأوي إلى القناديل قوله والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر
منقطع عما قبله صرح بذلك ابن عباس وكثير دون أن والشهداء
عطف على الصديقون فالمؤمنون الكاملون العاملون كلهم عند ربهم

أي المكان الذي يقال فيه أولى لكم نحو [illegible] الكرم أي موضع يقال فيه إن [illegible] التحقيقية

وهذا قول ابن مسعود وجماعة من السلف قال تعالى ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية يدل على قول ابن مسعود وعن الضحاك
المراد من الذين آمنوا الثمانية أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وحمزة
وفي الحديث مؤمنوا أمتي شهداء ثم تلا هذه الآية لهم أجرهم ونورهم
يتفاوت بحسب درجاتهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أي السمعية
أولئك أصحاب الجحيم ملازموها لا ينفكون عنها اعلموا أنما الحيوة
الدنيا التي غرت الذين كفروا وكذبوا لعب ما هي إلا أمور خيالية
لا حقيقة ولا فائدة ولا غاية لها سوى إتعاب البدن ولهو يلهون
بها عما ينفعهم وزينة وتفاخر بينكم يفتخر به بعضكم على بعض وتكاثر
في الأموال والأولاد ومباهاة بهما ثم قرر أن ذلك سريع الزوال فقال
كمثل غيث مستأنفة مثلها كمثل أو خبر بعد خبر أي ما هي إلا كمثل غيث
أعجب الكفار الزراع أو الكافرون فإنهم أشد إعجابا بخضرة الدنيا لا الزراع
نباته ثم يهيج ييبس بعاهة فتراه مصفرا ثم يكون حطاما هشيما متفتتا
فإن الإنسان يشب ويقوى ويكسب المال والولد ثم يأخذ بعده
في الانحطاط فينشف ويضعف ويصيبه النوائب في ماله وذريته
ثم يموت ويضمحل أمره وتصير أمواله لغيره وتتغير رسومه كمطر أصاب
أرضا فنبت نباتا معجبا ثم يبس واصفر ثم تحطم ثم تفرق برياح واضمحل
وفي الآخرة عذاب شديد فيه إشارة إلى أن كان آخر المذكور في الدنيا
الفناء أوله في الآخرة العذاب ومغفرة عطف على عذاب من
الله ورضوان لما حقر أمر الدنيا غاية التحقير عظم أمر الآخرة بعبارة
وجيزة بليغة وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور كمتاع يدلس به على المشتري
ويغر حتى يشتريه ثم تبين له فساده وليس في يده سوى الندم ولما ذكر
ما يؤول إليه أمر الدنيا بين ما هو ثابت دائم وأمر بالمسارعة إليه لئلا
يفوت فقال سابقوا إلى مغفرة أي سارعوا مسارعة السابقين
في المضمار إلى موجبات مغفرة من ربكم وجنة من سابق إلى المغفرة فقد
سابق إلى الجنة ففيه مبالغة عرضها كعرض السمآء والأرض قد مر في
سورة آل عمران أعدت للذين آمنوا بالله ورسله صفة لجنة دالة

على انها موجودة الان وتكرر ذلك في الكتاب والسنة فهو المذهب
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فلا يجب عليه والله ذو الفضل
العظيم فارتقبوا فضله وان جل ما اصاب من مصيبة ذكر الفعل
وهو جائز التذكير والتأنيث ومن التأنيث ما تسبق من امة اجلها
والمصيبة بحسب العرف للشر في الارض صفة لمصيبة كالقحط ولا في
انفسكم كالامراض الا في كتاب مسطورا فيه حال من قبل ان نبرأها
من قبل ان نخلق المصيبة فالضمير للمصيبة لانها هي المحدث عنها وذكر
الارض والانفس لبيان محلها ان ذلك اي ثبته في كتاب على
الله يسير فانه العالم القادر لكيلا تأسوا اي اعلمكم تثبتها لئلا تحزنوا
على ما فاتكم حزنا يفضي الى الجزع ولا تفرحوا فرحا يلهي عن الشكر ويؤدي
الى البطر والاشر بما اتيكم الله من متاع الدنيا ومن علم ان ما قدر
له لم يكن ليخطئه وما لم يقدر لم يكن ليصيبه ليس من شأنه الفزع والفرح
بل النظر الى تقليبه الله ظهرا لبطن ان رضي فله الرضا وان سخط فله السخط
والله لا يحب كل مختال متكبر فخور على الناس بمتاع الدنيا عن جعفر الصادق
يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده اليك الفوت ومالك
تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت وقوله والله لا يحب دال على
تخصيص الفرح بما خصصنا الذين يبخلون بدل من كل مختال فان الغالب
فيهم البخل او تقديره هم الذين ويأمرون الناس بالبخل قيل كانوا قدوة
في البخل فكانهم يأمرون به ومن يتول يعرض عن الانفاق والطاعة فان
الله هو الغني الحميد فانه غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره كفر ولا
ينفعه شكر ولما رغب عباده الى مسارعة الطاعة وحذرهم عن التكبر
والبخل اعقبه منة على العباد بارسال من علمهم طرق الرشاد فقال
لقد ارسلنا رسلنا بالبينات المعجزات الظاهرات وانزلنا معهم اي
صائرا معهم الكتاب اي جنسه فمعهم حال مقدرة ولا نحتاج الى
القول بان الرسل الملائكة الى الانبياء فانه خلاف قول السلف
والميزان المعروف او العدل قالوا الميزان المعروف نزل على نوح
ليقوم الناس بالقسط علة لانزلنا اي ليتعاملوا بالعدل وانزلنا

الحديد

لا شك ان نزول هذه الثلثة مع آدم
لا تفيد تخلق الحديد يخرج من الاحجار
بالاعمال انت [illegible]

الحديد روى ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس نزلت ثلثة
اشياء مع آدم السندان والكلبتان والمطرقة والمطهران يقال
معناه انشأنا واحدثنا ولما كان محل الحكم السماء فكان كل شيء نزل
منها فيه بأس شديد هو القتال به مع معاند الحق ومنافع للناس
فانه آلة لاكثر الصنايع وليعلم الله علما يترتب عليه الجزاء او علم رؤية
ومشاهدة وقوله فيه بأس حال يتضمن التعليل اي انزلناه للبأس
وللنفع وليعلم فهو عطف على معنى الحال قيل عطف على ليقوم من
ينصره ينصر دينه ورسله باستعمال آلة الحرب مع اعداء الله بالغيب
غائبا عن الله عن ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي في امره
عزيز في ذاته لا يحتاج الى نصرة ناصر فنصر دينه التي امرنا بها لنعلم الناصر
ونعزه ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب
افردهما بالذكر لان الكتب لهما ولم يرسل بعدهما نبي الا من ذريتهما
ونوح هو الاب الثاني وابرهيم جد العرب به فخرهم فمنهم من الذرية
مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن طاعتنا ثم قفينا على آثارهم
آثار نوح وابرهيم وذريتهما برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم آخر رسول
بين نوح ومحمد صلى الله عليه وسلم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب
الذين اتبعوه من النصارى رأفة رقة شديدة ورحمة كانوا متوادين
رحماء ورهبانية عطف على رأفة اي رياضة شاقة وانقطاعا عن
الناس ابتدعوها صفة رهبانية اي من غير ان نامرهم بها ما كتبناها
عليهم ما امرناهم بها الا ابتغاء رضوان الله اي لكنهم ابتدعوها ابتغاء
رضاه فالاستثناء منقطع قال صاحب البحر نصب رهبانية ليس
على شريطة التفسير لان شرطها جواز الرفع بالابتداء ورهبانية
نكرة محضة وهي اعراب الاعتزال فانها من ابتداع الخلق فلا يكون من
مخلوقات الله فلا يعطف على رأفة وقال الظاهر ان يكون الاستثناء
متصلا اي ما قضينا عليهم الرهبانية الا لان يتبعوا رضاه وقد صرح
بذلك مجاهد فما رعوها اي ما جمعهم حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا
منهم اجرهم هم الثابتون على دين عيسى والرهبانية وكثير منهم فاسقون

يعني هم ابتدعوا رهبانية في اول الامر
من غير ان نامرهم بها فلما ابتدعوها
ما امرناهم بها الا لابتغاء
مرضات الله

الذين غيروا والذين ولم يتغيروا ما عهدوا وعن ابن مسعود مرفوعا اهل الكتاب
من ابن اتخذوا الرهبانية ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون
بالمعاصي فقاتل اهل الايمان الجبابرة فهزم المؤمنون ثلث مرات فلم يبق
منهم الا القليل فقالوا ان لو انتفرق في ارض الله الى ان يبعث الله النبي
الذي وعدنا عيسى ويبشرنا به فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا رهبانية فمنهم
من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا صلى الله عليه وسلم هذه الاية وفي رواية
فآتينا الذين امنوا منهم اجرهم هم الذين امنوا بي والفاسقون الذين
كذبوني ولما ذكر انهم صاروا فرقا خاطبهم بقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وامنوا برسوله رسول الله الى الخلق كافة يؤتكم كفلين نصيبين
من رحمته لايمانكم بنبيكم ثم برسول الله وذلك لمن بقي على الدين ولم يغير
ويجعل لكم نورا تمشون به على الصراط الى الجنة ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور
رحيم وكثير من السلف على ان الخطاب في يا ايها الذين امنوا لهذه الامة
المرحومة فالمراد من قوله امنوا برسوله دوموا واثبتوا وسبب نزوله ان
اهل الكتاب ممن آمن بالقران افتخروا بان لهم كفلين من الاجر ففضل
الامة المرحومة عليهم بالنور والمغفرة لئلا يعلم اهل الكتاب اي الذين
لا يؤمنون منهم ان مخففة من المثقلة لا يقدرون على شيء من فضل الله
يعني يعطيكم الله كفلين لان يعلم الكافرون منهم انهم لا يتمكنون من نيل
شيء من فضل الله فلا مزيدة نحو ما منعك ان لا تسجد وفي بعض القراآت
ليعلم وفي بعضها لكن يعلم وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم اما على التفسير الثاني فمعناه اعطيناكم يا ايها الامة المرحومة
كفلين كما اعطينا المؤمنين من اهل الكتاب اجرين ليعلم المؤمنون منهم
ان فضل الله ليس بيد احد فلو اعطيناهم اجرين لايمانين اعطينا الامة
المرحومة كفلين لايمان واحد بفضلنا والحمد لله على كل حال

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي وآيها ثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام ان الله سميع
بصير نزلت في خولة وزوجها اوس بن الصامت ظاهر منها والظهار

كان

كان طلاقا ويوجب فرقة مؤبدة فاستفتت فقال صلى الله عليه وسلم
حرمت عليه فحلفت انه ما ذكر طلاقا فقال حرمت فقالت اشكو الى الله فاقتي
وجعلت تراجع وترفع راسها الى السماء وتشكو الذين يظاهرون منكم
فيه اشارة الى انها من ابتداع الجاهلية من نسائهم ما هن امهاتهم على
الحقيقة وعباراتهم انت كظهر امي قيل خبر الذين مقدر وهو مخطئون وما
هن امهاتهم بيان ودليل للخطأ ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم اي
المظاهرين ليقولون منكرا في الشرع من القول وزورا باطلا محرفا عن الحق
وان الله لعفو غفور يستر عما سلف والذين يظاهرون من نسائهم ثم
يعودون لما قالوا اي يتداركون ما قالوا ومنه المثل عاد غيث على ما
افسد اي تداركه بالاصلاح عن ابن عباس العود الندم قال الفراء عاد
لما قال او فيما قال اي رجع عنه وهو ان يمسكها عقيب الظهار زمانا يمكنه الطلاق
ولم يطلق والمراد العزم على الوطي فتحرير رقبة اي فالواجب اعتاق رقبة
والخلاف في انها يجب ان تكون مؤمنة من قبل ان يتماسا الضمير الى ما
دل عليه الكلام فلا يجوز الوطي قبل الكفارة وعن بعضهم التماس مطلق
الاستمتاع والاكثرون على خلافه ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به كي ترتدعوا
عن الظهار والله بما تعملون خبير فمن لم يجد الرقبة ولا ثمنها فصيام شهرين
متتابعين عليه من قبل ان يتماسا ولا يجوز الجماع في لياليهما فلو جامع ففي
الاستيناف خلاف فمن لم يستطع الصوم المتتابع لمرض او كبر او شبق
فاطعام ستين مسكينا عليه وبيان كمية الاطعام قد مر في سورة المائدة
وعن بعض من يكفر بالاطعام يجوز الوطي قبله لانه غير مقيد بقوله من قبل
ان يتماسا ذلك اشارة الى الرخصة في النقل من التحرير الى الصوم والاطعام
لتؤمنوا بالله ورسوله لتصدقوا بهما في قبول شرايعه وترك بدع الجاهلية
وتلك حدود الله فالتزموها وللكافرين عذاب اليم عن ابن عباس لمن
جحده وكذب به ولما ذكر الموافقين عند حدوده اعقبه المخالفين لها فقال
ان الذين يحادون الله ورسوله يعاندون شرعه كبتوا اخزوا ولعنوا
كما كبت الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية وقد انزلنا ايات بينات
تدل على صدق ما جاء به الرسول وللكافرين الذين يحادونه عذاب مهين

يوم يبعثهم الله ظرف لمهين او للعامل في للكافرين جميعا مجتمعين فينبئهم
بما عملوا من خير وشر تخجيلا وتوبيخا لهم احصيه الله ضبطه الله عليهم ونسوه
لاستحقارهم اياه واعتقادهم ان لا يؤخذ عليهم والله على كل شيء شهيد
فلا يخفى عليه شيء الم تر اي الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
ما يكون كان تامة من نجوى ثلثة ما يقع من تناجي ثلثة من زائدة للعموم ونجوى
فاعل كان الا هو رابعهم بالعلم والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة
ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم اي الذي صير الخمسة ستا وتخصيص العدد
قيل لخصوص الواقعة او لان اهل النجوى قليلون غالبا من اثنين الى ما دون
العشرة فاثر الثلثة ليكون ولا ادنى دالا على الاثنين وهو عدد لا يكون
التناجي باقل منه ولا ادنى من ذلك اثنين ولا اكثر السبعة ولانفي الجنس
الا هو معهم بالعلم وقراءة رفع اكثر للعطف على محل نجوى اي ما يكون ادنى
ولا اكثر اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ظرف ينبئهم ان الله بكل شيء
عليم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون
بالاثم والعدوان بما هو اثم لهم وعدوان للمؤمنين هم اليهود والمنافقون
يتناجون ويتغامزون باعينهم لاغضاب المؤمنين فنهاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثله ومعصية الرسول واذا جاءوك حيوك
بما لم يحيك به الله يقولون سام عليك والسام بلغتهم الموت ويقولون
في انفسهم فيما بينهم سرا لولا هلا يعذبنا الله بما نقول ان كان نبيا فانا نشتمه
حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها الذين امنوا
اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول لا تكونوا كاليهود
والمنافقين وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن نفعكم ونفع غيركم واتقوا
الله الذي اليه تحشرون انما النجوى اي الذي هو بالاثم فالالف واللام للعهد
من الشيطان هو الامر به ليحزن الذين امنوا ليوهمهم ان عليهم شرا اهم يخبرون
به سرا وليس التناجي او الشيطان بضارهم شيئا من الضرر كانه قال
ليس يضارهم ضررا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه هو
حسبهم وكافيهم ولما نهى المؤمنين عما هو سبب التباغض والتنافر امرهم
بما هو سبب التواد والتقارب فقال يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم

تفسحوا

تفسحوا توسعوا في المجالس فافسحوا في المكان يفسح الله لكم في جميع ما
يبتغي فيه الفسحة من الرزق والصدر والقبر في الصحيحين لا يقيم الرجل الرجل
من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا كانوا يتنافسون مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لا يقيم بعضهم بعضا واذا قيل انشزوا انهضوا
وقوموا فانشزوا فقوموا اي قوموا الا كرامكم او للصلوة او للجهاد فلا تثاقلوا
قيل كانوا في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قيل لهم اخرجوا تلبثوا كل منهم
يتثاقل لمحبته ان يكون اخر الكل خروجا فامروا انهم اذا امروا بالخروج
بان يأتمروا سريعا يرفع الله الذين امنوا منكم بطاعتهم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والذين اوتوا العلم درجات ويرفع الله العلماء منهم خاصة
ونصب درجات بالتمييز قيل نصبها بالمفعول الثاني لان معنى يرفع يعطي
او مصدر اي يرفع رفعات والمعنى لا يظن احدكم انه اذا تفسح او امر بالخروج
فامتثل سريعا يكون نقصا في حقه بل هو رفعة ومرتبة عند الله قيل قوله والذين
اوتوا العلم يشعر بان المراد بانشزوا فقوموا الا كرامكم والله بما تعملون خبير
تهديد لمن لم يمتثل يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين
يدي نجويكم صدقة اي قبيل نجواكم عن ابن عباس كثرت لقوم من المؤمنين
مناجاتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حاجة الا ليظهر منزلتهم
عنده وكان عليه الصلوة والسلام سمحا لا يرد احدا فامر الله بالصدقة
امام المناجاة فانتهوا عن كثرة المناجات عن علي ابن ابي طالب لم يعمل به
احد غيري اردت مناجاته لحاجة ومعي دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيته
عشر مرات اتصدق في كل مرة بدرهم فنسخت فلم يعمل بها غيري ذلك
التصدق خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم هذا رخصة للفقراء
بلا تصدق ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات اي اخفتم
تقديم الصدقة لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر او امره بالبخل وجمع الصدقات
لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم عذركم ورخص
لكم في ترك الصدقة فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة كانه قيل فلما قصرتم
في ذلك فلا تقصروا في هذا واطيعوا الله ورسوله في اوامره ونواهيه
ليكون جابرا له والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا ولما ذكر ساه

المنافقين في نجويهم اعقبه بمرة اخرى لهم فقال الم تر الى الذين تولوا
احبوا هم المنافقون قوما غضب الله عليهم هم اليهود الذين لا نفاق لهم
ينقل المنافقون اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم ولا منهم فانهم مذبذبون
الجملة مستانفة ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ان المحلوف عليه
كذب فيه دليل على ان الكذب يطلق على ما يعلم المخبر عدم مطابقته
وما لا يعلم اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون لاصرارهم
على سوء اعمالهم اتخذوا ايمانهم الكاذبة جنة وقاية لانفسهم فصدوا الناس
عن سبيل الله بالحلف الكاذب يقوون انفسهم ويامنون وفي خلال
امنهم يصدون الخلق عن الدين الحق فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه شيئا من الاغناء ومصدر
او من الله شيئا من عذابه فهو مفعول به اولئك اصحاب النار ملازموها
هم فيها خالدون روى الامام احمد وغيره انه قال صلى الله عليه وسلم
سياتيكم احد ينظر بعيني شيطان فاذا اتاكم لا تكلموه فجاء رجل ازرق
اسمر قصير خفيف اللحية فقال صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت
واصحابك فجاء باصحابه وحلفوا بالله ما سبوه فنزلت يوم يبعثهم
الله جميعا ظرف لن تغني فيحلفون له لله على عدم شركهم في الدنيا كما
يحلفون لكم كذبا في الدنيا انهم منكم ويحسبون انهم على شيء حسبوا ان الايمان
الكاذبة تروج الكذب في الاخرة كما روجت في الدنيا الا انهم هم
الكاذبون استحوذ استولى عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله فلا يصلون
ولا يذكرون الله اولئك حزب جنود الشيطان الا ان حزب الشيطان
هم الخاسرون ليس لراس مالهم الا الخسر بتضييع اعمالهم وعمرهم ان الذين
يحادون الله يعادونه ورسوله اولئك في الاذلين في جملة من هو
اذل خلق الله كتب الله حكم وقرر لاغلبن انا ورسلي ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون الاية ان الله قوي عزيز
غالب غير مغلوب لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله يعني لا يجتمع الايمان ومحبة اعداء الله فهؤلاء الذين
يدعون الايمان مع انهم يوادون اليهود لا ايمان لهم ولو كانوا اي من حاد

الله ورسوله وضمير الجمع باعتبار معنى من اباءهم او ابناءهم او اخوانهم
او عشيرتهم اقاربهم بدأ بالاباء لان الواجب على الاولاد طاعتهم فنهاهم عن
توادهم ثم ثنى بالابناء لانهم اعلق بالقلوب ثم ثالثا بالاخوان لان بهم
التعاضد ثم رابعا بالعشيرة لان بهم التناصر والمقاتلة اولئك الذين
امنوا ولم يوادوهم كتب اثبت الله في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه
من عند الله نور القلب والهدى واللطف ويدخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين حال مقدرة فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه لما سخطوا على
القرائب والعشائر لله عوضهم بالرضا عنهم وارضاهم عنه بما انعم من كرائم
الفضل عليهم اولئك حزب الله انصار دينه كما انهم حزب الشيطان
الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون خير الدارين كما ان حزب
الشيطان هم الخاسرون ولله الحمد والشكر وصلى الله على محمد واله

سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وان
من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهو العزيز الحكيم الغالب
الذي لا يصدر عنه شيء الا وتحته حكم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل
الكتاب يعني بني النضير من ديارهم لما نقضوا العهد احل الله بهم
باسه فاجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم الحصينة الى
اذرعات من اعمال الشام لاول الحشر اللام متعلق باخرج وهي لام
التوقيت اي عند اول الحشر كاقم الصلوة لدلوك الشمس روى ابن جرير
وغيره انه قال صلى الله عليه وسلم لبني النضير هذا اول الحشر وانا على الاثر
والمشهور ان ارض الشام محشر الخلق يجمع الخلق فيها الى ارض محشر القيمة
وقد صرح بذلك ابن عباس وجم غفير من عظماء السلف قيل المراد هم اول
من اجلي من جزيرة العرب فهم اول المحشورين فان الحشر اخراج جمع من
مكان الى مكان ما ظننتم ايها المؤمنون ان يخرجوا لشدتهم وشدة حصونهم
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي زعموا ان حصونهم تمنعهم من باس
الله وفي هذا النظم الذي هو من باب تقديم الخبر على المبتدأ حيث لم يقل
ان حصونهم تمنعهم دلالة على فرط وثوقهم بحصونهم فكانه لا حصن امنع منها

ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم
الى الشام وكانوا من سبط
لم يصبهم جلاء قط منه

وفي تصيير الضمير اسما لان دلالة على اعتقادهم انهم لا يزالون في
عزة بسببها لما فيه من التقوى فاتاهم الله اي عذاب الله من حيث
لم يحتسبوا من حيث لم يخطر ببالهم وقذف القى في قلوبهم الرعب
يخربون بيوتهم بايديهم جملة يخربون حالية وايدي المؤمنين فانهم قلعوا
ما استحسنوه من الابواب وغيرها وحملوه معهم والباقي خرب المؤمنون
واليهود عرض المؤمنين لذلك فكان اليهود هم السبب فصدق انهم
خربوا ديارهم بايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ولا تكونوا
مثلهم ولما كان الرعب الذي القى الله في قلوبهم هو السبب في الجلاء
فالله اخرجهم ولولا ان كتب الله قدر عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا
بانزال بليات اخر ولهم في الاخرة عذاب النار هذا لهم حتم لازم مع الجلاء
ودونه ذلك اي عذاب النار بانهم شاقوا الله عاندوه ورسوله
ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب لمن يشاق ما قطعتم
من لينة اي اي شيء قطعتم فما شرطية منصوبة بقطعتم واللينة نوع من
النخل وجميع الوانها او تركتموها قائمة على اصولها الضمير المؤنث
لمعنى ما وفائدة القيد العلم بان ما قطع من نخلهم مستاصل من اصله
بحيث ما بقي لها ساق فباذن الله بامره ورخصته وهذا جواب
الشرط لما امر صلى الله عليه وسلم حين حاصرهم بقطع نخيلهم ارغاما
لقلوبهم قالوا هو ناه عن الفساد وهو يفسد في الارض فحاك ذلك
في صدور المؤمنين فنزلت وليخزي الفاسقين علة لمحذوف اي واذن
في القطع والابقاء ليخزيهم على فسقهم بمزيد حسرتهم وغيظهم وما افاء الله
على رسوله منهم اي الذي رده الله عليه من تلك اليهود من اموالهم فما
اوجفتم عليه ما اجريتم على تحصيله من خيل ولا ركاب من زائدة في المفعول
لشمول والركاب ما يركب من الابل يعني بل مشيتم على قدمكم لغزوهم ولم
تتعبوا بالسفر والقتال وما اما شرطية او موصولة والفاء بمعنى المضارع
لان فعل الشرط لا يكون ماضيا حقيقيا وكذلك صلة ما الموصولة
اذا كانت الفاء في خبرها والاية ان نزلت قبل فتحهم كانت مخبرة بغيب
وان كانت نزلت بعد حصول الاموال كان ذلك بيانا لما يستقبل

ولكن

ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير فلا تطمعوا ان
يكون مال الفيء كمال الغنيمة اربعة اخماسها لكم بل هو لكم من الغنيمة هو من الفيء
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك ما اعطى الانصار منه الا ثلثة نفر
منهم ما افاء الله الفيء مال اخذ من الكفار بلا قتال ولا ايجاف خيل وركاب
على رسوله من اهل القرى من جميع البلدان بالفتح فلله وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل مختص بهم ليس للجنود فيه نصيب
وهذا بيان للجملة السابقة ولهذا لم يعطف كانه لما قيل ما خول الله رسوله من
اموال بني النضير شيء لم يحصل بالقتال فلا يقسم قسمة الغنائم قيل كيف
يقسم فقال ما افاء الله الاية وعلم من الحديث انه يقسم بخمسة اربعة اخماس
لخاصة النبي والخمس الباقي منقسم على الخمسة فصدق ان المجموع لهؤلاء الخمسة
لا نصيب للغزاة فيه فان مطمح نظرهم ان يكون الفيء كالغنيمة فتكون اربعة
اخماس لهم والخمس لهؤلاء الخمسة واما بيان المصارف فقد مر في سورة
الانفال كيلا يكون الفيء دولة ما يتداول بين الاغنياء منكم فلا يصيب
الفقراء كايام الجاهلية وما اتاكم الرسول ما امر به فخذوه فتمسكوا به وما
نهيكم عنه عن اتيانه فانتهوا عنه او ما اعطاكم من المال فاقبلوا راضين
به وما نهاكم عن اخذه فانتهوا عنه واتقوا الله ان الله شديد العقاب
لمن خالف للفقراء المهاجرين بدل من قوله ولذي القربى وما عطف عليه
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخذوا اموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا جملة حالية وينصرون الله اي دين الله ورسوله
اولئك هم الصادقون في دعوى الايمان والذين معطوف على المهاجرين
تبوؤا الدار والايمان جعلوا الايمان مستقرا لهم كما جعلوا المدينة مستقرا
يعني لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما فهو من الاستعارة وقيل من باب
علفتها تبنا وماء باردا اي تبوؤا الدار واخلصوا الايمان وتعريف
الدار للتنويه كانها الدار التي تستحق ان تسمى دارا من قبلهم من قبل
هجرتهم وهم الانصار يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما اوتوا اي لا يجدون من مال اعطي المهاجرون في انفسهم حقدا
وغرضا فانه قد قسم مال بني النضير بين المهاجرين دون الانصار ويؤثرون

يقدمون المهاجرين على انفسهم فيما عندهم من الاموال ولو كان بهم خصاصة حاجة الى ما عندهم هذا في شان احد من الانصار ضيف من قال صلى الله عليه وسلم فيه رحم الله من ضيفه الليلة في بيته ولم يكن له سوى قوت صبيانه فنومهم واطعم ضيفه قوتهم فبات هو وعياله جايعين وقال صلى الله عليه وسلم ضحك الله من فلان ومن يوق شح نفسه سلم من الحرص الشديد والبخل فاولئك هم المفلحون لانهم تركوا حب الدنيا والذين جاؤا من بعدهم هم التابعون لهم باحسان الى يوم الدين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم اعلم انه قد ثبت بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل الخلفاء الراشدين من بعده انهم يعطون ذوي القربى وان كانوا اغنياء وعن عمر بن الخطاب حين قرأ تلك الاية قال استوعبت هذه المسلمين وليس احد الا له حق فالاستحقاق بسبب القرابة والفقر لا دخل له بل القيد بيان للواقع من حال اكثر المهاجرين قيل ان قوله للفقراء ليس بدلا بل تقديره اعجبوا لهم فان السياق في مدحهم فانه لما امر باتباع الرسول عجب الناس اتباع هؤلاء ويؤيد ذلك قوله الم تر الى الذين نافقوا مصدرا بالم تر وهي للتعجب فان ذكرهم جاء مقابلا لذكر اضدادهم ولا يبعد ان الله سمى جميع المهاجرين والانصار والتابعين فقراء وان كانوا اغنياء ولهذا لم يقل لفقراء المهاجرين بالاضافة الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب هم بنو قريظة والنضير لئن اي والله لئن اخرجتم من المدينة لنخرجن معكم نوافقكم ونرافقكم ولا نطيع فيكم في خلاف ما وعدناكم وفي قتالكم احدا ابدا وان قوتلتم والله لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون في وعدهم والكذب في الوعد ان يكون في قلوبهم حين الوعد عدم الوفاء به لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم فالوعد مجرد ترجية وقد وقع كذلك فان ابن ابي واصحابه عاهدوهم على ذلك ثم اخلفوا ولئن نصروهم على الفرض ليولن الادبار لينهزمون في اثناء المقاتلة ثم لا ينصرون بعد ولا ينفعهم

نفاقهم

نفاقهم قبل نفاذه لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين اياهم لانتم اي والله لانتم اشد رهبة اي مرهوبية مصدر فعل المجهول لانهم مرهوب منهم لا راهبون في صدورهم من الله جعل الصدر مقرا للرهبة ليكون دليلا على تمكنها منهم وهذا امثل رايت يعني وحاصله انهم يظهرون لكم خوف الله مع انه لا يخافونه او انهم يظهرون انهم لا يخافونكم مع انهم يخافونكم ويخافون الله خوفا غير معتد به فان نفاقهم من خوفكم ولو خافوا الله لتركوا النفاق ذلك بانهم قوم لا يفقهون فانه لو كان لهم دراية لعلموا ان الله هو الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اي اليهود جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة او من وراء جدر لا يبرزون الى قتالكم لفرط خشيتهم منكم وان كانوا مجتمعين باسهم شدتهم في الحرب بينهم شديد يعني اذا حارب بعضهم بعضا فشديد باسهم لكن ان قاتلوكم لم يبق لهم تلك الشدة لالقاء الله الرعب في قلوبهم تحسبهم جميعا متفقين وقلوبهم شتى متفرقة واصل الحرب الاتفاق ذلك بانهم قوم لا يعقلون والعقل هو الداعي الى الاتفاق وعن بعض ضمير تحسبهم لليهود والمنافقين كمثل الذين اي مثل بني النضير كمثل الذين من قبلهم قريبا وهم يهود بني قينقاع فقد اجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني النضير بزمان قريب من المدينة فكانوا مثالهم صرح بذلك ابن عباس ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم ذو الم كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود كمثل الشيطان اذ قال للانسان اي لجنسه اكفر فلما كفر قال اني بريء منك تبرا منه في العاقبة كما قال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الا اني اخاف الله رب العالمين وهو في قوله كاذب فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ولما انقضى في هذه السورة احوال اليهود والمنافقين وسيرتهم وعظ المؤمنين فان الموعظة بعد ذكر عيوب الاعداء انفع فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس في قوله نفس تعريض بانهم كلهم غافلون ذاهلون عن ذلك النظر الواجب على الكل او المراد منها العموم كثيرة خير من حاده ما قدمت

لغد ما ادخرتم ليوم القيمة عبر عنه بالغد لانه كائن قريب قيل كان الدنيا
والاخرة نهاران يوم وغد وتنكيره لتعظيمه وابهام امره كانه قال لغد
لا يعرف كنهه لعظمه واتقوا الله تكرار للتاكيد ان الله خبير بما تعملون ولا
تكونوا كالذين نسوا الله اي حق الله فانسيهم الله انفسهم اي حق انفسهم
فلم يفعلوا ما ينفعهم هذا من المجازاة على الذنب عوقبوا على نسيان جهة
الله بان انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسق
لا يستوي اصحاب النار الذين نسوا الله فلم يتقوا واصحاب الجنة الذين
عرفوا حق الله اصحاب الجنة هم الفائزون قالوا لئن فرضنا بعاد قيمة
فمنزلتنا اعظم لو انزلنا هذا القران على جبل خاطبناه بالامر والنهي وفهمناه
الحكم والمثل لرايته خاشعا متصدعا متشققا من خشية الله وتلك
الامثال القرانية نضربها للناس لعلهم يتفكرون والمقصود توبيخ جنس
الانسان على عدم تخشعه وقلة تدبره وعدم الاتعاظ بالقران هو
الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب ما غاب عنا والشهادة ما حضر
هو الرحمن الرحيم قدم معناهما هو الله الذي لا اله الا هو كرره لان
التوحيد هو المقصود الاصلي الملك القدوس الطاهر البليغ في النزاهة
السلام ذو السلامة عن كل نقص المؤمن واهب الامن او المصدق في
الوعد والوعيد المهيمن الرقيب المطلع على السرائر العزيز العظيم الغالب
الجبار الذي جبر خلقه على مراده او جبر حالهم واصلحها المتكبر تكبر عن
كل نقص او المظهر كبرياءه بحق والكل بالنسبة اليه حقير سبحان الله
عما يشركون هو الله الخالق المقدر البارئ الموجد المبرز لما قدر
المصور الموجد لصور المخلوقات له الاسماء الحسنى الصفات العلى
يسبح له ما في السموات والارض بلسان قاله وحاله وهو العزيز الحكيم
صاحب الحكمة والصواب في فعله وقوله في مسند الامام احمد والترمذي
انه قال صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح ثلث مرات اعوذ
بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرا ثلث ايات من اخر
سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى
يمسي ان مات ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين

يمسي كان بتلك المنزلة ولله الحمد على فضله وصلى الله على محمد واله

سورة الممتحنة مدنية آيها ثلث عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اولياء في البخاري كتب حاطب بن ابي بلتعة كتابا الى كفار مكة
يخبرهم ان المؤمنين متوجهون الى غزوهم وارسل بيد امراة فبعث
عليه الصلوة والسلام عليا وعمارا واخذوا منها الكتاب فجي حاطب
حاطب فقال والله اني لمؤمن بالله ورسوله ولكن كنت ملصقا في
قريش عندهم اهلي ومالي ولم يكن من اصحابك احد الا وله بمكة من
يمنع اهله وماله فكتبت اليهم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم صدق
حاطب لا تقولوا له الا خيرا تلقون اليهم اخبار المؤمنين بالمودة
بسببها او تقضون اليهم بالمودة فهو من باب التضمين والباء غير
زائدة والجملة بيان لموالاتهم او استيناف وعلى الوجهين لا موضع
له من الاعراب وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من الفاعل اي لا تتوادوهم
وهذه حالهم يخرجون الرسول واياكم من مكة استيناف او حال من
ضمير كفروا ان تؤمنوا مفعول له اي لكراهة ايمانكم بالله ربكم ان كنتم
خرجتم من الاوطان جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي نصب جهادا
وابتغاء على المصدر في موضع الحال اي جاهدين ومبتغين او على انه
مفعول له وجواب الشرط ما دل عليه قوله لا تتخذوا يعني لا تتولوا اعداي
ان كنتم اوليائي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم منكم بما اخفيتم وما
اعلنتم جملة تسرون استيناف والواو في وانا حالية كانه قيل
لم تتخذ فقيل تسرون اليهم بالمودة وانا مطلع سركم وعلنكم ومطلع
عليه رسولي فلا طائل ومن يفعله الاتخاذ او الاسرار منكم فقد ضل
سواء السبيل طريق الصواب ان يثقفوكم يظفروا بكم ويغلبوكم
يكونوا لكم اعداء فلا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء بمثل القتل والشتم وودوا لو تكفرون تمنوا ارتدادكم
فلو للتمني يعني لو تودوهم فانهم في غاية العداوة معكم وقدر ان لو
بمعنى ان عند بعض النحويين يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا مع

القتل وتمزيق الاعراض ومن الدين ردكم كفارا وهذا اسبق
المضار عندهم لعلمهم ان الدين اعز ولهذا قال وودوا بصيغة الماضي
بعد ذكر المضارع في الشرط وجوابه فقوله وودوا معطوف على جملة
الشرط والجزاء لا على جواب الشرط لان ودادة كفرهم ليست مرتبة
على الظفر بل ودادتهم على كل حال لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم
الكفار يوم القيمة ظرف لينفع يفصل بينكم فيدخل المومن الجنة والكافر
النار وقوله يفصل مستانفة قيل لا ينفعكم الا طاعة الله لا الاقارب
ولا الاولاد فانه يفرق بينكم بان يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه ويوم جاز ان يكون ظرفا ليفصل والله بما تعملون بصير ولما نهى
الله عن موالاة الكافرين ذكر قصة ابرهيم فانه متبع في الامور الا في نوع
موالاته لابيه فقال قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه
الاسوة التاسي والاقتداء اذ قالوا لقومهم الكفار انا برآء منكم ومما
تعبدون من دون الله كفرنا بكم بدينكم ومعبودكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء ابدا البغضاء شدة البغض فعطفها على العداوة
من عطف الخاص على العام ولا يبعد ان يكون بينه وبين بعض عداوة
لا بغضاء وبين بعض اخر بغضاء لشدة كفره حتى تومنوا بالله وحده
فانه حينئذ تنقلب العداوة والبغضاء الى محبة وموالاة الا قول ابرهيم
لابيه لاستغفرن لك تقديره لكم اسوة حسنة في محاورات ابرهيم
لقومه الا قوله لابيه فليس فيه اسوة فالاستثناء متصل فان قوله مندرج
تحت محاوراته ومقالاته وعلى هذا اذ ظرف للمقدر اي مقالاته في هذا
الزمان وما املك لك من الله من شيء من تمام قوله لابيه والمستثنى
المجموع وذلك القول وحده مما لا يوتسى به ربنا عليك توكلنا من
تمام الاسوة الحسنة واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا بان ترسل الينا المصائب فيقولوا لو كان المومنون على الحق
ما اصابهم فيفتتنوا او لا تسلطهم علينا فيفتنونا واغفر لنا ربنا انك
انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم في ابرهيم ومن معه اسوة حسنة لمن
كان بدل البعض من لكم يرجو الله واليوم الاخر يرجو حماية الله وحماية القيمة

ومن سيرة التبرء عن الكفار ليقتدوا به في ذلك منه

من قوله لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا الى آخره وما بعده ... به مجرد قوله لاستغفرن لك منه

ومن يتول

ومن يتول عن الاقتداء ويتولى الكفار فان الله هو الغني الحميد
فلا يضر الله بل يضر نفسه كرر وبالغ في التاسي بالقسم مع الابدال
وقوله ومن يتول وعندي ان ابدال لمن كان من لكم ليس من ابدال
البعض من ضمير المخاطب الذي في جوازه خلاف بل من ابدال الجار والمجرور
من الجار والمجرور نعم لو كان كلام لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة من كان من
من غير حرف الجر لكان فيه الخلاف عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم اي مشركي مكة مودة بان يهديهم فتالف بين قلوبكم وكان
الامر كذلك فان الجميع اسلموا يوم الفتح وصاروا اخوانا والله قدير
على كل شيء والله غفور رحيم لما فرط من موالاتكم قبل ايمانهم وما فرط
عنهم في كفرهم لا ينهيكم الله عن الاحسان الى الكفرة الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم بدل اشتمال من الذين
اي لا ينهيكم الله عن ان تبروهم وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالعدل
ان الله يحب المقسطين نزلت حين جاء ام اسماء بنت ابي بكر بهدايا
فابت اسماء قبولها فانها مشركة طلقها الصديق انما ينهيكم الله
عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا اعانوا
واتفقوا على اخراجكم ان تولوهم بدل من الذين ومن يتولهم فاولئك
هم الظالمون والحاصل ان من يضركم في كفره فلا توالوهم ولما كان
ارجاع احد الى قومه من الموالاة بين امره فقال يا ايها الذين امنوا
اذا جاءكم المومنات اي المظهرات ايمانهن مهاجرات من بين قومهن
اليكم فامتحنوهن في صدقها بالايمان والهجرة وكان عليه الصلوة والسلام
يحلفهن انهن ما خرجن الا لحب الاسلام لا لفرار من ازواجهن ولا لعشق
احد الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مومنات بظهور الامارات
والظن الغالب في اعمال الشرع في حكم العلم وفيه دليل على ان المومن
لا يكذب لانه اكتفى بالايمان وما ذكر الهجرة فلا ترجعوهن الى الكفار
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والمسلمة لا تحل للكافر وفي العبارة
تاكيد ومبالغة لا يخفى ومنه علم انه حصلت الفرقة من غير جواز استيناف
النكاح ومن قوله لا هن حل لهم يستدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع

وآتوهم اي ازواجهن الكفار ما انفقوا عليهن من المهر ولا جناح
عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن والاسلام يبطل الزوجية
وفي ابتداء الاسلام جاز تزوج المشرك مؤمنة وقد نسخ والاكثرون
على انها متى انقضت العدة ولم يسلم الزوج انفسخ نكاحها منه
ويحكم بالانفساخ من حين اسلامها فاذا لم تكن لها العدة بان
لم تكن مدخولة عليها ينفسخ من حين اسلامها وقد علم ان صلح الحديبية
على ان من جاءنا منكم رددناه اليكم فهذه الاية مخصصة والحكم برد
الصداق انما في نساء اهل العهد واما من لا عهد فلا رد وقيد اذا
آتيتموهن ليعلم ان ما اعطى ازواجهن الكفار لا يقوم مقام مهرهن
من المسلمين بل لا بد من اصداق ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة
اي ما اعتصم به من عقد ونسب والكوافر جمع كافرة وهذا تحريم من
الله على المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن ايضا وفي البخاري
لما نزل طلق عمر بن الخطاب امرأتين مشركتين له بمكة واسألوا من
الكفار ما انفقتم من صداق نسائكم اللاحقات بهم وليسألوا
من المؤمنين ما انفقوا من صداق المهاجرات امر المؤمنين
بان يكون العهد منكم كذا ذلكم حكم الله اشارة الى جميع ما ذكر في الاية
يحكم بينكم استيناف والله عليم حكيم وان فاتكم انفلت منكم
شيء احد من ازواجكم اي من كانت الى الكفار فعاقبتم جاءت
نوبتكم من العقبة او اصبتم من الكفار العقبى اي الغنيمة والحديث
يؤيد هذا الذي هو قول اكثر السلف فآتوا الذين ذهبت ازواجهم
الى الكفار مثل ما انفقوا مما في ذمتكم من مهر المهاجرات او من مال
الغنيمة وحاصله ان لم يؤدوا مهر المرتدة المنفلتة منكم فلا تؤدوا
انتم ايضا الى الكفار مهر المهاجرات المنفلتة منهم حين جاءت
نوبتكم بل اعطوا ازواج المرتدة منكم مثل مهرها مما في ذمتكم من
مهر المهاجرات او اعطوا ازواجها مثل مهرها من مال الغنيمة قالوا
هذا حكم الله في تلك النازلة خاصة باجماع الامة قال القشيري
قال قوم هذا الحكم ثابت الى الآن نزلت حين نزلت الاية المتقدمة

وابى

وابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون
فان الايمان بالله يقتضي الاجتناب عن معاصيه يا ايها النبي اذا
جاءك المؤمنات اي بعد ان آمنت يبايعنك على ان لا يشركن
بالله شيئا من مخلوقاته ولا يسرقن ولا يزنين قالت هند حين
المبايعة وقراءته صلى الله عليه وسلم عليها الاية اوتزني الحرة
ولا يقتلن اولادهن فان وأد البنات لرضاء الزوج من شيمتهن
ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن بان تلتقط مولودا
وتقول لزوجها هذا منك والولد اذا وضعته سقط بين يديها
ورجليها فسره الحديث واكثر السلف ولا يعصينك في معروف
هذا يدل على ان عصيان مخلوق ولو فرض انه رسول الله جائز في المعصية
فبايعهن من غير ردهن وهو عامل في اذا جاءك واستغفر لهن الله
ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم
مطلق الكفار قد يئسوا من الآخرة لانكار اكثرهم الحشر كما يئس الكفار
اي احياؤهم من اصحاب القبور من اجتماعهم مع امواتهم او كما يئس
اهل قبورهم من كل خير لانهم عرفوا بعد ما ماتوا شقاوتهم افتتح السورة
واختتم بشيء واحد لكمال الاهتمام به قال بعضهم المراد من قوما غضب
الله اليهود ويأسهم من الآخرة لعلم اكثرهم بضلالهم واذا كان في شأن
اليهود فمعنى كما يئس هو المعنى الثاني او المراد من الكفار المشركون
اي يئس اليهود من الآخرة كما يئس المشركون وعلى هذا اختتام السورة
بخصوصيته عدم موالاتهم لمزيد الاهتمام او للموقع اللهم لا تجعلنا من زمرتهم

سورة الصف مدنية وقيل مكية آيها اربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو
العزيز الحكيم قد مر مرارا يا ايها الذين آمنوا لم حذف الالف مما الاستفهامية
مع حرف الجر اكثري تقولون ما لا تفعلون شامل للوعد وغيره كبر
مقتا اي كبر اشد بغضه منصوب على التمييز عند الله ان تقولوا
فاعل كبر ما لا تفعلون في هذا الاسلوب من المبالغات فانه
اسند الفعل الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على

ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص ولم يقتصر على البعض حتى جعل
أفحش البغض واذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم نزلت في قوم
تمنوا الجهاد فقولوا يوم احد او تمنوا احب الاعمال فحين علموا انه
الجهاد كرهوا او فيمن افتخر بشدة قتالهم مع الكفار وقد كذبوا او في
المنافقين وعدوا النصر المؤمنين ولم يفوا وعلى هذا المراد من الذين
امنوا من آمن بالسنتهم ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
صفا مصطفين كانهم بنيان مرصوص قد رص بعضه ببعض فلا
فرجة فيه حال من ضمير صفا ولما ذكر محبة الله للمقاتلين ذكر ما يدل على
تمردهم عن النصرة والجهاد فقال واذ اي واذكر اذ قال موسى لقومه يا قوم
لم تؤذونني وقد تعلمون القصد بقد تاكيد الفعل وتحقيقه وبلوغه الغاية
في توقعه اني رسول الله اليكم فلما زاغوا انصرفوا عن الحق مع علمهم ازاغ
الله قلوبهم عن الهدى واسكنها الشك والحيرة والله لا يهدي القوم
الفاسقين من سبق في علمه انه فاسق واذ قال عيسى بن مريم يا بني
اسرائيل اني رسول الله اليكم لم يقل يا قوم لانهم لم يعترفوا بانه نبي
الله اليهم اولان ابوي موسى منهم بخلاف عيسى عليهما الصلوة والسلام
مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا كل منهما منصوب بما في الرسول
من معنى الارسال اي أرسلت في حال تصديقي وتبشيري برسول يأتي
من بعدي اي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم اي عيسى بالبينات على
صدق نبوته من مثل احياء الموتى قالوا هذا اشارة الى ما جاء به سحر
مبين قيل الضمير المرفوع في جاء لاحمد وفرغ من كلام عيسى وتطرق
الى الاخبار عن احمد ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب الغرض
انه في غاية الظلم ونهايته وهو يدعى الى الاسلام يعني هو اشد افتراء
على الله حال كونه مدعوا بلسان نبيه الى سعادة الدارين وهي الاسلام
والله لا يهدي القوم الظالمين من هو عند الله ثابت الظلم يريدون
ليطفؤا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو
الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون قد مر تفسيره في سورة براءة ذكر المشركون في الثاني لان

فان قد في المضارع قد يستعمل
في التكثير منه

استيلاء

استيلاء قريب على سائر الاقارب اشد عليهم وهم اكثر حسدا عليه
من غيرهم اما اتمام نوره بابقاء دينه فالمشرك وغيره على السواء
والكافر يطلق على اعم غالبا يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم وكل عذاب الله اليم فينجيهم من جميع العذاب
والسؤال للتقرير وليتوجهوا زيادة التوجه الى ما يخبر عنه تؤمنون بالله
مستانفة مبين للتجارة كانهم قالوا ولنا يا رب ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم الايمان والجهاد خير لكم ان كنتم
تعلمون لستم جاهلين يغفر جواب للامر الوارد بلفظ الخبر وهو تؤمنون
وتجاهدون للمبالغة كانه امر واقع يخبر عنه قيل تقديره ان تؤمنوا
وتجاهدوا يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة في جنات عدن المعدن قد مر ذلك الفوز العظيم
واخرى اي ذلكم نعمة اخرى تحبونها فان امر العاجل محبوب على الفور
صفة لاخرى نصر من الله بدل وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين
عطف جملة على جملة قبلها وقد صرح سيبويه على انه لا يشترط التناسب
في عطف الجمل قيل قد علمت ان تؤمنون وتجاهدون امر بلفظ الخبر
وهذا ليس خاصة للامة بل لمحمد صلى الله عليه وسلم والامة فكانه قال
امنوا وبشرهم انت يا محمد يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله
انصار دينه ورسوله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري
الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله قال الحواريون نحن
انصار الله يعني كونوا انصار الله مثل كون الحواريين انصاره
وقت قول عيسى من انصاري اليه فما مصدرية وهي مع صلتها ظرف
وهذا كقولهم ما رايت رجلا كاليوم اي كرجل رايته اليوم حذف
الموصوف مع صفته واكتفى بالظرف عنهما وهذا من توسعاتهم في
الظرف فليس تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى وقيل تقديره قل
لهم يا محمد كما قال عيسى فامنت طائفة من بني اسرائيل بعيسى
وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم بالغلبة والاستيلاء
فاصبحوا ظاهرين غالبين وذلك ببعثة محمد صلوات الله عليهما وسلامه

كما قال السلف لم يزل دينه طامسا بعد رفع عيسى حتى بعث الله
محمدا صلى الله عليه وسلم فامن المؤمنون بعيسى بمحمد صلى الله عليهما وسلم
فصاروا ظاهرين الى اخر الامر فيقاتل المسيح الدجال والمراد من امنت
طائفة غير الحواريين ولهذا قال من بني اسرائيل والحمد لله رب العالمين

سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك
القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين اكثر العرب لا يكتبون
ولا يقرؤن رسولا منهم يتلو عليهم اياته مع انه امي ويزكيهم يطهرهم
عن الخبائث الظاهرة والباطنة ويعلمهم الكتاب كتاب الله والحكمة
سنته وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان مخففة بدلالة اللام
واخرين منهم عطف على الاميين اي بعث في اخرين من الاميين
لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم فانهم بعدهم في الزمان قبل لم يلحقوا
بهم في الفضل وهم من جاء بعد قرنه من التابعين وتبعهم الى يوم الدين
وكلهم امة واحدة وفي الصحيحين وغيرهما لما نزلت وآخرين منهم قالوا
يا رسول الله من هم فلم يراجعهم حتى سالوا ثلثا ثم وضع يده على
سلمان وقال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء قوله
منهم صفة ومن ليست من التي تستعمل مع افعل لان اول واخر غير
مستعمل بمن بل الجمع من افعل لا يستعمل بمن ذلك اي ما اعطاه
من النبوة العظيمة وما خص به امته فضل الله يؤتيه من يشآء
والله ذو الفضل العظيم ولما وصف الامة المرحومة مقدمهم
وتاليهم ذم اليهود فقال مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا العمل
بها ثم لم يحملوها لم يعملوا ولم ينتفعوا بها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا
كبارا لا يعرف انه كتاب او تراب ويحمل حال والعامل معنى المثل بئس
مثل القوم الذين كذبوا بايات الله المخصوص بالذم محذوف
اي بئس مثل القوم الذين كذبوا هو اي مثل الذين حملوا وقد نص سيبويه
على ان التمييز المفسر للمستكن في نعم وبئس وما اجرى مجريهما غير جائز الحذف
والله لا يهدي القوم الظالمين في علمه قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم

قال الزمخشري تقديره بئس مثلا مثل القوم الذين منه

انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
قد مر في سورة البقرة وجهين في معناه ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
ايديهم بسبب علمهم بذنوبهم والله عليم بالظالمين فيجازيهم قل ان الموت
الذي تفرون منه فانه ملاقيكم لا محالة والفاء لتضمن الذي معنى الشرط
والجملة خبر ان ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة السر والعلانية
فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه ولما ذم اليهود وهم فوتوا شرف
يوم الجمعة واضلوه واختاروا السبت كما في الحديث المعتمد اعقبه نصح
الامة المرحومة فيما نالوا من الشرف فقال يا ايها الذين امنوا اذا
نودي اذن للصلوة من يوم الجمعة من بيان وتفسير لاذا وهذا
حين قعود الخطيب على المنبر فاسعوا الى ذكر الله اهتموا في سيركم
اليها لسماع الخطبة وليس المراد المشي السريع وذروا البيع اتركوا اشغالكم
لادراك الجمعة وتخصيص البيع من بين المحرمات لانه هو الشغل الظاهر
في المدن والظاهر ان حرمة المعاملة من اذان الخطبة الى انقضاء
الصلوة لكن صرح كثير من العلماء ان وقت التحريم من الزوال
ذلكم اي السعي اليه خير لكم ان كنتم تعلمون من اهل العلم فاذا قضيت
الصلوة فرغتم عنها فانتشروا في الارض لقضاء حوائجكم وابتغوا
من فضل الله رزقكم وهذا امر اباحة بعد الحظر وفي البيع والشرى
بعدها بركة عظيمة كما جرب واذكروا الله كثيرا في حال انتشاركم
لعلكم تفلحون واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها نزلت حين
قدمت عير المدينة ايام الغلاء والنبي صلى الله عليه وسلم في خطبته
فلما سمع الناس الطبل لقدوم العير انصرفوا اليها الا اثنى عشر والضمير
الى التجارة لانها المقصودة واللهو لقدوم العير قيل التقدير اليها
واليه فحذف اختصارا للقرينة وتركوك قائما في الخطبة وروى ابو داود
في كتاب المراسيل ان هذا في الابتداء حين كانت صلوة الجمعة قبل
الخطبة مثل العيد قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن
التجارة والله خير الرازقين لمن توكل ولم يترك ذكر الله في وقته والحمد لله حق حمده

كالضحاك والحسن وعطاء منه

سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول
الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون عند
انفسهم وما احسن موقع الجملة المتوسطة بين الشهادتين لئلا يتوهم متوهم
اول الامر ان الله يشهد على ما في قلوبهم وهذا كذب شرعي لا حق به الذم
ولذلك لا ينسب المجتهدون الى الكذب بل ينسبون الى الخطا اولان
الشهادة يفهم منها عرفا المواطاة ولهذا اكده بان واللام قيل التكذيب
راجع الى حلفهم انهم ما قالوا لا تنفقوا على من عند رسول الله كما سنذكره
وقوله اتخذوا ايمانهم جنة مشعر بهذا يعني هم قوم معتادون بالكذب
اتخذوا ايمانهم الكاذبة جنة وقاية لانفسهم فصدوا عن سبيل الله
الصد جاز تعديته هنا ولزومه انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك
الحلف الكاذب والصد بانهم امنوا بالسنتهم ظاهرا ثم كفروا بقلوبهم
سرا فطبع على قلوبهم فاستحكموا في الكفر فهم لا يفقهون صحة الايمان ويحسبون
انهم على الحق ولا يعلمون طبعهم على الكفر واذا رايتهم تعجبك اجسامهم
فانهم اشكال حسنة وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم كانهم خشب
مسندة في الخلو عن الفهم والايمان والخشب ما دام متروكا اسند الى حائط
فلا ينتفع به والجملة التشبيهية حالية اي مشبهين بالخشب المسندة
يحسبون كل صيحة واقعة عليهم لجبنهم فهم اجسام لا قلوب لهم او لاجل
انهم على وجل من نزول عذاب الله وفضائحه فقوله عليهم ثاني مفعولي
حسب هم العدو فاحذرهم لانا منهم ولا تغتر بلين كلامهم واظهار تودّدهم
قاتلهم الله معناه اللعن والطرد انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق
والهدى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله جزم يستغفر
على جواب الامر والفعلان تنازعا في رسول الله واعمل الثاني على المختار
عند البصريين لووا رؤسهم اما لوها اعراضا ورغبة عن استغفاره
ورايتهم يصدون يعرضون وهم مستكبرون الواو للحال سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لا تنس في اول سورة البقرة قوله سواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم يعني استغفارك وعدمه عندهم سواء بان لا يلتفتوا
اليه لانهم هم المنكرون لن يغفر الله لهم لشقاوتهم الازلية ان الله لا يهدي

القوم

القوم الفاسقين اي الفاسقين في علمه هم الذين يقولون للانصار
لا تنفقوا على من عند رسول الله سموه رسول الله لعادة نفاقهم او هذا من
الله عند حكاية كلامهم حتى ينفضوا يتفرقوا من عنده ولله الواو للحال
خزائن السموات والارض فهو الرزاق ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون
لئن رجعنا من غزوة بني المصطلق الى المدينة ليخرجن الاعز منها من المدينة
الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون وقع في
غزوة بني المصطلق جدال بين بعض المهاجرين ورئيس المنافقين فقال لعنه
الله ما قال واراد من الاعز نفسه ومن الاذل رسول الله صلوات الله
وسلامه عليه ووصى الانصار بعدم الانفاق على المهاجرين لينفضوا
فلما وصل كلامه الى السمع الاشرف جاء اليه وحلف بانه كذب فنزل
اذا جاءك المنافقون فقيل للملعون نزل فيك آي شداد فاذهب اليه
لعله يستغفر لك فلوى راسه وقال امرتموني بالايمان فامنت ثم بالزكوة
فاعطيت فما بقي الا ان اسجد له يا ايها الذين امنوا لا تلهكم تشغلكم
اموالكم ولا اولادكم يمكن ان يكون من باب الترقي عن ذكر الله عام
للصلوة والتسبيح والتحميد وغيرها والمراد نهيهم وان كان بحسب الظاهر
متوجها الى الاموال والاولاد عن اللهو بهما كالهي المنافقين عن التدبر
في كلام الله وعواقب انفسهم ومن يفعل ذلك اي التشغل بالدنيا
عن الدين فاولئك الجمع باعتبار معنى من هم الخاسرون لانهم بدلوا
بالجيد الباقي الردي الفاني وانفقوا مما رزقناكم ولا تسمعوا قول المنافقين
من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اي هلا اخرتني امهلتني
الى اجل قريب اخرت موتي الى زمان قريب فاصدق اتصدق
واكون من الصالحين بالتدارك عما فات وكل مفرط يندم لدى
الاحتضار ويسال الامهال واما قراءة واكن فجزمه على توهم الشرط
الدال على التمني كما نقله سيبويه عن الخليل ولا موضع لاصدق لان
الشرط ليس بظاهر والعطف على المحل نحو من يضلل الله فلا هادي له
ويذرهم بالجزم وهو معطوف على محل لا هادي لانه لو وقع هناك فعل
كان مجزوما فالفرق بين العطف على المحل والعطف على التوهم ان العامل

في الاول موجود دون تأثيره وفي التوهم بالعكس كذا نقله صاحب البحر
وقال ما ذكره الزمخشري هو مذهب ابي علي الفارسي ولن يؤخر الله
نفسا اذا جاء اجلها الذي قدره الله والله خبير بما تعملون فالجزاء
مقرر والحمد لله تعالى على اتمامه والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله

سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثماني عشرة قال اكثر السلف مدنية
وقال ابن عباس وجمع مكية الا آيات من آخرها

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك
لا لغيره وله الحمد هو المستحق لا غيره وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم
فمنكم كافر بخالقه ومنكم مؤمن مقدر ايمان بعض وكفر بعض ومشيئة الله
خلق كل دابة من ماء فمنهم الآية والله بما تعملون بصير فيعاملكم بحسب
اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة وصوركم فاحسن صوركم
من بين ما خلق في السموات والارض فيه اشارة الى ان المقصود من
خلقهما الانسان واليه المصير فاحسنوا سرائركم يعلم ما في السموات
والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور
فلا يخفى عليه السماويات والارضيات والنفسيات الم يأتكم ايها
المشركون نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم نوح وفرعون فذاقوا وبال امرهم
ضرر كفرهم من انواع العقوبات التي حلت عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب اليم ذلك العذاب بانه بان الشان كانت تأتيهم رسلهم
بالبينات المعجزات الظاهرات الدالة على صدقهم فقالوا على سبيل
العناد والانكار ابشر يهدوننا البشر يطلق على الجمع ايضا ولذلك قال
يهدون والاحسن ان يكون رفع بشر على شريطة التفسير لان الاستفهام
طالب للفعل فكفروا وتولوا اعرضوا عن آيات الله واستغنى الله عن
اقبالهم استفعل هنا بمعنى مجرد الفعل والله غني عن كل شيء حميد
حمدا ولم يحمد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا بل بعد ما ما تواروا واستراحوا
قل يا محمد بلى تبعثون وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم بمجازاته وذلك
على الله يسير لشمول قدرته فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا
اي القرآن والله بما تعملون خبير فلا يضيع عنده عمل عامل من اعمال

ظاهره

ظاهره وباطنه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او لخبير لما فيه من معنى الوعيد
يعني مع قبحكم يوم يجمعكم ليوم الجمع لاجل ما في يوم جمع الاولين والآخرين
ذلك يوم التغابن غبن جميع الخلائق كما ثبت في الاحاديث ان السعداء
مغبونون على الزيادة ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته
ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز
العظيم نجاته من النار فوز سيما مع الوصول الى الدرجات العلى
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس
المصير النار ما اصاب من مصيبة من مزيدة للاستغراق الا باذن الله
بارادته ومن يؤمن بالله يهد الله جزم يهد على جواب الشرط قلبه
لليقين فيعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه
فهان عليه المصائب وفي الدعاء اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي
ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي فارضني بما قسمته
لي والله بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فلا عليه
فانما على رسولنا البلاغ المبين وبعد ما بلغ فالاسعاد والاشقاء
من الله الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون فان الله الذي
هو الضار النافع مولاهم فيؤمنون بان لا اله الا هو ولما ذكر ان المصائب
بارادته حذر عما يلحق من الاموال والاولاد فقال يا ايها الذين آمنوا
ان من ازواجكم واولادكم اي بعضهم عدوا لكم يشغلكم عما ينفعكم
فاحذروهم ولهذا قيل لا عدو على الرجل من الزوجة والولد اذا كانا
عدوين يذهبان المال والعرض في الدنيا ويورثان المقت والبعد في
الآخرة وان تعفوا عن اساءتهم وتصفحوا وتغفروا باخفاء معايبهم
فان الله غفور رحيم يتفضل عليكم ويغفر لهم ما فرط عنهم روى الترمذي
والطبراني عن ابن عباس نزلت حين اراد من آمن بمكة الهجرة فمنعهم اهلهم
وقالوا صبرنا على اسلامك لكن لا نصبر على فراقك فترك الهجرة فلما رأى
المسلمين عالمين كاملين ندم عن ترك الهجرة وهم عقاب اهله انما اموالكم
واولادكم فتنة يعني بعضهم اعداء لكن الكل اختبار وامتحان يبلوكم الله
كيف تحافظون فيهم على حدود الله والله عنده اجر عظيم لمن صبر فيهم

على حدود الله او المراد ان المال والاولاد بلاء ومصيبة وقوله والله
عنده اجر عظيم تزهيد في الدنيا وترغيب في الاخرة فاغمضوا عن
حبهم واطمعوا فيما عند الله فاتقوا الله ما استطعتم اي جهدكم وطاقتكم
ولا ترغبوا في الدنيا واسمعوا مواعظ الله واطيعوا اوامره وانفقوا
في مصارف الخير ان حصل لكم الدنيا خيرا لانفسكم من ان تدخروا نصب
خيرا بفعل مقدر اي ايتوا خيرا لانفسكم فهو كالتقدلكة للامر المذكور
او على اضمار يكن فيكون جوابا للامر او على انه نعت لمصدر مقدر اي
انفاقا خيرا او على انه حال او مفعول به اي انفقوا لانفسكم خيرا
ومن يوق وقاه الله شح حرص نفسه فاولئك هم المفلحون ان
تقرضوا الله بصرف المال فيما امر قرضا حسنا من مال حلال باخلاص
يضاعفه لكم فيجازه اضعافا كثيرة وسماه قرضا لانه اوجب تفضلا
على نفسه الاقدس اداء عوضه ويغفر لكم والله شكور يعطي الجزيل
بالقليل حليم يقبل القليل ولا يرد كما قيل تحفة النا طور من بستانه وتصفح
ويتجاوز عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم والحمد لله رب العالمين

سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء اردتم تطليقهن
خص بالنداء وعم الخطاب في طلقتم لانه امام امته فنداؤه نداؤهم
فطلقوهن لعدتهن اي وقتها وهو الطهر واللام في الازمان وما يشبهها
للتاقيت كاقم الصلوة لدلوك ومن عد العدة بالحيض فتقدير
عنده لاستقبال عدتهن كخرجت لليلة بقيت من المحرم وعن ابن عباس
وابن عمر وغيرهما انه طهر لم يجامعها فيه فطلاق السنة ان يطلقها
طاهرة من غير جماع في هذا الطهر والبدعي ان يطلقها في الحيض او في
طهر قد جامعها نزلت حين طلق صلى الله عليه وسلم حفصة فامر برجوعها
فانها صوامة قوامة وهي من ازواجك في الجنة وفي صحيح مسلم ان ابن عمر
طلق امراته حائضا فقال صلوات الله وسلامه عليه ليراجعها فاذا
طهرت فليطلق او يمسك وقرا الاية واحصوا العدة اضبطوها
ابتداءها وانتهاءها للعلم ببقاء زمن الرجعة وغير ذلك واتقوا الله

ربكم في ذلك لا تخرجوهن من بيوتهن التي سكن فيها الى انقضاء عدتهن
ولا يخرجن من بيوت كن فيها عند الفراق في مدة العدة الا ان
ياتين بفاحشة مبينة الزنا فانها تخرج لاقامة الحد او الا ان تبذو على
اهل الزوج وآذتهم فان ذلك كالنشوز في اسقاط حقها استثناء
من لا تخرجوهن وتلك الاحكام المذكورة حدود الله ومن يتعد
حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري لعل الله
يحدث بعد ذلك اي الطلاق امرا يعني امرنا بعدم اخراجها مدة
العدة لانه ربما يحدث انقلاب قلبه من الرغبة عنها فيندم عن
طلاقها ولذلك ذهب الامام احمد وكثير من السلف الى ان السكنى
على من كان له عليها رجعة واذا لم يكن فلا نفقة ولا سكنى وفي مسند
احمد والطبراني حديث صريح في ذلك وقوله لا تدري معلقة عن
العمل في جملة الترجي فاذا بلغن اجلهن قاربن انقضاء العدة
فامسكوهن بالرجعة بمعروف من غير ضرار او فارقوهن اتركوهن
لتنقضي عدتهن فتقع المفارقة الكلية بمعروف من غير مقابحة
ومشاتمة وتعطوهن مهورهن بلطف ولين واشهدوا ذوي
عدل منكم من المسلمين او من الاحرار على الرجعة او الفراق وهذا عند
بعض امر ندب نحو اشهدوا اذا تبايعتم واقيموا الشهادة ايها
الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم جميع ما في الاية يوعظ به من
كان مفعول يوعظ يؤمن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له
مخرجا من كل مكروه ويرزقه من حيث لا يحتسب وعن علي بن ابي
طالب وابن عباس وغيرهما من طلق وراجع كما امر الله جعل الله
له من الكرب سيما عند الموت مخرجا ورزقه من حيث لا يرجو والاكثر
من السلف على انها نزلت حين جاء من اسر ابنه فشكى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا والفاقة فقال اتق واصبر واكثر من قول
لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فجاء ابنه الاسير بابل وغنم ومن يتوكل
على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريد من غير عجز
فهو منفذ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا او توقيتا لا يتعداه

ربكم

واللائي يئسن من المحيض لكبر من نسائكم ان ارتبتم ان اشكل عليكم
حكمهن فعدتهن ثلثة اشهر اي فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في ياسها
او ان زوال حيضها من علوق حمل واللائي لم يحضن من الصغر او من
سبب ليس لها حيض البتة كذلك عدتهن ثلثة اشهر واولات
الاحمال مطلقة او متوفى عنها زوجها لحديث الصحيح الصريح اجلهن
منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وعن علي بن ابي طالب وابن عباس ان
عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين عملا بهذه والتي في سورة
البقرة والذين يتوفون منكم الاية ومن يتق الله يجعل الله له من امره يسرا
فانه اليسر في اموره ذلك الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله
في امره يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن اي
المطلقات من حيث سكنتم اي بعض مكان سكنتم من وجدكم وسعكم
وطاقتكم بدل من حيث سكنتم كانه قال اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه
ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتضطروهن الى الخروج
وعن بعض معناه لا تضاروهن بان تطلقوهن فاذا بقي يوم او يومان
تراجعوهن لتضيقوا عليهن امرها وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن
حتى يضعن حملهن عن ابن عباس والاكثرين هذه من البوائن انفق
عليها ان كانت حاملا حتى تضع لان الرجعية تجب نفقتها حاملا او
حائلا وقال آخرون نص على الانفاق على الحامل الرجعية لان السياق
كله في الرجعيات لان الحمل ربما تطول فيتوهم انه تجب النفقة بمقدار مدة
عدة الحائل فان ارضعن لكم وهن طوالق فاتوهن اجورهن على الارضاع
واتمروا بينكم ليامر بعضكم بعضا بمعروف بجميل في الارضاع والاجر
بان يسامح الام ولا يماكس الاب لانهما شريكان في وجوب الاشفاق فان
الولد لهما وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له للاب اخرى اي مرضعة
اخرى سوى امه ولا تكرهوا امه على الارضاع فهو خبر بمعنى الامر اي فلترضع
لينفق ذو سعة من سعته لينفق الموسر والمقدر عليه ما بلغه وسعه على
المطلقات والمرضعات ولا يكلف ما لا يطيقه والمامور بالانفاق
الازواج ومن قدر ضيق عليه رزقه بان يكون معسرا فلينفق مما آتاه الله

على قدر

على قدر ما اعطاه لا يكلف الله نفسا في النفقة الا ما آتاها قدر ما اعطاه
الله النفس من المال سيجعل الله بعد عسر يسرا تطييب لقلب المعسر بالوعد
بيسره ولما شرع الاحكام وبين اخبر عما حل بالامم السالفة بسبب مخالفة
اوامره ونواهيه ليحذر المامورون عن موافقتهم فقال وكاين من قرية
كم من اهل قرية عتت استكبرت وتمردت عن امر ربها ورسله فحاسبناها
حسابا شديدا الحساب وعذبناها عذابا نكرا منكرا فظيعا وهو حسابهم
وعذابهم في الاخرة والتعبير بلفظ الماضي لتحققه كما في كثير من مواضع القرآن
او المعنى حاسبها بعملها في الدنيا واثبتها في صحف الحفظة والعذاب
المنكر ما اصيبوا به من المصائب فذاقت اي القرية وبال امرها
عقوبة معاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيها ولا راس مال
اعد الله لهم عذابا شديدا على التوجيه الثاني لا تكرار لان العذاب
المنكر في الدنيا والعذاب الشديد في الاخرة وعلى التوجيه الاول
تكرير للوعيد ومزيد للتهديد فاتقوا الله في مخالفة امر الله لئلا يصيبكم
مثل ما اصابهم يا اولي الالباب العقول السليمة الذين امنوا صفة
لاولي الالباب او بدل او منادى بحذف يا ايها للقرينة قد انزل
الله اليكم ذكرا القرآن رسولا اي ذكر رسول باقامة المضاف اليه
مقام المضاف والقرآن ذكره لانه هو المبلغ وظهوره منه او الذكر
هو الشرف وفيه مبالغة بجعل الرسول نفس الشرف والمراد من الانزال
الارسال يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج اي انزل ليخرج الله
الذين امنوا وعملوا الصالحات من وضع الظاهر موضع المضمر من
الظلمات الى النور الجهالات الى العلم فان من آمن وتدبر دفع عنه
الجهل بسبب تدبر القرآن فان مجرد الايمان لا يكفي وتفاصيل الدين
مستنبطة من كلام الله ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا افرد الضمير
للفظ من يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين ثم جمع للمعنى من
فيها ابدا قد احسن الله له ثم افرد للفظها رزقا وهو ما اعد في الاخرة
للمؤمنين العاملين الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض اي
وخلق من الارض مثلهن وهذا خبر عن عظيم سلطانه ليكون باعثا على تعظيم

ما شرع يتنزل الامر اي امر الله وحكمه بينهن بين السموات السبع والارضين
السبع والعلم عند الله ان بين كل ارض اي خلق وكيف سماء ها واما ما
نقل عن ابن عباس ان في كل ارض كادم ونوح وكنبينا فهو من رواية
الواقدي الكذاب الواضع للحديث لتعلموا علة الخلق ان الله على
كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما اي احاط علمه بكل
شيء فهو تمييز عن ابن عباس لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم
تكذيبكم بها اللهم علمنا حقايق القرآن والصلوة على محمد واله

سورة التحريم مدنية وآيها اثنتي عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك معنى تحرم
تمنع لا التحريم الشرعي وهذا كما قال الله وحرمنا عليه المراضع اوحرمه
بالحلف كما في النذر والمحرم بها هو الله وهو الذي عين له الكفارة كما
هو مبين في كتب الفقه لكن شانه العظيم وقدر النبيه ان يكون جميع اموره
صلى الله عليه وسلم لوجه الله وباذن من الله وان كان هذا التحريم
والحلف لتطييب خاطر اهله لحسن العشرة الذي هو حسن عند الناس واما
ما احل الله الذي منع عنه نفسه فهو مباشرة مارية او العسل روى كثير
من السلف كابن عباس وعمر بن الخطاب وغيرهما وقال المحدثون
اسناده الى عمر رضه صحيح انه صلى الله عليه وسلم الم بجاريته ام ابراهيم
في بيت حفصة فغارت كغيرة ساير النساء فطيب خاطرها بالامتناع
عنها واستكتمها ذلك فافشت وامر بكفارة اليمين وفي الصحيحين عن
عايشة مكث عند زينب فتواصيت انا وحفصة انا نقول له نجد منك
ريح مغافير وهي كصمغ لها رايحة كريهة وهو صلى الله عليه وسلم
يبغض الروايح الكريهة فدخل على احديهما فقالت له ذلك فقال ما
شربت الا عسلا عند زينب ولن اعود وقالت الاخرى كذلك فقال
حلفت ان لا اعود الى العسل لكن لا تخبري احدا تبتغي بما حرمت على
نفسك مرضاة ازواجك وشانك ان تبتغي في امورك مرضاة الله
جملة مستانفة والله غفور رحيم ونعم ما قيل حسنات الابرار سيئات
المقربين فانظر هل بعد صدر مثل ذلك عن المؤمنين ذنبا قد فرض

شرع الله لكم تحلة ايمانكم تحليلها بالكفارة وتحليلها ما ذكر في سورة المائدة
والله موليكم متولي اموركم وهو العليم الحكيم فلا يامركم الا ما هو صلاحكم
واذ اسر النبي منصوب باذكر وفيه تعظيم نبيه الى بعض ازواجه حفصة
حديثا تحريم مارية او العسل فلما نبأت به عايشة بعدما وصى بكتمانه
واظهره الله عليه اطلع نبيه على انبائها عرف بعضه عرف صلى الله عليه
وسلم حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض ولم يعرفها بعضها على وجه
التكرم وعن الحسن ما استقصى كريم قط وعن سفيان لا زال التغافل
من فعل الكرام والله اعلم ان المعرض عنه اي شيء قيل ان المعرف حديث
العسل والذي اعرض عنه حديث مارية واما ما روي انه اسر اليها الشيئين
تحريم امته وتبشيرها بخلافة ابي بكر وعمر بعده فافشت الشيئين واعرض
عن ذكر الخلافة كراهة الانتشار فقال الشيخ ابن كثير في اسناده نظر
فلما نبأها به رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت حفصة من انباك هذا
اي اني قلت قولك لاحد وافشيت سرك فانها ظنت ان عايشة
فضحتها قال نبأني العليم بالظواهر الخبير بالبواطن ان تتوبا الى الله
خطاب لعايشة وحفصة من الله على سبيل الالتفات ليكون ابلغ
في المعاتبة فقد صغت قلوبكما اي ان تتوبا فقد حق ذلك لكما فانه قد
عدلت عن الحق قلوبكما وصدرت عنكما ما يوجب التوبة فجواب الشرط
على الحقيقة مقدر وفي ذكر الجمع في القلوب مبالغة كان لهما قلوبا تقلبه
وعدل الجمع عن الحق وان تظاهرا عليه تتعاونا بما يسوءه فان الله
هو مولاه متظاهره ومعينه وجبريل راس الكروبيين وصالح المؤمنين
صلحائهم فالمراد من الصالح الجنس وقوله جبريل عطف على محل اسم
ان والملئكة اجمعون بعد ذلك اي بعد انهم مولاه ظهير متظاهرون
فقوله والملائكة مبتدأ وظهير خبره والجملة مستقلة معطوفة على جملة ان الله
والاحسن كما قال صاحب البحران الاحسن ان تكت على هو مولاه وقوله
وجبرئيل مبتدأ وما بعده معطوف عليه والخبر ظهير فالرسول تختص بان
الله هو مولاه والباقي ظهيره عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا
منكن عن عمر انهن اجتمعن في الغيرة عليه صلى الله عليه وسلم فقلت عسى ربه

ان طلقكن ان يبدله خيرا منكن نزلت تخويفا لهن فصل بين عسى وخبرها
بالشرط وخيرا افعل التفضيل ولذلك استعملت بمن مسلمات صفة بعد
صفة لازواجا مومنات منقادات قانتات مواظبات على الطاعة
تائبات فان التوبة في كل ساعة وظيفة من نور صدره عابدات
قيل متذللات لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم سايحات صائمات
في الحديث سياحة هذه الامة الصوم او مهاجرات ثيبات وابكارا
الواو عطف على ثيبات ولولاها لاوهم ان الكل ثيبات والكل ابكار
بحسب التركيب كما في مسلمات مومنات والجمع بينهما محال ولما وعظ
اهل البيت موعظة خاصة اتبع ذلك بموعظة عامة فقال يا ايها
الذين امنوا قوا انفسكم بطاعة الله واهليكم بامرهم ونهيهم ودخل
الاولاد في الاهل نارا وقودها ما يوقد به الناس والحجارة قد ذكر معناه
في اول سورة البقرة عليها ملئكة هي خزنة النار غلاظ شداد ليس في
قلوبهم رحمة ومنظرهم فزيع لا يعصون الله ما امرهم ما امرهم بدل او
التقدير فيما امرهم ويفعلون ما يؤمرون اي لا يمتنعون ويفعلون وعدم
الامتناع لا يدل على الفعل فربما لا يقدر او معناه ما امرهم فيما مضى
وما يؤمرون فيما يستقبل وقيل كرر توكيدا ولما وعظ المومنين بوقاية
انفسهم واهليهم عن النار ذكر ما يقال لاصحاب النار عند دخولها فقال
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون في
الدنيا وفي هذا وعد للمومنين وتحذير عن التسويف يا ايها الذين امنوا
توبوا الى الله ان صدر عنكم تسويف في وقاية انفسكم واهليكم توبة
نصوحا النصح مجاز وهو في الحقيقة صفة التائب فانه ينصح نفسه
بالتوبة او توبة خالصة كما يقال عسل ناصح خالص من الشمع
او النصاحة الخياطة اي توبة تخيط ما خرقه الذنب وعن بعض المحققين
ان عدم المواخذة بالذنب الذي تاب منه اذا لم يعد اليه فان عاد فقد
يواخذ به ففي الحديث الصحيح من احسن في الاسلام لم يواخذ بما في الجاهلية
ومن اساء فيه اخذ بالاول والاخر والتاويل بان المراد بالاساءة النفاق
بعيد جدا وعن علي بن ابي طالب والحسن ان التوبة يجمعها ستة اشياء

على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم
وان تعزم على عدم العود وان تذيب نفسك في الطاعة كما ربيتها
بالمعصية وان تذيقها مرارة العمل كلما تذكره كما اذقتها حلاوة المعاصي
عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
فيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان يكون في رغبة ورهبة وعلى ان الكفارة ودخول
الجنة تفضل يوم لا يخزي الله نصب بيكفر ويدخل النبي والذين امنوا
معه بالموافقة في الحديث انه صلى الله عليه وسلم تضرع في امر امته
فاوحى الله اليه ان شئت جعلت حسابهم اليك فقال يا رب انت
ارحم بهم فقال الله اذن لا اخزيك فيهم واما قوله ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته فالمراد دخول الخلود لا دخول التطهير نورهم يسعى بين
ايديهم وبايمانهم قد مر في سورة الحديد وقوله والذين عطف على النبي
او مبتدأ ونورهم خبره يقولون حين يرون ان نور المنافقين قد انطفى
ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم ومأويهم مأوى الفريقين جهنم
وبئس المصير جهنم لما قال يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه كان فيه
تعريض بغيرهم فصرح انهم اهل الخزي كما قال من تدخل النار فقد اخزيته
ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط في انه لا ينفعهم
لحمة نسب الكفر قاطع العلائق بين المومن والكافر وان كان المومن
في اقصى درجات القرب كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
فخانتاهما باظهار اباءهما مع زوجيهما مع اسرار الكفر لا بالزنا فانه ما بغت
امراة نبي قط لانه يصل عاره الى الزوج صرح بذلك السلف فلم يغنيا
اي النبيان عنهما من الله شيئا من الاغناء وقيل لهما في القيمة ادخلا
النار مع الداخلين مع سائر الكافرين وضرب الله مثلا للذين امنوا
امراة فرعون في ان وصلة الكافر اي كافر كان واي وصلة كانت لا
تضر مع الايمان اذ قالت بدل من امراة فرعون بدل اشتمال رب
ابن لي عندك بيتا في الجنة قدمت الظرف اي عندك ثم بينت مكان
القرب وهذا كما قيل الجار ثم الدار ونجني من فرعون من نفسه وعمله اي كفره

او ايذائها ونجني من القوم الظالمين فقد نقل انه لما تبين لفرعون اسلامها
شد يديها ورجليها وعذبها بانواع من العذاب فدعت بقولها رب
نجني فابصرت بيتها في الجنة فضحكت فقال الا تعجبون من جنونها فقبض
روحها ومريم ابنة عمران عطف على امراة فرعون فان معاصريها كفار
متمردون التي احصنت فرجها اي فرج قميصها لم يعلق بثوبها ريبة
فهذا من باب الكناية كقولهم هو نقي الجيب طاهر الذيل يعني هي طاهرة
وفروج القميص اربعة الكمان والاعلى والاسفل والمراد من الفرج المتبادر
وفي المثل من احصنت فرجها فارجها فنفخنا فيه من روحنا بواسطة جبريل
وقد مر في سورة الانبياء وصدقت بكلمات ربها بما اوحى الله الى انبيائه
وكتبه جنس الكتب وكانت من القانتين من عداد المواظبين على
الطاعة والتذكير للتغليب وفيه اشارة الى ان طاعتها لم تقصر عن طاعة
الكاملين من الرجال قيل من للابتداء فانها ولدت من اعقاب هرون

سورة الملك مكية وآيها ثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تعظم الذي بيده الملك المتصرف
في جميع الامور وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحيوة الاية
يستدل من قال ان الموت صفة وجودية مضادة لصفة اخرى
وجودية سيما وقد قدم الموت وصرح صاحب الفرائد ان عدمية الموت
كانت منسوبة الى القدرية ثم شاعت وعندهم ان خلق بمعنى قدر
وهذا اقرب من تفسيرهم باوجد الحيوة وازاله وعلى اي حال تقديم
الموت لان منه ظهور ما يختبر وهو الداعي الى حسن العمل ليبلوكم ايكم
احسن عملا ليعاملكم معاملة من يختبر ايكم اخلص العمل واصوبه وايكم احسن
جملة في موضع ثاني مفعولي البلوى لتضمين معنى العلم وهو العزيز الغفور
الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض ونصبه
على انه وصف لسبع وصفت بالمصدر للمبالغة وكانه لم يذكر العرش
والكرسي لانهما ليسا من جنس السموات وظهورهما خلاف ما عند اهل
الهيئة ما ترى في خلق الرحمن جاز ان يكون الخلق بمعنى المخلوق من تفاوت
الظاهر العموم من الافلاك وغيرها والكل جار على الاتقان والحكمة

هذا هو الاولى من قول من فسر خلق الرحمن
بخلق سبع سموات وفسر الفطور
بالشق والخلل بالسموات ولو كان
في السماء شق وخلل هل يرى
من الارض منه

مستانفة

مستانفة فارجع البصر الى مخلوقاته هل ترى من فطور من خلل في اتقانه
وفيه معنى التسبيب يعني نظرت اليه مرة فانظر اليه نظرة اخرى متاملا
والجملة الاستفهامية في موضع نصب بفعل معلق محذوف تقديره
فانظر هل ترى او في فارجع البصر لتضمين معنى فانظر ببصرك ثم ارجع البصر
كرتين هذه تثنية يراد بها التكرار كانه قال كرة بعد كرة كلبيك
وسعديك وفعل هذا المفعول المطلق اذا كان مضافا واجب الحذف
ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة ما يهوى فلا يرى في
خلق الله خللا وهو حسير كليل لكثرة المراجعة وطول التردد ولقد
زينا السماء الدنيا بمصابيح اي بنجوم مضيئة كالمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين الذين يسترقون السمع والنجوم فارقيها لا تنفصل
والشهاب كقبس ينفصل من المصابيح يرجم بها وبهذا صرح علي بن
ابي طالب وابن عباس وغيرهما وفيه دليل على ان النجوم في نفس السماء
الدنيا ليمكن انفصال شيء عنها وليست الشهب ما قاله الفلاسفة وهذا
ممكن اذا اعتقدت صدق قول الله كل في فلك يسبحون اي كسباحة
الحيوان في الماء واعتدنا لهم للشياطين عذاب السعير وللذين كفروا
بربهم عذاب جهنم وبئس المصير جهنم اذا القوا طرحوا فيها سمعوا لها
لجهنم والظاهر ان المراد لاهل جهنم لقوله لهم فيها زفير وشهيق شهيقا
هو اخر نهيق الحمار اقبح الاصوات وهي تفور تغلي تكاد تميز من الغيظ
تتقطع وتنفصل بعضها من بعض لشدة اضطرابها يقال في من تريد وصفه
بافراط الغضب يتميز من الغيظ هل تستبعد من قدرة الله ان يجعل للنار
غيظا فان استبعدت فاجعل ذلك تمثيلا لشدة اشتعالها بهم او
المراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة من الكفار سالهم خزنتها
سؤال توبيخ الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله
من شيء اي كذبنا وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال راسا ان انتم
الا في ضلال كبير من تتمة كلام الكفرة على ان المعنى قالت الافواج قد جاء
الى كل فوج رسول فكذبناهم وقلنا ما انتم الا في ضلال عظيم او المراد ما انتم
وامثالكم الا في ضلال فهو على التغليب وقالوا لو كنا نسمع كلام المنذر او نعقل

وابن الحاجب في ترك ذكر الاضافة
يكتفي بالمثال منه

الدلائل ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفع
فسحقا لاصحاب السعير اي فبعدا لهم مصدر وجب حذف فعله اي
سحقهم والفعل الثلاثي منه قد جاء في اللغة فلا وجه لقول من قال القياس
اسحاقا وعلى هذا ظاهر الاية ان جميع عاشوا في بعثة الاسلام بحيث
ما لم يطرق سمعهم كلام نبي وما تفوهوا قط على تكذيب نبي فهم غير داخل
في كلما القي فان اثبتوا ما يقتضيه العقل من وجود صانع عالم قادر
يندرجوا في لو كنا نعقل فلا بعد ان يعفو الله عنهم عفوا فانه هو المتبادر
من تلك الاية مع الايات الاخر وبعض الاحاديث يؤيد ذلك
ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي غائبين عن محضر الخلق او غائبين
عن الله او عذاب ربهم غائبا عنهم لهم مغفرة واجر كبير واسروا قولكم
او اجهروا به انه عليم بذات الصدور يستوي عنده السر والعلن لانه
عليم بالضمائر قبل التكلم فكيف بما تكلم الا يعلم قول السر والجهر والضمائر
من خلق الاشياء فمن فاعل وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر
وما بطن او الا يعلم الله مخلوقه وكل شي خلقه فمن مفعول هو الذي جعل
لكم الارض ذلولا لينة للسير والحرث والانبات فامشوا في مناكبها
جوانبها وجبالها قيل هذا مثل لكمال التذليل فان مناكب الجمال تنبو ان
يطاها الراكب فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم
يبق شي منها الا وقد تذلل وكلوا من رزقه من الحبوب والثمار ومعناه
فسروا حيث شئتم واطلبوا من نعم الله بالتجارة وغيرها واليه
النشور المرجع فيسالكم عن شكر نعمه ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم
الارض يغيبكم فيها كما فعل بقارون بدل الاشتمال من من والباء
للتعدية فان خسف لازم فاذا هي تمور تضطرب يعني انه سبحانه يحرك
الارض حتى يلقيهم الى اسفل والارض تعلو عليهم ام امنتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا ريحا ذات حجارة كما فعل باهل لوط فستعلمون
عند معاينة العذاب كيف نذير انذاري ولا ينفعكم العلم ولقد كذب
الذين من قبلهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بالعذاب اولم يروا الى الطير
فوقهم صافات باسطات اجنحتهن فوقهم ظرف لصافات او حال وصافات

على الاول حال من الفاعل وعلى الثاني حال من المفعول

حال

حال من ضمير الجمع الذي في متعلق فوقهم الراجع الى الطير ويقبضن اجنحتهن
بعد البسط وقتا بعد وقت عدل الى الفعل ليعلم ان القبض طارئ غير اصيل
ما يمسكهن عن السقوط من الجو الا الرحمن برحمته انه بكل شي بصير فمن اراد
ان يحفظه يحفظه ام من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن
ان الكافرون الا في غرور من الشيطان ام من هذا الذي يرزقكم ان
امسك الله رزقه ام متصلة معادلة للقرائن التي قبلها كانه قال ءامنتم
من عذاب الله او لم تعلموا ان الحافظ هو الله ام لكم جند من دونه
ينصركم ان اراد بكم مثل خسف وارسال حاصب ام لكم رازق يرزقكم
ان امسك الله رزقه عنكم واتيانه بطريق الاستفهام لانهم اعتقدوا
انهم محفوظون من النوائب مرزوقون ببركة الهتهم فكانهم الجند الناصر
والرازق فبال عن تعيينهم واتيان اسم الاشارة للتحقير وهو خبر من والذي
مع صلته صفة هذا وينصركم صفة جند بل لجوا في عتو تمادوا في عناد ونفور
وتباعد عن الحق افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى ام من يمشي سويا قائما
على صراط مستقيم الكفار يمشون في القيامة على وجوههم الى النار والمؤمنون
على ارجلهم بطريق الاستقامة الى الجنة وقد صح انه قيل يا رسول الله كيف
يحشر الناس على وجوههم قال الذي امشاهم على ارجلهم قادر ان يمشيهم
على وجوههم ومكبا حال من اكب غير متعد وكب متعد فهمزة اكب للصيرورة
اي صار ذا كب وسطح وكب الكب نحو قشع الله السحاب فاقشع اي
صار ذا قشع وفطرته فافطر وبشرته فابشر وهو نادر غريب وهذا من
باب العقل اجلى ام النقل قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة قليلا ما تشكرون اي تشكرون شكرا قليلا لهذه النعم
فقليلا صفة المصدر محذوف وما زائدة والجملة مستانفة او حال
قل هو الذي ذراكم بثكم ونشركم في الارض واليه تحشرون للجزاء ويقولون
متى هذا الوعد اي الحشر استفهام سخرية ان كنتم ايها النبي والمؤمنون
صادقين قل يا محمد انما العلم علم وقته عند الله لا يعلمه الا هو وانما انا
نذير منذر مبين ولا يجب ان يكون المنذر عالما بوقت البلاء فلما راوه
اي الوعد الذي بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة نصبها على الحال فان المراد

من الرؤية رؤية البصر فلا يطلب الا مفعولا واحدا يعني لما قامت القيمة
وراوا انها قد قربت سيئت قبحت وجوه الذين كفروا بان علتها
الكابة والسواد وقيل لهم تقريعا هذا الذي كنتم به تدعون تطلبون وتستعجلون
من الدعاء قيل من الدعوى اي تدعون عدمه وكذبه قل يا محمد ارايتم اخبروني
ان اهلكني الله ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتاخير اجلنا او بالنصر
عليكم فمن يجير الكافرين من عذاب اليم واقع بهم لا محالة متنا او بقينا
بسبب كفرهم وهذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون وكانوا
يدعون على المؤمنين بالهلاك قل هو الرحمن فهو يرحمنا امنا به وعليه
توكلنا فنرجو منه ان يرحمنا فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم
فيه وعد ووعيد ولما ذكر العذاب وهو مطلق ذكر العذاب الخاص
وهو فقد ما به حيوة الانفس فقال قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا مصدر
وصف به يعني غائرا في قعر الارض فمن ياتيكم بماء معين ظاهر على وجه
الارض روى اهل السنن الاربعة وقال الترمذي حديث حسن ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال في القران سورة ثلثون اية شفعت لصاحبها
حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك وروى الطبراني انه قال صلى
الله عليه وسلم لوددت ان سورة تبارك في قلب كل انسان من امتي
والحمد لله الذي هدانا لهذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه

سورة ن مكية آيها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم ن روى الطبراني حديثا مرفوعا ان المراد منه
الحوت الذي هو حامل الارضين وهو المروي عن ابن عباس وغيره
او المراد الدواة وقد نقل ابن عساكر فيه حديثا مرفوعا او لوح من نور
ونقل ابن جرير فيه حديثا مرسلا وعلى الوجوه قسم نحو ق وص والقلم
اي الذي كتب به اللوح المحفوظ او جنس القلم نحو الذي علم بالقلم فانه اخ
اللسان ومطية الفطنة ونعمة عظيمة وما يسطرون اي ما يسطر الملائكة
من اعمال العباد او المراد ما يسطر كل كاتب قيل ضمير الجمع لله اقلام اسنده
الى الالة وجعلها بمنزلة اولي العلم ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب
القسم يعني ما انت بمجنون متلبسا بنعمته التي لا تزال لديه نحو ابغض

زيدا وهو كريم فنعمة ربه عليه لم تزل ولا تزال فهو حال عن المستكن في الخبر قيل
قسم اعترض بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التوكيد والمبالغة في انتفاء
الوصف الذميم وان لك لاجرا غير ممنون مقطوع على اعباء النبوة
وانك لعلى خلق عظيم قيل لعلي بن ابي طالب صف لي خلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صفوا لي نعيم الدنيا فقالوا لا نقدر فقال
لا تقدرون مع انه تعالى قال قل متاع الدنيا قليل وقال في خلقه عظيم
فانتم لا تقدرون عد القليل فكيف اقدر عد العظيم وقيل لعائشة صف
لنا خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت خلقه القران فستبصر يا محمد
ويبصرون اي من رموك بالجنون بايكم المفتون اي الجنون مصدر
على وزن مفعول كالمعقول والمجلود ويكون من باب التعليق لان معنى العلم فيه
قيل الباء بمعنى في اي في اي الفريقين يوجد من يستحق اسم المجنون
تعريض بمن رماه بانه مجنون وقيل ايكم مبتدأ زيدت عليه الباء كما في
بحسبك زيد قيل المفتون الشيطان والجنون منه ان ربك هو
اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين واسم المجنون حقيق على
الضال لا على المهتدي فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون
نهي عن طواعيتهم في شيء لما قالوا سامحنا سنة في تعظيم آلهتنا ثم
نطيعك اي تلاينهم فيلاينونك والفاء للتسبيب اي فهم يدهنون حينئذ
او للعطف اي ودوا ادهانك فمداهنتهم ولو هنا بمعنى ان ولا تطع
كل حلاف كثير الحلف مهين حقير القلب والراي هماز مغتاب عياب
مشاء بنميم نقال للحكاية للسعاية والافساد مناع للخير يمنع نفسه
او الناس عن الخير معتد متجاوز الحد في المعاصي اثيم كثير الاثم عتل
غليظ جاف في مسند الامام احمد انه قال صلى الله عليه وسلم هو الشديد
الخلق الصحيح الجسم الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم
للناس رحيب الجوف بعد ذلك بعد ما عد من النقائص زنيم
دعي منسوب الى قوم ليس منهم قيل هو وليد بن المغيرة وكان ولد زنا
وعن ابن عباس لسنا نعرف الموصوف حتى نزل زنيم فعرفناه بزنمته
اي الذي في عنقه كزنمة الغنمة والظاهر ان هذه الاوصاف التي هي

مذكورة كلها بصيغة المبالغة ليست لمعين الا ترى الى قوله كل حلاف
وقوله انا بلوناهم نعم ربما ينطبق على معين واعلم ان اللفظ الثقيل
كعتل وخرطوم في الذم من الفصاحة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى
عليه اياتنا قال اساطير الاولين يعني كذب اياتنا وسماها اساطير
الاولين لان كان ذا مال وبنين يعني جعل مجازاة نعمنا الكفر باياتنا
فهو متعلق بما يدل عليه قال اساطير الاولين لا بالملفوظ لان ما بعد
الشرط لا يعمل فيما قبله قيل معناه لا تطع كل حلاف كذا المال والبنين
مع تلك المعائب سنسمه على الخرطوم سنجعل على انفه علامة كسمة
الحيوانات وقد وقعت يوم بدر والخرطوم لا يكاد يستعمل الا في
انف مثل خنزير او فيل ففيه اهانة واستخفاف قيل المراد ظهور امره
وتشهيره انا بلوناهم اي اهل مكة بالقحط والجوع كما بلونا اخبرنا الكاف
في موضع نصب وما مصدرية اصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم
كان لرجل في اليمن بستان يتصدق منه على الفقراء فلما مات قال
ابناؤه كان والدنا احمق اذ كان يصرف منه كثيرا على الفقراء اذ اقسموا
يعني حلفوا البصر منها ليقطعن ثمرها مصبحين داخلين في الصبح
بظلمة قبل علم الفقراء بالجذاذ ولا يستثنون لا يقولون ان شاء الله
قيل معناه لا يستثنون حصة الفقراء مثل ما استثنى ابوهم في بستانهم فلم يقبلوا
حين قالوا انصرف ثمارها الا نصيب الفقراء فطاف عليها على الجنة
طائف بلاء طائف من ربك قالوا نزلت نار فاحرقتها وهم
نائمون في بيوتهم قبل الصبح فاصبحت الجنة كالصريم كالليل المظلم
فتنادوا نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين في الصباح ان اغدوا
بان اقبلوا غدوة على حرثكم قال صاحب البحر الذي في حفظي ان غدا
متعد بعلى لا بالى فلا نحتاج الى ان نقول فيه تضمين معنى الاقبال ان كنتم
صارمين الصرم يستعمل في قطع الثمار والحرث في الزرع فيمكن ان
يكون تحت اشجارهم زرع او سموا اشجارهم زرعا فانطلقوا الى بساتينهم
وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين
ان مفسرة والنهي ظاهره عن دخول المسكين وحقيقته نهي لهم عن تمكينه

منه

منه وغدوا على حرد على جد واجتهاد او على منع المساكين والحرد
في اللغة القصد والمنع والغضب قيل الحرد اسم لبستانهم قادرين
عند انفسهم على مرادهم فلما راوها الجنة مسودة قالوا انا لضالون
طريق جنتنا ليست هذه بجنتنا بل نحن محرومون يعني لما تاملوا وعلموا
ان ما راوها بستانهم رجعوا عما ظنوا وقالوا بل نحن حرمنا نفعها
قال اوسطهم اعقلهم وخيرهم الم اقل لكم لولا تسبحون هلا تسبحون
الله وتشكرونه وهذا دال على ان اوسطهم كان يعظهم قالوا سبحان
ربنا انا كنا ظالمين سبحوا معترفين بذنوبهم لكن لا ينفع فيما مضى
فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا ويتلاومون
حال قالوا يا ويلنا تعالى فهذا اوانك انا كنا طاغين متجاوزين الحد
عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون راجون الخير
عن ابن مسعود بلغني انهم تابوا واخلصوا فابدلهم بها جنة يسمونها
الحيوان وعنبه يحمل البغل منها عنقودا كذلك الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم العذاب اي هكذا عذاب من بدل نعمة الله
كفرا وكفرانا ولعذاب الاخرة اكبر منه واشق لو كانوا يعلمون لاحترزوا
من موجب العذاب او لو كانوا من اهل العلم لعلموا ان عذاب الاخرة
اكبر قيل تشبيه بلاء قريش ببلاء اصحاب الجنة ان قريشا لما خرجوا
الى بدر كانوا على قتل الكل وبعده على تعظيم آلهتهم وشرب الخمر
فقلب الله عليهم بالقتل والاسر وعلم ما بقي منهم التوبة ان للمتقين
عن الكفر عند ربهم جنات النعيم لا يشوبها كدر كجنان الدنيا فعنده حال
من جنات او ظرف لمتعلق للمتقين افنجعل المسلمين كالمجرمين قالوا
ان صح البعث لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا لم يزيدوا علينا
فانكر الله زعمهم وابطله ثم قال لهم على طريق الالتفات ما لكم كيف تحكمون
اي شيء لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج تحكمون من رايكم وعقلكم ام
لكم كتاب من الله فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون اي تقراون في هذا
الذي هو من الله ان لكم في هذا الكتاب ما تتخيرونه من تغيير وتبديل
وزيادة ونقصان او معناه هل لكم كتاب سماوي تقرؤون فيه ان لكم ما تختارون

ثابت لكم في هذا الكتاب فاخترتم عبادة الاوثان الاستفهام
الاول للتوقيف على خطاء ما قالوا والتوبيخ والثاني للتعجيب والثالث
للانكار وام جاز ان يكون منفصلة اي بل الكم كتاب وبل للانتقال
لا لابطال ما قبله والهمزة للانكار ولما اسم ان وما موصولة ولكم خبرها
وقوله ان لكم من باب التعليق لتضمنه معنى العلم واصله ان لكم بفتح الهمزة
فلما جاءت اللام كسرت نحو علمت ان في الدار لزيدا ام لكم ايمان علينا
عهود موكده بالايمان بالغة متناهية في التوكيد الى يوم القيمة
متعلق ببالغة ان لكم لما تحكمون جواب القسم فان حاصله ام اقسمنا
لكم سلهم ايهم بذلك اي الحكم زعيم قائم بدعويه وتصحيحه علق سلهم لمجئ ايهم
بذلك زعيم في موضع نصب ام لهم شركاء في هذا الدعوى من اصنام
او بشر فليأتوا بشركائهم اي لا احد يقول بقولهم كما انه لا كتاب لهم
ولا عهد من الله ولا زعيم بذلك ان كانوا صادقين في دعويهم يعني
هذا دعوى مهمل لا يشاركهم احد او معناه ام لهم الهة غير الله يصحح ويثبت
لهم دعويهم فليأتوا بهم حتى يثبت يوم يكشف عن ساق متعلق باذكر
في الصحيحين انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم يكشف ربنا عن ساقه
فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة وروى ابو يعلى وابن جرير انه صلى الله عليه
وسلم قال يوم يكشف عن ساق عن نور عظيم يخرون له سجدا قال
المفسرون المراد يوم يشتد الامر وكشف الساق مثل في ذلك
مجاز مشهور في لسان العرب واصله تشمير المخدرات عن سوقهن للهرب
ويدعون الى السجود اي الكافرون والمنافقون واما المؤمنون
فيسجدون بلا دعاء فلا يستطيعون السجود لانه صار ظهرهم طبقا
بلا مفاصل خاشعة ابصارهم لا يرفعونها لدهشتهم فخاشعة حال
ترهقهم تلحقهم ذلة مستانفة وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا
وهم سالمون اصحاء قادرون على السجود فلا يسجدون فذرني ومن
يكذب بهذا الحديث خل بيني وبينه فاني ساجازيه لا تشغل قلبك
بهم فيه وعيد شديد لمن يكذب بما جاء من عند الله سنستدرجهم
سنقربهم من العذاب درجة درجة من حيث لا يعلمون انه استدراج

كمن

كمن نعم عليه بمثل ما فلم يشكر وحسب انه فضله الله والزيادة قد تكون
نعمة وقد تكون نقمة والعلامة الشكر وجودا وعدما واملي امهل لهم ان كيدي
متين لا يدفع بشيء سمي الاستدراج كيدا لانه في صورة الكيد ام
تسالهم يا محمد اجرا على ادائه فهم من مغرم غرامة مثقلون بحملها وهذا
سبب اعراضهم عنك وام منفصلة والهمزة للانكار ام عندهم الغيب
فهم يكتبون يضبطونه لئلا يحتاجوا طول عمرهم الى علمك فاصبر لحكم
ربك بامهالهم ولا تدع عليهم فانه صلى الله عليه وسلم اراد ان يدعو
على ثقيف ولا تكن كصاحب الحوت يونس في العجلة والضجر اذ نادى
اي لا تكن حالك مثل حاله اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مغموم
وقصته قد مرت في سورة الانبياء لولا ان تداركه نعمة من ربه بقبول
توبته واجابة دعائه لنبذ بالعراء لطرح بالفضاء من بطن الحوت
وهو مذموم حال كونه مجرما ملوما لكن لما ادركه رحمة الله نبذ على حال قبوله
والاقبال عليه فاجتباه ربه اصطفاه فجعله من الصالحين من الكاملين
في الصلاح قيل لم يكن نبيا في قومه حين ذهب مغاضبا ولهذا
فسر من الصالحين بمن النبيين ولما امر عليه الصلوة والسلام بالصبر
اخبره بشدة عداوتهم ليتلقى ذلك بالصبر ويحترز عنهم فقال وان
اي انه يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم هذا كما تقول نظر الي
نظرا يكاد ياكلني يعني ينظرون اليك بنظر البغضاء يكادون يزلقون
قدمك لما سمعوا الذكر اي القران فانهم حينئذ لم يملكوا انفسهم حسدا
ولما عند من ذهب الى انه ظرف فالعامل فيه ليزلقون والاصح انه حرف
وجوب لوجوب فجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي لما سمعوه كادوا
يزلقونك ويقولون انه لمجنون قالوه تنفيرا عنه وقد علموا انه اغزرهم عقلا
واتمهم فضلا قيل هم عيانون فارادوا ان يصيبوه وهذا معنى ليزلقونك
بابصارهم ومن هذا اشتهرت الاية عوذة في دفع العين لكن قولهم انه لمجنون
غير مناسب للعيانين فان شانهم المدح وما هو اي القران الا ذكر عظة
للعالمين فلا يمكن نسبة من جاء به الى الجنون والحمد لله على الهداية

سورة الحاقة مكية آيها احدى وخمسون

علم الغيب صح

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة سميت القيمة بها لانها واجبة الوقوع من
حق يحق بالكسر او التي فيها حواق الامور اي ثوابتها فمن باب تسمية الشيء
باسم ما يلابسه او من احقه سميت حاقة اي عارفة للامور لان الخلائق
فيها يعرفون حقائق الامور فجعل الفعل للقيمة وهو لاهلها قال ابن عباس
هي تبدي حقائق الاشياء ما الحاقة الاستفهام لتفخيم شانها والجملة من
المبتدأ والخبر خبر للحاقة ولا حاجة الى ضمير الربط وما ادريك ما الحاقة
مبالغة في التهويل كانه لا يمكن وصف امورها الشاقة وما استفهام ايضا
مبتدأ وادريك خبره وعائد ما الضمير المرفوع في ادرى اي اي شيء اعلمك
ما هي لا علم لك بكنهها وما مبتدأ والحاقة خبره والجملة في موضع نصب
بادريك وهو معلق واصل درى ان يعدى بالباء وقد يحذف الباء
فاذا ادخلت همزة التعدية عليه تعدى الى واحد بنفسه والى الاخر بحرف
الجر كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بها سماها باسم اخر للتعظيم فانها
تقرع القلوب بالمخافة والسماء بالانشقاق والارض والجبال بالدك
والنجوم بالطمس فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة عن الحد
في الشدة او بسبب طغيانهم فتكون مصدرا كالعافية كذبت ثمود بطغويها
واما عاد فاهلكوا بريح صرصر شديدة البرد من الصر بكسر الصاد او شديدة
الصوت من الصر بفتح الصاد ومقابلة اما بما مشعر بالوجه الاول من
تفسير الطاغية عاتية عتت على خزانها فخرجت بغير حساب وهذا اول
خاتم الخلفاء او عتت على عاد فلم يقدروا دفعها واصل العتو مجاوزة الحد
سخرها سلطها عليهم صفة ثالثة او استئناف سبع ليال وثمانية
ايام حسوما اي متتابعة صفة لسبع ليال او نعت يقال ليال حسوم
او قاطعات جمع حاسم كقعود وشهود فترى القوم لو كنت حضرا او المراد
استحضار صورهم كانه يراهم فيها في تلك الايام صرعى موتى جمع صريع
حال كانهم اعجاز اصول نخل خاوية خالية الاجواف فهل ترى لهم من باقية
من بقية واليوم الثامن من عذابهم القتهم الريح في البحر بحيث ما بقي منهم
احد او من نفس باقية ولا يبعد ان يراد منه هل ترى لهم باقية من العذاب
يعني قد وصل العذاب غايته وجاء فرعون ومن قبله من الامم الكافرة وقرأ

قبله بكسر القاف وفتح الباء معناه من عنده من اتباعه والمؤتفكات
قرى قوم لوط بالخاطئة بالخطيئة الباء التعدية فعصوا رسول ربهم
رسول جنس والمراد عصى كل منهم فاخذهم اخذة رابية زائدة في
الشدة ولما ذكر امر فرعون ذكر اغراق قوم نوح ومن على المؤمنين
فقال انا لما طغى الماء تجاوز عن الحد قالوا علا على اعلى جبل في الدنيا
خمس عشر ذراعا حملناكم بان حملنا اباءكم في الجارية في السفينة فكل من
في الدنيا من اصلاب من فيها لنجعلها تلك الفعلة وهي انجاء المؤمنين
واغراق الكافرين او سفينة نوح فان السفن يذكر لها لكم تذكرة عبرة
وعظة وتعيها وتحفظها اذن واعية اي من شانها ان تحفظ ما سمعت
ولا تضيعه بترك التدبر ولما كان الطوفان كقيمة قامت فيها تفجر البحور
اعقبه بذكر احوالها فقال فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة لا تثنى في وقتها
ولا حاجة الى تكريرها عن ابن عباس هي النفخة الاولى التي بها خراب
العالم وحملت الارض والجبال رفع عن اماكنها فدكتا دكة واحدة فضربت
الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء منثورا او بسطتا
فصارتا ارضا لا عوج لها يقال ارض دكاء اي مستوية متسعة فيومئذ
اي حينئذ حملت الارض والجبال والمراد الحين الواسع الممتد فان القيمة
ليست في يوم النفخة الاولى وهو معطوف على فاذا نفخ وقعت الواقعة
قامت القيمة وجاز ان يكون المراد المجاز كما يقال في شدة قامت القيمة
وانشقت السماء من المجرة كذا قاله علي بن ابي طالب فهي يومئذ اذ
انشقت واهية ضعيفة ساقطة القوة والملك اي جنسهم على
ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة
فيأوون الى ما حولها من حافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم فوق رؤس
الثمانية فيه اضمار قبل الذكر لفظا وهو جائز يومئذ يوم اذا انشقت
السماء ثمانية من الملائكة بعد ما بين شحمة اذن ملك منها وعنقه لخفق
الطير سبعمائة عام رواه ابو داود مرفوعا وعن ابن عباس وغيره
ثمانية صفوف قيل المراد عرش يوضع لفصل القضاء لا العرش الذي
هو سطح الجنة يومئذ تعرضون على الله للحساب والمراد جميع العالمين

وتعرضون جواب فاذا نفخ ويومئذ بدل من فيومئذ لا تخفى منكم خافية
اي سريرة كانت تخفى في الدنيا ومنكم حال اي ناشئة منكم او صفة
لا تخفى يقال خفي من فلان على هذه المسألة يعني لا تخفى على الله ولا على
احد غيره فانه يوم تبلى السرائر والمراد من اليوم الزمان الممتد كما ذكرنا
روى الامام احمد والترمذي مرفوعا يعرض الناس ثلث عرضات فاما
عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في
الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول
هاؤم اسم فعل للجمع اي خذوا اقرؤا كتابيه من باب التنازع
والعمل للثاني عند البصريين والهاء للسكت اني ظننت اي ايقنت
اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية ذات رضى في جنة عالية
رفيعة نفسها وقصورها مكانا وقدرا قطوفها اي قطوف ثمارها
دانية قريبة ينالها الراقد كلوا واشربوا باضمار القول هنيئا اي كلا
وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية بسبب ما قدمتموه
من الخيرات في الايام الماضية واما من اوتي كتابه بشماله فيقول تحسرا
يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها اي الموتة التي متها
كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث او يا ليت تلك الحالة
التي انا فيها كانت موتة فان الموت اسهل ما اغنى عني ماليه ما اغنى
عني عذاب الله كل شيء لي هلك عني سلطانيه ضل عني حجتي او زال
عني قوتي خذوه فابتدره سبعون الف ملك روى ابن ابي الدنيا
انه لا يبقى شيء الا دقه في هذا الحال فيقول ما لي ولك فيقول ان الرب
عليك غضبان فكل شيء غضبان عليك فغلوه ثم الجحيم صلوه
ادخلوه ثم في سلسلة النظاهر ان السلسلة بعد دخول النار ولا حاجة
الى تحمل ذرعها سبعون ذراعا المراد غاية الطول روى الامام احمد
والترمذي انها اطول ما بين السماء والارض فاسلكوه ادخلوه فيها
عن ابن عباس تدخل في استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم
الجراد في العود حتى يشوى لو وضع منها حلقة على جبل لذاب انه كان
لا يؤمن بالله العظيم استئناف للتعليل ولا يحض لا يرغب على طعام

المسكين

المسكين اي على اطعامه فيه اشعار بان تارك الحض بهذه المثابة
فكيف بتارك الفعل جعله قرين الكفر وهذا نعي على من بخل وان اعطى الزكوة
المفروضة وكان ابو الدرداء يحض امراته على تكثير المرق لمسكين قائلا
خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الآخر بالحض فلا تغتر
بقول اهل الظاهر فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام
الا من غسلين من دم وقيح يسيل من لحومهم او من شجرة منتنة مرة فيها
لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا والمراد المشركون فلا اقسم
لظهور الامر او لا مزيدة للتاكيد او رد لكلام المشركين بما تبصرون
وما لا تبصرون انه القران لقول رسول كريم على الله يبلغه عن الله فانه
شان الرسول وما هو بقول شاعر كما قاله طائفة من الكفرة قليلا ما تؤمنون
تصدقون تصديقا قليلا هو اقرارهم اذا سئلوا من خلق السموات
والارض قالوا الله ولا بقول كاهن كما قاله طائفة اخرى من الكفرة
قليلا ما تذكرون تذكرون تذكرا قليلا فلذلك التبس عليكم الامر تنزيل
اي هو تنزيل من رب العالمين ولو تقول الرسول اختلق ويفترى
علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين بيده اليمنى منه ليكون اشد
فان القتال اذا وقف بين يديه بحيث ينظر المقتول الى السيف مريدا
قتله من جيده ياخذ بيده اليمنى واذا وقف خلفه مريدا قتله من قفاه
ياخذ بيساره ثم لقطعنا منه الوتين نياط القلب وهو حبل الوريد فما
منكم من احد عنه حاجزين دافعين عن القتل فحاجزين هو الخبر لما على
لغة اهل الحجاز لانه هو محط الفائدة ومنكم حال لانه لو تاخر لكان صفة
لاحد واما قول الكشاف فظاهر ضعفه وانه القران لتذكرة للمتقين
فانهم هم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين بالقران فالجزاء مقرر
وانه القران قيل التكذيب لحسرة على الكافرين يوم الحاقة وانه لحق
اليقين الحق الثابت واليقين علم لا لبس فيه فالاضافة بمعنى اللام او بمعنى من او
بيانية فسبح باسم ربك العظيم لما انعم عليك واذن عنك ما قذفوك فسبح

سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم سال سائل اي دعا داع بعذاب واقع البتة

ولتضمين معنى استدعى عداه بالباء او لتضمين معنى استعجل للكافرين
قال نضر بن الحارث ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم ليس له دافع من الله من متعلق بدافع
اي ليس دافع من جهته لان الله قدره واذا لم يكن دافع من جهته فهو واقع لا محالة
وليس له دافع صفة ثالثة لعذاب او من متعلق بواقع وليس له
دافع معترضة بين العامل ومعموله ذي المعارج ذي الصفات الحسنى
والدرجات العلى او المراد من المعارج السموات فان الملائكة تعرج
فيها من سماء الى سماء تعرج الملئكة والروح اي جبريل او خلق اعلى
من الملك قيل ارواح المومنين اليه العرش الذي هو استوى عليه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة من سنين الدنيا لو صعد غير
الملك او المراد يوم القيمة وعروج الملك والروح للعرض والحساب
والاحاديث الصحاح صرايح في ان طول يوم القيمة خمسون الف سنة
لكن الله يخفف على المومن حتى يكون عليه اخف من صلوة مكتوبة في الدنيا
قيل في يوم متعلق بواقع او بدافع فاصبر صبرا جميلا على التكذيب
والاستهزاء وهذا قبل اية القتال انهم يرونه اي العذاب او يوم القيمة
بعيدا من الامكان ونريه قريبا من الوقوع يوم تكون السماء ظرف
لمقدر اي تقع يوم والمقام دال عليه قيل بدل من ضمير نراه اذا كان
عائدا الى يوم القيمة كالمهل في الصحاح هو النحاس المذاب دردي
الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المندوف ولا يسال حميم
حميما قريب محبوب قريبا محبوبا لشدة الامر والاشتغال بحال نفسه
يبصرونهم التبصير التعريف والايضاح اي يبصر الاحماء الاحماء ومع
ذلك لا يسال بل يفر عنه يوم يفر المرء من اخيه الاية الجملة مستانفة
وجمع الضمير لان المراد من الحميم الجنس يود المجرم لو يفتدي لو بمعنى ان
من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه تمني الافتداء فضلا عن
السوال وفصيلته عشيرته التي توويه تضمه في النسب او تضمه اليها
اينما توجه ولا يحب مفارقتها ومن في الارض جميعا من غير استثناء
ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وهيهات

وثم

وثم للاستبعاد كلا ردع لوداتهم الافتداء فانها لا تنفع انها الضمير
للنار لظى نزاعة للشوى لظى لهب خالص او من اسماء النار والشوى
الاطراف او جلدة الراس ونزاعة خبر بعد خبر او هي الخبر على ان يكون
لظى بدل وفي قراءة نصبها تعين ضمير انها للنار ولا يجوز ان يكون ضمير
القصة ولذلك اخترناه وتعين ان يكون لظى هو الخبر ونصب نزاعة
على الحال المؤكدة او على الاختصاص تدعو النار الى نفسها من ادبر
عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع الدنيا فاوعى فامسكه في وعائه ولم
ينفق في الخير يعني ينادبهم باسمائهم ان الانسان اللام للاستغراق
خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر كمصيبة جزوعا واذا
مسه الخير كالسعة منوعا لم ينفق الاحوال الثلثة مقدرة او محققة
اي مجبول طبيعته على الجزع والبخل عند الفقر والمال اذا مسه الشر ظرف
لجزوعا واذا مسه الخير ظرف لمنوعا وكلاهما تفصيل لقوله خلق هلوعا
الا المصلين الا من قدرانه من اهل الطاعة فانه ليس مجبول على ذلك
الذين هم على صلوتهم دائمون لا يتركون فريضة والذين في اموالهم
حق معلوم كالزكوة للسائل والمحروم مر تفسير ذلك في سورة
والذاريات والذين يصدقون بيوم الدين بيوم الجزاء فلا يرتكبون
معصية وان ارتكبوا تابوا سريعا خوف الجزاء والذين هم من عذاب
ربهم مشفقون خائفون ان عذاب ربهم غير مامون معترضة دالة
على ان العاقل لا يامن من عذاب الله والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء
ذلك فاولئك هم العادون سبق في اول سورة قد افلح المومنون
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لا يخونون ولا يغدرون والذين
هم بشهاداتهم قائمون يحفظونها من غير زيادة ونقصان والذين
هم على صلوتهم يحافظون لا يتركون صلوة من الصلوات ولا يخلون
باركانها افتتح بذكر الصلوة واختتم به كما في سورة المومنين لكمال
الاعتناء بها لانها عمود الدين اولئك في جنات مكرمون الثاني
خبر بعد خبر او هو الخبر وفي حال او صلة لمكرمون قدم رعاية للفاصلة

ولما قال اولئك في جنات مكرمون دل على ان من هو بنقيض
تلك الصفات ليسوا في جنات فلهذا الابدان لا يطمع احد منهم في
الجنة فقال فما للذين كفروا ولم يصدقوا بيوم الدين قبلك مهطعين
مسرعين مادي اعناقهم حولك عن اليمين وعن الشمال عزين عن يمينك
وشمالك فرقا شتى جمع عزة وعزين حال كانوا يحتفون حلقا حلقا حوله
صلى الله عليه وسلم حين كان يقرأ القران يستهزؤن عن متعلق بعزين
او بمهطعين او هو ايضا حال ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم فانهم
كانوا يقولون لو كان له جنة فلندخلنها قبلهم كلا ردع عن هذا الطمع انا
خلقناهم مما يعلمون من تراب ثم من نطفة استيناف للتعليل كانه قال
لا تطمعوا فانكم تكذبونها في امر البعث وهذا امر ممكن لانا خلقناكم من تراب
ثم من نطفة والاعادة اسهل من ابداء على هذا الطريق او المراد لا معنى
لطمع وهم يعلمون انا خلقناهم من اي شيء وهم على تحقيقنا مستبعدون
فلا اقسم قد مر في السورة التي قبلها برب المشارق والمغارب مشارق
الشمس مختلفة وكذا مغاربها انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي
نهلكهم ونأتي بدلهم بخلق خير منهم وما نحن بمسبوقين عاجزين مغلوبين
يحتمل ان يكون هذا تهديدا ويحتمل ان يكون دليلا على امكان الاعادة فذرهم
يخوضوا ويلعبوا ولا تغتم يا محمد في شانهم فيه وعيد شديد كالامر للتهديد
نحو اذا لم تستحي فاصنع ما شئت حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهم
كذبوه يوم يخرجون بدل من يومهم من الاجداث اي القبور سراعا
مسرعين الى اجابة الداعي كانهم الى نصب يوفضون يسرعون الى
الانصاب يبتدرون ايهم يستلمه اول كما فعلوا حين عاينوا في الدنيا
انصابهم والمراد من النصب ما نصب للانسان يسرع اليه من علم او آية
او محل نزول خاشعة ابصارهم ترهقهم تلحقهم ذلة هوان ذلك اليوم
مبتدأ وخبر الذي كانوا يوعدون في الدنيا علية صفة اليوم اللهم لا تجعلنا منهم

سورة نوح مكية آيها تسع او ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان
يأتيهم عذاب اليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله ان في الموضعين

جاز ان تكون تفسيرية ومصدرية واتقوه واطيعون فاني رسوله
يغفر لكم جواب الامر من ذنوبكم اي بعضها لان الايمان يجب ما قبل
الايمان لا ما بعده قيل من هنا بمعنى عن اي يصفح لكم عنها ويؤخركم
الى اجل مسمى فان بعض الطاعات يطيل العمر كما ان بعض المعاصي يعجل
الاجل ان اجل الله الاطول اذا جاء لا يؤخر فآمنوا قبل مجيئه او الاجل
المقدر اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا لا يؤخر فبادروا في حين الامهال
لو كنتم تعلمون لبادرتم اليه قال بعد مدد وسنين ولما رأى ان الانذار غير مفيد
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا من الحق
ولا يلزم ان يكون لهم في الاول فرار نحو ما زادكم الا خبالا واني كلما دعوتهم
ليؤمنوا لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم لئلا يسمعوا دعوتي واستغشوا
ثيابهم تغطوا بالثياب كراهة وبغضا من سماع النصح ورؤية الناصح او
لئلا اعرفهم واصروا على ضلالهم واستكبروا عن اتباعي استكبارا قالوا
انؤمن لك واتبعك الارذلون ثم اني دعوتهم جهارا اي بعد الاسرار
ثم اني اعلنت لهم بعد ما رأيت ان الجهار وحده لا ينفع واسررت
لهم اسرارا عملت معهم كلا الطريقين يعني دعوتهم مرة بعد اخرى باي
وجه امكنني وجهارا مصدر من غير لفظه فقلت استغفروا ربكم توبوا
انه كان غفارا يرسل جواب الامر السماء عليكم مدرارا كثير الدرور حال
والمفعال ما يستوي فيه المذكر والمؤنث ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم انهارا فانهم لما كذبوه زمانا طويلا
حبس عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم الا بالبنات وهلكت مواشيهم
ويبست انهارهم ما لكم لا ترجون لله وقارا الظاهر انه من تتمة قول
نوح لقومه يعني لا تخافون له عظمة حتى تتركوا عصيانه وعلى هذا لله
حال من وقارا فانه مفعول قيل معناه ما لكم لا تأملون له توقيرا يعني لا
تكونون على طور وحال تأملون فيها توقير الله اياكم في الاخرة وعلى هذا
لله بيان للموقر بكسر القاف ولو تأخر لكان صلة للمصدر فان معمول
المصدر لا يتقدم عليه او لا تعتقدون لله وقارا فيثيبكم على توقيركم
وقد خلقكم اطوارا نطفة ثم ثم الى الحال الم تروا اسباب توقيره كيف

خلق الله سبع سماوات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض وجعل
القمر فيهن نورا وجعل الشمس فيهن سراجا تزيل الظلمة كما يزيلها السراج
والقمر والشمس وان كانا في احداهن صدق انهما فيهن وكلام ابن عباس
ان اضاءتهما في جميع السموات والله انبتكم من الارض نباتا انشأكم
منها فان اصل الكل آدم وهو من تراب والتقدير انبتكم فنبتم نباتا فاختصر
وهو دال على سرعة نفاذ امره نحو ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي
ضرب فانبجست ثم يعيدكم فيها بعد الموت ويخرجكم من الارض اخراجا
بالحشر اكده بالمصدر كما اكد الانشاء دلالة على انه في التحقق كهو والله
جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها كما يتقلب الشخص على بساطه
لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة وفي سلك تضمين معنى اتخذ ولهذا
عداه بمن قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده
ماله وولده الا خسارا اتبعوا رؤساءهم الخاسرين بسبب الاموال
والاولاد ومكروا عطف على لم يزده وجمع الضمير باعتبار معنى من
مكرا كبارا عظيما في الغاية لاتباعهم بحسب الاتباع انهم على الحق وقالوا اي
بعضهم لبعض لا تذرن آلهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا
يغوث ويعوق ونسرا اسماء هؤلاء من بين الالهة وقد اضلوا الاصنام
كثيرا من الخلق كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين رب
انهن اضللن كثيرا من الناس والاصنام اضلت الرؤساء والرؤساء
غيرهم ولا تزد الظالمين الا ضلالا دعاء عليهم لتمردهم كما دعا موسى
بقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم والاصح ان محبة
الكفر من حيث انه كفر مذمومة معطوفة على وقد اضلوا قد صرح سيبويه
وقد ذكرناه مرارا ان التناسب في عطف الجمل لا يشترط بل عطف جملة
الانشاء على جملة الاخبار فصيح وجاز ان يكون عطفا على رب انهم
عصوني مما خطيئاتهم من اجلها وما زائدة للتأكيد اغرقوا في الماء
فادخلوا نارا يعرض عليهم النار في قبورهم بكرة وعشيا او المراد نار جهنم
والتعقيب كأنه لتوته فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا ما نصرهم اصنامهم
ومعلوم ان الله لا ينصرهم وقال نوح رب اي يا رب لا تذر على الارض

من الكافرين

من الكافرين ديارا اي احدا يدور في الارض او نازل دار وهو من الفاظ
العموم التي تستعمل في النفي وما اشبهه انك ان تذرهم يضلوا عبادك
عن ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول لابنه
احذر هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على
الكفر ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وما ذلك الا بالتجربة فانه مكث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما رب اغفر لي دعا عليهم ثم دعا لمن اراد وليس منهم
ولوالدي كانا مؤمنين ولمن دخل بيتي مؤمنا حال من فاعل دخل وللمؤمنين
والمؤمنات الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا والحمد لله الذي جعلنا من الامة المرحومة

سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا محمد اوحي الي انه اي ان الشأن استمع نفر
جماعة من الثلثة الى العشرة من الجن امر الله رسوله ان يخبر قومه ان جماعة
من الجن استمعوا القران وآمنوا به وصدقوه فقالوا حين رجعوا الى قومهم
انا سمعنا قرانا عجبا لبلاغته وحسن مبانيه ودقة معانيه وغرابة اسلوبه
مع كونه مباينا لسائر الكتب مصدر وضع للمبالغة موضع عجيبا يهدي
الخلق الى الرشد الصواب والسداد فآمنا به بالقران ولن نشرك
بربنا احدا اي بعد الايمان وانه ان الشأن تعالى جد ربنا عظمة ربنا
او علا ملكه او غناه ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لقوله تعالى جد ربنا
كأنه قال تعالى عظمته عن اتخاذ الصاحبة والولد وقوله وانه تعالى الى
قوله وانا منا المسلمون اثنتا عشرة قرئ بالكسر والفتح اما الكسر فواضح
لانها معطوفات على انا سمعنا داخلة في معمول القول واما الفتح
فقالوا ان تلك كلها معطوفات على به في آمنا به بحذف حرف الجر
وحذفه من ان وان شائع او عطف على انه استمع يعني اوحي الي هذا الكلام
وهو انه تعالى جد ربنا حكاية عن كلام الجن وهذا عندي هو الاولى لئلا
نحتاج في مثل وانه كان رجال وانا ظننا ان لن تقول الى تمحل عظيم وانه
كان يقول سفيهنا جاهلنا على الله شططا قولا ذا شطط وهو مجاوزة القدر
في التعدي وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اي حسبنا
ان احدا لا يجترئ على الافتراء على الله فصدقنا ما اضيف اليه حتى تبين لنا

من القران افتراءهم عليه وكذبا مصدر لانه نوع من القول او تقديره قولا
كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم
اي الجن الانس رهقا اخافة او زادوا الانس الجن تكبرا وطغيانا كان
اذا نزل الانس واديا هرب الجن من قربهم ثم سمع الجن ان الانس
من الجاهلية قالوا اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه كما كانت
عادتهم حين دخلوا بلاد العدو وانهم لا يدخلون الا في جوار كبير منهم
وخفارته فقالوا لما سمعوا كلام الانس وعرفوا انهم يفرقون منهم دنوا من
الانس واصابوهم وانهم اي الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن ان لن انه
انه لن وقد تنازع فيه ظنوا وظننتم يبعث الله احدا بعد ذلك بالرسالة
او لا يبعث ولا قيامة وهذا قول نفر من الجن لقومهم حين رجعوا اليهم وانا
لمسنا السماء طلبنا بلوغها لاستماع كلام اهلها فوجدناها ملئت حرسا
شديدا من الملائكة وشهبا من النجوم والحرس اسم بمعنى الحراس كالخدم
ولذلك وصفه بشديدا لا بشداد ووجد متعد الى مفعول واحد بمعنى
صادف فملئت في موضع الحال وجاز ان يكون بمعنى علم فملئت في
موضع المفعول الثاني وانا كنا قبل ذلك نقعد منها من السماء مقاعد
صالحة للسمع لاستماع كلام الملائكة فقوله للسمع اما صفة والاظهر انه
متعلق بنقعد فمن يستمع الان ظرف زمان للحال ويستمع مستقبل فاتسع
في الظرف واستعمل للاستقبال يجد له يعني لدفعه شهابا رصدا
اي راصدا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء
ام اراد بهم ربهم جمع الضمير باعتبار معنى من رشدا خيرا لم يقل ام رشد
فبسط الكلام واتى بلفظ الرب لان هذا هو مظنته راعى الادب
فلم يسند الشر الى الله والاحاديث الصحاح دلت على ان الشهب قبل
المبعث في غاية القلة بحيث تعد من العجائب وقد كثرت بعد المبعث
بحيث لم يقدر الجن على الاستراق لانهم لم يجدوا الان بعض المقاعد خالية
عن تلك حارس والشهب المحرق لهم قد كثرت نعم قد يسترق كلمة
فيلقيها الى صاحبه ثم يدركه شهاب كما في الصحيحين ولهذا قد حمل الجن على
تطلب السبب وضربوا مشارق الارض ومغاربها حتى وجدوا

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القران في الصلوة فعرفوا ان هذا
العجب هو السبب في حراسة السماء فسعد بالايمان من سعد وشقي من تمرد
وانا منا الصالحون ومنا قوم دون ذلك طالحون ومقتصدون كنا
طرائق قددا ذوي مذاهب متفرقة كان قولهم هذا اعتذار عن تمرد بعضهم
وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض بالمقاومة ولن نعجزه
فيها مع فسحتها هربا تمييز او مفعول له وجاز ان يكون في الارض وهربا
حالين وانا لما سمعنا الهدى آمنا به كرر ذلك افتخارا فمن يؤمن بربه
فلا يخاف اي فهو لا يخاف وللحذف لم يقل لا يخف بخسا نقصا في الجزاء
ولا رهقا ظلما وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن الحق
فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا قصدوا رشدا عظيما واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا كالكافرين من الانس والظاهر ان الكلام كله قول الجن
وقيل من قوله فمن اسلم قول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم وان لو استقاموا
اي الجن او الجن والانس على الطريقة الحسنى بان امنوا وثبتوا على
الايمان لاسقيناهم ماء غدقا ماء كثيرا يعني وسعنا عليهم الرزق فان
الجن يحتاجون ايضا الى اكل وشرب لنفتنهم فيه لنختبرهم في السقي
كيف يشكرونه او معناه لو استقاموا على طريقتهم من الكفر لاوسعنا
عليهم الرزق استدراجا فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء
ومن يعرض عن ذكر ربه ولم يؤمن يسلكه يدخله عذابا صعدا شاقا يعلو
المعذب مصدر وصف به وفي يسلك تضمين الادخال فهو متعد الى
مفعولين قيل تقديره يسلكه في عذاب فنزع الخافض قوله وان لو مخففة
من المثقلة عطف على انه استمع لا غير لانه لا معنى لقول من قال امنا بان
لو استقاموا اللهم الا ان يقال اصل كلامه امنا بانه لو استقمنا لاسقانا
وعبر تعالى عن كلامهم بتلك العبارة وفيه بعد بعيد وان المساجد اي
البيوت المعروفة لله فلا تدعوا لا تعبدوا مع الله احدا فيها قالت الجن
كيف نشهد الصلوة ونحن ناؤن عنك فنزلت رخصتهم لاقامة الصلوة
في اي مسجد كان وان الاهتمام في شان التوحيد وانه لما قام عبد الله محمد
يدعوه يعبد الله ويصلي كادوا اي الجن يكونون عليه لبدا متراكمين تعجبا

اي لحذف المبتدأ لا للدلالة على الاختصاص سعد

وحرصا على الاستماع او كاد الانس والجن متراكمين عليه لابطال صلوته
واطفاء نوره ولكن ابى الله الا ان يتم نوره او قال الجن لقومه لما قام
عبد الله يصلي كاد اصحابه يتراكمون عليه لحرصهم على العبادة والاقتداء
قل انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا اي قل يا محمد للمزدحمين عليك هذا ليس
بامر بديع عجيب منكر بل المنكر العجيب هو الاشراك بالله وهذا يؤيد الوجهين
الاولين في معنى كادوا يكونون عليه لبدا قل يا محمد لقومك بعدما ذكر لهم
بايمان الجن مع بعدهم عن الانسانية اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا الا ضرا
ولا نفعا ولا رشدا ولا غيا بل الكل بيد الله انما انا بشر مثلكم يوحى الي
قل اني لن يجيرني من الله احد ان ارادني بسوء ولن اجد من دونه ملتحدا
ملتجأ اميل اليه الا بلاغا من الله اي صادرا منه وليس متعلق ببلاغا فان
البلاغ مستعمل بعن لا بمن ورسالاته استثناء منقطع اي لكن الابلاغ
من الله وابلاغ رسالاته هو الذي يجيرني من عذاب الله والبلاغ
ليس من دون الله فليس بداخل تحت قوله لن اجد من دونه ملتحدا
ومن يعص الله ورسوله ولم يؤمن فان له نار جهنم خالدين فيها جمعه
باعتبار معنى من ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون من العذاب فسيعلمون
من اضعف ناصرا واقل عددا ناصرا وعددا تمييزان وحتى غاية لما
دلت عليه الحال اي لا يزالون على ما هم عليه ولا ينفعهم النصح حتى وقيل
غاية لما تضمنته الجملة السابقة كانه قيل الحكم بكينونة النار لهم وعيد
يخوفهم حتى اذا راوا ما حكم بكينونته لهم فسيعلمون قل ان اي ما ادري
اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية بعيدة عما وتهم السؤال
عن وقت عذابهم استهزاء او تكذيبا فامره ان يجيبهم باني لا ادري اهو
حال ام مؤجل عالم الغيب اي هو عالمه فلا يظهر لا يطلع على غيبه
احدا اطلاع الانبياء بالغيب من الملك وهو علم او من القاء الله
في روعهم فهو ايضا علم واما ما للاولياء من الكرامات وان انضم اليها
علامات الصدق فما هي الا ظن غاية الامر انها ربما تصل الى الظن
الغالب وهو ليس بعلم وقوله لا يظهر على غيبه احدا ينادي على ان
المراد منه العلم فقوله على غيبه جاز ان يكون عادة المستثنى من احدا

الرسل

الرسل قيل المراد من غيبه الغيب المختص به بدليل الاضافة وعلى هذا
الاستثناء منقطع الا من ارتضى للاطلاع من رسول بيان لمن فانه
يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا يجعل من جميع جوانبه حرسا
من الملائكة يحفظون الوحي من استراق الجن والرسول من زيادة وحيه
او نقصانه ليعلم الله ان قد ابلغوا رسالات ربهم ان قد ابلغ الانبياء
رسالاته محروسة عن التغيير نحو وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم
من يتبع الرسول او المراد ليعلم الرسول ان قد ابلغ الملائكة رسالات
ربهم ولم يزيدوا ولم ينقصوا وعن كثير من السلف ان حرسا من الله على
كل رسول هو يعرفهم يخبرونه ان من جاء اليه ملك او شيطان واحاط
الله بما لديهم بما عند الرسل عطف على ابلغوا على التوجيه الثاني واحصى
كل شيء عددا اي معدودا فهو حال او عددا بمعنى احصاء او احصى بمعنى
عد او هو تمييز والحمد لله على وفور افضاله والصلوة على سيدنا محمد واله

سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اي المتلفف بثوبه لما جاءه الملك
وهو بغار حراء رجع الى خديجة وقال زملوني زملوني فنزلت وعادة العرب
اذا قصدت الملاطفة مع المخاطب نادته باسم مشتق من حالته التي
تلبس بها حالة الخطاب كما خاطب صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب
بابي تراب حين كان نائما وقد لصق بجنبه التراب قم الى الصلوة الليل
اي بكله الا قليلا ظاهره الوجوب نصفه بدل من قليلا ولو قال قم
نصف الليل لكان تركيبا متعارفا خاليا عن نكتة عظيمة هي ان الوقت
الكثير في غير ذكر الله حقير قليل لا يعبا به في جنب وقت معمور بذكر الله
تعالى او انقص منه الضمير للنصف او الليل المقيد بالاستثناء والحاصل
واحد قليلا وهو كالثلث او زد عليه وهو كالثلثين هذا هو الوجه الوجيه
في اعرابه ومعناه من غير تمحل وهو موافق لمعنى ما صرح به السلف وقد وجب
حمل كلام الشارع على المتبادر الا ان يمنعه مانع وهو كما قاله الرازي قد
اكثر الناس في تفسير هذه الاية ورتل القران ترتيلا بينه واقراه على
تؤدة وتبيين حروف انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعنيه لعظمة الكلام وصلوة

الليل تعين المصلي وتخفف عليه النوائب وقد صح انه قد نزل عليه الوحي
في يوم شديد البرد فيفصم عنه ويتجلى ثقله وان جبينه ليرفض عرقا وقد
كان اذا اوحي اليه وهو راكب على ناقته وضعت باطن عنقها فما تستطيع
ان تتحرك حتى يسرى عنه قيل معناه انه كلام له وزن ورجحان وثقيل
في الميزان ان ناشئة الليل اي قيام الليل مصدر كالعافية او ساعاته
فانها تنشأ وتحدث واحدة بعد اخرى هي اشد وطاء مواطاة
القلب اللسان او موافقة القلب والسمع والبصر واللسان واقوم قيلا
اسد مقالا واصوب قراءة لسكون الاصوات فيها ان لك في
النهار سبحا طويلا تصرفا وتقلبا في مهماتك كما يتردد السابح في الماء
فهذه حث على قيام الليل واذكر اسم ربك دم على ذكره اما تسبيح
او تهليل او غيرهما وتبتل انقطع اليه الى الله بالعبادة تبتيلا لما يشغلك
التبتل اللازم عن التبتيل المتعدي يمكن ان يوفى بمصدر احدهما عن الآخر
مع ان فيه مبالغة مع رعاية الفاصلة يعني جرد نفسك عما سواه تجريدا
رب اي هو رب المشرق والمغرب وقراءة رب بالجر فعلى البدل
من ربك لا اله الا هو فاتخذه وكيلا فان وحدته في الالوهية تقتضي
التوكل عليه واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا بالاعراض
عنهم وترك المكافاة بالمجادلة باللسان فانهم ليسوا اهل الحياء وذرني
والمكذبين فاني منتقم لك منهم اولي النعمة ارباب التنعم والترفه صفة
ذم فان الفسق ناش منها قال تعالى امرنا مترفيها ففسقوا فيها او ذكرهم
بقلة الشكر والجهل فان النعمة تلزم العاقل شكرها وهم صناديد قريش
والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وما ينعم به ومهلهم زمانا او امهالا
قليلا ان لدينا انكالا قيودا ثقالا جمع نكل ونكل وجحيما وطعاما ذا
غصة ينغص في الحلق لا ينزل فيه بسهولة عن ابن عباس شوك من نار يعترض
في حلقهم لا يطلع ولا ينزل وعذابا اليما نوعا آخر لا يمكن تعريفه يوم
ترجف تضطرب ظرف لمتعلق لدينا فانه خبر ان الارض والجبال
وكانت الجبال كثيبا مهيلا مثل رمل كثير مجتمع منثور يعني تصير كذلك
بعد ما كانت حجارة صما انا ارسلنا اليكم يا معشر قريش رسولا شاهدا

عليكم

عليكم في القيمة كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول
اي الرسول الذي ارسلنا اليهم فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا ردي العقبى
فاحذروا يا معشر قريش لئلا ناخذكم اخذا مثل اخذه فكيف تتقون
ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا اي كيف تتقون عذاب يوم موصوف
بانه يجعل الولدان من شدة الهول شيبا ان كفرتم في الحيوة الدنيا
كانه قال هب انكم لا تواخذون في الدنيا كما اخذنا فرعون فكيف
تتقون هول ذلك اليوم ان متم على الكفر او المعنى كيف تتقون الله
ان كفرتم ذلك اليوم بالجحود وفي ذكر ان التي للشك اشعار بانه لا ينبغي
الشك مع ارسال هذا الرسول قرأ صلى الله عليه وسلم يوما تلك الاية
فقال ذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث من ذريتك بعثا الى النار
قال من كم يا رب قال الله من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الحديث
صحيح رواه الثقاة بسند قوي السماء منفطر به منشق بسبب ذلك
اليوم قال الفراء السماء تذكر وتؤنث فلم يقل منفطرة بتاويل السقف
والمعنى يجعل الله الولدان فيه شيبا والسماء منفطر به اي بامره
كان وعده اي وعد الله مفعولا لا خلف فيه ان هذه اي هذه الايات
تذكرة عظة لمن شاء ان يتخذ سبيلا اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب
اليه بطاعته ان ربك يعلم انك تقوم ادنى اي اقل من ثلثي الليل
ونصفه وثلثه وكنت مخيرا بين الثلثة وطائفة عطف على فاعل تقوم
من الذين معك اي يقومون اقل ومن قرأ بنصب نصفه وثلثه
فعطفه على ادنى ويكون المراد من ادنى من ثلثي الليل الربع ليكون تجاوزا
عن الامر فيترتب عليه التوبة وليكون موافقا لتلك القراءة في المعنى
وفيه اشارة الى ان قيام ثلثي الليل كانه لم يكن مامورا به والله يقدر
الليل والنهار لله علم مقادير ساعاتهما فهو عالم بالقدر الذي يقومون
فيه علم ان لن تحصوه الضمير لمصدر المفهوم من يقدر اي ان لن تحصوا
تقدير ساعاتهما او المفهوم من تقوم اي لن تطيقوا القيام الذي
اوجب عليكم فتاب عليكم عاد عليكم بالعفو والتخفيف عن غير واحد
من السلف ان هذه نسخ لما اوجب على المسلمين من قيام الليل

واما من قال ان قوله وطائفة من الذين معك حيث لم يقل والذي
معك دليل على انه لم يكن واجبا على الجميع فدليله ضعيف واه فان
كثيرا منهم عادتهم احياء الليل وصوم الدهر والرياضة الصعبة ولهذا
قال وطائفة منهم فاقرؤا ما تيسر من القران من غير تحديد لوقت من
الليل ونعم ما قال الحسن البصري وغيره بقي الوجوب على الكل على قدر
من الليل غير معين وفي الحديث ما يدل على ذلك وهذا كالصريح
فان السنية باقية على حالها علم بان لحكمة النسخ ان سيكون منكم
مرضى لا يستطيع القيام الذي قررنا واخرون يضربون في الارض
يبتغون من فضل الله بالذهاب للتجارة واجتماع كلفة احياء
الليل بالصلوة وكلفة السفر في غاية من الصعوبة واخرون يقاتلون
في سبيل الله هذا من اخبار الغيب فان السورة مكية وشرعت القتال
في المدينة فاقرؤا ما تيسر منه كرر ذلك على سبيل التوكيد ثم امر
بعمودي الاسلام البدني والمالي فقال واقيموا الصلوة المفروضة
واتوا الزكوة الواجبة وهذا دال على صحة قول من قال ان فرض الزكوة
بمكة لكن المقادير والمصرف لم تتبين الا بالمدينة واقرضوا الله قرضا
حسنا المراد صدقة التطوع وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه
عند الله اي اجره هو ضمير الفصل خيرا من الذي اعطيتموه ومن الذي
تؤخرونه هو ثاني مفعولي تجدوا واعظم اجرا نفعا وجزاء في الصحيح ايكم
ماله احب اليه من مال وارثه قالوا ما منا احد الا ماله احب اليه
من مال وارثه قال صلى الله عليه وسلم اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم
الا ذلك قال انما مال احدكم ما قدم ومال وارثه ما اخر واستغفروا الله
يعني واقرضوا واستغفروا ان الله غفور رحيم والحمد لله رب العالمين

اي سنية قيام الليل على الوجوه الثلثة المذكورة

سورة المدثر مكية وايها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر المتدثر لابس الدثار وهو ما يلبس
فوق الشعار وهو الذي يلي الجسد والاصح بل الصحيح انها اول سورة
نزلت بعد فترة الوحي جمعا بين الاحاديث الصحاح وعليه الجمهور
وفي مسلم انه صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي قال فبينا

انا امشي سمعت صوتا من السماء فاذا الملك الذي جاءني بحراء
فجئثت منه فجئت اهلي فقلت دثروني دثروني فانزل الله يا ايها
المدثر قم من مضجعك او قيام تصميم وجد فانذر ترك المفعول للتعميم
والاختصار وربك فكبر الفاء في مثله لمعنى الشرط كانه قال مهما يكن
من شيء فكبر انت ربك وثيابك فطهر عن النجاسة فانه شرط لصحة
الصلوة والمشركون لا يطهرون والعرب تقول للفاجر دنس الثياب
فجاز ان يكون المراد اصلح اعمالك واخلاقك والرجز فاهجر ما يؤدي
الى العذاب فاترك او المراد من الرجز الاصنام ولا تمنن تستكثر
لا تعط طالبا لعوض كثير من قولهم من اذا اعطى وهذا النهي من خواصه
او لا تمنن على احد بشيء تائيك كثرة الخير من الله كان عدم الامتنان يستجلب
مزيد العناية من الله ولربك فاصبر استعمل الصبر لله فيشمل الصبر
على المكاره وعلى الطاعات فاذا نقر في الناقور نفخ في الصور والفاء
للسببية كانه قال اصبر فتبين ايديهم يوم عسير فذلك الفاء للجزاء
على اذاهم
يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير عليهم تاكيد وتعريض بحال
المؤمنين بانه يسير عليهم كما مر في الحديث ذلك مبتدا خبره يوم عسير
فيومئذ اما بدل من ذلك فانه اشارة الى وقت النقر او حال اي
وقت النقر وقت عسير حال كون ذلك الوقت في يوم القيمة ذرني
مستانفة مبين للصبر ومن خلقت وحيدا اي من خلقته حال كونه
لا مال له ولا ولد له قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول
مرة وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا كان للوليد بن المغيرة بين
مكة والطائف نعم وعبيد ومزارعه قاله ابن عباس وبنين
شهودا اكثر من ستة حضورا لا يغيبون للتجارة لاستغنائهم ومهدت
له تمهيدا بسطت له في ماله وعزه وعمره بسطا ثم يطمع ان ازيد
على ما اعطيته كلا ردع له عن الطمع انه كان لاياتنا القرانية عنيدا
معاندا فانه سماها سحرا وجملة انه مستانفة للتعليل للردع قيل ما زال
بعد نزول الاية في خسران سارهقه سأغشيه صعودا عقبة شاقة
وفي مسند الامام احمد انه جبل في النار يسحب عليه الكافر على وجهه انه فكر

تخييل طعن في القران ستانفه علة للوعيد وقدر في نفسه ما يقول
في شان القران فقتل دعا بالقتل عليه كيف قدر ما لا يعقل تقديره
وقيل بمعنى لعن مستفيض في العرب انه يقال في استعظام امر وتعجيب
ثم قتل وثم دال على ان نظره الثاني فيما قدر يورث تعجبا ابلغ من
الاول ثم نظر في امر القران مرة اخرى ثم عبس قبض بين عينيه كما هو
شان المهتم المتفكر وبسر اشتد عبوسه ثم ادبر عن الحق واستكبر
عن اتباع القران فقال من غير تراخ كثير ان هذا القران الا سحر يؤثر
يروى عن السحرة ان هذا الا قول البشر كالتاكيد للاول ولهذا ترك
الواو ونقل ان وليد ابن المغيرة سمع القران فمال اليه قلبه فلامه قومه
وقالوا لا بد ان تقول في القران ما نعلم انك منكر قال والله لا تشبه
ارجوزة ولا قصيدة ولا اشعار الجن ووصف القران بليغ فقالوا
لا نرضى منك الا بان تعيبه قال دعوني حتى افكر ففكر فقال انما هو سحر
يأثره عن غيره رجع الى كفره عنادا لاجل خواطرهم فنزلت سأصليه
سقر ساد خله وما ادريك ما سقر تفخيم لشانها لا تبقي شيئا يلقى فيها
الا اهلكته وابقته ولا تذر بعد الاهلاك فانه يعاد وكلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها لواحة مسودة للبشر للجلد تقول العرب لاحته
النار اذا احرقته وسودته عليها تسعة عشر التمييز محذوف والمبادر منه
انه ملك الا ترى العرب وهم الفصحاء حين سمعوا فهموا انه الملك فقال
ابو جهل ثكلتكم امهاتكم اسمعوا ابن ابي كبشة يقول ان خزنة النار تسعة
عشر وانتم الدهم الشجعان ايعجز كل عشرة منكم ان تبطشوا بواحد منهم
فقال ابو الاشد الجمحي وقد بلغ من القوة انه يقف على جلد بقر فيجاذبه
عشرة فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عن تحت قدمه وهو الذي قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان صرعتني آمنت بك فصرعه مرارا ولم يؤمن
يا معشر قريش اكفوني من الخزنة اثنين وانا اكفيكم سبعة عشر فنزل
قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة فلا يغلبهم احد وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي وما جعلنا عددهم القليل الا سبب فتنة
الكفار وفتنتهم انهم استهزؤا بما فعله الله واظهره ففتنة ثاني مفعولي

جعلنا

جعلنا لا مفعول له يعني وما جعلنا اخبار عددهم ليستيقن الذين اوتوا
الكتاب بصدق القران ورسالة من يدعيها فانه خبر موافق لما في كتبهم
فاخبار الله بهذا العدد المخصوص علة لاستيقان اهل الكتاب وافتتان
الكفار بهذا العدد لا مدخل له فكانه قال ولقد جعلنا عدتهم عدة من
شانها ان يفتتن بها لاجل استيقان اهل الكتاب ويزداد الذين
آمنوا ايمانا بسبب انهم آمنوا به وبتصديق اهل الكتاب ولا يرتاب
عطف على ليستيقن الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون في ذلك جمع
للقبيلين اثبات اليقين ونفي الشك للتاكيد والتعريض بحال من
عداهم فليس لهم يقين وليقول الذين في قلوبهم مرض اي المنافقون
والكافرون اي المشركون وفي الاية اخبار عن الغيب لان السورة مكية
وظهر النفاق في المدينة وقيل المرض ضعف الايمان والاضطراب
ماذا اراد الله بهذا اي شيء اراد الله بهذا العدد مثلا سموه مثلا
لانه عجيب كالمثل ونصبه على الحال او التمييز من هذا او مرادهم انكاره لانهم
انما تعجبوا من ذلك استبعادا من ان يكون من عند الله كذلك
مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الله من يشاء اضلاله ويهدي
من يشاء هدايته وما يعلم جنود ربك عددهم وكمية الموكلين بامر دون
امر الا هو اذ لا اطلاع لغيره على عددهم ولا على حكمة اعداد الموكلين
وما هي السقر التي وصفت الا ذكرى تذكرة للبشر اي لمن تامل في صفتها
واتعظ بها كلا ردع لمن انكرها والقمر والليل اذ ادبر اي ولى ودبر وادبر
بمعنى والصبح اذا اسفر اي اضاء انها اي سقر لاحدى الكبر البلايا الكبر
جمع كبرى يقال هو احد الرجال واحدهم بمعنى لا يماثله احد وعن
مقاتل دركات جهنم سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم
والهاوية وجملة انها جواب القسم نذيرا للبشر تمييز لانه لما ضمن احدى الكبر
معنى اعظم جاء عنه التمييز اي انذارا كهي اعظم النساء عفافا قال
الزجاج انه حال من ضمير انها اي منذرة لمن بدل من للبشر شاء
منكم ان يتقدم او يتاخر اي نذير لمن شاء التقدم والسبق الى الخير او التاخر
والتخلف عنه والمراد انها منذرة للفريقين لكن احد الفريقين في صمم عن انذارها

كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله في القيمة مصدر كالشتيمة
فان فعيل الصفة لا يونث الا اصحب اليمين اي لكن اصحاب اليمين
فكوا رقابهم فالاستثناء منقطع اللهم الا ان يقال المراد من رهينة باقية
في رهينته وقد نقل عن علي بن ابي طالب ان اصحاب اليمين هنا اطفال
المسلمين لانه لا عمل لهم يرتهنون بها في جنت حال من اصحاب اليمين
يتسالون عن المجرمين اي يتسال اصحاب اليمين المجرمين عن حال المجرمين
يعني عن حال انفسهم فحذف المفعول يعني المجرمين لدلالة قوله ما سلككم في
سقر عليه وهو بيان للتسال وكان هذا اولى الوجوه قالوا لم نك من
المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض في الباطل مع الخائضين
ارادوا المجاهرة بالفسق وكنا نكذب بيوم الدين يعني مع هذا كله نكذب
بيوم الجزاء الذي نحن الان فيه حتى اتانا اليقين اي الموت وكان سوالهم
سوال تقريع لتعيير فوابهم تجهلهم وخسرانهم والا فهم عالمون بالسبب
فما تنفعهم شفاعة الشفعين يعني لو فرض شفاعتهم وهذا قول الله
فما لهم عن التذكرة اي عن القران معرضين عن متعلق بمعرضين ومعرضين
حال وما لهم مبتدا وخبر اي ما لهولاء حال كونهم معرضين عن القران كانهم
حمر مستنفرة فرت من قسورة اي حمر وحشية فرت عن اسد او عن صيادها
ولا شيء اشد نفارا من حمر الوحش وفي الصحاح القسورة الاسد والرماة
من الصيادين بل يريد الاضراب للانتقال من نوع جهل الى نوع
جهل اخر كل امرء منهم ان يوتى صحفا منشرة اي منشورة غير مطوية كتب
كتبت رطبة لم تطو بعد فانهم قالوا لن نتبعك حتى يوتى من السماء صحف
منشرة مكتوب فيها من الله الى فلان بن فلان ان اتبع محمدا كلا ردع عن
تلك الارادة بل لا يخافون الاخرة ولذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع
ايتاء الصحف بل لعدم ايمانهم به كلا ردع عن الاعراض انه اي القران
تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره ذكره وينتفع به وما يذكرون اي
وما ينتفعون به الا ان يشاء الله ذكرهم او مشيتهم كقوله وما تشاؤن الا ان
يشاء الله هو اهل التقوى لا غيره اي اهل ان يتقى فلا يجعل له شريك
واهل المغفرة واهل ان يغفر لمن اتقى ان يجعل معه الها كذا رواه الامام

احمد والترمذي وابن ماجه في تفسير هو اهل التقوى واهل المغفرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم والحمد لله على نعمائه وصلى الله على محمد واله

سورة القيمة مكية وايها تسع وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة قال المبرد لا زائدة على فعل
القسم كما هو الشائع لا نافية ومنفيها ما اشتهر عن الكفار من انكار البعث
ورد بان الفصحاء يزيدونها في مستهل قصائدهم وقيل نافية ليست
بزائدة كانه قال لا اقسم لانه لا حاجة الى القسم لظهوره وقيل زيدت توطئة
للنفي بعده نحو فلا وربك لا يومنون ويقدر هنا لا تتركون سدى هذا
لو فصر لكنه لم يقصر على النفي نحو لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان
في كبد ومثله فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقران كريم وقيل اصله
لاقسم بدليل قراءة ابن كثير ثم اشبع اللام فظهر الالف ورد بان نون
التاكيد لازم هذا اللام وكلام الله على طريقة كلام العرب فالاولى
فيها ما قال المبرد ولا اقسم بالنفس اللوامة نفوس البشر اكثرها لوامة
والمطمئنة قليلة او جميع النفوس في القيمة لوامة تلوم في القيمة نفسها ان
عملت خيرا لم ما استكثرته (وان شرا لم عملته) وجواب القسم مقدر نحو انكم لمبعوثون دال
عليه قوله ايحسب الانسان جنسه والمشركون ان لن نجمع عظامه بعد
تفرقها لعدم قدرتنا ان مخففة من الثقيلة والجملة مفعول ايحسب بلى
نجمعها قادرين حال من فاعل نجمع المقدر على ان نسوي بنانه اي على تسوية
بنانه بان نضم الانامل بعضها الى بعض على صغرها فكيف بكبار العظام
بل يريد الانسان ليفجر امامه مفعول يريد محذوف يكشفه بقوله ليفجر امامه
والامام ظرف مكان استعير للزمان وضمير امامه للانسان يعني
ليدوم على الفجور فيما يستقبله من الاوقات والمعنى على انكار الحسبان
او لا ثم الاضراب عنه بالاخبار عن حاله بما هو ادخل في اللوم والتوبيخ
وفيه ايماء بانه عالم بالحشر لكنه تغافل يسال ايان يوم القيمة سوال
انكار واستهزاء وتكذيب وتعجيز ويوم مبتدا وايان اسم استفهام
في موضع الخبر والجملة في موضع نصب بيسال فاذا برق البصر تحير فزعا
من شدة الهول وخسف القمر ذهب ضوءه والخسف يجي لازما ومتعديا

وجمع الشمس والقمر جمع بينهما في النار قيل جمع بعض اجزاء الشمس الى
بعض ويلف كالحصير وكذلك القمر وهذا القول جمع من السلف
ولم يقل جمعت لتغليب المذكر وهو القمر مع ان الشمس مؤنث غير حقيقي
يقول الانسان يومئذ اين المفر اي الفرار جملة اين المفر نصب
بيقول كلا من كلام الله لا حكاية لا وزر لا ملجأ الى ربك يومئذ
المستقر استقرار العباد ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر باعمال
اوائل عمره واواخره او بما عمل وبما ترك بل الانسان على نفسه
بصيرة حجة بينة تشهد عليها غير محتاجة الى الانباء وتانيثه باعتبار
ان معناه عين بصيرة وفي البحر الهاء للمبالغة ولو القى معاذيره ولو
جاء بكل معذرة عليها يعتذر بها عن نفسه فانه هو الشاهد عليها
قال الزمخشري المعاذير ليست بجمع معذرة وانما هو اسم جمع لها ونحوه
المناكير في المنكر اجاز النحويون فيما كان على حركة مفاعل ان يلحقها
الياء فيقال في مفاتح مفاتيح وفي سوابع سوابيع ولما ذكر منكر البعث
واعراضه عن ايات الله واختياره للعاجلة للفجور اعقبه بذكر العجلة
بتلقي القران لنفسه ولغيره رجاء ان يهديه الله لكمال اعتنائهم
في العاجلة وتمام اهتمامه في الاجلة ليظهر بذلك الفرق بين من يهتم
بتعجيل اية الله ومن رغب عنها فصد بها تتبين الاشيا فقال لا تحرك
به يا محمد اي بالقران لسانك لتعجل به لتاخذه على عجلة بلا تراخي نزول
الوحي كان يقرأ صلى الله عليه وسلم قبل فراغه مسارعة الى الحفظ
وخوفا عن الانفلات فنزلت ان علينا جمعه في صدرك وقرانه
واثبات قراءته في لسانك فاذا قراناه بلسان الملك عليك
واصغيته فاتبع قرانه فاتبع قراءته وكن مقفيا له فيه ثم ان علينا
بيانه بيان ما اشكل عليك من اللفظ والمعنى ولما تم امره لرسول الله
صلى الله عليه وسلم رجع الى السابق فقال كلا ردع لالقاء المعاذير
بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة تختارون الدنيا على العقبى فلا
تعملون للعقبى وما قبل المعترضة وما بعدها في التوبيخ على حب العجلة
والجملة المعترضة مشيرة الى انكار العجلة وان كانت في امور الخير وجوه

وجوه

يومئذ يوم اذ تكون الانسان على نفسه بصيرة ناضرة من النضارة
اي حسنة بهية مشرقة الى ربها ناظرة تراه عيانا وحين يرى ربه لا
يلتفت غيره والتفسير بغير ما فسرنا خلاف اجماع علماء الدين وانكار
صحاح الاحاديث وقد سمعت بعض المحققين ان الله يخلق نور المشاهدة
في جميع وجه كل مؤمن تقي فيصير وجهه كانه العين فيرى بتمام وجهه
وجه الله بلا تشبيه كما تتكلم الايدي والارجل ووجوه يومئذ باسرة
شديدة العبوس تظن تتوقع مستانفة او خبر بعد خبر وكذا قوله
الى ربها ناظرة ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر فقار الظهر وما للوجوه
الاول غاية النعمة ومقابله للوجوه الثاني غاية النقمة والتنوين في وجوه
ونظائره للتنويع ويقوم مقام الوصف المخصص للمبتدأ كلا ردع
عن ايثار الدنيا اذا بلغت النفس دل عليها سياق الكلام التراقي
اعالي الصدر وقيل القائل الملك اذ لا ان الحال اداها اليه من
راق من يرقيه مما به اي طبيب شاف يداويه وعن ابن عباس من
يرقى ويصعد بروحه لكراهة الملك بروح الكافر وظن المحتضر انه
ان ما نزل به الفراق فراق عشيقته اي الدنيا والتفت الساق
بالساق التوت الساق على الساق عند قلق الموت قيل الساق
مثل في الشدة يعني التفت شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الاخرة
الى ربك يومئذ المساق المرجع وجواب اذا بلغت مقدر اي
وجد ما عمل من الشر والخير فلا صدق ولا صلى الضمير للانسان
المذكور في ايحسب الانسان وهو كما قالوا التصديق ما يجب تصديقه
او فلا صدق ماله اي فلا زكاه ولكن كذب الحق وتولى عن الطاعة
ومن فسر صدق بمعنى التصديق ففي كذب يلزمه التكرار والاستدراك
بين متوافقين فلا بد ان يكون لكن استدراكا من لا صلى ثم ذهب
الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا وسرورا نزلت في ابي جهل مشيته
بني مخزوم اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى في الصحاح اولى
تهديد ووعيد اي يتكرر ذلك التهديد والدعاء عليه مرة بعد اخرى
ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يجازى

الم يك نطفة من مني يمنى اي يصب في الرحم ثم كان علقة فخلق منه بشرا من اشياء مختلفة فسوى سواه شخصا معتدلا اعضاؤه فجعل منه الزوجين اي الصنفين الذكر والانثى اليس ذلك الذي انشأ هذا النطفة من الانسان بقادر على ان يحيي الموتى ورد في السنة ان يقال بعده سبحانك فبلى او بلى والحمد لله الذي هدانا وصلى الله على سيدنا محمد وآله

سورة الانسان مكية او مدنية وآيها احدى وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان في معنى النحو انه نقل جماعة منهم ان اصله أهل وقال الفراء والمبرد هل اتى بمعنى قد اتى وقال جمع من النحاة هل لا يأتي بمعنى قد اصلا وفي تفسير ابن عباس اراد به ابا الانسان والاستفهام للتقرير وليس باستفهام حقيقي والمراد من الانسان الجنس حين من الدهر طائفة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا لم يعرف ولم يذكر وهذا الحين حين عدمه والجملة صفة حين بتقدير الراجع اي مذكورا فيه انا خلقنا الانسان اي بني آدم من نطفة امشاج جمع مشيج اي اخلاط والمراد من نطفة قد اختلط ماء الرجل والمرأة فيها نبتليه مريدين اختباره فالجملة حال فجعلناه سميعا بصيرا وهو بالسمع والبصر يتمكن من الطاعة والمعصية والمراد سمع وبصر حقيقي لا كسمع حيوانات العجم وبصرها انا هديناه السبيل بينا له طريق الحق اما شاكرا بسلوكها واما كفورا بالاعراض عنها ونصبهما على الحال من المفعول الاول لهديناه انا اعتدنا للكافرين الذين هم كفروا سلاسل واغلالا وسعيرا يعني ما لهم انهم في سعير وعلى ايديهم وارجلهم السلاسل وعلى اعناقهم الغل ان الابرار جمع بر او بار الذين هم شاكرون يشربون من كاس من خمر كان مزاجها كافورا عن ابن عباس تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك كافور الجنة ومسكها او فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانما مزجت بالكافور عينا بدل من محل من كاس بتقدير مضاف اي خمر عين يشرب بها فيه تضمين معنى يروى فلذلك عداه بالباء والشارب قد يروى وقد لا يروى فاد عدى بالباء علم ان الشرب كامل عباد الله يفجرونها تفجيرا اجروها حيث ارادوا وفي الاثر يشرب منها عباد الله ويخلون بانهم يجري حيث

شاءوا يوفون بالنذر مستانفة والنذر نوعان نوع بشرط مثل ان يقول هذا منذور ان رزقني الله الصحة وهذا ليس بشيء ونوع نذر قربة لان يرزقه العافية وهذا النوع ممدوح محمود ويخافون يوما كان شره مستطيرا منتشرا غاية الانتشار فيجتنبون عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه اي حب الله او الطعام قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا الاية مسكينا ويتيما واسيرا قال ابن عباس وغيره وان كان الاسير من اهل الشرك او المراد المسجون من المسلمين او الارقاء نزلت حين نذر علي وفاطمة صوم ثلاث لشفاء ولديهما فقضياها وحين ارادا الافطار اول ليلة وقف عليهما مسكين فاثراه فباتا بلا عشاء ثم وقف عليهما يتيم فاثراه وفي ثالثها وقف عليهما اسير من المشركين فاثراه فباتا جائعين فلم يفطرا في ثلاث الا بالماء انما نطعمكم لوجه الله اي قائلين ذلك بلسان الحال وفي ذلك جهة لا دليل ان ضمير على حبه لله لا للطعام لا نريد منكم جزاء ولا شكورا مصدر كالقعود وقيل هذا قول لسانهم ليعرف الفقير انها صدقة ليست للمجازاة انا نخاف من ربنا فتنة يوما اي من عذابه عبوسا اي عبوسا فيه اهله او يوما كالاسد العبوس في الضرر قمطريرا اي شديد العبوس عن عكرمة وغيره يعبس الكافر حتى يسيل من بين عينيه عرق كالقطران فوقيهم الله شر ذلك اليوم لانهم خافوا ذلك ولقاهم فيه نضرة بدل عبوسهم وسرورا بدل حزنهم وجزاهم بما صبروا على ترك المناهي واداء الواجبات جنة وحريرا يلبسونه متكئين فيها على الارائك السرر في الحجال حال من اول مفعول جزى لا يرون فيها جملة حالية من ضمير متكئين شمسا ولا زمهريرا لا حر مزعج ولا برد مولم بل هواء معتدل ودانية قريبة عليهم ظلالها عطف على جنة اي جنة اخرى وذللت سهلت قطوفها قطوف ثمارها تذليلا لا يمتنع على قطافها في جميع احوالهم الواو جاز ان يكون واو الحال من ضمير عليهم بتقدير العائد اي ذللت لهم ويطاف عليهم بانية اباريق للتعدية من فضة الماء اذا كان ظرفه ابيض فهو احسن واكواب اباريق بلا عروة كانت قوارير قوارير من فضة اي جامعة بين رقة الزجاج وصفائه وبياض الفضة ولينها ونصب قوارير على البدل قدروها تقديرا الضمير للطائفين

بها الدال عليه يطاف عليهم اى قدر الخدم الآنية على قدر ريهم وحاجتهم
لا يزيد ولا ينقص وهذا الذ قيل ضمير الجمع للابرار ان الضماير اى قدروها
فى انفسهم فجائت مقاديرها واشكالها كما تمنوها ويسقون فيها كاسا
خمرا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها المعنى والاعراب كما مر فى كان مزاجها
كافورا عينا والعرب تستطيب جدا طعم الزنجبيل تسمى سلسبيلا
لسلاسته فى الحلق ففيها طعم الزنجبيل لا احراقه ولذعه عن قتادة وغيره
الابرار يمزج لهم من هذا تارة ومن ذاك اخرى واما المقربون فيشربون
من كل صرفا ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا من صفاء الوانهم وطراوتهم وانتشارهم فى منازلهم واذا رايت
ثم اى اذا رميت ببصرك هناك رايت نعيما وملكا كبيرا واسعا مزتينا
مفعوله الاول متروك وثم ظرف ورايت الثانى جواب اذا عاليهم منصوب
على الحال من ضمير عليهم وقوله ثياب سندس فاعل عاليهم والسندس
مارق من الثياب اى يعلوهم ثياب رقيق خضر صفة سندس اذا قرأت
مجرورا واذا قرأت مرفوعا فصفة ثياب ومن قرأ عاليهم بسكون الياء
فجعله مبتدأ وثياب خبره واستبرق ما غلظ من الثياب وله بريق ولمعان
بالرفع عطف على ثياب وبالجر على سندس والمراد ان ثيابا عاليهم
بطانته من استبرق واما ان عاليهم اذا كان حالا من ضمير حسبتهم فتكون
الولدان عاليهم لكن الضمائر الآتية فى حلوا وسقاهم للمطوف عليهم وحلوا
عطف على ويطوف عليهم من اساور من فضة ولا يخالف واساور من
ذهب لامكان ان يكون فى وقت من فضة وآخر من ذهب اى يحلون
منهما على التعقيب وعلى الجمع قيل الفضة للابرار والذهب للمقربين
وسقاهم ربهم شرابا طهورا ليس كخمر الدنيا رجس قيل سقاهم ربهم
بيد عنايته بلا واسطة ان هذا كان لكم جزاء اى يقال لهم ذلك وكان
سعيكم فى الدنيا مشكورا عند الله مقبولا غير مردود ولما ذكر سبحانه وتعالى
للمخالف والطايع واوجز فيما اعد للعاصى واطنب فيما اعد للمطيع
اعقبه بما شرفه بتنزيل القران وقال انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا
اكد نحن بعد التوكيد بان مضمون الخبر ومدلول الجملة لمزيد اختصاص التنزيل

به صلى الله عليه وسلم فاصبر لحكم ربك بتاخير نصرك ولا تطع منهم آثما
او كفورا الآثم من ظهر عليه ردائة الاثم والكفور عكسه لان الكفر صفة
القلب وهو المنافق ومثله ولا تطع الكافرين والمنافقين وجاء بلفظ او
للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان والجمع بين الطاعتين اقبح
هما فالمون كامر سامحنا فى عبادة اصنامنا نسامحك فى عبادة ربك
ولو رجعت عن صلاتك وذكرك لاعطيناك كذا وكذا واذكر اسم ربك بكرة
واصيلا اول النهار وآخره قيل المراد صلوة الصبح والعشاء ومن الليل فاسجد له
اى سهر بعضه بالصلوة وسبحه ليلا طويلا لا تترك التسبيح كلما انتبهت من
نومك قيل المراد المغرب والعشاء والتهجد ان هؤلاء اشارة تحقير للكفرة يحبون
العاجلة الدار العاجلة ويذرون وراءهم ظهورهم يوما ثقيلا اقبلوا على الدنيا
وخلفوا يوما شديدا نحن خلقناهم وشددنا اسرهم توثيق مفاصلهم واذا
شئنا بدلنا امثالهم تبديلا او المراد النشأة الاخرى وحينئذ التبديل فى
الصفات واذا للدلالة على المستقبل المتسبب بالنشأة الاخرى ان هذه
السورة او آيات القران تذكرة عظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا طريقا
ومسلكا الى قربه بقبول عظته وقوله فمن شاء ليس تخييرا بل تحذير من اتخاذ
غير سبيله وما تشاؤن اتخاذ سبيله الا ان يشاء الله اى بان يشائكم
ايها الشاؤن هذا وظاهر ان ليست للعبد اختيار ومدخل فى مشيئته كيف لا
والا فالتسلسل ان الله كان عليما حكيما فيعلم من يستحق الهداية فيقيض له
اسبابها ومن يستحق الغواية فييسر له اسبابها وله الحكمة الباهرة فى ذلك
يدخل من يشاء فى رحمته بهدايته والظالمين اعد لهم عذابا اليما يعنى اوعد
او عذب الظالمين فنصبه بفعل يفسره ما بعده اللهم ادخلنا برحمتك فى رحمتك ه
ولا تجعلنا من الظالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

سورة والمرسلات مكية وآيها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا اقسم سبحانه بالرياح المرسلة
حال كونها متتابعات تهب شيئا فشيئا ومعنى العرف التتابع كشعر العرف
تقول العرب الناس جاؤا الى فلان عرفا واحدا اذا توجهوا اليه متتابعين
فالعاصفات عصفا وبالرياح الشديدة الهبوب فالعصف وقع

في صفة الريح في عدة مواضع من القرآن والناشرات نشرا وبالملائكة
الناشرات أجنحتهن عند الوحي فيه ترقٍّ إلى أشرف وجاء بالواو للتغاير
الكلي الذي هو في الذوات وتغاير الصفات يقتضي الفاء كما في قوله
تعالى فالموريات فالمغيرات فإنها راجعة إلى الخيل وإن الذي
يأتي صفات الملائكة فالفارقات فرقا والملقيات ذكرا عن ابن كثير
أن إجماع السلف على أن المراد الملائكة الفارقة بين الحق والباطل بسبب الوحي
والمراد بالملقيات الملقيات الوحي إلى الرسل وعلى ما قلنا جهة ذكر الواو
بين الفاءات ظاهر لكن بعض السلف قد فسر المرسلات عرفا بالملائكة
حال كونهم يتبع بعضهم بعضا والعاصفات بالملائكة العاصفات
عصف الرياح في امتثال أمر الله عذرا أو نذرا ونصبهما بالعلية أي الإلقاء
الذكر بسببين لإعذار المحقين وإنذار المبطلين قيل هما بدلان من ذكرا إنما
توعدون لواقع من الثواب والعقاب في القيمة لواقع وهذا جواب القسم
فإذا النجوم طمست محي نورها وإذا السماء فرجت انشقت وإذا الجبال
نسفت قلعت عن أماكنها وإذا الرسل أقتت جمعت وعين لها الوقت
الذي يحضرونه للشهادة لأي يوم أجلت أي يقال لأي يوم أخرت وضرب
الأجل لجمعهم وذلك تعظيم لليوم وتعجيب منه والظاهر أن قوله فإذا النجوم
وفيما عطف عليه ظرف ليقال الذي قدرناه في لأي يوم قال صاحب البحر جواب
فإذا محذوف يدل عليه ما قبله يعني إذا كان كذا وكذا وقع ما توعدون ليوم
الفصل بين الخلائق بيان ليوم التأجيل وما أدراك ما يوم الفصل لعظمته
لا تكتنه كنهه ويل يومئذ للمكذبين بذلك اليوم في ذلك اليوم قيل فإذا وما عطف
عليه ظرف للويل وعلى هذا يومئذ بدل من إذا ألم نهلك الأولين من الأمم
المكذبة ثم نتبعهم الآخرين نتبعهم أمثالهم من الآخرين لكفار مكة كذلك مثل
ذلك الفعل نفعل بالمجرمين وهم الكفار ولذلك قال ويل يومئذ للمكذبين
هذا التكرار شائع في لغة العرب وعرفهم للتوكيد نحو بأي آلاء ربكما تكذبان
ولما ذكر إفناء الجميع عقبه ببيان أصل الخلقة ليستدل على تجويز البعث فقال
ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين أي الرحم إلى قدر معلوم مقدار
من الوقت معلوم عند الله فقدرنا ذلك من التقدير لا من القدرة في قراءة

التخفيف

التخفيف أيضا لتوافق القراءتين مع قوله إلى قدر معلوم فنعم القادرون
نحن وجمع القادرون لتناسب نخلق وجعلناه وقدرنا ويل يومئذ للمكذبين
ألم نجعل الأرض كفاتا أي وعاء أحياء وأمواتا تكفت أحياء على ظهرها
وأمواتا في بطنها فنصبهما بفعل مقدر أو بكفاتا أي كافتة أحياء وأمواتا
وجعلنا فيها رواسي جبالا ثوابت شامخات طوالا وأسقيناكم ماء فراتا
عذبا من الأمطار والأنهار ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا أي يقال
لهم في ذلك اليوم اذهبوا إلى ما كنتم به تكذبون في الدنيا انطلقوا إلى ظل
تكرار بيانا للمنطلق إليه أي ظل دخان جهنم ذي ثلث شعب أي تشعب
لعظمه ثلث شعب كما ترى الدخان العظيم يتشعب ذوائب لا ظليل
نفي لمحاسن الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا نقل أنه
يعلو من ثلثة مواضع يظن الكافر أنه مغن من النار فيهمون إليه للاستدراج
فإذا هم في أشد ما هم فيه من الحر والعذاب إنها ترمي بشرر تطاير من
النار كالقصر في عظمه أو جمع قصرة أي شجرة غليظة عن ابن عباس كنا نقطع
الخشبة للشتاء نحوا من ثلثة أذرع ونسميه قصرا كأنه جمالات صفر جمع جمال
جمع جمل والشرر شبه بالقصر في العظم وبالجمالات في اللون والاختلاط
ومن قرأ بضم الجيم فمراده الحبال الغلاظ الطوال من حبال السفن شبهه بها
في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون يوم القيمة
خمسون يوما كل يوم ألف سنة ففي يوم من أيامها وقع القول عليهم بما ظلموا
فهم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون يعني لا يحصل لهم الإذن ولا الاعتذار
عقيبه فيعتذرون عطف على يؤذن ولم يقل فيعتذروا نصبا على الجواب
لإيهام أن لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل
بين المحق والمبطل جمعناكم والأولين ليمكن الفصل فإن كان لكم كيد
فكيدون في الفرار فيه تقريع وتهديد على كيدهم في الدنيا لإطفاء دين الله
ويل يومئذ للمكذبين إن المتقين مقابل للمكذبين في ظلال وعيون وفواكه
مما يشتهون أي مستقرون في أنواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون
بسبب أعمالكم الحسنة أي يقال لهم ذلك إنا كذلك نجزي المحسنين في العقائد
والأعمال ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا كلام مستأنف خطاب

للمكذبين انكم مجرمون استيناف علة لقلة التمتع ويل يومئذ للمكذبين
واذا قيل لهم اركعوا اي صلوا لا يركعون لا يصلون ويل يومئذ للمكذبين قيل
هذا من باب الالتفات من الخطاب في قوله كلوا العدم الالتفات اليهم
فباي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به مع انه لا حديث
يدانيه روى الامام احمد والترمذي وابو داود ونقله ابن كثير في سورة القيمة
من قرأ والمرسلات عرفا فقرأ فباي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنت
بالله وبما انزل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين

سورة النبأ مكية وآيها اربعون

بسم الله الرحمن الرحيم عم حرف جر دخلت على ما الاستفهامية بحذف
الالف في كثرة الاستعمال واستعمالها على الاصل في غاية القلة يتساءلون
يتساءل المشركون بينهم عن القيمة استهزاء وهذا الاستفهام فيه تفخيم
وتهويل وعن متعلق بيتساءلون عن النبأ العظيم بيان لشان المفخم او تقديره
يتساءلون عن النبأ وقيل متعلق بيتساءلون المذكور وعم بفعل مقدر يفسره
ما بعده وقراءة عمه يشعر ذلك فانه وقف عليه ثم ابتدأ بيتساءلون
كانه قال يتساءلون عمه ثم قال يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه
مختلفون بالاقرار والانكار كلا ردع عن هذا التساؤل والاختلاف
سيعلمون ثم كلا سيعلمون التكرار للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد
الثاني اشد فلما ردعهم قررهم على النظر في غرائب آياته التي ابدعها من
العدم لان يفضي ذلك الى الاستدلال على صحة ما اخبر به نبيه فقال
الم نجعل الارض مهادا فراشا والجبال اوتادا للارض حتى لا تتحرك وخلقناكم
ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا من سبت اي استراح وترك
الشغل وجعلنا الليل لباسا غطاء يستركم عن العيون وجعلنا النهار
معاشا وقت معاش تحصلون فيه ما تعيشون به وبنينا فوقكم سبعا
شدادا قوية محكمة لا تتناثر وجعلنا سراجا وهاجا هو الشمس كانها نار
اتقدت والاولى ان نجعل جعل من المتعدي الى الواحد وان يكون وهاجا
صفة لسراجا فلا يكون المفعول الاول لجعل نكرة صرفة وانزلنا من المعصرات
اي ذوات الاعاصير من الرياح تعصر السحاب والرياح كالمبدأ

الفاعلي

الفاعلي للمبدأ لانها تنشئ السحاب فتجازانه منه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات
والمعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح نحو
اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض ماء ثجاجا منصبا بكثرة لنخرج به
بذلك الماء حبا ونباتا ما يأكل الناس والانعام وجنات الفافا ملتفة
بعضها ببعض في الصحاح اللف واحدة الالفاف او جمع ملتفة ولا
واحد له من لفظه ان يوم الفصل بين الحق والباطل كان في علم الله
ميقاتا وقتا محدودا ينتهي الدنيا عنده قد ذكر عجائب صنعه وغرائب
كمال قدرته فاعقبه بقوله ان يوم الفصل يستدل العاقل بتلك
الآية على امكان مثل ذلك اليوم يوم ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل
والمراد النفخة الثانية فتأتون افواجا زمرا جماعات من القبور الى الموقف
وفتحت السماء شقت فكانت صارت ابوابا ذات ابواب او من كثرة
الشقوق كان الكل ابواب وهذا في اول الامر ثم تتمزق فتصير كالحصير
وسيرت الجبال في الهواء فكانت سرابا صارت شيئا كلا شيء لانها كالهباء
في الهواء ان جهنم كانت مرصادا هو الحد الذي فيه الحراس اي موضع
يرصد الكفار فيه للطاغين مآبا مرجعا وقوله للطاغين جاز تعلقه بمرصادا
وجاز بمآبا لابثين فيها في جهنم احقابا حقبا بعد حقب الحقب ثمانون
سنة والحقب السنون والحقب الدهر كذا في الصحاح وعن علي وابن
عباس وغيرهما كل حقب ثمانون سنة كل يوم الف سنة مما تعدون
لابثين حال من الطاغين واحقابا ظرف لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا
روحا ينفس عنهم حر النار والشراب ما يسكن عطشهم الا حميما ماء في غاية
الحرارة وغساقا ماء اصفر يسيل من جلود اهل النار وهو البارد المنتن
الذي يحرق كما يحرق الحميم والاظهر ان نفي البرد والشراب عن احد في مقام
المقيمه الاول لا يخطر بالبال سوى نفي ما يبرد حرهم ويسكنهم عن الاهوال
ولا يلزم من نفيه اثبات شيء مما يزعجهم فناسب تعقيبه بالاستثناء المنقطع
الا ان نجعله من باب تحية بينهم ضرب وجيع وعلى هذا لا يذوقون مستانفة
وضمير فيها لجهنم كضمير فيها الاول لا لاحقابا جزاء وفاقا اي جوزوا بذلك
جزاء ذا وفاق وصف بالمصدر للمبالغة انهم كانوا لا يرجون لا يخافون حسابا

لانهم ينكرونه وكذبوا باياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل شايع مطرد
وكل شيء احصيناه كتابا في الاحصاء بمعنى الضبط وكذا في الكتاب
فجاز تقديره مفعولا مطلقا وجاز ان ينصب على الحال بمعنى المكتوب
في اللوح فذوقوا يعني يقال لهم ذوقوا حميما وغساقا والفاء للسببية
لان ذلك مسبب عن عدم الخوف من الحساب فلن نزيدكم الا عذابا عن
ابن عمرو وغيره لم ينزل في اهل النار اية اشد من هذه ثم ان التقدير انهم
لما كذبوا باياتنا صاروا احقاء بمثل هذا العذاب وقوله وكل شيء احصيناه
كتابا معترضة بينه وبين قوله فذوقوا وانما خص ما ذكر من العذاب
بهم كيت وكيت لانهم فعلوا كذا وكذا ونحن قد ضبطناه وحفظناه وعلى
هذا وكل شيء احصيناه جملة حالية ولما ذكر سيئة مآل اهل النار عقبه
بحال مقابليهم فقال ان للمتقين مفازا اي موضع فوز وظفر بالبغية
حدائق واعنابا بساتين فيها انواع الثمرات على اشجارها الاعناب
على ان يكون بدل اشتمال والتقدير فوز حدائق فيكون بدل البعض
وكواعب عذارى استدارت ثديهن اترابا مستويات في السن
وكاسا دهاقا مملوة لا يسمعون فيها لغوا كلاما خاليا عن الفائدة ولا
كذابا تكذيبا لان كلامهم كله صدق فلا يكذب بعضهم بعضا جزاء من
ربك بمقتضى وعده منصوب بمصدر موكد من معنى ان للمتقين مفازا
كانه قال جازى المتقين بمفاز عطاء حسابا تفضلا كافيا من احسبه
الشيء اذا كفاه وهو بدل من جزاء لا انه مفعول به لجزاء لان المصدر
الموكد لا يعمل بلا خلاف من النحاة كذا في البحر رب السموات والارض
وما بينهما بالجر بدل من ربك الرحمن بالجر صفة رب وبرفع رب مع
رفع الرحمن مبتدا وخبر وبرفع الرحمن مع جر رب فمقدر هو فيه ثلث
قراءات كما عرفته لا يملكون مستانفة والضمير للمشركين منه من الرحمن
خطابا عام لانه في سياق النفي اما المومنون فيشفعون ويقبل
الله ذلك منهم كذا نقل عطاء عن ابن عباس ومعناه لا يملكون
يعني اهل السموات والارض من الرحمن خطابا يتصرفون فيه اي وقت
باي وجه يريدون كتصرف المالك في ملكه يوم يقوم الروح خلق اعظم

من

من الملك على صورة البشر او ملك يعدل جميع الخلق هو صف وسائر
الخلق صف او جبريل صاحب الوحي والملائكة صفا صافين لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن يوم ظرف لا يملكون او لا يتكلمون وفيه تقرير
وتوكيد لا يملكون منه خطابا فان الروح وجميع الملك مع كمال قربهم
لا يتكلمون الا باذنه فكيف غيرهم وقال صوابا يعني للتكلم شرطان الاذن
والتكلم بالصواب فلا يشفع لغير المستحق وقيل الشرطان الاذن والتكلم
بالصواب في الدنيا فالكافر لا يتكلم كلاما نافعا لنفسهم او لغيرهم ذلك
اليوم الحق الكائن الواقع فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا مرجعا بالطاعة
ليقيه من عذاب ذلك اليوم فيه وعيد وتهديد انا انذرناكم الخطاب
لمن حضر النبي صلوات الله عليه وسلامه ولمن ياتي بعده عذابا قريبا
عذاب الآخرة وكل ما هو آت قريب مع ان مبداه الموت وانه
بحمد اقرب الامم من القيمة يوم ينظر المرء عام في كل مومن وكافر ما قدمت
يداه من خير وشر لقيام الحجة له او عليه وما موصولة مفعول ينظر او استفهامية
مفعول قدمت والتقديم للصدارة ويوم بدل من عذابا بحذف
المضاف اي عذاب يوم او بدل اشتمال من عذابا ويقول الكافر
من بينهم يا ليتني كنت ترابا في الحديث يوم ذلك حين يقتص للشاة الجماء من
القرناء ثم قال لها كوني ترابا فعند ذلك تمنى الكافر وقيل تمنى ان يكون في
الدنيا ترابا فلم يخلق ولم يكلف والحمد لله على الاسلام والصلوة على محمد واله

سورة النازعات مكية آيها خمس او ست واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات عن علي وابن مسعود وابن عباس
انها ملائكة تنزع ارواح الكفار غرقا اغراقا في النزع فانها تنزع ارواحهم
من اقاصي اجسادهم بشدة او المراد النجوم ونزعها انتقالها من المشرق
الى المغرب واغراقها قطع فلكها كله او قسي الغزاة والناشطات
نشطا ملائكة تنشط اي تخرج ارواح المومنين كما ينشط العقال من يد البعير
او النجوم التي تخرج من برج الى برج او الغزاة تخرج السهم من الرمية والاول
هو الاصح وقد ورد في حديث نقله الغزالي في بداية الهداية انه قال صلى
الله عليه وسلم لمعاذ هل تدري يا معاذ ما الناشطات قال بابي انت وامي

ماهي قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم وفي الصحاح نشطته الحية عضته
والسابحات سبحا اي السيارات كل في فلك يسبحون او الملائكة تسبح
في السير تسرع في قضاء امر الله او خيل الغزاة او السفن فانها تجري في
كف الله سبحانه كما ورد في الحديث فالسابقات سبقا الملائكة التي
سبقت ابن آدم بالايمان والاعمال او ارواح المؤمنين تسبق
شوقا الى لقاء الله او النجوم تسبق بعضها بعضا او خيل الغزاة فالمدبرات
امرا الملائكة التي تدبر امر الله ولا خلاف بين السلف في الاخير وجواب
القسم وهو مثل لتبعثن محذوف يدل عليه ما بعده يوم ترجف الراجفة
وتموت فيها الخلائق اي الواقعة التي تضطرب عندها الاجرام ويوم
الا ظرف لتبعثن المقدر او مقدر باذكر تتبعها الرادفة الواقعة الرديفة
للاولى التي تحيي الخلائق فيها وجملة تتبعها حال او مستأنفة والمراد منهما
النفختان وبينهما اربعون سنة قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب
خائفة ابصارها ابصار اصحاب القلوب خاشعة ذليلة من الخوف
بيان لاثر الذل في اعينهم جاز ان يكون واجفة صفة القلوب لا خبر لها وجملة
وجملة ابصارها خاشعة هي الخبر يقولون مستأنفة للتعليل كأنه قال لانهم
يقولون في الدنيا ائنا لمردودون في الحافرة يقال رجع في حافرته اي من حيث
جاء يعني في الحالة الاولى وهي الحيوة وفي الصحاح الحافرة اول الامر ائذا كنا
عظاما نخرة اي ائذا كنا عظاما بالية نرد فالمحذوف عامل اذا قالوا تلك
اذا كرة خاسرة اي الردة الى الحالة الاولى ان صحت فرجعة ذات خسران
وهذا منهم استهزاء فانما هي زجرة واحدة هذه قول الله اي لا تستصعبوها
فانما هي الا صيحة واحدة هي النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة الساهرة الارض
المستوية فاذا الناس احياء فيها عن ابن عباس ارض يخلقها الله ولما اقسم
على ان البعث حق واتبعه انكارهم اعقب تسلية قلب محمد صلى الله عليه
وسلم بحكاية موسى وفرعون وانتقام الله منه فقال هل اتاك حديث
موسى توقيف لرسول الله صلى الله عليه وسلم على جميع النفس لاستماع
الحكاية اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى قد مر في سورة طه اذهب تفسير
للنداء الى فرعون انه طغى تكبر وتمرد فقل هل لك الى ان تزكى اي هل لك

الليل

الميل والاستعداد فان كل عاقل له رغبة في التحلي بالفضائل والتطهر عن
الرذائل واهديك الى ربك الى معرفته او الى عنايته ووصاله فتخشى من
عقابه والخشية ملاك الامر فاراه يعني فذهب فاراه الاية الكبرى اي
المعجزة الكبرى فكذب بانها معجزة من الله وعصى ربه ثم ادبر اعرض
عن المقاولة يسعى ساعيا في الفساد وابطال امره فحشر جمع جنوده فنادى
في المجمع فقال انا ربكم الاعلى لا رب لكم فوقي قيل هم يعبدون الصنم فاراد انه ربها
وربكم فاخذه الله نكال الاخرة بالاحراق في الاخرة والاولى بالاغراق
في الدنيا نصب نكال بانه مفعول له بمعنى التنكيل كالسلام وعن مجاهد
نكال الكلمة الاخرة انا ربكم الاعلى ونكال الكلمة الاولى ما علمت لكم من اله
غيري وبينهما سبعون سنة ان في ذلك فيما جرى له ووقع عليه لعبرة
لمن يخشى اي لمن كان من شانه الخشية ولما تم مجمل امره وقف من هو على
دينه في انكار البعث بقدرته الشاملة فقال ءانتم يا منكري البعث اشد
اصعب خلقا بعد الموت منصوب على التمييز ام السماء يعني في نظركم
ثم بين كيفية خلقها فقال بنيها ثم بين البناء فقال رفع سمكها جعل
مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا فسويها عدلها مستوية بلا تفاوت
او من سويت امره اذا اصلحته واغطش ليلها واخرج ضحيها ابرز
ضوء شمسها اضاف الليل والنهار الى السماء لانهما يحدثان من حركتها
والارض بعد ذلك دحيها بسطها قد مر بسط الكلام في سورة حم السجدة
فلا نعيد ونقل الامام الواحدي في بسيطه عن مقاتل ان خلق السماء مقدم
على الجبال والارض فضلا عن دحوها لكن الكثيرون من الصحابة صرحوا بان خلق
نفس الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال والاكام وما بينهما في الثلثاء
والاربعاء وخلق السماء في الخميس والجمعة وصرح ابن عباس ان خلق الارض
مقدم على السماء لكن الدحو هو البسط وخلق الجبال والانهار والمرعى
مؤخر عنها ودل على ذلك سورة حم السجدة وعلى اي وجه كان في ذلك اشكال
اخرج منها ماءها في البحار انه حال ولهذا ترك العطف وعند الاخفش
ان الماضي يقع حالا من غير احتياج الى تقدير قد ومرعيها الرعي بالكسر
الكلأ وبالفتح المصدر والمرعى يقع عليهما وعلى الموضع والجبال ارسيها

اثبت الارض حتى لا تتحرك متاعا تمتيعا مفعول له لا خرج لكم ولانعامكم
واثبات الجبال الارض ايضا للتمتيع فاذا جاءت الطامة الكبرى الداهية
التي تطم وتعلو على الدواهي وهي القيمة يوم يتذكر الانسان ما سعى ما عمل
في الدنيا بدل من اذا جاءت وبرزت الجحيم لمن يرى لمن له عين فاما من
طغى تمرد واثر الحيوة الدنيا على الاخرة فان الجحيم هي الماوى اي ماواه والالف
واللام ساد مسد الاضافة للعلم به واما من خاف مقام ربه مقامه
بين يديه في القيمة فيه تهويل وتخويف ونهى النفس عن الهوى عن اتباع
هواها وهذا كقوله آمن وعمل صالحا يعني امره وشغله نهي النفس فان الجنة
هي الماوى هي ماواه جواب فاذا جاءت فاما واما كانه قال فاذا جاءت
فان الطاغي للجحيم ماواه وان الخائف للجنة ماواه وزيادة اما لزيادة المبالغة
وتحقيق الترتيب والثبوت على كل تقدير قيل الجواب محذوف تقديره
وقع ما وقع وقوله فاما واما تفصيل للجواب المجمل المحذوف يسئلونك
عن الساعة ايان مرسيها ارسائها واقامتها فيم انت من
ذكراها من ان تذكر وقتها لهم يعني ما انت من تبيين وقتها في شيء
وقيل تتمة لسؤالهم اي سالوا متى وقتها وفي اي شيء انت من ذكراها
اي هل لك يقين او ظن او جهل وعلى هذا قوله الى ربك منتهاها هو
الجواب اي منتهى علمها الى الله وحده انما انت منذر من يخشيها لا معين
وقتها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبر الا عشية او ضحيها
يعني استقصروا امدة لبثهم في الدنيا كانها لم تبلغ يوما كاملا نقص من
اوله او من آخره والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله

سورة عبس مكية آيها احدى واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى قد كان عنده عليه الصلوة والسلام
بعض عظماء قريش وقد جاء عبد الله ابن ام مكتوم وهو من قدماء
المسلمين يسال عن شيء ويلح فعبس في وجهه واعرض عنه واقبل
عليهم وهو ضرير ان جاءه الاعمى اي لان جاءه او بسبب ان جاءه
تنازع الفعلان فيه واحتمل هنا اعمال الثاني كمختار البصريين واعمال
الاول كمختار اهل الكوفة وما يدريك اي شيء يجعلك داريا بحال الاعمى

انتقل

انتقل من الغيبة في عبس الى الخطاب بالكاف لعله يزكى يتطهر باطنه
عن كل خبث بما يتعلم منك او يذكر يتعظ فتنفعه الذكرى فينتهي عن
جميع المعاصي عمل يدري في جملة الترجي اي لا يدري ما هو مترجى منه
من تزكٍّ او من تذكر وقيل المعنى وما يطلعك على امره وعقبى حاله
ثم ابتدأ وقال لعله يزكى اما من استغنى المراد من له ثروة وغنى
وقد توجه صلى الله عليه وسلم عليه رجاء اسلامه فانت له تصدى
تتعرض له بالاقبال اليه وما عليك ضرر الا يزكى في ان لا يتزكى بالاسلام
فلم تعرضت له واعرضت عنه واما من جاءك يسعى يمشي بسرعة
وطلب لامر وهو يخشى الله فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهي اذا اشتغل
عنه وليس من اللهو الذي هو من ذوات الواو وكان صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك يكرمه واذا جاء يقول له مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه
على المدينة مرتين في غزوتين كلا ردع عن معاودة الى مثله انها اي ايات
القران او التي نبئت لنا بينت الخبر يعني القران تذكرة مستوية لك
ولغيرك فمن شاء ذكره اتعظ به او حفظه قوله فمن شاء جملة معترضة تتضمن
الوعد والوعيد اي بالضمير المذكر لان التذكرة ذكر في صحف مكرمة
عند الله مرفوعة رفيعة القدر مطهرة من ايدي الشياطين بايدي
سفرة ملائكة رسل السفير الرسول كرام على الله بررة اتقياء لعل
الصحف بايدي الملائكة ينتسخون القران من اللوح المحفوظ حين ينزلونه
الى السماء الدنيا قيل السفرة الصحابة لان بعضهم يسفر الى بعض في
الخير والتعليم والتعلم ولما وصف القران وما وصفه الا لان يعلم
الانسان صفاته الحسنى فيؤمنون به ولم يؤمنوا قال قتل الانسان
ما اكفره ما اشد كفره دعاء على منكري البعث باللعن والطرد وابلغ وجه
وفيه تعجيب من اي شيء حقير مهين خلقه من نطفة خلقه فقدره بين ذلك
الشيء المهين مع ما انعم عليه اي فقدره اطوارا الى ان تم خلقه او هياه
لما يصلح له من الاشكال ثم السبيل الى الخروج من بطن امه يسره نصب
السبيل بفعل يفسره ما بعده ثم اماته فاقبره جعل له قبرا صيانة له
لجسده او لا يكون كالسباع ملقى تكرمة له ثم اذا شاء انشاره انشره

احياه بعد موته كلا ردع للانسان عن الكفر لما يقض ما امره اي لم يقض
الانسان ما امره الله وفي البخاري عن مجاهد لا يقضي احد جميع ما كان
عليه فان الانسان لا ينفك عن تقصير فلينظر الانسان الى طعامه
فيه امتنان واستدلال على البعث انا صببنا الماء صبا المطر استيناف
مبين لكيفية احداث الطعام وعلى قراءة انا بالفتح بدل الاشتمال
من طعامه ثم شققنا الارض بالنبات شقا ويحتمل ان يكون المراد
الشق بالكراب على البقر واسند الفعل الى الموجد والمقرر ان اسناد
الفعل حقيقة لمن قام به لا لمن صدر عنه ايجادا فلا يرد اعتراض على
من قال الاسناد الى ذاته الاقدس مجاز فانبتنا فيها في الارض حبا
كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا القضب القت فانه يقضب ويقطع
في السنة الواحدة مرات او مطلق علف الدواب وزيتونا ونخلا وحدائق
غلبا تين غلاظا وفاكهة كالتين والتفاح وابا في الصحاح
الاب المرعى من علف الدواب متاعا تمتيعا لكم ولانعامكم فاذا
جاءت الصاخة القيمة من صخه ضرب اذنه فاصمها فان صيحة
القيمة تصخ الاذان من شدتها يوم يفر المرء بدل من اذا جاءت
من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه حذرا من مطالبتهم منه بشيء
ولاشتغالهم بشان انفسهم لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يشغله
عن شان غيره وفي الحديث ان عائشة رضي الله عنها سالت اينظر
بعضنا عورة بعض حين قال عليه الصلوة والسلام تحشرون حفاة
عراة غرلا فقال صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه
الامر اشد وجواب فاذا مقدر تقديره اشتغل كل انسان بنفسه
لان الجواب اذا كان جملة اسمية وجب الفاء وجوه يومئذ مسفرة
مضيئة ضاحكة مستبشرة فرحة بما نال من فضل الله ووجوه يومئذ
عليها غبرة كدورة ترهقها تغشاها قترة سواد وظلمة التنوين في
وجوه للتنويع يقوم مقام الوصف المخصص للمبتدا او لتجنس ما
ذكرنا في قوله قلوب يومئذ واجفة اولئك اي اصحاب تلك
الوجوه التي عليها الغبرة هم الكفرة الفجرة كان جمع الغبرة الى

سواد الوجه لجمعهم الفجور الى الكفر اللهم لا تحشرنا فيهم وصلى الله على محمد واله

سورة التكوير مكية آيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت جمع بعضها الى بعض ولفت
او اظلمت والقيت في جهنم والاولى ان رفع الشمس وما يجي من مثله
بفعل مضمر يفسره ما بعده لان اذا طالب للفعل وعند الاخفش والكوفيين
يجي الجملة الاسمية بعد اذا فالشمس كورت مبتدا وخبر واذا النجوم انكدرت
تغيرت عن حالها فلم يبق لها ضوء او من انكدر الطير اذا سقط عن عشه
يعني تناثرت من السماء واذا الجبال سيرت في الهواء واذا العشار
الحوامل من الابل التي وصلت في حملها الى الشهر العاشر وهي عند العرب
خيار اموالهم او المراد من العشار السحاب عطلت عن المطر او الارض
التي تعشر عطلت عن الزرع عطلت تركت وسيبت واذا الوحوش
حشرت جمعت فاختلط الناس والدواب او بعثت ليقتص بعضها من
بعض او اميتت عن ابن عباس حشر كل شيء موته سوى الانس والجن
واذا البحار سجرت اوقدت فصارت نارا وقد مر في سورة الطور واذا
النفوس زوجت بابدانها او المؤمن مع المؤمن والكافر مع الكافر
واذا الموؤدة البنات المدفونة حية سئلت باي ذنب قتلت سؤالها
لتوبيخ قاتلها وتبكيته كتبكيت النصارى بسؤال انت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين والظاهر ان يكون قتلت بالخطاب لكن جاء بهذه الصيغة
بناء على ان الكلام اخبار عنها واذا الصحف صحف الاعمال نشرت للحساب
فانها كانت مطوية عند كتابه او فرقت بين اصحابها واذا السماء كشطت
كشفت وازيلت كما يكشف الغطاء عن الشيء واذا الجحيم سعرت اوقدت
شديدا واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما احضرت
من خير وشر وهو جواب اذا والمراد الزمان الممتد الذي هو خمسون الف
سنة ونفس في معنى العموم كتمرة خير من جرادة وقيل علمت نفس
كافرة فالتنوين للتنويع فلا اقسم قد مر زيادة لا في القسم بالخنس من
خنس اذا تاخر واختفى الجوار السيارة الكنس من كنس الوحش اذا دخل كناسه
المراد السيارات الخمس تجري مع النيرين وترجع حتى تختفي تحت ضوء

الشمس والليل اذا عسعس اقبل ظلامه نحو والليل اذا سجى والليل اذا
يغشى والصبح اذا تنفس والمراد زمان اضائته يجئ معه روح ونسيم
والتقدير اقسم بعظمة الليل اذا عسعس فاذا ظرف لمضاف مقدر
فان الاقسام بالشئ اعظام له لا ظرف لاقسم لفساد المعنى
او المعنى اقسم بالليل كائنا اذا عسعس فكائنا حال مقدر من الليل
وعامله اقسم ولا يضر كونه اتيا او اذا بدل من الليل كانه قيل والليل
وقت غشيانه والنجم وقت هويه انه اى القران لقول رسول كريم
جبريل فانه قاله عن الله ذى قوة شديد القوى عند ذى العرش مكين
ذى مكانة عنده او عند صفة رسول اى كائن عنده كينونة لائقة
بذى العرش مطاع ثم اى فى السموات يصدر الملائكة عن امره
امين على الوحى والامر وما صاحبكم محمد عليه الصلوة والسلام
بمجنون كما زعمتم وهذا ايضا من جواب القسم والكلام مسوق
لحقية المنزل ليدل على صدق ما فيه فيثبت به القيمة واهوالها ولهذا
وصف من اتى بالقول بالاوصاف المناسبة العظيمة واما وصف
من انزل عليه فلا مدخل له فى هذا الغرض الذى هو حقية القران الا
دفع ما زعموا فيه من جنونه فاكتفى به ولقد راه بالافق المبين اى ولقد
راى محمد جبريل بمجمع الافق الظاهر وهذا هو ما فى الحديث رائيه بصورته
مرتين وقد سد الافق واين للشيطان ان يتصور بمثل ذلك وما هو
محمد على الغيب على كل ما اطلع عليه مما كان غائبا عنه بظنين
بمتهم عند الله تعالى فانه امين للرسالة ومن قرا بالضاد فمعناه ليس
بخيل على الغيب بل يبذله ويعلم الناس وما هو بقول شيطان
رجيم فليس بسحر ولا شعر فاين تذهبون هذا يقال لمن ضل الطريق
استضلال لهم فانهم نسبوه مرة الى الجنون ومرة الى الكهانة قال فى
اى عالم تراهم فى كل واد يهيمون ان هو الا ذكر عظة للعالمين
للثقلين لمن شاء منكم بدل من للعالمين ان يستقيم على الحق والقران
لا ينتفع الا من اراد الاستقامة فكانه لم يوعظ به غيره وما تشاؤن
الاستقامة الا ان يشاء الا ان يشاء الله رب العالمين مالك

الخلق

الخلق ومربيهم نزل وما تشاؤن حين قال ابو جهل عند نزول لمن شاء
منكم الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم والحمد لله على الاستقامة

سورة انفطرت مكية آيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب
انتثرت تساقطت واذا البحار فجرت فتحت مجاريها فذهب ماؤها
فلا يبقى بحر او فتح بعضها الى بعض فصار الكل واحدا واذا القبور
بعثرت قلب ترابها وبعث من فيها من الموتى احياء علمت نفس
ما قدمت واخرت معناه ما مر فى سورة لا اقسم وهو جواب اذا يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم اى شئ جراك على عصيان من لطف
بك حتى قابلت لطفه بالمعاصى اما عرفت ان الكرم يقتضى عدم التسوية
بين المطيع والعاصى وعن عمر وابن عباس غره والله جهله الذى
خلقك فسويك جعل اعضاءك سليمة مسواة فعدلك صيرك
معتدلا متناسب الخلق وقراءة التخفيف بمعنى عدل بعض اعضائك
ببعض حتى اعتدلت فمعناهما واحد فى اى صورة ما زائدة للعموم
شاء ركبك فى اى صورة شاءها فما زائدة وعنه صلى الله عليه
وسلم النطفة اذا استقرت فى الرحم احضر كل عرق بينه وبين آدم
ثم قرا فى اى صورة ما شاء ركبك كلا ردع عن الاغترار بالرب الكريم
بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان حقيقة ما هو السبب فى المعاصى
والدين الجزاء وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
ملائكة كراما على الله كاتبون اعمالكم واقوالكم والاولى ان الواو للحال
اى تكذبون بيوم الجزاء والكاتبون الحفظة يضبطون اعمالكم لان يجازوا
عليها وفى تعظيم الكتبة تعظيم لامر الجزاء ان الابرار لفى نعيم وان الفجار
لفى جحيم هذا ما يترتب على كتبتهم يصلونها يوم الدين يدخلون الجحيم
فى يوم الجزاء للجزاء وما هم عنها بعد الدخول بغائبين قط بل هم مخلدون
فى الجحيم معذبون وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين
فيه تعجيب وتعظيم لشانه كانه قال لا يدرى كنهه احد لعظمه وان تامله مرة
بعد اخرى بل المرة الثانية يصير عنده اشد اعظم يوم لا تملك

نصبه باعني او بيدا نون نفس لنفس شيئا لا يقدر احد على نفع احد
ولا على ضره فان فتح يوم عند البصريين كما ذكره الزمخشري بيدا نون
لان الدين يدل عليه وقراءة يوم بالرفع على انه بدل من يوم الدين او
التقدير هو يوم والامر يومئذ لله وحده لا كالدنيا فان الظاهر
انه يملك بعض بعض الامور اللهم احينا في زمرة الابرار وصلى الله على محمد واله

سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف البخس والنقص في
الكيل والوزن عن ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فلما انزل الله احسنوا الذين اذا
اكتالوا على الناس اخذوا حقوقهم من الناس يستوفون باخذه وبها
وافية واذا كالوهم اي لهم او وزنوهم اي لهم يخسرون فان كال ووزن
مما يتعدى بحرف الجر يقال كلت لحب لك ووزنته لك فهذا من باب
الحذف والايصال كان تستعمل العرب الكيل والميزان قليل لكن لو
لم يذكر الوزن اصلا لربما ظن ان ليس الوزن كالكيل مع ان اثبات
الويل للتخير عند البخس في النوعين جميعا لا في الكيل فقط الا يظن اولئك
انهم مبعوثون والعاقل يجتنب عما يتوهم فيه شرا وفيه انكار وتعجيب
ليوم عظيم عظمه لعظم ما فيه يوم يقوم الناس منصوب باعني او بدل
على مذهب الكوفيين فان فتح يوم اعراب بني لاضافته لرب
العالمين لحكمه كلا ردع عن الغفلة عن البعث وعن التطفيف ان
كتاب اعمال الفجار الذي فيه اعمالهم لفي سجين اي في كتاب او مكان
يثبت فيه اعمال الاشرار وما ادريك ما سجين يعني ليس ذلك
لغرابته بل لغاية عظمه وقباحته كتاب مرقوم مفرغ عنه وسمي
الكتاب سجينا لانه سبب الحبس في جهنم او لانه مطروح في مكان وحش
او حرف مذكور في كتب الاولين فذكر ذلك في القرآن لكن قول كثير من
السلف وقد نقل فيه حديث لا باس به ان السجين اسم للارض السابعة
السفلى وهي مسكن الشياطين وارواح الكفار وعلى هذا توجيه القرآن
ان قوله كتاب مرقوم خبر ان لان اذ دخول اللام يعين كون الخبر لفي سجين

او تقديره هو كتاب مرقوم ومرجع هو كتاب الفجار والتقدير موضع
كتاب مرقوم بحذف المضاف ليعلم من يعلم معنى السجين ويل يومئذ
للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد متجاوز
عن الحد اثيم منهمك في المعاصي اذا تتلى عليه اياتنا قال من فرط
جهله وعناده اساطير الاولين اكاذيبهم التي اثبتوها كلا ردع عن
هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اي ليس الامر كما يقوله
من انه اكاذيبهم بل كثرة ارتكابهم اعمال الشر صارت سببا لحصول
الرين في قلوبهم ولهذا تفوهوا بهذا وكذبوا به والرين في اللغة الصداء
وقد روى الامام احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه ان المومن
او العبد اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع
واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه وذاك الران
الذي ذكره الله في القرآن كلا بل ران كلا ردع عن الكسب الرائن
انهم عن ربهم يومئذ اي يوم اذ يقوم الناس لرب العالمين لمحجوبون
عن عنايته او عن رؤيته ثم انهم مع هذا الحجاب عن الله لصالوا الجحيم
ليدخلونها ثم يقال لهم والقائل خزنة النار هذا الذي كنتم به تكذبون
كلا تكرار للاول ليعقب لغة ان كتاب الابرار لفي عليين علم لديوان
الخير وعن كثير من السلف هي السماء السابع او لوح من زبرجد معلق
تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيها قال الفراء عليين اسم موضوع على صيغة
الجمع لا واحد له من لفظه نحو عشرين والعرب اذا جمعت جمعا ولم يكن له
واحد من واحده وتثنية قالوا في المذكر والمونث بالواو والنون وما
ادريك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه مثل ما مر في نظيره يشهده
المقربون يحضره من كل سماء مقربوها ان الابرار لفي نعيم على الارائك
السرر في الحجال ينظرون الى ربهم في مقابلة انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
او الى ملكهم ونعيمهم ونكال عدوهم تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة
التنعم يسقون من رحيق خمر خالص مختوم تختم اوانيه كعادة الملوك
ختامه مسك اي مقطعه عن الفم واخره مسك يفوح منه رائحته وقيل
تختم الاواني بالمسك مكان الطين فرائحته تثير الخمر وفي ذلك فليتنافس

فليرغب المتنافسون الذين لهم رغبة في الحديث المرفوع ايما مؤمن
سقى مؤمنا شربة ماء على ظمأ سقاه الله يوم القيمة من الرحيق المختوم
ومزاجه من تسنيم تمزج تلك الخمر للابرار من تسنيم وهو علم لعين بعينها
كما قال عينا يشرب بها المقربون المراد ان المقربين يشربون من
صرفها وتمزج للابرار ولا نبسط الكلام فيها كما مر في سورة هل اتى
ان الذين اجرموا كفار مكة كانوا من الذين امنوا يضحكون يستهزؤن
بهم يقال ضحك به وضحك منه واذا مروا اي المؤمنون ولو قيل اي
الذين اجرموا لاتسقت الضمائر بهم يتغامزون يشير بعضهم الى بعض
باعينهم استهزاء واذا انقلبوا رجعوا هؤلاء المجرمون الى اهلهم انقلبوا
فكهين ملتذين بالسخرية يتفاخرون بذلك قد نقل ان ذلك نزل
في علي بن ابي طالب حين جاء وكان معه من فقراء المؤمنين ضحك
جمع من قريش منهم واستخفوا بهم واذا راوهم اي المجرمون المؤمنين
قالوا ان هؤلاء لضالون ضلوا طريق اباءهم وما ارسلوا عليهم حافظين
الواو اولى ان يكون للحال وهذا قول الله يعني ما ارسل المجرمون على
المؤمنين حافظين لاعمالهم شاهدين برشدهم وضلالهم فما لهم
ينسبونهم الى الضلال قيل هذا من جملة قول الكفار فانهم اذا راوهم
قالوا انهم ضالون وانهم لم يرسلوا عليهم اي علينا حافظين فما لهم
يمنعوننا عن دين اباءنا ويدعوننا الى ضلالهم فاليوم اي القيمة الذين
امنوا من الكفار يضحكون في مقابلة ساعة ضحكوا منهم في الدنيا
على الارائك ينظرون اليهم في النار وهم في عذاب وهوان بعد النعيم
حال من فاعل يضحكون هل ثوب الكفار هل جوزوا ما كانوا يفعلون
من السخرية وغيرها والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد الانبياء والمرسلين

سورة انشقت مكية ايها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت عن علي بن ابي طالب
تنشق من المجرة واذنت لربها استمعت له في امره بالانشقاق
واطاعت ولم تأب ولم تمتنع وحقت وحق لها ان تستمع قيل وحق لها
ان تنشق لشدة هول القيمة واذا الارض مدت مد الاديم وبسطت

فلم يبق

فلم يبق فيها جبال ولا تلال ووهاد والقت ما فيها ما في بطنها من الاموات
والكنوز وتخلت بلغت جهدها في الخلو حتى لم يبق في بطنها شيء قيل
وتخلت مما على ظهرها من الجبال واذنت لربها في الالقاء والتخلية
وحقت وحق لها الاستماع كما حق للسماء وجواب اذا مقدر مثل
ما تقدم في السور قيل لا جواب لها اذ هي منصوب باذكر وليست بشرط
يا ايها الانسان المراد الاستغراق انك كادح جاهد في عملك
الى ربك الى لقائه بالموت طول حياتك كدحا فملاقيه فملاق
لكدحك اي جزاءه من ثواب او عقاب فاما من اوتي كتابه بيمينه
فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا بلا تعسير عليه في الصحيحين عن عائشة
قال صلى الله عليه وسلم من نوقش في الحساب عذب قالت فقلت
اليس الله يقول فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك
بالحساب ولكن ذاك العرض من نوقش الحساب يوم القيمة عذب
وفي غير الصحيحين قالت قال صلى الله عليه وسلم انه ليس يحاسب احد
الا معذبا فقلت اليس الله يقول الحديث وينقلب الى اهله في الجنة من
الحور والادميات مسرورا الخالصة من تبعات كدحه واما من اوتي
كتابه وراء ظهره يعني شماله التي وراءه ويعطى كتابه بها فسوف يدعوا
ثبورا هلاكا يقول واثبوراه ويصلى يدخل سعيرا نارا انه كان في اهله
يعني في الدنيا مسرورا ليس له هم الاخرة ومن ظن ان وراءه يوما عظيما
لا يفرح انه ظن ان لن يحور ان لن يرجع الى الله بلى يرجع الى الله ان
ربه كان به بصيرا عالما باعماله فيعيده ويجازيه والا فاين العدل فلا اقسم
بالشفق هو الحمرة بعد الغروب قيل بياض يتلو الحمرة والليل
وما وسق ما جمع وضم من الدواب وغيرها اذ الجميع يسكن فيه الى اماكنه
والقمر اذا اتسق اذا استوى وتم بدرا لتركبن بالفتح على خطاب لفظ
الانسان وان اعتبر الجنس فبالضم فان النداء وقع له في يا ايها الانسان
طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة بعد الموت
وهولا يطابق غيره او حالا بعد حال من الصغر والكبر والهرم والغنى
والفقر والصحة والسقم او لتركبن سنن من قبلكم من اليهود والنصارى

حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه كما ورد في الحديث
وعن بعض السلف لتركبن يا محمد سما بعد سما اي ليلة المعراج او درجة
بعد درجة اي في الرتبة وعن طبق صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق
فما لهم لا يؤمنون بالبعث واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون اعظاما
واكراما للقران اي لا يتواضعون تعجب من انتفاء ايمانهم وقد وضحت
الدلائل بل الذين كفروا يكذبون بالقران مكان السجود والله اعلم بما
يوعون بما يجمعون من الكفر والمعاصي كانهم يجمعونه في صدورهم
فبشرهم بعذاب اليم فيه استهزاء الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
اي الا من سبق في علمه انه يؤمن ويعمل صالحا وعلى هذا الاستثناء
متصل لهم اجر غير ممنون غير مقطوع او غير منقوص ولله المنة
على جميع اهل الجنة في كل حال والحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد واله

سورة البروج مكية آيها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج عن ابن عباس وكثير
من السلف ان المراد النجوم العظام او البروج الاثني عشر او التي
فيها الحرس واليوم الموعود القيمة وشاهد ومشهود فيهما اختلاف
كثير وحديث مرسل وحديث ضعيف على انهما يوم جمعة ويوم عرفة
وعليه كثير من السلف او الشاهد نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود
القيمة او هذه الامة المرحومة وساير الامم قتل اصحاب الاخدود وجواب
القسم قيل محذوف وهذا دليله كانه قال ان كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب
الاخدود والاولى ان هذا هو الجواب بحذف اللام اي لقتل كما في
سورة والشمس والجواب مشير الى ان من فعل مثل فعلهم من اذى
المسلمين ليفتنوهم عن دينهم ملعونون مطرودون فانهم آذوا بعض
المومنين لان آمنوا واما قصة الاخدود ففيها اختلافات والذي
اتفقت كلمتهم فيه ان بعض الكفرة عمدوا الى بعض من آمن وعذبوهم
للرجوع من الايمان الى الكفر بان حفروا لهم في الارض اخاديد وعرضوا
المومنين على النار التي اوقدوا فيها فمن رجع عن الايمان تركوه ومن
اصر على الحق احرقوه النار بدل اشتمال من الاخدود الذي هو الشق

في الارض

في الارض لايق والنار فيه ذات الوقود صفة تبين عظمتها والوقود
بفتح الواو ما يوقد به وحكى سيبويه انه مصدر كالوقود بالضم اذ هم عليها
عليها على حافة النار قعود يعذبون المومنين وهم على ما يفعلون بالمومنين
شهود مشاهدون لتعذيبهم الاليم ولا يرحمون وما نقموا منهم ما عابوا عليهم
الا ان يؤمنوا بالله الا لان يؤمنوا يعني جعلوا ما هو سبب للمدح والالفة
سببا للعتب والوحشة العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض
والله على كل شيء شهيد وصفه بما يوجب الايمان به وحده وفيه وعيد
ان الذين فتنوا المومنين والمومنات بالاحراق او بلوهم بظلم ثم لم
يتوبوا ولم يندموا عما فعلوا عن الحسن انظروا الى الكرم انه يدعوهم الى
التوبة بعد هذه الفتنة فلهم عذاب جهنم لكفرهم ولهم عذاب الحريق
العذاب الزائد في الاحراق بما احرقوا المومنين فلكل قرين العذاب
الزائد في الاحراق لكفرهم ولفتنتهم وقد حكى جمع من السلف ان النار
انقلبت على من في حافة الاخدود فاحرقتهم ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير
المراد منهم اعم من المطروحين في الاخاديد ان بطش ربك اخذه
بالعنف لاعدائه لشديد انه هو يبدئ ويعيد فله القدرة الكاملة
وهو الغفور الودود يغفر عن الذنب يحب التوابين ذو العرش المجيد
العظيم في ذاته وصفاته ومن قرا المجيد بالكسر جعله صفة للعرش
فاراد علوه وسعته فعال لما يريد لا يزاحمه شيء لما هدد قريشا باصحاب
الاخدود هددهم ثانيا بفرعون وقومه فقال هل اتيك يا محمد
حديث الجنود فرعون وثمود اي هما وقومهما وهما بدل من الجنود وفيه
تقرير لقوله ان بطش ربك لشديد بل الذين كفروا من قومك يا محمد
في تكذيب للقران ولك كانه قال ذكر قومك بشدة بطش ربك
على فرعون وثمود لعلهم يتعظوا به بل هم في تكذيب واي تكذيب
لا يمكن لهم تاثير التذكير والله من ورائهم الوراء يقال للخلف والقدام
محيط بهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو الذي كذبوا به قران
مجيد عظيم في لفظه ومعناه في لوح محفوظ عن الزيادة والنقصان

ومحفوظ بالرفع صفة قران وبالجر صفة لوح وهذا اللوح في جبهة اسرافيل
او عن يمين العرش قاله السلف. والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله

سورة الطارق مكية آيها سبع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق اي الآتي ليلا ثم فسره
وعظمه بقوله وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب اي المضيء والمراد
جنس النجوم الثواقب وعن ابن عباس هو الجدي او الشعري ليس في
الثوابت اضوء منه ان كل نفس لما عليها حافظ اي ما كل نفس الا
عليها حافظ على اعمالها يحفظ عملها او يحفظ نفسها عن الآفات
ان نافية ولما بمعنى الا واما في قراءة لما بالتخفيف فان مخففة واللام
هي الفارقة وما زائدة وحافظ على الوجهين خبر كل نفس وعليها متعلق
بحافظ والجملة جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق فليتفكر في مبدأ
خلقه ليعترف بصحة الاعادة فلا يعمل ما يضره في عاقبته لان عليها
حافظ يحفظ اعماله ومم متعلق بخلق والجملة في موضع نصب بينظر
وهي معلقة خلق من ماء جواب الاستفهام دافق ذي دفق كتامر
ولابن والدفق دفع الماء بعضه ببعض فصح ان الماء دافق بعضه ومدفوق
بعضه وهو الممتزج من مني المراة والرجل ولذا لم يقل من مائين لاتحادهما
بعد المزج في الرحم يخرج من بين الصلب للرجل والترائب للمراة
وهي عظام صدرها انه الضمير للخالق والدال عليه خلق على رجعه
اعادته بعد موته لقادر يوم تبلى السرائر يعني تميز وتعرف ما
اسر من العقائد والاعمال ظرف مقدر تقديره يرجعه يوم تبلى
والفاصل غير اجنبي لانه عامل او تفسير للعامل على اختلاف النحاة
وكثير من السلف على ان ضمير رجعه الى ماء يعني ان الله قادر على
رد الماء الى مخرجه ثم قال اذكر يوم تبلى السرائر فما له للانسان من قوة
من جانب نفسه ولا ناصر من جانب غيره يمنعه عن عقاب اراده
تعالى ثم اقسم لما بين على ان لكل نفس حافظا لاعماله ورتب عليه اثبات
البعث اعقبه بالقسم على اثبات حقية القران وكونه فاصلا
بين الحق والباطل فقال والسماء ذات الرجع يرجع في كل دورة الى ما

كان

كان يتحرك منه او الرجع المطر فانه يرجع حينا فحينا والارض ذات
الصدع الشق بالنبات والعيون انه اي القران او الضمير للكلام
السابق المخبر عن البعث لقول فصل فاصل بين الحق والباطل
او جزم مطابق للواقع وما هو بالهزل فانه جد وحق انهم كفار مكة
يكيدون كيدا في اطفاء نور القران واكيد كيدا اقابلهم بما يشبه
الكيد في استدراجهم فمهل الكافرين فلا تستعجل باهلاكهم امهلهم
رويدا امهالا يسيرا كرر الفعل وخالف في صيغة الفعلين لزيادة التسكين
والتصبير فان المخالفة اوكد من مجرد التكرار كما قالوا في حديث بكر وتشكر والحمد لله رب العالمين

سورة الاعلى مكية آيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى نزه ذاته الذي هو اعلى
من ان يقاس بغيره فالاسم مقحم للتعظيم ولما نزل قال صلى الله عليه
وسلم اجعلوها في سجودكم كما رواه ابو داود وابن ماجه والدارمي
فجعل فيه سبحان ربي الاعلى بترك لفظ الاسم في سجودهم فالحديث
دال على اقحامه الذي خلق كل شيء فسوى خلقه متناسبا على احكام
واتقان والذي صفة ربك والذي قدر الاشياء على وجه معين
فهدى فوجهها اليه والذي اخرج من الارض المرعى ما يرعاه الدواب
من النبات فجعله بعد خضرته غثاء يابسا احوى اي اسود حال
من المرعى اخر لكونه فاصلة لان النبات في حال اليبس يصير اصفر
لا اسود ولما امره بالتسبيح لمن رباه اعقبه بما هو عين تربية الرسول
في رسالته فقال سنقرئك بعد انقضاء الوحي فلا تنسى ما اوحينا
اليك ولهذا قال كثير من السلف لم ينس صلى الله عليه وسلم شيئا
بعد وهذا مثل ما في سورة لا اقسم الا ما شاء الله ان تنساه وله في
نسيانك اياه مصلحة وعلى هذا النفي بمعناه المتبادر لا انه بمعنى
النهي انه يعلم الجهر وما يخفى جهرك بالقران وما يخفى في نفسك من
خوف التفلت وقد كفاك بالتكفل ونيسرك معطوف على سنقرئك
لليسرى للطريقة التي هي ايسر فلا نعسر عليك فذكر ان نفعت الذكرى
اي ذكر بالقران ان رايت ان التذكير نافع وهذا القيد والشرط للتوبيخ

قريش وتقريعهم ومعناه استبعاد انتفاعهم به لقد اسمعت لو ناديت
حيا ولكن لا حياة لمن تنادي سيذكر سيتعظ وينتفع بها من
يخشى الله ويتجنبها الاشقى يتباعد عن الذكرى الاشقى لتوغله في عناده
والمراد من هو شقي في علم الله الذي يصلى يدخل النار الكبرى نار جهنم
فانه اشد حرا كما في الحديث الصحيح ثم لا يموت فيها ليستريح من عذابها
وثم للترقي فان عدم موته وحيوته فيها افضح من صليه ولا يحيى فيها
حياة يجد فيها روح الحيوة ثم ان مثل العذاب لا يكون الا للكافر
واما المؤمن الذي يدخل النار ردة اراد الله لتطهيرهم فيموتون في النار
فيصيرون فحما ثم يخرجون من النار ثم يلقون على نهر من الجنة فينبتون
كالحبة في حميل السيل كما في صحيح مسلم وغيره واما الموت الذي يحصل لهم
بمعنى الغشي لعدم احساس العذاب ففيه خلاف قد افلح من تزكى
تطهر نفسه عن خبائث المعاصي وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه ذكره
الله اذ فصلى كما قال اقم الصلوة لذكري بل تؤثرون تختارون
الحيوة الدنيا المراد انتم ايها المؤمنون ويجوز ان يكون خطابا للاشقى
على الالتفات من الغيبة والاخرة الحيوة الاخرة خير ليس فيها مرض
ولا ضعف وابقى لا موت في الاخرة ولا انقطاع لنعيمها ان هذا
اشارة الى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى والاخرة خير وابقى لفي
الصحف الاولى لم ينسخ في شرع من الشرايع هذا كما قال صلى الله عليه
وسلم ان في كلام النبوة الاولى ان لم تستحي فاصنع ما شئت
صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى في مسند الامام احمد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة والحمد لله وحده

سورة الغاشية مكية آيها ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتاك حديث الغاشية القيمة تغشى
الخلايق بشدائدها او المراد النار تغشى وجوههم النار ومن فوقهم
غواش وفي هذا الاستفهام تحريك نفس السامع الى تلقي الخبر
وجوه يومئذ يوم اذ غشيت فالتنوين عوض عن جملة فهمت من لفظ
الغاشية خاشعة ذليلة ويجوز كون وجوه مع تنكيره مبتدا انه

في معرض التفصيل عاملة عملها جر السلاسل والاغلال وخوضها في النار
مع الويل والثبور ناصبة تتعب من عمله فانه في الدنيا تكبر عن العمل وكان
في راحة عن عمل الاخرة او عاملة في الدنيا للدنيا والان في نصب منها
تصلى تدخل نارا حامية متناهية في الحر تسقى من عين آنية انتهى غليانها
ليس لهم طعام الا من ضريع هو اليابس من شجر هو في حال يبسه سم قاتل
وهذا طعام الكل في بعض الاحوال او طعام بعض مخصوص فلا تنافي بينه
وبين قوله ولا طعام الا من غسلين لا يسمن ولا يغني من جوع لا يترتب عليه
فائدة الطعام والجملة مجرور المحل صفة لضريع لا مرفوعة صفة طعام وجوه
يومئذ ناعمة ذات بهجة في مقابل خاشعة لسعيها في الدنيا راضية
في الاخرة تقابلها العاملة ناصبة على التفسير الثاني وهذا يؤيده والمفسرون
غفلوا عنه في جنة عالية مكانة او مكانته لا تسمع يا من تسمع او الضمير
للوجوه فيها لاغية كلمة ذات لغو فيها عين جارية عين اسم جنس فيطلق
على العيون او قصد عينا مخصوصة لجودتها والتنكير للتعظيم فيها سرر
مرفوعة رفيعة السمك تتواضع لمن يجلس عليها ثم ترتفع صرح بذلك
عظماء السلف واكواب انا لا عروة له موضوعة بين يديهم وعلى
حافات انهارهم ونمارق وسائد مصفوفة بعضها بجنب بعض
ففي اي مكان يريد يمكن الاستناد والاتكاء من غير احتياج الى نقل
الوسائد وزرابي بسط فاخرة مبثوثة مبسوطة مهياة للجلوس عليها لا تعلى
ولا تغير ولما وصف الجنة بما وصف بعد وصف القيمة ذكر عجائب
صنعه ليستدلوا به فقال افلا ينظرون الى الابل اغرب حيوان وانفعه
عند العرب كيف خلقت كيف استفهامية منصوبة بخلقت
وقيل تعدى ينظر الى الابل بواسطة الى والى كيف على سبيل التعليق وقد
يبدل الجملة المشتملة على الاستفهام كقولهم قبلها نحو عرفت زيدا ابو
من هو على الاصح على ان في اشعار العرب دخول الى على كيف في قولهم
انظر الى كيف يصنع واذا علق الفعل عما فيه الاستفهام لم يبق الاستفهام
على حقيقته والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت راسخة
لئلا تميد الارض باهلها والى الارض كيف سطحت بسطت بنه العرب

مماشيه دونه في كل مكان من بعيره هو مركوبه وماله ومحبوبه والسماء
التي فوق رأسه والجبال التي في جوانبه والارض التي تحته على كمال
قدرة خالقه لئلا تنكر البعث وما يترتب عليه ولما حضهم على النظر
امر بالتذكير فقال فذكر لا يهمنك كونهم لا ينظرون انما انت مذكر ما
عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمسلط فتكرههم على النظر
الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر لكن من اعرض وكفر
فيعذبه الله عذاب جهنم والاستثناء متصل اي ذكرهم الا من انقطع
طمعك عن ايمانه نحو فذكر ان نفعت الذكرى وما بينهما اعتراض وقيل
معناه لست بمسلط عليهم الا من تولى فان جهادهم تسلط وعلى هذا
يكون وعدا برخصة الجهاد فان السورة مكية ان الينا ايابهم رجوعهم ثم ان
علينا حسابهم في المحشر ولفظ علينا دال على تحتم الحساب والتشديد
في الوعيد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

سورة الفجر مكية آيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر الصبح دخل فيه صبح يوم النحر وليال عشر
اخير من رمضان قاله ابن عباس او عشر ذي الحجة والشفع والوتر يوم
النحر شفع لانه عاشر ويوم عرفة وتر لانه تاسع وفيها اقوال اخر وفيما ذكر
حديث والليل اذا يسر اذا يمضي نحو والليل اذ ادبر والمراد ليلة المزدلفة اي
يسري فيه نحو ليل نائم هل في ذلك قسم لذي حجر تقرير على عظم هذه الاقسام
اي هل فيها مقنع في القسم لذي عقل فيزدجر ويتفكر في ايات الله ودل
على تعظيم المقسم عليه من طريق الكناية وجواب القسم محذوف نحو ليعذبن
ان لم يؤمنوا ويدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد هم قوم هود
اهلكوا بريح صرصر عاتية الاية يعني اولاد عاد الاولى ارم عطف بيان
اي سبط ارم هو والد عاد او جده ذات العماد سكان بيوت الشعر
او كناية عن طول قدهم شبه بالاعمدة او ابنية بنوها التي لم يخلق مثلها
في الجثة والقوة وطول القامة وفي الحديث ان الرجل منهم يعمد على صخرة
فيلقيها على قبيلة فيهلكهم في البلاد والمراد من التي ابنيتهم اي ليس لها
نظير في بلاد الدنيا واما حكاية جنة شداد بن عاد فليس لها اصل وثمود

عطف

عطف على عاد الذين جابوا قطعوا الصخر بالواد جوفوه فاتخذوا في الحجارة
بيوتا والوادي وادي قراهم قال الله وتنحتون من الجبال بيوتا وفرعون ذي
الاوتاد وقد مر في سورة ص الذين صفة لعاد وثمود وفرعون او التقدير
هم الذين طغوا في البلاد في بلادهم او في ارض الله فاكثروا فيها الفساد
بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ابهم هنا واوضح في سورة
الحاقة وفي غيرها والمراد به الالة المعروفة وانما عبر به ايماء الى ان ما عمل معهم
في الدنيا بالنسبة الى ما اعد لهم في الاخرة كسوط مثلا في النزل واشارة
الى ان عذابهم يتكرر فان السيف اذا كان من يد ضارب لا يتكرر
ان ربك لبالمرصاد مكان يترقب فيه الرصد تمثيل لارصاده العصاة
بالجزاء وانهم لا يفوتونه قيل هذا جواب القسم وما بينهما اعتراض فاما
الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد فانه لما قال يرصد
اعمال خلقه بعد بعض ذمهم الذي هو عادة قريش اذا ما ابتلاه ربه
امتحنه ايشكر ام يكفر فاكرمه بالمال ونعمه بالسعة فيقول ربي اكرمن
يعني اما الانسان فيقول وقت امتحانه وابتلائه بالغنى فاذا ظرف
يقول واما اذا ما ابتليه بالفقر هل له صبر فقدر ضيق عليه رزقه فيقول
اي فهو يقول وقت ابتلائه بالفقر ربي اهانن كلا ردع عن القطع بان
الغنى اكرام والفقر اهانة فكثيرا يكون الامر بالعكس بل لا تكرمون اليتيم
فكيف يكرمكم الرب دليل على ان الغنى ليس اكرامهم ولا تحضون لا تحثون
اهليكم على طعام المسكين على اطعامه وتأكلون التراث الميراث اكلا
لما اي ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم لا يورثون النساء والصبيان
يقولون لا يأخذ الميراث الا من يقاتل او يأكلون ما جمعه الميت وان علموا
انه حرام وتحبون المال حبا جما كثيرا مفرطا فلا يتصدقون بفضول اموالهم
كلا ردع لهم عن ذلك وانكار ثم اتى بالوعيد فقال اذا دكت الارض
دكا دكا اي كلما بعد دك حتى سويت الارض ونصبه على الحال اي مكررا
عليه الدك وجاء ربك لفصل القضاء آيته تلحق بجلاله والملك
اسم جنس صفا صفا مصطفين محدقين بالانس والجن وجيء يومئذ
بجهنم في صحيح مسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام

سبعون الف ملك تجر وبها يومئذ بدل من اذا دكت واذ ظرف
لقوله يتذكر الانسان يتعظ ويندم وانى له اى انى ينفعه وهذا من اللام
يقال هذا له وعليه فلا حاجة الى تقدير الذكرى فانه وقت لا ينفعه
العمل يقول بيان ليتذكر يا ليتني قدمت الاعمال الصالحة لحيوتي هذه
التى انكرتها فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد
اى لا يعذب احد من الزبانية احدا مثل عذاب الكافر ولا يوثق
بالسلاسل والاغلال احدا مثل توثيقه فضمير عذابه للانسان والاضافة
الى المفعول وهذا ارجح لانه موافق لقراءة المجهول ولزم ان يكون عذاب
بعض الكفار اشد من عذاب الشياطين ولما ذكر حال الكافر عقبه
بحال المومن فقال يا ايتها النفس المطمئنة اى يقول الله للمومن ذلك
والمطمئنة الساكنة الدائرة مع الحق او الامنة من عذاب الله او المطمئنة
بذكر الله ارجعي الى ربك الى جواره ويقال هذا له عند الاحتضار وفيه
اشعار بان النفوس قبل الابدان كانت موجودة فى عالم القدس
نقل عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما ان معناه ارجعي الى صاحبك
يعنى بدنك الذى كنت فيه فى الدنيا راضية عن الله مرضية عند الله
فادخلي فى عبادي فى زمرة الصالحين فانهم عباد الله بعبوديته وادخلي
جنتي روى عن سعيد بن جبير وروى الطبرانى عن غيره انه لما دفن ابن عباس
بالطائف سمعنا هذه الاية لا ندرى من تلاها والحمد لله حق حمده

سورة البلد مكية آيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد مكة وانت حل بهذا البلد
الواو للحال اى والحال انك مقيم بها فيه تعظيم المقسم به ووالد وما ولد
ينطلق على كل والد وما ولد من ابن وبنت والمراد آدم وذريته وايثار
ما على من لارادة الوصف نحو والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان
فى كبد يكابد مشاق الدنيا والاخرة من اول خلقته الى ان يستقر اما الى
الجنة فيزول عنه المشقات واما الى النار فيضاعف شدائده ولكن
لاجل مكابدته للشدائد يحسب ان له قوة ومنعة وهذه الجملة مقسم عليها
وفسر مقاتل فى كبد يعنى قوة ايحسب الحسبان لبعض الانسان ان لن يقدر

عليه

عليه احد لانه مغرور بماله من عدد وعدد وليس له ايمان بالبعث والجزاء
يقول على سبيل الفخر اهلكت مالا لبدا كثيرا فى المكارم وما يحصل به الثناء
ايحسب ان لم يره احد يظن ان اعماله خفية عنا ولا نسال من اين كسب
وفيم انفق ثم عدد عليه نعمه قبل ان يكون له قوة فقال الم نجعل له عينين
يبصر بهما جوانبه ولسانا يعبر به عما فى ضميره ولم يتعرض للسمع لانه لا
يمكن الافصاح عما فى الضمير الا بالسمع وشفتين يستعين بهما على
النطق والنفخ ولو لم يكونا لكان فى نهاية القباحة ولهما فوائد اخر وهديناه
النجدين عن ابن عباس الخير والشر او المراد الثديين فلا اقتحم العقبة
يقال قحم فى الامر رمى نفسه فيه من غير روية جعل الاعمال الصالحة
عقبة وعملها اقتحاما لها لما فيه من مجاهدة النفس يعنى فلم يشكر تلك
النعم التى انعمنا عليه بالاعمال الحسنات وما ادريك ما العقبة
لم تدر كنه صعوبتها وثوابها فك رقبة تفسير للعقبة اى تخليصها من
الرق وفى الحديث من اعتق رقبة مومنة فهى فكاكه من النار او اطعام
فى يوم ذى مسغبة ذى مجاعة والناس محتاجون الى الطعام يتيما
مفعول اطعام ذا مقربة ذا قرابة منه ليجمع صدقة وصلة او مسكينا
ذا متربة المطروح على ظهر الطريق على التراب لا بيت له يأويه ولا
شئ له يقيه وقراءة فك واطعم على الفعل فبدل من اقتحم ثم كان من
الذين امنوا عطف على اقتحم اى ولا كان من الذين آمنوا وتواصوا
اى بعضهم بعضا بالصبر على الطاعة وعن المعاصى وتواصوا بالمرحمة
بالرحمة على عباد الله اولئك اشارة الى الذين امنوا او الى ضد من
ذمه فانه فى حكم المذكور اصحاب الميمنة اليمين او اليمن ثم اعلم ان لا
قلما تدخل على الماضى الا مكررة نحو فلا صدق ولا صلى والتكرار هنا
بحسب المعنى كانه قال فلا اقتحم عقبة ولا كان من الذين فقوله ثم كان
قام مقام التكرير وجاء بثم لبعد رتبة الايمان عن العتق والاطعام
والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة الشمال او الشوم عليهم
نار موصدة مطبقة لا يدخل فيها روح ولا يمكن لاصحابها الخروج
منها آخر الابد ولله الحمد والمنة وعلى رسوله افضل الصلوة واكمل التحية

سورة والشمس مكية آيها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها اي ضوءها اذا اشرقت والقمر اذا تليها تبع طلوعها طلوعه وهو اول الشهر او تبع طلوعه غروبها وهو في زمان انه بدر والنهار اذا جليها فان الشمس تنجلي تاما اذا انبسط النهار والليل اذا يغشيها يغشى الشمس فانها تغيب في الليل وقد مر ان اذا بدل او متعلق بمضاف مقدر مثل اقسم ولم يقل غشيها كالمقدم والموخر لفوت الفاصلة والسماء وما بنيها اي الذي والعدول الى الموصفية والبلوغ في الغاية للابهام فان ابهام ما اكثر والارض وما طحيها والذي بسطها ونفس وما سويها الذي سوى خلقها بتعديل الاعضاء والقوى وتنكير نفس كتمرة خير من جرادة للعموم فالهمها علمها وبين لها فجورها وتقويها قد افلح جواب القسم بحذف اللام من زكيها اي من زكى نفسه واسناد التطهير اليه لقيامه به والدعاء الذي في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم يدعو به وفي الطبراني انه اذا قرا فالهمها فجورها وتقويها وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقويها وزكها انت خير من زكيها انت وليها ومولها لا يدل صريحا على ان ضمير افلح وزكى الى الله تعالى برجحه فما قال الزمخشري المجتري ينسب الى الاحاديث الصحيحة بمجرد التشهي الوضع وقد خاب من دسيها دسها ونقصها بارتكاب المعاصي والتدسية الاخفاء والاصل دسس قلبت احدى السينات ياء كتقضيت اظفاري ولما ذكر خيبة من دسى نفسه عقبه بمن فعل ذلك فقال كذبت ثمود قوم صالح وبلادهم اقرب البلاد الى الحجاز بطغويها بسبب طغيانها وتكذيب الانبياء لا شك انه من التدسية اذ انبعث ظرف لكذب اي كذب حين قام اشقيها اشقى ثمود روى ابن ابي حاتم عن عمار بن ياسر قال صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب الا احدثك باشقى الناس قال بلى قال رجلان احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا واشار الى قرنه حتى يبتل منه هذه يعني لحيته فقال لهم رسول الله صالح عليه الصلوة والسلام ناقة الله نصب على

التحذير اي احذروا عقرها وعاقبة امرها وسقياها لا تمنعوا شربها في يومها فكذبوه رسول الله وعقروها قتلوا الناقة فدمدم اطبق العذاب عليهم ربهم بذنبهم فسويها سوى الدمدمة بينهم حتى لم يفلت منهم احد او فسوى الله القبيلة بالهلاك ولا يخاف عقبيها لا يخاف الله عاقبة الدمدمة كما يخاف الملوك ولا يستاصلون رعاياهم او ضمير يخاف للاشقى اي لا يخاف عاقبة فعلته وجاز ان يكون الواو للحال والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه

سورة والليل مكية آيها احدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى الخلايق بظلامه والنهار اذا تجلى بان وظهر وما خلق اي من خلق الذكر والانثى قيل ما مصدرية ان سعيكم اي مساعيكم لشتى اشتات مختلفة واعمالكم متضادة هذا هو المقسم عليه ثم فصل المسعي بقوله فاما من اعطى ماله لوجه الله واتقى محارمه وصدق بالحسنى بالمجازاة الحسنى او الجنة فسنيسره في الدنيا لليسرى اي للخصلة التي توصله في الاخرة الى الراحة وهي العقيدة الصحيحة والاعمال الصالحة واما من بخل بانفاق ماله في الخيرات واستغنى بالدنيا عن العقبى وكذب بالحسنى بكلمة التوحيد والطاعة فسنيسره في الدنيا للعسرى للخصلة التي توصله في الاخرة الى الموذية وهي العقيدة الفاسدة والاعمال السيئة ومن هذا قيل من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن جزاء السيئة السيئة بعدها وما يغني عنه ماله اذا تردى اي هلك وما تحتمل نافية واستفهامية ان علينا واجب علينا بمقتضى حكمتنا للهدى للارشاد الى الحق او معناه طريقة الهدى علينا من سلكه وصل الينا وان لنا للاخرة والاولى فنعطي بانا لمن نشاء ومن طلب من غيرنا فقد اخطا فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها الصلي في اللغة ان يحفر حفيرة ويجمع فيه جمر كثير ثم يدس الشاة بين اطباقه فاما ما يشوى على الجمر او في التنور فلا يقال فيه انه مصلي وقد ذكر ذلك الزمخشري ايضا في سورة الغاشية فلهذا قيل الصلي اشد العذاب فعلى هذا قوله لا يصليها الا الاشقى معناه ظاهر الذي كذب الحق وتولى

عن الطاعة وسيجنبها الاتقى من اتقى عن الشرك والمعاصي فلا يدخلها
اصلا لكن من لم يتق الا عن الشرك ويرتكب المعاصي فيمكن ان يدخلها من
غير ان يصليها فان تطهير المؤمنين بنار جهنم لا يكون الا في الطبقة الاولى
الذي يؤتي ماله يعطيه يتزكى يطلب تزكية نفسه وماله فيتزكى بدل
او حال وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد باتيانه مجازاتها فمن
زائدة ونعمة مبتدأ وتجزى صفته ولاحد خبره وعنده ظرف متعلق
لاحد الا ابتغاء وجه ربه الاعلى مفعول له والمستثنى متصل لان معنى
الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه الله فلا بد من التاويل لان الكلام موجب
ولسوف يرضى من ربه حين يرى سنه العنايات وعن كثير من المفسرين
ان هذه السورة في الصديق وهو الاتقى وامية بن خلف وهو الاشقى والحصر ادعائي
كان الجنة خلقت له وان ارخلقت لهذا والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد واله

سورة والضحى مكية آيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى اي صدر النهار والمراد النهار كله والليل
اذا سجى سكن ظلامه واهله ما ودعك ربك ما تركك ترك الوداع جواب
القسم وما قلى وما ابغضك ترك مفعولا معلوما للفواصل لما ابطأ
الوحي عليه صلى الله عليه وسلم وقالت امرأة ابي لهب ما ارى شيطانك
الا قد تركك فنزلت لما رد كلام المشركين وعده له ما يسره فقال وللاخرة
لام الابتداء اكدت مضمون الجملة وفي البحر عندي ان اللام ما تلقى بها
القسم وقسم على هذه الثلثة خير لك من الاولى في الحديث انا اهل بيت
اختار الله لنا الاخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى عن
ابن عباس ان من رضاه ان لا يدخل احد من اهل بيته النار ثم عدد
عليه اياديه من اول نشئه بعد الموعد الجليل الذي هو من خواصه
فقال الم يجدك يتيما توفى ابوه وهو في بطن امه ووجد هنا بمعنى العلم
فيتعدى الى مفعولين او بمعنى صادف فيتيما حال فآوى اياك ورباك
وضمك الى عمك وهو مع كفره رعاك ووجدك ضالا من احكام
الشريعة لقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فهدى فعلمك
قيل المراد انه ضل في صغره في شعاب مكة فهداه وقيل انه ضل في طريق

انظر هر آداک دربا ک

الشام

الشام فهداه جبريل الى القافلة ووجدك عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى
فاغناك ليجمع لك بين مقامي الصبر والشكر ولما انعم عليه النعم الثلث
وصى تبعث في مقابلتها فقال فاما اليتيم فلا تقهر كما كنت يتيما فآواك
الله وكن لليتيم كالاب الرحيم واما السائل فلا تنهر لا تزجر سائلا كما اتاك
فقيرا فاغناك واما بنعمة ربك فحدث بتعليم الشرايع والقران كما انه
وجدك جاهلا فهداك وعلى هذا النشر مشوش لان اشرف ما امتن
به عليه هي الهداية فترقى من هذين الى الاشرف وجعله مقطع السورة
لكن وسطه عند ذكر الثلثة لان الهداية كانت بعد اليتم من غير فاصلة
وغناه بعد الهداية فراعى الترتيب الواقعي وجاز ان يكون النشر مرتبا
يعني لا تزجر سائلا مسترشدا لما كنت جاهلا فعلمك او لما هداك
الى ما هو قوت روحك فلا تزجر من يطلب منك قوت بدنه واما
بنعمة ربك فحدث فاشكر مولاك الذي اغناك وروى ابو داود وغيره
ان من شكر النعم ان تحدث بها ومن كفره ان تكتمه والسنة التكبير بلفظ
الله اكبر او بلا اله الا الله والله اكبر من آخر والضحى او من اخر والليل الى
اخر القران والمنقول عن الشافعي انه سمع رجلا يكبر هذا التكبير في الصلوة
فقال احسنت اصبت السنة والحمد لله وحده والصلوة على نبيه محمد واله

سورة الم نشرح آيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك فتحناه ونورناه ووسعناه
بالنبوة والحكمة او اشارة الى شق صدره في صباه واخراج الغل والغاء
الرافة والرحمة والهمزة لانكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته كانه قال
شرحنا لك صدرك ولذلك ترى عطف ووضعنا عليه نحو الم نربك
فينا وليدا ولبثت ووضعنا عنك وزرك غفرنا لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر الذي انقض ظهرك اثقله كان الذنوب حمل يثقل الظهر ورفعنا
لك ذكرك في الدنيا والاخرة روى ابو يعلى وابن جرير وابن ابي حاتم
رفعنا ذكرك بانه اذا ذكرت ذكرت معي قيل زيادة لك في الموضعين
وعنك لما في طريقة الايضاح بعد الابهام لما قال لك علم ان ثم مشروحا
ثم قال صدرك فاوضح ما علم مبهما فان مع العسر كضيق الصدر والوزر يسرا

كالشرح والوضع والتنكير للتعظيم ان مع العسر يسرا الثانی تاسيس مستانف
وهو ارجح من التاكيد وكلام الله محمول على ابلغ الوجهين كيف لا والمقام
مقام التسلية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين
والمعرف المعاد عين الاول والنكرة المعادة غيره غالبا ولو كان
تاكيدا فالانسب ان يعاد مع الفاء ولفظ مع اشارة الى ان اليسر
لا ينفك عن العسر مبالغة فی تحقق اليسر قريبا فاذا فرغت من الشغل عما
يهمك من امورك فانصب فاتعب فی عبادة ربك او المراد اذا فرغت
من صلوتك فاتعب فی الدعاء فان الدعاء بعد الصلوة مستجاب
والى ربك وحده فارغب اصرف وجه الرغبات اليه واذا سالت
فاسال الله والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه

سورة والتين مكية آيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون هما المعروفان الاول يشبه
فواكه الجنة من حيث انه بلا عجم ولا جلد والثانی نور وفاكهة وادام وهو
وهو الشجرة المباركة وطور سينين جبل كلم الله موسى عليه قيل سينين
بالسريانية المبارك وقد مر وهذا البلد الامين مكة فانها امين حافظ لمن
دخله فهو من امن بضم الميم والمامون من الغوائل فهو من امنه قال
كثير من العظماء اقسم بالتين والزيتون وهو كناية عن بيت المقدس
الذی بعث الله فيه عيسى وطور سيناء الذی كلم الله عليه موسى
والبلد الحرام الذی ارسل فيه خاتم الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين لقد خلقنا الانسان فی احسن تقويم تعديل الشكله وتسوية
لاعضائه وتزيين بعقله وكفى استقامة قده يعنی فی تقويم احسن تقويم
ثم رددناه اسفل سافلين ای الى النار فی شر صورة الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وهذا مثل والعصر ان الانسان لفی خسر الا الذين
امنوا من حيث اللفظ والمروی عن ابن عباس وغيره المراد من اسفل
سافلين ارذل العمر فالاستثناء منقطع وعلى هذا معناه رددناه عاجزين
ناقصين فی امور الدنيا والدين الا من آمن واطاع فی شبابه فانه غير
ناقص فی امر الدين يكتب له مثل ما كان يعمل فلهم اجر غير ممنون غير

منقطع

منقطع فما يكذبك بعد بالدين ای شیء يضطرك الى ان تكون كاذبا
بسبب تكذيب الجزاء فالاستفهام للتوبيخ او معناه ای شیء يكذبك
يا محمد بعد ظهور هذه الدلائل بالجزاء والبعث فالاستفهام لانكار شیء
يكذبه دلالة او نطقا اليس الله باحكم الحاكمين عدلا وتدبيرا لا ظلم ولا
عجز له بوجه من الوجوه فلا محالة يقدر على البعث والجزاء ولا بد منهما
والسنة اذا قرئ اليس الله باحكم الحاكمين ان يقول بلى وانا على ذلك
من الشاهدين والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد المرسلين

سورة العلق مكية آيها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ ما يوحى اليك باسم ای مفتتحا باسم
قيل باسم هو المفعول نحو اقرأ الحمد لله ربك الذی خلق ای الخلائق
خلق الانسان الذی هو اشرف الخلائق على الاصح من علق جمع
علقة وجمعه لان الانسان بمعنى الجميع اقرأ التكرير للمبالغة
وربك الاكرم الزائد فی الكرم على كل كريم الذی علم الخط او العلوم
بالقلم والخط من جلائل نعمه لولاه لما دونت العلوم والكتب
السماوية وما استقامت امور الدنيا والدين علم الانسان ما لم
يعلم ما لا يقدر على تعلمه لولا تعليم الله مثل ما لا يتعلق به علم
تصوری ولا تصديقی كالمجهول المطلق وفی الصحيحين وغيرهما ان هذه
السورة الى هذه الاية اول ايات نزلت فی جبل حراء كلا ردع لمن
كفر بنعمه بسبب طغيانه يدل الكلام عليه ان الانسان ليطغى ليتجاوز
عن حده ان راه ای نفسه فلولا ان الرؤية بمعنى العلم لا تمتنع
ان يكون مرجع المفعول مرجع ضمير الفاعل استغنى ای رای نفسه
غنيا ذا مال وهو ثانی مفعولی رای ان الى ربك يا انسان التفات
للتهديد الرجعى الرجوع فيجازی طغيانك ارايت الذی ينهى ای
ابا جهل عبدا هو اشرف العباد صلى الله عليه وسلم اذا صلى
قال عليه اللعنة لو رايته ساجدا لاطان على عنقه ارايت ان كان
على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان
الله يرى ای اخبرنی يا من له ادنى تمييز عن حال من ينهى عبدا من

العباد واذا صلى ان كان على طريقة سديدة فى نهيه عن عبادة الله او
كان آمرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما تزعم الم يعلم بان الله
يرى حاله فيجازيه اخبرنى عن هذا الذى ينهى المصلى ان كان على التكذيب
للحق والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم نعلم بان الله يرى فيجازيه
فعلى هذا ارايت الثانى تكرار للاول للتاكيد واما الثالث فمستقل
للتقابل بين الشرطين وحذف جواب الاول لدلالة الم يعلم الذى
هو جواب الثالث عليه عند من يجوز ان يكون الانشاء جوابا للشرط بلا
فاء وعند من لم يجوز يكون جواب الاول والثالث محذوفا بقرينة الم يعلم
او ارايت الاولى واختاها متوجهات الى الم يعلم وهو مقدر عند
الاولين والحذف للاختصار ومعناه يا اعجب ممن ينهى عبدا عن الصلوة
ان كان المنهى على الهدى آمرا بالتقوى والناهى مكذب متولى ومعناه
اخبرنى ان كان الكافر على الهدى او امر بالتقوى اما كان خيرا له ومعناه
اخبرنى يا كافر ان كان على الهدى فى فعله او امر بالتقوى فى قوله
فما ظنك وانت تزجره وعلى هذين الوجهين جواب الشرط الثانى فقط
قوله الم يعلم كلا ردع للناهى لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا لناخذن
وكتبها فى المصحف بالالف على حكم الوقف بالناصية بناصيته فلنجرنه
الى النار ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية اسند الكذب والخطأ
اليها وهما لصاحبها مجاز للمبالغة فليدع نادية اهل ناديه يعنى قومه
وعشيرته فليستعن بهم سندع الزبانية ملائكة العذاب ليجروه الى النار
قال عليه اللعنة واللات والعزى لئن رايته يصلى لاطان على رقبته
فلما راه جاءه فاذا نكص على عقبيه وسعى بيديه فقيل له مالك قال ان
بينى وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال صلى الله عليه وسلم
لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا كلا اى ليس الامر على ما عليه
ابو جهل لا تطعه يا محمد ودم على طاعتك واسجد واقترب ودم
على سجودك والتقرب الى الله حيث شئت ولا تباله والحمد لله وحده

سورة القدر مكية وقيل مدنية وهى خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه اى القرآن فى ليلة القدر بان انزله
جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من السماء ثم نزل
مفصلا بحسب الوقايع وما ادريك ما ليلة القدر لعظم شانها
ليلة القدر خير من الف شهر اى من الف شهر ليس فيها تلك الليلة
والعمل فى تلك الليلة افضل من عبادة الف شهر ليس فيها ليلة القدر
ولذلك ثبت فى الصحيحين من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له
ما تقدم من ذنبه نزلت حين ذكر عليه الصلوة والسلام رجلا من بنى
اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فعجب الصحابة من ذلك
فاعطوا ليلة خيرا من مدة ذلك الغازى والاصح انها من خصائص
هذه الامة وانها فى رمضان وانها فى العشر الاواخر وانها فى اوتارها وانها
تختلف فى السنين جمعا بين الاحاديث ولا خلاف بين السلف فى
انها باقية الى يوم القيمة سميت بها لانها ليلة تقدير الامور والاحكام
الى السنة المقبلة او لمنزلتها وقدرها عند الله تنزل الملائكة والروح
جبريل او ضرب من الملائكة فيها باذن ربهم مع نزول البركة والرحمة
قال عليه الصلوة والسلام الملائكة فى الارض فى تلك الليلة اكثر من
عدد الحصى وعن كعب الاحبار لا تبقى بقعة الا وعليها ملك يدعو
للمؤمنين والمؤمنات سوى كنيسة او بيت نار او وثن او موضع فيه
النجاسات او السكران او الجرس وجبريل لا يدع احدا الا صافحه فمن
اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فمن اثر مصافحته من كل امر
اى تتنزل من اجل كل امر قدر فى تلك السنة سلام هى ليست اى الا
سلامة لا يقدر فيها شر وبلاء او لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها
سوءا او ما هى الا سلام لكثرة سلام الملائكة على اهل المساجد وعن
مجاهد سلام هى من كل امر وخطر حتى مطلع الفجر غاية تبين تعميم السلامة
او السلام كل الليلة الى وقت طلوعه والمطلع بالكسر ايضا مصدر كالمرجع
او اسم زمان كالمشرق على خلاف القياس ويستحب ان يكثر فيها
من قول اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى والحمد لله تعالى حق حمده

سورة البينة مدنية وقيل مكية وهى ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى

والمشركين عبدة الاوثان منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة اى
الرسول اتيهم بالقران فبين ضلالتهم فدعاهم الى الايمان فامن بعضهم
رسول من الله بدل من البينة يتلو صحفا مطهرة اى ما فى الصحف المطهرة
فانه مكتوب فى الملاء الاعلى فى الصحف كما مر فى سورة عبس فيها فى
الصحف المطهرة كتب قيمة مكتوبة مستقيمة لا خطأ فيها وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اى تفرقهم واختلافهم
بعد ما اقام الله عليهم الحجج فانهم اختلفوا فيما اراده الله من كتبهم
قال تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا ~~من بعد~~ واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينة وفى الحديث
اختلف اليهود على احدى وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على
ثلث وسبعين كلها فى النار الا واحدة هى ما انا عليه واصحابى
او معناه لم يزل اهل الكتاب مجتمعين فى تصديق محمد عليه الصلوة والسلام
حتى بعثه الله فلما بعث تفرقوا فامن بعض وكفر اكثرهم وما امروا اى
بما فى الكتابين الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين اى لاجل عبادة الله
على هذه الصفة نحو وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه
لا اله الا انا فاعبدون حنفاء مائلين عن كل دين باطل ويقيموا الصلوة
عطف على يعبدوا ويؤتوا الزكوة لكنهم حرفوه وذلك دين القيمة اى
دين الملة والشريعة المستقيمة وقيل هى جمع القيم اى دين الامة القائمين
لله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم
خالدين فيها اولئك هم شر البرية الخليقة ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك هم خير البرية استدل ابو هريرة وطائفة من
العلماء على تفضيل اولياء الله من المؤمنين على الملائكة بهذه الاية
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا فيه مبالغات لا تخفى على المتامل رضى الله عنهم استيناف بما
حصل لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه ذلك اى هذا الجزاء لمن خشى
ربه فاتقاه حق تقواه وانما يخشى الله من عباده العلماء والحمد لله على كل حال

سورة الزلزلة مكية وقيل مدنية وهى تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت حركت الارض زلزالها المقدر

لها عند النفخة واخرجت الارض اثقالها من الاموات والكنوز
والقاها من جوفها على ظهرها وقال الانسان ما لها تعجبا من تلك الحالة
يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او عامل اذا مضمر نحو اذكر وعامل
يومئذ تحدث الارض الخلق بلسان الحال اخبارها وفى
الترمذى والنسائى قرأ صلى الله عليه وسلم هذه الاية قال ان اخبارها
ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها ان تقول عمل كذا وكذا فى
يوم كذا وكذا بان ربك اوحى لها اى تحدث بسبب ايحاء الرب
وامره بالتحدث يومئذ يصدر الناس يرجعون عن موقف
الحساب اشتاتا متفرقين اصنافا وانواعا بين شقى وسعيد ليروا
اعمالهم اى جزاءها فمن يعمل مثقال ذرة وزن نملة صغيرة او ما يرى
فى الشمس من الهباء خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره عن ابن
مسعود هذه احكم اية فى كتاب الله وكان عليه السلام يسميها الفاذة
الجامعة وفى احباط بعض اعمال الخير والعفو عن بعض اعمال الشر اشكال
اللهم الا ان يقال الاية مشروطة بعدم الاحباط والعفو وما ذكره النسائى
وابن ماجه انه لما نزلت قال ابو بكر انى اجزى بما عملت من مثقال ذرة
من شر قال عليه السلام ما رايت فى الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر مثا قيل صح
الله لك ذر الخير حتى توفاه يوم القيمة فلا يخلو عن اشكال لان قوله فمن
يعمل مترتب على قوله يومئذ يصدر فالظاهر ان رؤية جزاء الاعمال
فى الاخرة لا فى الدنيا اللهم الا ان يقال قد تم الكلام عند قوله ليروا اعمالهم
وقوله فمن يعمل ابتداء كلام وحكم على حياله وعن سعيد بن جبير كان
المسلمون يرون انهم لا يوجرون على الشئ القليل اذا اعطوه وكان
اخرون يرون ان لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة والنظرة والغيبة
واشباهها فرغبهم الله فى القليل من الخير وحذرهم عن القليل من الشر
فنزلت فمن يعمل مثقال ذرة الخ والحمد لله وحده والصلوة على محمد وعلى اله

سورة والعاديات مكية وقيل مدنية وهى احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات اقسم بالخيول التى تعدو فى سبيل
الله ضبحا تضبح ضبحا او ضابحات وهو صوت نفسه عند العدو

فالموريات الخيول التي تورى النار بحوافرها قدحا صاكات بحوافرها
الحجارة فالمغيرات تغير على العدو صبحا في وقته فاثرن هيجن به
بذلك الوقت نحو خرجت بالغداة نقعا غبارا فوسطن توسطن
به بذلك الوقت جمعا من الاعداء وعن علي رضي الله عنه المراد
الابل حين تعدو من عرفة الى مزدلفة ثم جماعة يوقدون النار في مزدلفة
ثم المسرعات منها الى منى فانها في الصبح ويكون الاغارة سرعة
السير ثم اثارة النقع في الطريق ثم التوسط ملتبسات بالنقع في
الجمع وهو اسم مزدلفة وعلى هذا الضبح الذي هو للفرس مستعار
للابل ان الانسان لربه لنعم ربه لكنود لكفور وانه اي الانسان
على ذلك على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بلسان حاله او وعيد
من الله اي ان الله على كنوده لشهيد وانه اي الانسان لحب الخير
لاجل حب المال لشديد بخيل او قوي مبالغ افلا يعلم الله اذا بعثر
بعثر ظرف يعلم ما في القبور من الموتى وحصل اي اظهر محصلا ما في
الصدور من الخير والشر اجرى العلم مجرى اللازم اي اليس له العلم
الكامل بما عليه الامر في ذلك اليوم ثم يؤكد ذلك بقوله ان ربهم
بهم يومئذ هو يوم القيمة لخبير لعالم فيجازيهم والحمد لله والصلوة على محمد

سورة القارعة مكية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة مبتدا وخبر اي القارعة
ما هي كما مر في سورة الحاقة وما ادريك ما القارعة يوم ظرف لما دل عليه
القارعة اي تقرع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في الذلة
والاضطرار والتطاير الى الداعي كتطاير الفراش الى النار وتكون الجبال
كالعهن كالصوف المنفوش المندوف في خفة سيرها وتطايرها
فاما من ثقلت موازينه بترجح قدر الحسنات فهو في عيشة راضية ذات
رضى واما من خفت موازينه بان ترجحت سيئاته فامه ماواه او ام
راسه فانه يطرح فيها منكوسا هاوية من اسماء جهنم وما ادريك
ماهيه الضمير للهاوية والهاء للسكت نار حامية ذات حرارة شديدة
فضلت على نار الدنيا بتسعة وتسعين جزءا اللهم اجرنا منها والحمد لله وحده

سورة التكاثر مكية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم شغلكم التكاثر المباهاة بكثرة الاموال
والاولاد عن طلب الاخرة حتى زرتم المقابر اي تمادى بكم ذلك الى ان متم
وقبرتم وفي الحديث حتى زرتم المقابر حتى ياتيكم الموت وفي الترمذي عن علي
ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر وعن
عمر بن عبد العزيز حين قرا ذلك قال لا ارى المقابر الا زيارة ولا بد لزائر
ان يرجع الى منزله الى جنة او نار وعن بعض معناه تكاثرتم بالاحياء حين
قلتم نحن اكثر عددا وخدما وعشيرة حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر
فتكاثرتم بالاموات بان قلتم هؤلاء قبور خدمنا وعشائرنا واقاربنا
كلا ردع عن الاشتغال بالدنيا سوف تعلمون خطا ما انتم عليه ثم كلا
سوف تعلمون التكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان الثاني اشد وابلغ
كما يقول الناصح اقول لك ثم اقول لك كلا لو تعلمون ما سترجعون اليه
علم اليقين علما يقينيا لما الهيكم شيء عن طلب الاخرة فجواب لو مقدر كما
قدرناه لترون الجحيم جواب قسم محذوف تاكيد للوعيد وليس جوابا للو لانه
امر محقق الوقوع بل جواب قسم اوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما
ثم لترونها تكرير للتاكيد عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين
ثم لتسالن يومئذ يوم اذ ترون الجحيم عن النعيم عن شكر كل ما تلذذ به
روى الامام احمد يسال عن كل شيء الا من ثلث خرقة كف بها الرجل
عورته او كسرة سد بها جوعته او حجر يدخل فيه من الحر والقر والسؤال
عام للمومن والكافر للنصوص الصريحة الصحيحة والرؤية التي في قوله لترون
رؤية قبل الدخول في النار لقوله ثم لتسالن يومئذ عن النعيم والحمد لله وحده

سورة العصر الاصح انها مكية ايها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر بوقته او بصلوته او بالدهر ان الانسان
كلهم لفي خسر في مساعيهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم في تجر
وربح فانهم اشتروا الباقي بالفاني او الانسان لفي نقصان في دنياه وفي سنه
الا المومنين المتقين فانه في حال هرمه يكتب له الصالحات التي يعمل في
شبابه صافيات كما ورد في الحديث وتواصوا اوصى بعضهم بعضا

بالحق بما هو الخير وتواصوا بالصبر على الطاعات وعن المعاصي والله الحمد

سورة الهمزة مكية آيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة معتاد بكسر اعراض الناس لمزة
معتاد بالطعن فيهم او الاول الغيبة والثاني الايذآء او الاول باللسان
والثاني بالعين والحاجب والوعيد عام تينا ول من باشر ذلك وان
كان السبب خاصا الذي جمع مالا بدل من كل او منصوب او مرفوع
بالذم وعدده مرة بعد اخرى لمحبته او جعله عدة وذخيرة للنوازل يحسب
ان ماله اخلده لفرط غروره واشتغاله به وطول امله لا يخطر الموت بباله
فيعمل اعمال من يظن الخلود وتعم ما قيل ان السورة تنعي بالويل على اكثر اهل
الدنيا كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة ما يحطم ويكسر
وما ادريك ما الحطمة نار الله الموقدة التي اوقدها الله لاعدائه التي تطلع
على الافئدة تعلو على اوساط قلوبهم فانها الطف ما في البدن واشده
تالما وهو مكان العقائد تاكل كل جسده فاذا بلغت فؤاده جدد خلقه
انها اي النار عليهم مؤصدة مطبقة في عمد ممددة موثقين في عمد
ممددة يعني ارجلهم وايديهم في حديد كالعمود طويل هو حال من ضمير
عليهم اعاذنا الله منها الحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد الانبياء والمرسلين

سورة الفيل مكية آيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر يا محمد جعل مشاهدة اثارها وسماع اخبارها
بمنزلة الرؤية يعد نعمته عليه بان صرف في قرب مولده ارهاصا للنبوة
في معجزة غريبة كما هو المشهور كيف فعل ربك فعل الله لا فعل الاصنام
ونصب كيف بفعل لا بالم تر لانه وجب التقديم على عامله للاستفهام
باصحاب الفيل الم يجعل الله كيدهم في تخريب الكعبة في تضليل في
تضييع وارسل عليهم طيرا اسم جمع يذكر ويونث ابابيل عطف بيان
اي جماعات قيل جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة وقيل كعبابيد وشماطيط
لا واحد لها ترميهم بحجارة من سجيل تقدم في سورة هود فجعلهم كعصف
ورق زرع ماكول اكله الدواب وراثته او وقع فيه الاكال وهو ان ياكله
الدود ومجمل قصته ان ملك اليمن بنى كنيسة واراد صرف الحج اليها فتوجه

لم تر

لتخريب الكعبة ومعه فيل عظيم وقيل معه فيلة اخرى فلما وصلوا قرب
مكة تهيأ واللدخول ارسل الله طيرا من البحر كالخطاطيف مع كل ثلثة
احجار في منقاره ورجليه اصغر من حمصة فرمتهم فان وقع الحجر على راس
كان خرج من دبره فهلكوا على بكرة ابيهم والقصة مبسوطة في التواريخ
والتفاسير والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد سيد الانبياء والمرسلين

سورة قريش مكية آيها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش قيل متعلق باخر سورة الفيل
اي جعلهم كعصف ماكول ليبقى قريش وما الفوا من الرحلتين وفي مصحف
ابي هما سورة واحدة عن ابن عباس سمي قريش قريشا تشبيها بدابة
في البحر من اقوى دوابه ياكل ولا يوكل ويعلو ولا يعلى ايلافهم رحلة
الشتاء اي رحلة في الشتآء منصوب بايلافهم والصيف ورحلة
في الصيف اطلق الايلاف ثم ابدل المقيد عنه للتعظيم فليعبدوا
رب هذا البيت الاظهر ان لايلاف متعلق به والفا لمعنى الشرط
الذي فيه كانه قال ان لم يعبدوه لساير نعمه فليعبدوا لايلافهم رحلة
الشتاء الى اليمن والصيف الى الشام للتجارة والتنعم امنين لا يزاحمهم
احد لانهم اهل بيت الله الذي اطعمهم من جوع عظيم اكلوا فيه الجيف
ومكة واد غير ذي زرع وامنهم من خوف عظيم انا جعلناه حرما امنا
ويتخطف الناس من حولهم من الله عليهم بالرخص والامن كما دعا ابراهيم
عليه الصلوة والسلام والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله

سورة الماعون الاصح انها مكية آيها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت بمعنى اخبرني يطلب مفعولين احدهما قوله
الذي يكذب بالدين اي بالبعث والجزآء والمفعول الاخر مقدر اي
من هو فذلك الذي اي ان لم تعلم من هو فذلك الذي يدع يدفع
دفعا عنيفا اليتيم عن ابن عباس هو بعض المنافقين ولا يحض لا يحث
اهله وغيره على طعام المسكين على اطعامه فضلا عن ان يطعمه وفي
اضافته دليل على انه مستحقه فويل للمصلين اي لهم وضع موضع
الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخلق والخالق الذين هم عن صلوتهم

ساهون اي ملتزموها بالجهر وتاركوها بالسر الذين هم يراؤن يصلون
علانية لاجل ان يظن فيهم الاسلام ويمنعون الماعون يتركون معاونة
الخلق بمنفعة فلا يتصدقون وان استعار احد منهم دلوا وقدرا وفاسا
واشباه ذلك سيما زكوة المال يمنعون قال بعض المراد من الذي يدع
ابو سفيان فانه في كفره كان ينحر في كل اسبوع جزورا فاتاه يتيم وساله
فقرعه بعصاه فعلى هذا فالمراد من قوله للمصلين غير من يدع فانه كان
لا يصلي بل لما ذكر عمل كافر ليحترز عنه ذكر ما هو اقبح من عمله وهو عمل
المنافق ليكون اشد احترازا عن مثله والله اعلم والحمد لله وحده

سورة الكوثر مختلف فيها آيها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فوعل من الكثرة وفي الصحيحين وغيرهما
هو نهر في الجنة عليه خير كثير واكثر السلف على انه خير كثير منه ذلك النهر
والنبوة والقران فصل لربك فزد في عبادة ربك مخلصا شكرا لما اعطاك
وانحر اي البدن ونحوها على اسمه وحده قال انس كنا ننحر يوم الاضحى
قبل الصلوة فامر الله ان نصلي ثم ننحر وكذا قاله قتادة ان شانئك
مبغضك يا محمد هو الابتر الاقل الاذل الذي لا عقب له المنقطع ذكره
نزلت حين قال المشركون دعوا محمدا فانه ابتر اذا مات انقطع ذكره وذلك
حين توفي قاسم وابرهيم فقال الله اعداءك هم المنقطعون بما قالوا
فيك وما انت الا باق حسن ثناءك الى يوم التناد وعلى رؤس الاشهاد
مع ذريتك الكرام الى يوم القيام وهذا اخصر سورة قد كتبنا في شرحها
رسالة تليق بان نلحقها بالتفسير لكن قد منعنا الاختصار والحمد لله وحده

سورة الكافرون آيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون قيل له صلى الله عليه وسلم دع
ما انت فيه ونحن نمولك ونزوجك من شئت من كرائمنا وان لم تفعل
نعبد الهتنا سنة والهك سنة ونشترك في امرنا كله فنزلت لا اعبد
اي لا اعبد في المستقبل ما تعبدون في الحال فان لا على المضارع للاستقبال
ولا انتم عابدون في المستقبل ما اعبد في الحال وذكر ما هنا لمطابقة
ما تعبدون فانهن احجار غير ذوي الحيوة والمراد لا اعبد الباطل ولا تعبدون

الحق ولا انا عابد قط ما عبدتم ولا انتم عابدون قط ما اعبد لم يقل ما
عبدت لانه لم يطابق المقام فانهم ينكرون ما هو عليه في النبوة
وكانوا قبلها يعظمونه هكذا فسره الزمخشري وكثير من السلف وعن بعض
ان المراد من لا اعبد نفي الفعل ومن لا انا عابد نفي الوقوع او الامكان
فليس فيه تكرار وتاكيد على طريقة ابلغ فان الثاني جملة اسمية قال
ابو مسلم ما في الاوليين موصولة والمقصود المعبود وفي الاخريين
مصدرية اي عبادتكم المبنية على الشك وعبادتي المبنية على اليقين
ولهذا قال لكم دينكم الباطل ولي دين الحق لا تتركونه ولا اتركه قال تعالى
وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم الاية ويكون هذا خطابا لمن سبق
في علم الله انه يموت على الكفر والحمد لله حق حمده والصلوة على محمد واله

سورة النصر مدنية آيها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله لك على اعدائك والفتح فتح
مكة فسره به الجمهور ورايت الناس يدخلون اذا جعلت رايت بمعنى
ابصرت فيدخلون جملة حالية في دين الله افواجا جماعات بعد ان
كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين فسبح بحمد ربك نزهه عما لا يليق
بجلاله متلبسا بحمده على تلك النعم التي خولك لما كان الفاء في جواب
الشرط ما نعا من اعمال ما بعدها فيما قبلها فعامل اذا مقدر يدل عليه
فسبح واستغفره عما فرط منك ومن امتك انه كان توابا لمن
استغفر منذ خلق الخلق كان صلى الله عليه وسلم بعد ان نزلت اخذ
في اشد ما كان يجتهد في امر الاخرة وفي مسند الامام احمد قال صلى الله
عليه وسلم لما نزلت اذا جاء نصر الله نعيت الى نفسي بانه مقبوض
في تلك السنة وفي مسلم والنسائي والطبراني انها اخر سورة نزلت
من القران جميعا وعن البيهقي وغيره نزلت في حجة الوداع وعلى
هذا فنزولها بعد فتح مكة بسنتين فلا بد لنا ان نقول اذا سلبت عن
معنى الاستقبال وقيل لما كان فتح مكة ام الفتوح والفتوحات
بعده مترقب فهو وان كان واقعا متحققا لكنه مترقب باعتبار ما
يعقبه من الفتوحات والحمد لله على نعمائه والصلوة على اكرم انبيائه

سورة تبت مكية آيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت يدا ابي لهب اي نفسه وعادة
العرب التعبير عن الجملة باليدين نحو ما قدمت يداه وتب الاول
دعاء والثاني اخبار صعد صلى الله عليه وسلم الصفا فقال يا صباحاه
فاجتمعت قريش وقال لو اخبرتكم ان العدو مصبحكم او ممسيكم اما
كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت ما اغنى عنه ماله من
عذاب الله وما كسب والذي كسبه هو ولده هكذا فسر جماعة
السلف وهو قال ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه
نفسي بمالي وولدي وهو مات ودفنه بعض السودان بعد ما انتن وقد
افترس اسد ولده في طريق الشام سيصلى نارا ذات لهب اشتعال
واي اشتعال وامرأته حمالة الحطب في جهنم فتلقي على زوجها فهي في اسوء
حال يزداد عذاب زوجها لانها كانت في الدنيا عونا له في الشر
فتكون في القيمة كذلك والواو حالية في جيدها عنقها حبل من مسد
مما يسد ويفتل كالحطاب من قرأ حمالة بالنصب فعلى الشتم وحينئذ
امرأته مبتدأ خبره في جيدها او عطف على فاعل سيصلى يعني سيدخل
هو وامرأته جهنم عن ابن عباس في جيدها سلسلة فتل واحكم والمنقول
انها كانت تجمع الشوك وتطرح ليلا في طريقه صلى الله عليه وسلم فجعل
حالها في جهنم كحالها في الدنيا تحمل الشوك على ظهرها قيل كانت نمامة
حمالة الحطب بين الناس لنائرة الشر وقيل ان لها قلادة ثمينة انفقتها
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعقبها الله حبلا في عنقها
من مسد نار جهنم فيا رب لا تحشرنا فيهم ومعهم وصلى الله على محمد وآله

سورة الاخلاص مكية آيها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله قالوا صف لنا ربك الذي تدعونا
اليه فنزل وعلى هذا الضمير لما سئل عنه والله خبره احد ليس له شريك
وهو خبر بعد خبر او بدل والتحقيق ان بدل النكرة الصرفة من المعرفة فصيح
اذا حصل منها فائدة جديدة كمبحثنا هذا وجاز ان يكون هو ضمير الشان

وجملة الله احد خبره الله الصمد اي السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد
اليه اذا قصده او السيد الذي قد كمل في جميع انواع السودد وصرح باسمه
الاقدس ثانيا اشارة الى ان من لم يتصف بانه صمد لم يستحق الالوهية
مع ان صريح الاسم ادل على التعظيم والمقام مقام التعظيم وفسر كثير من
السلف ان الصمد من لا جوف له وقالوا ما بعده تفسيره لم يلد لان الولد
من متجانسين وهو احد صمد قال تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
ولم يولد لانه احد صمد فكيف يكون حادثا محتاجا مربوبا ولذلك لم تر احدا
نسبه الى ذلك لكمال ظهوره ولم يكن له كفوا احد لم يكن احد يكافئه ويماثله
من صاحبة لانه احد صمد قيل جاز ان يكون من الكفاءة في النكاح وله متعلق
بكفوا وقدم عليه للاهتمام به اذ فيه ضمير الله وهو في معنى المفعول اي لا احد
يكافيه وقدم الخبر لان في تاخير الاسم رعاية الفاصلة ولا يجوز ان يكون له
خبرا وكفوا حالا من احد كما قيل لانه خلاف المتبادر والمتبادر اعراب صحيح
عربي فصيح وذكر هذه المنفيات ليست الا شفقة على خلق الله وان كانت
لها نوع من تعظيم امر الله فانهم قالوا فيه الولد والصاحبة واما ذكر لم يولد
لاستطرادا في البين كانه قال لا يلد الا من يولد ولولا ان الدجال سيدعي
الالوهية لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهكم ليس باعور
وقد ثبت ان هذه السورة تعدل ثلث القران ومن قرأ مرة فكانما قرأ
ثلثه وفي الترمذي والنسائي انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرأها فقال
وجبت قيل وما وجبت قال الجنة وفي مسند الدارمي قال صلى الله عليه وسلم
من قرأ قل هو الله احد عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة ومن قرأها عشرين
بنى له قصرين ومن قرأ ثلثين بنى له ثلثة فقال عمر بن الخطاب اذا نكثر قصورنا
فقال صلى الله عليه وسلم انه اوسع من ذلك وفضائل تلك السورة
لعديدة في الاحاديث والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد المرسلين

سورة الفلق مختلف فيها آيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق اي الصبح لقوله فالق الاصباح
وورد في حديث انه جب في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار منه من شر
ما خلق عام لا يفلت منه شيء ومن شر غاسق الليل اذا وقب اذا دخل

ظلامه ولا شك ان الشر في الظلام اشد واكثر او الغاسق القمر والمراد
من اذا وقب دخوله في الكسوف والاسوداد روى ابن السني انه صلى
الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة تعوذي بالله من هذا فانه
الغاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد السواحر اللاتي تعقدن
عقدا وينفثن عليها وغالب مزاول السحر النساء فانهن اقرب من
الشياطين وشر السحر يبقى وان غفل عن السحر ومن شر حاسد اذا حسد
اي اذا ظهر حسده وعمل بمقتضى حسده فلو لم يظهر اثر ما اضمر فلا ضرر الا على
نفسه بتجرع الغم وقد صح ان اليهود سحروا نبي الله صلى الله عليه وسلم في احدى
عشرة عقدة ودسوا في جرية بئر فمرض صلى الله عليه وسلم فجاء جبرئيل بالمعوذتين
احدى عشرة اية واخبره بموضع السحر فاستخرج وجيء بها فكان كلما
قرأ اية انحلت عقدة فحين ان حلت العقدة الاخيرة قام عليه الصلوة
والسلام كانما نشط من عقال والحمد لله على انعامه وصلى الله على محمد واله

سورة الناس مختلف فيها ايها ست

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس جمع انسان قاله الجوهري
اضاف اليه لان وسوسة الصدر المستعاذ منها ليست الا للانسان
فكانه قال اعوذ بربي من شر موسوسي كما يستعيذ العبد بمولاه اذا اهمه امر
ملك الناس اله الناس الاظهر انهما صفتان فان المشهور ان عطف
البيان يكون من الجوامد وهو من قبيل الترقي في صفات الكمال فان الملك
اعلى لان كل ملك رب ومالك ولا ينعكس كليا ثم الاله الذي هو اعلى
جعله غاية للبيان من شر الوسواس اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة
والمراد الشيطان جنيا او انسيا قال تعالى جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن سمي بالمصدر مبالغة الخناس الذي عادته الخنس والتأخر
والرجوع عند ذكر الله والخناس ليست من صفات الانسي بل من خاصية
الجني لكن التعوذ من النوعين قال بعض المحققين اذا وجدت وسوسة
وتعوذت بالله فان خنس ورجع فوسوسة شيطانية والا فمن نفسك
فانها لجوج الذي يوسوس في صدور الناس حين ان غفلوا عن ذكر ربهم
من الجنة والناس من للتبعيض في موضع الحال من ضمير يوسوس اي حال

كون

كون الموسوس بعض الجنة وبعض الناس قيل بيان للناس والناس يعم
الانس والجن تغليبا او الناس يطلق على الجن حقيقة وفي مسند الامام احمد انه
صلى الله عليه وسلم قال يا عقبة الا اعلمك خير ثلث سور انزلت في التورية
والانجيل والزبور والقران العظيم قال قلت بلى يا رسول الله قال فاقرأني
قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم اعلم
ان السورتين المفتتحتين بقل اعوذ وبقل على هذا النهج من الترتيب الانيق
هي القران كلام الله القديم فلو تركت لفظة قل او غيرت كلمة فان خبثت
بتمام كلماته فليست سورة من القران وربما لا تجد منها فائدتها والفاظها
ومعانيه من الصفات القديمة وكما ان ذاته الاقدس لا يحيط العقول
بكنهه كذلك صفاته الحسنى ومن ادرك كنه صفة من صفاته فقد ادرك
كنه ذاته والعوذة من السورتين اللتين هما من الصفات ولذلك ترى
امام اهل السنة اجاب حين قيل له تعوذت البارحة باعوذ بكلمات
الله وقد لدغني عقرب فقال كيف تعوذت قال قلت اعوذ بكلمات
الله التامات كلها من شر ما خلق فقال لدغتك كلها يعني ان كلها
ليس في الحديث وهي السبب لانك ما تعوذت بمثل ما علمك رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا واني معترف بقصور الباع في العلوم لكني
معترف من بحار علم من انزل عليه كتابه وارجو ان يكون تفسيري
هذا المسمى بجوامع التبيان مصونا بصيانة الله الرؤف وقد ابتدأت
اليوم الثاني من جمادى الاخرة في الروضة المنورة من رياض الجنة سنة
اربع وتسعمائة واختتمته فيها اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان
في سنة خمس وتسعمائة فيكون بين الافتتاح والاختتام سنة كاملة واربعة
اشهر وما هو الا من بركات رحمة الله على العالمين حجة الله للعالمين
صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين
تم كتابة هذا التفسير الشريف بيد العبد الضعيف النحيف عبد الله ابن
المرحوم ابن الفتوى عثمان في اليوم التاسع والعشرين من رمضان
سنة سبع ومائتين والف من الهجرة من له العز والمجد والشرف
من النسخة التي هي بخط المؤلف معين الدين محمد وهي كالمسودة فيها المحو

وان ثبات وفي حواشيها كثير من الالحاقات والمخرجات بحيث لا يتبين
محالها الا بعد التامل في مرام مولفها ولم توجد نسخة غيرها فابتدات بكتابتها
منها بامر المرحوم راغب محمد باشا سنة خمس وسبعين ومائة والف
وانتهت الكتابة الى سورة النور وانتقل المرحوم المبرور الى جوار رحمة ربه
الغفور فحصل للعبد الحقير باسباب شتى من كتابتها فتور ثم ابتدات
بكتابتها من تلك السورة ثانيا بعد الاتمام والتصحيح وضعها في دار الكتب
التي بناها المرحوم المشار اليه في اوائل رجب ويسر الله اتمامها في اقل
من ثلثة اشهر لله الحمد والمنة وعلى رسوله سيدنا محمد افضل الصلوة
والتحية وعلى اله واصحابه اجمعين اللهم احشرنا
معهم يا ارحم الراحمين ورب العالمين